

كتاب
آثار ابن باديس

المجلد الأول
تفسير وشرح أحاديث

اعداد وتصنيف
دكتور عمّار الطالبي

الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24، شارع باب عزون - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة
الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24 ، شارع باب عزون - الجزائر

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هجرية = ١٩٦٨ ميلادية

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هجرية = ١٩٨٣ ميلادية

الطبعة الثالثة ١٤١٧ هجرية = ١٩٩٧ ميلادية

آثار ابن بادیس



العلامة الناشر الامام عبد الحميد بن باديس

رأى النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الإصلاحية ومؤسسها بالجزائر

يشتمل المجلد الأول من هذه الطبعة على مدخل للحياة العقلية والثقافية للمغرب الاسلامي ، وعلى حياة ابن باديس وآثاره المتعلقة بالتفسير ، وشرح الحديث ، ويشتمل المجلد الثاني على المقالات الاجتماعية والتربوية والاخلاقية والدينية والسياسية التي دبرها يراع الشيخ الامام الاستاذ عبد الحميد ابن باديس .

وقد كلفت دار اليقظة العربية لجنة من كبار علماء دمشق للقيام بتصحيح آثار ابن باديس أثناء طبعتها ، وذلك حرصاً منها على أن يصدر هذا الكتاب الذي له أهمية بالغة في النهضة الاسلامية العربية الحديثة في المغرب الاسلامي سليماً من الأخطاء ، خالياً من التحريف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدِمَةٌ

بقلم المفكر الجزائري مالك بن نبي
مدير التعليم العالي بالجزائر

عرفت مؤلف هذا الكتاب إبان دراسته في جامعة القاهرة ، وكنت
أعتبره في جملة أصدقائي ومستمعي من بين طلاب البلدان الإسلامية
المختلفة الذين يزورون الندوة التي تعقد في منزلي يوم الجمعة من
كل أسبوع .

فحين أقدم هنا لدراسةٍ عن ابن باديس أشعر بلذة مزدوجة .

فما كان أشد اغراء مثل هذا الموضوع في بلد ما يزال من شاهد
حياة الشيخ وأثره كثيراً عددهم ، ولكن ما أصعبه من موضوع
اذ الحقيقة انه لا يمكن أن يخلو حكم معاصر على أحداث عهده ورجاله ،
من نظرة ذاتية ، الا نادراً .

وأنا نفسي أشعر بشيء من الحرج حين أقدم كتاباً يعوي
— بالضرورة — أفكاراً وأحداثاً كنت نصيراً لها أو معارضاً .

غير أن شخصية الشيخ تجمع في طياتها جوانب بلغت من التنوع
والغنى مبلغاً يجعل في قدرة الباحث — دوماً — أن يتطرق الى دراستها
من زاوية تحرر الفكر من الظروف العرضية النسبية .

لقد كان ابن باديس مناظراً مفحماً ، ومريباً بنثاءً ، ومؤمناً متحمساً ، وصوفياً والهياً ، ومجتهداً يرجع الى أصول الايمان المذهبية ، ويفكر في التوفيق بين هذه الأصول توفيقاً عزب عن الأنظار ، ابان العصور الأخيرة للتفكير الاسلامي .

وهو كذلك وطني مؤمن تصدّى عام ١٩٣٦ لزعيم سياسي نشر مقالاً عنوانه : « أنا فرنسا » فردّ عليه ردّاً حامياً قوياً .

وعندما انفجرت حوادث قسنطينة الدامية في شهر آب من سنة ١٩٣٤ وحاولت الادارة أن تعيد الهدوء والاستقرار كان نصيراً لها ، ولكنه لم يقبل هجوماً على الاسلام قام به يهودي متتهكاً حرمة مسجد .

والشعور الوطني المتدفق يغدو لديه فيضاً شعرياً عندما ينظم قصائده التي قدّر لها أن تعيد الى الشعب الجزائري أبعاده الحقيقية في التاريخ الاسلامي ، في فترة كان أطفال الجزائر يدرّسون ويعلمون تاريخ « أجدادنا الغالين » .

وفوق ذلك فقد كان ابن باديس مصلحاً اقترن اسمه وأثره بتاريخ هذا البلد في مرحلة سياسية كانت تعدّه « للثورة » ، وفي هذه الكلمة من المعاني أكثر مما تعودنا أن نفهم .

انه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم كما كانت في عصر ابن تومرت بافريقيا الشمالية .

فقد كان المغرب يعيش على صورةٍ ما حياة فترة العصر الذي وضعت له حداً نهائياً دعوة مهدي الأطلس المغربي ، وسيف عبد المؤمن .

نحن نعلم أن عصر المرابطين شهد انزلاق الضمير الاسلامي نحو النزعة الفقهية .

فجاء ابن تومرت ارتكاساً لروح الفقهاء الضيقة ، ووضعت دعوته الضمير الاسلامي في شريعة القرآن وطريق السنة .

أما ابن باديس فقد جاء في فترة جدت فيها النزعة الصوفية (المرابطة أو الطريقة) دورة المرابطين •

وهنا موضع الخطورة ، ذلك أن الحلقة لم تستأنف بالفقه والرباط ، بل بالتنمية والزاوية •

ولم يستطع المصلح الجزائري أن يطمح الى تأسيس امبراطورية تحرر الضمير •

لقد تغير الزمان : فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيرا كل المعطيات في الجزائر كما فعلا ذلك في سائر العالم الاسلامي •

كانت الظروف تقتضي الرجوع في الاصلاح الى السلف ادراجاً : اذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الاجتماعي ممكناً قبل تحرير الضمائر •

وكل مذهب الاصلاح الجزائري الذي تجده في ابن باديس كان لا بد أن يصدر عن هذه الضرورة أو عن هذه المقترضات الخاصة •

والمبدأ الأساسي القائل « ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا وما بائنهفهم » الذي كان أول خطوة في الاصلاح ، يمكن أن يعتبر — من زاوية ما — ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية •

ومن هنا نرى التقلبات التي كان يمكن أن يتعرض لها مبدأ كهذا انبداً لدى وضعه موضع التطبيق ، عندما يجد المرء نفسه — أو يظن — أنه مضطر الى أن يتنازل للسياسة على حساب كمال المذهب وامتاته • ونقد الحركة الاصلاحية الجزائرية كله يمكن أن يوجه نحو هذه النقطة •

ولنقل — كي نبقي ضمن موضوعنا — : اننا لم نعد الى الحكم على أثر ابن باديس بالمائة العلمية التي تضع النتائج في أعقاب المقدمات ، والمقدمات نفسها في مواجهة قوانين التاريخ ، وعلم الاجتماع •

على أي حال فإن هذا الاثر نفسه غني في جميع جوانبه ، غنى شخصية صاحبه ، ويمكن أن يقف القارئ على هذا التنوع الغني .
وهو يقرأ الدرّاسة التي يعرضها عمار الطالبني .

ولقد يكفي في هذه المقدمة أن نركّز اهتمامنا في جانب من أكثر الجوانب تمييزاً لفكر ابن باديس .

أريد أن أتكلّم عن الافتتاحية التي كانت ترد في مطلع كل عدد من مجلة « الشهاب » تحت عنوان « مجالس التذكير » .

كان الشيخ يكتب هذه الافتتاحية دائماً : وانها لأثر العالم الداعية ، المصلح الفذ .

ولا يفوتني أن أذكر أنه عندما كان ابن باديس يتغيّب عن قسنطينة لسبب ما ، كانت المجلة تظهر بدون هذه الفاتحة التي تكوّن حقاً أمّ كل عدد من أعدادها .

ولقد دامت هذه الفاتحة من عدد كانون الثاني ١٩٢٩ م الى عدد ايلول من سنة ١٩٣٩ م على أبواب الحرب العالمية الثانية .

ولكي نستطيع الحكم على أهميته المذهبية والتعليمية يجب أن نحلّل مجلساً من مجالسه . ويجب علينا ألا ننسى بأن الشيخ علاوة على دوره في توجيه الرأي الجزائري العام — كان كذلك المعلم الذي يدرّس في معهد تكوّن فيه كلّ قادة تعليمنا الحر ، وحتى شعراؤنا ، مثل محمد العيد آل خليفة .

بل ان الشيخ نفسه يقدم هذا التحليل في العناوين الفرعية التي كان يفتحها كل مجلس من مجالسه ، فتحت العنوان يقدم الموضوعين الأساسيين : الآية — أو الآيات — والحديث موضوعي المجلس ، تليهما بعد ذلك العناوين الفرعية الخاصة بكلّ الموضوعين ، وهكذا نجد

— على سبيل المثال — في عدد حزيران ١٩٣٥ م الآية :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ » (١) .

وهي موضوع التفسير ، ويستخلص الشيخ من هذه الآية خمسة
عشر عنواناً فرعياً كما يلي :

- ١ — أدب واقتداء .
- ٢ — بيانه لهم ، حجته عليهم .
- ٣ — تمثيل .
- ٤ — أدب واقتداء .
- ٥ — نعمة الاظهار والبيان بالرسول والقرآن .
- ٦ — محمد — صلى الله عليه وسلم — والقرآن نور وبيان .
- ٧ — استفادة .
- ٨ — اقتداء .
- ٩ — الهداية ونوعها .
- ١٠ — بماذا تكون الهداية .
- ١١ — لمن تكون الهداية .
- ١٢ — الى ماذا تكون الهداية .
- ١٣ — الاخراج من حالة الحَيْرَة الى حالة الاطمئنان .

(١) الايتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .

- ١٤ - الاسلام هو السبيل الجامع العام .
١٥ - الرجوع الى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائم .

وإذا طبقنا تحليلنا الخاص على هذا الموضوع رأينا أن الشيخ قد أمدهنا من خلال تفسير هذه الآية ، بصورة ما ، بطيف ذاته : فالذي يتكلم انما هو الذاب عن الدين ، والناقد الاجتماعي ، والعالم المحقق ، والمصلح ، والصوفي ، كل بدوره . ولا يفوتني أن أذكر أن غنى هذه الذات ليس محصوراً كله في فعل واحد من أفعال هذا الفكر وهذه السيرة اللذين بعثا الحياة في فترةٍ ما من تاريخنا الوطني .
وعلى القارئ ألا ينسى أن ابن باديس مثقف يعيش مأساة مجتمع وحضارته على طريقته الخاصة .

فعندما قام بطبع كتاب « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) على نفقته كانت هذه الطبعة - رغم ثغراتها^(١) - تأكيداً لشخصية تعمل على الصعيد التاريخي لحضارة ما .

الجزائر ١٦ ذو الحجة ١٣٨٥ هـ

١٩٦٦/٤/٨ م

مالك بن نبي

(١) اشار محب الدين الخطيب الى هذه الثغرات في مقدمته لمبحث الصحابة الذي اقتطعه من هذا الكتاب (من الجزء الثاني ص ٩٨ - ١٩٣) وطبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ ولكنه لم يشر الى المخطوط الذي اعتمد عليه وهذا ما جعل الكتاب ابتز .

مدخل

الى الحياة العقلية والنهضة الحديثة بالجزائر

- ١ -

بواكر النهضة

لا يمكن أن تدرك أبعاد النهضة الحديثة في الجزائر قبل معرفة الأصول النفسية والاجتماعية للنهضة الحديثة في المغرب الاسلامي بعامة ، وفي المغرب الأوسط « الجزائر » بخاصة . لقد كانت أبرز الحركات الاصلاحية والثورية ، وأكثرها حيوية وأعمقها جذوراً ، وأشدها اتصالاً بالفكر الاسلامي ، وبمباديء الاسلام والسلفية .

تتسم الحياة الفكرية في المغرب الاسلامي بالتأثر بالأفكار التي تظهر في المشرق الاسلامي عبر التاريخ وهذا دليل على الوحدة الفكرية ، والثقافية ، واللغوية التي تأصلت جذورها وبقيت حية مدى الدهر ، بالرغم من عوادي الزمن ، وفجائع التاريخ ، ومحاولات الفصل ، والمحو ، وافتعال الفروق .

وما زال الفكر الاسلامي في الجزائر يتطلب الدراسة والتنقيب ، ولا شك في أن البحث عنه يكشف عن كنوز يمكن الافتخار بها .

وتعتبر محاولة الامير عبد القادر^(١) الفكرية من أهم المحاولات

(١) ولد في سنة ١٢٢٢ - ١٣٠٠ هـ (١٨٠٧ - ١٨٨٣ م) .

الجزائرية الحديثة في ميدان النهضة ، وهذا ما حمل جرجي زيدان على أن يجعله في كتابه « بناء النهضة العربية » من القادة والساسة ، بل كان أول شخصية تحدث عنها في كتابه هذا (١) . والواقع ان الأمير عبد القادر أول من أثار الضمير الشعبي الجزائري ، وبذر بذوراً بقيت تنمو في القلوب ، وتمتد جذورها في الارض الطيبة التي يجدر بالعالم الاسلامي أن يفخر بها ، ويسميها بحق « أرض الشهداء » وبجانب ما للأمير من ثورة سياسية فانه أضاف إليها ثورة فكرية ، تتمثل في تلك الأبحاث الدينية والتاريخية والفلسفية والكلامية (٢) والصوفية (٣) التي قام بها ، وحاول أن يفسر قول الامام الغزالي (٥٠٥ هـ - ١١١١ م) : (ليس في الامكان أبدع مما كان) يقول : « ان الآثار الكونية دلت على المعاني الالهية، والحقائق الربانية، والمعاني الالهية دلت على وجود ذات الاله المعبود ، فما في العالم حقيقة كونية كلية أو جزئية تقابلها هي مستندها وعمدتها ، والحقيقة الكونية هي معينها ومظهرها ، فالنسخة الكونية مقابلة للنسخة الالهية ، ولا يلزم من تقابل النسختين واستناد احدهما الى الاخرى المساواة في الحقيقة والنسبة ، ومن علم هذا علم صحة قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه » (٤) .

(١) جرجي زيدان : « بناء النهضة العربية » ، دار الهلال ، القاهرة (دون تاريخ) ص ١٢ - ٢٢ .

(٢) « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » الفه في سنة ١٢٧١ هـ طبع للمرة الاولى بدمشق (وبدون تاريخ) وجاء في ١٣٢ صفحة .

(٣) كتاب « المواقف » في التصوف نحا فيه منحى ابن عربي يقف عند آيات قرآنية معينة ويفسرها تفسيراً رمزياً صوفياً فيه نزعة افلاطونية محدثة على غرار المواقف للنفري . انظر تعليق شكيب ارسلان على حاضر العالم الاسلامي القاهرة ١٣٤٣ هـ ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٩

(٤) حسن صعب ، الوعي العقائدي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ ص ١٠٢ .

وبعد اخفاق الأمير في معاركه ضد المستعمرين وخروجه من الوطن عاد الفكر الجزائري الى جموده ، وتحجر ، وتحنط الأخلاقية الاسلامية ، والجهاد ، في صورة زوايا وطرق ، وأصنام .

ورغم بعد الأمير عن الوطن فانه كان يقوم بنشاط في سبيل الاصلاح والنهضة بدليل اتسابه الى الجمعية السرية السياسية التي أسسها جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) والتي تسمى بالعروة الوثقى^(١) وهو نفس اسم الجريدة المعبرة عن آرائها . يقول رشيد رضا : (وقد كان من أعضائها الأمير عبد القادر الجزائري ومن اختار من انجاله ورجاله)^(٢) . كما انه انضم الى الجمعية الماسونية في الاسكندرية سنة ١٨٦٤ م^(٣) ، وكان جمال الدين الافغاني نفسه عضواً فيها ثم انسحب منها . ودعا الأمير الى رفض التقليد واستعمال النظر فقال : (والمتبوعون من الناس على قسمين : قسم عالم مسعد لنفسه ، ومسعد لغيره ، وهو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ، ودعا الناس الى معرفة الحق بالدليل لا بأن يقلدوه ، وقسم مهلك لنفسه ومهلك لغيره ، وهو الذي قلد آباءه وأجداده فيما يعتقدون ويستحسنون وترك النظر بعقله ، ودعا الناس لتقليده ، والأعمى لا يصلح أن يقود انعميان ، واذا كان تقليد الرجال مذموماً غير مرضي في الاعتقادات ، فتقليد الكتب أولى وأحرى بالذم وان بهيمة تقاد أفضل من مفلد ينقاد ، وان أقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة في الاكثر ، واختيار

(١) صدر العدد الاول منها في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ - ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ . صدر منها ١٨ عدداً آخرها صدر في ١٦ اكتوبر ١٨٨٤ م .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام مطبعة المنار . ١٣٥٠ - ١٩٣١ ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣) جرجي زيدان ، بناء النهضة العربية ص ٢٢ .

المدخل

واحد منها واتباعه بلا دليل باطل ، لانه ترجيح بلا مرجح فيكون معارضاً بمثله (١) .

لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الاسلامي ، والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر ، سيطرة مذهلة ، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر ٣٤٩ زاوية وعدد المريدين أو الاخوان ٢٩٥٠٠٠٠ مريد . والفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم « طرفيين » فساد الظلام ، وخيم الجمود ، وكثرت البدع ، واستسلم الناس للقدر ، وأصبحوا اذا سئل أحدهم عن حاله أجاب : « نأكلُ الثقوتُ وَتَسْتَنْسِي فِي النَمُوتِ » (٢) وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت الى تعطيل الفكر وشلّ جميع الطاقات الاجتماعية الاخرى .

رد الفعل :

أدعى انتشار البدع والاعتقاد بالخرافات ، وطغيان الطريقة الى ارتكاس — رد فعل — من طرف جماعة من الفقهاء المسلمين ، والعلماء السنيين السلفين الذين آلمتهم الحال الراهنة، وأقلق ضميرهم سوء الحياة الاجتماعية ، وكثرة الضلال ، والانحراف الى الجاهلية ، وهؤلاء كانوا هم الرواد الأوائل لحركة الاصلاح الديني والأخلاقي ، والاجتماعي في أرض الشهداء .

وهذا الداعي — كما ترى — نبع من صميم المجتمع الجزائري عاملاً مناقضاً للحياة العقلية والاجتماعية المجددة ، وهناك دواعٍ سواء وعوامل أخرى اندفعت من خارج المجتمع وهي النهضة في المشرق وعودة الاتصال الفكري والثقافي بينه وبين المغرب عن طريق الصحافة والكتب والمجلات

(١) ذكرى العاقل ص ٦ - ٧ . طبعة قديمة و صفحة ٣٤ - ٣٥ طبعة حديثة .

(٢) عبارة عامية معناها : نطمع الطعام و ننتظر الموت .

والحج الذي تقع فيه مؤتمرات واجتماعات للنظر في أزمة المسلمين^(١) ، وعن طريق الطلبة الذين يسافرون الى القرويين والزيتونة ومصر للدراسة ومن أهم العوامل التي أدت الى وجود حركة ادبية وعلمية انشاء السيد قدور بن مراد التركي الرودوسي المكتبة الثعالبية سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م ثم مطبعته التي طبعت كثيراً من الكتب التاريخية والدينية^(٢) .

من العلماء الذين حاربوا البدع ، وحاولوا تحريك المجتمع ، وبذروا الحركة الاصلاحية : الشيخ صالح بن مهنا^(٣) فان مناجاته للضمير كادت توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة ١٨٩٨ م فعملت الحكومة الفرنسية على أبعاده ، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن^(٤) وله مؤلفات كثيرة . والأستاذ الشيخ عبد القادر المجاوي^(٥) الذي ألف كثيراً من

(١) وهو ما كان يخشاه الاستعمار الفرنسي فيراقب الحجاج المسلمين مراقبة شديدة .

(٢) سعد الدين بن أبي شنب ، النهضة العربية في الجزائر في النصف الاول من القرن الرابع عشر للهجرة ، مجلة كلية الآداب العدد الاول ١٩٦٤ م ص ٤١ وما بعدها .

(٣) توفي في ربيع الاول ١٣٢٥ هـ وقبره معروف بمقبرة قسنطينة .

(٤) مالك بن نبي ، شروط النهضة ومشكلات الحضارة ، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مستقاوي مطبعة دار الجهاد القاهرة : ١٩٥٧ ص ٢٢ .

(٥) ولد سنة ١٢٦٦ هـ أو ١٢٦٧ هـ (١٨٤٨) م بتلمسان من أب يدعى محمد بن عبد الكريم وهو من الفقهاء والقضاة قرأ المجاوي في كتاب بتلمسان حفظ القرآن وأتمه بعد ما ارتحل أبوه الى طنجة وتطاوين ثم فاس وأكمل دراسته بالقرويين انظر الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ج ٢ ص ٤٤٩ والتقويم الجزائري لعمر بن دالي لسنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ص ١٠٥ - ١٠٧ وبحث الأستاذ سعد الدين بن شنب المذكور آنفا ص ٥١ ، ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة للأستاذ محمد على دبوذ دمشق ١٩٦٥ ج ١ ص ٨٢ - ١٠٥ وشروط النهضة للأستاذ مالك بن نبي ص ٢٣



صورة الشيخ عبد القادر المجاوي هي التي يشير اليها السهم

الكتب المدرسية والتربوية مما يدل على أنه ذو اهتمام بالغ بالتربية وعلى أن الإصلاح في نظره إنما يتم عن طريقها . ألف : « ارشاد المتعلمين »^(١) و « المرصاد في مسائل الاقتصاد »^(٢) وشرح منظومة في انكار الفساد الاجتماعي^(٣) وقدم لشرحه بمقدمة ذات أهمية في بيان ضرر البدع ، وضرورة النهضة العلمية وقرر أن السبب الرئيسي في النهضة إنما هو العلم وتشتمل المقدمة على مبحث في الحكمة والعلم ،

(١) طبع مصر .

(٢) طبع بمطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر .

(٣) منظومة في انكار البدع الفها الشيخ المولود بن الموهوب وشرحها المجاوي بشرح أسماء « اللمع على نظم البدع » مطلعها :
صعود الاسفلين به دهينا لانا للمعارف ما هدينا
طبع بالجزائر سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) به ١٩٨ ص قرظها محمود كحول
واحمد بن الشيخ باش عدل محكمة سيدي عقبة .

ومبحث في التربية يقول فيه « وما كثر الفساد في أمة الا بعدم تربية الأولاد فاننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد . . . وانا نرى الامم الحية انما حصل لها الرقي بتربية أولادهم وتعليمهم العلوم النافعة ، والمعرفة المفيدة ، فيجب التبصر لمثل هذا ، وفي الغالب ان اهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعليماً ناقصاً » (١) وتحدث الشيخ عن تعليم المرأة وضرورته (٢) لأنه أساس التربية ، ووضع أصلاً في هذا الشأن يعتبر من الاصول العلمية في مناهج التربية والتعليم وهو مبدأ دراسة الأخلاق وعلم النفس : (لا بد من دراسة علم الأخلاق وعلم النفس) (٣) وتعرض لنقد طرق التعليم في ذلك العهد فقال : (التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه اذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الاقطار لا يفيد المتعلم ولا أباه ، فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا ، أما اذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول ، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معاً ولا حول ولا قوة الا بالله نعم انه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم) (٤) . ولنترك للقارئ أن يستنتج الحياة الثقافية في ذلك العهد من هذا النص . ولم يغفل المصلح عن جانب مهم من الحياة الاجتماعية وهو خطبة الجمعة فدعا لاصلاحها (٥) وأشار الى الحضارة الاسلامية وتاريخها واستشهد بأقوال الأجانب (٦) مما يدل على اطلاعه على دراساتهم .

(١) اللمع في نظم البدع ص ٢٧ .

(٢) اللمع في نظم البدع ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) ص ٣٠ .

(٤) ص ٣٠ .

(٥) ص ١٧٣ .

(٦) ص ١٧١ .

ومن أهم رسائله رسالة في علم الكلام (القواعد الكلامية) (١) فيها مقدمة وعشرة فصول وخاتمة جعلها على حد قوله : نموذجاً كفيلاً (باستفادة القارئ السبيل الذي تتلقى به أصول الدين على الوجه الملائم لروح الوقت ، والمساعد لملكات تلامذة هذا الزمن) (٢) وهو يرجو بعمله هذا ان ينخرط في « صف السلف » وهذا يبين لنا نزعة السلفية الصافية ، وادراكه روح عصره ، ومحاولته تغيير مناهج التأليف تبعاً لمقتضيات نفسية الطلاب من جهة ، وللمقتضيات التطور من جهة أخرى ، ومن أهم آرائه في نشأة علم الكلام أنه علم قرآني ، لأن القرآن ذكر العقائد الأساسية مع أدلتها كالادلة على وجود الصانع ، من خلق السموات والأرض والنفوس وغيرها كما أشار القرآن الى مذاهب المبطلين ، والطبايعين والى الاجوبة عن شبه المبطلين وأول من ألف فيه الامام مالك ثم توسع فيه أبو الحسن الأشعري ، وأبو منصور الماتريدي (٣) ويرى أن العقل والدين متفقان (٤) وفي كلامه عن تاريخ علم الكلام (٥) ما يشير الى أنه تأثر بابن خلدون في مقدمته وتعرض لنظرية المعرفة (٦) ويرى بطلان القول بالحلول والاتحاد (٧) اللذين يقول بهما بعض المتصوفين ومما يبين أن له اطلاعا على كتب الفلاسفة والمتصوفة انه يستشهد بأقوالهم ، استشهد بقول الفارابي في « فصوص

- (١) طبعة فونتانة - الجزائر سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١) بها ١٥٧ ص ،
 قرظها الشيخ محمود كحول .
 (٢) القواعد الكلامية ص ٣ .
 (٣) ص ٧ .
 (٤) ص ٢٨ - ٢٩ .
 (٥) ص ١٣ - ١٩ .
 (٦) ص ١٩ - ٢٢ ، ٢٨ .
 (٧) ص ٣٣ .

الحكم» : «الذات الأحادية لا سبيل الى ادراكها»^(١) كما أنه استشهد بابن تيمية^(٢) وهذا له أهمية من حيث النزعة السلفية التي يمثلها محمد بن عبد الوهاب النجدي أول الثائرين المصلحين في العصر الحديث كما يذكر محيي الدين بن العربي^(٣) ويسميه امام الصوفية . وقد بين لنا آراء الفلاسفة المختلفة في نظرية المعرفة^(٤) وتحدث عن مناهج المتكلمين والفلاسفة^(٥) وعن الحرية أو خلق الافعال^(٦) وعن الكسب^(٧) وما الى ذلك من المشكلات الميتافيزيقية والكلامية .

والى جانب أفكاره النظرية قام عملياً بتطبيق ما يراه من مناهج الاصلاح وطرق التربية فابتدأ التدريس بقسنطينة منذ أن حلَّ بها سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م)^(٨) مدرساً حراً ثم عين مدرساً بجامعة سيدي الكتاني بقسنطينة سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م)^(٩) وبعد ذلك تولى التدريس بالمدرسة الكتانية سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ م) ثم نقلته الحكومة

(١) ص ٣٤ .

(٢) ص ٣٤ .

(٣) ص ٣٧ .

(٤) ص ٧٨ .

(٥) ص ٨٣ .

(٦) ص ٨٦ .

(٧) ص ٩٠ .

(٨) انظر اللمع على نظر البدع ص ٤ ويوجد بهذا الكتاب ترجمته وصورته ص ٣٠٢ .

(٩) ويروى أن ذلك كان في سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) انظر تعريف الخلف ج ٢ ، ص ٤٤٩ ونهضة الجزائر ج ١ ص ٩٦ ويقول ابن شنب انه رجع من فاس في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٦ م) ولا ندرى من أين اخذ هذا انظر بحثه ص ٥١ .

الفرنسية الى عاصمة الجزائر في سنة ١٨٩٨ م فدرس في المدرسة الثعالبية (١) التي تم بناؤها سنة ١٩٠٣ وابتدأت فيها الدراسة سنة ١٩٠٥ وقد أعجب الناس بطريقته في التدريس واشربوا حبه لصدق لهجته ، وصفاء سريرته ، ولوقع تعاليمه في القلوب التي يخاطبها ويربها واستطاع بذلك أن ينفذ الى أرواح الطلبة وان يؤثر فيهم .

توفي بمدينة قسنطينة (٢) في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) ولقد ترك الشيخ عبد القادر المجاوي من يواصل الرسالة الاصلاحية من بعده ممن أخذ عنه وتلمذ عليه أمثال الشيخ حمدان لونيبي نزيل المدينة المنورة ودفينها وهو استاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير ، والشيخ احمد لحبيباتي ، والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة المالكي .

ومن غريب المصادفات انه في السنة نفسها التي توفي فيها عبد القادر المجاوي ابتداء عبد الحميد بن باديس حركته التعليمية بمدينة قسنطينة ، فاتصلت حلقات الاصلاح متطورة الى مرحلة القوة والنضج .

كان عبد القادر المجاوي مصلحاً تقليدياً سلفياً ، لم يأت بجديد سوى مقاومة البدع ، واشعار المجتمع بساعة الخطر ، وقد لاقى في

(١) التقويم الجزائري السنة الاولى (١٩١١ م) ص ٤ ونهضة الجزائر ج ١ ص ٩٦ وابن شنب كتب ان ذلك كان بتاريخ ١٢٩٥ هـ (١٨٧٩ م) وفي تعريف الخلف انه كان في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٦ م) .

(٢) كتب سعد الدين بن ابي شنب انه توفي في سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) والواقع ان هذا التاريخ هو تاريخ وفاة ابنه مصطفى كما هو مكتوب على قبره بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي وهو كما يلي : - هذا قبر المرحوم المجاوي مصطفى بن المرحوم العلامة سيدي عبد القادر ابن عبد الله المتوفى يوم السبت ١١ جمادى ٢ - ١٣٥٠ هـ - ٢٤ اكتوبر ١٩٣١ م) ودفنت هناك أيضا ابنة مصطفى المجاوي زليخة المتوفاة في ٣ افريل سنة ١٩٥١ م وعمرها سبعون عاما انظر بحث ابن شنب ص ٥١ .

سبيل ذلك اهانات من بعض الناس كما لقي مقاومات وصعاباً من السلطة الاستعمارية التي طفقت تنقله من مكان الى آخر ، حتى قيل انه مات مسموماً (١) .

والى القارئ الكريم صورة من خطه يرد فيها على من أهانه وهو في غاية الغيظ والألم (٢) . ويكفي انه بث روح الاصلاح ، وبذر بذرة النقد الاجتماعي . ومما اشتهر به : الدقة العلمية في الاسناد ، والشغف بالعربية وبأصولها ، وقوانينها النحوية ، يدل هذا على ما قاله فيه الاستاذ المجاهد سليمان الباروني باشا (١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) حين التقيا في قسنطينة :

سيويه العصر من هذبه أدب العلم فأروى من وركد°
ذاك عبدالقادر الطودالذي لا يقول القول الا بسند(٣)

وتدلنا الوثيقة التي عثرنا عليها انه كان يبغض اليهود ، ويقاوم العنصر الصهيوني وقد شعر بخطرهم على المسلمين .

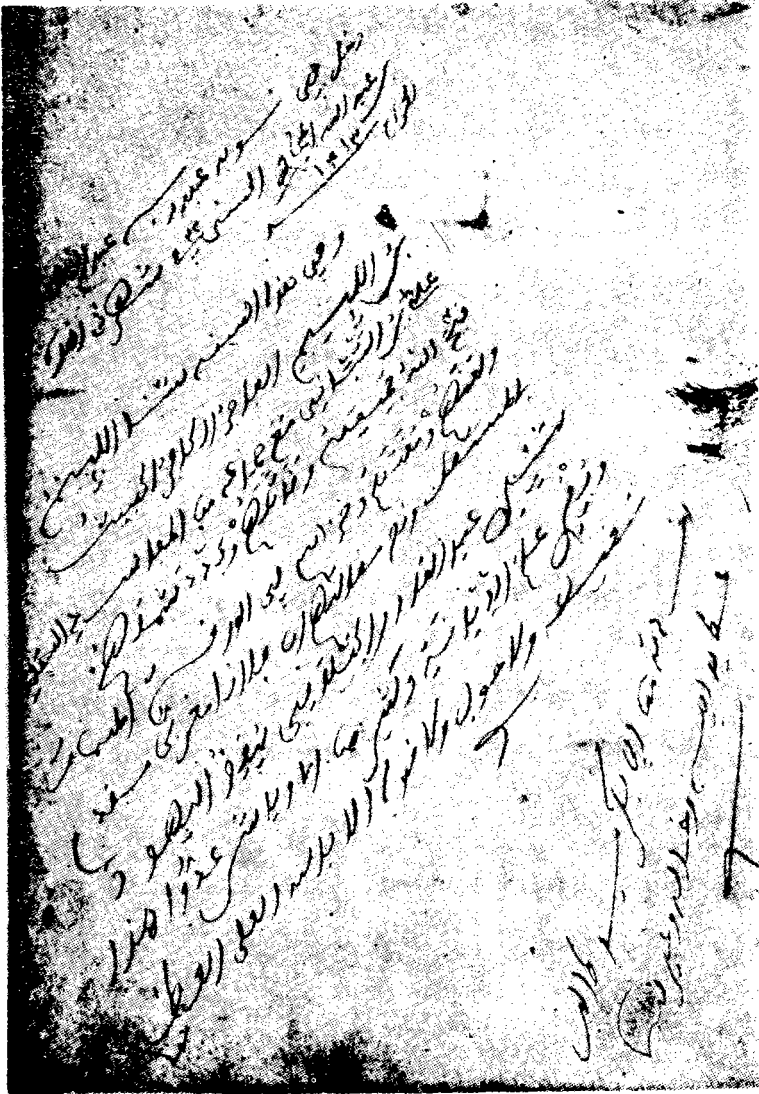
ومن الدوافع التي أدت الى الاصلاح كذلك وساعدت عليه - الى جانب المجلات والجرائد والكتب التي كانت تصل الى الجزائر - زيارة الاستاذ محمد عبده (١٩٠٥) الى تونس والجزائر سنة ١٣٣١ هـ (١٩٠٣) في الصيف وقد مهد لتأثير هذه الزيارة ، مجلة المنار ، ومن

(١) في رواية الشيخ المرحوم ابراهيم اطفيش وهو من تلامذته كما انه صديق الشيخ محمد اطفيش . انظر نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة للشيخ محمد علي دبوز ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) عثرت على ذلك في ورقة من اوائل رسالة الامير عبد القادر « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » في مخطوط استعمرته من الفاضل الشيخ علي بن طبال الامام بمسجد بو رواقية .

(٣) المصدر السابق ص ٩٥ .

قبلها العروة الوثقى ، فكان الطلبة والشيوخ يطالعون هذه الصحف ويتداولونها . ففي الجنوب الجزائري عرف الشيخ ابراهيم مكى بقيمة كتب ابن تيمية ، وكانت اعداد العروة الوثقى تصل الشيخ علي بن



صورة من خط الشيخ عبد القادر المجاوي

ناجي الزاهري ، والسيد علي بن العابد السنوسي الزاهري يتداولها الطلبة في عهد صدورهما بباريس من منطقة بسكرة على الزاب الغربي (طولقة) الى الزاب الشرقي (الخنقة واليانة) . والشيوخ المولود الزريبي^(١) . العالم الازهري كان من رواد الاصلاح في منطقة اوراس وقد التجأ الى حيلة طريفة ، حين دون آراءه الاصلاحية في شرحه على عقائد « المرشد المعين » المشهور عند العامة والخاصة ولما له من تأثير ودراسة الناس له لتسرب أفكاره اليهم عن طريقه وكان له زميل ازهري جزائري هو الشيخ عسول العبيدي يعارضه في فكرته الاصلاحية مما أدى الى وقوع مناظرات بينهما امام الشيخ علي بن ناجي وجماعة من طلبة « اليانة » وكان موضوعها « محدثات الامور في الدين » ولما جاء الشيخ الطيب العقبي الى الجزائر وقعت بينه وبين المولود الزريبي خصومات وشرح وجهة نظره في الجريدة التي كان يحررها « جريدة الصديق » بينما لم يجد العقبي مجالا ينازل فيه خصمه^(٢) .

ان زيارة الاستاذ الامام محمد عبده أكدت الاتصال الفكري السابق لها وزادته رسوخاً وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل .

(١) هو المولود بن محمد بن عمر الزريبي نسبة الى زريبة الوادي وهي قرية تبعد عن بسكرة ٨٢ ميلا . بعد حفظه القرآن ودراسته على الشيخ حامد العبيدي سافر الى مصر ودرس على الشيخ محمد بخيت ثم رجع الى الجزائر وعلم في مسقط رأسه . ثم انتقل الى اوراس ثم الى العاصمة حيث تولى تحرير جريدة « الصديق » التي يديرها محمد بن بكر الميزابي ، تولى التدريس في الجامع الاعظم بالعاصمة ثم التحق ببو فاريك حيث توفي سنة ١٩٢٥ وله من المؤلفات : كتاب الاخلاق لم يتمه ، وشرح على المرشد المعين ، وشرح على قدسية الاخضري ، وشرح على كتاب البيوع من مختصر خليل . انظر شعراء الجزائر في العصر الحاضر مؤلفه الهادي السنوسي الزاهري مطبعة النهضة تونس ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٤ .

(٢) حدثني بهذا الاستاذ الهادي السنوسي .

ولا يمكن بهذا الصدد ان ننسى الحركة الصوفية الاصلاحية الثورية وهي حركة محمد بن علي السنوسي (١٨٤٣) التي اعتقد صاحبها ان الدعوة الاخلاقية والتجديد الروحي هما الاساس للتحرر من السلطة الاجنبية (١) فلقد تركت أثراً بعيد المدى في المغرب الاسلامي ، وهي حركة متصلة بالثورة الوهابية (٢) وبتعاليمها رغم أن مؤسسها صوفي ، ولكنه ليس كالصوفية الآخرين الذين وجدوا في عصره .

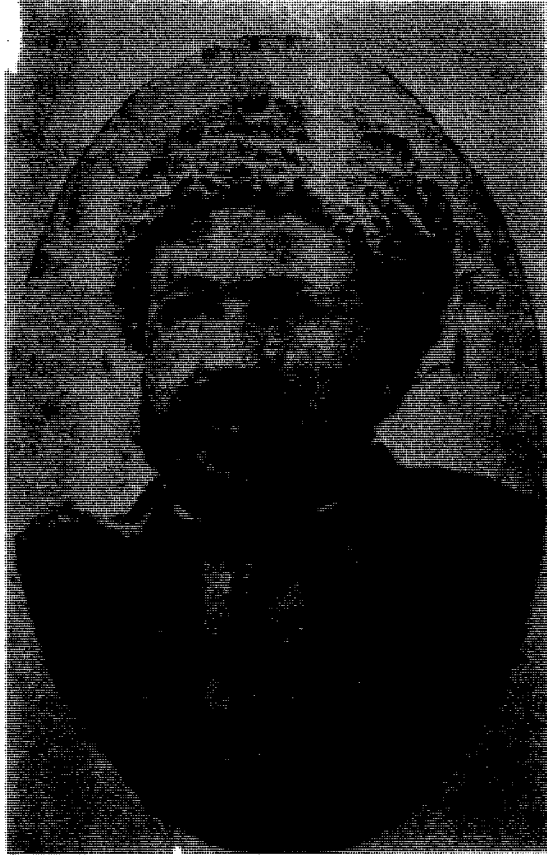
ومن الشيوخ الذين كونوا هذه المدرسة الرائدة في الاصلاح الاستاذ عبد الحليم بن سماية (٣) حفظ القرآن ومختلف المتون معتمداً على نفسه وبمساعدة والده وتلمذ على شيوخ كبار أمثال الشيخ بن عيسى الجزائري ، والمكي بن عزوز وابي القاسم الحفناوي والسعيد بن زكري ، وعلم في المدرسة الكائنة بشارع السفراء ، بباب الوادي في سنة ١٨٩٦ م مع الشيخ عبد القادر المجاوي وهي مدرسة خاصة بتعليم اللغة العربية (٤) . كما أنه علم جيلاً من الطلاب في المدرسة الثعالبية حفظوا العربية

(١) لثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) اخذ محمد بن علي السنوسي عن الشيوخ الوهابيين حينما حج بيت الله الحرام وهناك في مكة وضع خطة الاصلاح . المرجع السابق ١٠٥

(٣) هو عبد الحليم بن علي بن سماية ولد بالجزائر سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٦٦ م) هاجر أبوه مع جده لأمه الشيخ الكبابطي الى مصر في عهد محمد علي وهناك تكون وأصبح ذا ثقافة واسعة ثم عاد الى الجزائر مدرساً في الجامع الجديد بالعاصمة . انظر نهضة الجزائر الحديثة ج ١ ص ١١٨ حفظ عبد الحليم القرآن على الشيخ حسين أبي شاشية وأخذ العربية والفقه والتوحيد عن والده ، والمنطق والبلاغة عن الشيخ طاهر تيطوس ، والحساب والفرائض عن صهره علي بن حمودة ، انظر مجلة التلميذ العدد ٣ - ٤ سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) ص ١٠ - ١٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٨ وبحث ابن أبي شنب (سعد الدين) المشار اليه سابقاً ص ٤٦ ومجلة التلميذ العدد ٣ سنة ١٩٣٣ م .



الشيخ عبد الحليم بن سماية المتوفى سنة ١٣٥١ هـ

في العاصمة الجزائرية فترة من الزمن وتمسكوا بعقائد الاسلام ، وكان متصلاً بالحركة السلفية الاصلاحية في العالم الاسلامي ، مراقباً الأحداث في الصحف العربية والفرنسية ، كان يعتمد الكتب الاصلية في الدين والعربية في تدريسه ، يقريء رسالة التوحيد لمحمد عبده ، وهو أول من درس كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز^(١) لعبد القاهر الجرجاني،

(١) طبع الاول سنة ١٣٢٠ هـ والثاني في ١٣٢١ هـ وحققه الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود التركي « الشنقيطي » .

وهذان الكتابان اهتم بهما محمد عبده ، لانهما يمثلان الدراسات الادبية النقدية التي من شأنها تربية الملكات ، وتكوين الاذواق لطلاب الفصحى ، في الأزهر وغيره . ولا شك ان الشيخ عبد الحلیم الذي درس الموسيقى ، وتعلم الضرب على العود ، ووعت ذاكرته حفظاً وافراً من التوشیحات الجزائرية ، لا يفوته أن يختار لطلابه كتب الادب الرفيع ، وأصول النقد العربي وان يبعد عنهم البلاغة المنطقية الباردة ، التي يمثلها السكاكي



يرى الشيخ عبد الحلیم بن سماية مع الشيخ محمد عبده حين زيارته للجزائر وما ذكره أحمد أمين في كتابه « زعماء الاصلاح » من أن هذه الصورة مأخوذة من تونس غير صحيح

وأضرابه ، ممن أفسدوا البلاغة العربية والأساليب الأدبية فذهب مأوها ،
وفقدت جمالها وروعيتها •

كان يدرس في القسم الرابع من المدرسة الثعالبية ألفية ابن مالك
بشرح ابن عقيل أو شرح الأشموني ، والعقد الفريد أو نهج البلاغة
وديوان الحماسة ، وفي القسم الخامس المفصل للزمخشري ، وشيئا من
السلم في المنطق ، وأحيانا يدرس التلخيص وقد يستعيب عنه بدلائل
الاعجاز أو اسرار البلاغة ، كما يستعيب عن « السلم » بكتاب التهذيب
أو البصائر النصيرية ، وهما كتابان درسهما محمد عبده في الأزهر وعلق
على الثاني منهما ولما أسند اليه تدريس التفسير والتوحيد ، كان يدرس
كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » للإمام الغزالي و « رسالة التوحيد »
لمحمد عبده وكان طلاب الفلسفة أو طلاب المدرسة الثعالبية الذين
يحضرون دروسا في الفلسفة بكلية الآداب في جامعة الجزائر ، يعرضون
عليه بعض الشبهة بوجي من بعض مدرسي الفلسفة ، فكان يرد عليها
ويدحضها ، وهذا ما أدى به الى تأليف رسالة مهمة في التوحيد والرد
على شبه المبطلين والملحدين ^(١) وتوفي الشيخ عبد الحليم في ٧ رمضان
(١٣٥١ هـ ٤ جانفي ١٩٣٣ م) ^(٢) . وكان قد مرض مرضاً عقلياً لشدة

(١) كتب أحد تلاميذه من غير ان يذكر اسمه في مجلة التلميذ العدد
٤ ، ٣ السنة الثانية من شهر رمضان - شوال ١٣٥١ هـ جانفي - فيفري
١٩٣٣ ص ١٠ - ١٣ مقالا أخذت منه هذه المعلومات والجدير بالذكر انه
ذكر في المقال ان للشيخ ابن سماية رسائل جلية كما وعد بنشر رسالة
التوحيد وهذه المجلة مجلة شهرية انتقادية اخلاقية لسان حال الطلبة
المسلمين بالجزائر . ادارتها كانت بنادي الترقى كما كتب أحد تلامذته
ابو العباس التجاني مقالا في هذا العدد بعث به من المغرب يرثي به
شيخه الراحل .

(٢) كتب على قبره الموجود بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي
العبرة التالية : (ضريح المرحوم العلامة سيدي عبد الحليم بن سيدي

المدخل

ولايات الاستعمار واضطهاده اياه ، كما كانت له فوادر يتناقلها الناس الى اليوم .

والواقع أنه ألف بعض الكتب منها كتاب « فلسفة الاسلام » وقد قرأ الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر ١٩٠٥ وحضره عبد العزيز جاويز ومحمد بن أبي شنب والمستشرق الألماني كارل فولرس^(١) وله عدة مقالات كتبها في الصحافة العربية الجزائرية خصوصا جريدة كوكب افريقيا للشيخ محمود كحول (١٩٣٦) . ولما زار ملك المغرب عبد العزيز الجزائر سنة ١٣١٩ هـ استدعى الشيخ عبد الحليم بن سماية للغذاء مع الوفد وهو حين ذلك مدرس بالجامع الجديد ، واستاذ بالمدرسة الثعالبية فاعتذر وكتب أبياتا من الشعر بعث بها للسلطان منها :

أمولاي شمس الفضل والعلم والنهي	واجدر من يجري الليب ثناءه
سلام عليكم عاطر متضرع	كمسك ذكا بل لا يكون بواءه
وأفضل تكريم وأزكى تحية	يقيمان للقدر العظيم وفاءه
ويرأب كل منهما نأي عبدكم	بغيتته عما اليه دعاءه
علمت بأن المشي عن جفني واجب	اليكم ولكن لي اعتذار وراءه ^(٢)

وأغلب الظن انه لم يرد ان ينضم للسلطة الفرنسية التي كانت تمثل الجزائر وان يحضر معهم في موقف رسمي .

→ علي بن اسماعيل المتوفي في ٧ رمضان ١٣٥١ هـ الموافق ٤ جانفي سنة ١٩٣٣ م) وقد أرخ الاستاذ محمد علي دبوز وفاته سنة ١٩٣١ انظر نهضة الجزائر ج ١ ص ١٢٦ .

(١) انظر ابن شنب ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) وهي ٢٤ بيتا مثبتة في رسالة « عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر » التي طبعت سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠٢ م) بمطبعة فونتانا الجزائر وبها ١٦ ص .

كما نظم قصيدة بمناسبة زيارة محمد عبده للجزائر (١٣٢١ هـ)
١٩٠٣ م منها :

وتلوي الى تلك المجالس^(١) فكرتي
محافل كان العلم فيها مجالسي
فأسمع فصلا من حكيم وحكمة
فتترك قلبي بالخيال ممتعا
اسامر بدرأ بالجلال تقنعا
اذا ما بدت خرت ذرى الزور ركعا

•••

لسان متى يوماً تألق برقه
يسبّح رعد السامعين لما دعا

•••

أتى بكتاب في الكلام^(٢) يباهه
براهينه في النفس والكون والحجى
يقودك للبرهان غير مقيد
يغادر من صم الجنادل خشعا
وليست لرسطاليس أو من تصنعا
يريك حدود العقل مهما تطلعا^(٣)

ومجلة المنار^(٤) تعتبر عند ابن سماية ومحمد بن مصطفى بن الخوجة

(١) مجالس محمد عبده اثناء اقامته في الجزائر .

(٢) يقصد رسالة التوحيد لمحمد عبده وهي رسالة اعجب بها الشيخ
عبد الحلیم فكان يدرسها في المدرسة الثعالبية وهو هنا يبين مزايا هذه
الرسالة التي يأخذ المؤلف براهينها من النفس والكون والعقل غير مقيد
بأراء اليونان (ارسطو) بل كان حراً في عقله وبرهنته .

(٣) نهضة الجزائر المباركة ج ١ ص ١٢٥ نقلا عن المنار مج ٦
ص ٩١٧ .

(٤) صدر العدد الاول من المنار كصحيفة اسبوعية ذات ثمانى
صفحات في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ هـ / ١٧ مارس ١٨٩٨ و آخر ما طبع منها
ج ٢ من ٣٥ في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ وغرضها نشر الاصلاحات
الاجتماعية والدينية والاقتصادية واقامة الحجّة على ان الاسلام باعتباره
نظاماً دينياً لا يتنافى مع العصر الحالي ويعتبر المنار خلفاً للعروة الوثقى
انظر كتاب عدد ٣٣ من سلسلة اعلام العرب ص ١٣٥ وهو كتاب للدكتور
ابراهيم احمد العدوي طبع سنة ١٩٦٤ م بالقاهرة .

« مَدَدَ الحَيَاةَ » وكان بينه وبين الشيخ محمد عبده مراسلات يقول رشيد رضا^(١) : (ومن خيار العلماء الشيخ محمد بن الخوجة صاحب المصنفات والشيخ عبد الحليم بن سماية وقد عهد هؤلاء الفضلاء الى الشيخ محمد عبده ان يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الجزائر وقالوا له : « انا نعدده مَدَدَ الحَيَاةَ لنا فاذا انقطع انقطعت الحَيَاةَ عنا »^(٢) .

وأما محمد بن مصطفى بن الخوجة^(٣) فهو أكثر الأساتذة حرصاً على مطالعة كل ما يرد من المشرق من الكتب والجرائد والمجلات^(٤) وخاصة كتب محمد عبده ورسائله أخذ عليه محمد عبده لبعه واستولى مذهبه في الاصلاح على نفسه ، يطالع العروة الوثقى والمنار وغيرهما ، كما يقرأ للشيخ رشيد رضا مقالاته في المجالس ويشرحها . ولما وصله تفسير سورة (والعصر) درسه عشر مرات وشرحه لمن يتبعون حركات الاصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة والاعيان فاستحسنها هؤلاء وأثنوا عليها وكتب بهذا الى الشيخ محمد عبده يخبره به^(٥) ، ولما عزل

(١) ولد رشيد رضا في قرية القلمون بطرابلس الشام ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م وتوفي في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٥ م .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٨٧١ .

(٣) ولد بعاصمة الجزائر في سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٥ م وتوفي في ٧ شوال ١٣٣٣ هـ سبتمبر ١٩١٧ كتب في جريدة « المبشر » من سنة ١٣٠٤ الى ١٣١٩ هـ (١٨٨٦ الى ١٩٠١) درس في مسجد سفير ابتداء من سنة ١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م كما اشتغل وكيلا لمقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٩) انظر بحث سعد الدين بن ابي شنب المذكور سابقاً ص ٥٢ وكتاب صفحات في تاريخ مدينة الجزائر تأليف نور الدين عبدالقادر قسنطينة ١٩٦٥ ص ١٧٤ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المنار مج ٦ ص ٩١٧ .

من عمله لصلته بمحمد عبده وبمحمد فريد اخذ يلقي الدروس في جامع حي بلكور ، قال المرحوم عمر راسم : « الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية شغوف بمحبة الشيخ عبده وهو الذي ادخل مذهبه الى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما يعرف الشرق كأنه عاشره مائة سنة ، حلو الكلام ، كان اذا خطب يستدل بالآيات والاحاديث كأن القرآن وكتب الآثار مرآة أمام عينيه » (١) انه شاعر وكاتب وصاحب تجديد ولقد خسر الأدب الجزائري أثراً فنياً رائعاً من آثاره ، وهو ديوانه الذي فقد مع مقدمة له ، كما ان له رسالة في تراجع علماء جزائريين (٢) . اهتم بالحياة الاجتماعية والاخلاقية وبوضع المرأة المسلمة الجزائرية فكتب كتاب « الاكثراث في حقوق الاناث » (٣) وكتاب « اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب » (٤) وكتاب « اقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الاسلام » (٥) ، كما حقق ونشر تفسير عبد الرحمن الثعالبي من أهل القرن التاسع المسمى بالجواهر الحسان مقابلاً له على سبع نسخ (٦) وله رسائل أخرى مفيدة في مختلف الموضوعات الاجتماعية والصحية . وأهم ما يسترعي الانتباه انه عمل على نشر

(١) محمد علي دبوز المصدر السابق ص ١٣١ نقلا عن مخطوط ، في تراجم علماء الجزائر للشيخ عمر راسم موجود عند الشيخ النعيمي بقسنطينة .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٣) طبعة سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ .

(٤) طبع سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ في الجزائر بمطبعة فونتانا .

(٥) طبع سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ بمطبعة فونتانا بالجزائر .

(٦) انظر ابن ابي شنب في بحثه المذكور ص ٤٢ .

مخطوط نادر يدعو فيه صاحبه الى الاجتهاد وهو كتاب : « الرد على من أخذ الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » للشيخ السيوطي . وهذا ينم عن نزعة الاجتهادية ومعارضته التقليد الاعمى . وما يؤكد هذا الاتجاه لديه انه كتب لكتاب « مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة »^(١) مقدمة في الشريعة وملاءمتها لكل زمان ومكان ومن جملة الآراء التي يؤيدها ما أورده من قوله : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأيام »^(٢) ويدعو في هذه المقدمة المهمة الى الاستفادة من تجارب الآخرين ولو لم يكونوا مسلمين^(٣) . ويضرب لذلك أمثلة تاريخية مستمدة من تفاعل الحضارات فذكر الغزالي الذي أخذ المنطق اليوناني وأدخله في تيار الفكر الاسلامي^(٤) ونصح في هذه المقدمة بالرجوع الى كتاب « أقوم المسالك » لخير الدين التونسي المتوفى في سنة ١٣٠٧ هـ وكتاب « السياسة الشرعية » لجمال الدين قاضي مصر ، وكتاب « نهاية الايجاز » للشيخ رفاعة ، وكتاب « علم الدين » للشيخ علي باشا مبارك .

ولما اطلع ملك المغرب عبد العزيز حين جاء على رأس الوفد المرافق له - في زيارة للجزائر^(٥) - على كتب محمد بن مصطفى بن الخوجة

(١) كتبه لجلالة عبد العزيز ملك المغرب مترجما له عن الترابيب الادارية والعسكرية الفرنسية بطلب منه .

(٢) ص ٨ ينسب هذا القول لغيره . وقد وردت هذه الجملة في مقدمة مجلة الاحكام العدلية كأصل من الاصول العامة وقاعدة من القواعد الكلية .

(٣) ص ٩ .

(٤) ص ١٠ .

(٥) كانت زيارة عبد العزيز العلوي الحسيني سلطان مراکش يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان ١٣١٩ هـ في باخرة حربية فرنسية قدمت من طنجة



أهدى اليه ساعة ذهبية فكتب رسالة : « عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر » (١) .

وحين قضى الامام محمد عبده رثاه ابن الخوجة بقصيدة رائعة تعتبر نموذجاً جيداً لشعره جاء فيها :

مصاب جسيم عمّ كلّ العشائر
رمينا بخطب لا يقاس بغيره
وأكبادنا ذابت أسى وكآبة
على موت مفتي المسلمين وفخرهم
بكت مصر والدنيا جميعاً لفقده
وأبدى جميع الناس حزناً وحسرة
وأسلمنا قهراً لحكم المقادر
فجئنا برزء ما له من مناظر
وأعيننا مثل العيون الهوامر
ومن كان للاسلام نور البصائر
وأبناؤها من كل بادٍ وحاضر
وأجروا دموعاً كالغيوث المواطر
.....

مميزات تأليفه :

تأليفه تنسيك ما حيك قبلها
أفادت من التحقيق كل نسيمة
وحلت بتدقيق عويصاً ومشكلاً
عليك بها ان رمت تجني هداية
وتغنيك عن جلّ الطروس الكبار
تقاصر عنها كابر اثر كابر
بحيث غدا كالبدر يبدو لناظر
وتصبح أستاذ العلوم الغزائر



الى مرسى الجزائر يتكون هذا الوفد من القباصي وابنه محمد والشيخ محمد بن عبد الواحد والسيد محمد الهواري والزبير اسكرج واحمد الجبلي وعبد القادر بن غبريط مترجم السفارة الفرنسية بالمغرب وبهذه المناسبة خطب الشيخ عبد القادر المجاوي مساء الثلاثاء ٢٩ شعبان سنة ١٣١٩ هـ وأقرأ احد التلاميذ الجزائريين درسا في القرآن وهو عبد العزيز الزناقي وحضر الوفد ختم محمد السعيد الزواوي لصغرى السنوسي بجامع سيدي رمضان .

(١) بتاريخ ١٨ رمضان ١٣١٩ هـ ونشرها في ١٧ شوال سنة ١٣١٩ هـ قرظها عبد القادر المجاوي وحمو بن احمد الدراجي قاضي الحنفية بالجزائر .

كتابته :

على الدر بل زهر الدراري السواقر
بسحر بيان في معان زواهر
يدين لها قس وعبد لقاهر

وانشاؤه قد زاد حسنا وبهجة
اذا خط أعياء الكاتبين وكسب أتى
« فعروته الوثقى » تريك بلاغة

آهاته عليه :

وواها على التذكير فوق المنابر
وواها على الأقلام بعد المحابر
وواها على التفسير أصل العناصر
ولو أنني نمّقت كل الدفاتر
منار الهدى واندك طود المفخر
وقد كان للعافين إحدى الذخائر
كذا فليكن غيض البحور الزواخر

فواها على شمس المعارف والتقى
وواها على التدريس في كل مذهب
وواها على التوحيد والفقه واللغى
وواها وواها ألف الف ولن أفي
وأني لنا الصبر الجميل وقد هوى
ورضى الاماني والمكارم قد زوى
وغيض عباب العلم والجود في الثرى

أعماله :

ويشرحه وفق الفنون الحواضر
وقدوة أرباب النهى والمظاهر
هماماً جليل القدر حر الضمائر
وينهى عن المحظور طبق الاوامر
ولا يرهبن في الحق أقسى الجبابر
ودافع عنه بالردود البواتر
وأخلاقه مثل الرياض النواظر
وكسب معال وابتناء مآثر
واساء معروف لبر وفاجر
وابداء مستور واحياء دائر
موارده مأمونة كالمصادر

فمن لكتاب الله يكشف سره
فقدنا اماماً كان حجة عصره
حكيماً سما فوق السماك بهمة
فيأمر بالمشروع في كل محفل
ويصدع بالقول الصحيح نصيحة
وكم ذب عن دين النبي محمد ،
فضائله سارت الى كل وجهة
وما دأبه الا اتخاذ صنيعه
وانفاق مال في سبيل مبرة
وارشاد ضلّيل واصلاح فاسد
وتقويم منآد وتوضيح منهج

مناقب لم يبلغ مداهن ناثر فصيح ولم يستوفها نظم شاعر
عليه سلام الله ما عبرة همت ، وما فاه بالتأيين عبد جزائري (١)
..... الخ .

ان هذه المراثية تعبر عن معرفة صاحبها بمحمد عبده وخبرته به خبرة
من لازمه ، ودرس آثاره وكتبه ، وتتبع نشاطه ، تتبع المعجب بمن
أعجب في خصائص فن الكتابة ، ومعالجة القضايا العقلية والشرعية وحل
المشكلات وطريقة التدريس والتفسير وفقاً للحياة العلمية والثقافية
المعاصرة :

فمن لكتاب الله يكشف سره ويشرحه وفق الفنون الحواضر
كما أن هذه القصيدة تدل على أن الشاعر درس العروة الوثقى :
فمروته الوثقى تريك بلاغة يدين لها قس وعبد لقاهر
وعلى أنه اطلع على رسالة التوحيد وعلى ما كتبه محمد عبده في
اللغة والفقه والتفسير :

وواها على التوحيد والفقه واللغى وواها على التفسير أصل العناصر
وقرأ أيضاً رده على هانوتو وزير الخارجية الفرنسية الذي طعن
في الاسلام :

وكم ذب عن دين النبي محمد ودافع عنه بالردود البواتر .
والحقيقة ان هذه القصيدة أكبر برهان على أن محمد عبده له مدرسة
في الجزائر وعلى رأسها محمد بن مصطفى بن الخوجة وهذا عنصر من
أهم العناصر في النهضة الاسلامية الحديثة في الجزائر .

(١) رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ط ٢ (دار المنار) القاهرة
١٣٦٧ هـ ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥١ تحت عنوان : مراثية الجزائر : من نظم
الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة المدرس بجامع
سفير بمدينة الجزائر وصاحب التصانيف المشهورة .

المدخل

ومن أعضاء هذه المدرسة الشيخ محمد بن القائد علي الذي كان اماماً بالجامع الجديد وقصيدته التي بكى بها محمد عبده تشير الى أنه اطلع على تفسيره وعلى كتابه في التوحيد وعبر فيها أيضاً عن تأثير زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر في نفسه واخوانه الذين كانوا معه .

يقول :

غاض بحر العلوم أين العزاء وعيون الانام سحب دماء
فبكى المسلمون حزناً عليه وبكى الدين والتقى والحياء

♦♦♦♦

عنده الفيلسوف أحياناً قلوباً ميتات أماتها العلماء
حجة الله والرسول بعصر جاء يهدي أقوامه فأسأؤوا
فشرّ الذكر الحكيم بفهم عجزت عن أدائه البلغاء
وكتاب التوحيد فهو لدينا مغنطيس القلوب بل كهرباء

♦♦♦♦

ومنها :

عنده كنت بالجميل تربى صبية العلم والعلوم غذاء
عنده كانت المحافل تزهو والنوادي وأنت فيها سماء
عنده أين من يروم صلاحاً لأناس غووا وعزّ الدواء

قال مشيراً الى زيارة محمد عبده للجزائر :

قد سعدنا بزورة منه جاءت بسعود يفر منها الشقاء
كم سهرنا ومنه نلنا علوماً ما سمعنا بها ولا الآباء (١)

فمحمد عبده عنده فيلسوف ، محي القلوب الميتة ، وحجة العصر ،

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٠٤ تحت عنوان : وقال معدن الاخلاص والفضل الاستاذ الشيخ محمد ابن القائد علي الامام بالجامع الجديد في مدينة الجزائر .

ومفسر القرآن بما يعجز عنه البلغاء ، ومربي الشبان ، وزينة المحافل ،
وسماء النوادي ، وكتابه التوحيد مغنطيس القلوب وكهرباؤها وانه سهر
معه الليالي ونال منه علوماً ما كان يسمع بها وهذا أكبر برهان على مدى
تأثير محمد عبده في الحياة العلمية والعقلية بالجزائر والغريب أن امام
مسجد يعبر عن محمد عبده بأنه فيلسوف كما وصفه محمد بن مصطفى
ابن الخوجة بالحكيم . وهذا الوصف كان يعتبر عند الفقهاء مرادفاً
للإلحاد والكفر . والظاهرة التي تلفت النظر أن الشاعر الجزائري ينسب
موت القلوب للعلماء باعتبارهم مسؤولين عن خمودها وموتها وبذلك
أشار الى محور مذهب محمد عبده في الإصلاح وهو « النفس » .
ورثاه أحد الجزائريين ثراً ولكنه لم يصرح باسمه وانما رمز له بـ
(ع . ز) وصفه بأنه فيلسوف الاسلام وما جاء فيها : « وها نحن
حامدون الله حمداً لا غاية لحدّه ، ولا حصر لعدّه على أن من الله
علينا برؤية حضرته الغراء وطلعت الزهراء في السنة الماضية في أيام
الراحة في فصل الصيف ومكث عندنا عشرة أيام وحاضرناه وشافهناه
وظللنا معه في تلك الايام كل يوم ، وسامرناه ومسارح للأشباح
فابغة بالفرح والسرور ، ومخاوف القلوب يانعة بالابتهاج والحبور ،
وظلنا منه في تلك الأيام القلائل ما شاء الله أن ننال ، وخاطبنا بخطب
أشهى من طعم الضرب بأفصح كلام العرب ، ترى الدر يقطر من غدوبة
لسانه فيريء الانسان من أجزائه ، وكشف لنا عن دقائق المسائل والناس
من حوله بين مصنعٍ وسائلٍ » (١) وتعرض لأثر موت محمد عبده في
الجزائر فوصفه قائلاً : « حتى كاد يقع لبعض الجزائريين ما وقع لسيدنا
عمر بن الخطاب في موت خير الانام حيث قال للناس : « من قال منكم
مات محمد أضرب عنقه » (٢) .

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ٣ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) ن . م . ص ٢٩٨ .

وذكر أن بعض العلماء الجزائريين ينكر موته لغاية ارسال التعزية وفي آخر الرسالة اقترح : « أن تنشر محرراته وجميع ما فاه به في حياته لتتم فائدة الجميع »^(١) ولم يكن تأثير محمد عبده مقتصراً على الجزائر من بين أقطار المغرب الاسلامي بل ربما كان تأثيره على تونس أكثر ، ويعتبر الشيخ محمد النخلي القيرواني رائد النهضة الثقافية وأحد مدرسي جامع الزيتونة الناقد الذكي المتوفى في رجب من سنة ١٣٤٢ هـ والشيخ الطاهر بن عاشور من أبرز مثلي آرائه في الإصلاح . ولما توفي محمد عبده رثته صحافة تونس ومن بينها جريدة « الحاضرة »^(٢) للسيد علي بوشوشة كتب فيها محمد بن الخوجة المتوفى ١٣٢٥ هـ مقالة يريثه وما ورد في هذا المقال يدل على وجود صلات شخصية بينه وبين أتباعه في تونس قال : « كنا على وجل الاشفاق من أخبار صحته التي أخذت في الانحطاط من أربعة أشهر فارطة واضطرته للانتقال من القاهرة للاسكندرية بنية السفر لتغيير الهواء خارج القطر المصري فكنا نستطلع أحواله أنا فأنا ونجدد معه عهد المودة الوثيقة ونستمد من أنوار علومه على بعد الدار فكان الرشيد المرشد لمن قرب أو نأى ، وآخر العهد به ورود مكتوب منه على أحد اصحابنا ممن لهم معه علقه علمية ورابطة وداد »^(٣) ويقول صاحب المقال : « ولدنا في الحوادث العرايية رسالة من انشائه كنا أخذناها منه عند زيارته الأولى لتونس »^(٤) ومحمد عبده زار تونس وألقى بها محاضرة في التربية والتعليم كان لها

(١) ن . م . ن . ص .

(٢) تأسست تحت اشراف سالم بو حاجب في ذي القعدة سنة ١٣٠٥ - ١٨٨٨ م وهي أول جريدة عربية غير رسمية بتونس انظر كتاب أركان النهضة الادبية بتونس للاستاذ الفاضل بن عاشور ص ٣٦ .

(٣) رشيد رضا تاريخ الاستاذ الامام ج ٣ ص ١٢٠ .

(٤) ن . م .

أثرها البالغ . ورثته صحيفة أخرى تونسية تدعى « الصواب » يصدرها السيد محمد الجمالي^(١) وكتب أحد أساطين الزيتونة الشيخ الأكبر الأستاذ الطاهر بن عاشور تعزية الى الشيخ رشيد رضا^(٢) يقول فيها : « عرفت الأستاذ الامام معرفة شهود بتونس في سنة ١٣٢١ هـ فعرفت من ملاقاته الأولى رجل العزم والارادة والفكر وبلاغة القول وشدة الفراسة وتكافئى القوى العملية والفكرية حتى لقد كان من سكون نفسي اليه والفتها به واعتلاق صداقته في أمدٍ وجيز ما يكون مثله في السنين الطوال فصارت ذكراه تفعل في نفسي فعل ذكرى والد رحيم . . . يقابلني تمثال الأستاذ في منزلي مرات وأذكر كلماته وتفسيره مهما قرأت سورة في صلاتي »^(٣) واقترح فيها على الأستاذ رشيد رضا أن يجمع آثار محمد عبده ويطبّع جميع تأليفه ورسائله الأدبية والعمرائية ، كما سأله عن وجود أعداد جريدة العروة الوثقى في مصر لأنه لا يملك الا عددًا واحدًا منها ويود جمع بقية الأعداد . وطلب منه أن يخبره هل كتب الشيخ محمد عبده شيئًا عن رحلته الى الجزائر وتونس والآستانة وغيرها من البلاد^(٤) . وأرسل الشيخ محمد شاکر من صفاقس الى الشيخ رشيد رضا رسالة تعزية أخرى وصف فيها محمد عبده بالحكيم ، والمصلح وانه هو الذي « زحف بجيش اقدامه على البدع والأوهام »^(٥) .

والواقع أن الأستاذ الامام زار تونس مرتين الأولى كانت سنة ١٣٠٠ هـ ودامت أربعين يوماً ، والثانية كانت سنة ١٣٢١ هـ . ومن الذين عرفوا

(١) العدد ٦١ الصادر في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م .

(٢) مؤرخة في ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م ، انظر تاريخ الأستاذ الامام ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٤) ن . م . ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٥) ن . م . ص ٢٩٦ .

الأستاذ محمد عبده الإشير صفر والشيخ سالم بو حاجب (١٢٤٣ - ١٣٤٢) والشيخ محمد بيرم ١٣١٤ م يعتبر من أعضاء الجمعية السرية الإسلامية العالمية التي أسسها جمال الدين الأفغاني وهي جمعية العروة الوثقى^(١) وكتب الشيخ سالم بو حاجب تقریظاً لرسالة التوحيد أرسله الى محمد عبده بتاريخ ٧ شوال ١٣١٧ هـ (٢) .

وأما المغرب الأقصى ، فانه وجدت فيه بذور الاصلاح منذ محمد بن كنون (١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م) . وتأثر أيضاً بالحركة الاصلاحية العبدوية . ذكر لنا شكيب أرسلان أن الشيخ ابراهيم التادلي من أكابر علماء المغرب حينما أدى فريضة الحج مره على بيروت والاستاذ الامام بها فذهب شكيب ومحمد عبده والشرتوني^(٣) لزيارته والسلام عليه ، ومن بين الأسئلة التي وجهها اليه محمد عبده : هل في المغرب اليوم مؤلفون في أصناف العلوم المختلفة ؟ فأجابه التادلي : نعم يوجد مؤلفون في المغرب الا أن العلم لا ينتشر بقوة التأليف وانما ينتشر بقوة التدريس وكثرة المذاكرة الشفوية . وعلق الاستاذ الامام على قوله : بأنه أحسن ما سمعه من كلامه . ولكن يبدو أن الشيخ التادلي عالم تقليدي لم يكن مطلعاً على أحوال عصره لأنه - فيما يقص شكيب أرسلان ألقى درساً في الجامع العمري الكبير في البسطة وما تتضمنه من العلوم والمعارف والفنون^(٤) وكان الناس ينتظرون منه أن يلقي محاضرة في أمراض العالم الإسلامي ووسائل علاجه .

(١) الفاضل بن عاشور ، اركان النهضة الادبية بتونس ، مطبعة النجاح ، تونس (دون تاريخ) ص ٢٤ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٨٤ .

(٣) هو سعيد الخوري الشرتوني لبناني مسيحي قرظ رسالة التوحيد لمحمد عبده وكتب اليه في ذلك بتاريخ ٦ ربيع الاول سنة ١٣١٦ هـ

(٤) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤١١ - ٤١٢

ولا شك أن المنار أثر في الحياة الثقافية في المغرب الأقصى مما جعل بعض وزراء مولاي عبد العزيز سلطان المغرب يكتبون الى السيد رشيد رضا طالبين منه أن يرسل اليهم رجلاً مصلحاً يجمع بين الشريعة والسياسة ويعرف شؤون الادارة ليكون وسيلة لاقتناع السلطان بضرورة الاصلاح السياسي والاجتماعي والديني الذي يدعو اليه المنار . وأخبر رشيد رضا أستاذه محمد عبده بالأمر فمال الى السفر بنفسه ولكنه عرف الصعوبات التي تحول بينه وبين الاتصال بالسلطان لأن الانكليز والفرنسيين والأوربيين بصفة عامة يعارضون ذلك ويتدبصون الدوائر بالمغرب الأقصى وهم قد شرطوا أن يكون الأمر سراً فقرر السيد رشيد رضا ارسال السيد عبد الحميد الزهراوي ولكن لم ينفذ شيء من ذلك^(١) . ومن المغاربة الذين لهم صلة بالشيخ محمد عبده : الشيخ ادريس بن عبد الهادي ، والمهدي الوزاني وأكثرهم تأثراً بمحمد عبده انما هو الشيخ شعيب الدكالي الذي زار الشرق ورجع لقيادة الشبان نحو الدعوة الاصلاحية سنة ١٣٢٥ هـ^(٢) وواصل العمل الاصلاحى من بعده الشيخ المجاهد محمد بن العربي العلوي (١٩٦٤ م) الممثل الحي للسلفية في المغرب الأقصى .

وهناك نوع آخر من خدمة المجتمع يعتبر من عوامل الاصلاح الثقافي ونشر الوعي بماضي الأمة وهو يتمثل في عمل ابي القاسم الحفناوي^(٣) الذي قام بتأليف كتاب يحوي تراجم العلماء الجزائريين

(١) م . س . ص ٨٧٠ .

(٢) انظر « التعاشيب » لعبد الله كنون .

(٣) ولد سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٢) كان من محرري الجريدة الحكومية الرسمية (البشر) ومدرسا بالجامع الاعظم بالجزائر كما تولى منصب الافتاء توفي ١٣٦١ هـ (١٩٤٢) انظر بحث بن شنب ص ٤٨ نقلنا عن التقويم الجزائري لسنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) ص ١٦٩ - ١٧٠ .

فرغم أن هذا الكتاب ليست له صبغة علمية فانه مفيد لأنه جمع مادة غزيرة يمكن للباحث أن يدرسها دراسة علمية .

وأهم شخصية خدمت اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتاريخ الحضارة الاسلامية في المغرب الأسط انما هو العلامة الدكتور محمد بن أبي شنب^(١) وعمله يتسم بطابع علمي مما جعله ينتخب للتدريس بكلية الآداب بجامعة الجزائر ولعضوية المجتمع العلمي العربي بدمشق ويمتاز بمعرفته عدة لغات حيّة وميّنة من لاتينية وألمانية وفرنسية وايطالية واسبانية وفارسية وتركية^(٢) .

من الكتب التاريخية التي حققها ونشرها كتاب « الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية » لأبي العباس أحمد الغبريني^(٣) . وكتاب « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني^(٤) ومن أهم الآثار التي أخرجها الاستاذ ابن أبي شنب كتاب: « طبقات علماء افريقيا » لأبي العرب التميمي^(٥) مع كتاب « طبقات علماء تونس » لمحمد الخشني^(٦) كل ذلك في مجلد واحد . ومنها

(١) ولد سنة ١٢٨٦ هـ بمدينة المدينة كان مدرسا بالمدرسة الثانوية بقسنطينة وبالمدرسة الثعالبية .

(٢) سعد الدين ابن ابي شنب بحثه المذكور سابق ص ٥٥ وانظر ذكرى الدكتور محمد ابن ابي شنب « تأليف عبد الرحمن الجليلي .

(٣) توفي في ١٢ ذي القعدة سنة ٧١٤ هـ .

(٤) لا نعرف تاريخ وفاته وانما نعلم انه اتم كتابه المذكور سنة ١٠١٤ هـ انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف محمد بن محمد مخلوف طبع القاهرة ١٣٥٠ - ص ٢٩٦ .

(٥) توفي بالقيروان سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٥ م) .

(٦) توفي ٣٦٠ هـ (٩٨١ م) .

كتاب « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » لمجهول . وغير هذا كثير مما يتعلق باللغة والأدب والتراجم والرحلات . وقد كتب في مجلة « الشهاب » لابن باديس بحثاً ولما توفي^(١) قال فيه : « لما عرفناه فقدناه » .

ومن الذين شاركوا في هذه الحركة التاريخية الشيخ مبارك الميلي الذي ألف كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩) وقرظه الشيخ عبد الحميد بن باديس برسالة مؤرخة بـ (١٥ - ١ - ١٣٤٧ هـ)^(٢) والشيخ أحمد توفيق المدني الذي ألف كتاب الجزائر في سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١) وكتاب « محمد عثمان باشا » الذي أهده^(٣) الى الشيخ عبد الحميد بن باديس وكتب الأخير تقریظاً له في مجلة الشهاب^(٤) أيضاً .

- ٢ -

والحياة الاجتماعية والدينية كانت في تدهور وخمود مما دعا الى رد الفعل ونشوء الحركات الاصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين . يقول المؤرخ الجزائري اسماعيل حامت : « كان للالحاد الغربي مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر الذين وان كانوا ما برحوا مسلمين في الظاهر

(١) توفي بالجزائر في ٢٤ شعبان سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) وقبره معروف بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي .

(٢) نشرت في ج ٢ ص ٧ طبعة بيروت ١٩٦٣ م .

(٣) الاهداء مؤرخ ١٥ محرم ١٣٥٦ هـ ص ٢ من الكتاب المذكور .

(٤) ش : ج ٧ م ١٣ ص ٣١٩ - ٣٢١ شعبان ١٣٥٦ سبتمبر

٠ م ١٩٣٧

فهم يجهلون حدّ ما وصلت اليه روحهم الدينية من التلاشي . ان هؤلاء لا ينكرون الاسلام دينهم ومعتقدهم غير أنهم قد أضحوا من فتور الغيرة الدينية في نفوسهم بحيث غدوا لا يبالون البتة بنشره في الناس وبالدعوة اليه في غير المسلمين فالاسلام عندهم انما هو مقصور على من يأتي بعدهم من الأولاد والأحفاد فحسب وليس يتناول أحداً سواهم من الخلق أجمعين . فالحق ان الاسلام لبراء منّا هم فاعلون . وليس ذلك هو الحرية الفكرية على ما يزعمون بل انما هو الفتور فالتلاشي^(١) هذا ضمير جزائري يأسى ويأسف للحالة التي أصبح عليها المسلمون الجزائريون من الاتجاه اللاحادي ومن القعود عن الدعوة الاسلامية

وهذا رحالة بلجيكي يصف الجزائري قبيل الحرب العالمية مشيراً الى الأفكار الغربية التي اخذت تتسرب الى الجزائريين وخصوصاً طبقة العمال : « ان الاسلام ليرى متمزقاً تمزق « الثوب البالي » على أرصفة الجزائر ، فعمال المرفأ ونقله الفحم وساقاة الآلات البخارية على اختلاف جنسيتهم عادوا لا يبالون بالاسلام ، بل ترى فيهم صبغة آداب العمال الأوربيين راسخة وهم يشتركون مع زملائهم العمال الغربيين في السعي وراء الغرض ونيل الغاية اشتراكاً قائماً على أساس واحد هو وجوب مقاومة أرباب رؤوس الأموال ونزاعهم نزاعاً اقتصادياً ، فلو كان في الجزائر معامل مثل تلك التي في أوروبا لاختفى الاسلام السني من تلك الديار

(١) لوثرود ستودارد ، حاضرم العالم الاسلامي القاهرة ١٣٤٣ هـ

ج ١ ص ٥٤ نقلا عن كتاب :

Ismail Hamet — les musulmans Français du Nord de l'Afrique, Paris 1906

والمؤلف (اسماعيل حامت) وهو صاحب تلك الكلمة القيمة : « لا تقاس حضارة أمة بما في كتبها الدينية من السطور والعبارات بل بما تقوم به تلك الأمة من الاعمال » وهو رأي استشهد به لوثرود الامريكى في كتابه المذكور ووصفه بأنه مصلح مسلم جزائري ووصف له قوله بالسداد
ج ١ ص ٤٨ .

المغربية اختفاء الكاثوليكية القديمة من ديارنا أمام تيار الصناعة وثورتها الكبرى» (١) ولا يخفى على القاريء كيف حاول هذا السائح الأوروبي تصوير الجزائر تصويراً متأثراً فيه بتاريخ المسيحية في بلاده وبالصرع الطبقي الذي نشأ فيها لوجود التقدم الصناعي ، وعمّم ما رآه في مرسى الجزائر على المجتمع الاسلامي الجزائري كله . ومهما يكن من أمر فان المسألة لا تعدو أن تكون شهادة عابرة لسائح ابن سبيل .

والواقع أن السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما يتعلق بالناحية التربوية التعليمية كانت ترمي الى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الاسلامية العربية والى تحويل الشعب الجزائري كله وادماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية ، ومقاومة الشريعة الاسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج ولذلك فانها تشترط فيمن يتمتع بالحقوق الفرنسية أن يتجنس . ويتضمن التجنيس عدم الارتباط بالقانون الاسلامي ، بل أكثر من ذلك فان كثيراً من الحقوق لا ينالها الا النصراني ، فأصبح التنصر بذلك طريقاً الى التمتع ببعض الحقوق ، ولم يرق الجنرال يوسف رتبة جنرال الا على هذا الشرط (٢) .

ورسّمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها ستريح بها اللعبة وهي بثّ الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري ، بين العرب والبربر . وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم من سلالة أوروبية وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها ، وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٢) تعليق الامير شكيب أرسلان على « حاضر العالم الاسلامي »

ج ١ ص ٨٦ .

يقول أحد المختصين (١) بهذه المسألة : « ان العالم المختص في أمور البربر المسيو دوتيه » الذي جال بين قبائل البربر نوّه بمحاسن سجايا هذا الشعب البربري وقال : ان به مناط الآمال في افريقيا . . . انه شعب يظهر عليه الميل من نفسه الى المدنية الفرنسية (٢) لذلك يجب علينا قبل كل شيء أن لا نعرّبه أكثر ممّا هو ولأجل بلوغ هذه الغاية يجب أن يحل البربر على الثقافة الفرنسية أو أن يتكلموا بالفرنساوي قبل وصول الثقافة العربية واللسان العربي اليهم ، وعلى هذا الشكل يتحقق بلا ريب — أكثر ممّا هو مزنون — خيالنا العظيم بمراكش فرنسية . . . وفي النية تأسيس مكاتب فرنسوية بربرية في الجهات التي لم تستعرب من بلاد البربر ، وهذا تصور حسن جداً . . . فاذا كانت بلاد القبائل من الجزائر ليس فيها الا بعض أقوام من البربر ، فان قسماً عظيماً من أهل المغرب الأقصى ، لا يعرفون العربية ، أو يتكلمون اللغتين البربرية والعربية ، وليس لنا أدنى مصلحة أن ننشر بينهم اللغة العربية ، لغة الجامعة الاسلامية ، بل بالعكس » (٣) وقصة الظهير البربري (٤) أشهر من أن تفصل القول عنها بالاضافة الى مئات الكتب باللغة البربرية بجميع لهجاتها . والمستشرق الفرنسي ماسينيون نفسه ألقى محاضرة في سنة ١٩٢٧ م بمعهد كوليج دي فرانس : تحت عنوان « الوحدة البربرية » (٥) .

(١) هو فيكتور بيكي Victor Piquet مستشهدا برأي مختص آخر هو (دوتيه Dauté) .

(٢) انظر هذا الزعم العلمي !

(٣) انظر ترجمة هذا النص في حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٨٧
Victor Piquet - Le Maroc - Paris 1818 P. 302

(٤) صدر في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ .

(٥) عثمان الكماك ، البربر ، تونس ١٩٥٦ ص ١٢٩ .

وأسس الفرنسيون بالمغرب الأقصى ، معهد البحوث العليا المغربية ،
للدراستات البربرية وخصصوا لذلك مجلة « هيريس » والواقع أن
هذه المحاولات لتمزيق الشعب الواحد لم تقتصر على المغرب الأقصى ،
بل شملت الجزائر وتونس وطرابلس من طرف ايطاليا — واكتست
المحاولات طابعا علميا في ظاهرها . ففي تونس قام طبيبان بتأليف كتاب
ضخم في مقاييس جماجم البربر وأوصافهم وسماتهم العضوية العرقية ،
مع مقارنة بسمات ومقاييس جماجم الغالين^(١) وفرض الاستعمار على
أبناء المدارس المسلمين الجزائريين أن ينشدوا : « كان أجدادنا من الغالين
وكانت بلادنا في القديم تسمى غاليا » ، وأن يتشرفوا بالالتساب
اليهم ! والغرض من هذه المحاولات انما هو الادمج ، كما أشرنا الى
ذلك من قبل . وفعلا فقد نبئت طائفة من هذه المدارس تدعو اليه ،
وتحمس له بالرغم من معارضة الغلاة من الاستعماريين لهذا الادمج
الذي يجعل المسلمين متساويين في الحقوق مع الفرنسيين ، وهذا
ما لا يمكن أن يتصوره في عقولهم .

في الربع الأول من القرن العشرين تطورت ردود الأفعال على
الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية والسياسية التي تحياها الجزائر .

الاتجاهات الإصلاحية :

ظهرت جماعة صغيرة لائكية « علمانية » مفرنسة بصحافتها
وجمعياتها وصدقاتها وبمطالبها التي تعتبرها « تقدمية » واعتمد هؤلاء
الشبان الجزائريون على بعض الأحرار من الفرنسيين أمثال بول بورد :
Paul Bourde والبان روزي Albin rozet^(٢) وكانت هذه الفئة لا تطالب

(١) ن . م . ص ١٣٤ .

CH. Robert Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, Presses (٢)
Universitaires de France, Paris, 1964 P. 71 et la Naissance du Nationalisme
Algérien, par André Nousalie P. 20.

بمجرد المساواة مع الفرنسيين بل وبالاندماج التام^(١) ثم انقسمت هذه الفئة الى قسمين : قسم يطالب بالمواطنة الفرنسية دون الارتباط بالقوانين الاسلامية الشخصية ، وقسم يطالب بالمساواة السياسية مع بقاء التعامل بالقانون الاسلامي . ويمثل القسم الأخير حفيد الامير عبد القادر الامير خالد بن الهاشمي^(٢) الذي عرض برنامجه في جريدة « الاقدام » وبصفة عامة ، فان هذه النزعة تهدف الى فصل الدين عن الدولة مقلدة في ذلك تركيا الفتاة التي كان لثورتها صدى في الجزائر، ويقود هذه الحركة ويمثل هذه النزعة معلمون في المدارس الابتدائية وطلبة في المدارس الفرنسية وموظفون لدى الحكومة الفرنسية ومن النواب وغيرهم ممن يجيدون اللغة الفرنسية ويستعملونها وسيلة لصحافتهم . وأشهر الصحف التي تعبر عن أفكارهم هي :

١ - الصوت الاهلي تصدر في قسنطينة ويديرها ربيع الزناتي :
. La Voix Indigène

٢ - صوت المتواضعين تصدر في الجزائر العاصمة ويديرها عمر قندوز^(٣) . La Voix des Humbles

ويطو للمستشرق ماسينيون أن يذكر لنا أن اللغة الفرنسية أصبحت أداة للفكر الاسلامي لا في الناحية السياسية فحسب بل وفي الناحية

(١) هذه جملة من الكتاب الاخير تصور مطلبهم :

« L'assimilation la plus complète, c'est - à - dire l'entrée dans la cité française ».

(٢) توفي ٩ يناير سنة ١٩٣٦ م - ١٣٥٤ هـ بدمشق بعد محاكمته في باريس وخروجه منها رثاه احمد توفيق المدني وكتب عنه في مجلة الشهاب ج ١١ ، م ١١ ، ص ٦٣٠ كتب الامير خالد مقالا في جريدة النجاح تحت عنوان : مسألة الخلافة في المؤتمر الاسلامي العام عدد ٢٨١٨٤ نوفمبر ١٩٢٤ م .

(٣) وجهة الاسلام (افريقيا لماسينيون) القاهرة ١٩٣٤ ، ص ٦٠

الدينية • ويضرب لنا مثلاً بما قام به الأستاذ أحمد ليميش من ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية ترجمة يحوطها التقديس والشعور الاسلامي الصادق رغم انها لم تبلغ غايتها من الجودة (١) كأنه يعد هذا انتصاراً للحضارة الأوروبية • ومنهم من كتب قائلاً : « الجزائر أرض فرنسية • نحن فرنسيون مع الاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية الاسلامي ••• لا يوجد في الكتاب المقدس ما يمنع جزائرياً مسلماً من أن تكون جنسيته - فرنسية - ••• الخ (٢) بل انه عبر عن الوحدة الوجودية بينه وبين فرنسا فقال : « أنا فرنسا » !

كما كان هناك أتباع الطرق الصوفية وترجع في أغلبها الى طوائف ثلاث (٣) :

أ - الطائفة العليوية التي يرأسها الشيخ أحمد بن عليوه في مستغانم • وهي طائفة متشعبة عن الطريقة الدرقاوية ، ولهذه الحركة الصوفية صحيفة تعبر عن أفكارها المعارضة للحركة الاصلاحية التي يمثلها الشيخ عبد الحميد بن باديس وهي جريدة « البلاغ » •

ب - طائفة درقاوية أخرى يرأسها غلام الله في مدينة تيارت يدعو صاحبها الى سياسة الاتفاق الديني بين الاسلام وفرنسا (٤) •

(١) م . ن .

(٢) هو السيد فرحات عباس الذي كتب ، « الشباب الجزائري » :
« L'Algérie est terre française. Nous sommes des français avec le Statut Personnel musulman (.....) Il n'y a rien dans le Livre Saint qui puisse empêcher un algérien musulman d'être nationalements un français, aux bras forts, à l'intelligence éveillée, au cœur loyal conscient de la solidarité nationale. Il n'y a rien, sinon la colonisation. » Voir la Naissance du Nationalisme algérien, P. 63.

(٣) وجهة الاسلام ص ٦١ •

(٤) وضع « الاتفاق الديني » سنة ١٩٣٠ .

ج - طائفة التيجانية تتكون من كبار الموظفين والاعنياء والتجار وقامت بدعاية بلغ نشاطها باريس وأقامت هناك مسجدا ، والواقع أن هذا الفرع قوي في مراكش أكثر من الجزائر . وأما الطريقة السنوسية (١) فقد أضعفتها المجازر التي سلطتها عليها ايطاليا وكادت أن تودي بها . والحقيقة ان الحركة الاساسية التي تمثل آمال الشعب الجزائري وتعتبر عن شخصيته هي الحركة السلفية . التي يمثلها ابن باديس وزملاؤه ويصفها المستشرق ماسينيون بأنها حركة متشددة نصف وهابية ويعتبرها فرعاً أو شعبة من الحركة التي تمثلها « المنار » في القاهرة . ويذكر أن ابن باديس وثيق الصلة بالحركة في مصر مترسم لخطاها ويعترف بان لهذه الحركة السلفية تأثيراً لما ينطوي عليه برنامجها من الرجوع الى تعاليم القرآن بالرغم من أنه يقلل من شأنها من ناحية أخرى فيقول : « ان هذا الحزب لا ينتمي اليه حتى الآن الا شردمة قليلة في مدن المغرب » والظاهرة التي تلفت النظر أنه يذكر لنا وهو المتتبع لحركات المسلمين وسكناتهم أن حركة ابن باديس لها أتباع في الرباط من أعمال مراكش فيقول : (ومن أتباع هذا الحزب جرثومة صغيرة ولكنها مترعرة في رباط من أعمال مراكش) (٢) ولسان حال هذا الحزب أو هذه الحركة هو مجلة « الشهاب » الصادرة بقسنطينة ويديرها الشيخ عبد الحميد بن باديس . وسيأتي تفصيل القول في ذلك .

(١) وكان للسنوسية في الجزائر الف تابع . وأكبر الطرق عددا هي الطريقة الرحمانية التي أسسها سيدي محمد بن عبد الرحمن وأتباعها ١٥٦ ألف رجل و ١٣ ألف امرأة . وأتباع التيجانية التي يقيم شيخها في عين ماضي ٢٦ ألف . والطريقة الدرقاوية المشهورة بالشدة والاشترك في جميع الثورات التي ثارت على الفرنسيين لها ٩ آلاف . والشيخية أولاد سيدي الشيخ ١٠ آلاف .

(٢) وجهة الاسلام ص ٦٠ - ٦١ .

دور الصحافة العربية :

وبهذا نرى أن الصحافة لعبت دوراً كبيراً في النهضة فلا بد من أن نقول عنها كلمة :

أن أول جريدة عربية صدرت لا عن مصدر حكومي^(١) بل بجهود صحافي جزائري حر هي جريدة « الجزائر » التي أصدرها الفنان الأستاذ عمر راسم سنة ١٩٠٨ وصدرت جريدة « الحق » سنة ١٩١١ م في وهران وهي أول جريدة فتحت الاكتاب للهلال الأحمر العثماني أيام حرب طرابلس^(٢) ثم « الفاروق » وصدرت في سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) أسسها عمر بن قدور وهو مؤدب يقرئ القرآن الكريم ، ويعتبر هذا الرجل من المدرسة الاصلاحية المتأثرة بمحمد عبده وبالمنازل ، فعزم على مقاومة الخرافات والبدع واستعمل هذه الصحيفة للقيام بمهمته وشعار صحيفته :

« قلمي لساني ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي »

ويستعين بما تنشره مجلة المنار فينقل بعض مقالاتها في هذه

(١) أول جريدة عربية صدرت عن الولاية العامة هي المبشر وكانت تنشر باللسانين الاوامر الادارية والتشريعات وتحاول ان تبث الدعاية ضد الوطنيين الذين هم في نظرها شياطين مشوشون . صدرت في سبتمبر ١٨٤٧ (٥ شوال ١٢٦٢ هـ) ثم ملحق جريدة الاخبار الفرنسية ١٩٠٣ م (١٣٢٠ هـ) وكانت قبل ذلك تصدر بالفرنسية فقط ابتداء من ١٨٣٩ م (١٢٥٥ هـ) ويتولى ذلك فيكتور باروكان . ثم جريدة المغرب اصدرها مدير مطبعة فونتانا وهي راجعة الى مصدر حكومي صدرت ١٣٢١ هـ - (١٩٠٣ م) وجريدة كوكب افريقيا اصدرها محمود كحول ومصدرها حكومي صدرت سنة ١٩٠٣ وأصدر كذلك التقويم الجزائري مدة ثلاثة سنوات من ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) الى ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) فيها آثار أدبية جزائرية لتلك الفترة .

(٢) احمد توفيق المدني كتاب الجزائر ص ٣٦٩ .

الجريدة ويهتم بأخبار العالم الاسلامي . ولم تعش هذه طويلاً^(١) وأبعد صاحبها الى الاغواط سنة ١٩١٥ م كنب فيها أحمد توفيق المدني مقالاً تحت عنوان : « القرآن الشريف وكيف يجب أن تتعلمه » سنة ١٩١٤ م وهو أول مقال يكتبه في حياته .

ثم عاد الاستاذ الفنان عمر راسم واصدر جريدة أخرى تحت اسم مستعار وهي « ذو الفقار »^(٢) وأسمى نفسه ابن المنصور الصنهاجي ووسم صحيفته المصورة بأنها « عمومية اشتراكية انتقادية » ونشر في هذه الصحيفة (في عددها الثالث) صورة الأستاذ الشيخ محمد عبده وكتب عمر راسم تعليقا عليها وهو ان الشيخ محمد عبده « مدير الجريدة الديني »^(٣) .

والغريب أن مؤسسها هو الذي يحررها ويكتبها بخطه ، ويرسم صورها الرمزية ويطبعاها طبعاً حجريا وحده ، فمن صورها الرمزية في العدد الثالث فارس عربي على باب مدينة الجزائر وشمس مرسله أشعتها مكتوب في وسط قرصها : « الاصلاح » وهذا يرمز الى العودة الى الدين والشخصية الجزائرية العربية ، كما نشر في هذا العدد قصيدة حماسية لعنترة بن شداد ومقالاً بعنوان « الاسلام والمسلمون » مفاده أن سبب تأخر المسلمين يعود الى انفصالهم عن الشريعة الاسلامية ومقالاً آخر نقله عن المنار يعالج مشكلة المقلدين للافرننج وفسادهم الاخلاقي ، ورسم صورة ترمز الى رجل مقلد للغرب يطلب من زوجه ان تخلع

(١) لم تزد على عام وبضعة أشهر .

(٢) صدر اول عدد منها في ربيع الثاني (١٣٣١ هـ) افريل (١٩١٣)

(٣) سعد الدين ابن ابي شنب (النهضة العربية بالجزائر في النصف الاول من القرن الرابع عشر للهجرة) مجلة كلية الآداب العدد الاول ١٩٦٤ ص ٦٢ - ٦٣ صورة الغلاف والتعليق عليها كانا في يوم الاحد ٢٠ رجب ١٣٣٢ هـ ١٤ جوان ١٩١٤ م ، ص ٨ .

لباسها العربي لتتعلم الرقص ولتتمدن فاجابته بأن لباسها القومي لا يكون عائقاً لها عن التمدن^(١) . وبما ان اليوم الذي صدرت فيه الجريدة كان يوم ١٤ جوان فانه كتب عن الحوادث المحلية : « في هذا اليوم نزل الجيش الفرنسي في شبه جزيرة سيدي فرج وفي هذه السنة (١٩١٤ م) تشكلت جمعيات لاهياء هذا اليوم والاحتفال باستيلاء فرنسا على أكبر وأعنى مستعمراتها : الجزائر . سنذكر في العدد الآتي الأسباب التي أدت الى الحرب وكيفية دخول الفرنسيين الى عاصمة الجزائر »^(٢) وكانت هذه الصحيفة أول من نبه الناس الى الخطر الصهيوني ، وأول من اكتشفه^(٣) ولما جاءت الحرب العالمية الاولى ، التي القى القبض على مديرها عمر راسم^(٤) بتهمة الاتصال بالعدو والاتفاق معه فحوكم عسكرياً وصدر ضده حكم بالأشغال الشاقة ثم بعد الحرب صدر العفو عنه^(٥) .

وفي سنة ١٩١٩ أصدر الامير خالد صحيفة « الاقدام » باللغتين كما أصدر الحزب المعارض له صحيفة « النصيح » .

وفي السنة نفسها أصدر الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي جريدة « النجاح » التي كانت حرة واشترك عبد الحميد بن باديس في تأسيسها ثم انفصل عنها ، ثم انحرفت هذه الجريدة وارتبطت بالحكومة الفرنسية وأصبحت في سنة ١٩٣٠ جريدة يومية يطبع منها ٥٠٠٠ نسخة في اليوم . وفي سنة ١٩٢٤ أصدر عمر بن قنور الجزائري جريدة « الفاروق » من جديد وكانت أسبوعية ثم اشترك مع محمد بن بكير في اصدار

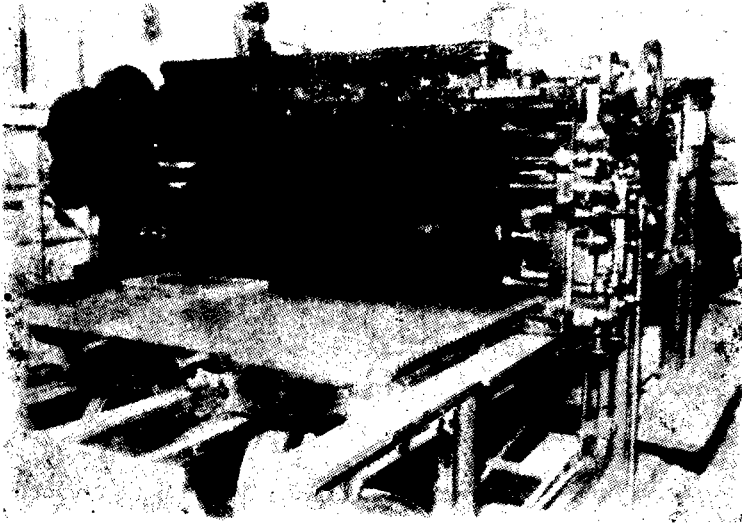
(١) المصدر نفسه ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٤ .

(٣) أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر ص ٣٦٩ .

(٤) توفي سنة ١٣٧٩ هـ وعمره ٧٩ عاما حافظ للقرآن مجود له .

(٥) المصدر السابق ص ٣٦٩ .



المطبعة الجزائرية الإسلامية التي كانت تطبع جريدة ومجلة الشهاب ، تأسست هذه المطبعة سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٥ في نفس التاريخ الذي صدر فيه الشهاب . وتقع في نهج عبد الحميد بن باديس - قسنطينة

جريدة « الصديق » • وصدر « لسان الدين » جريدة أسبوعية دينية سياسية سنة ١٩٢٣ أصدرها مصطفى حافظ وابن عبد العزيز حسن .

وفي سنة ١٩٢٥ صدر « المنتقد »^(١) فتوقف بعد صدور ثمانية عشر عدداً منه ، ثم خلفه « الشهاب » في نفس السنة وكان أسبوعياً ثم انتقل في سنة ١٩٢٩ الى مجلة شهرية^(٢) ومؤسسها معاً هو الأستاذ

(١) جريدة تمثل لسان نخبة الشباب صدرت في يوم الخميس ١١ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ (٢ جويلية ١٩٢٥ م) .

وقد نقلت هذا من العدد الاول من المنتقد ولم تصدر في سنة ١٩٢٤ ولا في سنة ١٩٢٦ كما يذهب الى ذلك البعض . انظر كتاب الجزائر لاحمد توفيق المدني ص ٣٧٠ فانه جعلها صادرة في سنة ١٩٢٦ م وتاريخ الجزائر المعاصر لروبير اجيرون ص ٨٨ حيث جعل صدور الشهاب سنة ١٩٢٤ م .

(٢) بتاريخ رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري ١٩٢٩ م .

عبد الحميد بن باديس واستمرت الشهاب في أداء رسالتها الى الحرب العالمية الثانية فتوقفت في سبتمبر ١٩٣٩^(١) . وفي نفس السنة أصدر الشيخ محمد السعيد الزاهري جريدة « الجزائر » وعطلتها الحكومة . وأصدر الشيخ العقبي والشيخ أحمد العابد جريدة « صدى الصحراء » ثم صدرت جريدة « البرق » سنة ١٩٣٧ وأصدر العقبي أيضاً جريدة « الحق » في بسكرة سنة ١٩٣٦ م .

كما أصدر الشيخ العلامة الصحفي أبو اليقظان جريدة « وادي ميزاب » في سنة ١٩٢٦ فعطلتها الحكومة بعد نحو عامين ونصف ثم أصدر بعدها جريدة « ميزاب » فصودرت ، فأصدر من بعدها « المغرب » ثم « النور » ثم « النبراس » وأسس الشيخ العقبي كذلك جريدة « الاصلاح »^(٢) وفي هذه الأثناء أصدرت الزاوية العليوية جريدة « البلاغ الجزائري » معارضة بها حركات الاصلاح ، ورغم كونها تقاوم بعض عادات المتصوفة ، فانها تدافع عن التصوف ولها مطبعة خاصة . ولم يكن في الجزائر قبل الحرب العالمية الألى من المطابع الا مطبعة رودوسي مراد ، ثم وجدت فيها أربع مطابع أخرى : المطبعة الاسلامية وهي مطبعة الشهاب ومطبعة النجاح بقسنطينة ، والمطبعة العربية لأبي اليقظان بالعاصمة ، ومطبعة البلاغ الجزائري بعاصمة الجزائر أيضاً^(٣) . والواقع أنه توجد هناك مطابع أخرى لكنها تابعة للفرنسيين كمطبعة فوتتانا الشرقية^(٤) مثلاً .

(١) العدد الاخير الذي هو عدد سبتمبر لم نجد منه الا ملزمة واحدة كتب فيها عبد الحميد مقالا عنوانه (اولو الامر) تعليقا على مقال كتبه الشيخ الخضر الحسين شيخ الازهر وصاحب مجلة الهداية الاسلامية .

(٢) انظر احمد توفيق المدني في كتاب الجزائر ص ٣٧١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٤) تطبع باللسانين العربي والفرنسي .



ادارة الشهاب سابقا واقعة في نهج الشيخ عبد الحميد بن باديس

وهذه الصحافة كلها تدل على النشاط الفكري ، وعلى ظاهرة القلق التي هي علامة على اليقظة والوعي بالمسؤولية ، وخطوة في سبيل تغيير المظاهر الاجتماعية ، ومحاولة لاعادة المجتمع الى أداء وظيفته التاريخية وادراكه نفسه التي نسيت التاريخ أو نسيها التاريخ !!

يلاحظ المستشرق الفرنسي ماسينيون على الاتجاه الفكري في المغرب الاسلامي أنه مصطبغ بالصبغة العملية وأن الناحية العقيدية محتفظة بصلابتها الموروثة عن صدر الاسلام^(١) وأن أصحابه من أنصار الخوارج وأتباع مذهب الامام مالك ، كما وصف المغاربة من الناحية العقلية بأنهم ذوو عزيمة وجدد^(٢) ، وهو يحاول بهذا أن يجعلهم أقرب ما يكونون الى الاوروبيين يقول : « ان لمسلمي المغرب عقولاً عملية من الطراز الأوروبي »^(٣) ويجعل ذلك سبباً في عدم وجود شخصيات بارزة كثيرة على حد تعبيره أو رجالات نابغة كالذين نجدهم في المشرق ، وهو بذلك يجعل فوارق بين مسلمي المغرب ومسلمي المشرق فيقول : « واذا قارنا هذه البيئة الاجتماعية الاسلامية في المغرب ، بنظيرتها في المشرق وجدنا فوارق ليست ظاهرية فحسب ولكنها تتغلغل في الصميم »^(٤) ، وهو بهذا يحاول أن يفرق أبناء مجتمع واحد واتجاه عقيدي واحد كما يحلو له أن يفعل ذلك في كل مناسبة ، ولكن نجد للمستشرق ملاحظة دقيقة وصحيحة في آن واحد ، وهي أنه يسود الشعور الاسلامي — في الجزائر بصفة خاصة — عاطفة غريبة جداً ، وهي طموح المسلمين لأن يدخلوا الاسلام ويشقوا له طريقاً في عقول الفرنسيين وأرواحهم أنفسهم . ويضيف الى ذلك ملاحظة أخرى تشير الى أن في الجزائر كتاباً مسلمين يجيدون الفرنسية أيما اجادة ، ويستخدمونها في بث الدعاية في فرنسا^(٥)

(١) وجهة الاسلام ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ن . ص .

(٣) ن . م . ن . ص .

(٤) ربما يشير بهذا الى الاستاذ مالك بن نبي وجماعة أخرى معه خصوصاً كتابه « الظاهرة القرآنية » الذي ألفه بالفرنسية ثم ترجم فيما بعد الى العربية .

ولا يقتصرون في هذه الدعاية على الجالية الاسلامية المقيمة في فرنسا التي ربما تتعرض لخطر الخروج عن أصول الدين ، وانما يطمحون الى أبعد من ذلك مما أدعى فعلاً الى اسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء^(١) . ومن ناحية أخرى يزعم أن « هناك حقيقة لا يمكن انكارها وهي أن بين فرنسا والمغرب اتصالاً روحياً يتمثل في أذهان بعض المفكرين ضرباً من التجاذب العقلي يشبه ما نشأ بين انجلترا والهند »^(٢) والواقع ان هذا لا يصدق الا على شريحة قليلة تفسخت ، وذابت في شخصية الغالب وانفصلت عن صف الشعب المغربي الاسلامي . ويرى أن روح « المحافظة الصلبة » التي تسيطر على الفكر الاسلامي المغربي لا تجيز لأحد أن يفكر في تحقيق الهدف الاستعماري ألا وهو استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، كما ان السلفيين « المتشددين » لا يقبلون استعمال اللهجة العامية التي يروج لها المستشرقون ، في الوقت الذي نجد فيه المشاركة يقبلون فيها النظر^(٣) . والواقع ان هذا يعود الى وجود عناصر مسيحية عربية في المشرق ، بخلاف المغرب فانه يخلو من العرب المسيحيين الذين يرتبطون بالثقافة اللاتينية من حيث المعتقد والوجدان ، وبالرغم من اعتراف ماسينيون بتأثير المغاربة بالمشاركة فيما يختص بالجامعة الاسلامية والعربية تلك الجامعة التي يدعو لها شكيب أرسلان وفريد وجدي ، فانه يقرر أن « تيار التطور يزداد انحرافاً نحو باريس واليها لا الى المشرق ، نجد جمهور أهل المغرب يولون وجوههم نحوها »^(٤) يريد ان يثبت أن باريس أصبحت قبلة المغاربة المسلمين . والغريب أنه جعل الجمهور هو الذي انحرف نحو باريس ، فلو اقتصر

(١) م . س . ص ٥٩ .

(٢) ن . م . ن . ص .

(٣) ن . م . ص ٦٦ .

(٤) ن . م . ص ٦٧ .

على ذكر طائفة قليلة لصدفناه ، ولكنه جازف في القول ولم يزنه . واني أشكره^(١) من ناحية أخرى حيث عبر عن ذلك بكلمة « انحراف » فهذا هو التعبير الطبيعي في مثل هذا المقام .

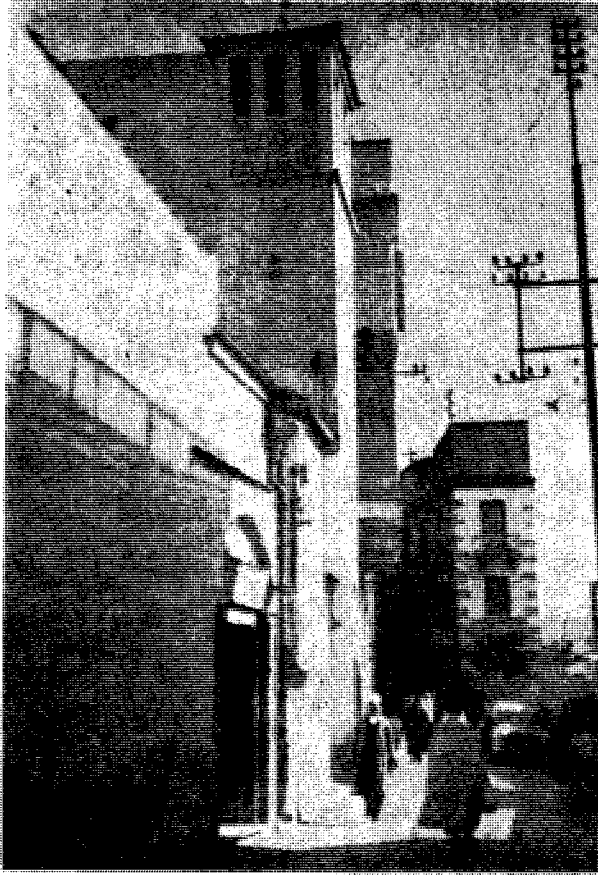
ولم يعالج أحد من المسلمين في النصف الأول من القرن العشرين — فيما أعلم — مشكلة الفكر الاصلاحى في المغرب الأوسط الا استاذنا مالك بن نبي ، فانه تناول هذه النهضة الحديثة وحللها تحليلاً علمياً نقدياً ، ودرسها دراسة اجتماعية تكتسي طابعاً موضوعياً مع أنها أشد ما تكون امتزاجاً بذاتيته ، وبالرغم من المراقبة الشديدة التي مارسها الاستعمار على مشكلة الأفكار في العالم الاسلامى فانه تمكن في ظروف قاسية من اخدار كتابه « شروط النهضة ومشكلات الحضارة »^(٢) فالاصلاح قد شغل اهتمامه منذ طفولته كما يحدثنا في كتابه الأخير : « مذكرات شاهد القرن » . كما شغله منظر ابن باديس وهو يسر أمام مقهى « ابن يمينه » ذاهباً الى مكتبه في « نهج الأربعين شريف »^(٣) وهو أول من أدخل العدد الأول من جريدة الشهاب الى افلو^(٤) جنوب

(١) أو اشكر المترجم لأنى لا املك النص الانجليزى الذى ترجم الى العربية .

(٢) صدر في سنة ١٩٤٨ وقدم له الدكتور عبد العزيز خالدي بمقدمة حلل فيها الكتاب ووصف المؤلف بأنه « رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الانسان في صورته الخلقية والاجتماعية » وترجم الكتاب وطبع بالقاهرة اثناء الثورة سنة ١٩٥٧ وصف المترجم الكتاب بأنه « في فلسفة الحضارة وفن التوجيه » .

(٣) يسمى الآن بنهج عبد الحميد بن باديس وهو النهج الذى توجد فيه مطبعة الشهاب ومدرسة التربية والتعليم وادارة الشهاب ومدرسة سيدي بو معزة انظر مذكرات شاهد القرن ص ١٥٨ .

(٤) مذكرات شاهد القرن لمالك بن نبي طبع في المطابع الوطنية الجزائرية (فونتانا سابقا) الجزائر ١٩٦٥ ، القسم الاول ص ٢٢١ .

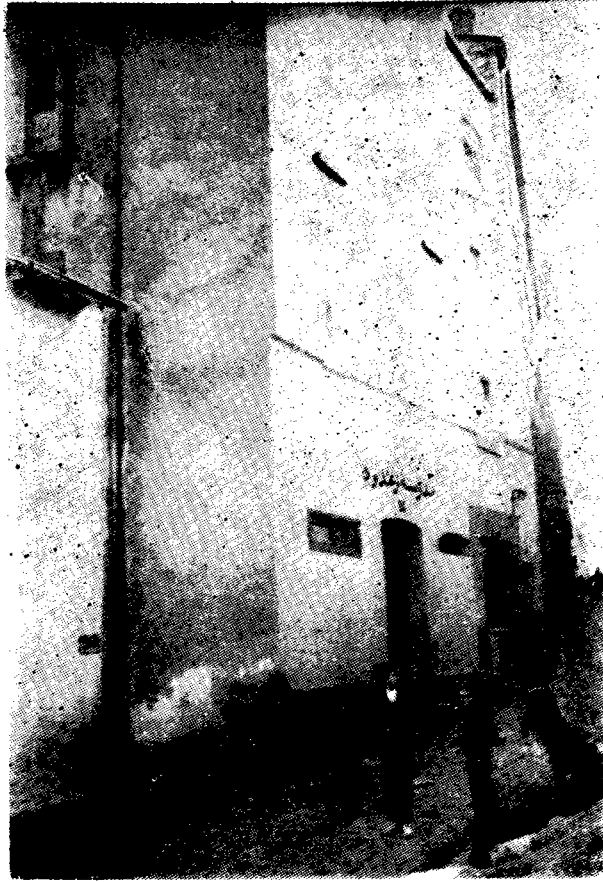


صومعة ومسجد الأربعين شريف

وهران حيث يقوي نفوذ الطرفين ، واتصل بالشيخ عبد الحميد في مكتبه ليثه ما يجده في نفسه من بعض الأفكار المتصلة بالمجتمع في قرية أفلو خصوصاً ما يتعلق بمشكلة الأرض بجبل لعمور (١) .

والفكرة الأساسية في كتابه « شروط النهضة ومشكلات الحضارة » تتلخص فيما يلي : « ان مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة

(١) ن . م . ص ٢٢٦ .



مسجد سيدي بومعزه أول مدرسة أسسها
للتعليم تحت اسم « المكتب » ، وهو بمثابة مدرسة
ابتدائية ، وقد اشترى هذا العمل الفاضلان :
العربي وعمر بن مفسولة

حضارته ، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته أو يحلها ما لم يرتفع
بفكرته الى مستوى الاحداث الانسانية ، وما لم يتعمق في فهم
العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها «^(١) فالاصلاح والنهضة في

(١) شروط النهضة ص ١٧٨ .



مدخل جامع أربعين شريفاً ، وهو الآن مقر المحكمة
المالكية ، ويسمى مسجد سيدي علي مخلوف ،
وهو واقع بنهج عبد الحميد بن باديس

نظره انما يُدرّكان في اطار فكرة شاملة وجوهرية هي فكرة الحضارة التي تعتبر من أهم المشكلات التي تتناولها الآن الدراسات الفلسفية والتاريخية وخاصة الدراسات الاجتماعية ، في شتى المدارس العلمية في الشرق والغرب ، ولكن ينفرد من بين المفكرين المسلمين بهذه الفكرة التي طالما نه إليها أذهان الشبان المسلمين ، وتفكيرهم فيها على غير نمط

الغريين والشرقين لأنه ينظر اليها بمنظار آخر مستمداً شواهده من المجتمعات المتخلفة الممتدة على خط طنجة - جاكارتا . يقسم الاستاذ مالك بن نبي الفترة الحديثة الى قسمين ما قبل ١٩٢٥ وما بعدها . أما الفترة الأولى فتتمثل فيها البطولات الجزائرية في صورة أفراد ، وفي قوة رجال يملكون كأطراف أحلام في نوم تاريخي عميق .

وأما الفترة الثانية فتتمثل في حركة مجتمع ، وتصارع أفكار ، ومحاولة تغيير للحياة الأخلاقية والعقلية والاجتماعية والسياسية والدينية ، وبعبارة أخرى فإن الشعب في هذه الفترة استأنف رسالته ، وبدأ تاريخه الجديد « أما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد ، لا في ثورة شعب ، وفي قوة رجل لا في تكاتف مجتمع ، فلم تكن حوادثها تاريخاً بل كانت قصصاً ممتعة ، ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه ، لا يصل صدها الى الضمائر الأخرى فيوقظها من نومها العميق »^(١) ويعتبر أنه كان صوت جمال الدين الأفغاني أثر في انبلاج فجر النهضة الجزائرية ، ومعجزة الحياة في الجزائر بدأت بصوت الشيخ عبد الحميد بن باديس وندائه فأيقظ المعنى الجماعي ، وحول مناجاة الفرد الى حديث الشعب^(٢) ويصور لنا حركة الأفكار وانتشار النظريات الاجتماعية في أوساط الشباب فيقول : « فهذا يرنو الى المذهب الكمالي ، وذلك يأخذ بالمذهب الوهابي ، وذلك ينزع الى التمدن الغربي ، ومنهم من انحدر بفكره الى مذهب المادة . . . ونرى من بين هؤلاء وأولئك عمائم الإصلاح تدلنا على منهاج آخر يقوم على عقيدة صحيحة ، ورجوع الى السلف الصالح ، وتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط »^(٣) ويجعل حركة العلماء

(١) ن . م . ص ٢٢ .

(٢) ن . م . ص ٢٣ .

(٣) ن . م . ص ٢٤ .

المسلمين أقرب الحركات والقيادات الى النفوس ، ولكنها ما لبثت أن انحرفت منهجياً عن أهدافها ، وأعطت القيادة للاتهازين السياسيين في سنة ١٩٣٦ في المؤتمر الجزائري الاسلامي (١) فأخفق المؤتمر ودب الشقاق في صفوف الجمعية كأن مركب النقص هو الذي جعلهم يسلمون الزعامة لرجل اللغة الأجنبية فسايروا قادة السياسة (٢) ، في تلك الفترة ظناً منهم أنهم سيجمونها ويدفعون عنهم شر الحكومة الفرنسية ، باعتبار أن التغيير الاجتماعي الذي يبدأ في تغيير النفس هو الأساس في المشكلة ، لا الذهاب الى باريس والتعلق بسراب وعود الجبهة الشعبية ، وهذا ما تأكد لهم فيما بعد حيث عبر ابن باديس عن ذلك بوجود « الاعتماد على أنفسنا والاتكال على الله » (٣) .

ويوجه من ناحية أخرى نقداً للحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي التي وان أخذت بفكرة الاصلاح الديني الذي يعتبر نقطة انطلاق في كل تغيير اجتماعي (٤) الا أنها ابتدأت بمرحلة علم الكلام التي هي المرحلة الفكرية او العقلية ، وتخطت المرحلة الأخلاقية الروحية التي تؤدي الى أول تغيير للقيم الاجتماعية فهذا يعتبر « مزلفة لا تؤدي الى الوعي بقدر ما تؤدي الى تعلم جدليات الكلام » . انه خطأ منهجي أدى الى عدم تسجيل هذا الاصلاح في نسق الأحداث التاريخية التي تقرر مصير الجماعات الانسانية (٥) ولكنه يستثني حركة الاصلاح في الجزائر ، ويعود الفضل في ذلك في

(١) وقع في ١٧ جوان ١٩٣٦ بنادي الترقى بالجزائر العاصمة .

(٢) ن . م . ص ٢٦ - ٢٩ .

(٣) وذلك في سنة ١٩٣٧ .

(٤) وجهة العالم الاسلامي لمالك بن نبي ط . القاهرة ١٩٥٩ الترجمة العربية ص ١٧٤ .

(٥) ن . م . ن . ص .

رأيه الى شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس العظيمة ، لانه استطاع أن يجعل اشعاعه ينفذ الى اعماق الضمير الشعبي ، هذا في بداية الأمر حيث كانت الحركة تنطوي على جذوة روحية ، وروح صوفية • ولكن ما لبثت — كما أشرنا من قبل — أن أضحت تكوّن متخصصين بارعين أكثر مما تعمل على تكوين دعاة مخلصين (١) !

ويقول بهذا الصدد : ان مخلفات انسان ما بعد الموحدين ، وما تنطوي عليه من أعباء وتقاليد من ذرّبة في التفكير ، وتزمت ونزوع الى المدح ، والجدل والحرفية والتحليق في الخيال ، هذا كله يحتاج الى فكر ثوري كفكر جمال الدين يهدّم ويبنى على أساس منهج مرسوم • ويرى أستاذنا مالك بن نبي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد قام بتلك الثورة الفكرية على أحسن وجه ، وبدد ما كان مخيماً على الجزائر من تقاليد ثقيلة تمثل في تلك الطرق الجامدة المخدرة للشعب (٢) •

ومن الملاحظات الدقيقة التي سجلها على الحياة العلمية والفكرية في الجزائر أنها تعتبر بمثابة الزينة والترف ، ومن ثمّ فإن الفكر لم يكن ايجابياً ذا فعالية وحركة (٣) وفكرة الفعالية من الأفكار الأساسية في فلسفة مالك بن نبي الاجتماعية • وهناك أمراض نفسية أصيبت بها النخبة في شمال افريقيا ، منها مرضان أساسيان وهما : اما النظر الى الأشياء على أساس أنها في غاية « السهولة » واما النظر اليها على أنها « مستحيلة » وكلا النظرتين تؤدي الى نتيجة خطيرة هي اما الشلل واما السلوك الأعمى (٤) •

(١) ن . م . ص ١٧٥

(٢) ن . م . ص ٥٩

(٣) ن . م . ص ٩٣

(٤) ن . م . ص ٩٤

لم يغفل المستشرق الانجليزي جيب في كتابه «الاتجاهات الحديثة في الاسلام» الحركة السلفية الاصلاحية في الجزائر فتحدث عنها ، وجعلها بمثابة التابعة لمبايديء أصحاب مجلة المنار العاملة على نشرها ، وعلى معارضة أصحاب الطرق ، ويقول بصفة خاصة : « وذهب الجزائريون الى أبعد مما ذهبت اليه جماعة المنار لأنهم بدأوا بالاضافة لدعايتهم المطبوعة والشفوية ، في احياء المدارس القرآنية « البدائية » في جميع أنحاء البلاد للتأثير على الجيل الصاعد ، وقد تكلفت مساعيهم بالنجاح الكبير ، اذا أخذنا بعين الاعتبار الحواجز التي صادفوها في طريقهم (١) ولكن جيب يلاحظ بهذا الصدد أن « مستقبل الجمعية (٢) أصبح مظلماً بعد وفاة عبد الحميد بن باديس عام ١٩٤٠ » (٣) .

والعملية النقدية ضرورية في أية حركة تقوم على منهج ونظام ، يهدف الى تحقيق أهداف معينة ، والى تسجيل غايات في الواقع التاريخي ، وهذا ما عمل أستاذنا لتنبية الأذهان اليه ، لأنه اكتشف عيوباً منهجية في داخل الحركات الاسلامية الحديثة ، أدت في كثير من الاحيان الى الفشل . فرغم توفر الطاقات والامكانيات النفسية والعقلية ، الا انها تسطو عليها عملية التبديد ، لعدم وجود عنصر التوجيه والضبط الذي يتيح لها ويضمن بلوغ الغاية المرسومة .

وأغلب من يكتب عن تاريخ الحركات الاصلاحية أو عن تاريخنا الحديث لا يحاول أبداً أن يوجه نقداً وانما يسلك مسلكاً أقل ما يقال

(٣) هـ . ١ . جيب ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام بيروت ١٩٦١ ص ٦٤ من الترجمة العربية .

(٤) جمعية العلماء المسلمين التي تأسست هـ ماي ١٩٣١ في نادي الترقى بعاصمة الجزائر واتفق المجتمعون على ان يتولى عبد الحميد بن باديس رئاستها وهو غائب عن ذلك الاجتماع .

(٥) ن . م . ص . ن . ص

فيه انه عاطفي ساذج وهذا ما يزيد في الطين بلة . واخفاء الداء يزيد
تمكناً وانتشاراً دون شك .

لان جوهر التغيير الاجتماعي أو الاصلاح النفسي والخلقي ، يقوم
على أساس النقد . والحركة الاصلاحية في الجزائر قامت على الصراع
بين ظاهرتين : ظاهرة النقائص والعيوب التي تتمثل في الطريقة ، وظاهرة
الفضائل والاستعداد النفسي لتقبل الحقيقة^(١) ، وللتغيير الذي يوجد
في الشعب . ولا بد من وجود عامل من نوع عقلي تنظيمي ، يجعل
احدى الظاهرتين تغلب على الأخرى ، وفعلاً فإنه قام صراع بين
مخطط الاستعمار الذي يهدف الى تغليب ظاهرة الخمود ، وبين المنظمات
الاصلاحية التي تبذل جهودها للقضاء على هذه الظاهرة ويجاد نوع
من الحركة الاجتماعية التي تهدم الفاسد وتنمي الصالح ، وهكذا يقوم
في داخل المجتمع نوع من الجدل بين السكون والحركة ، ولكن المهم
في المشكلة هو أنه اذا وجدت الحركة فكيف نعمل على ضمان استمرارها
من ناحية وما هي الشروط اللازم توفرها لتصيب الهدف من جهة أخرى؟

— ٤ —

ان المحاولات التي سبقت الشيخ ابن باديس كلها جزئية فردية غير
شاملة للوطن كله كما أشرنا من قبل ، وتاريخ الثورات في الجزائر كان
على هذا النحو حتى جاءت ثورة نوفمبر ١٩٥٤ فعمت ، والثورة الفكرية
انما حاولت أن تكتسب الصبغة العامة في عهد ابن باديس ، ففترته فترة
ذهبية خصبة من فترات الصراع الفكري ، والعمل على تغيير المجتمع
في تاريخ الجزائر المعاصر ، فابن باديس هو الذي ادخل الجزائر في حركة
النهضة الاسلامية العامة .

(١) هذه الفكرة سجلتها في الندوة التي يعقدها الاستاذ في محله
مساء السبت من كل اسبوع بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٦ بالجزائر .

ابن باديس

ألقينا بعض الأضواء على العناصر الأساسية للحياة العقلية والاجتماعية في الفترة السابقة لعهد ابن باديس وأشرنا إليها أيضاً في عهده ، ومن ثم فإن تلك اللحظات التاريخية كانت تنتظر شخصية كشخصية ابن باديس تقوم بدور ثوري ، يعبر عما يختلج في النفوس من قلق وأمل ، ويضيء الطريق أمام الحائرين ، ويجمع الشتات ، ويوجه الطاقات ، ويحيي الشخصية الاسلامية التي أتاها البلاء من كل مكان ، وأصابها القرع ، وتكالت عليها ذئاب الغرب ، وهكذا جاءت الأيام بالمولود الجديد ، منقذ الأمة وقائدها لصنع مصيرها ، وخلق تاريخها .

ترجمته :

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس في سنة ١٣٠٨ هـ (ديسمبر ١٨٨٩)^(١) فكان الولد البكر لأبويه ، وأسرتهم أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، وكانت منذ القدم ذات نفوذ ، ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الاسلامي ، ونبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري والمعز بن باديس^(٢) الذي كان يفتخر به الشيخ عبد الحميد ولا عجب في ذلك فهو بمثابة خليفة له في مقاومة البدع والضلال اذ كان جده يناضل الاسماعيلية الباطنية ، وبدع الشيعة في افريقية ، ومن أسلافه المتأخرين

(١) ورد في الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٦٠ انه ولد في سنة ١٣٠٥ - ١٨٨٧ وهو غير صحيح وهذا نفسه ورد في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٥ ص ١٠٥ .

(٢) لقبه المعز لدين الله بابي الفتوح ، وسيف العزيز بالله وسماه يوسف توفي في ٢١ ذي الحجة سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٤ م) وكانت ولايته من سنة ٣٦٢ - ٣٧٣ هـ (٩٧٢ - ٩٨٤) .

آثار ابن باديس

قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس احميده بن باديس ومكي بن باديس
القاضي بها أيضاً .

وأمه من أسرة مشهورة في قسنطينة كذلك هي أسرة « عبد الجليل »
تدعى « زهيرة » بن جلول (لقب) بنت علي بن جلول . وأبوه عضو
في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس العام^(١) كما هو عضو في المجلس



منزل الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ويقع في زنقة
جورج كستن رقم ٨ ، بنهج السادس والعشرين
دولينيو - قسنطينة

(١) ٤٠٦ - ٤٥٣ أو ٤٥٤ هـ واستقبل بالامر سنة ٤١٧ هـ .

العمالي . وعرف دائماً بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطينية^(١) وأسرته كانت تنتمي الى الطريقة القادرية .

حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي ، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره ، ومن شدة اعجاب المؤدب بذكائه وسيرته الطيبة قدّمه ليصلّي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير^(٢) وفي سنة ١٩٠٣ دخل الشاب في طور جديد من أطوار دراسته فخير والده بين أن يسلك طريق أجداده أو طريقاً آخر ، فاختر طريق سلفه وهو طريق العلم والجهاد فانتخب له أبوه أحد الشيوخ الصالحين من ذوي المعارف الاسلامية والعربية وهو الشيخ أحمد ابو حمدان لونيبي الذي كان متمياً الى الطريقة التيجانية سالكاً منهجها فأخذ يعلمه بجامع سيدي محمد النجار^(٣) مبادئ العربية والمعارف الاسلامية ويوجهه وجهة علمية أخلاقية . وكان ابن باديس يعترف له بالفضل ، وبما كان له من تأثير في نفسه ، ثم هاجر حمدان لونيبي الى المدينة المنورة متبرماً من الاستعمار الفرنسي ، وسلطته ، مجاوراً ، بها ، مدرساً للحديث الى أن توفاه الله . وحين عزم على الهجرة تعلق لدى السلطات الاستعمارية بأنه يسافر لمعالجة بصره ، ورجب ابن باديس أن يسافر معه ولكن أباه منعه وصرفه عن ذلك .

وحين بلغ الخامسة عشر من عمره (١٩٠٤) تزوجه والده وانجب ولداً اسماه عبده اسماعيل توفي وعمره سبعة عشر

(١) Conseil supérieur de l'Algérie et Conseil général, voir La Naissance du Nationalisme Algérien., Par André Nouchi, P. 64.

(٢) ن . م . ن . ص .

مجلة أفريقييا الشمالية (نشأة ابن باديس لمحمد الصالح رمضان العدد ٤ السنة الأولى ماي ١٩٤٩ ص ٤٣) .

(٣) واقع بجنب جامع سيدي عبد المؤمن بقسنطينة .

عاماً^(١) وهذا الاسم له دلالة ، لأن هذا الابن ولد تقريباً في السنة التي توفي فيها محمد عبده ، أو في التي بعدها ، والشيخ محمد عبده زار الجزائر العاصمة ومدينة قسنطينة سنة ١٩٠٣ وعمر ابن باديس أربعة عشر عاماً فمن الممكن أن يكون قد اتصل به أو سمع عنه ، ولا سيما اذا أخذنا في الاعتبار تردد ابن باديس الشاب على الجامع الكبير ، وامامته بالناس في صلاة التراويح ، وهو المسجد الذي زاره محمد عبده في قسنطينة .

ثم جاء دور الرحلة في حياة الشاب فسافر الى مدينة تونس في سنة ١٩٠٨ وسنه اذ ذلك تسعة عشر عاماً وانتسب الى جامع الزيتونة ، وعرف في دراسته بالجد والنشاط ، فأخذ يتلقى الثقافة الاسلامية العربية ، ويأخذ عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال العلامة المفكر الصدر محمد النخلي القيرواني المتوفى في رجب سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) وكان قد قرظ الرسالة التي ألفها عبد الحميد بن باديس في الرد على بن عليوة الصوفي^(٢) والشيخ محمد الطاهر بن عاشور^(٣) الذي كان له تأثير

(١) مدفون بجوار ابيه توفي في ١٥ رمضان ١٣٣٧ هـ كما هو مكتوب على قبره .

(٢) اسم الرسالة : جواب سؤال عن سوء مقال اتم تأليفها في ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٤٠ بها ٢٠ ص طبعت بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة دون تاريخ . تقریظ النخلي يوجد في ص ٢١ وهو أول تقریظ ورد اليه مؤرخ ب ٥ صفر سنة ١٣٣٤ هـ .

(٣) ولد بتونس سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) تولى منصب قاضي القضاة سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣١ م) ومشيخة الجامع الاعظم فرغ من شأن الجامعة الزيتونية وأقام بها نهضة علمية استفادت منها كثير من البلدان الافريقية وهو عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وبالمجمع العلمي بدمشق انظر كتابه : اصول النظام الاجتماعي في الاسلام المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية سنة ١٩٦٤ طي الفلاف الداخلي له كثير من المؤلفات والدراسات العربية والاسلامية .

كبير في تكوين عبد الحميد بن باديس اللغوي وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز به .

وقرظ بدوره رسالته المذكورة^(١) ومن أساتذته الشيخ الخضر بن الحسين الجزائري الأصل^(٢) الذي درس بجامعة الزيتونة وحضر عليه عبد الحميد دروساً في المنطق من كتاب « التهذيب » للسعد بجامع الزيتونة ، كما أخذ عنه دروساً في التفسير في أوائل كتاب البيضاوي بدار الاستاذ : شارع باب منارة تونس^(٣) ومنهم أبو محمد بلحسن ابن الشيخ المفتي محمد النجار الذي تولى الافتاء سنة ١٣٤٢ هـ^(٤) وهو من بين الذين قرظوا رسالته أيضاً ، ومنهم محمد الصادق النيفر وسعد العياض السطايفي المصلح المجدد ، ومحمد بن القاضي ، والبشير صفر المؤرخ المجدد ، وغيرهم كثير . وتخرج بشهادة التطويح في سنة ١٩١١ — ١٩١٢ وعمره ثلاث وعشرون سنة وعلم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت . ولا شك فان البيئة الثقافية والاجتماعية التي احتك بها ، والعلاقات التي كانت له مع بعض العلماء أثرت في تكوينه وشخصيته ، واتجاهه العقلي ، وأكثر ما كان اتصاله قوياً وعميقاً ومؤثراً انما كان بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، والشيخ محمد النخلي ، اللذين يعتبران زعميي النهضة الفكرية والعلمية والاصلاحية في الحاضرة التونسية لانهما كانا من أنصار أفكار جمال الدين ومحمد عبده الاصلاحية ، ويذكر لنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ، أن الشيوخ الجامدين كانوا ينفرونه من الاتصال بهما ، وبقي

(١) انظر الرسالة ص ٢٣ وهي ضمن الجزء الثاني من هذا الكتاب في قسم « الاصلاح والثورة ضد البدع » .

(٢) أصله من طولقة جنوب الجزائر بعد مدينة بسكرة .

(٣) انظر مقال « اولو الامر » لعبد الحميد ج ٨ م ١٥ ص ٢ .

(٤) شجرة النور الزكية ص ٤٢٩ .

بعيداً عنهما تحت تأثير التقليد الى أن أتاحت فرصة الاتصال بمحمد الطاهر بن عاشور أولاً ، ثم مهتد له فتعرف على محمد النخلي وتأثر به ، وذلك في الفترة الأخيرة من دراسته العليا (١) .

عوامل تكون شخصيته :

ما تقدم تبين لنا العناصر الأساسية التي أدت الى تكوين شخصية عبد الحميد بن باديس وقد أكد لنا في كلمة قالها بمناسبة ختمه القرآن (٢) هذه العوامل :

العامل الأول في تكوينه من الناحية العملية والعلمية وتوجيهه ذلك التوجيه يعود الى أسرته ، وخصوصاً أباه الذي رباه ووجهه وجهة أخلاقية وعلمية وحماه من المكاره صغيراً وكبيراً على حدّ تعبيره ، وكان أبوه من ذوي الفضل والخلق الاسلامي ومن حملة القرآن الكريم ولا يخفى ما لتأثير الأسرة في شخصية الطفل من أهمية بالغة .

والعامل الثاني يرجع الى بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيوخ الذين نشأوا استعداداه وتعهدهه بالتوجيه والتكوين ، وابن باديس يطيب له أن يذكر لنا فضل أساتذته عليه ، في تخطيط مناهج العمل في الحياة قال : « وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البالغ في تربيتي وفي حياتي العملية . . . حمدان لونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها ، وثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامعة الزيتونة المعمور رحمهما الله (٣) .

(١) اتصل بالشيخ الطاهر بن عاشور مدة ثلاث سنوات وبالشيخ محمد النخلي مدة سنتين دراسة عليهما .

(٢) يجدها القارىء في آخر تفسيره بهذا الكتاب ج ١ .

(٣) ج ٤ م ١٤ ص ٢٨٨ - ٢٩١ غرة جمادى الاولى - وربيع الثاني ١٣٥٧ هـ جوان - جويلية ١٩٣٨ والنص قد أشرنا الى موضع وجوده آنفاً في هذا السفر .

وله مع كل من هذين المرابين واقعة هي التي جعلته يتجه اتجاهها معينا سواء من الناحية العملية أو النظرية وهذا حديثه عن تينك الواقعتين قال :

« واني لأذكر للأول (حمدان لونيبي) وصية أوصاني بها ، وعهداً عهد به اليّ . وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله ، فأجدني مديناً لهذا الرجل بمنتهى لا يقوم بها الشكر ، فقد أوصاني وشدد عليّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ، ولا أتخذ علمي مطية لها ، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت . وأذكر للثاني (محمد النخلي) كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية ، وذلك أنني كنت متبرماً بأساليب المفسرين وادخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن ، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله فذاكرت يوماً الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي : « اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة ، وهذه الاقوال المختلفة ، وهذه الآراء المضطربة ، يسقط الساقط ويبقى الصحيح ، وتستريح . . فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقاً واسعة لا عهد له بها »^(١) فهذا النص في غاية الأهمية من حيث دلالاته على مدى تأثيره في تكوينه بهذين الأستاذين ، ومن الأساتذة الذين أثروا فيه وكوّنوا جانباً من أهم جوانبه ، وهو جانب الأدب وتذوق الآثار الفنية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور زميل الأستاذ النخلي في نسبتها الى البدعة والضلال اللذين كانا يوصفان بهما لأنهما يناضلان عن آراء محمد عبده وينشرانها في صفوف طلابهم ، يقول ابن باديس « وان أنس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور

وكانت أول ما قرأت عليه فقد حببتي في الأدب والتفقه في كلام العرب
وبثت في روحاً جديداً في فهم المنظوم والمنثور ، وأحيت مني الشعور
بعزّة العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالاسلام » (١) .

ولم ينس الشيخ عبد الحميد رحمه الله أن يبين لنا عاملاً آخر من
أهم العوامل وهو الشعب الجزائري ، وما ينطوي عليه من أصول
الكمال ، واستعدادات عظيمة للخير ، وهو ما عمل على تسميته والنضال
من أجل تغليب على جوانب النقص وعوامل السكون ، كما سبق أن
لوحنا الى ذلك . ويصف الأمة الجزائرية بأنها أمة معاونة على الخير
منطوية على استعدادات الكمال وأنها ذات نسب عريق في المحامد
والفضائل (٢) ثم يبين عاملاً آخر وهم زملاؤه من العلماء الافاضل
الذين ساعدوه منذ فجر النهضة وشدوا ساعده فوری بهم زناده ، وسطع
نجمه أمثال الشهيد الشيخ العربي التبسي (٣) والشيخ البشير
الابراهيمي (٤) والشيخ العقبي في أول أمره والشيخ مبارك المليي وغيرهم .

والعامل الأخير الذي يفوق جميع العوامل الأخرى والذي كرّس
له ربع قرن من حياته ، هو القرآن الكريم الذي صاغ نفسه ، وهزّ
كيانه ، واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته ، وترسم
خطاه في دعوته ، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده ، ويتأمله فيعبث
منه ويستمدّ علاج أمراض القلوب ، وأدواء النفوس ، وبذيب نفسه ،

(١) البصائر السنة الاولى العدد ١٦ الجزائر الجمعة ٢ صفر
١٣٥٥ - ٢٤ افريل ١٩٣٦ .

(٢) ن . م .

(٣) اختطفه المستعمرون الفرنسيون في مارس ١٩٥٧ أثناء الثورة
وغاب عن الوجود من ذلك التاريخ رحمه الله .

(٤) توفي في ١٩ ماي ١٩٦٥ م .

ويبذل جسمه الهزيل في سبيل ارجاع الامة الجزائرية الى الحقيقة القرآنية ومنبع الهداية الاخلاقية والنهوض الحضاري . وكان همه ان يكون رجالاً قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الأمة ، ولذلك فانه جعل القرآن قاعدة أساسية تركز عليها تربيته وتعليمه للجيل قال : « فاننا — والحمد لله — نربّي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ، ونوجّه نفوسهم الى القرآن في كل يوم . . . » (١) .

ولما رجع الشيخ من تونس عاد شعلة من الحماسة وشهاباً واريماً من الدين ، فقصده الجامع الكبير وأخذ في القاء الدروس وابتدأ بتدريس كتاب الشفاء للقاضي عياض ، ولكن المكائد حيكّت له ، فعمل أعداؤه على اقلاقه ومنعه واطفأوا عليه الضوء وهو في الدرس فقرر السفر للحج الى بيت الله الحرام ولللقاء شيخه حمدان لويسي ، فاستأذن أباه وسافر وأتيح له أن يتصل في رحلته هذه بأطراف من العالم الاسلامي في المشرق وبجماعة من المفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم الاسلامي . ومن الأعمال التي سجلها في الاراضي المقدسة أنه قام بالقاء درس في الحرم النبوي على مشهد كثير من المسلمين وبحضور شيخه حمدان لويسي ، وعند رجوعه من مهبط الوحي ، سلم له حمدان لويسي رسالة الى الشيخ بخيت (٢) العالم الأزهري المصري زميل الشيخ محمد عبده والمدافع عنه ، فاتصل به في منزله بجلوان ، ولما بين له أنه مرسل من طرف أستاذه قال له معظماً اياه : « ذاك رجل عظيم ! » وحينما توفي ترجم له

(١) ن . م .

(٢) ولد بقرية المطايعة بمحافظة أسيوط بعد أن حفظ القرآن أرسل الى الأزهر سنة ١٢٨٢ هـ فدرس الفقه الحنفي والفلسفة على الشيخ حسن الطويل وعلى جمال الدين الافقاني ، نال شهادة العالمية سنة ١٢٩٢ وتقلب في مناصب كثيرة الى أن عين مفتياً للديار المصرية في ٣١ ديسمبر ١٩١٤ له مكتبة عظيمة (٨٠٠٠ مجلد) توفي في سنة ١٩٣٥ .

عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب^(١) وكان قد أجازته . ومرّ كذلك على الشام (دمشق ولبنان) وهكذا فإن ابن باديس أتم دراسته بالرحلة في البلاد الاسلامية ومحاضرة العلماء وهو ما يعتبر من شروط العالم المتمكن من التقاليد العلمية ، والمناهج التربوية الاسلامية ، وبالطبع فإن هذه الرحلة أطلعت على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وفيها خبر أحوال الناس مما وسع أفقه وبصّره بطريق الخلاص والثورة الفكرية التي تعتمد على التربية في تكوين القادة من النخبة أو الصفوة المبدعة .

ولما نزل قسنطينة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣) شرع في العمل التربوي^(٢) وأخذ يعلم صغار الصبيان الذين يقرأون القرآن في الكتابيب وخصوصاً كتاب سيدي فتح الله .

وحوالي سنة ١٩٢٢ م تبلورت في الأوساط الاصلاحية فكرتان تختلفان في المنهج ، وتتفقان في الهدف ، الفكرة الأولى ترى أن السبيل هو توجيه الطاقات والجهود نحو ناحية التربية والتعليم وتكوين نخبة من الدعاة مدربة على مناهج الدعوة ، مسلحة بالعلم والمعرفة ، مطلعة على أصول الدين وعقائده ، وكان من أصحاب هذه الفكرة في ذلك الوقت الشيخ البشير الابراهيمي^(٣) وكان الرأي الثاني يقوم على أساس

(١) ش : ج ١١ م ١١ ص ٦٠٦ - ٦٠٧ غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ - فيفري ١٩٣٦ م .

(٢) قمت بمحاضرة عالجت فيها عمله التربوي بقاعة المحاضرات الجامعية في ١٦ افريل ١٩٦٦ بالجزائر .

(٣) مقال للشيخ البشير الابراهيمي في « سجل مؤتمر جمعية العلماء قسنطينة (١٩٣٥) » ص ٤٣ رجع الابراهيمي الى الجزائر من الحجاز حوالي ١٩٢٠ بعد ما مكث فيه سنوات فدرس في المدينة المنورة على الشيخ حسين أحمد الفيض آبادي الهندي صحيح مسلم ودرس

ثوري عنيف يزلزل سلطان البدع المستحكمة ، ويهدم العادات المتمكنة ، وهذا الرأي يمثلها الشيخ عبد الحميد بن باديس ونخبة من الشبان وهكذا رجح الرأي الثاني ودخل في مرحلة التطبيق العملي ، فأسس عبد الحميد جريدة « المنتقد » التي يبين اسمها عن معنى النقد الذي كانت تخشاه أرباب الطريقة وتقاومه في مناهج تربيتها للمريدين وللجمهور بتلك العبارة المعروفة « اعتقد ولا تنتقد » وأول مقال في الصفحة الأولى عنوانه : خطتنا : مبادئنا وغايتنا وشعارنا « افتتح بهذه العبارة » : « باسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بمعظمة المسؤولية التي تتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن اليها ساعون ، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون ٠٠٠ » (١) .

ثم تأتي ثلاثة عناوين أخرى :

- ١ - مبدؤنا السياسي .
- ٢ - مبدؤنا التهذيبي .
- ٣ - مبدؤنا الاتقادي .

ومما جاء في مبدأ النقد أنه لا يتعرض للأشخاص ، فيما يختص بأحوالهم الشخصية وإنما يتوجه الى سلوكهم ، الذي يمس شؤون الأمة وعداد من يتعرض للنقد ، وبين أصنافه من الطبقات الاجتماعية فقال : « فننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من

→ على الشيخ الوزير التونسي كتاب الموطأ للإمام مالك كما درس في مصر لمدة ثلاثة أشهر وجالس العلماء والأدباء والشعراء أمثال الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ يوسف الدجوي ، والشيخ سليم البشري وحافظ ابراهيم وأحمد شوقي . . . انظر مقال « محمد البشير الابراهيمي في ذمة الله » في المجلة : سجل الثقافة الرفيعة ، السنة التاسعة العدد ١٠٦ أكتوبر ١٩٦٥ ص ٩٤ .

(١) المنتقد العدد الاول ص ١ .

يتولى شأنًا عامًا من أكبر كبير الى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين ، وناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين ، ونصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه ، والتنديد بظلمه كائنًا من كان ، لأننا ننظر من الناس الى أعمالهم ، لا الى أقدارهم ، فاذا قمنا بالواجب فلأشخاصهم منّا كل احترام»^(١) والتزم صاحب المقال بأن يكون النقد هادفًا الى الحقيقة المجردة ، صادقا ، مخلصاً ، نزيهاً وبأن يكون الكلام الذي يؤديه نظيفاً .

وشعار هذه الجريدة شعار جرىء خصوصاً في تلك الفترة العسيرة التي أبغض ما كان فيها للاستعمار الفرنسي كلمة « الحق » وكلمة « الوطن » وهما الكلمتان الأساسيتان في الشعار : « الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء » والحقيقة ان صدور مثل هذه الصحيفة في مثل تلك اللهجة الصريحة الصادقة العنيفة لتعتبر مغامرة في ذلك العهد القاسي المظلم . والطريف أنه مهّد لهذا الشعار بعبارة غير رسمية عنده وهي : « سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية » وجاء بعدها مباشرة ما يلي : « صارخين دائماً بشعارنا الرسمي » ثم ذكر الشعار المتقدم فالعبارات دقيقة في هذا المقال دقة متناهية . ولما كان هذا العدد صادراً في وقت كانت فيه الثورة الريفية التي قام بها الامير عبد الكريم الخطابي على قدم وساق فاننا وجدنا كلمة في الصفحة الثانية تحت عنوان : « الحرب الريفية » ومما جاء فيها : « وهو (عبد الكريم) في الحقيقة صاحب الحق الشرعي ، في أرض الريف »^(٢) ، وكتب الشيخ محمد النجار الحركاتي مقالا^(٣) في الصفحة الثانية تحت عنوان « حسن التعليم على أساس كل تقدم »^(٤) كما نقل فيه مقالا^(٥) لمنصور فهمي المصري

(١) ن . م . ن . ص .

(٢) ن . م . ن . ص ٢ ع ٢ .

(٣) ن . م . ن . ص ٠ ع ٠ ع .

عنوانه « الكرامة »^(١) وبه قصيدة بعنوان : « حديث الأدب وروضة الشعر ، من المنتقد الى الشعب المقدس » مطلعها :

أتيتك بالبشرى تهيا لاقبال وكبر على التشريق تكبير اجلال

بامضاء : « شاعر المنتقد »^(٢) ويحمل هذا العدد اعلاناً بانشاء مطبعة جزائرية اسلامية للشعب الجزائري وأن المؤسس لها نخبة من الشبيبة الجزائرية لنشر العلم والعربية وفن الطباعة بين أبناء الوطن^(٣) ولكن « المنتقد » لسان الفكر الثوري المعبر عن ارادة التغيير ، لم يلبث أن توقف^(٤) ومنعته الحكومة الفرنسية . ومن الاتفاقات الغريبة أنه صدر بعد ثمانية عشر عدداً منه كما وقع ذلك للعروة الوثقى التي صدرت بعد صدور ثمانية عشر عدداً أيضاً . والواقع أن الجريدتين تشابهان في اللهجة الثورية ، وتوجيه النقد للأوضاع الاجتماعية والسياسية ويصدران عن روح واحدة وارادة قوية ، وحماسة يقظة تؤدي رسالة اليقظة والوعي ، ولا نستطيع أن نقارن بينهما مقارنة كاملة لأننا لا نملك جميع أعداد « المنتقد » ولم نطلع الا على بعضها . ولم تتوقف الحركة باستشهاد « المنتقد » بل استمرت وأصدر الشيخ جريدة « الشهاب » التي تعتبر خلفاً له ، وجاء في العدد الواحد والثلاثين^(٥) مقال للشيخ الشهيد العربي التبسي عنوانه : « أرفت

(١) ن . م . ص ٣ ع ١ و ٢ و ٣ .

(٢) وهو الشاعر العربي الاصيل الهادي السنوسي الزاهري نظمها بطلب من الشيخ عبد الحميد بين فيها برنامج المنتقد ومنهجه .

(٣) ن . م . ص ٤ ومديرها ابن القشي خليل بن محمد وشعارها النظام والاتقان .

(٤) يبدو انه توقف في شهر نوفمبر ١٩٢٥ .

(٥) بتاريخ الخميس ٦ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ - ١٧ جوان ١٩٢٦ م .

ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد» وذكر فيه أنه آخر الأعداد للسنة الأولى منه وأنه «والمنتقد» (صنوان أنشأ على مبدأ واحد، ولغاية واحدة، قضت طوارق الزمن على أحدهما فخلفه الآخر)^(١) وفي العدد ٧٥ منه مقدمة للتفسير الذي كتبه المرحوم عمر راسم الصنهاجي يوم كان في السجن سنة ١٩١٦^(٢) وفي العدد ١٢٨ مسابقة في كتابة مقال في موضوع «كيف يكون اصلاحنا»، دعا اليها الكاتب السيد شلابي عبد القادر من مدينة تلمسان وكانت الجائزة المخصصة للفائز مبلغ مائتي ألف فرنك (٢٠٠٠٠٠ ف) أو (٢٠٠٠٠ د) ونال الجائزة كاتب اسمه (ابن آدم) من أبناء حواء بلا شك!!^(٣) ونشر هذا المقال الذي نال الجائزة بالعدد الموالي^(٤) وبالعدد الأربعين مقال عن الوهابية^(٥) وفي العدد ١٦٤^(٦) مقال عنوانه: «الدعوة الاصلاحية هنا وهناك» يتحدث فيه صاحبه عن الدعوة الوهابية وثقل فيه أيضاً مقال عن مجلة المنار، ورسالة عبد الوهاب النجدي الى عبد الله الصنعاني • وبصفة عامة فان «الشهاب» ومن قبله «المنتقد» يمثلان لسان الشباب الناهض بالوطن الجزائري واستمر «الشهاب» في صورة جريدة الى غاية رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري ١٩٢٩ م وفي هذه السنة تحول الى مجلة شهرية علمية تبحث في كل ما من شأنه أن «يرقي المسلم الجزائري» ومبدؤها في الاصلاح

(١) ص ٢٤٥ .

(٢) ص ٧ .

(٣) صدر العدد ١٢٨ في ٥ رجب ١٣٤٦ هـ - ٢٩ ديسمبر ١٩٢٧ م .

(٤) عدد ١٢٩ صدر في ١٢ رجب ١٣٤٦ هـ - ٥ جانفي ١٩٢٨ م .

(٥) صدر العدد ٤ الخميس ١٢ محرم ١٣٤٥ - ٢٢ جويلية ١٩٢٦

والمقال المذكور في ص ٢ ، ع ، ٣٢ .

(٦) صدر في ٦ ربيع الثاني ١٣٤٧ هـ ٢٠ سبتمبر ١٩٢٨ م

الديني والديوي هو : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) (١) و : (الحق والعدل والمؤاخاة في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) وكتب هذا على غلاف المجلة ، كما كتب على أركانها الأربعة أربع كلمات : (الحرية ، العدالة ، الأخوة ، السلام) ، وكتب في أعلى الصفحة الأولى آيتان قرآنتان هما :
 « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢) و « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (٣) .

ورد في أول مقال له (تستطيع الظروف تكييفنا ولا تستطيع باذن الله اتلافنا) ونلاحظ أن هناك مبدأ من هذه المبادئ طرأ عليه تغيير وتطور بسبب المؤتمر الاسلامي الجزائري ، والياس من وعود فرنسا والجهة الشعبية بصفة خاصة وهو « الحق والعدل والمؤاخاة في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » فأصبح مكانه شعار آخر يؤمن بأن الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ غالباً : « لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله (٤) وكان هذا التغيير في سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م (٥) وصمدت المجلة تؤدي رسالتها مصدرة في الغالب بتفسير آيات من

(١) قول ينسب الى الامام مالك انظر كتابه الموطا .

(٢) ١٠٨/١٢ يوسف .

(٣) ١٢٥/١٦ النحل . انظر مثلاً ج ١١ م ٦ .

(٤) جاء في ج ٩ م ١٣ ص ٤٠٦ (فإزاء هذا رأينا أن من الواجب علينا أن نعلن لشعبنا أن لا نعتد الا على أنفسنا ونتكل على الله) .

(٥) انظر ج ٨ م ١٣ .

القرآن الكريم ، وبشرح بعض الأحاديث الى آخر عدد منها الصادر في شعبان ١٣٥٨ هـ سبتمبر ١٩٣٩ م (١) .

وخلال هذه المدة التي كانت تصدر فيها مجلة « الشهاب » كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (٢) تقوم بنشاط صحفي، يتمثل في جرائد أسبوعية فتأسست صحيفة : « السنة » في يوم الاثنين ٨ ذي الحجة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) ثم منعتها الحكومة الفرنسية ، وآخر عدد منها صدر في ١٠ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ - ٣ جويلية ١٩٣٣ م فخلقتها جريدة « الشريعة » بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ - ١٧ جويلية ١٩٣٣ م ولم تلبث أن صودرت وصدر آخر عدد منها في ٧ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ - ٢٨ أوت ١٩٣٣ م وخلقتها صحيفة أخرى سميت بـ : « الصراط » الصادرة بتاريخ يوم الاثنين ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ - ١١ سبتمبر ١٩٣٣ م فأصابها بعد مدة ما أصاب أخواتها من قبل ، فلقيت حتفها . وصدر العدد الأخير منها في ٢٢ رمضان ١٣٥٢ هـ - جانفي ١٩٣٤ م وبعد هذا أسست جمعية العلماء جريدة أخرى تسمى : « البصائر » وصدر أول أعدادها في يوم الجمعة ١ شوال ١٣٥٤ هـ - ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ م ثم انقطعت سلسلتها الأولى عند اقتراب الحرب العالمية الثانية وظهرت سلسلة ثانية بتاريخ يوم الجمعة ٧ رمضان ١٣٦٦ هـ - ٢٥ جويلية ١٩٤٧ م (٣) واستمرت الى أن توقفت أثناء الثورة الكبرى ثورة أول

(١) لم نعثر منه الا على الملزمة الاولى اثناء زيارتنا لقسنطينة سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م ويبدو انه لم يطبع من العدد الاخير الا ملزمة واحدة ولم تكن مجلة الشهاب تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

(٢) تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ٥ ماي ١٩٣٢ برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس .

(٣) بالعدد الاول مقال للاستاذ الابراهيمي عنوانه « استهلال » وقصيدة للشيخ احمد بن سحنون بعنوان : « البصائر تتكلم » مطلعها :



نوفمبر سنة ١٩٥٤ م وذلك في ٦ افريل سنة ١٩٥٦ م . ومن هنا تبين لنا حقيقة من الضروري أن نصرح بها وهي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس يجمع بين النهضة الثقافية الاجتماعية ، وبين النهضة السياسية ، بين التربية الاسلامية وبين الصحافة ، وما يؤكد لنا هذه الحقيقة أنه صرح في محاضرة ألقاها في تونس في ذكرى البشير صفر فقال : « لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بحق » (١) .

فاتخذ النشاط الصحفي وسيلة للسياسة وللتهديب ، كما اتخذ المؤسسات التربوية للتعليم والتربية ، وتكوين القادة ، وبث الوعي ، والواقع اننا لا نستطيع أن نفصل بين نشاطه العلمي والسياسي فهما متداخلان متكاملان في نظره وعمله .

وفكرة المؤتمر الاسلامي الجزائري هو الذي دعا اليها واقترحها وبثها على صفحات جريدة « الدفاع » La Défense التي كان يصدرها الأمين العمودي باللغة الفرنسية^(٢) وفي أوائل سنة ١٩٤٠ م قبل وفاته كان قد صرح في اجتماع خاص مقسماً فقال : (والله لو وجدت عشرة



طال صمتي تحت اعباء ثقال وعود اخرست كل مقال
ويلاحظ انه حذف الآية التي كانت في السلسلة الاولى شعاراً لها وهي :
(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) ٦/١٠٤ (الانعام) وحذفها كان في اواخر السلسلة الاولى .
(١) انظر البصائر ع ٧١ من السنة الثانية من السلسلة الاولى الصادر في ٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ - ١٨ جوان ١٩٣٧ م ص ٤ .

(٢) جريدة الدفاع La Défense العدد الثاني جانفي ١٩٣٦ انظر مقال (مع عبد الحميد بن باديس في ذكراه للاستاذ حمزة بوكوشة في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة الاوقاف الجزائرية العدد ١٠ ذو الحجة ١٣٨٣ افريل ١٩٦٤ ص ١٨ ثم تغير اسم هذه المجلة واصبحت تسمى « القبس » صدر العدد الاول منها في ذي القعدة ١٣٨٥ و مارس ١٩٦٦ م

من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقونني على اعلان الثورة لأعلنتها (١) وكان يرمي من وراء ثورته وعمله الى تحقيق الاستقلال فبمناسبة رجوع رئيس حزب الشعب « مصالي » من باريس واعلانه طلب الاستقلال التام سنة ١٩٣٦ م كان جماعة من أنصار حركته جالسين معه فقال : (وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف ، وما غايتنا من عملنا الا تحقيق الاستقلال) (٢) وحينما حمي وطيس الحرب العالمية الثانية اجتمع به جماعة من أنصار حركته ومريديه فقال : « عاهدوني » . فلما أعطي له العهد بالمصافحة قال : « اني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها ايطاليا الحرب » (٣) وروى تلميذ آخر من تلامذته أنه كان يريد الخروج على فرنسا الى جبال أوراس ليعلمها ثورة على فرنسا لو وجد رجالاً يساعده (٤) وأكثر من ذلك فانه أعلن رأيه في الاستقلال وتنبأ به في ردّه على أحد « الزعماء » الذين تنكروا لوجود الأمة الجزائرية والوطن الجزائري وتاريخه ، واختاروا لأنفسهم الوطنية الفرنسية واتحدوا مع الوجود الفرنسي ، ولم يتحرّج ولم يخش الحديث عن الاستقلال فقال : « ان الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم ، والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ، ويقولون ان حالة الجزائر

(١) في سهرة في بيته بمبنى جمعية التربية والتعليم الاسلامية بحضور الاستاذ علي مرحوم وعبد الحفيظ جنان .

(٢) روى هذه الكلمة الاستاذ المعاصر للحركة : علي مرحوم .

(٣) اجتمع به الاستاذ محمد الصادق الجندلي امام ووكيل ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر والشيخ حمزة بوكوشة انظر مقال الاخير في المعرفة المصدر السابق ذكره .

(٤) قال ذلك في محاضرة بمناسبة ذكرى الشيخ عبد الحميد بن باديس (٢٥) بقاعة ابن خلدون سنة ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م والمحاضر هو الشيخ أحمد حماني .

الحاضرة ستدوم الى الأبد ، فكلما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلباً مع التاريخ ، وليس من العسير بل انه من الممكن ، ان يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي ، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسماً ، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحرّ على الحر» (١) .

والواقع ان هذا المقال الذي عنوانه : « حول كلمتنا الصريحة » بمثابة التراجع عن موقفه ازاء من أنكر الكيان الوطني ، والوجود الذاتي للشعب الجزائري ، في مقال له عنوانه : « كلمة صريحة » وهذه غلطة تاريخية سياسية تعود لأسباب نفسية وشخصية معينة ، ولتأثير الشيطان السياسي الذي يستغل طيبة الرجل وأخلاقه ، وتسامحه ، لأن المؤتمر قد قرب ، وحكم الأمة سيصدر ، وشهادة الشعب ستؤدى ولكن تمخضت الأيام بمؤتمر خيب الظن ، وأفسد المسعى ، وتنازل عن رئاسته من أجمعت عليه الأمة ، وألح عليه المؤتمرون فكان ما كان ، وهذه تضاف الى تلك والمعصوم من عصم الله .

- ٥ -

جوانب شخصية ابن باديس

ان شخصية الأستاذ عبد الحميد غنيّة ومعبرة عن أزمة المجتمع الاسلامي لا تماثلها الا شخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها ، وشمولها ، وجرأتها ، وتعبيرها عن جميع جوانب المشكلات الاجتماعية ، والأخلاقية ، والدينية ، والعلمية ، والسياسية التي يتخبط فيها العالم

(١) ش : ج ٣ ، م ١٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ - جوان ١٩٣٦ .

الاسلامي . فعبد الحميد بن باديس مفسر للقرآن تفسيراً سلفياً يراعي فيه مقتضيات العصر معتمداً على بيان القرآن للقرآن ، وبيان السنة له ، وعلى أصول البيان العربي وسننه ، والنفاذ الى لغة العرب وآدابها ، وقوانين النفس البشرية وسنن المجتمع الانساني ، وتطور التاريخ والأمم وهو محدث من الطراز العالي لا يستشهد الا بالأحاديث الصحيحة المسندة الى الصحاح الست ، الى البخاري أو مسلم أو الموطأ الذي اهتم به واعتبر منهجه في الاستدلال خير المناهج ، فدرسه وختمه كما ختم القرآن في ربع قرن . والظاهرة الواضحة في الحياة العلمية التي نهض بها هي : الناحية النقدية المنهجية التي تردت الفروع لأصولها ، والأصول لمستنداتها ، فأذهب ذلك الجوهر القائم الساكن المستسلم الذي يسمع فيه الطالب ويسلم معتمداً أن « سلمت تسلم » وأن « سلمت للرجال على كل حال » مبدأ لا ينبغي تحديه ، ولا تجاوزه ، وهو ما كان سائداً قبل حركته . وهو كاتب ذو سلاسة وعذوبة وسهولة ، وأسلوبه أسلوب سهل ممتنع لا يستعمل السجع ، ولا يتكلفه ، كيف لا ، وهو الدارس لكتاب الأمالي وديوان الحماسة ، وديوان المتنبي ، ومقدمة ابن خلدون ، والعواصم من القواصم ، ودلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، ومن قبل ذلك كله ، معجزة الأدب العربي ، وآية روعته : القرآن ، وجمال حديث صاحب جوامع الكلم ، وأفصح من نطق من بني يعرب ؟ وهو شاعر يفيض الشعر من قلبه ، وخطيب ينسيك سبحان وقس ، لا يتلثم ولا يتردد ، يستولي على النفوس ويملك العقول . وهو فقيه مطلع على مدارك المذاهب ، وخاصة مذهب الامام مالك ، جامع بين الأصول والفروع ، وبين المآخذ الكلية وجزئياتها ، يفتي ويربط الحوادث بأحكامها ، وهو مصلح ديني واجتماعي يحارب التقليد والبدع ، ويدعو للنهضة والحضارة ، وينفوس الحب وأصول الاخلاق التي هي جوهر المدنية . يقول : « أنا زارع محبة ولكن على أساس من العدل والانصاف

والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ، ومن أي دين كان ، فاعملوا للأخوة ولكن مع كل من يعمل للأخوة ، فبذلك تكون الأخوة صادقة» (١) . وهو صحفي قدير يقضي ليله في اعداد المقالات وقراءة الجرائد والمجلات العربية الآتية من جميع البلاد العربية والاسلامية ، والأجنبية المكتوبة باللغة الفرنسية (٢) ويعلق عليها ويرد ، ويناقش ويكتب في أصول السياسة الاسلامية . وهو مؤرخ يحلل الحضارة ، وينقد مقدمة ابن خلدون ، ويدرس آيات القرآن وما تنطوي عليه من الدعوة الى النظر في تجارب الأمم وتطورات الأحداث ، وما تخضع له من سنن وقوانين لا تبديل لها ولا تحويل ، وهو صوفي زاهد لا كمتصوفة أهل زمانه وزهادهم ، متأثر بالفزالي ويسمى كتابه « احياء علوم الدين » بكتاب الفقه النفسي وبأبي بكر بن العربي الذي نبه الى كتابه « العواصم من القواصم » شيخه اللامع محمد النخلي القيرواني فاستنسخه وحققه وطبعه . ويظهر تأثير أبي بكر بن العربي في كتابه « العقائد الاسلامية » الذي لم يسلك فيه مسلك الفلاسفة ولا منهج المتكلمين وانما نهج طريق القرآن في الاستدلال ، وأساليبه في الرد والحجاج ، ذلك المنهج الذي يتلاءم مع الفطرة الانسانية فتستجيب له وتطمئن اليه وتميل نحوه وتركن . يعتقد ان المدارك الانسانية التي تمتاز بقوة التحليل والتركيب هي التي تجعلها تتغلب على الطبيعة

(١) كلمات قالها في حفل اختتام تفسير القرآن للشباب الفني ولكشافة الرجاء ولجماعة التربية والتعليم الاسلامية في كلية الشعب بقسنطينة مساء الثلاثاء ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م انظر ج ٧ ص ٣٤٦ .

(٢) كان يطالع الصحافة الفرنسية روى الاستاذ محمد الصالح رمضان انه كان يشتري جريدة لاديبيش دي قسطنطين وقيدت عنه هذا في محاضرة القاها في نادي اتحاد الطلبة الجزائريين احياء لذكراه بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٨٥ - ١٦ افريل ١٩٦٦ ومع ذلك فانه لا يتحدث بها .



قبره مع صورتي السيدين مرازقة وعمار الطالبي ،
وهو يقع في حي الشهداء في الروضة الخاصة
بأسرته ، قرب مقبرة قسنطينة

وتسخرها ، وأن الظواهر الاجتماعية تخضع لمبدأ الأسباب والمسببات ،
وأنة لا ينبغي الوقوف عند مجرد المحسوسات ، قال : « وعلّمنا (الله)
ألا تنظر الى ظواهر الأمور دون بواطنها ، والى الجسمانيات الحسية
دون ما وراءها من معان عقلية ، بل نعبر من الظواهر الى البواطن وننظر
من المحسوس الى المعقول ، ونجعل من حواسنا خادمة لعقولنا ، ونجعل

المدخل

عقولنا هي المتصرفة الحاكمة بالنظر والتفكير (١) والجمع بين
المشاهدة والعقل هو المنهج العلمي التجريبي الذي قامت عليه الحضارة
الحديثة .

انه شخصية عجيبة ، مجدد للنفوس البالية وباعث للضامات الخاملة ،
والقلوب الهامدة ، باث للعلم ، محرك للعقول ، مرجع الثقة للناس ، زارع
بذور الثورة ، مشيع فكرة الحرية ، مبين المحجة البيضاء التي ليها
كنهارها ، فانكشفت به الغياهب الدكناء وانجابت الغيوم الكثيفة ،
والضباب العاتم من سماء الجزائر . واستمر يواصل النضال العلمي
والاجتماعي والسياسي يعلم ، ويرشد ويعظ ويحرر ويتنقل ويتعبد
ويتأمل ويحقق ، لا يهدأ له بال لا بالليل ولا بالنهار ، لم يشفق على



منظر لروضة أسرة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وهي
واقعة في حي الشهداء (قسنطينة)

(١) انظر تفسير آية ٢٥/٧ (الفرقان) انظر مجلة « التهذيب
الاسلامي » الصادرة بالجزائر محرم ١٣٨٥ هـ ماي ١٩٦٥ م السنة الاولى
العددان ٣ و ٤ مقال للمؤلف ص ١١ - ١٤ والعددان ٩ و ١٠ ص ٧٥ - ٨١

آثار ابن باديس

نفسه ولا على جسمه ، ولم يبال بصحته في سبيل مبدأ أعظم ، وأمة يسوءه حالها ، ويدمي نفسه احتلالها ويدفعه للبذل والسهر مآلها ، وآماله وآمالها ، أفنى ذاته في سبيل عقيدة ، وقضى من أجل رسالة ، فجاءه الأجل المحتوم وانتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء ٨ ربيع الاول ١٣٥٩ هـ ١٦ افريل ١٩٤٠ م فتحررت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته ، وكان يوماً مشهوداً في ظروف قاسية وأزمة عالمية تمثلها حرب طاحنة ودفن (١) في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة .

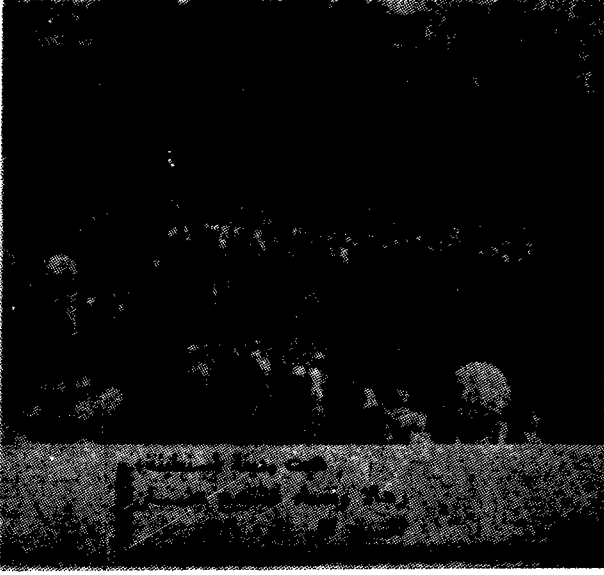
(١) كتب على قبره ما يلي : س ١ الله اكبر .

س ٢ هنا يرقد العلامة الجليل الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد .
س ٣ ابن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر وزعيمها المقدم توفى .

س ٤ مساء الثلاثاء ٨ ربيع الاول ، ١٦ افريل سنة ١٣٥٩ هـ
رحمه الله ورضي عنه .

شعر

يا قبر طبت وطاب فيك عبر
هذا ابن باديس الامام المرتضى
العالم الفذ الذي لعلومه
بعث الجزائر بعد طول سباتها
وقضى بها خمسين عاما كلها
ومضى اليك تحضه بثنائها
عبد الحميد لعل ذكرك خالد
ولعل غرسك في القرائح
لا ينقضي حزن عليك مجدد
نم هادنا فالشعب بك راشد
لاتخش ضيعة ماتركت لنا سدى
نفحتك من نفحات ربك نفحة
هل أنت بالضيف العزيز خبير
عبد الحميد الى حماك يصير
صيت بأطراف البلاد كبير
فالشعب فيها بالحياة بصير
خير لكل المسلمين وخير
واليه من بين الرجال تشير
ولعل نزلك الجنة حرير
مثمر ولعل وربك للعقول منير
وأسن له بين الضلوع سفير
يخط لهجك في الهدى ويسير
فالوارثون لما تركت كثير
وسقاك غيث من رضاه عزيز
هـ ١٩٥٩



مشهد جنازته

وبعد :

فاني قضيت ما يزيد على ثلاث سنوات في جمع وترتيب آثار ابن باديس مما جعلني أسافر الى بعض البلاد العربية للعثور على ما لا يوجد في الجزائر مما أتى عليه تخريب القوات الاستعمارية واحراقها لكنوز الفكر الانساني .

حاولت أن أصنّف هذه الآثار الى أقسام حسب موضوعاتها ، وأغراضها ، وان كان هذا التصنيف غير دقيق لتداخل الموضوعات ، والأغراض ومن ثم جاء تصنيفاً تقريبياً .

كما أنني لا أزعم أنه قد أتيج لي أن أعثر على جميع آثار ابن باديس، لأنه قد أملى املاءات كثيرة على طلابه ، وما تزال مخطوطة أو مبعثرة أو مفقودة وحتى المطبوع من آثاره لم أجمعه كله فان أغلب أعداد جريدة المنتقد لم أعثر عليها ما عدا ثلاثة أعداد (١ ، ٢ ، ٧) .

والظاهرة التي ينبغي التنبيه عليها هي أن الشيخ لا يمضي جميع ما يكتب ، ولهذا فإن الباحث يضطر للاجتهاد اعتماداً على أسلوب المؤلف وروحه . وقد أتيت لي أن أطلع على جميع أعداد جريدة « السنة » و « الشريعة » و « الصراط » و « البصائر » وجميع أعداد مجلة « الشهاب » ابتداء من سنة ١٩٢٩ وعلى أغلب أعداد جريدة الشهاب قبل تحويلها الى مجلة وكان لا يكتب فيها الا نادراً .



من اليسار الى اليمين : الاستاذ ابراهيمي ،
الاستاذ ابن باديس ، الاستاذ العقبي

وفيما يتعلق بمجلة الشهاب فاني لم أترك في أغلب الظن الا بعض ما يكتبه في انسياسة والتعليق على الأحداث اليومية لصعوبة الاهتداء الى التفريق بين مقالاته ، وبين مقالات غيره ، وقد تعرضت لهذا حفاظاً على الأمانة العلمية ، كما أنني قد تعمدت نقل بعض المقالات التي ليست

لابن باديس وانما نقلها هو واختارها للنشر ، وعلق عليها ، فنظراً
لتعليقه عليها اخترت ضمها الى تعليقه ذلك .

وتصنيف آثاره وضعناه كما يلي :

الجزء الاول يشتمل على قسمين :

١ - تفسير القرآن . ٢ - شرح الحديث .

والجزء الثاني يشتمل على خمسة عشر قسماً :

- ١ - اصلاح وثورة ضد البدع . ٢ - تربية وتعليم .
- ٣ - سياسة . ٤ - احتجاجات وبرقيات . ٥ - اجتماعيات .
- ٦ - خطب . ٧ - شعر . ٨ - تاريخ . ٩ - العرب في القرآن .
- ١٠ - تراجم . ١١ - القصص الديني والتاريخي . ١٢ - رحلات .
- ١٣ - تطور الشهاب . ١٤ - الصلاة على النبي . ١٥ - فقه
وفتاوى .

وفي الختام نوجه شكرنا لجميع الذين وفروا لنا بعض المصادر ،
ولم يخلوا علينا بما لديهم من الوثائق وخاصة فضيلة الشيخ خياري
الدراجي والشيخ الفاضل علي شنتير وأخاه فضيلة الشيخ محمد الطاهر
شنتير ، والله الموفق .

الجزائر في يوم الخميس : ٩ ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ

٢٨ جويلية ١٩٦٦ م

عمار الطالبي

الاستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الجزائر

عمل ابن باديس التربوي (١)

ان شخصية ابن باديس ثرية متعددة الجوانب لا يمكن لنا أن نتناولها من جميع جوانبها في مثل هذا الوقت القصير لذا رأينا أن نتحدث عن جانب واحد من جوانبه وهو ابن باديس المربي .

أيها السادة :

يمكن القول بأن ابن باديس اتخذ التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي لأن الأهداف التربوية عنده تشمل ذلك كله وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد .

لقد عالج المصلحون في أوروبا خلال القرن التاسع عشر مشكلة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فذهب بعضهم الى أن السبب في التدهور يرجع الى فقدان الحرية السياسية ، وانعدام حق التصويت وهم البرلمانيون . وذهبت طائفة أخرى الى أنه يرجع الى العوامل الاقتصادية واستغلال الانسان للانسان وهم الماركسيون . ورأى المفكرون أمثل تولستوي وبركهارت أن السبب في تدهور الرجل الغربي يعود الى الفقر الروحي والخلقي ، وفرويد كان يعتقد أن المشكلة تعود الى المبالغة في كبت الغريزة مما ينتج عنه مظاهر شاذة . وكل هؤلاء نظروا للمشكلة من جانب واحد ، لأن التعليقات الاجتماعية متشابكة متداخلة ، ولا ترجع الى عامل واحد .

(١) محاضرة القاها المؤلف مساء السبت ١٦ افريل ١٩٦٦ تحت اشراف وزير التربية الوطنية ومدير التعليم العالي في قاعة المحاضرات الجامعية بالجزائر وقد حذف من هذه المحاضرة الجزء الخاص بترجمته .

ان النظرية الجزئية تكون دائماً عقبة في سبيل الاصلاح ، وما يصدق على الأسباب يصدق على أنواع العلاج التي يمكن لنا أن نعالج بها أمراض الانسان الحديث ، فاذا قررنا أن سبب المرض عامل اقتصادي ، أو روحي ، أو نفسي ، فإن العلاج ينحصر في تلك الناحية المعينة ، وأما اذا نظرنا نظرة متكاملة ، وقررنا أن للظواهر المرضية نواحي متعددة ، وأسباباً متنوعة ، فإن الاصلاح يتناول ميادين التوجيه الأخلاقي ، والاقتصادي ، والثقافي ، والسياسي ، والصناعي ، أما الانصراف الى اصلاح حالة واحدة فانه لا يؤدي الى نتيجة ، بل يؤدي الى الهدم والتخريب ، فالاصلاح الاقتصادي دون تكوين الضمير الديني والخلقي ، يؤدي الى كوارث ، وقد ذهب الى هذا الرأي الأستاذ « أريك فروم » في كتابه المجتمع السليم (١) .

وأما فيما يتعلق بالمصلحين المسلمين المحدثين والمعاصرين ، أمثال محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده - ومحمد اقبال وابن باديس فانهم رأوا أن التدهور الاجتماعي راجع الى عدم تطبيق الاسلام ، والى انفصال الانسان المسلم عن الحقيقة القرآنية ، ومعنى ذلك أن السبب ليس واحداً بل هو مجموعة عوامل وأسباب ، لأن الحقيقة القرآنية ، حقيقة متكاملة تشمل الحياة الاخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية أو ما يعبر عنه بالدين والدولة أو الدنيا ، وليس الاسلام كالمسيحية التي اهتمت اهتماماً بالغاً بالاصلاح الروحي ، وأهملت النظام الاجتماعي ، وهو ما أراد بعض الناس أن يطبقه على الاسلام أيضاً .

والشيخ ابن باديس من المدرسة التي ترى أن الاصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أن الأخلاق تنبع من الداخل ، وأن الوسيلة هي تطهير

(١) ترجمة محمود محمود القاهرة ١٩٦٠ ص ١٨١ .

القلوب ، وتغيير النفوس ، وهذا يؤدي الى تغيير المؤسسات الاجتماعية . يقول ابن باديس : (ان الذي نوجه اليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا ، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد ، وتقويم الأخلاق ، فالباطن أساس الظاهر) (١) .

وهو يعتبر أن العناية الشرعية متوجهة كلها الى اصلاح النفوس ، وان صلاح الانسان وفساده انما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها ، مستشهداً بقول الله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » وهو على خلاف المدرسة الاصلاحية التي ترى أن الاصلاح ينبغي أن يبدأ بتغيير المؤسسات الاجتماعية ، باعتبار ان الانسان صار الى ما صار اليه ، نتيجة للعوامل البيئية ، المختلفة . وهو لا يتطرف في هذا ، ويرى أن اصلاح المؤسسات الاجتماعية لا بد أن يتساقق واصلح النفس وتغييرها ، ولكن ينبغي البدء بالانسان ، الأمر الذي تجعله المدرسة الأخرى متأخراً عن المسائل المادية . والوسيلة الى تغيير الذات الانسانية وتوجيهها ، والى تحويل الباطن البشري ، الذي هو العامل الأخلاقي الأساسي في كل اصلاح عند ابن باديس ، انما هي التربية . لقد كتب مقالاً تحت عنوان : « صلاح التعليم أساس الاصلاح » يقرر فيه هذه الحقيقة فيقول :

« لن يصلح المسلمون الا اذا صلح علماءؤهم ، لأنهم بمثابة القلب للأمة ، ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم » فالتعليم في نظره هو الذي : يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه ، ولغيره ، ولن يصلح التعليم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله ، وموضوعه ، في مادته وصورته ، فقد صح عن النبي فيما رواه مسلم : « انما بعثت معلماً » وليس المقصود بالتغيير

(١) تفسير آية ٨٤ - ٨٥ من سورة الاسراء .

الداخلي ، وكون النفس هي أساس الاصلاح ذلك التأمل الباطني ، والانتقاع عن الحياة ، الأمر الذي يسخر منه الفيلسوف المري « جون ديوي » في كتابه « تجديد في الفلسفة » فيقول : « وهكذا فيينا كان القديسون مشغولين بالتأمل فيما يجري في نفوسهم ، كان الخاطئون المستهترون يتولون تدبير شؤون العالم » (١) لان طبيعة الفكر الباديسي أو ميزته العقلية أنه يجمع بين الفكر والعمل ، بين النظر والتطبيق ، وهي ميزة النفوس القوية ، وطبيعة المفكرين المؤمنين . وحياته كلها مصنفة بهذا الطابع ، ونموذج حي له ، وقد عبر لنا عن هذه الحقيقة الحية بقوله : « العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال » (٢) ويعتبر أنه لا سبيل الى محو البدع والضلالات الا بالعلم والعمل ، واظهار الاسلام بسلوكنا في الحياة ، أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح ، ويرى أن المنهج الذي نجح به المسلمون الأولون في تغيير العالم ، انما هو سلوكهم وتطبيقهم الاسلام على أنفسهم وغيرهم في الحياة » (٣) وأكثر من ذلك فانه أدخل الصناعات التطبيقية في مناهج التعليم ، وخصوصا الصناعة اليدوية . والانتقال الأساسي الذي حدث في التربية الحديثة هو التوحيد بين التعليم النظري والعمل اليدوي أو التطبيقي ، باعتبار أن العمل نشاط قائم على أساس المعرفة وعلى أساس ادراك المرء لما سيعمله (٤) .

اهداف التربية عند ابن باديس :

ان أهداف أي تربية تشتق من المجتمع ، أعني من فلسفته ،

(١) ص ٣١٧ .

(٢) ج ١٢ ص ٨٢ - ٦١٦ - ٦١٨ شعبان ١٣٥١ - ديسمبر ١٩٣٢ م

(٣) ج ٧ ص ١٥٣ / ٣٣٤ .

(٤) انظر المجتمع السليم ص ٢٣٢ .

ونظرتة للحياة ، لذا فان التربية فن يرمي الى تحقيق القيم التي تعينها
فلسفة مجتمع ما من المجتمعات ، والتربية من جهة أخرى تعتمد على
العلم لاختراع أحسن الوسائل لتحقيق هدفها ، فالتربية باعتبارها فلسفة
عملية تتصل بالفلسفة وبالعلم في آن واحد ، فالفلسفة تحدد الغرض ،
والعلم يحدد الوسيلة ، وهذا العلم هو علم النفس أو علم الطبيعة
البشرية (١) وبهذا الاعتبار فان لكل نظام تربوي مبادئ ميثاقية ،
وأساساً فلسفية يعتمد عليها ، وربما تكون الصلة بين فلسفة مآ ونظام ما
للتربية غير واضحة ، ولكنها موجودة ، وبما أن التربية تهدف الى تكوين
مواطنين نافعين في أهداف الجهاز الاجتماعي ، والى نموّ الأطفال نمواً
انسانياً كاملاً ، كما تهدف الى مساعدة الطفل ، والمراهق ، والبالغ ،
على تكوين شخصيتهم وتكاملها ، وتعين الانسان بما هو انسان على أن
يتسم بما يحقق فيه الطبيعة البشرية في أسمى معانيها ، فان المشكلة
الأساسية التي تثار في هذا المجال هي ماذا ينبغي أن يتعلم المرء كي تكتمل
شخصيته من النواحي الأخلاقية ، والعاطفية ، والعقلية ، والذوقية
الجمالية ، والاجتماعية ، ثم كيف ينبغي أن نعلّم أو نتعلم ؟

قد يكون هدف التربية قائماً على أساس قيم دينية وأخلاقية أو
جمالية ذوقية أو اجتماعية أو مادية .

ان ابن باديس يعتبر من المربين الاسلاميين ، وهو يستمد أهدافه
من أهداف التربية الاسلامية من ناحية ، ومن الحالة الاجتماعية التي
عليها المجتمع الجزائري من ناحية أخرى ، ولذا فاننا نجد أقرب
ما يكون اتصالاً بالنظريات التربوية التي وجدت في الحضارة الاسلامية
المغربية والمشرقية . فما هي أهداف التربية الاسلامية على العموم ؟

(١) دراسات في التكامل النفسي للدكتور يوسف مراد القاهرة

يحدّد بعض الباحثين^(١) أهداف التربية الاسلامية في أربعة أغراض :
الغرض الديني ، والاجتماعي ، والالتذاذ العقلي ، والغرض المادي .
أو الغرض الديني ، والعقلي ، والثقافي ، والنفعي ، على نحو ما تذهب
اليه الباحثة اسماء فهمي بالاستناد الى المصادر الاسلامية في التربية .

من أهداف التربية عند ابن باديس كمال الحياة الفردية والاجتماعية
فهذا الهدف مزدوج فردي - اجتماعي معاً يقول بهذا الصدد : « ان
كل ما تأخذه من الشريعة المطهرة علماً وعملاً فانا تأخذه لنبلغ به
ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية ، والمثال الكامل لذلك
كله هو حياة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، في سيرته
الطيبة »^(٢) ومعنى هذا أنه يهدف الى بناء الشخصية الانسانية المتكاملة،
والشخصية المتكاملة عنده هي ما اكتملت فيها جوانبها المختلفة : الجانب
الأخلاقي والعقلي والعملية والعضوي وهذا ما يذهب اليه المربون
المعاصرون . ولا بأس من أن نستشهد بنص له في هذا الصدد يقول :
« ان الكمال الانساني متوقف على قوة العلم ، وقوة الارادة ، وقوة
العمل ، فهي أسس الخلق الكريم والسلوك الحميد »^(٣) « وحياة الانسان
من بدايتها الى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاث : الارادة ، والفكر ،
والعمل ... وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لا بدّ للانسان منها ،
فالعمل متوقف على البدن ، والفكر متوقف على العقل ، والارادة متوقفة
على الخلق ، فالتفكير الصحيح ، والارادة القوية من الخلق المتين ،
والعمل المفيد من البدن السليم ، .. فلهذا كان الانسان مأموراً

(١) خليل طوطم ، انظر التربية في الاسلام لاستاذنا الدكتور احمد
فؤاد الاهواني القاهرة ١٩٥٥ م ص ٨٧ - ٩٠ وكتاب التربية والتعليم
في الاسلام للدكتور محمد اسعد طلس بيروت ١٩٥٧ م ص ١٤٢ .

(٢) ج ٧ م ١٥ ص ٣٤٤ رجب ١٣٥٨ - اوت ١٩٣٩ .

(٣) ج ٦ م ١٢ ص ٣٤٦ .

بالمحافظة على هذه الثلاثة : عقله وخلقه ودينه ، ودفع المضار عنها ، فيثقف عقله بالعلم ، ويقوم أخلاقه بالسلوك النبوي ، ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء ، وتوقى الأذى ، والترخيص على العمل « (١) » .

ومن هنا فانه لا يقصد من بناء الفرد الاسلامي والشخصية الاسلامية الناحية الأخلاقية فقط ، ولا الناحية المعرفية وحدها ، وانما يرمي الى بناء الشخصية البشرية في شمولها وكليتها ، ووحدتها ، من حيث طرق الفكر ، والشعور ، والعمل ، وهذا ما انتهى اليه المربون المعاصرون كما أشرت الى ذلك ، ومن الأهداف اعداد الفرد للحياة بمختلف ميادينها ، وهذا متضمن فيما سبق ، وانما نجد ابن باديس يصرح به بوضوح كامل فيقول : « على المربين لأبنائنا وبناتنا ، أن يعلموهم ويعلموهن هذه الحقائق الشرعية ليتزودوا ولتزدن بها ، وبما يطبعونهم ويطبعونهن عليه من التربية الاسلامية العالية ، لميادين الحياة » (٢) .

ومن أهدافه العليا في التربية خدمة الانسانية ، ومساعدة الفرد على النمو في هذا الاتجاه الذي يحترم الانسانية باختلاف مذاهبها ونزعاتها : « ان خدمة الانسانية في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما تقصده ونرمي اليه ، ونعمل على تربيته وتربية من الينا عليه » (٣) .

وبما انه يتسم بالواقعية فانه يذكر لنا الوسيلة التي يحقق بها هذا الغرض وذلك أن هذه الخدمة تكون بواسطة لا مباشرة ، تكون بواسطة الاسلام أولاً ، وبخدمة الوطن ثانياً ، لأن الاسلام يحترم الانسانية في جميع أجناسها ، ويقرر المساواة والتراحم والتعاطف بين الناس جميعاً ،

(١) تفسير آية ٦٢ من سورة الفرقان .

(٢) ج ١ م ١٣ ص ٥ - ٨ - ١٣٥٢ - ١٩٣٧ م

(٣) ج ١٠ م ١٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٨ والضمير في « عليه » يعود على

خدمة الانسانية .

ويعتقد أن خدمة الوطن تأتي في الدرجة الأولى ، ثم تأتي خدمة الوطن العربي ثم العربي الاسلامي ثم وطن الانسانية العام ، ولا نستطيع ان تؤدي أية خدمة مثمرة لهذه الأوطان كلها ، الا اذا خدمنا الجزائر ويشبه هذا بيوت في قرية فبخدمة كل واحد لبيته تصبح القرية سعيدة راقية ومن ضيَّع بيته فهو لما سواها أضيع .

يقول : « وأنا أشعر بأن كلِّ مقوماتي الشخصية مستمدة منه (الوطن) مباشرة ، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة لأنني كلما أردت عملاً وجدتي في حاجة اليه الى رجاله وماله ، وحاله ، وآماله ، وآلامه » (١) .

الواقع أن الأهداف التربوية التي يرمي اليها ابن باديس تتفق مع مذهبه في الاصلاح ومع الواقع الاجتماعي ، والحضاري للشعب الجزائري ، وهذا ما يفسر لنا تعدد الأهداف التربوية عنده ، وتنوع المناشط التي يحقق بها هذه الأهداف ، التي يمكن أن نحصرها جميعاً ، وان ترتد كلها الى هدف واحد اساسي وهو النهضة التي تؤدي الى الحضارة ، وأول خطوة في طريق الحضارة انما هي تكوين الانسان وربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات الاجتماعية لتحقيق هدف مشترك (٢) وهذا هو عمل التربية الاجتماعية التي خصص لها حياته كلها ، والدليل على ذلك هذا النص : « انما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ورسوله ، اذا كانت لهم قوة ، وانما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتشاور وتتآزر » (٣) .

فشرط النهضة عنده انما هو ايجاد هذه الجماعة القائدة المفكرة التي

(١) ج ١٠ م ١٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٨ شوال ١٣٥٥ هـ جانفي ١٩٣٧ م .

(٢) انظر كتاب « ميلاد مجتمع » لمالك بن نبي .

(٣) تفسير آية ٦٢ - ٦٣ من سورة النور .

تقود المجتمع الى الحضارة ، وعمله التربوي يهدف الى اعداد هؤلاء الرجال يقول : « فانا نربي - والحمد لله - تلامذتنا على القرآن ، ونوجه نفوسهم الى القرآن من أول يوم وفي كل يوم ، وغايتنا التي ستحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها » (١) .

وغرض التربية الوطنية عنده ، هو المحافظة على الشخصية الاسلامية العربية بكل مقوماتها بل اثرؤها وتجديدها ، ولذا فانا نجد في القانون الاساسي لجمعية التربية والتعليم الاسلامية التي أسسها سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م : ان غرضها من الوجهة التربوية هو تربية ابناء المسلمين وبناتهم تربية اسلامية بالمحافظة على دينهم ، ولغتهم ، وشخصيتهم ، ومن الوجهة التعليمية تثقيف افكارهم بالعلم ، وتعليمهم الصنائع ، ومن الوجهة المالية تعويد الأمة على التبرع المنظم ، وتوسيع نطاق الجمعية بجعل قيمة الاشتراك فرنكين (٢) وهذا مستمد من الحياة الاجتماعية لأنه رأى أن الشخصية الاسلامية مهددة بخطر الذوبان والانحلال ، وبخطر الانكار والجحود ، وعندما اجتمع بجماعة الشباب المتعلمين تعليماً أوروبياً نصحهم بما يلي : « عليكم أن تلتفتوا الى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه ، بما عندكم من علم ، وبما اكتسبتم من خبرة ، محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في موكب المدنية » (٣) .

الوسائل - نقده للمناهج التربوية لعهدہ :

تعرض لنقد طرق التدريس في جامع الزيتونة وبين أنها ليست وسيلة

(١) ج ٤ م ١٠ ص ٣٥٢ ربيع الاول ١٣٥٣ هـ جويلية ١٩٣٤ م .

(٢) نشرة جمعية التربية ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م ص ١ - ٤ .

(٣) ج ٨ م ١١ ص ٤٤٤ ، ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م .

تؤدي الى تحقيق الغرض من التربية كما يتصوره ، بل انما تكون ثقافة لفظية ، يهتم أصحابها بالمناقشات اللفظية العميقة طوال سني الدراسة ، ويذكر أن الطالب يفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية ، دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلاً ، وانما يفرق في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه في القواعد التي كان يظن الطالب أنه فرغ منها ، ويتخرج الطالب دون أن يعرف من حقيقة التفسير شيئاً ، وذلك بدعوى أنهم يطبقون القواعد على الآيات ، كأنما التفسير يدرس من أجل تطبيق القواعد لا من أجل فهم الشرائع والأحكام . وهذا يعتبره ابن باديس هجراً للقرآن مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم يخدمون القرآن » (١) .

وهذا كما ترون أيها السادة : يتعارض مع الهدف التربوي الاصلاحى الذي هو ارجاع ضمير الانسان المسلم الى الحقيقة القرآنية ، كأنه أنزل على قلبه ، واتصاله به من جديد اتصالاً حياً دافعاً للعمل .

ومن وجوه النقد التي يوجهها الى طرق التدريس في المغرب الاسلامي للاقتصار على دراسة الفروع الفقهية دون الرجوع الى الأصول ، ودون الاعتماد على الاستدلال والتعليل والقياس ، بل انه يعتبر هذا بُعداً عن القرآن وهجراً آخر له يقول : « واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، وراء أسوار من الألفاظ المختصرة ، تفنى الأعمار قبل الوصول اليها » (٢) وهذا هو نفس النقد الذي وجهه ابن تومرت للفقهاء في عهد المرابطين ، وأبو بكر ابن العربي ، ومن قبلهما ابن عبد البر الذي نقد طرائق التعليم في الأندلس ، والمغرب على هذا النحو نفسه ، الذي سار

(١) تفسير آية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٢) ج ١٢ م ١٠ ص ٥١٨ - ٥٢١ شعبان هـ نوفمبر ١٩٣٤ م

فيه ابن باديس ، مما يجعلنا نعتقد أنه متأثر بهم ، وخصوصاً أبا بكر بن العربي الذي اهتم به وبكتابه « العواصم من القواصم » الذي حققه وطبعه سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ وكذلك ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » والدليل على ذلك أنه استشهد بكلامهما في هذا المجال النقدي وذكر أن هذا الاعراض عن ربط الفروع بأصولها ، ومعرفة مأخذها ، هو داء قديم في هذا المغرب من أقصاه الى أدناه بل كان داء عضالاً فيما هو أرقى من المغرب الثلاث وهو الأندلس (١) .

وذلك لأن ابن عبد البر (٤٩٣) يتعرض في كتابه المذكور للتعليم ، ويذكر أن الغرض من المناظرات التي تقع بين جماعة السلف انما هو فهم وجه الصواب والحقيقة ، فيصار اليها ، ومعرفة أصل القول وعليته فتقاس عليه نظائره وأمثله ، وعلى هذا الناس في كل بلد الا عندنا وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فانهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجهاً ، وحسب أحدهم أن يقول : فيها رواية لفلان ورواية لفلان * ومن خالف الرواية التي لا يقف على معناها وأصلها وصحة وجهها ، فكأنه خالف نص الكتاب وثابت السنة ، وقد نصح الطالب بالرجوع الى الأصول والعناية بها ، والاعتماد على النظر والبحث والاجتهاد والاطلاع على مختلف المذاهب والآراء والاستعانة بها (٢) .

وأما أبو بكر بن العربي فقد وجه بدوره نقداً لادعاء لحركة التعليم ، ومناهج العلم ، ورمى الاندلسيين بالتقليد ، وبين الاسباب السياسية والاجتماعية التي جعلتهم ينحدرون الى الفروع دون ربطها بأصولها ، مما أدى بهم الى الجمود ، والتقليد ، وهذا ما جعل ابن باديس يقرر

(١) ج ١٢ م ١٠ ص ٥١٨ - ٥٢١ شعبان هـ نوفمبر ١٩٣٤ م

(٢) ص ١٧٠ .

أن اقتلاع هذه العادة عسير ، وأن الرجوع الى التفقه في الكتاب والسنة وربط الفروع بالآخذ والأدلة أعسر (١) .

المنهج الذي يراه صالحاً :

بعد أن استعرض ابن باديس بايجاز تاريخ التربية الاسلامية ، فضل الرجوع الى الطريقة النبوية ، وطريقة السلف من الصحابة والتابعين ، ويرى أن مبني التعلم ، والتعليم في القرون الأولى على التفقه في القرآن والسنة ، ويضرب لنا مثلاً بطريقة الامام مالك الذي اعتمد في بيان الدين على الآيات القرآنية وما صح عنده من أقوال النبي وأفعاله ، وما كان من عمل الصحابة ، ولكي يتسق مع نظراته الواسعة ، وأفقه البعيد ، ضرب لنا مثلاً آخر بالامام الشافعي ، وطريقته في كتاب الأم (٢) ويعتقد أنه من المحال ضبط الفروع دون معرفة أصولها ، والقوانين العامة التي تنضوي تحتها ، وهكذا فإنه يتفق مع ابن عبد البر ، وأبي بكر بن العربي ، وابن تومرت ، في المنهج التربوي الصحيح . وابن باديس من فاحية أخرى يبني منهجه على أساس علم النفس ومعلوم أن التربية تطبيق لنظريات علم النفس ، كما أن الزراعة تطبيق لعلم النبات ، ويبين لنا أن المعلم يحتاج الى معرفة نفسية المتعلمين وفهمها والتنزل لهم ، والأخذ بأفهامهم الى الهدف الذي يرمي اليه ، حسب درجاتهم واستعدادهم (٣) كما يحتاج الى معرفة أساليب التفهيم ، والى التوسع في العلوم التي تصدى لتعليمها ، مع التمرين على التعليم بالفعل ، ودراسة كتب فن التعليم (٤) .

(١) ج ١٢ م ١٠ ص ٥١٨ شعبان ١٣٥٢ - نوفمبر ١٩٣٤ م .

(٢) ج ١١ م ١٠ ص ٤٧٨ - ٤٨١ رجب ١٣٥٣ هـ اكتوبر ١٩٣٤ م

(٣) ج ١٠ م ٧ ص ٦٠١ جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ اكتوبر ١٩٣١ م .

(٤) ن . ص .

شارك ابن باديس في محاولة اصلاح التعليم في جامع الزيتونة ،
وبعث باقتراح الى لجنة وضع مناهج الاصلاح التي شكلها الباي لسنة
١٩٣١ م ويتضمن هذا الاقتراح خلاصة آرائه في التربية والتعليم . فقسم
اتجاه التعليم الى قسمين : قسم المشاركة ومدته ٨ سنوات وقسم
التخصص ويشمل : فرغ القضاء والقنوي ، وفرع الخطابة والوعظ
والارشاد ، وفرع تخريج الأساتذة ومدته ستان .

ويبين في هذا الاقتراح منهاج التعليم وطريقة تدريسه كما يلي :

١ - اللغة والنحو والصرف والبيان ويشترط في تدريسها تطبيق
قواعدها على الكلام الفصيح ، لتحصيل الملكة ويعتبر دراستها بلا
تطبيق كما هو المعتاد في ذلك العهد تضييعاً للوقت ، وتعطيلاً ، وقلة
تحصيل .

٢ - تاريخ الأدب العربي والانشاء .

٣ - حسن الأداء في القراءة واللقاء .

٤ - العقائد وينبغي أن تؤخذ هي وأدلتها من آيات القرآن وهو
يعارض الذهاب مع أدلة المتكلمين ، ومصطلحاتهم الجافة ، ويعتبر ذلك
من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير . وقد طبق هذا بالفعل في
تدريسه ، وفي كتابه « العقائد الاسلامية » الذي نشره الاستاذ الفاضل
محمد الصالح رمضان (١) .

٥ - الفقه بحيث تقرر فيه المسائل مع أصولها دون التعرض
لتشعباتها .

٦ - أصول الفقه تؤخذ كمسائل مجردة ، ثم تطبق على المشكلات
الفقهية لتحصل للطلاب ملكة الاستدلال والنظر .

٧ - التفسير ويكون حسب رأيه بسرد الجلايين على المتعلم ، مع

(١) مطابع الكيلاني بالقاهرة دون تاريخ .

بيان الأستاذ ما يحتاج للبيان ، بحيث يطلع الطالب على التفسير بفهم المفردات ، والمعاني الأصلية بطريق إجمالي ، وكان محمد عبده يقريء الجلالين على هذه الطريقة .

٨ - الحديث وطريقة تدريسه هي نفس طريقة تدريس التفسير ويبدو هنا أن ابن باديس متأثر بطريقة محمد عبده الذي كان يستعرض النص ثم يحلّله بخلاف جمال الدين الأفغاني فإنه يتحدث في الموضوع ثم يستعرض النص في النهاية لتلاوته كتلخيص مفهوم لذلك الموضوع ويؤيد هذا تلميذه الشيخ الجيلاني محمد ، الذي يرى أن أسلوبه في التفسير والحديث بأسلوب الأستاذ الامام أشبه واليه أقرب ، وأبرز مميزاتهما فيه التطبيق والتحقيق وسوق العبر وصوغ العظات (١) كما أن ابن باديس يستعمل طريقة الحوار والاستفهام (٢) .

٩ - التربية الأخلاقية ويعتمد فيها على آيات وأحاديث السلف الصالح وهذا يتفق مع ما ورد في برنامج وزارة التربية الوطنية الجزائرية الحالي (٣) في هذه المادة ولا شك في وجود تأثيره فيه .

١٠ - التاريخ الاسلامي ويؤكد عليه لأن معرفة التاريخ عنده ضرورة للنهضة .

١١ - الجغرافية .

١٢ - مبادئ الطبيعة .

١٣ - الفلك .

١٤ - الهندسة .

(١) ج ٧ م ١٥ ص ٣٢٨ .

(٢) ج ٧ م ١٥ ص ٣٢٧ .

(٣) المواقيت والبرامج توجيهات تربوية (المعهد التربوي الجزائر ١٩٦٤ م ص ٣٢ - ٣٣) .

وهنا يلاحظ ملاحظة طريفة وهي أنه اذا لم يكن في الشيوخ المعممين من يقوم ببعض هذه العلوم فلنأت باخواننا المطربشين من تونس أو من مصر .

وأما منهاج قسم التخصص في القضاء والفتوى فانه يحتوي على التوسع في فقه المذهب ثم الفقه العام ، ودراسة آيات وأحاديث الأحكام ، وعلم التوثيق ، والتوسع في علم الحساب وعلم الفرائض ، والاطلاع على مدارك المذاهب ، حتى يكون الطلبة فقهاء اسلاميين ينظرون - على حدّ تعبيره - الى الدنيا من مرآة الاسلام الواسعة ، لا من عين المذاهب الضيقة ، وهذه هي نفس النزعة التي يذهب اليها ابن عبد البر وأبو بكر بن العربي . ومن الكتب التي أوصى بتدريسها على الخصوص كتاب بداية المجتهد لابن رشد .

ومنهاج التخصص في الخطابة والوعظ يحتوي على دراسة آيات المواعظ والآداب وأحاديثها ، والتوسع في السيرة النبوية وتاريخ نشر الدعوة الاسلامية مع التمرين على القاء الخطب الارتجالية .

وأخيراً فان منهاج التخصص في فن التعليم يشتمل على التوسع في العلوم التي سيعلمها المترشحون ويتخصصون فيها ، وعلى الدراسة لكتب التربية وفن التعليم ، والتمرين على التعليم بالقيام به فعلاً (١) ولتحسين مناهج التعليم وتقويمها وتوحيدها دعا الى عقد مؤتمر المعلمين الأحرار في سبتمبر سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ومن المشكلات التي عرضت في جدول الأعمال مسألة تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه ، كما عقد مؤتمر آخر سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ كلف فيه بعض أعضاء الجمعية بكتابة تقارير عن مشكلات التعليم في مختلف أنحاء الجزائر ، وعرضت هذه التقارير وسجلت في « سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين » ، وألقى هو نفسه تقريراً في التعليم المسجدي دعا فيه الى تأسيس كلية اسلامية .

(١) ج ١٠ م ٧ ص ٦٠١ .

المؤسسات التربوية :

علم الأستاذ الامام في المسجد الكبير وفي سيدي قموش وسيدي عبد المؤمن وسيدي بو معزة ومدرسة جمعية التربية والتعليم والجامع الأخضر وسيدي فتح الله وهذه المؤسسات كلها ما زالت الى اليوم .

كان التعليم في مساجد قسنطينة لا يشمل الا الكبار ، وأما الصغار فانهم يتعلمون القرآن فقط في الكتابيب على طريقة المغاربة التي يذكرها ابن خلدون في مقدمته ، وأول عمل تربوي تعليمي سجله ابن باديس في قسنطينة كان في سنة ١٣٣٢ هـ فكان يعلم صغار الكتابيب القرآنية بعد خروجهم منها صباحاً وعشية ثم بعد بضع سنوات أسس مع جماعة من الفضلاء المتصلين به ، مكتبة للتعليم الابتدائي وذلك في مسجد سيدي بو معزة ثم انتقل الى بناية الجمعية الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٩١٧م وفي سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م تطور مكتب الجماعة الى مدرسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية، حيث حرر ابن باديس القانون الاساسي وقدمه باسم الجمعية الى الحكومة فصادقت عليه دون أن ترى نتائجها بتاريخ رمضان ١٣٤٩ هـ - مارس ١٩٣١ م واعترفت بالجمعية في الجريدة الرسمية وتكونت هذه الجمعية من عشرة أعضاء برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وجاء في القانون : ان مقصود الجمعية نشر الأخلاق الفاضلة ، والمعارف الدينية ، والعربية ، والصنائع اليدوية ، بين أبناء وبنات المسلمين ، وبينت المادة الثالثة الوسائل :

- ١ - تأسيس مكتب للتعليم .
 - ٢ - ملجأً للايتام .
 - ٣ - نادي للمحاضرات .
 - ٤ - معمل للصنائع .
 - ٥ - ارسال التلامذة على نفقتها الى الكليات ، والمعامل الكبرى .
- ومكتب الجمعية كان موجوداً في بناية الجمعية الخيرية الاسلامية والجدير

بالملاحظة أن القانون ينص على أن البنين يدفع القادرون منهم واجب التعليم ، وأما البنات فيتعلمن كلهن مجاناً ، وهذا لا يحتاج الى تعليق .

وقد شرع ابن باديس من ناحية أخرى في القاء دروس على الكبار أول الأمر في الجامع الكبير ، حيث كان يدرس فيه الشفاء للقاضي عياض ولكن ما لبث أن منعه مفتي قسنطينة المولود بن الموهوب . وكوّن جماعة من الشبان تابعة للجمعية واهتم بتهديهم ، وتربيتهم ، فجعل لهم درساً يوم الأحد من كل أسبوع يعلم جماعة منهم على الساعة ١٠ صباحاً والأخرى على الساعة ٨ مساءً حسب أوقات فراغهم وذلك في أبريل سنة ١٩٣٣ م .

هناك من المرين من يذهب الى أن المجتمعات تحس بالمسؤولية عن تربية الأطفال فقط ولا تحس بهذه المسؤولية عن تربية جميع البالغين مهما بلغت سنهم ويعتبر أنه ليست سن ١٦ - ١٨ خير فترات العمر للتعلم كما نظن وانما هي أنسب سن لتعلم أوليات القراءة والكتابة ، والحساب ، واللغات ، ولكن ادراك مغزى التاريخ ، والفلسفة ، والدين ، والأدب ، وعلم النفس ، محدود جداً في هذه السن المبكرة بل ان سن العشرين التي نعلم فيها هذه المواد في الكليات الجامعية ليست السن المثالية ، ولكي يدرك المرء المشكلات المعقدة في هذه الميادين ادراكاً حقيقياً ينبغي أن يتوفر لديه قدر من الخبرة في الحياة أكبر مما يتوفر له وهو في سن التعليم الجامعي ، وقد تكون سن الأربعين أو الثلاثين لكثير من الناس أنسب الأسنان لادراك هذه المواد ، وفهمها لا مجرد حفظها ، وقد أخذت بعض الدول بهذا المبدأ فضاعفت فرص الدراسة للكبار ونوعتها (١) .

ولذلك كان ابن باديس يعمل في واجهتين واجهة للكبار وواجهة للصغار وكان مصيباً في ذلك اصابة بالغة .

ومن أهم المؤسسات التربوية الجامع الاخضر الذي أسسه حسين باي للصلاة والتعليم كما هو مكتوب عليه (١) وقد تم بناؤه سنة ١١٥٦ هـ .

لجنة الطلبة :

كون ابن باديس لجنة للطلبة من أعضاء جمعية التربية والتعليم الاسلامية يبلغ أعضاؤها ١٨ عضواً مهمتها العناية بالطلبة ومراقبة سيرهم، كما تتولى الاشراف على الصندوق المالي المخصص لاعانة الطلبة ، ودعا المسلمين الجزائريين الى تأسيس أمثال هذه الجمعية ، أو تأسيس فروع لها في جميع أنحاء القطر ، ويعلل ذلك بأنه لا بقاء لهم الا بالاسلام ولا بقاء للاسلام الا بالتربية والتعليم (٢) وكان من عادة الاستاذ أن يصدر في كل سنة تقريرا بياناً يبين فيه المواد والكتب التي تدرس ، أصدر بياناً بتاريخ ٢ رجب ١٣٥٢ هـ ٢١ اكتوبر ١٩٣٢ م بين فيه المنهاج الذي يشتمل على التفسير والتجويد والحديث والفقہ والعقائد الدينية والأخلاق والآداب الاسلامية واللغة العربية بفنونها : نحو وصرف وبيان وأدب ، والفنون العقلية من منطق وحساب وغيرها وورد في البيان أن الطلبة المحتاجين تعطى لهم اعانة من الخبز ويسكنون في بعض المساجد .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م صدر بيان آخر يبين تطور التعليم

(١) كتب عليه ما يلي :

- السطر الاول : امر بتأسيس هذا المسجد العظيم .
س ٢ : وتشيد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم .
س ٣ : ذو القدر العلي ، والتدبير الكامل ، وحسن الرأي
أميرنا .
س ٤ : وسيدنا حسين باي أدام الله أيامه وكان تمام بنائه
س ٥ : أواخر شعبان سنة ست وخمسين ومائة والف .

(٢) نشرة جمعية التربية ١٣٥٤ - ١٩٣٦ ص ١ - ٤ .

بالجامع الأخضر فبالنسبة لعدد الطلبة الذي كان في سنة ١٩٣٣ م ١٠٠ طالب وفي سنة ١٩٣٥ م ٢٠٠ طالب أصبح في سنة ١٩٣٦ م ٣٠٠ طالب بالاضافة الى الذين سافروا الى جامع الزيتونة لاتمام دراستهم ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠ أيضاً ، كما تطور المنهاج فأصبح يشمل بالاضافة الى ما سبق ذكره ، على الفرائض والجغرافيا والتاريخ والأصول والمواعظ وبين لنا فيه الكتب التي تدرس وهي : الموطأ ، وأقرب المسالك ، والرسالة ، وابن عاشر ، والمفتاح ، والزنديوي ، والتنقيح ، والسلم ، والمكودي ، والقطر ، والآجرومية ، والزنجاني ، واللامية ، والسعد ، والجوهر المكنون ، ومن ديوان الحماسة ، ومن ديوان المتنبي ، والأمالى ، ومن مقدمة ابن خلدون .

والشيء المهم في هذا الطور هو دراسة مقدمة ابن خلدون ، والواقع أن هذه الكتب مقسمة على طبقات الطلبة ودرجاتهم الثقافية التي نص على أن عددها أربع طبقات كما تعرض للقائمين بالتعليم وهم الشيخ ابن باديس والشيخ عبد المجيد حيرش ، والشيخ حمزة بوكوشة المتخرجان من جامع الزيتونة وبعض العرفاء وكبار تلامذة الشيخ ابن باديس أمثال الشيخ عمر دردور والشيخ بلقاسم الزغداني .

تنظيم الطلبة :

ان الطلبة الذين يدرسون بقسنطينة يمثلون جميع أنحاء الجزائر وفي سنة ١٣٥٣ - ١٩٣٤ جاء بعض الطلبة من العمالة الوهرانية فكمل بهم تمثيل الجزائر كلها ويعتبر ابن باديس هؤلاء الطلبة نواة للغاية الكبرى التي يسمى اليها وهي انشاء جامعة اسلامية أو كلية للعلوم الاسلامية .

قسم ابن باديس الطلبة الى جماعات وجعل على كل جماعة عريفاً منهم يضبط أمورهم ويراقب سيرتهم ، وتوجد لدينا قائمة لهؤلاء العرفاء ،

موزعين حسب المناطق الجزائرية المختلفة ، والعريف معروف في تاريخ التربية الاسلامية وهو الطالب البارز في العلم ، قال الامام سحنون : « أحب للمعلم أن يجعل لهم عريفاً منهم » (١) . واهتم ابن باديس من جهة أخرى بصحة الطلاب فجعل لهم جماعة من الأطباء يزورونهم للمعالجة تبرعاً منهم ، وهم : ابن الموفق ، وزرقين ، وابن جلول ، وأما ما يتعلق بالتغذية فإن الطلبة المحتاجين يتناولون الأكل عند بعض المحسنين ، والمتبرعين من العائلات ، وأصحاب المطاعم ، والجدير بالذكر أن طباًخاً وهو ابن جلول محمود كان يتبرع بتغذية خمسين تلميذاً في مطبخه وكان بعض الخبازين يتبرعون بالخبز وأهل بسكرة يرسلون بأكياس من التمر .

راي ابن باديس في تعليم المرأة :

ان ابن باديس على بصيرة بما للمرأة من وظيفة اجتماعية تربوية عظيمة ، ولذلك فانه أوجب تعليمها واتقازها ممّا هي فيه من الجهالة العمياء ، ونصح بتكوينها تكويناً يقوم على أساس العفة وحسن تدبير المنزل ، والنفقة والشفقة على الأولاد ، وحسن تربيتهم ، كما أنه حمل مسؤولية جهل المرأة الجزائرية أولياءها ، والعلماء الذين يجب عليهم أن يعلموا الأمة رجالها ونساءها ، وقرر أنهم آثمون اثماً كبيراً اذ فرطوا في هذا الواجب . واستدل على وجوب تعليم المرأة بالعمومات القرآنية الكثيرة الشاملة للرجال والنساء ، وبأحاديث شريفة ، ومذهبه أن الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء الا بمخصص من اجماع أو نص أو ضرورة طبيعية ، لأن النساء شقائق الرجال ، ولا خلاف بين اللغويين والأصوليين في أنه اذا ما اجتمع النساء والرجال ، كان الخطاب أو الخير بصيغة التذكير على طريقة التغليب ، واستدل بقوله تعالى : « وَلَيَكْتُبَنَّ »

(١) التربية في الاسلام للدكتور الالهواني ص ١٩٠ .

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» (١) وبالحدِيث الذي رواه أبو داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت : « دخل عليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا عند حفصة فقال لي : ألا تعلمين هذه رَقِيَّةَ النَّمْلَةِ كما علمتها الكتابة » (٢) .

كما استدلّ بدليل تاريخي ، وهو ما استفاض في تاريخ الأمة الإسلامية من وجود العائلات الكتابات الكثرات (٣) .

مواقفه ازاء مقاومة الاستعمار للتعليم :

انه لا يكفي الوقت لاستعراض تاريخ دفاع ابن باديس عن الحركة التعليمية وجهاده التربوي الذي وقف حياته كلها عليه ، لقد تعرّض لاضطهاد الاستعمار ومطاردته وعراقيله ، ولكنه ثبت ثبات الرجال أصحاب المبادئ لما يتسم به من التفاؤل واليقين بأن العاقبة له ، وللأمة الجزائرية معتقداً أن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم محاولة فاشلة . وحين أراد الاستعمار منعه من التعليم كتب مقالا تحت عنوان : « بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة » (٤) . وحين صدر قانون ٨ مارس ١٩٣٨ م بمنع التعليم كتب مقالا آخر تحت عنوان : « يا لله للاسلام والعربية في الجزائر كل من يعلم بلا رخصة يفرم ثم يفرم ثم يسجن » وأعلن فيه عزمه على المقاومة بكل قوة قائلاً : « واننا نعلن لخصوم الاسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا

(١) ٢/٢٨٢ البقرة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) ج ٣ م ١٥ ص ١١٠ . ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ .

(٤) الصراط عدد ٧ - ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

ولفتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا وأنا على يقين من أن العاقبة — وان طال البلاء — لنا وأن النصر سيكون حليفنا» (١) . وكتب في مناسبة أخرى : « أما الذين يحاربون العربية فهم يفرقون ويشوشون فسيندمون ، وتنتشر العربية بقوة الحق والفضيلة وهم كارهون » .

ولا نريد أن نستمر في الاطالة عليكم فان مواقفه في الدفاع عن تعليم الدين والعربية ضد الاستعمار تتطلب وحدها محاضرة كاملة .

أيها السادة : ان الشيخ ابن باديس أمة وحده استطاع بمفرده أولاً وبمساعدة اخوانه من العلماء ثانياً أن يقوم بتربية جيل وتكوين أمة ، وتبصيرها بشخصيتها ومقوماتها ، وهو الذي استطاع أن يضع أصول نهضتنا الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، وان الثورة الجزائرية العظيمة في جوانبها النفسية وقوتها المعنوية التي تتمثل في كلمة « الجهاد » ترد الى عمله التربوي الخاص والعالم ، تربية الجيل في المدارس وتربية الأمة في المساجد وبرحلاته في مختلف أنحاء القطر . واحياؤنا لذكراه انما هو اعتراف بالجميل ، وتخليد لعمله العظيم ، وروحه القوية التي تمثل رمزاً من رموز حياتنا العقلية والأخلاقية ، وعنصراً من عناصر وجودنا الذاتي ، لأن ابن باديس قام بعملية التربية والوعي ، تلك العملية التي تعتبر أعمق نشاط يؤديه الكائن البشري على الاطلاق ، لأنه به يصنع المادة البشرية الصالحة ، ويصوغ الذات الاجتماعية النافعة ، ويبني الشخصية المتكاملة الشاعرة بوجودها وذاتيتها وحريتها .

انا نحیی باقامة ذكراه جرأته ، وشجاعته ، وثباته ، وتضحيته ، وزهده في متاع الدنيا ، في سبيل المبدأ ، ونطبق ذلك العهد الذي أخذه

(١) البصائر محرم ١٣٥٨ هـ افريل ١٩٣٨ م ص ١ .

على نفسه بقوله : « اني أعاهدكم على أني أقضي بياضي على العربية والاسلام ، كما قضيت سوادي عليهما وانها لواجبات ، واني سأقصر حياتي على الاسلام والقرآن ، ولغة الاسلام والقرآن ، هذا عهدي لكم »^(١) كما نبرهن بهذا أننا سنواصل رسالته ونحقق دعوته التي دعا اليها تلامذته ودعانا جميعاً معهم :

« أطلب منكم شيئاً واحداً وهو أن تموتوا على الاسلام والقرآن ، ولغة الاسلام والقرآن »^(٢) .

رحمك الله يا ابن باديس في الخالدين والسلام

عمار الطالبي

(١) ٧ م ١٥ ص ٣٤٦ رجب ١٣٥٨ هـ او ت ١٩٣٩ م .

(٢) ٠ ن . م . ص .

آثار ابن باديس

قسم التفسير

التذكير

حقيقته ، حاجة الخلق اليه ، القائمون به ،
تذكير النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ما كان
يذكر به ، من كان يذكر ، مشروعية التذكير
في الاسلام .

حقيقة التذكير :

١ - أن تقول لغيرك قولاً يذكر به ما كان جاهلاً أو عنه ناسياً
أو غافلاً ، وقد يقوم الفعل والسمت والهدى مقام القول فيسمى
تذكيراً مجازاً وتوسعاً ، ويجمع الثلاثة قولك : عباد الله الصالحون
يذكرون الخلق بالخالق بأقوالهم وأعمالهم وسمتهم .

٢ - وحاجة العباد الى هذا التذكير أعظم ما يحتاجون اليه وأشرفه
والزمه ، فان سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بانارة عقولهم ، وزكاة
نفوسهم واستقامة سلوكهم ، وفي الحياة الأخرى بنعيم الجنان وحلول
الرضوان ، انما هي بايمانهم بربّهم وشكرهم له . وأن دلائل وجوده
وحدانيته وقيّومته وآثار فضله واحسانه ورحمته ماثلة في الكون
بادية للعيان ، داعية الى الشكر هادية الى الايمان ، لكن العقول كثيراً
ما تكون مغلولة بقيود أهوائها ، محجوبة بحجب غفلتها ، فتعمى عن
تلك الدلائل والآثار ، فتكفر كفر جحود وعناد ، أو كفر عصيان وطفيان .
ويكون تورطها في كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب
وتلك القيود . وليس لغير من عصم الله انفكاك أو خروج منها ،
كلها . فهم اذن بأشد الحاجة الى تذكيرهم بتلك الدلائل وتلك الآثار
ليحصلوا أسباب سعادتهم بالايمان والشكر .

٣ - قد علم الله حاجة عباده الى التذكير ، فاصطفى منهم رجالاتهم
أنعم عليهم بكمال الفكرة ووقاية العصمة ، وأرسلهم لتذكير العباد
« رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(١) » ، « وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا
ظَالِمِينَ ^(٢) » .

فالأنبيا والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - هم أولو هذا المقام
الجليل ، مقام التذكير . ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العاملين .

٤ - قد كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على سنة
أخوانه من الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - في القيام بتذكير
العباد متمثلاً أمر ربه - تعالى - له بقوله : « فَذَكِّرْ إِنْ مَتَّعْتَهُ
مُذَكِّرًا ، لَسُنَّتْ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ ^(٣) » .

اذ السيطرة لا تكون على القلوب والايمان - وهو من اعمال
القلب - لا يكون بالاكراه وانما يكون بذكر الحجج والأدلة ، وكذلك
كانت سنة المرسلين في الدعوة الى الله كما قصها علينا القرآن الكريم
في كثير من السور والآيات .

كان - صلى الله عليه وآله وسلم - يذكرهم بقوله وعمله وهديه
وسمته ، وكان ذلك كله منه على وفق هداية القرآن وحكمه ، وقد قالت
عائشة الصديقة - رضوان الله عليها - لما سئلت عن خلقه - والخلق

(١) ١٦٤/٤ النساء .

(٢) ٢٠٨/٢٦ الشعراء .

(٣) ٢١/٨٨ الفاشية .

هو الملكة النفسية التي تصدر عنها الأعمال — قالت : كان خلقه القرآن، فكان تذكيره كله بآيات القرآن : يتلوها ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي متمثلاً في ذلك كله أمر ربّه تعالى بقوله : « فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَيْدِي (١) » فالقرآن وبيانه القولي والعلمي من سنة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين ، ومن حاد في التذكير عنها ضلّ وأضلّ وكان ما يضر أكثر مما ينفع ان كان هنالك من نفع .

٥ — كان — صلى الله عليه وآله وسلم — لا يفتأ مذكراً المؤمنين والكافرين ، والله يهدي من يشاء ويوفق من يريد . وقد أمر بالتذكير مطلقاً في قوله تعالى : « فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢) » .

وكانت سيرته العملية في التذكير هي العمل بهذا الاطلاق ، فما كان يخص قومًا دون قوم في الدعوة والتذكير ، فكانت هاته السنة العملية دليلاً على أن ما جاء على صورة التقييد في بعض الآيات ليس المراد منه التقييد ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى (٣) » .

فالشرط الصوري هو للاستبعاد ، أي استبعاد نفع الذكرى فيهم . ولا يزال من أساليب العربية في لسان التخاطب الدارج بيننا قول الناس لبعضهم بعضاً : « كلمه في كذا اذا نفع فيه الكلام » استبعاد لنفعه فيه ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ

(١) ٤٥/٥٠ ق .

(٢) ٢١/٨٨ الغاشية .

(٣) ٩/٨٧ الاعلى .

• وعيدي^(١) «

فليس ذكر المفعول للتقييد وإنما هو للتنبية على أنه هو الذي ينتفع
بالتذكير نظير قوله تعالى : « هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ » •

٦ - ولحاجة العباد للتذكير ومنزلته من الدين شرعه الله للمسلمين
شرعاً موقتاً في خطب الجمع والأعياد ، وشرعاً مرسلًا موكولاً للمذكرين
على ما يرونه من نشاط الناس وحاجتهم ، كما كان يتخول النبي -
صلى الله عليه وآله وسلم - الناس بالموعظة وطلبه طلباً عاماً من جميع
المؤمنين في قوله تعالى : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ^(٢) » في صفة المؤمنين العاملين •

وسيكون هذا الباب من المجلة^(٣) مجالاً لفنون من التذكير جعلنا
الله والمؤمنين من أهل الذكرى ونفعنا بها دنيا وأخرى^(٤) •

(١) ٤٥/٥٠ ق .

(٢) ٣/١٠٣ العصر .

(٣) يقصد مجلة الشهاب .

(٤) ش : ج ١ ، م ٥ ص ٢ - غرة رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري ١٩٢٩

الذكر

تمهيد ، القسم العلمي : حقيقته ، محله ،
اطلاقه ، اقسامه ، القلبي : بالتفكير ، بالاعتقاد ،
بالاستحضار ، اللساني : بالثناء والدعاء ،
بالارشاد والتعليم . ذكر الجوارح بالعمل ،
بالتكفاف . القسم العملي : السيرة النبوية في
الذكر ، كيفية السلوك عليها . التحذير .

تمهيد :

١ - الذكر أصل من أصول الدين العظيمة أو هو الدين كله ،
ولذا امتلأ القرآن العظيم بالآيات المشتملة عليه . فالمسلم إذا شديد
الحاجة الى معرفته وفقهه ، وطريقة العمل به ، وقد تعرضنا لبيان ذلك
فيما سيأتي ، وجعلنا الكلام في قسمين . وختمناه بالتحذير مما خرج عن
سواء القصد بعلو أو تقصير ليكون الواقف عليه على بصيرة مما يأتي
منه أو يدع .

القسم العلمي

٢ - الذكر حضور الشيء في القلب الحضور الثاني بعد زواله
منه المسبوق بحضور متقدم . هذه حقيقته . وقد يطلق على الحضور
الأول توسعاً . وزواله بعد حضور هو النسيان . فهما ضدان .
قال تعالى : « وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ » (١) .

(١) ٦٤/١٨ الكهف .

وفي مثل : ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا^(١) .

٣ - فالمعنى الأصلي للذكر محثه القلب ، اذ القلب محل ضده النسيان ، والضدان انما يتضادان في محل واحد ، قال تعالى : « وَلَا تَطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا^(٢) » أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا . فالغفلة في القلب والذكر في القلب . وأخوات الذكر - كالذكرى ، والتذكير والذكر ، بضم الذال ، - كلها من أعمال القلب ، وهو مثلها . وأما الصمت الذي هو من شأن اللسان فليس ضداً له كما قد قيل ، وانما هو ضد في كلام العرب لأعمال لسانية كالنطق في قولهم في المال (ناطق وصامت) وما في الحديث : « فليقل خيراً أو ليصمت » .

٤ - ثم يطلق الذكر اطلاقاً شائعاً على ما يجري على اللسان مما يخبر به عما في القلب ويعبر عنه ، ومنه قوله تعالى : « فَالْتَّالِيَاتِ ذِكْرًا^(٣) » .

وسمى الله - تعالى - القرآن ذكراً كما في قوله : « وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ^(٤) » لأن آياته متلوثة بالألسنة ومعانيه حاضرة في القلوب . ومثله في هذه التسمية كلمات التسبيح والحمد والتهليل والتكبير من جميع الأذكار . ويقال في كل عمل من أعمال الطاعة ذكر ، لأنها كلها مرتبطة

(١) انظر مجمع الامثال ٢٧٩/١ ، المثل رقم ١٤٦٩ وتمامه :
ردوا على اقربها الاقاصيا ان لها بالمشرفي حاديا
ذكرتني الطعن وكنت ناسيا

(٢) ٢٨/١٨ الكهف .

(٣) ٣/٣٧ الصافات .

(٤) ٥٠/٢١ الانبياء .

بذكر القلب ومن ثمراته • وسمى الله — تعالى — نبيته — صلى الله عليه وسلم — ذكراً في قوله : « قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ، رَسُولًا^(١) » لأنه مخبر عن ربه ومبلغ للذكر ، أو لأنه هو — صلى الله عليه وآله وسلم — يذكر في الصلاة عليه والحديث ، وفي سيره وشمائله بالألسنة والقلوب • وعبر عن ارساله بالانزال لأن رسالته وحي من العليّ الأعلى ، وأعظم رحمة نزلت من السماء • وسمى الله الآيات الكونية المشاهدة ذكراً في قوله تعالى : « الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا^(٢) » لأنها تحدث الذكر في القلب كما تحدثه آياته المتلوة التي تسمى أيضاً ذكراً • فالمعنى أنه كما لم يكن لهم ذكر في قلوبهم من الآيات المتلوة ، لأنهم كانوا لا يستطيعون سماعاً ، كذلك لم يكن لهم من الآيات المرئية لأن أعينهم في غطاء •

اقسام الذكر :

٥ — قد كثر ورود لفظ الذكر في آيات القرآن وأحاديث السنة ، وهو منقسم الى ثلاثة أقسام ، مراده من تلك النصوص : ذكر القلب فكراً واعتقاداً واستحضاراً ، وذكر اللسان قولاً ، وذكر الجوارح عملاً • وستنكلم عليها واحداً واحداً •

ذكر القلب وهو على ثلاثة ضروب :

الأول : التفكير في عظمة الله وجلاله ، وجبروته وملكوته ، وآياته في أرضه وسمواته وجميع مخلوقاته ، والتفكير — أيضاً — في أنواع آلائه وعظيم انعامه على خلقه عامة وعلى الانسان خاصة بما سخّر

(١) ١٠/٦٥ الطلاق .

(٢) ١٠٢/١٨ الكهف .

له منها وما يسر له من أسباب الانتفاع بها ، بما يوجب الايمان
بوحديته في ربوبيته ، فلا خالق ولا مدبّر ولا مصرّف ولا أمر ولا
حاكم ولا منعم على الحقيقة سواه ، وبوحديته في ألوهيته فلا يستحق
العبادة سواه .

وهذا الضرب هو أعظم الأذكار وأجلها وأفضلها ، وبه يتوصل
اليها ويستحق الثواب عليها ، اذ هو أساسها الذي تبنى عليه . فالأعمال
مبنية على العقائد ، والعقائد لا تثبت الا بهذا التفكير ، وبه تنجلي في
العقول ، وترسخ في النفوس ، وتحصل للناظر طمأنينة اليقين . قال
تعالى : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »^(١) وهذا هو الذكر
الذي يحصل به الاطمئنان . وهو المراد في قوله : « إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ »^(٢) .

قال جماعة من السلف : ذكر الله في الصلاة أكبر من الصلاة ،
وهو المراد أيضاً في حديث أبي الدرداء موقوفاً في الموطأ ومرفوعاً
في غيره : « أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَأَزْكَارِهَا
عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَعْطَاءِ الذَّهَبِ وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ
فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « ذَكَرَ اللَّهُ »
وفي الحديث معاذ كذلك : « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » وهذا كله لأنه هو أساس جميع الأعمال كما
قدمنا ، فاذا حصل ودام وجهه حصلت كلها ودامت على وجوهها .

الثاني : العقد الجازم بعقائد الاسلام في الله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر والقدر كله ، عقداً عن فهم صحيح وادراك راسخ
تتحلّى به النفس بمقتضيات تلك العقائد وتتذوق حلاوتها وتتكون

(١) ٣٠/١٣ الرعد .

(٢) ٤٥/٢٩ العنكبوت .

لها منها ارادة قوية في الفعل والترك تملك بها زمامها ، تلك الارادة التي لا تكون الا عن عقيدة راسخة في النفس ويقين مطمئن به القلب .
ولذا كان هذا الضرب من ذكر القلب متفرعاً عن الضرب الأول
ومبنياً عليه .

الثالث : استحضار عظمة الرب وانعامه وما يستحقه من القيام بحقه عند كل فعل وترك فيفعله باذنه لوجهه ويترك باذنه لوجهه .
ولا يدوم هذا الاستحضار الا اذا رسخت العقيدة التي هي من مقتضى الضرب الثاني ، ودامت الفكرة التي هي من مقتضى الضرب الأول ، فهو متفرع عنهما ومتوقف عليهما . وهذا الضرب هو أساس التقوى وهو المراد في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(١) » .

فان الذكر المناسب لمواطن الحرب هو استحضار عظيم حق الله على العبد في القيام بذلك الفرض ، واستحضار وعده ووعيده ، مما يقوي القلب ويكسب الجرأة والثبات وانتظار النصر — دون كثرة الذكر اللساني — فقد جاء عن النبي — صلى الله عليه وسلم — :
طلب الصمت عند جلبة العدو وصخبه . وهو المراد أيضاً في قوله تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنِّ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(١) » . فان الابتغاء من فضل الله هنا هو التصرف بوجوه التجارة والكسب وليس ذلك مما يناسبه ذكر اللسان كثيراً ، فان ذكر اللسان يطلب فيه التدبر ، وأن ذلك غير متيسر للمشتغل بالبيع والشراء ،

(١) ٤٦/٨ الانفال .

(٢) ١٠/٦٢ الجمعة .

الذكر

وانما يناسبه استحضار عظمة الرب وانعامه ولازم حقه ليمثل أمره ونهيه في وجوه الأخذ والعطاء والقضاء والاقتضاء .

ذكر اللسان وهو ضربان :

الأول : ذكر الله — تعالى — بالثناء عليه والاعتراف بنعمه واظهار الفقر اليه بأنواع الأذكار والدعوات ... وهذا الذكر شرط الاعتداد به حضور القلب عنده . ومن أظهر الآيات الواردة فيه قوله تعالى : « فَأَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ (٢) » فان النبي — صلى الله عليه وسلم — لما بلغ في حجته المشعر استقبل القبلة ودعا وكبّر وهلّل ووحد .

فان النبي — صلى الله عليه وسلم — لما بلغ في حجته المشعر استقبل القبلة ودعا وكبّر وهلّل ووحد .

الثاني : ذكره تعالى بدعوة الخلق اليه ، وارشادهم الى صراطه المستقيم الموصل اليه بتعليم دينه والتنبيه على آياته وانعاماته وتبيين محاسن شرعه وتفهم أحكامه وشرح حكيمته في خلقه وأمره والترغيب والترهيب بوعدته ووعدته ، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين في التبليغ عن رب العالمين واتّباعهم للمؤمنين ، الى يوم الدين ، ولذا قال عطاء : **مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصلّي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج ... وأشباه هذا .** وما سمّاه قليل من كثير قصد به تقريب التبيين بالتمثيل .

ذكر الجوارح وهو ضرب واحد :

فذكرها استعمالها في الطاعات ، وكل عمل لها أو انكفاف على مقتضى الشرع ، فهو طاعة ، وكل طاعة لله فهي ذكر ، فكل عامل لله

(١) ١٩٨/٢ البقرة .

بطاعته فهو ذاكر لله - تعالى - . كما حكاه النووي عن سعيد بن جبير وغيره من العلماء ، مستدلاً به على أن فضيلة الذكر ليست منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها . وبهذا يمكن للعبد الموفق أن يكون ذاكراً لربّه في يقظته ونومه وصحته ومرضه وعلى جميع أحيانه .

القسم العملي

أمر الله عباده بذكره في غير ما آية من كتابه وغير ما حديث من كلام نبيّه ، ووعد عليه بجزيل الثواب . ومن الآيات العامة في هذا الأمر قوله تعالى : « فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَ كُمْ » (١) وهو أمر بالذكر بوجوهه الثلاث فحق علينا أن نذكره بها . وكما تلقينا هذا الأمر وهذا الوعد عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كذلك علينا أن نتلقى عنه كيف كان يعمل به ، فهو المبلغ عن الله - تعالى - بقوله وفعله والمبين كذلك بهما . ولا شك أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان دائم ذكر القلب بالفكر والعقد والاستحضار ، دائم ذكر الجوارح في أنواع الطاعات . وقد جاء في شمائله الشريفة أنه كان - صلى الله عليه وآله وسلم - : « دائم الفكرة لا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت » وأنه « كان سكوته على أربع : على الحلم والحذر والتقدير والتفكير » . وأما الذكر اللساني فقد كان - صلى الله عليه وآله وسلم - كما جاء في شمائله أيضاً : « لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر » . فلا يخلو مجلسه من ذكر الله . كما كان يسكت ويطل السكوت كما تقدم ، وقد روى عنه الأئمة من أذكار اليوم والليلة وسائر الأذكار ما فيه الكفاية والشفاء .

فالمؤمن الذي يحافظ على قلبه ويعتني به حتى يكون صحيح العقد دائم الفكر والاستحضار ، ويأتي مع ذلك من الأذكار الماثورة المطلقة بما تيسر منها ، وبالمرتبة في الأحوال والأوقات التي رتبت عليها ، ولا يخلي مقامه ومقعده من شيء من ذكر الله وان قل — يكون متبعاً للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في سنته في الذكر ، ويكون بهذا — في بيته وفي سوقه وفي مصنعه وفي مسجده — معدوداً من الذاكرين المكثرين ، بالقلب واللسان والجوارح •

التحذير : ربما شغل اللسان بالتعلم والعلم عن الأذكار الماثورة حتى يتركها الطالب جملة ويكون عنها من الغافلين ، فيحرم من خير كثير وعلم غزير ، وقد كان — صلى الله عليه وآله وسلم — معلم الخلق ، وما كان يغفل عن تلك الأذكار •

وربما بالغ قوم في بعض هذه الأذكار فأتوا منه بالآلاف ، وأهملوا جانب التفكير الذي هو أعظم أذكار القلب ، والذكر اللساني أحد وسائله ، فتشغلهم الوسيلة عن المقصود • وليس ذلك من هدى من كان — كما تقدم — دائم التفكير • وقد يؤديهم الذكر اللساني بالألوف الى الانقطاع عن مجالس العلم والزهد في التعلم فيفوتهم ما قد يكون تعلمه عليهم من فروض الأعيان • وليس من سداد الرأي وفقه الدين اهمال المفروض اشتغالاً بغير المفروض •

ويقابل هذا الغلو في ذكر اللسان ما رآه آخرون من الاقبال على التفكير الأيام والليالي ، مع ترك اللسان • وهذا زيغ عن طريق النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في المحافظة على الأذكار اللسانية التي امتلأت كتب الحديث بالترغيب فيها والحث عليها •

فليحذر المؤمن من هذا كله ومن مثله وليتمسك بما كان عليه النبي — صلى الله عليه وسلم — من الاتيان بضروب الذكر الثلاثة كلها منزلاً

آثار ابن باديس

لها في منازلها متعبداً الله - تعالى - بجميعها ، والله الموفق وبه
المستعان (١) .

(١) ش : ج ٢ م ٥ ص ١ - ٧ . غرة شوال ١٣٤٧ - مارس
١٩٢٦ .

ما هو أفضل الأذكار

تمهيد : حالتنا العبد ، الفتنوى النبوية فيهما ،
القسم العملي . أفضل الأذكار ، آيات في الباب ،
أحاديث فيه ، القرآن يحصل فضل الحالتين ،
القرآن والذكر القلبي ، القرآن والذكر اللساني ،
القرآن والذكر العملي ، بعض علوم القرآن .
نتيجة الاستدلال . القسم العملي ، مقدار
التلاوة ، ما يقصد من التلاوة ، التحذير .

تمهيد :

للعبد حالتان ؛ حالة يعالج فيها شؤون الحياة من أمر نفسه
وأهله وما الى رعايته من مصالحه أو مصالح غيره ، فيمارس فيها
الأسباب ويباشر فيها ما تقتضيه بشريته ، وهو في هذه الحالة متعبد
مأجور ما جرى فيها على حدود الله وقصد بها امتثال شرعه .

وحالة ينفرد فيها لربه ويخلص من هم ذلك كله قلبه ، ويتوجه
بكلية الى خالقه ، بالفكر والاعتبار ودوام المراقبة والاقبال .

وهذه الحالة الثانية هي أشرف وأفضل حالته ، وهي أساس الاستقامة
في الحالة الأولى وأصل الكمال في غيرها .

كانت هاتان الحالتان للنبي — صلى الله عليه وسلم — كما كانتا
لغيره ، وقوله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « انه ليفان على قلبي
فاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة » — اشارة الى الحالة الأولى
التي يكون فيها قائماً بمصالح الأمة وناهماً بأعباء الرسالة ومباشرة

الشؤون العامة والخاصة وراها دون الحالة الثانية التي يكون فيها متفرغ القلب للرب . وما كان ذلك العين الا الاشتغال بأمر الخلق في الحالة الأولى ، الذي يحجب عن كمال مشاهدة الحق ، التي في الحالة الثانية ؛ فاستغفر الله — تعالى — منه ، وما كان استغفاره — عليه الصلاة والسلام — الا لاشتغاله بكامل عن أكمل ، وتوجهه للقيام بأمر عظيم عن مقام أعظم .

وقد تفتن الصحابة — رضوان الله عليهم — لهاتين الحالتين وسألوا النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — عنهما وافتاهم فيهما فجاء في الصحيح أن حنظلة الأسيدي — وكان من كتّاب النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ، قال : قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال : قلت : زكون عند رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يذكرنا بالنار والجنة ، كأنها رأي عين فاذا خرجنا من عند رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله انا لنلقي مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وقلت ، نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : وماذاك ؟ قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ؛ فنسينا كثيراً . فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم . ولكن يا حنظلة ساعة وساعة . ثلاث مرات .

فقوله — صلى الله عليه وآله وسلم — : «ساعة وساعة» بيان للحالتين وتقرير لهما . وقوله : والذي نفسي بيده الى آخره بيان لفضلاهما .

هذه الحالة الفضلى الذكرى التي يحصلها للعبد على أكمل وجه هو أفضل الأذكار ، وستعرف مما سيأتي بعد أنه هو القرآن . وقد قسمنا ما سنقول الى قسمين : علمي وعملي ، وختمناه بفصل في التحذير .

القسم العلمي

القرآن افضل لاذكار - من طريق الاثر :

قال تبارك وتعالى :

« وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ (١) » . « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ (٢) » . « إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ (٣) » .

فهذه البركة ، وهذا التيسير ، وهذا الأمر بالتلاوة المقرون بالأمر بتوحيد العبادة وبالاسلام على طريق الحصر لم ترد الا في القرآن .

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ « أَلَمْ » حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَوَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وهذه مشوبة لم ترد لغير القرآن من جميع الأذكار .

(١) ٥٠/٢١ الانبياء .

(٢) ١٧/٥٤ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠ القمر .

(٣) ٩١/٢٧ - ٩٢ النمل .

وروى الترمذي عن أبي أمامة مرفوعاً : (ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه) . ومن معناه ما ذكره القرطبي عن فروة بن نوفل عن خباب بن الأرت قال : ان استطعت أن تقرب الى الله — عزاً وجل — فانك لا تقرب اليه بشيء أحب اليه من كلامه . ومثل هذا لا يقال بالرأي ، فهو في حكم المرفوع .

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — مرفوعاً : يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته افضل ما اعطي السائلين . وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

وهذا الحديث والذي قبله نصان صريحان في المقصود .

وروى البيهقي في شعب الايمان عن عائشة — رضي الله عنها — ، مرفوعاً : قراءة القرآن في الصلاة افضل من قراءة القرآن في غير الصلاة . وقراءة القرآن في غير الصلاة افضل من التسبيح والتكبير .

وروى أبو نعيم عن ابن عمر — رضي الله عنه — : سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : قراءة القرآن في الصلاة ، ثم قراءة القرآن في غير الصلاة ، فان الصلاة افضل الأعمال عند الله واحبها اليه ، ثم الدعاء والاستغفار ، فان الدعاء هو العبادة ، وان الله — تعالى — يحب الملح في الدعاء ، ثم الصدقة فانها تطفيء غضب الرب ... ثم الصيام . فان الله — تعالى — يقول : الصوم لي وانا اجزي به . والصيام جنة للعبد من النار . قال القرطبي — بعد ما خرّج هذا الحديث بسنده — قال علماؤنا : هذا حديث عظيم في الدين يبين فيه أن أعظم العبادات قراءة القرآن في الصلاة .

القرآن افضل الاذكار — من طريق النظر :

ان أشرف حالتي الانسان — وهي حالة انفراده بربه ، وتوجهه

بكلية اليه ، وخلص قلبه له وتعلقه به — انما تحصل على أكملها لتالي القرآن العظيم • فان أفضل ما فيه — وهو قلبه — يكون قائماً بأفضل أعماله ، وهو التفكير والتدبر في أفضل المعاني ، وهي معاني القرآن • وان ترجمان ذلك القلب — وهو لسانه — يكون قائماً بأفضل أعماله ، وهي البيان بأفضل كلام وهو القرآن • وجوارحه — اذا لم يكن في صلاة — كانت مجبوسة على قيام القلب واللسان بأفضل الأعمال • واذا كان في صلاة كانت قائمة بأفضل عبادة ، وهي الصلاة في أشرف موقف ، وهو مناجاة الرحمن بآيات القرآن •

فهذا الذكر الحكيم تنزيل الرحمن الرحيم ، الذي يحصل هذه الحال التي هي أشرف الأحوال ، وهي معراج الأرواح لمنازل الكمال — هو أفضل الأذكار •

وأيضاً — فان الذكر قلبي ولساني وعملي ، والقرآن محصل لذلك كله على أكمله كما سنبينه •

القرآن والذكر القلبي :

فالتالي للقرآن المتدبر لآياته يكون متفكراً في مخلوقات الله وما فيها من حكم ومن نعم ، وفي معاني أسمائه وصفاته ، وفي مظاهر رحمته واحسانه وبطشه وانتقامه ، وفي أسباب ثوابه وعقابه ، وفي مواقع رضاه وسخطه • كما يكون التالي أيضاً متبصراً في عقائده خبيراً بأدلتها ورد الشبه عنها ، كما يكون أيضاً مستحضراً لربه في قلبه باستحضار حقوقه ونعمه وآلائه ، اذ هذا كله مما تضمنته آي القرآن ، على أكمل بيان ، وأوضح برهان •

القرآن والذكر اللساني :

وكذلك قد اشتمل القرآن على أفضل الأذكار اللسانية ، من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد واستغفار ودعاء ••• ، وعلى الأسماء

الحسنى والصفات العلى للرب تبارك وتعالى . فتاليه يكون ذاكرآ بهذه الأذكار كلها .

القرآن والذكر العملي :

ان تلاوة القرآن بالتدبر تثمر للتالي التوبة والاناة ، والرجاء والخوف ، وذلك كله مما يكون له خير داعٍ الى الاستقامة - ولو بعض الشيء ، - في سلوكه العملي .

هذا شيء قليل مما للقرآن في الذكر بأنواعه الثلاثة ، الى ما فيه من علم مصالح العباد في المعاش والمعاد ، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والأخرى وعلم النفوس وأحوالها ، وأصول الأخلاق والأحكام وكليات السياسة والتشريع وحقائق الحياة في العمران والاجتماع ، ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والعدل والاحسان . الى ما تقصر عن عدء الألسنة وتعجز عن الاحاطة به الأفهام ، وانما ينال كل تال منها على قدر ما عنده من سلامة قصد وصحة علم بتقدير وتيسير من الحكيم العليم .

نتيجة الاستدلال :

لهذه الادلة الاثرية والنظرية المذكورة وغيرها ذهب الأئمة من السلف والخلف الى أن قراءة القرآن أفضل من الذكر . قال سفيان الثوري : « سمعنا أن قراءة القرآن أفضل من الذكر » . نقله القرطبي في الباب السابع من كتاب التذكار . وقال النووي : « واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسييح والتهليل وغيرهما من الأذكار ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك » . قاله في الباب الثاني من كتاب التبيان . (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ٥ ، ص ١ - ٦ . غرة ذي القعدة ١٣٤٧ هـ -

افريل ١٩٢٩ م .

القسم العملي

مقدار التلاوة :

قد كان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لا يخلي ليله ولا نهاره من تلاوة القرآن وكان — كما قال القرطبي — يختمه في سبع • وهكذا قال لعبد الله بن عمر — رضي الله عنه — : « واقرا في كل سبع ليال مرة » وقد كان قال له أولاً : « واقرا القرآن في كل شهر » فلما قال انه يطيق أكثر من ذلك نقله الى العشرين والى الخمسة عشر والى العشر وانتهى به الى السبع في قول الأكثر • وكان هذا فعل الأكثرين من السلف • وعند الترمذي وغيره من حديث ابن عمر — رضي الله عنه — مرفوعاً : « لا يفقه من قرا القرآن في أقل من ثلاث » وهذا ترخيص فيما دون السبع وترغيب عما دون الثلاث • وقد فهم السلف من هذه الأحاديث بيان ما يكون وظيفته وحزباً يستمر عليه ، فلذا لم يستنعوا من ختم القرآن في أقل من ذلك في مرات في بعض الأحوال • وقد ثبت عن كثير منهم ختم القرآن في ركعة واحدة •

ولا شك أن أحوال حملة القرآن تختلف في التفرغ للتلاوة والاشتغال بغيرها ، وأحوال الشخص الواحد في نفسه تختلف كذلك ، فيرتب حامل القرآن حزبه من الشهر الى السابع على حسب حاله • فاذا لم يكن من حملة القرآن فلا يخل ليله ولا نهاره من تلاوة شيء مما معه حسب استطاعته ، ولا يكن من الغافلين •

ما يقصده من التلاوة :

قراءة القرآن أفضل أعمال اللسان ، وتدبر معانيه أفضل أعمال القلب • هذا من حديث أبي أمامة عند الترمذي الذي قدمناه في القسم الأول • فليقصد التالي التقرب الى الله — تعالى — بهما •

والقرآن موعظة ترقق القلوب القاسية فليقصد تليين قلبه •
والقرآن شفاء لأدواء النفوس في عقائدها وأخلاقها وأعمالها فليقصد
الشفاء به من ذلك كله •
والقرآن هدى ودلالة على كل ما يوصل الى سعادة الدنيا والأخرى
فليقصد الاهتداء بهديته •
والقرآن رحمة من الله للمؤمنين فليستنزل بتلاوته وتدبره الرحمة
من الله — تعالى — بافاضة علوم القرآن على قلبه وبتوقيفه الى القيام
بمقتضى هدايته •

ولا يسلم تالي القرآن — لانه غير معصوم — من ذنوب قد يصدأ
لها قلبه ، فليقصد بتلاوته جلاء قلبه والتوفيق للتوبة من ذنبه • وليجعل
تلاوته لأجل تحصيل التوبة من أعظم وسائله الى ربه • وقد مضى لك
في الحديث القدسي في القسم الأول : « مَنْ شغله قراءة القرآن عن
مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين » •

التحذير :

زعم قوم : ان الصلاة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم —
خير لعامة الناس من تلاوة القرآن • قالوا : لأن الصلاة ثوابها محقق
ولا يلحق فاعلها اثم ، والقرآن اذا تلاه العاصي كانت تلاوته عليه اثماً
لمخالفته لما يتلوه • واستدلوا على هذا بقول أنس — رضي الله عنه —
الذي تحسبه العامة حديثاً : « ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » •
فأدعى هذا بمعتقديه الى ترك قراءة القرآن أو التقليل منها • فليحذر
من هذا الرأي ومما أدى اليه •

للصلاة منزلتها وفضلها ، وللقرآن منزلته وفضله ، فليأت الذاكر من
الصلاة ومن غيرها من أبواب الذكر بما لا يؤدي الى ترك أو تقليل
تلاوة القرآن الذي هو أفضل الأذكار •

وهذا الرأي المتقدم في تفضيل الصلاة على التلاوة مخالف تمام المخالفة لما نقلناه في « نتيجة الاستدلال » عن أئمة السلف والخلف من أن قراءة القرآن أفضل من جميع الأذكار ، ولم يفرقوا في ذلك بين عامة وخاصة ، ومخالف كذلك لمقاصد الشرع من تلاوة القرآن ، وذلك من وجوه :

الوجه الاول : ان المذنبين مرضى القلوب ، فان القلب هو المضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله . فكل معصية يأتي بها الجسد هي من فساد في القلب ومرض به ، وان الله - تعالى - قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِظَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (١) » « وَتَنْزِيلٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) » فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا به بألفاظه ومعانيه . وذلك الرأي يصرف المذنبين عن تلاوته .

الوجه الثاني : ان القلوب تعثرها الغفلة والقسوة والشكوك والأوهام والجهالات . وقد تتراكم عليها هذه الأدران كما تتراكم الأوساخ على المرأة فتطمسها وتبطل منفعتها ، وقد يصيبها القليل منها أو من بعضها ، ولا تسلم القلوب على كل حال من اصابتها ، فهي محتاجة دائماً وأبداً الى صقل وتنظيف بتلاوة القرآن ، وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الى هذا - فيما رواه البيهقي في الشعب والقرطبي في التذكار - بقوله : « ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد . قالوا :

(١) ٥٧/١٠ يونس .

(٢) ٨٢/١٧ الاسراء .

يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن» . فمقصود الشارع من المذنبين أن يتلوا القرآن لجلاء قلوبهم ، وذلك الرأي يصرّفهم عنه .

الوجه الثالث : ان الوعيد والترهيب قد ثبتا في نسيان القرآن بعد تعلمه وذهابه من الصدور بعد حفظه فيها ، فروى أبو داود عن سعد : « ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله أجذم » . وروى الشيخان عن عبد الله : « استذكروا القرآن فانه أشد تقصياً من صدور الرجال من النعم » . فمقصود الشرع دوام التلاوة لدوام الحفظ ودفع النسيان وذلك الرأي أدى الى تقليدها أو تركها الموقع في النسيان .

والى مخالفته مقصود الشرع بهذه الوجوه فان له لوازم فاسدة :

منها : أن صلاة النافلة مرغّب فيها على العموم ، وهي مشتتلة على قراءة القرآن . فماذا يقول أصحاب هذا الرأي ؟ فهل يرغبون المذنبين — أمثالنا — عن النافلة طرداً لأصلهم ؟ أم ينهون عن قراءة القرآن في النافلة فيقولون ما لم يقله أحد ؟ أم يقولون بالاقْتِصَار على قراءة سورٍ فيتحكمون في الأحكام ؟ !

ومنها : أنه قلّ من يسلم من مخالفته للقرآن بعمله . فاذا ذهبنا مع ذلك الرأي حرم خلق كثير من تلاوة القرآن . وكفى بقول يؤدي الى هذا كله راداً على نفسه . وأما قولهم : « ان تالي القرآن يأثم بقراءته مع مخالفته » ، فهي دعوى لم يقيموا عليها من نص صحيح صريح من سنة أو كتاب ، بل الدليل قائم على خلافها ، فان المذنب يكتب عليه ذنبه مرة واحدة ولا يكتب عليه مرة ثانية اذا ارتكب ذنباً آخر، وانما يكتب عليه ذلك الذنب الآخر . فكيف اذا باشر عبادة التلاوة ؟ والأصل القطعي — كتاباً وسنة — ان من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهو يبطل أن تجدّد له سيئاته اذا جاء بحسنة تلاوة القرآن .

وأما قول أنس — رضي الله عنه — : « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » فليس معناه أن القرآن يلعنه لأجل تلاوته ، وكيف وتلاوته عبادة ؟ وانما معناه أنه ربما تكون له مخالفة لبعض أوامر القرآن أو نواهيه من كذب أو ظلم مثلاً فيكون داخلاً في عموم لعنه للظالمين والكاذبين ، فخرج هذا الكلام مخرج التقييح لمخالفته القرآن مع تلاوته بعثاً للتالي على سرعة الاتعاط بآيات القرآن وتعجيل المتاب ، لا مخرج الأمر بترك التلاوة والانصراف عنها . هذا هو الذي يتعين حمل كلام هذا الصحابي الجليل عليه بحكم الأدلة المتقدمة .

وثبت في الصحيح قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — :
«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه» .
وهذا في المتعبد بالصيام الذي يوقع الزور والعمل به في وقت صيامه ، فيكون متلبساً بالعبادة والمخالفة في وقت واحد . ومع هذا فقد قال الشراح في معنى الحديث — والعبارة للقسطلاني — : « وليس المراد الأمر بترك صيامه اذا لم يترك الزور ؛ وانما معناه التحذير من قول الزور » ، فهو كقوله — عليه الصلاة والسلام — :
« من باع الخمر فليشقص الخنازير » أي يذبحها ، ولم يأمره بشقصها ولكنه على التحذير والتعظيم لاثم شارب الخمر . وكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به لئتم له أجر صيامه . فمن باب أخرى وأولى أن لا يكون قول أنس — رضي الله عنه — محمولاً على طلب ترك التلاوة من المذنب لانه غير مباشر لذنبه في حال تلاوته ، وانما المقصود تحذيره من الاستمرار على المخالفة وترغيبه في المبادرة بالتوبة ليكمل له أجر تلاوته بكمال حالته .

هذا حظ العلم في الاستدلال على حاجة المذنبين الى تلاوة القرآن العظيم ، وأما حظ التجربة ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، ما رأيت — وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب — أعظم الآنة للقلب ،

واستدراراً للدمع ، واحضاراً للخشية ، وأبعث على التوبة من تلاوة القرآن وسماع القرآن •

نعود الى تسميم الكلام على التحذير :

ليحذر القاريء من السرعة في التلاوة التي تؤدي الى تخليط كلماته وتذهب بحلاوته وتضع من بقاء أثره في النفس •

وليحذر من ذهاب قلبه مسترسلاً مع خواطره ، منصرفاً عن تدبيره والتذكر به • واذا عرضت له الخواطر فليصرفها ليدفعها وليحمل فكره على تدبر آيات الكتاب ولا ينقطع عن التلاوة ، واذا كانت الخواطر لا تفارقه ، فان تصيبه على دفعها مع تكاثرها من جهاده لنفسه الذي يثاب عليه وينتهي به في الأخير الى الانتصار عليها •

وليحذر من الاستمرار على ما عنده من مخالفة لأوامر ونواهي الكتاب ، ومن عدم الخوف والوجل عند المرور بآيات الوعيد والتقريع على ذلك الذنب ، اذا لم يوفق للتوبة في بعضها فليستحضر الخشية والخشوع عند الآيات المتعلقة بذلك الذنب ، وليكررها وليتفهمها وليقف عندها وقفة العاجز الذليل الفقير المتضرع لربه ، المتعرض لرحمته ، بتلاوة كلامه ، فان هذا من أعظم الوسائل لتيسير التوبة •

فرتل القرآن ، وتدبر معانيه ، والتزم حدوده ، واضرع الى الله — تعالى — أن يرزقك التوبة فيما عندك له من مخالفة ، تكن من الفائزين باذن رب العالمين^(١) •

(١) ش : ج ٤ ، م ٥٥ ، ص ١ - ٦ . غرة ذي الحجة ١٣٤٧ هـ -
ماي ١٩٢٩ م •

خطبة

في افتتاح دروس التفسير العام بالجامع الأخضر

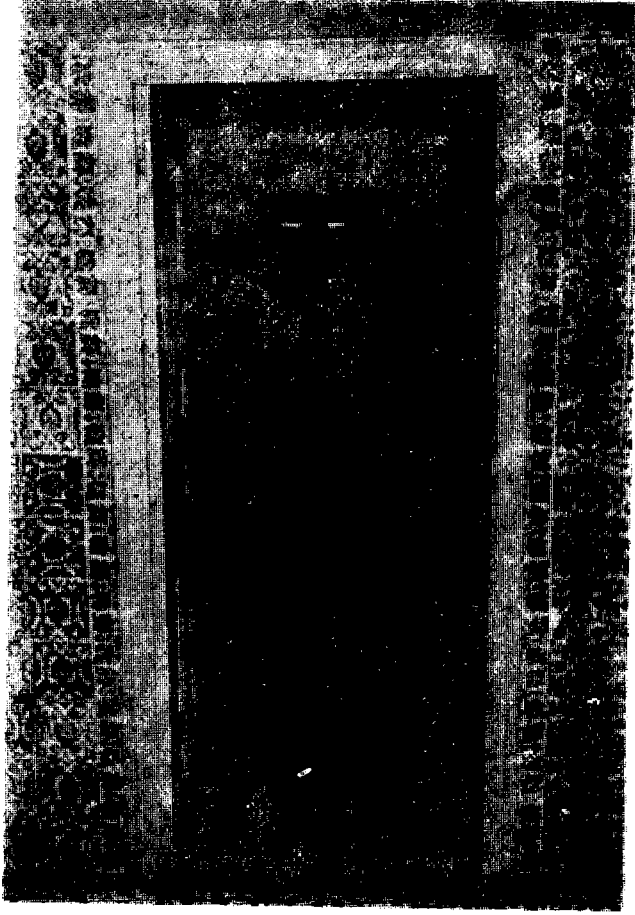
الحمد لله الذي شرفنا بخطابه ، وألهمنا حفظ كتابه ، وجعلنا من أمة سيد أحبائه • والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختاره الله — تعالى — من صميم العنصر العربي ولبائه ، وحلائمه بأسمى معارف النوع البشري وأكمل آدابه ، وأرسله رحمة للعالمين ليكشف عن الدين ما كشف من حجابيه ، ويهدي من سبقت له العناية الربانية الى أعتابه ، فأدعى الرسالة وبلغ الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى رجع الحق الى نصابه • وعلى الغرّ الميامين من آله ، والشم الفطارين من أصحابه ، وعلى التابعين لهم باحسان على مرّ الزمان وتوالي أحقابه •

أما بعد ، فإن القرآن كلام الجبار ، وسيد الأذكار ، فيه من العلم ما يفتح البصائر ، ومن الأدب ما ينوّر السرائر ، ومن العبر ما يبهر الألباب ، ومن الحكيم ما يفتح للعلم والعمل كل باب ، هو القول الفصل ، والحكم العدل ، فمن استهدى بغيره ضل ، ومن سلك غير نهجه زل ، ومن اتبعه كان على الصراط المستقيم •

فالحمد لله الذي يسّر لنا العودة الى تفسيره ، والكرع من عذب نميره • وطوبى وبشرى — ان شاء الله تعالى — لحاضري دروسه ، بالنفع العميم ، والأجر العظيم ، والنعيم المقيم •

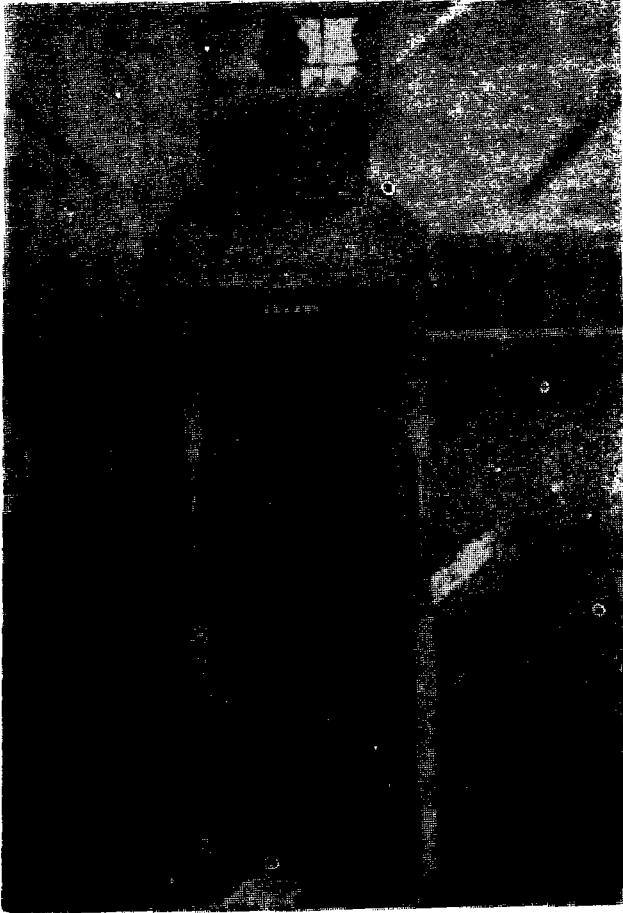
والله نسأل أن يرزقنا الاخلاص في القصد ، والصحة في الفهم ، والبيان في القول ، والتوفيق في العمل ، والتيسير للختم ، انه المولى

الكريم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين (١) .



المقصورة الواقعة داخل الجامع الأخضر التي كان
يجلس فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس
قبل ابتداء الدرس ، والجامع الأخضر أسسه
حسين باي للصلاة والتعليم سنة ١١٥٦ هـ

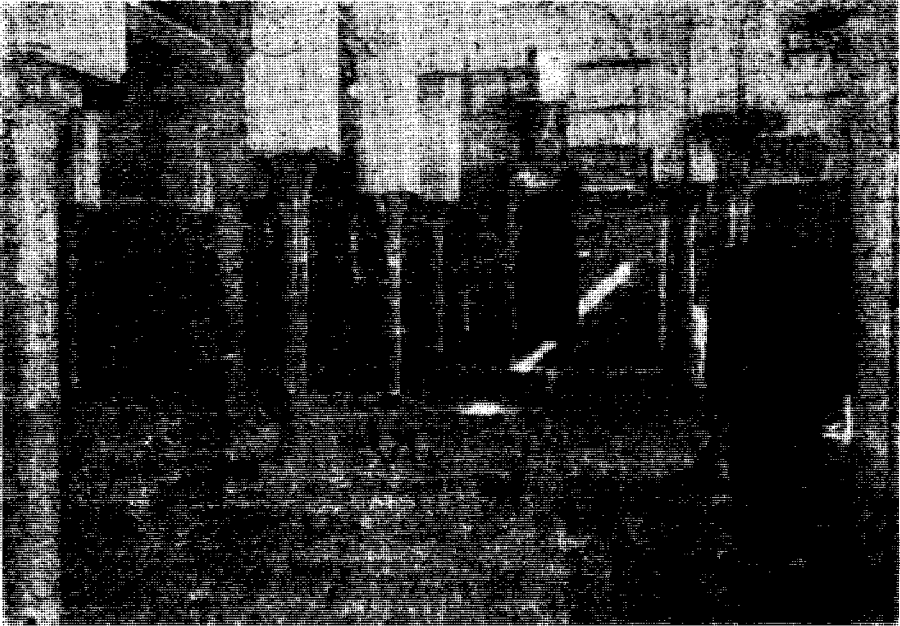
(١) ش : ج ١١ م ٦ ، ص ٥٩ ، غرة رجب ١٣٤٩ هـ ديسمبر
١٩٣٠ م .



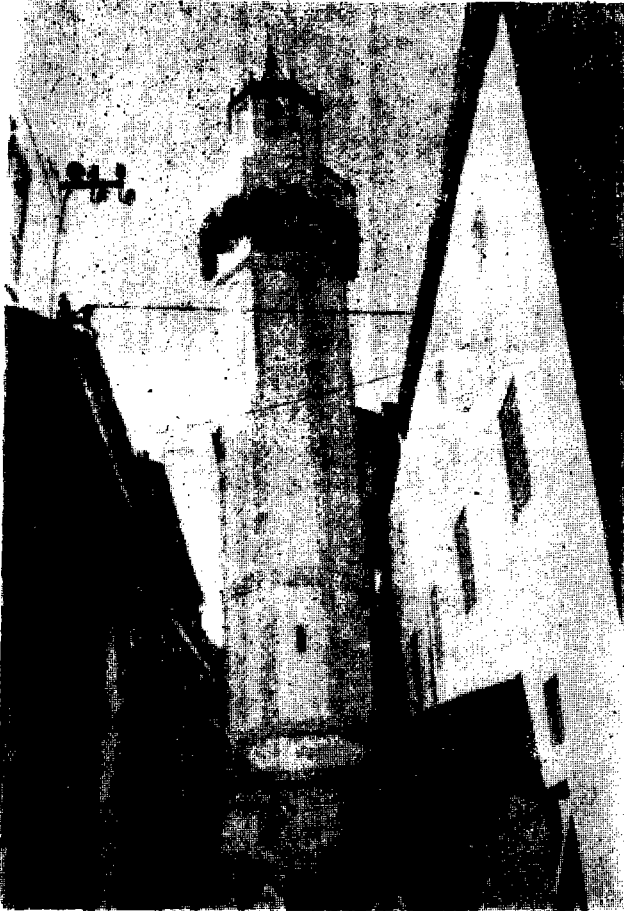
منبر الجامع الأخضر



سدة الجامع الأخضر التي كان يعلم فيها بعض المواد التي تمنع فرنسة
تدريسها كالتاريخ والجغرافية



صورة عامة للحرم في مسجد سيدي الأخضر (الجامع الأخضر) الذي
يعتبر أهم مركز ثقافي وأهم مؤسسة تربوية علمية من المؤسسات
التي علم فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله



الجامع الأخضر ومأذنته

افتتاح

الدروس العلمية الاسلامية
بالجامع الاخضر ومسجد سيدي قموش

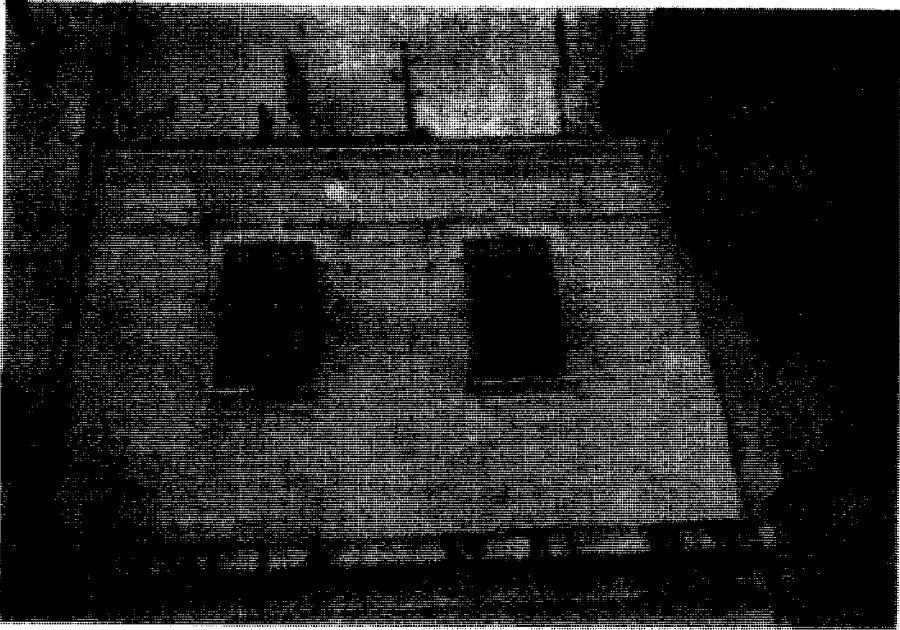
خطبة الافتتاح

القاهما عبد الحميد بن باديس بعد صلاة العشاء
بالجامع الاخضر مفتتحاً بها درس تفسير القرآن
العظيم الذي افتتح به التدريس كما هي العادة
في كل سنة .

- الحمد لله حمداً كبيراً كثيراً ، ومجده أكبر ، ورفده أكثر .
- والشكر لله شكراً جزيلاً وفيراً ، ونعمته أجزل ورحمته أوفر .
- أحمده ، قذف بالحق على الباطل فدمغه فأزহقه .
- وأشكره ، نصر حزب الحق وبحلية آلائه طوقه .
- وخذل حزب الباطل وبغصة كيده أشرقه .
- فله الحمد ، وله الشكر بدءاً وعوداً رب العالمين .
- وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، توحيداً خالصاً له في الوهيته وربوبيته .
- وأشهد أن محمداً عبده ورسوله تصديقاً صادقاً له في نبوته ورسالته ، شهادة تنكب بها عن سبل الغالين والمقصرين .

ونكون بها على ملّة ابراهيم - عليه السلام - :
« مَا كَانَ اِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » •
ونرجو بها من فضل ربنا أن نكون مع الذين أنعم الله عليهم من
النبیین والصادیقین والشهداء والصالحین •

والصلاة والسلام على الشاهد المبشر النذير ، الداعي الى الله باذنه
والسراج المنير ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطب العربي
القرشي الهاشمي امام الأنبياء وخاتم المرسلين •
ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين ، وعن أصحابه الهادين المهتدين

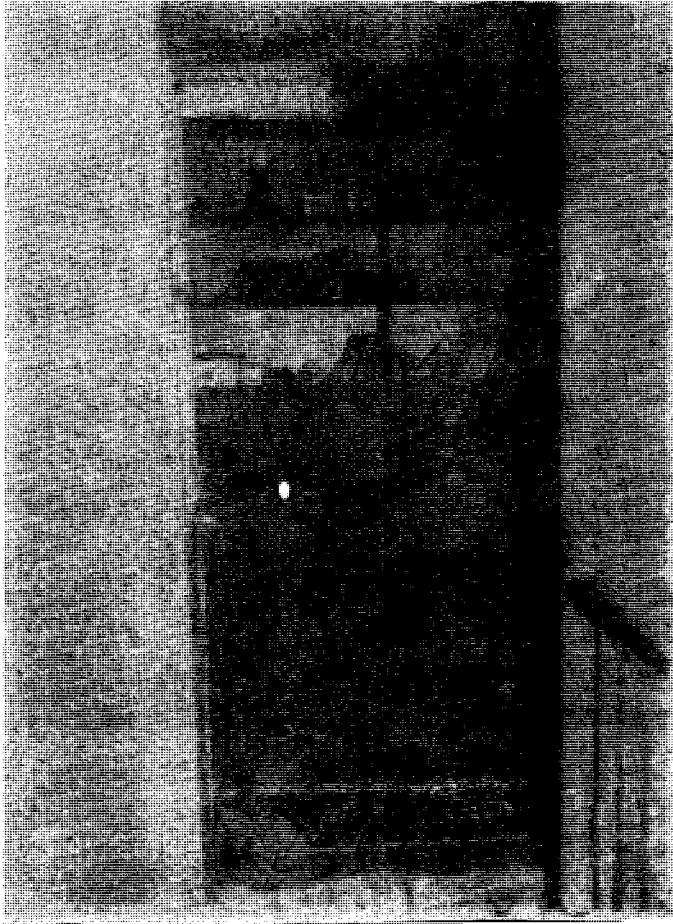


مسجد سيدي قموش ، أسس سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م كما هو مكتوب عليه
كان يدرّس فيه الشيخ عبد الحميد (صورة خارجية)

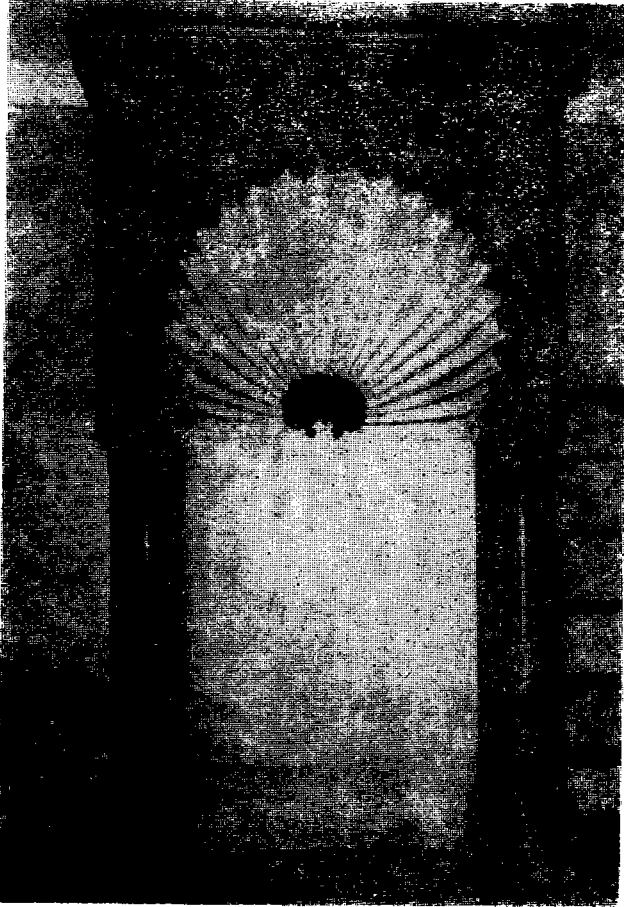
آثار ابن باديس

وعن أئمة الهدى من صالح سلف المؤمنين ، وعن التابعين لهم باحسان
من جميع المسلمين •

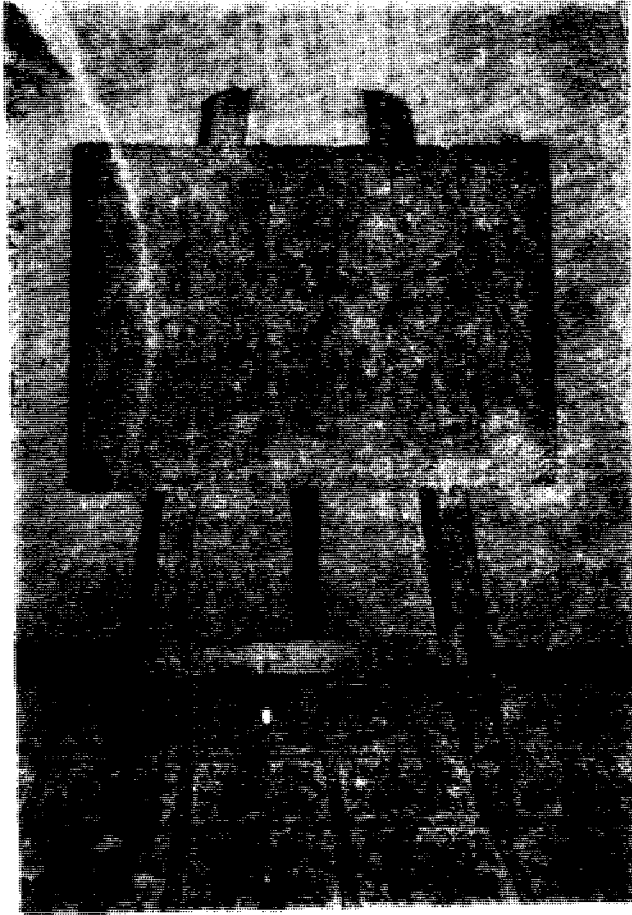
أما بعد ، فقد عدنا — بفضل الله — الى رياض القرآن الموثقة ،
وأنهاره العذبة المتدفقة ، وأنواره الواضحة المشرقة ، تتعظ بسواعظه
الملينة للصخور ، وتتعالج بدوائه الشافي لما في الصدور ، ونستهدي
بهده الموضح للصراط المستقيم ، ونستنزل رحمته العامة للمؤمنين •



غرفة الشيخ عبد الحميد في مسجد سيدي قموش



محراب مسجد سيدي قموش



السبورة التي كان يعلم بها الشيخ عبد الحميد بن باديس
في مسجد سيدي قموش

وعدنا — والحمد لله — الى مدارس القرآن العظيم الذي (١) أنزله الله أمراً وزاجراً ، وسنة خالية ، ومثلاً مضروباً فيه نبأنا ، وخبر من كان قبلنا وحكم ما بيننا لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ، ولا تفتنى عجائبه ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تزيع له الأهواء ، هو الحق ليس بالهزل •

من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن قسم به قسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم •

من طلب الهدى في غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله •

هو الذكر الحكيم ، وهو النور المبين ، هو الصراط المستقيم ، وهو جبل الله المتين ، فمن تمسك به نجا ، ومن تركه كان من الهالكين — عياداً بالله السميع العليم •

فالله نسأله — كما وفقنا لقراءته ومدارسته — ان يوفقنا لفقهه ومتابعته ، وأن يجعله — في الدارين — حجة لنا لا علينا ، وأن يكون نوراً لنا في الدنيا والآخرة ، وفي عرصات القيامة ، وعلى متن الصراط حتى ندخل معه الجنة دار السلام بسلام آمنين ، آمين يارب العالمين (٢) •



(١) قد وصف القرآن العظيم بهذه الصفات في حديث الترمذي وغيره •

(٢) ش: ج ١٣ ، م ٩٦ ، ص ٥١٢ - ٥١٤ ، غرة شعبان ١٣٥٢ هـ - ديسمبر ١٩٣٣ م •

خطبة افتتاح

لدروس التفسير هاته السنة

جرت عادتنا أن نفتح دروس التفسير من كل سنة بخطبة ، تارة نخرج منها الى نفس التفسير وتارة نطرق بعدها موضوعاً مناسباً للمقام . ولم تكن فيما مضى نعود الى كتابتها وفي هذه السنة رأينا أن نحلي بها صدر الشهاب تعميماً للفائدة .

الحمد لله الذي جعل الانسان بالبيان ، وجعل البيان بالقرآن ، فالانسان دون بيان حيوان " أبكم ، والبيان دون قرآن كلام أجذم ، وذو البيان والقرآن هو الأكمل الأعظم ، قدراً وتقديراً ، والأحسن الأقوم ، عملاً وتفكيراً ، والأسعد الأكرم ، حالاً ومصيراً .

أحمده ، أرسل محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً ، وأنزل عليه القرآن تبصرةً وذكرى ، ومعجزة كبرى ، حجةً وتذكيراً ، وشرع لنا من دينه الحنيف ، مناهل العز والسعادة ، ومهد لنا من شرعه الشريف سبل الحسنى والزيادة ، رحمة منه — تعالى — وفضلاً كبيراً .

وأشكره ، هداًنا واجتباناً ، فرضينا بالله ربنا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن اماماً ، وحبب الينا ديننا ، فوالله لو بذلت لنا الدنيا بحذافيرها في تركه ما ساوت عندنا حبة رغاماً ، توفيقاً منه تعالى و يقيناً صادقاً منا وبصراً بصيراً .

واستغفره لما كان منا من نقص وتقصير في الوفاء بمهده الحق وشكر
فضله الكبير ، انه كان عفواً غفراً شكوراً •

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد أشرف خلقه وأكرم رسله ،
فرق بالقرآن بين الحق والباطل ، وهدى به الضالَّ وعلمَّ به الجاهل ،
وجاهد به — في الله — جهاداً كبيراً •

وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، اقتفوا طريقته ، وأحيوا
سنته ، فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً • وجزاهم
بما صبروا جنةً وحريراً •

وعلى بقية أمته ، وأهل ملته، لبوا دعوته وأموا غايته ناشطاً وحسبياً •

صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم نلقى محمداً — صلى الله
عليه وآله وسلم — ونسعد ببقائه ونحشر بين الأمم تحت لوائه ، ونجزى
بمحبتته — ان شاء الله تعالى — جزاءً موفوراً •

أما بعد ؛ فقد عدنا — والحمد لله تعالى — الى مجالس التذكير ،
من دروس التفسير ، نقطف أزهارها ، ونجنتي ثمارها ، يسر من الله
— تعالى — وتيسير • على عادتنا من تفسير الألفاظ بأرجح معانيها
اللغوية ، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية ، وربط الآيات ،
بوجوه المناسبات ، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد
المعقول ، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف
التأخرون — رحمة الله عليهم أجمعين — • وعمدتنا فيما نرجع اليه من
كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبري ، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية
السلفية ، وبأسلوبه الترسلية البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية ،
وتبرجحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب •

وتفسير الكشاف الذي يمتاز بدوقه في الاسلوب القرآني وتطبيقه

فنون البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها
في أفانين الكلام .

وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية
وتوجيهه للقراءات .

وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية ، مما يتعلق
بالجباد والنبات والحيوان والانسان ، وفي العلوم الكلامية ومقالات
الفرق والمناظرة في ذلك والحجاج .

الى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث
والأحكام ، وغيرها مما يقتضيه المقام .

نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا ، وماخذ ما يسمعونه منا .
ونحن نعلم أننا - والله - كما قال أخو العرب :

لعمر أبيك ما نسب المعلّى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

وكما نقول في مثل : « انما نكحّلت في موضع العينين » واذا
نظرنا الى قصورنا وخطورة مقام الكلام على كلام الله - تعالى -
أحجبتنا . واذا رأينا الى فضل الله وثقتنا به وحسن قصدنا - ان شاء
الله تعالى - في خدمة كتابه أقدمنا . وهذا الجانب الكريم أرجح عندنا ،
فنحن نقدم معتمدين على الله تعالى ، سائلين منه تعالى لنا ولكم
أن يوفقنا الى حسن القصد ، وصحة الفهم ، وصواب القول ،
وسداد العمل .

دعوة أهل الكتاب

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) » .

أرسل الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - لجميع الأمم فكانت رسالته عامة وكانت دعوته عامة مثلها . وجاءت آيات القرآن بالدعوة العامة في مقامات ، وبالدعوة الخاصة لبعض من شملتهم الدعوة العامة في مقامات أخرى . ولما أرسل الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان الخلق قسمين : أهل كتاب - وهم اليهود والنصارى - وغيرهم . وكان أشرف القسمين أهل الكتاب بما عندهم من النصيب من الكتاب الذي أوتوه على نسيانهم لحظ منه وتحريفهم لما حرفوا وكانوا أولى القسمين باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - بما عرفوا قبله من الكتب والأنبياء ، فلهذا وذلك كانت توجه اليهم الدعوة الخاصة بمثل قوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) الى آخر الآيتين . وفي ندائهم بيا أهل الكتاب تشریف وتعظيم لهم باضافتهم للكتب ، وبعث لهم على قبول ما جاء به محمد - صلى الله

عليه وسلم - لأنه جاء بكتاب ، وهم أهل الكتاب ، واحتجاج عليهم بأن الايمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الايمان بالكتاب الذي جاء به لأنه من جنسه .

ادب واقتداء :

هذا هو أدب الاسلام في دعوة غير أهله ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدعوة لأحدٍ أحسن ما يدعى به وكيف نتقي ما يناسب ما نريد دعوته اليه ، فدعاء الشخص بما يحب مما يلقته اليك ويفتح لك سمعه وقلبه ، ودعاؤه بما يكره يكون حائل يبعد بينك وبينه .
وإذا كان هذا الأدب عاماً في كل تداع وتخطب فأحق الناس بمراعاته هم الدعاة الى الله والمبينون لدينه ، سواء دعوا المسلمين أو غير المسلمين .

بيانه لهم ، حجة عليهم :

كانت كتبهم مقصورة على أحبارهم ورهبانهم مخفية عندهم لا تصل اليها أيدي عامتهم ، فكانوا لا يظهرون منها الا ما يشاؤون ، ولا تعرف عامتهم منها الا ما أظهروا ، فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أمي من أمة أميئة ، بين لهم بما أنزله الله عليه وأوحى اليه من آيات الله وحججه وأحكامه وكلمات رسله فيما عندهم مما هو حجة عليهم مقداراً كثيراً ، ويتجاوز عن كثير مما عندهم من ذكر قبائح أسلافهم وذمهم ، وما لقي رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - من عنتهم وشرهم وأذاهم . فكان هذا البيان العليم وهذا الخلق الكريم من هذا النبي الأمي كافياً أن يعرفهم بنبوته وصدق دعوته ونهوض حجته ، ولهذا ذكر الله هذا البيان وهذا التجاوز في أول صفاته لما أخبرهم بمجيئه اليهم بقوله : « يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » .

تمثيل :

في أول الاصحاح العشرين من سفر اللاويين التصريح برجم الزناة فأبطل أجارهم هذا الحكم وعوضوه بغيره من التخفيف وكنموا النص فينبه لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - والقصة مشهورة في كتب السنن .

جاءت صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - التي لا تنطبق على غيره فكتموها مثل قول عيسى عليه السلام . وفي الفقرة الثانية عشرة وما بعدها في الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا : (ان لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن) وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذلك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) . صرح عيسى - عليه السلام - بأن الله هو الإله وحده ، وأن عيسى رسوله ، فكتموها وقالوا فيه ما قالوا . جاء في الفقرة الثانية من الاصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا قول عيسى - عليه السلام - : (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) . وأمثال هذا فيما عندهم كثير .

ادب واقتداء :

على الداعي الى الله والمناظر في العلم أن يقصد احقاق الحق وابطال الباطل واقناع الخصم بالحق وجلبه اليه ، فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك ، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب - ولو كانت هنالك عيوب ومثالب - اقتداء بهذا الأدب القرآني النبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير . وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد وبعد عن الأدب وتعد على الخصم وابعاد له وتفير عن الاستمتاع والقبول وهما المقصود من الدعوة والمناظرة .

نعمة الاظهار والبيان بالرسول والقرآن :

لقد كان الناس أهل الكتاب وغيرهم قبل بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - في ظلام من الجهل بالله وبأنبيائه وبشرعه . ومن الجهل بآيات الله في أنفسهم وفي الكون . ومن الجهل بنعم الله عليه في أنفسهم بالعقل والفكر والاستعداد للخير والكمال ، وفي العالم المسخر لهم بما أودع فيه من مرافق العيش وال عمران والحياة ، ومن الجهل بقيمة أنفسهم الانسانية وكرامتها وحرمتها . فلما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان بقوله وبفعله وبسيرته معرفاً للخلق لما كانوا يجهلون . فكان نوراً ساطعاً في ذلك الظلام الحالك فبدده عن البصائر . وكما أن النور الكوني يجلو الموجودات الكونية للأبصار فكذلك كان محمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك النور الروحي الرباني يجلو تلك الحقائق للبصائر ، وكما أن النور الكوني يظهر الموجودات الكونية فلا يحرم منها الا معدوم البصر فكذلك كان محمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك النور الرباني مجلياً للحقائق البشرية كلها ولا يحرم من ادراكها الا مظموسو البصائر الذين زاغوا فأزاع الله قلوبهم .

وكما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - نوراً تنبعث من أقواله وأفعاله وسيرته الأشعة الكاشفة للحقائق ، كذلك كان الكتاب الكريم الذي أنزله الله عليه يبين بسوره وآياته وكلماته تلك الحقائق أجلى بيان . فبمحمد - صلى الله عليه وسلم - وكتابه تمت نعمة الله - تعالى - على البشرية كلها باظهار وبيان كل ما تحتاج الى اظهاره وبيانه . ولما دعا الله الى تصديق رسوله بالحجة العلمية الخلقية من بيانه وتجاوزه ذكر بهذه النعمة العظمى في قوله تعالى :

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ » .

محمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن نور وبيان :

في هذه الآية وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنه نور

ووصف القرآن بأنه مبین • وفي آيات أخرى وصف القرآن بأنه نور بقوله : « فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالشُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا (١) » ووصف الرسول بأنه مبین كقوله : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢) » • وهذا ليبين لنا الله — تعالى — أن اظهر النبي — صلى الله عليه وسلم — وبيانه واطهار القرآن وبيانه واحد ، ولقد صدقت عائشة — رضي الله عنها — لما سئلت عن خلق النبي — صلى الله عليه وسلم — فقالت : (كان خلقه القرآن) (٣) •

استفادة :

نستفيد من هذا : أولا — أن السنة النبوية والقرآن لا يتعارضان ولهذا يرد خبر الواحد اذا خالف القطعي من القرآن • وثانيا — أن فقه القرآن يتوقف على فقه حياة النبي — صلى الله عليه وسلم — وسنته وفقه حياته — صلى الله عليه وسلم — يتوقف على فقه القرآن ، وفقه الاسلام يتوقف على فقههما •

اقتداء :

هذا نبينا — صلى الله عليه وسلم — نور وبيان ، وهذا كتابنا نور وبيان ، فالمسلم المؤمن بهما المتبع لهما له حظه من هذا النور وهذا البيان ، فهو على ما يسر له من العلم — ولو ضيلا — بينه وينشره ، يعرف به الجاهل ويرشد به الضال وهو بذلك وبعمله الصالح كالنور يشع على من حوله وتتسع دائرة اشعاعه وتضييق بحسب ما عنده من

(١) ٨/٦٤ التباين .

(٢) ٤٤/١٦ النحل .

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفاء وابن سعد في طبقاته .

علم وعمل • فعلى المسلم أن يعلم هذا من نفسه ويعمل عليه ليضرع الى الله دائماً في دعواته أن يمدّه بنوره وليدع بدعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — الذي كان يدعو به في ذلك وهو : (اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً وتحتي نوراً ، وامامي نوراً ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً) (١) •

الهداية ونوعها :

قد دل الله الخلق برسوله وبكتابه على ما فيه كمالهم وسعادتهم ومرضاة خالقهم ، وهذه هي هداية الدلالة وهي من فضل الله العام للناس أجمعين وبها وبما يجده كل عاقل في نفسه من التمكن والاختيار — قامت حجة الله على العباد • ثم يسر من شاء — وهو الحكيم العدل — الى العمل بما دل عليه من أسباب السعادة والكمال • وهذه هي دلالة التوفيق وهي من فضل الله الخاص بمن قبلوا دلالته واقبلوا على ما آتاهم من عنده فأمنوا برسوله والنور الذي أنزل معه كما قال تعالى : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ » (٢) • وأما الذين أعرضوا عن ذكره وزاغوا عما دلهم عليه فأولئك يخذلهم ويحرمهم من ذلك التيسير كما قال تعالى : « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١) • فالقبلون على الله القابلون لما آتاهم من عنده هتدوا دلالة وتوفيقاً والذين أعرضوا قامت عليهم الحجة بالدلالة وحرموا من التوفيق، جزاء اعراضهم •

(١) البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) ١٧/٤٧ محمد .

(٣) ٥/٦١ الصف .

بماذا تكون الهداية :

كما أنعم الله على عباده بالهداية الى ما فيه كمالهم وسعادتهم كذلك أنعم عليهم فبين لهم ما تكون به الهداية حتى يكونوا على بينة فيما به يهتدون ، اذ من طلب الهدى في غير ما جعله الله سبب الهدى كان على ضلال مبين . فلذا بيّن تعالى أن هدايته لخلقه انما تكون برسوله وكتابه فيتمسك بها من يريد الهدى وليحكم على من لم يهتد بها بالزيغ والضلال . ولما كانا في حكم شيء واحد في الهداية يصدق كل واحد منهما الآخر — جاء بالضمير مفردا في قوله تعالى :

« يَهْدِي بِهِ اللهُ » .

لن تكون الهداية :

أما هداية الدلالة والارشاد وحدها فهي كما تقدم عامة ، وأما هداية الدلالة والارشاد مع التوفيق والتسديد فهي للذين اتبعوا ما جاءهم من عند الله من رسوله وكتابه ، وكانوا باتباعهم لها متبعين لرضوانه المقتضي لقبوله ومثوبته وكرامته لهم ، ولم يتبعوا أهواءهم ومألوفاتهم وما ألفوا عليه آباءهم ولا أهواء الناس ورضاهم . فكان اتباعهم لرضوان الله سبباً في دوام ارشادهم وتوفيقهم وبقدر ما يكون ازدياد اتباعهم يكون ازدياد توفيقهم ، اذ قوة السبب تقتضي قوة المسبب ، والخير يهدي الى الخير والهدى يزداد بالاهتداء . وهذا الربط الشرعي بين التوفيق والاتباع يقتضي الربط ما بين ضديهما : الاعراض والخذلان وانه بقدر ما يكون الاعراض عن الهدى يكون الخذلان والحرمان والشر يدعو بعضه الى بعض والسيئة تجر الى السيئة . وقد أفاد تخصيص التوفيق بأهل الاتباع وجعل التوفيق مسبباً عنه — بما في صلة الموصول من التعليل — قوله تعالى : (مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) .

الى ماذا تكون الهداية :

فشؤون الشخص في نفسه وشؤونه فيما بينه وبين أهله وفيما بينه

وبين بنيه وفيما بينه وبين أقاربه وفيما بينه وبين جيرانه وفيما بينه وبين من تربطه به علاقة من علاقات الحياة ومصالحها ، وشؤون الجماعات وشؤون الأمم فيما بينها ، كل هذه الشؤون سبل وطرق في الحياة تسلك ويسار عليها للبلوغ الى الغايات المقصودة منها مما به صلاح الفرد والمجموع • وكلها ان سلكت بعلم وحكمة وعدل واحسان كانت سبل سلامة ونجاة والا كانت سبل هلاك ، فيحتاج العبد فيها الى ارشاد وتوفيق من الله — تعالى — • وقد من الله بفضله على العباد بهذا النبي الكريم والكتاب العظيم فمن آمن بهما واتبعهما ففيهما ما يهديه الى كل ما يحتاج اليه في كل سبيل من تلك السبل في الحياة واتباعها • واتباعهما اتباع لرضوان الله ، يوفقه الله ويسدده في سلوك تلك السبل — الفردية والجماعية والامة — الى ما يفضي به الى السلامة والنجاة • وتكون تلك السبل كلها له سبل سلام أي سلامة ونجاة لأنها أفضت به بارشاد الله وتوفيقه جزاء لاتباعه وتصديقه اليها كما قال تعالى : « يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ (١) » •

الايخارج من حالات الحيرة الى حالة الاطمئنان :

تمر على العبد أحوال يكون فيها متحيراً مرتبكاً كمن يكون في ظلام ، منها حالة الكفر والانكار ، وليس لمنكر الحق المتمسك بالهوى والمقلد للآباء من دليل يطمئن به ولا يقين بالمصير الذي ينتهي اليه • ومنها حالة الشك ومنها حالة اعتراض الشبهات ومنها حالة ثوران الشهوات ، وكما أن الله يرشد ويوفق من اتبعوا رضوانه طرق السلامة والنجاة بالرسول — صلى الله عليه وسلم — والقرآن ، كذلك يخرجهم بهما باتباعهما والاهتداء بهما من ظلمات الكفر والشك والشبهات والشهوات وما فيها من حيرة وعماية الى الحالة التي تطمئن فيها القلوب كما تطمئن

في النور عندما يسطع فيدرد سدول الظلام . فباتباعهما فقط تظمن القلوب بالايان واليقين ، فتضمحل أمامها الشبهات وتكسر سلطان الشهوات . فتلك الأحوال العديدة الظلمانية التي يكون فيها من اعراض عنهما أو خالفهما يخرج منها الى الحالة النورانية الوحيدة وهي حالة من آمن بهما واتبعهما كما قال تعالى :

« وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » .

على العبد أن يقبل ما فيه كماله وسعادته ومرضاة خالقه مما هداه الله اليه برسوله وكتابه وجعل قبوله له سببا في توفيقه واخراجه من الظلمات الى النور ، وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئا من التوفيق وحظا من النور الا باذن الله ، أي ارادته وتيسيره ، فلا يعتمد على نفسه ولا على أعماله ، وانما يكون اعتماده على الله ، فيحمله ذلك على الاجتهاد في العمل وعدم العجب به ودوام التوجه الى الله وصدق الرجاء فيه والنحو من عقابه ودوام المراقبة له . ولأجل لزوم هذا الاعتماد على الله الميسر للأسباب الذي لا يكون في ملكه الا ما أراد — قرن قوله (يَهْدِي) و (وَيُخْرِجُهُمْ) بقوله (بِإِذْنِهِ) .

الإسلام ، هو السبيل الجامع الصام :

ما جاء به النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — والقرآن العظيم هو دين الله الاسلام ، فكل ما دل الله عليه الخلق بهما وما وفق اليه من العلم والعمل باتباعهما فهو من الاسلام ، ولهذا لما ذكر تعالى ارشاده وتوفيقه للذين اتبعوا رضوانه واخراجهم من الظلمات الى النور ذكر ارشاده وتوفيقه لهم الى الطريق المستوي الموصل الى الكمال والسعادة ومرضاة الله الجامع لذلك كله بقوله تعالى :

« وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

الرجوع الى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائم :

ان الحاجة الى ارشاد الله وتوفيقه دائمة متجددة ، فكل عمل من أعمال الانسان ، وكل حال من أحواله هو محتاج فيه الى هداية الله ودلالته ليعرف ما يرضاه الله منه مما لا يرضاه ، وهو محتاج فيه الى توفيق الله وتيسيره ليقوم بما يرضاه منه وشرعه له ودله عليه ، ولن يزال العبد - غير المعصومين - صلى الله عليه وسلم - تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات فيحتاج الى دلالة الله وتوفيقه ليخرج منها انى نور الايمان والاستقامة . فالعبد المحتاج دائماً الى الرجوع الى كتاب الله وما ثبت من سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ليهتدي الى ما يرضي الله مما شرعه له من أحواله وافعاله ، والى ما يدفع عنه شبهاته وينقذه من شهواته ومحتاج الى التوسل بذلك الرجوع اليهما وذلك الاتباع لهما الى الله - تعالى - ليفتح له أبواب المعرفة ويمد له أسباب التوفيق . وهذا هو القصد من صيغة المضارع المفيدة للتجدد في قوله تعالى : « يَهْدِي » و « يُخْرِجُهُمْ » و « يَهْدِيهِمْ » إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

جعلنا الله من المتبعين لرضوانه ، الرجاعين لكتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - الفائزين منهما بالهداية ، لخير غاية ، باذنه وفضله ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير^(١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ١٣٥ - ١٤٤ - ربيع الاول ١٣٥٤ هـ -
جوان ١٩٣٥ م .

سبيل السعادة والنجاة

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(١) » .

خلق الله محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - أكمل الناس وجعله قدوتهم وفرض عليهم اتباعه والالتساء به . فلا نجاة لهم من المهالك والمعاطب ولا وصول لهم الى السعادة في دنياهم وأخراهم ومغفرة خالقهم ورضوانه ، الا باقتفاء آثاره والسير في سبيله .

فلهذا أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يبين سبيله بياناً عاماً للناس تتضح المحجة للمهتدين وتقوم الحجة على الهالكين . أمره أن يبينها البيان الذي يصيرها مشاهدة بالعيان ويشير اليها كما يشار الى سائر المشاهدات فقال له : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) . ثم بين سبيله بثلاثة أشياء : الدعوة الى الله على بصيرة ، وتنزيه الله - تعالى - والبراءة من الشركين . فقال : « أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

الدعوة الى الله :

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - من يوم بعثه الله الى آخر لحظة من حياته كان يدعو الناس كلهم الى الله بأقواله وأفعاله وتقريراته وجميع مواقفه في سائر مشاهدته ، وكانت دعوته هذه بوجوهها كلها واضحة

(١) ١٠٨/١٢ يوسف .

جلية لا خفاء بها ، كما قال — صلى الله عليه وسلم — : « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » ^(١) فكانت مشاهدة معينة كما أشير اليها في الآية اشارة المعين المشاهد .

كان يدعو الى دين الله ويبين هو ذلك الدين وبشله يدعو الى عبادة الله وتوحيده وطاعته ، ويشاهد الناس تلك العبادة والتوحيد والطاعة فكان — صلى الله عليه وسلم — كله دعوة الى الله . فما دعا الى نفسه ، فقد مات ودرعه مرهونة في دين ، وما دعا الى قومه ، فقد كان يقول : لا فضل لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود الا بتقوى الله . كان يدعو الناس كلهم ، اذ هو رسول الله الى الناس كلهم فكتب الكتب وأرسل الرسل فبلغت دعوته الى الأمم وملوك الأمم . كان يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين ، يدعو أولئك الى الدخول في دين الله ، ويدعو هؤلاء الى القيام بدين الله ، فلم ينقطع عن الانذار والتبشير ، والوعظ والتذكير .

كان يدعو الى الله على بينة وحجة يحصل بها الادراك التام للعقل حتى يصير الأمر المدرك واضحاً لديه كوضوح الأمر المشاهد بالصبر فهو على بينة ويقين من كل ما يقول ويفعل ، وفي كل ما يدعو من وجوه الدعوة الى الله في حياته كلها وفي جميع أحواله . وكانت دعوته المبينة على الحجّة والبرهان مشتملة على الحجّة والبرهان ، فكان يستشهد بالعقل ويعتقد بالعلم ويستنصر بالوجدان ويحتج بأيام الله في الأمم الخالية وما استفاض من أخبارها وبقي من آثارها من أنباء الأولين وما يسر الناس عليه مصبحين وبالليل .

على كل مسلم أن يكون داعياً الى الله :

لقد كان في بيان أن الدعوة الى الله هي سبيل محمد — صلى الله

(١) رواه ابن ماجة عن طريق ابي الدرداء — رضي الله عنه — بسند

موثق وفيه ابن سميع قال فيه ابن عدي : حسن الحديث .

عليه وسلم — ما يفيد ان على اتباعه — وهو قدوتهم ولهم فيه الأسوة الحسنة — أن تكون الدعوة الى الله سبيلهم — ولكن لتأكيد هذا عليهم وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه وأن اتباعهم له لا يتم الا به — جاء التصريح بذلك هكذا :

« ادْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي » •

فالمسلمون أفراداً وجماعات عليهم أن يقوموا بالدعوة الى الله وأن تكون دعوتهم على بينة وحجة وإيمان ويقين • وان تكون دعوتهم وفقاً لدعوته وتبعاً لها • فمن الدعوة الى الله دروس العلوم كلها مما يفقه في دين الله ويعرف بعظمة الله وآثار قدرته ويدل على رحمة الله وأنواع نعمته ، فالفقيه الذي يبين حكم الله وحكمته داع الى الله ، والطبيب المشرح الذي يبين دقائق العضو ومنفعته داع الى الله ، ومثلهما كل مبين في كل علم وعمل • ومن الدعوة الى الله بيان حجج الاسلام ودفع الشبه عنه ونشر محاسنه بين الأجانب عنه ليدخلوا فيه وبين مزععي العقيدة من أبنائه ليشبوا عليه • ومن الدعوة الى الله مجالس الوعظ والتذكير لتعريف المسلمين بدينهم وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم على ما جاء به ، وتحبيبهم فيه ببيان ما فيه من خير وسعادة لهم ، وتحذيرهم مما أدخل من محدثات عليه هي سبب كل شقاوة وشر لحقهم ، وبيان أنه ما من سبب مما تسعد به البشرية ، أفرادها وأممها ، الا بينه لهم ودعاهم اليه • وما من سبب مما تشقى به البشرية افرادها وأممها الا بينه لهم ونهاهم عنه • وبيان أنه لولا عقيدته المتأصلة فيهم وبقاياها الباقية لديهم ومظاهره القائمة بهم لما بقيت لهم — وهم المجردون من كل قوة — بقية ، وتلاشت أشلاؤهم — وهم الأموات — في الأمم الحية •

ومن الدعوة الى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بدون استثناء ، وانما يتنوع الواجب بحسب

رتبة الاستطاعة . فيجب باليد فان لم يستطيع فباللسان فان لم يسنطع فبالقلب وهو أضعف الايمان وأقل الاعمال في هذا المقام . ومن الدعوة الى الله ظهور المسلمين - أفراداً وجماعات - بما في دينهم من عفة وفضيلة ، واحسان ورحمة وعلم وعمل ، وصدق وأمانة ، فذلك أعظم مرغب للأجانب في الاسلام ، كما كان ضده أعظم منفر لهم منه . وما انتشر الاسلام أول أمره بين الأمم الا لأن الداعين اليه كانوا يدعون بالأعمال كما يدعون بالقول ، وما زالت الأعمال عيارا على الأقوال . ومن الدعوة الى الله بعث البعثات الى الأمم المسلمة ونشر الكتب بألسنتها وبعث المرشدين الى عوام الأمم المسلمة لهدائتهم وتفقيهم . كل هذا من الدعوة الى الله ثابتة أصوله في سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسنة السلف الصالح من بعده . فعلى كل مسلم أن يقوم بما استطاع منه في كل وجه من وجوهه ، وليعلم أن الدعوة الى الله على بصيرة هي سبيل نبيه - صلى الله عليه وسلم - وسبيل اخوانه الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - من قبله ، فلم يكن المسلم ليدع من هذا المقام ثابتاً لكل مسلم ومسلمة ، وحقا القيام به - بقدر الاستطاعة - على كل مسلم ومسلمة - فأهل العلم به أولى وهو عليهم أحق . وهم المسؤولون عنه قبل جميع الناس ، وما أصاب المسلمين ما أصابهم الا يوم قعد أهل العلم عن هذا الواجب . واذا عادوا الى القيام به - وقد عادوا والحمد لله - أو شك - ان شاء الله - أن ينجلي عن المسلمين مصابهم .

تفرقة :

ليس كل من زعم أنه يدعو الى الله صادقا في دعواه ، فلا بد من التفرقة بين الصادقين والكاذبين والفرق بينهما - مستفادا من الآية - بوجهين : الأول أن الصادق لا يتحدث عن نفسه ولا يجلب لها جاها ولا مالا ولا يبغى لها من الناس مدحا ولا رفعة . أما الكاذب فانه

بخلافه فلا يستطيع أن ينسى نفسه في أقواله وأعماله • وهذا الفرق من قوله تعالى : (الى الله) • الثاني : أن الصادق يعتمد على الحجة والبرهان فلا تجد في كلامه كذبا ولا تليسا ولا ادعاء مجردا ، ولا تقع من سلوكه في دعوته على التواء ولا تناقض ولا اضطراب • وأما الكاذب فإنه بخلافه ، فإنه يلقي دعاويه مجردة ويحاول تدعيمها ، بكل ما تصل إليه يده ولا يزال لذلك في حايا وتعايير لا تزيده الا بعدا عن الصراط المستقيم • وهذا الفرق من قوله تعالى : (علكى بصيرةٍ) •

مباحث لفظية :

(على بصيرة) : يتعلق بأدعو واختيرت (على) لتدل على تمام التمكن • (أنا) : تأكيد للضمير المستتر في أدعو • ونكتته الاعلان بنفسه في مقام الدعوة وشأن الداعي على بصيرة أن يجهر بدعوته ولا يستتر بها ، واتصال اللفظ الدال عليه باللفظ الدال على أتباعه كما تتصل دعوتهم بدعوته • وشأن الصورة اللفظية مطابقة الصورة الخارجية ، والكلام تصوير للواقع • (من) : تفيد للعموم لكل تابع ، وأكملهم في الاتباع أكملهم في الدعوة ، لأن الموصول يفيد التعليل بصلته ، فهم يدعون لأنهم متبعون •

تنزيه الله تعالى :

الاعتراف بوجود خالق للكون يكاد يكون غريزة مركوزة في الفطرة ويكاد لا تكون لمنكريه - عنادا - نسبة عددية بين البشر • ولكن أكثر المعترفين بوجوده قد نسبوا اليه ما لا يجوز عليه ولا يليق بجلاله من الصاحبة والولد والمادة والصورة والحلول والشريك في التصرف في الكون والشريك في التوجه والضراعة اليه والسؤال منه والاتكال عليه • فأرسل الله الرسل لبيئنا للخلق تنزهه عن ذلك كله • وكان من سبيل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه يدعو الخلق الى الله وينزهه

عن كل ما نسبة اليه المبطلون وتخيئه المتخيلون ، وهو معنى قوله « وَسُبْحَانَ اللَّهِ » • فهو يدعوهم الى الله الذي قد عرفوا وجوده بفطرتهم وعرفوا أنه هو خالق الكون وخالقهم ، لا يسميه الا بما سمي به نفسه ، ولا يصفه الا بما وصف به نفسه ، ويعرفهم بأثار قدرته ومواقع رحمته ومظاهر حكمته وآيات ربوبيته والوهيته ووحدانيته في جلاله وسلطانه وينزهه عن المشابهة والمماثلة لشيء من مخلوقاته ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله •

وهذا التنزيه — وان كان داخلا في الدعوة الى الله — فانه خصص بالذكر لعظم شأنه ، فانه ما عرف الله من شبهه بخلقه أو نسب اليه ما لا يليق بجلاله أو أشرك به سواه • وان ضلال أكثر الخلق جاءهم من هذه الناحية ، فمن أعظم وجوه الدعوة وألزمها تنزيه الله — تعالى — عن الشبيه والشريك وكل ما لا يليق • والمسلمون المتبعون لنبينهم — صلى الله عليه وسلم — في الدعوة الى الله على بصيرة متبعون له في هذا التنزيه عقدا وقولا وعملا واعلانا ودعوة •

مباحث لفظية :

(سبحان) منصوب بفعل محذوف تقديره ، أسبح ، أي انزه •
والجملة معطوفة على جملة أدعو ، فهي من بيان القبيل •

البراءة من المشركين :

الامة التي بعث منها النبي — صلى الله عليه وسلم — وهي أول امة دعاها الى الله هي الامة العربية ، وهي امة كانت مشركة تعرف أن الله خلقها ورزقها وتعبد مع ذلك أوثانها ، تزعم أنها تقربها الى الله وتتوسط لها لديه • فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — كما يدعو الى الله وينزهه يعلن ببراءته من المشركين وانه ليس منهم براءة من عقيدتهم وأقوال وأعمال شركهم ، فهو مبين لهم في العقد والقول والعمل مباينة

الضد للضد . فكما باين التوحيد الشرك باين هو المشركين وذلك معنى قوله : « وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

وهذه البراءة والمباينة ، وان كانت مستفادة من انه يدعو الى الله وينزهه فانها نص عليها بالتصريح لتأكيد امر مباينة المشركين (والبعد عن الشرك بجميع وجوهه وصوره جلية وخفيه) في جميع مظاهر شركهم حتى في صورة القول كما شاء الله وشاء فلان . فلا يقال هكذا ويقال : ثم شاء فلان ، كما جاء في حديث بيناه في جزء من الأجزاء الماضية ، أو في صورة الفعل ، كأن يسوق بقرة أو شاة مثلا الى ضريح من الأضرحة ليدبحها عنده فانه ضلال كما قاله (الشيخ الدرديري في باب النذور) . فضلا عن عقائدهم كاعتقاد أن هنالك ديوانا من عباد الله يتصرف في ملك الله ، وأن المذنب لا يدعو الله وانما يسأل من يعتقد فيه الخير من الأموات ، وذلك الميت يدعو له الله . — لتأكيد أمر المباينة للمشركين ، في هذا كله نص عليها بالتصريح كما قلنا ، وللبعد عن الشرك بجميع وجوهه وصوره جليه وخفيه .

والمباينة والتسبيري لازمة من كل كفر وضلال ، وذلك مستفاد من الدعوة الى الله وتنزيهه . وانما خصص المشركين لما تقدم ، ولأن الشرك هو شر الكفر وأقبحه . ولما كانت هذه المباينة والبراءة داخلة في الدعوة الى الله وتنزيهه ، فالمسلمون المتبعون لنبيهم — صلى الله عليه وسلم — كما يدعون الى الله على بصيرة وينزهونه ، يباينون المشركين في عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم ويطرحون الشرك بجميع وجوهه ويعلمون ببراءتهم وافتقارهم من المشركين . والحمد لله رب العالمين (١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١١ ص ٤ - ١٠ ، محرم ١٣٥٤ هـ - افريل

١٩٣٥ م .

كيف تكون

الدعوة الى الله والدفاع عنها

« أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (١) .

سبيل الرب جل جلاله :

شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله ما فيه استتارة عقولهم وزكاء نفوسهم واستقامة أعمالهم . وسماه سبيلا ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة ، ليفضي بهم الى العناية المقصودة ، وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى . واضافه الى نفسه ليعلموا أنه هو وضعه ، وأنه لا شيء يوصل الى رضوانه سواه . وذكر من أسمائه الرب ، ليعلموا أن الرب — الذي خلقهم وطورهم ولطف بهم في جميع أطوار خلقهم ومراحل تكوينهم — هو الذي وضع لهم هذه السبيل ، لطفاً منه بهم واحساناً اليهم ، لينهجوها في مراحل حياتهم . فكما كان رحيماً بهم في خلقه كان رحيماً بهم في شرعه . فيسيروا فيها عن رغبة ومحبة فيها ، ومع شكر له وشوق اليه . وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الناس أجمعين — وحذف معمول ادع لافادة العموم — الى هذه السبيل فقال تعالى : « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ » .

(١) ٢٥/١٦ النحل .

كيف تكون الدعوة الى الله

اهتداء :

أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الى سبيل ربه ، وهو الأمين المعصوم ، فما ترك شيئاً من سبيل ربه الاً دعا اليه ، فعرفنا بهذا أن ما لم يدع اليه محمد - صلى الله عليه وسلم - فليس من سبيل الرب جلّ جلاله ، فاهتدينا بهذا - وأمثاله كثير - الى الفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، ودعاة الله ودعاة الشيطان . فمن دعا الى ما دعا اليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو من دعاة الله ، يدعو الى الحق والهدى ، ومن دعا الى ما لم يدع اليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو من دعاة الشيطان يدعو الى الباطل والضلال .

اقتداء :

فالمسلم المتبع للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - لا يألو جهداً في الدعوة الى كل ما عرف من سبيل ربه . وبقيام كل واحد من المسلمين بهذه الدعوة بما استطاع تتضح السبيل للسالكين ، ويعم العلم بها عند المسلمين ، وتخلو سبل الباطل على دعواتها من الشياطين .

أركان الدعوة :

أركان الدعوة أربعة : الداعي ، وهو النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - والمدعو ، وهم جميع الناس . والمدعو اليه ، وهو سبيل الرب جلّ جلاله . والدعوة الى سبيله الموصل اليه دعوة اليه ، فالمدعو اليه في الحقيقة هو الله تعالى ، والبيان عن الدعوة . وتجيء الآيات القرآنية منها ما هو حديث وبيان عن الداعي ، ومنها ما هو حديث وبيان عن المدعو اليه ، ومنها حديث وبيان عن بيان الدعوة . وتتضمن كل آية جاءت في واحد الذكر أو الاشارة للثلاثة الأخرى ، وهذه الآية الكريمة جاءت في بيان كيفية الدعوة ، وبماذا تؤدي

وكيف يدافع عنها مع ذكر الدّاعي والمدعو اليه . فقال تعالى :
« بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .

الحكمة :

الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن ، المبني على ذلك العلم . فالعقائد الحقّة والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخاً تظهر آثاره على الأقوال والأعمال حكمة . والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة التي اثمرتها تلك العقائد : حكمة ، والأخلاق الكريمة كالعلم والاناة وهي علم وعمل نفسي : حكمة . والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع . حكمة ، تسمية للدال باسم المدلول .

استدلال واستنتاج :

في سورة الاسراء ثمان عشرة آية ، جمعت أصول الهداية ، من قوله تعالى :

« لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخذُومًا وَلَا إِلَى : » « وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنقَضَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا » .

وقد تكلمنا عليها في الجزء ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، من المجلد السادس وقد جمعت تلك الآيات كل ما ذكرنا من العقائد الحقّة والحقائق العلمية والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة والأخلاق الكريمة ، وسمى الله ذلك كله حكمة فقال تعالى :

« ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ » (١) .

(١) روى الثلاثة البخاري في كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أن من الشعر حكمة »
وذلك لأن من الشعر ما فيه بيان عن عقيدة حق أو خلق كريم أو عمل
صالح أو علم وتجربة • كشعر أمية ابن ابي الصلت الذي قال فيه
النبي - صلى الله عليه وسلم - : **كاد أن يسلم** ، وكلمة لييد - رضي
الله عنه :

« ألا كلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » •

التي قال فيها - صلى الله عليه وسلم : « **اصدق كلمة قالها الشاعر** ».

فالحكمة - التي أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو
الناس الى سبيل ربه بها - هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها ،
والحقائق ببراهينها ، والأخلاق الكريمة بمحاسنها ، ومقابح أضرارها ،
والأعمال الصالحة - من أعمال القلب واللسان والجوارح - بمنافعها
ومضار خلافها • وهكذا كان بيانه لهذه الأشياء كلها بما صحَّ من
أحاديثه وجوامع كلمه ، وهكذا هو بيان القرآن لها كلها حيثما كانت
من آياته ، فأيات القرآن واحاديثه - صلى الله عليه وسلم - في
بيان هذه الأشياء - البيان المذكور - هما الحكمة التي كان يدعو
الى سبيل ربه بها • وتلك الأشياء كلها أيضا حكمة ، وهي التي كان
يعلمها كما في قوله تعالى : « **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** » •

فصلى الله عليه وآله وسلم من داع الى الحكمة بالحكمة ومعلم
للحكمة بالحكمة •

اهتداء واقتداء :

هدتنا الآية الكريمة الى أسلوب الدعوة ، وهو الحكمة ، وتجلت
هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية • فعلى أن
نلتزمها جهدنا حيثما دعونا • ونقتدي بأساليب القرآن والسنة في
دعوتنا فيها يحصل الفهم واليقين والفقہ في الدين والرغبة في العمل

والدوام عليه . وها نحن قد بلغ الحال بنا الى ما بلغ اليه من الجهل بحقائق الدين والجمود في فهمه والاعراض عن العمل به والفتور في العمل .

فحق على أهل الدعوة الى الله — وخصوصاً المعلمين — أن يقاوموا ما بيئنا من جهل وجمود واعراض وفتور بالتزام البيان للحقائق العلمية بأدلتها والعقائد ببراهينها والأخلاق بمحاسنها والأعمال بمصالحها . وقد وجد الأخذ بهذه الأساليب القرآنية والحمد لله — وأخذ أثرها — بفضل الله — يظهر في الناس بقدر الأخذ بها ، ويوشك أن تتجدد بذلك في المسلمين حياة ان شاء الله .

الموعظة الحسنة :

الوعظ والموعظة الكلام المليّن للقلب ، بما فيه من ترغيب وترهيب ، فيحمل السامع اذا اتعظ وقبل الوعظ واثر فيه على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . وقد يطلق على نفس الأمر والنهي .

الاستدلال :

ففي حديث العرياض الذي رواه الترمذي وغيره : وعظنا — رسول الله صلى الله عليه وسلم — موعظة وجلت — خافت — منها القلوب وذرفت — سالت — منها العيون . فقد خطب فيهم خطبة كان لها هذا الأثر في قلوبهم فهذه حقيقة الموعظة ، وقال تعالى :

« لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ » (١) . أي يؤمرون به ، وقال تعالى :

« يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا » (٢) .

(١) ٦٥/٤ النساء .

(٢) ١٧/٢٤ النور .

كيف تكون الدعوة الى الله

أي ينهاكم . فهذا من اطلاق الوعظ على الأمر والنهي ، لأن شأن الأمر والنهي أن يقترن بما يحمل على امتثاله من الترغيب والترهيب .

بماذا تكون الموعظة :

يكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية ، وبالיום الآخر وما يتقدمه وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم ومصيرهم الى الجنة أو الى النار ، وما في الجنة من نعيم وما في النار من عذاب أليم ، وبوعد الله ووعيده . وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ ويكون بغيرها كذكير الانسان بأحوال نفسه ليعامل غيره بما يجب أن يعامل به وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها مثل قوله تعالى : — وقد نهى أن يقال لمن ألقى السلم لست مؤمناً — .

« كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ » (١) .

وقوله تعالى — وقد أمر بالعتو والصفح — :

« أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢) .

تفريق بالتمثيل :

يقول الله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ » (٣) هذه حكمة . ويقول الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا » (٤)

(١) ٩٣/٤ النساء .

(٢) ٢٢/٢٤ النور .

(٣) ١٥٢/٦ الانعام و ٣٤/١٧ الاسراء .

(٤) ٩/٤ النساء .

هذه موعظة ، ويقول تعالى : « وَلِيَخْشَ الْكَذِبِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ » (١) . هذه أيضاً موعظة . « وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ » (٢) هذه حكمة . « فَتَنَزَّلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (٣) . هذه موعظة : « وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ، مُخَفَّاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ » (٤) ، هذه حكمة . « وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ » (٥) هذه موعظة . وهكذا تمتزج الحسنة بالحكم البالغة في آيات القرآن الكريم فتتبعها في جميع سورة تجدها وتدبرها تقع منها على علوم جمة وأسرار غزيرة .

حسن الموعظة :

الموعظة التي تحصل المقصود منها من ترقيق للقلوب للحمل على الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخرة هي الموعظة الحسنة . وانما يحصل المقصود منها اذا حسن لفظها بوضوح دلالاته على معناها . وحسن معناها بعظيم وقعه في النفوس ، فعذبت في الأسماع واستقرت في القلوب وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية فأثارت الرغبة والرغبة

(١) ٨/٤ النساء .

(٢) ٩٤/١٦ النحل .

(٣) ٩٤/١٦ النحل .

(٤) ٣٠/٢٢ - ٣١ الحج .

(٥) ٣١/٢٢ الحج .

كيف تكون الدعوة الى الله

وبعث الرجاء والخوف بلا تقييد من رحمة الله ولا تأمين من مكره وانبعثت عن ايمان و يقين وتآدست بحماس وتأثر فنلقنتها النفس من النفس وتلقنها القلب من القلب الا نفساً أحاطت بها الظلمة وقلباً عم عليه الران • عافى الله قلوب المؤمنين •

تطبيق واستدلال :

كل هذا تجده في مواعظ القرآن وفيما صحَّ من مواعظ النبي - صلى الله عليه وسلم - • وكان - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الصحيح اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه • كأنه منذر جيش يقول صباحكم - أغار عليكم في الصباح - مساكم - أغار عليكم في المساء - وكان يقصر خطبه في بلاغة وإيجاز •

اهتداء واقتداء :

هدتنا الآية الكريمة بنطوقها ومفهومها الى أن من الموعظة ما هو حسن وهو الذي تكون به الدعوة ، ومنها ما هو ليس بحسن فيجتنب • وبينت مواعظ القرآن ومواعظ النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك الحسن • فعلياً أن نلتزمه لأنه هو الذي تبلغ به الموعظة غايتها وتثمر باذن الله ثمرتها ، وعليها أن نجتنب كل ما خالفه مما يعدم ثمرة الموعظة ، كتعقيد ألفاظها ، أو قلبها الى ضد المقصود منها ، كذكر الآثار الواهية التي فيها أعظم الجزاء على أقل الأعمال •

تحذير :

أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة مسجعة طويلة من مخلفات الماضي لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين تلقي بترنم وتلحين أو غمغمة وتمطيط ، ثم كثيراً ما تختتم بالأحاديث المنكرات ، أو الموضوعات •

هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الاسلامية سد بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الاسلام وعطلوا بها الوعظ والارشاد ، وهو ركن عظيم من أركان الاسلام . فحذار أيها المؤمن من أن تكون مثلهم اذا وقعت خطيئاً في الناس ، وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية الى ما أحدثه المحدثون . ورحم الله أبا الحسن — كرم الله وجهه — فقد قال : (الفقيه كل الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكروه . ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه) .

الجدال بالنبي هي احسن :

لا بد أن يجد داعية الحق معارضة من دعاة الباطل وأن يلقى منهم مشاغبة بالشبه ، واستطالة بالأذى والسفاهة . فيضطر الى رد باطلهم وابطال شغبهم ودحض شبههم ، وهذا هو جدالهم ومدافعتهم الذي أمر به نبيه — صلى الله عليه وسلم — (وجدالهم) .

ولما كان أهل الباطل لا يجدون في تأييد باطلهم الا الكلمات الباطلة يموهون بها ، والكلمات البذيئة القبيحة يتخذون سلاحاً منها ، ولا يسلكون في مجادلتهم الا الطرق الملتوية المتناقضة ، فيتعسفون فيها ويهربون اليها — لما كان هذا شأنهم أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن يجتنب كلماتهم الباطلة والقبيحة وطرائقهم المتناقضة والملتوية ، وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة البريئة ، وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والرجاحة والوقار . دون فحش ولا طيش ولا فظاظة ، وهذه الطريقة في الجدال هي التي أحسن من غيرها في لفظها ومعناها ومظهرها وتأثيرها وافضائها للمقصود من افحام المبطل وجلبه ورد شره عن الناس واطلاعهم على نقصه وسوء قصده . وهذه هي الطريقة التي أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم —

كيف تكون الدعوة الى الله

باجدال بها في قوله تعالى :

« وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (١) .

اهتداء واقتداء :

هدتنا الآية الكريمة الى الطريقة المحمودة المشروعة في الجدل ، وفي آيات القرآن يبان لهذه الطريقة البيان التام ، فانه كما لم يترك القرآن عقيدة من عقائد الاسلام الا يبينها وأوضح دليلها ولا أصلا من أصول أحكامه أو أصول آدابه الا بينه واحتج له ، وذكر حكمته وثمرته ، كذلك لم يترك شبهة من شبه الباطل الا ردها بالطريقة الحسنة التي أمر بها . وجاءت السنة النبوية الكريمة والسيرة المحمدية الشريفة مطبقة لذلك ومنفذة له . فالكتاب والسنة فيهما البيان الكافي الشافي للجدال بالتي هي أحسن ، كما فيهما البيان الشافي الكافي للحكمة والموعظة الحسنة .

فعلينا ان نطلب هذا كله من الكتاب والسنة ، ونجهد في تتبعه وأخذه واستنباطه منها ، وندأب على العمل بما نجده والتحلي به والالتزام له ، من هذه الأصول الثلاثة في الدعوة والدفاع عنها .

احكام وتنزيل :

أمر الله بالدعوة وبالجدال على الوجه المذكور ، فكلاهما واجب على المسلمين أن يقوموا به ، فكما يجب لسبيل الرب جل جلاله أن تعرف بالبيان بالحكمة ، وأن تحب بالترغيب بالموعظة الحسنة ، كذلك يجب أن يدافع من يصدشون عنها بالتي هي أحسن . اذ لا قيام لشيء من الحق الا بهذه الثلاث . غير أن الدعوة بوجهيها والجدال ليستا في منزلة واحدة في القصد والدوام . فان المقصود بالذات هو

(١) ١٢٥/١٦ النحل .

الدعوة وأما الجدل فانه غير مقصود بالذات وانما يجب عند وجود المعارض بالشبهة والصادق بالباطل عن سبيل الله . فالدعوة بوجهيها أصل قائم دائم ، والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه . ولهذا كانت الدعوة بوجهيها محمودة على كل حال ، وكان الجدل مذموما في بعض الأحوال ، وذلك فيما اذا استعمل عند عدم الحاجة اليه ، فيكون حينئذ شاغلا عن الدعوة ومؤديا - في الأكثر - الى الفساد والفتنة . فاذا كان جدالا لمجرد الغلبة والظهور فهو شر كله وأشد شرا منه اذا كان لمدافة الحق بالباطل ، وفي هذه الأقسام المتنوعة جاء مثل قوله : « الكذِبِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا »

« ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق » . وقوله (١) - صلى الله عليه وسلم - : (ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه الا **اوتوا الجبل**) . ثم تلا :

« مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » (٢)

تحذير :

المدافعة والمغالبة من فطرة الانسان ولهذا كان الانسان أكثر شيء جدلا غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خلقه وتقوم فطرته فتجعل جداله بالحق عن الحق . فلنجذر من أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة فنذهب في الجدل شر مذاهبه وتصير الخصومة لنا خلقا ، ومن صارت الخصومة له خلقا أصبح يندفع معها في كل شيء ولأدنى شيء ، يسالي بحق ولا باطل . وانما يريد الغلب بأي وجه كان ، وهذا هو الذي قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - : (٣)

(١) الترمذي وصححه .

(٢) ٥٨/٤٣ الزخرف .

(٣) الصحيحان .

ان ابغض الرجال الى الله الالذ (الشديذ الخصومة) الخصوم
(الكثير الخصومات) • ومن ضبط نفسه وراقب ربه لا يجادل اذا
جادل الا عن الحق وبآتي هي احسن •

(علينا الدعوة والجدال والى الله الهدى والضلال ، والمجازاة على الاعمال) •

الدعوة بوجهيها يجب أن تكون عامة والجدال على وجه عام
مثلا ثم يكون حظ كل أحد من الهدى والضلال على حسب استعداده
وقابليته وما سبق عليه أمر ربه وتكون مجازاته على ذلك للمخالق
الذي هو العالم بمن خرج عن طريقه وأعرض عن هداة وبالذين قبلوا
هداه فاهتدوا وساروا في سبيله • والعدل الحقيقي التام في الجزاء
انما يكون ممن يعلم السر والعلن وليس ذلك الا لله فلا يكون الجزاء
على الهدى والضلال من سواه • ولهذا ختمت هذه الآية الكريمة
بقوله تعالى : « إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (١) •

ثمرته :

ثمرة العلم بهذا أن الداعي يدعو ولا ينقطع عن الدعوة ،
ولو لم يتبعه أحد ، لأنه يعلم أن أمر الهدى والضلال الى الله ، وانما
عليه البلاغ • وانه يصبر على ما يلقي من أعراض وعناد وكيد وأذى
دون أن يجازي بالمثل أو يفتر في دعوة من آذاه ، لعلمه بأن الذي
يجازي انما هو الله • جعلنا الله والمسلمين من الدعوة الى سبيله ،
كما أمر الصابرين المحتسبين أمام من آمن وشكر ، ومن جحد وكفر ،
غير منتظرين الا جزاءه ولا متكلين الا عليه ، وهو حسبنا ونعم
الوكيل (٢) •

(١) ١٢٥/١٦ النمل •

(٢) ش : ج ٢ م ١١ ص ٦٥ - في ٧ صفر ١٣٥٤ - ٥ مايس ١٩٣٥

آية الليل وآية النهار

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَهْتَدِي ، فَمَحْوًا آيَةً
اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن يَشَاءُ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ
فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا » (١) .

لله تعالى في سور القرآن ، وعالم الأكوان ، آيات بينات دالة
على وجوده ، وقدرته ، وارادته ، وعلمه ، وحكمته ، ونعم سابغات
موجبة لحمده ، وشكره ، وعبادته .

ولما ذكر تعالى آيته ، ونعمته ، بالقرآن الذي يهدي للتي هي
أقوم ، ذكر آيته ونعمته بالليل والنهار المتعاقبين على هذا الكون
الأعظم ، فقال تعالى « وَجَعَلْنَا » الآية .

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » : خلقناهما ووضعناهما آيتين .
وجعل الشيء هو وضعه على حالة أو كيفية خاصة ، فهما حادثان مسيران
بتدبير وتقدير . و « اللَّيْل » : هو الوقت المظلم الذي يغشى جانبا
من الكرة الأرضية عندما تكون الشمس منيرة لجانبا المقابل .
و « النَّهَار » : هو الوقت الذي يتجلى على جانب الكرة المقابل
للشمس فتضيئه بنورها ولا يزالان هكذا متعاقبين على جوانب هذه
الكرة وأمكنتها ، يكور الليل على النهار بأن يحل محله في جزء من

(١) ١٢/١٧ الاسراء .

الكرة - وجزء الكرة مكور - فيكون النهار الحال مكورا بحكم تكوثر المحل . وكذلك النهار يكور عليه فيحل محله من الكرة فيكون أيضاً مكوراً بحكم تكوثر المحل . وانما جعلنا تكوير أحدهما على الآخر بحلولة في محله لأنه لا يمكن تكويره عليه بحلولة عليه في نفسه لأنهما ضدان لا يجتمعان ، وليس جسمين يحل أحدهما على الآخر . والآية : هي العلامة الدالة ، وكان الليل والنهار « آيتين » : بتعاقبهما مقدرين بأوقات متفاوتة بالزيادة والنقص في الطول والقصر على نظام محكم وترتيب بديع ، بحسب الفصول الشتوية والصيفية ، وبحسب الأمكنة ومناطق الأرض ، المناطق الاستوائية والقطبية الشمالية والجنوبية وما بينهما . حتى يكونا في القطبين ليلة ويوما في السنة ، ليلة فيها ستة أشهر هي شتاء القطبين ، ويوم فيه ستة أشهر هو صيفهم ، فهذا الترتيب والتقدير والتسيير دليل قاطع على وجود خالق حكيم قدير ، لطيف خير .

الليل في نفسه آية ، وفيه آيات ، وأظهر آياته هو القمر فيقال في القمر « آية الليل » والنهار في نفسه آية ، وفيه آيات ، وأظهر آياته هو الشمس ، فيقال في الشمس « آية النهار » .

وبعد ما ذكر تعالى الليل والنهار آيتين في أنفسهما ذكر أظهر آيات كل واحد منهما واطافهما إليه . فقال تعالى : « فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ... الخ » وليس محو القمر وابصار الشمس متأخراً عن الليل والنهار ، وكيف ؟ وما كان الليل والنهار الا باعتبار اضاءة الشمس لجانب وعدم اضاءتها لمقابله ، فليست الفاء في (فَمَحَوْنَا) للترتيب في الوجود ، وانما هي للترتيب في الذكر وللترتيب في التعقل . فان القمر والشمس بعض من آيات الليل والنهار ، والجزء متأخر في التعقل عن الكل .

وقد اتفق الكتابون على الآية ممن رأينا على أن المراد من لفظ

الآية في الموضعين واحد ، فاما أن يراد بها نفس الليل والنهار ، والاضافة في « آية اللَيْلِ » و« آية النَّهَارِ » للتبيين كاضافة العدد للمعدود . أو يراد بها الشمس والقمر فيكون « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ » على تقدير مضاف في الأول مقدرًا هكذا . وجعلنا الليل والنهار ، أو في الأخير مقدرًا هكذا : وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ، وأما على تقديرنا المتقدم فان لفظ « آيتين » صادق على الليل والنهار ، ولفظ « آية الليل » و « آية النهار » صادق على الشمس والقمر ، وعليه يكون تقدير الآية هكذا : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا قمر الليل وجعلنا شمس النهار مبصرة ، وهو تقدير صحيح لا معارض له من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، وسالم من دعوى تقدير محذوف ، ومفيد لكثرة المعنى بأربع آيات : بالليل وقمره والنهار وشمسه ، فالتقرير به أولى ولذلك فسرنا الآية عليه .

« فَمَحَوْنَا » المحو هو الازالة : ازالة الكتابة من اللوح ، وازالة الآثار من الديار ، فمحو « آية الليل » ازالة الضوء منها . وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل . فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً ثم ازيل ضوءه فصار مظلماً ، وقد تقرر في علم الهيئة ان القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس . واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر — كالأرض — كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمى والحرارة ثم برد . فكانت اضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد .

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية . ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لئيبه — صلى الله عليه وآله وسلم — وبرهانا لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم وتقدموا في العرفان .

فان ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم الا أفراداً قليلين من علماء الفلك . وأن حمى جرمه أولاً وزواله

بالبرود ثانيا ما عرف الا في هذا العهد الأخير • والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرنا - نبي أمي من أمة أمية كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم • فلم يكن ليعلم هذا ويقوله الا بوحى من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها ...

كفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم

« وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » •

وقد وضعت كذلك من أول خلقها (مُبْصِرَةً) يبصر بها ، والاسناد مجازي ، كما تقول : لسان متكلم ، أي متكلم به ، فيسند الشيء الى ما يكون به من آلة وسبب • والمبصرون حقيقة هم ذوو الأبصار • ولكنهم لا ينتفعون بأبصارهم الا في ضوئها ولا ينتفعون بها في الظلام • واذا كان الضوء يكون من النار فأين ضوء النار من ضوء الشمس في القوة والدوام والعموم •

وكما أفادت الآية زوال نور القمر بعد أن كان بمقتضى لفظة « فمحونا » ومدلولها لغة - فانها تشير الى أن نوره مكتسب وتوميء الى أنه من الشمس ، وذلك أننا نرى فيه نوراً مع علمنا أن نوره قد أزيل ، فنعلم قطعاً أن ذلك النور ليس منه • واذا كان مذكوراً مع الشمس المبصرة في الاستدلال والامتتان ، ومعاقبا مصاحبا لها في الظهور فنوره جاءه منها وهي التي أبصرته •

وقدم الليل وآيته على النهار وآيته في ترتيب النظم ، لأنه ظلام ، والظلام عدم الضوء ، والعدم مقدم على الوجود في هذه المخلوقات •
« لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ » •

ذكر تعالى الليل والنهار وآتيهما استدلالاً على الخلق ليعرفوه ، وذكر ما فيها من النعمة عليهم ليشكروه ويعبدوه . فكانت فائدة خلقها على هذا الوجه واجعة للعباد ، ليتفخوا ويطلبوا فضلاً من ربّهم بالسعي لتحصيل المعاش وأسباب الحياة ووجوه المنافع . وليضبطوا أوقاتهم بعلم عدد السنين الشمسية والقمرية وما اشتملت عليه السنوات من الشهور والأيام والساعات . وليعلموا جنس الحساب الذي منه حساب الشمس وتنقلها في منازلها ، وحساب القمر وتنقله في بروجها ، وحساب أبعادهما وسعتهما ومسير نورهما ، ثم حساب ما يرتبط بهما من أجرام سابحة في الفضاء .

والابتغاء : هو طلب الشيء بسعي اليه ومحبة فيه . ويسمى - تعالى - طلب أسباب الحياة ابتغاءً تنبيهاً على هذا السعي وهذه المحبة ، فهما الشرطان اللذان للفوز بالمطلوب . كما يسمى - تعالى - المطلوب بالابتغاء فضلاً من الرب ، وفضله من رحمته ، ورحمته واسعة لا تضبطها حدود ولا تحصرها الأعداد - تنبيهاً على سعة هذا الفضل ليذهب الخلق في جميع نواحيه ويأخذوا بجميع أسبابه مما أذن لهم فيه ، وليكونوا - إذا ضاق بهم مذهب - آخذين بمذهب آخر من مسالك هذا الفضل الرباني الواسع غير المحصور ، وتنبيهاً أيضاً على قوة الرجاء في الحصول ، وتنبيهاً أيضاً على قوة الرجاء في الحصول على البغية ، لأن طلبهم طلب لفضل رب كريم . ويقول تعالى :

(مِنْ رَبِّكُمْ) والرب المالك المدبر لملوكه بالحكمة فيعطيه في كل حال من أحواله ما يليق به ليكون الخلق بعد قيامهم بالعمل راضين بما ييسره الله من أسباب وما يقسمه لهم من رزق ثقة بعدله وحكمته ، فلا ينبغي أحدٌ على أحدٍ بتعدُّ أو حسد . فهذه الكلمات القليلة الكثيرة وهي : « لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » .

جمعت جميع أصول السعادة في هذه الحياة : بالعمل مع الجدِّ

فيه والمحبة له والرجاء في ثمرته ، الذي به قوام العمران • وبالرضا والتسليم للمولى ، الذي به طمأنينة القلب وراحة الضمير ، وبالكف للقلب واليد عن الناس ، الذي به الأمن والسلام •

ويذكر تعالى علم عدد السنين المتضمن لعدد الشهور والأيام والساعات تنبيهاً لخلقها على ضبط الأعمال بالأوقات • فإن نظام الأعمال واطرادها وخفتها والنشاط فيها وقرب انتاجها انما هو بهذا الضبط لها على دقائق الزمان ، كما ذكر - تعالى - جنس الحساب تنبيهاً على لزومه لهذا الضبط ولجميع شؤون الحياة من علم وعمل • فكل العلوم الموصلة الى هذا العد وهذا الحساب هي وسائل لها حكم مقصدها في الفضل والنفع والترغيب •

« وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّتْ نَاهُ تَفْصِيلاً » •

فكل ما يحتاج اليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق ، وأخلاق الصدق ، وأحكام العدل ووجوه الاحسان ، كل هذا فُصِّلَ في القرآن تفصيلاً • كل فصل على غاية البيان والاحكام • وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل ، ويأخذوا منه ويهتدوا به • فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان^(١) •

(١) ش : ج ١٢ ، م ٥ ، ص ١ - ٦ غرة شعبان ١٣٤٨ -
جانفي ١٩٣٠

ارادة الدنيا وارادة الآخرة

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا ۝۰۰ » (١)

كل الناس في هذه الحياة حارث وهمام : عامل ومريد ، فسفيه
ورشيد ، وشقي وسعيد .

منهم من يريد بأعماله هذه الدار العاجلة والحياة الدنيا عليها
قصر همه ، وعلى حظوظها عقد ضميره ، جعلها وجهة قصده ، ونصبها
غاية سعيه ، لا يرجو وراءها ثواباً ، ولا يخاف عقاباً ، فهو مقبل عليها
بقلبه وقالبه ، معرض عن غيرها بكليته فلا يجيب داعي الله بتزغيب
ولا ترهيب ، ولا يتقيد في سلوكه بشرائع العدل والاحسان .

فمن كان هذه ارادته ، وهذا عمله ، عجل الله له في الدنيا ما مضى
في مشيئته تعالى أن يعجله له ، ان كان ممن أراد التعجيل لهم ، بحكم
ابدال الجار والمجرور في قوله « مَنْ نُرِيدُ » من الجار والمجرور
في قوله « عَجَّلْنَا لَهُ » فالتعجيل منه تعالى لمن يريد ، لا لكل مريد ،
والشيء المعجل — في قدره وجنسه ومدته — على ما يشاء الرب
المعطي لا على ما يشاء العبد المريد . فكم من مريدي الدنيا من يقصد
الشيء فلا ينال الا به بعضه ، فيضيع عليه شطر عمله ، فلا في هذه

(١) ١٨/١٧ - ١٩ الاسراء .

إرادة الدنيا وإرادة الآخرة

الدار ولا في تلك الدار ، وكم منهم من سعى واجتهد وانتهى بالخيبة والحرمان ، فعاد — بعد النصب — ولا ثمرة حصلها عاجلاً ، ولا ثواباً ادّخره آجلاً ، وذلك هو الخسران المبين •

ثم اذا قدم على الله في الآخرة جعل له وحضر له جهنم دار العذاب ، واضطره الى دخولها فيصلاها مذموماً : مذكوراً بقبح فعله وسوء صنيعه في قلة شكره لربه ، وعدم استعماله لما كان أنعم عليه به في طاعته ، وعدم نظره لعاقبة أمره • مدحوراً : مبعداً في أقصى النار مطروداً من الرحمة • حرم نفسه من استثمار رحمة الله في الدنيا بالشكر عليها ، فكان عدلاً أن يحرم منها في الآخرة •

ونظير هذه الآية آية « الشورى » : « وَمَنْ كَانَ يَرْيدُ حَرثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ » (١) •

عمل للدنيا فنال نصيبه منها ، ولم يعمل للآخرة فلم يكن له نصيب فيها • والتقييد بمن في قوله تعالى « منها » على أن ما يناله — سواء كان كل ما أراد أو بعضه — ما هو الا بعض من الدنيا ، واذا كانت الدنيا كلها شيئاً زهيداً بقلتها وفنائها ونقصها بالنسبة لأقل شيء من نعيم الآخرة — فما بالك بما هو بعض منها • فلقد خاب وخسر من استبدل بنعيم الآخرة هذا القليل الخسيس المنعص الزهيد •

ونظيرها أيضاً آية « هود » : « مَنْ كَانَ يَرْيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا تُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أولئك الذين كُفِّرُوا كَيْدَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا »

(١) ٢٠/٤٢ الشورى •

النَّارَ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ» (١) .

وتوفيتهم أعمالهم انالتهم ثمراتها مكملة في الدنيا ، وهم فيها لا يبخسون : لا ينقصون من جزائهم عليها بتحصيل المسببات التي توسلوا اليها بأسبابها . ثم في الآخرة تحبط تلك الأعمال فلا يكون عليها من جزاء ولا لها من ثمرة ، لأنها كانت أعمالا باطلة لا ثبات لها ، عمل للدنيا دار الزوال فزالت بزوالها ، وبقي على عمالها اثم عدم شكرهم لربهم فيه فدخلوا به النار . وتلك عاقبة الظالمين .

غير أن هاتين الآيتين مطلقتان في الشيء المعطى والشخص المعطى له ، وآية « الاسراء » مقيدة بمشيئة الله تعالى وارادته فيهما . والمطلق محمول على المقيد في البيان والأحكام .

وقد أفادت هذه الآيات كلها أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها — موصلة — باذن الله تعالى — من تمسك بها الى ما جعلت وسيلة اليه . بمقتضى أمر الله وتقديره ، وسننه في نظام هذه الحياة والكون . ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين . ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الالهية ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين ، وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم . نعم لا يضيع على المؤمن أجر ايمانه ، ولكن جزاءه عليه في غير هاته الدار ، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب ، فنال جزاءه في دار الأسباب وليس له في الآخرة الا النار .

فالعباد — اذا — على أربعة أقسام :

(١) ١٥/١١ - ١٦ هود .

إرادة الدنيا وإرادة الآخرة

- ١ - مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية ، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة .
- ٢ - ودهري^١ تارك لها ، فهذا شقي فيهما .
- ٣ - ومؤمن تارك للأسباب ، فهذا شقي في الدنيا وينجو - بعد المؤاخذة على الترك - في الآخرة .
- ٤ - ودهري^٢ آخذ بالأسباب الدنيوية ، هذا سعيد في الدنيا ويكون في الآخرة من الهالكين .

فلا يفتتن المسلمون بعد علم هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم . فانه لم يكن تأخرهم لايمانهم ، بل يترك الأخذ بالأسباب الذي هو من ضعف ايمانهم . ولم يتقدم غيرهم بعدم ايمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة . وقد علموا أنهم مضت عليهم أحقاب وهم من أهل القسم الأول بايمانهم وأعمالهم . وما صاروا من أهل القسم الثالث الا لما ضعف ايمانهم وساءت أعمالهم وكثر اهمالهم . . فلا لوم اذا - الا^١ عليهم في كل ما يصيبهم ، وربك يقضي بالحق وهو الفتاح العليم .

« وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا » (١) .

وهذا قسم آخر من الخلق ، قصد بعمله الآخرة واياها طلب ، وثوابها انتظر ، يرجو أن يزحزح فيها عن النار ويفوز بالجنة ويحل عليه الرضوان . فهذا كان سعيه مشكورا بثلاثة شروط :

الشرط الأول أن يقصد بعمله ثواب الآخرة قصدا مخلصا . كما يفيد فعل الارادة في « ومن أراد الآخرة » ولام الاجل في « وسعى لها » .

(١) ١٩/١٧ الاسراء .

الشرط الثاني : أن يعمل لها المعروف في الشرع اللائق بها الذي لا عمل يفضي الى نيل ثوابها سواه ، وهو طاعة الله تعالى وتقواه بامتثال أوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده .

الشرط الثالث : أن يكون مؤمناً موقناً بثواب الله تعالى وعظيم جزائه . فاذا توفرت هذه الشروط الثلاثة لهم « كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا » متقبلاً مثاباً عليه بحسن الثناء وجميل الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة

« وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (١) .

وإذا اختل واحد منها فليس العمل بمتقبل ولا بمثاب عليه بضرورة انعدام المشروط بانعدام شرطه .

وفي هذه الشروط مباحث :

المبحث الاول :

ان قصد الثواب والجزاء على العمل لا ينافي الاخلاص فيه لله . لأنّ الاخلاص هو أن تجعل عبادتك لله وحده ، ورجاؤك الثواب وطمعك فيه ، وحذرك العقاب وخوفك منه . هما مقامان عظيمان لك في جملة عبادتك . يجب عليك أن تكون فيهما أيضاً مخلصاً . لا ترجو الا ثوابه ، ولا تخاف الا عقابه ، واذا أخلصت في رجائك وخوفك هانت عليك نفسك فقامت في طاعته مجاهداً لا يردك معارض ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وصغرت في نظرك العوالم كلها فنطقت بقولك « الله أكبر » نطق عالم واجد مشاهد . والمقصود أن رجاء الثواب ، وخوف العقاب ، روحهما الاخلاص ، فكيف ينافيهان ؟ فالعامل الراجي للثواب الخائف من العقاب ، المخلص في الجميع آب

(١) ٢٦١/٢ البقرة .

إرادة الدنيا وإرادة الآخرة

بأربع عبادات : عمله ، ورجائه ، وخوفه ، وإخلاصه وهو روح الجميع .

وقد جاء في القرآن ثناء شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه وعليهم الصلاة والسلام هكذا :

« وَالَّذِي أَنْطَمَعُ أَنْ يُغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ »^(١) .

وذكر تعالى دعاء عباد الرحمن الصالحين هكذا : « رَبَّنَا اصْرِفْ

عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا »^(٢) .

وفي دعاء القنوت : « نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخَافُ عَذَابَكَ

الجد » .

الى غير هذا من أدلة كثيرة تؤيد ما ذكرناه .

المبحث الثاني :

أفاد هذا الشرط أن من لم يرد الآخرة لم يكن سعيه مشكورا ، وفي هذا تفصيل ، لأن العامل إما يكون في عبادته لم يرد بها الآخرة أصلا ، بل أراد بها شيئا دنيويا من محمدة الخلق أو استفادة شيء أو تحصيل منفعة العمل . أو أراد الآخرة وشيئا مما ذكر شركة متساوية أو متفاوتة . وإما أن يكون في عمل عادة لم يرد بها الآخرة أصلا بل أراد الغرض الدنيوي ، أو أرادهما معا ، والدنيوي وسيلة للأخرى فهناك — إذا — أقسام :

القسم الأول :

العامل في أمر تعبدي كالصلاة والصدقة والحج والعلم ، فهذا إذا لم يرد الآخرة أصلا فهو موزور غير مشكور . وفيه جاء حديث

(١) ٨٢/٢٦ الشعراء .

(٢) ٦٥/٢٥ الفرقان .

أبي هريرة في الصحيح قال : « سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : ان أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فماذا عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قاريء ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار . » وهذا الذي كان من هؤلاء هو الرياء ، وهو أن يفعل العبادة ليقال انه مطيع . ومهما دخل الرياء في عبادة الا احبطها ، ولو كان قليلا ، لحديث أبي هريرة في الصحيح قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : قال الله تبارك وتعالى : « أنا أغنى الشركاء عن شرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه » واشراك غيره معه صادق بالقليل والكثير فلا فرق بينهما في الاحباط . والعامل المرائي موزور غير مشكور .

القسم الثاني :

العامل في العبادة الذي يقصد بها ثواب الآخرة وشيئا آخر من اعراض الدنيا « كالرجل يتبغي الجهاد وهو يريد من عرض الدنيا » وقد سئل النبي — صلى الله عليه وسلم — عن هذا فقال : لا أجر له . رواه أبو داود وابن حبان . وعلى وزانه تقول : من قصد الهجرة والتزوج بامرأة معاً ، أو قصد الوضوء والتبرد ، أو قصد الصوم والحمية — وان صحت عبادته . لأن الصحة تتوقف على نية القصد ،

إرادة الدنيا وإرادة الآخرة

والثواب يستوقف على نية الاخلاص - لا أجر له . هذا اذا سوى ما بينهما في القصد كما هو ظاهر لفظ الحديث . وأما اذا كان الغالب هو قصد العبادة فالظاهر أنك له من الأجر بقدر ما غلب من قصده .

القسم الثالث :

العامل في العبادة الذي يكون قصده الى ثواب الآخرة ، وما عداه من منافع تلك العبادة ملحوظ له على سبيل التبعية لها ، من حيث أنه مصلحة شرعية معتبرة في التشريع . والأحكام الشرعية المعللة بنوافئها في الآيات والأحاديث لا تحصى كثرة ومنها في الحج :

« لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » (١) .

ومن منافع الحج الحركة الاقتصادية لخير تلك البقاع ومصلحة أهلها وغزارة عمرانها ، ولذا قال تعالى :

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » (٢)

والفضل هو الاتجار في مواسم الحج . فكل منفعة تجلبها عبادة أو مضرة تدفعها فملاحظتها عند قصد العبادة لا تنافي الاخلاص ولا تنقص من أجر العامل ، وهي مثل الثواب المرتب على العمل . هي في الدنيا وهو في الآخرة وكلاهما من رحمة الله التي نرجوها بأعمالنا ، ويشملها لفظ دعاء القنوت : « نرجو رحمتك » اذ هو تبارك وتعالى رحمان الدنيا والآخرة ورحيما .

القسم الرابع :

العامل لعمل عادي دنيوي من أكل وشرب ونوم وجماع ونحوها ، فهذا اذا قصد بعملها النفع الدنيوي ، ولا قصد له في الثواب ، فهو غير مأجور ولا مأزور . وهذه هي حالة أهل الغفلة والجهل .

(١) ٢٨/٢٢ الحج .

(٢) ١٩٨/٢ البقرة .

القسم الخامس :

عامل الأعمال العادية الذي يتناولها بنية كونها مباحاً تناولها شرعاً بها التوسل الى ما يتوقف عليها من أعمال واجبة ومنسوبة ، والى الانكفاف بها عن المحرمات والمكروهات . كباضعة زوجته للقيام بواجب حقها ، وكف نفسه وكفها ، وكالتوم ليقوى على العبادة ، والرياضة ليصح للطاعة ، فهذا مثاب وسعيه مشكور . وله ما نوى . وبهذه السبيل يستطيع العبد الموفق أن تكون حركته وسكناته كلها لله ، وفي طاعته ، دائم الذكر له يعبده كأنه يراه . لأن من كان يعبد كأنه يرى مولاه ، لا يمكن أن يفتل عنه قلبه ويشغل بسواه ، حتى اذا اشتغل بشيء كان باذنه ورضاه ، فلم يخرج في أي عن حضرة قدس الله . ومن أدلة هذا قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — في حديث أبي ذر رضي الله عنه عند مسلم : « وفي بضع احدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ، اياتي احدا شهوته ويكون له فيها اجر قال : ارايتم لو وضعها في حرام آكان عليه وزر ، فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر » .

المبحث الثالث :

من الناس من يخترع أعمالاً من عند نفسه ويتقرب بها الى الله ، مثل ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها ، والذبح عليها والخضوع لديها ، وانتظار قضاء الحوائج منها ، وهم يعلمون أنها مخلوقة لله مملوكة له ، وانما يعبدونها — كما قالوا — لتقربهم الى الله زلفى . وكما اخترع طوائف من الهنود أنواع التعذيب بقتل أنفسهم واحراقها طاعة — زعموا! — وتقرباً ، وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمير والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقيل أحجارها ونصب التوايت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها . فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه محمد — صلى الله

عليه وآله وسلم - وأصحابه من بعده ، فساعياها موزور غير مشكور .

المبحث الرابع :

شكر الرب لعبده هو جزاء شكر عبده له ، وإنما يكون العبد شاكرًا لربه إذا كان عاملاً بطاعته مؤمنًا به . فإذا انعدم الإيمان لم يتصور شكران ، وهذا مستفاد من قوله تعالى : « وهو مؤمن » وأفادت الجملة الاسمية ثبوت الإيمان ورسوخه حال العمل ، وعلى قدر ثبوت الإيمان ورسوخه يكون الثبات والدوام على الأعمال . فالؤمن بالله يعمل موقنًا برضاه ، موقنًا ببقائه وعظيم جزائه ، فهو يعمل ولا يفشل . وسواء عليه أوصل إلى الغاية التي يسعى إليها أم لم يصل إليها حال بينه وبينها موانع الدنيا أو مانع الموت كانت مما تجنى ثماره في جيله أو لا تجنى ثماره إلا بعد أجيال . فأفادت الجملة المذكورة شرط القبول للعمل ، وسر الدوام عليه والمضي بعبطة وسرور فيه .

امكان العمل بالآية لجميع المسلمين :

خاتمة :

ان المسلمين كلهم - والحمد لله أهل إيمان فليستشعروه عند جميع الأعمال ولا يخلون من عمل لعاشهم أو لمعادهم ، فليقصدوا بذلك كله وجه الله وامتثال أمره وحسن جزائه . وليقتصروا في عبادتهم على ما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ليكونوا على يقين من موافقة رضى الله وسلوك طريق النجاة . فإذا فعلوا هذا وصدوا إليه وجاهدوا أنفسهم في حملها عليه كانوا شاكرين مشكورين على تفاوتهم في منازل العاملين عند رب العالمين ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (١) .

(١) ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ١ - ٩

غرة رمضان ١٣٤٨ - فيفري ١٩٣٠

عموم النوال من الكبير المتعال

« كَلِمَةٌ نَمِدُّهُ هُوَ لَاءٌ وَهُوَ لَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ... » (١) .

ان هذه الموجودات كلها ، علويها وسفليها ، مشمولة برحمة الله ، مغمورة بنعمته . وأول تلك النعم هو وجودها ، وذلك الوجود من مقتضى الرحمة . ثم تتنوع تلك النعم الرحمانية بتنوع أجناس الموجودات وأنواعها وأصنافها وأفرادها ، وتتفاوت أيضاً حسب ذلك . وينال كل " حظه منها بتقدير الحكيم العليم . ومن مظاهر هذه الرحمة العامة أن كل موجود قد أعطي من التكوين ما يناسب وجوده وما يتوقف عليه بقاؤه أو ارتقاؤه ، سواء آكان من عالم الجماد أو عالم النبات أو عالم الحيوان .

وقد مضى قبل هذه الآية ذكر مريدي العاجلة الذين لا يعملون الا لها ، وما أعد لهم من عذاب النار . وذكر مريدي الآخرة بأعمالهم في الدنيا وما أعد لهم من حسن الجزاء . فحالتهم في الآخرة متباينة : هؤلاء في النعيم المقيم ، وأولئك في العذاب الأليم ، هذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فانهم قد أعطوا من نعم الحياة ومكنوا من أسبابها فقد تساووا في الخلقة البشرية ، وفي العقل المميز المفكر ، وفي الارادة الحرة . وقد أظلتهم السماء ، وأصابتهم نعمة الشمس والقمر والكواكب وما ينزل من السماء ، وقد أقلتهم الأرض ، وشملتهم

(١) ٢٠ / ١٧ ، ٢١ ، سورة الاسراء .

نعمة الهواء والماء والغذاء والدواء من النہات والحيوان والجماد وكل ما يخرج من الأرض . وشاهدوا كلهم آيات الله الكونية الدالة عليه ، وجاءتهم كلهم رسل الله بآياته السمعية داعية اليه . فاختار كل بعقله — وهو حر في ارادته حرية لا يمكن لأحد أن يكابر فيها — ما اختار لنفسه . وحجة الله بما تقدم قائمة عليه . وبقوا بعد ذلك الاختيار الذي اختلفت به منازلهم عند الله فيما أعد لهم يوم لقائه — سواء ، في تلك النعم الدنيوية والتمكن من أسباب بقائها والتقدم فيها . لا فرق في ذلك بين بر وفاجر ، ومؤمن وكافر ، وهذا معنى قوله تعالى : « كَلَّا نُنَدِيهِ هُوَ لَآءٍ وَهُوَ لَآءٍ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ » وليس الله تعالى مانعاً كافراً لكفره أو عاصياً لعصيانه من هذه الحياة وأسبابها ، وليس أحد على منع ما لم يمنعه الله بقادر . وهذا معنى قوله تعالى : « وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » والحظر المنع والمحظور المنوع ، وتركيب الآية يفيد أن عطاء الرب لا يمنع ولا يجوز أن يمنع ، لأن من مقتضى ربوبيته دوام عطائه ومدده لعموم خلقه بعلمه وحكمته .

وقدم المفعول وهو (كلا) رداً على من يعتقد ان الله تعالى يمد بعضاً دون بعض . وفيه ايجاز بالحذف ، والأصل كلا الفريقين ، يعني فريق مريدي العاجلة ومريدي الآخرة ، و (نمد) من الامداد وهو المواصلة بالشيء ، وذلك الشيء يسمى مدداً . وأصل المد البسط للشيء ، فيستطيل ويتسع ، ومنه مد يده ومد شبكته ، ومنه مد الله لك أسباب السعادة ، أي بسطها ووسعها ، والامداد بالشيء والمواصلة به يكون به دوام فائدته وامتداد النفع به . والخلق كلهم في حاجة دائمة وفاقة مستمرة الى مدد الله وعطائه وأنواع بره واحسانه . وهو تبارك وتعالى لا يزال يواصلهم في كل لحظة من وجودهم بما يحتاجون اليه من فيض عطائه . وأضاف العطاء للرب

لأنه من مقتضى ربوبيته بتكوينه للخلق وتطويرهم واعطائهم ما يحفظهم في تلك الأطوار ، وأضاف الرب الى ضمير المخاطب ، وهو النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لتشريفه بهذه الاضافة . ولما تشرف بهذه الاضافة الربانية . والرب جلّ جلاله قد مضى من وصفه في الآية أنه عام الرحمة والنعمة والنوال - فمن شكر نعمة هذا الشرف أن يتخلق العبد وهو محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بما هو من مقتضى وصف ربه . هذا من فوائد هذه الاضافة في هذا المقام . وقد كان - صلى الله عليه وآله وسلم - رحمة للعالمين ، شديد الشفقة على الخلق أجمعين ، حريصاً على هدايتهم الى الصراط المستقيم . حتى خاطبه ربه بقوله : « لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »^(١) أي قاتل نفسك غمّاً لعدم ايمانهم . وكان أساس شرعه على العدل ، والاحسان العدل مع كل واحد ، والاحسان الى كل شيء فقال تعالى : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنۡ لَا تَعْدِلُوا » أي لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فيهم وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة » . ولما كان هو عليه الصلاة والسلام قدوتنا فحن مخاطبون بأن نكون مثله في عموم رحمته وشفقته وعدله وبره واحسانه . نفعل الخير عاما ، كما تعم خيرات الله تعالى العباد ، نفعله لأنه خير" نستطعم لذته ، غير منتظرين جزاء ، الا من الله . لأن من انتظر الجزاء من الناس وفي هذه الحياة لا بد أن يميل بخيره عن جهة الى جهة ، وربما يكون في ميله قد أخطأ وجه الصواب ، ولا بد أيضاً أن ييأس فيفتر في العمل أو ينقطع عنه عندما يرى عدم المكافأة

من الناس وعدم ظهور أثر خيره في الحياة وأبناء الحياة •
وقد أفادت الآية - حسبما تقدم - ان أسباب الحياة وال عمران
والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء ، وان من تمسك بسبب
بلغ - باذن الله - الى مسببه ، سواء أكان براً أو فاجراً مؤمناً أو
كافراً • وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين
قديماً وحديثاً ، فقد تقدموا حتى سادوا العالم ورفعوا علم المدينة
الحقة بالعلوم والصنائع ، لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم •
وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها باهمال تلك الأسباب
فخسروا دنياهم وخالفوا مرضاة ربهم وعوقبوا بما هم عليه اليوم من
الذل والانحطاط ، ولن يعود اليهم ما كان لهم الا اذا عادوا الى امتثال
أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب •

فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره ، المتقدم
لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب اسلامه ، وأن غيره
ما تقدم بعدم اسلامه • وأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك
والترك للأسباب • ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الاسلام ،
لكان - مثل سالف ايامه - سيد الانام •

النظر في تفاضل البشر :

« أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
وَلِأَخِرَةٍ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » (١) •

ان من أعظم العبر ما نشاهده في أحوال الخلق أمماً وجماعات
وأفراداً من الاختلاف الشديد • فقد اختلفت بواطنهم النفسية ، كما
اختلفت ظواهرهم الجسدية ، وانك كما تجد أبناء الامة الواحدة

(١) ٢١/١٧ الاسراء •

يتشابهون في تركيب أجسامهم ، ثم لا بد من فروق تمتاز بها شخصياتهم ، ويتبع هذا الاختلاف اختلافهم في ادراكهم وتمييزهم وأخلاقهم وعاداتهم في ظلالهم وهداهم ، وفي درجات الهدى ودركات الضلال . كل هذا دال على بديع صنع الخالق القدير ، وعجيب وضع العليم الحكيم . فممكنهم تعالى كلهم من الأسباب وادراك العقل وحرية الارادة ، ثم فضل بينهم هذا التفضيل . فكان منهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والشقي والسعيد ، الى تقسيم كثير . وفقه أسباب هذا التفضيل هو فقه الحياة والعمران والاجتماع ، فلذا أمر تعالى بالنظر في أحوال هذا التفضيل بقوله : « أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » وكيف سؤال عن الأحوال ، والنظر المأمور به هو نظر القلب بالفكرة والاعتبار ، والجملة في محل نصب على العامل عن لفظهما بكلمة الاستفهام .

وكما فضل بعض خلقه على بعض في دار الابتلاء ، كذلك فضل بعضهم على بعض في دار الجزاء ، لكن التفضيل هنالك أكبر ، والتفاوت بين العباد أظهر . في مواقف القيامة ، وفي داري الاقامة ، ويا بعد ما بين من في الجنة ومن في النار . وأهل النار متفاوتون في دركاتهما ، وأهل الجنة متفاوتون في درجاتها .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال : « ان في الجنة مائة درجة أعدوا الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال : « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك

منازل الأنبياء لا يلفها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

وقال تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (١) وهذا التفضيل الأخرى هو المراد بقوله تعالى : « وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » وفي هذا ترغيب للخلق في تحصيل الفضل في درجات الآخرة . فانهم انما يتهاكون في الدنيا على أن يفضل بعضهم بعضاً في شيء منها ، وهي الدار الفانية ، فلم لا يتسابقون فيما ينالون به الفضل في الدار الباقية مع أن من عمل لنيل الفضل في الآخرة - وما عملها الا الخير والمعروف - حاز الفضل والسعادة فيهما على أفضل وجه وأكمل حال . فللاخرة ونيل درجاتها فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢) .



(١) ١٤٤/٤ النساء .

(٢) ش : ج ٢ ، م ٦ ، ص ٧٣ - ١٦ غرة شوال ١٣٤٨ هـ - مارس

أصول الهداية في ثمان عشرة آية

« لَا تَجْمَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا - إِلَى - وَلَا تَجْمَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا » (١) .

تمهيد :

قد أوتي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، فالآية من كتاب الله والأثر من حديث رسول الله تجد فيه من أصول الهداية ودقيق العلم ولطيف الإشارة في لفظ قليل وكلام بيّن - ما فيه الكفاية وفوق الكفاية لمن أوتي العلم ومنح التوفيق .

فهذه ثمان عشرة آية من سورة الاسراء قد أتت في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الاسلامية كلها . وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوها . وهي - فوق بلاغتها التي عرف العرب أعجازها بسليقتهم وأدركه علماء البيان بعلمهم ومرانهم - قد جاءت معجزة للخلق من أي جنس كانوا وبأي لغة نطقوا بما جمعت من أصول الهداية التي تدركها الفطر وتسلمها العقول . وأنتك لست واجداً مثلها في مقدارها واضعاف مقدارها من كلام الخلق بجمع ما جمعت من هدى وبيان وهذا أحد وجوه اعجاز القرآن العامة التي تقوم بها حجته على الناس أجمعين .

(١) ٢٢/١٧ الاسراء .

ارتباط الآيات بما قبلها :

موقع هذه الآيات موقع البيان والتفصيل للسعي المشكور في قوله تعالى : « فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا » (١) .
ووقوعها بلصق قوله تعالى : « وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » (٢) إشارة الى ان التفاضل في تلك الدرجات مرتبط بالتفاضل في السلوك والسعي المشكور المستفاد من هذه الآيات .

التوحيد :

«وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا»
هذا هو أساس الدين كله ، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال الا به . وما أرسل الله رسولا الا داعيا اليه ومذكرا بحججه ، وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي كلمة : « لا اله الا الله » وهي كلمته الصريحة فيه . ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من ذكره والأمر به والنهي عن ضده . وأنت ترى أن هذه الآيات الجامعة قد جعلت بين آيتين صريحتين فيه .

(لا تجعل) الجعل يكون عمليا ، كجعلت الماء مع اللبن في اناء واحد ، ويكون اعتقاديا ، كجعلت مع صديقي صديقا آخر . والجعل في الآية من هذا الثاني . « مع الله » المعية هنا أيضا هي معية اعتقادية . « إلها آخر » الأله هو المعبود والعبادة نهاية الذل والخضوع مع الشعور بالضعف والافتقار و اظهار الاتقياد والامتثال ودوام التضرع والسؤال . « فتقعد » القعود ضد القيام والعرب تكنى بالقيام عن الجد في الأمر

(١) ١٩/١٧ الاسراء .

(٢) ٢١/١٧ الاسراء .

والعمل فيه سواء أكان العامل قائماً أو جالساً ، فتقول : قام بحاجتي ، اذا جد وعمل فيها ، ولو كان لم يمش فيها خطوة ، وانما قضاها بكلمة قالها أو خطاب أرسله • وتكني كذلك بالتعود عن الترك للعمل وانحلال العزيمة وبطلان الهمة سواء كان الشخص واقفاً أو جالساً ، فتقول : قعد زيد عن نصرة قومه ، اذا لم يعمل في ذلك عملاً ، ولم تكن له فيه همة ولا عزيمة ، ولو كان قائماً يمشي على رجليه ، فالتعود في الآية بمعنى المكث كناية عن بطلان العمل وخيبة السعي وخور القلب وفراغ اليد من كل خير • « مذموماً » مذكوراً بالقبيح موصوفاً به • « مخذولاً » متروكاً بلا نصير مع حاجتك اليه •

فنهى الله الخلق كلهم عن أن يعتقدوا معه شريكاً في ألوهيته فيعبدوه معه ، ليعتقدوا أنه الاله وحده فيعبدوه وحده • ويثن لهم أنهم ان اعتقدوا معه شريكاً وعبدوه معه فان عبادتهم تكون باطلة وعملهم يكون مردوداً عليهم وأنهم يكونون مذمومين من خالقهم ومن كل ذي عقل سليم من الخلق ، ويكونون مخذولين لا ناصر لهم • فأما الله فانه يتركهم وما عبدوا معه ، وأما معبوداتهم فانها لا تنفعهم لأنها عاجزة مملوكة مثلهم ، فما لهم — قطعاً من نصير •

والخطاب وان كان موجهاً للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فانه عام للمكلفين ، وسر مثل هذا الخطاب تنبيه الخلق الى أن شرائع الله وتكاليفه عامة للرسول والمرسل اليهم ، وان كان هو قد عصم من المخالفة فلا يبقى بعد ذلك وجه لدعوى مدع خروج فرد من أفراد الأمة المكلفين عن دائرة التكليف •

« وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » (١) القضاء

يكون بمعنى الارادة ، وهذا هو القضاء الكوني التقديري

(١) ٢٣/١٧ الاسراء •

الذي لا يتخلف متعلقه ، فما قضاء الله لا بد من كونه . ويكون القضاء بمعنى الأمر والحكم ، وهذا هو القضاء الشرعي الذي ينشئه الموفقون ويخالفة المخدولون ، والذي في الآية من هذا الثاني . « ربك » الرب هو الخالق المدبر المنعم المتفضل . « أن » مصدرية والتقدير بألا تعبدوا الا اياه ، أي بعدم عبادتكم سواه بأن تكون عبادتكم مقصورة عليه . فالعبادة بجميع أنواعها لا تكون الا له . فذل القلب وخضوعه والشعور بالضعف والافتقار والطاعة والالتقياد والتضرع والسؤال هذه كلها لا تكون الا لله . فمن خضع قلبه لمخلوق على أنه يملك ضره أو نفعه فقد عبده . ومن شعر بضعفه وافتقاره أمام مخلوق على أنه يملك اعطائه أو منعه فقد عبده ، ومن ألقى قياده بيد مخلوق يتبعه فيما يأمره وينهاه غير ملتفت الى أنه من عبده أو من عند الله فقد عبده . ومن توجه لمخلوق فدعاه ليكشف عنه السوء أو يدفع عنه الضرر فقد عبده . فالله تعالى يعلم الخلق كلهم في هذه الآية بأنه أمر أمراً عاماً وحكم حكماً جازماً بأن العبادة لا تكون الا له .

وجيء باسم الرب في مقام الأمر بقصر العبادة عليه تسيهاً على أن الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك والانعام ، وليس ذلك الا له ، فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه . فهو تسيه بوحداية الربوبية التي من مقتضاها انفراد بالخلق ، والأمر الكوني والشرعي على وحدانية الالهية التي من مقتضاها استحقاقه وحده عبادة جميع مخلوقاته . وكما انتظمت هذه الجملة توحيد الربوبية وتوحيد الالهية كذلك انتظمت مع الآية السابقة التوحيد العلمي والتوحيد العملي . فالاولى نهي عن أن تعتقد الالهية لسواه وهو يتضمن النهي عن اعتقاد ربوبية سواه ، وهذا من باب العلم . والثانية : أمر بأن تكون عبادتك مقصورة عليه ، لأنه هو ربك وحده وهذا من باب العمل . فمن وحّد الله جلّ جلاله في ربوبيته وألوهيته

علماً وعملاً فقد استكمل حظه من مقام هذا الأساس العظيم ، ومن
أخلاً بشيء من ذلك كان ذلك نقصاً في دينه بقدر ما أخل ، حتى ينتهي
الأمر الى خلع المشركين • نعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه انه سميع
عليم •

بيان واستدلال :

يكون الذل بمعنى ضعف الحال ، وهذا قد يكون لأهل التوحيد
والإيمان كما في قوله تعالى :

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِكَّةٌ » (١)

ويكون بمعنى اللين المشوب بالعطف ، وهذا من صفات المؤمنين
المدوحة إذا وقعت في محلها كما في قوله تعالى :

« أَذِكَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » (٢) •

ويكون الذل بمعنى خنوع القلب وخضوعه وانكساره للضعف
والافتقار ، وهذا هو الذي لا يكون من المؤمن الموحد الاله كما في
حديث دعاء القنوت « ونضع لك » أي نذل ونخضع لك ، وهذا
الخنوع هو أساس العبادة القلبية ، فلذلك لا يكون الا الله ، وان من
أسرار كلمة « الله أكبر » التي يأتي بها المؤمن مرات كثيرة في صلواته
وغيرها من أحواله حفظ القلب من الخضوع للخلق باستشعار عظمة
الخالق التي يصغر عندها كل مخلوق •

فلا يزال المؤمن لهذا قوي القلب عزيز النفس بالله لا ينتظر قوة
ضعفه الا به ولا سد مفاقره الا منه ، ولقلب المؤمن الموحد أمام من
يحب في الله ويعظم بتعظيم الله خضوع أيضاً ، ولكنه خضوع هيبه

(١) ١٢٣/٣ آل عمران .

(٢) ٥٧/٥ المائدة .

وتوقير واجلال ، لا خضوع ذل وخنوع وضعف وافتقار ، اذ هذا - كما قدمنا - لا يكون الا للفني القوي العزيز القهار .

من مظاهر هذا الخنوع الذي لا يكون الا لله الطاعة والالتقياد ، وهي أيضاً لا تكون إلا له وقد قال تعالى : « أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » (١) أي أطاعه واتبعه كما قال تعالى : « وَاتَّبِعُوا أَوْسَاءَهُمْ » فمن تبع مخلوقاً واطاعه فيما يأمره وينهاه دون أن يكون في طاعته مراعيّاً طاعة الله فقد عبده واتخذة رباً فيما أطاعه فيه . وفي حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره لما جاء للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسمعه يتلو قوله تعالى : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ » (٢) فقال عدي : يا رسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم ؟ قال : اليس كانوا اذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ، واذا احلوا لهم شيئاً احلوه . قال : قلت نعم . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : فتلك عبادتهم ايهاهم ، فالؤمن الموحّد لا تكون طاعته الا لله أو لمن طاعته طاعة لله .

ومن مظاهر ذلك الخنوع : الدعاء والسؤال والتضرع والجوار « رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة اليه » قال تعالى : « وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ » (٣) « أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » (٤) « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ » في آيات كثيرة . وقال صلى الله

(١) ٢٢/٤٥ الجاثية .

(٢) ٣٢/٩ التوبة .

(٣) ٥٣/١٦ النحل .

(٤) ٦٢/٢٧ النمل .

(٥) ٩/٨ الانفال .

عليه وآله وسلم : - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن
الترمذي - : « اذا سألت فسل الله » في أحاديث كثيرة .
فلا يدعو المؤمن الموحّد غير الله ولا أحداً مع الله
إذ الدعاء عبادة ، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه يرفعه
« الدعاء هو العبادة » رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة . وكما
في حديث أنس رضي الله عنه يرفعه « الدعاء من العبادة » رواه الترمذي
وكل عبادة لا تكون الا لله فالدعاء لا يكون الا لله ، وانما كان من
العبادة هاته المنزلة لأن حقيقة العبادة هي التذلل والخضوع ، وهو
حاصل في الدعاء غاية الحصول ، وظاهر فيه أشد الظهور .

ألهمنا الله رشدنا وأعاذنا من شرور أنفسنا انه سميع قريب

مجيب (١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ٦ ، ص ١٣٨ - ١٤٣ غرة ذي القعدة ١٣٤٨ هـ

افريل ١٩٣٠

بر الوالدين

« وَكَفَىٰ رَبِّكَ آلَاءَ تَعْبُدُوا إِلَّا هَٰؤُلَاءِ ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا ۖ... » (١) .

والله : هو الخالق ، والوالدان - بوضع الله - هما السبب المباشر في التخليق . والله هو المبتدئ بالنعيم عن غير عمل سابق ، وهما يتبدئان بالاحسان عن غير احسان تقدم ، والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته وهم الفقراء اليه ، وهما يكتفان بالرحمة واللطف الولد ، وهما في غنى عنه ، وهو في افتقار اليهما ، والله يوالي احسانه ، ولا يطلب الجزاء ، وهما يبالغان في الاحسان دون تحصيل الجزاء . فلهذه الحالة التي خصهما الله بها ، وأعانها بالفطرة عليها ، قرن ذكرهما بذكره ، فلما أمر بعبادته أمر بالاحسان اليهما في هذه الآية ، وفي قوله تعالى : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (٢) ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال تعالى : « أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ » (٣) وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالاحسان والأمر بالشكر لهما ، مع الله تعالى ، أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب ، ثم زاد هذا الحكم ، وهذا الامر ، وتقريراً بلفظ التوصية بهما في قوله تعالى :

(١) ٢٣/١٧ الاسراء .

(٢) ٣٥/٤ النساء .

(٣) ١٤/١١ لقمان .

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا » (١) .
ليحفظ حكم الله وأمره فيهما ولا يضيع شيء من حقوقها ، فكان
حَقُّهما بهذه الوصاية أمانة خاصة ووديمة من الله عظيمة عند ولدهما .
وكفى بهذا داعياً الى العناية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها . وكما
جاء هذا الجمع في باب الأمر في القرآن كذلك جاء الجمع بينهما في
باب النهي وكبر المعصية في السنة . ففي الصحيح عن أبي بكر رضي
الله عنه قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
« لا اخبركم بأكبر الكبائر ! قلنا : بلى يا رسول الله ، قال الاشرار بالله
وعقوق الوالدين . »

وتقدير نظم الآية هكذا : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه
وبأن تحسنوا للوالدين احساناً » . فحذفت أن تحسنوا لوجود ما يدل
عليه وهو احساناً . وفي تنكيه افادة للتعظيم فهو احسان عظيم في
القول والفعل والحال . وتقول : أحسنت اليه وأحسنت به ، وأحسنت
به أبلغ لتضمن أحسنت معنى لطف ، ولما في الباء من معنى اللصوق .
ولهذا عدت في الآية بالباء ليفيد الأمر باللطف في الاحسان والمبالغة
في تمام اتصاله بهما ، فلا يريان ويسعان ولا يجدان من ولدهما الا
احساناً ، ولا يشعر أن في قلوبهما منه الا بالاحسان . ومن الاحسان
ما يكون ابتداء وفضلاً ، ومنه ما يكون جزاء وشكراً ، فعليه أن يعلم
أن كل احسانه هو شكر لهما على سابق احسانهما الذي لا يمكنه أن
يكافئه بمثله ، لثبوت فضيلة سبقه ، وفي تعليق الحكم - وهو الأمر
بالاحسان - بلفظ الوالدين المشتق من الولادة ايدان بعليتهما في
الحكم ، فيستحقان الاحسان بالوالدية سواء أكانا مؤمنين أم كافرين ،
بارين أو فاجرين ، محسنين اليه أو مسيئين . وقد جاء هذا صريحاً
في قوله تعالى :

« وَانِ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدِّينِ مَعْرُوفًا » (١)

فأمر بمصاحبتهم بالمعروف على كفرهما . وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فاستنقيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قلت : قدمت على أمي وهي راغبة (أي في العطاء والاحسان) أفأصل أمي ؟ قال : نعم ، صلي أمك . وهذا الاحسان الواجب لهما جانب الأم أكد فيه من جانب الأب وحظها فيه أوفر من حظها ، ويشير الى هذا تخصيصها بذكر اتباعها في قوله تعالى :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ (ضعفا على ضعف) وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ » (٢) .

وفي الاخرى « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلْتَهُ وَفِصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (٣) . فذكر ما تعانيه من ألم الحمل ومشقة الوضع ومقاساة الرضاع والتربية ، وجاء التصريح بهذا في الحديث الصحيح : فقد جاء رجل الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : من أحق الناس بحسن صحبتي (أي صحبتي من حسن المشرة والبر والتكرمة) قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك . فذكر الأب في الثالث . وفي طريق آخر للحديث ذكره في الرابعة . ولقد كان لها هذا بما ذكر من مزيد اتباعها وضعف جانبها ورقة عاطفتها

(١) ١٥/٣١ لقمان .

(٢) ١٤/٣١ لقمان .

(٣) ١٥/٤٦ الاحقاف .

وشدة حاجتها ، فكان هذا الترجيح لجانبها من عدل الحكيم العليم ، ومحاسن الشرع الكريم . ومن الاحسان اليهما طاعتها في الأمر والنهي ، ومن عقوقهما مخالفتها فيهما . وانما تحل له مخالفتها اذا منعه من واجب عيني أو أمراه بمعصية ، لما في الصحيح من قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : لا طاعة لأحد في معصية الله انما اطاعة في المعروف وعند الحاكم واحمد : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ومن الدليل على رجحان جانبها علي الواجب الكفائي ما ثبت في الصحيح من حديث الرجل الذي أتى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يستأذنه في الجهاد فقال : أحيي والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد ، وفي الطريق الثاني قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أقبل رجل الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : أبايمك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله ؟ ، قال : فهل من والديك أحد حي ؟ قال : نعم ، بل كلاهما قال : فتبني الأجر من الله ؟ قال : نعم . قال : فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما . هذا لأن القيام عليهما فرض عيني ، والجهاد كان عليه فرض كفاية ، ولو تعين عليه ، ولم يكونا في كفاية قدم القيام عليهما وكفايتهما عليه . ومن حقوقهما عليه أن لا يخرج الى ما فيه خوف ومخاطرة بالنفس الا باذنها بدليل ما جاء في سنن ابي داود : أن رجلاً من أهل اليمن هاجر الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : هل لك أحد باليمن ؟ قال : أبواي . قال : أذنا لك ؟ قال : لا . قال : فارجع اليهما فاستأذنهما فان أذنا لك فجاهد ، والا فبرهما . أما اذا أراد تعاطي ما لا خطر فيه ولا فجيرة من شؤون الحياة ووجوه التصرفات فليس عليه أن يستأذنهما وليس لهما منعه ، ولكن اذا منعه من شيء امتنع لوجوب برهما ، وطاعتها . - في غير المعصية - من برهما .

تفصيل الاحسان اليهما

في القول والعمل وتاكيده في حالة الكبر

« إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا » (١) .

الأمر بالاحسان اليهما عام في جميع الأحوال ، وخصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر لانها حالة الضعف ، وشدة الحاجة ، ومظنة الملل والضجر منها ، وضيق الصدر من تصرفاتهما فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما الى ما كان ولدهما عليه في بدايته . وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما ، فكان بأشد الحاجة الى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما ، ومزيد الرعاية لهما ، وشدة التوقى والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما في هاته الحال على الخصوص ، وان كان ذلك واجبا عليه في كل حال على العموم . وطول بقائهما عنده في كنفه وثقل مؤتمهما عليه ، وما يكون من ضروريات الكبر والمرض مما يستقذره في بيته ، كل هذا قد يؤدبه الى الضجر والتبرم فيقول ما يدل على ضجره وتبرمه . فهى عن التفوه بأقل كلمة تدل على ذلك ، وهى كلمة أف بقوله تعالى : « وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ » فأحرى وأولى ما فوقها ، وهذا أمر

يتحمل كل ذلك منهما ونهي عن التضجر منهما • ومن ضرورة مبايئتهما لولدهما في السنّ وفي النشأة أنهما كثيراً ما يخالفانه في آرائه وأفكاره، وقد يتناولان ما لا يجب أن تصل يدهما اليه ، وقد يسألانه للمعرفة أو للحاجة ، وكل هذا قد يؤديه الى نهرهما ، أي زجرهما بصياح واغلاظ أو اظهار للغضب في الصوت واللفظ ، فنهى عن هذا بقوله تعالى : « وَلَا تَنْهَرْهُمَا » وفي هذا أمر بالتلطف معهما في الطلب والعرض والدلالة على وجه الصواب في الأمر وأبواب الفعل والترك ، وبحسن التلقي لكل ما يسألان ويطلبان ، ونهى عن أي اغلاظ في اللفظ والصوت وحالة الكلام • ولما نهاه عن القول القبيح المؤذي أمره بالقول اللين السهل الحسن في لفظه وفي معناه وفي قصده وفي منشأه السالم من كل عيب ومكروه بقوله تعالى : « وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا » • وفي هذا أمر بان يخاطبهما بجميل القول ويؤنسهما بطيب الحديث ، ونهى عن أن يؤذيهما في قوله أو يوحشهما بطول السكوت فليس له أن يتركهما وشأتهما ، بل عليه مجالستهما ومحادثتهما وجلب الأنس اليهما وإدخال السرور عليهما • ثم أن القول انما هو عنوان ما في الضمير ، ولا يكون كريماً شريفاً الا اذا كان عنواناً صادقاً حسن مظهره ومخبره وعذب جناه وطاب مغرسه ، وما ثماره الا معانيه ، وما مغرسه الا القلب الذي صدر عنه • فيفيد هذا أن على الولد أن يكون معهما باللطف والعطف من صميم قلبه كما هو يعرب لهما عنهما بلسانه فيكون محسناً لهما حينئذ في ظاهره وباطنه وذلك هو تمام البر الذي أمر به •

« وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ » •

مضى فيما تقدم أدب القول ، وهذا أدب الفعل وبيان الحال التي يكون عليهما • فالوالدان عند ولدهما في كنفه كالفراخ الضعيفة المحتاجة للقوت والدفيء والراحة ، وولدهما يقوم لهما بالسعي كما يسعى

تفصيل الاحسان اليهما

الطائر لفراخه ويحيطهما بحنوه وعطفه كما يحيط الطائر فراخه ، فشبّه الولد في سميّه وحنوه وعطفه على والديه بالطائر في ذلك كله على فراخه ، وحذف المشبه به وأشير اليه ، يلزمه وهو خفض الجناح ، لأن الطائر هو ذو الجناح ، وانما يخفض جناحه حنواً وعطفاً وحياطة لفراخه ، فيكون في الكلام استعارة بالكناية . وأضيف الجناح الى الذل - وهو الهون واللين - اضافة موصوف الى صفة . اخفض لهما جناحك الذليل ، وهذا ليفيد هونه وانكساره عند حياطتهما حتى يشعر بأنيهما مخدومان للاستحقاق لا متفضل عليهما بالاحسان . وفي ذكر هذه الصورة التي تشاهد من الطير تذكير بليغ مرقق موجب للرحمة وتنبية للولد على حالته التي كان عليها معهما في صغره ، ليكون ذلك ابث له على العمل وعدم رؤية عمله امام ما قدما اليه . ومن في قوله تعالى (من الرحمة) للتعليل متعلقة بأخفض ، فتقيد مع متعلقها الأمر بأن يكون ذلك الخفض ناشئاً على الرحمة الثابتة في النفس لا عن مجرد استعمال ظاهر كما كان يكتفاه ويعطفان عليه عن رحمة قلبية صادقة ، فيكون هذا مفيداً ومؤكداً لما قدمناه من لزوم أن يتطابق على الاحسان اليهما الظاهر والباطن ، لئتم البرور .

« وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » .

مهما اجتهد الولد في الاحسان الى أبويه فانه لا يجازي سابق احسانهما ، فأمر بأن يتوجه بسؤال الرحمة لهما من الله تعالى ، وهي النعمة الشاملة لخير الدنيا والآخرة إظهاراً لشدة رحمته ورغبة في وصول الخير العظيم من المولى الكريم اليهما ، واعترافاً بعجزه عن مجازاتهما . يدعو لهما هكذا في حياتهما وبعد مماتهما ، أما في حياتهما فيدعو لهما بالرحمة سواء كانا مسلمين أم كافرين ، ورحمة الكافرين بهدائتهما الى الاسلام ، واما بعد الموت فلا يسأل الرحمة لهما الا اذا ماتا مسلمين لقوله تعالى :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَّ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (١) .

والكاف في قوله تعالى : « كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » . للتعليل ،
أي : ربّ ارحمهما لتربيتهما لي وجزاء على احسانهما اليّ في حالة الصغر ،
حالة الضعف والافتقار . وفي هذا اعتراف بالجميل واعلان لسابق
احسانهما العظيم وتوسل الى الله تعالى في قبول دعائه لهما بما قدما
من عمل لأنه وعد أنّه يجزي العاملين ، وقد كانت تربيتهما لولدهما
من أجل مظاهر الرحمة ، وهو قد أخبر تعالى على لسان رسوله أنه
يرحم الراحمين . ولا أرحم - بعده تعالى - من الوالدين .

خاتمة :

من بر الوالدين أن تتحفظ من كل ما يجلب لهما سوءا من غيرنا ،
فإن فاعل السبب فاعل للمسبب ، ومن هذا ان لا نسبّ الناس حتى
لا يسبوا والدينا ، لأننا اذا سببنا الناس فسبوهما كنا قد سببناهما ،
وسبهما من أكبر الكبائر . ففي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - :
ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله ، وكيف
يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب ابا الرجل فيسب اياه ويسب امه
فيسب امه .

ومن برهما حفظهما بعد موتها بالدعاء والاستغفار واناذ عهدهما
واكرام صديقتها وصلة رحمهما . فقد روى ابن ماجة وأبو داود
وابن حبان في صحيحه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي البصري

تفضيل الاحسان اليهما

— رضي الله عنهم أجمعين — قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — اذ جاء رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم ، الصلاة (أي الدعاء) عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصللة الرحم التي لا توصل الا بهما واکرام صديقيهما • وفي اكرام صديقيهما جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه • قال ابن دينار فقلنا له : أصلحك الله انهم الأعراب وأنهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : ان أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — يقول : ان ابر البر صلة الولد اهل ود ابيه •

هذا وان من راض نفسه على هذه الاخلاق الكريمة والمعامه الحسنة والأقوال الطيبة التي أمر بها مع والديه حصل له من الارتياض عليها كمال أخلاقي مع الناس أجمعين ، وكان ذلك من ثمرات امتثال أمر الله وطاعة الوالدين • والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل • انه المولى الكريم رب العالمين^(١) •

(١) ش ج ٤ ، ٦ م ، ٦ ص ٢٠٦ — ٢١٢ غرة ذي الحجة ١٣٤٨ هـ —

صلاح النفوس واصلاحها

« رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَئِكَ غَفُورًا » (١) .

صلاح الشيء : هو كونه على حالة اعتدال في ذاته وصفاته ،
بحيث تصدر عنه أو به أعماله المرادة منه على وجه الكمال . وفساده :
هو كونه على حالة اختلال في ذاته أو في صفاته بحيث تصدر عنه
أو به تلك الاعمال على وجه النقصان . اعتبر هذا في البدن ، فإن له
حالتين : حالة صحة وحالة مرض . والاولى : هي حالة صحته باعتدال
مزاجه ، فتقوم أعضاؤه بوظائفها وينهض هو بأعماله . والثانية : هي
حالة فساده باختلال مزاجه فتتعطل أعضاؤه أو تضعف كلها أو بعضها
عن القيام بوظائفه ، ويقعد هو أو يثقل عن أعماله . هذا الذي تجده
في البدن هو نفسه تجده في النفس ، فلها صحة ولها مرض ، حالة
صلاح وحالة فساد .

والاصلاح هو ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بازالة ما طرأ عليه
من فساد . والافساد هو اخراج الشيء عن حالة اعتداله باحداث
اختلال فيه . فاصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء ، واصلاح
النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة . وافساد البدن بتناول ما يحدث به
الضرر ، وافساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب ، هكذا تعتبر
النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد . في كثير من الأحوال .

(١) ١٥/١٧ الاسراء .

غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم لأن خطرها أكبر وأعظم .

ان المكلف المخاطب من الانسان هو نفسه ، وما البدن الا آلة لها ، ومظهر تصرفاتها . وان صلاح الانسان وفساده انما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها ، وانما رقيته وانحطاطه باعتبار رقي نفسه وانحطاطها ، وما فلاحه الا بزكائها وما خيبتها الا بخبثها . فقد قال تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » (١)

وفي الصحيح : « الا وان في الجسد مضفة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » وليس المقصود من القلب مادته وصورته، وانما المقصود النفس الانسانية المرتبطة به . وللنفس ارتباط بالبدن كله، ولكن القلب عضو رئيسي في البدن ومبعث دورته الدموية على قيامه بوظيفته تتوقف صلوحية البدن لارتباط النفس به ، فكان حقيقياً لأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز . وصلاح القلب بمعنى النفس بالعقائد الحقّة والأخلاق الفاضلة وانما يكونان بصحة العلم وصحة الارادة ، فاذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة ، واذا فسدت النفس من ناحية العقدة أو ناحية الخلق أو ناحية العلم أو ناحية ارادة فسد البدن وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد . فصلاح النفس هو صلاح الفرد ، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع ، والعناية الشرعية متوجهة كلها الى اصلاح النفوس . اما مباشرة واما بواسطة ، فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق ، والخير ، والعدل ، والاحسان ، الا وهو راجع عليها بالصلاح ، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء ، الا وهو عائد عليها بالفساد ، فتكميل النفس الانسانية هو أعظم المقصود من ائزال الكتب وارسال الرسل ،

وشرع الشرائع ، وهذه الآيات الثمان عشرة قد جمعت من اصول الهداية ما تبلغ به النفوس اذا تمسكت به غاية الكمال .

قد أمر تعالى في الآيات المتقدمة بعبادته ، وتوحيده ، والاخلاص له ، وأمر ببر الوالدين والاحسان اليهما في الظاهر والباطن ، كما أمر بغير ذلك في الآيات اللاحقة ، ووضع هذه الآية أثناء ذلك ، وهي متعلقة بالنفس وصلاحتها ، لينبه الخلق على أصل الصلاح ، الذي منه يكون ، ومنشأه الذي منه يتبدى ، فاذا صلحت النفس قامت بالتكاليف التي تضمنتها هذه الآيات الجامعة ، لأصول الهداية ، وهذا هو وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها ، الذي قد يكون قبل التدبر خفياً . ونظير هذه الآية في موقعها ودلالاتها على ما به يسهل القيام بأعباء التكاليف . - قوله تعالى « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ » (١) فقد جاءت أثناء آيات أحكام الزوجية أمره بالمحافظة على السنوات تبنيهاً للعباد على أن المحافظة عليها على وجهها تسهل القيام بأعباء تكاليف تلك الآيات لأنها تزكي النفس بما فيها من ذكر وخشوع وحضور وانقطاع الى الله تعالى وتوجه اليه ومناجاة له ، وهذا كله تعرج به النفس في درجات الكمال . والنفوس الزكية الكاملة تجد في طاعة خالقها لذّة وأنساً تهون معها أعباء التكاليف . ثم ان العباد بنقص الخلقة وغلبة الطبع معرضون للتقصير في ظاهرهم وباطنهم ، في صور أعمالهم ودخائل أنفسهم ، - وخصوصاً في باب الاخلاص - فذكروا بعلم ربهم في نفوسهم في قوله تعالى : « رَبِّكُمْ ° اعْلَمُوا ° بِمَا فِي نَفْسِكُمْ » (٢) ليبالغوا في المراقبة فيتقنوا أعمالهم في صورها

(١) البقرة ٢٣٨/٢

(٢) الاسراء ٢٥/١٧

صلاح النفوس واصلاحها

ويخلصوا بها له . وهذه المراقبة هي الاحسان الذي هو عبادتك الله كأنك تراه ، وذكر اسم الرب لأنه المناسب لاثبات صفة العلم ، فهو الرب الذي خلق النفوس وصورها ودبرها . ولا يكون ذلك الا بعلمه بها في جميع تفاصيلها . وكيف يخفى عليه شيء منها وهو خلقها (١) .

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّكِّطِيفُ الْخَبِيرُ » (٢) .

والصالحون : في قوله تعالى : « إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ » (٣)

هم الذين صلحت أنفسهم فصلحت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، وصلاح النفس وهو صفة لها خفي كخفائها . وكما أننا نستدل على وجود النفس وارتباطها بالبدن بظهور أعمالها في البدن كذلك نستدل على اتصافها بالصلاح وضده بما نشاهده من أعمالها . فمن شاهدنا منه الأعمال الصالحة - وهي الجارية على سنن الشرع وآثار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حكمنا بصلاح نفسه وأنه من الصالحين . ومن شاهدنا منه خلاف ذلك حكمنا بفساد نفسه وأنه ليس منهم ولا طريق لنا في معرفة صلاح النفوس وفسادها الا هذا الطريق . وقد دلنا الله تعالى عليه في قوله تعالى :

« مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَاءِلُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » (٤) .

(١) في الاصل : وهو هو خلقها .

(٢) ١٤/٦٧ الملك .

(٣) ٢٥/١٧ الاسراء .

(٤) ١١٤/٣ - ١١٤ آل عمران .

فذكر الأعمال ثم حكم لأهلها بأنهم من الصالحين ، فأفادنا أن الأعمال هي دلائل الصلاح ، وأن الصلاح لا يكون الا بها ولا يستحقه الا أهلها . ثم ان العباد يتفاوتون في درجات الصلاح على حسب تفاوتهم في الأعمال . ويكون لنا أن نقضي بتفاوتهم في الظاهر بحسب ما نشاهد ، ولكن ليس لنا أن نقضي بين أهل الأعمال الصالحة في تفاوتهم عند الله في الباطن فندعي أن هذا أعلى درجة في صلاحه عند الله تعالى من هذا ، لأن الأعمال قسمان : أعمال الجوارح وأعمال القلوب ، وهذه أصل لأعمال الجوارح ، وقد قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : التقوى ههنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . فمنازل الصالحين عند ربه لا يعلمها الا الله ، والأوابون في قوله تعالى : « فَأَيُّ كَانِ لِّلأَوَابِينَ غَفُورًا »^(١) هم الكثيرو الرجوع الى الله تعالى . والأوبة في كلام العرب هي الرجوع قال عبيد :

وَكَلِّ ذِي غَيْبَةٍ يَأْتِيهِ
وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَأْتِيهِ

والتوبة هي الرجوع عن الذنب ، ولا يكون الا بالاقلاع عنه . واعتبر فيها الشرع الندم على ما فات والعزم على عدم العود وتدارك ما يمكن تداركه ، فيظهر أن الأوبة أعم من التوبة ، فتشمل من رجع الى ربه تائباً من ذنبه ، ومن رجع اليه يسأله ويتضرع اليه أن يرزقه التوبة من الذنب . فنستفيد من الآية الكريمة سعة باب الرجوع الى الله تعالى . فاذا تاب العبد فذاك هو الواجب عليه والمخلص له — بفضل الله — من ذنبه . وان لم يتب فليدم الرجوع الى الله تعالى بالسؤال والتضرع والتعرض لمظان الاجابة ، وخصوصاً في سجود الصلاة فقم — ان شاء الله تعالى — أن يستجاب له . وشر العصاة هو الذي ينهك في المعصية مصرراً عليها غير مشتمر منها ولا سائل

(١) ٢٥/١٧ الاسراء .

صلاح النفوس واصلاحها

من ربه بصدق وعزم التوبة منها ويبقى معرضاً عنه ربه كما أعرض هو عنه ، ويصر على الذنب حتى يموت قلبه • ونعوذ بالله من موت القلب ، فهو الداء العضال الذي لا دواء له • وجاء لفظ الأوابين جمعاً لأواب وهو فعال من أمثلة المبالغة ، فدل على كثرة رجوعهم الى الله ، وأفاد هذا طريقة اصلاح النفوس بدوام علاجها بالرجوع الى الله • ذلك أن النفوس — بما ركب فيها من شهوة ، وبما فطرت عليه من غفلة ، وبما عرضت له من شؤون الحياة ، وبما سلط عليها من قرناء السوء من شياطين الانس والجن — لا تزال — الا من عصم الله — في مقارفة ذنب ومواقعة معصية صغيرة أو كبيرة من حيث تدري ومن حيث لا تدري ، وكل ذلك فساد يطرأ عليهما فيجب اصلاحها بازالة تقصه ، وابعاد ضرره عنها ، وهذا الاصلاح لا يكون الا بالتوبة وبالرجوع الى الله تعالى • ولما كان طروء الفسء متكرراً فالاصلاح بما ذكر يكون دائماً متكرراً • والمداومة على المبادرة الى اصلاح النفس من فسادها والقيام في ذلك والجد فيه والتصميم عليه هو من جهاد النفس الذي هو أعظم الجهاد • ومن معنى هذه الآية قوله تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** » (١) وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ، والتوبة طهارة للنفس من درن المعاصي • والغفور في قوله تعالى : « **فَأَن تَهُ كَانِ لِلتَّوَّابِينَ غَفُورًا** » هو الكثير المغفرة ، لانه على وزن فعول ، وهو من أمثلة المبالغة الدالة على الكثرة • والمغفرة : سترة للذنب وعدم مؤاخذته به ، ولما ذكر من وصف الصالحين كثرة رجوعهم اليه ، ذكر من أسأته الحسنى ما يدل على كثرة مغفرته ، ليقع التناسب في الكثرة من الجانبين • ومغفرته أكثر • وليعلم أن كثرة الرجوع اليه يقابلها كثرة المغفرة منه

(١) ٢٢٢/٢ البقرة .

فلا يفتأ العبد راجعا راجيا للمغفرة لا تقمده كثرة ما يذنب عن تجديد الرجوع ولا يضعف رجاؤه في نيل مغفرة الغفور ، كثرة الرجوع • وقد أكد الكلام بـ (أن) لتقوية الرجاء في المغفرة ، وجيء بلفظة (كان) لتفيد أن ذلك هو شأنه مع خلقه من سابق ، وهذا مما يقوي الرجاء فيه في اللاحق ، فقد كان عباده يذنبون ويتوبون اليه ويغفر لهم ، ولا يزالون كذلك ، ولا يزال تبارك وتعالى لهم غفورا ، وانما احتيج الى هذا التأكيد كله في تقوية رجاء المذنب في المغفرة ليبادر بالرجوع على كل حال ، لأن العبد مأخوذ بأمرين يضعفان رجاءه في المغفرة أحدهما كثرة ذنوبه التي يشاهدها فتحجبها كثرتها عند رؤية مغفرة الله تعالى التي هي أكبر وأكبر • والآخر رؤيته لطبعه البشري وطبع بني آدم من المنع عند كثرة السؤال كما قال شاعرهم — أي البشر ، لأن الشاعر العربي عبر عن طبع بشري :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسأل يوما سيحرم

فيقوده القياس — وهو من طباع البشر أيضا — القياس الفاسد الى ترك الرجوع والسؤال من الرب الكريم العظيم النوال • فهذان الأمران يقعدانه عن الرجوع والتوبة فيستمر في حماة المعصية وذلك هو الهلاك المين • فكان حاله مقتضيا لأن يؤكد له حصول المغفرة عند رجوعه بتلك المؤكدات •

وقد كان مقتضى الظاهر في تركيب الآية أن يقال : ان تكونوا صالحين فانه كان لكم غفورا ، لأن المقام للاضمار ، لكنه عدل عن الضمير الى الظاهر فليل فانه كان للأوابين غفورا لينص على شرط المغفرة وهو الأوبة والرجوع • وعلم من ذلك ان الصالح عندما تقع منه الذنوب مطالب — كغيره — بالأوبة لتحصيل المغفرة ، لأن فرض الأوبة الى الله من المعاصي عام على الجميع • وقد اشتملت الآية من

صلاح النفوس واصلاحها

فعل الشرط وهو ان تكونوا صالحين ، وجوابه وهو فانه كان للأوابين غفورا على الحالتين اللازمتين للانسان لتكميل نفسه وهما الصلاح المستفاد من الأول والاصلاح بالأوبة المستفاد من الثاني . وما دام الانسان يجاهد في تزكية نفسه بهذين الأصلين فانه بالغ - باذن الله - درجة الكمال . ثبتنا الله والمسلمين عليهما وحشرنا في زمرة الكاملين المكملين انه المولى الغفور الكريم (١) .



(١) ش : ج ٥ ، م ٦ ص ٢٧٠ - ٢٧٥
غرة محرم ١٣٤٩ هـ - جوان ١٩٣٠

ايتاء الحقوق لأربابها

« وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ

السَّبِيلِ » (١) .

الناس كلهم في حاجة مشتركة الى بعضهم . وما من أحد الا وله حقوق على غيره ، ولغيره حقوق عليه . ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق المترتبة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه . وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس . وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده ، بل هي خدمة للمجتمع كله . وبالأخرة هي خدمة له هو في نفسه لانه جزء من المجتمع وما يصيب الكل يعود على جزئه . فاذا تواردت أفراد المجتمع على هذه التأدية سعدت وسعد مجتمعنا بنيله حاجيات الحياة ولوازم البقاء والتقدم في العمران . أما اذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها الى بعضهم فان الحاجة المشتركة من العلم والثقافة وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة — تتعطل ، وتتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود الى الانحلال والتقهقر ، وينحط بأفراده الى أسفل الدرجات ، فلهذا بعد ما أمر الله تعالى بايتاء حقه — وهو توحيدهِ في عبادته — أمرَ بايتاء حقوق العباد ، القريب منهم والبعيد .

(١) ٢٦/١٧ — ٣٠ الاسراء .

حقوق القريب :

« وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ » •

ابتدأ بحق القريب لوجوه : الأول أنه هو مقتضى طبيعة الترتيب •
الثاني : تأكيد حق القريب • الثالث : ان من حكمة التربية أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة النفوس الانسانية على قبوله بيداهاة الفكرة أو بشعور العاطفة • وكلتا هاتين يجب للنفس اتياء حق القريب فابتدى به في الأمر ليكون تقبلها له أسهل ومبادرتها للامتثال أسرع ، فاذا سخت النفوس باتياء حق القريب ومرنت عليه اعتادت الايتاء وصار من ملكاتها فسهل عليها اتياء كل حق ولو كان لأبعد الناس • وشيء آخر ، وهو أن الأقارب قد تكون بينهم المنافسات والمنازعات لقرب المنازل ، أو تصادم المنافع أو التشاح على الموارث ما لا يكون بين الأبعاد ، فيقطعوا حق القرابة ويهدموا بناء الاسرة ، ويعود ذلك عليهم أولا بالوبال ، ويرجع ثانيا على مجتمعهم — والمجتمع مؤلف من الاسر — بالتضعع ، فكان هذا من جملة ما يقتضي الابتداء بحقهم الى المقتضيات المتقدمة الأخرى •

وقوله تعالى : « ذا القربى » عام يشمل الأصل — وهو الابوان — وما يتصل بالمرء من ناحيتها من أصولها وفصولها ، ويشمل الفصل — وهو الابناء والبنات — ويتصل به منهما من فصول ، غير أن الوالدين لمزيد العناية بهما خصصا بالذكر في الآيات المتقدمة وان كانا داخلين في هذا العموم •

والحق في قوله تعالى « حقه » هو الثابت له شرعا المبين في آيات من الكتاب من صلة رحم ونصيب ارث ونفقة فرض وندب واحسان بالقول والفعل ومواساة عن محبة وعطف •

حق المسكين :

« وَالْمَسْكِينِ »

قد ذكر في آية الزكاة الفقير والمسكين . والحق أنهما متغايران ، والراجح أن الفقير من له بلغة لا تكفيه ، والمسكين من لا شيء له ، فهو أشد حالا من الفقير ، ولذا لما أريد هنا ذكر أحدهما اقتصر عليه تنبيها بالأعلى في الفقر على الأدنى ، فالمراد أهل الفقر والحاجة كلهم .

وحق المساكين ما ثبت لهم من الزكاة ، وكذلك ما تدعو اليه الحاجة من تعليمهم وايوائهم وطبهم وتجهيز موتاهم ، مما تقوم به الجمعيات الخيرية في هذا العصر ، فكل هذا مما تصرف اليه الزكاة ويجب القيام به عند عدم الزكاة أو فنائها أو قصورها عنه ، ويجب القيام به واجبا موزعا على كل واحد ما استطاع ، فاذا لم يقدّم به المجتمع عاد الأثم على جميع الأفراد كل بقدر ما قصر فيما استطاع ، ثم ما الى هذا من عموم الصدقة والاحسان .

حق ابن السبيل :

« وَابْنِ السَّبِيلِ »

السبيل هي الطريق ، وابنها هو المسافر لأنه منها أتى كما أتى الابن من أمه . وحقه هو الثابت له في الزكاة ، فيأخذ منها اذا قطع به ولم يكن معه ما يبلغه ولو كان غنيا في بلده ، وعلى جماعة المسلمين تبليغه اذا لم تكن ثم زكاة . ومن حقه ضيافته حسب السنة ، وارشاده ودلالته على ما يريد معرفته من طريقه أو مرافقها .

وبذكر ابن السبيل والمسكين مع ذي القربى جمعت الآية القريب والبعيد من ذوي الحقوق . وبذكر ابن السبيل والمسكين جمعت ذا الحاجة الثابتة وهو المسكين ، والحاجة العارضة وهو ابن السبيل ،

ابتاء الحقوق لأربابها

وقدم الأول لأصالة حاجته • وفي ذكرهما أيضا جَمَع " ما بين القريب
الدار والبعيد الدار والمسافر • كل هذا ليعلم أن ذاك الحق يعطي حقه
على كل حال ، وبقطع النظر عن أي اعتبار • وسمي هؤلاء الثلاثة
بأسمائهم المذكورة لأنها ترقق عليهم القلوب من القرابة والمسكنة وغربة
الطريق • وسمى ما ينالونه حقا ليشعر المكلف بتأكده • ويحذر المعطي
من المنّ به ولا ينكس قلب آخذه •

الانفاق في غير وجه شرعي :

« وَلَا تَبْذِرْهُ تَبْذِيرًا »

المال قوام الأعمال ، واداة الاحسان ، وبه يمكن القيام بالحقوق ،
فصاحبه هو مالكة ، ولكن الحقوق فيه تشاركه ولا يقوم له بوجوه
الحق الا اذا امسكه عن وجوه الباطل ، ثم لا يقوم له بجميع تلك
الوجوه الا اذا احسن التدبير في التفريق وأصاب الحكمة في التوزيع •
فلذا بعد ما أمر الله تعالى باعطاء الحقوق لأربابها نهى عن تبذير المال
الذي هو أصلها وبه يمكن اعطاؤها •

والتبذير هو التفريق للمال في غير وجه شرعي أو في وجه شرعي
دون تقدير فيضر بوجه آخر • فالانفاق في المنهيات تبذير وان كان
قليلا • والانفاق في المطلوبات ليس بتبذير ولو كان كثيرا • الا اذا
أنفق في مطلوب دون تقدير فأضر بمطلوب آخر كمن أعطى قريبا
وأضاع قريبا آخر أو أنفق في وجوه البر وترك أهله يتضورون بالجوع
وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا بقوله :
« **أبدا بمن تعول** » • والانفاق في المباحات اذا لم يضيع مطلوبا ولم
يؤد الى ضياع رأس المال بحيث كان ينفق في المباح من فائدته ليس
بتبذير ، فاذا توسع في المباحات وقعد عن المطلوبات أو أداه الى افناء
ماله فهو تبذير مذموم •

وأفادت النكرة وهي قوله « تبذيرا » بوقوعه بعد النهي - العموم فهو نهي عن كل نوع من أنواع التبذير القليل منه والكثير حتى لا يستخف بالقليل ، لأن من تساهل في القليل وصلت به العادة الى الكثير .

اخوان الشياطين :

« إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » .

ان الشيطان يعمل وأعماله كلها في الضلال والاضلال . فقد ضيع أعماله في الباطل ، وقد كان يمكنه أن يجعلها في الخير . وهو جاد في ذلك ضار عليه لرسوخه في نفسه . والمبذر يضيع أمواله في الباطل وقد كان يمكنه أن يجعلها في الخير . وقد أخذت عادة التبذير بخناقه واستولت عليه . فهو أخو الشيطان لمشاركته له في وصفه كمشاركة الأخ لأخيه . وهو أخوه بامتثاله لأمره وصحبته له في الحال وفي المال وفي سوء العاقبة في العاجل والآجل .

المال كما هو أداة لكل خير ، كذلك هو أداة لكل شر ، فالمبذر المفرق لماله في وجوه الباطل بالغ - لا محالة - بماله الى شر كثير وفساد كبير ، ولذلك وصف بأنه أخ الشيطان الذي هو أصل الشر والفساد ، ووصف تعالى الشيطان بقوله : « كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » لأنه أنعم عليه بنعمته فبدلا من أن يستعملها في طاعته في الخير قصرها على المعصية والشر . وذكر هذا من وصف الشيطان بعد ما تقدم يفيد أنه من وصف المبذر أيضا . فالمبذر أخو الشيطان ، والشيطان كان لربه كفورا . فالمبذر كان لربه كفورا . ذلك لأن الله تعالى أنعم عليه بالمال الذي هو أداة لكل خير وعون عظيم على الطاعة فجعله أداة في الشر واستعان به على المعصية . ومكنه بالمال من نعمة القدرة

آيتاه الحقوق لأربابها

على القيام بالحقوق فضيحها وقام بالشرور والمفاسد . وهذا من أقبح الكفر لنعمة ربه الذي كان به مضارعا للشيطان أخيه . والعياذ بالله .

حسن المقال ، عند المعجز عن النوال :

«وإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ° ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنَ رَبِّكَ تَرْجُوهَا قَقْلًا لَهُمْ° قَوْلًا مَّيْسُورًا» .

للمؤمنين حالتان حالة وجد وحالة عوز . فلما علمنا الله تعالى مانصنع في حالة الوجد من آيتاه لذوي القربى واليتامى والمساكين — علمنا ما نصنع في حالة العوز من الرد الجميل والقول اللين الحسن .

وقوله تعالى « تَعْرِضْنَ » من الاعراض وهو الانصراف عن الشيء ، وهو هنا كناية عن عدم العطاء ، لأن من يأتي أن يعطي يعرض بوجهه ولو اعراضا قليلا . ولما كان الاعراض كناية عن عدم العطاء فانه يشمل عدم العطاء عند السؤال الذي قد يكون معه الاعراض بالفعل ولو قليلا ، ويشمل عدم العطاء لمن هو أهل لأن يعطي مع عدم وجود السؤال .

وقوله تعالى : « ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنَ رَبِّكَ تَرْجُوهَا » . الابتغاء هو الطلب باجتهاد ، وذلك بالأخذ في الأسباب والاعتماد على مسيبيها وهو الله تعالى . ورحمة الرب هنا رزقه . ورجاؤها هو انتظارها مع الأخذ في أسبابها بالقلب والعمل . وابتغاء رحمة الرب ورجاؤها كناية عن حالة العوز والاعسار لأن شأن المعوز المؤمن أن يكون كذلك .

وقوله تعالى : « قَقْلًا لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا » . تقول : يسهل له القول ، إذا لينته له . فالقول الميسور هو القول الملين وحاصل المعنى : ان اعرضت عنهم فلم تعطهم لأنك لم تجد ما

تعطيهم - وهي الحالة التي تكون فيها تطاب رحمة من ربك راجيا رزقه - فقل لهم قولاً لنا سهلاً فتواسيهم بالقول عند عدم السؤال ، ولا تتركهم في ساحة الاهمال ، ورددهم الرد الجميل عند السؤال فتقول لهم يرزق الله ونحوه من لين الكلام .

وفي الآية تعليم وتربية للمعسر من ناحيتين ، الأولى : معاملته لذوي القربى واليتامى والمساكين عند السؤال وعدمه . وعرف من الآية أنه مطالب بحسن المقال بدلا مما عجز عنه من النوال . والثانية : ادبه ، هو في نفسه والحالة التي ينبغي له أن يكون عليها . فان حالة العسر حالة شدة وبلاء يحتاج المكلف أشد الحاجة أن يعرف دواءه فيها لسيرته العملية ، وحالته النفسية . فاعطته هذه الآية الكريمة الدواء لهما . فلما في سيرته العملية فعليه أن يكون ساعيا في الأسباب حسب جهده وذلك هو ما يفيد قوله : « ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ » . وأن يكون مطمئن القلب بالله معتدا عليه قوي الثقة فيه . وذلك هو ما يفيد قوله : « تَرَجُّوْهَا » .

وقد ذكر برحمة الرب - جل جلاله - لوجوه ، الأول : تقوية رجائه ، فانه يعلم سعة رحمة الله وغمره بها في كل حين . ومن ذا الذي لم يجد نفحات الرحمات في أكثر الأوقات في أخرج الساعات . الثاني : بعثه على الصبر والتسليم وعدم الضجر والسأم من الطلب والانتظار ، فانها رحمة الرب ، ومن مقتضى ربوبيته تدييره للخلق بحكمته فما جاء منه كيف جاء وفي أي وقت جاء أبطأ أم تأخر - هو مقبول منه محمود منا عليه . الثالث : بعث عاطفة الرحمة على غيره فان من كان يرجو رحمة ربه جدير بأن يكون رحيما بعباده . ورحمته بعباد الله تعينه على القيام بما أمر به من حسن المقال عند العسر وجميل النوال عند اليسر . وتكون سببا له في رحمة الله اياه والراحمون يرحمهم الرحمن وانما يرحم الله من عباده الرحماء .

العدل في الانفاق :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » .
لما أمرنا تعالى بالانفاق علمنا كيف تنفق ، ويئس لنا أدب الانفاق في هذه الكلمات .

شبهت حالة وهيئة البخيل المسيك الذي لا يكاد يرشح بشيء ولا يقدر لبخله على اخراج شيء من ماله بحالة وهيئة الذي جعل يده مغلولة مجموعة بغل الى عنقه . فذاك لا تتوجه نفسه للبذل ولا تمتد يده للعتاء وهذا لا تعتدئ يده للتصرف . ونقل الكلام المركب الدال على المشبه به فاستعمل في المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية لتقبيح حالة البخيل .

والمعنى : لا تبخل بالنفقة في حقوق الله ولا تمسك امساك المغلولة يده الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء .

وشبهت حالة المسرف الذي لا يبقي على شيء بحالة الشخص الباسط لكفيه ، فلا يسكان عليه من شيء ، فذلك يملك المال ولكنه يسرفه لا يبقى له منه شيء ، وهذا قد يمر الشيء على يده ، ولكنه لا يبقي فيها شيء ونقل المركب الدال على المشبه به الى المشبه استعارة تمثيلية أيضا .

والمعنى : ولا تخرج جميع ما تملك مع حاجتك اليه ولا تنفق جميع مالك . وبهذا يعلم أن كل البسط المنهي عنه هنا غير التبذير المنهي عنه في الآية - المتقدمة ، ذاك توزيع المال وتبديده في غير وجوهه ، وهذا التجاوز في الانفاق المطلوب والتوسع في الانفاق المأذون حتى يبقى بلا شيء .

نهى تعالى بهذه الآية عن طرفي الافراط والتفريط وهما الاسراف

والتقتير . فالأمر به هو العدل الوسط ، فعلى ذي المال أن يأخذ في انفاقه بهذا الميزان ليكون انفاقه محمودا . فلا يسك عما يستطيع ولا يتجاوزة الى ما لا يستطيع أو الى ما يوقعه في عسر وضرر . وكان النهي عن كل البسط لأنه هو الذي فيه اسراف ، وأما أصل البسط الذي هو توسعه بحكمة فغير منهي عنه لأنه لا ضرر فيه .

وحذر تعالى من سوء عاقبة الاسراف والتقتير بقوله : « فَتَقَعُدْ مَكْثُومًا مَحْسُورًا » . البخيل المسك ملوم من الله تعالى ومن العباد إذا لم تلمه نفسه الخيثة لموت قلبه . على أنه سيلوم هو نفسه بعد الموت . والمسرف ملوم من الجميع ومن نفسه بعد ضياع ما في يده . والمحسور المتعب المضنى الذي انكشفت عنه القوة ولم تبق به قدرة على شيء . تقول العرب : حسرت البعير ، أي انضيته واتعبته بالسير حتى لم يبق به قدرة عليه . والجمل لا يقطع الطريق ويصل الى الغاية الا اذا حافظ صاحبه على ما فيه من قوة فسار به سيرا وسطا . أما اذا أجهدته واستنزف قوته فانه يسقط قليلا محسورا ، فلا قطع طريقه ولا وصل منزله ولا أبقي جملة . فكذلك الانسان في طريق هذه الحياة محتاج الى قوة المال ، فاذا أنفقه بحكمة نفع به وانتفع ، وبلغ غاية حياته هادئا رضيا ، واذا بسط يده فيه كل البسط أتى عليه فانقطع النفع والاتفاع ولم يبلغ غاية حياته الا بتعاب ومشاق .

وعلم من هذا أن قوله « مَكْثُومًا » يرجع للمقتِر والمسرف ، وقوله « مَحْسُورًا » يرجع للمسرف فقط . ولكن لما كان المحسور هو الذي ذهبت قوته فلا قدرة له على شيء ، فقد تقول أن البخيل أيضا مبعوض من الناس مخذول منهم ، فلا يجد في ملماته معينا ولا في نوائبه معزيا ، فهو أيضا ضعيف الجانب لا قوة له . فالمسرف ضيع المال . والبخيل ضيع الاخوان ، فكلاهما مكسور الظهر عديم الظهر .

والمخاطب بهذا الخطاب امتًا مفرد غير معين ، فيشمل جميع المكلفين غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان يأخذ لعِياله قوت سنتهم حين أفاء الله عليه النضير وفدك وخيبر ، ثم يصرف ما بقي في الحاجات حتى يأتي أثناء الحول وليس عنده شيء ، وما كان ملوما ولا محسورا ، بل كان على ذلك صبارا شكورا مشكورا — وأما هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد أمته ، وعادة العرب أن تخاطب سيد القوم ، تريد القوم ، وتعمر بالمتبوع عن اتباعه ، ونظير هذه الآية في ذلك : « فَاِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ » (١) « لَسِنَّةٍ أَشْرَكَتْ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ » (٢) فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم غير داخل في هذا الخطاب باجماع ، وقد تقدم قوله تعالى : « وَإِمًّا يَبْتَغْنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ » ، يعني الوالدين ، وكان والداه عليهما الرحمة توفيا ، فلم يدخل في الخطاب قطعا ، فكذلك هنا .

قال الامام ابن العربي — رضي الله عنه — في تعليل عدم دخوله في هذا الخطاب — : لما هو عليه من الخلال والجلال ، وشرف المنزلة ، وقوة النفس على الوظائف وعظيم العزم على المقاصد . فأما سائر الناس فالخطاب عليهم وارد والأمر والنهي — كما تقدم — اليهم متوجه . الا أفرادا خرجوا من ذلك بكمال صفاتهم وعظيم أنفسهم ، منهم ابو بكر الصديق خرج عن جميع ماله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبله منه الله سبحانه ، وأشار على أبي لبابة وكعب بالثلث من جميع مالهم لنقصهم عن هذه المرتبة في أحوالهم . وأعيان من الصحابة كانوا على هذا ، فأجزاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، واثمروا بأمر الله واصطبروا على بلائه ، ولم تتعلق قلوبهم بدنيا ، ولا ارتبطت أبدانهم

(١) ٩٤/١٠ يونس .

(٢) ٦٥/٣٩ الزمر .

بمال منها ، وذلك لثقتهم بموعد الله في الرزق وغروب أنفسهم عن التعلق بفضارة الدنيا . وقد كان أشياخي من ارتقى الى هذه المنزلة فما ادخر قط شيئاً لغد ولا نظر بمؤخر عينه الى أحد ، ولا ربط على الدنيا بيد .

فهنا ثلاثة أصناف من الخلق الأعم الأكثر ، وهم أهل الحظوظ البشرية ، والقليل وهم الذين ضعفت فيهم حظوظهم ، والأقل الأندر وهم الذي زالت منهم تلك الحظوظ . وقد أفادتنا السنة العملية المتقدمة في كلام الامام ابن العربي أن لأهل الصنف الثاني أن يخرجوا عن كثير من أموالهم على مقدار ما بقي من حظوظهم ، وأن لأهل الصنف الثالث أن يخرجوا منها كلها ، وأما أهل الصنف الاول فلا يخرجون من الوسط الذي بينته الآية .

وقد جاءت الآية الكريمة على مقتضى حال الأعم الأكثر لأنها قاعدة عامة في سياسة الانفاق ، وشأن القواعد العامة أن يعتبر فيها جانب الأعم الغالب ولا يلتفت للنادر . وقد وكل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بيانه ، فجاء مبيناً فيما تقدم من سنته . وتقررت القاعدة واستثنأوها من الكتاب والسنة وهما مصدر التشريع .

تفاوت الأرزاق من حكمة الخلاق :

« إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ »
أَنَّهُ كَانَ بَعْبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا « (١) .

لما أرشدنا تعالى الى السلوك الأقوم في العمل في باب الانفاق أرشدنا الى العقد الصحيح في مسألة تفاوت الأرزاق وفي ذلك تمام الهداية الى الاستقامة في الظاهر والباطن .

وأن أحوال العباد في الغنى والفقر والسعة والضيق وتعاقبها عليهم بسرعة وبمهمل ، وتفاوتهم فيها لما يخفي ولما يظهر من العلل — لأمر عجب عجاب يحير الألباب • فعلنا الله تعالى في هذه الآية أن الرب هو الذي يربي المربوب في أحواله وأطواره بمقتضى الإصلاح والصواب هو الذي يبسط ويوسع على من يشاء — ولا يشاء الا ما هو حق وعدل وصواب وان خفي علينا وجهه — ويقدر ، أي يضيق على من يشاء ، وكل أحد هو حقيق بالحال الذي هو فيه • وأنه كان بعباده خيرا مطلعا على دواخل أمورهم وبواطن أسرارهم من أنفسهم ، ومما يرتبط بهم ومن سوابقهم ومصائرهم بصيرا منكشفة له جميع أمورهم • وكما أنه بالعمل بآية الانفاق ينتظم أمر العباد في معاشهم ، كذلك بالايمان بهذه العقيدة تزول حيرتهم وتطمئن قلوبهم فيما يرونه من أحوال الرزق في أنفسهم وفي غيرهم • والله يبصر القلوب ويقوم الأعمال انه سميع مجيب (١) •

(١) ش: ج ٦ م ٦٤ ص ٣٣٤
غرة صفر ١٣٤٩ - جولية ١٩٢٠

حفظ النفوس

بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم المدوان

« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا .
وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا . وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قَتَلَ
مُظْلَمًا فَفَدَّهُ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْشُورًا » (١) .

ان الأرواح الانسانية كريمة الجوهر لأنها من عالم النور ، فقد خلقت من نفخ الملك كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الثابت في الصحيح : « ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح . . الخ » والملائكة - كما في الصحيح - خلقوا من النور . وانها كريمة الخلقة أيضاً لأنها فطرت على الكمال ، ولذا أضافها الله تعالى الى نفسه في معرض الامتنان في قوله : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » دع ما يطرأ عليها بعد اتصالها بالبدن من تزكية ترقى بها في معارج الكمال أو تدسية تنحط بها الى أسفل سافلين . وبعد ارتباطها بالبدن يتكون منها المخلوق العظيم العجيب

(١) ٣١/٣ - ٣٣ الاسراء .

المسمى بالانسان ، الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض ليعمرها ويستثمرها . ويعبرها الى دار الكمال الحق والحياة الدائمة الأبدية .
هذه النفوس البشرية جاءت الشرائع السماوية كلها بايجاب حفظها ، فكان حفظها أصلاً قطعياً وكلية عامة في الدين ، وجاءت هذه الآيات في تقرير هذا الحفظ من وجوه ثلاثة سنتكلم عليها واحداً واحداً :

١ - حفظ النسل :

« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا » .

العرب في زمان البعثة هم المخاطبون قبل الناس بالقرآن ، وهم المأمورون أول الناس - لعموم الرسالة - بالبلاغ ، وعلى اهتدائهم كان يتوقف اهتداء غيرهم ، فمن الحكمة توجه القصد الى تطهيرهم من مفاسدهم ، وقد كانوا في الجاهلية منهم من يقتل البنات خشية الفقر وليوفر ما ينفق عليهن لينفق على نفسه وبيته وبنيه ، ويرى النفقة عليهن ضائعة لأنه لا ينتظر منهن سعياً للكسب ولا نصرة على العدو ، وهذه هي المؤودة المذكورة في قوله تعالى :

« وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » على أنه قد كان من ساداتهم من يحيي المؤودة فيشترها من عند أبيها وينجيها من القتل . كزيد بن نفيل القرشي أبي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم ، وضعفة ابن ناجية التميمي الصحابي جد الفرزدق الشاعر المشهور . وقد كان قتل البنات شائعاً فيهم مستفيضاً ومنهم - كما في « لسان العرب » - من كان يئد البنين عند المجاعة ، فجاء النهي عن القتل في الآية متعلقاً بلفظ الولد شاملاً للبنات والبنين ، ومعه السبب الذي كان يحملهم على القتل وهو

خشية الاملاق : أي خوف الفقر والافتقار ، والمملق هو الذي خرج ماله من يده فلم يبق بها شيء ، ومن مادته الملقية وهي الصفاة الملساء . فنهوا عن هذا القتل الفظيع مع ذكر سببه لتصوير حالتهم بوجه تام وليتخلص من ذكر السبب الى ابطاله ورده .

معالجة هذه الرذيلة : بابطال سببها ، وعظيم قباحتها ، وسوء عاقبتها

ابطل تعالى خوفهم من الفقر بقول: « نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ » فأخبر أن رزق الجميع عليه ، وانه متكفل برزق خلقه بما يسر لهم من أسباب جلية أو خفية ، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى والكبير والصغير . كما أنه تعالى هو ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، كما في الآية السابقة ، فهما مرتبطتان بهذه المناسبة ، ومن ضلالهم أنهم نظروا الى قوة الكبير فحسبوه مرزوقاً من نفسه فهداهم بقوله : « وَإِيَّاكُمْ » الى أن الكبار مرزوقون من الله بتقديره وتيسيره . ولما كان لا فرق بين الكبير والصغير في الحاجة الى لطف الله وضمان الرزق من الله فلا وجه لخوف الفقر من وجود الأولاد وكثرتهم ، لأنه ما من واحد منهم الا ورزقه مضمون من خالقه جل جلاله .

ويسنّ تعالى فظاعة هذا القتل بقوله « أولادكم » باضافة الأولاد اليهم ، فان الأولاد أفلاذ الأكباد ، وبضعة من لحم المرء ودمه ، ونسخة من ذاته ، فمحببتهم فطرة ، والعطف التام عليهم خلقه ، فكيف يكون قبح وفظاعة فعل من بلغ بهم القتل . وأي خير يرجى من قاتل ولده لغيره من الناس بعد ما جنى أفظع الجنایات على ألصق الناس به .

ويسنّ تعالى سوء العاقبة لهذا القتل بقوله : « إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا » أي إنما كبيراً لما فيه من قتل النفس وقطع النسل وهلاك الجنس وخراب العمران وسوء الظن بالله وعدم خشيته وعدم الشفقة على خلقه ، يقال خطيء يخطأ خطأ اذا قصد الفعل القبيح ففعله . وأخطأ

يخطيء خطئنا اذا قصد شيئاً فأصاب غيره • ومن مثل وعيد الآية ما ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — سئل أي ذنب أعظم قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك • قال : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك •

عموم حكم الآية وترغيبها :

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والحكم يعم بعموم اللفظ كما أن ذكر سبب القتل في الآية لا يقتضي التخصيص لأنه ذكر لتصوير الحال الذي كانوا عليه ، فالقتل حرام لأي سبب كان • وهذا الفعل الذي كان في الجاهلية على الوجه المتقدم ، وهو فعل مؤدٍ الى قطع النسل وخراب العمران ، لا تسلم منه الأمم الأخرى في مختلف الأزمنة والبلدان ، اما بالقتل بعد الولادة واما بإفساد الحمل بعد التخليق ، وهو حرام باتفاق • وقد يكون بالامتناع من التزوج أو بعدم الانزال في الفرج وهو العزل • والآية كما نهت عن القتل قد رغبت في النسل بذكر ضمان الرزق ، فعلى المؤمن أن يسعى لذلك من طريقه المشروع وأن يتلقى ما يعطيه الله من نسل ابن أو بنت بفرح لنعمة الله وثقة برزق الله وإيمان بوعدده •

٢ - حفظ الفرج :

« وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » •

في الزنا اراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها ، فلو كان منها ولد لكان مقطوع النسب مقطوع الصلة ساقط الحق • فمن تسبب في وجوده على هذه الحالة فكأنه قتله • ولهذا بعد ما نهى عن قتل الأولاد نهى عن الزنا الذي هو كقتلهم لأنه سبب لوجودهم غير مشروع •

قال الجوهرى : « قربته أقربه قرباناً أي دنوت منه » فقوله تعالى :

« وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى » أبلغ في النهي من ولا تزنوا ، لأنه بمعنى ولا تدنوا من الزنا . وأفاد هذا تحريم الزنا وتحريم الدنو منه ، لا بالقلب ولا بالجوارح ، فقد جاء في الصحيح : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة . العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجل زناهما الخطى والقلب يهوى ويتمنى . ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » فزنا هذه الجوارح دنو من الزنا الحقيقي ومؤد إليه ، وقد حمى الشرع الشريف العباد من هذه الفاحشة بما فرض من الحجاب الشرعي . وهو ستر الحرة ما عدا وجهها وكفيها وجمع ثيابها عند الخروج بالتجلبب ، وبما حرم من تطيب المرأة وقمعة حليها عند الخروج ، وخلوتها بالأجنبي واختلاط النساء بالرجال ، فتضامر النهي والتشريع على أبعاد الخلق عن هذه الرذيلة . والمسلم المسلم من تحرى مقتضى هذا النهي وهذا التشريع في الترك والابتعاد .

معالجة هذه الرذيلة ، بتقبيحها ، وسوء عاقبتها :

بين تعالى قبحها بقوله « إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً » . والفاحشة هي الرذيلة التي تجاوزت الحد في القبح ، وعظم قبح الزنا مركز في العقول من أصل الفطرة كان ولم يزل كذلك معروفاً . ومن رحمة الله تعالى بخلقه أن ركز في فطرتهم ادراك أصول القبائح والمحاسن ليسهل انقيادهم للشرع عندما تدعوهم الرسل الى فعل المحاسن وترك القبائح وتأتيهم بما هو معروف في الحسن أو القبح لهم ، فتبين لهم حكم الله فيه وما لهم من الثواب أو العقاب عليه .

ويبين تعالى سوء عاقبة الزنا بقوله « وَسَاءَ سَبِيلًا » أي بس طريقاً طريقه . طريق مؤد الى شرور ومفاسد كثيرة في الدنيا ، وعذاب عظيم في الآخرة ، فهو طريق الى هلاك الأبدان وفساد الأعراض وضياع الأموال وخراب البيوت وانقطاع الأنساب وفساد المجتمع

واقراضه زيادة على ما فيه من معنى القتل للنفوس الذي تقدم في صدر الكلام ...

فعلى المؤمن اذا وسوس له الشيطان بهذه الرذيلة أن يتعوذ بالله منه ويستحضر قبجها ، والمفاسد التي تجر اليها ، والاثم الكبير الذي يعقبها ، وقبل ذلك كله حرمة النهي الشرعي عنها فيكون ذلك له - باذن الله - وقاية منها .

٣ - عدم المدون :

« وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِيهِ الْقَتْلَ إِكْرَاهًا كَانَ مَنصُورًا » .

جاء أسلوب هذه الآيات تدرجاً من الخاص الى العام فقتل الأولاد قتل للنفس التي حرم الله ، والزنا كالقتل للنفس كما قدمناه . وجيء هنا بالنهي الصريح عن قتل النفس وأكد مقتضى النهي بوصف النفس بقوله « التي حَرَّمَ اللهُ » والتحريم هو المنع ، فحرم الله معناه منع الله ، والتقدير حرم الله قتلها ، فحذف لدلالة « لا تقتلوا » عليه فالمنهي عنه هو القتل والمحرم هو القتل ، فتأكد المنع بالنهي والتحريم . وفي اسناد التحريم الى الله بث للنفوس على الخشية من الاقدام على المخالفة وتبنيه لها على ما يكفها عن الاقدام ، وهو استشعار عظمة الله .

القتل المحرم :

يبيّن تعالى بقوله « الا بالحق » أن القتل المحرم هو القتل بالباطل ، وأن القتل بالحق ليس بمنهي عنه . وبين الحق في الحديث الصحيح بقوله - صلى الله عليه وسلم - « لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : الزاني الثيب ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق

للجماعة» في غير هذه الثلاث أو يقال يتقدم هذا الحصر في الورود عليها ، وهذا القتل الحق لا يتولاه أفراد الناس في بعضهم وانما يتولاه الامام الذي اليه القيام بتنفيذ الأحكام وفصل الحقوق •

الردع عن العدوان بشرع القصاص :

القتل وسفك الدم عمل قديم في البشر فلمه - على الجملة - ضراوة عليه وألف به • وأعظم ما يكف الشخص عن نفس أخيه خوفاً على نفسه ، فلذلك شرع الله تعالى القصاص بين النفوس وبين تعالى ذلك بقوله : « كَوْمَنْ مَقْتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا » المظلوم من قتل عمداً عدواناً ، والولي هو القريب ، والسلطان هو التسلط - والمعنى : ومن قتل عمداً عدواناً فقد جعلنا لقريبه تسلطاً يتمكنه من القصاص •

لا يحفظ النفوس الا العدل :

كفاء النفس نفس فلا يقتل الا القاتل بما قتل دون غيره ودون تمثيل به ، وبين تعالى هذا بقوله : « فَلَا يُسْرِفُ فِيهِ الْقَتْلُ » أي لا يتجاوز القصاص المشروع ، لأن الإسراف ظلم ومثير للحفائظ فيتسلسل الشر •

تسكين نفس الموتور :

الموتور هو من قُتِلَ قريبه ، ولفقد القريب لوعة ربما تذهب بالنفس الى شر غاية ، فذكر بقوله تعالى « اِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا » فان قريب المقتول قد نصره الله بما جعل له من القصاص ، فاذا لم يستوف له في الدنيا استوفى له في الاخرى •

والمؤمن ييقينه لا يرى يوم القيامة الا قريبا • وكفى بالله حسيبا^(١) •

(١) ش: ج ٧، م ٦، ص ٣٩٩ - ٤٠٥ غرة ربيع الاول ١٣٤٩ هـ
اوت ١٩٣٠ م •

حفظ الأموال باحترام الملكية

« وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ » (١) .

مال الشخص هو ما كان ملكاً له . واليتيم هو من عدم أباه ، من اليتيم ، بمعنى الانفراد ، ومنه الدرّة اليتيمة . ومن عدم أباه فقد عدم ناصره . فاذا بلغ النكاح فقد بلغ القوة فاستغنى عن الناصر فلا يقال فيه يتيم في اللغة . واعتبر الشرع الشريف وجود قوة العقل فمنع استقلاله ودفع ماله اليه بعد البلوغ حتى يؤنس منه الرشد . والتي أحسن : الفعلة والخصلة التي هي أنفع ، والبلوغ الى الشيء الوصول والانتهاء اليه . والأشد ، جمع شدة ، كأنعم جمع نعمة ، فالأشد هو القوي ، وبلوغ الأشد هو بلوغ القوي والوصول الى الحالة التي تحصل فيها القوى للانسان ، القوى البدنية والقوى العقلية . ولا يقال في الشخص قد بلغ أشده الا اذا حصل على قواه من الجهتين فأما القوى البدنية فعلامة حصولها هو البلوغ . وأما القوى العقلية فعلامة حصولها هو الرشد الذي يظهر في حسن التصرف ، وقد جمع العلامتين قوله تعالى في سورة النساء :

« وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » (٢) .

(١) ٣٤ / ١٧ - ٣٥ سورة الاسراء .

(٢) ٥ / ٤ النساء .

فابتداء الأشد من البلوغ اذا كان معه رشد ، ولا يزال يتدرج حتى يستكمل في الأربعين كما قال تعالى : « حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ » . وبلغ أربعين سنة . فالأربعون هي سن الاستكمال والاستواء والتمام في القوى ، وهي السن التي بعث الله فيها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للعالمين بشيرا ونذيرا ، ولا يزال الانسان في قوته - ما لم تعرض الطوارئ - الى الخمسين ، قال الشاعر (١) :

أخُو الخَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي
وَنَجْدَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ

ثم يأخذ في التراجع .

مال المرء كقطعة من بدنه ويدافع عنه كما يدافع عن نفسه . وبه قوام أعماله في حياته . فالأموال مقرونة بالنفوس كما في الاعتبار ، فقرنت في النظم آية حفظ الأموال بآيات حفظ النفوس ، كما قرن بينهما النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله : **فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام .**

نهى تعالى عن قربان مال اليتيم الا بالوجه الذي هو أنفع ، فلا بد لكافل اليتيم من النظر والتحري عند التصرف في ماله حتى يعرف ما هو ضار وما هو نافع وما هو ضار ولا نافع وما هو أنفع فلا يتصرف الا بما هو نافع ، فاذا تعارض وجهان نافعان تحرى أنفعهما لليتيم ، وفي هذا النهي - بطريق الاخرى - تحريم أخذ مال اليتيم بالباطل والتعدي عليه ظلماً . ومثل اليتيم في وجهي النهي المتقدمين غيره ، فكل ذي ولاية أو أمانة على مال غيره يجب عليه أن يتحرى التحريم المذكور . كما يحرم على كل أحد أن يتعدى على مال غيره . وانما

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس .

حفظ الأموال

خص اليتيم بالذكر لأنه ضعيف لا ناصر له ، والنفوس أشد طمعاً في مال الضعيف ، فالعناية به أوكد والعقوبة عليه أشد . ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف ، كاليتيم ، كان حقيقاً أن يتأدب بأدبها في مال غيره . ومن بليغ إيجاز القرآن في بيانه أنه يذكر الشيء ليدل به على نظيره ، أو الذي هو أحسر بالحكم منه ، أو لكون امثال الحكم الشرعي فيه داعياً الى امثاله في غيره بالمساواة أو الاخروية .

وأجاز تعالى لولي اليتيم أن يتصرف في ماله بالاستثناء في قوله : « الا بالتي هي أحسن » فيجوز له تنميته لليتم بوجوه التجارة .

الولاية والاستقلال :

الولاية على اليتيم واستقلاله حالتان كلتاها حق وخير اذا كانت كل واحدة منها في وقتها المناسب لها . وكل واحدة منهما تكون ظلماً وشرأ اذا كانت في غير وقتها فلذلك يسنّ تعالى الحالتين ووقتها بما قبل (حتى) وما بعدها ، فوقت عدم بلوغ الأشد هو وقت الولاية ، فمن الفروض الكفائية على الأمة أن يكون أيتامها مكفولين غير مهملين . ووقت بلوغ الأشد - بلوغ الحلم والرشد - هو وقت استقلال من كان يتيماً ووقت دفع ماله اليه ، فلا يجوز حينئذ الاستيلاء على ماله والسيطرة عليه .

الوفاء بالعهد :

« وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » (١) .

أوفى بعهد اذا أتى بما التزم تاماً وافية . والعهد من عهد اليه بالشيء إذا أعلمه به . قال تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْهُ »

(١) ٣٤/١٧ الاسراء .

قَبِلَ فَنَسِيَ» (١) أي أعلمناه . فالعهد هو الاعلام بالالتزام أو الإعلام بما يلتزم . فمن الأول: عاهدت زيدا على كذا، أي أعلمته بالتزامي له، وتعاهد القوم على الموت ، أي أعلم بعضهم بعضاً بالتزامه ، ومن الثاني : عهد الله الى العباد الى اعلامهم بما عليهم أن يلتزموه . وقول عبد الله ابن عمر رضي الله عنه : الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما ، هذا عهد نبينا الينا وعهدنا اليكم . أي اعلامه لنا واعلامنا لكم بما يلتزم . والمسؤول من سأل . وسأل بمعنى طلب ، اما طلب علماً واما طلب شيئاً ، فان كانت الأولى تعدى الفعل الى المفعول الثاني بعد ، تقول سألته عن كذا فأجابني ، وان كانت الثانية تعدى الفعل اليه بنفسه ، تقول : سألته ثوباً فأعطانيه . فقولته تعالى : « إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » اذا كان من الاولى فالاصل مسؤولا عنه فحذف ايجازا لظهور المراد . واذا كان من الثاني فلا حذف ، والمعنى حينئذ مطلوب أي مطلوب الوفاء به .

الوفاء بالعهد شرط ضروري لحصول السعادتين :

عهد الله تعالى لعباده هو ما شرعه لهم من دينه فوفأؤهم بعهده قيام بأعباء ذلك الدين الكريم وانتظام شؤونهم في هذه الحياة - أفراداً وجماعات وأممًا - متوقف على الوفاء من بعضهم لبعض بما بينهم من عهود ، فالوفاء ضروري لنجاة العباد مع خالقهم ولسلامتهم من الشرور والفوضى والفتن . وضروري - اذاً - لتحصيل سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

ولمكانة هذا الأصل وضرورته تكرر في الكتاب والسنة الأمر به على وجه عام بين الأفراد والأمم بلا فرق بين الأجناس ، والملل . وجاء هنا في آية الوصاية باليتيم ، وهي آية حفظ الأموال باحترام الملكية ،

(١) ١٥/٢٠ طه .

لوجهين : الأول ان الكامل لليتيم قد أعلن بكفالاته - بلسان حاله - أنه ملتزم لحفظه في بدنه وماله ، فهذا عهد منه يطالب بالوفاء به ويسأل عن ذلك الوفاء ، الثاني أن الآية في حفظ الأموال وعدم التعدي على مالك أحد ، والناس يتعاملون بحكم الضرورة ويبنون تعاملهم على تبادل الثقة والعهود المبذولة من بعضهم لبعض بلسان المقال أو بلسان الحال ، فأمروا بالوفاء بالعهد الذي هو أساس للتعامل ، وفي ذلك سلامة مال كل أحد من التعدي عليه .

ولا ينافي هذا عموم اللفظ الذي يقتضي الأمر بالوفاء عاماً لأنه باق على عمومته ، وانما يدخل فيه هذان الوجهان المذكوران في ارتباط النظم دخولاً أولاً . ومن بديع ايجاز القرآن في نظم الآيات أن يؤتى باللفظ مفيداً للعام ومقويّاً للخاص .

الترغيب في الوفاء والترهيب من الخيانة :

« إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا »

إذا كان مسؤول بمعنى مطلوب ، أي مطلوب الوفاء به ، فانه مطلوب في الفطرة وهي الشريعة ، فالعباد فطروا على استحسان الوفاء ومطالبة بعضهم بعضاً به ، والشرع طالبهم بالوفاء وشرعه لهم ووعدهم الثواب عليه . ففي قوله : « إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » ترغيب لهم في الوفاء بحسنه ومشروعيته وحسن الجزاء عليه . ويتضمن هذا الترغيب بالتخويف من ترك الترغيب بالتخويف من ترك المطلوب . وإذا كان مسؤول بمعنى مسؤول عنه فان المعنى ان الله تعالى يسأل العباد يوم القيامة عن عهودهم هل أوفوا بها ليجازيهم على الوفاء بحسن الجزاء ، وعلى الخيانة بالعذاب والاهانة ، فينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ويقال هذه غدرة فلان كما جاء في الصحيح . ففي الآية على هذا - أيضاً - ترغيب وترهيب .

ايفاء الحقوق عند التعامل :

« وَآوَفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (١) .

ايفاء الكيل اتمامه ، والقسطاس هو الآلة التي يحصل بها ايفاء من المكيال والميزان على تعدد أنواعهما ، والمستقيم الصحيح الذي لا عيب فيه ، ومما يجعله غير صالح للوفاء بالعدل كسره أو اعوجاجه أو أي خلل في تركيبه . والخير : النافع . والتأويل : مصدر أول ، بمعنى رجع ، من آل يؤول أولاً ، بمعنى رجع ، وهو هنا بمعنى المرجع والمثال ، أي العاقبة .

الأمر بإيفاء الكيل من موضوع ما قبله في الأمر بحفظ الأموال واحترام الملكية . والمكيلات والموزونات مورد عظيم للتعامل ، ومعرضة تعريضاً كبيراً للبخس والتطفيف وأخذ مال الناس بالزيادة أو بالتنقيص ، أما بفعل الشخص وأما بفساد الآلة ، فأمر تعالى بإيفاء الكيل وأمر باختيار الآلة الصالحة لذلك ، ويبيّن أن الوفاء يكون عند الكيل بقوله : « إِذَا كَلْتُمْ » على سبيل التأكيد ، حتى لا يتأخر الوفاء عن الكيل بأن يكمل ما نقص أو يرد ما زاد ، فإن الذي يفصل الحق ويطيب النفوس هو الوفاء وقت الكيل .

الترغيب في ايفاء الكيل :

« ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »

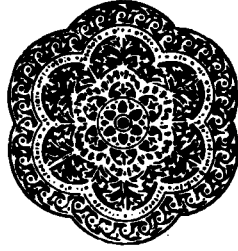
رغب تعالى في ايفاء بوجهين . الأول : أنه خير ، فيفيد العدل والحق وأكل الحلال وراحة البال ، وفيه حصول الثقة التي هي رأس مال التاجر ، وفيه حفظ نظام التعامل الذي هو ضروري للحياة ، وهذه

(١) ٣٥/١٧ الاسراء .

كلها وجوه نفع وخير • الثاني : أنه أحسن عاقبة عاجلا في نفس الشخص وأخلاقه وفي عرضه وسمعته وفي سلامته من المطالبات والمنازعات ، وآجلا بحسن جزائه عند الله بما أعد للموفين من الأجر العظيم •

تركيب على هذا الترغيب :

هذان الوجهان اللذان رغب الله تعالى بهما في الوفاء - ينبغي للعاقل أن يجعلهما نصب عينيه في كل ما يتناوله ويعمله ، فيقتصر على ما هو خير ينفعه في الحال ، وحسن العاقبة بنفعه وعدم ضرره في المال • والله يوفقنا الى خير الاقوال والأعمال انه الكريم الواسع النوال (١) •



العلم والاخلاق

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا .
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طولا » (١) .

المناسبة :

العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان ينبغي
عليهما كمال الانسان . وبهما يضطلع بأعباء ما تضمنته الآيات المتقدمة
من أصول التكليف ، فهما أعظم مما تقدمهما من حيث توقعه عليهما ،
فجيء بهما بعده ليكون الأسلوب من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى ،
ولما كان العلم أساس الأخلاق قدمت آيته على آيتها تقديم الأصل على
الفرع .

آية المسلم

المفردات والتراكيب :

القفو : اتباع الأثر ، تقول : قفوته أقفوه اذا اتبعت أثره . والمتبع
الأثر شخص موال في سيره لناحية قفاه ، فهو يتبعه دون علم بوجهة
ذهابه ولا نهاية سيره . فالقفو اتباع عن غير علم ، فهو أخص من مطلق

(١) ٣٦/١٧ - ٣٧ الاسراء .

الاتباع ، ولذلك اختيرت مادته هنا . ولكونه اتباعاً بغير علم جاء في كلام العرب بمعنى قول الباطل قال جرير :

وَطَالَ حِذَارِي مَغْرَبَةَ الْبَيْنِ وَالنَّوَى

وَأَحَدُوثُهُ مِنْ كَاشِحٍ يَسْتَقْوَفُ (١)

أي متقول بالباطن .

والعلم ادراك جازم مطابق للواقع عن بينة . سواء كانت تلك البيّنة حساً ومشاهدة أو برهاناً عقلياً ، كدلالة الأثر على المؤثر والصنعة على الصانع ، فاذا لم تبلغ البيّنة بالادراك رتبة الجزم فهو ظن ، هذا هو الاصل ، ويطلق العلم أيضاً على ما يكاد يقارب الجزم ويضعف فيه احتمال النقيض جدّاً . كما قال تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام :

« وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ » (٢) . فسمى القرآن ادراكه لما شاهدوا : علماً . لأنه ادراك كان يبلغ الجزم لانبيائه على ظاهر الحال ، وان كان ثم احتمال خلافه في الباطن ، لانه احتمال ضعيف بالنسبة لما شاهدوه .

والسمع : القوة التي تدرك بها الأصوات بألة الاذن . والبصر : القوة التي تدرك بها الأشخاص والألوان بألة العين . وقدم السمع على البصر لأن به ادراك العلوم وتعلم النطق ، فلا يقرأ ولا يكتب الا من كان ذا سمع وقتاً من حياته . والفؤاد القلب . والمراد به هنا العقل من حيث اعتقاده لشيء ما . واطلاق لفظ الفؤاد والقلب على العقل مجاز مشهور . وكان : تقييد ثبوت خبرها لاسمها وكونها على صورة الماضي لا يدل على انقضاء ذلك الارتباط . ومثل هذا التركيب

(١) ديوانه ٣٧٤ . والتوقف : قفو الاثر .

(٢) ٨١/١٢ يوسف .

يفيد في الاستعمال استحقاق الاسم للخبر ، فالجوارح مستحقة للسؤال ويكون ذلك بالفعل يوم القيامة . والمسؤول الموجه اليه السؤال ليجيب .

وأولئك اشارة الى هذه الثلاثة ، وضمير كان عائد على كل ، وضمير عنه عائد على ما ، وضمير مسؤولاً عائد على ما عاد عليه ضمير كان . والتقدير : كل واحد من هذه الثلاثة السمع والبصر والفؤاد كان مسؤولاً عما ليس لك به علم .

القلب ميزة الانسان واداة علمه :

يمتاز الحيوان عن الجماد بالادراك ، ويمتاز الانسان عن سائر الحيوان بالعقل ، وعقله هو القوة الروحية التي يكون بها التفكير ، وتفكيره هو نظره في معلوماته التي أدرك حقائقها ، وأدرك نسب بعضها لبعض ايجاباً وسلباً وارتباط بعضها ببعض نفياً وثبوتاً ، وترتيب تلك المعلومات بمقتضى ذلك الارتباط على صورة مخصوصة ليتوصل بها الى ادراك أمر مجهول . فالتفكير اكتشاف المجهولات من طريق المعلومات ، والمفكر مكتشف ما دام مفكراً .

ولما امتاز الانسان عن سائر الحيوان بالعقل والتفكير - امتاز عنه بالتنقل والتحول في أطوار حياته ونظم معيشته بمكتشفاته ومستبطاته . فمن المشي على الأقدام الى التحليق في الجو ، مثلاً . وبقي سائر الحيوان على الحال التي خلق عليها دون أي انتقال .

وبقدر ما تكثر معلومات الانسان ويصح ادراكه لحقائقها ولنسبها ويستقيم تنظيمه لها - تكثر اكتشافاته واستبطاته في عالمي المحسوس والمعقول وقسمي العلوم والآداب . وهذا كما كان العرب والمسلمون أيام بل قرون مدينتهم . عربوا كتب الأمم الى ما عندهم ونظروا وصححو واستدركوا واكتشفوا . فأحيوا عصور علم من كانوا قبلهم

وأثاروا بالعلم عصرهم ومهدوا الطريق ووضعوا الأسس لما جاء بعدهم . فأدثوا لنوع الانسان بالعلم والمدنية أعظم خدمة تؤديها له أمة في حالها وماضيها ومستقبلها ، وكما نرى الغرب في مدنيته اليوم . ترجم كتب المسلمين فعرف علوم الأمم الخالية التي حفظتها العربية وأدتها بأمانة ، وعرف علوم المسلمين ومكتشفاتهم فجاء هو أيضاً بمكتشفاته العجيبة التي هي ثمرة علوم الانسانية من أيامها الأولى الى عهده ، وثمره تفكيره ونظره فيها . وقد كانت مكتشفاته أكثر من مكتشفات جميع من تقدمه ، كما كانت مكتشفات صدر هذا القرن أكثر من مكتشفات عجز القرن الماضي لتكاثرت المعلومات . فان المكتشفات تضم الى المعلومات فتكثر المعلومات فيكثر ما يعقبها من المكتشفات على نسبة كثرتها . وهكذا يكون كل قرن ما دام التفكير عمالاً - أكثر معلومات ومكتشفات من الذي قبله .

فاذا قلت معلوماته قلت اكتشافاته . وهذا كما كان النوع الانساني في أطواره الأولى .

وإذا كثرت معلوماته وأهمل النظر فيها بقي حيث هو جامداً ، ثم لا يلبث أن تتلاشى من ذهنه تلك المعلومات المهمة حتى تقل أو تضحل . لأن المعلومات اذا لم تتعاهد بالنظر زالت من العاطفة شيئاً فشيئاً ، وهذا هو طور الجمود الذي يصيب الأمم المتعلمة في أيامها الأخيرة عندما تتوافر الأسباب العمرانية القاضية - بسنة الله - بسقوطها .

وإذا لم يصح ادراكه للحقائق أو لنسبها ، أو لم يستقم تنظيمه لها كان ما يتوصل اليه بنظره خطأً في خطأٍ وفساداً في فساد . ولا ينشأ عن هذين الا الضرر في المحسوس والضلال في المعقول . وفي هذين هلاك الفرد والنوع جزئياً وكلياً من قريب أو من بعيد . وهذا هو طور انحطاط الأمم الانحطاط التام ، وذلك عندما يرتفع منها العلم ويفشو الجهل وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها فتتخذ رؤوساً جهالاً لأمور دينها

وأمر دنياها فيقودونها بغير علم فيَضَلُّون ويضَلُّون ويَهْلِكُون
ويُهْلِكُون ويفسدون ولا يصلحون . وما أكثر هذا - على أخذه
في الزوال باذن الله - في أمم الشرق والاسلام اليوم .

العلم هو وحده الامام المتبع في الحياة في الاقوال والافعال والاعتقادات :

سلوك الانسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا ، يستقيم
باستقامته ويموج باعوجاجه ويعقم بعقمه . لأن أفعاله ناشئة عن
اعتقاداته ، وأقواله اعراب عن تلك الاعتقادات ، واعتقاداته ثمرة ادراكه
الحاصل عن تفكيره ونظره .

وهذه الادراكات الحاصلة عن التفكير والنظر ليست على درجة
واحدة في القوة والضعف ، فمنها ما هو قويٌ معتبر ، ومنها ما هو
ضعيف ساقط عن الاعتبار ، فالاول : العلم وهو ادراك أمر على وجه
لا يحتمل أن يكون ذلك الأمر على وجه من الوجوه سواء وهو عام
الاعتبار . ويليه الظن وهو ادراك لأمر على وجه هو أرجح الوجوه
المحتملة ، وهو معتبر عندما تتبين قوة رجحانه فيما لا يمكن فيه الا
ذاك ، وهذه هي الحالة التي يطلق عليه فيها لفظ العلم مجازاً .
والثاني : الوهم ، وهو ادراك الأمر على الوجه المرجوح . والشك
وهو ادراك لأمر على وجهين ، وجوه متساوية في الاحتمال وكلا هذين
لا يعومل عليه .

ولما كان الانسان - بما فطر عليه من الضعف والاستعجال -
كثيرا ما يبني أقواله وأفعاله واعتقاداته على شكوكه وأوهامه وعلى
ظنونه حيث لا يكتفي بالظن ، وفي هذا البناء الضرر والضلال .
بين الله تعالى في محكم كتابه انه لا يجوز لهم ولا يصح منهم البناء
لأقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم الا على ادراك واحد وهو العلم
فقال تعالى « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » أي لا تتبع

ما لا علم لك به ، فلا يكن منك اتباع بالقول أو بالفعل أو بالقلب
لما لا تعلم . فهانا عن أن نعتقد الـ عن علم ، أو نفعل الـ
عن علم ، أو نقول الـ عن علم . فما كل ما نسمعه وما كل ما نراه
نطوي عليه عقد قلوبنا ، بل علينا أن ننظر فيه ونفكر فاذا عرفناه عن
بينة اعتقدناه والـ تركناه حيث هو في دائرة الشكوك والأوهام أو
الظنون التي لا تعتبر . ولا كل ما نسمعه أو نراه أو نتخيله أو نقوله ،
فكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع كما جاء في الصحيح ، بل
علينا أن نعرضه على محك الفكر فان صرنا منه على علم قلناه ، مراعين
فيه آداب القول الشرعية ومقتضيات الزمان والمكان والحال .

فقد أمرنا أن نحدث الناس بما يفهمون ، وما حدثت قوم بحديث
لا تبلغه عقولهم الـ كان عليهم فتنة والـ طرحناه . ولا كل فعل ظاهر
لنا نفعله ، بل حتى نعلم حكم الله تعالى فيه لنكون على بينة من خيره
وشره ونفعه وضره ، فما أمر تعالى الـ بما هو خير وصلاح لعباده ،
وما نهى تعالى الـ عما هو شر وفساد لهم أو مؤد الى ذلك . واذا كان
من المباحثات نظرنا في نتائجه وعواقبه ووازننا بينها . فاذا علمنا بعد
هذا كله من أمر ذلك الفعل ما يقتضي فعله فعلناه والـ تركناه . فلا
تكون عقائدنا - اذا تمسكنا بهذا الأصل الاسلامي العظيم - الاحق ،
ولا تكون أقوالنا الا صدقا ، ولا تكون أفعالنا الا سدادا .

ولعمر الله انه ما دخل الضلال في عقائد الناس ولا جرى الباطل
والزور على ألسنتهم ولا كان الفساد والشر في أفعالهم الا باهمالهم
أو تساهلهم في هذا الأصل العظيم .

تفصيل :

نهينا عن أن تتبع ما ليس لنا به علم ، فالذي تتبعه هو ما لنا به
علم ، أي لنا علم يقتضي اتباعه بأن يكون من عقائد الحق وأقوال

الصدق وأفعال السداد . فاما ما كان من عقائد الحق في أمر الدين أو في أمر الدنيا فلا حضر في اعتقاد شيء منه . وأما ما كان من أفعال السداد فكذلك . وأما ما كان من أقوال الصدق ففيه تفصيل اذ ليس كل قول صادق يقال ، فالنقائص الشخصية في الانسان لا تقال في غيبته لأنها غيبة محرمة ولا يجابه بها في حضوره لأنها اذاية ، الا اذا وجّه بها على وجه النصيحة بشروطها المعتبرة التي من أولها أن لا تكون في الملام . وهكذا يجب في مثل هذه الأصول الكلية عند ما يتفقه فيها أن ينظر فيما جاء من الآيات والأحاديث مما في البيان لها والتفصيل في مفاهيمها .

تفرع :

الفرع الاول : من اتبع ما ليس له به علم فاعتقد الباطل في أمر الدين أو في حق الناس أو قال الباطل كذلك فيهما ، أو فعل المحذور فهو آثم من جهتين : اتباعه ما ليس له به علم ، واعتقاده أو قوله للباطل وفعله للمحذور . ومن اعتقد حقاً من غير علم أو قال في الناس صدقاً عن غير علم أو فعل غير محذور عن غير علم فانه — مع ذلك — آثم من جهة واحدة، وهي اتباعه ما ليس له به علم ومخالفته لمقتضى هذا النهي .

الفرع الثاني : المقلد في العقائد الذي لا دليل عنده أصلاً ، وانما يقول سمعت الناس يقولون فقلت — هذا آثم لاتباعه ما ليس له به علم . فاما اذا كان عنده دليل اجمالي كاستدلاله بوجود المخلوق على وجود خالقه فقد خرج من الاثم لتحصيل هذا الاستدلال له العلم . والمقلد في الفروع دون علم بأدلتها متبع لمقتيه فيها يصدق عليه باعتبار الأدلة التي يجهلها أنه متبع ما ليس له به علم . ولكنه له علم من ناحيه أخرى وهي علمه بأن التقليد هو حكم الله تعالى في حق مثله من العوام بما أمر تعالى من سؤال أهل العلم وما رفع عن العاجز من الاصر وهو من العامة العاجزين عن درك أدلة الأحكام .

نصيحة على هذا الفرع :

أدلة العقائد مبسطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير . وأدلة الاحكام أصولها مذكورة كلها فيه ، وبيانها وتفصيلها في سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي أرسل ليبيّن للناس ما نزل اليهم . فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم . اذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم . ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة الا في كتاب الله ، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين اليه . أما الاعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فانه من الهجر لكتاب الله ، وتصعب طريق العلم الى عباده وهم في أشد الحاجة اليه . وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الاسلام وحقائقه .

ومما ينبغي لأهل العلم أيضاً - اذا أفتوا أو أرشدوا - أن يذكروا أدلة القرآن والسنة لفتاويهم ومواعظهم ليقربوا المسلمين الى أصل دينهم ، ويذيقهم حلاوته ، ويعرفوهم منزلته ، ويجعلوه منهم دائماً على ذكر ، وينيلوهم العلم والحكمة من قريب ، ويكون لفتاواهم ومواعظهم رسوخ في القلوب وأثر في النفوس . فالى القرآن والسنة - أيها العلماء - ان كنتم للخير تريدون .

الفرع الثالث : المجتهد اذا أفتى مستنداً الى ما يفيد الظن من أخبار الآحاد أو الاقيسة أو النصوص الأخرى الظنية الدلالة - هل هو متبع لغير العلم . والجواب لا . بل هو متبع للعلم وذلك من ثلاث وجوه :

الوجه الاول : أن كل دليل يكون ظنياً بمفرده - يصير يقيناً اذا عرض على كليات الشرع ومقاصده وشهدت له بالصواب . وهذا هو شأن المجتهدين في الأدلة الفردية .

الوجه الثاني : أن المجتهد يعتمد في الأخذ بالأدلة الظنية لما له من العلم بالأدلة الشرعية الدالة على اعتبارها .

الوجه الثالث : أن تلك الأدلة بمفردها تفيد الظن القوي الذي يكون جزءاً ويسمى - كما تقدم علماً . فما اتبع المجتهد العلم .

الفرع الرابع : لا نعتمد في اثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من الحديث الضعيف لأنه ليس لنا به علم ، فإذا كان الحكم ثابتاً بالحديث الصحيح مثل قيام الليل ثم وجدنا حديثاً في فضل قيام الليل بذكر ثواب عليه مما يرغب فيه جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديداً على وجه الترغيب . ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات اليه وهذا هو معنى قولهم : « الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال » أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها في أصل ثبوتها .

فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق من أهل العلم أجمعين .

الفرع الخامس : أحوال ما بعد الموت كلها من الغيب فلا نقول فيها الا ما كان لنا به علم بما جاء في القرآن العظيم أو ثبت في الحديث الصحيح . وقد كثرت في تفاصيلها الأخبار من الروايات مما ليس بثابت ، فلا يجوز الالتفات الى شيء من ذلك . ومثل هذا كل ما كان من عالم الغيب مثل الملائكة والجن والعرش والكرسي واللوح والقلم واشراط الساعة وما لم يصل اليه علم البشر .

سؤال الجوارح يوم الهول الاكبر :

« إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أَوْلِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » .

من قال ما لم يسمع سئل يوم القيامة سمعه فشهد عليه • ومن قال رأيت ولم ير سئل بصره فشهد عليه • ومن قال عرفت ولم يعرف أو اعتقد ما لم يعلم سئل فؤاده فشهد عليه • لأنه في هذه الأحوال الثلاثة قد اتبع ما ليس له به علم • وهذه الشهادة كما قال تعالى : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) •

هذه الثلاثة تسأل على وجوه منها ما تقدم وهو الذي يرتبط به هذا الكلام بما تقدم من النهي • ومنها سؤال السمع لم يسمع ما لا يحل ولم يلم لم يسمع ما يجب ، وسؤال البصر لم رأى ما لا يحل ، وعن جميع أعمال البصر من نظر البغض والاحتقار ونحو ذلك • وسؤال الفؤاد عما اعتقد وعما قصد وجميع أعمال القلوب •

فوائد ختام الآية :

فختام هذه الآية تأكيد للنهي السابق وتفصيل لطرق العلم وتنبه على لزوم حفظها واحدة واحدة وترهيب للانسان من اتباع ما لا يعلم بما يؤول اليه أمره من فضيحة يوم القيامة وخزي بشهادة جوارحه عليه •

فالله نسأل أن يجعلنا متبعين للعلم في جميع ما نعمل ، ويثبتنا ما نعمل ، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة • انك يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (٢) •

(١) ٢٤/٢٤ النور .

(٢) ش : ج ٩ ، م ٦ ، ص ٥٢٦ - ٥٣٥ غرة جمادى الاولى ١٣٤٩ - اكتوبر ١٩٣٠ .

آية الاخلاق

« وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا • إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ... » (١) •

المفردات والتراكيب :

المرح مشية فيها خفة ونشاط واختيال ناشئة عن شدة فرح بالنفس ،
تقول العرب : أمرح الفرس فرح فهو فرس مرح ومراح ، اذا شبع
فأخذ يمشي بخفة ونشاط واختيال • ويقال مرح الرجل اذا اختال في
مشيته ونظر في عطفه ، ولا يكون ذلك الا لفرحه بنفسه واعجابه
بها • وخرق الأرض ثقبها ، والطول ارتفاع القامة •

نصب مرحاً بتمش لأنه متضمن له تضمن الكلبي لجزئيه ، اذ المرح
جزئي من جزئيات المشي ، فكأنه قال لا تمرح مرحاً • ونظيره قول
الشاعر :

يعجبه السخون والبرود والتمر جبا ما له مزيد

فنصب جباً يعجب لأن الاعجاب متضمن للحب ، أو نصب على أنه
حال كجاءني زيد ركضاً • ونصب طولاً على انه تمييز أي من جهة
الطول • والتقدير : ولن يبلغ طولك طول الجبال •

التفسير :

حب الانسان لنفسه غريزة فيه ، وذلك يحمله على
الاعجاب والفرح بها وبكل ما يصدر عنها ويستخفه ذلك حتى يتركه
يمشي بين الناس مختالاً متبختراً ، وهذه هي مشية المرح التي نهى الله

(١) ٣٧/١٧ - ٣٩ الاسراء . وارتباط الآية بما قبلها تقدم في
صدر الجزء السابق .

تعالى في هذه الآية عنها • ولما كانت هي فرعاً عن الاعجاب بالنفس والفرح بها فالنهي منصب على أصلها كما انصب عليها •

ولما كانت هذه العلة ناشئة عن علة العجب أعقب الله تعالى بيان الداء الذي نهى عنه بذكر الدواء الذي يقلعه من أصله • فقال تعالى : « إِنَّكَ لَن تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَكِنْ تَبْلُغُ الْجِبَالَ طُولًا » • فذكر الانسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه ومن تحته ، فاذا ضرب برجليه الأرض في مرحة فهو لا يستطيع خرقها ، واذا تطاول بعنقه في اختياله فهو لن يبلغ طول الجبال • فقد أحاط به العجز من ناحيته ، وذكر الانسان لضعفه وعجزه أنجع دواء لمرض اعجابه بنفسه •

نعم الانسان أعظم من الأرض والجبال بعقله ، ولكنه لو سار على نور عقله لما مشى في الأرض مرحاً ، لأن عقله يبصره بعيوب نفسه وتقائص بشريته ، فلا يدعه يعجب بها فلا يكون من المرحين فما مرح الا وهو محروم من نور العقل مفتون بمادة الجسم ، فذكر بضعف هذا الجسم وصغارته •

العجب أصل الهلاك :

اذا أعجب المرء بنفسه عبي عن تقائصها ، فلا يسعى في ازالتها ، ولهي عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها فعاش ولا أخلاق له مصدرا لكل شر بعيداً عن كل خير •

وعن العجب بالنفس ينشأ الكبر على الناس والاحتقار لهم ، ومن احتقر الناس لم ير لهم حقاً ، ولم يعتقد لهم حرمة ولم يراقب فيهم الا ولا ذمة ، وكان عليهم — مثل ما كان على نفسه — أظلم الظالمين • ابليس اللعين — نعوذ بالله تعالى منه — كان أصل هلاكه من عجبه

بنفسه ، وانه خلق من النار ، وانه خير من آدم ، فتكبر عليه فكان من الظالمين الهالكين .

ترك العجب شرط في حسن وكمال الاخلاق :

تربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، والعجب هو أساس الرذائل . فأول التترك تركه ، وهو المانع من اكتساب الفضائل ، فشرط وجودها تركه كذلك . ومن لم يكن معجباً بنفسه كان بمدرجة التخلق بمحاسن الأخلاق والتزوه عن تقائصها ، لأن الانسان مجبول على محبة الكمال وكراهة النقص . فاذا سلم من العجب فان تلك الجبلة تدعوه الى ذلك التخلق والتزوه . فاذا نبه على نقصه لم تأخذ العزة ، واذا رغب في الكمال كانت له واليه هزة فلا يزال بين التذكيرات الالهية والجبلة الانسانية الخلقية يتهدب ويتشذب حتى يبلغ ما قدر له من كمال . ولهذه المعاني التي تتصل بتفسير هذه الآية الكريمة – وهي أصول في علم الأخلاق – عنونا عليها بآية الاخلاق .

تأكيد الأوامر والنواهي التنقمة بطريق الإيجاز :

« كَلِمَةٌ ذَلِكُ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرَهُهَا »

المناسبة :

ان الغاية التي يسعى اليها كل عاقل هي السعادة الحقة ، وان التكاليف الاسلامية كلها شرعت لسوقه اليها ، ولما كانت أصولها قد تضمنتها الآيات السابقة أمراً ونهياً بطريق الاطناب والتفصيل – أعيد الحديث عنها في هذه الآية بطريق الإيجاز والاجمال . قصداً للتأكيد وتقرير هذه الأصول العظيمة في النفوس ، مع اشتغال هذه الآية الموجزة على ما لم يشتمل عليه ما تقدمها . وهذا من بديع التأكيد ، لاشتماله على السابق مع شيء جديد .

المفردات والتراكيب :

السيء هو القبيح والقبايح المنهي عنها فيما تقدم ، قيحة لذاتها ، ولنهي الله تعالى عنها ، والمكروه هو المبعوض المسخوط عليه ، وهو ضد المحبوب المرضي عنه • والمحاسن محبوبة لله أمر بها ويشب عليها ويرضى على فاعلها ، والمقايح مبعوضة له تعالى نهى عنها ، ويعاقب عليها ويسخط على مرتكبها • وليس المكروه بمعنى عدم المراد لأنه لا يكون في ملكه تعالى ما لا يريد وما تشاءون الا أن يشاء الله • وليس بمعنى المنهي عنه نهياً غير جازم لأن ذلك اصطلاح فقهي حادث بعد نزول القرآن ، والقرآن لا يفسر بالاصطلاحات الحادثة •

ذلك اشارة الى جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات على قراءة (سيئه) ، فالمكروه هو سيء ما تقدم وهو القبايح المنهي عنها • أو اشارة الى خصوص القبايح على قراءة (سيئة) ، ومكروهاً خبر كان على القراءة الأولى ، وخبر ثان على القراءة الثانية • وتقدير الكلام على القراءة الأولى ، كل ذلك المذكور كان سيئه - وهو المنهيات - مكروهاً عند ربك ومفهومه ان حسنه - وهو المأمورات - محبوب عنده ، وعلى الثانية كل ذلك المنهي عنه كان سيئة مكروهاً عند ربك • ومفهومه أن المأمور به حسن عنده •

التفسير :

عرف - تعالى - عباده في هذه الآية بمنطوقها ومفهومها - على ما تقدم في التقرير - أن ما أمرهم به هو الحسن المحبوب ، وأن ما نهاهم عنه هو القبيح المبعوض • فعلموا من ذلك أن أوامر الشرع ونواهيه هي على مقتضى العقل الصحيح والفترة السليمة ، وأنه - تعالى - لا يأمر بقبيح ولا ينهى عن حسن ، وفي علمهم بهذا ما يحملهم على الامتثال ويرغبهم فيه ، فان الحسن تميل اليه النفوس

والقبيح تنفر منه • وفي قوله تعالى : « عِنْدَ رَبِّكَ » غاية الترغيب في الحسن والتنفير من القبيح فان الحسن جد الحسن ما كان حسناً عند الله تعالى ، والقبيح جد القبيح ما كان قبيحاً عنده ، وفي اسم الرب تنبيه على أن العلم بالحسن والقبيح على وجه التفصيل والتدقيق حتى يكون المأمور به حسناً قطعاً والمنهي عنه قبيحاً قطعاً انما هو له تعالى ، وأن أوامره ونواهيه - تعالى - الجارية على مقتضى ذلك هي من مقتضى ربوبيته - تعالى - وتدييره لخلقه •

مكانة هذه الاصول علماً وعملاً :

« ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ »

المناسبة :

لما بينت الأصول تمام البيان وقررت غاية التقرير جاءت هذه الآية للتتويه بها لحث العباد على تحصيل ما فيها من علم والتحلي بما دعت اليه من عمل •

المفردات والتراكيب :

الحكمة هي العلم الصحيح والعمل المتقن المبني على ذلك العلم •
وقال مالك بن انس رضي الله عنه : هي الفقه في دين الله والعمل به •
والقرآن حكمة لدلالته على ذلك كله •

ذلك اشارة الى ما تضمنته الآيات المتقدمة من قوله تعالى :
« لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » ومن في (مما) تبعية •
ومن في (من الحكمة) بيانية ، مجرورها بين المبهم وهو ما في قوله
(مما) والتقدير ذلك الذي تقدم بعض الحكمة التي أوحاها إليك ربك •

التفسير :

هذا ضرب آخر من تأكيد العمل بما تقدم والترغيب

فيه ، فبين تعالى أن ما تضمنته الآيات المتقدمة كله حكمة ، فالمتحقق بما فيها من علم والمتحلي بما حثت عليه من أعمال هو الحكيم الذي كمل من وجهته العلمية وجهته العملية وتلك أعلى رتب الكمال للانسان .

وفي ذكرانها بعض من كل تنبيه على جلالة كلها ، وهو عموم ما أوحى الله تعالى الى نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - وتنبيه أيضاً على أن شرح هذه الأصول فيما أفادته من علم وعمل ، والتفقه فيها يرجع فيه الى الوحي ويعتمد في ذلك على بيانه ، وفيه بيان أن الوحي هو المرجع الوحيد لبيان دين الله تعالى وشرعه وما أنزله لعباده من الحكمة ، وذلك الوحي هو القرآن العظيم وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي أرسل ليبين للناس ما نزل اليهم .

ختم الآيات :

« وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا » .

المناسبة :

لما كانت هذه الآيات في أصول الهداية وأساس الهداية ، وشرطها هو التوحيد ختمت الآيات بالنهي عن الشرك كما بدأت به .

المفردات والتراكيب :

الالقاء هو الطرح ، والملوم هو الذي يقال له لم فعلت القبيح وما حملك عليه ونحو هذا . والمدحور المبعد ، وانتصبا على الحال .

التفسير :

نهى تعالى عن الشرك وأن يعبد معه سواه ، فالعبادة بالقلب واللسان والجوارح لا تكون الا له . وكما حذر في فاتحة

الآيات بعود المشرك في الدنيا مذموماً بالشرك الذي ارتكبه مخذولاً لا ناصر له . كذلك حذر هنا بمثال المشرك في آخرته بالقائه في جهنم ملوماً على ما قدم مطروداً مبعداً في دركات الجحيم .

نظرة عامة في الآيات المتقدمة :

قد تضمنت هذه الآيات على قلتها الأصول التي عليها تتوقف حياة النوع البشري وسعادته من حفظ النفوس والعقول « وَلَا تَقْنَفْ » الآية . والأنساب والأموال والحقوق (واوفوا بالعهد ، وأوفوا الكيل) والاعراض « وَلَا تَقْرَبُوا الزنا - وَلَا تَقْنَفْ » والدين الذي هو عمدة ذلك كله ، وفي حفظه حفظ لجيئها ، وفي افتتاح الآيات بقوله تعالى : « لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا » وختمها بقوله تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَكْثُومًا مَكْدُورًا » بيان من الله تعالى لخلقه بأن الدين هو أصل هذه الكمالات كلها ، وهو سباج وقايتها وسور حفظها ، وأن التوحيد هو ملاك الأعمال وقوامها ومنه بدايتها واليه نهايتها .

وكذلك المسلم الموفق يتدبى حياته بكلمة التوحيد حتى يموت عليها فإله نسال - كما من علينا بها في البداية - أن يمن علينا بها في النهاية .

اللهم هذا لنا وللمسلمين أجمعين^(١) .

(١) ش : ج ١٠ ، م ٦ ، ص ٥٩١ - ٥٩٦ غرة جمادى الثانية
١٣٤٩ هـ - نوفمبر ١٩٣٠

القول الحسن

« وَقُلْ لِعِبَادِي يَسْمَعُوا الصَّوْتِي هِيَ أَحْسَنُ ۖ ... » (١)

اللسان أداة البيان ، وترجمان القلب والوجدان ، والكلام به يتعارف الناس ويتقاربون ، وبه يتحاجون ويتفاضلون ، ولولاه لما ظهرت ثمرات العقول والمدارك ، ولما تلاقت الأفكار والمشاعر ، ولما تزايدت العلوم والمعارف ، ولما ترقى الانسان في درجات أنواع الكمالات ، ولما امتاز على بقية الحيوانات .

فهو رابطة أفراد النوع الانساني وعشائره ، وأمه ، وبريد عقله وواسطة تفاهمه . فاذا حسن قويت روابط الالفة ، وتمكنت أسباب المحبة ، وامتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم . وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم ، وتشابكت الأيدي على التعاون والتآزر ، وجنى العالم من وراء ذلك تقرر الأمن واطراد العمران . واذا قبح كان الحال على ضد ذلك . فالكلام السيء قاطع لأواصر الأخوة ، باعث على البغضاء والنفرة ، يبعد بين العقول فتحرم الاسترشاد والاستمداد والتعاون بين القلوب فتفقد عواطف المحبة وحنان الرحمة . وهما أشرف ما تتحلى به القلوب ، واذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الالفة والتعاون ، وحلت القساوة والعداوة ، وتبعهما التخاصم والتقاتل ، وفي ذلك كل الشر ، لأبناء البشر .

فالمحصل للناس سعادتهم وسلامتهم ، والمبعد لهم عن شقاوتهم

(١) ٥٣/١٧ - ٥٤ الاسراء .

وهلاكهم - هو القول الحسن ، ولهذا أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يرشد العباد الى قول النبي هي احسن فقال تعالى : « وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .
والعباد المأمورون هنا هم المؤمنون لوجهين : الأول أنهم أضيفوا اليه ، وهذه اضافة شرف لا يكون الا للمؤمنين به . الثاني : ان الذين يخاطبون بهذا الارشاد ويكون منهم الامثال انما هم من حصلوا على أصل الايمان .

والتي هي أحسن : هي الكلمة الطيبة والمقالة التي هي أحسن من غيرها فيعم ، ذلك ما يكون من الكلام في التخاطب العادي بين الناس حتى ينادي بعضهم بعضاً بأحب الأسماء اليه ، وما يكون من البيان العلمي فيختار أسهل العبارات وأقربها للفهم ، حتى لا يحدث الناس بما لا يفهمون ، فيكون عليهم حديثه فتنة وبلاء ، وما يكون من الكلام في مقام التنازع والخصام فيقتصر على ما يوصله الى حقه في حدود الموضوع المتنازع فيه ، دون اذاية لخصمه ولا تعرض لشأن من شؤونه الخاصة به - وما يكون من باب اقامة الحججة وعرض الأدلة ، فيسوقها بأجلى عبارة وأوقعها في النفس ، خالية من السب والقذح ، ومن الغمز والتعريض ، وأدنى تلميح الى شيء قبيح .

وهذا يطالب به المؤمنون سواء كان ذلك فيما بينهم أو بينهم وبين غيرهم ، وقد جاء في الصحيح ان رهطاً من اليهود دخلوا على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالوا السام عليكم ، ففهمتها عائشة رضي الله عنها فقالت : وعليكم السام واللعنة . فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : مهلاً يا عائشة ، ان الله يحب الرفق في الأمر كله . فقالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ فقال : قد قلت : وعليكم . فكان الرد عليهم بمثل قولهم بأسلوب العطف على كلامهم ، وهو قوله : وعليكم ، أحسن من الرد عليهم باللعنة . فقال - صلى الله عليه وآله وسلم -

القول الحسن

وسلم — القولة التي هي أحسن ، وهذا هو أدب الاسلام للمسلمين مع جميع الناس .

وأفاد قوله تعالى : « أحسن » بصيغة اسم التفضيل أن علينا أن نتخير في العبارات الحسنة فننتقي أحسنها في جميع ما تقدم من أنواع مواقع الكلام ، فحاصل هذا التأديب الرباني هو اجتناب الكلام السيء جملة والاقتصار على الحسن وانتقاء واختيار الأحسن من بين ذلك الحسن . وهذا يستلزم استعمال العقل والروية عند كل كلمة تقال ، ولو كلمة واحدة ، فرب كلمة واحدة أوقدت حرباً ، وأهلكت شعباً ، أو شعوباً . ورب كلمة واحدة أنزلت أمناً ، وأقذت أمة أو أمماً . وقد بيّن لنا النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — مكانة الكلمة الواحدة من الأثر في قوله : (الكلمة الطيبة صدقة ، واتقوا النار ولو بكلمة طيبة)

وهذا الأدب الاسلامي — وهو التروي عند القول واجتناب السوء واختيار الأحسن — ضروري لسعادة العباد وهنائهم . وما كثرت الخلافات وتشعبت الخصومات وتنافرت المشارب وتباعدت المذاهب حتى صار المسلم عدو المسلم ، والنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يقول : المسلم أخو المسلم — الا بتركهم هذا الادب وتركهم للتروي عند القول والتعمد للسيء بل للأسوأ في بعض الاحيان .

التحذير من كيد العدو الفتان :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ »

« إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا »

نزغ الشيطان وسوسته ليهيج الشر والفساد . وعداوته باعتقاده البغض وسعيه في جلب الشر والضر . واباتته لعداوته بإعلانه لها ، كما علمنا القرآن .

وهو يلقي للانسان كلمة الشر والسوء ويهيج غضبه ليقوله ،
ويهيج السامع ليقول مثلها ، وهكذا حتى يشتد المرء ويقع الشر
والفساد . ولون آخر من نزغه ، وهو أنه يحسن للمرء قول الكلمة
التي يكون فيها احتمال السوء ، ويلج عليه في قولها ، ويبالغ في
تحسين الوجه السالم منه ، وفي تهوين أمر وجهها القبيح ، حتى يقولها ،
فاذا قالها عاد لسامعه بالترغ يطمس عنه الوجه السالم منها ، ويكبر له
الوجه القبيح ، ولا يزال به يثير نخوته ويهيج غضبه حتى يثور فيقع
الشر والفساد بينه وبين صاحبه .

فحذر الله تعالى عباده من كيده حتى يحترسوا منه اذا تكلموا
واذا سمعوا فيتباعدون عمًا فيه احتمال السوء فضلاً عن صريحة
ويحملون الكلام على وجه الحسن عند احتماله له ويتجاوزون عن
سيئه الصريح ما أمكن التجاوز .

**الحاسنة على الحال والظاهر – والتفويض الى الله تعالى في العواقب
والسرائر :**

« رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ
يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا »

أقوى الأحوال مظنة لكلمة السوء هي حالة المناظرة والمجادلة ،
وأقرب ما تكون الى ذلك اذا كان الجدال في أمر الدين والعقيدة ،
فما أكثر ما يضل بعض بعضاً أو يفسقه أو يكفره فيكون ذلك سبباً
لزيادة شقة الخلاف اتساعاً ، وتمسك كل برأيه ونفوره من قول
خصمه . دع ما يكون عن ذلك من البغض والشر . فذكر الله تعالى
عباده بأنه هو العالم بيوطن خلقه وسرائرهم وعواقب أمرهم ، فيرحم
من يشاء ويعذب من يشاء بحكمته وعدله . فلا يقطع لأحد بأنه من أهل
النار لجهل العاقبة سواء كان من أهل الكفر أو كان من أهل الفسق

أو كان من أهل الابتداع كما لا يقطع لأحد بالجنة كذلك . الا من جاء النص بهم .

فلا يقال للكافر عند دعوته أو مجادلته انك من أهل النار ، ولكن تذكر الأدلة على بطلان الكفر وسوء عاقبته ، ولا يقال للمبتدع يا ضال ، وانما تبين البدعة وقبحها ، ولا يقال لمرتكب الكبيرة يا فاسق ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم اثمها ، فتبجح القبائح والردائل في نفسها وتجتنب أشخاص مرتكبيها . اذ رُبَّ شخص هو اليوم من أهل الكفر والضلال ، تكون عاقبته الى الخير والكمال ، ورب شخص هو اليوم من أهل الايمان ينقلب - والعياذ بالله تعالى - على عقبه في هاوية الوبال .

وخاطب الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - انه لم يرسله وكيلاً على الخلق خفيظاً عليهم كفيلاً بأعمالهم . فما عليه الا تبليغ الدعوة ونصرة الحق بالحق والهداية والدلالة الى دين الله وصراطه المستقيم - خاطبه بهذا ليؤكد لخلقه ما أمرهم به من قول التي هي أحسن ، للموافق والمخالف فلا يحملنهم بغض الكفر والمعصية على السوء في القول لأهلها ، فانما عليهم تبليغ الحق كما بلغه نبيهم - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولن يكون أحدٌ أحرص منه على تبليغه ، فحسبهم أن يكونوا على سنته وهديه، أحياناً الله عليهما، وأماننا عليهما ، وحشرنا في زمرة أهلها آمين^(١) .



(١) ش: ج ١١ ، ٦ م ، ص ٦٥٤ - ٦٥٨ غرة رجب ١٣٤٩ هـ - ديسمبر ١٩٣٠ م .

دعاء غير الله

من دعا غير الله فقد عبد ما دعاه
وهو في عبادته من الخاسرين

« قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ
فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا » (١)

المفردات :

(الدعاء) : هو النداء لطلب شيء من المدعو ولذلك لا يدعى الا العاقل أو ما نزل منزلته مجازا من الجادات ، أو ما كان له فهم لبعض الأصوات من الجادات . وإذا كان لشيء معظم ليطلب منه ما هو وراء الأسباب العادية وفوق الطاقة البشرية فهو عبادة ولا يكون الا من المخلوق لخالقه ، وإذا لم يكن كذلك فهو عادة وهو دعاء المخلوقين بعضهم بعضاً لغرض من الاغراض . و (الزعم) : القول بغير دليل . و (من دونه) : أي غيره . و (الملك) الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه . و (كشف الضر) : ازالته . و (لا تحويلا) : نقلا له الى شخص آخر .

التراكيب :

أمروا بالدعاء لتوقيفهم على خيبتهم فيه ، بظهور عجز من يدعون . وحذف مفعولا زعم ، والتقدير زعمتموهم آلهة ، للعلم

(١) ٥٧/١٧ - ٥٨ الاسراء .

بهما لأنهم ما دعوهم الاله لكونهم آلهة في زعمهم • ولا يملكون :
وقع بعد الفاء ولم يجزم في جواب الأمر لأنه خبر لمبتدأ محذوف
تقديره فهم لا يملكون ، وهذا لأن الفاء قصد بها العطف ولم يقصد بها
السببية ، ولا يصح أن تقصد بها السببية لأن ذلك يقتضي أن يكون
عدم ملكهم متسبباً عن الدعاء مثلها في قول الشاعر :

رب وقفني فلا عدل عن سنن الساعين في خير سنن

فان عدم العدول متسبب عن التوفيق • وليس كذلك الأمر في
هذه الآية ، فان عدم ملكهم متحقق سواء دعوا أم لم يدعوا ، فلذلك
امتنع النصب ووجب الرفع على التقدير المتقدم •

المعنى :

قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين اتخذوا
آلهة من دون الله فعبدوها ، ادعوا معبوداتكم هذه التي زعمتموها
آلهة من دون الله عندما ينزل بكم الضر ، وانظروا هل تستطيع تلك
المعبودات الباطلة أن تكشف وتزيل عنكم ذلك أو أن تحوله عنكم الى
غيركم ، فانكم تجدونها عاجزة عن ذلك غير قادرة على شيء منه ،
وانما يقدر على ذلك الاله الحق وهو الله الذي خلقها وخلقكم فاعبدوه
هو وأدعوه هو واقبلوا عن عبادة ودعاء ما سواه •

الاحكام :

تدل الآية على أن دعاء غير الله تعالى لدفع الضر - ومثله
جلب النفع - عبادة للمدعو ، فان المشركين كانوا يتعبدون لآلهتهم
بهذا الدعاء الذي نهاهم الله تعالى عنه ببيان خيبتهم فيه ووقوعه في
غير محله • وتسمية الدعاء عبادة ثابتة لغة وشرعا بغير ما دليل ،
منها حديث النعمان بن بشير عند أحمد وأصحاب السنن مرفوعاً

(الدعاء هو العبادة) وحديث أنس عند الترمذي مرفوعاً (الدعاء مخ العبادة) وهذا لأن العبادة هي الخضوع والتذلل لمن بيده الخلق والتصرف والعطاء والمنع ، ومظهر هذا الخضوع والتذلل هو الدعاء لدفع الضر ، أو جلب النفع ، فلذلك عبر عنه في الحديث الأول بأنه هو العبادة أي معظمها ، وفي الثاني بأنه مخ العبادة أي خالصها . ودلت الآية أيضاً على أنه لا يجوز دعاء غير الله من المخلوقين ، أي مخلوق كان ، لدفع ضر - ومثله جلب نفع - ، لأن الآية نعت على المشركين دعاءهم من لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وهذا أمر يشترك فيه جميع المخلوقين ، فلا مخلوق يستطيع كشف الضر أو تحويله عن نفسه ولا عن غيره فلا مخلوق يجوز دعاؤه ودلت على أن كشف الضر أو تحويله - ومثله جلب النفع - إنما هو للمعبود الحق لأن الآية استدلت عليهم في مقام الأمر بتوحيد الله بالعبادة بانتفاء ملك كشف الضر أو تحويله عن غير الله ، فأفاد ذلك قصر هذا التصرف عليه تعالى وحده .

استنتاج :

لما ثبت شرعاً أن الدعاء عبادة فمن دعا شيئاً فقد عبده ولو كان هو لا يسمى دعاءه عبادة جهلاً منه أو عناداً لأن العبرة بتسمية الشرع واعتباره لا بتسمية المكلف واعتباره . ألا ترى لو أن شخصاً قام للصلاة بدون وضوء مستحلاً لذلك فلما أنكرنا عليه قال انبي لا أعتبر هذه الأفعال والأقوال عبادة ولا اسمها صلاة . أترى ذلك يجيز فعله ويدفع عنه تبعته ، كلا ! ولا خلاف في ذلك بين المسلمين . بل قد حكموا بردته ان كان يفعل ذلك ويراه حلالاً . لأنه يكون قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة . فالداعي لغير الله تعالى يطلب منه قضاء حوائجه قد عبث من دعاه ، وان لم يعتبر دعاءه عبادة ، لأن الله قد سماه عبادة ، واذا استمر على فعله ذلك مستحلاً له

بعد تعليمه ، وارشاده ، يكون قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وهو أن العبادَة - والدعاء منها - لا تكون الا لله ، فيحكم برده ، نظير مستحل الصلاة بلا وضوء بلا فارق .

تطبيق :

إذا علمت هذه الأحكام فانظر الى حالتنا معشر المسلمين ، الجزائريين وغير الجزائريين ، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال . فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات يسألونهم حوائجهم من دفع الضر ، وجلب النفع ، وتيسير الرزق ، واعطاء النسل ، وانزال الغيث ، وغير ذلك مما يسألون ويذهبون الى الأضرحة التي شيّدت عليها القباب ، أو ظلمت بها المساجد ، فيدعون من فيها ويدقون قبورهم وينذرون لهم ويستشيرون حبيثهم بأنهم خدامهم وأتباعهم فكيف يتركونهم وقد يهددونهم بقطع الزيارة ، وحبس النذور ، وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه ، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم ، فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعويين ، وان لم يعتقدوها عبادة ، اذ العبارة باعتبار الشرع لا باعتبارهم ، فياحسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال .

تحذير وارشاد :

فليحذر قراؤنا من أن يتوجهوا بشيء من دعائهم لغير الله وليحذروا غيرهم منه . ولينشروا هذه الحقائق بين اخوانهم المسلمين بما استطاعوا عسى أن يتنبه الغافل ، ويتعلم الجاهل ، ويقطع الضالون عن ضلالهم ، ولو بطريق التدرّج ، وبذلك يكون قراؤنا قد أدوا أمانة العلم وقاموا بفريضة النصح ، وخدموا الإسلام والمسلمين .

نجاه المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم :

« أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن
عذاب ربك كان محذورا » .

المفردات :

(يبتغون) : يطلبون باعتناء واهتمام • (الوسيلة) ،
سبب الوصول الى البغية والقرب من المطلوب ، والوسيلة الموصلة
الى الله هي عبادته ، وطاعته ، بامتثال أوامره ونواهيه ، والتزام محابه ،
واجتناب مكارهه ، وهذا المعنى هو المراد هنا • (أقرب) : أي في
المكانة والمنزلة ، (يرجون رحمته) : ينتظرون انعاماته لافتقارهم
اليه • (يخافون عذابه) : يخشون عقوبته ، وانتقامه لعلمهم بقوته ،
وسلطانه ، وقصورهم عن القيام بجميع واجبه • (محذورا) :
مخيفا متحرزا منه •

التراكيب :

أولئك : اشارة الى المعبودين الذين وصفهم • ويدعون
ضميره للداعين ، وأصله يدعونهم ، يبتغون خير أولئك • و (أيهم) :
اسم موصول مضاف الى ضمير المتبعين ، وهو بدل بعض من كل من
الواو في يبتغون • (وأقرب) : خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ،
والجملة صلة الموصول ، ويحتمل أن يكون أيهم استفهاما مبتدأ وأقرب
خبر ، وتقدير الكلام ينظرون أيهم أقرب •

نزول الآية :

قال ابن مسعود : هي في نفر من الانس كانوا يعبدون

دعاء غير الله

نقرأ من الجن ، فأسلم الجن وبقى الانس على عبادتهم ، وجاء عنه وعن غيره أنها في الذين كانوا يعبدون الملائكة من العرب •

المعنى :

أولئك الجن والملائكة الذين يدعوهم (١) هؤلاء المشركون أرباباً قد أسلموا فصاروا من عباد الله المؤمنين يطلبون أسباب الزلفة والقرب عند ربهم ، ينظرون من هو الذي يكون منهم أقرب مكانة باجتهاده ، وصالح عمله ، (هذا على الاعراب الثاني وعلى الاعراب الأول : يطلب الذي هو أقرب منهم أسباب الزلفة عند الله فأحرى وأولى غيره) ويرجون بأعمالهم الصالحة رحمته ويخافون بمخالفتهم عذابه • ان عذاب ربك كان من حقه وشأنه ان يتقى ويحذر لما فيه من عظيم الخزي وشديد الالم •

الاحكام :

أفادت الآية أن العباد لا تنفع صاحبها الا اذا كانت على الوجه الحق والالء فانه لا يحصل منها الا على الخيبة والوبال • وان المكلف (٢) لا يحمل شيئاً من اثم عمل غيره اذا لم يكن راضياً به ولو كان ذلك العمل متسبباً عنه اذا لم يكن متسبباً هو فيه • وان المكلف مطالب بان يطلب أسباب القرب الى الله بجد واجتهاد وان يكون جامعاً بين الرجاء والخوف في سلوكه •

التطبيق :

نعرف كثيراً من الصالحين — رحمهم الله تعالى — قد شيدت عليهم القباب ونذرت لهم النذور وقصدوا لقضاء الحاجات ودعوا في المهمات وكان ذلك كله مما أحدثه المحدثون بعدهم وبالغ

(١) كذا في الاصل والصواب : يدعونهم •

(٢) في الاصل : المكلف •

فيه المستغلون له ممن ينتمون اليهم فهم — ان شاء الله تعالى — براء
من اثم ذلك كله وانما اثمه على فاعليه •

عبرة وتحذير :

يأتي يوم القيامة أولئك الذين كانوا يدعون الملائكة
والجن المسلمين وعباد الله الصالحين ويحسبون أنهم ينفعونهم في ذلك
اليوم • فيتبرأ منهم أولئك الذين كانوا يعبدونهم بدعائهم ويتركونهم
في ذلك الموقف العصيب • فما أمرٌ خبيثهم يومذاك وما أعظم حسرتهم
ويالها من عبرة لقوم يعقلون •

فحذار يا اخواننا من هذه العاقبة السيئة وهذا الموقف المخزي ،
فبادروا الى توحيد الله بالدعاء الذي هو مخ العبادة ، واقتصروا في
جانب الصالحين على محبتهم والترضية عليهم وسؤال الرحمة لهم
والاقتداء بهم فيما كان منهم من طاعة وخير ولا تعظموهم بما لا يكون
الا لله رب العالمين •

والله نصرنا بالحق ويهدينا اليه ويجعلنا من حزه ويميتنا عليه
آمين يا رب العالمين (١) •



(١) ش : ج ١٢ ، م ٦ ، ص ٧٦٨ - ٧٢٣
غرة شعبان ١٣٤٩ هـ - جانفي ١٩٣٠

الطور الأخير لكل أمة وعاقبته

« وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا » (١) .

تمهيد :

الأمم كالأفراد ، تمر عليها ثلاثة أطوار ، طور الشباب ، وطور
الكهولة ، وطور الهرم ، فيشمل الطور الأول نشأتها الى استجماعها
قوتها ونشاطها ، مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة ، ويشمل
الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة
السلطان الى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من
ذلك ، بما كان فيها من مواهب وما كان لها من استعداد وما لديها من
أسباب . ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف
والانحلال ، الى أن يحل بها الفناء والاضمحلال . اما باقراضها من
عالم الوجود ، واما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال ، وما من
أمة الا ويجري عليها هذا القانون العام ، وان اختلفت أطوارها في
الطول والقصر كما تختلف الأعمار .

هذه السنة الكونية التي أجرى الله عليها حياة الأمم في هذه الدنيا
أشار اليها في كتابه العزيز في غير ما آية . فذكر أعمال الأمم وانها
مقدرة محددة بأجلها في مثل قوله تعالى : « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ »

(١) ٥٨/١٧ الاسراء .

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (١) . وذكر انشاء الأمم على أثر الهالكين في مثل قوله تعالى : « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ » (٢) . وذكر طور شباب الأمة ودخولها معترك الحياة في مثل قوله تعالى : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (٣) فان بني اسرائيل ماستخلفوا في الأرض حتى قوا واشتدوا وتكونت فيهم أخلاق الشجاعة والنجدة والحمية والانفة بعد خروجهم من التيه ، وذلك هو الطور الأول ، طور الشباب للأمة الاسرائيلية ، وذكر الطور الثاني ، وهو طور الكهولة واستكمال القوة وحسن الحال ورغد العيش في مثل قوله تعالى : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ » (٤) . وذكر الطور الثالث طور الضعف والانحلال في مثل قوله تعالى : « وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا » (٥) واهلاكهم يكون بعد اسباغ النعمة واقامة الحججة عليهم وتمكن الفساد فيهم وتكاثر الظلم منهم ، فاهلاكهم هو نهاية الطور الثالث من أطوار الأمم الثلاثة . والى خاتمة الطور الثالث وعاقبته جاء البيان في قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا

(١) ٣٣/٧ الاعراف .

(٢) ١١/٢١ الانبياء .

(٣) ١٢٨/٧ الاعراف .

(٤) ١١٢/١٦ النحل .

(٥) ٦٠/١٨ الكهف .

نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا
شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا .

الإلفاظ :

القرية : المساكن المجتمعة ، ومادة (ق ري) تدل على الجمع ،
فتصدق على القرية الصغيرة والمدينة الكبرى ، وتطلق القرية مجازاً
على السكان اطلاقاً لاسم المحل على الحال . ومنه هذه ، و (الاهلاك) :
الابادة والافناء بالاستئصال ، كما فعل بعاد وثمود . و (قبل يوم
القيامة) : أي في الدنيا ، و (العذاب الشديد) : كأمراض الأبدان
وفساد القلوب وانحطاط الأخلاق وافتراق الكلمة وتسليط الظلام ،
كما أرسل على بني اسرائيل عباداً أولي بأسٍ شديد فساؤا وجوههم
وجاسوا خلال ديارهم ، وكتسليط أهل الحق على أهل الباطل ،
وكالجذب والقحط وجوائح الأرض وجوائح السماء و (في الكتاب)
أي اللوح المحفوظ و (مسطوراً) : أي مكتوباً اسطاراً مينا .

التراكيب :

(ان) نافية . و (من) زیدت لاستغراق الجنس
وتأكيد العموم و (الا) أفادت مع ان النافية حصر كل قرية في أحد
الأمريين من الهلاك والعذاب الشديد ليعلم أن لا نجاة لكل قرية من
أحدهما قطعاً . و (أو) تفيد أحد الشئيين المذكورين على الابهام
وعدم التعيين . و (ذلك) اشارة الى المذكور من الهلاك والتعذيب .

المعنى :

يقول تعالى : ما من قرية على وجه الأرض الا ولا بد أن يحل بها
منا هلاك وفناء بما يبدها ويفنيها ، أو عذاب شديد لا يفنيها ولكنه
يذيقها أنواع الآلام وشديد النكال ، كان هذا قضاء سابقاً في علمنا
ماضياً في ارادتنا مكتوباً أسطاراً في اللوح المحفوظ .

الأحكام :

أحكام الله تعالى : أحكام شرعية وهي التي فيها بيان ما شرعه لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم اذا ساروا عليه ، وأحكام قدرية ، وهي التي فيها بيان تصرفه في خلقه على وفق ما سبق في علمه ، وما سبق في ارادته . والأحكام الشرعية تقع من العباد مخالفتها فيختلف مقتضاها من الفعل أو الترك ، والأحكام القدرية لا تتخلف أصلاً ولا يخرج المخلوقات عن مقتضاها قطعاً . وفي هذه الآية حكم من أحكامه القدرية ، وهو أن كل قرية لا بد أن يصيبها أحد الأمرين المذكورين بما سبق من علمه وما مضى من ارادته ، فلا يتخلف هذا الحكم ولا تخرج عنه قرية .

ايضاح وتعليل :

الله حكم عدل حكيم خبير ، فما من حكم من أحكامه الشرعية الا وله حكمته ، وما من حكم من أحكامه القدرية الا وله سببه وعلته . لا لوجوب أو ايجاب عليه ، بل بمحض مشيئته ، ومقتضى عدله وحكمته . قد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك أو العذاب الشديد في هذه الآية ، وبين في غيرها سبب استحقاقها لها فقال تعالى : « وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا »^(١) ، « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ »^(٢) « وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ »^(٣) « وَكُأَيِّنُّ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ظَالِمَةً »^(٤) .

(١) ٦٠/١٨ الكهف .

(٢) ١١٨/١١ هود .

(٣) ٥٩/٢٨ القصص .

(٤) ١١/٢١ الانبياء .

الطور الأخير لكل أمة

وَرَسُولِهِ فَحَاسِبْتَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّةً بِنَاهَا عَذَابًا
تَكَرَّرًا» (١) .

« وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ
اللَّهِ ، فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالنَّخْوِوفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ » (٢) فأفادت هذه الآيات ان سبب الهلاك والعذاب هو
الظلم والفساد والعتو والتمرد عن أمر الله ورسله والكفر بأنعم الله .
وما ربك بظلام للعبيد .

توجيه :

الطور الأخير للأمم هو الذي ذكر في الآيات كثيراً دون الطور
الأول والثاني . ووجه ذلك أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد
ويعظم فيه الظلم وينتهي فيه الاعذار للأمة ويحل فيه أجلها ، فينزل
بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب . فكرر ذكر هذا الطور لزيادة
التحذير منه والتخويف من سوء عاقبته والحث على تدارك الأمر فيه
بالاقتلاع من الظلم والفساد والرجوع الى طاعة الله تعالى ، واعمال يد
الاصلاح في جميع الشؤون فيرتفع العذاب ، بزوال ما كان لنزوله
من أسباب .

استنتاج وتطبيق :

القرى التي قضى عليها بالهلاك والاستئصال هذه قد انتهى أمرها
بالموت وفات عن العلاج مثل عاد وثمود من الأمم البائدة .
وأما القرى التي قضى عليها بالعذاب الشديد فهذه لا تزال بقيد الحياة
فتداركها ممكن وعلاجها متيسر . مثل الأمم الاسلامية الحاضرة .

(١) ٨/٦٥ الطلاق .

(٢) ١١٢/١٦ النحل .

فما لا شك أن فينا لظلماً وعتواً وفساداً وكفراً بأنعم الله ، واتنا من جراء ذلك لفي عذاب شديد . ولا نعني بهذا أن الأمة الاسلامية مخصوصة بهذا ، بل مثلها وأقوى منها في أسباب العذاب والهلاك غيرها من أمم الأرض . وأن لهم لتسطهم من العذاب الشديد ، وإذا لم يأت المقدر المائل من الهلاك أو العذاب لما عندهم من أسبابها فلائته لكل أمة أجل" ولما يأت ذلك الأجل بعد . فاذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

ارشاد واستنهاض :

قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقاً وقدراً بمشيئته وحكمته لنتهدي بالأسباب الى مسبباتها ونجتبها باجتتاب أسبابها ، وقد عرفنا في الآيات المتقدمة بأسباب الهلاك والعذاب لتتقي تلك الأسباب فنسلم أو نفلح عنها فننجو ، فان بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب . وقد ذكر لنا في كتابه أممة اقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعد ما كان ينزل بها ، ليؤكد لنا ان الاقلاع عن السبب ينجي من المسبب فقال تعالى : « إِلاَّ قَوْمٌ يَثُوثٌ كَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَسَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ » (١) فبمادرتهم للايمان واقلاعهم عن الكفر كشف عنهم العذاب ، وأرشدنا في ضمن هذا الى العلاج الناجع في كشف العذاب وابطال أسبابه ، وهو الايمان . كما أرشدنا اليه أيضاً في قوله تعالى قبل هذا : « فَلَولا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ فَتَعَمَّها إِيمانُها » (٢) أي نجاها من العذاب ، وذكر قوم يونس دليلاً على ذلك . وأرشدنا اليها أيضاً في قوله تعالى : « وَكَلُوا أَنَّهُ أَهْلُ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » (٣)

(١) و (٢) ١٠/٩٨ يونس .

(٣) ٧/٩٥ الاعراف .

فلايمان والتقوى - هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا اذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب . ولا تنهض بهذا العلاج العظيم الا اذا قمنا متعاونين أفراداً وجماعات ، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه وبدا به في نفسه ، ثم في من اليه ثم في من يليه من عشيرته وقومه ، ثم جميع أهل ملته . فمن جعل هذا من همه وأعطاه ما قدر عليه من سعيه كان خليقاً أن يصل الى غايته أو يقرب منها . ولنبدأ من الايمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات ، ولنستشعر أخوة الايمان التي جعلنا كجسد واحد ، ولنشرع في ذلك غير محتقرين لأنفسنا ولا قانطين من رحمة ربنا ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا ، فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الاصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله ، وليكن دليلنا في ذلك وأماننا كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وسيرة صالح سلفنا . ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق ويبصرنا في العلم ويفقهنا في الدين ويهدينا الى الأخذ بأسباب القوة والعز والسيادة العادلة في الدنيا ، ونيل السعادة الكبرى في الأخرى . وليس هذا عن العاملين ببعيد . وما هو على الله بعزيز .

رجاء وتفاؤل :

ان المطلع على أحوال الأمم الاسلامية يعلم أنها قد شعرت بالداء ، وأحست بالعذاب ، وأخذت في العلاج ، وأن ذلك وان كان يبدو اليوم قليلا لكنه - بما يحوطه من عناية الله وما يبذل فيه من جهود المصلحين - سيكون باذن الله كثيراً وعسى أن يكون في ذلك خير" لأمم الأرض أجمعين .

حقق الله الآمال وسدد الأعمال بلطف منه وتيسير ، انه نعم المولى ونعم النصير^(١) .

(١) ش : ج ١ م ٧ ص ١ - ٦ رمضان ١٣٤٩ - فيفري ١٩٣١

التكريم الرباني للنوع الانساني

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (١) .

اللفة :

(كرمنا) : الكرم ضد اللؤم ، يوصف به الشيء لشرفه في ذاته
بكمال صفاته أو لحسن أفعاله وما يصدر عنه من النفع لغيره ، فيقال
فرس كريم وشجرة كريمة وأرض كريمة اذا حسنت هذه الأشياء في
ذواتها وكملت فيها صفات أنواعها ، ويقال نفس كريمة اذا كملت
بمحاسن الأخلاق التي بها كمال النفوس . وقالت بلقيس في كتاب
سليمان عليه السلام : « إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا » (٢) .
لأنه كان على أكمل ما تكون عليه الكتب من بيان اسم مرسله
وذكر اسم الله تعالى في أوله وختم على ما فيه . هذا كله من كرم
الذات بما كمل فيها من صفات . ووصف جبريل بأنه رسول كريم
لشرف ذاته الملكية وحسن أفعاله بما كان على يده من نفع للخلق
بتبليغ الوحي والهدى . وهذا من كرم الذات والأفعال ، وهو الكرم
الكامل الذي يكون بشرف الذات ونفع الأفعال . ويقال كرم الشيء
— بضم الراء — لازماً ، ويتعدى بالهمز والتضعيف ، فيقال أكرمته

(١) ٧/١٧ الاسراء .

(٢) ٢٩/٢٧ النمل .

التكريم الرباني للنوع الانساني

وكرمه بمعنى واحد ، أي فعلت له فعلا فيه رفعة له ومنفعة • فكرمنا بني آدم ، أي فعلنا لهم ما فيه رفعتهم ومنفعتهم ، من انعاماتنا عليهم • (وَحَمَلْنَاَهُمْ) من الحمل بمعنى الرفع أي أركبناهم ورفعناهم على المركوبات مثل قوله تعالى : « وَلَا عَلَيَّ الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَخِذِلَهُمْ قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » (١) • « وَحَمَلْنَاَهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدَشَّرُ » (٢) • « ذَرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ » (٣) • و « الطَّيِّبَاتِ » ما يطيب للأكل والشرب مما يلذ في الطعام وتحمد عاقبته ، فلا يكون الطيب إلا حلالا لأن غير الحلال - وإن لذ طعمه في بعض أقسامه فانه - لا تحمد عاقبته بما فيه من اثم ، وتبعة ، وما يكون فيه من ضرر • (وَفَضَّلْنَاَهُمْ) : من الفضل بمعنى الزيادة أي صيرناهم ذوي فضل وزيادة في الكرامة كما تقول : فضلت زيدا على عمر في العطاء ، أي صيرته ذا فضل وزيادة عليه فيه •

التراكيب :

متعلق حملناهم محذوف لقصد التعميم المناسب لتمام الامتنان بالتكريم مع الاختصار ، تقديره : على كل ما يصلح لحملهم عليه •

المعنى :

يقول تعالى : « ولقد أنعمنا على بني آدم نعماً عظيمة كثيرة في خلقتهم من تركيب أبدانهم وأرواحهم وعقولهم ، وفي حياتهم بما

(١) ٩٣/٩ التوبة .

(٢) ١٣/٥٤ القمر .

(٣) ٣/١٧ الاسراء .

مكناهم منه من أسباب السلطان على غيرهم من الخلق من عالم الجماد والنبات والحيوان ، وتسخير هذه العوالم لهم يحصلون منها منافعهم ، فأوصلنا اليهم هذه النعم وكرمناهم بها فنفعناهم ورفعنا أقدارهم • ومن هذا التكريم والانعام الذي فيه المنفعة وفيه الرفعة أننا سخرنا لهم ما يركبونه في البر والبحر ومكناهم من أسباب تسييره والارتفاع به واتنا بثنا لهم على وجه الأرض أنواعاً من المأكّل والمشارب اللذيذة المباحة من النبات والحيوان والجماد ، فخلقناها صالحة لغذائهم ومكناهم من أسباب تحصيلها واصلاحها والتفنن فيها • فكان لهم بذلك كله زيادة بينة من نعمتنا ، وفضل محقق على كثير من مخلوقاتنا •

مسائل :

المسألة الاولى : تكريم الله تعالى لخلقه ، قسمان : أحدهما عام والاخر خاص ، فأما العام : فهو اخراجه لهم من العدم الى الوجود ، واعطاوه لكل شيء منهم خلقته اللائقة به من تركيب أجزاء ذاته وتعديل مادة تكوينه ومن أعضائه - اذا كان من ذوي الأعضاء - التي يحتاج اليها في حياته لجلب ما ينفعه ودفع ما يضره ، وهدايته والهامة ما خلق صالحاً لذلك الى استعمال تلك الأعضاء وطرق الجلب والدفع بها •

وأما الخاص : فهو تكريمه وانعامه على عباده المؤمنين بنعمة الاسلام في الدنيا ، وبدار السلام في الأخرى • والتكريم المذكور في هذه الآية من القسم الأول العام كما سيتبين في المسألة الرابعة •

المسألة الثانية : جميع المخلوقات التي أخرجها الله تعالى من الوجود الى العدم وان كانت متساوية في أصل التكريم العام • فانها متفاوتة فيه بحسب تفاوتها في شرف الذات وكمال الخلقة • فعالم النبات أكثر حظاً في التكريم من عالم الجماد ، وعالم الحيوان أكثر

التكريم الرياني للنوع الانساني

حظاً منها ، ونوع الانسان أكثر حظاً في التكريم العام من جميع
الحيوان .

المسألة الثالثة : عظم حظ الانسان من هذا التكريم من جهة ذاته
بحسن صورته واعتدال مزاجه ، ومن جهة روحه بأنها من العالم
النوراني العلوي وبأنها مع اتصالها بالبدن قابلة للتخلي بأكمل الصفات
وأطهر الأخلاق ، ومن جهة عقله الذي به ادراك الحقائق وحصول
المعارف ، وعرف الأسباب ومسبباتها ووجوه ارتباطها واتصالاتها ،
ونسبة بعضها الى بعض ، فملك وساد واستفاد وأفاد .

المسألة الرابعة : هذا التكريم المذكور في المسألة السابقة هو عام
للنوع الانساني من حيث هو انسان لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر ،
لأنه راجع للخلقة الانسانية التي يتساوى فيها الجميع ، والتمكين من
أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بما عنده من عقل وتفكيره .
وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ (بني آدم) ومثل هذا
التكريم في العموم الحمل في البر والبحر والرزق لأنها من جملة
التكريم ، كما تقدم في فصل بيان المعنى .

المسألة الخامسة : تفضيل الله تعالى لمن يشاء من خلقه قسماً :
تفضيل في الخلقة وتفضيل في الجزاء والثوبة . فمن الأول تفضيل
بني آدم المذكور في هذه الآية بما كرموا به وأعطوه في خلقتهم من
الوجوه المتقدمة زائداً على كثير من مخلوقات الله مما كانت لهم به
الرفعة والمنفعة لجميع نوعهم على العموم . ومن الثاني تفضيل
المجاهدين على القاعدين في قوله تعالى : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ^(١) » .

(١) ٩٤/٤ النساء .

المسألة السادسة : اقتضى قوله تعالى : « وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ » ، أي بما كرمناهم به في خلقهم أنهم لم يفضلوا على جميع مخلوقات الله ، وان بعض المخلوقات أفضل منهم في الخلقة وأكثر منهم كرمًا في الجنس ، فمن هو هذا المخلوق المفضل عليهم ؟ هذا ما نبينه في المسألة التالية .

المسألة السابعة : اذا نظرنا في عوالم المخلوقات فاننا نجدها منقسمة الى قسمين : قسم مشاهد ، وقسم غير مشاهد علمناه بالوحي الصادق من الكتاب والسنة . فالقسم الأول : هو عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان ، وهذا القسم كله قد فضل عليه الانسان بميزة عقله التي ساد بها الجميع وبغيرها مما تقدم . والقسم الثاني : هو الملائكة والجن . فأما الجن ، فالانسان أشرف منهم خلقة وأكرم عنصرًا فهم ظلمانيون خلقوا من النار . وهو ترابي وروحه من عالم النور الذي هو عالم الملائكة . فلذا كان أهلاً لاصطفاء الرسل منه كما اصطفيت من الملائكة ولم يصطف من الجن رسول ولا نبي . وأما الملائكة فخلقهم أشرف من خلقة الانسان وأكرم لأنهم خلقوا من نور محض منزهة لأجسام النورانية عن كثافة الأجساد الانسانية الترابية واخلاطها وظلمتها . فلم يفضل عليهم النوع الانساني عن الخلقة بل فضلوا عليه فهم غير الكثير الذي فضل عليه الانسان .

المسألة الثامنة : المفاضلة تقع بين الملائكة وبنو آدم على وجهين : اما من جهة الخلقة واما من جهة المثوبة . فأما من جهة الخلقة فقد عرفنا في المسألة المتقدمة أن الملائكة أفضل ، والآية ظاهرة في ذلك ظهوراً بيناً . وأما من جهة الأجر والمثوبة فهو خارج عن معنى الآية وموضوعها . وأفضل الخلق — صلى الله عليه وآله وسلم — أفضل منهم قطعاً ، وفي المفاضلة بين الأنبياء والملائكة في الأجر والثواب خلاف كبير وتفويض أمر ذلك الى الله تعالى في مقام التذكير أسلم .

التكريم الرباني للنوع الانساني

سلوك المكرمين - حكمة الامتنان بتكريم الانسان :

امتن الله تعالى على بني آدم بهذا التكريم لهم في شرف الخلقه ورفعتها ، وكثرة المنفعة وتيسير اسبابها تذكيراً لهم بنعمته ليشكروها فيزيدهم منها ، وتعريفاً لهم بشرف أنفسهم ليقدروها فينتفعوا بها ، فهذان الأمران هما الحكمة المقصودة بهذا الامتنان . فلنتكلم عليها في الفصلين التاليين .

شكر العبد لنعمة ربه :

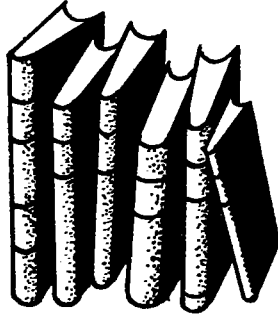
قد ابتدأنا بهذه الكرامة في الخلقه ، بدون سعي منا ولا عمل ، وهو المبتدئ ، بالنعم قبل استحقاقها . فمن قبل هذه الكرامة وشكرها كان من المكرمين ، ومن لم يعرف قيمتها وكفرها كان من المهانين . ومن يهن الله فما له من مكرم ، فلنقابل هذا التكريم في الخلقه بالشكر الجزيل بأن نعقد قلوبنا على تعظيم النعمة به ، ونطلق ألسنتنا بالاعتراف والثناء على مسديه ، ونستعمل هذه الخلقه الكريمة في مرضي ربنا وطاعته . متوسلين بشكر ما ابتدأنا به خالقنا من تكريم الخلقه ، الى ما وعد به الشاكرين من تكريم الجزاء والثوبة ، بأنواع ألطافه وانعامه وجزيل فضله واکرامه . فسبحانه ذا الجلال والاکرام .

معرفة العبد لقدر نفسه :

قد استودعنا خالقنا خلقه كريمة ، فعلياً أن نعرف قيمتها وأن نقدرها قدرها . وحق على من كرمه ربه أن يكرم نفسه ، فعلياً أن نكرم أنفسنا بتكريم أرواحنا بتنزيهها عن مساوئ الأخلاق وتحليلتها بمكآرمها . وتكريم عقولنا بتنزيهها عن الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات ، وربطها على العلوم والمعارف وصحيح الاعتقادات وتكريم جوارحنا بتنزيهها عن المعاصي وتجميلها بالطاعات فتتحرسى

آثار ابن باديس

بأقواننا وأفعالنا أكرم الأقوال وأكرم الأعمال • وتترفع عن جميع الرذائل والدنايا ، وتتباعد عن كل مواطن السوء والسفالة ونحفظ كرامتنا وشرفنا أمام الله والناس ونجتهد أن لا يمسنا بسوء لا منّا ولا من غيرنا • فاذا قدرنا - هكذا - أنفسنا ، وشكرنا - كما تقدم - ربنا بلغنا - باذن الله تعالى - أبعد الغايات من التكريم والتفضيل • يسرنا الله والمسلمين أجمعين لما يسر له عباده المكرمين المفضلين برحمتك يا أرحم الراحمين^(١) •



(١) ش: ج ٢، م ٧، ص ٧٨ - ٨٣ غرة شوال ١٣٤٩ مارس ١٩٣١

الصلاة لأوقاتها

« أقم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً » (١) .

المفردات :

(أقم) أمر ، من أقام ، أي اجعلها قائمة وذلك بحفظها ،
والمحافظة عليها ، وحفظها صونها من الخلل في شروطها ، وأركانها
من أقوالها ، وأعمالها في الظاهر والباطن ، والمحافظة عليها
بالمداومة عليها في أوقاتها ، (الصلاة) : المراد الصلوات الخمس
المكتوبة . (لِدُلُوكِ) اللام ، لام الأجل والسببية (الدلوك)
هو الميل ، وبدايته عند الزوال ، ونهايته بالغروب . (الى) : لانتهاه
الغاية ، فغسق الليل هو نهاية غاية الإقامة . (الغسق) : هو ظلمة
الليل وبداية الظلمة بالغروب وتامها بعد مغيب الشفق ، عند اشتداد
الظلمة . (قُرْآنَ الْفَجْرِ) : ما يقرأ به في صلاة الفجر - وهي
الصبح - من القرآن ، فسميت قرآنا من تسمية الكل باسم جزئه
تسيهاً على أهمية ذلك الجزء ومكاته . (مَشْهُوداً) : محضورا .

التركيب :

أفادت اللام السببية أن ميل الشمس سبب في وجوب
الصلاة والى عند التجرد عن القرائن لا يدخل ما بعدها في حكم

(١) ٧٨/١٧ الاسراء .

ما قبلها ، لكن هنا قامت القرينة الشرعية — وهي مشروعية الصلاة في الليل — على أن ما بعد الى داخل في حكم ما قبلها ، فهو محل أيضاً لاقامة الصلاة فيه ، وقرآن الفجر منصوب عطفاً على الصلاة ، وخصت بالذكر ، لأنها لم تكن عند ميل الشمس ، ولا عند الغسق ، بل تكون عند الوقت الذي أضيفت اليه وهو الفجر . وجملة « إن قرآنَ الفجرِ كانَ مشهوداً » تذييل لتأكيد إقامته صلاة الفجر .

المعنى :

أقم يا محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — وأمره أمر لأتمته لأتكمهم أمورون بالاعتداء به — الصلاة لأجل ميل الشمس ، فأد الظهر والعصر ، وفي غسق الليل ، فأد المغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر انها صلاة مشهودة .

بيان وتوجيه :

هذه الآية قد انتظمت أوقات الصلوات الخمس ، ووجه ذلك بوجوه : الأول : أن الظهر تكون أول الميل ، والعصر تكون وسطه ، وأن المغرب تكون عند أول الغسق ، والعشاء تكون عند شدته بمغيب الشفق ، والصبح عند الفجر . الثاني : أن الظهر عند أول الميل ، والعصر عند وسطه ، والمغرب عند نهايته ، والعشاء عند الغسق ، أي اشتداد الظلمة بمغيب الشفق . والفرق بين الأول والثاني أن الأول اعتبر المغرب عند بداية الظلمة ، والثاني اعتبرها عند تمام الميل ، وهما في الواقع متلازمان ، فانه اذا تم الميل ابتدأت الظلمة . الثالث : ولم أراه لأحد واللفظ يحتمله — أن ميل الشمس يتبدىء بالزوال ، وينتهي فيما يرى لنا بالبصر بمغيب الشفق ، غير أن ميلها في الزوال والغروب مشاهد بمشاهدة ذاتها ، وميلها بعد الغروب

الصلاة لاوقاتها

مستدل عليه بما يشاهد من أخذ الشفق في المغيب الى أن يغيب بشامه ، ولا شك أن ذلك نتيجة ميلها من وراء الأفق ، فالصلوات الأربع على هذا واجبة لدلوك الشمس ، وأما غسق الليل ، فهو اشتداد ظلمته ، وذلك يكون على أتمه بعد مضي الثلث الأول من الليل ، فيكون غسق الليل بهذا المعنى خارجاً عن حكم ما قبل الى ، لأن وقت العشاء ينتهي بانقضاء الثلث الأول ، فالأوقات عند غسق الليل •

تفسير نبوي :

أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : **تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار ، في صلاة الفجر ، ثم يقول أبو هريرة : فاقروا إن شئتم « إنَّ قرآنَ الفجرِ كانَ مَشهُوداً »** • فاستشهد أبو هريرة بالآية على الحديث ليين انه تفسير لها ، وأن صلاة الفجر مشهودة تشهدا ملائكة الليل ، وملائكة النهار . وجاء هذا عند أحمد عن ابن مسعود مرفوعاً الى النبي - صلى الله عليه وسلم - • وجاء اجتماع الملائكة بأبسط من هذا عند مالك رحمه الله فأخرج في موطنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون** •

استنباط :

من تخصيص صلاة الفجر بجملة التذليل المؤكدة ، وما اشتملت عليه من هذه الزية ، أخذ جماعة من أهل العلم بأفضليتها

على غيرها ، فان قلت أن صلاة العصر أيضا لها هذه المزية ، كما تقدم في حديث مالك ، قلت ان ثبوت هذه المزية للفجر قطعي بنص القرآن ، ومتفق عليه في روايات الحديث ، بخلاف العصر فقد جاء في بعض الروايات دون بعض وتبقى الفجر ممتازة بتخصيصها بالتأكيد في نص الكتاب وكفى هذا مرجحا لها •

ترغيب وترهيب :

قد جاء عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الترغيب في امثال هذا الأمر (أقم الصلاة) وفي الترهيب من مخالفته من الأحاديث ما فيه مقنع ومزدجر ، فمما جاء فيهما حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : خمس صلوات كتبهن الله عزَّ وجلَّ على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافاً بحقهن ، كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة رواه مالك وغيره • ومما جاء في الترغيب حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : ارايتم لو ان نهراً بباب احدكم يفتسل فيه كل يوم خمس مرات هل بقي من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء • قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا • رواه الشيخان في صحيحهما ، ومما جاء في الترهيب حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة • رواه مسلم وغيره بنحوه • وحديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه أحمد وأصحاب السنن ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم •

الإحكام :

قد قال بكفر تارك الصلاة جماعات كثيرة من الفقهاء والمحدثين سلفاً وخلفاً مستدلين بحديث جابر وحديث بريدة الصريحين في كفره ، وذهبت جماعات أخرى كذلك الى عدم كفره على عظم جرمه ، مستدلين بحديث عبادة بن الصامت المتقدم الصريح في جعله في المشيئة ، والكافر مقطوع له بدخول النار ، ويجيون عن حديث جابر وبريدة بأن المراد من كفر تارك الصلاة هو الكفر العملي ، والكفر قسمان : اعتقادي وهو الذي يصاد الايمان ، وكفر عمل ، وهو لا يصاد الايمان ، ومنه كفر تارك الصلاة غير المستحل للترك ، وكفر من لم يحكم بما أنزل الله كذلك . وبهذا يجمع بين الأحاديث . وكفى زاجراً للمرء عن ترك الصلاة أن يختلف في ايمانه هذا الاختلاف .

تعليم :

في ربط الصلاة بالأوقات تعليم لنا لربط أمورنا بالأوقات ونجعل لكل عمل وقته ، فللنوم وقته ، وللأكل وقته ، وللراحة وقتها ، ولكل شيء وقته . وبذلك ينضبط للانسان أمر حياته وتطرد له أعماله ، ويسهل عليه القيام بالكثير من الأعمال . أما اذا ترك أعماله مهملّة غير مرتبطة بوقت فانه لا بد أن يضطرب عليه أمره ويتشوش باله ، ولا يأتي الاّ بالعمل القليل ، ويحرم لذة العمل ، واذا حرم لذة العمل أصابه الكسل والضجر ، فقل سعيه ، وكان ما يأتي به من عمل - على قلته وتشويشه - بعيداً عن أي اتقان . وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مقسماً لزمانه على أعماله ، وفيه القدوة الحسنة . فقد روى عياض رضي الله عنه في (الشفا) عن علي رضي الله عنه قال : كان - صلى الله عليه وآله وسلم - اذا أوى الى منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء فجزء الله وجزءاً

لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته في جزء الأمة ايشار أهل الفضل باذنه ، قسمته على قدر فضلهم في الدين ، منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاكل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة ، من مسألته عنهم ، واخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة اه .

فهكذا ينبغي للمسلم أن يقسم أوقاته على أعماله ويعمرها كلها بالخير . وكما ربط الله له صلاته بالأوقات ، وهي من أمور دينه ، كذلك يربط هو بالأوقات جميع أمور دنياه والله نسأل لنا ولجميع المسلمين أن يقصرنا على طاعته ويفقهنا في أسرار دينه ، ويوفقنا الى اتباع سنة رسوله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام^(١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ٧ ، ص ١٤٥ - ١٤٩ غرة ذي القعدة ١٣٤٩ هـ
مارس ١٩٣١ م .

نافلة الليل وحسن عاقبتها

« وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا » (١) .

الألفاظ :

من : للتبويض . الهجود ، النوم والهاجد النائم وج (٢) هجود ومنه (ألا طرقتنا والرفاق هجود) والتهجد ترك الهجود ، كالتحرج والتأثم في ترك الاثم والجرح ، وبناء تفعل يكثر في التحصيل كتعلم وتقدم ، وجاء قليلا في معنى الترك ، والمراد منه هنا ترك النوم للقيام بالعبادة ، للنافلة . قال الجوهرى : عطية التطوع من حيث لا تجب ومنه نافلة الصلاة اه . أي أن الصلاة مؤداة على وجه التطوع دون الوجوب ، فلذا قيل فيها : نافلة . وهي على كلام الجوهرى بمعنى الشيء الزائد ، فهي اسم غير مصدر . قال ابو البقاء وغيره : النافلة الزيادة ، فهي مصدر كالعاقبة . عسى : للرجاء ، وهي من الله تعالى على الوجوب ، لأن اطاعه تعالى لعباده في الجزاء على أعمالهم هو من وعده ، ومحال عليه تعالى أن يخلفه . مقاما : محل القيام . محمودا مشيا عليه .

التراكيب :

من الليل متعلق بفعل محذوف دل عليه تهجد تقديره أسهر .

(١) ٧٩/١٧ الاسراء .

(٢) كذا في الاصل ويقصد به (جمع) .

الضمير في به عائد على القرآن لتقدم ذكره ولا تراعى الاضافة .
والباء باء الاداة لأن التهجد بمعنى التعبد يحصل بالقرآن ، أي بالصلاة
ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على الليل ، فالباء بمعنى في ، أي فيه .
نافلة : مصدر منصوب بتهجد لاتفاقهما في المعنى . والتقدير : تنفل
نافلة ، وهذا يجري على الوجهين في معاد الضمير . ويحتمل أن يكون
حالا . وهذا يجري على عود الضمير على القرآن بمعنى الصلاة .
مقاماً : اما مصدر من غير لفظ عامله الذي هو يبعثك بمعنى يقيمك
من مرقدك ، واما ظرف أي يبعثك في مقام ، ومحموداً : صفة لمقام ،
ولكن الذي يحمد حقيقة هو القائم في المقام ، فجعل الحمد للمقام
توسعاً تسيهاً على عظم الحمد وكثرته ، فانه فاض على صاحب المقام
حتى غمر مقامه .

المعنى :

أسهر بعضاً من الليل فتعبد بالقرآن في الصلاة زيادة على
تعبدك به في صلاة فرضك فتكون على رجاء أن يبعثك ربك من
مرقدك يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فيقيمك مقاماً يحمدك فيه
جميع الناس لما يرون لك من فضل وما يصل اليهم بسببك من خير .

وفي الآية مسائل :

المسألة الاولى : كيف يكون التهجد ؟ فأما اللفظ فانه يفيد ترك
النوم للعبادة فيشمل تركه كله أو بعضه بأن لم ينم أصلاً أو لم ينم
أولاً ثم رقد أو نام أولاً ثم قام . لكن ثبت أن النبي - صلى الله
عليه وآله وسلم - كان ينام ثم يقوم ، فبينت السنة العملية أن التهجد
المطلوب هو القيام بعد النوم .

المسألة الثانية : هل كان قيام الليل فرضاً عليه - صلى الله عليه
وسلم - دون أمته بمقتضى قوله تعالى (نافلة لك) . قد ذهب

الى هذا جماعة كثيرة من أهل العلم سلفاً وخلفاً ، ويرد عليه أن توجيه الخطاب إليه لا يقتضي تخصيص الحكم به كما في آية : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ » وآيات كثيرة ، ولأن قيام الليل يقع من غيره فيسمى نافلة اتفاقاً ، ولحديث عائشة رضي الله عنها : « ان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة - تعني سورة الزمل - وهي مكية « قُمْ اللَّيْلَ » فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم - واصحابه حولاً وامسك الله خاتمها اثنى عشر شهراً ، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيامه تطوعاً بعد فرضه » . رواه مسلم . فهذا يدل على أنهم فهموا أن الأمر من قوله تعالى (قُمْ) لهم معه ، مع أنه موجه اليه بخطاب الأفراد ، وأنته كان فرضاً عليه وعلى الناس فصار تطوعاً عليه وعلى الناس ، ولحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما « قام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى تورمت قدماه - وهذا لمداومته على القيام كل ليلة ببضع عشر ركعة - فقليل له قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : افلا آتون عبداً شكورا » فلو كانوا يعلمون أن قيام الليل واجب عليه ويفهمونه من القرآن لما أنكروا مشفقين عليه أن يقوم بما هو واجب عليه ، ولأن قوله : (افلا آتون عبداً شكورا) يفيد أنه متطوع بهذا القيام باختيار ليؤدي شكر نعمة ربه عليه ، فان قيل ان السؤال والجواب راجعان الى تورم قدميه ، وذلك ناشيء على المداومة قيل اذا انكر الشيء الناشيء عن المداومة فقد أنكرت المداومة ، والمداومة على الفرض لا تتكر ، فبقي الدليل سالماً ، ولهذا كله هؤلاء الموردون ان قيام الليل تطوع ونقل في حقه وفي حق امته ، وبقي للأولين أن يقولوا أن قوله تعالى « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » خاص به - صلى الله عليه وآله وسلم - اتفاقاً ، وقد جعل جزاء لتعجده بالليل ، ولما كان الجزاء خاصاً به فالعمل المجزى عنه خاص به ،

فلهذا حملنا قوله على معنى دون غيرك ولما رأيناه واطب على التهجيد ولم يتركه حملناه على أنه كان مفروضاً عليه ، وحملنا نافلة على معنى انها فريضة زائدة فوق الصلوات الخمس ، فيقول المخالفون في هذا انكم حملتم النافلة على الفريضة ، وهذا خلاف أصل معناها الذي هو التطوع . وأما ما ذكرتم من خصوص الجزاء به فانا نقول ان الخطاب موجه له في الأول وفي الآخر ، ففي الأول لما لم يعارضنا معارض ألقنا به امته ، وفي الثاني لما منعنا مانع وهو اختصاصه بالمقام المحمود لم نلحقهم به ، وبقي الجزاء مساوياً للعمل في صورة اللفظ حيث كان كل منهما موجهاً اليه ، واذا تأملت في هذا البحث الذي سقناه أدركت أن القول بعدم الخصوصية هو الراجح ، فالآية حثٌ وترغيب على قيام الليل للعموم ووعد له — صلى الله عليه وآله وسلم — بالمقام المحمود .

المسألة الثالثة : ما هو المقام المحمود (هو مقامه — صلى الله عليه وسلم — للشفاعة العظمى) يشفع للخلائق وقد جهدوا من كرب الموقف فجاءوا الى كبراء الرسل عليهم الصلاة والسلام يسألونهم أن يشفعوا لهم الى ربهم ليفصل القضاء ويريحهم من كرب الموقف فيتدافع الشفاعة أولئك الرسل صلوات الله عليهم ويتصلون منها بأعذار رهيبة للرب جلّ جلاله حتى ينتهوا اليه — صلى الله عليه وسلم — فيتقدم فيشفع ويسأل فيعطى ، كما جاء هذا كله مفصلاً في الأحاديث الصحيحة المستفيضة . فبحمده الخلق كلهم لما يرون من فضله عند ربه ولما وصل اليهم من الخير المطلوب بسببه .

اختصاصه — صلى الله عليه وسلم — بالمقام المحمود ودليله :

ثم له — صلى الله عليه وسلم — بعد هذه الشفاعة العظمى شفاعات أخرى بينتها صحاح الأحاديث ، ولعموم فضل هذه الشفاعة العظمى

لأهل الموقف كلهم قال - صلى الله عليه وآله وسلم - كما في صحيح مسلم « أنا سيد الناس يوم القيامة » والسيد من يتولى أمر السواد ، فظهر عموم سيادته بعموم نفعه . وقد فسر المقام المحمود بمقام الشفاعة عبد الله بن عمر رضي الله عنه رواه عنه البخاري في صحيحه وفسره بها غيره .

المسألة الرابعة : هل المقام المحمود خاص به ؟ قد علمت من المسألة السابقة أنه مقام الشفاعة العظمى وهي خاصة به فهو خاص به ويدل عليه حديث جابر الصحيح : « من قال حين يسمع النداء - الأذان - اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة » فهو - صلى الله عليه وسلم - الموعود بالمقام المحمود .

تنبيه والحاق :

قد جعل الله تعالى جزاء نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - على تهجده وخلوته بربه في مناجاته هذا المقام الذي يحمد فيه الخلق ويتقبل فيه شفاعته ويستجيب دعوته ويفتح عليه فيه بمحامد من ذكره لم يفتح عليه بها قبل ، ففي هذا تنبيه للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جنح الليل ، وما يكون لهم من مقامات عند ربهم على حسب منازلهم . فكما كان المؤمنون ملحقين بنبيهم - صلى الله عليه وآله وسلم - في مشروعية هذه العبادة كذلك هم ملحقون به في حسن الجزاء عليها . وان كان قد خصص هو عليه السلام بذلك الجزاء الأعظم فلهم جزاؤهم من مقامات القرب ، والزلفى والقبول ، والرضا ، على ما يناسب منازلهم جزاء بما كانوا يعملون^(١) .

(١) ش: ج، م، ٧، ص ٢٢٠ - ٢٣٠. غرة ذي الحجة ١٣٤٩ هـ -

أفريل ١٩٣١ م .

صدق المدخل والمخرج

« وَقَالَ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا » (١) .

المناسبة :

مضى في الآيات السابقة ذكر الله تعالى ما كان من المشركين من الكيد لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بمحاولتهم فتنته في دينه والله يشبهه ، ومبالغتهم في عداوته واذايته ، حتى كادوا يستفزون ويزعجون من أرض مكة فيخرجونه منها ، وجاء بعدها أمر الله تعالى باقامة الصلاة والتهجد بالليل ، وفي ذلك أمر الله له بالقيام بعبادة ربه والتوجه والاتقطاع اليه وعدم المبالاة والاشغال عن مهام العبادة بهم ، فجاء بعد ذلك الأمر الذي في هذه الآية بسؤاله أن يختار له ، وفي ذلك تفويض أمره الى ربه ورضاه بما يختار له . فالآيات السابقة أمر بالتجرد لعبادته ، وهذه أمر بالتسليم لمشيئته ، فبتلك يكون منقطعاً اليه ، وبهذه يكون معتمداً عليه .

الالفاظ :

المدخل يكون بمعنى الادخال ويكون بمعنى زمانه أو مكانه ،
الصدق : أصله وصف للقول بمعنى قوله ومطابقتها للواقع .

(١) ٨٠/١٧ الاسراء .

صدق المدخل والمخرج

ويوصف به الفعل اذا وقع على وجهه ، وكما ينبغي أن يكون • وتضاف اليه الأشياء الكاملة في أنفسها الحسنة في ظاهرها وباطنها • لذن بمعنى عند • السلطان : بمعنى التسلط ، يصدق على التسلط على العقول بالحجة وعلى غيرها بالملك والولاية • النصير : بمعنى ناصر •

التركيب :

مدخل ومخرج منصوبان على المصدرية أو على الظرفية •

المعنى :

قل يا محمد سائلا ربك متضرعا إليه ، يا رب أدخلني ادخالاً حسناً كاملاً تساوي في ظاهره وباطنه في الحسن والكمال ، وتمثلت بدايته ونهايته وحاله وعاقبته فيهما أكون فيه على بصيرة ويقين وثبات وقوة ، وأخرجني اخراجاً كذلك – وإذا كان بمعنى الظرف كان المعنى أدخلني في مكان حسن أو زمان حسن • الخ • وأخرجني كذلك – واجعل لي من عندك تسليماً بالحق على العقول بالحجة والبرهان وعلى الملك بالعدل والاحسان ، ينصرنى ويؤيدني على كل من يقف في طريق دعوتي اليك وهداية خلقك من جسارة البغي أو رؤوس الضلال •

توجيه :

قدمنا احتمال المصدرية في مدخل ومخرج لانه أعم والعوم أنسب بهذا الدعاء الجليل الذي ليس في ألفاظه ما يدل على التخصص ولما كان الذي يضاف الى الصدق لا يكون الا حسناً لا عيب فيه ثابتاً لا خلل فيه وصفنا الادخال والاخراج بما وصفناهما به لأن ذلك كله من مقتضى الحسن والكمال والثبوت • ولما كان السلطان المطلوب هو من عند الله ولا يكون الا سلطاناً بالحق سواء

أكان في العلم أم في الحكم فسرنا ، بالحجة والبرهان والعدل
والاحسان .

ترجيح :

اذا نظرنا الى ما تقدم من قوله تعالى : « وَإِنْ كَادُوا
لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا »
قيل ان المراد بمدخل الصدق هو المدينة ومخرج الصدق هو مكة
وتكون مكة مخرج صدق لأنه يخرج منها على حق ويقين وبصيرة
وباذن من الله تعالى وتأيبه وتكون المدينة مدخل صدق لذلك كذلك .
وإذا نظرنا الى عموم اللفظ حملنا الآية على العموم اعتباراً بحكم
اللفظ ولا يفوت اعتبار المناسبة لما تقدم فان الخروج من مكة ودخول
المدينة يكون ما دخل في العموم دخولاً أولاً فالحمل على العموم
— كما رأيت — محصل لا اعتبار اللفظ واعتبار المناسبة ولذلك اخترناه .

تطبيق :

كل فرد من أفراد بني الانسان في كل لحظة من لحظات
حياته لا ينفك عن المداخل والمخارج فكل ساعة يقضيها من حياته هي
مدخل باعتبار دخوله فيها من غيرها ومخرج باعتبار خروجه منها
الى سواها . فان قضاها صادق العقد صادق القول ، صادق العمل
وفارقها كذلك فهي مدخل صدق ومخرج صدق . وان قضاها وفارقها
سيء العقد سيء القول سيء العمل فهي ليست كذلك بل هي مدخل
كذب وفجور ومخرج كذب وفجور . فالانسان محتاج في كل لحظة
من حياته لتوفيق الله وتأيبه ، وحفظه وامداده ، فجاء هذا الدعاء
القرآني منبهاً على هذه العقيدة ، مشتتلاً على سؤال ما يحتاج اليه
الانسان في جميع شؤونه في حياته وأطواره فيه — من ألطاف ربه .
ولما كان الانسان في كل لحظة من حياته — لا بد — واجداً معارضاً

صدق المدخل والمخرج

وصاداً عن الخير والصدق وقاطعاً في طريق الحق - من نفسه وشياطين
الانس والجن - قرن الدعاء السابق بالدعاء الثاني الذي فيه طلب
التأييد من الله بالسلطان المبين ، فالدعاء ان - على^(١) اختصارهما
وايجازهما - فد جمعا للانسان كل حاجته من تحصيل الخير ودفع الشر
فهما من أعظم الأدوية الربانية للانسان ومن أعظم وسائله الشرعية
الى خالقه ، فما أحراهما بأن يلهج بهما في كثير من أوقاته .

استنباط :

إذا علمنا الله تعالى دعاءً ففي ضمن ذلك التعليم تعليم آخر لنا
كيف نعمل ما يناسب ذلك الدعاء وكيف نسلك السلوك الذي هو
مظنة الاستجابة ، فلما علمنا تعالى - مثلاً - كيف ندعوه بقوله :
« إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » كان في ذلك إرشاد
لنا الى سلوك الطريق المستقيم والاهتداء بأهله والمباينة
لغيرهم ، فكذلك هنا لما علمنا كيف ندعوه بالحفظ
والتوفيق في المدخل والمخرج كان في ذلك إرشاد لنا الى ما ينبغي لنا
أن نكون عليه في مداخلتنا ومخارجنا وجميع مصادرتنا ومواردنا من
تحري ما فيه مرضاته واجتناب ما فيه سخطه ، ولما علمنا كيف ندعوه
بالتقوية والتأييد بسلطان من لدنه مبين كان في ذلك إرشاد لنا أن
نكون أهل قوة في الأيدي وقوة في البصائر ودفاع عن الحق بما
استطعنا من قوة .

سلوك وامثال :

فعلينا أن لا ندخل في أمر الا على بصيرة به وعلم بحكم
الله تعالى فيه ، وان دخوله خير ، وان لا نخرج من أمر الا على بصيرة

(١) في الاصل : على ان اختصارهما وايجازهما .

وعلم كذلك ، لا فرق بين أمر وأمر من كبير وصغير وجليل وحقير ونكون - مع بذل غاية ما عندنا من نظر واختيار - معتمدين على ربنا واتقين بحسن اختياره لنا مسلمين له فيما اختاره ، ضارعين له مظهرين فقرنا وحاجتنا في كل حال • وعلينا أن نحصل من الأسباب ما يحصل لنا قوة العلم وقوة العمل لنكون أهلاً للدفاع عن الحق وحزبه ، ومقيمين لسلطان الله في أرضه بالحق والعدل والاحسان • معتمدين - مع تحصيل تلك الأسباب - على الله وحده ومنتظرين منه الفرج والتيسير •

هذان هما الأصلان الأساسيان في سلوك أهل الله : التمسك بالحق ومدافعة الباطل ، فاستمسك بهما تكن - باذن الله - من الفائزين •

مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين :

« وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » (١)

المناسبة :

لما أمر الله تعالى نبيه أن يدعو بحسن المدخل والمخرج والنصرة والتأييد أمره أن يعلن استجابته لدعوته بمجيء الحق وفي ذلك نصره ، وذهاب الباطل وفي ذلك هلاك أعدائه وذهاب دولتهم • هذا على النظر العام ، وأما على النظر الخاص فإن الله تعالى بعد ما ذكر أن أعداءه كادوا يستفزون من الأرض وأمره أن يتوجه الى عبادته ودعائه ذكر في هذه الآية ما كان من نصره على المشركين وفتح مكة عليه وتكيس الأصنام التي هي باطلهم وعلان كلمة التوحيد

(١) ٨٢/١٧ الاسراء .

صدق المدخل والمخرج

الذي هو دينه وهدايته • ولذلك كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يتلو هذه الآية عندما كان يشير الى الأصنام فتسقط الى الأرض •
ففي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — دخل مكة (يعني عام الفتح) وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول :
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يسدئي الباطل وما يعيد •

الحق الثابت الذي لا يعتريه زوال الباطل الذي لا ثبات له في نفسه • فالاسلام حق ويشمل كل ما هو طاعة • والشرك والكفر باطل • ومثله كل ما هو معصية • زهقت الروح : خرجت ، وزهق الباطل : ذهب واضمحل • الزهوق : الهالك الذاهب •

التراكيب :

جملة أن الباطل كان زهوقا اطناب بالتذييل ، المخرج اخراج المثل لتأكيد منطوق الكلام السابق • وشبه الباطل الذي غلب بأدلة الحق فزالته شبهه من الأذهان وطواغيته من الأرض بالحيوان الذي صرع فذبح فزهقت روحه وذهب على طريق المكينة حيث حذف المشبه به ، وهو الحيوان المصروع المذبوح ، وذكر المشبه وهو الباطل المغلوب ، وأشير الى المحذوف بذكر لازمه وهو الزهوق •

المعنى :

وقل يا محمد — معلناً بما أظهر الله على يدك وما قضى به من نصرك وما أجاب من دعائك — جاء الاسلام والتوحيد بأدلته وحججه وقوته وسلطانه ، وذهب الكفر والشرك فبطلت شبهه • واضمحلت دولته وأصبح الحق غالباً والباطل مغلوباً ، وكذلك كان الباطل شأنه الذهاب والاضمحلال •

صدق وعد الله جلّ جلاله :

نزلت هذه الآية بمكة والنبىؐ - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم يلقون من المشركين ما يلقون ، والمسلمون في ضعف - من العدد - وقلة ، والمشركون في قوة وكثرة . فكانت هذه الآية وعداً بما سيكون من غلبتهم وقوتهم وكثرة عددهم فيبطل الشرك ويذهب سلطانه . وقد صدق الله وعده ففتح عليهم مكة ، وتمت لهم على المشركين النصر ، وللإشارة الى انجاز هذا الوعد وصدق الخبر قرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - الآية يوم فتح مكة كما تقدم .

تفصيل :

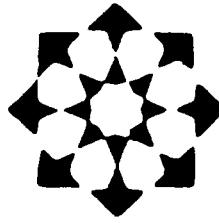
مجيء الحق هو بظهور أدلته وقيام دولته ، وزهوق الباطل هو ببطان شبهه وذهاب دولته . فأما القسم الأول فإنّ فيه ما زال ولن يزال كذلك ولن تزداد على الأيام أدلة الحق الاّ اتضاحاً ، ولن تزداد شبه الباطل الاّ افتضاحاً . وأما القسم الثاني فإنه مرتبط بأحوال أهل الحق وما يكون عليه من تمسك به وقيام فيه ، أو اهمال له وقعود عنه فيدال لهم ويدال عليهم بحسب ذلك .

عقيدة :

يرتبط قلب المسلم مطمئناً على أن ما هو عليه من الاسلام حق لا شك فيه وانه يومئذ منصور ما تمسك به وانه اذا خذل فانما جاءه ذلك من ناحية نفسه ، وعلى أن ما عدا الاسلام هو باطل لا شك فيه ، وان صاحبه هالك عند ربه وان ما يكون له من سلطان لم يأتته من جهة باطله وانما جاءه من أسباب عمرانية مما يقتضيه الحق وفرط فيه أهله فحرموا ثمرته .

سلوك :

على أهل الحق أن يكون الحق راسخاً في قلوبهم عقائد ، وجارياً على ألسنتهم كلمات ، وظاهراً على جوارحهم أعمالاً يؤيدون الحق حيثما كان ، ومن كان ، ويخذلون الباطل حيثما كان ومن كان . يقولون كلمة الحق على القريب والبعيد ، على الموافق والمخالف ، ويحكمون بالحق كذلك على الجميع . ويبذلون نفوسهم وأموالهم في سبيل نشره بين الناس وهدايتهم اليه بدعوة الحق ، وحكمة الحق وأسبابه ووسائله . على ذلك يعيشون وعليه يموتون . فلنجعل هذا السلوك سلوكنا ، وليكن من هنا . فما وفينا منه حمدنا الله تعالى عليه ، وما قصرنا فيه تبنا واستغفرنا ربنا . فمن صدقت عزيمته ووطن على العمل نفسه - اعين ويسر للخير . وربك التواب الرحيم (١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ٧ ، ص ٢٢٤ - ٢٣١ غرة ذي الحجة ١٣٤٩ هـ - افريل ١٩٣١ م .

القرآن شفاء ورحمة

« وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » (١) .

المناسبة :

لما جاء في الآية السابقة الاخبار بمجيء الحق ، وفي مجيئه صحة
الأرواح والأبدان والأحوال ، وبزهوق الباطل وفي ذهابه ذهاب
العلل والأمراض كذلك - جاء في هذه الآية بذكر القرآن والاخبار
عما جاء فيه من الشفاء والرحمة تنبيهاً على أنه هو الشافي من أمراض
الباطل وعلله ، وأنه هو مصدر الحق وحجة ناصره ، ومحصل الرحمة
لأتباعه والمتمسكين به .

المفردات :

من : لا ابتداء الغاية أو للتبعيض ، لأنه نزل مبعوضاً ، فكل بعض
نزل منه فهو شفاء ورحمة . الشفاء : البرء من المرض ، مرض الأبدان
أو مرض النفوس . الرحمة : النعمة . الظلم : وضع الشيء في
غير محله ، كوضع الكفر موضع الايمان . الخسار : النقص
والضياع يكون في الأموال ، يقال خسر ماله اذا ضيعه ، ويكون في
النفوس فيقال خسر نفسه اذا ضيعها ولم يستعملها فيما خلقت له من
الطاعة والكمال ، ويكون في الدين فيقال خسر دينه اذا ضيعه ولم
يعمل به . فخاسر القرآن هو من ضيعه ولم يؤمن به .

(١) ٨٢/١٧ الاسراء .

التراكيب :

قرنت جملة (تَنْزَلُ) بالواو مع أن ما قبلها انشائية وذلك على وجهين : الأول أن تكون معطوفة على جاء الحق ، أي وقل نزل ، فعطفت الخبرية على الخبرية التي لها محل ، وهو المفعولية بالقول . الثاني : أن تكون الواو للاستئناف وهي في الحقيقة صلة في الكلام لتقويته وقرنت جملة لا يزيد بالواو لأنها معطوفة على جملة الصلة ، وعبر بالمضارع في نزل ويزيد قصدا لمعنى التجدد لأن الآيات كانت تنزل شيئا فشيئا وتنكير شفاء ورحمة للتعظيم . وقدم الشفاء لأنه براء من النقص على الرحمة لأنها حصول الكمال تقديم التخلية على التخلية وآيات القرآن الكريم سبب في حصول الشفاء فجعلت هي شفاء على طريق المبالغة تسيهاً على تحقق حصوله بها .

المعنى :

ونزل عليك يا محمد بسبب الوقائع والمناسبات آيات من القرآن العظيم ، هي شفاء يستشفى بها المؤمنون ، ونعمة عظيمة أنعمنا بها عليهم ، يؤمنون بها ويحلون حلالها ، ويحرمون حرامها ، ويعملون بما فيها ، فينالون سعادة الدنيا والآخرة . أما الكافرون الظالمون الذين قابلوا بالكفر ما يجب أن يقابل بالايان وقابلوا بالرد ما يجب أن يقابل بالقبول فان نزول تلك الآيات يكون سبباً في زيادة خسارهم وضياع الخير عليهم . اذ كل آية من تلك الآيات كانت كافية في شفائهم لو استشفوا بها ونزول الرحمة عليهم لو اهتمدوا بها الى الاسلام لكنهم يقابلون كل آية بالكفر والجحود فيخسرون في كل مرة كزراً عظيماً ، وهكذا يزداد خسارهم بقدر كفرهم المتجدد بنزول الآيات .

تنظير :

وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء في مواضع من كتابه منها هذه ،

ومنها قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام :

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَتَكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^(١) . ومنها في سورة فصلت .

«قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هَدَىٰ وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى»^(٢) .

وأفادت الآيات كلها أنه شفاء لأهل الإيمان الذين يؤمنون، دون غيرهم فانهم باعراضهم عنه كانوا من الخاسرين ، وجاءت آية يونس بتقييد الشفاء بها في الصدور الذي هو العقائد ، لأن ذلك هو المقصود الأول من هداية القرآن ، وأصل لغيره . فانه اذا شفيت الصدور من عقائد السوء ونزغات الشكوك واعتقدت الحق وارتبطت على اليقين زكت النفوس واستقام سلوك الانسان فرده وجماعاته ، ورقى درجات الكمال ، فلا ينافي ذلك أن القرآن شفاء أيضاً للنفوس من سيء الأخلاق كما هو مقتضى الاطلاق في آية الاسراء هذه وآية فصلت^(٣) لأن الأخلاق ناشئة عن العقائد ولازمة لها ولأنهما كليهما - العقائد والأخلاق - لا تكمل النفس الانسانية الا بالشفاء فيهما . ولا ينافي أيضاً حصول الشفاء للأبدان بالقرآن في بعض الاحوال كما هو مقتضى الاطلاق أيضاً ومقتضى ما سيأتي من الآثار ، وان كان هذا ليس هو المقصود بالقصد الأول من شفاء القرآن .

(١) ٥٧/١٠ يونس .

(٢) ٤٤/٣١ فصلت . وفي الاصل (السجدة) بدل (فصلت) .

(٣) اصلحنا (السجدة) .

تقسيم :

الأمراض الانسانية قسماً أمراض أرواح وأمراض أبدان ، وكلاهما أنواع . وأمراض الأرواح المقصودة بالذات هنا ترجع الى نوعين : مرض العقول ومرض النفوس ، فالأول بجمود النظر وفساد الادراك وتقليد الآباء واعتقاد الباطل والشك في الحق . والثاني بفساد الأخلاق وانحطاط الصفات . أما الأعمال فهي تابعة لهما فتصلح بصلاهما وتفسد بفسادهما ، والقرآن قد جاء داعياً الى النظر والتفكر والاعتبار والتدبثر ، مبيناً - بما ساق من حجج الله وحجج رسله - الطريق الأقوم في الادراك الصحيح . والسييل الأشد في الفهم والتهميم ناعياً على المقلدين تقليدهم ، كاشفاً لأهل الباطل عن باطلهم ، ذاكراً من قواطع البراهين البينة الواضحة ما لا يبقى معه خفاء في الحق ولا ريب . وجاء أيضاً مبيناً للأخلاق الفاسدة وذاكراً سوء أثرها وقبح مغبتها ، مبيناً كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها وحسن عاقبتها فهذا شفاؤه للنفوس والعقول . وهو راجع الى تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق وبهما سلامة الأرواح وكمالها وعليهما قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها . على أن القرآن هو شفاء للاجتماع البشري كما هو شفاء لأفراده فقد شرع من أصول العدل وقواعد العمران ونظم التعامل وسياسة الناس ما فيه العلاج والدواء الشافي لأمراض المجتمع الانساني مع جميع أمراضه وعلله . شفاء العقائد والأخلاق - وهما أساس الأعمال - والمجتمع . هذه الثلاثة لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها وبيان ما هو شفاء لها . ولا شفاء لها الا بالقرآن - وبيان النبي راجع الى القرآن - ومن طلب شفاءها في غير القرآن فانه لا يزيدا الا مرضاً ، فهذه الأمم الغريبة بسجونها ومشائخها ومحاكمها وقوتها قد امتلأت بالجنايات والفضائح المنكرة التي تقشعر منها الأبدان ، وهذه الممالك الاسلامية التي تقيم الحدود القرآنية

كالمملكة النجدية الحجازية والمملكة اليمنية قد ضرب الأمن رواقه
عليهما واستقرت السكينة فيها دون سجون ولا مشائق مثل أولئك ،
وما ذلك الا لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام .

وأما الأمراض البدنية فقد قال رسول الله — صلى الله عليه وآله
وسلم — : (ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) رواه البخاري من طريق أبي
هريرة وقال : (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى)
رواه مسلم من طريق جابر ، وثبت عنه أنه داوى وتداوى ، وروى الأئمة
من ذلك عنه الكثير الطيب في كتاب الطب من صحيح البخاري وغيره .
وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه استشفى واسترقى ببعض آيات
القرآن العظيم ، وأقر على ذلك من فعله من أصحابه . روى البخاري
من طريق يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
أوى الى فراشه نفث في كفيه ب : « قتل هـو الله أحد » وبالمعوذتين
جميعاً ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده . قالت عائشة :
فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به . قال يونس : كنت أرى
ابن شهاب يصنع ذلك اذا أتى الى فراشه » وروى الشيخان واللفظ
للبخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : (انطلق
نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى
نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ
سيد ذلك الحي فیسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم :
لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء ،
فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء
لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله ،
اني لارقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم
حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه

ويقراً : الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فكأننا أنشط (١) من عقال (٢) .
فانطلق يمشي وما به قلبة (٣) . قال : فأوفهم جعلهم الذي
صالحوهم عليه ، فقال بعضهم اقسّموا فقال الذي رقي لا تفعلوا حتى
نأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما
يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له
فقال وما يدريك (٤) انها رقية . ثم قال : قد أصبتم ، اقسّموا واضربوا
لي معكم سهما ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فثبت بهذين
الحديثين ان في القرآن شفاء للأبدان ، وحصل عندنا من جميع ما تقدم
انه شفاء للأرواح والأبدان للأفراد والمجتمع .

مداواة الابدان ، بالطب والقرآن :

ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بالتداوي قولاً وعملاً ،
وثبت عنه الاستشفاء بالقرآن ، ولا منافاة بينهما ، فان الانسان مركب
من روح من عالم النور وجسم من عالم المادة المركبة . فمن الحكمة
الالهية أن شرع الله لنا عند الأمراض على لسان رسوله صلى
الله عليه وآله وسلم الجمع بين الأدوية المادية التي هي المناسبة
للبدن والآيات القرآنية التي هي المناسبة للروح مع ما في
الأدوية القرآنية من اطمئنان القلب بالله وقوته به واتعاشه بذكره وفي
ذلك من تقوية الروح ونعيمها ما يهون عليها ألم المرض ويغلبها باذن الله
تعالى عليه . ومثل الآيات القرآنية في ذلك كل ما ثبت من الرقي
النبوية المأثورة .

(١) حل .

(٢) جبل يشد به ذراع البهيمة .

(٣) بحركات ، اي علة .

(٤) تعجب من وقوفه على انها رقية واصابته في ذلك .

تحذير :

فرط قوم فأهملوا الاستشفاء بالذكر المأثور واقتصروا على الدواء المادي فحرموا أنفسهم من خير كثير اذا لم يكونوا له كالمنكرين ، وأفرط آخرون فاهملوا الدواء المادي وزهدوا الناس فيه وتزيدوا في جانب المأثور حتى خرجوا عنه واتخذوا لهم من ذلك حرفة وموردا للمعاش ونسوا أنواع أشقى القرآن الروحية والاجتماعية التي هي المقصودة بالقصد الأول من تنزيله ، مقتصرين على الوجه الذي وجدوا منه سبيلا الى الاسترزاق على ما احدثوا فيه وما ابتدعوا . فعكسوا الأمر وخالفوا السنة ووقعوا في المحذور من عدة وجوه . هذان الطرفان مذمومان . والعدل هو الوسط الذي لا يهمل هذا ولا ذاك ويقف في الوارد عندما ورد ويتناوله على ما ورد .

تطبيق :

نزول الآيات في الكافرين لا يمنع من تطبيقها على من شاركهم في مثل الحال الذي أنكرته عليهم من المؤمنين لأن الوصف المذموم سواء أكان المتصف به مؤمناً أم كان كافراً . فالذين تتلى عليهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتوضح لهم الدلائل الشرعية وهم عنها معرضون وعن تدبرها غافلون وبها متهاونون — يزدادون بكل مرة اثماً بأعراضهم وغفلتهم وتهاونهم فيخسرون بقدر ما بقوتهم من الهداية على حسب حالهم ، واذا لم يكن خسارهم كخسار الكافرين فهو كخسار المعرضين الغافلين المتهاونين ، وكفى به خساراً يتنزّه عنه المؤمنون ويأباه الراشدون .

سلوك :

تتناول القرآن العظيم دواء من عند ربنا شفاء لأعراض عقولنا ، وأمراض نفوسنا ، وأمراض مجتمعتنا ، فننتظلب ذلك منه بتدبر آياته

وتفهم اشاراته ووجوه دلالاته ، وشفاء أبضا لابتداتنا فنفعل كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه على ما تقدم في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها . وعلى ما جاء من نحو ذلك مما ثبت عنه عليه وآله الصلاة والسلام واتهى اليه علمنا . غير مقصرين ولا غالين وعلى ربنا مُتوكلين ، سائلين أن يشفينا بالقرآن الكريم أجمعين آمين يا رب العالمين (١) .



(١) ش : ج ٥ ص ٢٨٩ - ٢٩٥ .
محرم ١٣٥٠ - ماي ١٩٣١

صفتان من صفات النوع الانساني

الاعراض من النعمة - والياس من الرحمة

« وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَّا بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسَىٰ ۝۰۰۰ » (١) .

تمهيد :

في النوع الانساني غرائز غالبية عليه لا يسلم منها الا من عصم الله أو وفق الى الايمان والعمل الصالح ، وفي آيات القرآن العظيم بيان لكثير من تلك الغرائز التحذير من شرها والتنبيه على سوء مغبتها ، منها هذه الآية الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر الله - تعالى - أن القرآن يكون شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ، يئن تعالى سبب خسار أولئك الظالمين ، وهو اعراضهم عن الله وبعدهم منه وبأسهم من رحمته . وعلم منه أن المؤمنين الذين كان القرآن لهم شفاء ورحمة هم على الضد منهم ، فهم أهل اقبال على الله - تعالى - وقرب منه ورجاء فيه .

المفردات :

(اَنْعَمْنَا) : أوصلنا أنواع الاحسان . (الانسان) : المراد به النوع باعتبار مجموعه ، فلا ينافي خروج أفراد كثيرين بالعصمة والتوفيق

(١) ٨٣/١٧ - ٨٤ الاسراء .

صفات من صفات النوع الانساني

(أعرض) : صد بوجهه الى ناحية أخرى ، فأرى عرض وجهه ، أي ناحية وجهه • (ثنا) : بعد • (بجانبه) : بناحيته ، بشقه الأيمن أو الأيسر ، والباء للتعدية ، أي أبعد جانبه • (مسه) : أصابه • (الشر) : البلايا والرزايا بأنواعها • (يتوسا) شديد اليئوس والقنوط وعدم انتظار الفرج •

التركيب :

جبيء بفعل الشرط وجوابه ماضين لتحقيق وقوعهما ، ولذلك كان التعليق باذا ، وجواب الشرط والفعل والمعطوف عليه فيهما الصورة التامة للمعرض غاية الاعراض ، فانه يصرف عنك وجهه ، وهذا مفاد الفعل الأول • ويلوي عنك عطفه ويعد جانبه ويوليك ظهره ، وهذا مفاد الفعل الثاني • ثم هما كناية عن الاستكبار وعدم الاكتراث والالتفات الى مولى النعم ، سواء حصلت هذه الصورة بالفعل أو لم تحصل •

المعنى :

واذا أنعمنا على الانسان أعرض تمام الاعراض اما بعدم قبول تلك النعمة استكبارا أو تهاونا ، كما يكون من الذين يكفرون بالقرآن أو يخالفونه ، وهو من أعظم نعم الله عليهم ، واما بعدم القيام بحق الله في تلك النعمة وعدم شكره عليها ، كنعمة العقل والبدن والحال وغيرها اذا لم تستعمل في طاعة الله ولم يحم بحقه فيها • واذا مس الانسان الشر ونزلت به المصائب وحلت به النوائب استولى عليه اليأس والقنوط وانسدت في وجهه أبواب الرجاء •

توجيه :

يرتبط اليئوس من رحمة الله بالاعراض عن نعمته من جهتين : الأول أن من أعرض عن نعمة الله فقد قطع صلته بخالقه وذهب معنا ني

بعده فاذا نزلت به المصيبة كان كالمنقطع به في البيداء يجد نفسه وحده
فيأخذه اليأس والقنوط من كل جانب ، الثانية أن الاعراض عن
النعمة ترك لها ولموليها ، والآيس متروك لوحده مغضوب عليه قد ترك
فترك وكان جزاؤه من جنس عمله •

انتقال واعتبار :

هذه حالة أهل الاعراض ، أما أهل الاقبال على الله تعالى والقبول
لإنعامه فان قلوبهم عامرة بالله وصلتهم متينة به ، فاذا نزلت بهم المصائب
رجعوا اليه وانتظروا رحمته ، فكان ذكره غناهم في الفقر وانسهم في
الوحشة ، ونعيمهم في الألم • وكان لهم من الرجاء في أنواع رحمته
ما يهون عليهم جميع المصائب •

تبصير وتحذير :

بصّرنا القرآن في هذين الوصفين الذميين الاعراض عن النعمة ،
واليؤس من الرحمة ، ونحن نراها فاشيين في أكثر الناس على تفاوت
بينهم على حسب ما عندهم من ايمان وعمل صالح • بصّرنا القرآن
بهما ليحذرنا منهما ومن سوء عواقبهما ، فان الاعراض عن النعمة كفر
بها ومقتض لسلبها، وأن اليؤس من رحمة الله جهل به وكفر بما هو متقلب
فيه من نعمه وموجب لانطماس القلب وشلل البدن وانقطاع الأعمال •
فليحذر المؤمن من هذين الوصفين الذميين وليعمل على اجتنابهما
واجتثاثهما من أصلهما •

سلوك :

على المرء أن يقبل نعم الله تعالى ويقبل عليها اقبال المستعظم لها ،
العارف بحقها وعظيم الفضل بها ، ليقوم بشكرها وذكر الله عندها ،
وليتفحصهما وليتأملها نعمة نعمة ، ليشكر الله عليها واحدة واحدة ،
بالقلب واللسان ، والا كان حسب المستطاع حتى ما يكون من باب

صفتان من صفات النوع الانساني

المصائب والآلام فانه يتناوله على أنه نعمة من الله تعالى بها فيه من أجر وتمحيص ، وما يحصل به من رجوع واناة ، وما يكون منه من تربية وتدريب على السلوك اللازم في الحياة الفردية والاجتماعية :

« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » (١) .

وليكن دائماً متمسكاً بحبل الرجاء في الله في تسيير الأسباب وكشف الكروب ودفع المكروه ، فالرجاء حسن ظن في الرب وقوة في القلب وباعث على العمل ومخفف أو مذهب للألم . فياله من طاعة عظيم أجرها جليل نفعها في الدنيا والدين ، فهنيئاً للشاكرين الراجين ، ويا ويح الكافرين — كفر عقيدة أو كفر نعمة — القانطين .

مباينة سلوك اهل الحق لسلوك اهل الباطل :

« قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْدَى سَبِيلًا » (٢) .

المناسبة :

قد استفيد مما تقدم تقسيم الخلق الى قسمين : أهل ايمان ورجاء ، وأهل كفر وقنوط ، فجاء البيان في هذه الآية بأن كل فريق له مذهبه وطريقه الذي يكون عليه .

المفردات :

(شاكلته) : طريقته ومذهبه . المشاكلة له اللاتقة به التي صارت له طبيعة وخلقاً . (أهدي سبيلاً) : أسد مذهباً وأقوم طريقاً .

(١) ٣٠/٤٢ الشورى .

(٢) ٨٤/١٧ الاسراء .

التراكيب :

التعبير بالمضارع مع لفظة على يفيد تجدد العمل وانبأؤه على الخلق والطبيعة .

الغنى :

قل يا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كل فريق منا ومنكم يعمل في حياته على طريقته ومذهبه . فأعمالنا مبينة لأعمالكم لأن طريقتنا مبينة لطريقتكم فربكم أعلم بمن هو أقوم طريقا وأسد مذهبا ، فيثبت المهتدين ويعاقب الضالين .

ومن فوائد الآية الكريمة استدراج الضال لقبول الهداية .

وذلك بمناصفته بأنك على ناحيتك وهو على ناحيته ، واطهار التساوي معه أمام علم الله وقدرته ، وهذا من أنفع الأسباب في نجاح الدعوة، وعليه في القرآن آيات كثيرة منها سورة : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^(١) فينبغي لدعاة الحق أن يلتزموه ولا يهملوه . والبراءة من أهل الباطل . وذلك باعلان المبيانة والمخالفة لهم في عملهم وما انبنى عليه عملهم بأسلوب المناصفة الذي جاءت به الآية فتحصل البراءة مع الفائدة المتقدمة .

انبناء الاعمال على العقائد والاخلاق فان الآية ، وان كانت بالخطاب الأول للمشركين ثم لامثالهم من الكافرين فانها تفيد أن كل واحد تبني أعماله على مذهبه وطريقته التي هي خلقه وطبيعته ، وتأخذ من هذا أن الذي نوجه اليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الاخلاق ، فالباطن أساس الظاهر . وفي الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فعل

(١) ١/١٠٩ الكافرون .

صفتان من صفات النوع الانساني

المؤمن ما يناسب ايمانه : فان كل أحد يعمل على طريقته وطبيعته اللائقة به ، ولا يليق بالمؤمن ولا يشاكله الا الصدق في القول والعمل والعدل والاحسان والوفاء والامانة ، فلا يظلم من ظلمه ولا يخون من خانه ولا يكذب على من كذب عليه ، فلا تجرى أفعاله في مقابلة الناقص على ما يشاكل ذلك الناقص ، بل تجرى أفعاله على ما يشاكله هو في ايمانه وكماله .

مراقبة الله في السلوك :

فان علمنا بأنه أعلم بمن هو أهدي سبيلا يدعوننا الى المبالغة في تقويم سلوكنا حتى نكون على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، فانه هو أهدي الطرق وأقربها ، وما ذلك الصراط المستقيم الا القرآن العظيم والهدى النبوي الكريم وسلوك السلف الصالح ، وذلك هو دين الاسلام .

نسأل الله تعالى أن لنا ولجميع المسلمين الاستقامة والنجاة يوم القيامة بمنه وكرمه آمين^(١) .

(١) ش : ج ٧ م ٧ ص ٤٢٣ - ٤٢٨
ربيع الاول ١٣٥٠ - جويليه ١٩٣١

الود من اكرام الله لاولياء الله

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » (١) .

سبب النزول ، ووعد السابقين :

كان السابقون الأولون من المؤمنين أول الاسلام بمكة — مبغوضين من أهل مكة المشركين مهجورين منهم مزهودا فيهم . ومن أشد الآلام على النفس واشقها أن يعيش الانسان بين قومه مبغوضا مهجورا مزهودا فيه ، خصوصا مثل تلك النفوس الحية الأبية . فأنزل الله هذه الآية تأنيسا لأولئك السادة ووعدا لهم بأن تلك الحالة لا تدوم ، وأنه سيجعل لهم ودا فيصيرون محبوبين مرغوبا فيهم . وقد حقق الله وعده فكان أولئك نفر بعد السادة المقدمين من أقوامهم وعشائرهم لسبقهم وفضلهم وكانوا — وهم قادة الجيوش في الفتوحات الاسلامية — المحبوبين هم وجيوشهم المرغوب فيهم من الأمم التي فتحوها لعدلهم ورحمتهم ورفعهم لنير الاستعباد الديني والديني الذي كانت تن تحته تلك الأمم ، وأثبت التاريخ أن بعض الأمم الأجنبية دعتهم الى انقاذها من أيدي رؤسائها . فكانت هذه الآية من آيات الاعجاز بالاعلام بما يتحقق في الاستقبال مما هو كالمحال في الحال فكان على وفق ما قال .

عموم الوعد لمعوم اللفظ :

الايان — وهو التصديق الصادق المشر للاعمال — والاعمال

(١) ٩٦/١٩ مريم .

نود من اكرام الله لا ولاء الله

الصالحة — وهي المستقيمة النافعة المبنية على ذلك الايمان — هما اللذان جعلهما الله سببا في تحقيق جعل هذا الود لما قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » .

فيعم ذلك كل أهل الايمان والعمل الصالح • وهم أولياء الله و (ان أولياؤه الا المتقون) •

سبب الود وسبب الجعل :

تكسب مودة الناس بأسباب متعارفة بينهم ، منها القرابة ومنها الصداقة ، ومنها صنائع المعروف ومآثر الاحسان • أما هذا الود الذي وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسببه جعل من الله له في قلوب العباد لهم دون تودد منهم ولا توقف على تلك الاسباب فيودهم من لم يكن بينه وبينهم علاقة نسب أو صداقة ولا وصل اليه منهم معروف فهذا نوع من الود خاص يكرمهم الله به وينعم عليهم به الرحمن من جملة نعمه التي يحدثها ويجدها لهم زيادة على ما يقتضيه الايمان والعمل الصالح — ومنه الاحسان — من مودة القلوب • أما سبب هذا الجعل والوضع والايجاد من الله لهذا الود والاکرام به فهو الايمان والعمل الصالح ، وهما سبب لإكرامات كثيرة من الله تعالى • هذا الجعل للود منها •

بشارة وتثبيت :

في الآية من سبب نزولها بشارة لدعاة الحق وأنصار السنة ومرشدي الأمم عندما يقومون بدعوة القرآن في عشائهم ويلقون منهم النفور والاعراض والبغض والانكار ويجدون أنفسهم غرباء بينهم ، يعاديهم من كانوا أحبابهم ويقاطعهم أقرب الناس قرابة اليهم ، ويصبح يؤذيهم

من كان يحميمهم ويدافع عنهم — في الآية بشارة لهم بأن تلك الحالة لا تدوم وأنهم سيكون لهم على كلمة الحق مؤيدون وفي الله محبون ، وسيكون لهم ود في القلوب ممن يعرفون وممن لا يعرفون • وفيها أيضا تثبيت لهم في تلك العربة ووحشة الانفراد بما يكون لهم من أنس الود وأي ود هو • ود يكون من جعل الرحمن •

دفع اشكال :

الآية منظور فيها الى مجموع الذين آمنوا وعملوا الصالحات وغالبهم ، فلا يشكل علينا أن منهم من يموت في غربة الحق قبل أن يكون له على الحق انصاره ، ومنهم من يموت غير معروف من الناس • كما أن الود الذي يجعل لهم غير منظور فيه للعموم فلا يشكل بيبغض من يبغضهم تعصبا لهوى أو تقليدا لضال أو حرصا على منفعة ومحافضة على جاه أو منصب أو مال •

تفسير نبوي :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه • فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء : ان الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه اهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الارض • واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي (جبريل) في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض) رواه بهذا اللفظ مسلم ورواه البخاري وغيرهما • وزاد الطبراني : (ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا »

فارتبط الحديث بالآية بزيادة الطبراني • وبين النبي - صلى الله عليه وسلم -

بقراءة الآية ان هذا القبول الذي يجعل لمن أحبه الله في أهل الارض — والمراد بهم من يعرفونه منهم — هو نوع الود المذكور في الآية ، وبين أن أهل القبول في الأرض محبوبون في أهل السماء قبل أهل الارض ، وبين أن سبب ذلك القبول هو محبة الله لهم ، فمن أحبهم حببهم لعباده • ولما كان سبب القبول محبة الله لهم يئس صلى الله عليه وآله وسلم ان بغض الله سبب في بغض الخلق لهم اذا ما تسبب عن أحد الضدين يتسبب عن الآخر ضده • ولما كانت محبة الله مسببة عن الايمان والعمل الصالح فبغض الله مسبب عن ضدهما ، اذا ما تسبب عنه أحد الضدين يتسبب عن ضده الضد الآخر • وكما كان ذلك الود والقبول يكون شيئاً زائداً على ما تقتضيه أسباب الود بين الناس ، كذلك تكون هذه البغضاء التي يهين الله بها ويعاقب من يشاء زيادة على ما تقتضيه أسباب البغضاء بينهم ، فيكون هذا الذي وضعت له البغضاء — والعياذ بالله — مبعوضاً حتى ممن لم يكن منه اليه شيء من أسباب البغض •

تبيين وتعيين :

قد يكون الاتباع والمحبون والراغبون لأهل الحق ولأهل الباطل لأئمة الهدى ولرؤوس الضلال لدعاة الاتباع ولدعاة الابتداع • ولكن أهل المحبة من الله والود والقبول من العباد هم أهل الحق وأئمة الهدى ودعاة الاتباع للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالحون ، لا لانفسهم والتحزب لهم وجلب النفع لهم ، والذي يعينهم لهذه الكرامة دون غيرهم هو اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم في سيرته ودعوته • وما كانت دعوته الا للقرآن وبالقرآن دون أن يسأل على ذلك من أجر • وهذا لأن الود والقبول عند العباد مسببان عن محبة الله للعبد ، ومحبة الله لا تكون الا للمتبعين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى :

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » (١) .

فكرامة الود والقبول انما هي للمتبعين له — صلى الله عليه وآله وسلم — فاما غيرهم فما يكون لهم من قبول عند أمثالهم فهو فتنة وبلاء عليهم .

ارشاد :

أفادت الآية الكريمة والحديث الشريف أن على المسلم أن يتمسك بالايمان والعمل الصالح والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان في قوم انفرد بينهم بذلك وحده . ولا يستوحش من انفراده بينهم . فحسبه رضى الله ومحبته وكفى بهما انسا وليثق بانه — ان صدق — ومد الله في عمره يكون له ود وقبول في عباد الله وأنس بمن يحبهم ويحبونه لله وتلك المحبة النافعة الدائمة والصلة المتينة الجامعة التي تجمع بين أهلها في الدنيا والآخرة .
جعلنا الله والمسلمين من العاملين له المتحابين فيه (٢) .



(١) ٣١/٣ آل عمران .

(٢) ش: ج ٤ م ١١ ص ١٩٩ — ٢٠٣
ربيع الثاني ١٣٥٤ — ٣ جويلية ١٩٣٥

من آداب المتعلم

حسن التلقي وطلب المزيد

« وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١) . »

لا حياة الا بالعلم ، وانما العلم بالتعلم ، فلن يكون عالماً الا من كان متعلماً ، كما لن يصلح معلماً الا من قد كان متعلماً . ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعثه الله معلماً ، كان أيضاً متعلماً . علمه الله بلسان جبريل ، فكان متعلماً عن رب العالمين ثم كان معلماً للناس أجمعين . أرأيت أصل العلم ومن معلومه ومتعلموه ؟ ثم أرأيت شرف رتبة التعلم والتعليم . لا جرم كان لرتبة التعلم آدابها ولرتبة التعليم آدابها . وكان محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق في آدابها بما أدبه الله وأنزل عليه من الآيات فيهما ، مثل آيتنا اليوم وغيرها .

لزوم الصمت عند السماع :

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذ أنزل عليه جبريل — عليه السلام — بالوحي وقرأه عليه قرأ معه وساوقه في القراءة وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم لحرصه على حفظه وعدم نسيانه ، حتى يبلغه كما أنزل عليه . ولان تعلق قلبه بما يسمع من جبريل وامتلاؤه به واستيلاء ذلك المسموع على لبه يدعوه الى النطق به لما بين القلب واللسان

(١) ١١٤/٢٠ طه .

من الارتباط ، ولان شوقه الى ذلك المسوع ومحبه
ورغبته فيه تبعه على التعجيل بقراءته ، غير ان القراءة
عند السماع وقبل تمام الالتقاء تمنع تمام الوعي ، لان عمل اللسان
بالنطق يَضْعِفُ عمل القلب بالوعي والحفظ ، فلذا أوصى الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يعجل بقراءة القرآن عند سماعه
من جبريل من قبل أن يقضي ويتم اليه وحيه فقال تعالى :

« وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ »

تأكيد الصمت بكف اللسان :

لا يتم تفرغ القلب للوعي الا بسكون اللسان فلا يكفي في تفرغه
ترك القراءة الجهرية عند السماع حتى ينكف اللسان عن الحركة فلا
تكون قراءة لا جها ولا سرا فلذا أكد الله تعالى طلب ترك القراءة
بالنهي عن تحريك اللسان فقال تعالى : « لَا تَحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ » (١) ثم بيّن ان الله يجمعه في قلبه — صلى الله عليه
 وآله وسلم — بالحفظ وانه يطلق بقراءته لسانه بقوله : « إِنَّ عَلَيْنَا
 جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ » (٢) أي قراءتك إياه ، ثم أمره أن يتبع قراءة
جبريل اذا قرأه عليه فيقرأه كما قرأه بعد فراغه بقوله : « فَإِذَا
 قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » (٣) أي فاذا قرأه جبريل وفرغ منه فاتبع
قراءته فاقرأ كما قرأه . وانه تعالى يبينه بأقوال نبيه — صلى الله عليه
 وآله وسلم — وأفعاله بقوله : « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » (٤)

(١) ١٦/٧٥ القيامة .

(٢) ١٧/٧٥ القيامة .

(٣) ١٨/٧٥ القيامة .

(٤) ١٩/٧٥ القيامة .

هذا الادب ادب عام :

انما المقصود من الكلام البيان عن المراد ، وانما المقصود من السماع وعي الكلام ليفهم المراد . فكما كان على المتعلم أن يسكت حتى يفرغ معلمه من القدر المرتبط ببعده ببعض مما يلقيه اليه حتى يفرغ المعلم من القائه كذلك على المناظر أن يستمع لمناظره حتى يستوفي دعواه وحجته ، وعلى كل قارئ لكتاب أن يستوفي ما يرتبط ببعده ببعض منه ، ثم يبدي رأيه فيه وعلى كل مستمع لمتكلم كذلك فهذا الأدب يتم وعي المتعلم فيحفظ وفهم المناظر فيرد ويقبل وفهم القارئ فيعرف ما يأخذ ويترك وفهم السامع لتحصل فائدة الاستماع ، وبترك هذا الأدب كثيراً ما يقع سوء الوعي أو سوء الفهم وفوات القصد من المناظرة أو القراءة أو الكلام .

دوام التعلم للازدياد من العلم :

يتعلم الانسان حتى يصير عالماً ويصير معلماً ، ولكنه مهما حاز من العلم وبلغ من درجة فيه ، ومهما قضى من حياته في التعليم وتوسع فيه وتكامل به فلن يزال بحاجة الى العلم ولن تزال أمامه فيما علمه ، وعلمه أشياء مجهولة يحتاج اليها فعليه أبدأ أن يتعلم وان يطلب المزيد . ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو المعلم الاعظم - أن يطلب من الله - وهو الذي علمه ما لم يكن يعلم - أن يزيد علمه فقال : « وَكَلَّمَ رَبِّيَ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

تحذير واقتداء :

ما أكثر ما رأينا من قطعهم ما حصلوا من علم عن العلم فوقف بهم عندما انتهوا اليه فجمدوا وأكسبهم الغرور بما عندهم فتعظموا وتكلموا فيما لم يعلموا فضلوا وأضلوا وكانوا على أنفسهم وعلى الناس شرفنة وأعظم بلاء فبمثل هذه الآية الكريمة يداوي نفسه من ابتلى

بهذا المرض فيقلع عن جموده وغروره ويزداد مما ليس عنده ممن عنده علم ما لم يعلم • ويحذر من ان يقف عن طلب العلم ما دام فيه زمن من الحياة ، ويقتدي بهذا النبي الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - فلن يزال يطلب من الله تعالى أن يزيده علما بما يسر له من أسباب وما يفتح له من خزائن رحمته وما يلقيه في قلبه من نور وما يجعل له من فرقان وما يوفقه اليه من أصل ذلك كله وهو تقوى الله والعمل بما عليه • نسأل الله لنا وللمسلمين العلم النافع والعمل الصالح • فهو ولي الهداية والتوفيق (١) •



من وعد الله للصالحين

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » (١) .

المناسبة :

لما مضى في السورة ذكر الأنبياء عليهم السلام وأممهم وختم الحديث عنهم بذكر الساعة وقربها ومقدماتها وأحوال الخلق يوم القيامة — جاء في هذه الآية ذكر الأمة التي جاءت بعد تلك الأمم كلها ، وهي أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — .

توجيه :

وانما كانت هذه الآية في أمة محمد ، لأنه لما تكلم على الأمم الخالية لم يبق الكلام إلاّ عليها ، فخطبت بما قضاه الله وكتبه من ارث الصالحين الأرض . والمخاطبون بهذه الآية المكية هم المؤمنون بالله الموحدون له المتبعون لرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — المصدق لجميع الرسل عليهم السلام ، وهم أصحاب النبي — صلى الله عليه وسلم — وهم الصالحون الموجودون يوم ذلك على وجه الأرض ، فكانت الآية اعلاما بما كتبه الله لهم ووعدا بارثهم الأرض .

الالفاظ :

(الزبور) : بمعنى المزبور ، أي المكتوب . والمراد به جنس ما أنزله

(١) (١٠٥/٢١ الانبياء .

الله من الوحي على رسله — صلى الله عليه وسلم — وأمر بكتابه •
وقرأ حمزة : الزبور جمع زبر ، أي كتاب فعيّنت هذه القراءة المراد
بالزبور في القراءة الأولى الكتب المنزلة ، لا خصوص زبور داوود
عليه السلام •

الذكر : المراد به هنا اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء
قبل أن يخلق الخلق ، وجاء تسميته بالذكر فيما رواه البخاري في مواضع
من صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — : كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه
على الماء وكتب في الذكر شيء وخلق السموات والارض وما كتبه في
الذكر ما أنزله على رسله عليهم السلام كما قال تعالى :

« بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ » •

الارض : جنس الأرض الدنيوية ، لأن هذا اللفظ موضوع لها ،
فاذا أطلق انصرف اليها ، وبهذا فسرها ابن عباس من طريق علي
ابن طلحة ، وهي أصح طرقه •

يرثها : تنتقل اليهم من يد غيرهم ، وأصل الارث الانتقال من
سالف الى خالف ، وقد يطلق في غير هذا الموضع على أصل التملك
مجازا •

الصالحون : الصالح من كل شيء هو ما استقام نظامه فحصلت
منفعته ، وضده الفاسد وهو ما اختل نظامه فبطلت منفعته • ويظهر
هذا من تتبع مواقع الاستعمال فاذا قالوا هذه آلة صالحة عنوانها
محصلة للمنفعة المرادة منها لا تنظام أجزائها ، واذا قالوا آلة فاسدة
عنوانها لا تحصل المنفعة لاختلال في تركيبها • والصالح في لسان
الشرع — قرآنا وسنة — لم يخرج عن هذا المعنى حيثما جاء • فالصالح

هو من استنار قلبه بالايمان والعقائد الحقّة ، وزكّت نفسه بالفضيلة والاخلاق الحميدة ، واستقامت أعماله وطابت أقواله ، فكان مصدر خير ونفع لنفسه وللناس . استقام نظامه في عقده وخلقه وقوله وعمله ، فعظمت وزكّت منفعتة ، وهذا هو معنى الصالحين حيثما جاء كما في قوله تعالى : « وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » وكما في التشهد : « السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ » وقد بين القرآن من هم الصالحون بياناً شافياً وكافياً بذكر صفاتهم مثل قوله تعالى : « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَكْفُرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » (١) .

المعنى :

يخبرنا الله تعالى أنه كتب في الكتب التي أنزلها على رسوله من بعد ما كتب في اللوح المحفوظ الذي هو أصل تلك الكتب أن الارض يرثها ويملكها عباده الصالحون أهل العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والأعمال المستقيمة الذين ينفعون العباد والبلاد .

تطبيق :

خاطب الله بهذه الآية المؤمنين بمكة وهم في قلة عدد وعدد يعدهم بذلك - لا بطريق صريح - أنهم يرثون الأرض ويكون لهم فيها القوة والنفوذ . ويبعثهم بتعليق الوعد بوصف الصلاح على التمسك به والازدياد منه والاستمرار عليه ، ثم صرح لهم بالوعد بعد في سورة النور وهي مدنية بقوله تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ »

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (١) .

وقد حقق الله لهم هذا الوعد ففتح لهم الفتوح وأورثهم ملك كسرى
وقيصر ومد لهم ملكهم في الشرق والغرب ، وأولئك الذين كانوا في
قلة وخوف يوم نزلت الآية المكية هم الذين شاهدوا ذلك النصر وتلك
الفتوح وترأسوا ذلك الملك العريض .

تعميم وتقييد :

علق الوعد بالوصف ، وهو الصلاح ، ليعلم أنه وعد عام ، ولتعلم
كل أمة صالحة أنها نائلة حظها - ولا محالة - من هذا الوعد . واقتضى
هذا التعليق بالوصف أيضاً تقييده بأهله ، فاذا زال وصف الصلاح من
أمة زال من يدها ما ورثت . ونظير هذا التقييد قوله في آية النور :
« يَعْبُدُونَنِي وَلَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » .

تنظيم :

مثل هذه الآية فيما تضمنته من الوعد الذي يقوي به قلوبهم
ويثبت ايمانهم ويظهر به صدق نبيه - صلى الله عليه وسلم - بما
أعلمه به من غيب - أحاديث صحيحة (٢) . كقول النبي - صلى الله

(١) ٥٥/٢٤ النور .

(٢) البخاري في باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من
المشركين .

عليه وسلم — لخباب رضي الله عنه وقد لقي الصحابة من المشركين شدة فسأله أن يدعو فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المشرك على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . وكقوله^(١) — صلى الله عليه وسلم — لعدي بن حاتم : (فان طالت بك حياة لترين الظمينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى) وقد امتدت به الحياة حتى رأى ذلك ومثل هذا أحاديث أخرى في الصحيح . فقد تطابقت الآيات والأحاديث في هذا الوعد وقد صدق الله وعده لعباده الصالحين . وصدق نبيه — صلى الله عليه وسلم — بما لم يكن يعلمه أحد ولا يرى شيئاً من أسبابه بل لا يرى إلا ما هو مناف له . ولكن العاقبة للمتقين .

اشكال وحله :

قال أناس ان أرض الدنيا كما يستولي عليها الصالحون يستولي عليها غيرهم ، والأرض التي لا يرثها إلا الصالحون هي أرض الجنة ، فيجب تأويل الآية بها .

والجواب : ان هذا التأويل انما يحتاج اليه ان لو كانت الآية هكذا (ان الارض لا يرثها الا عبادي الصالحون) بطريق الحصر فيهم . اما لما كانت الآية لا حصر فيها فلا حاجة الى هذا التأويل بل في لفظ الارث وربطه بوصف الصلاح دلالة على أنها كانت لغيرهم ، فانتقلت اليهم ، وانها تزول مع زوال وصف الصلاح . وقد جاء التنبيه على أن الارض يرثها الصالحون وغيرهم في قوله تعالى : « إنَّ الأرضَ لله

(١) البخاري في باب علامات النبوة في الاسلام .

يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (١)

فيرثها الصالحون نعمة ويرثها غيرهم فتنة وبقمة كل ذلك حسب مشيئة الحكيم الخبير .

ايراد وجوابه :

قد يقال : فما هي الفائدة اذا في تخصيص الصالحين بالذكر في هذه الآية ؟ والجواب :

١ - ان هذه الآية خوطب بها أول الناس الصحابة بمكة ، وهم الصالحون في الأرض ليعلموا ما وعدهم الله به وليعلموا أن قوة الباطل الى ضعف ، وان ضعف الحق الى قوة .

٢ - ولأن شأن الصالحين - أتى كانوا أن يكونوا - قليل سيما أول أمرهم فهم بحاجة الى أن يعلموا هذا الوعد ليزدادوا ايمانا وقوة وثباتا .

٣ - ولأن الخلق مفتنونون بالكثرة في العدد والعدة غافلون عن القوة الروحية والاخلاقية وما ينشأ عنهما من استقامة لا يحسبون لذلك حسابا ، فيحتاجون الى العلم بأن الصالحين نائلون حظهم من هذا الوعد ، وان كانوا قلة في الناس .

« وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » (٢) .

تحذير من تحريف :

رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة على الأرض - وهي

(١) ١٢٧/٧ الاعراف .

(٢) ٢٤٩/٢ البقرة .

مدنية مادية في نهجها وغايتها وتنتائجها ، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والاحسان - فقالوا ان رجال هذه المدينة هم الصالحون الذين وعدهم الله بآرث الأرض . وزعموا ان المراد بالصالحين في الآية : الصالحون لعمارة الأرض . فيالله للقرآن وللانسان ، من هذا التحريف السخيف ، كان عبارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد ، وفسدت الأخلاق ، واعوجت الأعمال وساءت الأحوال ، وعذبت الانسانية بالازمات الخائقة ، وروعت بالفتن والحروب المخربة الجارفة وهددت بأعظم حرب تأتي على الانسانية من أصلها والمدينة من أساسها ، هذه هي بلايا الانسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدينة المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الانسان ، ثم يريد هذا المحرف أن يطبق عليها آية القرآن : كتاب الحق والعدل والرحمة والاحسان ، واصلاح الانسان ليصلح العمران . فأما الصالحون فهو لفظ قرآني قد فسره القرآن كما قدمناه وقد شرف أهله باضافتهم الى الله في قوله : (عبادي) فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلام عن مواضعه أشبع التحريف وأبطله فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين .

موعظة وارشاد :

فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن ، فاما اذا لم يكن لها حظ من ذلك الصلاح فلا حظ لها من هذا الوعد ، وان دانت بالاسلام . والله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيبته في ملك الارض وسيادة الأمم يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت وبلغ بها الى ما قدر له من عز وذل وسعادة وشقاء وشدة ورخاء وكل محاولة لصدها عن غايتها - وهو أخذ بها - مقضي عليها بالفشل . سنة الله ، ومن ذا يبدها أو يحولها ؟

« فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » « وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
اللَّهِ تَحْوِيلًا » (١) ثم « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (٢) .



(١) ٤٢/٣٥ فاطر .

(٢) ٣٣/٧ الاعراف .

(٣) ش: ج ٦ م ١١ ص ٣٣٩ - ٣٤٥
جمادى الثانية ١٣٥٤ - سبتمبر ١٩٣٥

دفاع الله عن المؤمنين

« إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ » (١) .

الكلمات :

دفع الشيء صده ورده ، والدفاع عن الشيء حمايته بصد ما يؤذيه
عنه وقرىء في المتواتر (يدفع) وقرىء (يدافع) وهو بمعنى يدفع ،
ولكنه أريد قوة الدفع ، فجيء بفاعل الذي يقتضي المغالبة في أصله ،
لأن دفع المغالب أقوى وأبلغ . أو لأن ما يهيئه الله لهم من أسباب الدفع
التي يباشرونها مقابلة لما يقصدتهم به أضدادهم ، فكان الدفع من
الجانبيين ، خان اذا ضيع ما جعل في حفظه وعهدته ، والخوان الكثير
التضييع لما استحفظ . والكفور الكثير الجحود للنعم فلا يعترف بها
أو لا يؤدي شكرها .

التراكيب :

عندما يكون المؤمنون في قلة وضعف وأعداؤهم في كثرة وقوة —
كالحالة التي كان عليها المؤمنون يوم نزلت الآية بعيد الهجرة — تشك
النفوس في سلامتهم من كيد عدوهم ، فلذا جاء هذا الخبر مؤكدا
بأن . ولكون هذا الدفع متجدداً جيء بالفعل مضارعاً . وليبيان سبب
الدفع جيء بالجملة المستأنفة بعد الجملة الأولى وأكدت بأن لأن الأولى

(١) ٣٨/٢٢ الحج .

تحمل المخاطب على أن يسأل سؤال المتردد : هل هؤلاء المدفوعون أعداء مبغوضون ؟ فأجيب بالتأكيد . وحذف مفعول يدافع ليعم كل ما يدفع فشمّل كيد جميع الكائدين .

التفسير :

هذا من الله تعالى خبر حق ووعد صدق للمؤمنين بأنه يرد عنهم كيد أعدائهم ويبطل مكرهم ويكف شرهم وان عظم ذلك منهم وكثر . وان هذا منه لهم متكرر متجدد . ذلك لأنهم بايمانهم حافظوا على أمانة الله عندهم وعهده لديهم واعترفوا بنعمه وشكروها ، فأحبهم الله ورضي عنهم فأيدهم ونصرهم ودافع عنهم ، ولأن أعداءهم ضيعوا أمانة الله عندهم بارتكاب المنهيات وترك الأمور وجحدوا وحدانيته أو نبوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو ما جاءهم به من شرعه فابغضهم ورد كيدهم مغلوبين مدحورين .

تحرير في التعليل :

ان الحب من الله والبغض كسائر أفعاله لا تقع الا على وجه الحق والعدل والساد ، وهذا أمر واجب لأفعال الرب الحكيم . فالمؤمنون أحبهم ونصرهم لايمانهم ، وأعداؤهم أبغضهم وخذلهم لخياتهم وكفرهم . واقتضت هذه المقابلة ان الخيانة والكفر من صفات أضدادهم وليست من صفاتهم . فايماهم مستلزم لأمانتهم بحفظ عهد الله عندهم في نفوسهم وعقولهم وأبدانهم وجميع ما لديهم على جميع أحوالهم ، ومستلزم لاعترافهم بنعم الله وشكره عليها باستعمالها في طاعته وطلب المزيد من بره ، وأمانتهم هذه وشكره هي مظهر ايمانهم الذي يميزهم عن أضدادهم ويدل على صدقهم في ذلك الايمان ورسوخه في قلوبهم . فاذا أعدمت منهم الأمانة فخانوا الله والرسول وخانوا أماناتهم وفشت الفواحش والمناكر والبدع فيهم وصاروا لا يتأهون عن منكر فعلوه ،

دفاع الله عن المؤمنين

وإذا بطروا نعم الله عندهم فعطلوا منها ما عطلوا بجهلهم وكسلهم وعودهم عن الخير وأسباب الحياة والسعادة ، واستعملوا منها ما استعملوا في الشر والفساد واتباع الشهوات — إذا كانوا هكذا فقد استوجبوا غضب الله وبغضه وتقمته وحرموا نصرته ودفاعه وكانوا هم الظالمين •

خيانة دون خيانة وكفر دون كفر :

الخيانة خيانتان خيانة عقيدة وخيانة أعمال ، وكذلك الكفر وكذلك النفاق وكذلك الشرك وانما يخرج المرء عن أصل الاسلام بما كان في أصل العقيدة ، لا بما كان في الأعمال الا عملا يدل دلالة ظاهرة على فساد العقيدة وانحلالها • وعلى هذا عقد البخاري رحمه الله في الجامع الصحيح أبواباً في ظلم دون ظلم وكفر دون كفر •

تطبيق :

لما كان المسلمون أهل الايمان والصدق والشكر والامانة دافع الله عنهم وقد شهد التاريخ بذلك من الله لهم ، فلما خانوا وكفروا تركهم ومكن منهم • ولكنه برحمته وعدله لم ينس لهم أصل اسلامهم فأبقى لهم أصل وجودهم الذاتي • وهم لحم على وضم بين الأمم لا يستطيعون دفعا عن أنفسهم • وأبقى لهم أصل وجودهم الروحي بكتابه المتلو بين ظهرائهم رغم اعراضهم عن تدبره وهجرهم لما فيه — عساهم يرجعون •

تنبيه وتحذير :

كل عمل لا يحل فهو خيانة وان كان بأدنى اشارة ، وقد نبه الله على هذا بقوله : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ » (١) وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل والإشارة بطرف العين فيما يحرم •

(١) ١٩/٤٠ المؤمن •

وأعظم الخيانة بعد الكفر خيانة العامة ، لأن الذنب يعظم بعظم أثره وانتشار ضرره . ولهذا جاء ما جاء من الوعيد الشديد فيمن ولي أمراً من أمور المسلمين فغشهم ولم ينصح لهم . فحَقَّ على المسلم أن يحذر من الخيانة دقيقتها وجليلها وخصوصاً ما اتصل بالناس منها ويتنبه من أقل كلمة وأدنى إشارة توقعه في خطرها .

سؤال وجوابه :

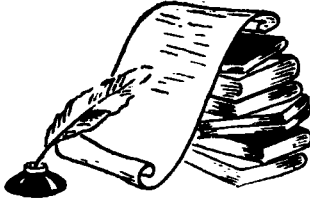
فان قيل : قد نجد من عباد الله المؤمنين من يصيبه البلاء والشدة فيعذب وقد يقتل وكأين من نبي قتل ، وقد أصاب المؤمنين يوم أحد ويوم حنين ما أصابهم . فالجواب : ان دفع الله يكون بأسباب وأنواع وعلى وجوه تختلف بحسب الحكمة ولا تخلو كلها من دفاع ، فان ما يصيب المؤمنين من البلاء في أفرادهم وجماعتهم هو ابتلاء يكسبهم القوة والجلد ويقوي فيهم خلق الصبر والثبات وينبهم الى مواطن الضعف فيهم أو ناحية التقصير منهم ، فيتداركوا أمرهم بالاصلاح والمتاب ، فاذا هم بعد ذلك الابتلاء أصلب عوداً وأظهر قلوباً وأكثر خبرة وأمنع جانباً ، وان في صبر الصابر منهم وقد نزل به البلاء الذي لا يقدر على دفعه والظلم الذي لا يقدر على ازالته لبعثنا للقوة في نفس غيره ممن يأتسي به ، وضعفا في قلب ظالمه . وفي كليهما دفع من الله عن المؤمنين .

مشاهدة وتوصية :

نعرف في حياتنا مواطن ما نجونا فيها الا بدفع الله وبطل كيد الكائدين فيها بمحض صنع الله ، وقد كنا فيها - فيما نرى - على شيء من العمل لله . فكيف بمن كانت أعمالهم كلها لله . وهذه المشاهدة التي شاهدنا - ولا نشك أن من غيرنا من شاهد مثلنا أو أكثر منا - توجب علينا أن نوصي بالايمان بالله والمحافظة على العهد

دفاع الله عن المؤمنين

والثقة به ، فان ذلك يحقق وعد الله بالدفع وينيل أهله العزة والحفظ ،
فعلى المسلم أن يعمل لذلك ويعتد به ثقة بالله وصادق وعده . والله
لا يخلف الميعاد (١) .



(١) ش: ج ٩ م ١١ ص ٤٩١ - ٤٩٥
رمضان ١٣٥٤ - ديسمبر ١٩٣٥

أكل الحلال والعمل الصالح

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا . إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (١) .

الكلمات :

الطيب ما صلح واعتدل في نفسه وسلم من كل ما يفسده ويخرجه عن اعتداله وأصل خلقته ، فكان مستلذاً للنفوس سواءً كان ما يدرك بالسمع أو بالبصر أو بالذوق أو بالشم أو باللمس أو بالعقل . فالطيب هو اللذيذ لذة حسية أو عقلية . ويقابله الخبيث وهو المستقذر حساً أو عقلاً وعلى هذا جاء قوله تعالى : « وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » (٢) فما أحلَّ الله إلا الطيب المستلذ ، وما حرم إلا الخبيث المستقذر . فلهذا صار الطيب في لسان الشرع يجيء كثيراً بمعنى الحلال ويكون ضده الخبيث بمعنى الحرام . ومنه « كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ » أي المحللات ، فملك غيرك ، وإن كان مستلذاً في الحس فانه ليس طيباً لك شرعاً ، وذلك لأنه مستقذر في العقل بما فيه عند تناوله بدون إذن صاحبه من التعدي المستقبح في العقل . وقد يجيء الطيب بمعنى الجيد ، والخبيث بمعنى الرديء ، وعليه قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَفِقُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا

(١) ٥١/٢٣ المؤمنون .

(٢) ١٥٦/٧ الاعراف .

اكل الحلال والعمل الصالح

أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» (١) .

الصالح هو المستقيم النافع ، وهو فعل المأمورات وترك المنهيات وتناول المباحات من حيث انها مباحات أو وسائل لفعل المأمورات وترك المنهيات .

التركيب :

للاهتمام بالمأمور به قدمت قبل الأمر جملة النداء . ولأن هذا المأمور به مما يجب عليهم تبليغه نودوا بلفظ الرسل . ولأن كل واحد منهم أوحى الله اليه بهذا النداء والأمر في زمانه كان النداء والأمر للجمع ، وقد دخل في الجمع عيسى — عليه الصلاة والسلام — الذي كان الحديث عليه في الآية التي قبل هذه وهي : « وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ » (٢) . كما دخل في الجمع محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — الذي نزلت عليه هذه الآية . ولأن المقصود من الأكل — وهو الغذاء واللذة — يحصل ببعض قبل (من الطيب) بمن التبعية . ولما كان المخاطب بأكل الحلال والعمل الصالح شأنه ان تتشرف نفسه لتعين ثمره ذلك جاء الخبر مؤكداً بأن في « اَتَى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » وعلم الله مستلزم لجزائه للعاملين فكان كناية عن الجزاء وفي الكناية عن الجزاء بالعلم تفخيم لهذا الجزاء وتعظيم فهو جزاء الله العليم وكفى به .

(١) ٢٦٧/٢ البقرة .

(٢) ٥٠/٢٣ المؤمنون .

التفسير :

خلق الانسان مركباً من روح وبدن ، وانما بقاء بدنه بالغذاء ، وانما كمال روحه بالعمل ، فأمر الله بالأكل لبقاء البدن واشترط أن يكون من الطيبات لأنها هي التي تغذي ولا تؤذي . أما الخبائث ففيها الأذى ويتفه أو يعدم منها الغذاء . وأمر بالعمل الصالح الذي فيه زكاء للنفس ونفع لها في العاجل والآجل وخير للعباد والبلاد . وأخبر بعلمه بعمل العاملين ليجتهدوا في العمل ويخلصوا له فيه وينتظروا جزاءهم من عنده . والدّين كله عمل صالح وتوحيد خالص . وقد انتظمتها الآية تصريحاً في العمل واستلزماً في التوحيد . ويبيّن — تعالى — بهذه الآياتان هذا الذي اشتملت عليه هو دين الله لجميع الأمم أوصى به رسله — صلوات الله عليهم — ليلغوه لخلقه فهو حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه .

توجيه الترتيب :

تتوقف الأعمال على سلامة الأبدان ، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات ، ولهذا قدم الامر بالأكل على الأمر بالعمل ، فليس من الاسلام تحريم الطيبات التي أحلّها الله كما حرم غلاة المتصوفة اللحم ، وليس من الاسلام تضعيف الأبدان وتعذيبها كما يفعله متصوفة الهنادك ومن قلدتهم من المنتسبين للاسلام . والميزان العدل في ذلك هو ما كان عليه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وأصحابه — رضي الله عنهم — وقد بيّن ذلك أئمة السنة والأثر رحمهم الله ، وقد جوده مالك — رضي الله عنه — في كتاب الجامع من الموطأ . وفي تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها ، لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب والبدن فتصلح الأعمال كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن فتفسد الاعمال .

بيان نبوي :

خرج مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة - رضي الله عنه -
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

(ايها الناس ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله تعالى امر
المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ »
وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنِ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ »

ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر . يمد يديه الى السماء يا رب
يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني
يستجاب لذلك) فبين الحديث الشريف ان الله طيب . أي منزه عن
النقص في ذاته وصفاته وأفعاله تنعم العقول والأرواح بمعرفته -
كما يليق به - ومحبته . وانه لا يقبل من الاعمال الا طيباً أي
صالحاً في نفسه خالصاً من شوائب المخالفة والرياء والشرك ويبيّن أن
الشرع عام للرسل وللامم ولا يستثنى من هذا الا ما دل
الدليل على اختصاصه بالرسل ويبيّن ان أكل الحلال هو الذي يثمر
قبول الدعاء والدعاء هو مخ العبادة فاذا رده عليه فقد ردت عليه عبادته
فكان هذا البيان النبوي على مقتضى ما أفاده ترتيب الأمرين في الآية .

تكميل :

في آية الرسل الأمر بالأكل من الطيبات والأمر بالعمل الصالح
واستلزام الأمر بالاخلاص ، وفي آية المؤمنين الأمر بالأكل من الطيبات
والأمر بالشكر والتصريح بلزوم توحيده تعالى في العبادة لان
تمامها هكذا :

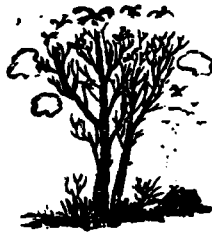
« وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ تَعْبُدُونَ » (١)

واقصر في الحديث على الأمر بالأكل من الطيبات اما لأن الاكل كان في الحديث على أكل الحلال ، واما لأن الراوي اختصر الرواية .

الاهتداء :

على المؤمن أن يتحرى في مأكله ومشربه وكل ما فيه قوام ذاته الحلال الطيب يمثل بذلك أمر الله ويقصد التوصل به الى العمل الصالح وعليه أن يتحرى في فعله وتركه أمر الله ونهيه حتى يكون عمله عملاً صالحاً طيباً متقبلاً . يمثل بذلك أمر الله ويقصد قبول عبادته ودعائه لديه . والمتحري للحق والخير جدير بالتوفيق اليه وكثرة اصابته .

رزقنا الله والمسلمين التحري لطاعته والتوفيق لمرضاته والتأدب بكتابه آمين (١) .



(١) ١٧٢/٢ البقرة .

(٢) ش : ج ١١ م ١١ ص ٥٨٧ - ٥٩٠
ذو القعدة ١٣٥٤ - فري ١٩٣٦

الاجتماع العام للأمر الهام

وارتباط الجماعة بأمر الامام

- ١ -

القرآن العظيم :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ . إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (١) .

الالفاظ :

الأمر الجامع هو الحادث الذي يتطلب الاجتماع بطبيعته فيجمع الامام الناس من أجله ، من ذوي الرأي والمعرفة بمثله ، والخبرة والتجربة فيه ، من كل من يعم نفعه ، أو ضرره من أمور السلم والحرب وشؤون الحياة والاجتماع ، ليتشاوروا فيما بينهم ويستضيئوا بعضهم لرأي بعض . والاستئذان : هو طلب الاذن من الامام بمفارقة الاجتماع لعذر قاض بالمفارقة .

(١) (٦٢ / ٢٤ - ٦٣) النور .

المعنى :

يأمر الله المؤمنين اذا كانوا مع رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - على أمر جامع أن لا يفارقوا مجلسه كلهم أو بعضهم الا باذنه . وأكد هذا الأمر بما وطأ له من ذكر الايمان بالله ورسوله تنبيهاً على انه من مقتضاهما ، وبقرنه بهما وجعله ثالثاً لهما تعظيماً لشأنه ، وتنبيهاً على ملازمته لهما ممن صدق فيهما (١) . حتى كأن غير المستأذنين لا ايمان لهم ، وباعادته في الجملة الثانية بيان أن الذين يستأذنون هم دون غيرهم الثابتون في ايمانهم المستمرون عليه ، تعريضاً بالذين لا يستأذنون وتقييحاً لحالهم ، بأنهم لا ثبات لهم في الايمان ولا استمرار منهم على العمل به ، فليسوا بالمؤمنين ولا بالذين يؤمنون . ثم جعل الخيار لرسوله في الاذن وعدم الاذن لهم اذا استأذنوه لبعض شأنهم تعظيماً لأمر الاجتماع وتعظيماً للصالح العام وتوكيداً لحق الامام على الجماعة لحفظ الاجتماع وتتميم الأعمال . ثم أمره أن يستغفر لهم فقد يكون العذر دون الاضطرار ، وقد يكون ما فاته من بركات الاجتماع وحسنات المشاركة فيه بالرأي والاهتمام ، وتكثير السواد - بسبب ذنب كان منهم في أمر غير الاجتماع - وأكد هذا الأمر بأنه الكثير المغفرة لعباده الدائم الرحمة بهم .

الأحكام :

لما كان الاجتماع شرعاً للمصلحة ، والذهاب بدون استئذان حراماً للمفسدة ، فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة : فأحكام الآية مستمرة ، الاحكام عامة للمسلمين في كل زمان وكل مكان ، مع أئمتهم وقادتهم والمقدمين منهم فيهم في كل ما يعرض من اجتماع لصالح عام .

(١) كذا في الاصل ولعله (بهما) .

الاجتماع العام للامر الهام

فمن أحكام الآية الكريمة — ان على أئمة المسلمين وذوي القيادة فيهم اذا نزل بهم أمر هام أن يجمعوا جماعة المسلمين الذين يرجى منهم الرأي والعمل فيما نزل ، فلا يجوز لهم أن يهملوا أمرهم ، ولا أن يستبدوا عليهم ، وان على المسلمين أن يجتمعوا اليهم ويكونوا معهم ، يظاهروهم ويؤيدونهم وينصحون لهم ، فلا يجوز لهم أن يتخلفوا عنهم ، ولا أن يخذلواهم ، وأن على المجتمعين أن لا يذهب واحد منهم الا باذن — وأن لا يستأذن الا لعذر ببعض الشأن ، وأن على الامام أن ينظر في الاذن وعدمه فيفعل ما هو أولى .

بيان مراد ، ودفع اغترار واعتراض :

تجد في آيات القرآن العظيم أخباراً ووعوداً من الله — تعالى — للمؤمنين ولربما حسب من لا يعلم أنها تشمل كل من كان على أصل الايمان من اعتقاده مع بعض أعماله ، وان فرط في كثير من أصول الأعمال . فبين الله — تعالى — في هذه الآية وأمثالها مراده بالمؤمنين عند اطلاق لفظ المؤمنين في تلك الأخبار والوعود ، حتى لا يفتر المفرطون ولا يعترض الجاهلون .

توجيه وارشاد :

انما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ، ورسوله ، اذا كانت لهم قوة ، وانما تكون لهم قوة اذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر ، وتدبر ، وتتشاور ، وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة . ولهذا قرن الله في هذه الآية بين الايمان بالله ورسوله والحديث عن الجماعة وما يتعلق بالاجتماع ، فيرشدنا هذا الى خطر أمر الاجتماع ، ونظامه ، ولزوم الحرص ، والحافطة عليه ، كأصل لازم للقيام بمقتضيات الايمان وحفظ عمود الاسلام .

موعظة :

ما أصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به الا بهمالهم لأمر

الاجتماع ونظامه ، امّا باستبداد أئمتهم وقادتهم واما بانتشار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم وجهلهم بما يفرضه عليهم ، وما ذلك الا من سكوت علمائهم وقعودهم عن القيام بواجبهم في مقاومة المستبدين ، وتعليم الجاهلين ، وبث روح الاسلام الانساني السامي في المسلمين . فعلى أهل العلم — وهم المسؤولون عن المسلمين بما لهم من ارث النبوة فيهم — أن يقوموا بما أرشدت اليه هذه الآية الكريمة ، فينفخوا في المسلمين روح الاجتماع الشورى ، في كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم ، حتى لا يستبد بهم مستبد ، ولا يتخلف منهم متوان ، وحتى يظهر الخاذل لهم ، ممن ينتسب اليهم فينبذ وي طرح ويستغني عنه بالله وبالْمؤمنين .

موازنة وترجيح :

هنالك المصلحة العامة وهنالك المصلحة الخاصة ، ومحال أن تساوي هذه بتلك ، انظر الى الذكر الحكيم كيف عبر عن الأولى بالأمر الجامع ، وفي هذا ما فيه من تفخيم ، وعبر عن الثانية ببعض الشأن وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل . وفي قرنها بالاستغفار تنبيه على ترجيح الأولى على الثانية وأنها ما كانت تعتبر الا على وجه الرخصة والاستغراق في الاهتمام والتدبير للمصلحة العامة أحق وأولى .

امتثال ورجاء :

لنجعل المصلحة العامة غايتنا ، والمقدمة عندنا حتى لا يكون — ان شاء الله — في مصالحنا الخاصة ما يصرفنا أو يشغلنا عنها ، راجين من الله تعالى أن يعيننا على ما قصدنا وأن يوفقنا الى استعمال كل مصلحة خاصة لنا في مصلحة عامة لنا ولاخواننا انه نعم الموفق ونعم المعين^(١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ١ - ٤

غرة محرم ١٣٥٦ هـ - ١٤ مارس ١٩٣٧ م .

- ٢ -

القرآن العظيم :

« لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا • قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ
مِنْكُمْ لِيُؤَاذُوا • فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (١) •

المناسبة والارتباط :

لما بينت الآية السابقة وجوب الاستئذان عند ارادة الانصراف من
مجلسه عليه الصلاة والسلام بينت هذه الآية وجوب تلبية دعوته اذا
دعا ، وفضحت حالة الذين يتسللون غير مستأذنين وحدثت من فعلهم
وأوعدت الوعيد الشديد المخالفين أمثالهم •

الألفاظ :

الدعاء : النداء وطلب الاقبال للحضور • بينكم : في اعقادكم
ومعاملتكم • يتسللون : يذهبون قليلا قليلا من الجماعة متخفين •
لواذا : ملاوذة بان يلوذ هذا بهذا ويلوذ هذا بهذا متسترا به حتى
لا يرى عند خروجه • فليحذر : فليتيقظ ، وليتحرز • وذلك باجتنا
المخالفة • يخالفون عن أمره : يصدون ويعرضون عن طريقته وسنته
ومنهاجه وما كان عليه من سير في الحياة • الفتنة : البلاء بأنواع النقم
أو بنعم تستدرج الى النقم ، هذا معنى الفتنة لأنها ذكرت في مساق
الوعيد • عذاب أليم : في الآخرة •

المعنى :

لا تنزلوا دعاء الرسول لكم اذا دعاكم الى الحضور عنده منزلة

دعاء بعضكم بعضاً للحضور ، فتحسبون أنفسكم مخيرين ان شئتم أجبتهم وان شئتم تخلفتم ، فتارة تجيئون وتارة تتخلفون ، فاجابة دعوته والاسراع اليه واجب محتم عليكم ، والتخلف أو التباطؤ — لغير عذر واضح — محرم عليكم ، ذلك لأنه اذا دعاكم لا يدعوكم الا للمصلحة قطعية وخير محقق يعود عليكم في أمر الدين أو أمر الدنيا ، ففي تخلفكم أو تباطؤكم تفويت أو تعطيل أو تشييط. واذا حضرتم مجلسه فابقوا كلكم عنده ولا تذهبوا من مجلسه واحداً واحداً أو اثنين اثنين يتستر بعضكم ببعض عند الخروج حتى لا يراه الناس ولا يراه الرسول، فان الله يعلم قطعاً أولئك الذين يخرجون متسللين متسترين بعضهم ببعض ، فاذا نجوا من ملام الرسول فانهم لا ينجون من عذاب الله واذا كان الله عالماً بصنعهم ومفارقتهم لمجلس رسوله وثلثمهم لجماعته وصددهم واعراضهم عما هو عليه هو ومن معه — فهو معاقبهم على ما ارتكبوا بالبلايا ، يصبها عليهم في الدنيا ، أو العذاب الاليم ينزله بهم في الآخرة ، أو يجمع لهم ما بينهما ، فليتنجب أولئك المخالفون لأمره هذه الفتنة وهذا العذاب وليحذروا منها • وما ذلك الا بترك المخالفة والاقلاع عنها والرجوع الى الموافقة والاتباع •

تنظير وتعميم :

أمراء المسلمين وقادتهم ومن يتولون أمراً من أمورهم العامة تجاب دعوتهم اذا دعوا لأمر عام وشأن مما يرتبط بما في عهدتهم من أمر الناس ، ويسرع اليهم ولا يتسلل من مجالسهم • ذلك لما لهم من حق الخلافة عن الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — فيما كان يقوم به من أمر الناس وتديير شؤونهم وضبط نظامهم ورعاية مصالحهم •

ميزان :

كل الأقوال والأعمال توزن بأقواله وأعماله ، وكل الأحوال والسير

توزن بسيرته وحاله • فما وافقها فهو الحق والخير والهدى ، وهو الذي يقبل من كائن من كان • وما خالفها فهو الباطل والشر والضلال ، وهو الذي يرد على صاحبه كائنا من كان • وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو ردّ) •

وجوه الفتنة وسببها :

مخالفة السنة النبوية والهدى المحمدي وما كان عليه رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه وتمثيل الاسلام تمثيلا عمليا ، تلك المخالفة هي سبب كل بلاء لحق المسلمين حتى اليوم بحكم صريح هذه الآية • وقد ذكر المفسرون في تفسير الفتنة أشياء على وجه التمثيل لا على وجه الحصر والتحديد ، فذكروا الكفر ، والقتل ، والاستدراج بالنعم ، وقسوة القلب ، عن معرفة المعروف والمنكر ، والطبع على القلب حتى لا يفقه شيئا ، وكل هذا قد أصاب المسلمين بسبب مخالفتهم •

اعظم الفتنة :

غير أن أعظم الفتنة — فيما نرى — هو ما قاله الامام جعفر الصادق : (ان يسلط عليهم سلطان جائر) فانه اذا جار السلطان — وهو من له السلطة في تدبير أمر الأمة والتصر في شؤونها — فسد كل شيء ، فسدت القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال ، وانحطت الأمة في دينها ودنياها الى أحط الدرجات ، ولحقها من جرائم كل شر وبلاء وهلاك • ثم بتفاوت ذلك الفساد بحسب ذلك الجور في قدره وسعته ومدة بقاءه • هذا اذا كان ذلك الجائر من جنسها ويدين — بحسب ظواهره — بدينها ، فكيف اذا لم يكن من جنسها ولا من دينها في شيء • حقا ان أعظم ما لحق الأمم الاسلامية من الشر والهلاك كله جاءها على

يد السلاطين الجائرين منها ومن غيرها • وهذا ما يشهد به تاريخها في ماضيها وحاضرها • فما أصدق كلمة جعفر الصادق وما أعمق نظره فيها ، ومن أحق بمثلها من بيت النبوة ومعدن الحكمة ؟ عليهم الرضوان والرحمة •

تطبيق وتحذير :

من أبين المخالفة عن أمره وأقبحها الزيادة في العبادة التي تعبد لله بها على ما مضى من سنته فيها واحداث محدثات على وجه العبادة في مواطن مرت عليه ولم يتعبد بمثل ذلك المحدث فيها • وكلا هذين زيادة واحداث وابتداع مذموم • يكون مرتكبه كمن يرى انه اهتدى الى طاعة لم يهتد اليها رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وسبق الى فضيلة قَصَرَ رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — عنها • وكفى بهذا وحده فتنة وبلاء ، دع ما يجر اليه من بلايا أخرى ، وقد طبق الإمام مالك رضي الله عنه هذه الآية الكريمة ، على هؤلاء المتزيدين أحسن تطبيق وأبلغه وأردعه لمن كان له فهم وإيمان •

روى الامام ابن العربي — رحمه الله — بسنده المتصل الى سفيان ابن عيينه رحمه الله قال : سمعت مالك بن أنس واثاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة^(١) من حيث أحرم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال : (اني أريد أن أحرم من المسجد) فقال : لا تفعل • قال : اني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر • قال : لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة • قال : وأي فتنة في هذا ؟ انما هي أميال أزيدها • قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى

(١) ذو الحليفة : تصغير حلفة ، وهي ماءة بين بني جشم بن بكر بن هوازن ، بينه وبين المدينة ستة اميال ، وهو كان منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من المدينة لحج أو عمرة (انظر البكري ٤٦٤ — ٤٦٥) .

انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
اني سمعت الله يقول: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»
فليتأمل المسلمون — وخصوصا المتسبين الى مذهب مالك — في
فقه هذا الامام العظيم ووقوفه عند حدود الله وليحذروا من عاقبة
المتزيدين المتغالين .

بوارق أمل :

لقد شعر المسلمون عموما بالبلايا والمحن التي لحقتهم وفي أولها
سيف الجور المنصب على رؤوسهم ، وادرك المصلحون منهم أن سبب
ذلك هو مخالفتهم عن أمر نبيهم — صلى الله عليه وآله وسلم — فأخذت
صيحات الاصلاح ترتفع في جوانب العالم الاسلامي في جميع جهات
المعمور . تدعوا الناس الى معالجة أدوائهم بقطع سببها واجتثاث أصلها .
وما ذلك الا بالرجوع الى ما كان عليه محمد — عليه الصلاة والسلام —
وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الاسلام ،
وقد حفظ الله علينا ذلك بما ان تمسكنا به لن نضل أبداً — كما في
الحديث الصحيح — الكتاب والسنة . وذلك هو الاسلام الصحيح الذي
أنقذ الله به العالم أولاً ، ولا نجاة للعالم منا هو فيه اليوم الا اذا
أنقذه الله به ثانياً . وقد أخذ المسلمون يصيغون أسماهم ويستجيبيون —
أفواجاً أفواجا — لداعي الاصلاح أينما دعاهم ، وفي ذلك — والحمد
لله — ما يقوي الرجاء والأمل ، ويبعث على الجد والعمل . الله لا إله إلا
هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١) .

الفرقان

« تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مَثَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَسْخِذْهُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا » (١) .

المفردات :

تبارك : مادة برك كلها ترجع الى معنى الثبوت ، منها بروك الابل استناختها ، والبركة كالتربة مثل الحوض يثبت فيها الماء ، والبراكاء الثبات في الحرب ، ومنها البركة بمعنى النماء والزيادة ولا ينمو ويزيد الا ما كان ثابت الأصل ، وشأن ثابت الأصل أن ينمو ويزيد ، فلم تخرج عن الثبوت ، وتبارك من البركة ، فمعناه تزايد خيره والله تعالى له الكمال ومنه الانعام فتبارك أي تزايد كماله وانعامه فلا تحصى انعاماته ولا تحد كمالاته . وثبوت الكمال ينافي وينفي ضده ، فيقتضي التنزه عن النقص . فانتظم اللفظ ثلاثة معاني : التنزه عن النقص ، والاتصاف بالكمال ، والافاضة للانعام . فتبارك : (تقديس وتعظيم) الفعل الأول مفيد للأول ، والفعل الثاني مفيد للثاني ، والثالث (نزل) مادة نزل كلها ترجع الى معنى الهبوط من عل والحلول في أسفل . ونزل المضاعف أبلغ في المعنى ، من أنزل ، وقد يفيد كثرة النزول كما هنا ، لأنه نزله مفرقاً على نيف وعشرين سنة ، وقد يفيد القوة في نزول

(١) ١ / ٢٥ - ٢ الفرقان .

واحد كما في « لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً »
 لان تنزيل الجملة أقوى من انزال التفصيل • (الفرقان) : أصله مصدر
 فرق بمعنى فصل وهو أبلغ في الدلالة على المعنى من فرق المصدر المجرد
 بما فيه من زيادة الألف والنون كما كان القرآن أبلغ من القراءة لذلك •
 وهو هنا اسم من أسماء هذا الكتاب الكريم • (نذير) : مادة نذر
 كلها ترجع الى الاعلام والتحريم ، فمنها نذر على نفسه الصوم أوجه
 وحتمه وأعلم به ونذر بالعدو كفرح علم به وأنذره أعلمه ، ولا يستعمل
 الا في ابلاغ ما فيه تخويف فهو اعلام بتأكيد وتحريم • ونذير هنا بمعنى
 منذر من فاعيل بمعنى مفعول •

التراكيب :

(النَّذِي نَزَّلَ) : عرف المسند اليه بالموصولية لزيادة تقرير الغرض
 الذي اليه سيق الكلام ، لأن الغرض بين كمالات الله تعالى وانعاماته
 وتنزيل الفرقان منها ، فهو من أعظم نعم الله على البشر ومن آيات الله
 الدالة على قدرته وعلمه وحكمته • (عبده) : اضافة تشريف لانه أكمل
 العباد •

المعنى :

تقدس وتعظم الرب الذي نزل الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل
 والهدى والضلال وحزبيهما من الناس مفصلاً آيات آيات على محمد —
 صلى الله عليه وآله وسلم — أكمل عباده ليكون بذلك الكتاب لجميع
 الأنس والجن منذراً لهم يعلمهم بعذابه ويخوفهم بشديد عقابه ان لم
 يعبدوه وحده ويخلصوا غيره من آلهتهم الباطلة ويدخلوا في الدين الذي
 جاءهم به وهو الاسلام •

توحيد :

هذا الفعل وهو (تبارك) لا يسند الا الى الله تعالى ، ذلك لأن

العظمة الحقيقية بالكمال والانعام والتقديس بالتتزه التام ليسا الا له
وما من كامل من مخلوقاته الا وهو — جل جلاله — الذي كمله وما من
منعم عليه منهم الا وهو — تعالى — الذي أنعم عليه وما من زكي منهم
الا وهو — سبحانه — الذي زكاه .

سلوك :

هذا الرب الكامل المكمل المنعم المتفضل القدوس المقدس هو الذي
أنزل هذا الفرقان ، فاذا أردت أن ترقى في درجات الكمال وتظفر
بأنواع الانعام وتزكي نفسك الزكاء التام فعليك بهدى هذا الفرقان ،
فهو بساط القدس ومعراج الكمال ومائدة الاكرام وقد سئلت عائشة
رضي الله تعالى عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
كان خلقه القرآن .

تفقه واستنباط :

لما سمى الله كتابه الفرقان علمنا أنه به يفرق بين الحق والباطل
وأهل هذا وذلك ، فهو الحكم العدل والقول الفصل بين كل متنازعين
يدعي كل منهما انه على الحق فيما هو عليه من عقد أو قول أو عمل ،
فما تقابل حق وباطل وما تعالجت حجة وشبهة الا وفي هذا الكتاب
الحكيم ما يفرق ما بينهما وانما يتفاوت الناس في ادراك ذلك منه
على حسب ما عندهم من قوة علم وصدق بصيرة وحسن اخلاص ، فعلينا
— اذا — أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل اليه ، وان يكون أول
جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه مستعينين بالسنة القولية
والعملية على استخراج لآليه . فاذا حكم قبلنا وسلطنا وكنا مع ما حكم
له وفارقنا ما حكم عليه ، فالله سماه الفرقان لنعلم انه فارق بنفسه ولنعمل
بالفرق به ولا يكمل ايماننا بانه الفرقان الا بالعلم والعمل .

ولما جعل — تعالى — غاية تنزيل الفرقان أن يكون عبده نذيراً

اقتضى ذلك أن نذارته تكون بالفرقان لتقوم الحجة وتم الحكمة وتحصل الفائدة وتشمل النعمة . وقد صرح بهذا في قوله تعالى بالاعراف :
 « كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ » . وبالأنعام : « وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَتَذَرِكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » . وبالنمل : « إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ » . وبق : « فَذَكِّرْهُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِي » . وبالتوبة : « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ » فعلينا - إذا - أن نعلم أن القرآن هو كتاب النذارة والهداية ، فنستخرج أصولها وفنونها من آياته ، وهذا حظ العلم ، وان يكون اهتداؤنا في أنفسنا وهدينا لغيرنا به ، وهذا حظ العمل ، وهما ركنا الايمان .

تطبيق وتحكيم :

في العالم الاسلامي كله اليوم طائفتان من المؤمنين تتنازعا ن خطة الهداية والنذارة والتذكير ، ولكل منهما في سلوكها للقيام بتلك الخطة سبيل ، وكل منهما تدعي أنها هي التي على الصواب ، وأنها الأحق والأولى بنفع العباد . فرأينا أن نطبق فصل الفرقان عليهما وننظر كيف يفرق ما بينهما وبين المصيبة من المخطئة منهما ، وفي ضمن ذلك تحاكمهما اليه وفصل النزاع بينهما بحكمه . وانما اخترناهما للتطبيق والتمثيل لخطر الخطة التي تنازعا عليها ، وعظيم النفع والضرر الذي يحصل من خطأ المخطيء وصواب المصيب بها ، ولأن الهداية والنذارة والتذكير أمور لها أنزل القرآن فتنازعهما عليها تنازع عليه فأحق فصل نمثل به

لنعلمه هو فصله بين المتنازعين فيه • وها نحن نعرض بعض حال كل طائفة في قيامها بالخطبة ثم نسوق آيات القرآن وتنظر من أسعد الطائفتين بها •

حكم القرآن بين الطائفتين :

الطائفة الاولى : يذكرون من يدعونهم بغير القرآن بأحزاب وأوراد من وضعهم لا مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا قليلا : ولهم عليهم في أموالهم حق في أوقات من السنة معلومة •

والطائفة الثانية : يذكرون الناس بالقرآن فيأمرونهم بقراءته وتدبره ويبنون لهم معانيه ويحثونهم على التمسك به والرجوع اليه •

ويدعونهم الى الاذكار النبوية الثابتة في الكتب الصحاح لرجوعها الى القرآن بحكم قوله تعالى : « وَمَا أَنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » (١) ولا يطلبون عليهم في ذلك أجراً •

والله تعالى يقول في الحال الأول : « فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ » وغيرها من الآيات المتقدمة في هذا المجلس ويقول - تعالى - في الحال الثاني لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » (٢) « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ » (٣) • ويقول في آية صريحة صراحة تامة في بيان من يجب أن يتبع من الدعوة « اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا

(١) ٧/٥٩ الحشر •

(٢) ٥٧/٢٥ الفرقان •

(٣) ٢٣/٤٢ الشورى •

وَهُمْ مُهْتَدُونَ» (١) ومن هم المهتدون؟ هم المتبعون للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لقوله تعالى في الاعراف: «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (٢) واتباعه بالنسبة لموضوعنا هو اتباعه في طريق دعوته الخلق الى الله . وقد ثبت بالقرآن انه كان يدعو بالقرآن ويذكر به وانه لا يستل على ذلك أجرا .

بان - والحمد لله - بما ذكرنا حكم القرآن بين الطائفتين واتضح طريق الحق في الدعوة والارشاد لمن يريد سلوكه منهما . والله نسأل لنا ولهم قبول الحق والتعاون عليه والقوة والاخلاص في الصدع به والثبات عليه و «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» (٣ و ٤) .



(١) ٢١/٣٦ يس .

(٢) ١٥٧/٧ الاعراف .

(٣) ٢٧/١٤ ابراهيم .

(٤) ج ١٢ ، م ٧ ، ص ٧٣٢ - ٧٣٧

غرة شعبان ١٣٥٠ هـ - ديسمبر ١٩٣١ م .

كلام الظالمين

في الكتاب الحكيم ، والرسول الكريم ، ورد رب العالمين

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَاهٌ إِنْكَ افْتَرَاهُ
وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا •
وَقَالُوا أساطيرُ الأولينِ اكتتبها فهي تملى عليه
بكرةً وأصيلاً • قل أُنزلهُ الذي يعلمُ السرَّ في
السَّمواتِ والأرضِ إِنَّه كانَ غَفُوراً رَحِيماً » (١)

الإنفاذ :

كفروا ، غطوا الحق بانكاره وعدم الاعتراف والاعلان به • وكل
من غطى شيئاً وستره فقد كفره ، وسمي الليل كافر لأنه يغطي الأشياء
بظلامه ، والزراع كافر لأنه يغطي البذر بالتراب • إفك : كذب مصروف
عن وجهه الحق من افكه يفكه أفكاً أي صرفه • افتراه : اختلقه وافترع
صورته • جاؤوا : وردوه واتفوا اليه • ظلماً : وضع الشيء في غير
موضعه • زوراً : شهادة بالباطل • أساطير : جمع أسطورة أي اخبار
وحكايات مسطورة في كتب الأوائل ليست محل الثقة • اكتسبها :
أمر بكتابتها له ، وافتعل يأتي للطلب كاحتجم واقتصد • تملى : تلقى
عليه ليحفظها فيلقياها على الناس • بكرة : ما بين الفجر والطلوع
• أصيلاً : ما بعد العصر الى الغروب • السر : الخفي من كل شيء •
غفوراً : ستاراً للذنوب كثير التجاوز عنها • رحيماً : دائم الافاضة للنعم •

(١) ٤ / ٢٥ ، ٦ ، ٥ ، الفرقان .

المضى :

وقال الذين أنكروا الحق مع ظهوره ، وجحدوه مع وضوحه ، ما هذا الكلام الذي يتلوه محمد" علينا الا كلام كذب مصروف عن وجه الحق اخترعه وصوره واعانه عليه غيره من أناس آخرين ، فقد سموا الحق الصراح والصدق الخالص افكاً ، وجعلوا أخبار الأمين الذي كانوا يدعونهم هم أميناً ، افتراء وجعلوا القرآن الذي عجزوا عن معارضته كلاماً عادياً متعاقفاً على تركيبه وتصويره ، فسموا الشيء بغير اسمه ووضعوا الوصف في غير موضعه ، فانتهوا بذلك الى ظلم عظيم أتوه ووقعوا فيه وقد شهدوا بالباطل ، فنسبوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما هو برىء منه من الافتراء والاستعانة بغيره فانتهوا الى زور عظيم تحملوه .

وقالوا : - أيضاً - هذا الذي يتلوه علينا هو من أخبار الأوائل وكتبهم المسطورة التي سطرها من أعاجيب أحاديثهم مما يتلى به ولا يوثق بصحته توصل اليها من غيره ، أمر فكتبت له فكاتبتها له يملئها عليه دائماً في طرفي النهار فيحفظها هو ويأتينا بها .

قل - يا محمد - أنزل هذا الذي أتلوه عليكم الخالق الذي يعلم الشيء الخفي والامر المكتوم في العالم العلوي والعالم السفلي . وما أمهلكم فلم يعاجلكم بالعذاب ، وبقي يجدد لكم التذكير مع اعراضكم وعنادكم وقبح صنيعكم وسوء ردكم الا الله من شأنه الصفح والتجاوز ودوام الانعام والتفضل ، فهل لكم أن ترجعوا الى هذا الرب الغفور الرحيم ؟

مزيد بيان :

بهر العرب ما رأوا وما سمعوا ، من رجل كان بالأمس معرضاً عنهم تاركاً لهم وشأنهم يشهد موسم الحج معهم ويجتنب مشاهد

وثبتهم ولكنه لا يعاديهم ولا ينكر عليهم ويسير بينهم بالصدق والجد والعفاف وكمال المروءة سيرة تخالف سيرتهم فهم لذلك يحبونه ويعظمونه ويدعونه الأمين لقباً خصوه به فصار يدعى به بينهم • فأصبح اليوم — وقد جاوز الأربعين — ينكر عليهم ويسفه أحلامهم ويقبح عبادتهم وما يعبدون ويصبر على أذاهم ولا يقابلهم بالمثل ويستمر على دعوته غير مبال بهم ولا حاسب شيئاً لكثرتهم ولا لسطوتهم • ومن كلام مثل كلامهم في ألفاظه وفي تراكيبه ثم هم يعجزون عن معارضته بمثل أقصر سورة منه ثم يشهدون الفرق بينه وبين كلام محمد نفسه فهو اذا حدثهم بما اعتادوا من حديثه معهم حتى اذا تلى عليهم القرآن جاءهم بما هو فوق كلامه وكلامهم وما تقصر عن معارضته ألسنتهم •

بهرهم هذا وهذا وأخذ العناد بقولهم واستحوذت عليهم شياطينهم فحاروا فيما يقذفون به هذا الرسول وهذا الكتاب ، فأخذوا يقولون عن الكتاب انه افك مفترى ورأوه أكبر مما كانوا يسمعون من كلام محمد ، فلم يكن ليأتي به وحده ، وهو فوق المعتاد من كلامه ، فاذا هنالك أقوام يعينونه • ومن هم الأقوام ؟ وهو — بعد — في نفر قليل ممن آمن به ، وهم هم في كثرتهم وتساندهم وقد عجزوا عن الاتيان بشيء مثله فالقليل أخرى بالعجز من الكثير ويقولون انه أساطير الأولين وقد كان منهم من عرف شيئاً من أخبار الفرس وملوكهم وكان يحدثهم بها ويقصها عليهم ويزعم لهم انها مثل ما يأتي به محمد فقالوا — وقد علموا الفرق — هذه منها وهي مثلها ولكن محمداً عرفوه أميناً لا يقرأ ولا يكتب فكيف اتصل بهاته التي زعموها أساطير فاخترعوا وسيلة لذلك انه يكتبها له غيره ويميلها عليه وهو بحفظها ومن هو هذا الذي يكتب ويملي عليه وهم قد عرفوا مدخل محمد ومخرجه ومغذاه ومجلسه وعرفوا بلدتهم ومن يساكنهم فكيف لا يرويه ولا مرة بين يدي هذا الكاتب المملي ولا يشاهدونه يوماً في صحبته فاخترعوا لذلك

انه يملئها عليه في طرفي النهار في ظلام من الوقت وسكون من الناس •
وقالوا في الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - انه مفتر يستعين
على افترائه بغيره ، ويتظاهر باستقلاله وينسب لله ما هو حكايات
الأوائل وأوضاعهم • فيكذب عليه - تعالى - لديهم •

رد الله عليهم كل ما قالوا فيهما بأنه ظلم وزور وأن ما يتلوه عليه
هذا النبي الكريم من ذلك الكتاب الحكيم ليس مما يكون الا من خالق
المخلوقات العالم بأسرارها •

اسلوب في البيان :

لقد جاؤوا الظلم والزور في قولهم الاول وقوله الثاني : « قل »
أمر بما يرد قولهم الأول وقولهم الثاني • غير أنه قصد الى الايجاز وعدم
التكرار فجعل مع قولهم الاول الوصف وهو الظلم واكتفى بذكره
هنا عن اعادته وجعل مع قولهم الثاني الدليل وهو انزال من يعلم السر
واكتفى بذكره هنا عن ذكره مع الأول فحذف من كل ما أثبت مع الآخر •
وجعل الوصف مع الاول والدليل مع الثاني ترقياً من الدعوى للدليل •

وجه التليل :

القرآن أعجز العرب ببلاغته حتى عرفوا وعرف العلماء بلسانهم
المرتاخين ببيانهم انه ليس مثله من طوق البشر • هذه هي الناحية الظاهرة
في اعجاز القرآن والاستدلال به له ولمن أتى به صلى الله عليه وآله
وسلم • وهناك ناحية أخرى هي أعظم وأعم وهي ناحيته العلمية التي
يدعن لها كل ذي فهم من جميع الامم في كل قطر وفي كل زمن • وهذه
الناحية هي التي احتج بها في هذا الموطن • فقد استدل على ان القرآن
لا يمكن أن يكون أتى به محمد من عنده ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره
ولا أن يكون من أوضاع الاوائل - بانه ينطوي على أشياء من أسرار
هذا الكون لا يعلمها الا خالقه فمن ذلك ما أنبأ به من أسرار الامم

الخالية وبين من أسرار الكتب الماضية وما أنبأ من أحداث مستقبلية وما ذكر من حقائق كونية كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة كالزوجية في كل شيء وسبح الكواكب في الفضاء وسير الشمس الى مستقر مجهول معين عند الله لها وغير ذلك من أسرار العمران والاجتماع وما تصلح عليه حياة الانسان مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء الى اليوم والى ما بعد اليوم . فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق .

ترغيب :

قد دعانا الله الى العلم ورغبنا فيه في غير ما آية وأعلمنا انه خلق لنا ما في السموات وما في الارض جميعاً وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا ، وأعلمنا هنا ان في هذه المخلوقات أسراراً بيئها القرآن واشتمل عليها وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم والتعمق في البحث لنطلع على كل ما نستطيع الاطلاع عليه من تلك الاسرار : أسرار آيات الاكوان والعمران وآيات القرآن فنزداد علماً وعرفاناً ونزيد الدين حجة وبرهاناً ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم ، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم .

فتقنها الله في كتابه ، ووقفنا الى الاهتداء به ، والسير على

سننه (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ١١٦ - ١٢٠
غرة ربيع الاول ١٣٥٦ هـ - ٢ ماي ١٩٣٧ م .

منزلة الرسالة العلية والضرورات البشرية

« وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ... » (١) .

المناسبة :

لما طعنوا في رسالته بأنه بشر يفعل ما يفعله البشر بقولهم « مالِ هَذَا الرَّسُولِ يَا كَلِّمُ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ » (٢) رد الله عليهم بأن هذا هو حال جميع المرسلين من قبله ، واحتج عليهم بما يعملون من ذلك بما يسمعون من أهل الكتاب جيرانهم وبما عندهم من أخبار عاد وثمود من بني جلدتهم .

المفردات :

الارسال : هو البعث لتبليغ شيء أو قضائه . وفي لسان الشرع هو انزال الله تعالى الوحي على من اصطفاه من خلقه لينذر به من امره بانذاره من قوله تعالى :

« وَإِنَّا لَنَنْزِيلُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ » (٣) .

فالرسالة وحي مع أمر التبليغ .

(١) ٢٥ / ٢٠ الفرقان .

(٢) ٧ / ٢٥ الفرقان .

(٣) ١٩٢ / ٢٦ - ١٩٤ الشعراء .

التركيب :

مفعول أرسلنا محذوف تقديره رجالا ، وعليه عاد الضمير في انهم ، وهو صاحب الحال ، والحال هي الجملة التي بعد الا ، والجملة الثانية حال بالمعطف على الأولى ، والاستثناء مفرغ من الأحوال وتقدير الكلام : وما أرسلنا قبلك رجالا من المرسلين الا حالة أنهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق . أي ما أرسلناهم في حالة من الأحوال الا في هذه الحال . وان اللام والحصر بما والأكل هذه لتأكيد المعنى الذي سبق اليه الكلام ، وهو اثبات أن رسول البشر لا يكون الا بشراً رداً على منكري ذلك من المشركين ، وعبر بالمضارع في يأكلون ويمشون لأن ذلك من ضروريات بشريتهم ، فهو يتجدد ويتكرر منهم ، وأكل الطعام والمشي في الأسواق كناية من البشرية ، لأنهما وصفان لازمان لها .

المعنى :

وما ينكر عليك هؤلاء من أكلك الطعام ومشيك في الأسواق مع أنك رسول الله ، وقد علموا انه ما من رسول كان قبلك الا وهذه حالته ، وما أنت الا واحد منهم فلا عيب عليك في ذلك ولا حجة لهم عليك به .

تاريخ :

هذه المقالة شنشنة قديمة من الأمم التي أرسلت اليها الرسل فقابلتها بالجهل والعناد فقد قال لنوح قومه : « مَا نَرَاكَ إِلَّا بِشْرًا مِثْلَنَا »^(١) وقال لهود قومه : « مَا هَذَا إِلَّا بِشْرٌ مِثْلَكُمْ يَا كَلِّمًا مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا

(١) ٢٧/١١ هود .

تَشْرَبُونَ» (١) ولصالح : « مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » (٢)
 ولشعيب : « وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » (٣) ولموسى وهرون :
 « أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا » (٤) وفي سورة ابراهيم عن قوم
 نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم انهم قالوا لرسلمهم : « إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا » (٥) فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه
 وآله وسلم - ما قاله أمثالهم لآخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

تعليق :

ما اعترض المعترضون على الرسل ببشريتهم الا من جهلهم وسوء
 نظرهم وغباوتهم ، أما جهلهم فقد جهلوا ما في البشرية من استعداد
 لنيل أرقى الكمالات وجهلوا ما تقتضيه الرسالة من مشاكلة بين الرسول
 والمرسل اليهم لتحصل المفاهمة والاتصال . وجهلوا ما يؤهل به البشر
 لرتبة الرسالة من كمال في الروح والعقل ، والأخلاق والسلوك مما
 كان الرسل متصفين به كله أمام أعين أقوامهم ، وأما سوء نظرهم فانهم
 نظروا الى بشرية الرسل فقاسوهم بهم وقالوا لهم أنتم مثلنا مع وجود
 الفارق الواضح بينهم وبين الرسل في الصفات النفسية التي بها كمال
 الانسان ، وأما غباوتهم فانهم لغلبة الجسمانيات على حسهم واهمالهم
 استعمال عقولهم لم يتفطنوا للكمال المشاهد الذي امتاز به الرسل بين
 اقوامهم .

(١) ٣٣/٢٣ المؤمنون .

(٢) ١٥٤/٢٦ الشعراء .

(٣) ١٨٦/٢٦ الشعراء .

(٤) ٤٨/٢٣ المؤمنون .

(٥) ١٠/١٤ ابراهيم .

تعليم :

هذه العلة التي تصدر عن المعرضين عنها قد علمنا الله تعالى في كتابه العزيز ما يعصنا منها ، فعلمنا ان الانسان مستعد لأن تخضع له العوالم بما فيه روح الله وانه يلتحق بعالم الملائكة الاطهار بتلك الروح عندما تكون على أصل طهرها وقدسها ، علمنا هذا بقوله تعالى : « فَاِذْ اَسْوَيْتَهُ وَوَفَّخْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعَوْا لَهٗ سَاجِدِيْنَ » (١) فأخضع له ملائكته أشرف العوالم وبقوله تعالى : « قَالَ يَا اٰدَمُ اَنْزِلْ مِنْ سَمٰوٰتِهٖمْ بِاَسْمَائِهٖمْ » (٢) فاتصل بهم وخطبهم وعلمهم ، فلا عجب أن يأتي المائلون له من أبناءه في طهره وعصمته على سنته في الاتصال بالملائكة ومخاطبتهم ، وعلمنا ان الرسول لا يكون الا من جنس المرسل اليهم ليحصل الاتصال ويمكن التلقي ، وان أهل الارض لو كانوا ملائكة لأرسل لهم ملك وأنهم لو أنزل عليهم ملك وهم بشر لكسي حلة البشرية ولا التبس عليهم أمره وقلوبهم فيه مثل ما قالوا في المرسلين من البشر . علمنا بقوله تعالى : « قُلْ لَوْ كَانَفِي الْاَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْسُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُوْلًا » (٣) وبقوله تعالى : « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُوْنَ » (٤) . وعلمنا أن البشر يؤهل للرسالة باصطفاء الله تعالى له ومن مقتضى ذلك الاصطفاء تطهيره من أول نشأته من أضرار البشرية وظلم الجسمانية وتسفلها فتبقى روحه

(١) ٢٩/١٥ الحجر و ٧٢/٣٨ ص .

(٢) ٣٣/٢ البقرة

(٣) ٩٥/١٧ الاسراء

(٤) ٩/٦ الانعام .

على غاية الطهر والعلوية النورانية مستعدة للاتصال بالملأ الأعلى حتى تستكمل قواها فيأتيها الملك بالوحي • علمنا هذا بمثل قوله تعالى : « اللهُ يُصَنِّطِفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ » (١) وقوله : « وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصَنِّطِفِينَ الْأَخْيَارِ » (٢) • وقوله تعالى : « وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ » (٣) وقوله : « اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » (٤) وغيره كثير • وعلمنا ان الرسل وان كانوا موافقين لنا في الخلقة البشرية فانهم مباينون لنا غاية المباينة في الخلقة النفسية من حيث الطهر والكمال • فنفسهم بقيت على طهرها لم تَدَسَّ بشيء ونفوسنا لا تخلو من تدنس ، والموفق من داوم على غسلها بالتوبة وتحليتها بالصالحات ، وكمالهم فطري ويلغون فيه بعملهم المتواصل وعصمتهم الربانية الى الغايات التي لا تنال وكمالنا ليس كذلك في الامور الثلاثة الفطرة والعمل المتواصل والعصمة •

علمنا هذه بقوله تعالى : « إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » (٥) فبالنظر الصحيح فيما من الله عليهم به ندرك انهم ليسوا مثلنا وان ساوونا في الخلقة البشرية • وعلمنا ان لا ننظر الى ظواهر الامور دون بواطنها والى الجسمانيات الحسية دون ما وراءها من معان عقلية بل نعبر من

(١) ٧٥/٢٢ الحج •

(٢) ٤٧/٣٨ ص •

(٣) ٤٢/٣ آل عمران •

(٤) ١٢٤/٦ الانعام •

(٥) ١١/١٤ ابراهيم •

الظواهر الى البواطن وتنظر من المحسوس الى المعقول ونجعل حواسنا خادمة لعقولنا ونجعل عقولنا هي المتصرفة الحاكمة بالنظر والتفكير .
 وعلمنا هذا بقوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ » (١) فلا ينظر الى بهرجة الكثرة ولكن الى حقيقة وحالة الشيء الكثير فيعتبر بحسبها وبقوله : « فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ، كَلَّا » (٢) فلا يجوز أن نغتر بالمال والقوة والجاه وأنواع النعيم اذا سبقت لنا فنحسب انها هي نفس الكرامة الربانية التي دعينا الى العمل لنيلها بل انما نغدها كذلك اذا كان معها التوفيق الى شكرها بالقيام بحقوقها و صرفها في وجوها .

ولا نغتر بحالة الضيق والعسر والضعف فنحسب انها اهانة من الله لصاحبها بل علينا أن ننظر الى ما معها من صبر ورجاء وبر أو ضجر ويأس وفجور فنعلم حينئذ انها مع الاولى للتمحيص والتثبيت ومع الاخيرة للزجر والعقاب بعدل وحكمة من احكم الحاكمين . وبقوله تعالى : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ » (٣) فعلمنا انه بشر ولكنه خصص بالوحي اليه بتوحيد الله وبما يقتضيه من مقام الإيحاء إليه من طهر وكمال حتى لا تعجب عنا بشريته التي نشاهدها بابصارنا كمال حاله ومنزلته الذي ندركه ببصائرنا .

(١) ١٠٣/٥ المائدة .

(٢) ١٥/٨٩ - ١٧ الفجر .

(٣) ١١١/١٨ الكهف و ٦/٤١ السجدة .

عقيدة :

الرسول انسان ذو روح طاهرة نورانية علوية بها تأتي له تلقي الوحي من الملائكة وذو جسد بشري عليه ضروريات البشرية الخلقية دون نقائصها الكسبية لأنه مصرف بتلك الروح العلوية الظاهرة التي لا يصدر عنها إلا الخير ، وبهذا الجسد البشري تأتي للبشر الأخذ عنه والافتداء به ومأخذ هذه العقيدة من الآيات التي تلونها في فصل التعليم المتقدم .

تحذير :

علينا أن نحذر من أن نعترض أو نحكم بالأنظار السطحية دون بحث عن الحقائق أو أن نلحق شيئاً بشيء دون أن تتحقق انتفاء جميع الفوارق . فقد انتشرت بعدم الحذر من هذين الأمرين جهالات وارتكبت ضلالات ، وبالنظر السطحي ازدري ابليس آدم فامتنع من السجود له واعترض على خالقه فكانت عليه اللعنة الى يوم الدين وبعدم النظر الى الفوارق قال أحد ابني آدم لأخيه لما تقبل قربانه دونه هو (لاقتلك) حتى ذكره أخوه بوجود الفارق فقال : « إِيْمًا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ »^(١) وحقيقة الاول ترجع الى الجهل المركب وحقيقة الثاني ترجع الى القياس الفاسد وهما أعظم أصول الفساد والضللال .

سلوك :

الأنبياء والمرسلون أكمل النوع الانساني وهم المثل الاعلى في كماله وقد كان أصل كمالهم بطهر أرواحهم وكمالها فأقبل على روحك بالتزكية والتطهير والترقية والتكميل ولا سبيل الى ذلك الا بالافتداء بهم

والاهتداء بهديهم وقد قال الله تعالى لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام
«أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ اقْتَدِهْ» (١) فاقراً
ما قصه القرآن الكريم من أقوالهم وأعمالهم واحوالهم وسيرهم وتفقه
فيه وتمسك به تكن — ان شاء الله تعالى — من الكاملين (٢) .



(١) ٩٠/٦ الانعام .

(٢) ش: ج ١، م ٧، ص ١ - ٧
غرة رمضان ١٣٥٠ هـ - جانفي ١٩٣٢ م .

فتنة العباد بعضهم ببعض

« وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » (١) .

المناسبة :

أفاد ما تقدم من الآية ان الرسل يأكلون الطعام فيحتاجون للغذاء وتحصيله ، وأنهم يمشون في الأسواق للسعي والتكسب ، وأفاد آخر الآية الحكمة الربانية في ذلك ، وهو أن يكون بذلك فتنة واختبارا للعباد ، وتلك سنة الله تعالى في خلقه ، فقد جعل بعضهم لبعض فتنة .

المفردات :

قال في (لسان العرب) : الأزهري وغيره : جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد . ومنه قوله تعالى : « أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » (٢) و « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » (٣) و « وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا » (٤) و « وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ »

(١) ٢٠/٢٥ الفرقان .

(٢) ٢/٢٩ العنكبوت .

(٣) ٢٨/٨ الانفال و ١٥/٦٤ التغابن .

(٤) ٤٠/٢٠ طه .

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» (١) . (أتصبرون) : الصبر حبس النفس على المكروه . والمكروه لها فعل ما فيه تمب ، وترك ما فيه لذة . ويكون في المشروع والمقدور ، ففي الأول بالقيام بالمأمورات والترك للمنهيات . وفي الثاني — وهو المصائب والبلايا — بالرضا والتسليم للخالق وعدم الاعتراض عليه وعدم السعي في ازلتها بغير الوجه المأذون فيه . و (الصبر) : هو المشاهد للأشياء ظاهرها وباطنها ، ذواتها ونوعتها وأحوالها ، مبادئها وغاياتها وعواقبها .

التراكيب :

الاستفهام في (أتصبرون) بمعنى الأمر ، أي اصبروا . وخرج الأمر في صورة الاستفهام تنبيهاً على قلة الصبر في الوجود فهو من الامر المعدوم الذي يسأل عنه هل يوجد ، وفي ذلك بعث للهمم على تحصيله والتمسك به . وجملة (وكان ... الخ) معطوفة على جملة « وَجَعَلْنَا » وعدل عن مقتضى الظاهر ، وهو وكنا بصراء بالاضمار الى « وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » بالاطهار للتنبية على أن فتنته لعباده من مقتضى ربوبيته لهم وحسن تدييره فيهم . موقع هذه الجملة بعد الجملة الأولى لبيان أن فتنته لهم هي من علم وبصر بصواب ذلك وحكمته ، وانه مطلع على حقيقة ما يكون منهم عند الاختبار ليجازيهم عليه ، وفي هذا وعد ووعد للمتحنين .

المعنى :

امتحنا بمضكم بعض لتظهر حقائقكم عند الامتحان . جعلنا الرسل يأكلون كما يأكل البشر ويتكسبون كما يتكسبون لنمتحن العباد بهم فيظهر من يتبعهم بالايمان واليقين لما معهم من الحق والكمال

(١) ٣٥/٢١ الانبياء .

ويصبر على ما يلحقه في أتباعهم من الجهد والبلاء ممن يحتقرهم ويعرض عنهم لما يرى من بشرتهم ، كما جعلنا الأمم فتنة لرسولها وامتحاناً لهم ليظهر صبرهم على ما يلاقون منهم من إذابة وشر ، فتعلو درجاتهم ويضاعف أجرهم . وجعلنا الغني امتحاناً للفقير حتى يظهر صبره على حاله وكفه لعينه ويده عن شيء غيره ، كما جعلنا الفقير امتحاناً للغني حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه ، وجعلنا الصحيح فتنة للمريض حتى يظهر صبره على بلواه ورضاء بما أعطاه الله ، كما جعلنا المريض فتنة للصحيح حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه من العطف عليه وعبادته ومواساته : وجعلنا الرعية فتنة للراعي حتى يظهر صبره على القيام بواجب رعايتها ، كما جعلنا للراعي فتنة للرعية ليظهر صبرها على طاعته ، وهكذا في جميع أقسام الناس . أتصبرون على هذا الامتحان فان الصبر عليه عزيز شديد فاصبروا فانه لا يخرجكم من هذا الامتحان خالصين خلوص الذهب الإبريز الا الصبر ، وكان ربك يا محمد بصيراً عالماً بماقبة الامتحان في عبادته ، مطلقاً على كل ما يكون منهم عند الامتحان ليجازيهم عليه .

سؤال وجوابه :

الله تعالى عالم بما يكون من عبادته بعد امتحانهم قبل ان يمتحنهم فما هي حكمة الامتحان ؟ والجواب : ان الله تعالى انما يحاسب عباده على ما عملوا وكسبوه واكتسبوه بما عندهم من التمكن من الفعل والترك وما عندهم من الاختيار لا على ما علمه منهم قبل أن يعملوه ، فلهذا يمتحنون لتظهر حقائقهم ويقع جزاؤهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم ، ولا حجة لهم في تقدم علمه تعالى بما يكون منهم ، لان تقدم العلم لم يكن ملجئاً لهم على أعمالهم ، ففي هذا الامتحان قيام حجة الله على العاملين أمام أنفسهم وأمام الناس ، كما فيه اظهار لحقيقتهم لانفسهم ولغيرهم .

تطبيق :

كما يفتن الفرد بالفرد كذلك تفتن الأمة بالأمة ، من ذلك أننا — معشر الأمة الاسلامية — قد فتنا بغيرنا من أمم الغرب وفتنوا هم أيضا بنا ، فنحن ندين بالاسلام وهو دين السعادة الدنيوية والاخروية ، ولكن حينما كنا — الا قليلا — لسنا سعداء لا في مظاهر تديننا ولا في أحوال ديانا ، ففي الأولى نأتي بما يبرأ منه الاسلام ونصرح بأنه من صميمه . وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرد والذل والاستعباد يرثي لها الجباد ، فلما يرانا الغرييون على هذه الحالة ينفرون من الاسلام ويسخرون منه الا من نظر منهم بعين العلم والانصاف فانه يعرف ما نحن عليه هو ضد الاسلام ، فكنا فتنة عظيمة عليهم وحجابا كثيفا لهم عن الاسلام ، فكنا — ويا للأسف — فتنة للقوم الظالمين . وهم من ناحيتهم نراهم في عز وسيادة ، وتقدم علمي عمراني فننظر الى تلك الناحية منهم فنندفع في تقليدهم في كل شيء حتى معائبهم ومفاسدهم ونزدري كل شيء عندنا حتى أعز عزيز الا من نظر بعين العلم فعرف أن كل ما عندهم من خير هو عندنا في ديننا وتاريخنا ، وان ذلك هو هو الذي تقدموا وسادوا به وان ما عندهم من شر هو شر على حقيقته وان ضرره فيهم هو ضرره وانه لا يجوز ان يتابعوا عليه فكانوا فتنة لنا حتى يظهر من ينظر بعين الحق للحقائق ممن تبهره الظواهر فتسلبه ادراكه فيغدو لا يفرق بين اللب والقشور .

اقتداء :

علمنا من هذه الآيات وغيرها ان الله تعالى يمتحن عباده ويختبرهم ليظهر حقائقهم ، فلنقتد به تعالى في هذا فنبني أمورنا على الامتحان والاختبار فلا نقرر علما ، ولا نصدر حكما الا بعد ذلك وخصوصا في معرفة الناس والحكم عليهم ، فالظواهر كثيرا ما تخالف البواطن

فتنة العباد

والتصنع والتكلف قلما يسلم منهما أحد ولا يعصم من الخطأ مع هذه المغالطات كلها الا الامتحان والاختبار فاعتصم بهما •

اهتداء :

كل من اتصل بك من أهلك وبنيك وأبيك وأمك وأصحابك وعشيرتك وقومك وكل من ترتبط به برباط من أبناء جنسك — هو فتنة وامتحان لك هل تقوم بواجبك نحوه من جانب خير له أو دفع شر عنه أو جلب خير منه لغيره أو دفع شره عن غيره • وهل تكف يدك عن شيء وتكف بصرك عما متع به وتسال الله مما عنده من فضله ؟ وانما تقوم بواجبك نحوه مما تقدم وتكف يدك وعينك عنه وتسال الله مما عنده راضياً بما قسم لك معتقداً الخير كل الخير في قسمته — اذا تذرعت بالصبر على اتيان ما يطلب منك اتيانه وان كان عليك ثقيلًا • والكف عما يطلب منك الانكفاف عنه وان كان منك قريباً وفي طبعك لذيذاً ، وانما يكون لك هذا الصبر اذا كنت دائم اليقين بعلم الله بك واطلاعه عليك وانه كان بك بصيرا •

هذه الحقائق كلها هدتنا هذه الآية الكريمة اليها : هدتنا الى أتنا امتحنا ببعضنا ، وان الذي يخلصنا في هذا الامتحان ويخرجنا سالمين هو الصبر ، وان حالتنا في الامتحان منكشفة لمن سيجازينا عليها • فلنهند بهدائها الى ما هدتنا اليه ، ولنتدرع في هذا الامتحان بالصبر المتين ولنستحضر في قلوبنا مراقبة الله لنا لتثبت قدمنا في مقام الصبر بروح اليقين ، فبذلك نخرج — إن شاء الله تعالى — من نار الفتنة ذهباً خالصاً قياً ، وجوهراً طيباً زكياً فنسعد في الدارين برضى رب العالمين ، والله ولي التوفيق (١) •

(١) ش : ج ١ ، م ٨ ، ص ٧ - ١٢
غرة شوال ١٣٥٠ - فيفري ١٩٣٢

ندامة الظالم

على تركه السبيل القويم وصحبته للمضلين

« وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ
جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا » (١) .

المناسبة :

لما سأل المشركون أن يروا الملائكة أخبروا بأنهم سيرونهم في يوم
يكون شره عليهم عظيما . وذكر في الآيات السابقة ما يكون في ذلك
اليوم من حبوط أعمالهم وتشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة وغير
ذلك ، وذكر في هذه الآيات ما يكون في ذلك اليوم من ندم الظالم
وسوء حاله .

المفردات :

الظالم : وضع الشيء في غير موضعه ، كوضع الكفر موضع
الايمان ، ووضع المعصية موضع الطاعة . وحق الله تعالى أن يؤمن به
ويوحد ويطاع ، فمن كفر أو أشرك به أو عصاه فقد ظلم . وهو هنا
الكافر والمشرك لأنه الذي لم يتخذ مع الرسول سبيلا . الويلة : الهلكة
كالويل بمعنى الهلاك ، فلان : يكنى به عن الأعلام كما يكنى بالهن

(١) ٢٧/٢٥ - ٢٩ الفرقان .

عن الأجناس • الخليل : فعيل بمعنى فاعل ، وهو من تخلت مودته القلب وامتزجت بالنفس فكانت له مكانة منهما وسلطان عليهما • هذا في جانب الخلق وأما في جانب الله تعالى فبالمعنى الذي يليق بقدسه وتنزيهه فأبراهيم — عليه السلام — خليل الرحمن بما له عنده تعالى من عظيم المنزلة ورفعة الشأن وقبول الدعوة وما له عليه من جزيل الإنعام • الاضلال : الصد والصرف عن طريق الحق والنجاة • الذكر : القرآن العظيم ، وفسر بالشهادتين وبالاسلام ، والقرآن فيه ذلك كله وهو الذي سيأتي على الأثر ذكر هجرهم له ، ولذلك اخترناه في معنى الذكر هنا • الشيطان : الخبيث الشرير الذي استولى عليه وتمكن منه خلق الافساد، والاضرار من الجن والانس • الخذول : الكثير الخذل أي التسليم والترك لمن نزل به البلاء في وقت الحاجة الى اتقاذه •

التركيب :

شأن من وقع في غيظ وحسرة وندامة أن يعض يديه ويأكل بنانه كأنه لمّا لم يجد شيئاً يطفىء فيه غيظه رجع على نفسه بذلك ، فعض اليد لازم لحالة الحسرة والغيظ والندامة ، فلذا يكنى به عنها من إطلاق اللازم واردة الملزوم ، وذلك لا يمنع من وقوع العض منه حقيقة بل وقوع ذلك هو الشأن الغالب • وجملة (يقول يا ليتني) حالية فهو يعرض حالة كونه قائلاً يا ليتني فينت هذه الجملة ما يقول كما بينت التي قبلها ما يعمل ، فصورتاه في حاله الشنيع الفظيع • ويوم : منصوب بأذكر أو معطوف على « يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ » كما عطف عليه « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ » ويوم يرون : منصوب بأذكر أو يمينعون البشرى كما يدل عليه « لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ » والتكثير في قوله « سَيِّلاً » للأفراد أي سيلاً واحداً لا تعدد فيه ، بخلاف ما كان عليه الظالم من سبل أهوائه

المتعددة المتشعبة ، والألف في « يا ويلتي » منقلبة عن ياء المتكلم ، والأصل يويلتي ، نادى ويلته أي هلكته لتحضر في ذلك الوقت لأنه وقتها وليس نداؤها رغبة في حضورها ، فالهلاك لا يرغب فيه وانما نادى الهلاك ليحضر لما حصل له من اليأس والقنوط من أسباب النجاة ، فلم يبق له الا الهلاك ، كما يقول العليل للطبيب وقد آيس من معالجة جرح بيده مثلاً : اقطع فهذا وقت القطع ، وهكذا يخرج كل نداء في حالة شدة لما لا يخلص منها ، وانما يزيد في اشدائها كما ينادي الشقي (يا شقوتاه) والمفتضح (يا فضيحتاه) والمصاب (يا مصيبتاه) وكنى بفلان لأن لكل ظالم خليلاً له اسمه الخاص فلا يمكن التصريح بأسماء الجميع ، فما بقي الا الكناية عنها بفلان ، وجملة « لَقَدْ أَضَلَّكَ يَ » بيان لسبب تمنيه السابق وأل في الشيطان والانسان للجنس ، فيدخل في جنس الشيطان خليل الظالم الذي صده عن الذكر وقرين خليله من الجن الذي سول له ذلك وأعانه . وقرينه هو الذي زينه له ودعاه اليه ، والجملة من كلام الظالم لإعلان خبيته و اظهار ألمه منها لما وجد نفسه وحده مخذولاً ممن أضله وأغواه .

المعنى :

ويوم يعرض الظالم لنفسه بالكفر لربه أو الشرك على يديه ندماً وحسرة على تفريطه وعدم اتباعه لسبيل الحق مع الرسول الذي أرسل اليه وعلى توريطه لنفسه بصحبته لخليله وطاعته له حتى صرفه عن الايمان بالقرآن بعد ما جاءه وسمعه وتمكن من الإيمان به فأغواه ذلك الخليل وقرينه ، وقرينه^(١) هو حتى أردوه ثم خذلوه في ذلك اليوم العظيم وفي وقت الحسرة والندامة فلم يجد منهم نصراً ولا معونة كما هو شأن الشياطين في خذلان من يغووه ويردوه^(٢) .

(١ و ٢) كذا في الاصل .

الحق واعتبار :

كما علينا أن تتبع سبيل الرسول — عليه وآله الصلاة والسلام — التي جاء بها من عند الله — تعالى — وهي الإسلام كذلك علينا أن تتبع سبيله في القيام بشرائع الإسلام علماً وعملاً في أبواب العبادات وأحكام المعاملات ، وفي تطبيق أصول الإسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة ، وهذه هي سنته التي كان عليها وكان عليها أصحابه وأهل القرن الثاني من التابعين وأهل القرن الثالث من أتباع التابعين ، تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم . وكما أن من عدل عن الإسلام ولم يسلك سبيله وقع في ضلال الكفر كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل الإسلام يندم أشد الندم ويتحسر أعظم الحسرة على ما كان من تفریطه كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة إذ كل منهما قد ظلم نفسه وفرط في سبيل نجاته . فالآية وإن كانت في الكافر والمشرک فهي تتناول بطريق الاعتبار أهل الأهواء والبدع ، وبهذا كانت متناولة بوعظها وترهيبها جميع الخلق ممن لم يدخل في الإسلام أو دخل فيه ، ولم يلتزم سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

تحذير :

عندما تتخلل محبة شخص من الناس قلبك وتمتزج بروحك ويستولي بسلطان مودته عليك تصير أقواله وأفعاله كلها عندك مرضية وعبوبه وتقائمه عنك محجوبة . فتمسي طوع بنانه ورهن اشارته ، يوجهك حيث شاء ، ويصرفك عما أراد . وهذه حالة من أخطر الأحوال عليك لانك فيها قد سلبت تمييزك وخسرت ارادتك وصرت آلة في يد غيرك ، فقد ترى الخير وتدعى اليه فيصرفك عنه ، وقد ترى الشر وتحذر منه ويوقعك فيه ، وهب هذا الخليل كان مخلصاً لك وحدياً عليك فانه غير معصوم من الخطأ والضلال ، أما اذا كان شريراً مفسداً فهناك الهلاك المحقق والوبال الشديد ، وقد ذكر لنا الله — تعالى — في

هذه الآية ما كان من سوء مآل الظالم بسبب انقياده لخليله واتباعه له عن غير روية وصدق تمييز يحذرننا من سلطان الخلة الذي يهمل معه شأن الإرادة والتمييز ويعلمنا أن علينا أن نحافظ على ارادتنا وتمييزنا ونظرنا لأنفسنا مع الصديق والعدو ، ومع الخليل وغير الخليل ، بل نحافظ عليهما مع الخليل أكثر لانه مظنة الخوف بما له من المكانة في القلب والسلطان على النفس .

ارشاد :

لما كان خليل المرء بهذه المنزلة فعليك أن تختار من تخال ، فلا تخال الا من حسنت سيرته واستقامت سيرته وغلب الصواب على أقواله وأعماله ليكون دليلك الى الخير وسائقك اليه ، مع محافظتك على ارادتك وتمييزك معه على كل حال .

علامة :

إذا أردت أن تعرف شر خلائك وأحقهم بهجرك له وابتعادك عنه فانظر فيما يرغبك هو فيه وما يرغبك عنه ، فإذا وجدته يرغبك عن القرآن وعما جاء به القرآن فإياك وإياه فتلك أصدق علامة على خبثه وسوء عاقبة قربه ، فابتعد عنه في الدنيا قبل أن تعض على يديك على صحبتك له في الأخرى . وإذا وجدته يرغبك في القرآن وما جاء به القرآن فذلك الخليل الزكي الصادق فاستمسك به وحافظ عليه . وان خلة أسست على الرجوع الى القرآن والتحاب على القرآن والتناصح بالقرآن لخلة نافعة دنيا وأخرى لانها أسست على أساس التقوى . وقد قال الله تعالى : « الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » (١) (٢) .

(١) ٦٧/٤٣ الزخرف .

(٢) ش : ج ٢ ، م ٨ ، ص ٦٣ - ٧٥

غرة شوال ١٣٥٠ - فيفري ١٩٣٢

شكوى النبي الكريم

من هجر القرآن العظيم

« وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا » (١) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما قاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن
والاعراض والصد عنه وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم
القيامة على ما كان منهم من ذلك في الدنيا ذكر ما قاله النبي — صلى
الله عليه وآله وسلم — من الشكوى لربه بهم من تركهم للقرآن العظيم
وهجره .

المفردات :

مهجورا : متروكا مقاطعا مرغوبا عنه . الرسول : محمد صلى الله
عليه وآله وسلم . وقومه : قريش .

التراكيب :

في قوله « يا رب » اظهار لعظيم التجائه وشدة اعتماده وتما
تفويضه لمالكة ، ومدبر أمره وموالي الإنعام عليه . وفي التعبير عنهم
بقومه وازافتهم إليه ، وفي التعبير عن القرآن باسم الإشارة القريب ،

(١) ٣٠/٢٥ الفرقان .

بيان لعظيم جرمهم ، فتركهم للقرآن وهو قريب منهم في متناولهم وقد أتاهم به واحد منهم أقرب الناس إليهم • فصدوا وأبعدوا في الصد عنن هو اليهم قريب من قريب • وهذا أقبح الصد وأظلمه • وفي قوله : « اتَّخَذُوا... الخ » بيان أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم ، وذلك أعظم من أن يقال هجره ، الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة •

الغنى :

وقال الرسول شاكياً لربه إن قومي الذين أرسلتني إليهم بالقرآن لأتلوه عليهم قد صدوا عنه فتركوه وثبتوا على تركه وهجره •

استنتاج واعتبار :

في شكوى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من هجر القرآن دليل على أن ذلك من أصعب الأمور عليه وأبغضها لديه ، وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للمهاجرين بانزال العقاب بهم إجابة لشكوى نبيه ، ولما كان الهجر طبقات أعلاها عدم الايمان به فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد •

تنزيل :

ونحن — معشر المسلمين — قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل وإن كنا به مؤمنين • بسط القرآن عقائد الايمان كلها بادلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة واشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثه مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة • ويكن القرآن أصول الاحكام وأمهاة مسائل الحلال والحرام ووجوه النظر والاعتبار مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح

الخاص والعام فهجرناها واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة تفني الأعمار قبل الوصول إليها ، ويئس القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوىء الأخلاق ومضارها ، ويئس السبيل للتخلي عن هذه والتخلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بقدسيته فهجرنا ذلك كلها (١) ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتتبع ، وعن السنة البيضاء الى الأحداث والتبدع ، وأدخلنا فيها من النسك الاعجمي ، والتخييل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الاسلام ، وألقي بين أهلها بذور الشقاق والخصام وآل الحال بهم الى الخروج من أقالم أغلالها والاقْتصار على بقية رسومها للاتفاف منها ومعارضة هداية القرآن بها . وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ونهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل ، فهجرنا ذلك كله الى خريدة العجائب وبدائع الزهور والحوت والصخرة وقرن الثور ! ودعانا القرآن الى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ، ولا يتم ذلك الا بتفسيره وتبيينه ، فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبينه ، فترى الطالب يفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير ، كالتفسير الجالين ، مثلاً بل ويصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك . وفي جامع الزيتونة عمره الله - تعالى - اذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويح في درس تفسير فانه - ويا للمصيبة - يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه في القواعد التي كان يحسب انه فرغ منها من قبل ، فيقضي في خصومة من الخصومات أياماً أو شهوراً ، فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ أو ما تجاوزه الا قليلا دون أن

(١) كذا في الاصل .

يحصل على شيء من حقيقة التفسير ، وانما قضى سنته في المباحكات بدعوى انها تطبيقات للقواعد على الآيات ، كأن التفسير انما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية . فهذا هجر آخر للقرآن مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن .

وعلمنا القرآن أن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — هو المبين للناس ما نزل اليهم من ربهم ، وأن عليهم أن يأخذوا ما أتاهم وينهوا عما نهاهم عنه ، فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن ، فهجرناها كما هجرناه وعاملناه بما عاملناه ، حتى إنه ليقول في المتصدرين للتدريس من كبار العلماء في أكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلا عن غيرهم من أهل العلم وفضلا عن غيرها من كتب السنة . وكم وكم وكم يسن القرآن وكم وكم وكم قابلناه بالصد والهجران .

بيان واستشهاد :

شر المهاجرين للقرآن هم الذين يضعون من عند أنفسهم ما يعارضونه به ويصرفون وجوه الناس اليهم والى ما وضعوه عنه ، لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم ، فكان شرهم متعديا وبلاؤهم متجاوزاً وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك ، وفي هؤلاء جاء ما ذكره الإمام ابن القيم في كتاب (أعلام الموقّعين) عن حماد بن سلمة ثنا ايوب السخيتاني عن أبي قلابة عن يزيد بن أبي عميرة عن معاذ بن جبل قال : « تكون فتن فيكثر المال ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير والمنافق والمؤمن فيقرؤه الرجل فلا يتبع فيقول والله لأقرآته علانية فلا يتبع فيتخذ مسجداً ويتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاياكم واياه فانه بدعة وضلالة »

شكوى النبي الكريم

قاله معاذ ثلاث مرات اهه فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو مما وضعه أسلافه من قبله وروَّجها بين أتباعه فأقبلوا عليها وهجروا القرآن • وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فأخطأ وجهه إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله ، وإنما يدعى الله بكتاب الله . ولذلك سبي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة ، وحذر معاذ منه وأكد في التحذير بالتكرير • وهذا الحديث وان كان موقوفاً على معاذ فهو في حكم المرفوع لانه اخبار بمغيب مستقبل ، وهذا ما كان يعلمه الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - الا بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد تحقق مضمونه في المسلمين منذ أزمان ولا حول ولا قوة الا بالله •

سبيل النجاة :

لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع الى القرآن • الى علمه ، وهديه ، وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه ، والتفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه وبيانه ، والاستعانة على ذلك باخلاص القصد وصحة الفهم والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين ، وهذا أمر قريب على من قربه الله عليه ييسر على من توكل على الله فيه ، وقد بدت طلائعه والحمد لله وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله وسبحان من يحيي العظام وهي رميم •



التسلية والتثبيت

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا » (١) .

المناسبة :

لما شكنا عليه الصلاة والسلام قومه سلاه الله تعالى وعزاه وأمره
بالصبر والثبات ووعدته ورجاه .

المفردات :

العدو : وزنه فمولى يكون للواحد والجماعة .

التراكيب :

كاف كذلك بمعنى مثل ، والاشارة (٢) للجعل المفهوم مما تقدم ،
أي مثل ذلك الجعل للاعداء لك جعلنا لكل نبي ... الخ .

المعنى :

مثلما جعلنا لك أعداء من قومك كفروا بك وهجروا كتابك وصدوا
عنك وبالغوا في اذيتك جعلنا لكل نبيء مما نبأنا أعداء من أهل الذنب
والاجرام ، فما أصابك الا ما أصابهم فاصبر كما صبروا وكفى بربك

(١) ٣١/٢٥ الفرقان .

(٢) في الاصل : الاشار .

التسليّة والتثبيت

هادياً يهديك الى طريق الحق ويبصرك الرشد ويعرفك بما تؤدي به رسالة ربك ، فلا تتحير في أمرك لما ترى من صدود قومك وناصرأ ينصرك على أعدائك يأمره بالصبر ويثبته بالتآسي ، يعده بأنه يهديه في طريق التبليغ وينصره على معارضيّه حتى يتم أمر الله على يده .

ترهيب :

هؤلاء الذي^(١) ساهم الله - تعالى - أعداء لنبية ووصفهم بالاجرام هم أولئك الذين هجروا القرآن وصدوا عنه فهذا تخويف عظيم ووعيد شديد لكل من كان هاجراً للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران .

اقتداء وناس :

حق على حزب القرآن الداعين به والداعين اليه أن يقتدوا بالأنبياء والمرسلين في الصبر على الدعوة والمضي فيها والثبات عليها وأن يداووا أنفسهم عند ألمها واضطرابها بالتآسي بأولئك السادة الأخيار .

بشارة :

قد وعد الله تعالى نبيه بعد ما أمره بالتآسي والصبر - بالهداية والنصر - وفي هذا بشارة للدعاة من أمته من بعده السائرين في الدعوة بالقرآن والى القرآن على نهجه أنه يهديهم وينصرهم كما قال تعالى : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »^(٢) معهم بالفضل والنصر والتأييد ، وهذا عام للمجاهدين المحسنين والحمد لله رب العالمين^(٣) .

(١) كذا في الاصل وصوابه الدين .

(٢) ٦٩/٢٩ العنكبوت .

(٣) ش : ج ٢ ، م ٨ ، ص ٦٨ - ٧٥
غرة شوال ١٣٥٠ - فيفري ١٩٣٢

تثبيت القلوب بالقرآن العظيم

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا » (١) .

المناسبة :

هذا اعتراض آخر من اعتراضاتهم الباطلة نسق مع ما تقدم منها ليجاب عنه ويبين خطأهم فيه كما فعل مقدمة .

المفردات :

« لولا » : مع المضارع للتحضيض نحو « لولا »
تَسْتَعْفِرُونَ (٢) ومع الماضي للوم والتوبيخ نحو « لولا »
جاءوا عليه بأربعة شهوداء (٣) وهي هنا مع الماضي فتكون للوم على عدم حصول المذكور وحصول ضده ، والمقصود من اللوم هنا الاعتراض على عدم نزوله جملة واحدة ونزوله مفرقا ، فالمعترض عليه هو نزوله مفرقا . (نزل) : يأتي مرادفاً لأنزل ، والتضعيف أخو الهمزة ، ويأتي مفيداً للتكثير فيفيد تكرار النزول وتجديده . وخرج على هذا قوله تعالى « نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

(١) ٣٢/٢٥ الفرقان .

(٢) ٤٦/٢٧ النمل .

(٣) ١٣/٢٤ النور .

تثبيت القلوب بالقرآن

لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ - من الكتاب - وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَإِنْجِيلَ» (١) وأما هنا فلا يصح حمله على التكثير المفيد للتدرج
لئلا يناقض قولهم جملة واحدة ، فيكون من التضعيف المرادف للهمزة .
وعندي أن « نزل » المضاعف يرد لكثرة الفعل ولقوته ، فجاء لكثرتة في
آية آل عمران المتقدمة ، وجاء لقوته في هذه الآية ، لأن إنزال الجملة
مرة واحدة أقوى من انزال كل جزء من الاجزاء بمفرده . (كذلك) :
الإشارة للانزال المفرق المفهوم من قولهم « كَوَلَّا نُنزِّلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنَ جُمْلَةً » لأنه في معنى : لمه نزل عليه جملة ولم ينزل
عليه مفرقا . (التثبيت) : ثبات الشيء إقامته ورسوخه دون اضطراب
وذلك من قوته ، كما ان اضطراب المضطرب من ضعفه ، فتفسير تثبيت
القرآن هنا بتقويته تفسير يلزم معناه ، على أنه مراد منه أيضا أصل
المعنى ، وهو السكون وعدم الاضطراب . فتثبيته - إذا - هو تسكينه
وتقويته . (الترتيل) : مادة رتل كلها ترجع الى تناسق الشيء وحسن
تنزيده ، منه ثغر رتل - بالتحريك - أي مفلج بين الأسنان فرج
لا يركب بعضها بعضا ، وترتيل القرآن في التلاوة هو القاء حروفه حرفا
حرفا وكلماته كلمة كلمة وآياته آية آية على تودة ومهل حتى يتبين
للقارئ وللسامع ، ولا يخفى عليه منه شيء ، وأما ترتيله في نزوله وهو
المراد هنا فانه (٢) انزاله آية وآيتين وآيات مفرقا نجوماً على
حسب الوقائع .

التراكيب :

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا » وصل لأنه قيل من أقوالهم فعطف
على ما تقدم من مثله « كَذَلِكَ لِنُنشِئَكَ » الأصل أنزلناه كذلك

(١) ٣/٣ آل عمران .

(٢) كذا في الاصل .

فأوجز بحذف المتعلق لوجود ما يدل عليه في اعتراضهم وفصل لأنه جواب عن اعتراضهم • (وَرَكَّلْنَاَهُ) : وصل لأنه معطوف على أنزلناه المحذوف ، والتتوين في (ترتيلا) تنوين تنويح وتعظيم أي نوعا من الترتيل عظيما •

المضى :

وقال الذين كفروا — وهم قريش أو اليهود أو الجميع ، وهو الظاهر لأن قريشا واليهود كان يتصل بينهم الكلام في شأن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وشأن القرآن — قالوا معترضين ومقترحين : لمه لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة وغيرها ونزل عليه مفرقا • فقال الله — تعالى — جوابا لهم وأنزلناه كذلك الانزال مفرقا لنثبت به قلبك فيسكن ويطمئن وتقوية فيصبر ويتحمل • وأنزلناه مرتلا مفرقا تفريقا مرتبا منزلا كل قسم منه في الوقت المناسب لإنزاله والحالة الداعية اليه اللاتقة به •

مزيد بيان للاعتراض والجواب :

أما اعتراضهم فكان لانهم سمعوا القرآن يذكر أن الكتاب أنزل على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كما أنزلت الكتب على الأنبياء — عليهم السلام — من قبله بمثل قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) فقالوا لماذا نزل هذا الكتاب مفرقا ولم ينزل مثل تلك الكتب جملة واحدة ؟ وهم لما عجزوا عن معارضة أقصر سورة منه أخذوا يباهتون بالباطل ويعترضون بمثل هذا الاعتراض • وأما الجواب فكان بيان حكمتين في انزاله مفرقا : الحكمة الأولى تثبيت قلبه والحكمة الثانية تفريقه مرتبا على الوقائع وكان في تينك الحكمتين مزيتان عظيمتان للقرآن العظيم على غيره من كتب الله تعالى فكان ما اعترضوا به على انه نقص فيه عنها هو كمال له عليها •

تثبيت القلوب بالقرآن

شرح الحكمة الأولى :

كان كل نجم ينزل من القرآن العظيم — والنجم القسم الذي ينزل
معا آية أو آيتين أو أكثر — يزداد به عجزهم وعنادهم ظهورا وتزداد
به حجة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وصدقه وضوحا فيزداد
بذلك سكون قلبه وطمأنينته بظهور أمره على عدوه وعلو كلمة
الحق على كلمة الباطل وفي ذلك تقوية له وأي تقوية لا عن شك
كان في قلبه أو تردد ولكن البراهين المتوالية والحجج المتتالية تزيد
في سكون القلب واطمئنانه ، وان كان معقودا من أول أمره على
اليقين فهذا وجه من تثبيت قواده بالآيات المتفرقات في النزول . وقد
كان كل نجم من نجوم القرآن ينزل بشيء من العلم والعرفان مما
يرجع الى العقائد أو الاخلاق أو الأحكام أو التذكير بالأمم الماضية
واخبار الرسل المتقدمين أو باليوم الآخر أو بسنة الله في المكذبين الى
غير ذلك من علوم القرآن فيتقوى قلبه عند نزول كل نجم بما يكتسبه
منه من معرفة وعلم . وكان يلقي من الجهد والعناء في تبليغ الرسالة
ما تضعف عن تحمله القوى البشرية ، فاذا نزل عليه القرآن واتصل
بالملك الروحاني النوراني وقذف في قلبه ذلك الوحي القرآني تقوى
قلبه على تحمله أعباء الرسالة ومشاق التبليغ ولما كان البلاء والعناء
في سبيل التبليغ متكررا متجددا كان محتاجا الى تجديد تقوية قلبه
وكان ذلك مقتضيا لتفريق نزول الآي عليه . فهذه ثلاثة وجوه من
التثبيت .

حظنا من العمل بهذه الحكمة :

قلوبنا معرضة لخطرات الوسوس بل للأوهام والشكوك . فالذي
يشتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم . ولقد
ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ، ومباحكات المتكلمين
ومناقضاتهم ، فما ازدادوا الا شكوا وما ازدادت قلوبهم الا مرضا حتى

رجع كثير منهم في أواخر أيامهم الى عقائد القرآن ، وأدلة القرآن ، فشفوا بعد ما كادوا ، كامام الحرمين والفخر الرازي • وقلوبنا معرضة لران المعصية الذي تظلم منه القلوب وتقسوا حتى تحجب عنها الحقائق وتنطمس أمامها سبل العرفان • فالذي يجلو عنها ذلك الران ويزيل منها تلك القسوة ويكشف لها حقائق العلم ويوضح لها سبل المعرفة هو القرآن العظيم • فقراؤه المتفقهون فيه قلوبهم نيرة مستعدة لتلقي العلوم والمعارف ، مستعدة لسماع الحق وقبوله ، لها من نور القرآن فرقان تفرق به بين الحق والباطل وتميز به بين الهدى والضلال ، وقلوبنا معرضة للضعف عن القيام باعباء التكليف وما نحن مطالبون به من الاعمال والذي يجدد لنا فيها القوة ويبعث فيها الهمة هو القرآن العظيم فحاجتنا الى تجديد تلاوته وتدبره أكيدة جدا لتقوية قلوبنا باليقين ، وبالعلم ، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل •

شرح الحكمة الثانية :

من محاسن هذه الشريعة المطهرة انها نزلت بالتدرج المناسب كما كان في تحريم الخمر وكما كان في العدد المفروض عليه الثبات للعدو في آيات الانفال وكما كان في مشروعية قيام الليل في آيات سورة المزمل وما كان ليكون هذا التدرج بغير تفريق الآيات في التنزيل • ومن محاسنها نسخ المحكم عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه واقضاء زمنها لحكم آخر أنسب منه للبقاء في الأزمان كما كان في آيتي التوفي عنها في سورة البقرة وما كان ذلك ليتأتى الا بتفريق الآيات في الانزال • وكانت الوقائع تقع والحوادث تحدث والشبه تعرض والاعتراضات ترد فكانت الآيات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان وما تقتضيه تلك الحوادث من احكام وما تستدعيه تلك الشبه من رد وتلك الاعتراضات من ابطال الى غير ما ذكرنا من مقتضيات نزول الآيات المعروفة باسباب النزول وفي بيان الواقعة عند وقوعها

تثبيت القلوب بالقرآن

وذكر حكم الحادثة عند حدوثها ورد الشبهة عند عرضها وابطال الاعتراض عند وروده ، ما فيه من تأثير في النفوس ووقع في القلوب ورسوخ في العقول وجلاء في البيان وبلاغة في التطبيق واستيلاء على السامعين وما كان هذا كله ليتأتى لولا تفريق الآيات في التنزيل وتريلها وتنزيدها هذا الترتيل العجيب وهذا التنزيذ الغريب الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة حتى انه ليصح ان يعد وحده وجها من وجوه الإعجاز .

حظنا من العمل بهذه الحكمة :

أن نقرأ القرآن وتفهمه حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا ومعانيه نصب أعيننا لنطبق آياته على أحوالنا ونزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع فاذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه واذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والابطال واذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال الى أقصى حد يمكننا .

اقتداء :

انظر الى هذه الحكمة في هذا التنزيل كيف تنزل آياته على حسب الوقائع في هذا قدوة صالحة لأئمة المجتمع وخطبائها في توبيخهم بخطبهم الوقائع وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال . بلى والله بلى والله ، ولقد كانت الخطب النبوية والخطب السلفية كلها على هذا المنوال تشتمل مع الوعظ والتذكير على ما يقتضيه الحال ، واما هذه الخطب المحفوظة المتلوة على الأحقاب والأجيال فما هي الا مظهر من مظهر^(١) قصورنا وجمودنا . فالى الله المشتكى وبه المستعان^(٢) .

(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ٣ ، م ٨ ، ص ١٣٣ - ١٣٩

غرة ذي القعدة ١٣٥٠ - مارس ١٩٣٢

الحق والبيان في آيات القرآن

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا »^(١) .

المناسبة :

لما رد تعالى اعتراضاتهم وأبطل شبهاتهم أخبر تعالى بأنه لا يزال القرآن كذلك يدمع باطلهم بحقه فيزهقه . ويصدع غشاء تمويههم بصادق بيانه فيمزقه لطمأنة قلب نبيه — صلى الله عليه وآله وسلم — وتثيبته ووعداً له بدوام النصر والتأييد .

المفردات :

(المثل) : هو الشبه ، هذا أصله ، ثم يطلق على الكلام الذي قيل أول ما قيل في مقام ، ثم لحسنه وإيجازه حفظ وجرى على الألسنة وصار يقال في كل مقام يشابه مقامه الأصلي الذي قيل فيه أولاً لمشابهة المقام الثاني للمقام الأول . ثم صار يطلق أيضاً على كل كلام فيه بيان لشيء وتصوير له ، سواء أطابق ذلك البيان والتصوير الواقع وأتى بالحق أم لم يطابق الواقع ولم يأت بالحق ، وهذا المعنى هو المراد هنا ، فان المشركين جاؤوا بكلمات في حق الله — تعالى — وفي حق كتابه وفي حق ملائكته وفي حق نبيه ، لم يطابقوا فيها الواقع ولا أتوا فيها بحق كقولهم في الله وملائكته : « لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا

(١) ٣٣/٢٥ الفرقان .

الحق والبيان

الملائكة أَوْ نَرَى رَبَّنَا » . وفي نيه : « مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ » . وفي القرآن : « أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا » ، « لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً » فهذه هي أمثالهم التي ضربوها فضلوا . وجاء القرآن بعد كلماتهم الباطلة بكلمات الحق الدامغة مثل قوله تعالى : « مَقْلٌ أَنْزَلَهُ الْكُذِّبِيُّ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » ، « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ » « كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا » فهذه هي أمثال الله التي جاءت بالحق وأحسن تفسيراً ، التفسير : الكشف عن المعنى .

التراكيب :

وصلت الجملة لمشاركتها لما قبلها في الخبرية والمخبر عنهم والموضوع المتحدث عنه مما جاؤوا به من الباطل وما رد عليهم به من الحق ، وجملة (جنائك) حالية من كاف الخطاب المفعول في (لا يأتونك) والحصر بالنفي ، وإلا في تلك الحال والتقدير : ولا يأتونك بمثل في حال من أحوالك إلا في حال مجيئنا لك بالحق وأحسن تفسيراً ، والتعبير بالمضارع في يأتونك يفيد الحدوث وتجدد الاتيان منهم ، والتعبير بالماضي في جنائك مع انه في معنى المستقبل يفيد تحقق المجيء ، وهو المناسب لمقام الوعد والتثبيت .

المعنى :

ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون وأمثالهم بكلام يحسنونه ويزخرفونه يصورون به شبهة باطلة أو اعتراضاً فاسداً الا جنائك بالكلام

الحق الذي يدمغ باطلهم ويدحض شبهتهم وينقض اعتراضهم ويكون أحسن بيانا وأكثر تفصيلا .

اهتداء :

إذا تتبعنا آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الظالمين واعتراضاتهم وتقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه ، وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والارشاد أن يكون لهم به فضل عناية ومزيد دراية وخبرة . ولا نحسب شبهة ترد على الاسلام إلا وفي القرآن العظيم ردها بهذا الوعد الصادق من هذه الآية الكريمة ، فعلينا عند ورود كل شبهة من كل ذي ضلالة أن نفرغ الى آي القرآن ولا اخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسننا النظر الا واجديها فيها وكيف لا نجدها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيراً .

اقتداء :

لنقتد بالقرآن فيما نأتمى به من كلام في مقام الحجاج أو مقام الإرشاد فلنتوج دائماً الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان ولنفسره أحسن التفسير ولنشرحه أكمل الشرح ولنقربه الى الأذهان غاية التقريب وهذا يستدعي صحة الإدراك وجودة الفهم ومثانة العلم لتصور الحق ومعرفته ويستدعي حسن البيان وعلوم اللسان لتصوير الحق وتجليته والدفاع عنه فللاقتداء بالقرآن في الاتيان بالحق وأحسن بيان علينا أن نحصل هذه كلها وتدرّب فيها وتتمرن عليها حتى نبلغ الى ما قدر لنا منها . هذا ما على أهل الدعوة والارشاد وخدمة الاسلام والقرآن ، فاما ما على عموم المسلمين من هذا الاقتداء فهو دوام القصد الى الاتيان بالحق وبذل الجهد في التعبير بأحسن لفظ وأقربه ومن أخلص قصده في شيء وجعله من وكده أعين — باذن الله تعالى — عليه .

حشر الكفار الى النار

« الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا » (١) .

المناسبة :

لما أبطل شبههم بين مآلهم وجزاءهم .

المفردات :

(الحشر) : السوق والجمع . (المكان) : المنزل . (والسبيل) :
الطريق .

التراكيب :

فصلت الجملة لأنها بيان لحالهم في الآخرة وهو غير الموضوع
المتقدم : عرف المسند اليه بالاشارة في قوله : « أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا » للتبنيه على ان المشار اليه وهو الذي (٢) المتقدم حقيق بما
بعد اسم الاشارة من قوله : « شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا » بسبب ما
انصف به المشار اليه المتقدم مما دلت عليه الصلة ، وهو حشرهم على
وجوههم الى جهنم الذي ما أصابهم الا بما قدمت أيديهم ، ففي الحقيقة
هم الحقاء بكونهم شراً مكاناً وأضل سبيلاً بسبب ما أداهم الى ذلك
الحشر . فاكفى بذكر المسبب عن السبب وافعل التفضيل لم يذكر

(١) ٣٤/٢٥ الفرقان .

(٢) كذا في الاصل .

معه المفضل عليه ليفيد ان مكانهم شر مكان من أمكنة الشر وسبيلهم
أضل سيلا من سبيل الضلال • واسناد الضلال للسبيل مجاز •

المعنى :

هؤلاء المشركون القائلون للمقالات المتقدمة ومن كان على شاكلتهم
في الكفر ، والعدا الذين يجمعون ويساقون الى جهنم مقلوبين على
وجوههم أولئك شر مكانا ومستقرا فانهم أهل النار وأضل طريقا فانهم
سلكوا طريق الكفر الذي أداهم الى ذلك المستقر •

حديث :

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رجلا
قال : يا نبي الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال صلى الله عليه
 وآله وسلم : ليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان
يمشيه على وجهه يوم القيامة •

فقه :

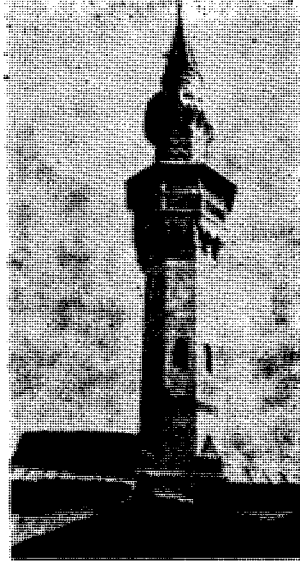
من هذا الحديث علمنا انه يجب فيما يرد من الأخبار عن اليوم
الآخر أن يحمل على ظاهره ولو كان غير معتاد في الدنيا لأن أحوال
العالم الآخر لا تقاس على أحوال هذا العالم •

توجيه :

رفعوا وجوههم في الدنيا عن السجود لله فأذل الله تلك الوجوه
فمشوا عليها في المحشر ، ورفعوا رؤوسهم كبرا عن الحق فنكسها
الله يوم القيامة ، ومشوا في طريق النظر والاستدلال مشيا مقلوبا
فمشوا في الآخرة مشيا مقلوبا فكان ما نالهم من سوء تلك الحال
جزاء وفاقا لما أتوا من قبيح الأعمال • وما ربك بظلام للعبيد •

تحذير :

فيما يذكره الله تعالى من هذا الجزاء العادل تخويف عظيم لنا من سوء الاعمال التي تؤدي الى سوء الجزاء وخصوصا من مثل ما ذكر فيما تقدم من ترك السجود والكبير على الحق والنظر المقلوب • عصمنا الله والمسلمين أجمعين بالعلم والدين وهدانا سنن المرسلين آمين يا رب العالمين (١) •



(١) ش: ج ٣، م ٨، ص ١٤٠ - ١٤٢
غرة ذي القعدة ١٣٥٠ - مارس ١٩٣٢

من اكرام الله تعالى عبده

تحميله اعباء الرسالة وحده

« وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا » (١) .

المناسبة :

قد استفيد من الآيات المتقدمة ما كان يكابده النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من اذاية قومه وما كان يلقاه من مكابرتهم للحق ، وتعتهم بالباطل ، وما كان يعانيه من الجهد الجهد في انذارهم وتبليغ دين الله — تعالى — اليهم وقد أحاط به الأعداء من كل جانب ، ولقيته العقبات من كل ناحية ، وهو في ذلك كله جاهد في القيام بتبليغ الامانة ، ناهض باعباء الرسالة في تلك السبيل ليس معه من نذير وقد كان ذلك مما تتفسخ له القوى البشرية لولا تأييد من الله ، فأراد تعالى في هذه الآية أن يثبت في مقامه ويؤنسه في انفراده ، فيبين له أن تخصيصه بالقيام هذا المقام العظيم هو لاجل تعظيمه ، وتكريمه ، وتخصيصه بالاجر الكثير ، والثواب الذي ليس له من مثيل .

المفردات :

البعث : الارسال . القرية : منازل الناس حيث يقيمون ويكونون مجتمعاً كبيراً أو صغيراً . النذير : المخوف من الوقوع في الشر والهلاك .

(١) ٥١/٢٥ الفرقان .

التراكيب :

مفعول المشيئة محذوف قياسا ، وتقدير الكلام ولو شئنا أن نبعث ،
والبعث في كل قرية منتف بحكم لو^٥ لأتتها هنا تدل على امتناع
شرطها •

المعنى :

لو أردنا لأرسلنا في كل بلدة ومصر رسولا^٦ يذرههم ويخوفهم من
حلول بقمتنا بهم بكفرهم بنا ، ومعصيتهم لنا ، فيخف عنك عبء ما
حملت ويسقط عنك بذلك تعب كثير ولكننا لم نرد ذلك وحملناك أنت
وحدك أعباء واثقال النذارة لجميع القرى ليظهر فضلك بعموم رسالتك
ويعظم أجرك بعظم جهادك وصبرك ويكثر ثوابك بكثرة من يؤمن بك ،
ومن تودث وتعمل ليؤمن بك •

حديث :

صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « أعطيت خمسا
لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى
كل احمر واسود . وأحلت لي الفنائم ولم تحل لاحد قبلي . وجعلت
لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل أدركته الصلاة صلى حيث
كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة » •
وذكر اللونين الأحمر والأسود لقصد التعميم ، هكذا جاء هذا الحديث
عن جابر بن عبد الله في صحيح مسلم وجاء فيه من طريق ابي هريرة
زيادة « وختم بي النبيون » فتعميم رسالته وختم النبوة به في هذا
الحديث الصحيح من طريقه من مقتضى معنى الآية فانه لما عمته رسالته
ولم يكن معه رسول في حياته وختمت به النبوة فلا يكون كذلك
بعد وفاته ثبتت له كرامة الخصوصية ، وعظمة المنزلية وجزالة المثوبة ،
وهو ما كنا بيناه في معنى الآية ، وما أحسن التفسير تعضده الأحاديث
الصحاح •

تاسي ورجاء :

قد ثبت في السنة ما يكون من كثرة الجهل ، وموت السنة ، وانتشار البدعة ، وقد أيد ذلك الواقع والمشاهدة ، فاذا كان دعاة العام ، والسنة ، وخصوم الجهل ، والبدعة ، فلا بد أن يكونوا قليلا في العدد الكثير خصوصا في مبدأ أمرهم وأول دعوتهم ، ولا بد أن يلقوا ما يلقون ويقاسوا ما يقاسون ، ومما يثبت قلوبهم في عظيم موافقهم تآسيهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء وحده بالحق والناس كلهم على الباطل فما زال يجاهد حتى لقي ربه ، ومما يثبت قلوبهم أيضا رجاءهم — اذا أخلصوا النية وأحسنوا الاقتداء — فيما يكون لهم من الاجر العظيم ، والثواب الجزيل ، في جهادهم على قلوبهم ، وفيما يكون لهم من الثواب كذلك فيمن اهتدى بهم وفيمن بذلوا جهدهم في هدايته ، وكانت لهم الرغبة العظيمة في ايصال الخير إليه ، وان لم يرجع اليهم .

عدم طاعة الكافرين . والجهاد بالقرآن العظيم

« فَلَا تَطْعَمُ الْكٰفِرِيْنَ وَجَاهِدْهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيْرًا » (١) .

الناسبة :

لما بين ما خصه به من الكرامة دعاه الى مقابلة ذلك بعدم طاعة أهل الكفر والثبات على جهادهم بالقرآن .

المفردات :

الفاء تعريفية — الطاعة : الامتثال للطلب . والجهاد : بذل الجهد من

ناحيتك في مقابلة من هو باذل جهده في الناحية المقابلة لك ، هذا مقتضى صيغة فعال •

التراكيب :

جهاداً كبيراً مصدر مبين للنوع المطلوب بصفته وهي كبيراً •

المعنى :

لما أكرمناك بعموم رسالتك وختم النبوة بك فقابل هذه النعمة ، باخلاص الطاعة لربك ولا تطع الكافرين أعداء الله وأعدائك في أي شيء يدعونك اليه من مقتضيات كفرهم كالرجوع اليهم والسكوت عن بعض كفرهم ، وابذل كل جهدك في دعوتهم للدين الحق ، ومقاومة ما هم عليه من الباطل بالقرآن العظيم ، وجاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً بتحمل كل ما يأتيك من ناحيتهم من بلاء واذاية والصبر عليه والثبات على الدعوة والمقاومة •

تعميم :

كما لا تجوز طاعة الكافرين في شيء مما يمليه عليهم كفرهم كذلك لا تجوز طاعة العصاة في شيء مما تمليه عليهم معصيتهم لان الجميع فيه مخالفة لدين الله وكما يجاهد أهل الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير كذلك يجاهد به أهل المعصية لانه كتاب الهداية لكل ضال والدعوة لكل مرشد ، وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة من التنبيه بالأعلى على الأدنى لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة •

اقتداء :

ما كان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ليطيع الكافرين وانما جاء هذا النهي تهيباً له على تمام مخالفتهم ومعاكستهم في جميع

مناحي ومظاهر كفرهم ، والخطاب وإن كان له فالحكم شامل لأمتة فلا يجوز للمسلم أن يطيع كافراً أو عاصياً في أي شيء من نواحي الكفر ونواحي المعصية ، وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرص عليه فكذلك هو فرض على أمتة هكذا على الاجمال وعند التفصيل تجده فرضاً على الدعاة والمرشدين الذين ^(١) يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين ، فالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وقدة لأمتة فيما اشتملت عليه الآية من نهي وأمر .

استدلال :

هذه الآية نص صريح في أن الجهاد في الدعوة الى الله واحقاق الحق من الدين وابطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين ، وانكار الجاحدين ، هو بالقرآن العظيم ، وفيه بيان العقائد وأدلتها ورد الشبه عنها . وفيه بيان الاخلاق، محاسنها ومساوئها، وطرق الوصول الى التحلي بالاولى والتخلي عن الثانية ومعالجتها . وفيه أصول الاحكام وعللها وهكذا فيه كل ما يحتاج اليه المجاهد به في دين الله فيستفاد منها كما يستفاد من آيات أخرى غيرها ان على الدعاة والمرشدين أن تكون دعوتهم وارشادهم بالقرآن العظيم .

ميزان :

عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم انه يدعوك الى الله تعالى فانظر من يدعوك بالقرآن الى القرآن - ومثله ما صح من السنة لانها تفسيره وبيانه - فاتبعه لانه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن .

(١) في الاصل « الذي » .

من اكرام الله تعالى عبده

نعمة ومنقبة :

قد سمى الله تعالى الجهاد بالقرآن جهاداً كبيراً وفي هذا منقبة كبرى للقائمين بالدعوة الى الله بالقرآن العظيم وفي ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم حيث يسرهم لهذا الجهاد حتى ليصح أن يشتموا بهذا الاسم الشريف (مجاهدون) فحق عليهم أن يقدروا هذه النعمة ويؤيدوا شكرها بالقول والعمل ، والاخلاص والثبات والصبر واليقين •

• جعلنا الله والمسلمين منهم وحشرنا في زمرتهم أجمعين^(١) •



(١) ش : ج ٤ ، م ٨ ، ص ٢٠٠ - ٢١٠
غرة ذي الحجة ١٣٥٠ - افريل ١٩٣٢

تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » (١) .

المناسبة :

لما سأل المشركون بقولهم « وما الرحمن » كما يسألون عن المجهول ذكر لهم القرآن ما يعرفهم به من عظيم آياته وجلائل إنعاماته التي هي من آثار رحمته ، فذكر لهم بروج السماء والشمس والقمر ، ثم ذكر لهم تعاقب الليل والنهار .

المفردات :

(خلفه) : يقولون خلفت الفاكهة بعضها بعضا خلكفا — بالتحريك — وخلفة اذا صارت خلفا ، من الاولى ، وخلف زيد عمرا يخلفه اذا جاء بعده في مكانه ، فالخليفة مصدر ، وهو لما كان على وزن فعلة دال على الهيئة كالركبة ، بمعنى الهيئة من الركوب ، فالخلفة اذا هيئة من الخلوف . فاذا قلت خلفه خلفا أو خلوفا فقد أردت مطلق الحدث ، واذا قلت خلفه خلفه فقد أردت هيئة خاصة من الخلوف . (التذکر) : قبول التذكير ؛ فان مخلوقات الله مذكرات للعبد بربه ، فتذكره هو قبوله ذلك التذكير واعتباره واتعاظه به . (الشکور) : مصدر شكر ، بمعنى القيام بعبادته وطاعته لاجل نعمه . (أو) : للتفصيل والتنويع ،

(١) ٦٢/٢٥ الفرقان .

تعاقب الليل والنهار

لأن المستفيدين من اختلاف الليل والنهار هم المتذكرون والشاكرون ، فلا تمنع من أن يكون الشخص الواحد متذكرا شاكرا في آن واحد .

التراكيب :

خلفة : مفعول ثان لجعل ، على معنى جعلهما ذوي خلفه ، وفي الأخبار تقول الليل والنهار خلفه ، والرجلان خلفه على هذا المعنى ، أي يخلف أحدهما الآخر ، وكان مفردا عن الاثنين لانه مصدر والجار في (لمن أراد) يتعلق بجعل ، وكان الجعل لهما لأنهما المستفيدان منه . ولم يكرر الاسم الموصول لأن الشخص الواحد يمكن أن يتصف بالصلتين معا ، وكرر فعل الارادة لأنها لا بد منها في التذكر وفي الشكر ، وقيل (أن يتذكر) ليفيد المضارع الحدوث والتجدد فان النقلة مستولية على الانسان والآيات المرئية ما تزال تحدث له التذكر وتجدده له . وقيل « شكورا » لمناسبة رؤوس الآي .

المعنى :

يقول تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » ووضعها يختلفان ويتعاقبان على هيئة مخصوصة في التخالف والتعاقب ليستفيد من ذلك من العباد من أراد أن يتذكر فيعتبر بما فيهما من انتقال وتغير ونظام وتقدير ، ويستدل بذلك على وجود خالقهما وقدرته وارادته وعلمه وحكمته ورحمته بمخلوقاته ، أو أراد أن يشكر فيقوم بعبادة خالقه المنعم عليه بجلائل النعم ودقائقها التي منها هذا الاختلاف والتعاقب بين هذين الوقتين اللذين لا يصلح حال الانسان ولا تنتظم أعماله ولا يستقيم عمرانه الا به .

فقه لغوي :

اختيرت لفظة الخلفة هنا لدالاتها على الهيئة فتكون منبهة على

هيئة هذا الاختلاف بالطول والقصر المختلفين في جهات من الأرض وذلك منه على أسباب هذا الاختلاف من وضع جرم الأرض وجرم الشمس وذلك كله من آيات الله الدالة عليه وتلك الهيئة المقدر المنظم عظمت النعمة على البشر وشملتهم الرحمة فكانت هذه اللفظة الواحدة منبهة على ما في اختلاف الليل والنهار من آية دالة ومن نعمة عامة . وهكذا جميع ألفاظ القرآن في اتقائها لمواقعها .

فقه شرعي :

لما كان جعل الليل والنهار خلفه لأجل التذكر والعمل كان كل واحد منهما صالحا للعمل الذي يعمل فيه صاحبه ، فمن فاتته عمل بالليل أتى به في النهار ، ومن فاتته عمل بالنهار أتى به في الليل ، وهذا اذا كان من العادات فهو على سبيل التدارك ، واذا كان من العبادات فهو على سبيل القضاء . وقد روى ابن جرير بسند حسن : إن رجلا جاء الى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال : فاتتني الصلاة الليلية ، فقال : أدرك ما فاتك من ليلتها في نهارك ، فان الله جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا . ومن هذا ما رواه مسلم والأربعة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : من نام عن حربه أو عن شيء منه فقراه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قراه من الليل .

فقه قرآني :

حياة الانسان من بدايتها الى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاث : الارادة والفكر والعمل ، وهي المذكورات في هذه الآية ، لأن التذكر بالتفكر والشكر بالعمل . فاستفادة الانسان مما خلقه الله له وجعله لأجله لا تكون الا بهذه الثلاثة ، وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لا بد للانسان منها ، فالعمل متوقف على

تعاقب الليل والنهار

البدن ، والفكر متوقف على العقل ، والارادة متوقفة على الخلق ، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح ، والارادة القوية من الخلق المتين ، والعمل المفيد من البدن السليم ، فلهذا كان الانسان مأموراً بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه وبدنه ، ودفع المضار عنها ، فيثقف عقله بالعلم ويقوم أخلاقه بالسلوك النبوي ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء وتوقفي الاذى والترييض على العمل .

موعظة :

قال الامام ابن العربي : سمعت ذانשמند الأكبر — يعني الغزالي — يقول ان الله خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله ، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث وتقصان الخلقة ، اذ الكمال للاول الخالق فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في الطاعة فليفعل ، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلا فيذهب النصف من عمره لغوا وينام نحو سدس النهار راحة فيذهب له ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة ، ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره سهرة في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم . اهـ

سلوك :

حافظ على العبادات في أوقاتها ، واقض ما فاتك واربط أعمالك باوقاتها ، وتدارك ما فاتك ووجه قصدك الى ما ترى من آيات الله متفكرا ووجه قصدك في جميع أعمالك لله سامعا مطيعا — تكن عبدا ذاكرا شاكرا سعيدا — ان شاء الله — في الدارين . وفقنا الله الى ذلك والمسلمين أجمعين (١) .

(١) ش : ج ٥ ، م ٨ ، ص ٢٤٥ — ٢٤٩

غرة محرم ١٣٥١ — ماي ١٩٣٢

القرآن يصف عباد الرحمن

الصفة الأولى والثانية :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » (١) .

المناسبة :

لما تجاهل المشركون الرحمن واستكبروا عن السجود له عرفهم القرآن بالرحمن بخلقه وتدييره وانعامه كما مضى في الآيات المتقدمة ، ثم عرفهم بعباده الذين عرفوه بذلك فأمنوا به وخصوا له بما اشتملت عليه هذه الآيات من صفاتهم . وكما كانت مخلوقات الله المذكورة سابقا دالة عليه ومعرفة به بما فيها من آثار قدرته وآثار رحمته كذلك كان عباده المذكورون أدلة عليه ومعرفين به بأقوالهم وأفعالهم وهديهم وسلوكهم ومظاهر آثار رحمة الله عليهم ، فذكروا بعد ذكر تلك المخلوقات وذكرت هي قبلهم لأنها كانت أدلة لهم ، والدليل سابق على الاستدلال سبق الاستفادة منه على الاستفادة . وفي تعريف القرآن لعباد الرحمن بعد تعريفه بالرحمن تشريف كبير لهم وتبكيث لأولئك المتجاهلين المتكبرين ، ووجه آخر في المناسبة ، وهو انه لما ذكر التذكر والشكر في الليل والنهار في الآية المتقدمة ذكر صفات المتذكرين الشاكرين وما أثمره لهم تذكركم وشكرهم ترغيباً في التذكر والشكر .

(١) ٦٣/٢٥ الفرقان .

القرآن يصف عباد الرحمن

وقولهم للجاهلين سلاما من مقتضى هونهم ورققهم ، فذلك قرن به وعطف عليه .

المفردات :

عباد : جمع عبد ، بمعنى المملوك الذليل الخاضع ، أو جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار بمعنى المطيع والقائم بما يرضي ربه ، والأول هنا أظهر ، الرحمن : المنعم الذي تتجدد نعمه في كل آن ، يمشون على الأرض : يتنقلون عليها . هونا : هان الأمر يهون هونا بمعنى سهل ، ومنه (هو عليّ هين) أي سهل ، وشيء هين على وزن فيعل ، أي سهل ، ويقال هين بالتخفيف . ومن صفات المؤمن أنه هين لين من الهون بمعنى السهولة في أخلاقه ومعاملته ، وفي مسند أحمد عن ابن مسعود مرفوعا : «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس» وهو على ما فسرنا من السهولة في أخلاقه ومعاملته وذلك هو الذي يقرّب به من الناس ، وفسر الهون في الآية بالحلم والوقار والسكينة والتواضع والطاعة ، وكلها ترجع الى السهولة واللين ، وفسر بعدم الفساد في الأرض وعدم التجبر والتكبر لأنها كلها أضداد للسهولة واللين . خاطبهم : كلمهم . الجاهلون : السفهاء القليلو الأدب السيئو الأخلاق . والجهل ضد العلم ويطلق بمعنى السفه والطيش لأنهما عنه ينشآن ومنه قول الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(١)

ومنه الجاهلون في الآية . سلاما : السلام كالسلامة معناهما التعري من الآفات والمكروهات .

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم ، وقوله : فنجهل فوق جهل الجاهلينا ، قال التبريزي : معناه فنهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله .

التراكيب

وصلت الجملة بما قبلها بالواو لاشتراكهما في القصد وهو التعريف بالرحمن وعباده . وعباد مبتدأ والذين خير وأضاف العباد للرحمن تخصيصا لهم وتفضيلا وتقريبا وفيه تعريض بأولئك المتجاهلين المتكبرين المبعدين ، وهونا منصوبا على أنه مفعول مطلق والتقدير : مشيا هونا ، أو على أنه حال من فاعل يمشون أي هينين ، ومجيء المصدر حالا كثير ولمصدريته أفرد ، والموصوف جمع (١) نظير الزيدون عدل . ويمشون على الأرض هونا تركيب كنائي أريد به معناه ولازم معناه ، فهم يمشون هينين برفق وثبت ، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا . هذا أصل المعنى وهو مراد ومراد أيضا لازم وهو سهولتهم وتواضعهم وعدم تكبرهم ورققتهم في الأمور وبعدهم عن الافساد . ومراد لازم آخر أيضا ، وهو سيرهم في الحياة وتصرفهم في جميع الأمور ومعاملتهم للناس ، فاذا كانوا أهل رفق وسهولة في مشيهم في الأرض فكذلك هم أهل رفق وسهولة في الأمور الأخرى ، مما ذكرنا ، لأن الرفق والسهولة خلق فيهم فكما هو في المشي هو في غيره . وكانت الصلة بالمضارع ليفيد التجدد ، فان المشي في الأرض ضروري للإنسان وكان المعطوف على الصلة بصورة الشرط لأن خطاب الجاهلين لهم ليس مما يكون دائما ، وكان التعليق باذا لأن مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق ، ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين ولم يذكر ما يخاطبهم به الجاهلون للعلم بأن خطاب الجاهل أي السفه لا يكون الا سوءا مما ينليه عليه جهله وسفهه . ونصب سلاما على أنه مفعول مطلق ، والتقدير قالوا قولوا سلاما ، أي ذا سلام ، فيشمل كل قول فيه سلامة من الأذى والمكروه ، كسلام عليكم

(١) في الاصل جميع .

القرآن يصف عباد الرحمن

ويغفر الله لكم وسامحكم الله ونحو ذلك • أو نصب على انه مفعول به ، أي قالوا هذا اللفظ سلاما نفسه •

المعنى :

يقول تعالى وعباد الرحمن ومماليكه القائمون بحق العبادة (١) له هم أهل الرفق والسهولة الذين يمشون على الأرض هينين في مشيهم وفي معالجتهم لشؤون الحياة ومعاملتهم للناس لحلمهم وتواضعهم غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين في الأرض بالفساد • وإذا خاطبهم السفهاء بما لا ينبغي من الخطاب قابلوهم بالحلم وقالوا لهم سلاما لأنهم سلموا من الجهل ، فسلم المخاطب لهم من أن يجهلوا عليه ولو جهل (٢) أو قالوا لهم من الكلام ما فيه سلامة من الأذى والمكروه •

الاحكام :

في الآية استحباب الرفق في المشي وكراهية العنف والاضطراب ، ومن العنف الضرب بالرجل والخفق بالنعل ، فاذا كانا بمجب وخيلاء فهو حرام • وفيها الإغضاء عن الجاهل ومقابلة كلمته السيئة بالكلام الحسن • وكراهة مجاراته في خطابه ومماثلته ، واذا كان في ذلك فتنة أو مفسدة محققة كان حراما •

تمييز :

ليس من الهون في المشي التثاقل والتفاوت فيه ، وروي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لجماعة رآهم كذلك : « لا تميئوا علينا ديننا أماتكم الله » وأن عائشة - رضي الله عنها - رأت

(١) كذا في الاصل ولعله العبودية .

(٢) كذا في الاصل .

قوما يتماوتون فسألت عنهم فقيل لها هؤلاء قوم من القراء ، فقالت : لقد كان عمر من القراء ، وكان اذا مشي أسرع واذا تكلم أسمع ، واذا ضرب أوجع ، وكان مثيه - رضي الله عنه - الى السرعة خلقة لا تكلفا والخير في الوسط . وليس هون المشي وحده يعرفك بأن صاحبه من عباد الرحمن ، فرب ماشٍ هوناً رويداً وهو ذئب أطلس ، ولكن بالهون في المشي وبما ذكرنا في فصل التراكيب والمعنى من لوازمه .

بيان ورد :

اشتملت الآية على بيان الأدب في معاملة الجاهلين من أفراد الناس ، أكانوا مسلمين أم غيرهم ، وما اشتملت عليه من الأدب قد جاء في آيات كثيرة مثل : « وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »^(١) و « وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ »^(٢) فهو أدب مشروع مؤكد ، وحكم دائم محكم ، وهو في معاملات الأفراد كما ترى . فلا ينافي ما شرع من الحرب عند وجود أسبابها وتوفر شروطها بين الأمم والجماعات ، وهي من الأمور العامة كما ترى فبطل قول من زعم ان هذه الآية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف لأن هذه الآية ثابت حكمها في حال آية السيف ثابت حكمها في حال أخرى ، فلا تنسخ احدهما الأخرى . وما أكثر ما قتلت أحكام بآية السيف هذه ، وهي عند التحقيق غير معارضة لها لمباينة حالها لحالها .

(١) ١٩٨/٧ الاعراف .

(٢) ٥٥/٢٨ القصص .

تمثيل واستدلال :

جاء في الصحيح من طرق مجموع ألفاظها ان رهطاً من اليهود دخلوا على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالوا : السام عليكم (والسام الموت) ففهمتها عائشة - رضي الله عنها - فقالت : عليكم السام واللعنة وغضب الله عليكم ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق واياك والعنف والفحش ، ان الله يحب الرفق في الامور كلها . فقالت عائشة : أو لم تسمع ما قالوا؟ فقال لها : أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم . قد قلت « وعليكم » فيستجاب لي فيهم «لانه دعاء بحق» ولا يستجاب لهم فيبي «لانه دعاء بباطل وظلم» . فقد خاطبه هؤلاء الجاهلون بالسوء فقال لهم كلمة سالمة من القبح ليس فيها لفظ الاذية وهو السام بعيدة عن الايحاش خالصة للرفق ، فهي من القول السلام ، أي ذي السلام من مقتضى الآية على الوجه الأولى من وجهيها ، ففي الحديث مثال لقول السلام في خطاب الجاهل ودليل على عموم الحكم واحكامه .

سؤال وجوابه :

على الوجه الثاني في الآية ، وهو أنه يقول للجاهل سلاما ، يقال هل يسلم عليه اذا كان كافراً ، فيقال نعم كما قال إبراهيم لأبيه « سلامٌ عَلَيْنِكَ » وقد قال الله تعالى : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ »^(١) ولم يستثن الا قوله لأبيه : « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ » نعم هو سلام موادعة ومشاركة لا سلام تحية وكرامة .

(١) ٤/٦٠ المتحنة .

لطيفة تاريخية :

قالوا إن إبراهيم بن المهدي العباسي كان منحرفا عن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فرآه في النوم قد تقدمه لعبور قنطرة ، فقال له إبراهيم : انما تدعى هذا الأمر ، يعني الخلافة ، بامرأة ، يعني فاطمة رضي الله عنها ، ونحن أحق به منك ، وحكى إبراهيم رؤياه للمأمون وقال له : فما رأيت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه ، فقال له المأمون : فما أجابك به ؟ قال : كان يقول لي : « سلاما سلاما » ، فنبهه المأمون على هذه الآية وقال : يا عم ، قد أجابك بأبلغ جواب ، فخزي إبراهيم واستحيا اه ، فرضي الله عن الإمام الهاشمي ما أبلغه حيا وميتا .

توجيه وسلوك :

القول السلام محمود ومطلوب في كل حال ، وانما خست حالة خطاب الجاهل لأنها الحالة التي تثور فيها نائفة الغضب بما يكون من سفهه ومهاترته ، فعلى المؤمن أن يكون حاضر البال بهذه الآية عند ما تسوق اليه الأقدار جاهلا ، فيخاطبه بما لا يرضيه حتى يسلم من شره ، ويكسر من شرته ، فيسلم له عرضه ومروءته ودينه ويسلم ذلك الجاهل أيضا من اللجاج في الشر ، والتماذي فيه فيكون المؤمن بقوله السلام وتأدبه بأدب القرآن قد حصل السلامة للجميع وأعظم به من فضل وأجر في الدنيا والدين وفقنا الله لذلك والمسلمين أجمعين^(١) .

(١) ش : ج ٦ ، م ٨ ، ص ٢٩٩ — ٣٠٦

غرة صفر ١٣٥١ — جوان ١٩٣٢

الصفة الثالثة :

« وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا » (١)

المناسبة :

لما ذكر فيما تقدم سلوكهم مع الخلق ، ذكر في هذه الآية سلوكهم في القيام بعبادة الحق . وفيما تقدم بيان حالهم عند اختلاطهم بالعباد ، وفي هذه بيان حالهم عند تفردهم لرب العباد .

المفردات :

يبيتون من البيوتوة وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم ، ويقابلها الظلول وهو أن يدركك النهار . السجد : جمع ساجد ، والقيام : جمع قائم ، وهو من الأوزان التي يشترك فيها المصدر والجمع .

التراكيب :

الذين عطف على الخبر الأول وأعيد لفظ الذين لاستقلال الحالة الثانية عن الأولى ، وقدم الجار ليفيد تخصيص عبادتهم بربهم ويفيد الكلام عبادتهم واخلاصهم ، وقدم سجداً لأن السجود أقرب أحوال العبد للرب لحديث : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . ووقع قياما في موقعه مناسباً للفاصلة .

المعنى :

ومن صفات عباد الرحمن انهم يحيون الليل فيبيتون يصلون لربهم يوافقون بين السجود والقيام .

بيان وترغيب :

هذه الآية من آيات الحث على قيام الليل مثل قوله تعالى « تَسْجَا فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا » (١) وقد بينت السنة المطهرة مقدارها فثبت في الموطأ من طريق أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثا والسلام بعد كل ركعتين لحديث : « صلى الليل مثنى » . وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها انه كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين ، فتلك ثلاث عشرة ، وقد ثبت ذلك في الموطأ من طريق عروة عنها ، قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يصلي الليل ثلاث عشرة ركعة ، وهذا هو الغالب من أحواله ، وقد كان يصلي أقل منه في بعض الأحوال ، فقد ثبت عند البخاري من طريق مسروق عنها أن صلاته صلى الله عليه وآله وسلم بالليل سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر ، ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته الى ثلاث عشرة . جاء في الموطأ من حديث ابن عباس ، وجاء فيه أيضا من حديث زيد بن خالد الجهني ، وفي هذه السنة العملية الثابتة بيان للقدر الأكمل الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمن .

الصفة الرابعة :

« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » (٢) .

(١) ١٦/٣٢ السجدة .

(٢) ٦٥/٢٥ - ٦٦ الفرقان .

المناسبة :

لما ذكر حسن سلوكهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق ذكر خوفهم من ربهم واعتمادهم عليه في نجاتهم وعدم اغترارهم بأعمالهم ، فهم يأتون ما يأتون من محاسن الأعمال ولا يعتمدون الا على الكبير المتعال .

المفردات :

الغرام مادة (غ رم) تدور على معنى الملازمة مع الثقل والشدة ، ولذا فسر الغرام بالشر وبالعذاب وبالهلاك الملازم . ساءت : بمعنى قبحت مثل بئس لانشاء الذم ، المستقر : محل الاستقرار الى الثبوت ، والمقام : محل الاقامة أي البقاء .

المفردات :

ساءت : فاعله الضمير المخصوص بالذم ، ومستقرأ ومقاما تمييز مفسر للضمير ، وجملة (ان عذابها) تعليل للجملة الدعائية ، وفصلت عنها لكمال الانقطاع بينهما لانشائية الأولى وخبرية الثانية ، وجملة (انها ساءت) مؤكدة لمضمون الجملة قبلها مع اختلاف في المعنى ، فان ما أفادته الاولى من فداحة عذابها وملازمته أكدته الثانية بما أفاده من مقامه ومستقرها ، وفصلت عنها لما بينهما من كمال الاتصال نظير : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ » . والتأكد فيهما بأن، لانه قد لوح وأشير في الكلام السابق الى هذا الخير وشأن السامع لهذا أن يستشرف له استشراف المتردد الطالب ، فينزل منزلة المتردد ، فيؤكد له الخبر ووجه التلويح بهذا الخبر انه لما سئل صرف عذاب جهنم كان هذا مشيراً الى قبح هذا العذاب وشدته فهذا نظير : « وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الْكَذِبِ نَظَّمُوا لِي تَغْمُ مَغْرَقُونَ » (١)

(١) ٣٧/١١ هود و ٢٧/٢٣ المؤمنون .

المعنى :

ومن صفاتهم أنهم يدعون الله تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم لأن عذابها عذاب شديد فادح ملح ملازم ، ولأنها بثست المستقر الذي يستقر ويثبت فيه وبثست المقام الذي يقام ويمكث فيه .

رد واستدلال :

زعم قوم أن أكمل أحوال العابد أن يعبد الله تعالى لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ، وهذه الآية وغيرها رد قاطع عليهم ومثلها قول ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام « وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ »^(١) في نصوص لا تحصى كثرة ، وزعموا أن كمال التعظيم لله ينافيه أن تكون العبادة معها خوف من عقابه أو طمع في ثوابه ، واخطأوا فيما زعموا ، فإن العبادة مبناها الخضوع والذل والافتقار والشعور بالحاجة والاضطرار واطهار العبد هذه العبودية بأتمها ، ومن أتم مظهر لها أن يخاف ويطمع كما يذل ويخضع ففي إظهار كمال نقص العبودية القيام بحق التعظيم والاجلال لربوبية ، ولهذا كان الأنبياء - عليهم وآلهم الصلاة والسلام - وهم أشد الخلق تعظيماً لله ، ومن أكثرهم خوفاً من الله وتعوزاً من عذاب الله ، وسؤالاً لما عند الله وكفى بهم حجة وقدوة ، وان هذه المقالة تكاد تفضي الى طرح الرجاء والخوف ، وعليهم مبني الاعمال لما فيهما من ظهور العبودية بالذل والاحتياج ، ومن دعاء القنوت الثابت المحفوظ « **واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجدد** » وهذا ضروري في الدين . ولكن مثل هذه المقالة انما يجر اليه الغلو وقلة الفقه في الدين في الكتاب والسنة وما كان عليه هدى السابقين الاولين .

(١) ٨٢/٢٦ الشعراء .

اعتبار ونصيحة :

ان جهنم هي أقبح مستقر وأقبح مقام ، وان الدنيا هي مطية الآخرة ، فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة وان ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا فمن لازمها بالكفر ومات عليه دامت له تلك الملازمة ومن لازمها بالاصرار على الكبائر كانت له على حسب تلك الملازمة • فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه وان يجتنب كل موطن تلحقه فيه الملامة وأن يجتنب مجالس السوء والبدعة ويلتزم مجالس الطاعة والسنة وان يسرع بالتوبة مفارقا الذنوب وان لا يصر على شيء من القبائح والعيوب وأن يكون سريع الرجوع الى الله ولو عظم ذنبه وبلواه فالله يحب التوابين ويغفر للاوابين جعلنا منهم اجمعين • آمين^(١) •



(١) ش : ج ٩ ، م ٨ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٨
غرة جمادي الاولى ١٣٥١ - سبتمبر ١٩٣٢

أيهما أكمل (١)

العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب

أم العبادة دونهما ؟

زيادة بيان على قوله تعالى : « وَالكَذِبِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا » (٢) .

قد قال قوم إن العبادة دون رجاء ثواب ولا خوف عقاب هي
أكمل العبادات . وأنكرنا مقاتلهم فيما كتبناه على قوله تعالى :
« وَالكَذِبِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا » في الجزء الصادر في غرة جمادى الأولى .

وقلنا في الانكار عليهم : « وزعموا ان كمال التعظيم لله ينافية
أن تكون العبادة معها خوف من عقابه أو طمع في ثوابه وأخطأوا
فيما زعموا » . وذكرنا أثر ذلك بعض الأدلة التي اعتمدنا عليها ، وبعد
أن مضى على ذلك ثلاثة أشهر كاملة نشر الشيخ المولود الحافظي مقالا
ردا علينا دون أن يذكر جميع أدلتنا ودون أن يتعرض لنقضها في
سندها أو متنها أو عدم انطباقها أو افادتها لما سيقت لافادته ، ودون

(١) فيه رد على مقال الشيخ محافظي المدرج في جريدة البلاغ
منذ بضعة أسابيع (المؤلف) .

(٢) ٦٥/٢٥ - ٦٦ الفرقان .

أن يعارضها بمثلها في الرتبة والدلالة • وأطال بما بعضه خارج عن محل النزاع ، وبعضه هو نفس الدعوى المحتاجة الى الاستدلال • فرأينا أثر اطلاعنا على مقاله أن نعود في هذا الجزء لذكر أدلتنا التي اعتمدنا عليها فيما اخترناه من ان وضع العبادة الشرعية على رجاء الثواب وخوف العقاب ، وبيان دلالتها على المدعي ، ثم نتكلم على بعض ما في مقاله ، فنقول :

إن العبادة هي غاية الذل والخضوع مع الشعور بغاية الضعف والافتقار ، ومن مقتضى الضعف أن يخاف ويوجل ، ومن مقتضى الافتقار أن يرجو ويطمع • فخوف العبد من عقاب ربه هو من مقتضى اعترافه بضعفه وقوة ربه وشهوده لعزته وقهره وعموم تصرفه في خلقه ، وانه لا معقب لحكمه وانه لا يؤمن من مكره ، وطمعه في ثوابه هو من مقتضى اعترافه بحاجته وفقره وغنى ربه وفضله وتصديقه بوعده فهو يعبده ويخاف أن لا يقبل عبادته ويخشى نقمته • ويعبده ويرجو رحمته وينتظر ثوبته ، وفي عبادته هذه اظهار لغاية العبودية بنقصها وحاجتها وقيام بحق التعظيم والاجلال للربوبية والاعتراف لذلك المقام بالقدرة والعزة والغنى والرحمة والكمال •

فوضعت العبادة في الدين على خوف العقاب ورجاء الثواب لما في ذلك من اظهار غاية عبودية العبد بضعفه وافتقاره أمام ربه الغني الرحيم القوي المتين • والدليل على هذا ستمعه من الكتاب والسنة وأقوال السلف •

أما الكتاب فقوله تعالى : « إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يَنْفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ
 أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١) . ووجه الدليل من
 الآية أن هؤلاء المذكورين فيها هم الكمل من عباد الله الصالحين بدليل
 حديث ابي هريرة - رضي الله عنه - المروى في الصحيح قال : قال
 رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **يقول الله تعالى اعسدت
 لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 ذخرأ به ما اطلعت عليه ثم قرأ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ
 لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »** .
 ومع كمالهم لم تتجدد عبادتهم من الخوف والطمع . ووجه آخر :
 وهو ان الله تعالى ذكر لنا عبادتهم لعرف العبادة الشرعية كيف تكون
 فذكرها مع الخوف والطمع فعرفنا ان العبادة وضعت في الشرع على
 ذلك ، ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر لنا صفاتهم وعبادتهم لنقتدي بهم
 فيها فعلم ان العبادة التي يدعوننا ربنا اليها هي العبادة خوفا وطمعا .
 ومثل هذه الآية : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا
 وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ - الى - رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ
 عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا
 مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ » ووجه الدليل منها كالتالي قبلها وتزيد

(١) ١٥/٣٢ - ١٧ السجدة .

(٢) ١٩١/٣ - ١٩٤ آل عمران .

أيهما أكمل

عليها بيان صريح دعائهم وطلبهم الوقاية من النار وغفران وتكفير السيئات .

ومثلها قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا » . ووجه الدليل منها كالتي قبلها . ومثلها قوله تعالى : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرِيرًا » (١)

ووجه الدليل منها مثل ما تقدم وتزيد بيان ان خوف اليوم العبوس لا ينافي الاطعام لوجه الله . ومثلها قوله تعالى : « أَقْمَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ، وَالَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ » (٢) .

(١) ٧/٧٦ - ٩ الدهر .

(٢) ٢١/١٣ - ٢٤ الرعد

الدين « ووجه الدليل من الآية ان ابراهيم - عليه السلام - أخبر عن نفسه بصيغة المضارع المفيد للتجدد انه يطعم من الله أن يغفر له خطيئته ، فدل ذلك على انه كان في عبادته طامعاً ومعلوم أنه معصوم وانه مؤمن من العذاب ، وان ما سماع خطيئة هو بالنسبة الى مقامه الرفيع من باب (حسنات الابرار سيئات المقربين) ومع ذلك كله فالمتصود من الدليل حاصل وهو انه خاف المؤاخذة - المؤاخذة اللاتفة بمقامه - وطمع في الغفران وكانت عبادته على الطمع والخوف . ولا يقال انه كان معلماً للناس لانه اخبر عن نفسه وخبره صدق ثابت فلا بد أن يكون كما أخبر .

وأما السنة فمنها دعاء القنوت المشهور (نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد) ووجه الدليل منه أن الصلاة أشرف أحوال العبد وأجل مقاماته وأعظم عباداته وقد علم ان يدعو فيها هذا الدعاء الصريح في رجاء الرحمة وخوف العذاب وما كان ذلك الا لان العبادة الشرعية موضوعة عليهما .

ومنها حديث : (وأما السجود فادعوا فيه ، فقم ان يستجاب لكم) وهو حديث صحيح ، وفي الصحيح أيضا (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ووجه الدليل أن أقرب أحوال العبد من ربه هو محل للدعاء ، والداعي يرجى القبول ويخاف المنع ، فالعبادة في أقرب أحوال العبد موضوعة على الرجاء والخوف .

ومنها الحديث الصحيح : (اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي اليك وفوضت أمري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك اللهم آمنت بكتابك الذي انزلت وبنيك الذي أرسلت فان مت من ليلتك فانت على الفطرة واجطهن آخر ما تتكلم به) ووجه الدليل منه انه تعليم لما يقوله المسلم فيما قد يكون آخر حال يلقى

عليه ربه ولا ينبغي أن يلقاه الا على أكمل حال . فعلمنا هذا الدعاء الصريح في الرغبة والرغبة ليقوله المؤمن ولو كان من أكمل الكمل فدل على ان الرغبة والرغبة عليهما وضعت العبادة في جميع الاحوال .

ومنها الحديث الصحيح : « قالت عائشة (رضي الله عنها) : كنت نائمة الى جنب رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فققدته فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول : (اعوذ برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك كما اثنت على نفسك) ووجه الدليل انه في الحال التي هو فيها أقرب ما يكون من ربه وهي حالة سجوده استعاذ برضى الله من سخطه وبمعافيته من عقوبته ، ثم لما لم يستطع الاحاطة بافعاله رد الأمر لذاته فاستعاذ به منه وهو في الجميع مستعيز والمستعيز طالب والطالب راج وطامع في نيل المطلوب فلم يفارق عبادته الرجاء والطمع حتى في هذه الحالة التي هي بينه وبين ربه لانه كان ساجداً في جنح الليل دون حضور أحد من الناس الا عائشة التي كانت نائمة واستيقظت فققدته فاطلعت عليه في تلك الحال .

ومنها الحديث الصحيح عن ابن عباس الذي كان يعلمهم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — اياه كما يعلمهم السورة من القرآن رواه مالك وفيه : (اللهم اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة الحيا والممات) ووجه الدليل منه انه علمهم هذه الاستعاذة الصريحة في الخوف والرجاء كسائر ما علمهم من الدعوات المبنية عليهما .

وهكذا تجد جميع دعواته الماثورة على الرغبة والرغبة والرجاء والخوف ولا تجد دعاء واحداً علمهم فيه أن يتوجوا الى الله تعالى دون رغبة ولا رهبة ولا رجاء ولا خوف ، ولو كانت العبادة الخالية

من الطمع والخوف هي أكمل العبادة لكان بينها لهم بياناً شافياً صريحاً كعادته في بيان الكمالات ، وهو الحريص على دلائلهم على كل خير ، فكيف لم يدلهم على هذا المقام بصريح المقام لو كان من الكمال بحيث يدعى لها بعض الناس •

فقد بان لنا بما ذكرناه توارد آيات الكتاب وأحاديث السنة في صراحة وجلاء على مشروعية العبادة مقرونة بالرغبة والرجاء والخوف ، ولم نظفر بآية واحدة أو حديث واحد فيه التصريح بمشروعيتها مجردة منهما فضلاً عن أنها أكمل منها معهما ، وما كنا لنترك أدلة الكتاب والسنة الصريحة لرأي أحد كائنا من كان ، واتنا نورد فيما يلي حديثاً من صحيح البخاري يبين لنا كيف كان الصحابة سادة هذه الأمة يعبدون الله تعالى يرجون قبول أعمالهم لديه : (قال أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري ، قال لي عبد الله بن عمر : هل تدري ما قال أبي لأبيك ؟ قال قلت لا قال فان أبي قال لا ليك يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وهجرتنا معه وجهادنا وعملنا كلنا معه برّاً لنا وإن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس قال أبي (يعني أبا موسى) لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً وأسلم على أيدينا بشر كثير وأنا لنترجو ذلك فقال أبي (يعني عمر) لكنني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك برد لنا وإن كل شيء عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقلت — أبو بردة — إن أباك والله خير من أبي) ووجه الدليل عملهم على الرجاء وخوفهم من عدم القبول والعقاب على المخالفة وإن اختلفا فيما اختلفا فيه ولا تجد في كلام واحد منهم أنه كان مجرد عبادة عن الطمع والخوف وما كان المقام الاكمل ليفوتهم وهم أفقه الناس في الدين وأحرصهم على الخير • هذه هي أدلتنا فيما ذهبنا إليه ورددنا على مخالفه وهي أكثر من

هذا عدا في كتاب الله وسنة رسوله وفيما ذكرناه كفاية — ان شاء الله — لمن نصح وأنصف وأخلص الايمان بقوله تعالى (١) : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

والآن نعطف بالكلام على مقال الشيخ ونخصره في مواضع :

١ — أنكرنا على من زعموا أن مرتبة العبادة العليا أن يعبد الله تعالى لذاته دون الطمع في ثوابه ولا الخوف من عقابه ونسبنا اليهم الخطأ ولما وجدنا آيات الكتاب وأحاديث السنة طافحة بان عبادة الكمل من عباد الله مقرونة بالخوف والطمع كما قدمنا نسبنا خطاهم الى قلة التفقه في الدين أي في أدلة الدين وهي الآيات والاحاديث المذكورة ، وما عسى أن يقال فيمن لم تكفه تلك الآيات والاحاديث كلها على صراحتها واتفاقها الا انه لم يتفقه فيها . ولما لم نجد آية واحدة ولا حديثا واحدا يصرح بمدعاهم حملناهم على الغلو هذا كله دون أن نصرح بشخص ولا بطائفة لان الكلام مع القول والدليل . فأبى حضرته الا أن يحمل كلامنا على طائفة مخصوصة يجب هو اليوم التظاهر بالدفاع عنها ثم تطرق من ذلك الى رمينا بما يناسب غرضه من الجرأة وقلة النصيحة والتطاول على الأئمة الى ما يريد ان يصفنا به ليقول القارىء ان حضرته موصوف بضده . وربك أعلم بتلك الاوصاف وأهلها .

٢ — كان استدلالنا بآية (وعباد الرحمن) على الوجه الذي بيناه فيما تقدم دون أن نذكر الحصر ولا أن نشير اليه ولا من مقتضى

موضوعنا أن نقصر عباد الرحمن على تلك الصفات ، لكن حضرته أخذ يقرر في قواعد الحصر الضرورية عند المبتدئين وخرج من ذلك الى ان الآية لا حصر فيها واتنا تسرعنا وما تدبرنا ولم نحسن تطبيق قواعد العلوم على موضوع النزاع . وفي الحق ان حضرته هو الذي لم يحسن تنزيل ما طولب به في الحصر على كلام لم ندع فيه الحصر ولم نستدل به وانما استدللنا بالآية مثل ما استدللنا بغيرها على الوجه الذي تقدم وعلى ما معه من الوجوه .

٣ - ما في كلام الإمام الرازي من ان الله مستحق للعبادة لذاته وانه لو أمرنا بالعبادة بلا ثواب ولا عقاب لوجبت فهو حق مسلم وليس هو موضوع النزاع ، كان موضوع النزاع هل العبادة مع الخوف والرجاء أكمل أم العبادة دونهما وما فيه من ان (من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والله واسطة) - اذا كان يعني به انه عبد الله للثواب من حيث ذاته والعقاب من حيث ذاته دون الامتثال للامر وتوجه للرب ، فهذا ليس كلامنا فيه ، وان كان يعني انه يعبد للثواب والعقاب من حيث ان العبادة الشرعية موضوعة على رجاء الثواب وخوف العقاب فهو يعبد الله امتثالاً لأمره - فكلامه منوع لان العبادة هي التوجه بالطاعة لله امتثالاً لأمره وقياماً بحقه مع الشعور بالضعف والذل أمام قوة وعز الربوبية وذلك يبعث على الخوف المأمور به ، ومع الشعور بالفقر والحاجة أمام غنى وفضل الربوبية وذلك يبعث على الرجاء المأمور به ، فالمعبود في الحقيقة والواقع هو المتوجه اليه بالطاعة وهو الله تعالى لا الثواب الذي تعلق به الرجاء ولا العقاب الذي تعلق به الخوف . وكيف يكون الثواب وهو المعبود والعقاب هو المعبود والله هو الذي شرعهما، فهل يشرع عبادة غيره ، وما هذا الا من عدم التأمل في مثل قوله تعالى : « **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ** »

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا» (١) . أي شأنه ان يحذر ومن حقه أن يحذر وهل هذا إلا
من عدم التفقه في قوله تعالى - في أم القرآن والسبع المثاني التي يناجي
بها المصلي ربه وهو في أعظم عبادة - : « إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ » فان المستعين طالب للاعانة والطالب راج قبول طلبه
خائف من عدم قبوله . وقوله تعالى فيها : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ » طلبا كذلك فليتفقه المتفقهون في كلام رب العالمين .

٤ - ونقل كلام الامام الرازي في باب المحبة قوله : (واما الارفون
فقد قالوا قد يحب الله تعالى لذاته واما حب خدمته وحب ثوابه فدرجة
نازلة) ونحن نقول ان الذات اقدس الموصوف بالكمالات المنمىض
للانعامات تتعلق به قلوب المحبين موصوفا بكمالاته وانعاماته التي
منها ثوابه وجزاءه وتلك المحبة تبعث على خدمته بطاعته والتقرب اليه
بأنواع العبادات واما عبادة الذات مجرداً عن الانعامات فهو نوع من
التعطيل في الاعتقاد والتقصير في الشهود واذ كانت المحبة عملا من
أعمال العبد القلبية التي يتقرب بها الى الله فهي عبادة . وقد بينا بالادلة
المتقدمة ان العبادة في الاسلام موضوعة على مصاحبة الرجاء والخوف
والمحب للرب ذي الجلال والاكرام والبطش والانعام لا يغيب عن
اجلاله بالخوف والتذلل له بالطمع كحاله في سائر العبادات .

٥ - ونقل من كلام النيسبوري قوله : (المحققون نظرهم على المعبود
لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة) فان كان مراده ان نظرهم على
المعبود أي اعتمادهم في القبول على المعبود لا على العبادة فهذا حق
وليس كلامنا فيه ، وان كان مراده ان نظرهم على المعبود أي توجههم

الى المعبود دون العبادة فهذا أيضا حق لان العبادة متوجة بها لا اليها وليس كلامنا في هذا . وان كان مراده دون تقرب بالعبادة فهذا باطل لأن الله تعالى قال : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » أي ما يقربكم اليه من طاعته وان كان مراده دون شعور بالعبادة فهذا أيضا باطل لان العابد ينوي العبادة ويقصد بها القربة ويتوجه بها مخلصا فيقول : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فكيف يكون لا شعور له بها وأما قوله (وعلى المنعم لا على النعمة) فان أراد أن المتقرب اليه هو الله المنعم دون النعمة ، فهذا حق وليس كلامنا فيه ، وإن أراد أن رجاء نعمة الثواب حين التوجه لله والتقرب اليه بالطاعة ينافي التقرب الى المنعم ويعد تقربا للنعمة فهذا هو الذي أبطلناه بالادلة السابقة وتقضاه في الموضوع الثالث . وان أراد ان ذكر العبد لنعم الله عليه مخل بكمال عبادته فهذا باطل أيضا لان عبادة الله شكرا على ما أتى من النعم وطلبا للزيد من أرفع المقامات وقد قال الله تعالى : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا » (١) « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا - الى - شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ » (٢) « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ » (٣) « أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ » (٤) و « لَتُنِ شُكْرُكُمْ » (٥) .

٦ - استدلال النيسبوري : (بانه قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي

(١) ١٣/٣٤ سبأ .

(٢) ١٢٠/١٦ - ١٢١ النحل .

(٣) ١٩/٢٧ النمل و ١٥/٤٦ الاحقاف .

(٤) ١٤/٣١ لقمان .

(٥) ٧/١٤ ابراهيم .

ولأمة محمد اذكروني) وهذا منقوض بقوله تعالى : « وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » (١) ، « اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » (٢) .

٧ - نقل من كلام النيسبوري ما يفيد أن عبادة الله لكونه إلهاً وكون المخلوق عبداً لا يكون معها رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب وانها هي أعلى الرتب ونحن نقول من مقتضى شعورك بعبوديتك شعورك بضعفك وفقرك وان من مقتضى علمك بالله شعورك لقوته وفضله وذلك الشعور وهذا الشهود يبعثان فيك الرجاء والخوف فتكون وأنت تعبده لانه إله ولانك عبد راجياً خائفاً . ودعوى مجرد العبادة عنهما قد أبطلناها بالادلة السابقة .

٨ - نقل قول الامام ابن العربي « امر الله عباده بعبادته وهي اداة الطاعة بصفة القرية وذلك باخلاص النية بتجريد العمل عن كل شيء الا لوجهه وذلك هو الاخلاص الذي تقدم بيانه » ثم زعم هو من عنده ان من مقتضى تجريد العمل عن كل شيء تجريده من رجاء الثواب وخوف العقاب ينافيان الاخلاص هو ما كان لوجه الله لكونه إلهاً لا غير . وهذا صريح منه في ان رجاء الثواب وخوف العقاب ينافيان الاخلاص وهو باطل لقوله تعالى : « إِتِمَّا نَطْعِمْكُمْ لِرِجَائِهِ اللَّهُ . . . » (٣) الآية ، وقد تقدمت فخافوا وعملهم لوجه الله بنص القرآن . وروى الأئمة في الصحيح ان أبا طلحة قال : يا رسول الله ، اني أسمع الله

(١) ١٠٣/٣ آل عمران .

(٢) ٩/٣٣ الاحزاب .

(٣) ٩/٧٦ الدهر .

تعالى يقول: « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ »
 وإن أحب أموالي إليَّ يبرء وأنها صدقة الله أرجو برها وذخرها عند الله
 فضعها حيث أراك الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 يخ ذلك مال رابع ذلك مال رابع . فأقره على قوله أرجو برها
 وذخرها ولم يقل له إن هذا مناف للاخلاص كما يقول الشيخ ، وهو
 يسبب ويشنط في كلام الامام ابن العربي ثم مالك - ياخي -
 ولابن العربي حسبك ابن سينا وأمثاله الذين يحاولون تطبيق العبادة
 الاسلامية على الفلسفة اليونانية والآراء الافلاطونية ، أما ابن العربي
 فهو حكيم اسلامي وقيه قرآني وعالم سني - حقيقي - لا يبني
 أنظاره الا على أصول الاسلام ودلائل الكتاب والسنة . وهاك كلامه
 في ارادة المأذون فيه مع العبادة من أمور الدنيا بله الرجاء والخوف
 والسمع كلامه الصريح من الدليل الصحيح في الرد على مثل زعمك
 قال على قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا
 فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » .

المسألة الثانية : قال علماءنا : (في هذا دليل على جواز التجارة في
 الحج للحاج مع اداء العبادة ، وإن القصد الى ذلك لا يكون شركا ولا
 يخرج به المكلف عن رسم الاخلاص المفترض عليه ، خلافا للفقهاء
 إن الحج دون تجارة أفضل أجراً) وقال على قوله تعالى : « وَإِنْ
 كُنْتُمْ تَرَدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَخِرَةَ » (١) : (وهذا
 يدل على ان العبد يعمل محبة في الله ورسوله لذاتيهما وفي الدار
 الآخرة لما فيها من منفعة الثواب) .

٩ - ونقل كلاما للامام الغزالي في المحبة وقد قدمنا في الموضوع

(١) ٢٩/٣٣ الاحزاب .

الثامن الكلام على مثله وبين ان المحبة عبادة وانها موضوعة كسائر العبادات الشرعية على الرجاء والخوف بالادلة المتقدمة .

١٠ - وقال : وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم :
(اللهم اجعل حبك احب الاشياء إلي ، واجعل خشيتك اخوف الاشياء عني واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقاءك) وقد تقرر ان خوفه خوف اجلال وتعظيم لا خوف النار والعقاب اه ، ونقول ان خوف الاجلال لا يخرج به العبد عن ضعف وذل العبودية ومشاهدة قوة وفضل الربوبية فلا يتجرد خوفه الاجلاي عن خوف المؤاخذة : المؤاخذة التي ليست ناراً ولا عذاباً ولكنها مؤاخذة مناسبة لذلك المقام العالي بدليل ان ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهو مثل نبينا عليه الصلاة والسلام في العصمة وعدم النار والعقاب وقد خاف المؤاخذة فقال :
« وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ »
ولا خطيئة له ولجميع الانبياء والمرسلين لا من الكبائر ولا من الصغائر على كل حال ، وبدليل انه هو عليه الصلاة والسلام قال :
(والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)
رواه البخاري ، وليس هذه لذنوب لا صغير ولا كبير وانما هو لعلمه بالله وعظيم حقه وشدة تعظيمه لربه فيخاف المؤاخذة فيطلب المغفرة فيان بهذا ان خوف الاجلال لا يتجرد عن خوف المؤاخذة . وبعد هذا البيان نقول لحضرتة لا تستدل بالحديث دون بيان رتبته ولا ذكر لمخرجه ، وما هكذا يكون استدلال الامناء من العلماء وانه يرمي الاحاديث هكذا مهملة اختلط الحق بالباطل وتجراً على السنة النبوية الغيبى والجاهل حتى بلغ الأمر الى نسبة الأحاديث الى كتب الاسلام المتفق عليها ولا وجود لها فيها ، اما نحن فلا نعرف هذا الدعاء في الصحاح المتداولة عندنا فليتك تبين من أين جئت به حتى نعرف مقدار ما تعتمد في احتجاجك عليه .

١١ - وقال : فلأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حالتان : حالة مع الله - تعالى - لا يرون فيها غير جلاله وعظمته : وحالة مع الخلق يستغفرون ويستعيذون من النار وسوء المنقلب وفتنة القبر والدجال ، ويطلبون الرحمة والثواب والجنان اه ، ونقول قد بينا ان رؤية جلال الله مما يبعث على الخوف من المؤاخذة كما مضى عن ابراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - فلا يتجردون عن الخوف خوف الاجلال وخوف المؤاخذة في حالتهم مع الله وقد دل حديث عائشة الذي قدمناه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في سجوده في جوف الليل والناس نيام فيما بينه وبين ربه استعاذ برضا الله من سخطه وبمعافاته من عقابه فكانوا يستعيذون ويرجون ويخافون في حالتهم مع الله واما حالتهم مع الناس فانهم كانوا يعلمون وكانوا يخبرون عن أنفسهم بخوفهم وطمعهم كما أخبر ابراهيم - عليه السلام - بطمعه وأخبر محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أصحابه بأنه اتقاهم لله وأخوفه له وأخبر عن استغفاره لربه واخبارهم حق صدق لا شك فيه ولا يجوز أن يقال انهم قالوه لمجرد التعليم وهو في الواقع لا حقيقة له اذ الاخبار عن النفس بشيء انه كان وهو لم يكن هو الكذب الذي عصمهم الله منه ونزههم عنه ولو تفتن حضرته لهذا لما قال ما قال .

١٢ - وذكر حديث الاحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك) . وهذا الحديث يقتضي دوام المراقبة لله عند كل حركة وسكون حتى لا تكون من العبد مخالفة فيهما وحتى يأتي بعبادته على غاية الاتقان في صورها وأتم الاخلاص بها وقد علمت ان من مقتضى العبادة الشرعية الشعور بضعف وذل وفقر العبودية أمام عزه وقوة وفضل الربوبية فينبعث الرجاء والخوف في العابد وهما مما يحمله على تمام الاحسان في العبادة باتقانها والاخلاص

فيها • ثم من مقتضى مراقبة الله تعالى مشاهدته ، أي مشاهدة جلاله وجماله : بصفات القهر والبطش والملك والسلطان ، وجماله بصفات الفضل والرحمة والاحسان وصدق المشاهدة لصفات الجلال يخاف العبد ويخشى وصدق المشاهدة لصفات الجمال يرجو ويطمع فصدق الشهود لا بد معه من الرجاء والخوف واذا غاب العبد عن الشعور بالموجودات فانه لا يغيب عن مشاهدة جلال وجمال الذات الباعثين للخوف والرجاء واذا لم يشهدهما وزعم انه يشهد الذات مجردا فانه لم يكن في الحقيقة مشاهدا بل غافلا معطلا جامدا واما غيبوبة العابد عن نفسه — ان كانت — فانها حالة عارضة غير ثابتة وليست مشروعة لا بنص من آية ولا من حديث عن أن تكون فاضلة كاملة • فالحديث دل على المراقبة والمشاهدة الشرعيتين اللتين يكون فيها العبد عابدا للعبادة الشرعية الموضوعية على الرجاء والخوف حسب الادلة المتقدمة •

١٣ — ونقل كلام ابن سينا في كتاب الاشارات وكلام شراحه وهو مثل ما تقدم لنا ابطاله بأدلة الكتاب والسنة والشرح بهما لمعنى العبادة المشروعة • واذا كنا نبحت عن العبادة التي شرعها الله لعباده على لسان رسوله فاننا لا نعرفها الا من الكتاب والسنة وقد قدمنا من أدلتها ما جلى المسألة للعيان وأغنى فيها عن كل كلام •

وتلخص وتبين لنا مما تقدم ان العبادة المشروعة هي القصد الى الطاعة مع الشعور بضعف العبد وذلّه ، وحاجته وفقره ومشاهدته لجلال ربه وقدرته وعزته ، وجماله وفضله ورحمته فيكون بتلك المشاهدة خائفا من عقابه أو مؤاخذه ، راجيا لثوابه وانعامه ، وان هذه العبادة هي عبادة الكمل من عباد الله الذين وصفهم بأفضل صفاتهم في كتابه وهي عبادة أنبيائه ورسله الذين ذكر عبادتهم القرآن وهي عبادة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — التي دلت عليها صحاح الآثار وعبادة أصحابه الثابتة في النقول ، وخلصنا من هذا الى ان

العبادة المجردة عن الخوف والرجاء منافية لصدق مشاهدة الجلال والجمال مخالفة لعبادة الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين وانه لم يرد فيها نص صريح من كتاب أو سنة مثل واحد من الأدلة المتقدمة المتكاثرة وانها ما دامت كذلك ليس لنا ان نعدها مشروعة فضلا عن ان نعدها كاملة فضلا عن أن ندعى انها أكمل لان مشروعية الشيء لا تثبت الا بدليل صحيح صريح • واني لنا ذلك في العبادة المجردة عن الرجاء والخوف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين (١) •

الصفة الخامسة :

« وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » (٢) •

المناسبة :

مضى وصفهم بأنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر وتربي النفس على استتغار الدنيا وما فيها ، وعلى تعظيم الرب والوقوف عند حدوده ، فلا يعظم شيء من الدنيا عند أهل الصلاة فيمسكوا عن بذله في الحق ، ولا يستهويهم شيء منها فينتهكوا لأجله حدود الله وحرماته • ولما كان المال هو أعز شيء من هذه الدنيا ، وهو أعظم سبب لنيل مبتغياتها ، وصفوا بأنهم في تصرفهم فيه على أكمل حال ، وهي حالة العدل التي أثمرتها لهم الصلاة ، فلا يمسكونه عن حق ولا يبذلونه في باطل •

(١) ش : ج ١ ، م ٩ ، ص ١ - ٨

غرة رمضان ١٣٥١ - جانفي ١٩٣٣

(٢) ٦٧/٢٥ الفرقان •

المفردات :

أنفقوا : بذلوا المال في وجه من الوجوه . الاسراف : مجاوزة الحد المشروع . الاقتار والتقتير : التضييق . القوام : العدل بين الشيئين ، أي المعتدل ما بينهما ، وسمي العدل بين الشيئين قواما لاستقامة طرفيه واعتدالهما فلا الى هذا ولا الى ذلك .

التراكيب :

وكان : أي هو ، أي انفاقهم المفهوم من أنفقوا . بين ذلك : خبر كان ، وقواما : حال مؤكدة ، فلو قيل : وكان بين ذلك لكان كافياً ، ولكن أكد بقواماً لما فيه من صريح اللفظ المفهم للعدل . والاتفاق يكون ولا يكون ، والشأن أن يكون ، ولهذا علق وكان التعليق باذا ، وقدم نفي السرف على نفي التقتير لأن الاسراف شرهما ، ففيه مجاوزة الحدود وضياع المال ، وفي التقتير مفسدته مع بقاء المال ، فينقده في الخير وقد يبقى لغيره فينتفع به .

المعنى :

إذا أنفقوا أموالهم لم يتجاوزوا الحد المشروع ولم يضيعوا فيقصروا في القدر المطلوب ، وكان إنفاقهم بين التجاوز والتضييق عدلا مستويا لا افراط فيه ولا تفريط ، وصفهم بالقصد الذي هو وسط بين الغلو والتقصير وهو الحالة بين العالتين والحسنة بين السيئتين .

تحديد :

الاسراف مذموم فهو ما كان في منهي عنه نهي تحريم أو كراهة ، أو في مباح قد يؤدي اليهما . فالأول كمن أو لم وليمة أنفق فيها جميع ماله ، وأصبح بعدها هو وأهله للضيعة والحاجة ، والثاني كمن أو لم وليمة دعتة الى الاستدانة وان كان يظن القدرة على الأداء

لان الدين محذر ومستعاذ منه ، والثالث : كالأستمرار على ايلام
الولائم مع القدرة عليها في الحال مما قد يؤدي إلى أحد الأمرين
المذكورين في المآل •

والتقتير مذموم أيضا ، فهو ما كان امساكا عن مأمور به أمر
وجوب ، أو استحباب أو عن مباح يؤدي اليهما ، فالأول : كمن
يمسك عن أهله شحاً حتى يذيقهم ألم الجوع والبرد ، والثاني : كمن
لا يذيقهم بعض الطيبات التي يخص بها نفسه من السوق • والثالث :
كمن يمسك عن تطيب خاطر زوجته ببعض الكماليات مع قدرته عليها
مما قد يفسد قلب زوجته عليه أو يحملها على ما لا يرضيه •

والقوام العدل هو المدوح ، فهو أن ينفق في الواجب والمندوب
وما يؤدي اليهما ويمسك عن المحرم والمكروه وما يؤدي اليهما ويتسع
في الحلال دون مداومة في الأوقات واستيفاء لجميع اللذات واستهتار
بالمشتهيات •

تطبيق :

حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولائم والمآتم لا تخلو من السرف
فيها الذي يؤدي الى التقتير من بعدها فيكون الاثم قد أصاب صاحبها
بنوعيه وأحاط به من ناحيته والشر يجر الى الشر والاثم يهدي الى
مثله ، وعلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علق كثير ممن سنعناهم
يشكون هذه الحالة آمالهم في معالجتها خصوصا في المآتم حقق الله
الآمال • وثم نوع آخر موجود في غالب القطر ويكثر في بعض الجبال ،
وهو أن بعض المأمورين من بعض شيوخ الطوائف يأتون بثلة من
أتباعهم فينزلون على المنتمين اليهم من ضعفاء الناس فيذبح لهم العناق
إن كانت ويستدين لشرائها ان لم تكن ويفرع المزود ويكنس لهم
ما في البيت ويصبح معدما فقيرا مدينا ويصبح من يومه صبيته يتضاغون

ويمسي أهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس ويميتهم الشقاء
ميتات متعددة في اليوم وشر ما في هذا الشر انه يرتكب باسم
الدين ويحسبه الجهال انه قرابة لرب العالمين ، فاما اذا جاء وقت الرحال
الى الأحياء والأموات وتقديم النذور والزيارات فحدث هنالك عن
أنواع السرف والتكلفات والتضييع للحقوق والواجبات .

نصيحة :

فياليت الذين تأتيهم تلك الوفود يسألونهم فردا فردا عن حالهم
ومن أين جاؤوهم بما جاؤوهم به من أموالهم فمساءهم أن يطألعوا على
بؤس أولئك المساكين فترق لهم قلوبهم ويرجعوا اليهم مالهم أو يزيدوهم
من عندهم وليقتصروا على من يجدونهم أهل قدرة على ما دفعوه لهم
من أموالهم فهذه نصيحة اذا عملوا بها خفت من الشر والبؤس عن
الزائرين ومن الاثم واللوم عن المزورين . فهل بها من عاملين ، وفقنا
الله والمسلمين (١) .

الصفة السادسة والسابعة والثامنة :

« وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ » (٢) .

سبب النزول :

ثبت في الصحيحين — واللفظ لمسلم — ان عبد الله بن مسعود قال :
قال رجل : يا رسول الله ، أي الذنب أكبر ؟ قال : أن تدعو الله نداً

(١) ش : ج ١٠ ، م ٨ ، ص ٤٩٧ — ٥٠٣

غرة جمادى الثانية ١٣٥١ — اكتوبر ١٩٣٢

(٢) ٦٨/٢٥ الفرقان .

وهو خلقك • قال : ثم أي ؟ قال : ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم
معك • قال : قلت : ثم أي ؟ قال : ان تزاني حليلة جارك • فأنزل
الله تصديقها : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ -
الى - أئاماً » •

المطابقة بين الآية وسبب نزولها :

تواردت الآية والحديث في الاثم الأول على شيء واحد • وتوارد
أيضا في الثاني والثالث ، إلا أن في الحديث ذكر فرد من العام هو
شر أفراده وأكبرها اثماً ، وفي الآية ذكر العام ، ولا شك أن شر
قتل الولد لما في ذلك زيادة على قتل النفس من الخروج عن حنان
الظفرة وارتكاب ضد ما توجه الرعاية والكفالة ، وسوء الظن بالله
المتكفل برزق الخليفة • كما ان الزنى بحليلة الجار هو شر أفراد
الزنى لما فيه زيادة على الزنى من انتهاك حرمة الجار وخيانة الامانة ،
فانهم ما تجاوزوا حتى أمن بعضهم بعضا وأدخل الفساد على أساس
التكوين الاجتماعي في الناس ، وهو التجاور والتقارب •

المناسبة :

لما اثبت لهم أصول الطاعات في الآيات المتقدمة نفى عنهم أمهات
المعاصي في هذه الآية تنبيها على أن الايمان الكامل هو ما تثبت
معه الطاعات وتنتفي المعاصي ، وذلك هو غاية الامتثال للاوامر
والنواهي ، وفيه تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه
المعاصي من دعائهم آلهتهم مع الله وقتلهم النفس وارتكابهم فاحشة
الزنى • وقدم اثبات الطاعات على اتقاء المعاصي تنبيها على أن من
راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه ، والانقياد للاوامر الشرعية
ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد فانكف عن المعصية •

نكتة استطرادية :

فمن هنا نعلم أن على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه أن يواظب على الطاعات بأنواعها وأن يجتهد في حصول الانس بها والخشوع فيها ، فإن ذلك زيادة على ما يثبت فيه من أصول الخير يقلع منه أصول الشر ويبيت منه بواعثه .

وجه ترتيب هذه الصفات المنفيات :

قامت الشريعة على المحافظة على حقوق الله وحقوق عباده ، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، فمن دعا مع الله غيره وأشرك به سواء فقد أبطل حق الله وأعدم عبادته ، ومن قتل النفس فقد تعدى على أول حق جعله الله لعباده بفضلته وهو حق الوجود وعمل على ابطال وجودهم وفناء نوعهم وزوال عبادتهم . فلهذا قرن قتل النفس بدعاء غير الله معه . ولما كان الزنى فيه بطلان النسب وفساد الخلق والجسد وذلك مؤد الى الاضمحلال والزوال والشور والأهوال قرن بقتل النفس فذلك قتل حقيقي وهذا قتل معنوي .

المفردات :

الدعاء : هو النداء لطلب أمر أو تنبيه عليه . الإله : هو المعبود .
حرم الله النفس : جعل لها حرمة ومنعة فلا يجوز التعدي عليها ومادة (ح رم) تفيد المنع في جميع تصاريفها ، الحق : هو الثابت من مقتضيات القتل في الشرع .

التراكيب :

وصف النفس بالاسم الموصول المعروف الصلة ، لأن تحريم الله لها أمر مركوز في النفوس معروف للبشر بما جاءهم من جميع الشرائع ، وكان النفي للفعل بصيغة المضارع للإشارة الى استمرار ذلك النفي .

المعنى :

والذين لا يدعون ولا يعبدون مع الله إلهاً آخر فيشركون به سواء في عبادتهم إياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ويوحدونه في ربوبيته وألوهيته ، ولا يقتلون النفس التي جعل الله لها حرمة وحرم قتلها بالسبب الا الحق الثابت في دين الله المعارض لحرمتها المقتضي لقتلها بالزنى بعد الإحصان أو الكفر بعد الايمان أو القتل للنفس العمد العدوان ، ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم آتيانه من الفروج .

مزید بیان لتوحيد الرحمن

من دعا غير الله فقد عبده . ما يزل الذكر الحكيم يسمي العبادة دعاء يعبر به عنها . ذلك لأنه عبادة فعبر عن النوع ببعض أفراده ، وانما اختيار هذا الفرد ليعبر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها فان العابد يظهر ذله أمام عز المعبود وفقره أمام غناه وعجزه أمام قدرته وتمايم تعظيمه له وخضوعه بين يديه ، ويعبر عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه . فالدعاء هو المظهر الدال على ذلك كله ، ولهذا كان مخ عبادته . وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : **الدعاء هو العبادة ثم قرأ :** « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي اجْتَبِبْ لَكُمْ » . رواه أحمد والترمذي وأبو داود رحمهم الله والنسائي وابن ماجه . وعن أنس — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : **الدعاء مخ العبادة** رواه الترمذي — رضي الله عنه — فتطابق الأثر والنظر على أن الدعاء عبادة . فمن دعا غير الله فقد عبده ، واذا كان هو لا يسمي دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع بعدم تسميته

لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها ، والعبارة بتسمية الشرع التي عرفناها من الحديثين المتقدمين لا بتسميته .

من دعا شيئاً فقد اتخذهُ إلهاً :

لما ثبت أن الدعاء عبادة فالداعي عابد والمدعو معبود والمعبود إله ، فمن دعا شيئاً فقد اتخذهُ إلهه لأنه فعل له ما لا يفعل الا لئله ، فهو وان لم يسمه إلهاً بقوله فقد سماه بفعله . ألا ترى الى أهل الكتاب لما اتبعوا أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحرير — وهما لا يكونان الا من الرب الحق العالم بالمصالح — قال الله تعالى فيهم : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله^(١) . وان كانوا لا يسمونهم أرباباً فحكم عليهم بفعلهم ولم يعتبر منهم عدم التسمية لهم أرباباً بالسنتهم) . فكذلك يقال فيمن دعا شيئاً أنه اتخذهُ إلهاً نظراً لفعله وهو دعاؤه ، ولا عبارة بعدم تسميته له إلهاً بلسانه . وفي حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره أنه قال للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لما سمعه يقرأ هذه الآية ، انهم لم يكونوا يعبدونهم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : أليس كانوا اذا حرموا عليهم شيئاً حرموه واذا أحلوا لهم شيئاً أحلوه ! قال : قلت : نعم ، فتلك عبادتهم اياهم . قال الامام الجصاص : ولما كان التحليل والتحرير لا يجوز الا من جهة العالم بالمصالح ثم قلد هؤلاء أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحرير وقبلوه منهم وتركوا أمر الله تعالى فيما حرم وحل صاروا متخذين لهم أرباباً اذ نزولهم في قبول ذلك منهم منزلة الارباب اه وعلى وزانه نقول : لما كان الدعاء عبادة والعبادة لا تكون الا لئله كان الداعي لشيء من المخلوقات متخذاً اياه إلهاً لما نزله

(١) ٣٢/٩ التوبة .

أيهما أكمل

بدعائه إياه منزلة الإله ، سواء دعاه وحده دون الله أو دعاه مع الله والعياذ بالله .

تحذير وارشاد :

ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس « يا ربي والشيخ » ، « يا ربي وناس ربي » ، « يا ربي والناس الملاح » وهذا من دعاء غير الله مع الله فإياك أيها المسلم وإياه . وادع الله ربك وخالقك وحده وحده ، وأنف الشرك راغم .

الوعد بالعذاب الشديد :

« وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا » (١) .

المناسبة :

إذا أمر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد في الدارين ، وكذلك إذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فيهما ، فلما ذكر في صدر الآية نهي تلك المعاصي عن عباد الرحمن الذي يفيد النهي عنها ذكر هذا الوعيد لبيان سوء عاقبتها وقبح أثرها .

نكتة استطرادية :

هذه هي سنة القرآن في التربية وهي أنجح الطرق في جعل المأمور والمنهي يمثل للأمر والنهي من كل نفسه ويعمل لتنفيذهما بعقله وإرادته ، فالتربية التي تبني على امتثال الأمر والنهي من غير المعصوم

(١) ٦٩/٢٥ الفرقان .

والانقياد لهما انقيادا أعمى ، مخالفة لتربية القرآن ، والخير كله في اتباع القرآن في جميع ما يفيد القرآن .

المفردات :

اسم الاشارة راجع للثلاثة المذكورة من قبل . يلق : يقابل ويصادف وينال ، اثاما : عقابا جزاء على ائمه ، فالاثام جزاء الاثم . يضاعف : يزداد له على الاصل فيعذب عذابين أو أنواعا من العذاب ، يخلد : يلقى ، وطول البقاء يسمّته خلودا كما قالت العرب في أثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلاع لا لدوام بقائها اذ لا دوام لها ، وعلى هذا قول المخبّل السعدي (١) :

إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ
عَنْهُ الرِّيَّاحَ خَوَالِدٍ سَحْمٍ

المهان : الذليل المخنقر الذي يفعل به ما يذله ويحقّره .

التراكيب :

يضاعف بدل من يلق ، بدل كل من كل ، قال الخليل : لأن مضاعفة العذاب هي لقي الاثام ، وعندني أنه بدل بعض من كل لان لقي العذاب جزاء على تلك الاثام يكون في الدنيا والآخرة ، ومضاعفة العذاب والخلود فيه تكون في الآخرة ، وبهذا تكون الآية قد أفادت أن المرتكب لما تقدم من المعاصي الشرك وقتل النفس والزنى ينال جزاءه دنيا وأخرى ، وعذاب الآخرة المضاعف المستمر أشد وأبقى ، وهذا هو الجاري على سنة القرآن في التخويف بسوء عاقبة المعصية عاجلا وآجلا ، والتنبيه على أن الآجل أشد وافدح من العاجل .

(١) من مفضلته ، وانظر المفضليات للانباري ٢٠٩ .

المعنى :

ومن يأت هذه الأفعال فدعا مع الله إليها آخر أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو زنى فإنه يلقي وينال جزاء معصيته في دنياه وجزاءها في أخراه ويكون عذابه عليها في الآخرة مضاعفا مزيدا عليه أنواع ويستمر فيه باقيا مذلا محقرا .

توجيه :

انما ضوعف لأهل هذه الكبائر العذاب ، لأن كل كبيرة منها مضاعفة المفسد والشروع ففي دعاء غير الله الجهل بالله والكفر بنعمة الله والابطال لحق الله ، وفي قتل النفس تأييم وتيتيم وتأليم لغير من قتل وفتح لباب شر بين أولياء القاتل والمقتول وتعد على جميع النوع وتهوين لهذا الجرم الكبير ، وفي الزنى جناية على النسل المقطوع وعلى من ادخل عليهم من الزنى من ليس منهم ، وعلى أصحاب الارث في خروج حقهم لغيرهم وغير ما ذكرنا في جميعها كثير ، فكانت المضاعفة من باب جعل الجزاء من جنس العمل وهو من مقتضى الحكمة والعدل .

تذكير :

يذكرنا القرآن بمضاعفة العذاب على كبائر الآثام لنذكر عندما تحدثنا أنفسنا بالمعصية سوء عاقبتها وتعدد شرورها وتشعب مفسادها ومضاعفة العذاب بحسب ذلك عليها لنزدجر وننكف فنسلم من الشر المتراكم والعذاب المضاعف ونفوز باجر التذكر وثمرة التذكير .
جعلنا الله والمسلمين ممن انتفع بالذكرى وسلم من فتن الدنيا والاخرى بمنه وكرمه آمين^(١) .

(١) ش : ج ١١ ، م ٨ ، ص ٥٥٢ - ٥٦٤

غرة رجب ١٣٥١ - نوفمبر ١٩٣٢

استثناء التائبين من المذنبين

«إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (١) .

سبب النزول :

أخرج الشيخان عن ابي عباس - رضي الله عنهم - واللفظ لمسلم ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بمكة « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » الى « مهانا » . فقال المشركون : وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله ، وأتينا الفواحش ، فأنزل الله عز وجل : « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا » الى آخر الآية .

المناسبة :

لما ذكر تعالى عظام الذنوب وأكبر كبائرهما وتوعد بالوعيد الشديد عليها ، عقبها بذكر التوبة منها ورغب فيها لينبه عباده على طريق الرجوع اليه ، وان من تاب منهم الى الله تاب الله عليه .

المفردات :

التوبة : الرجوع الى الله ، أي الرجوع من معصية الله الى طاعته ،

(١) ٧٠/٢٥ الفرقان .

وذلك بالندم على ما فات والعزم على عدم العود اليه وهذان من عمل القلب . وبالإقلاع عما هو متلبس به وهذا من عمل الجوارح ، الايمان عندما يذكر مع الأعمال يراد به تصديق القلب وبقينه واطمئنانه بمقائد الحق ، والعمل الصالح هو العمل الطيب المشروع من طاعة الله على العباد سواء كان من عمل الباطن ، وهو عمل القلب ، أو من عمل الظاهر ، وهو عمل الجوارح ، والعمل الصالح من ثمرات الايمان الدال وجودها على وجوده وكمالها على كماله وتقصها على تقصه وعدمها على اضطرابه وشك انحلاله واضمحلاله . التبديل : التحويل فتجعل الحسنة مكان السيئة . الغفور : الستار للذنوب المتجاوز عنها . الرحيم : المنعم الدائم الانعام .

الترايب :

إلاَّ مَنْ تَابَ : استثناء من يفعل استثناء متصلاً لأن الذي يتوب من جملة من فعل والفاء في (فأولئك) تفرعية لتفرع التبديل على التوبة وعاطفة لجملة اولئك على جملة استثنى التي قامت مقامها الا ، كما عطف عليها الجملة الأخيرة جملة وكان ، ونظير هذا : من يقيم منكم فله درهم الا زيدا فله درهمان .

المعنى :

يستثنى من ذلك الوعيد الشديد بمضاعفة العذاب والخلود فيه مهانا من رجع الى الله من الشرك وقتل النفس والزنى بالتوبة الصادقة وشفع توبته بالعمل الصالح الدال على صدق تلك التوبة ، فهؤلاء بتوبتهم وعملهم الصالح يقبلهم الله ويجعل مكان سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا يتجاوز عن ذنوب عباده فقد تجاوز عما كان منهم من شرك أو قتل أو زنا رحيماً منعماً على عباده فقد أنعم عليهم بالحسنات مكان ما تقدم من سيئاتهم .

ترتيب وتوجيه :

يكون العاصي في غمرات معصيته فاذا ذكر الله ووقفه الله أسف على حاله ورجع الى ربه ، وهذه أول الدرجات في توبته فاذا استشعر قلبه اليقين واطمأن قلبه بذكر الله صمم على الاعراض عن المعصية والاقبال على الطاعة ، فاذا كان صادقا في هذا العزم فلا بد ان يظهر أثر ذلك على عمله ، فلهذا روعيت الحالة الأولى فذكرت التوبة والثانية فذكر الايمان والثالثة فذكر عمل صالح .

تأييد واقتداء :

روى الأئمة عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - أحد الثلاثة الذين خلفوا انه لما جلس بين يدي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد ما تاب الله عليه قال : يا رسول الله ، ان من توبتي أن انخلع من مالي الى الله والى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : امسك بعض مالك فهو خير لك ، قال : فقلت : فاني أمسك سهمي الذي هو بخير . فهذا الصحابي الجليل رأى أن من توبته ان يعمل هذا العمل الصالح ليكون دليلا على صدق توبته كما اقتضته الآية ، فتأيد بفهمه ما قدمنا وكان خير قدوة للتائبين .

وجوه التبديل :

لما كانت السيئة لا تنقلب حسنة كان معنى التبديل هو جعل الحسنة مكان السيئة وهذا على وجوه أولها محق السيئات الماضية بالتوبة وكتابة حسنة التوبة وما فيها من عمل باطن وظاهر كما تقدم . وثانيهما تركه المعصية واتيانه بالعمل الصالح ، فصار يعمل الصالحات بعد ما كان يعمل السيئات . وثالثهما ان نفسه كانت بالمعصية مظلمة شريرة

استثناء التائبين من المذنبين

فتصير بالتوبة والعمل الصالح منيرة خيرة فالتبديل في الكتب والعمل وحالة النفس •

مسالتان اصوليتان :

الاولى : هل يخرج غير التائب من النار : استثنى الله التائب من مضاعفة العذاب والخلود فيه مهانا ، فبقي غير التائب للخلود • والخلود كما قدمنا في الآية السابقة طول البقاء ، ولا يقتضي التأيد فقد يكون معه التأيد وقد لا يكون ، فمع التأيد لا خروج ومع عدمه الخروج • وغير التائب الذي بقي للخلود المطلق في الآية هو المشرك والقاتل والزاني ، فاما المشرك فلا خروج له من النار لقوله تعالى : « إن الله لا يغفر » أن « يمشرك به » وأما القاتل والزاني اذا كانا من أهل الايمان فانهما يخرجان بعد شديد العذاب بما معهما من الايمان لأحاديث صحيحة منها ما رواه الشيخان البخاري والمسلم عن أنس — رضي الله عنهم — :

يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ذرة ، زاد البخاري في رواية قتادة عن أنس : من ايمان مكان خير • وهذا من عدل الله ورحمته ، فانه أذاقهم من العذاب الشديد والهوان المخزي جزاءهم ، ثم أخرجهم من النار وما أضع عليهم ايمانهم • ان الله بالناس لرؤوف رحيم •

الثانية : هل لقاتل النفس ظلماً وعدواناً من توبة : ذهب ابن عباس في المشهود عنه الذي رواه الشيخان وغيرهما انه لا توبة له ، وقال في هذه الآية انها نزلت في المشركين ، وذكر سبب نزولها كما تقدم وقال — اثره — : فأما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له

وقال في هذه الآية انها آية مكية نسختها آية مدنية وهي آية الفرقان^(١) :
 « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا
 فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
 عَظِيمًا » . ومراده بالنسخ التخصيص ، يعني ان لفظه من في
 « إِيَّاءِ مَنْ تَابَ » عامة تشمل القاتل فتقتضي بعمومها ان له توبة ،
 وان آية الفرقان (النساء) التي جاءت في القاتل خصصتها وأخرجته
 من عمومها . قال ابن رشد — بنقل الابي — : والى هذا ذهب مالك
 لانه قال : « لا يؤم القاتل وان تاب » قال ابن رشد : وهذا لأن القتل
 فيه حق لله وحق للمقتول ، وشرط التوبة من مظالم العباد رَدُّ التبعات
 أو التحلل ، وهذا لا سبيل للقاتل اليه الا بان يعفو عنه المقتول قبل
 القتل . وذهب جمهور السلف وأهل السنة الى أن القاتل توبة ،
 ونظروا في هذه الآية الى عموم لفظها لا الى خصوص سبب نزولها ،
 وجعلوا عموم « وَمَنْ يَقْتُلْ » في آية الفرقان (النساء) مخصصا
 بمن تاب المستثنى في هذه الآية فابن عباس خصص من تاب بمن يقتل ،
 وهم عكسوا فخصصوا من يقتل بمن تاب ، ويرجح تخصيصهم العمومات
 الدالة على قبول التوبة من كل مذنب مثل قوله تعالى : « وَمَنْ
 يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا »^(٢) وقوله : « يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
 وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ »^(٣) وقوله : « قَابِلِ التَّوْبِ »^(٤) .

(١) كذا في الاصل ولكنها آية « النساء » .

(٢) ١٠٩/٤ النساء .

(٣) ٢٥/٤٢ الشورى .

(٤) ٣/٤٠ المؤمن وتمام الآية : « غافر الذنب وقابل التوب شديد

العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير » .

استثناء التائبين من الذنوب

وحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له في عمومات كثيرة ، والظواهر إذا كثرت تفيد القطع .

قدوة في الفتوى :

قال ابن رشد : كان ابن شهاب إذا سئل يستفهم السائل ويحاوله فان ظهر له انه لم يقتل يفتيه بانه لا توبة له وان تعرف بانه قتل افتاه بان التوبة تصح . قال ابن رشد : وانه لحسن من الفتوى . فهكذا ينبغي مراعاة الأحوال في تنزيل الأقوال ، فان من لم يقتل يجب التشديد عليه وسد الباب في وجهه ، ومن قتل ينبغي ترغيبه في الرجوع الى الله ، وفي مراعاة هذا الأصل والاقتداء بهذا الامام فوائد كثيرة في الحث على الخير والكف عن الشر والحكيم من ينزل الاشياء في منازلها كانت أعمالا أو كانت أقوالا .

ترويب :

ما أعظم هذا الذنب وما أكبره . ونعوذ بالله من ذنب اختلف أئمة السلف في قبول توبة مرتكبه ، وقد أجمعوا على قبول توبة الكافر ، ولعظم شأن الدماء كانت أول ما يقضي فيه يوم القيامة بين الخلق فأياك أيها الأخ أن تلقي الله تعالى بمشاركة في سفك قطرة من دم ظلما ولو بكلمة ، فان الأمر صعب والموقف خطير .

بشارة التائبين الى رب العالمين :

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِإِنَّهُ يَنْتَهِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا » (١) .

(١) ٧١/٢٥ الفرقان .

المناسبة :

لما أفادت الآية السابقة ان التوبة تمحو السيئات ، جاءت هذه الآية اثرها تبين ما لأهلها من جزيل الانعامات وعظيم الدرجات •

المفردات :

الكتاب : مصدر كالمراجع •

التراكيب :

خالف جواب الشرط وهو يتوب فعل الشرط وهو تاب بمتعلقه وهو الى الله ومعموله وهو متابا ، وعبر بالمضارع في الجواب ليفيد التجدد باعتبار تجدد المثوبات للراجعين الى الله ، وتوين متابا توين تفخيم وتعظيم •

المضى :

ومن تاب التوبة الصادقة وعمل عملا صالحا دليلا على صدق توبته فانه يرجع الى الله الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين ، ويحسن لقاءهم ويجزل ثوابهم ، رجوعا وأي رجوع رجوع العز والتكريم الى الحليم الكريم •

ترغيب :

دعا الله بهذا عباده المذنبين حتى لا يتسرب القنوط الى قلوبهم ، وهو مجرم عليهم ولا يحول بينهم وبين خالقهم ذنب ، وان عظم ، ورغبتهم في التوبة بانها رجوع اليه وكفى ، وان الرجوع اليه فيه من الخير والشرف فوق ما تصوره الألفاظ ، فما أحلمه من رب كريم وما أرحمه بعباده المذنبين ، فهذا داعي الله فأجيبوه وهذا باب الله فلجوه فانكم مهما رجعتم اليه لا تطردون ومهما قصدتم اليه تقبلوا وتكرموا •

استثناء التائبين من المذنبين

اللهم فكما فتحت لنا بابك فوقنا اليه وتب علينا لتتوب انك أنت
التواب الرحيم (١) .

الصفة التاسعة :

« وَالكَذِبِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ... » (٢) .

المناسبة :

لما وصفهم بالصفات المتقدمة الدالة كلها على كمال أخلاقهم ،
واستقامة أعمالهم في ظواهرهم وبواطنهم ، بانبائها على قوة إيمانهم ،
وصحة علمهم ، فكانوا أهل الحق المتصفين به في علمهم وعملهم ،
القائمين عليه في جميع أحوالهم ، وصفهم هنا ببعدهم عن الباطل ،
ومشاهدته ، ومجانبتهم لاهله .

المفردات :

الشهود : هو الحضور الذي يكون فيه ادراك بالحواس أو
البصيرة . والشهادة هي الاخبار عن علم حصل عن شهود . ولا
يشهدون : يحتمل أن يكون من الشهود وأن يكون من الشهادة .
والزور : أصله الميل ويطلق على الكذب لانه ميل عن الحقيقة وعلى
كل باطل من الاقوال ، والاعمال ، لانه ميل عن الحق .

التركيب :

إذا كان « لَا يَشْهَدُونَ » بمعنى لا يحضرون فالزور مفعول
به ، وإذا كان بمعنى لا يخبرون فالزور مفعول مطلق بعد حذف
المضاف ، والاصل : ولا يشهدون شهادة الزور .

(١) ش : ج ١٢ ، م ٨ ، ص ٦٠٨ - ٦١٥

شعبان ١٣٥١ - ديسمبر ١٩٣٢

(٢) ٧٢/٢٥ الفرقان .

المعنى :

— على الاحتمال الاول — والذين لا يحضرون مشاهدة الباطل والاثم من كل من مجلس تتعدى فيه الحدود ، أو تنتهك فيه الحرمات أو يحكم فيه بالجور ، أو تعظم فيه الطواغيت أو يدعى فيه بدعى الجاهلية ، أو تحيا فيه معالم الوثنية أو تطمس فيه السنة النبوية أو يدعى فيه أحد مع الله ، أو يضرع الى سواه • وعلى الاحتمال الثاني — والذين لا يشهدون شهادة الزور ولا يخبرون الا بالحق الواقع •

ترجيع وترجيح :

يلزم من أنهم لا يشهدون مشاهدة الباطل أنهم لا يشهدون بالزور لوجهين : الأول لأنهم اذا كانوا لا يحضرون مجالس الباطل فبالاحرى أنهم لا يقولونه • والثاني ان يشهد شهادة الزور من مشاهد الباطل التي لا يحضرونها • فيكون الوجه الأول أولى لانه أشمل •

توسع في البيان :

على انه من بلاغة القرآن أن تأتي مثل هذه الآيات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات نظير مجيء الآية بقراءتين : فتكون كآيتين مثل قوله تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأٍ فنبأئوا . فتثبتوا » (١) وقوله تعالى في آية الوضوء : « وأرؤجلكم » (٢) بالنصب عطفاً على الوجه فيفيد غسل الأرجل ، وتلك هي الحالة

(١) ٦/٤٩ الحجرات .

(٢) ٧/٥ المائدة ، وتام الآية : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين .. » .

استثناء التائبين من المنبين

الأصلية العامة . وبالخفض عطفًا على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل وتلك هي حالة الرخصة عند لبس الخفاف . فتكون هذه الآية باحتمالها مفيدة تزهمهم عن شهود الباطل وعن شهادته .

موعظة :

قال جار الله في الكشف عن هؤلاء الموصوفين من عباد الرحمن : انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تزها عن مخالطة الشر وأهله ، وصيانة لدينهم عما يثلمه ، لأن مشاهدة الباطل شركة فيه ، ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعلية في الاثم لأن حضورهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه . وهذا كما قال فان حضور مشاهد الباطل اقرار لاهلها عليها وترك للنهي عن المنكر ، وقد قال الله تعالى : « لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ » (١) وقال : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْهُ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (٢) فتمم الآية كل ظالم فلا تجوز لأحد مجالستهم مع ترك النكير عليهم ، ولا

(١) ٨١/٥ - ٨٢ المائدة .

(٢) ٦٨/٦ الانعام .

يكفي أن ينكر ويجلس لانه يكون بقاءه معهم ، قد أظلم ما يدل على الرضا بفعلهم وتقض بالفعل انكاره عليهم بالقول ، وروى الطبراني والبيهقي باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : (لا يقفن احدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا يقفن احدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) . فاخبر أن اللعنة تنزل على الحاضرين لعدم دفعهم ، واقتضى أنهم غير راضين بقلوبهم ، وأحرى اذا رضوا فلا يجوز من هذا الحديث وغيره حضور الظلم والقبائح مع عدم دفعها ، ولو مع عدم الرضا بها . وروى الشيخان عن ابن عمر — رضي الله عنهما — ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال لاصحابه : لما وصلوا الحجر ديار نمود — « لا تدخلوا على هؤلاء المعنين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما اصابهم » فاذا كان هذا فيمن ماتوا من أهل العذاب فمثلهم مجالس أهل السوء والفساد ، فاذا نزلت اللعنة والعذاب عمتهم ومن كان معهم ، وشهادة الزور المرادة بالنص على الوجه الثاني أو اللزوم على الوجه الاول من أكبر الذنوب اثما ، وشر الكبائر مفسدة تنقلب بها الحقائق وتضيع بها الحقوق وتبطل المعاملات وتزول الثقة بين الناس وتعرض النفوس والأموال والأعراض للأذى والشر، وتندم طمأنينة الناس على ما يعلمون من أنفسهم . وصح عنه عليه وآله الصلاة والسلام انه قال : (الا اتبئكم باكبى الكبائر الا اتبئكم باكبى الكبائر ؟ الا اتبئكم باله وعقوق الوالدين ، الا وشهادة الزور وقول الزور) وكان متكئا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا (شفقة عليه) ليته سكت . فجلس لها وبقي يكررها لعظم شرها وكبر مفسدتها وعظم الاثم فيها

استثناء التائبين من المذنبين

على حسب ذلك منها • أعاذنا الله والمسلمين منها ومن كل زور وذو زور •

الصفة العاشرة :

« وَإِذَا مَرَّشُوا بِاللَّغْوِ مَرَّشُوا كِرَامًا (١) »

المناسبة :

نفى عنهم فيما تقدم حضور مشاهد الزور وأخبر هنا أنهم لا يقفون عند اللغو عندما يمرّون عليه ترقياً في وصفهم بالبعد عن الباطل والاثم والعبث ومجانبة أهله •

المفردات :

اللغو : مصدر لغا يلغو ، أي قال باطلا فهو القول الباطل ومثله الفعل الباطل من كل ما لا فائدة فيه ولا نتيجة له مما شأنه ان يلغي وي طرح • والكريم : الخالص العنصر فهو الزكي غير المتدنس ، ومن مقتضى ذلك حسن أخلاقه واستقامة أعماله وسلامته من الرذائل •

التراكيب :

كراما حال من فاعل مروا الثاني لبيان وصفهم عند المرور •

المعنى :

وإذا مروا في طريقهم بقول يقال أو فعل يفعل مما لا فائدة فيه جاوزوه معرضين عنه أذكاء غير متدنسين بشيء ولا متلفتين لاهله •

موعظة :

في الاقبال على اللغو شغل للباطل به وتكدير للخاطر بظلمته ،

(١) ٧٢/٢٥ الفرقان .

وتضييع للوقت فيه ، ولكل كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها أثر في حياتك ، وان قل ، وقد يعقبها ضدها فتزول بعد ما شغلت وعطلت ، وقد يردفها مثلها فنشبت وتنمو وتسوء عاقبتها ولو بعد حين ، وبقدر ما تلتفت الى اللغو تلتفت عن كرمك ، وبقدر ما يعلق بك منه ينقص من زكائك وبقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه واذا دخلت فيه واستأنست بأهله جرك الى الزور وعظائم الأمور وللشر أسباب متواصلة وأنساب متصلة يؤدي بعضها الى بعض فينتقل المغرور الغافل من خفيها الى جليها ، ومن صغيرها الى كبيرها ، فالحازم من لم يسامح نفسه في قليلها ، وتباعد كل البعد عنها ، وعن أهلها ، وقد هدتنا هذه الآيات لهتدي وذكرت عباد الرحمن لنقتدي والله المستعان ولا توفيق الا به (١) .

الصفة الحادية عشرة :

« وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا » (٢) .

المناسبة :

لما وصفهم فيما تقدم باعراضهم عن الباطل ، ومجانبتهم لأهله ، وبعدهم عنه وصفهم هنا بآقبالهم على الحق ، واكبابهم عليه متفهمين مستبصرين .

الالفاظ :

ذكروا : وعظوا ونهوا . آيات ربهم : هي آيات القرآن ، وفيها

(١) ش : ج ٢ ، م ٩ ، ص ٦٦ - ٧٠

غرة شوال ١٣٥١ - فيفري ١٩٣٣

(٢) ٧٣/٢٥ الفرقان .

استثناء التائبين من المنبئين

التذكير بآيات الأكوان التي ترى بالعيان • الخرور : هو السقوط كسقوط الساجد ، الاصم : فاقد حاسة السمع أو الذي لا يتدبر ما يسمع فلا ينتفع به وهو المراد هنا • والاعمى : فاقد حاسة البصر ، أي الذي لا يعتبر فيما يبصر فلا ينتفع به ، ويكون الأعمى بمعنى فاقد الادراك القلبي ، وهو عمى البصيرة وما هنا يحتمل الوجهين الاخيرين •

التراكيب :

عبر اذا لأن التذكير مما هو واقع محقق كالذي يسمع من القرآن في الصلاة من الخطب في الجمع • وبنى الفعل للنائب لأن التذكير بالآيات يجب قبوله من أي مذكر كان • وصما وعميانا : حال من الواو ضمير الجماعة في لم يخروا ، والنفي منصب على الحال التي هي قيد في الكلام واذا كان الكلام مقيدا بقيد كما هنا فان النفي ينصب على ذلك القيد في غالب الاستعمال العربي ، ونظيره ما رأيت زيدا راكبا نفيا للركوب لا للرؤية ، ولا يلقاني مسلما نفيا للسلام لا للقاء ، فلم ينف عنهم الخرور وانما نفى عنهم الصمم والعمى عند الخرور •

المعنى :

ومن صفات عباد الرحمن أنهم اذا ذكرهم مذكر بآيات ربهم التي أنزلها على نبيهم — صلى الله عليه وآله وسلم — بما فيها من ذكر مخلوقاته وانعاماته وأيامه في أوليائه وأعدائه ووعدته ووعيده وترغيبه وترهيبه ، أقبلوا عليها وأكبوا على سماعها بآذان واعية ، وأبصار راعية ، وقلوب حاضرة ، وعقول متدبرة ، لا كمن يقبلون عليها ويكبون على سماعها ولكنهم لا يسمعون ولا يبصرون لانهم لا يعقلون ولا يتدبرون •

عموم الحاجة للتذكير :

بعد ما ذكر تعالى من صفات عباد الرحمن ما ذكر ذكر استماعهم للتذكير تنبيها على ان التذكير محتاج اليه في كل حال فاذا كان الموصوفون بتلك الصفات يحتاجون اليه فغيرهم اولى وذلك لان الغفلة من طبع الانسان ودوام الغفلة بدأ القلوب وصقالها هو التذكير .

قبول التذكير من كل مذكر :

كما تقبل كلمة الحق من كل قائل كذلك يقبل التذكير من كل مذكر ولو كان المذكر من كمل العباد والمذكر من أوساطهم أو أدناهم وفي عباد الرحمن المذكورين في استماعهم اذا ذكروا من أي مذكر ، القدوة الحسنة .

ما يكون به التذكير :

قال الله تعالى : « فذَكَرُوا بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ »^(١)
« وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ »^(٢)
« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »^(٣) فالتذكير بآيات القرآن والاحاديث النبوية هذا هو التذكير المشروع المتبوع والدواء الناجع المجرب ولذلك تجد مواعظ السلف كلها مبنية عليه راجعة اليه ، والنصح لله ولرسوله وللمسلمين في لزوم ذلك والسير عليه .

(١) ٤٥/٥٠ ق .

(٢) ١٧/٥٤ القمر .

(٣) ٧/٥٩ المجادلة .

استثناء التائبين من المذنبين

اقسام الناس عند التذكير :

الناس عند تلاوة القرآن على قسمين معرضين ومقبلين • فالمعرضون غير المؤمنين • والمقبلون على قسمين مقبلين بظاهرهم دون باطنهم ومقبلين بظاهرهم وباطنهم ، فالمقبلون بظاهرهم دون باطنهم هم المنافقون ، والمقبلون بظاهرهم وباطنهم على قسمين : مستمعين مستبصرين حاضرين متدبرين ، وغافلين غير متدبرين غير سامعين ولا مبصرين ، والاقسام كلها مذمومة الا قسم المقبلين بظواهرهم وبواطنهم المستمعين المستبصرين ، وهذا القسم هو الذي وصف به عباد الرحمن فكانوا مبائنين لاهل الاعراض من الكافرين والمنافقين ولاهل الغفلة وعدم التدبر من المؤمنين •

تحذير وتنبيه :

قد صورت الآية حالة المؤمن بالقرآن الذي ينكب عليه ويتلقاه بالقبول ثم لا يفهمه ولا يتدبره بحالة الاصم الاعمى في عدم انتفاعه بما انكب عليه تقييحا لعدم التفهم والتدبر من المؤمن للآيات وتحذيرا منه وتسييها على ان الانتفاع بالقرآن الذي تفتتح به البصائر وتتسع به المدارك وتهذب به الاخلاق وتتركى به النفوس وتتقوم به الاعمال وتستقيم به الاحوال انما يكون بتفهمه وتدبره دون مجرد الانكباب عليه بلا تفهم ولا تدبر •

امر وارشاد :

الآيات الدالة على طلب التدبر والتفهم لآيات القرآن العظيم كثيرة منها هذه الآية ومنها قوله تعالى : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (١)

فعلينا أن نحضر قلوبنا عند سماعها ونستعمل عقولنا في فهمها ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها ، فاذا صدقت النية وأخلص التوجه فتح على العبد من وجوه العلم والعمل — باذن الله — بما لم يكن له في بال ، وان الله وصف هذا الكتاب بانه مبارك لزيادة خيراته وتيسيره للذاكرين — ترغيبا لنا في فهمه وتدبره واستئزال الخيرات واستزادة البركات منه ، فأقبل — يا أخي على القرآن على استماعه وعلى تفهمه والزم ذلك حتى يصير عادة لك ومملكة فيك — تر من فضل الله واقباله عليه ما يدنيك — ان شاء الله — ويعليك ويعود بالخير الجزيل عليك .. والله نسأل لنا ولكم الاقبال على الله بتلاوة وتدبر كتابه ، والتأدب بجميع آدابه حتى نحشر في زمرة أحبابه ، بمنه وكرمه آمين (١) .

الصفة الثانية عشرة :

« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (٢) .

المناسبة :

لما وصفهم في الآيات المتقدمة بما دل على أنهم أهل خير وكمال في أنفسهم وصفهم في هذه بما دل على محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم أزواجهم وذريتهم ومن سواهم ، وقدم الأزواج على الذرية لانهم الصق ولأنهم الأصل .

(١) ش : ج ٣ ، م ٩ ص ١٢٠ - ١٢٥

غرة ذي القعدة ١٣٥١ - مارس ١٩٣٣

(٢) ٧٤/٢٥ الفرقان .

فقه هذه المناسبة :

فطر الانسان على محبته لنفسه لتحمله هذه الفطرة على المحافظة عليها والدفاع عنها وتكميلها بكل وجوه الكمال . وكان من مقتضى هذه المحبة رغبته في الوجود والبقاء ومما هو قوة في وجوده ومظهر لبقائه أن يرى الناس على فكره وصفاته وأحواله ، فيرى نفسه ممثلة في غيره ، وأفكاره وصفاته وأحواله باقية ببقاء الناس ، فالخير الكامل من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يجب انتشار الخير والكمال في الناس . والشرير الناقص من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يجب انتشار الشر والنقص فيهم فلذا كان لازما لتتيمم وصف عباد الرحمن ذكر محبتهم الخير والكمال لغيرهم .

ميزان هذه المناسبة :

قد تخفي عليك دخيلة نفس الانسان فيمكنك أن تعرفها بما يجري به لسانه فاذا جرت كلماته بمحبة انتشار الخير والكمال ، فهو من أهلها واذا جرت بالضد فهو على الضد . فما يجب الانسان انتشاره هو الدليل على صفات نفسه وهو ميزان تزنه به في الشر والخير والنقص والكمال .

المفردات :

الهبه : العطاء من غير عوض ، ولا تكون على الحقيقة التامة الا من الله ، فهو الغني الوهاب . من : ابتدائية فمن ناحية الأزواج والذرية تكون قررة الأعين ، الأزواج : جمع زوج ، وهو يصدق على الرجل والمرأة ، والنساء شقائق الرجال ، وهذا الدعاء كما يكون من المؤمنين يكون من المؤمنات ، كما تصدق الآيات المتقدمة على الموصوفين من الصنفين بتلك الصفات . الذرية : ما تتاسل منهم من أبنائهم وبناتهم ، وقرئت بالافراد لاتحادها في أصل النسل ، وبالجمع

لاختلافها في الفروع والانساب . قررة العين : بردها إن كانت من القر وهو البرد . وسكونها ان كانت من القرور ، بمعنى الاستقرار ، الامام : هو المتبع المقتدى به وأفرد لأن المراد به الجنس ، وحسن الافراد من جهة اللفظ لوقوعه فاصلة على وزان ما قبلها وما بعدها ومن جهة المعنى ، ان أئمة الهدى كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم بالسير على الصراط المستقيم واتحاد وجهتهم بالقصد الى الله تعالى وحده .

التراكيب :

قررة عين : تركيب كنائي ، فاذا كان القررة من القر فهو كناية عن السرور ، لأن العين في حالة السرور باردة ، واذا سالت منها دموع في حالة الفرح كانت باردة ، واذا كان الانسان في حالة حزن فالعين تكون سخنة بسبب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة ، فاذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة وما يقال على هذا أقر الله عين المحق وأسخن عين المبطل وجاء عليه قول ابي تمام^(١) :

فَأَمَّا عَيْونَ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخِنَتْ

وَأَمَّا عَيْونَ الشَّامِتِينَ فَفَقَّرَتْ

فقرة أعينهم على هذا كناية عن سرورهم بازواجهم وذريتهم ، بما يرونهم عليه من الخير والكمال ، واعانتهم لهم عليهما . واذا كانت القررة من القرور فهي كناية عن سكون النفس بحصولها على ما يرضيها من الأزواج والذرية ، ومعنى هذا ان النفس اذا لم تحصل على ما يرضيها تعلقت بما عند غيرها وتشوقت اليه ، فتمتد اليه العين ويطمح اليه

(١) من قصيدة يمدح حبش بن المعافى قاضي نصيبين ورأس العين مطلعها :

نسائلها اي المواطن حلت واي ديار اوطنتها وانت

استثناء التائبين من المذنبين

البصر ، واذا حصلت على ما يرضيها زالت عن ذلك التعلق وانكفت عن التشوف فسكنت العين فلم تمتد الى غير ما عندها ولم يطمح البصر اليه ، ولهذا كما كان قرور العين كناية عن رضى النفس وسكونها كان امتداد العين كناية عن اضطراب النفس وتشوفها وتعلقها وعليه قوله تعالى : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَرَزَقُوا رَبَّكَ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ » (١) . فقرة أعينهم على هذا كناية عن رضى أنفسهم بما يكون لهم من أزواج وذرية موصوفين بالصفات المرضية من طاعة الله في القيام بوظائف الدين والدنيا واعانتهم لهم على القيام بها .

المعنى :

ومن صفات عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم يسألونه أن يهب لهم أزواجا وذرية تفر بهم أعينهم بأن يكونوا موصوفين بمثل صفاتهم سائرين على منهاجهم معينين لهم على ما هم عليه ، ويسألونه أن يكونوا على أكمل حال في العلم والعمل والاستقامة يقتدي بهم فيها المتقون .

الاحكام :

الاول : التزوج وطلب النسل هو السنة ، سنة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وسنة أصحابه عليهم الرضوان ، وسنة عباد الرحمن ، وليس من شريعته الحنيفية السمحة الرهبانية والتبتل ، وقد رأى قوم من الزهاد رجحان الاقطاع الى العبادة على التزوج والاشتغال بالسعي على الزوج والذرية فرد عليهم أئمة الدين والفتوى بأن في التزوج

(١) ١٣١/٢٠ طه .

اتباعا للسنة ، وفي السعي على الأهل ما هو من أعظم العبادة ، وفي التزوج تكثير سواد الأمة والمدافعين عن الملة والقائمين بمصالح الدين والدنيا ، وفي هذا ما فيه من الأجر والثوبة . وفي التبتل مخالفة السنة وانقطاع النسل وضعف الأمة وتعطيل المصالح وخراب العمران وكفي بهذا كله شرا وفسادا .

الثاني : سؤال العبد من ربه أن يهب له من الزوج والذرية ما تقره به عينه ، يقتضي سعيه بقدر استطاعته لتحصيل ذلك فيهما ليقوم بالسببين المشروعين من السعي والدعاء ، فعليه أن يختار ويجتهد عندما يريد التزوج ، وأن يقصد الى ذات الدين ، وفي اختياره واجتهاده في جانب الزوجة سعي في اختيار الولد ، فان الزوجة الصالحة شأنها أن تربي أولادها على الخير والصلاح . ثم عليه أن يقوم بتعليم زوجه وأولاده وتهذيبهم وارشادهم فيكون قد قام بما عليه في الابتداء والاستمرار مع دوام التضرع الى الله تعالى والابتغال .

الثالث : ما تقره به العين يحصل به الفرح والسرور فالفرح والسرور بما هو خير وطاعة من حيث انه نعمة من الله وفضل محمود ومشروع .

الرابع : طلب الرتب العليا ، في الخير والكمال ، والسبق اليها والتقدم فيها مما يدعونا اليه الله ، ويرغبنا بمثل هذه الآية فيه كما قال تعالى : « فاستبِقُوا الْخَيْرَاتِ » لأن طلب الكمال كمال ولأن من كانت غايته الرتب العليا إن لم يصل الى أعلاها لم ينحط عن أدناها ، وإن لم يساو أهلها لم يبعد عنهم . ومن لم يطلب الكمال بقي في النقص ومن لم تكن له غاية سامية قصر في السعي وتوانى في العمل ، فالمؤمن يطلب أسمى الغايات حتى اذا لم يصل لم يبعد وحتى يكون في مظنه الوصول بصحة القصد وصدق النية .

استثناء التائبين من الذنوب

الخامس : من الدين الاقتداء بأهل العلم والعمل والاستقامة في الهدى والسمت •

السادس : لا يكون الامام الا تقياً فاق غيره في التقوى •

السابع : ان اقتداء المتقين بأئمتهم إنما هو في التقوى لأنهم ما كانوا أئمة إلا بها • فالآية أفادت ان المتقين يقتدون بأئمتهم وإن أئمتهم متقون مثلهم وأكمل منهم في التقوى ، وان اقتداءهم بهم في التقوى لا في غيرها فمن حاد عنها فلا إمامة له •

تمييز :

الخير الكامل المقدم في الخير والكمال المقتدى به فيهما اذا طلب الإمامة من حيث الخير والكمال نفسها ومن حيث حمل الناس عليهما بالقوة الصالحة فيهما ، لأن فعل الخير والاتصاف بالكمال دعوة اليهما بالعمل وهي أبلغ من الدعوة بالقول ، ومن حيث انتشارهما في الناس وسعادة الناس بهما ، اذا طلب الإمامة من هذه الحثيات فطلبه مشروع محمود وهو طلب عباد الرحمن المذكور في الآية ، واذا طلب الإمامة والتقدم لأجل الرأس والتقدم فهذا طلب مذموم من عمل المتكبرين لا من عمل المتقين ، فعلى الداعي ان يميز هذا التمييز ليخلص القصد في دعائه ويكون على صواب فيه •

كلمة عظيمة من امام عظيم :

قال مجاهد - التابمي الجليل الثقة الثبت المفسر الكبير - :
« ائمة يقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا » ذكره البخاري ورواه ابن جرير بسند صحيح • يعني ان الذين يقتدي بهم الناس من بعدهم هم الذين كانوا يقتدون بسلفهم الصالح من قبلهم ، فالذين أحدثوا في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح لم يقتدوا بمن قبلهم فليسوا أهلاً

لأن يقتدي بهم من بعدهم فكل من اخترع وابتدع في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح فهو ساقط عن رتبة الامامة فيه .

سلوك واقتداء:

كان الأعرابي الجاهل المشرك يأتي للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيؤمن به ويصحبه يتعلم منه الدين ، ويأخذ عنه الهدى ، فيستتير عقله بمقائد الحق وتتزكى نفسه بصفات الفضل ، وتستقيم أعماله على طريق الهدى ، فيرجع الى قومه هادياً مهدياً ، أما ما يقتدي به ، ويؤخذ عنه كما اقتدى هو بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأخذ عنه . فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله وأحاديث رسوله ما يصحح عقده ويزكي نفسه ويقوّم عمله وليطبق ما يسمعه على نفسه وليجاهد في تنفيذه على ظاهره وباطنه وليداوم على هذا حتى يبلغ الى ما قدر له من كمال فيه فيرجع وهو قد صار قدوة لغيره ، في حاله ، وسلوكه ، وطلبة العلم الذين (١) وهبوا نفوسهم لله وقصروا أعمارهم على طلب العلم لدعوة الخلق الى الله هم المطالبون على الاخص بهذا السلوك ليصلوا الى امامة الحق . وهداية الخلق ، على أكمل حالة ومن أقرب طريق . فاللهم وفقنا واهدنا الى سنة نبينا اذا اقتدينا واذا اقتدي بنا آمين يا رب العالمين (٢) .

(١) في الاصل : الذي .

(٢) ش : ج ٦ ، م ٩ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٩ .
غرة محرم ١٣٥٢ هـ - ماي ١٩٣٣ م .

جزاء عباد الرحمن

« أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » (١) .

المناسبة وفتحها :

لما ذكر في الآيات المتقدمة صفاتهم وأعمالهم ذكر ما أعد لهم من عظيم الجزاء على تلك الاعمال تنبيها على ما وضعه تعالى بمشيئته وحكمته ورحمته من الارتباط بين هذه الأعمال ، وهذا الجزاء ، وافضائها اليه افضاء السبب لمسيبه ليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الاعمال كما يسعى لسائر المسببات من طريق أسبابها وتوقفي جميع الأمور من أبوابها . وفي هذا حث لاهل هذه الاعمال على التمسك بما هم به عاملون . وتنبيه لأهل الغرور على بطلان ما هم به مغترون « والكيس من دان نفسه (قهرها على الطاعة وحاسبها) وعدل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

المفردات :

يجزون : يعطون في مقابلة أعمالهم ، الغرفة : البيت الأعلى فوق بيت ، وآل : فيه للجنس فيصدق بالمتعدد . صبروا : حسبوا نفوسهم .

(١) ٧٥/٢٥ - ٧٦ الفرقان .

والباء : فيه سببية • يلقون : من لقي بمعنى يجدون • ويلقون : من لقي بمعنى تلقيهم الملائكة أي تقابلهم وتتلقاهم • تحية : دعاء بالحياة • سلاما : دعاء بالسلامة • خالدين : باقين • مستقرأ : هو المكان الذي ينتهي اليه من غيره ويثبت فيه • مقاما : هو المكان الذي يقام ويمكث فيه •

التراكيب :

جملة أولئك مستأنفة بيانياً ، فإنّ تلك الصفات والأعمال تشوق السامع الى معرفة مآلهم وثمره أعمالهم فيسأل عنهما ، فكانت الجملة جواباً لذلك السؤال المقدّر وعرف المسند اليه بالاشارة تسيها على أن استحقاقه للمسند كان بما تقدم من صفات • وجملة (حسنت) مستأنفة بيانياً ، لأن من عرف حالتهم من الحياة والسلامة والبقاء يتشوف لمعرفة حال مكان هذه الحياة السالمة الباقية فيسأل عنه فوقت جملة حسنت موقع الجواب عن هذا السؤال المقدّر • وهي أنشائية أفادت إنشاء مدح الغرف بالحسن ، وتعظيم ذلك الحسن وقدم المستقر لان أول الحلول استقرار ، والمقام بقاء الاستقرار واستمرار المكث •

المعنى :

أولئك الذين ذكرت صفاتهم وأفعالهم يعطون جزاء أعمالهم البيوت العلالية في الجنة بسبب صبرهم وحسبهم لأنفسهم على الطاعات والمجاهدات وكفهم لها عن المعاصي والشهوات ، وتتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام ، باقين في هذا النعيم المقيم وسكنى علالية الجنة التي هي أحسن مستقر ينتهي اليه الانسان ومقام يمكث فيه •

تطبيق حديث وفقهه :

« روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنهم — إن رسول

جزاء عباد الرحمن

الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الفاجر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : بلى - والذي نفسي بيده - رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . . . » فهذا الحديث يبيّن أن أهل الغرف هم أكمل المؤمنين وأعلىهم درجة في الجنة بهذا المقدار من البعد ، فهم الموصوفون بالصفات المذكورة في الآيات المتقدمة على أمتها ، ومن لم يكن مثلهم فيها لم يكن في منازلهم التي جوزوا بها عليها وكان على حسب حظه من الايمان في منزلة من منازل أهل الجنة الذين يتراءون أهل الغرف . فدرجات أهل الجنة في منازلهم على حسب سلوكهم في أعمالهم : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (١) .

دلالة :

دلت الآية على السبب الذي أفضى بهم الى هذا الجزاء العظيم وهو أعمالهم ، ودلت على السبب الذي تمكنوا به من القيام بهذه الأعمال وهو الصبر لقوله تعالى : « بِمَا صَبَرُوا » ومن أعظم الحكمة معرفة الأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض ، فلا ينهض بامثال المأمورات وترك المنهيات إلا من صبر ، والصبر خلق من الأخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام ، فواجب على المكلف أن يجعل تربية نفسه عليه وتمويدها به من أكبر همه ، إذ لا يقوم بالتكاليف

(١) ٢٠ / ٤٥ - ٢١ الجانية .

الشرعية إلا به بل ولا يستطيع الحياة في هذه الدار الدنيا الموضوعه
على المحنة والابتلاء الا اذا تمسك بسببه .

بيان القرآن للقرآن :

في هذه الآية انهم يلقون تحية وسلاماً وقد ييكن من يتلقاهم بذلك
في قوله تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » (١) . فالملائكة هم الذين يتلقونهم
بالسلام والدعاء لهم بالطيب وهو مما يدخل في التحية ، لأن من
طيبهم طيب حياتهم ، وما أكثر ما تجد في القرآن بيان القرآن ، فاجعله
من بالك تهتد - إن شاء الله - اليه .

الاقتداء ورجاء :

هؤلاء هم السالكون وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم ،
ولما سلكوا الصراط المستقيم بالعمل المستقيم انتهى بهم السير الى أحسن
قرار ومقام، الى دار النعيم المقيم في جوار الرحمن الرحيم، فاذا اشتقت الى
نهايتهم فتمسك ببدايتهم وزن أعمالك بأعمالهم وأحوالك بأحوالهم ،
فاذا جعلت ذلك من همك ، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك وصبرت
كما صبروا رجوت أن تظفر بما ظفروا ، فإله نسال لنا ولك وللمسلمين
صحة الاقتداء وصدق الرجاء ، وحسن الجزاء : « مَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ » (٢) . (٣)

(١) ٧٣/٣٩ الزمر .

(٢) ٩٧/١٦ النحل .

(٣) ش : ج ٧ ، م ٩٠ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٧
غرة صفر ١٣٥٢ هـ - جوان ١٩٣٣ م

قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم

« قُلْ مَا يَعْבוُّ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا » (١) .

المناسبة :

قد أفادت الآيات السابقة كمال حال عباد الرحمن في نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم وأعمالهم ، وأفادت عظيم منزلتهم عند ربهم ورفيع ما أعد لهم من درجاتهم جزاء على صالحاتهم وحسناتهم ، وجاءت هذه الآية تفيده أن ذلك المقام العظيم الذي كان لهم عند ربهم إنما هو بسبب عبادتهم ، وتعلن للناس أن عبادتهم هي الشيء الوحيد الذي يكون لهم به قدر وقيمة عند ربهم وبدونها لا يكون لهم وزن عند خالقهم ولا يكونون شيئاً يبالي به . وان من كذب وخلع بتكذيبه ربة العبادة فقد حقت عليه كلمة العذاب ، وهو واقع به لا محالة .

المفردات :

ما يعبوُّ بكم : ما يبالي بكم ، العباء : هو الثقل فما عبأت به بمعنى ما كان له عندي وزن ولا مقدار ، وعبأت به كان له عندي وزن ومقدار ، وعدتني بالباء لأنه بمعنى ما باليت ، دعاؤكم : عبادتكم من اطلاق الجزء على الكل . كذبتهم : كفرتم فلم تعبدوا . لزاما : ملازما واصل اللزام مصدر لازم واختير هنا للتشبيه على أن بين المكذبين

(١) ٧٧/٢٥ الفرقان .

والعذاب ملازمة من الطرفين فهم بتكذيبهم قد الزموا أنفسهم العذاب
فلازمهم العذاب •

التراكيب :

جواب لولا محذوف لدلالة ما تقدم وتقدير الكلام : لولا دعاؤكم
ما عبأ بكم ، وجملة فقد كذبتهم واقعة موقع التعليل لكلام مقدر
تقديره — والله أعلم — لا يعبأ بكم فقد كذبتهم ، أي لأنكم قد كذبتهم
فالفاء تعليلية واما جملة فسوف يكون فمتسببة عما قبلها فالفاء فيها
سببية • وضير يكون عائد على العذاب المفهوم من المقام •

المعنى :

قل للذين أرسلت إليهم ما يبالي بكم ربّي ولا يعبأ بكم
ولا يكون لكم عنده وزن لولا ايمانكم وعبادتكم ، فاذا كذبتهم وكفرتهم
فهو لا يعبأ بكم وسوف يكون العذاب ملازماً بسبب تكذيبكم •

تحرير في المخاطب :

المخاطبون هم الذين كذبوا ، ثم ان ما لحقهم بسبب التكذيب من
العذاب الملازم ، فهو خاص بهم وبالمكذبين أمثالهم ، وما كان موجها
لهم من جهة أنهم عباد — وهو ان الله لا يعبأ بهم لولا دعاؤهم —
فهو عام لجميع العباد لمماثلتهم لهم في العبودية لله واستغناء الله عنهم
وفرض العبادة عليهم وعدم التقدير لهم الا بها •

تفسير اثري :

أخرج البخاري في كتاب التفسير ، عن عبد الله بن مسعود —
رضي الله عنه — قال : خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة
واللزام • ورواه في مواضع أخرى من صحيحه • وعنى بالدخان

المذكور في قوله تعالى: «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ»^(١) وبالقمر المذكور في «وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ» وبالبطشة المذكورة في «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى»^(٢) وباللزام المذكور في هذه الآية . وفسر ابن مسعود البطشة الكبرى بيوم بدر ، وفسر اللزام به أيضا فهي في الحقيقة أربع وعدها خمسا باعتبار الوصفين البطش والملازمة . وفسر الحسن اللزام بعذاب يوم القيامة ومن عادة السلف أنهم يفسرون اللفظ بما يدخل في عمومه دون قصد للقصر عليه ولا منافاة حينئذ بين التفسيرين فيكونون قد توعدوا تكذيبهم بلزوم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

ترهيب :

رتب لزوم العذاب على التكذيب فأعظم العذاب لأكمل التكذيب وهو تكذيب الكفر ثم أصناف العذاب لازمة لتكذيب العصيان بالعدل والحكمة في التفسير والترتيب .

استبساط :

لما كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم فالأنبياء — عليهم السلام — أعلى الناس منزلة عند الله هم أعظمهم عبادة لله ، وهم أرقاهم له ، وأشدهم ، خشية منه . وقد قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فيما رواه مالك وغيره « والله أتى أرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى » . وقال أيضا : « والله أتى لأتقاكم لله وأعلمكم بحلوه » .

(١) ١٠/٤٤ الدخان .

(٢) ١٦/٤٤ الدخان .

سؤال استطرادي وجوابه :

كيف يخشى وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ أجاب العلماء عن هذا بأجوبة منه انه لا يخشى العقاب ولكنه يخشى العتاب ومنها - وهو قول الأكثر - انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بشرط امتثاله لما أمر به . ذكر هذين ابن العربي في « القبس » ومنها انها خشية الاجلال ومشاهدة عظمة الربوبية وانه لا يجب عليه تعالى شيء . وهذان^(١) الحديثان الصحيحان من الأدلة الصريحة عند أهل العلم على أن العبادة الشرعية الاسلامية لا تتجرد من الخوف حتى عبادة أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

تفصيل :

الإنسان مهياً للكمال بما فيه من الجزء النوراني العلوي وهو روحه ، ومعرض للسقوط والنقصان بما فيه من أخلاط عناصر جزئه الأرضي الظلمائي وهو جسده ، ولا يخلص من كدرت جثمانه ولا ينجو من أسباب نقصانه إلا بعبادة ربه التي بها صفاء عقله وزكاء نفسه وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه فبعبادة ربه يكمل فيرقى في مراتب الكمال ويدنو من الملائكة الأعلى عند الرب الأعلى ذي الجلال والاکرام فالله طيب لا يقبل الا الطيب وإليه يصعد الكلم الطيب ، ولا طيب ولا كمال الا للعابدین فلا قيمة ولا قبول لغيرهم عند رب العالمين .

ارشاد وتحذير :

قد يبئ لك الطريق الذي يوصلك الى مولاك ، ويرقيق في مراتب كمالك وعلاك ، وما هو إلا عبادة ربك . فكن عبدا له في اختيارك واضطرارك وفي جميع أحوالك ، واحذر أن تعتمد على شيء

(١) في الاصل : هذا .

قيمة العباد عند ربهم

غير عبادته ، واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره ، ومن عبادتك بل هو مخ عبادتك ، ودعاؤك وسؤالك واستغاثتك فاياك إياك أن تتوجه بشيء منه لغيره ، فكن دائما عبداً لله وكن دائما عبداً له وحده فذلك حقه عليك وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك •

والله نسأل أن يقصرنا على عبادته ، ويدينا على الاخلاص في التوجه اليه حتى نلقاه على ملة الاسلام وهدى عباده الصالحين آمين يا رب العالمين (١) •



(١) ش : ج ٨ ، م ٩ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٧
غرة ربيع الاول ١٣٥٢ - جويليه ١٩٣٣

انتهى الجزء الأول من المجلد الأول من هذا
الكتاب ، وقد اشتمل على مدخل الحياة العقلية
والثقافية للمغرب الاسلامي ، وعلى حياة الاستاذ
الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وعلى آثاره
المتعلقة بالتفسير وشرح الحديث . ويليه الجزء
الثاني من المجلد الأول ، وفيه تنمة دروس
التفسير وشرح الأحاديث .

كتاب
آثار ابن باديس

الجزء الثاني من
المجلد الأول

تفسير وشرح أحاديث

اعداد وتصنيف

دكتور عمارة الطالبي

الشركة الجزائرية

لصاحبها

الحاج عبد القادر بوداود

24، شارع باب عزون - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة،
الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24 ، شارع باب عزون - الجزائر

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هجرية = ١٩٦٨ ميلادية
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هجرية = ١٩٨٣ ميلادية
الطبعة الثالثة ١٤١٧ هجرية = ١٩٩٧ ميلادية

آثار ابن بادیس

۲



العلامة الثائر الامام عبد الحميد بن باديس

رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الإصلاحية ومؤسسها بالجزائر

يشتمل المجلد الأول من هذه الطبعة على مدخل للحياة العقلية والثقافية للمغرب الاسلامي ، وعلى حياة ابن باديس وآثاره المتعلقة بالتفسير ، وشرح الحديث ، وقد قسمنا هذا المجلد الأول الى جزأين ، وهذا هو الجزء الثاني ، كما يشتمل المجلد الثاني على المقالات الاجتماعية والتربوية والاخلاقية والدينية والسياسية التي دمجها يراع الشيخ الامام الاستاذ عبد الحميد بن باديس . وهذا المجلد الثاني قسم ايضاً الى جزأين .

وقد كلفت دار اليقظة العربية لجنة من كبار علماء دمشق للقيام بتصحيح آثار ابن باديس أثناء طبعتها ، وذلك حرصاً منها على أن يصدر هذا الكتاب الذي له أهمية بالغة في النهضة الاسلامية العربية الحديثة في المغرب الاسلامي سليماً من الأخطاء ، خالياً من التحريف .

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم الأول

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

تمهيد :

النبوة :

منزلة من الكمال التام البشري يهبى الله لها من يشاء من عباده فيكون بذلك مستعداً لتلقي الوحي والاتصال بعالم الملائكة وتحمل أعباء ما يلقي اليه وتكاليف تبليغه بالقول والعمل ، وتحمل كل بلاء يلقاه في سبيل ذلك التبليغ .

والملك :

ولاية على المجتمع لحفظ نظامه ، تقتضي عموم النظر وشمول التصرف في روابط الناس ومعاملاتهم وتصرفاتهم ، وتسييرهم في ذلك كله على أصول عادلة توصل كل أحد الى حقه وتكفه (٢) من حق غيره ، ليعيشوا في رخاء وسلام ، ويبلغوا غاية ما يستطيعون من متع الحياة .

(١) ١٥/٢٧ النمل .

(٢) كذا في الاصل ، ولعلها : (وتصرفه) .

وقد يتصف الشخص بالنبوة دون الملك فيكون مبلغاً عن الله ولا يكون له التنفيذ والإدارة والتنظيم ، وقد يتصف الشخص بالملك دون النبوة ؛ وقد وجد الشخصان في شمويل وطالوت فكان الأول نبياً وكان الثاني ملكاً كما قال تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا » (١) وقد يجمع بينهما مثل داود وسليمان عليهما السلام .

ثم ان الملك قد تكون الأصول التي يستند اليها مستمدة من أوضاع البشر لحفظ مصالحهم في الحياة الدنيا فيكون ملكاً بشرياً . وقد تكون الأصول مستمدة من وحي الله بما فيه حفظ مصالح العباد في الدنيا وتحصيل سعادتهم فيها وفي الأخرى فيكون ملك نبوة .

ومن طبيعة ملك النبوة التزام الحق ونصرته حيثما كان ، بإقامة ميزان العدل في القول والحكم والشهادة بين الناس أجمعين ، المعادين والموالين ، كما قال تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ » (٢) « وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » (٣) « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلِهِ تَعْدِلُوا ، إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » (٤) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا

(١) ٢٤٧/٢ البقرة .

(٢) ١٥٢/٦ الانعام .

(٣) ٥٧/٤ النساء .

(٤) ٩/٥ المائدة .

الهِمَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ، وَأَنْ تَلْنُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (١) . وبالوفاء بالعقود والعهود بين الأفراد والجماعات كما قال تعالى : « أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » (٢) « وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا » (٣) « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا » (٤) « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قَتَلُوا الْقُتُولَةَ وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ كَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ فَكَفَرُوا بِوَعْدِهِمْ فَكَانُوا يُكْفَرُونَ » (٥) . وبغير هذا من وجوه التزام الحق ونصرتة .

ومن طبيعته بث الخير بين الناس بنشر الهداية والاحسان دون تمييز بين الأجناس والألوان كما قال تعالى : « وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٦) « وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٧) « لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الْكُذِّبِ لَمْ يَقَاتِلْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا »

(١) ١٣٤/٤ النساء .

(٢) ١/٥ المائدة .

(٣) ١٥٢/٦ الانعام .

(٤) ٩١/١٦ النحل .

(٥) ٩٢/١٦ النحل .

(٦) ٧٧/٢٢ الحج .

(٧) ١٩٥/٢ البقرة .

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (١) .

ومن طبيعة الدعوة الى القوة والتنويه بها وبناء الحياة عليها ،
لكن في نطاق العدل والرحمة ولدفاع المعتدين ، كما قال تعالى :
« وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » (٢) « وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » (٣) وقبلها :
« وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ » فقوة الحديد لحفظ الكتاب ، والميزان وحمل الناس
عليها . « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ » (٤) « وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
يَنْتَصِرُونَ ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَاجْرِهِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » (٥) .

ومن طبيعته الدعوة الى الجمال والتحيب فيه في جميع مظاهر
الحياة لكن في نطاق الفضيلة والعفاف كما قال تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » (٦) ، « وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

(١) ٨/٦٠ المتحنة .

(٢) ٦١/٨ الانفال .

(٣) ٢٥/٥٧ الحديد .

(٤) ١٩٤/٢ البقرة .

(٥) ٣٩/٤٢ - ٤٠ الشورى .

(٦) ٤/٩٥ التين .

صَوْرَكُمْ» (١) «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (٢)
 «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» (٣) «حَتَّى
 إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ» (٤) «فَأَنْزَلْنَا
 بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ» (٥) «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» (٦)
 «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (٧) «الْيَوْمَ أَحْلَلْنَا لَكُمْ
 الطَّيِّبَاتِ» (٨) «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
 وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
 يَصْنَعُونَ» (٩) .

ومن طبيعة الملك البشري — وان روعيت في أوضاعه هذه الأصول
 الأربعة — انه لا يقيم ميزان العدل بين أبناء المملكة وغيرهم فتراه يكيل
 لهؤلاء بمكيال ولهؤلاء بمكيال . ولا يرعى من العهود — في الغالب —
 إلا ما لا يعارض مصلحته أو تلزمه بمراعاته قوة خصمه .

كما انه يكاد يقصر بره واحسانه على أبناء جلدته ومن كانوا من
 جنسه ولونه ، كما انه يبيني أمره على القوة المطلقة فتندفع مع رغباته

(١) ٦٤/٤٠ المؤمنون .

(٢) ٥٠/٢٠ طه .

(٣) ٦/٣٧ الصافات .

(٤) ٢٤/١٠ يونس .

(٥) ٦٠/٢٧ النحل .

(٦) ٥/٢٢ الحج و ٧/٥ ق .

(٧) ٣١/٧ الاعراف .

(٨) ٦/٥ المائدة .

(٩) ٣٠/٢٤ النور .

الى أقصى ما يمكنها أن تصل اليه فيكون البغي والتسلط والعدوان .
كما انه تستهويه زينة الحياة الدنيا وزخارفها فتتمتد يده اليها حيثما
وجدها فتتنازعها الأيدي بالقوة والحيلة وتذهب في أفانينها الشهوات
بالناس الى النقص والرذيلة .

ثم ان طبيعة الملك من حيث انه ملك — سواء آكان بشريا أم
نبويا — مظاهر الابهة والجمال والقوة والفضامة ، لما جبل عليه الخلق
من اعتبار المظاهر والتأثر بها ، وهذا اذا كان في الحق فهو محمود
مطلوب واذا كان للباطل والبغي والتعظيم النفسي فمذموم متروك .
ومن الأول أمر النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — عمه العباس —
رضي الله عنه — أن يحبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى تمر عليه
كتائب المسلمين وذلك لادخال الرعب على قلبه بما يرى من النظام
والقوة ، فحبسه العباس فجعلت الكتائب تمر به فيسأل العباس عن كل
كتيبة فاذا أخبره قال : مالي ولبني فلان ، حتى مر رسول الله — صلى
الله عليه وآله وسلم — في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار
لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : من هؤلاء ؟ فقال العباس :
هذا رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — في المهاجرين والأنصار ،
قال ابو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة لقد أصبح ملك ابن أخيك
عظيما . قال العباس : فقلت له : انها النبوة ، فقال : فنعم اذن . قصد
أبو سفيان عظمة الملك القاهر التي كان يعرفها من الأكاسرة وأمثالهم فنفي
ذلك العباس ورده الى النبوة التي هي أصل تلك القوة ، وذلك الملك
النبوي المستند الى الوحي الإلهي ولم يرد نفي الملك جملة ، ومنه
ما كان معاوية بالشام : لما قدم عليه عمر وجده في أبهة من الجند والعدة
فاستنكر ذلك وقال له : أكسروية يا معاوية ؟ فاعتذر معاوية بأنهم في
نعر تجاه العدو ، وأنهم في حاجة الى مباهاة العدو بزينة الحرب والجهاد
فسكت عمر وأقره . فذلك المظهر من مظاهر طبيعة الملك من حيث هو

ملك وانما أنكره عمر لما خاف فيه من تعظم واستعلاء واعجاب . فلما كان للحق والمصلحة أقره .

ومن أقوى الأدلة على أن تلك المظاهر إذا كانت للحق والمصلحة فهي محمودة مطلوبة ، ما قصه الله علينا في هذه الآيات عن ملك سليمان نبي الله عليه الصلاة والسلام .

نعم في مسند أحمد ان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — خير من أن يكون نبيا ملكا أو يكون نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا . وكان ذلك تواضعا منه . ولا ينفي هذا انه — صلى الله عليه وآله وسلم — كما كان مبلغا عن الله تبارك وتعالى كان قائما على الحكم والتنفيذ وادارة الشؤون العامة وتنظيم المجتمع مما يسمى ملكا نبويا مستندا الى الوحي الإلهي ، لان التخيير راجع الى حالته الشخصية الكريمة فخير بين ان يكون لشخصه من مظاهر الملك مثل ما كان سليمان أو لا تكون له تلك المظاهر فاختار أن لا تكون وان يكون مظهره مظهرا عاديا مثل مظهر العبد العادي . كما سليمان — عليه السلام — الذي كان ملكا نبيا لم ينف ذلك عنه العبودية ، وانما ينفي عنه مظهرها العادي .

فهما حالتان للقائمين على الملك جائزتان ، كان على احدهما سليمان وعلى الاخرى محمد — عليهما الصلاة والسلام — وحالة أفضل النبيين أفضل الحالتين . وقد اختار عمر — رضي الله عنه — الفضلى وأقر معاوية على الفاضلة الاخرى .

ولما كان محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — جاء بملك النبوة كان القرآن العظيم جامعا للاصول التي ينبنى عليها ذلك الملك ، وجاء فيه مثل هذه الآيات التي نكتب عليها ليين صورة من صور ملك النبوة ومظهرا صادقا من مظاهره فيما قصت علينا من ملك سليمان —

عليه السلام - وهي ثلاثون آية ، من الآية الخامسة عشر من سورة النمل الى الآية الرابعة والاربعين منها .
الآية الاولى وهي : ١٥

الالفاظ والتراكيب :

علماً : نوعاً عظيماً ممتازاً من العلم جمعاً به بين الملك والنبوة ، وقاماً بأمر الحكم والهداية . وقالوا : قولهما متسبب وفاشيء عن العلم لكنه لو قيل فقلاً ، بالفاء ، أفاد ان غير القول تسبب منهما عن العلم ولما عطف بالواو على أن هنالك أعمالاً كثيرة عظيمة كانت منهما في طاعة الله وشكره ، ونشأت عن العلم وعليها عطف قولهما هذا . فضلنا : أعطانا ما فقنا به غيرنا . على كثير : فهناك كثير لم يفضلنا عليه ممن ساواهما أو فاقهما . من عباده المؤمنين : فضلاً بين أهل الفضل فكانا من أفضل الفاضلين وذلك بما أعطينا من النبوة وملكها .

المعنى :

يخبرنا الله تعالى عما أعطى لهذين النبيين الكريمين من هذا الخير العظيم ، وعما كان منهما من الشكر له ، والمعرفة بعظيم قدر عطائه . واظهار السرور به مع الاعتراف لغيرهما بما كان من مثله أو نحوه ، ومن إعلانها ما كان لله عليهما من نعمة التفضيل العظيمة بحمده والثناء عليه .

تنويه وتاصيل :

قد ابتدئ الحديث عن هذا الملك العظيم بذكر العلم وقدمت النعمة به على سائر النعم تنويها بشأن العلم وتبنيها على أنه هو الأصل الذي تتبني عليه سعادة الدنيا والاخرى ، وانه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا . وان الممالك انما تبني عليه وتشاد ، وان الملك

انما ينظم به ويساس وان كل ما لم يبن عليه فهو على شفا جرف هار .
وأنه هو سياج المملكة ودرعها ، وهو سلاحها الحقيقي وبه دفاعها وان
كل ملكة لم تحم به فهي عرضة للانقراض والانتقاض .

احماض :

قال أبو الطيب المتنبى :

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يَبْنَى عَلَى الْأَسْلِ
وَاطْمَعْنُ عِنْدَ مَحْيِهِنَّ كَالْقَبْلِ

نعم إن محبي الممالك الصادقين في محبتها والذين تصلح لهم
ويصلحون لها هم الذين يستعذبون في سبيلها الموت ، ويكون الطعن
عندهم مثل القبل على ثغور الحسان ، فاما الممالك التي تبنى على
السيف فبالسيف تهدم . وما يشاد على القوة فبالقوة يؤخذ ، وانما
أعلى الممالك وأثبتها ما بني على العلم ، وحمي بالسيف ، وانما يبلغ
السيف وطره ويؤثر أثره ، اذا كان العلم من ورائه .

ولكن أبا الطيب شاعر الرجولة والبطولة ، شاعر المعارك والمعامع ،
لا يرى أمامه الا الحرب ، وآلات الطعن والضرب فلا يمكن أن يقول —
وقد غمرته لذة الانتصار ، واستولت نشوة الغلب والظفر على لبه
وخياه — الا ما قال .

فقه وادب :

يجوز لمن أنعم الله عليه بنعمة وفضله بفضيلة أن يفرح بتلك النعمة
ويظهر فرحه بها في معرض حمد الله عليها ، من حيث انها كرامة من الله
لا من حيث إنها مزية من مزاياه فاق بها سواه ، مثلما فعل هذين النبيين
الكريمين ، وكما قال تعالى : « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ

فَبِذَلِكَ فَلْيَتَّخِذُوا (١) .

وكثيرا ما يكون التفات المرء الى نفسه حاجبا له عن غيره فيذكر من شأنه ما أفرحه ويسكت عن غيره وفيهم من هو مثله ومن يفوقه ، فقد يجبر هذا الى عجب بنفسه وغمط لحق من عداه . فلهذا كان من أدب مقام الفرح : -منة الله وحمده عليها ، ذكر نعمته العامة عليه وعلى غيره ، والاشارة الى من فضلوا عليه . فيكبح من نفسه بتذكيرها بقصورها ، ويرضي الله باعترافه لدى الفضل بفضلته وحكمة الله وعدله ، وبوقوفه كواحد ممن أنعم عليهم من عباده .

ارشاد واشادة :

إذكار الانبياء - صلى الله عليهم - من حمد وتسييح وتهليل وغيرها أفضل الاذكار وأجملها وأسلمها ، وقد اشتمل الكتاب العزيز على كثير منها ، فعلى المسلم الحرص على الخير بها علما وعملا ، فقد رأيت ما يحف باظهار الفرح بنعمة الله من مخاطر إذا لم يتنبه لها ، وقد جاء هذا الحمد النبوي محصلا للقصد سالما من كل خطره بعباراته الموزونة الشاملة ، التي لا يصدر مثلها الا منهم لكمال علمهم وأدبهم . عليهم الصلاة والسلام (٢) .



(١) . ٥٨/١٠ . يونس .

(٢) ش : ج ٢ ، م ١٥٠ ، ص ٥٧ - ٦٦
غرة صفر ١٣٥٨ - مارس ١٩٣٩

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم الثاني

الآية الثانية وهي : ١٦ سورة النمل (٢٧) (١) .

« وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا
لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ » .

الالفاظ والتراكيب :

الارث : انتقال ما كان للميت الى الحي ، فيقوم فيه الوارث مقام الموروث . سواء كان مالا أو ملكاً أو علماً أو مجدداً ، والمراد هنا الملك والنبوة ، علمنا : أعطينا العلم ، ولم يذكر المعلم — وهو الله — للعلم به ، فان هذا التعليم ليس من معتاد البشر ولا من طوقهم ، منطق الطير : نطقها ، وهو تصويتها ، وقد يطلق النطق على كل ما يصوت به الحيوان ، فالحيوان ناطق والجناد صامت ، وأوتينا : أعطينا ، والنون في الفعلين للعظمة إذ هي حالته التي هو عليها ، من كل شيء : هو على معنى التكثير ، أو على معنى العموم الحقيقي فيما تقتضيه تلك العظمة مما يؤتاه الأنبياء والملوك ، الفضل : الزيادة ، المبين : الظاهر الذي لا خفاء به .

(١) المؤلف هو الذي عين رقم الآية واسم السورة دون رقمها .

المعنى :

قام سليمان مقام أبيه داوود — عليهما الصلاة والسلام — ، فكان في بني اسرائيل من بعد نيبيا ملكا . وأراد سليمان أن يشهر نعمة الله عليه وينوه بها ويدعو قومه الى الايمان به وطاعته ، فدعا الناس وذكر لهم ما خصه الله به من علم منطق الطير وعظائم الأمور مما هو خارق للعادة معجز للبشر آية على نبوته . وتحداهم بذلك الفضل الذي امتاز به عن جميع الناس ، وهو مشاهد لهم لا يمكنهم انكاره كما لا تمكنهم معارضته .

فقه وتحقيق :

من ميزة الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — أنهم يخرجون من الدنيا دون أن يتعلقوا بشيء منها فلا يورثون دينارا ولا درهما وانما يورثون العلم . وفي الصحيح : **انا معاشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة ، فلم يرث سليمان من داوود مالا وانما ورث ما نوه به من العلم والملك وما دل عليه ذلك من النبوة .** وقد خصصه الله بذلك دون بقية اخوته .

تفرقة :

الشيء الموروث ان كان من أمور الدنيا واعراضها ومتناولات الأبدان ومتصرفاتها ، فانه ينتقل بذاته من الميت الى الحي وينقطع عنه ملك الميت . وما كان من صفات الروح فانه لا يفارق الميت — لبقاء الروح — وانما يقوم الحي مقام الميت في أداء ما يؤديه الميت من أعمال متصفا بمثل ما كان متصفا به الميت ، متحليا بمثل حليته . فإرث سليمان للملك هو من المعنى الأول ، فداوود بعد موته لم يبق ملكا وإرثه للعلم والنبوة ، هو من المعنى الثاني ، فداوود بعد موته على علمه ونبوته .

تفرقة اخرى :

اذا كان الموروث مالا فانه يستحق بالقرابة شرعا ، واذا كان علما أو نبوة أو ملكا فانها لا تستحق بها . فلم يرث سليمان من داوود ما ورثه منه لانه ابنه ، وانما كان ذلك تفضلا من الله ونعمة . ولهذا لما دعا سليمان الناس لم يذكر لهم أبوة داوود . وانما ذكر لهم ما كان به أهلا لمقامه مما خصه الله به من علم وقوة ، ومظاهر الملك ومعجزة النبوة .

عجائب الخلقة وحكمة العربية :

للحيوانات كلهم فهم وادراك وأصوات تدل بها على ما في نفسها ، وتتفاهم بها أجناسها بعضها عن بعض . ومن تلك الأصوات ما يكون أخفى من أن يصل إليه سمعنا ، ومنها ما نسمعه ، ومما نسمعه ما نفهم مرادها به ومنه ما لا نفهمه . فلا نسمع صوت النملة ولكننا نسمع صوت الهرة — مثلا — ، ونميز بين صوتها الذي تدل به على غضبها وصوتها الذي تدل به على طلبها . وفي مملكة النمل ومملكة النحل — مثلا — من النظام والترتيب والتقدير والتدبير ما لا يبقى معه شك فيما لهذه الحيوانات من ادراك وتمييز وما بينهما من تفاهم . بل كثير من الحيوانات تصير بالترويض تفهم عنا كثيرا من العبارات والاشارات وتأتي بالأعمال العجيبة طبق ما يراد منها وتدل عليه . فهذا أصل ما بلغت اليه من ادراكها ونطقها اللذين أخبرنا بهما القرآن ، وتلك الغاية من الادراك والنطق لا سبيل لنا اليها لاختلاف الخلقة وجهل مدلولات الاصوات . وقد أدركها سليمان — عليه السلام — بتعليم من الله كرامة له وآية على نبوته ومعجزة للناس .

فمن حكمة اللغة العربية الشريفة أن سمت أصوات الحيوانات نطقا كما سمت في ، المتعارف ، اللفظ الذي يعبر به عما في الضمير نطقا . لأن الأصوات لغير الانسان تقوم مقام الألفاظ للانسان ، فهي

طريق تفاهمها ، وطريق فهم ما يمكن لانسان فهمه عنها . فله هذه اللغة ما أعمق غورها وما أدق تعبيرها .

نظر وإيمان :

قد شوهد بالعيان في أنواع من الحيوانات حسن تديرها لأمر معاشها ودقة سعيها في جلب منافعها ودفع مضارها ، فمن الجائز أن يصل إدراكها بالفطرة الى ما وراء ذلك من وجود خالقها ورازقها . وهذا هو الذي أخبرنا به القرآن في هذه الآيات من أمر النملة وأمر الهدد الآتين من بعد ، فنحن به مؤمنون لجوازه عقلا وثبوتة سمعا ، مثل سائر السمعيات .

تمييز :

قد شارك الحيوان الانسان في الادراك والتمييز وبلغ ادراكه الى معرفة وجود خالقه ورازقه ، ولكن الانسان يمتاز عنه بقوة التحليل والتركيب لكل ما يصل اليه حسه وادراكه ، وتطبيق ذلك على كل ما تمتد اليه قدرته ويكون في متناول يده . فمن ذلك التركيب والتحليل والتطبيق تغلب على عناصر الطبيعة وتمكن من ناصيتها واستعمل حيوانها وجمادها في مصلحته ورفي أطوار التقدم في حياته . ولفقد الحيوان غير الانسان هذه القوة بقي في طور واحد من حياته ومعيشته . فادراك الحيوان فطري الهامي يعطاه من أول الخلق، والانسان يعطى أصل الادراك الاجمالي ، ثم بتلك القوة يتسع أفق ادراكه ويستمر في درجات التقدم وهذه القوة التي يمتاز بها الانسان هي العقل . وهي التي ساد بها هذا العالم الفاني .

توجيه :

ذكر سليمان — عليه السلام — منطق الطير ، وهو قد علم منطق غير الطير أيضا ، فقد فهم نطق النملة ، ذلك لأن الحيوانات غير

الانسان مراتب : الزاحفة ، والماشية ، والطائرة ، وأشرفها الطائرة
فاقتصر على الطير تنبيها بالاعلى على الادنى .

ترزيه وتبيين :

عبر سليمان - عليه السلام - عن نفسه بنون العظمة ، ونوه
بذلك الفضل المبين ، وما كان عليه السلام - ليتعظم بسطان - ولا
ليتناول بفضله . فالانبياء - صلى الله عليهم - أشد الخلق تواضعا
لله وأرحمهم بعباده ، وانما أراد تعظيم نعمة الله في عيون الناس ،
وتفخيم ملك النبوة في قلوب الرعية ليملاً نفوسهم بالجلال والهيبة ،
فيدعوهم ذلك الى الايمان والطاعة ، فينتظم الملك ، ويهنا العيش ،
وتمتد بهم أسباب السعادة الى خير الدنيا والآخرة . وهذا هو الذي
توخاه سليمان - عليه السلام - من المصلحة باظهار العظمة . ولذا
لم يقل : علمت ، ولا : لي ، وعندني من كل شيء . ولم يقل : فضلي
فهو فضل من علمه أتاه فضله به عن سواه .

ترغيب واقتداء :

يذكر الله تعالى لنا في شأن هذا النبي الكريم ما أعطاه من علم
وما مكنه منه من عظيم الاشياء ترغيباً لنا في طلب العلم والسعي في
تحصيل ما بنا حاجة اليه من أمور الدنيا ، وتشويقاً لنا الى ما في
هذا الكون من عوالم الجماد وعوالم الأحياء وبعثاً لهننا على التحلي
بأسباب العظمة من العلم والقوة ، وحثاً لنا على تشييد الملك العظيم
الفخم على سنن ملك النبوة . فقد كان سليمان - عليه السلام - نبياً
وما كان ملكه ذلك إلا باذن الله ورضاه ، فهو فيما ذكره الله من أمره
قدوة وأي قدوة مثل سائر الأنبياء والمرسلين . عليهم الصلاة والسلام
أجمعين (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١٠٥ - ١٠٩

غرة ربيع الاول ١٣٥٨ - افريل ١٩٣٩

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم الثالث

الآية الثالثة ، وهي : ١٧ من النمل (٢٧)

« وَحَشِيرَ لِسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » .

الالفاظ والتراكيب :

الحشر : الجمع من أماكن متفرقة ، جنوده : هم المنتظمون في
سلك عسكريته ، فجمعوا له عند الحاجة اليهم في سفر أرادته . يوزعون :
يكفون عن الخروج عن النظام في السير فيمنع أولهم من سبق آخرهم ،
وآخرهم من التأخر عن سابقهم ، وينعمون عن الخروج عن الصفوف
الى اليمين أو الشمال ، لأن وزعه عن الشيء معناه كفه عنه .

وفي ترتيب الجنود في الذكر مراعاة الأقوى وأعلامهم في ذلك
الجن ثم الانس ثم الطير وفي عطف الجملة الثانية بالفاء إفادة سرعة
الانتظام بعد الاجتماع . وفاعل حشرهم الاعوان الحاشرون ، وفاعل
وزع هم الضباط المنتظمون .

المعنى :

كان لسليمان — عليه الصلاة والسلام — من الجن والانس والطير

جنود معينون معروفون يتركب منهم عسكريه . يكونون متفرقين فاذا عرض أمر جمعهم . وكان له أعوان يعرفون أولئك الجنود ويعرفون أماكنهم ، فهم الذين يجمعونهم عند الحاجة اليهم . فأراد سليمان أن يسافر فأمر أعوانه بجمع الجنود فجمعهم له . فلما اجتمعوا تولى رؤسائهم تنظيمهم فساروا مع سليمان في كثرة ونظام يتولى أولئك الرؤساء تنظيمهم في سيرهم ويمنعونهم من الخروج عن النظام .

تفصيل :

كما ان للانس من يعرفهم من أعوان سليمان ومن ينظمهم من رؤسائهم كذلك يكون للجن ، وكذلك يكون للطير ، وسلطة سليمان على الجن وتسخيره لهم وسلطته على الطير وفهمه لها وفهمها عنه معجزة له وخصوصية ملك لم ينبغ لأحد من بعده .

تاريخ وقادة :

تفيدنا الآية صورة تامة لنظام الجندية في ملك سليمان . فقد كان الجنود يروحون من الخدمة ويجمعون عند الحاجة . وكانت أعيانهم معروفة مضبوطة . وكانت لهم هيئة تعرفهم وتضبطهم وتجمعهم عند الحاجة ، وكان لهم ضباط يتولون تنظيمهم ، وكان النظام محكما لضبط تلك الكثرة ومنعها من الاضطراب والاختلال والفوضى .

تعرض علينا الآية هذه الصورة التاريخية الواقعية تعليماً لنا وتربية على الجندية المضبوطة المنظمة . ولا شك ان الخلفاء الأولين قد عملوا على ذلك في تنظيم جيوشهم وان مثل هذه الآية كان له الاثر البليغ السريع في نفوس العرب لما اسلموا فسرعان ما تحولوا الى جنود منظمة مما لم يكن معروفا عندهم في الجاهلية ، وبقيت الآية على الدهر مذكرة لنا بان النظام أساس كل مجتمع واجتماع ، وان القوى والكثرة

وحدهما لا يغيان بدون نظام وان النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه ، وأولئك هم الوازعون •

طبيعة وشريعة :

في عالم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان نجد الطبيعة – بصنع الله – تستخلص الأعلى من الأدنى والاقوى من الاضعف ، فتجد الممتاز من أصل الخلق ، وباتتخاب الطبيعة في هذه العوالم الثلاث كما تجد الذهب في المعدن وتجد الزهر والثمر في النجم والشجر ، وتجد المملكة من النمل والنحل مثلا • فالانسان لم يخرج عن هذا القانون الطبيعي ، ففيه المتازون الذين يحتاج اليهم النوع الانساني في صلاح حاله ومآله ومنهم الذين يتولون حكمه وتنظيمه في أممه ومجتمعاته وجماعاته ، فالهيئة الحاكمة والأفراد المنظمون والقادة المسيرون من ضروريات المجتمع الإنسان ومقررات الشرع الاسلامي مثل ما في هذه الآية من أمر الوازعين • ولما ولي الحسن البصري القضاء ، قال لا بدء للسلطان من وزعة أي أعوان يكفثون الناس عن الشر والفساد ويتولون تربيتهم وتنظيمهم • وفي رواية : لا بد للناس من وازع ، أي كاف يكف بعضهم عن بعض وهو الحاكم وأعوانه •

وفي حديث ذكره أهل الغريب : من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن ومعناه ، ان من يكفهم عن الشر خوف السلطان وعقابه الدنيوي أكثر ممن يكفهم عن الشر الوعد والوعيد في القرآن • وقد قال الله تعالى : « وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ آيَاتٍ لِّتَذَكَّرُوا » وقال : « وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ آيَاتٍ لِّتَذَكَّرُوا »

الآية الرابعة : وهي ١٨ من النمل (٢٧) :

« حَسْبِيَ إِذَا أْتَا عَنكِي وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ :

يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » •

الإلفاظ والتراكيب :

أتوا على وادي النمل : هبطوا إليه من مكان أعلى منه ، وهو بالشام
أو بالحجاز ، لم تتوقف العبرة على تعيينه فلم يعين ، وأضيف للنمل
لكثرته فيه • نملة : لفظها مؤنث ومعناها محتمل مثل شاة وحمامة •
مساكنكم : هي قرى النمل التي يسكنها تحت وجه الأرض ، المحكمة
الوضع والتركيب ، والتقسيم ، ولذلك قيل فيها مساكن ولم يقل غيرها •
لا يحطمنكم : لا يكسرنكم بالحوافر والأقدام • لا يشعرون : لا
يحصون بوجودكم •

الآتيان باذا وجوابها لافادة ان قولها كان يسبب آتيانهم عند أول
ما أتوا • لا يحطمنكم : نعتهم عن أن يحطمهم ، والحطم ليس من فعلهم
حتى ينهوا عنه • وانما المعنى لا تكونوا خارج مساكنكم فيحطمكم
فنهتهم عن المسبب والمراد النهي عن السبب لما في ذلك من الإيجاز
المناسب لسرعة الانذار لسرعة النجاة ، ولما في ذكر المسبب وهو الحطم
من التخويف الحامل على الاسراع الى الدخول ، والجملة مؤكدة
للاولى فكأنها قالت ادخلوا مساكنكم لا تبقوا خارجها • ونظير التركيبي
في التعبير بالمسبب عن السبب لا أرينك هنا • • أي لا تكن هنا فأراك •

المعنى :

سار سليمان — صلى الله عليه وسلم — في تلك الجنود العظيمة
يحيط به الانس والجن وتظلمهم الطير حتى هبطوا على وادي النمل ،
فرأتهم كبيرة النمل وقائدته فصاحت في بني جنسها فنادتهم للتنبية
وأرشدتهم الى طريق النجاة بأمرهم بالدخول في مساكنهم وحذرتهم من

الهلاك بحطم سليمان وجنوده لهم عن غير شعور منهم فلا يكون اللوم عليهم وانما اللوم على النمل اذا لم يسرع بالدخول .

عبرة وتعليم :

عاطفة الجنسية غريزة طبيعية ، فهذه النملة لم تهتم بنفسها فتنجو بمفردها . ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند ، انذار بني جنسها إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم ولا نجاة لها اذا لم تنج معهم فأذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الانذار . ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الداهم أن تذكر عذر سليمان وجنده .

فهذا يعلمنا ان لا حياة للشخص الا بحياة قومه ولا نجاة له الا بنجاتهم ، وان لا خير لهم فيه الا اذا شعر بانه جزء منهم ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه وان لا يكون اهتمامه بهم دون اهتمامه بها .

واجب القائد والزعيم :

هذه النملة هي كبيرة النمل ، فقد كان عندها من قوة الاحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها فبادرت بالانذار . فلا يصلح لقيادة الامة وزعامتها الا من كان عنده من بعد النظر وصدق الحدس وصائب الفراسة ، وقوة الادراك للامور قبل وقوعها ، ما يمتاز به عن غيره ، ويكون سريع الانذار بما يحس وما يتوقع .

عظة بالغة :

هذه نملة وقت لقومها وأدت نحوهم واجيها ، فكيف بالانسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه . هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمور قومه ولا يؤدي الواجب نحوهم ، ولمن يرى الخطر داهماً لقومه فيسكت

ويتعامى ولمن يقود الخطر اليهم ويصبه بيده عليهم •

آه ، ما أخرجنا — معشر المسلمين — الى أمثال هذه النملة !

الآية الخامسة وهي : ١٩ من النمل (٢٧) :

« فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » •

الالفاظ والتراكيب :

التبسم : انفراج الشفتين على الاسنان ، وقد يكون للغضب وقد يكون للسخرية وقد يكون للضحك ، وهو الاكثر وهو بدايته ولهذا قيد بضاحكا • أوزعني أن اشكر : الهني شكر نعمتك وتحقيقه في اللغة والتصريف انك تقول : وزعت الشيء أي كفته واوزعني الله الشيء أي جعلني ازع ذلك الشيء أي آكفه • كما تقول ركبت الفرس وأركبني زيد الفرس أي جعلني أركبه ، فاوزعني شكر نعمتك أي اجعلني ازع أي آكف شكر نعمتك أي أمنعه من أن يذهب عني وينفلت مني ، فالمقصود اجعلني ملازما لشكرك فلا أنفك لك شاكرا • نعمتك : عام يشمل كل نعمة لله عليه وعلى والديه • وان اعلم : معطوف على ان اشكر فيقدر مثل تقديره كما تقدم • ترضاه : وصف مؤكد للتقيد على ما سيأتي لأن العمل الصالح مرضي عنه الله • وانما ذكر الوصف ليفيد أن رضى الله مقصود بالعمل الصالح • ادخلى برحمتك في عبادك الصالحين : اجعلني معهم وأكمل الصالحين الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين ، وتحقيقه ان الصالحين بما امتازوا به من كمال صاروا كأنهم في حمى خاص بهم لا يدخل عليهم فيه الا من كان مثلهم

ملك النبوة

فلهم مقامهم في الرفيق الأعلى ولهم منازلهم في الجنة ولهم ذكرهم الطيب عند الله وعند العباد ، وهذه المنازل والمقامات لا يدخلها العبد الا برحمة من الله بتيسير لاسبابها وتفضل عظيم .

المعنى :

لما سمع سليمان - عليه الصلاة والسلام - كلام النملة تبسم تبسم السرور والتعجب من قولها وطلب من ربه تعالى ان يلهمه شكر ما انعم به عليه وعلى والديه وان يلهمه عملا صالحا ينال به رضاه وطلب منه تعالى أن يجعله في الصالحين بان يثبت اسمه بينهم ويقرن ذكره بذكرهم ويلحقه بهم ويسكنه الجنة معهم بما يغمره به من رحمته وفضله واحسانه .

توجيه :

صدور ذلك الانذار البليغ من مثل تلك النملة في ضعفها وصغرها طريف مستظرف ككل شيء يصدر من حيث لا ينتظر صدوره ، فهذا مبعث تعجب سليمان - عليه السلام - وشهادة النملة له ولجنوده بانهم لو وطئوا النمل لو طئوه من غير شعور . فهم لرحمتهم وشفقتهم وارتباطهم بزمام التقوى واخذهم بالعدل لا يتعمدون التعدي على أضعف المخلوقات العجاء ، هذه الشهادة أدخلت السرور على سليمان - عليه السلام - لما دلت عليه من ثبوت هذا الوصف العظيم له ولجنده وظهوره منهم واشتغالهم به . كما مبعث سروره شعوره بما آتاه الله من الملك العظيم والعلم الذي لم يؤتته غيره حتى فهم به ما همست به النملة وهي من الحكيم الذي ليس له صوت يستبان في حال من الاحوال .

ادب من سرته النعمة :

نعم الله على العبد تدخل عليه السرور بجيلة الفطرة ، والفرح بنعمة الله من الاعتراف بفضله والاكبار لنواله . ومن أدب العبد حينئذ ان

يسأل الله التوفيق ، بشكر تلك النعمة بصرفها في الطاعة والتوفيق
لشكرها بما يقوم به من أعمال صالحة في رضى الله كما فعل
سليمان - عليه السلام - .

النعمة المزدوجة :

إذا أنعم الله على الأبوين بنعمة الايمان والصلاح فهي نعمة على
ولدهما إذا أتبعهما ، وتكون تلك النعمة من الله عليهما سيما في حسن
تربيتهما له وتوجيهه في الوجهة الصالحة ، كما أن نعمة الله على الولد
هي نعمة على والديه فهو من أثرهما ومثل حسناته في ميزانها لأنهما
أصل ذلك وسببه ويدعو له الناس فيدعون لهما ويدعو هو لهما .
وقد يؤذن له فيشفع لهما . فالنعمة على الوالد أو على الولد هي نعمة
مزدوجة بينهما ولهذا ذكر سليمان - عليه السلام - نعمة الله على
والديه مع نعمته عليه .

الغاية المطلوبة :

ان شعور العبد برضى الله عنه هو أعظم لذة روحية تعجز عن
تصويرها الألسن . واحلال الرضوان على أهل الجنة أكبر من كل ما في
الجنة من نعيم . فالغاية التي يسعى اليها الساعون ويعمل لها العاملون
هي رضى الله . فالعمل الصالح ترتضيه العقول وتستعذبه الفطر .
ولكنه لا يفيد صاحبه اذا لم ينبغ به مرضاة الله . ولهذا قال سليمان -
عليه السلام - : (تَرْضَاهُ) .

جمع وتحقيق :

قال الله تعالى: «أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (١)

(١) ٣٢/١٦ النمل .

فأفادَ ان الأعمال سبب في دخول الجنة وفي هذه الآية : « وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ » فأفاد ان الدخول بالرحمة ، ولا منافاة ما بينهما فالاعمال سبب شرعي لدخول الجنة والهداية اليه والتوفيق فيه وقبوله هو رحمة من الله . والعمل من حيث ذاته لا يستحق على الله جزاء لانه لا ينتفع به اذ هو الغني عن خلقه . وانما تفضل فجعله سببا في نيل ثوابه ثم تفضل فجعل الجزاء مضاعفا الى عشر ، الى أضعاف كثيرة الى الموفى للصابرين بغير حساب .

دقيقة روحية :

ان الأرواح النورانية الطاهرة السامية لا لذة لها حقيقية في هذا العالم الفاني المادي المنحط ، وانما لذتها الحقيقية في عالمها العالي الأقدس وفي الرفيق الأعلى الأطهر وفي معاشرته أمثالها من النفوس الطيبة الزكية . في ذلك القدس الأسنى ، فهي دائمة الشوق اليه والانجذاب نحوه . ولذا كان من دعوات الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — الدخول في الصالحين واللحوق بهم . مثل قول سليمان هنا ، وقول ابراهيم : « رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ »^(١) . وقول يوسف : « تَوَقَّئِنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ »^(٢) .

وفقنا الله لشكر ما من به من سابق النعمة ، وللقيام فيما بقي من العمر بواجب الخدمة وختم لنا باللحوق بعباده الصالحين^(٣) .

(١) ٨٢/٢٦ الشعراء .

(٢) ١٠١/١٢ يوسف .

(٣) ش : ج ٤ ، م ١٥ ، ص ١٥٧ — ١٦٥

غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ — ماي ١٩٣٩

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم الرابع

الآية السادسة وهي : ٢٠ من النمل (٢٧) :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هُدَّ
أُمٌّ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ » .

الالفاظ والتراكيب :

تفقد : التفقد تطلبك ما فقدته وغاب عنك وتعرفك أحواله .
لا أرى : لا أبصر ، الهدهد : هو (تيبب) وهو طائر صغير الجرم
مستن الرياح ليس من كرام الطير ولا من سباعها . ما لي لا أرى :
استفهم عما حصل له فمنعه من الرؤية حيث ظن أولا ان الهدهد كان
حاضرا وانما هو لم يره . أم كان من الغائبين : استفهم عن غيبته
حيث ظن ثانيا انه غائب فاستفهم عن صحة ما ظن ، فكلمة أم فيها
اضراب وفيها استفهام ، فأضرب اضراب انتقال من ظن الى ظن . كان
من الغائبين : تعريض بقبح فعله لما انحط عن شرف الحضور وكان
من الغائبين .

المعنى :

تطلب سليمان — عليه السلام — معرفة ما غاب عنه من أحوال
الطير فلم ير الهدهد وأخذ يتساءل فظن ان شيئا ستره عنه فلم يره ،

ولما لم يكن شيء من ذلك ظن انه كان غائبا غير حاضر وذلك هو
الظن الاخير الذي حصل به اليقين .

تعليم وقسوة :

من حق الرعية على راعيها أن يتفقدتها ويتعرف أحوالها اذ هو
مسؤول عن الجليل والدقيق منها يياشر بنفسه ما استطاع مباشرة منها
ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها وينيط بأهل الخبرة
والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة
مباشرة لمن كلف بها . فهذا سليمان على عظمة ملكه واتساع جيشه
وكثرة أتباعه قد تولى التفقد بنفسه ولم يهمل أمر الهدهد على صغره
وصغر مكانه ، وقد كان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يقول :
« لو ان سخلة بشاطيء الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر » وهذا
التفقد والتعرف هو على كل راع في الامم والجماعات والاسر والرفاق
وكل من كانت له رعية .

تعلييل وتحريير :

تفقد سليمان جنس ما معه من الطير للتعرف كما ذكرنا وذكر الطير
لانه هو الذي تعلقت به القصة وليس في السكوت عن غير الطير
ما يدل على أنه لم يتفقدته فالتفقد لم يكن للهدهد بخصوصه وانما
لما تفقد جنس الطير فقدمه ولم يجده فقال ما قال . فلا وجه لسؤال من
سأل : كيف تفقد الهدهد من بين سائر الطير .

تدقيق لغوي وغوص علمي :

سأل سليمان عن حال نفسه فقال : ما لي لا أرى الهدهد ونم
يسأل عن حال الهدهد فيقل (١) ما للهدهد لا أراه فأنكر حال نفسه
قبل أن ينكر حال غيره . فنقل الحافظ الامام ابن العربي عن الامام

(١) كذا في الاصل .

عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في زمانه قال : « انما قال مالي لا أرى لانه اعتبر حال نفسه ذا علم أنه أوتي الملك العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر باقامة الطاعة وادامة العمل فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال : مالي ، وكذلك تفعل شيوخ الصوفية اذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم ، هذا في الآداب فكيف بنا اليوم ونحن تقصر في الفرائض » .

توجيه :

مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الامام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره اذ هي معاني صحيحة في نفسها ، ومأخوذة من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً ، ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع . وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول ، ومنه فهم عمر وابن عباس - رضي الله عنهما - أجل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من سورة النصر ، أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة وخصوصا الاول والثاني ، فهو لا يجوز في تفسير كلام الله وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية . كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي من المتقدمين والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين .

الآية السابعة وهي : ٢١ من النمل (٢٧) :

« لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ » .

الالفاظ والتراكيب :

عذابا شديدا : ينتف ريشه هكذا فسره ابن عباس وجماعة من

التابعين • بسطان مبین : بحجة قاطعة توضح عذره في غيبته • سميت الحجة سلطانا لما لها من السلطة على العقل في اخضاعه ، أفادت أو ان المخلوف على حصوله هو أحد الثلاثة ، فاذا حصلت الحجة فلا تعذيب ولا ذبح ، ولو لم تحصل لفعل أحدهما ، وقدم التعذيب لأنه أشد من القتل ، وحالة الغضب تقتضي تقديم الاشد •

المعنى :

يقسم سليمان على معاقبة الهدد — وقد تحقق غيبته — بالتعذيب أو بالذبح اذا لم يأت به بالحجة التي تبين عذره في تلك الغيبة ولا يستثنى للنفو ولا يجعل سببا لسلامته من العقوبة الا الحجة •

توجيه واستنباط :

ليس في الآية ما يفهم خصوص تنف الريش من لفظ العذاب الشديد ، وإنما فهم ابن عباس — رضي الله عنه — وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار ، فاذ تنف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه فيتحول من حياة الطير الى حياة دواب الأرض ، وذلك نوع من المسخ ، وقد علم ان المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا ، فلماذا فسروا العذاب الشديد بتنف الريش •

والانسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب ، فمن حرم انسانا — فردا أو جماعة — من العلم فقد حرمه من خصوصية الانسانية وحوله الى عيشة العجاوات وذلك نوع من المسخ فهو عذاب شديد وأي عذاب شديد ؟

صرامة الجنديّة :

كان هذا الهدد من جنود سليمان التي حشرت له وقد كان في مكانه الذي عين له وأقيم فيه ، فلما فارق وترك الفرجة في صفه وأوقع الخلل في جنسه استحق العقاب الصارم الذي لا هوادة فيه • وهذا

أصل" في صرامة أحكام الجندية وشدتها لعظم المسؤولية التي تحملتها وتوقف سلامة الجميع على قيامها بها وعظم الخطر الذي يعم الجميع إذا أخلت بها .

تقدير العقوبة :

جرم الهدهد صغير وما كلف الا بما يستطيعه من الوقوف في مكانه والبقاء في مركزه ، ولكن جرمه باخلاله بهذا الواجب كان جرماً كبيراً فان الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير فقدرت عقوبته على حسب كبر ذنبه لا على حسب صغر ذاته .

تنبيه وارشاد :

كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته ، مما يقوم به من عمل حسب كفاءته واستطاعته ، فعليه أن يحفظ مركزه ولا يدع الخطر يدخل ولا الخلل يقع من جهته فانه إذا قصر في ذلك وترك مكانه فتح ثغرة الفساد على قومه وجماعته ، وأوجد السبيل لتسرب الهلاك اليهم . وزوال حجر صغير من السد المقام لصد السيل يفضي الى خراب السد بتمامه . فاخلاق أي أحد بمركزه ولو كان أصغر المراكز مؤد الى الضرر العام . وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن وهما أساس القوة .

الحق فوق كل احد :

لقد أغضب سليمان غياب الهدهد فلذا توعده هذا الوعيد وأكده هذا التأكيد . ولكن سلطان سليمان في قوته وملكوته ومكاته يجب أن يخضع لسلطان آخر هو أعظم من سلطانه : هو سلطان الحق ، والحق فوق كل أحد . وملك سليمان ملك حق فلا بد له من الخضوع لسلطان الحق ليقوم ميزان العدل ، والعدل أساس الملك وسياس العمران (١) .

(١) ش : ج ٥ ، م ١٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٨

غرة جمادى الاولى ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم الخامس

الآية الثامنة وهي : ٢٢ من النمل (٢٧) :

« فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ » .

الإلغاز والتراكيب :

مكث : أقام ، وقرأ عاصم بفتح الكاف • غير : صفة زمان محذوف ،
فالتقدير غير بعيد • فاعل مكث هو الهدهد مثل فاعل قال الآتي •
أحطت : الاحاطة بالشيء ، عقليا هي العلم به من جميع نواحيه •
سبأ : اسم مدينة باليمن سميت باسم سبأ جد العرب اليمانية حمير
وغيرها ، وصرفه الجمهور على اعتبار المكان ، ومنعه من الصرف المكي
والبصري على اعتبار البلدة • نبأ : النبأ الخبر الذي له شأن وخطورة •
واليقين : المحقق ، جعله نفس اليقين مبالغة في تحقيقه • وفي الكلام
ايجاز بالحذف ، اذ المعنى : فجاء الهدهد فسأله سليمان — عليه السلام —
عن سبب مغيبه فقال •

المعنى :

لم تطل غيبة الهدهد عن مركزه في جنود سليمان ، فلم يلبث في
غيبته إلا زمانا قصيرا ، وكان سؤال سليمان له عن غيبته فور رجوعه ،

فأسرع بالجواب والاعتذار عن الغيبة والدفاع عن نفسه فقال : اطلعت على شيء لم تطلع أنت عليه وعرفته من جميع نواحيه ، وقد أتيتك من بلدة سبأ بخبر خطير ذي شأن عظيم تيقنته غاية اليقين .

توجيه واستنباط :

كان في جواب الهدهد حجة بينة لسبب غيابه ، وذلك لأنه لم يذهب عابثا ولا لغرض خاص به ، وانما ذهب مستظلا مكتشفا فحصل علما وجاء بخبر عظيم في زمن قصير فرجحت هذه الفوائد العظيمة بتركه لمركزه في الجند فسقطت عنه المؤاخذة .

فان قيل : ان أصل مفارقتة لمركزه دون استئذان كان مخالفة يستوجب عليها العقوبة فالجواب ان هذه المخالفة كانت لقصد حسن وهو الاستطلاع وأثمرت خيرا فاستحق العفو عن تلك المخالفة التي كانت عن نظر ولم تكن عن تهاون وانتهاك للحرمة .

فان قيل : ما الذي أوقع في نفس الهدهد رغبته في طلب ما طلب ، فالجواب : انه يجوز أن يكون شاهد عمران اليمين من مكان بعيد يبصره الحاد فرغب في المعرفة أو أن يكون قد مر باليمين من قبل ولم يتحقق من حالها فأراد أن يتحقق .

وهذه الآية مأخذ من مأخذ الأصيل القائل : ان المخالف للأمر عن غير انتهاك للحرمة لا يؤاخذ بتلك المخالفة . ومن فروع هذا الأصيل سقوط الكفارة عن أفطر في رمضان متعمدا متأولا تأويلا قريبا .

عزة العلم وسلطانه :

ابتدأ الهدهد جوابه معتزا بما أحاط به من العلم متجسلا بما حصل منه مظهرا لارتفاع منزلته به متحصنا به من العقاب . ولم تمنعه عظمة سليمان — عليه السلام — من اظهار علمه واعلان اختصاصه به دون سليمان .

ادب واقتداء :

قد سمع سليمان هذا من الهدد وأقره عليه ، فللصغير أن يقول للكبير ، وللحقير أن يقول للجليل ، علمت ما لم تعلم وعندى ما ليس عندك ، اذا كان من ذلك على يقين وكان لقصد صحيح . ومن أدب من قيل له ذلك ولو كان كبيرا جليلا أن يتقبل ذلك ولا يبادر برده وعليه أن ينظر فيه ليعرف مقدار صدق قائله فيقبله أو يرده بعد النظر والتأمل ، اذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علما بما لم يحط مثل سليمان — عليه السلام — في علمه وحكمته واتساع مدركاته . وكفى بمثل هذا زاجرا لكل ذي علم عن الاعجاب بعلمه والاعتزاز بسعة اطلاعه والترفع عن الاستفادة ممن دونه .

مدرك عقيدة :

لا يعلم أحد من الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — شيئا مما غاب عنه الا باعلام الله ، فليس لهم كشف عام عن جميع ما في الكون ، وانما يعلمون منه ما اطلعهم الله عليه . ومن مدارك ذلك هذه القصة ، فان سليمان — عليه السلام — لم يكن يعلم من مملكة سبأ شيئا حتى اطلعه الله عليه بواسطة الهدد . واذا كان هذا حال الانبياء — عليهم الصلاة والسلام — فغيرهم من عباد الله الصالحين من باب أخرى وأولى .

تحقيق تاريخي :

رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة ، ومعظمها من الاسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص من روايات كعب الأبحار ووهب بن منبة . وروى شيئا من ذلك الحاكم في مستدركه وصرح الذهبي ببطلانه ، ومن هذه المبالغات الباطلة انه ملك الارض كلها

مشاركها ومغاربا ، فهذه ملكة عظيمة بسبأ كانت مستقلة عنه ومجهولة لديه على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام (١) .

ممنرة الى القراء الكرام

ما قرأتموه من التذكير بهذه الآية الكريمة في هذا الجزء قد كتبت شطره مساء يوم الاثنين ٢ جمادى الاولى و ١٩ جوان وشطره بكرة الثلاثاء الغد منه . وفي صبيحة هذه الثلاثاء ابتدئت المحاكمة في قضية مقتل المفتي ابن دالي عمر التي اتهم الشيخ الطيب العقبي والسيد عباس التركي باطلا ظلما عدوانا ، فكان من واجبي أن أحضر جميع الجلسات ، فانشغل بالي عن تنميم مجالس التذكير . ولقد مات انبي الوحيد ومات أخ لي عزيز فما شغل ذلك بالي مثل اليوم ولا منعني عن دروسي وأعمالي ذلك لان هذه القضية اليوم قضية الاسلام والعربية والجزائر ، لا قضية فرد أو جماعة . فمعدرة يا قرائي الاعزة ، والله نسأل أن يظهر الحق ويدحض الباطل .



(١) ش : ج ٦ ، م ١٥ ، ص ٢٥١ - ٢٥٤
غرة جمادى الثانية ١٣٥٨ - جويلية ١٩٣٩

ملك النبوة

مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة

القسم السادس

الآية التاسعة وهي : ٢٣ من النمل (٢٧) :

« إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » .

الالفاظ والتراكيب :

وجدت : اصبت ، امرأة : هي بلقيس باجماع المفسرين والمؤرخين .
تملكهم : تتولى أمرهم ملكة عليهم . وعبر بالمضارع تصويرا للحال
العجيب ، وهو أن تتولى ملكهم امرأة ، وعاد الضمير على سبأ ضمير
جمع مذكر على معنى القوم ، اذ كانوا يسمون باسم أبيهم . فذكر لفظ
سبأ أولا بمعنى المدينة ، وأعيد عليه الضمير بمعنى القوم على أسلوب
الاستخدام . من كل شيء : لفظ عام أريد به كل ما تحتاج اليه من
أشياء الملك والسلطان والقوة والعمران . عرش : هو سرير الملك الذي
تجلس عليه . عظيم : في كبره وقوته وحسنه .

المعنى :

يقول الهدهد لسليمان — عليه السلام — مينا الخبر العظيم الذي
جاء به : اني وجدت أولئك القوم الذين يسكنون تلك المدينة قد
جعلوا امرأة ملكة عليهم . وقد أعطيت تلك الملكة كل ما تحتاج اليه

في نظام ملكها وعظمته ، ومن مظاهر تلك العظمة السرير العظيم الذي تجلس عليه بين أهل مملكتها .

عظمة المملكة العربية اليمينية :

كانت بلقيس ملكة على اليمن في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد وقد كانت ملكة عظيمة على مملكة عظيمة راقية . والهدهد الذي شاهد ملك سليمان وعظمته قد استعظم ملكها وعرشها ، وعظمة العرش عنوان عظمة الملك ، فلذا خصه الهدهد بالذكر ورغب سليمان في الاتيان به .

تفوق العرب على الاسرائيليين :

كل ذلك الرقي وتلك العظمة بلغتها المملكة العربية اليمينية بنفسها من تفكيرها وعملها من قرون بعيدة . فأما الاسرائيليون — وهم إذ ذاك في القرن الخامس من تاريخهم — فانهم لم يبلغوا في ذلك العهد الى شيء من ذلك . وما كان لسليمان من بناءات ومنشآت فهو مما صنعت له الجن والشياطين ، كما جاء في آيات من القرآن عديدة ، ولم يترك بنو اسرائيل من الآثار ما يدل على شيء ذي بال من الفن والقوة ، فأما ما تركته اليمن فهو شيء كثير قائم مشاهد ، والاكتشافات ما زالت تظهر منه شيئاً فشيئاً .

ولاية المرأة للملك :

ثبت عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أنه قال : « لن يفلح قوم وثوا امرهم امرأة » قاله لما بلغه ان الفرس ملكوا عليهم امرأة . فاقضى هذا ان لا تلي المرأة ولاية لا امارة ولا قضاء ، وأيدت هذا النص الصحيح السنة العملية فأخذ به جمهور أئمة الاسلام ، وجاءت روايات عديدة عن بعضهم لم يلتفت اليها ولم يعمل بها .

تعليق :

لا تصلح المرأة للولاية من ناحية خلقتها النفسية ، فقد أعطيت من الرقة والعطف والرافة ما أضعف فيها الحزم والصرامة اللازمين للولاية ، وفي اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الاجتماعية التي لا يقوم مقامها فيها سواها ، وهي القيام على مملكة البيت وتدير شؤونه وحفظ النسل بالاعتناء بالحمل والولادة وتربية الاولاد .

دفع اعتراض :

في تواريخ الأمم نساء تولين الملك ، ومن المشهورات في الامم الاسلامية شجرة الدر في العصر الايوبي ، ومنهن من قضت آخر حياتها في الملك وازدهر ملك قومها في عهدها . فما معنى نهي الفلاح عن ولوا أمرهم امرأة ؟

هذا اعتراض بأمر واقع ولكنه لا يرد علينا لأن الفلاح المنفي هو الفلاح في لسان الشرع ، وهو تحصيل خير الدنيا والآخرة ، ولا يلزم من ازدهار الملك أن يكون القوم في مرضاة الله ، ومن لم يكن في طاعة الله فليس من المفلحين ، ولو كان في أحسن حال فيما يبدو من أمر دنياه . على أن أكثر من ولوا أمرهم امرأة من الأمم اذا قابلهم مثلهم كانت عاقبتهم أن يَغْلَبُوا .

الآية العاشرة وهي : ٢٤ من النمل (٢٧) :

« وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ » .

الالفاظ والتراكيب :

من دون الله : تجاوزوا عبادة الله الى عبادة الشمس . زين : حسن .

أعمالهم : سجودهم للشمس وغيره من أعمال كفرهم • فصددهم : صرفهم
صرفاً شديداً • السبيل : هو الطريق الوحيد الممهود للنجاة وهو توحيد
الله • لا يهتدون : لا يكون منهم سلوك في طريق الحق والسداد •
جملة وجدتها مستأنفة للبيان جواباً على تقدير سؤال ، فالكلام
السابق بين حالتها من ناحية الدنيا فتشوقت نفس السامع الى معرفة
حالتها من ناحية الدين • •
عدم اهتدائهم مسبب عن صد الشيطان لهم ، وصدده مسبب عن
تزييفه لأعمالهم لهم ، هذا ما تفيداه الفاء •

المعنى :

وجدتها وقومها مجوساً يعبدون الشمس فيسجدون لها ولا يسجدون
لله ، وقد تمكن الشيطان منهم فحسن في أعينهم أعمالهم فصرفهم عن
عبادة الله وتوحيده مع ظهور الدلائل ووضوح الآيات فثبتوا على
ضلالهم لا يكون منهم اهتداء لطريق النجاة الظاهر في حال
من الاحوال •

سلاح الشيطان واصل الضلال :

محنة الانسان نفسه غريزة من غرائزه ، وهو محتاج اليها ليجلب
لنفسه حاجتها ويدفع عنها ما يضر بها ويسعى في تكميلها • هذه هي
الناحية النافعة والمفيدة من هذه الغريزة ولكنها من جهة أخرى هي
مدخل من أعظم مداخل الشيطان على الانسان فيحسن له أعماله وهو
لمحبة نفسه يجب أعماله ويغتر بها فيذهب مع هواه في تلك الأعمال
على غير هدى ولا بيان فيهلك هلاكاً بعيداً فاستحسان المرء لأعماله
هو أصل ضلاله وتزيين الشيطان لتلك الاعمال هو أحد أسلحة الشيطان •

الوقاية

فعلى المرء ان يتهم نفسه في كل ما تدعوه إليه ، وأن يزن جميع

أعماله بميزان الشرع الدقيق خصوصا ما تشتد رغبته فيه ويعظم حسنه
في عينه .

الآية الحادية عشر وهي : ٢٥ من النمل (٢٧) :

« أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ » .

الإلفاظ والتراكيب :

أَلَا يَسْجُدُوا : عدم سجودهم ، فَإِنَّ مصدرية ، ولا نافية ، وهو
بدل بعض من أعمالهم ، خصص بالذكر لأنه أصل كفرهم ومبعث فساد
أعمالهم . الخبء : الشيء المخبوء ، فعل بمعنى مفعول ، يقال خبأت
الشيء أخبؤه خبأً بمعنى سترته عن العيون ، فالخبء يشمل كل
ما احتوته السموات والأرض مما يبرزه الله للخلق لمنفعتهم فتشاهده
العيون مثل المطر والنبات ، أو تدركه العقول مثل بدائع الخلق ودقائق
الصنع ، ومنه ما يكشفه الله لعلماء الأكوان من أسرار الخلقة عندما
يستعملون عقولهم ووسائلهم العلمية فيأتون بما فيه نفع للعباد ورقي
للعمران . ما يخفون : ما يكتُمون في أنفسهم أو عن غيرهم . وما
يعلنون : يظهرون للناس .

الغنى :

زين لهم الشيطان من أعمالهم على الخصوص عدم سجودهم لله
الذي أقام عليهم الحجة بما يخرجهم لهم من الخيرات المخبئات من
السموات والأرض من أمطار السماء ونبات الأرض مما يدل على عظيم
قدرته ولطف علمه الذي أحاط بما^(١) بيواطن الأشياء وظواهرها وبما

(١) كذا في الاصل .

تنطوي عليه السرائر تواريه الستائر وما هو ظاهر للعموم .

استدلال وتوجيه :

السجود مظهر لغاية الذل والخضوع والالتقياد والاستسلام ، وتلك أصل العبادة ولا يستحقها من العبد الا من هو - حقيقة - المنعم الغني الكامل القوي ، وما هو الا خالقه . فاستدل على استحقاق الله السجود دون غيره بما ذكر من اخراجه الخبء ويشمل علمه لما خفي وما علن . وذلك متضمن لكماله وانعامه وشمول علمه وعموم سلطانه .

حكم وانبأؤه :

ابنى على ان السجود عبادة ولا يستحقها الا الخالق، تحريم السجود للمخلوق فلا يجوز أن يعظم به أحد أحدا ولو لم يقصد به العبادة اما اذا قصد به العبادة فهو الكفر البواح .

تحذير :

كثيرا ما رأينا في الرسوم التي تنشرها الصحف أناسا من المسلمين راكعين أو مقاربين للسجود لذي سلطان . فعلى المسلم أن يحذر من ذلك فلا يفعله ولا ينحني لاحد من الخلق وان ينكره اذا رآه .

تشويق القرآن الى علوم الاكوان :

من أساليب الهداية القرآنية الى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق في أسرارها ، وهنا يذكر لنا ما خبأه ، في السموات والأرض لنشتاق اليه . وتنبعث في البحث عنه واستجلاء حقائقه ومنافعه غريزة حب الاستطلاع ومعرفة المجهول وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم واستثمار ما في الكون الى أقصى

ما استطاعوا ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم ولن نمر عزهم الا اذا فهنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم •

ترتيب في الاستدلال :

إخراج الخبء لا يكون إلا من العالم بذلك الخبء الذي أحاط علمه به في حال ستره وفي حال ظهوره فيدل ذلك على شمول علمه لما ظهر وما بطن ، ومنه ما يخفون وما يعلنون ، ولذلك عطفه عليه لترتبه عليه ترتب المدلول على دليله •

الآية الثانية عشر وهي : ٢٦ من النمل (٢٧) :

« اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » •

تعميم :

العرش : مخلوق عظيم من عالم الغيب أعظم من السموات والأرض •

المعنى :

الموصوف بتلك الصفات والمنعم بتلك الانعامات المستحق للسجود منهم ، وقد زين لهم الشياطين عدم السجود له ، هو الله الذي لا معبود غيره ولا يستحق العبادة سواه خالق المخلوقات كلها ، والمالك لها والمدبر لامرها ، والمتصرف فيها من أصغر مخلوق الى أعظم مخلوق ، وهو عرشه العظيم الذي فاق كل ما نرى من عالم الشهادة •

توجيه الترتيب :

لما ذكر استحقاقه للعبادة بكمالاته وانعاماته ذكر أن لا مستحق للعبادة غيره ، إذ لا يشاركه في تلك الكمالات والانعامات سواه ، فكان الجملة كالنتيجة لما قبلها • ولما ذكر وحدانيته في الألوهية فلا

يعبد سواه ، ذكر وحدانيته في الربوبية بانفراده بالخلق والملك والتصرف والتدبر لهذا المخلوق العظيم ، ونبه به على ما دونه من المخلوقات ، ولما كان الحديث على عظمة ملك العباد ملك النبوة وغيره ذكر عظمة ملك الله التي تصغر ازاءها كل عظمة .

بيان مراد :

قد يتماثلان^(١) اللفظان ولكن يجب أن يعبر كل واحد بمعنى لائق بالمقام الذي قيل فيه فلقد جاء في حق سليمان — عليه السلام — « وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » ووصف الهدهد بلقيس بأنها أوتيت من كل شيء ، ولما كان المتحدث عنه أولاً هو سليمان فكل شيء يعم ما يحتاج اليه من أمر النبوة وملك النبوة .

كما انه قد قال عنها : « وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » وقال عن الله : « رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » . فعرش بلقيس عظيم بين عروش الملوك ، وعرش الله عظمته أعظم من السموات والارض . وهكذا لا بد من اعتبار المقام في فهم الكلام .

العبرة والقنوة :

قد ألهم الله الحيوانات الى ما قد يخفي عن بعض العقلاء ، ومضى منا كلام عن هذا فيما تقدم من هذه الآيات الكريمة ، وهذا الهدهد بين الهداهد فلمهم إلهام خاص " يقتضيه تخصيصه بهذا الموقف واتصاله بسليمان — عليه السلام — ، وزمن الانبياء زمن خرق العوائد وظهور الآيات ، وقد كان في حسن بيانه وترتيب أخباره وبديع تهديه عبارة بالغة لأولي الألباب ، فقد تحصن بالعلم ونهـ ره^(٢) بالنبا المتيقن وفصل

(١) كذا في الاصل وصوابه : يتمثل .

(٢) كذا في الاصل ، ولعل : ونباه .

النبأ فشرح حالها الدنيوية والدينية وتنقل من تشويق الى تشويق أبلغ منه فكان مثبتا فيما أخبره • بارعا فيما صور مستدلا فيما قرر وفيما أنكر ، بصيرا بكيد الشيطان للانسان متفطنا لانبناء الضلالات بعضها على بعض خيرا بترتيب الادلة وحسن الاستتاج •

وفيما ذكر الله لنا من هذه العبر البالغة من هذا الحيوان الأعجم حث لنا على أن نسلك عندما نخبر ونبين أو نبحت وننظر ونستدل ونرتب ونعلل ، أن نسلك هذا المسلك •

وإذا كان الله تعالى قد بعث غربا ليتعلم منه ابن آدم كيف يوارى سوءة أخيه فكذلك ذكر لنا أمر هذا الهدهد الممتاز بين الهداهد لثقتدي به ، تشبيها لنا على أخذ العلم من كل أحد والاستفادة من كل مخلوق والشعور دائما بالنقص للسلامة من شر ادواء الانسان : العجب والكبر والغرور ••• « وَقَلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » « وَقَفْوَقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » •

لمحة نفسية :

الظواهر دلائل البواطن فالمرء يعرف من سبحات وجهه وفتلات لسانه ، وكثير ما تدل كلمته على مهنته أو فكرته وعقيدته ، كما تدل هيئته أو لبسته وشمائله •

وما يباشره المرء تنطبع به نفسه ويصطبغ خياله فيجري على لسانه في تشبيهاته وتمثيلاته وفنون قوله فقد تختلف العبارات عن شيء واحد في وقت واحد باختلاف نفسيات المتكلمين عليه • وقد عرف الهدهد بين الطيور بثقوب البصر والاهتداء الى الماء في جوف الأرض خصوصا هدهد سليمان الممتاز بين الهداهد فلما استدل ذكر من صنع الله ما هو أقرب اليه وأغلب عليه وهو اخراج الخبء الذي منه الماء المخبوء في جوف الارض •

اشارة علمية :

دلالة الصنعة على الصانع دلالة فطرية عقلية قطعية ، فكل ذي صنعة في مكنته أن يستدل بصنعته على وجود خالق هذا العالم وكماله .
يشاهد ان صنعته ما كانت الا به وبما له من قدرة فينا وعلم بها فيهديه ذلك الى ان هذا العالم ما كان الا من خالق قادر عالم . فالهدد ذكر ما هو من عمله في الاستدلال على وجود الخالق تعالى ووحدايته .
ومثله كل ذي صنعة .

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ (١)



(١) ش : ج ٧ ، م ١٥ ، ص ٣١٢ - ٣٢٠
غرة رجب ١٣٥٨ - أوت ١٩٣٩

يس (١)

مثل هذا اللفظ مما افتتحت به بعض سور القرآن ، وللعلماء فيه طريقتان : الأولى أنه لفظ له معنى يعلمه الله ، فهو من المتشابه الذي لا يعلمه الراسخون ، وانما يؤمنون به ويردون علمه الى عالمه .

سؤال وجوابه :

القرآن أنزل للبيان ، ولا بيان إلا بالإلهام ، فكيف يكون في القرآن لفظ لا يفهم له معنى ؟ والجواب : أن عدم فهم معنى من بضع عشرة كلمة افتتحت بها بعض السور لا يخل ببيان القرآن لما أنزل لبيانه من عقائد وآداب وأحكام وغيرها من مقاصد القرآن .

توجيه وتنظير :

ان الله تعالى أعطانا العقل الذي به ندرك الآيات التي نصبها لنا لنستدل بها على وجوده ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته . وبالنظر في هذه الآيات نصل — بتسيير الله — بعقولنا الى إدراك بدائع عجيبة وأسرار غريبة ما تزال تتجلى لنا ما دمنا تتأمل فيها ونعتبر بها . وما يزال الانسان يكتشف منها حقائق مضت عليه أزمان وهو يعدها من المحال . ويجتني منها فوائد ما كانت تخطر له في أحقابه الماضية على بال .

غير أن استجلاء هذه الحقائق واستحصال هذه الفوائد من الآيات الكونية — على نفاستها وعظيم نفعها — محفوف بخطر الاعجاب بذلك

(١) ١/٣٦ يس .

العقل ، حتى يحسب أنه محيط بالحقائق كلها ، وأن مدرقاتها يقينيات بأسرها ، فيؤديه حسبانته الأول الى الفتنة بالمدرقات ، فيحسب أن لا شيء بعدها ، فقد يخرج الى انكار خالقها ، ويؤديه حسبانته الثاني الى الذهاب في ظنونه وأوهامه وفرضياته الى غايات لا نسب بين اليقين وبينها . فكان من لطف الله بالانسان أن جعل لعقله حداً يقف عنده وينتهي اليه ، ليسلم من هذا الخطر ، خطر الاعجاب بالعقل ، ففي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها ، وقد تشهد آثارها ولا تستطيع أن تعرف كنهها ، كحقيقة الكهرباء في الكون ، وحقيقة الروح والعقل في الانسان ، فمثل هذه الحقائق المتعلقة التي يرتد عقل الانسان اليه عنها خاسئاً وهو حسير . هي التي تعرفه بقدره وبعظمة هذا الكون وفخامة أمره . فيقف بعقله عند حد النظر والاعتبار والاستدلال بيديع الصنعة وعظيم النعمة على حكمة الله البالغة ومنته السابغة ، دون خلط للاوهام بالحقائق ولا فتنة بالمخلوق عن الخالق .

هذه الحقائق التي خفيت عن العقل البشري فلم يدرك كنهها لم تقدح في دلالة آيات الأكوان على ما دلكت عليه من وجود الخالق ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته ، وفضله واحسانه ورحمته ، فكذلك لم يقده في بيان القرآن ودلالة آياته خفاء معاني بضع عشرة كلمة من كلماته ، وكما كان خفاء تلك الحقائق في الآيات الكونية ايقافاً للعقل عند حده وتعريفاً له بقدره ، وتنبهاً له على عظم آيات ربه ، كذلك كان خفاء هذه المعاني في الآيات القرآنية لمثل ذلك . ونظير الآيات الكونية والآيات الكلامية في هذا الجلاء العام والخفاء الخاص جملة من الأحكام ، كعدد الصلوات والركعات والسجدة التي خفيت على العقول حكمتها وقد ظهرت الحكم الكثيرة الجليلة في سائر أحكام الشريعة غيرها ، ولم يقده في حكمة الشريعة في أحكامها ، خفاء ما خفي في بعضها ، كما لم يقده خفاء ما خفي من حقائق الآيات

الكونية ومعاني الآيات الكلامية في دلالتها وبيانها • والحكمة هنا في هذه الاحكام هي الحكمة المتقدمة فيهما •

ونظير الآيات الكونية والآيات الكلامية والأحكام الشرعية في هذا الخفاء الجزئي تصرفات الله في خلقه بمجاري اقداره فقد تظهر حكم الله فيها وقد تخفى ، وقد تخفى دهرأ وتظهر بعد مدة • وقد نبهنا الله على هذه الحقيقة بما قص علينا في قصة يوسف عليه السلام ، وما كان مجهولا من حكم قدر الله في مبدأ أمره وما ظهر من تلك الحكم الباهرة للقدر في آخر أمره ، وبما قصه علينا في قصة أم موسى لما أوحى اليها بقذفه في اليم وعدم الخوف عليه وما كان من عواقب امره ، وكما لا ينفي الحكمة عن تدبير الله عدم ظهورها كذلك لا ينفي الحكمة عن شرعه عدم فهمها ولا يقدر في دلالة الآيات وبيانها عدم ادراك كنهها أو عدم فهم معناها •

ففي خلق الله وفي شرع الله وفي قدر الله وفي كلام الله ما يخفي على العقول ادراك حقيقته أو حكمته ، أو معناه لطفاً من الله بالانسان وتبهيها له ، وقد قامت الحجة عليه فيما جهل بما عرف • وتجلت له بدائع الخلقة وجلائل النعمة فيما ظهر ، فأمن بوجود مثلها فيما خفي • إذ الرب الحكيم الرحيم لا يكون منه إلا ما هو حكمة وفيه نعمة ، فكان الانسان في القسم الأول مدركا مستدلا معتبرا ، قد استعمل عقله فأداه الى الإيمان واليقين فيما ظهر • وكان في القسم الثاني مصدقا مدعنا لربه صاغرا ، قد أدرك الحجة فأمن بالغيب فيما استتر • فجمع بين النظر والاستدلال ، والتسليم والاذعان •

فهذا توجيه وجود لفظ لا نفهم معناه من كتاب الله — عند من يقول به — ببيان حكمته ، مع تنظيره بمثله في خلق الله وشرعه وقدره •

بناء العمل على هذا العلم :

قد رأيت كيف يقف العقل عاجزاً أمام بعض أسرار الخلق والقدر

والشرع والقرآن ، مع يقينه بما علم منها ، ان ما عجز عن ادراكه ما هو إلا مثل ما عرف في الحق والحكمة والنعمة ، إذ الجميع — ما عرف وما عجز عنه — من إله واحد حكيم خير رحمن رحيم . فليذكر الناظر في خلق الله وقدره وشرعه وكلامه دائماً هذه الحقيقة ، وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها ، وإمكان عجز عقله في بعض المواضع والأحوال عن ادراكها فيكون عمله في خلق الله هو النظر والبحث والتعليل والاكتشاف واستجلاء الحقائق الكونية واستخراج الفوائد العلمية والعملية الى أقصى حد توصله اليه معلوماته وآلاته حتى اذا انتهى الى مشكل استغلق عليه اعترف بعجزه ولم يرتكب من الأوهام والفروض البعيدة ما يكسوا الحقيقة ظلمة ، ويوقع الباحث من بعده في ضلالة أو حيرة ، فكثيراً ما كانت الفروض الوهمية الموضوعية موضع اليقينيات سبباً في صد العقول عن النظر وطول أمد الخطأ والجهل ، ويكون عمله في قدر الله هو الاعتبار في تصاريف القدر ، والاتعاظ بأحوال البشر ، واستحصال قواعد الحياة من سير الحياة ، فاذا رأى من تصاريف القدر ما لم يعرف وجهه ولم يتبين له ما فيه من عدل وحكمة واحسان ورحمة ، فليذكر عجزه وليذكر ظهور ما خفي عنه من مثل ذلك في وقت ثم ظهر له فيوقن ان هذا مثله ، وانه اذا طال به الأيام قد يظهر له من وجهه ما خفي منه ، فيتلقاه الآن بالتسليم والتنزيه ، راداً علمه الى الله تعالى مفوضاً أمره إليه ، ويكون عمله في شرع الله هو الفهم لنصوص الآيات والأحاديث ومقاصد الشرع وكلام أئمة السلف ، وتحصيل الاحكام وحكمها ، والعقائد وأدلتها ، والآداب وفوائدها ، والمفاسد وأضرارها ، حتى اذا بلغ الى حكم لم يعرف حكمته وقضاء لم يدر علته ذكر عجزه فوقف عنده ، فلم يكن من المرتابين ولا من المتكلفين ، ولم يمنعه عجزه عن تعليل وتبين وجهه ذلك القليل عن المضي في التفهم والتدبر لما بقي له من

الكثير ، ويكون عمله في كتاب الله هو التفهم والتدبر لآياته والتفطن لتبسيحاته ووجوه دلالاته واستشارة علومه من منطوقه ومفهومه ، على ما دلت عليه لغة العرب في منظومها ومنثورها ، وما جاء من التفاسير المأثورة وما نقل من فهوم الأئمة الموثوق بعلمهم وأمانتهم ، المشهود لهم بذلك من أمثالهم ، فاذا وقف أمام المتشابه رده الى المحكم ، واذا انتهى الى فواتح السور ذكر عجزه فأمن بما لها من معنى وقال :
 الله أعلم به • فهذا السير النظري والعمل العلمي المبني على اليقين يعدل الخالق جل جلاله وحكمته ورحمته في خلقه وقدره وشرعه وكلامه ومعرفة العبد بقدره ومقامه يزداد السائر على مقتضاه ايماناً وعلماً وفوائد جمّة ، ويسلم من الغرور والأوهام والفتنة ، وهو سبيل الراسخين الذين يقولون فيما لا يفهمونه : « آمَنَّا بِهِ كَلِّمْنَا مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا هُوَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (١) •

القول الثاني في فواتح السور :

وذهبت جماعة من أهل العلم — من السلف والخلف — الى ان هذه الفواتح قد فهمت العرب المراد منها ، ولذلك لم تعترض على البيان بها ولا طعنت في عريته بعدم فهمها ، وان كنا لا نجد في كلامها ما نعرف به المعنى الذي فهمته منها ، ومن ذهب الى ذلك الامام أبو بكر بن العربي فقال في كتاب « القبس على موطأ مالك بن أنس » : « وليست من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، فان محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — لو خاطب الكفار منها بما لا يفهم لكان ذلك أقوى أسبابها في الطعن عليه ، وكانوا يقولون : هذا يتكلم بما لا نفهم وهو يدعي أنه بلسان عربي مبين • وما حمصسق في اللسان ؟ وما كفهيمص في الكلام ؟ فدل أنهم فهموا الغرض وعرفوا المقصود » •

(١) ٧/٣ آل عمران •

اختلاف التاولين :

منهم طائفة تكلمت على كل لفظ من ألفاظ الفواتح وذكرت له معنى ، واختلفوا في تلك المعاني التي ذكروها ، وهي كما ذكر الامام ابن العربي : « لا سبيل الى تمييز واحد منها بدليل لأنه معدوم ، ولا بأثر لأنه غير منقول » ولا تظمن الى شيء منها القلوب التي عاشت على اليقين ، ولا تسلم واحداً منها العقول التي اعتادت قفو العلم على نور الدليل .

ومنهم طائفة أخذتها كلها بوجه واحد ، فقال بعض : إنها حروف تنبيه تفرع الأسماع فتلفت السامعين الى الاستماع والتدبر ، لما اشتملت عليه السورة من الأحكام والعقائد والآداب وغيرها من مقاصد القرآن ، فهي نظير الا والهاء في مألوف الاستعمال . وقال بعضهم : انها حروف تعجيز وافحام وتقريع ، لأن القرآن الذي عجزوا عن معارضته من هذه الحروف وأخواتها تركبت كلماته ، فكأنما يقال لهم : ما هذا الذي عجزتم عنه إلا كلام جنس كلامكم ، وما ركبت لكلماته الا مما ركبت منه كلماتكم ، وهذا لعجزهم ، ولتقريعهم أوجع . ومما يؤيد هذا أن أكثر هذه الفواتح ذكر بعده الكتاب المعجز وصفاته ، مثل قوله تعالى :

« ألم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ » (١) « ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... الآية » (٢) .
« ألمص كتاب » أنزل إليك » (٣) . « ألم تلك آيات »

(١) ١/١ - ٢ البقرة .

(٢) ١/٣ - ٣ آل عمران .

(٣) ١/٧ - ٢ الاعراف .

الكِتَابِ الْحَكِيمِ» (١) . «أَلر كِتَابِ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ» (٢) «أَلر تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» (٣) . «طَسْم ، تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» (٤) . «أَلْم تَنْزِيلِ الْكِتَابِ لَأرَيْبَ فِيهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ» (٥) . «حَم ، تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (٦) وغيرها ...

الفائدة العملية :

قد افتتحت هذه السور من القرآن العظيم بكلمات التثبيہ ، وجاءت أول سورة منه بعد الفاتحة مفتتحة به ، فلنكن عند قراءته في انتباه واقبال على استيعاب لفظه وتفهم معناه ، فان التالي للقرآن والسماع له في حضرة الرب على بساط القرب ، والغفلة في هذا المقام من قلة الأدب ، ومن قل أدبه في مقام الاحسان والكرامة استوجب أضعاف ما يستوجبه غيره من العتب والملامة وتعرض لموجبات الحسرة والندامة ، فالله نسأل أن يجعلنا من قرائه على انتباه واستحضار أثناء الليل وأطراف النهار العاملين به بالعشي والأبكار ، انه الجواد الكريم الستار .



« وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، لِيَتَذَكَّرَ قَوْمًا

(١) ١/١٠ يونس .

(٢) ١/١١ هود .

(٣) ١/١٢ يوسف ، وانظر : ١/١٣ الرعد ، و ١/١٥ الحجر .

(٤) ١/٢٦ - ٢ الشعراء .

(٥) ١/٣٢ - ٢ السجدة .

(٦) ١/٤٠ - ٢ المؤمن .

مَا أَنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ» (١) .

بيان المفردات :

الحكيم : هو الموصوف بالحكمة ، وأصل اللفظ من حكم ، بمعنى أمسك ، فالحكمة هي العلم الصحيح الذي يمسك صاحبه عن الجهالات ، والضلالات ، والسفالات ، فيكون ذا ادراك للحقائق قويم وخلق كريم ، وعمل مستقيم ، لا يحكم الا عن تفكير ، ولا يقول الا عن علم ، ولا يفعل الا على بصيرة ، فاذا نظر أصاب ، واذا فعل أطاب ، واذا نطق أتى بفصل الخطاب . ووصف القرآن بالحكيم لأنه هو العلم الصحيح ، المشر لهذا كله ، والصرط المستقيم ، هو دين الاسلام ، الذي جاء به جميع المرسلين ، قبل النبي — صلى الله عليه وعليهم وسلم — . تنزيل : بمعنى منزل ، وهو الصراط المستقيم . العزيز : القوي الغالب ، المنتع الذي لا نظير له . الرحيم : المنعم الدائم الانعام والاحسان . الانذار : الاعلام بوقوع ما يخاف منه ، وهو الهلاك والعذاب العاجل والآجل . والغافل عن الشيء : التارك له المعرض عنه ، مع حضوره لديه لاشتغال باله بسواه .

المعنى :

أقسم الله تعالى بالقرآن الحكيم على أن محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — من المرسلين رداً على من قالوا له : لست مرسلًا ، في حال أنه على دين الاسلام ، الذي بعثه الله به ثابتاً عليه في عقده ، وقوله ، وفعله ، وجميع أمره . وأخبر تعالى أن هذا الاسلام الذي جاء به النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — نزله عليه الله القوي الغالب ، الذي لا يغالب ، العديم الشبيه والنظير ، والمنعم الدائم الانعام المستمر الاحسان . ويعلن تعالى أنه كان من المرسلين لينذر الأمة العربية

ويعلمها سوء عاقبة ما هي عليه من الشرك والضلال ، تلك الأمة التي ما أنذر آباؤها فهي مشغلة بما توارثته من آبائها ، من عبادة الأوثان ، وارتكاب الاثم والعدوان ، وأنواع الضلال ، والخسران ، معرضة عن توحيد خالق الأرض والسماوات ، وعن النظر فيما نصب للدلالة عليه من الآيات ، طال عليها أمد الجهالة ، واستولت عليها أسباب الضلالة ، فتمكنت منها الغفلة ، التمكن التام ، فتركت في أوديتها البعيدة المدى ، كالأنعام أو أضل من الأنعام .

اصل المعرفة والسلوك من هذه الآيات الكريمة :

تمهيد :

خلق الله الخلق حنفاء موحّدين ، فأنتهم الشياطين فأضلّتهم عن سواء السبيل ، فمن رحمته تعالى بهم ، أن أرسل اليهم ، رجالا منهم ، لهدايتهم ، وأنزل عليهم كتباً منه ، لدالاتهم . فالله هو المرسل وتلك الكتب هي رسائله ، وأولئك الرجال هم رسله ، والخلق هم المرسل اليهم .

المعرفة :

فلمرسل العلوّ والكمال ، وله الخلق ، والأمر ، ومنه الرحمة ، والعدل ، والاحسان ، والفضل ، وله الربوبية ، والالوهية ، دون شريك ولا مثال .

وفي تلك الوسائل الحق ، والحكمة ، والنور المخرج ، من كل ظلمة والفرقان في كل شبهة ، والفصل في كل خصومة ، بها تفتح البصائر ، وتطهّر الضمائر ، وتعرف طريق الحق ، والهدى من طرائق الباطل والضلال .

ولأولئك الرسل — عليهم الصلاة والسلام — أكمل ما يمكن للانسان من كمال ، وأكمل المعرفة بالمرسل — تعالى — ، وأعظم الخشية له ، وأكمل الرحمة بالخلق ، وأشد الشفقة عليهم ، وأكمل العلم بما جاءوا

به وأعظم التمسك به ، وأكثر الاتباع له ، فلا كمال الا باقتداء بهم ، ولا نجاة الا باتباعهم ، ولا وصول الى الله تعالى الا باقتفاء آثارهم . وللمرسل إليهم عجز المخلوق وضعفه ، أمام خالقه ، وحاجته واقتناره اليه ، وعليه حق عبادته ، وطاعته ، والرجاء لفضله ، والخوف من عقابه ، والفكر في آياته ، ومخلوقاته ، والنهوض للعمل في مرضاته ، واستثمار أنواع نعمائه ، والشكر له على جميع آلائه . فبمعرفة هذه الأربعة حق معرفتها ، ومعرفة مقام كل واحد منها ، وما له فيه — كمال الانسان العلمي الذي هو أصل كماله العملي ، والشروط اللازم فيه .

وقد اشتملت هذه الآيات على هذه الأربعة في حق الأمة المحمدية فالمرسل هو « العزيز الرحيم » والرسالة هي : « القرآن الحكيم » والرسول هو « محمد » — صلى الله عليه وآله وسلم — المخاطب بـ « إِيَّاكَ لَعِينِ الْمُرْسَلِينَ » والمرسل اليهم هم العرب الذين « مَا اتَّخَذُوا آبَاءَهُمْ قَابِلُونَ » .

تمهيد :

لما ضل الخلق عن طريق الحق ، والكمال ، الذي يوصلهم اليه ، الى مرضاته والفوز بما لديه أرسل اليهم الرسل ليعرفوهم بأن ذلك الطريق هو الاسلام ، ويكونوا أدلتهم في السير وقادتهم الى الغاية ، وأنزل عليهم الكتب لينيروا لهم بها الطريق ، ويقودهم على بصيرة ، ويتركوهم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يهلك عليها إلا من ظلم نفسه ، فحاد عن السواء ، أو تخلف عن القافلة فكان من الهالكين . فالقافلة هم الخلق ، والطريق هو الاسلام ، والادلة هم الرسل ، والمصاييح هي الكتب ، والغاية هو الله جل جلاله .

السلوك :

فعلى مريد النجاة من المهالك والفوز بأسنى المطالب ، وأعلى المراتب

— أن ينضم الى القافلة الربانية يتعاون مع أفرادها ويقوم بحق الرفقة فيها ، ويعد نفسه جزءا منها لا سلامة له الا بسلامتها ، فهو يحب لكل واحد منها ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، ويهديه الى ما يهديها اليه من خير ويقيه مما يقيهها منه من سوء . وان يطيع أولئك الأدلة ويقتفي آثارهم ، وينزل بنزولهم ، ويرتحل بارتحالهم ، وأن يرجع في معرفة وجوه السير ، وأصنافه ، وأوقاته ، ومراحله ، ومنازله ، اليهم دون أدنى اعتراض ، ولا مخالفة ، ويقابل ما يتحملونه من مشاق الدلالة ، ومتاعب القيادة ، بغاية ما يستطيع من الأدب معهم ، والتعظيم ، والانقياد لهم ، والمحبة فيهم ، وحسن الثناء عليهم ، وطلب عظيم الجزاء ، من الله لهم تعالى على عظيم إحسانهم . وان يلتزم ذلك الطريق ويسير في سوائه غير مائل الى جنباته ، ولا ذاهب في بنيئاته ^(١) لا مفرطا في السير يسبق الرفقة فينفر بلا دليل ، ولا مفرطا فيه ، فيتخلف عنها بلا معين نمطا وسطا مع الجماعة لا من الغلاة ولا من المقصرين . وأن يستتير بما رفعه أولئك الأدلة من مصابيح الهداية ، وأن يسير تحت أنوارها الساطعة ، مفتوح البصر ، للاستضاءة بها غير مغلق الأجفان عنها ، متعرفا بها أديم الأرض ومواقع قدمه منها . وأن يعرف عظم الغاية التي هو سائر اليها ، فيقصر همه كله في الوصول اليها ، ويحضرها قلبه في كل لحظات سيره ، ليسرع مع الرفقة اليها ، وتخف عليه مشاق الطريق وأتاعبها ، ويعذب لديه كل ألم في الانتهاء اليها .

فبسلوك هذا الطريق القويم ، بدلالة الرسول الكريم ، وأنوار الكتاب المبين ، الى رب العالمين الرحمن الرحيم ، كمال الانسان العملي المبني على الكمال العلمي .

(١) بنيات الطرق جميع بنية تصغير بنت هي ما يخرج من نواحيه من طرق صغيرة تضل السائر عن الغاية وتبعده عن الرفقة في السير .

وقد اشتملت هذه الآيات على ذكر السالكين ، وهم المنذرون وعلى الدليل وهو الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — وعلى الطريق وهو الصراط المستقيم المنزل من الله ، وعلى ما بين الطريق وهو القرآن الحكيم •

الحكمة في هذه الآية :

قال ابن وهب : سمعت مالك رضي الله عنه يقول : « الحكمة : الفقه في دين الله والعمل به » ففي الفقه في دين الله الكمال العلمي ، وفي العمل به الكمال العملي ، وهذه الآيات — على إيجازها — قد اشتملت على أصول ما به كمال الانسان العلمي وكماله العملي اللذان بهما كماله الروحي والبدني ونعيمه الدنيوي ، والأخوي ، وما كماله العلمي ، وكماله العملي الا بالمعرفة الصحيحة والسلوك المستقيم ، وهما اللذان تقدم في الفصل السابق بيانهما وفسر مالك الحكمة بهما اذ الفقه في دين الله هو المعرفة الصحيحة ، والعمل به ، هو السلوك المستقيم ، وهما الحكمة التي وصف به ، في الآية الاولى القرآن العظيم ، لانه كتاب العلم ، والعمل اللذين لا يكون بدونهما حكيم • فكما اشتملت هذه الآيات على أصول الحكمة دلت على أصلها ، ومأخذها ، وما يكون الانسان بعلمه والعمل بما فيه من أهلها ، وهو القرآن الحكيم •

توجيه القسم في الآيات :

أقسم الله بالقرآن الحكيم على أن محمداً من المرسلين ، لينذر الغافلين حال انه على صراط عظيم مستقيم منزل من العزيز الرحيم ، لأن القرآن هو كتاب محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — الذي كان يتخلق به ويهتدي بما فيه وينذر به ويدعو اليه ويبينه للناس بقوله ، وفعله ، وهو برهانه ، وحجته ، وآيته ، ومعجزته •

كما أنه كتاب الاسلام ، الذي هو الصراط المستقيم ، فيه حجته ،

ودلائله ، فيه أحكامه وحكمه ، فيه آدابه وشمائله ، فيه بيان حقيقته ، وما هو منه ونفى ما ليس منه عنه ، فيه بيان تاريخه ، وتاريخ الانسانية معه ، فيه ذكر أوليائه ، وحسن بلائهم في سبيله ، وحسن أثره فيهم ، والعود بالعاقبة المحمودة عليهم ، وذكر أعدائه وجهدهم في مقاومته وسقوط شبههم أمام حجته وذهاب باطلهم أمام حقه ، وشدة أخذه لهم ، على ظلمهم ، ونزول نعمته بهم ، وحلول دائرة السوء عليهم ، فيه الاسلام كله ، فمن طلبه فيه ، وجدته ، ونجا به ، ومن طلبه في غيره (١) ضل ، وكان من الهالكين .

عقائد وادلتها من هذه الآيات :

العقيدة الاولى : محمد رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —
دليلها الاول القرآن الحكيم جاء رجل أُمي ما قرأ ولا كتب ولا دارس العلماء ولا عرف الكتب .

ودليلها الثاني : موافقة دعوته — صلى الله عليه وآله وسلم —
لدعوة المرسلين — صلوات الله عليهم — الى عبادة الله وحده وتصديق ما جاءهم به من عنده دون أن يسألهم على ذلك أجراً وهذا من قوله « لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » فهو من المرسلين . من جهة ارساله لأنه منهم في أقواله وأفعاله ونظير قوله تعالى :

« قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرَّسُلِ » (٢) وقوله : « بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ » (٣) وقوله : « إِنَّا أَوْحَيْنَا

(١) بيان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — للقرآن من القرآن لقوله تعالى : « تبين للناس ما نزل اليهم ، وما أمركم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

(٢) ١/٣٥ الاحقاف .

(٣) ٣٧/٣٧ الصافات .

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» (١) .

ودليها الثالث : هذا الدين الكامل الجامع الذي هدى به النوع الانساني أفراداً وجماعات الى ما فيه سعادته ، فأطلق فكره وسدد نظره وقوم عقائده وهذب أخلاقه ونظم اجتماعه ، ووضع له قواعد الحياة والعمران على العدل والإحسان ووجههم الى خالقهم وما أعد لهم عنده — ان آمنوا وعملوا الصالحات — من النعيم المقيم والرضوان التام .

ودليها الرابع : سلوكه هو في حياته على هذا الصراط المستقيم من يوم عرف الدنيا حتى فارقها ، فكان يمثله على أكمل وجه لا يخل بشيء منه ثابتاً عليه لا يجيد قيد شعرة عنه دون أن تحفظ عنه زلة . ولا تعرف منه في القيام به والدعوة اليه فترة ، ولا تقف أمامه قوة ، ولا ترد له حادثة عزيمة ولا تحمله على هوادة فيه رغبة ولا رهبة ، ولا تبدل حاله رخاء ولا شدة ، فكان في كرم خلقه وتمام زهده وعظيم تأله وتوجهه لربه بعد ما فتح الله له الفتح المبين ودخل الناس أفواجا في الدين كما كان أيام كان وحيدا بين أعظم أعدائه من المشركين ، وما هذا من شأن البشر وطبعهم لولا عصمة وتأيد رب العالمين .

العقيدة الثانية : القرآن كلام الله ووحيه ، ودليها أنه حكيم فما فيه من العلم وأصول العمل . لا يمكن أن يكون الا من عند الله في عقائده ودلائلها وأحكامه وحكمها وآدابه وفوائدها ، الى ما فيه من حقائق كونية كانت مجهولة عند جميع البشر وما عرفت لهم إلا في هذا العصر الأخير ، ومن أشهرها مسألة الزوجية الموجودة في جميع هذا الكون حتى أصغر جزء منه وهو الجوهر الفرد المركب من قوتين موجبة وسالبة ، جاءت هذه المسألة في آيات كثيرة منها

(١) ١٦٢/٤ النساء .

قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (١) . ومنها مسألة حياة النبات التي جاءت في مثل قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا » (٢) . ومنها مسألة تلاقح النباتات بواسطة الرياح التي تنقل مادة التكوين من الذكر الى الأنثى ، جاءت في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ » (٣) فهذه حقائق علمية كونية أجمع علماء العصر أنها من المكتشفات الحديثة ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها ولا كانت عندهم الآلات الموصلة الى معرفتها . وكفى بهذا القل من الكثر دليلاً على أن هذا القرآن ما كان إلا من عند الله الذي خلق الأشياء ويعلم حقائقها .

العقيدة الثالثة : الاسلام دين الله الذي شرعه وارتضاه . ودليلها استفاد من وضعه بأنه صراط مستقيم ، فهو تشريع تام عام لجميع أعمال الانسان ، أعمال قلبه وأعمال لسانه وأعمال جوارحه وجميع معاملاته الخاصة والعامة بين أفراده وأمه ، ولا تخرج كلية من كلياته ولا جزئياته عن هذا الأصل العام المتجلي في جميع الاحكام وهو « الحق والخير والعدل والاحسان » وقد وضع عقلاء الأمم شرائع في بعض نواحي أعمال الانسان ، ولكنها باجماع المشرعين لا تخلو من نقص واعوجاج واضطراب ، فهم ما يفتنون يتبعونها بالتكميل والتقويم والتعديل على مر الأيام ، ولو عرضت كل حكم من أحكامه على الأصل العام الذي ذكرناه لوجدته منطبقاً عليه ظاهراً فيه حتى

(١) ٤٩/٥١ الذاريات .

(٢) ٣٠/٢١ الانبياء .

(٣) ٢٢/١٥ الحجر .

ما خفي وجهه على الأمم الأجنبية عن الاسلام أيام تاريخها ، قد ظهر لها فضله ونفعه أيام تقدمها ، فجاء كبراء عقلائها يعترفون فيها بصواب ما شرعه فيها الاسلام ، ثم هم يعجزون عن تطبيقها على أممهم للعادة الغالبة والوراثة القديمة ، منها مسألة الطلاق وتعدد الزوجات وتحريم الربا تحريما باتا ، فكم من عالم غير مسلم صرح بأن الحق والعدل والخير للانسانية في هذه المسائل هو ما شرعه الاسلام على الوجه الذي شرعه الاسلام .

فهذه الاستقامة التامة العامة المطردة في شرع جاء به رجل أُمي من أمة أمية جاهلية يجزم كل عاقل بأنه ليس من وضع العباد وإنما هو من وضع خالق العباد (١) .



(١) ش : ج ٢ ، م ١٠ ، ص ٤٧ - ٥٧
غرة شوال ١٣٥٢ - جانفي ١٩٣٤

النوحى مصدر الاسلام

جملة هو « تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »^(١) بينت وجه استقامة ذلك الصَّراط الذي هو الاسلام بأنه تنزيل العزيز الرحيم ، وأفادت أن جميع هذا الدين وحى من الله منزل على نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - وهذا لأن مرجع الاسلام في أصوله وفروعه الى القرآن وهو وحى من الله والى السنة النبوية ، وهي وحى أيضا لقوله تعالى : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »^(٢) وكل دليل من أدلة الشريعة فانه يرجع الى هذين الأصلين ولا يقبل الا اذا قبلاه ودلا عليه . وكل شيء ينسب للاسلام ، ولا أصل له فيهما فهو مردود على قائله ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

الاسلام دين العز والرحمة :

ذكر من أسمائه تعالى في هذا الموطن العزيز : « الرحيم » للتنبية على أن هذا الدين الذي تزعمه الرب الموصوف بالعزة والرحمة هو دين عزة ورحمة .

ومن مقتضى العزة : القوة والمنعة والرفعة ، ومن مقتضى الرحمة : الفضل ، والخير ، والمصلحة . وهذه كلها متجلية في أحكام الاسلام . والعدل والاحسان اللذان أمر الله بهما وأنبئت أحكام الاسلام عليهما

(١) ٥/٣٦ يس

(٢) ٤/٥٣ - ٥ النجم .

لا يكونان إلا عن العزة والرحمة فالدليل لا ينهض بالحكم ولا يقيم
ميزان العدل والقاسي لا يكون منه إحسان .

اهتداء واقتداء :

فالمسلم المتحقق بالإسلام المهتدي بهدائته لا يكون إلا عزيزاً
رحيماً ، فالذلة من المسلم نقص إسلامه والقساوة مثلها نقص فيه ، وقد
ذكر الله تعالى سادات المسلمين في عزتهم فقال :

« وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ » (١) .
وذكرهم في رحمتهم فقال :

« وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٢)
ونعم القدوة هم لجميع المسلمين .

الندارة ثمرة الرسالة :

كان من المرسلين لينذر الغافلين ، فالأول كمال والثاني تكميل ،
وقد فطر الله رسلك - صلى الله عليهم وسلم - على الرحمة وحب
الخير ، فكانوا أحرص الناس على نجاته الناس وكمالهم وسعادتهم ،
فصبروا على تكذيبهم واذابتهم حتى أدشوا أمانة الله إليهم ، وأقاموا
حجته عليهم . وكان الله ينجيهم ومن آمن بهم وينزل عقوبته بالمكذبين
لهم وينصرهم عليهم ، فأعلم محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه
من المرسلين لينذر - ليأتسى بهم ويصبرهم ويرجو من نصر الله له
واهلك أعدائه ما كان منه تعالى لهم .

(١) ٣٩/٤٢ الشورى .

(٢) ٩/٥٩ الحشر .

اقتداء :

العلماء ورثة الانبياء وما ورث الانبياء دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم . والعلم مستمد من الرسالة فعلى أهله واجب التبليغ والندارة ، والصبر على ما في طريق ذلك من الأذى والبلايا ، والعطف على الخلق والرحمة وقد قال الله تعالى :

« فَلَؤَلَّا نَفَرَمِنْ كَثَلٍ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » (١) .

التدرج في الانذار :

أرسل الله محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - للعالمين بشيراً ونذيراً ، ودرجه في الندارة على مقتضى الحكمة من القريب الى البعيد ، فأمره بانذار عشيرته بقوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » (٢) فصعد الصفا فنادى بطون قريش حتى نادى العباس عمه وصفيّة عمته وفاطمة ابنته ، وقال لهم : اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئاً وأمر بانذار من حول مكة من العرب بقوله تعالى : « لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا » (٣) على الوجه الأقرب في معنى « وَمَنْ حَوْلَهَا » المؤيد بصدر الكلام وهو قوله : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » (٤) ومثلها في

(١) ١٢٣/٩ التوبة .

(٢) ٢١٤/٢٦ الشعراء .

(٣) ٩٢/٦ الانعام و ٧/٤٢ الشورى .

(٤) ٧/٤٢ الشورى .

إنذار العرب ما في هذه الآية وهو قوله: « لِسْتَنْذِرِ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ
أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ » (١) ، فكان يعرض نفسه على قبائل
العرب في المواسم . وأمره بتعميم الإنذار بمثل قوله تعالى :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (٢)
فأرسل رسله الى الأمم تحمل كتبه الى ملوكها بالدعوة الى الاسلام ،
وكان ذلك هو الإنذار العام .

اندفاع إشكال :

قد كان النبي يرسل الى قومه خاصة وأرسل نبينا - صلى الله
عليه وآله وسلم - الى الناس عامة بمثل قوله : « لانذركم به ومن بلغ »
أي بالقرآن كل من بلغه القرآن ولا يشكل على ذلك مثل ما تقدم
من الآيات في انذار عشيرته الأقربين وقومه العرب ، لأنه ابتداء بهما
لحكمة التدرج وحق القريب لا للتخصيص ، بدليل ما جاء من آيات
التعميم .

اقتداء :

هكذا على المرء أن يبدأ في الإرشاد والهداية بأقرب الناس إليه ،
ثم من بعدهم على التدرج ، وعندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله
وأقرب الناس اليه لا نلث أن نرى الخير قد انتشر في الجميع ، فمن
الأسر تتركب الأمة ، فعندما يعنى كل واحد بأسرته ترتقي الأمة
كلها بارتقاء أسرها كارتقاء أي كل بارتقاء أجزائه ، فيكون المعنى
بأسرته في الوقت نفسه معنيا بأمته . وعندما يقصد بخدمة أسرته

(١) ٦/٣٦ يس .

(٢) ١٥٧/٧ الاعراف .

خدمة أمته يثاب ثواب خادم الجميع أسرته بالفعل وأمته بالقصد أو أسرته مباشرة وأمته بواسطة وكل هذا مما يثاب المرء شرعا عليه .

استطراد واستنباط :

لما كان العرب لم يأتهم نذير قبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بنص (١) هذه الآية وغيرها فهم في فترتهم ناجون لقوله تعالى : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا » (٢) و « أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ » (٣) وغيرهما ، وكلها آيات قواطع في نجاة أهل الفترة ، ولا يستثنى من ذلك إلا من جاء فيهم نص ثابت خاص كعمر بن لحي أول من سب السوائب وبدل في شريعة ابراهيم وغير وحل للعرب وحرّم قابوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ناجيان بعموم هذه الأدلة ، ولا يعارض تلك القواطع حديث مسلم عن أنس - رضي الله عنهما - : « أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : فِي النَّارِ . فَلَمَّا قَفَا الرَّجُلُ دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ » لأنه خبر آحاد فلا يعارض القواطع وهو قابل للتأويل ، يحمل الأب على العم مجازاً يحسنه المشاكلة اللفظية ومناسبته لجبر خاطر الرجل وذلك من رحمته - صلى الله عليه وآله وسلم - وكرمه أخلاقه .

سبب الغفلة ودواؤها :

أفادت الفاء في قوله تعالى : « فَهَمْ غَافِلُونَ » أن غفلتهم

(١) في الاصل بص .

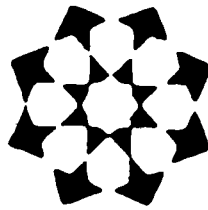
(٢) ١٥/١٧ الاسراء .

(٣) ٢١/٥ المائدة .

تسببت عن عدم انذارهم ، فكل أمة انقطع عنها الإنذار وترك فيها التذكير واقعة في الغفلة لا محالة • ولما كان ترك الانذار والتذكير موقعا في الغفلة فالانذار والتذكير يزيلانها ، فقد عرفتنا الآية الكريمة بسبب الغفلة وب علاجها لنحذر سببها ونعالج أنفسنا وغيرنا بعلاجها •

تطبيق :

كان الناس منذ زمن قريب لا يسمعون ولا يسمع منهم لفظ الاهتداء بهداية القرآن العظيم والاقْتداء بهدى الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - والسير بسيرة السلف الصالح في النهوض بأبناء الدنيا والدين وهم - إلا قليلا - عن هذا غافلون ، أما اليوم بعد أن نهض العلماء المصلحون بواجبهم ونشروا دعوة الحق في قومهم فقد أصبح ذلك معروفا عند أكثر الناس محن (١) وعناية طلاب العلم ومناط رغبتهم وفي تناول الناس بجميع طبقاتهم وانا لندرجو من فضل الله المزيد ، ونشاهد ذلك - والحمد لله - كل يوم يزيد فالحمد لله على ما علمهم وألهم وبصّر ويسّر • نسأله دوام التوفيق والتسديد رب العالمين (٢) •



(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ٣ ، م ١٠ ، ص ٩٥ - ٩٩ .
غرة ذي القعدة ١٣٥٢ هـ - ٥ فيفري ١٩٣٤ م .

لا يؤمن من سبق في علم الله عدم ايمانه

«لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ...» (١)

المناسبة :

علم الله أن نبيه — صلى الله عليه وآله وسلم — يقوم بالندارة لقومه ويبدل غاية جهده في تسيبهم من الغفلة ، وانقاذهم من الهلكة ، وعلم أنهم لا يؤمن به إلا أقلهم ، وعلم أن ذلك يكون من أعظم ما يؤلم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لشدة حرصه على ايمانهم ، وعظيم شفقتهم عليهم . ولعدم ظهوره ثمرة ما بذله من جهد في هدايتهم فأراد — تعالى — أن يقوي قلب نبيه — صلى الله عليه وآله وسلم — على تحمل ذلك باعلامه به من أول الأمر ، إذ ليس المؤلم المتوقع كالمؤلم الذي يصد من مفاجأة وأعظم منه الذي يصد مع توقع ضده ، كما هنا ، فإن المتوقع منهم بعد الانذار البالغ بالبرهان الساطع هو ايمان أكثرهم لا كفره .

المفردات :

حق : وجب وثبت . القول : قول الله فيهم بما سبق في علمه ، فهم لا يؤمنون . فهم : أي أكثرهم .

التراكيب :

نفي الايمان عنهم نفياً مؤكداً بالاخبار عن ضميرهم بجملة لا يؤمنون .

(١) ٧/٣٦ - ١١ يس .

وقرنت الجملة بالفاء السببية لتنفيذ أن من سبق في علم الله عدم ايمانه لا يرجى ايمانه بحال ، فارتباط الثاني بالأول ارتباط لا انفكاك له .

المعنى :

لقد وجب وثبت ما سبق في علم الله في أكثرهم وما كان من قوله بعدم ايمانهم فلا يرجى من ذلك الأكثر الذي سبق في علم الله عدم ايمانه ايمان .

سؤال :

ما مات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى عم الاسلام جزيرة العرب ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولا شك ان الذين ماتوا على الكفر هم الأقل بالنسبة لمن آمنوا فما معنى قوله تعالى : « حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ » ؟

جوابه :

الذين قام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بانذارهم وأقام بين ظهرانيهم مكررا للندارة عليهم صباح مساء مدة ثلاث عشرة سنة هم أهل مكة . فهم الذين تتعين ارادتهم من الضمير في قوله تعالى : « أَكْثَرَهُمْ » ولا شك أن اكثر من انذارهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من أهل مكة ماتوا على الكفر .

سؤال على هذا الجواب :

هذا يقتضي أن المراد بلفظه « قوماً » المتقدمة أهل مكة ، مع ان المضمرين فسروها بالعرب .

جوابه :

نسلم هذا ويكون تفسير « قوماً » بالعرب نظراً لمماثلتهم لاهل

مكة في وجوب انذارهم باعتبار مشاركتهم لهم في الوصف وهو غفلتهم لعدم انذار آبائهم •

لا حجة لمن مات على كفره بما سبق من علم الله :

قامت حجة الله على خلقه بما ركب فيهم من عقل ، وما مكنهم من اختيار ، وما نصب لهم من آيات مشاهدات وما أرسل اليهم من رسل بآيات بينات، وهذه كلها أمور معلومة لديهم ضرورة عندهم لا يستطيعون أن ينكروا شيئاً منها ، فلا يمكنهم أن يجحدوا ما عندهم من عقل ومن اختيار ، ولا أن ينفوا ما يشاهدونه من الآيات في المخلوقات ، ولا أن ينكروا مجيء الرسل اليهم وما تلوا عليهم من آيات ، وبهذه الاشياء قامت حجة الله عليهم وكان جزاؤهم على ما اختاروه بعدها لانفسهم • فأما ما سبق من علم الله فيهم فهو أمر مغيب عنهم غير مؤثر فيهم — لان العلم ليس من صفات التأثير — ولا دافع لهم • فليس لهم أن يحتجوا به لانفسهم لأنهم لم يعملوا لأجله ، كيف وهو مغيب عنهم • وانما عملوا باختيارهم الذي يجدونه بالضرورة من أنفسهم •

توجيه للترتيب :

تقوم حجة الله على العبد أولاً ويعمل هو — كاسباً ومكتسباً — باختياره ثانياً ، ويظهر لنا ما سبق من علم الله فيه بعد أن اختار ما اختار ثالثاً • ولهذا قدمت النذارة وما يرتبط بها على هذه الآية التي فيها بيان ما سبق من علم الله فيهم •

تقريب :

قد يكون لرجل ولدان هو عالم بنفسيتهما وأخلاقهما وسيرتهما ثم يأمرهما بأمر فيه الخير لهما وهو يعلم — بما علم من أحدهما — انه يمثل ويعلم — بما علم من الآخر — انه يخالف • ويقول لأهل

بيته ان فلانا سيمثل ، وان فلانا سيخالف • ويظهر ما قاله وما علمه في كل واحد منهما فجازى الممثل على طاعته وجازى المخالف على عصيانه • فلا شك ان هذا الرجل قد أحسن الى ولديه بما أمرهما به من خير وفعل ما تقتضيه أبوته من النصح والارشاد ، ولا يقدح في ذلك علمه بما سيكون منهما • كما أن هذين الولدين قد نال كل واحد منهما ما يستحق دون أن يكون للمخالف منهما حجة على مخالفته بما كان يعلمه منه أبوه •

لله المثل الأعلى فقد أحاط بكل شيء علما فعلم من سيطيعه ومن سيعصي ، ولكنه الحكم العدل فلم يكن ليجازيهم على سابق علمه فيهم ، الذي لا دخل لهم فيه ، بل جعل جزاءهم بعد اقامة الحجة عليهم بما يكون من اختيارهم ليكون جزاؤهم على ما عملوا وما قدمت أيديهم وما لهم دخل فيه بالكسب والاكتساب •

تعليم :

أرأيت كيف أن الله تعالى لم يجاز الخلق على مقتضى علمه فيهم ، وهو العلم الذي لا يتخلف ، وانما جعل جزاءهم على أعمالهم • فهذا تعليم لنا كيف تكون معاملتنا بعضنا لبعض فلا نجازي على مجرد الظن بل ولا على مجرد اليقين وانما تكون المجازاة بعد صدور الأعمال • فرب شخص قدرت فيه الخير أو الشر ففعل ضد ما قدرت ، فلو جازيته قبل الفعل لما طابق جزاؤك موضعه ولنال كل ما لا يستحقه ، فالحكمة والعدل والمصلحة في ربط المجازاة بالأعمال ، وهذا ما كان من الله في مجازاة خلقه وهذا ما ينبغي ان نربط به المجازاة بيننا •

تمثيل حال المعرضين عن الحق المعاندين فيه :

« إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ

لا يؤمن من سبق

فَهُمْ مَقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ « (١) .

المناسبة :

لما ذكر عدم إيمانهم وكان مبدأ ذلك بإعراضهم عن الحق واختيارهم الكفر على الايمان ذكر ما عاقبهم الله به من منعهم عن الخير ودوام الاعراض عنه .

المفردات :

الغل : ما يجعل في العنق محيطا به . الذقن : مجمع اللحين ، ملتقى عظيها تحت الفم . مقمحون : رافعون رؤوسهم . يقال : قمح البعير قموحا اذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع عن الشرب . ويقال : اقمحه الغل : اذا ترك رأسه مرفوعا لضيقه . السد : الحاجز بين الشيئين . فأغشيناهم : جعلنا عليهم غشاء أي غطاء أحاط بجميع الذات فمنع العيون من الأبصار .

التراكيب :

فهي الى الأذقان أي الاغلال منتهية من أسفل الأعناق الى الأذقان . وهذا كناية عن عرضها ولذا فرع عليه فهم مقمحون . فرع عدم أبصارهم على جعل سد أمامهم وسد خلفهم لالتزاق السدين بهم وضغطهما عليهم ، فكما لا يستطيعون معها تحركا لا يستطيعون أبصارا ، وكيف يبصرون وجهه ملتزق بالحائط مثلا .

المعنى :

إنا جعلنا في أعناق هؤلاء الذين لا يؤمنون أغلالا ضيقة عريضة

(١) ٣٦ / ٨ و ٩ يس .

تركهم رافعين رؤوسهم عن مناهل الايمان لا يستطيعون أن يطأطئوا رؤوسهم اليها فيرتووا • وجعلنا أمامهم حجابا وخلفهم حجابا محيطين وملتزقين بهم ومغطين لجميع ذواتهم فلا يستطيعون معهما تحركا ولا أبصارا •

توجيه التمثيل :

دعوا الى الايمان والتوحيد ومكارم الاخلاق وهذه أمور مدرك حسنها بالفطرة السليمة ، فهي كالماء الذي تقبل عليه الحيوانات بفطرتها ، فلما أعرضوا عنها شبهوا بالابل الممحة عن الماء • ثم ان هذه الأمور كما يدرك حسنها بالفطرة السليمة تدرك باستعمال النظر فيما بين يدي الانسان من الآيات التي يراها ويشاهدها وما خلفه من أيام الله في الأمم التي بلغت أخبارها وأنباؤها ، فلما أعرضوا عما يرون وما قد سمعوا شبهوا بمن جعل بين سدين ملتزقين ومحيطين به فجمد في مكانه فلا هو يتحرك الى ناحية ولا هو يبصر شيئا •

ترهيب :

كل ما دعا اليه الاسلام من عقائد وأخلاق وأعمال فهو مما تقبله الفطر السليمة وتدركه العقول بالنظر الصحيح ، فمن قابل دعوة الاسلام بالاعراض والعناد وخالف فطرته وعاكس عقله كان حقيقا بهذا العقاب الشديد من طمس البصيرة والطبع على القلب ، فذكر الله لنا هذه العقوبة بهذا التمثيل البليغ الذي صورها في أبشع وأفظع صورة • ليحذرنا من الاعراض عن الحق والعناد له ويخوفنا بعاقبة ذلك على أهله •

تعليم :

لكل انسان فطرته وعقله فعلينا إذا دعينا الى شيء أن نعرضه عليها

راجعين الى الفطرة الانسانية والى العقل البشري منزهين عن الاغراض والاهواء والأوهام والشبهات . فاذا كان هلاك هؤلاء بعدم الاستفادة منهما فان النجاة عند ما تعرض الامور بالرجوع اليهما ، وتجد القرآن العظيم يخاطب العقل والفطرة ليعلمنا الرجوع اليهما والاستفادة منهما .

من استوى عنده الانذار وعدم الانذار لا يرجى منه ايمان :

« وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (١) .

المناسبة :

لما ذكر — تعالى — عدم ايمانهم لما سبق من علم الله فيهم ذكر هنا سببا آخر لذلك ، وهو استواء الانذار وعدمه لديهم .

الترتيب :

ذكر هذا السبب أثر ما تقدم من وصف حالهم في شدة الاعراض للتبسيه على أن من فسدت فطرته وانطمس عقله يسوي عنده الانذار وعدمه فلا يكون منه ايمان على كل حال .

المفردات والتراكيب :

سواء : بمعنى مستو . والهمزة الأولى أصلها للاستفهام ، وليس مرادا هنا ، وتسمى في مثل هذا التركيب همزة التسوية لوقوعها بعد لفظها ودخولها على الأول من أمرين يراد التسوية ما بينهما . وهي حينئذ من أدوات السبك ، ولذا يكون تأويل الكلام هكذا : سواء عليهم انذارك وعدم انذارك .

(١) ١٠/٣٦ يس .

المعنى :

ان أكثر أهل مكة الذين حكم الله بعدم ايمانهم بلغوا من شدة الاعراض والعناد الى حيث استوى عندهم الضدان الانذار وعدم الانذار ، فمحقق منهم عدم الايمان ومأيوس من صدوره من ناحيتهم •

تحذير :

يذكر الله تعالى حالة هؤلاء الذين استوى عندهم الشيء وضده ، يحذرننا منها ومما يؤدي اليها من اهمال الفطرة وترك النظر ، فان الانسان انما يمتاز على بقية الحيوان بتمييزه بين الحقائق بالفطرة والفكرة ، وادراكه الفوارق ما بينها • فاذا سلب هذه المزية التحق بالعجاوات بل كانت العجاوات خيرا منه لبقاء فطرتها سليمة لادراك ما فيها استعداد لادراكه •

تحذير الانذار للمتنعفين وتبشيرهم :

« إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ » (١)

المناسبة :

لما ذكر تعالى المأيوس من انتفاعهم بانذار النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ذكر الذين ينتفعون به تأنيسا له بهم وتقوية له بظهور ثمرة انذاره فيهم •

المفردات والتراكيب :

الذكر : القرآن ، وهو من أسمائه التي تكررت في التنزيل ،

(١) ١١/٣٦ يس •

لا يؤمن من سبق

وأل فيه للعهد • الغيب : الخطوة عندما يغيب الانسان عن عيون البشر ، التبشير الاخبار بما يسر ، المغفرة ستره الذنب بالتجاوز عنه وعدم المؤاخذة به • الأجر : الجزاء على العمل • الكريم : الطيب الشريف في نفسه النافع في أثره الذي لا يشوب ذاته نقص ، ولا منفعة ضرر ، وأفاد المضارع في تنذر تحديد الانذار للمتبعين ، وذكر اسم الرحمن ليفيد التركيب أنهم يخشونه مع العلم برحمته ، وذلك يقتضي جمعهم بين الخوف والرجاء •

الترتيب :

ذكر المنتفعين بعد المأيوس من انتفاعهم ترقياً من الأدنى الى الأعلى ، ولأنهم كالزبدة التي يحصل عليها بعد طرح غيرها ، ولإراحة القلب من أولئك لتتوجه العناية التامة الى هؤلاء ، وذكرت الخشية بعد الاتباع لانها لا تحصل إلا به • وجيء بعد بالتبشير مقرونا بالفاء لأنه إنَّما يكون لأهل الاتباع والخشية بسبب اتباعهم وخشيتهم • وذكر الأجر بعد المغفرة لان التخلية بعد التخليه والتزين بعد ازالة الادران •

المعنى :

انما يتجدد انذارك وينتفع به الذين آمنوا وهم الذين اتبعوا القرآن وخافوا الله في خلواتهم لصدق ايمانهم خاشين تقمته راجين رحمته ، وهؤلاء كما تنذرهم وينتفعون بانذارك بشرهم على اتباعهم للقرآن وخشيتهم بالغيب للرحمن بمغفرة ذنوبهم وجزاء شريف رفيع طيب نافع لا نقص فيه ولا تنغيص — على أعمالهم •

دفع اشكال :

أمر النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بالانذار العام ، ثم كان ممن أنذرهم قوم مأيوس منهم ، وهؤلاء هم المراد بقوله تعالى :

« لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ » الآيات ، وهم الذين جاء فيهم قوله تعالى :
« فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ... » الآية (١) .
اذ لا فائدة من انذارهم ، وكان قوم آخرون آمنوا وهؤلاء هم المرادون
بقوله : « إِنَّمَا تُنذِرُ » الآية . فلا منافاة بين قوله تعالى :
« لِنُنذِرَ رَقُومًا » الذي يقتضي التعميم وقوله : « إِنَّمَا تُنذِرُ »
الذي يقتضي التخصيص ، لأن الأول في مقام الانذار العام ، والثاني
في مقام تجديد الانذار والانتفاع به . واما الاعراض فلا يكون الا
عن المأيوس منه من الكافرين .

ارشاد :

طريق السلوك الشرعي انما هي اتباع القرآن وأكمل أحوال العبد
أن يخشى الله ويرجو رحمته ، وأهل الاتباع والخشية لا يستغنون عن
تجديد الانذار وذلك بدوام التذكير المشروع في الاسلام . وتذكير
المؤمنين بانذارهم وتبشيرهم فلا يؤمنون من عذاب الله ولا يقنطون
من رحمته .

صفة المؤمن من هذه الآيات :

المؤمن الكامل هو من سلمت فطرته ، وصح ادراكه ، واتبع
القرآن في عقده وخلقه وعمله ، واستوت خلوته وجلوته وسره وعلنه ،
وعبد الله راجيا رحمته خائفا عذابه ، يخوفه الانذار ، وترجيه البشري
بالمغفرة والاجر الكريم .
ثبتنا الله والمسلمين على الايمان مع هذه الصفات الى الممات
آمين يا رب العالمين (٢) .

(١) ٢٩/٥٣ النجم .

(٢) ش : ج ٥ ، م ١٠ ، ص ١٨٦ - ١٩٦
غرة محرم ١٣٥٣ هـ - افريل ١٩٣٤ م .

الحياة بعد الموت

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى » (١)

المناسبة :

اشتملت الآيات المتقدمة على ذكر الرسول وصفته ، ورسالته التي جاء بها - وهي القرآن - ووصفها ، والمرسل وهو العزيز الرحيم ، والمرسل إليهم وتعميمهم بالندارة وانقسامهم الى معرضين معاندين ومقبلين متبعين . فجاءت هذه الآية مشتملة على ما تكون فيه نتيجة ذلك وثمرته وهو يوم القيامة . ووجه آخر وهو أن أمهات أصول العقائد ثلاثة : الايمان بالله والايمان برسول الله والايمان باليوم الآخر . وقد انتظمت الآيات المتقدمة تقرير الأصل الثاني بالقسم عليه على ما تقدم من البيان ، وانتظمت الأصل الأول ضمنا بذكر العزيز الرحيم فجاءت هذه الآية لتقرير الأصل الثالث .

سؤال :

كيف لم يذكر الأصل الأول - وهو الأصل الاول - الا بما ذكر به من الذكر الضمني .

الجواب :

ذلك لأمرين : الأول أن هذه الأصول الثلاثة تذكر في أكثر السور ، غير أن بعض السور تخصص بالحديث على بعض الاصول

(١) ١٢/٣٦ يس .

أكثر من غيره ولا يذكر فيها غيره الا ضمنا كما هنا • الثاني أن تقرير الأصل الثاني هو تقرير للأصل الأول إذ جميع دلائل النبوة دلائل على وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته •

المفردات :

الاحياء : ايجاد الحياة في الجسم ولا يكون الا من الله • والميت : الجسم الذي يقبل الحياة ولا حياة فيه سواء كانت فيه وزالت أم لم تكن فيه بعد كالجنين قبل نفخ الروح فيه •

التراكيب :

أكدت الجملة (بأن) لان الخطاب مع منكري البعث والنشور. وأكد اسم ان نحن ليفيد الاختصاص ، فهو المحيي دون غيره — وعبر بنحوي فعلا مضارعا ليفيد تجديد الاحياء واستمراره فيشمل احياءه للأجنة في الدنيا وحياءه الاحياء الثاني في الأخرى ، وكثيرا ما جاء في القرآن الاستدلال على الاحياء الثاني بالاحياء الأول ، فتكون كلمة (نحوي) قد اشتملت على العقيدة وهي الاحياء الثاني ودليلها وهو الاحياء الأول •

المعنى :

يعرف الله — تعالى — عباده بانه هو الذي يحيي الموتى دون غيره، ويذكرهم بما يشاهدونه من ذلك فيهم وهم أجنة في بطون أمهاتهم ، فيؤمنون بأنه يحييهم كذلك بعد موتهم فيستعدون من حياتهم الأولى لحياتهم الثانية •

احصاء الاعمال المباشرة وغير المباشرة :

« وَنَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ »

المناسبة :

لما أعلم الخلق بأنهم يحيون بعد الموت أعلمهم بأن أعمالهم المباشرة

الحياة بعد الموت

وغير المباشرة مكتوبة عليهم لأن حياتهم بعد الموت لنيل جزاء ما كتب عليهم من أعمالهم •

المفردات :

قدم الشيء : جملة قدامه ، واعمال المرء التي يباشرها قدمها قبله في طريقه الى الآخرة فهي محفوظة حتى يلحقها • والأثر : ما يحصل من العمل كالذي يحصل على - وجه التراب من وضع الاقدام - ويبقى بعد رفعها • فأثار الانسان ما يحصل من أعماله التي باشرها •

التراكيب :

عبر بنكتب مضارعا ليفيد التجدد والاستمرار ، فما من عمل أو أثر يتجدد الا ويكتب • وأسند الكتابة اليه ، والكاتبون الملائكة لأنهم بأمره يكتبون •

المعنى :

يعلم الله - تعالى - عباده بانه يكتب كل أعمالهم التي يعملونها وياشرونها بأنفسهم ويكتب كذلك ما يعمله غيرهم اذا كان متسببا عن أعمالهم وأثرها لها •

تنظير :

مثل هذه الآية في الدلالة على ان العبد مؤاخذ بما عمل مباشرة وما عمله غيره وكان من آثار عمله ، قوله تعالى :

« يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْتَرَ » (١) •

فالذي أخره هو أثره المذكور في هذه الآية •

(١) ١٣/٧٥ القيامة .

تأييد وبيان :

في صحيح مسلم من طريق جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - قال : جاء ناس من الاعراب الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة فأبطئوا عنه حتى روي ذلك في وجهه ، قال : ثم ان رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ، ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل اجر من عمل بها ولا ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء » .

وفيه من طريق ابي هريرة - رضي الله عنه - : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلاله كان عليه من الاتم مثل آثار من تبعه لا ينقص ذلك من آتامهم شيئا .

فتأيد بهذين الحديثين فهم المعنى المتقدم من الآية ، وهو أن العبد له وعليه من آثار أعماله مما لم يباشره بنفسه مثل ماله وعليه من أعماله التي باشرها .

وبين الحديث الأول ان ما تسبب عن عمل المرء يعد أثرا لعمله عندما يعمل به في حياته مثلما يعمل به بعد مماته . اذ الذي جاء بالصرة أولا قد تسبب عن مجيئه مجيء من بعده على أثره ، والحديث سيق في شأنهم ، فتكون حالتهم أول ما يشمل كما بين الحديث الثاني ان أثر القول كأثر الفعل ، اذ الكل عمل . وبين الحديثان ان نيل المرء جزاء عمله الذي لم يباشره ولا ينقص من جزاء العامل المباشر شيئا .

تنبيه :

من صورة الواقعة التي ورد فيها الحديث الأول علمنا ان المراد به :

الحياة بعد الموت

من سن سنة حسنة أو سيئة هو من ابتدأ طريقا من الخير في اعمال البر والاحسان وما ينتفع به الناس من شؤون الحياة • ولا يشمل ذلك ما يحدثه المحدثون من البدع في العبادات من الزيادات والاختراعات اذ الزيادة على ما وضعه الشرع من العبادات وحدده افتئات عليه واستتقاص له ، وهذه هي البدعة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « كل بدعة ضلالة » « وكل ضلالة في النار » •

تحذير :

على العاقل وقد علم انه محاسب عن أفعاله وعلى آثار أقواله أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولاً حتى ينظر في عواقبه، فقد تكون تلك العواقب أضر عليه من أصل القول وأصل الفعل ، فقد يقول القول مرة ويفعل الفعل مرة، ثم يقتدي به فيه آلاف عديدة في أزمنة متطاولة • حقا ان هذا لشيء تنخلع منه القلوب وترتعد منه الفرائض وصدق القائل من السلف — رضي الله عنهم — : السعيد من ماتت معه سيئاته •

الاحصاء العام في الكتاب الامام :

« وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ »

المناسبة :

لما أعلم العباد بأنه يكتب لهم وعليهم أعمالهم أعلمهم بأنه تعالى قد كتب كل الأشياء لا خصوص أعمالهم تعميما بعد تخصيص •

المفردات :

الاحصاء : تحصيل الشيء بالعد وضبطه والاحاطة به • الامام : ما يؤتم ويقتدى به • والكتاب : امام لانه يتبع فيؤخذ بما فيه ويعتمد عليه • والمبين : المظهر لما فيه فكل ما فيه ظاهر فيه •

التراكيب :

أصل الكلام : أحصينا كل شيء أحصيناه ، فحذف أحصينا الأول
لدلالة الثاني ، فكان هذا أقوى في ثبوت الاحصاء ووقوعه على
كل شيء .

المعنى :

يعلم الله عباده بأنه حصل كل شيء من ذوات وأقوال وأفعال
وجميع ما كان في العالم وما يكون، وأثبتته فردا فردا في كتاب أمام معتمد
مظهر للأشياء التي فيه فهي ثابتة ظاهرة جلية .

اعتبار :

قد أحاط الله بكل شيء علما فهو غني بعلمه عن هذه الكتابة ،
ولكنه جعل هذا الكتاب اظهارا لعظمة ملكه ويعلم عباده الضبط
والاحصاء في جميع أمورهم وليبالغوا في محاسبة أنفسهم وليعلموا
ان ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم . فيزول
من قلوبهم الخوف من الحوادث والمخلوقات وتعظم ثقتهم بالله وفي ذلك
أعظم قوة في هذه الحياة واكبر راحة للقلب من صروفها .

نسأل الله أن يقوي قلوبنا بالايمن ، وأن يريحنا باليقين ، وان
يعيدنا من الخوف إلا منه ، ومن الخضوع إلا له . آمين يا رب
العالمين (١) .

(١) ش : ج ٦ ، م ١٠ ، ص ٢٤٤ - ٢٥٠

غرة صفر ١٣٥٣ هـ - ماي ١٩٣٤ م

الفرار الى الله

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، فَفَرِّشُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » (١) .

تمهيد :

المقصود الأساسي من الآيات هو تحذير الخلق من الهلاك وترغيبهم في النجاة ولا سبيل الى ذلك الا بالفرار الى الله . فمهد لذلك بالآيات الثلاث الأولى للترغيب فيه ، وختم بالخامسة لبيان الفرار الصحيح المنجي عند الله .

الآية الأولى

الألفاظ والتراكيب :

السماء : هي الجرم الأعظم الذي أحاط بالأجرام السابحة في الفضاء كلها وعلا عليها . بنيناها : ضمنا أجزاءها بعضها الى بعض بغاية الدقة والإحكام فكانت كالقبة فوق الجميع . بأيدٍ : بقوة . لموسعون : لمقتدرون ومطيعون ، على احتمال أن يكون من الوسع ، بمعنى القدرة

(١) ٤٧/٥١ - ٥٥ الذاريات .

والطاقة • أو لموسعون ومبعدون بين أرجائها على احتمال أن يكون من السعة • وقدمت السماء لأنها المشاهد المحسوس الذي تقوم به الحجة • وليقع البناء عليها مرتين على لفظها وعلى ضميرها لأن الأصل : وبنينا السماء بنيناها • لتحقيق أنها مبنية وأن بناءها لم يكن إلا من الله القادر الحكيم • ولذلك علق بالفعل قوله بأيدي • والجملة الحالية تدل على ان الاتساع ثابت له عند البناء فذلك البناء العظيم لم ينقص من قدرته أو لم يمنع من توسيعه •

المعنى :

ان هذه القبة التي أحاطت بكم من جميع الأرجاء نحن بنيناها بقدرتنا ذلك البناء المحكم المتقن ، بنيناها ونحن على قوتنا وقدرتنا تقدر على بناء أعظم منها لو شئنا ، أو ، ونحن على قدرتنا وطاقتنا في افاضة الخيرات والبركات منها عليكم • — هذا على انه من الوسع — أو بنيناها وقد وسعنا أديمها حتى أحاطت بهذه الأجرام السابحة التي منها ما لا يكون معه جرم الكرة الأرضية الا كحمصة فوق مائدة كبيرة • — هذا على انه من السعة — •

تحقيق آية كونية من الآيات القرآنية :

السماء في اللغة هي كل ما علاك • فكل ما علا الأرض من سحب وطبقات هواء وكواكب تسبح في الفضاء ، وما وراء ذلك من القببة المحيطة الكبرى هو للأرض سماء ، وكل هذه متقنة الصنع محكمة الوضع متلاحمة الأجزاء ، مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً مقدرًا بالمسافات المدققة التي لا يكون معها تصادم ولا ارتخاء • ووضعها على هذه الصورة المنظمة المحكمة هو البناء وعليها كلها ينبغي ان يحمل لفظ السماء في الآية المتقدمة •

وقد جاء لفظ السماء في القرآن مراداً به القبة المحيطة في مثل :

« وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ » (١)
 « إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ » (٢) وجاء
 مرادا به السحاب في مثل : « وَالتَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 بِقَدَرٍ » (٣) فان المطر ينزل من السحاب لقوله تعالى :
 « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ » (٤) .
 وجاء مراداً به طبقات الجو في مثل : « وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
 جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ » (٤) والبرد يتكوّر في طبقات الجو .
 والمتتبع لمواقع لفظة السماء من الكتاب العزيز يتحقق هذا .

الآية الثانية

الألفاظ والتراكيب :

الأرض : هي هذه الكرة التي تعيش عليها . فرشناها : بسطناها بزینتها
 ومنافعها • الماهدون : من مهد الشيء وضعه وسواه وهياه للنوم والجلوس
 والراحة • ويجري في تقديم الأرض ما تقدم في تقديم السماء • ومن يسير
 على هذا البساط المفروش ويطلع على ما هي فيه من أسباب الحياة لكل
 مافيه من حيوان لا يتمالك أن ينطق بالمدح والثناء على من هيأه هذه التهيئة
 ومهد هذا التمهيد، ولذا قرنت الجملة الأخيرة بالقاء فقول : فنعم الماهدون،
 ولا يغني فرش الأرض عن مهدها لأن المهد يتضمن ما حصل فيها من
 مرافق ومواد وأسباب للعيش على أديمها والتتعم بخيراتها •

(١) ٦٥/٦٧ الملك .

(٢) ٦/٣٧ الصافات .

(٣) ١١/٤٣ الزخرف .

(٤) ٤٣/٢٤ النور .

المعنى :

ان الأرض التي أنتم متمكنون من الوجود على ظهرها والسيّر في مناكبها والانتفاع بخيراتها نحن فرشناها لكم وهياًنا لكم أسباب الحياة والسعادة فيها على أكمل وجه وأنفعه وأبدعه • مما نستحق به منكم الحمد والثناء •

دقيقة كونية في الآية القرآنية :

شأن الفراش أن يكون ما تحته لا يصلح للجلوس والنوم عليه • وما تحت وجه الأرض هو كذلك لا يصلح للحياة فيه ، فإن تحت القشرة العليا من الأرض المواد المصهورة والمياه المعدنية والأبخرة الحارة مما تنطق به البراكين المنتشرة على وجه الارض في أماكن عديدة فكانت القشرة العليا من الارض مثل الفراش تماما •

الآية الثالثة

الألفاظ والتراكيب :

من كل شيء : من كل جنس من الأجناس • خلقنا : كونا • زوجين : فردان متباينان يكمل أحدهما الآخر في عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد • تذكرون : تذكرون ما أودع في فطرتكم من المعرفة لما تنظرون بعقولكم في عجائب الخلق فتدركون ماله جلّ جلاله من الأثوية والربوبية والوحدانية • وقدم من كل شيء لأن الأشياء هي المستدل بها ولبعث الهمم على النظر فيها •

المعنى :

إنّا خلقنا الأشياء التي تشاهدونها على الزوجية والتركيب من شيئين متضادين لتكونوا بحيث يرجى منكم أن تعلموا أنّ النقص والعجز

الفرار الى الله

عم المخلوقات كلها لحاجة كل شيء منها الى ضده ، وقصوره بنفسه .
فالقدره والكمال للخالق وحده فلا يستحق العبادة سواه فاعبدوه ووحده .

توسع في التذکر :

النظر في الأزواج مفض للعلم بما ذكرنا وللعلم بأن الخلق غير صادر عن طبيعة الأشياء ، فان النار — مثلا — لا يصدر عنها التبريد والتسخين لأن السبب لا ينتج الضدين ، فالمخلوقات كلها صادرة بطريق الخلق عن فاعل مختار وللعلم بوجوده كثيرة من احاطة علمه وشمول حكمته وعموم نعمته .

حقيقة نفسية ، في نكتة بلاغية :

اذا نظر العاقل في هذه الأزواج وفكر انكشفت له وجوه سر دلائل الربوبية والالوهية والتوحيد واذا حصل الانكشاف الاول تبعته انكشافات فاذا حصل منه التذکر أفضى به الى تلك الوجوه الكثيرة .
ولهذا نزل الفعل منزلة اللازم الذي لا يراد منه الا حصول الحدث .

آية كونية في الآية القرآنية :

من الأزواج ما هو ظاهر مشاهد معلوم من قديم مثل السماء والأرض والليل والنهار والحر والبرد والذكر والأنثى في الحيوان وبعض النبات . ومنها ما كشفه العلم بما مهد الله له من أسباب كالجوء الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية وفي الذرة التي هي أصل التكوين فلا فردية الا لخالق هذه الأزواج كلها الذي أنبأنا بها قبل ان تصل الى تمام معرفتها العقول فكان من معجزات القرآن العلمية التي يفسرها الزمان بتقدم الانسان في العلم والعمران .

بلاغة التنويع والتنزيل :

لما كانت السماء متلاحمة الأجزاء في العلاء ثابتة على حالة مستمرة

في هذه الدنيا على البقاء ناسبها لفظ البناء ، ولما كانت مظهر العظمة والجلال ناسبها لفظ القوة . ولما كانت الأرض يطرأ عليها التبديل والتغيير بما ينقص البحر من أطرافها وبما قد يتحول من سهولها وجبالها وبما يتعاقب عليها من حرث وغراسة وخصب وجذب ناسبها لفظ الفراش الذي يبسط ويطوى ويبدل ويغير ، ولما كانت أسباب الانتفاع بها الميسرة ضرورية للحياة عليها وكلها مهياة وكثير منها مشاهد وغيره معد يتوصل اليه بالبحث والاستنباط — ناسب ذكر التمهيد — . ولما كانت الأزواج مكونا بعضها من بعض ناسبها لفظ الخلق ولما كان النظر في الزوجية هو نظر في أسباب التكوين لتلك المذكورات السابقة وهو محصل للعلم الذي يحصل من النظر فيها قرن بلفظ التذكر .

الآية الرابعة

الألفاظ والتراكيب :

الفاء : للترتيب لأن ما قبلها على ما فيه من عظمة وكمال وجمال فهي مخلوقة موسومة بسمة العجز والنقصان ، فلا يصلح شيء منها للتعويل عليه ، فلم يبق إلا الخالق القادر ذو الجلال والاكرام ، فهو الذي يفر اليه دون جميع المخلوقات . فروا : اهربوا . النذير : المعلم بما فيه هلاك لتجنب الاسباب المؤدية اليه . المبين : الذي يوضح ما نذر منه والاسباب المؤدية اليه والوسائل المنجية منه . مع اقامة الحججة على صدقه ونصحه . وقدم لكم ليفيد اهتمامه بهم وذلك ليجلبهم اليه فيستمعوا لنصحه وبعده منه ليبين مصدر رسالته وذلك ليبين لهم انه مأمور فلا يستكبروا عن قبول دعوته . واكد الجملة لانهم في مقام التردد او الانكار .

المعنى :

هذه المخلوقات كلها عاجزة في نفسها مفتقرة — ابتداء ودواما —

الى خالقها فاهربوا من شرها الى خالقها فهو الذي ينجيكم من شرها ويهديكم الى خيرها ولا تغتروا بشيء منها فانها لا تملك حفظا لنفسها فكيف تملكه لغيرها . انني أحذركم الهلاك اذا اغتررتم بها وقطعتكم عن خالقها ولم تهربوا الى الله منها وقد ابنت لكم مصدر الهلاك وطريق النجاة .

نكتة التنوع :

جاءت الثلاث الآيات الأولى كما يكون قولها من الله ، وجاءت هذه الآية كما يكون قولها من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تنوعا للخطاب وتفننا ، فانه لما كان ما في هذه الآية هو المقصود حول أسلوب الكلام من الاخبار الى الأمر تجديدا لنشاط السامع وبعثا لاهتمام المخاطبين وحثا لهم وتوكيدا عليهم . وفيه تنبيه على أن ما يقوله النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مثل ما يقوله الله في وجوب الإيمان والامتثال .

بيان وتوحيد :

هذا العالم بمائه وأرضه وأزواجه هو فتنة للانسان بما فيه من لذائذ ومن جمال وما فيه من قوة وما فيه من سلطان . وقد ركبت في الإنسان شهواته واهوائه وسلط عليه الشيطان يغويه ويزين له . فكل هذا العالم إذا ذهب فيه الانسان مع اهوائه وشهواته تحت اغواء الشيطان وتزيينه فانه ينحط الى أسفل سافلين ويصير عبداً لأهوائه وشهواته وشيطانه ولكل ما فتنه من العالم وذهب بلبه . وقد ينتهي به ذلك الى عبادته من دون خالقه . فالعالم بهذا الاعتبار شر وبلاء وهلاك يجب الفرار والهروب منه ولا يكون هذا الفرار منه الا الى خالقه بالإيمان به والتصديق لرسله ، والدخول تحت شرعه ، فبذلك يعرف الانسان كيف يجعل جدياً لاهوائه وشهواته وكيف يضبطها

بنطاق الشرع وزمامه ، وكيف يدفع عنه كيد شيطانه ، وكيف يتناول سماء العالم وأرضه وأزواجه بيد الشرع فيعرف ما فيها من نعمة وحكمة فيستغلها بهداية الشرع مفرقا علميا وعمليا — بين منافعها ومضارها ، فيعظم بها انتفاعه ويزداد فيها اطلاعه واكتشافه فتضاعف عليه منها الخيرات والبركات ويزداد علمه وعرفانه ، ويقوى يقينه وايمانه ويعظم لله بره وشكرانه . فيكون له ذلك العالم جنة الدنيا وقنطرة لجنة الاخرى ، ويفوز من الدارين بالمتغى ، كل هذا بفراره من المخلوقات الى خالقها فسلم من شرها وفاز بخيرها فمن هرب من المخلوقات الى خالقها نجا ومن فر من الخالق الى شيء من مخلوقاته كان من الهالكين .

ارشاد وتعميم :

كل ما يصيب الانسان من محن الدنيا ومصائبها وأمراضها وخصوماتها ومن جميع بلائها لا ينجيه من شيء منه إلا فراره الى الله . ففي العدالة الشرعية ما يقطع كل نزاع ، وفي المواعظ الدينية ما يهون كل مصاب ، وفي الهداية القرآنية والسيرة النبوية ما ينير كل سبيل من سبل النجاة والسعادة في الحياة . يعرف ذلك الفقهاء القرآنيون السنيون ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .

تنبيه على وهم :

ليس الفرار من الأمراض بمعالجتها ، ومن المصائب بمقاومتها فرارا من الله لأن الأمراض هو قدرها والأدوية هو وضعها ودعا الى استعمالها والتعالمج بها ، وكذلك المصائب وما شرع من أسباب مقاومتها فكلها منه بقدره والإنسان مأمور منه بان يعالج ويقاوم فما فر من قدره إلا الى قدره ولهذا لما قال أبو عبيدة لعمر — رضي الله عنهما — في قصة الوباء : « افرارا من قدر الله يا عمر ! » قال عمر : « نعم ، نفر من قدر الله الى قدر الله » . وفي الحقيقة كان الفرار من شر في مخلوق الى الله يرجو منه الخير في غيره .

تحذير من الجهالة :

ليس المقصود بالفرار من الدنيا ترك السعي والعمل وتعاطي الأسباب المشروعة ، لتحصيل القوت ورغد العيش وتوسيع العمران وتشبيد المدنية بل المقصود الفرار من شرورها وفتنتها . وتناول ذلك كله على الوجه المشروع هو من الفرار اليه والدخول تحت شرعه كما قدمناه وقد ضل قوم فزعوا ذلك طاعة وعبادة فعطلوا الاسباب وخالفوا الشريعة وحادوا عمًا ثبت من السنة ، وفيهم سئل أمام الحديث والسنة أحمد بن حنبل رحمه الله ، سئل عن القائل اجلس لا اعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال: «هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وقوله : **نفدو خماسا وتروح بطانا ،** وكان الصحابة يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وبهم القدوة» .

تطبيق :

إذا رأينا طائفتين من المؤمنين تنازعنا فأما أحدهما فالتجأت الى السلطان تستغيثه وتستعين به وتحطب في حبله ، فأغاثها وانتقم لها وأمدّها وقربها وأدناها ، وأما الأخرى فلم تستغث الا بالله ولم تستنصر الا به ولم تعتمد الا عليه ولم تعمل الا فيما يرضيه من نشر هداية الاسلام وما فيها من خير عام لجميع الانام وتحملت في سبيل ذلك كل ما تسببت لها فيه الطائفة الأخرى ومن تولته وهربت اليه ، إذا رأينا هاتين الطائفتين عرفنا منهما — يقينا — الفارة من الله والفارة اليه فكنا — ان كنا مؤمنين — مع من فر الى الله .

الآية الخامسة

الألفاظ والتراكيب :

ولا تجعلوا : ولا تضعوا من عند أنفسكم ما لا وجود له .

إلهاً : معبوداً تخضعون له وترجون منه التصرف في الكون
ليجلب لكم النفع ويدفع عنكم الضر • وتقدمت ألفاظ آخر الآية •

المعنى :

ولا تجعلوا في فراركم الى الله شيئاً معه من مخلوقات تعتمدون
عليه وتلجئون اليه فتكونوا قد اشركتم به سواء فاني أحذركم ما في
ذلكم من هلاككم بالشرك الذي لا يقبل الله معه من عمل والتي قد أبنت
لكم لزوم توحيدته في الفرار اليه ، كما بينت لكم لزوم ذلك الفرار •

نكتة التكرير :

أعاد « إني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » مع الآية الخامسة لبيان
لهم ان عبادة الله مع الاشرار به كتنطيل عبادته فهلاك المشرك كهلاك الجاحد .
والنجاة أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً لا في ربوبيته ولا في ألوهيته •

تنبيه وتحذير :

جاء في الحديث فيما رواه أصحاب السنن ان الدعاء هو العبادة
فمن دعا غير الله فقد عبده ومن دعا مخلوقاً مع الخالق فقد اشرك فاذا
دعوت فادع ربك ولا تدع معه أحداً • وكيف تدعو من لا يملك
لنفسه نفعا ولا ضرا • واذا توسلت فتوسل باعمالك بايمانك وتوحيدك
وباتباعك لمحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — ومحبتك فيه واعتقادك
ما له عند الله من عظيم المنزلة وسمو المقام عليه وعلى آله الصلاة والسلام •

بيان نبوي قولي :

قال عليه الصلاة والسلام فيما يقال عند النوم : « لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك » والملجأ هو المهرب الذي يهرب اليه ، والمنجى هو مكان
النجاة فبين لنا أنه لا يكون الهرب الا الى الله ، ولا تكون النجاة الا

الفرار الى الله

بالهرب اليه فمن هرب لغيره كان من المهالكين • كما بين لنا ان كل ما يجري في هذا العالم فهو بخلقه بقدره فلا مهرب ولا نجاة مما خلق وقدر الا اليه •

بيان نبوي عملي :

روى أحمد وابن جرير عن حذيفة بن اليمان : ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — كان اذا حزبه أمر صلى • وفزع للصلاة • يعني اذا نزل به مهم أو أصابه غم فزع للصلاة ، فبين لنا بالفعل أن الفرار الى الله بالتلبس بطاعته وصدق التوجه اليه ، والدعاء والتضرع والخشوع له ، والاستسلام لدينه وشرعه والاخلاص في عبادته والاعتماد عليه ، وذلك كله موجود على أكمله في الصلاة التي هي عمود الدين ومظهر كماله • جعلنا الله والمسلمين من الفارين اليه والمقبولين لديه • آمين (١) •



(١) ش : ج ١ ، م ١٥ ، ص ٢ - ١٠
غرة محرم ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م •

خلاصة تفسير المعوذتين

من درس الاسناذ الشيخ عبد الحميد بن باديس

الذي ختم به تفسير القرآن

كلمة بين يدي التلخيص :

أكمل طرائق المتقدمين من علماء هذه الملة في تلقين العلوم طريقة الإملاء . والإملاء نتيجة لاستحكام الملكة في العلم واستقلال الفكر فيه ، أو سعة المحفوظ ورحابة آفاق الحافظة . واستحكام الملكة واستقلال الفكرة وقوة الحافظة مزايا تكاد تكون خالصة لعلماء سلف هذه الأمة لم يبلغ علماء الأمم الأخرى مداحهم (١) فيها ولا نصيبه .

وكانت وظيفة السامعين كتابة ما يملى عليهم كنه أو خلاصته ، وكانت المحابر والأقلام والأوراق هي الأدوات اللازمة لرواد مجالس العلم إلا في مقامات مقابلة الأصول وضبطها . فهنا لا بد من إحضار النسخ الكاملة من الكتب .

ومن ثمرات تلك الطريقة المثلى في التلقين والتلقي كتب الأمالي في الحديث واللغة والأدب ، وفي تراجم المحدثين والأدباء الشيء الكثير من ذلك ، وإن لم يبق لنا الدهر منها إلا الأقل من القليل .

ولما انتهى عصر الرواية بجميع روايات السلف في التفسير ورواياتهم للأحاديث والسنن ودونت أصول اللغة والأدب والعلوم المتفرعة عنها وجاء دور الاستقلال لها - نشأت عوامل الانحطاط في العلوم الإسلامية ، وكان من أظهر مظاهرها جفاف

(١) كذا بالأصل ولعلها مدى أحدهم .

القرائح وجذب الأفكار وضعف القوى الحافظة ، وانحطت طرائق التلقين تبعاً لذلك وانحصرت في الطريقة الشائعة اليوم . وهي التزام كتاب تتعدد نسخه بتعدد المتلقين له يحل الشيخ عباراته ويشرح معانيه . وانحطت وظيفة السامعين من الكتابة والتقييد الى الاستماع المجرد .

ولسنا نعيب طريقة التزام الكتب وشرح معانيها بالكلام ، فذلك في حقيقته نوع قاصر من الاملاء . وانما نعي على السامعين اهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الاستاذ وقد تكون قيمة ، كما تضيع في عصرنا هذا الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها .

ولسنا بصد التآريخ لهذه الطرائق والمقارنة بينها وبين وجوه النقص والكمال فيها وانما ننبه في هذا المقام الى ان اسوأ اثر لهذه الطريقة الشائعة اليوم هو القضاء على الملكة العلمية ، لانها شغلت المعلم والمتعلم معاً بالكتاب عن العلم إذ أصبح همها كله مصروفاً الى تحليل الكتاب وفك عباراته والقيام على اصطلاحاته الخاصة وفي بعض هذا ما يستغرق الوقت ولا يبقى سعة لادراك قواعد العلم وتطبيق جزئياته على كليياته ، ويعيد جزئياته على كليياته ، ويعيد جداً على من يدرس علماً على هذه الطريقة أن تستحکم ملكته فيه ، وكيف تستحکم ملكة الفقه مثلاً لمن يقرؤه من مثل مختصر خليل على هذه الطريقة فيمضي وقته في تحليل عباراته وتراكيبه المعقدة التي ذهب الاختصار بكثير من أجزائها وفي بيان التقديم والتأخير في الألفاظ وربط المعمولات بالعوامل البعيدة وارجاع الضمائر المختلفة الى مراجعها . والطفرة بالذهن من مذکور الى مقدر ، وهذا هو كل ما يشغل وقت المعلم والتعلم ، وهم في الحقيقة لا يدرسون علم الفقه وانما يدرسون كتاباً في الفقه ، ودراسة الكتاب لذاتها أصبحت اليوم فناً كمالياً من التآريخ لا اصلاً في تعلم العلوم .

والدارس لتآريخ العلوم الإسلامية يتجلى له هذا في تراجم علماء تلك العلوم ، إذ يجد فيها دائماً أشباه هذه العبارة :

كان اقوم الناس على كتاب الحمل للخونجي . أو على كتاب التهذيب للبرادعي ، أو على كتاب الشامل لابن الصباغ . كان نافذا في اقراء المحصل للرازي . كان سديد البحث في مختصر ابن الحاجب الأصلي كثير المناقشة لعباراته . واين سداد البحث وكثرة المناقشة في عبارة كتاب من تحصيل المنكة في علم ؟ ان الأصولي الحقيقي هو الذي ينطق مما عنده أو يقرئه من أي كتاب كان . ولا يفتنن بكتاب عين هذا الافتتان ، وان الفقيه الحقيقي هو الذي يفهم الفقه ، لا الذي يفهم كتابا في الفقه ، وفي وقتنا هذا نسمع علماء المعاهد المشهورة يتمدحون بمثل هذا ويصفون من يحسن اقراء التنقيح للقراقي على هذه الطريقة : بالأصولي المحقق ..

ولقد حاول جماعة من العلماء الحفاظ في القرون الأخيرة اصلاح هذه الحالة واحياء طريقة الأمالي فلم ينجحوا لافتتان جمهور المعلمين بالكتب وانصرفهم عن العلم الى كتب في العلم . حاول ذلك الحافظ ابن حجر وهو أهل لذلك ، ولكن أهل زمنه لم يكونوا أهلاً له ، ونعى معاصره ابن خلدون المؤرخ طرق التلقين في زمنه وكثرة المؤلفات والمختصرات في العلم وعدها عائقة عن التحصيل ، وحاول ذلك بعد ابن حجر تلميذ الحافظ السيوطي وهو أهل لذلك على ما فيه من تبجح واستطالة ، وقد شكوا في بعض رسائله إخفاقه في هذه المحاولة بعبارة مرة ، ووصف انصراف الجمهور عنها بأنه من غلبة الجهل وكمال الهمم وضعف العزائم .

نجمت في هذه العقود الأخيرة ناجمة اضطراب وتبرم من طرائق التعليم المتبعة وكتبه الملتزمة . وارتفعت الأصوات بالشكوى من اضرارها وسوء عواقبها . وكان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أعلى الحكماء صوتا بلزوم اصلاحها وأبلغهم بيانا لأضرارها وسوءاتها ومعاييبها وأسدهم رأيا في تغييرها بما هو أجدى منها وأنفع وأكثرهم عملا جديا في ذلك .

وكان من اصلاحاته العملية في هذا الباب درسه لكتاب الله بأسلوب حكيم لم يسبقه اليه سابق ، وكان - رحمه الله - وهو من هو في استقلال الفكر واستنكار الطرائق

الجامدة يجاري الطريقة الأزهرية بعض المجازاة لاعتبارات خاصة ، ومن هذه المجازاة السطحية انه كان يلتزم في تلك الدروس العامة بالحكم العليا تفسير الجلالين ويستهلها بقراءة عبارته .

ولكن السامعين لتلك الدروس على كثرتهم وجلالة اقدارهم في العلم والمعرفة وتساويهم في الاعتقاد بان تلك الدروس فيض من إلهام الله أجراه على قلب ذلك الامام وعلى لسانه وأنها مما لم تنطو عليه حنايا عالم ولا صحائف كتاب - لم تتساق أقلامهم لتقييد تلك الدروس الا قليلا ، ولو أنهم فعلوا لما ضاع من كلام ذلك الامام حرف واحد . ولو لم يقبض الله محمد رشيد رضا لهذا العمل الجليل لضاع كله ولكن الله وفقه لحفظ معاني تلك الدروس وسدد قلمه في أدائها ، ثم نهج نهجه بعد موته وسار على شعاع هديه في تفسير كلام الله فابقى لهذه الأمة تلك الاسفار القيمة المعروفة بتفسير المنار .

مدت حركة الاصلاح العلمي منها بعد موت الامام ، وانتشرت في الأقطار الاسلامية ، وأسفرت عن إصلاح حقيقي لاساليب التعليم في المعاهد الحرة ، وعن اصلاح صوري في المعاهد الرسمية . ولا تزال الحرب قائمة في هذه المعاهد بين طلاب الاصلاح وبين أنصار الجهود ، وستكون العاقبة للمصلحين باذن الله . ولقد كان من حسن حظ الجزائر أن باعث النهضة العلمية فيها الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد وضع أساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من أول يوم ، فسلك في درس كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة ، عصري الأسلوب والمرمى ، مستمدا من آيات القرآن وأسرارها اكثر مما هو مستمد من التفاسير وأسفارها . وقد قرأنا له في بعض افتتاحيات مجلة ((الشهاب)) انه يعتمد في هذه الدروس على تفاسير مخصوصة في مواضع مخصوصة كالطبري في المآثور والكشاف في أسرار الاعجاز ، وذلك صحيح ومفيد لمن يجعل فهوم الرجال مقاييس لفهمه ولا يعطيها اكثر من انها فهوم تصيب وتخطيء ، أما المعنى الصحيح لكتاب الله فيستجليه من البيان العربي والشرح النبوي ومن مقاصد

الدين واسرار التشريع . ومن عجائب الكون وسنن الله فيه
ومن احكام الاجتماع الانساني . ومن تصاريف الزمن ونتائج
العقول وثمرات العلوم التجريبية واذا كان من دواعي الغبطة
ختم تفسير القرآن بها على هذه الطريقة في القطر الجزائري
فان من دواعي الأسف انه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس
من يقيدھا بالكتابة ، ولو وجد من يفعل ذلك لربحت هذه
الامة ذخراً لا يقوم بمال ، ولا ضطلع هذا الجيل بعمل يباهي
به جميع الأجيال ، ولتمخض لنا ربع قرن عن تفسير يكون
حجة هذا القرن على القرون الآتية . ومن قرا تلك النماذج
القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجالس التذكير على أي
علم ضاع واي كثر غطي عليه الاهمال .

ولما كان اليوم المشهود بختم هذه الدروس جمع أحد
الحاضرين ما وعته ذاكرته وأمكنه تقيده من معنى
درس الختم في تفسير الموعودتين وتصرف في الفاظه بما
لا يخرج عن معانيه اذ لم يكن من الميسور أن يلتقط الألفاظ
كلها . فجاء بهذه الخلاصة التي نشرها على الناس في
هذا العدد (الخاص بالاحتفال) لافتين أنظارهم الى أن هذه
الخلاصة محيطة بمعاني الدرس مع تصرف ضروري اقتضته
مساوغة ما كتب لما قيل .

استهل الاستاذ الدرس بعد الاستعاذة والتسمية بالتحميد
المأثور : الحمد لله ان الحمد لله . نحمده ونشكره ونستعينه
ونستغفره ونتوب اليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا
من يضل الله فلا هادي له ومن يهد فما له من مضل ،
ونشهد ان لا اله الا الله ونشهد ان محمداً عبده ورسوله .

ثم عقب بما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يبدأ به خطبته . وجرت عادة المحدثين والمفسرين ان يفتتحوا
به مجالس التحديث والتفسير وان اختلفت الروايات في الفاظه
وهو قوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان اصدق الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر
الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

ثم قال توطئة للدخول في تفسير الموعودتين ما معناه مع
تصرف وتوضيح :

بني هذا الكون الدنيوي على أن يقترن فيه الخير بالشر ، وان يتصلا وان يشتبها وان يحيطا بالانسان من جميع جهاته فتكون أعماله الكسبية في الحياة مكتنفة بها دائرة بينهما موصوفة باحدهما ، ولا بد من قدر الله ومن سننه العامة في هذا العالم الانساني ، وحكمته المبنية في وجهه هي ابتلاء خلقه ليجازوا على ما يكون من كسبهم وسلوكهم بعد أن وهبهم العقل والتمييز وأكمل عليهم نعمته بهداية الدين عدلا منه تعالى ورحمته - وحكمة أخرى وهي تهرين هذا الانسان في حياته العلمية وتدريب فكره على اختيار الأنفاح على النافع والنافع على الضار ، ثم سوق الجوارح الى العمل على ذلك الترتيب وترويضها عليه .

والانسان يكتسب القوة والدربة بتمرسه على ما يلقاه من الخير والشر بعمله وبفكره ، وللفكر الانساني عمل سابق لاعمال الجوارح المجترحة وسائق لها ومهيء لما يظهر انه من بدواتها .

وهذا العمل الفكري تظهر قوته في نواح منها - وهو اهمها - التمييز بين الخير والشر وادق منه التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين . فان الخير درجات وأنواع ، والشر كذلك درجات وأنواع .

والانسان في هذا الخضم الذي تلاطمت أمواجه ، وفي هذا الفضاء الذي تشابهت أفواجه ، محتاج الى معونة إلهية في تمييز الخير من الشر . وقد أمد الله بهذه المعونة من دينة الحق . ومحتاج الى تأييد إلهي يعصمه من الشر ويقيه من الوقوع فيه عن جهالة أو عمد . وقد هداه الله الى أسبابه ووسائله بما شرع له من المنبهات عند طروق الغفلة . والمبصرات عند عروض الشبهة والمعوذات المحصنات عند الملامة الشيطان وطواف طائفة . ومن هذه المعوذات عقائد تدفع عن صاحبها الشكوك وهي شر ، وحقائق تقفي صاحبها الوهم وهو شر . وعبادات تربي مقيمها على الخير وتنهيه عن الفحشاء والمنكر . واعمال تثبت فاعلها على الحق . وأقوال يلفيها القلب العامر بتقوى الله والخوف من مقامه على الإلسنة

لتكون شهادة لها وعنوانا عليها . والالسنه تراجمه القلوب فكان مما شرع الله لنا في كتابه وعلى لسان نبيه التعوذ باللسان من الشر والباطل وانزل الله عليه هاتين السورتين وفيهما الاستعاذه بالله من انواع من الشرور هن أمهات لما عداهن . وكان نبينا عليه السلام يكثر التعوذ بالله وكلماته من انواع اخرى من الشرور مفصلة في صحاح السنه .

اما السورتان فيكفي في فضلهما ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبه بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألم تر آيات أنزلت اليلة لم ير خير منهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)) . وفي رواية اخرى في مسلم عنه تسميتهما بالمعوذتين ، وفي رواية ابي اسامة في مسلم أيضا وصف عقبه بن عامر بأنه كان من رفقاء اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . فتسمية هاتين السورتين بالمعوذتين تسمية نبوية ماثورة كأسماء جميع سور القرآن وقد يقال المعوذات ويراد بها ما يشمل سورة الاخلاص . وكفى بما فيها من اصول العقائد معاذا من الشرك وهو أصل الشرور كلها . .

وحديث مسلم هو اصح ما ورد في نزولهما واما ما يذكر في نزولهما في قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لم يصح سببا لنزولها . وان كان لقصة السحر وصاحبها لبيد بن الاعصم أصل ثابت في الصحيح وقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهما وفي حشر كثير مما لم يصح في فضائلهما ولنا فيما صح غنية عما لم يصح .

وهذه الخيرية التي أثبتنا لهما حديث عقبه عند مسلم هي خيرية نسبية في ناحية مخصوصة . وهي ناحية التعوذ بهما من الشرور العامة والخاصة المذكورة فيها ودليل هذه النسبية ما أخرجه النسائي في سننه عن ابن عباس الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يابن عباس الا أدلك أو الا اخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذين قال بلى يا رسول الله ، قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين .

فبين صلى الله عليه وسلم أن خيرتهما وافضليتهما من جهة ما تشتملان عليه من معنى التعوذ وهو من المعاني الداخلة في دائرة ما كلفنا الله به .

ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور ببعض البعض ويستخرجون منها بالتدبير ما لا يحصى من الأنواع وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما، وهما كالسورة الواحدة . فما هي الحكمة من ختم القرآن بهما؟ وترتيب السور توقيفي ليس من صنيع جامعي المصحف كما ذكره السيوطي في الاتقان وجماعة .

يستطيع ممارس القرآن ومندبره ومتلقيه بالذهن المشرق والقريحة الصافية أن يستخرج من الحكم في هذا الختم بهما أنواعا ولكن أجلاها وأوضحها أنهما ختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن . وتحصين لهذه النعم المشالة من القرآن عليه أن يكدرها عليه كيد كائد أو حسد حاسد ، فإن من أوفى الشيء الكريم ورزق النعمة الهنية هو الذي تمتد إليه أيدي الأشرار وأستنتهم بالسوء وتقذفه عيونهم بالشر وتتطلع إليه نفوسهم بالحسد والبغضاء ويشند عليه تكالهم سعيا في سلبه منه أو تكديره عليه ويقدر النعمة يكون الحسد ، وعلى مقدار نفاسة ما تملك تكون هدفا لمكائد الكائدين وتأتيك البلايا من حيث تدري ولا تدري ومن أوتي القرآن فقد طوى الوحي بين جنبه وأوتي الخير الكثير ، فهو لذلك مرمى أعين الحاسدين ومهوى أفئدة الكائدين فكان حقيقيا وقد ختم القرآن حفظا أو مدرسة أو تلاوة ان يلتجئ إلى الله طالبا منه الحفظ والتحصين من شر كل كيد وحسد يصيبه على هذا الخير العظيم الذي كمل له وهذه النعمة الشاملة التي تمت عليه هذه حكمة .

وأخرى وهي ان من أوتي القرآن وتفقه فيه فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب وأحاط بالعلم من اطرافه وملك كنزه الذي لا ينفد . وان من آفات العلم اغترار صاحبه به وقد يتمادى به الغرور حتى يسول له ان ما أوتيه من العلم كاف في وقايته من الأضرار ونجاته من الأشرار فكان من رحمة الله

بصاحب القرآن ولطف تأديبه له وحسن عنايته به ان ختم بهاتين السورتين كتابه لتكونا آخر ما يستوقف القارئ المتفقه وينبهه الى ان في العلم والحكمة مسألة لم يتعلمها الى الآن . وهي انه مهما امتد في العلم باعه واشتد بالحكمة اضطلاعه . فانه لا يستغنى عن الله ولا بد له من الالتجاء اليه والاعتصام به يستدفع به شر الاشرار وحسد الحاسدين وكفى بهذه التربية قامعا للفرور . وانه لشر الشرور .

هذه هي المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتبا ترتيبه التوقيفي وبين هاتين السورتين في اتحاد موضوعهما .

واما المناسبة الخاصة بين السورتين وسورة الاخلاص فهي ان سورة الاخلاص قد عرفت الخلق بخالفهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد . فاذا قرأت القرآن وتدبرته على ترتيبه ووجدت توحيد الله منبثا في آياته وسوره متجليا ذلك التجلي الباهر بمعارضه وصوره مادا ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع - كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد في القرآن هذه السورة المعجزة على قصرها فكانها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد وكانها وصية مودع مشفق بهمهم يخشى عليك نسيانه فليعمد فيها من الكلام الى ما قل ودل ولم يمل .

ومن صدقك في توحيدك لله في ربوبيته والهيته ان تنقطع عن هذا الكون وتكون منه وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله واخلاص توحيدك اياه . فأنت وقد آمنت وصدقت وخرجت من سورة الاخلاص متشعبا بمعانيها ومنها معنى الصمد - تستشعر ان العالم كله عجز وقصور ، وان خيراته مكدره بالشرور . وان لا ملجأ الا ذلك الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد . فتجيب المعوذتان بعد الاخلاص مبيتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد .

ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاث جمع بينهن التسمية ، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث عن نفسه بالمعوذات وسياق النساء لحديث عقبة بن عامر المتقدم ان رسول الله

قرأ وقرأت معه الاخلاص ثم قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس فلما ختمهن قال : ما تعوذ بمثلهن أحد . وكما
جمع صلى الله عليه وسلم بينهن في التسمية والتعوذ جمع
بينهن عمليا في قراءة الوتر .

هذا اجمال المناسبة الخاصة بين السور الثلاث .



سورة الفلق

قال تعالى : « قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ » (١) .

الأمر المفرد للنبي عليه السلام . ومن حسن الأدب في مقدرات
القرآن أن تقدّر في مثل هذا الأمر أيثها الرسول أو أيثها النبي ، لأنهما
الوصفان اللذان نطق بهما القرآن في نداء النبي عليه السلام، وان لا تقدر
يا محمد كما هو جار على الالسنّة وفي التصانيف فان القرآن لم يخاطبه
باسمه والأمر لنبينا أمر لنا لأننا المقصودين بالتكليف ولا دليل على
الخصوصية فهو في قوة : قل أنت ، وقل لأمتك يقولون .

وأعوذ : استجير وألتجىء ويتعدى هو وجميع تصاريفه بالباء ،
كاستجير . والعوذ والعياذ مصدران منه كالصوم والصيام ، وفي القرآن
مما جاء على المعنى اللغوي : يعوذون برجال من الجن (٢) ومن كلام
العرب : وقد استعدت بمعاذٍ (٣) .

والرب الخالق المكون المربي ، ومواقع استعمال هذه الكلمة في
القرآن هي التي تكشف كل الكشف عن معناها الكامل .

(١) ١/١١٣ الفلق .

(٢) وتمام الآية : (وانه كان رجال* من الانس يعوذون برجال من
الجن فزادوهم رهقا) وهي ٦/٧٢ الجن .

(٣) في الاساس (عوذ) : لقد عدت بمعاذ .

والفلق : الفجر المفلوق المفري ، ومن لطائف هذه اللغة الشريفة ان الفتح والفتح والفجر والفلق والفرق والفتق والفري والفاء والفقاً والفقّه كلها ذات دلالات واحدة ، وتخصيصها بمتعلقاتها باب من فقه اللغة عظيم .

ومما وصف به ربنا نفسه في القرآن فالحق الأصباح ، وفالح الحب والنوى ، فهما من أسمائه تعالى .

ومواقع هذه الألفاظ التي تضاف الى كلمة رب في القرآن كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم بها الله ، كلامها عجيب معجز ، فكل لفظة تستعمل في المقام الذي يناسبها وتناسبه ، وكل لفظة تبعث في الأسلوب الذي وقعت فيه متانة وقوة وفي معناه وضوحاً وجلاءً ، وسر إضافة الفلق الى رب هنا أن الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النور ، فان الليل يكون مجتمع الظلمات عن النور مسدول الأوراق . فاذا جاء الصبح حصل الانفلاق . والذي يبقى بعد ذلك الانفلاق هو النور الذي نفى الظلمة . ولا ينفي ظلمات الشر والضلال والباطل الا أنوار الخير والهدى والحق من خالقها ، وفالح أنوارها . وكما أضيف الفلق ، بمعنى الفجر ، الى كلمة رب هنا اقسام به في آية أخرى وهي قوله تعالى : والفجر .

« مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » (١) .

من كل مخلوق فيه شر ، فلا يدخل في عمومه الا كل شرير من أي العوالم كان ، كما يدخل في عموم الناطق كل ذي نطق ، أو من شر كل مخلوق . ومن مخلوقات الله ما هو خير محض كالأنبياء والملائكة . ومعلوم ان المخلوقات كلها خلقت بحق ولحكمة فهي في نفسها خير ، فان كان لا ينشأ من أعمالها أو آثارها الا الخير فهي

(١) ٢/١١٣ الفلق .

الخير المحض ، وان كان ينشأ عنها الشر أحيانا أو دائما فعملها هو الشر وهو المستعاذ منه • وتصح نسبة هذا القسم الى الله من حيث الخلق والحكمة ، ونسبة أعماله اليه من حيث التقدير والتكوين لا من حيث الرضى والتكليف ، فالله لا يرضى بالشر ولا يكلف به ، وقصارى ابليس — وهو مادة الشر في هذا الوجود — ان يزيد الشر ويلبسه بالخير • فالشر بيد الله خلقه وحكمة لا رضا وتكليفا ، والخير بيد الله خلقه وحكمة ونعمة وأمرا •

وقد يكون الشر ذاتيا لا ينفك ، وقد يكون نسبيا باعتبار حالة تعرض واتجاه يقصد ونعم الله على عباده ، قد تنقلب عليهم شرأ وبلاءً بسبب سوء تصرفهم فيها ، كالمال الذي سماه الله خيراً في القرآن — يكسبه صاحبه من الوجوه الشرعية وينفقه في الوجوه المشروعة • ويتحرى رضا الله في جمعه وتفريقه فيكون خيراً بذاته وبعمل صاحبه • ويتصرف فيه بعكس ذلك فيكون شرأ لا من ذاته بل من عمل صاحبه •

وهذا العالم الإنساني المكلف هو الذي يتجلى الخير والشر في أعماله • ويتصلان بحياته اتصالا وثيقا • وانما عيب عليه الشر وقبح منه لأنه قادر على تمييزه واجتنابه ومكلف بذلك ، وقد وضع له الدين قوانين ثابتة للخير والشر ، ووضح له أن الخير ما نفع وأن الشر ما أضر • ولكنه وان أوتي قوة التمييز لم يؤت قوة الاستعصام ابتلاء من الله • فأما المخدول فيأتي الشر عامداً متعمداً وهو يعلم أنه شر ، وأما الموفق فيواقع الشر في مواقف يشتهه عليه فيها الخير بالشر ويعسر التمييز ، والخير والشر لا يوزنان بميزان حيي يستوى الناس كلهم في ادراكه وقد تدق الفوارق بينهما حتى تخفى ، وفي هذه المواقف يجب الالتجاء الى الله ليرينا الخير خيرا ويكشف لبصائرنا عن حقائق الشر فلا يلتبس علينا شيء بشيء ، وبعد ان يوجه الاضطرار نفوسنا هذا التوجيه الصحيح تندفع ألسنتنا ونقول :

« أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » .

وبهذا تظهر المناسبة الدقيقة بين رب والفلق ، فان ربَّ الناس ومربيهم وسائقهم الى ما يكمل وجودهم هو الذي تتكشف لعلمه سرائرهم ، والفلق نور يكشف للعيان كل المبصرات فترى على حقائقها ومقاديرها ، لا يزيغ البصر في شيء منها ولا يطغى ، والانسان مهما يكن عالما فقد تخفى عليه حقائق المعقولات فيزيغ فكره ويطغى .

ومناسبة أخرى : وهي أنَّ الشر ظلام ، وقد أجرى الله في فطر البشر تصور الشر كالظلام وأجرى على ألسنتهم تشبيه الشر بالظلام ، ذلك أن ما يلبس احساسهم من الأنس بالنور والبشاشة له هو عين ما يلبسه من الأنس والبشاشة للخير ، وان من يضايقهم من وحشة الظلام وتوقع الهلاك فيه هو عين ما يضايقهم من ذلك في الشر .

هذا كله في الشر على عمومه ، ثم خصص تعالى من هذا العموم ثلاثة أنواع من الشر لشدة تعلقها بحياة الانسان وكثرة عروضها له ، ويجيء أكثرها من أخيه الانسان ، ورتبها ترتيبا بديعا لا يستغرب في جنب بلاغة القرآن ودقته في رعاية المراتب وتنسيقها في العرض على الأذهان .

هذه الثلاثة هي : الغاسق اذا وقب ، والنفاثات في العقد ، والحاسد اذا حسد . والغاسق : الليل المظلم ، والمراد هنا المصيبة تطرق ليلا وعلى غرة . ووقب : دخل في الوقب ، وهو النقرة في الشيء . والنفاثات : السواحر ينفثن الريق واللفظ ، جمع نفائة ، كثيرة النفث . والعقد : جمع عقدة ، بيان لعادة السواحر المعروفة من عقد الخيوط ونفث الريق عليها . والجامع بين الثلاثة هو اشتراكها في الخفاء ، فان الغاسق ظلام تخفى فيه الشرور ، والنفاثات مبني أمرهن على الاخفاء تخيلا وايهاما ، والحسد داء دفين . فالثلاثة كما ترون شرها خفي ،

وكل شر يخفي عمله أو يخفي أثره يجعل خطبه ويعظم خطره • فيعسر التوقي منه والاحتياط له • لأنك تتقي ما يظهر ويستعلن لا ما يخفي ويستتر • لا جرم كانت الثلاثة جدية بالتخصيص ، أما نكتة الترتيب فان الليل ليس شرا في نفسه ولا الشر في عمله ، وانما هو ظرف للشور • والعلاقة بين الشيء وظرفه مكينة في النفوس قوية في الاعتبار مسببة للحكم على أحدهما بحكم الآخر • بخلاف النفائات والحساد فان الشر من عملهما ومن وصفهما ، ولا نطباعها عليه صار ذاتيا لهما • ولا شك ان الشر الذاتي أمكن من العرضي ، كما أن بين الاثنين تفاوتاً في ذاتية الشر وقوته وعسر التوقي منه • فالنفائات وان كن يتحرين اخفاء عملهن ولكنه مما يمكن ظهوره واقتضاه ، بخلاف الحاسد فانه يخفي شره ويبالغ فيظهر بمظهر الخير فشره أشد والتوقي منه أعسر ، ففي الترتيب بين الثلاثة ترق من الأخف الى الأشد • ومن جهة أخرى نجد التناسب ظاهراً بين الثلاثة : الغاسق والنفائات والحاسد ، فان الجميع ظلام ، ظلام الزمن وظلام السحر وظلام الحسد • وفي تقييد الغاسق بالوقوب احتمالان كلاهما صحيح مفيد للمراد الاول : أن وقوب الغاسق عبارة عن اعتكار الظلم وتكاثفها ، فكان بعض أجزائها يدخل بعضاً ، والظلام يبدأ خفيفاً مشوباً بأسفار من أو من طبيعة الأرض ، ثم يشتد ويحلو لك حتى يغطي على كل شيء ، فتلك التغطية هي الوقوب • والوقوب على هذا الاحتمال منظور فيه الى ظرفه الزماني • وفائدة القيد حينئذ ان تلك الحالة المصورة بهذه الجملة هي التي تقع فيها الشرور من الآدميين وغيرهم • فالطارق يطرق والسارق يسرق والحيات تنتهش ، والضواري تفترس • وظلام الليل يستر ذلك كله ويعين عليه ويعوق عن الاستسراح والاستجداد • والعرب تقول في ما يشير الى هذا : الليل أخفى للويل •

فالمستعاذ منه على هذا الاحتمال شر" يقع في زمان ، والاحتمال

الثاني أن الوقوب في حقيقته هو دخول شيء في شيء دخولا حسيا فيقتضي ظرفا مكانيا ، وما هذا الظرف الا الأبنية والمساكن ، والظلام حين يهجم يدخل المساكن فيملأها ويكون دخوله فيها أبين من دخولها في الفضاء وملؤه اياها أشد ، فالوقوب على هذا منظور فيه الى ظرفه المكاني ، لأن الشرور التي ترتكب في البيوت حين يغمرها الظلام أكثر مما يرتكب منها في الفضاء ، خصوصا من الآدميين والمستعاذ منه شريع في مكان ، وعلى الاحتمالين لما كان الليل معاونا لذوي الشر على شرهم أضيف الشر اليه واستعيذ بالله منه . والنفثات : صفة اما للنفوس فتشمل الرجال والنساء وتكون الاستعاذة من شر كل من يتعاطى هذا الفعل رجلا كان أو امرأة ، وأما للنساء وخصصن بذلك لأن وقوع هذا الفعل منهن أكثر ، وهن به أشهر . والنفث اخراج الهواء من الفم مدفوعا بالنفس بدون بصاق ، أو مع قليل منه تتطاير ذراته وهو دون الثفل ، والنفث وإن كان عاما لكنه اشتهر فيما يفعله السحرة ، يعقدون خيطا ويتمتمون عليه برقى معروفة عندهم وينفثون على كل عقدة منه بقصد ايصال الشر من نفوسهم الخبيثة الى نفس المسحور . وما هم بضارين به من أحد إلاّ بأذن الله . وما أمرنا الله بالاستعاذة من شره الا لأنه يؤثر في بعض النفوس القابلة للتأثر به ، حاشا النفوس المعصومة كنفوس الانبياء ، فان شرور الدنيا وأسوأها لا تعدو أبدانهم الى أرواحهم . ولا يتعاصى على هذه القاعدة ما ورد في سحر لبيد بن الاعصم اليهودي لرسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وما يوهمه لفظ الرواية فان ذلك كله لا يخرج عن التأثر البدني . ونحن نعتقد دينا أن تأثير المؤثرات هو من وضع الله وحده . وتقطع علما وتجربة أن للقوى النفسية تأثيرا أعظم من تأثير القوى الجسمانية ، وان من مظاهر هذا التأثير النفساني تأثير العين في المعيون وتأثير التنويم في المنوّم ، وان التأثير والتأثر النفسانيين

يختلفان باختلاف النفوس الفاعلة والمنفعله قوة وضعفا ، وان تأثير العين ليس من ذاتها وانما هو من النفس التي من وراء العين ، ولو كان التأثير من ذات العين لكانت كل عين ناظرة تحدث ذلك الأثر ، وان هذا التأثير لون من ألوان النفس ، فان كانت خيرة كان تأثيرها خيرا وان كانت شريرة كان شرا . فالنفث المذكور في الآية إن أتر فانما يؤثر بالقوة النفسية التي من ورائه ، والساحر لا ينفث من نفسه الخبيثة الا نفث الشر ، لأن الشر هو صفته الطبيعية ، كالحية لا تنفث الترياق وانما تنفث السم . وكالعدو يلقاك بطعن الأسل ، لا بطعم العسل اذ كان ذلك من طبيعة العداوة . هذا نفث الشر من النفوس الشريرة كنفوس السحرة ، وأما النفوس الخيرة الطيبة كنفوس المؤمنين فانها تنفث الخير للخير . وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان اذا أوى الى فراشه جمع بين كفيه ثم نفث فيهما وهو يقرأ المعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من بدنه ، يبدأ برأسه ووجهه ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، فهذا نفث الخير من خير نفس خلقها الله ، ثم قالت في تمامه : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك . وفي رواية : كان يقرأ بالمعوذات ، فلما ثقل كنت انفث عليه بهذا وامسح بيد نفسه رجاء بركتها . وفي رواية مسلم عنها : انه كان يفعل ذلك اذا مرض أحد أهله .

فهذه الأحاديث - وهي ثابتة صحيحة - تثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يقرأ المعوذات وينفث حين القراءة نفث الخير قطعاً . وتبين لنا أن كل نفس تنفث ما وقر فيها . وان النفث إلا من فعل السحرة . والنفوس اذا استفزها شيء من ملابتها دليلنا على ما أسلفنا من أن في النفث خيرا وشرا ، ولولاها لما كان النفث إلا من فعل السحرة . والنفوس اذا استفزها شيء من ملابتها تنفث في الروحانية وتضطرب فكأنها بذلك النفث تنفض جزءا من

روحانيتها على نفس أخرى أو على بدن ، وكان تحريك اللسان بقراءة أو غيرها اثاراً لتلك الروحانية واستدعاء لها حتى تتصل بالريق الذي ينفث كما يتصل السيل الكهربي بشيء مادّي • وقد علمنا ان السحرة لا ينفثون نفثاً مجرداً بل يغنمون برقي شيطانية وأسماء أرواح خبيثة • ومن الشواهد لنفث الريق ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — كان اذا اشتكى الانسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي باصبعه هكذا : « تعني وضعها على الأرض كما فسرنا سفيان بالعمل » ثم رفعها وقال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا — ليشفى به سقمنا باذن ربنا » •



بعد رواية الاستاذ لهذا الحديث سكت لحظة
كمن يستجمع خواطره ثم اندفع فقال ما معناه بتوسع:

ان القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة فلا يستقل بتفسيره الا الزمن ، وكذلك كلام نبينا — صلى الله عليه وآله وسلم — المبين له ، فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها ومعناها الا بتعاقب الازمنة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون ، وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث ، واظهرت منها للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين ، وأرتنا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن : لا تنقضي عجائبه •

والعلماء القوامون على كتاب الله وسنة رسوله لا يتلقونها بالفكر الخامد والفهم الجامد ، وانما يترقبون من سنن الله في الكون وتدييره في الاجتماع ما يكشف لهم عن حقائقهما ، ويكلمون الى الزمن وأطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم ، وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات ، لم يأت مصداقها أو تأويلها

بعد • يعنون أنه آت وان الآتي به حوادث الزمان ووقائع الأكوان
وكل عالم بعدهم فانما يعطي صورة زمنه بعد ان يكيف بها نفسه •
ولو أننا عرضنا حديث التوبة والريقة على طائفة من الناس مختلفة
الاذواق منقسمة الحظوظ في العلم وسألناهم : أية علاقة بين الشفاء
وبين ما تعاطاه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من أسبابه في
هذا الحديث ؟ فماذا تقولهم يقولون ؟

يقول المتخلف القاصر : تربة المدينة بريق النبي — صلى الله عليه
وآله وسلم — شفاء ما بعده شفاء •

ويقول الطبيب المستغرب : هذا محال في التراب مكروب • وفي
الريق مكروب • فاني يشفيان مريضاً أو يفسدان عن مكروب •

ويقول الكيماوي : ها هنا تفاعل بين عنصرين ، ودعوا التعليل ،
فالقول ما يقول التحليل •

ويقول ذوو المنازع القومية والوطنية ، ولو كانوا يدينون بالوثنية :
أما بأن محمداً رسول الله • فقد علم الناس من قبل أربعة عشر قرناً
ان تربة الوطن معجونة بريق آبائهم تشفي من القروح والجروح • ليربط
بين تربته وبين قلوبهم عقداً من المحبة والاخلاص له • وليؤكد فيها
معنى الحفاظ له والاحتفاظ به وليقرر لهم من منن الوطن منة كانوا
عنها غافلين • فقد كانوا يعلمون من علم الفطرة ان تربة الوطن تغذي
وتروي ، فجاءهم من علم النبوة انها تشفي ، فليس هذا الحديث
ارشاداً لمعنى طبي ولكنه درس في الوطنية عظيم • ولو أنصف المحدثون
لما وضعوه في باب الرقي والطب فانه باب حب الوطن أشبه ، وما نرى
رافع اعقيرة بقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن° يوماً مياه مجنة وهل تبدون لي شامة وطفيل

إلا سائراً على شعاعه • وما نرى ذلك الغريب المريض الذي سئل :
فيم شفاؤك ؟ فقال : شمة من تربة اصطخر • وشربة من ماء نهاوند
الا من تلامذة هذا الدرس ، ولقد زادنا ايماناً به بعد ايمان انه يقول :
تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يقل : تربة الارض بريق بني آدم ، فليس
السر في تربة ، وريق ومرض • ولكن السر في أرضنا وبعضنا
ومريضنا - فهذه - والله ربنا - صخرة الأساس في بناء الوطنية
والقومية لا ما يتبجح به المفتونون •

ويقول الروحانيون : ان هناك روحاً طاهرة تتصل بتربة الارض
التي خلق المريض منها وتغذى بنباتها ومائها • وتنفس كبده في جوها
وهوائها • من ريقة منفوثة نفث الخير من نفس مؤمنة قوية الروحانية •
فيكمل التكوين بين الريق والتربة مع اسم الله الذي قامت به السموات
والارض وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة • فيحصل الشفاء بهذا العمل
النفساني • واذا تجلت النفس بعجائبها لم يبق في الوجود عجب •

ويقول غير هؤلاء ما يقول ، وهذه المتون كاسمها متون ، وهذه
الاصول كاسمها اصول •

وهكذا تأتي بعض المتون مع كلام الله وكلام رسوله معجزة
للعقول ، فتنطير من حولها الفهوم والآراء تطاير الشعراء ، ويظن كل
عقل أن حرفته آلة لتفسير تلك المتون ، والعلوم حرف العقول •
والزمان من وراء الكل يصيح ان انتظروا ...

« وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » (١) •

الحاسد: الذي قامت به صفة الحسد. وهو الذي يُحِبُّ أن تسلب النعم
من غيره وقد تلج به هذه الصفة الذميمة فتزين له سلب النعم حتى من
نفسه إذا توقف على ذلك سلبها من غيره ، فهو لا يحب الخير لأحد

ويتمنى أن لا يبقى على وجه الأرض منعم عليه . وانما ينشأ الحسد من العجب وحب الذات فتسول له نفسه أن غيره ليس أهلا لنعم الله ، وكفى بهذا محادة للنعم . والحسد شر تلازمه شرور ، العجب والاحتقار والكبر ، وقد جمع ابليس هذه الشرور كلها حسد آدم عجا بنفسه : « قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ » (١) ورآه لا يستحق السجود احتقارا له فقال : أهذا الذي آكرمت علي ثم تكبر ولم يسجد ورضي باللعة والخزي ، ولا أشنع من صفة يكون ابليس فيها اماما . والحسد شر على صاحبه قبل غيره لأنه يأكل قلبه ويؤرق جفنه ويقض مضجعه ، ولا يكون شرا على غيره الا اذا ظهرت آثاره بأن كان قادرا على الاضرار أو ساعيا فيه ، ولهذا قال تعالى : « إِذَا حَسَدُوا . وَالْمُتَمَنِّي لِلشَّيْءِ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ اتِّبَانِهِ إِلَّا الْعِزُّ . وَأَعْظَمُ مَا يَنْمِي الْحَسَدَ وَيَغْذِيهِ امْتِدَادُ الْعَيْنِ إِلَى مَا مَتَعَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ مَتَاعِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ ، وَنِعْمَةُ الْعَافِيَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالجَاهِ وَالْحُكْمِ وَقَدْ نَهَى اللَّهُ نَبِيَّهُ عَنْ مَدِّ الْعَيْنِ إِلَى مَا عِنْدَ الْغَيْرِ فَقَالَ : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى » (٢) .

وفي هذه الآية مع النهي إرشاد الى علاج الحسد ، فان الحسد مرض نفساني معضل ، ولكنه كغيره من الأمراض النفسية يعالج ، وقد وصف الحكماء له أنواعا من العلاج فصلتها كتب السنة وكتب الفقه النفسي ككتاب الاحياء للغزالي (٣) .



(١) ١١/٧ الاعراف و ٧٦/٣٨ ص .

(٢) ١٣١/٢٠ طه .

(٣) ج ٤ ، م ٤ ، ص ١٨٦ - ٢١٢

غرة ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٣٥٧ - جوان جويليت ١٩٣٨

سورة الناس

قال تعالى : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » (١) .

قد علمنا أن الصفة الجامعة بين هذه السورة وبين التي قبلها (هي المعوذتان) وعلمنا انها تسمية نبوية ، وقد جرت هذه الصفة مجرى الاسم لهما . أما الاسم الخاص بهذه السورة فهو الناس ، كما ان الاسم الخاص بالسورة الاولى الفلق . والمناسبة بين السورتين يرشد اليها اشتراكهما في الوصف وهو التعوذ بهما من الشرور المذكورة فيهما ، وفي السورة الأولى الاستعاذة من الشر العام ومن ثلاثة أنواع منه ذكرنا الحكمة في تخصيصها بالذكر . وفي هذه السورة الاستعاذة من شر واحد لكنه سبب في شرور كثيرة .

والمناسبة القريبة بين السورتين هي أن النفوس الشريرة ثلاثة أقسام: قسم يصدر عنه الضرر ويعمله ، وقسم لا يريد الخير فيسمى في سلبه واتزاعه ، وهو شر من الأول . وقسم يعمل الى إيصال الشر الى سلطان الجوارح ومالك هديها ، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . فهو يحسن له الأشياء القبيحة ويأتيه من جميع النواحي على وجه النصح واردة الخير ، ويزين للانسان كل ما يرديه من القبائح ويأتيه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، قريبا منه متصلا بهواه ، وهذا القسم الاخير هو الذي يوسوس بكلمة السوء مزينة الظاهر مغطاة القبح حتى تستنزل صاحبها الى الهلاك . ولما كان هذا القسم الثالث أعظم خطراً وأكثر شراً وأخسر عاقبة خصص التعوذ منه بسورة كاملة .

رب الناس : هو مربيهم ومعطيهم في كل مرتبة من مراتب الوجود

ما يحتاجون اليه لحفظها ، وهاديهم لاستعمال ما من به عليهم فيما ينفعهم : « رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » وأصله من ربه يربه ربا ، اذا قام على إنشائه وتعاوده في جميع أطواره الى التمام والكمال . ولفظه المصدر ولكن معنى اسم الفاعل كالعدل يراد به العادل .

ومالك الناس : هو الذي يملك أمر موتهم وحياتهم ، ويشرع لهم من الدين ومن الاحكام ما يوافق حياتهم الدنيوية والأخروية . وإله الناس : هو الذي يدينون له بالعبادة والعبودية .

وبلاغة الترتيب انما تظهر جلية عند استعراض أطوار الوجود الانساني ، فالأول : طور التربية والاعداد ، وهما من مظاهر الربوبية ، والثاني : طور القوة والتدبير ، وهما من مظاهر الملك ، والثالث : طور الكمال والقيام بوظائف العبودية ، وهو من مظاهر الألوهية . والمستعاذ منه تارة يوسوس للانسان بما يفسد عليه صلته بربه ، وتارة بما يفسد عليه تدييره وما شرع له لمنفعته وصلاحه . وتارة بما يفسد عليه عبوديته له وهي أشرف علائقه به وأقوى صلاته ، وجماع ذلك أن يبعده عن الله بالوسوسة بواحدة من هذه أو بكلها أو بما يتفرع عنها مما تضمنته الآيات المبينة لأفعال أصل هذه القوة الموسوسة ، مثل قوله تعالى : «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ» (١) أو لذلك الشأن الجاري مجرى الحوار بين ابليس وخالقه كقوله تعالى : « قَالَ فَسِعِرْتَكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » (٢) ، وكقوله تعالى : « قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي

(١) ٢٦٨/٢ البقرة .

(٢) ٨٢/٣٨ ص .

إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتِنَاكِ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» (١) ،
 وكقوله تعالى : « وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمْنِيَّتَهُمْ وَلَا مَرْكَبَهُمْ
 فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْكَبَهُمْ فليَغَيِّرُنَّ خَلْقَ
 اللَّهِ » (٢) فهو جاهد في أن يبعد الناس عن الله بافساد العقيدة
 الصحيحة فيه ، أو بالصرف عن شرع الله ، أو بالحمل على عبادة غيره ،
 فلذلك كله جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية
 التي يريد الشيطان أن يقطعها . والرب رب الناس وغيرهم ، بل رب
 العالمين ، وانما خص الناس بالذكر لأنهم هم هدفه ومرمى وسوسته . ولأنهم
 هم المأمورون بالاستعاذة منه . ولأن عالم التكليف أشرف ، فاليهم يوجه
 الخطاب واليهم يساق التحذير ، وهذه الوسوسة نتيجة للعداوة بين
 أصليهما ، فأمر الله بالاستعاذة منها هو تسليح إلهي لبني آدم لتثيت
 سنة التعمير التي هي حكمة الله من وجودهم .

ونكتة أخرى في تخصيص الناس بالذكر دون بقية أفراد المرئيين
 وهي أنهم هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال . وقد
 ضلوا بالفعل في ربوبية الله وفي ألوهيته . . ضلوا في الربوبية باتخاذ
 المشرعين ليشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ويصدوهم بذلك
 عما شرع الله . وضلوا في الألوهية بعبادة غير الله بما لا يعبد به
 أحد غيره كالدعاء .

وأختير لفظ الناس من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالشعر
 والبرية لأنه ينوس ويضطرب وينساق وهي صفات يلزمها التوجه ويسهل
 التوجيه فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة والتسديد فيها

(١) ٦٢/١٧ الاسراء .

(٢) ١١٨/٤ النساء .

ما دام لا يملك لنفسه ذلك وما دام محاسبا عليه وما دامت هناك قوة مسلطة تنزع به الى الشر .

ففي تخصيص الناس بالذكر تنبيه الى أنهم أحوج المربوبين الى تأييد الله وأحقهم بطلب ذلك منه ، وقد أرشدهم الى ذلك وله الحمد .
ولو تفقه الناس في معنى اسمهم واشتقاقه لعلموا بفطرتهم أنهم مخلوقات ضعيفة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا يثقون أنه لا بد لهم من رب يريهم ويحميهم ومالك يدبر أمورهم واله يعبدونه ويتخذون العبودية له جنة من استعباد الأقوياء .

ويجوز — اذا راعينا الأدب وكمال التنزيه في حمل الألفاظ التي تضاف الى كلمة رب على أشرف معانيها — أن تحمل كلمة (الناس) على معنى أخص مما يتناوله عموم الجنس . وهو الامائل والاختيار منهم الجامعون لمعاني الانسانية الفاضلة ، وهذا المعنى تعرفه العرب فانهم كثيرا ما يطلقون اسم الجنس على الفرد أو الأفراد الكاملين في حقيقته . وان كان هذا من المجاز في كلامهم وقد حملوا على هذا المعنى قوله تعالى : « آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ » (١) .

ونكتة الاعداء والاظهار للفظ الناس ، توضيح المعنى والقات النفس اليه وايقاظ شعورها به والتسجيل على الناس بان لهم ربا هو مالكم والههم .

« مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ » (٢) — الوسواس هنا صفة الموسوس وان خالف اليهود في ابنية الصفات ، أو هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال والزلزلة ، وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء . والعرب

(١) ١٣/٢ البقرة .

(٢) ٤/١١٤ الناس .

تسمي حركة الحلي وسواسا ، وهذا المعنى واضح في المراد هنا فان الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله ، والموسوس من الانس يتحرى الاخفاء ما استطاع ويحكي الحيلة في ذلك ولا يرمي رميته الا في الخلوات . وان الناس ليعرفون عرفانا ضروريا من الفرق بين المصلحين والمفسدين ان الاولين يصدعون لكلمة الحق مججلة ويرسلون صيخته داوية ويعملون أعمالهم في وضح النهار ومحافل الخلق وان الآخرين يتهامون اذا قالوا ويستترون اذا فعلوا ويمعدون الى الغمز والاشارة والتعمية ولو وجدوا السبيل لكانت لهم لغة غير اللغات . ولكان الزمن كله ظلمات ، والارض كلها مغارات .

والخناس — وصف مبالغة في الخانس من الخنوس وهو التأخر بعد التقدم ومن ملابسات هذا المعنى ومكملاته في المحسوس أنه يذهب ويجيء ويظهر ويختفي اغراقا في الكيد وتقصيا في التطور حتى يبلغ مراده . فالله تعالى يرشدنا بوصفه بهذه الصفة الى أن له في عمله كرا وبرا وهجوما وانتهازا واستطرادا على التصوير الذي صوره ابليس في ما حكى الله عنه : « ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ » (١) . يرشدنا بذلك لنعد لكل حالة من حالاته عدتها . ولنضيق عليه المسالك التي يسلكها ، كما ان وصفه بهذه الصفة يشعر بأنه ضعيف الكيد لأن الخنوس ليس من صفات الشجاع المقدام . وانما هو كالذباب تذبذبه بذكر الله من ناحية فيأتيك من ناحية ثم دوايك حتى تمل أو يمل ، وأما التهويل في وصفه بما يأتي بعد فهو مبالغة في التحذير منه لأن وصفه بالضعف مظنة لاحتقاره والتساهل في أمره .

الكذبي يثوسوس في صدور الناس — قال يوسوس

(١) ١٦/٧ الاعراف .

خلاصة تفسير العوذتين

بالمضارع اشعارا بعد اشعار بتجدد الوسوسة منه وعدم انقطاعها .
وقال : **فِي صُدُورِ النَّاسِ** . والصدر ملتقى حنايا الأضلع ومستودع
القوى التي كان الانسان انسانا بها ومجمع المضع التي تحمل تلك
القوى . والقلب واحد منها ، فالقلب غير الصدر ، وانما هو فيه ولذلك
قال : **« وَلَكِنَّ تَعْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدْرِ »** (١) .
ومواقع استعمال القرآن لكلمة الصدر مفرداً وجمعاً والحكم عليها
بالشرح والخرج والضيق والشفاء والاختفاء والاكنان - ترشدنا الى
أنه ليس المراد منه الصورة المادية ولا أجزاءها المادية وانما المراد القوى
النفسية المستودعة فيه ، وان الوسواس الخناس يوجه كيده ووسوسته
الى هذه القلعة التي هي الصدر لأنها مجمع القوى .

وقال : **« فِي صُدُورِ النَّاسِ »** ولم يقل في قلوب الناس ، لأن
القلب مجلى العقول ومقر الايمان ، وقد يكون محصنا بالايمان فلا
يستطيع الوسواس أن يظهره ولا يستطيع له نقبا .

« مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ » الجنة جماعة الجن وهم خلاف الانس ،
والمراد هنا أشرار ذلك الجنس لأن منهم المسلمين ومنهم القاسطين .
واستعمل لفظ الجنة في القرآن بمعنى المصدر الذي هو الجنون في
قوله تعالى : **« مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ »** (٢) ولما كان الموسوسون
فريقين متعاونين على الشر ذكرهما الله تعالى في مقام الاستعاذة من شر
الوسوسة ليلتئم طرفا الكلام ويحصل التقصي الوصفي في المستعاذ
به والمستعاذ منه .

وقد قسم القرآن الشياطين ، وهم القائمون بوظيفة الوسوسة ،

(١) ٤٦/٢٢ الحج .

(٢) ١٨٣/٧ الاعراف .

الى قسمين : شياطين الانس وشياطين الجن ، وذكر ان بعضهم يوحى الى بعض زخرف القول ، وشيطان الجن ميسر للشر فكل من يعمل عمله من الانس فهو مثله . ومن شياطين الانس بطانة السوء وقرين السوء .

وورد في الآثار ان لكل انسان قرينا من الجن ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ثَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ »^(١) وقال « وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ »^(٢) وهو من باب توزيع الجمع على الجمع ، أي لكل واحد قرين ، فهذا الانسان الضعيف يلزمه قرين من الجن ثم لا يخلو من قرين أو قرناء من الانس يزينون له ما بين يديه وما خلفه ويصدونه عن ذكر الله فماذا يصنع ؟ ما عليه الا أن يلتجئ الى الله ويستعيذ به ويتذكر فانه لا يؤخذ وهو ذاك مستيقظ وانما يؤخذ اذا كان غافلا ، قال تعالى : « وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ »^(٣) وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ »^(٤) .

ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة انه يقدم أحد الاسمين المتلازمين في آية لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام ، ثم يؤخر ذلك المقدم في آية أخرى لسر آخر ، فيقدم السماء على الأرض في مقام ويؤخرها عليها في مقام آخر ، ومن هذا الباب تقديم الانس على الجن

(١) ٣٦/٤٣ الزخرف .

(٢) ٢٥/٤١ فصلت .

(٣) ١٩٩/٧ الاعراف و ٣٦/٤١ فصلت .

(٤) ٢٠٠/٧ الاعراف .

في آية الأنعام لأن معرض الكلام في عدواتهم للأنبياء وهي من الانس أظهر ودواعيها من التكذيب والايذاء أوضح • وفي آية (الناس) قدم الجنة على الناس لان الحديث عن الوسوسة وهي من شياطين الجن أخفى وأدق وان كانت من شياطين الأنس أعظم وأخطر وأدهى وأمرء • فشیطان الجن يستخدم شیطان الأنس للشر والافساد فيربى عليه ويكون شراً منه لانه بمثابة السلاح الذي يفتك به ، ورب كلمة واحدة صغيرة يوحىها جنياً لأنسي ويوسوس اليه بتنفيذها ، فتتولد منها فتن ويتمادى شرها من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل ، وهذا النوع الانساني المهياً لقابلية الخير وقابلية الشر ، اذا انحط وتسفل كان شراً محضاً ، واذا ترقى وتعالى شارف أفق الملأ الأعلى وأوشك أن يكون خيراً محضاً لولا أن العصمة لم تكتب الا لطائفة منه وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

فالانسان اذا انحط يكون شراً من الشيطان ، واذا ارتقى يكون أفضل من الملك — أعني جنس الانسان — ومن هذا الجنس كان محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — أكمل الخلق الذي ليس لمخلوق رتبة مثله في الكمال •



اتهى تلخيص الدرس وقد حرصنا على ما وعته الذاكرة من معانيه وقيده القلم من ألفاظه ثم تصرفنا في المواضيع التي طرقها الاستاذ بما لا يخرج عن مراده ولا يخالف طريقته في تفسير كلام الله والله ينفعنا بالقرآن ويوفقنا الى خدمته (١) •

(١) ش : ج ٤ ، م ١٤ ، ص ٢٠٦ - ٢١٢

غرة ربيع الثاني وجمادي الاولى ١٣٥٧ - جوان جويلية ١٩٣٨

حول كلمات الاستاذ الكبير

في تفسير آيات الزينة والستر

- ١ -

نشرت جريدة « الزهرة » الغراء حديثاً لفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي بحضرة تونس ، أفضى به لأحد محرري جريدة « اللواء التونسي » ، فرأينا في بعض ما قاله الأستاذ نظراً لا ينبغي السكوت عليه فكتبنا عليه ما يلي :

قال المحرر : « ثم تلا - الأستاذ - قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۖ ۞ » (١) الآية ، يقال للمرأة اذا زال ثوبها عن وجهها : أدني عليك من ثوبك ، أي استري وجهك ، وتلا قوله تعالى : « وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ۖ ۞ » الآية قلت - المحرر - وما المراد من الزينة ؟ قال : الزينة هي الوجه إذ الوجه هو مناط جمال المرأة » .

فظاهر من مساق تلاوة الأستاذ للآية ان يستشهد بها على وجوب ستر الوجه . وظاهر من السؤال انه عن المراد بلفظ الزينة من :

(١) ٥٩/٣٣ الاحزاب .

(٢) ٣١/٢٤ النور .

حول كلمات الاستاذ الكبير

« وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ » وظاهر من الجواب انه فسر الزينة بالوجه في قوله « زِينَتَهُنَّ » .

ولو ذهبنا على هذا الرأي في الاستشهاد والجواب لكان تقدير الآية هكذا ، ولا يبدین وجوههن الا ما ظهر من وجوههن . وهذا لا قائل به وتكاد لا تكون فائدة لمعناه .

والصواب : ان الذي فسر بالوجه والكفين - لا بالوجه فقط - هو لفظة « ما » في قوله « إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » وهي واقعة على الزينة الظاهرة . إذ الزينة منها باطن كالسوار للذراع والدمليج للعضد والقرط للاذن والقلادة للنحر والخلخال للساق ، ومنها ظاهر كالكحل للعين والخاتم للاصبع . والزينة هي هاته الأشياء المترين بها ونحوها . فتعلق بها هذا الخطاب باعتبار محالها فالمقصود محالها بدليل انها اذا لم تكن في محالها لا يتعلق بها هذا الخطاب وقد جاء تفسير الزينة الظاهرة عن السلف مرة بالوجه والكف ومرة بالكحل والخاتم ، والثاني راجع للأول لأن الوجه محل الكحل والكف محل الخاتم ، فالثاني فسر على حقيقة اللفظ والأول على المراد .

ولما قال الله تعالى : « وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ » عمّ اللفظ الباطنة والظاهرة . ولما قال « إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » خص الظاهرة فجاز ابدائها وبقيت الباطنة على المنع . وأفادت الآية منع كشف العنق والصدر والساق والذراع وجميع الباطن ، وأباحت كشف الظاهر ، وهو الوجه والكفان ، إذ هما ليس بعورة من المرأة باجماع .

فبان بهذا بطلان تفسير الاستاذ الزينة من « زِينَتَهُنَّ » بالوجه ، وبطلان استلاله بالآية على وجوب ستره ، إذ هي بالعكس دالة على جواز ابدائه بحكم الاستثناء الصريح .

ونرى أن تزيد المقام تقريراً وتوضيحاً بما نقله عن امامين كبيرين في الحديث والفتوى : الامام الجصاص الحنفي والقاضي عياض المالكي .
ثم عن امام دار الهجرة .

قال الجصاص : - وهو يريد « إلا ما ظهرَ منها » - . « وقال أصحابنا: المراد الوجه والكفان، لأن الكحل زينة الوجه والخضاب والخاتم زينة الكف ، فاذ قد أباح النظر الى زينة الوجه والكف فقد اقتضى ذلك لا محالة اباحة النظر الى الوجه والكفين . ويدل على أن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة أيضا أنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين ، فلو كانا عورة لكان عليها سترهما كما عليها ستر ما هو عورة . واذا كان كذلك جاز للأجنبي أن ينظر من المرأة الى وجهها ويديها بغير شهوة » .

وقال عياض « في هذا كله - وهو يعني حديث نظر الفجأة - عند العلماء حجة انه ليس بواجب ان تستر المرأة وجهها وانما ذلك استحباب وسنة لها . وعلى الرجل غض بصره عنها الى ان قال : ولا خلاف ان فرض ستر الوجه مما اختص به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . اه من الاكمال بنقل المواق . ونقل صدره النووي وأقره .

وفي الموطأ : (سئل مالك : هل تأكل المرأة مع غير ذي محرم منها أو مع غلامها ؟ فقال : ليس بذلك بأس ، اذا كان على وجه ما يعرف للمرأة أن تأكل معه من الرجال . قال : وقد تأكل المرأة مع زوجها ومع غيره ممن يواكله أو مع أخيها على مثل ذلك) .

فمالك يرى جواز مواكلة المرأة للأجنبي اذا لم تكن في خلوة معه ، بان كان ذلك بحضرة زوجها أو أخيها مثلاً . وهي تقتضي ابداء وجهها وكفيها للأجنبي إذ ذلك لازم عند المواكلة كما قاله الباجي وأقره .
فهذه النقول كلها مفيدة لما دلت عليه الآية من أن الوجه والكفين

ليسا بعورة وأنه لا يجب على المرأة سترهما • نعم نصّ أكثر الفقهاء المتأخرين مع جميع المذاهب على أن المرأة يجب عليها ستر وجهها إذا خشيت منها الفتنة ، وهذا حكم عارض معلل بهذه العلة ، فيدور معها وجودا وعدما • ولذا لما كنا نتحقق الفساد بسفور نساء المدن والقرى — وحالتنا هي حالتنا — لا نرى لهن جواز السفور ما دامت هاته الحال ، ونعرف نساء جهات في بادية قطرنا لا يسترن وجوههن وليس بهن فساد ولم تقع بهن من فتنة ، فلما سئلنا عن سفورهن اجبنا بتركنهن على حالهن أخذاً بأصل الجواز •

اننا بما كتبنا أردنا اعتراض عبارة الاستاذ وبيان الحكم الأصلي لستر الوجه والكفين والحكم العارض ، وقد بينا ذلك حسب المستطاع • وبقي الكلام على آية الادناء التي ربما تظن معارضتها لآية الابداء المتقدمة وستكلم عليها في العدد الآتي ان شاء الله •

— ٢ —

نعيد اليوم — وقد عدنا الى تمام هذا الموضوع — ما كنا صرحنا به في القسم الأول من قولنا : « ••• فهذه النقول كلها مفيدة لما دلت عليه الآية من أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأنه لا يجب على المرأة سترهما • نعم نص أكثر الفقهاء المتأخرين مع جميع المذاهب على أن المرأة يجب عليها ستر وجهها إذا خشيت منها الفتنة ، وهذا حكم عارض معلل بهذه العلة فيدور معها وجوداً وعدماً • ولذا لما كنا نتحقق الفساد بسفور نساء المدن والقرى — وحالتنا هي حالتنا — لا نرى لهن جواز السفور ما دامت هاته الحال • ونعرف نساء جهات في بادية قطرنا لا يسترن وجوههن وليس بهن فساد ولم تقع بهن من فتنة فلما سئلنا عن سفورهن اجبنا بتركنهن على حالهن أخذاً بأصل الجواز » • نعيد هذا ليتقرر ما نريده عند قارئنا بجلاء تام •

قد فرغنا في القسم الاول من الكلام على آية الابداء وهي آية قوله تعالى : « وَلَا يُبَدِّلُ زِينَتَهُنَّ » ونزيد أن تتكلم في هذا القسم على آية الإدناء وهي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً » . وفي هذه الآية تفسيران أخذ الاستاذ بأحدهما وهو مرجوح في نظرنا بما نقيسه من الادلة على مرجوحيته ، وستتكم على الآية في ثلاثة مباحث .

المبحث الأول

في معنى الادناء والجلابيب

الادناء من الدنو وهو القرب ، فالادناء التقريب ، فيدنين عليهن من جلابيبهن بمعنى يقربن عليهن ، وأصل فعل دنا أن يتعدى بسن ، تقول : دنوت منه وادنيته منه ، وانما يتعدى بعلی اذا كان في الكلام معنى الارخاء أو الضم كما في قوله تعالى « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا »^(١) وكما في « يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ » .

والجلباب — على اختلاف عبارات اللغويين في تفسيره — هو الثوب الأعلى الذي تجعله المرأة فوق رأسها وترسله على بدنها كالمحففة ونحوها .

و « من » للتبعيض لأن الذي تدنيه عليها من ناحية وجهها إنما هو بعض جلابيها .

فأفادت الآية طلب تقريب المرأة بعض جلابيها وارتخائها وضمه عليها

(١) ١٤/٧٦ الدهر .

من ناحية وجهها • وهذا محتمل لان يكون بتغطية جميع الوجه
وبتغطية بعضه • واختلاف المفسرين من السلف في معنى الآية دليل
على وجود هذا الاحتمال • وما نقله الاستاذ بالمعنى من تفسير الزمخشري
هو أحد الوجهين المحتملين وأجود ما نقل عن أئمة العربية في تفسير
الآية قول الكسائي : « يتقنعن بملاحفن منضمة عليهن » قال
الزمخشري : « أراد بالانضمام معنى ادناء » والتقنع لا يقتضي ستر
الوجه كله •

المبحث الثاني

في اختلاف المفسرين من السلف

في الآية قولان لهم نقلهما ابن جرير في تفسيره الشهير •
الاول — هو أن يغطين وجوههن ورؤسهن فلا يبدن منهن إلا
عيناً واحدة • وهذا قول عبيدة وقول ابن عباس من طريق ابي صالح •
الثاني — أمرن أن يشددن جلايبهن على جباههن ، وهو قول
قتادة وقول ابن عباس من طريق محمد بن سعد •

المبحث الثالث

في الترجيح

قد مضت آية الابداء مفيدة جواز ابداء الوجه والكفين على مقتضى
ما تقدم من البيان ، وجاءت بعدها هذه آية الادناء محتملة لطلب ستر
الوجه كله كما في القول الأول • وتكون عليه معارضته لآية الابداء
المتقدمة ، تلك تبيح كشف الوجه وهذه تحظره ، ومحتملة لطلب
الارخاء والضم لبعض الجلاب على بعض الوجه وهو الجبين كما في
القول الثاني ولا تكون حينئذ معارضة لآية الابداء •

وحملها على ما لا تكون به معارضة بين الآيتين — وهو الوجه الثاني — أرجح وأولى إن لم يكن متعينا .

ثم ان قوله تعالى : « ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ » يفيد أن علة طلب الادناء هي تمييزهن عن الاماء اللاتي كن يمشين حاسرات أو بقناع مفرد فيتعرضن لهن أهل الشطارة والسفهاء . وفي الادناء على الوجه الثاني في الآية تحصيل لهذا المقصود من التمييز ، فحملها عليه مناسب للعلة وسالم من المعارضة فهو المختار .

وبهذا التقرير تكون كل آية مفيدة معنى غير الذي أفادته الأخرى ، فأية الابداء أفادت طلب ستر الأعضاء الا الوجه والكفين ، وآية الادناء أفادت طلب الستر الأعلى الذي يحيط بالثياب ويعم الرأس وما والاه من الوجه وهو الجبين وينضم على البدن ، ليحصل به تمييز الحرائر بالمبالغة في التستر والاحتشام . وهذا هو المناسب لجوامع كلم القرآن والله أعلم (١) .



(١) ج ٣ ، م ٥٥ ، ص ١٩ - ٢١
غرة ذي القعدة ١٣٤٧ هـ - أفريل ١٩٢٩

كلمة المحتفل به

ختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفلة تكريمه بكلمة بليغة شكر بها الوفود الحاضرة ، وعاد بهم الى الماضي فوزع معاني التمجيد والتكريم التي تجلت عنها الحفلة - على الاصول التي كونته . فكانت كلمته درسا في التواضع وعرفان الجميل عرف منه الحاضرون ناحية نفسية من اخلاق الاستاذ المحتفل به . وقد حافظنا ما استطعنا على معاني تلك الكلمة اذ فاتنا أن نقل الفاظها ، قال حفظه الله (1) :

أيها الأخوان :

أتم ضيوف القرآن • وهذا اليوم يوم القرآن • وما أنا إلا خادم القرآن •

فاجتماعكم على تنائي الديار وتباعد الأقطار هو في نفسه تنويه بفضل القرآن ودعوة جهيرة الى القرآن في وقت نحن أحوج ما نكون الى دعوة المسلمين الى قرآنهم • فهل علمتم أنكم باحتفالكم هذا قمتم بواجبات أهونها ما سميتوه احتفالا بشخصي •

إن أقوال خطبائكم وشعرائكم كلها في الحقيقة اشادة بيوم القرآن ووفود القرآن وكل ما لي من فضل في هذا فهو أنني كنت السبب فيه •

أيها الاخوان •

أنا رجل أشعر بكل ما له أثر في حياتي • وبكل من له يد في

(١) كلمة القاها الاستاذ الامام ابن باديس بمناسبة الاحتفال بختم القرآن .



الشيخ عبد الحميد يلقي كلمة شكر للمحتفين به بمناسبة ختم القرآن



صورة تمثل تقديم الهدايا لفضيلة الاستاذ عبد الحميد
بمناسبة الاحتفال بختم القرآن

تكويني • وان الانصاف الذي هو خير ما ربي عليه امرؤ نفسه —
ليدعوني أن أذكر في هذا الموقف التاريخي العظيم بالتمجيد والتكريم
كل العناصر التي كان لها الأثر في تكويني حتى تأخذ حظها مستوفى من
كل ما أفرغتم على شخصي الضعيف من ثناء ومدح بالقول والفعل •
فاني أشهد الله أنكم بالغتم في التحفي بي والتنويه بأعمالي ، وأشهد
أن هذا التحفي عسير عليّ جزاؤه ثقل علي حمله ، فلعلي إذا ذكرت
هذه العناصر ووفيتها حقها من الاعتراف لها بالفضل توزعت حصصها
من التنويه وتقاضت حقوقها من الثناء الذي أثقلت به كاهلي • فأكون
بذلك قد أرضيت ضميري وخففت عن نفسي •

ان الفضل يرجع أولاً الى والدي الذي ربّاني تربية صالحة
ووجهني وجهة صالحة • ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشرباً أردته وقاتني
وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً •
وكفاني كلف الحياة فلاشكره بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر •
ولأكل ما عجزت عنه من ذلك لله الذي لا يضع جزاء العاملين •

ثم لمشائخي الذي علموني العلم وخطوا لي مناهج العمل في الحياة
ولم يبخسوا استعدادي حقه ، وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البالغ
في تربيتي وفي حياتي العملية ، وهما من مشائخي اللذان تجاوزا بي حد
التعليم المعهود من أمثالهما لأمثالي — الى التربية والتثقيف والأخذ باليد
الى الغايات المثلى في الحياة • أحد الرجلين الشيخ حمدان الونيسي
القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها ، وثانيهما الشيخ محمد النخلي
المدرس بجامعة الزيتونة المعمور رحمهما الله •

واني لأذكر للأول وصية أوصاني بها وعهداً عهد بي اليّ وأذكر
ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأجدني مدينا لهذا
الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر ، فقد أوصاني وشدّد عليّ أن لا أقرب
الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعل
أمثالي في ذلك الوقت •



صورة للشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله اخذت له بمناسبة
الاحتفال بجتم القرآن

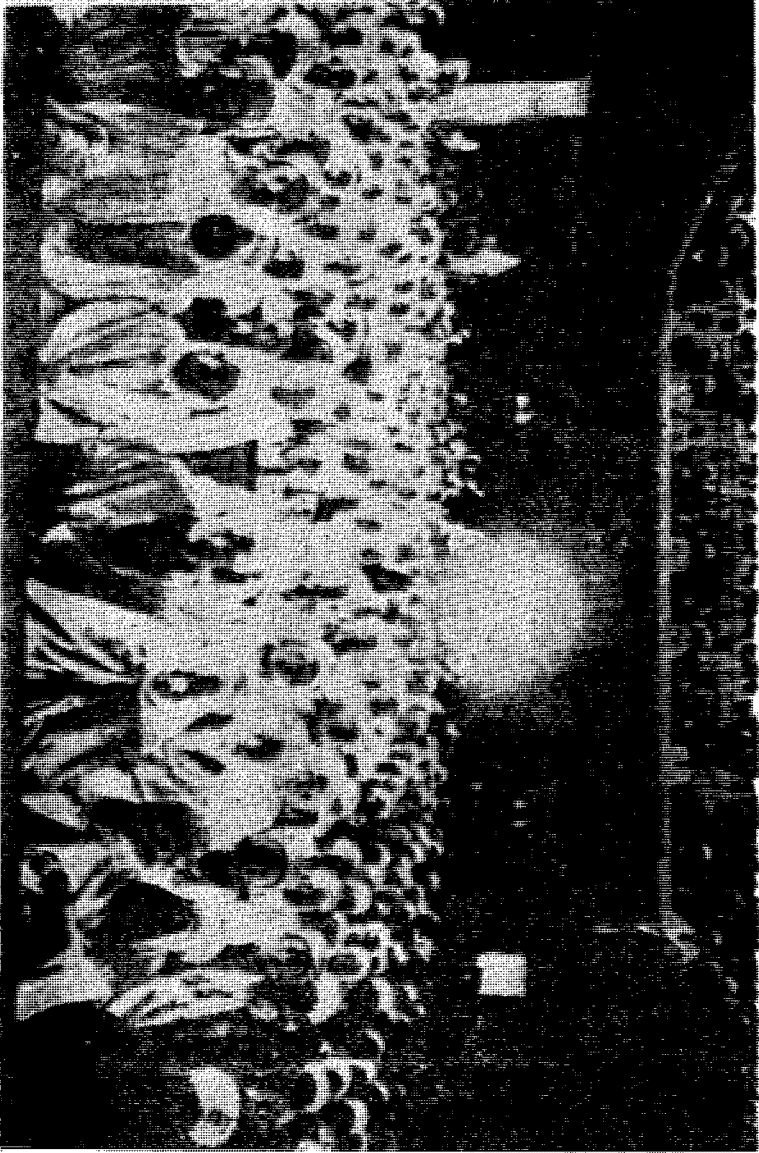
وأذكر للثاني كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية وذلك انني كنت متبرماً بأساليب المفسرين وادخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن ، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله . فذاكرت يوماً الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي : اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح .

فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقاً واسعة لا عهد له بها .

ثم لأخواني العلماء الأفاضل الذين وازوني في العمل من فجر النهضة الى الآن ، فمن حظ الجزائر السعيد ومن مفاخرها التي تتيه بها على الأقطار انه لم يجتمع في بلدٍ من بلدان الاسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء ووفرة الحظ من العلم مؤتلفة القصد والاتجاه مخلصمة النية متينة العزائم متحابة في الحق مجتمعة القلوب على الاسلام والعزيمية قد ألفت بينها العلم والعمل — مثل ما اجتمع للجزائر في علمائها الابرار فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادي وتائل بطارفهم تلامي ، أطال الله أعمارهم ورفع أقدارهم ، ثم لهذه الأمة الكريمة المعوانة على الخير المنطوية على أصول الكمال ذات النسب العريق في الفضائل والحسب الطويل العريض في المحامد .

هذه الأمة التي ما عملت يوماً — علم الله — لارضائها لذاتها . وانما عملت وما أزال اعلم لارضاء الله بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سددها في الفهم وأرشددها الى صواب الرأي فتبينت قصدي على وجهه وأعمالي على حقيقتها فأعانت ونشطت بأقوالها وأموالها وبفلسفات

صورة اخذت بمناسبة ختم القرآن في قاعة كلية التمريض بقسطنطينية يوم الاثنين ١٤ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م



أكبادها • فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي •

• ثم الفضل أولاً وأخيراً لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه والتفقه في أسراره والتأدب بأدابه • وان القرآن الذي كوّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالاً في الخلف لو احسن فهمه وتدبره وحملت الأنفس على مهاجه •

• أيها الاخوان •

إذا لم يكن لي في حياتي العلمية من لاف للقرآن الا تلك الكلمة التي سمعتها من الشيخ النخلي ، وقد فعلت فعلها في نفسي وأوصلتني في فهمي الى الدرجة التي تحمدونها اليوم فاننا - والحمد لله - نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم الى القرآن في كل يوم وغايتنا التي ستحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها • وان أعز ما وصلنا اليه هو تبين الغاية وتلاقي الجهود وفقنا الله واياكم للأعمال الصالحة ورزقنا الاخلاص فيها والثبات عليها انه سميع مجيب (١) •

كلمة الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس (٢)

• أيها الاخوان :

الاسلام دين الحياة والعلم والفن ، والحياة قوة وإيمان وجمال ،

(١) ش : ج ٤ ، م ١٤ ، ص ٢٨٨ - ٢٩١
غرة جمادى الثانية وربيع الثاني ١٣٥٧ - جوان وجويلية ١٩٣٨

(٢) كلمات قالها بمناسبة احتفال ختم تفسير القرآن أيضا •



أخذت هذه الصورة بمناسبة الاحتفال بختام الشيخ عبد الحميد لتفسير القرآن يوم الأحد ١٣ ربيع الثاني
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م في الجامع الأخضر بقسنطينة ، وقد وقع احتفال الختم في كلية الشعب

والعلم يمثل القوة ، والفن يمثل الجمال وبهذا تحتفل بكم - يا ضيوف القرآن - جمعيات قسنطينة الحيوية التي تمثل القوة والايمان والجمال .
أيها الاخوان :

إذا كنت استمد القوة والحياة فانما استمدهما ممن أولوني شرف الثقة والاخلاص لديني ولأمتي وأخص منهم الأسود الكبار ، وهم اخواني الأقوياء من رجال العلم الذين اجدني مهما وقفت موقفا الا وجدتهم معي كالاسود . وأما الاشبال الصغار فهؤلاء الأبناء الذين تشاهدونهم يحتفلون بكم الليلة . ولقد جاءت قسنطينة تحييكم بكبارها وصغارها . فذكراكم يا ضيوف القرآن خالدة وهي منقوشة في قلبي لا تفنى ولا تمنحي .

انني أعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والاسلام كما قضيت سوادي عليهما ، وأنها لواجبات . . . وإتني سأقصر حياتي على الاسلام والقرآن ولغة الاسلام والقرآن ، هذا عهدي لكم .

وأطلب منكم شيئا واحداً وهو أن تموتوا على الاسلام والقرآن ولغة الاسلام والقرآن .

انا زارع محبة ، ولكن على أساس من العدل والانصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ومن أي دين كان ، من كل جنس من كل دين .

فاعملوا للأخوة ولكن مع كل من يعمل للأخوة فبذلك تكون الأخوة صادقة (١) .

(٢) ش : ج ٧ ، م ١٥ ، ص ٣٤٦
غرة رجب ١٣٥٨ هـ - اوت ١٩٣٩ م .

آثار ابن بادیس

قسم الحدیث

الفن الأدبي في الحديث النبوي

كان للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — حادٍ يقال له انجشهُ وكان حسن الصوت ، وكان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في مسير له فحدا الحادي ، وكان يحدو بهن ، فقال له النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : « ويحك يا انجشهُ رويدك سوقك بالقوارير » . قال أبو قلابة : فتكلم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله : « سوقك بالقوارير » رواه البخاري في باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه وفي باب المعارض وغيرهما من طريق أبي قلابة وثابت البناني وقتادة ثلاثهم عن أنس — رضي الله تعالى عنهم — وسقناه من مجموع ألفاظهم •

الاشخاص :

انجشة غلام حبشي كان يحدو في السفر بالنساء كما كان البراء بن مالك يحدو بالرجال • أبو قلابة : امام شهير من فقهاء التابعين نزل الشام ومات بها •

المفردات :

الحدو والحداء : سوق الابل والغناء لها لتتنشط وتسرع في السير • ويح : كلمة تقال لمن وقع في بلية أو توقعت له رحمة له ، بخلاف ويل فانها تقال لمن وقع في عذاب أو توقع له وهو يستحقه ولا يرحم فيه • وانجشة : هنا شارف أن يقع في بلية كسر القوارير فخطوب خطاب رحمة من الوقوع في ذلك • رويدك : مصدر مصغر

الفن الأدبي في الحديث النبوي

بمعنى امهال القوارير ، جمع قارورة ، وهي الزجاجاة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها • القوارير : النساء •

التركييب :

ويحك : منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف لم يستعمل ، وتقدير الكلام : هلكت هلاكك الذي تستحق عليه الرحمة • رويدك مثله وتقديره أمهل امهالك • ونصب سوقك على التوسع باسقاط الخافض أي في سوقك ، ولما كان يدعوه الى الرفق اقتضى الحال أن يعبر عن المطلوب الرفق به ، وهن النساء بالقوارير على طريق الاستعارة التصريحية حيث شبهن بها بجامع الرقة واللفظ والضعف ، وحذف لفظ المشبه وذكر لفظ المشبه به • فكانت اللفظة المجازية بالغة غاية البيان عن حالة النساء وكان التركيب بها بالغا غاية البلاغة باشتماله على ما اقتضاه حال الدعاء الى الرفق مما صورهن بصورة تدعو الى الرفق وتستوجه •

المعنى :

لما غنى انجشة للابل وعلى ظهورها النساء نشطت واعنت في السير فاتعبتهن فاشفق النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — عليهن فأمر انجشة بالرفق بهن لانهن ضعيفات عن تحمل شدة الاضطراب فوق ظهور الإبل المسرعة •

الفن :

ادراك صفات الشيء على ما هي عليه من حسن وقبح ادراكا صحيحا ، والشعور بها كذلك شعورا صادقا والتصوير لها تصويرا مطابقا ، بالتعبير عنها بعبارات بليغة في الابانة والمطابقة للحال ذلك هو الفن الادبي ، والنفوس تميل الى الحسن وتشرح له وتنفر من

القبيح وتنقبض عنه ، ولذا كان أكثر الفن الأدبي في تصوير الحسن وعرضه على الناس ليشاركوا الفنان في ادراك ذلك الحسن والشعور به والتذوق للذة ذلك الادراك والشعور . وفي ذلك تربية للملكة الذوق الحسن في النفوس . وان النفوس لفي أشد الحاجة الى تلك الملكة لتتعم بصور هذا الكون العظيم وما فيها من حسن فتقاوم بذلك ماتعانيه من متاع الحياة وأوصابها وتدفع بلذة ذلك الشعور بالحسن ما تجده من آلامها ، واذا رجعت الى القرآن العظيم فانك تجد العدد العديد من آياته الكريمة يعرض علينا أنواعا من مخلوقات الله تعالى في صورها الحسنة الجذابة واقراً في ذلك — مثلاً — سورة الرحمن فانك واجد ما قلناه . وكذلك في الأحاديث النبوية عدد كثير من مثل ذلك ، ومنها هذا الحديث الشريف الذي بين أيدينا ، فقد صور النساء في صورة حسنة جذابة بما في القوارير من بياض ولعان ودقة ولطف مع التصوير لحقيقة حالهن في الضعف الخلقى وفي الضعف القلبي وسرعة انكسار قلوبهن وعسر انجبارها ، فكانت هذه العبارة آية من آيات الفن الادبي ، التي تدخل على النفوس بهجة وانشراحا وتثير فيها حساسة الذوق للحسن والجمال . وقد التقى كعب بن زهير قصيدته المشهورة في حضرة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فوصف المرأة والماء الذي مزجت به الخمرة والناقة وصورها تصويراً فنيا ولم ينكر عليها^(١) لانه لم يكن يصف شخصا معينا يؤدي وصفه الى اثاره الشهوة البهيمية نحوه وانما كان يعرض صوراً من محاسن تلك الأشياء التي تلذ للنفوس البشرية صورها الجمالية وتنمي فيها قوة الشعور والذوق .

الرد على المتشددین :

علم أبو قلابة — رضي الله تعالى عنه — تشدداً وتنطعا مما كان

(١) كذا في الاصل وصوابه : عليه .

الفن الأدبي في الحديث النبوي

حدثهم بهذا الحديث يحملانهم على الامتناع من الكلمات التي فيها بعض وصف النساء فرد عليهم بتكلم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا (١) الكلمة التي لو تكلم بها أحدهم لعابوها عليه وبين لهم أن لا عيب فيها وفي مثلها مما لا فحش في لفظه ولا قبح في معناه ولا غاية سوء من ذكره .

فقه :

في الحديث سماع النساء لصوت الحادي وفيه للعناية بهن في السفر والرفق بهن فيه . وفي التنبيه على المحافظة على قلوبهن وعواطفهن ليدوم ودّهن وسلامتهن ، ويدوم الهناء معهن والاستمتاع بهن لأنهن ضعيفات القلوب رقيقات العواطف شديداً الاحسان (٢) يصبرن على كل شيء من الرجل الا على كسر قلوبهن ومس عواطفهن ، فهذا الحديث الشريف من الأحاديث الكثيرة التي جاءت في الوصاية بالنساء والمحافظة عليهن ومراعاة جانبهن ، ويمتاز هذا الحديث بما فيه من ذكر السبب الذي يوجب ذلك ويقتضيه ، على أيّن تصوير وأبلغه فليكن دائماً على باننا ، في معاملتنا للنساء وحياتنا معهن والله المستعان (٣) .



(١) كذا في الاصل وصوابه : بهذه .

(٢) كذا في الاصل والصواب : الاحساس .

(٣) ش : ج ٢ ، م ٨ ص ٧٥ - ٧٩
غرة شوال ١٣٥٠ هـ - فيفري ١٩٣٢ م .

الراعي الفاش لرعيته

« عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه ، فقال معقل : اني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — لو علمت ان لي حياة ما حدثتكَ به • اني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة » •
(رواه مسلم)

الصحابي الجليل والامير الظالم :

معقل بن يسار (رضي الله عنه) :

أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان • سكن البصرة وبها مات في خلافة معاوية — رضي الله عنه — وحفر نهر بالبصرة بأمر عمر — رضي الله عنه — واليه ينسب ، وفيه جاء المثل : (اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) •

عبيد الله بن زياد :

أبوه زياد بن سمية ، ألحقه معاوية بابي سفيان فنسب اليه • ولقى (عبيد الله) معاوية البصرة وأقره عليها يزيد • وعبيد الله هذا هو الذي جهز الجيوش لقتال الحسين بن علي — رضي الله عنهما — وهو ألزمهم بقتاله — قتله الله — وقد قتله ابراهيم بن الأشعث بعد ، وخبره مذكور ومعروف •

ترك الموعظة خوف المفسدة :

كان معقل بن يسار يرى من ظلم عبيد الله بن زياد وغشه للرعية

ولم يستطع ان يواجهه بما في هذا الحديث من الموعظة خوف أن يبطن به فتشور من أجل قتله أو اذايته ثائرة بالبصرة تؤدي الى سفك دماء المسلمين دون ان تكف ابن زياد عن ظلمه فاتقاء لهذا لم يواجهه بالموعظة حتى جاء عبيد الله لعيادته وقد علم معقل انه في مرض موته فاغتنم الفرصة وجابهه بالموعظة لما خلصت للمصلحة وأمن المفسدة .

ما الراعي وما الرعية :

الرعاية : حفظ الشيء وتفقد أحواله واعطاؤه ما يحتاج اليه و صرفه عما يؤذيه وما لا فائدة له فيه ووقايته مما يعدو عليه ، وكل من جعل الله تحت يده شيئاً من مخلوقاته فقد استرعاه ذلك الشيء أي : جعله في رعايته وطالبه وكلفه بان يراعاه ، فصار مسؤولاً عنه عند الله ، وما من بالغ عاقل ذكراً أو انثى الا وقد جعل الله شيئاً في رعايته ولو لم يكن من ذلك الا نفسه وعقله وبدنه ، وأعظم بهما من شيء تجب رعايته . وهذا معنى التعميم في الحديث .

الواجب على الراعي في رعيته :

يجب على كل راع — بالتعميم المتقدم المستفاد من الحديث السابق — أن ينصح لما استرعاه الله من رعية في القول والعمل وان لا يدخر شيئاً من جهده في حفظه وتفقد أحواله ، واعطائه ما يحتاج اليه ، و صرفه عما يؤذيه وما لا فائدة له فيه ، ووقايته من كل ما يعدو عليه ، وان يستصفي له من الآراء والأعمال والأقوال أبلغ ما يقدر عليه ، فاذا قصر في شيء من هذا فقد غش رعيته بما يدخله عليها من الضرر في ولايته عليها وارتكب بذلك الكبيرة التي توعدها بالنار .

توجيه :

لما كانت أعظم الرعايات رعاية أمر العامة بالامرة والولاية حدث

معقل بن يسار بهذا الحديث عبيد الله بن زياد لأنه كان أميراً لمصر عظيم ، فيكون من أول من يشمله عموم لفظ : (ما من أحد) • وهذا هو وجه تخريج مسلم لهذا الحديث في كتاب الامارة • واما اللفظ فهو على عمومه •

الوعيد - معناه وشرطه وعمومه :

توعد الله على لسان نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - الراعي الغاش بتحريم الجنة عليه • والتحریم هو المنع ويكون موقتا موقوتا ويكون مؤبدا ، فان مات الغاش مستحلا للغش أو عوقب على اصراره بسوء الخاتمة - عيادا بالله - فتحريمها عليه مؤبد ، وان مات مسلما مصرا فتحريمها عليه موقت ، يدخل النار بعشه ثم يخرج منها بما في قلبه من ايمان « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » • وهذا المعنى - على تفصيله - عام بحسب صريح لفظه لكل راع غاش واقتضى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - في الحديث: (يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته) ان هذا الوعيد فيمن مات مصراً ولم يتب ، فاما من تاب ولم يموت يوم مات على غشه فليس داخلاً في هذا الوعيد • نعم ينجو التائب من عقوبة الغش بتوبته ولكنه تبقى عليه تبعات العباد وما ألحق بهم من ضرر وهي حقوق أخرى جنى عليها زيادة على أصل الغش • فلهما عقوباتها والقصاص عليها •

تطبيق :

كل من تولى أمراً من أمور الأمة فهو من رعاتها المسؤولين عنها المتوعدين بهذا الوعيد الشديد اذا غشوها على أي وجه كانت تلك الولاية من الوجوه التي تختلف باختلاف الامم وأوضاعها ومما هو من أعظم الولاية على الأمة اليوم بحسب وضعها ، النيابة عنها والتكلم بلسانها من أدنى درجات تلك النيابة الى أعلاها • فليعلم هذا من

الراعي الغاش لرعيته

يتقدم لهذه الولاية وليراقب الله فيها ، كما على كل راع أن يعلم هذا الوعيد ويحذر ان يقتحمه .

نسأل الله لنا وللمسلمين ان يوفقنا الى القيام باحسن الرعاية في كل ما استرعانا من انفسنا وغير انفسنا (١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ١١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .
ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ - جولية ١٩٣٥ م .

اتحاد المؤمنين وتعاونهم

(المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا) • ثم شبك بين أصابعه • رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري ، ومسلم عنه أيضا الى قوله بعضا •

المفردات :

المؤمن ، (ال) في اللفظين جنسية استغراقية ، فالمراد جميع الأفراد • (للمؤمنين) : اللام لام الاختصاص • و (يشد) : يقوي بعضه بعضا بالتضام والالتحام • (شبك) : أدخل أصابع اليمنى بين أصابع اليسرى وأصابع اليسرى بين أصابع اليمنى •

التراكيب :

الجملة الأولى خبرية لفظا طلبية معنى ، أي ليكن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، وجيء بالطلب على صورة الخبر تنبيها على أن هذا المطلوب هو الشأن الذي لا ينبغي أن يكون سواه ، فهو بحيث يخبر عنه لا أن يطلب • والجملة الثانية استئنافية لبيان وجه التشبيه •

المعنى :

الواجب على كل فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكل فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في التضام والالتحام ، حتى يكون منهم جسد واحد كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) •

زيادة بيان :

لقد قرر الحديث الشريف معنى الاتحاد الذي يجب أن يكون بين جميع أفراد المؤمنين على أكمل وجه في التصوير وأبلغه في التأثير ، فقد شبههم بالبيان وذلك وحده كاف في افادة الاتحاد ، وزاد عليه التصريح بالشد والتقوية ليبين أن في ذلك الاتحاد القوة للجميع تأكيداً للزوم الاتحاد بذكر فائدته ، ثم زاد عليه التصوير بالمحسوس لما شبك صلى الله عليه وآله وسلم بين أصابعه ، هذا كله ليبين للمؤمنين لزوم الاتحاد وضرورته •

تبصر :

ألا ترى البيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة والحجارة الصغيرة والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى ، وكل ذلك محتاج إليه في تشييد البيان ، فكذلك بيان المؤمنين فانه متكون من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم ، فالكبير والجليل له مكانه ، والصغير والحقير له مكانه ، وعلى كل حال أن يسد الشفرة التي من ناحيته مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البيان التي لا غناء لها عنه كما لا غناء له عن كل واحد منها ، فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته بمقدار المركز الذي هو فيه والقدرة التي عنده ، ولا يجوز لأحد وان كان أحقر حقير أن يضل بواجبه من ناحيته ، فانه اذا أزيل حجر صغير من بيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل ، واذا ابتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير • ثم ألا ترى أصابعك وفيها القوي وفيها الضعيف حتى اذا شبكتها صارت كشيء واحد له قوة ومتانة زائدة ، وكل أصبع منها يمكن أن يلوى ما دام وحده ، فاذا شبكتها عسر ليها وقوي أمرها ، فكذلك المؤمنين باتحادهم — وفيهم القوي وفيهم الضعيف — تكون لهم قوة عامة زائدة ، وكل واحد منهم بمفرده يمكن قهره ، فاما اذا اتحدوا فانهم يكونون بقوة اتحادهم في مأمّن من كل قهر •

تفقه :

لما قال صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن للمؤمن .. الخ) علق الحكم على الوصف فاقتضى ذلك أن هذا هو واجب كل مؤمن من حيث انه مؤمن مع كل مؤمن من حيث انه مؤمن ، فيجب لهذا أن تطرح في مقام الاتحاد والتعاون جميع المفرقات من المذاهب والمشارب وينظر الى وصف الايمان فقط ، فهذه المذاهب وهذه المشارب أهلها كلهم أهل ايمان لا يدفع بعضهم بعضا عن ذلك ، والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أمرهم بالاتحاد والتعاون باعتبار الوصف الأصلي الذين هم مشتركون فيه ليكون الاتحاد والتعاون في مكتتهم دون التفتات الى ما أحدثوه من مفرقاتهم . فمن تعامى عن وصف الايمان الموجب للاتحاد ونظر الى مذهب أو مشرب من موجبات الافتراق فقد عصى أبا القاسم - صلى الله عليه وآله وسلم - وحاد الله ورسوله وأعرض عن دعوة الحق وأجاب داعي الشيطان .

سلوك :

علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب أكيد محتم علينا مع جميع المؤمنين ، وأن فيه قوتنا وحياتنا وفي تركه ضعفنا وموتنا . وأن نعلن ذلك بالسنتنا في كل مناسبة من أحاديثنا . وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع اخواننا في كل ما يقتضيه وصف الايمان الجامع العام والله المستعان وعليه التكلان^(١) .

(١) ش : ج ٧ ، م ٧ ، ص ٤٢٩ - ٤٣١
ربيع الاول ١٣٥٠ هـ - جويلية ١٩٣١ م .

دعوى الجاهلية او الكلمة المنتنة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كنا مع النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في غزاة فكسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الانصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ » قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال : « دعوها فانها منتنة » السند رواه الشيخان وغيرهما .

الإلفاظ :

كسعه : ضرب دبره بيده أو صدر قدمه . رجل . . . رجلا : كان الرجلان من الموالي . يا للأنصار ، يا للمهاجرين : استغاثة من كل بقومه ومواليه لينصروه على الآخر . دعوى الجاهلية : الدعاء الذي كان يدعو به أهل الجاهلية بنصرة العصية لاثارة الحمية ، يدعو الرجل قومه لينصروه ولو على الباطل . دعوها : اتركوها . منتنة : مكروهة في العقل والدين ككراهة الشيء المنتن في الشم ومفرقة للجمع كما يفرق التبن المجتمعين .

المعنى :

كان الرجل في الجاهلية — اذا نزل له أمر — استنصر بقبيلته وتعاضد بهم ودعاهم الى معونته ونصرته ، بما بينه وبينهم من عصبية قبلية فتثور حميتهم فيندفعون الى مؤازرته فيؤيدونه ظلما أو مظلوما ، فاذا كان ظلما زادوا في ظلمه واذا كان مظلوما لم ينتهوا عند حد في الانتقام له من ظلمه ، فلما جاء الاسلام أبطل الانتصار بالعصية ،

والتعضد على الانتقام بالقبيلة . وجعل الحكم بالقضاء الشرعي والتوصل اليه بالبينات والحكام . فلو أن ذلك المكسوع كان ممن تأدب بالاسلام وتغلغلت روح الاسلام في قلبه لكان دعا بدعوى الاسلام فقال : يامسلمون قد ضربني هذا . وأقام عليه البيعة وساقه الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ليقتص له منه ، ولما لم يكن كذلك وكانت الروح الجاهلية لا تزال منها عقايل في صدره دعا بدعوى الجاهلية ، وكان صاحبه مثله فقابله بمثلها ، فلما سمع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك منها سأل عن السبب الذي أثار تلك الدعوى فلما عرفوه بسببها نهى عنها وحذر منها فأبرزها في أقوى صورة تنفر منها ابرازا للمعقول في صورة المحسوس لأنه أبلغ في التأثير على السامع فوصفها بأنها منتنة .

الدعويان واثرها :

دعوى الجاهلية - يا بني عمي ، أو يا قومي ، أو يا أهل بلدي ، أو يا أهل وطني - اتقموا لي . فاذا دعا بها وقعت التفرقة بين عشيرة وعشيرة أو بين قوم وقوم ، أو بين بلد وبلد ، أو بين وطن ووطن ، وأثارت الحمية في كل واحدة من الناحيتين على الأخرى ودفعت الى الاسراف والتعدي فأوسعت الظلم والشر وأبقت الاحن والاحقاد والتّرات مما يسترسل معه الظلم والفساد في المستقبل . أما دعوى الاسلام فهي : يا عباد الله ، أو يا مسلمون ، اني مظلمت فاتقذوني اشهدوا لي . فاذا دعا بها كانت جامعة لا تفريق فيها ، وأهابت بالسامعين كلهم كذاتٍ واحدةٍ كلهم ينصرون الحق فيكفوا الظلم ان كان واقما على المظلوم في الحال ويشهدون بالظلم عند الحاكم ليجري العدل مجراه . فأين تلك الآثار من هذه الآثار ؟ ولقد ظهرت آثار الأولى في الأمة العربية في جاهليتها ، وظهرت الثانية فيها بعد إسلامها فأرى الله العباد - عيانا

دعوى الجاهلية

جهرة — اختلاف الأثرين في أمة واحدة في زمن قريب وأقام عليهم حجته • ولكن أكثر الناس لا يعلمون •

تفرقة وتمييز :

كل من سعى الى تحصيل شيء مستعينا بذوي عصبية له لنسبة جنس أو قبيلة أو بلد أو حرفة أو فكرة غير ناظر الى انه على حق أو على باطل ، فقد دعا دعوى الجاهلية ، وكل من أجابه فقد شاركه في دعواه • أما من عرف الحق وتيقن من نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة ولا يأبى أن يعينه عليه من لم يكن من جماعته ، لأن قصده الى تحصيل الحق باعانة أي كان ، فهذا لا يكون دعا دعوى الجاهلية بل دعا دعوى اسلامية لانها لم تخرج عن التعاون على الحق وهو من التعاون على البر والتقوى •

استدلال :

ثبت في صحيح مسلم في غزوة حنين ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال : (أبا عباس ناد أصحاب السمرة) فنادى بأعلى صوته : أين أصحاب السمرة ؟ وكانت الدعوة : يا معشر الانصار يا معشر الانصار ثم قَصِرَتْ على بني الحرث بن الخزرج فصارت يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج • فكانت الدعوة — في ذلك اليوم الشديد — لمن جمعهم بيعة الرضوان ، وهم أهل السمرة ثم لمن جمعهم اسم الانصار ثم لمن جمعهم اسم أب • وكان ذلك كله حقاً لأنه دعوة الى الحق •

تحذير وارشاد :

ليحذر المسلم من كل كلمة مفرقة من كل ما يثير عصبية للباطل وحمية جاهلية ، يدعو بها ولا يجب من دعا اليها • فان بلاء كثيراً حل بنا وفتنة كثيرة أصابتنا من تلك الكلمات المفرقة •

ولتكن دعوته — اذا دعا — بالكلمات الجامعة التي تشعر بالاخوة
العامّة وتبعث على القيام بالواجب بايد متشابكة وقلوب متحدة • حتى
اذا دعا جماعة خاصة يعلم منه نفعا خاصا في مكان خاص ، فليكن بما
يفهمهم انه الى الحق دعاهم وعلى القيام به استعان بهم دون اباية من
انضمام كل من ينضم اليهم ، فانه ما توجه قوم الى نصره الله — ورضا
الله قصدهم — الا كان الله معهم : (ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوي عزيز) (١) •



(١) ش : ج ٢ ، م ١٣ ، ص ٧٧ - ٨٠
صفر ١٣٥٦ هـ - افريل ١٩٣٧ م •

تكثر السواد !..

« من كثر سواد قوم فهو منهم »

عن أبي الأسود قال : « قطعَ على أهل المدينة بعثٌ فاكْتَبِتَ فيه فلقيت عكرمة فأخبرته فنهاني أشد النهي » . ثم قال : أخبرني ابن عباس أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرُونَ سواد المشركين على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيأتي السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله فأَنْزَلَ اللهُ تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ » رواه البخاري في كتاب الفتن .

الالفاظ :

سواد القوم : أشخاصهم . قطع عليهم : بعث ، فرض عليهم جيش يبعث للقتال . اكتبت : كتب اسمه في جملة الجيش .

المعنى :

كان عبد الله بن الزبير قائما بمكة ، وكان عبد الملك بن مروان ، بالشام ، والفتنة مشتعلة بين المسلمين ، بسبب النزاع ما بينهما . فكان عبد الله بن الزبير يبعث البعوث من الحجاز الى قتال عبد الملك بالشام ففرض على أهل المدينة جيشا ، فكتب فيه أبو الاسود محمد ابن عبد الرحمن الأسدي اسمه ليكون من جملة . ثم لقي عكرمة مولى ابن عباس ، فذكر ذلك له ، فنهاء عكرمة عن أن يكون (١) في

(١) في الاصل : ايكون .

ذلك الجيش ، وأخبره عن ابن عباس ، بما كان من سبب نزول قول الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ » وهو أن قوما من المسلمين كان المشركون يخرجونهم معهم لا ليقاتلوا المسلمين ، وانما ليكثروا سواد المشركين ، ويظهروا عظيم جيشهم ، وكثرة عددهم في أعين المسلمين . فكانوا يقتلون بما يصيبهم من رمي السهام وضرب السيوف ، فواخذهم الله لمجرد تكثيرهم سواد المشركين ، وان لم يشاركوهم في القتال ، ولا حضروه طائعين ، وانزل الآية الكريمة فيهم .

المطابقة :

ذكر عكرمة هذا لأبي الاسود لأنه أفاد حكم الله فيمن كثر سواد المقاتلين للمسلمين دون أن يقاتل ، أو يكون راضيا أو طائعا بالحضور . فكيف بمن اكتب للقتال مثل أبي الاسود ؟ ولا فرق في المؤاخذة في قتال المسلمين بين أن يكون مع المشركين ، أو مع المسلمين في الفتنة .

الاحكام :

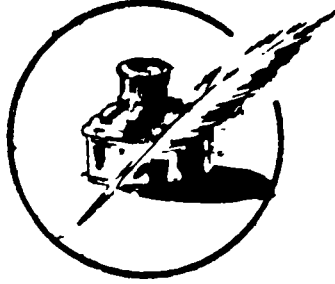
من حضر مع قوم وكثر جمعهم فهو منهم وشريك لهم في عملهم ، سواء أكان خيرا أم شرا ، كما يفيد الحديث الذي جعلناه ترجمة . وهو في مسند أبي يعلي . فأما في الشر فالنص فيه حديث ابن عباس هذا ، وأما في الخير فحديث ابي هريرة في الصحيح ، في القوم الذين يجتمعون فيسبحون الله ويكبرونه ويهللونه ويحمدونه ويسألونه ، ويستجيرونه ويستخبرونه ويستغفرونه فيقول الله للملائكة عليهم السلام، قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، فتقول الملائكة : رب ، فيهم فلان عبد أخطأ، انما مر فجلس معهم فيقول تعالى : « وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

تكثر السواد

الاهتساء :

فحق على المسلم ان يختار من يصاحب من رفقة ، أو يجالس من جماعة ، أو يكثر من سواد قوم فانه محاسب على أعماله ، ومن أعماله مجرد حضور بدنه •

جنبنا الله الفتن ودعاتها ، والمظالم وأهلها ، وكثر بنا سواد المؤمنين وحشرنا في زمرة الصالحين آمين (١) •



(١) ش: ج ٤، م ١٥، ص ١٦٦ - ١٦٨
غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ - ماي ١٩٣٩ م •

من رغب عن سنتي فليس مني

السنة :

قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « اذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » .

السند :

رواه مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .
ومسلم يحيى عن ابن يحيى عن مالك .

المتن

روي بوجهين ثابتين : الأول فهو أهلكهم برفع الكاف ، اسم تفضيل ، والثاني بفتح الكاف فعل ماض .

الالفاظ :

الهلاك : الاستحالة الى الفساد وذهاب حالة الصحة والاستقامة التي تصدر عنها الفوائد ، ويكون بها الاستعداد ، يقال هلك زيد اذا مات ، وهلك الطعام اذا تغير واستحال . فهلاك الناس فسادهم في أحوالهم بفساد عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم ، وذلك عنوان ذهابهم واضحلالهم . وأهلكهم على الوجه الأول أشدهم هلاكاً ، وعلى الوجه الثاني أوقعهم في الهلاك .

المعنى على الوجه الاول :

اذا سمعت الرجل يقول هلك الناس ، يعييبهم وينقصهم ويحقر من

من رغب عن سنتي فليس مني

أمر جماعتهم ، فقد صار بذلك أعظم هلاكاً منهم لارتكابه معصية كبيرة تعدت إلى غيره وعمتهم ، وهي معصية الكبر الذي هو اختقار المرء من عداه ، فهذا قد تكبر على جميع الناس فكان عظم هلاكه على حسب عظم معصيته بهذا العموم في الكبر والاختقار .

وعلى الوجه الثاني :

إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس يشبههم ويقنطهم فهو بذلك التشيط والتقنيط أيأسهم من رحمة الله وصددهم عن الرجوع إليه وبالتوبة ودفعهم إلى الاستمرار فيما هم عليه ، فأوقعهم بكلمته تلك في الهلاك ، هلاك اليأس والقنوط والاندفاع في الشر .

الاحكام :

على الوجه الاول : لا يجوز الحكم على عموم الناس بالشر والفساد ولو كان ذلك ظاهراً بينهم فاشياً فيهم ، لأنه حكم بدون علم ، وظن سوء بمن قد يكون في غمار الناس على خلاف ما عليه أكثرهم . هذا إذا حكم حكماً لمجرد الاخبار فاحرى وأولى إذا زاد على ذلك تحقيرهم .

وعلى الوجه الثاني : لا يجوز لمن رأى الناس في حالة سيئة أن يقنطهم من رحمة الله وامكان تدارك أمرهم واصلاح حالهم . هذا إذا كان يحمله على ذلك ما تعظمه من سوء حالهم في ظاهر أكثرهم وأحرى وأولى إذا كان يحمله على ذلك صدهم وتشيطهم عن التوبة والأخذ بأسباب الاصلاح .

توجيه :

كان الحديث الشريف مفيداً لعدم الجواز لما ذكر ، لانه سيق مساق الذم لهذا القول ووصف قائله بأنه أعظم الناس هلاكاً أو أوقع الناس في الهلاك وما أدى إلى أحد هذين لا يكون الا ممنوعاً .

- ويؤيد هذا الحديث في المنع الادلة الدالة على منع الحكم بدون علم
- وظن السوء بالناس وتحقيرهم وتقنيطهم عن الخير وصدتهم عنه

تقييد وتعميم :

قد يقول الانسان هلك الناس اشفاقا عليهم وتحزنا لما هم فيه فلا يكون مثل من قاله تحقيرا وتقنيطا غير انه يبقى في عبارته ذلك التعميم الذي هو حكم بغير علم

مع ما توقعه هذه العبارة من القنوط — خصوصا اذا تكررت — ولو لم يقصده القائل فلا ينبغي ان تقال هذه العبارة ومثلها من كل ما يفيد هلاك جميع الناس

الآداب :

على الوجه الأول : على من يريد أن يرشد المسلمين ويعمل لاصلاح حالهم أن ينظر اليهم بعين الشفقة والحناة لا بعين الزاوية والاحتقار

• فان الشفوق تدفعه شفقته الى المبالغة في العناية بتتبع الأدواء واستقصاء أنواع العلاج ، بخلاف الزاري المحتقر فانه يترفع بنفسه عن الناس ويتركهم فيما هم عليه وان باشر شيئا من معالجتهم فانه يباشره من استتقال واشمئزاز لا يصل معهما الى داء الامة شيء من علاجه ولن يستطيع هو معهما صبيرا على الاستمرار في عمله او على اتقان القليل منه

على أن الشفوق تشعر نفوس الامة منه بتلك الشفقة فتقابله بمثلها وبالامثال لما يأتيها منه لمعالجتها واثقة منه بنصحه منقادة لارشاده راجية نيل الخير على يده

والزاري المحتقر تشعر منه الامة بذلك فتقابله بمثله وتتقبض نفوسها عنه وتقوي ريبتها في قوله وفعله وقد تصارحه ببعضه فتؤدي الحال

من رغب عن سنتي فليس مني

بينهما الى العداوة والمقاطعة • ويكون خيرا له لو تركهم من أول الامر وشأنهم •

وعلى الوجه الثاني : على مرشدي المسلمين أن يعانوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة في رفق وهوادة مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تشييط ، وأن يعرفوهم بانهم — وان ساءت نواح من أحوالهم — فهناك^(١) نواح ما تزال صالحة • وهنالك علاجات من الاسلام قريبة ناجعة وأن يعرفوا ما فيهم من فضائل ومالهم من مجد ، وما لهم بهذا الاسلام من قدر وعز ليثيروا فيهم النخوة ويعثوهم على العمل والخير • واذا ذكروا لهم سيئاتهم ذكروا لهم قرب السبيل الى النجاة منها بالاقلاع عنها فيسرعون بالتوبة والانابة •

اصل عام في التربية :

هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفس البشرية فان النفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب • وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل ، وترجع الى أخطأ دركات السقوط • فجاء هذا الحديث الشريف يحذّر من تحقير الناس وتقنيطهم ، وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم وهذا الأصل العظيم الذي دل عليه هذا الحديث الشريف يحتاج اليه كل مرب سواء أكان مربيا للصغار أم للكبار ، وللأفراد أم للامم ، اذ التحقير والتقنيط وقطع جبل الرجاء قتل لنفوس الافراد والجماعات ، وذلك ضد التربية ، والاحترام والتشيط وبعث الرجاء احياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته •

(١) في الاصل : فهالك .

فاللهم صلي على هذا النبي الكريم العظيم الرحيم الذي علمته ما لم يكن يعلم وكان فضلك عليه وعلينا به عظيما ، فكم من علوم وأسرار انطوت عليها أحاديثه الشريفة قد أتت على ما لم تعرفه البشرية الا بعد حين ولا عجب فهو الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم^(١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ١٠ ، ص ٩٩ - ١٠٢
غرة ذي القعدة ١٣٥٢ هـ - ١٥ فيفري ١٩٣٥ م .

نظافة الطرق والمجالس

او مصلحة من مصالح البلدية

« قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : اتقوا اللعائين قالوا : وما اللعائين يا رسول الله ؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم » • رواه مسلم عن ابي هريرة (رضي الله عنهم) •

المفردات :

اتقوا : اجتنبوا • اللعائين : الكثيرو اللعن ، واللعن الابعاد من رحمة الله ، واللعان في الحقيقة من يصدر منه اللعن بكثرة ، وقيل في التخلي في الطريق والتخلي في الظل لعانان لأنهما سبب في صدور اللعن بكثرة من الناس لفاعلهما ، فاسند ما في معنى الفعل الى سببه مجازا • التخلي أصل معناه الذهاب الى الخلاء ، والمراد به هنا قضاء الحاجة البشرية من بول أو غائط ، وأطلق التخلي عليها لأن الشأن أن تكون في الخلاء ففي اسمه أدب من آدابه •

المعنى :

إذا أردتم قضاء الحاجة فاجتنبوا الطرقات واجتنبوا الأماكن التي اتخذها الناس للجلوس في ظلها ، ومن تخلى في واحد من هذين فانه يجلب على نفسه لعنا كثيرا •

الحكم :

المتخلي في طرقات الناس وأماكن جلوسهم متعد عليهم مؤذ ظالم لهم فهو داخل في لعن الله للظالمين ، وشأن الناس عندما يجدون القدر

في طرقاتهم وأماكن جلوسهم أن يلعنوا من آذاهم بذلك ، وهم مظلومون منه ، فيكون لعنهم من دعوة المظلوم ، ودعوة المظلوم مستجابة ، فصار المتخلي قد أوقع نفسه في لعنة الله ولعنة الناس المظلومين ، والذنب الذي يؤدي الى هذا اللعن لا يكون الا من الكبائر . فالتخلي في طريق الناس أو في ظلمهم كبيرة من الكبائر .

تعميم :

تشمل الطرق الطرق الى البيوت والاسواق والقرى وموارد الماء والطرق كلها ومثل المكان الذي اتخذه الناس للجلوس في ظله كل مكان اتخذوه للجلوس فيه لمنفعة من منافعهم فيدخل في ذلك الاسواق والمنزهات وغيرها ، فكل ذلك مما يحرم التخلي فيه ويلحق بالتخلي وضع القدر والوسخ والزبل والشوك وكل ما فيه مضرة لما في الجميع من التعدي والاذية .

تعميم :

كما انتظم الحديث الصحيح المتقدم النهي عن تقدير الطرقات والأماكن العامة بذلك الترهيب الشديد كذلك جاء الترغيب في تنقيتها وازالة الأذى عنها شاملا ذلك ما كان من المستقذرات وغيرها من كل ما فيه أذى ، فقد ثبت في الصحيح ان أبا برزة الأسلمي - رضي الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : يا نبي الله علمني شيئا انتفع به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أعزل الأذى عن طريق المسلمين » وثبت قول صلى الله عليه وسلم : بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخثره فشكر الله له فغفر له . وإذا كانت ازالة الأذى عن الطريق - ومثلها كل مجتمع عام - فيها الأجر والمثوبة فوضع الأذى فيه الاثم والعقوبة .

تطبيق :

من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها ، مصلحة التنظيف في الادارات البلدية ، وأنت ترى أن الاحاديث النبوية المتقدمة قد انتظمت ذلك التنظيف بالترهيب من التقدير وكل مؤذ ، والترغيب في ازلتها ، فوضع الاسلام بذلك أصل هذه المصلحة قبل أن يعرفها تمدن اليوم ، فعلى المسلم أن يلتزم ذلك كأمر ديني يثاب عليه عند ربه ليكون دافعه الى القيام به من نفسه ورقبيه في تنفيذه ضميره الديني وايمانه ، وقد شهد التاريخ لمدن الاسلام أيام مدنيته الزاهرة بانفرادها بين مدن عصرها بالنظافة وحسن المظهر ، وما ذلك الا من تطبيق مثل ما تقدم مما وضعه الاسلام من أصول المصالح التي تقوم عليها الحياة ويترقى بها المجتمع . فعلينا - معشر المسلمين - أن نعني بما دعتنا اليه هذه الاحاديث النبوية الشريفة لتكون بين الناس مثلاً حسناً راقياً في النظافة البلدية لنفنع أنفسنا ومجتمعنا ونرفع اسم ديننا ونفوز بالأجر والرضى من ربنا .

وقفنا الله لاهياء معالم الدين ، ورفع اسم الاسلام والمسلمين^(١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ١١ ، ص

ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ - جويلية ١٩٣٥ م .

الصحة والفراغ

استغلالهما والاستفادة منهما

قال صلى الله عليه وآله وسلم : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ • (البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما) •

اللفظة :

النعمة : ما يفعل على وجه الاحسان ضد النعمة ، وهي ما يفعل على وجه العقوبة • المغبون : المنقوص في حقه ، أصله من غبن في البيع اذا نقص من حقه ، ثم يستعمل في كل من نقص من حظه في كل شيء • الصحة : اعتدال المزاج وقوة البنية ضد المرض • الفراغ : الخلاء ، ومصدر فرغ يفرغ اذا كان خاليا من الشغل ، وهذا هو المراد •

التراكيب :

مغبون خبر مقدم لكثير والجملة نعمتان • والصحة والفراغ خبر لهما مقدر والجملة مستأنفة بيانيا •

المعنى :

ان كثيرا من الناس يكونون في صحة من أبدانهم وفراغ من أشغالهم ولا يعبرون أوقاتهم الفارغة بطاعة الله ، ولا يستعملون أبدانهم الصحيحة فيها ، فتضيع عليهم تلك الأوقات ، وتلك الصحة باطلا فيخسرونها ، ولا يستفيدون منها فيكون ما خسروه منهما نقصا في حظهم من حياتهم ، واذا كانت الحياة هي أعلى شيء عند

الانسان يحافظ عليه ، ولا يبذل شيئا منه الا بحقه ، فهؤلاء الذين تقصوا
حظهم في حياتهم هم أعظم المغبونين .

فقه الحديث ومقصوده :

عمر الانسان أنفس كثر يملكه ، ولحظاته محسوبة عليه وكل لحظة
ثمرة معمورة بعمل مفيد ، فقد أخذ حظه منها وربحها ، وكل لحظة
تمر فارغة ، فقد غبن حظه منها وخسرها . وكذلك بدنه فهو أنفس
آلة عنده ، وانما فائدة الآلة بالعمل ، فاذا كانت الآلة ، في عمل فهو
ربح وزيادة ، واذا كانت في بطالة فهو في نقص وخسران ، فالرشيد
الرشيد ، هو من أحسن استعمال ذلك الكنز الثمين ، وتلك الآلة
العظيمة ، فعمّر وقته بالأعمال ، وداوم على استعمال ذاته فيها فربحها ،
والسفيه السفیه من أساء التصرف فيهما فأخلى وقته من العمل ، وعطل
ذاته عن الشغل فخسرهما .

ولما كان الانسان مضطرا الى السعي في معاشه فيشغله ذلك عن
وجوه الطاعات ، من العلم ونوافل الصلاة والصوم والحج وغيرها .
ومعرضا للأمراض فتنبه منها ، ولكنه لا يخلو من حالة يكون فيها
فارغا من الشغل لمعاشه ، ومعافى من المرض في بدنه ، ذكره هذا
الحديث الشريف بما عليه في هذه الحالة من المحافظة عليها وعمارتها بالطاعات
حتى لا يخسرهما وتنقص من عمره بلا فائدة فيكون مغبونا فيها .

تفريغ على الحديث :

فاذا عمّر الانسان وقت فراغه من الكد لعيشه ، بطاعة من طاعات
الله واستعمل بدنه مغتتما فرصة صحته فيها ، ثم عرض شغل من اشغال
عيشه فقطعه عنها ، أو طرأ عليه مرض فمنعه منها ونيته المداومة على تلك
الطاعة لولا الشاغل والمانع ، فانه يكتب له في شغله وفي مرضه ، ثواب
ما كان يعمل في صحته وفراغه ، ومن الدليل على ذلك حديث البخاري -

رضي الله عنه - عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم -
سمعت أبا موسى مرارا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:-
إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا ،
والسفر نوع من الشغل .

تفريغ آخر :

وإذا كان المؤمن عاملا في طاعة الله - تعالى - أيام صحته ،
وفراغه ، ثم مرض فإن له أجرين أجرا على ما كان يعمل في صحته
بدليل ما تقدم ، وأجرا على مرضه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها . رواه البخاري - رضي الله عنه -
وكذلك إذا شغل بالسعي على نفسه أو على العيال ، فإن له
أجرين أجر ما شغل عنه ، وأجر سعيه على عياله ، وأدلة ثواب
الساعي على عياله كثيرة منها حديث الرجل الذي رأى
الصحابة - رضي الله عنهم - من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله، لو
كان في سبيل الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
إن خرج يسمى على ولده صفارا فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج
يسمى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج
يسمى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله . رواه الطبراني بسند
صحيح . ومثله من شغل بطاعة عن طاعة كمن شغل بالرباط عن نافلة
الحج ، مثلا لأنه إذا كان المشغول بالسفر المأذون فيه يكتب له ما كان
يعمله مقيما لأن نيته المداومة لولا عارض السفر - فالمشغول بالطاعة
عن طاعة كان ينوي فعلها لولا عروض الطاعة الأخرى - أخرى وأولى .

سلوك العاملين بهذه الأحاديث :

يعمرون أوقاتهم كلها بالأعمال ، أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال

الجوارح فلا يشتغلون عن طاعة الا بطاعة ولا يخرجون من عمل الا الى عمل فاذا مرضوا صبروا واحتسبوا وأتوا بما يستطيعون فتضاعف أجورهم بأعمالهم وبنياتهم ويربحون جميع حياتهم ، وأولئك هم الفائزون ، سلك الله بنا وبالمسلمين مسلكهم بنه وكرمه آمين^(١) .



(١) ش: ج ٢، ص ٧٢، ص ٨٤ - ٨٦
غرة شوال ١٣٤٩ هـ - مارس ١٩٣١ م .

نظام الغذاء

« ما ملأ آدمي وعاءَ شراً من بطن . بحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه . فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

رواه الترمذي وغيره وقال : حسن صحيح

ان الانسان بجزئه الترابي ، وهو بدنه — مخلوق أرضي ، وجزئه النوراني — وهو روحه — مخلوق سماوي ، فاذا جذبته جزؤه الترابي بزمام الشهوة الى السفليات الارضية ، طار به جزؤه النوراني على بساط العقل الى علويات السماء . وهو لن يزال دائماً بين هذا وذاك في انحطاط واعتلاء .

لم يخلق الانسان للأرض وان خلق منها ، وانما خلق للسماء وللأعلى ، وآخر كلمة قالها النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : « اللهم الرفيق الأعلى » وانما ينتهي الى هذا بصفاء روحه واستتارة عقله ، وما البدن الترابي الا آلة لهما ، لاستكمال قوتها ، ومظهر لتلك الاستتارة وذلك الصفاء ، وعيار على ما فيهما من قوة وضعف بما يكسبانه ويكتسبانه في طريق الاختبار والابتلاء . لينال الانسان ما يستحقه على حسن تصرفه او سوء تصرفه من عادل الجزاء ، بعد خروجه من دار الفناء الى دار البقاء .

فالجسد آلة بديعة للروح لازمة لها في الدنيا وملازمة لها في الأخرى ، فمن العدل الالهي أن يكون لها حظها هناك ، كما كان لها حظها هنا . ومن العدل الواجب على الانسان أن يعطيها — كما يعطي الروح — حقها من الاعتناء ، فكما يغذي روحه بما ينير عقلها

من العلوم والمعارف ، وما يزكياها من الأخلاق والأداب ، وما يقويها من صالح العمل ، ومفيد السعي في وجوه الحياة ويحفظها من كل ما يغشى العقل من جهالات وأوهام ، وما يدسي النفس من رذائل ، وما يضعفها من كسل وبطالة ، كذلك عليه أن يغذي بدنه بما ينميها وما يصلحها وما يقويه ، ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه أو يؤذيه . يتوقف هذا البدن وصلاحه على الغذاء ، وقد جعل الله فيه وعاءً ، وأي وعاء ، وهو المعدة ، مخزن الغذاء وبيت الداء ، وعلى حفظ نظام هذا الوعاء تترتب الصحة والمرض والسقم والشفاء .

فاذا ملأ ابن آدم بطنه كان عليه شر وعاء ، وانبعثت منه شر الأدوية: أسقام للبدن وأثقال على الروح وظلمات للعقل ، فانقلب على الانسان مع انتفاع به الى أصعب الشر وأقسى البلاء .

وإذا اقتصر على أكالات تقيم الصلب وتمسك البدن حصل من البدن على العمل ، وسلم من آلام المرض ، ونعم بالعافية ، وكان انتفاعه بالآلة البدنية خالصا من شوائب الضرر .

وإذا غلبته الشهوة ، وكان — لا محالة — منقادا للذة ، فليقف دون الشبع ، ولا يملأ كل الملاء المعدة حتى لا تثقل حركتها في الهضم ، وحتى لا تنتفخ في البطن فتسد مجاري النفس وبذلك يكون قد عدل بين أصول الحياة البدنية الثلاث : طعامه وشرابه ونفسه ، فأعطى لكل واحد الثلث من بطنه .

غير ان الانسان اذا كان هكذا تغلبه الشهوة ، وتقوده اللذة ، فانه بمظنة أن يتجاوز — ولو في بعض الاحيان — العدل الى الامتلاء . فشرع له الصوم ليقاوم شر ذلك بما فيه من راحة للمعدة وتقاء ، وتربية على امتلاك زمام نفسه عن الشهوات والملذات وعلى استطاعة حملها على الجوع والعطش عند الاقتضاء ، هذا للمعتدل وللمالئي للبطن المملوك للشهوة بالاحرى والاولى ، اما ذاك المقتصر على الاكلات فهو له

زيادة في القوة ورسوخ لما تمكن منه من العادة المشروعة الحسنة .
فالصوم ضرورة لنظام الغذاء وحفظ الصحة البدنية وعون للانسان
على حسن استعماله لآلته الترايبية الارضية للتزقي الى آفاقه الروحية
النورانية وكمالاته العلوية .

فالحمد لله الذي شرع لنا الصيام وفرض علينا رمضان ووفقنا
الى القيام به في كل عام . نسئله المزيد انه الحميد المجيد .

ليس الخبز كل ما نريد :

نحن — المسلمين — ربينا تربية اسلامية على الفة الجوع ، والتقليل
من الاكل والاقتصار على قدر الحاجة ، والمواساة في المطعم والمشرب .
فطعام الواحد عندنا يكفي الاثني وطعام الاثني يكفي الأربعة وطعام
الثلاثة يكفي الستة وطعام الأربعة يكفي الثمانية ونعتقد عن تجربة ان
الرجل لا يهلك عن نصف قوته .

بهذه التربية استطعنا ان نبقى ونعيش في مثل ما عليه حالة معظم
الامة الجزائرية من الفاقة والعوز والجوع والمسغبة ، بينما هي تنظر الى
ما ينعم فيه غيرها من النعمة والرخاء ، مما لو أصاب أمة أخرى لاجتاحها
وأفناها ، أو لأثارها ودفعتها الى موارد العذاب والردى .

وكما ربانا الاسلام هذه التربية من ناحية الغذاء فقد ربانا تربية
أخرى من نواحي أخرى . ربانا على محبة العلم والمعرفة والرغبة فيهما
والتلطف على ما فات منهما والاحترام لمن كان له حظ فيهما .

وبهذه التربية استطعنا ، رغم الفاقة ورغم الجوع ورغم التشييط
والمعاكسة أن نحافظ على قرآتنا وخطنا ، وبقايا علوم لغتنا وديانتنا ، وجملة
معارفنا ، واندفعنا الى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بينها
وبيننا واندفعنا الى المكاتب الحكومية فضاقت عنا وبقيت مئات الآلاف
في انياب الجهل والفقر من أبنائنا .

ولولا تلك التريية الاسلامية التي زرعتها القرون فاستقرت في قرارات النفوس ، وصارت من الخلق الموروث لكان ما نحن فيه من ظلم وتعاسة وتقديم كل احد علينا في وطننا والترك لمعامل التجويع والتجهيل تخرج آلاتها الفتاكة المتنوعة للقضاء عليها ، شاغلا لنا عن العلم وعن الشعور به وعن طلبه وعن المزاومة عليه .

جهل قوم من ذوي السلطة هذا الخلق منا فحسبوا — وهم جد عالمين بما فيه الامة من جوع وفاقة — اتنا قوم لا نريد الا الخبز ، وان الخبز عندنا هو كل شيء واتنا اذا ملئت بطوننا مهدنا ظهورنا ، وانهم اذا أعطونا الخبز فقد أعطونا كل ما نطلب ، اذ الخبز — في زعمهم — هو كل ما نريد ، فاذا حادثناهم في حالنا سكتوا عن كل شيء الا عن الجوع والخبز ، واذا رفعنا اصواتنا بمطالبتهم بحقوقنا لديهم ، أو بانجاز مواعيدهم خرجت المراسيم بتوزيع قناطر القمح أو الفريئة أو الدقيق أو سلفات البذر التي لا ينال المحتاج الحقيقي منها ما يسد حاجته وتذهب في اثناء توزيعها في تعاريج والتواءات أخرى ... فاذا صدرت تلك المراسم طبل المطبلون وزمر المزمرون ، وحسب المغرورون اتنا قد رضينا وفرحنا وانتهى أمرنا .

لا يا قوم ، اتنا أحياء ، واتنا نريد الحياة وللحياة خلقنا ، وان الحياة لا تكون بالخبز وحده ، فهناك ما علمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضروريات في الحياة . ونحن نفهم جيدا ضرورتها للحياة ، وقد بذلنا فيها لكم ما كان — يوما — سببا قويا في حياتكم فلا تبخلوا علينا اليوم بما فيه حياتنا ان كنتم منصفين ، وللإيام والامم مقدرين . والا فالله يحكم بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين^(١) .

(١) ش : ج ٩ ، م ١٢ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٦
غرة رمضان ١٣٥٥ هـ - ديسمبر ١٩٣٦ م

أثر النيات في الأعمال

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .
أخرجه الشيخان في صحيحهما

الإفراط :

الأعمال : هي الأفعال التي تصدر عن الجوارح فتدخل فيها الأقوال ، والغالب أن الأعمال أخص من الأفعال فهذه فيما كان عن قصد وغيره وتلك فيما كان عن قصد . النية : هي القصد إلى الفعل . الهجرة : الترك ، والمراد هنا مفارقة دار الكفر إلى دار السلام خوف الفتنة على الدين بالمنع من إقامته . يصيبها : يحصل عليها . ينكحها : يتزوجها .

التراكيب :

بالنيات يتعلق بمحذوف تقديره معتبرة ، ودل هذا المتعلق الخاص ما جاء بعده من التفصيل بين المهجرتين والمقام الذي القى فيه الكلام . كما سنبينه في مورد الحديث . ونظيره في هذا التقدير قولهم : المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، أي معتبر بهما . والمرء بأدبه ، أي معتبر أو يعتبر به والباء سببية . وإنما للحصول والمحصور فيه هو الجار والمجرور وما أفادته الباء من معنى السببية أي لا سبب تعتبر به الأعمال إلا النيات نظيره إنما زيد قوي بقومه أي لا سبب لقوته إلا قومه . فأفاد التركيب حصر اعتبار الأعمال في نياتها والمقصود بها لا في صورها وظواهرها .

ولكل امرئ خبر ما نوى ، أي نواه . قدم عليه ليحصر فيه بانما فأفاد التركيب ان حظ كل عامل من عمله هو ما قصده أي عين ما قصده في كميته ومقداره دون ما لم يقصد فمن كانت هجرته الى الله ورسوله أي قصدا فهجرته الى الله ورسوله أي وقوعا واعتبارا ففعل الشرط وجوابه لم يردا على معنى واحد . ومثل هذا يقال في الشرط الثاني وجوابه وذكر تزوج امرأة بعد دنيا يصيها تخصيص بعد تعميم لان ذلك الخاص هو سبب الحديث ، واللام في الدنيا لام الاجل والملة فتفيد ان طلب الدنيا أو طلب التزوج هو الملة الباعثة له دون قصد طاعة الله فلا يدخل فيه ما اذا كان الباعث هو الطاعة . وطلب هذه الاشياء ، جاء على سبيل التبع .

سبب الورد :

قال القسطلاني : قد اشتهر ان سبب هذا الحديث قصة مهاجر أم قيس ، المروية في المعجم الكبير للطبراني باسناد رجال ثقات من رواية الاعمش . ولفظه : « عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها . قال : فكنا نسميه مهاجر أم قيس » .

المعنى :

ان أعمال الناس قد تشترك في صورها ومظاهرها ، حتى لا يكون في ذلك فرق بينها ولكنها بذلك التساوي الصوري الظاهري لا تكون متساوية في الاعتبار والحقيقة وما يتبعها من القبول والرد في نظر الشرع فقد هاجر مهاجر أم قيس كما هاجر سائر المهاجرين . الجميع قد كان منهم مفارقة الديار وترك دار الكفر الى دار الاسلام والحقوق بالنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فالعمل عمل واحد قطعاً ، ولكن القصد مختلف فقد كان قصدهم بهجرتهم طاعة الله ورسوله ، وكان

قصده بهجرته التزوج بأب قيس فكانت هجرتهم واقعة عند الله — تعالى —
موقعها محصلة لهم رضاء ومثوبته ، وكانت هجرته لا موقع لها عند
الله ولا حظ لها من ثوابه ، وكانت معتبرة من عمله الديني لا من عمله
الديني ومثله كل من قصد بهجرته غرضاً من أغراض الدنيا ما حملة
على الهجرة إلا هو . هذا معنى الجملة الاولى من الحديث الشريف
ومعنى الثانية : ان الأعمال المعتبرة عند الله التي قصد بها طاعته
تساوى أيضاً في صورها ومظاهرها ولكنها لا تتساوى منازلها في
الاعتبار والقبول والمثوبة ، بل تتفاوت حظوظ اصحابها في ذلك
بحسب تفاوتهم في مقاصدهم منها فيهاجر المهاجران — مثلاً — كلاهما
يقصد بهجرته طاعة الله ورسوله هذا لا يقصد الا ذلك ، وذلك يقصد
معه على سبيل التبع غرضاً دينياً من تجارة أو تزوج . فحظ الاول
من هجرته هو طاعة الله ورسوله وحدها غير متبعة بشيء وحظ الثاني
هو الطاعة المتبعة بشيء . وثواب الاولى — قطعاً — أعظم من ثواب
الثانية . أو يكون أحدهما قصد الهجرة وما يكون معها من جهاد
بالنفس والمال ومصاحبة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وخدمته
وصحبته والتفقه عليه وتكثير سواد اصحابه وعمارة مدينته . والآخ
لم يخطر بباله شيء من هذا . فحظ الاول من عمله عظيم وثوابه
كثير على حسب كثرة مقاصده وتنوعها وحظ الثاني واحد وهو الهجرة ،
وثوابه عليها بالخصوص . وذلك على حسب قصده ونيتة . ومثل
هذين القاصدان للمسجد لأجل صلاة واحدهما يقصده مع ذلك عمارة
المسجد وحبس الجوارح على الطاعة وارشاد الضال وتبنيه الغافل
وتعليم الجاهل ، وتكثير الجماعة والتعاون على الخير بحضور مشاهدته
وبعث غيره على الاقتداء به فيه . والآخ لم يخطر بباله شيء من هذا .
فحظ الاول من عمله وثوابه عليه أكثر بكثير من حظ الثاني وثوابه وان
كانا كلاهما في طاعة الله .

فالنيات والمقاصد كما تفرق بين العملين المتماثلين وتؤثر فيها بالقبول والرد وهو مقتضى الجملة الأولى ، كذلك تفرق بين العملين المقبولين وتؤثر فيهما باختلاف مقدار الثواب وحظ العامل منه وهو مقتضى الجملة الثانية ، وهذا أثر كبير للنيات في الاعمال .

الاحكام :

أفاد الحديث إن العمل الديني لا يكون مقبولاً حتى تقصد به طاعة الله وإن من قصد به غير ذلك فعمله مردود عليه وإن أجر العامل يقل ويكثر على حسب نيته بعمله وأنه يمكنه أن يقصد مقاصد كثيرة من الخير بعمل واحد فيتضاعف ثوابه عليه بحسب نيته وإن لم يقع ذلك فعلاً بعمله ، كقصد ارشاد الضال في المسجد ولم يجده أو تعليم الجاهل ولم يلقه وقصد الجهاد من الهجرة ومات قبله وأمثال ذلك كثيرة .

تفريع :

كما أثرت النية في الأفعال التعبدية بالقبول والرد أو بتفاوت الأجر كذلك تؤثر في الأعمال المباحة فإن المباحات في نفسها لا يثاب ولا يعاقب عليها ولكنها بالنية والقصد منها يدخلها ذلك وتلحق بما أريد منها الحاق الوسائل بمقاصدها . فالشيء — مثلاً — مباح وقد ينوي به الذهاب الى التعلم فيصير عمل طاعة فيثاب عليه ولو لم يجد المعلم فلم يتعلم ، وقد ينوي به الذهاب الى السرقة فيصير عمل معصية فيأثم به وإن حيل بينه وبين ما قصد فلم يسرق وكذا سائر المباحات .

ارشاد وترغيب :

كما علينا أن نجتهد في تطهير أعمالنا من المخالفات وقصرها على الطاعات والمباحات ، كذلك علينا أن نجتهد في طاعتنا أن تكون خالصة لوجه الله وأن نبعد عنا كل خاطر يلفتنا الى غيره حتى يسلم لنا القصد

كله خالصا والعمل كاملا أو يسلم لنا القصد الاول الذي هو شرط القبول فاذا كان شيء آخر بعده يكون لاحقا وتابعا وان تتفقه وتدبر بعد ذلك في نيتنا بطاعتنا فنوفرها ونستثمرها وتقصد بها ما حضرنا من وجوه الخير التي يمكن أن تقصد بها • وان ننظر مثل ذلك في أعمالنا المباحة كأكلنا وشربنا ونومنا ومشينا وراحتنا ورياضتنا فنقصد بها الاستعداد للطاعات والتقوى لفعل الخيرات وكل ما يمكن أن تودي اليه أو تعين عليه من معروف فتصير أعمالنا المباحات من قسم الطاعات فما أسعدنا حينئذ وما أعظم ثروتنا من الخير •

نحن لا نسلم من مخالفة وتقصير وفي ذلك علينا خسار كثير ولا يجبر ذلك الخسار الا بسلك هذا الطريق الشرعي القويم ، فلهم أيها الاخوان في الله اليه ، فيه — والله — التجارة الرابحة ، والحياة الناجحة وارضاء الرحمن وارغام الشيطان والسعادة في الدارين •

تنبيه وتحذير :

الاعمال اما طاعات لانها مأمور بها وجوبا أو استجبابا ، واما مخالفات لانها منهي عنها تحريما أو كراهة ، واما مباحات لانها غير مأمور بها ولا منهي عنها ، فالمخالفات بقسميها لا تقبلها النيات طاعات لانها في قسمها غير عمل صالح ولاتنا علمنا بالنهي عنها ان قصد الشارع هو تركها وعدم وجودها فقصد المكلف مضاد لقصد الشارع فكان ساقطا لا عبرة به ولا اهلية له لقب الوضع الشرعي ... والطاعات بقسميها هي التي تؤثر فيها النية بالقبول والرد بحسب قصد الله بها وقصد غيره أو بتفاوت درجات القبول وبحسب المقصود على ما تقدم وهي المقصودة بالقصد الأول من الحديث •

والمباحات مثلها تؤثر فيها النيات فتقبلها طاعة أو معصية لان الشرع لما اباحها علمنا انه لا قصد له لا في وجودها ولا في عدمها من حيث

اثر النيات في الأعمال

ذاتها فكان لقصد المكلف حينئذ سبيل الى التأثير فيها • وقد غفل عن هذه الحقيقة أقوام — عفا الله عنهم — فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » قاصدين الى تبريرها غير ملتفتين الى كونها من قسم الطاعات أو المخالفات أو المباحات • وكثيرا ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات وكالحج الى الاضرحة وايقاد الشموع عليها والنذور لها وكالرقص وضرب الدف في بيوت الله وغير هذا من أنواع البدع والمنكرات ، ويتوكلون في ذلك كله على « انما الاعمال بالنيات » كلا ، ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب فان البدع كلها من قسم المخالفات وان المخالفات لا تنقلب طاعات بالنيات •

فحذار أيها الأخوان في الله من هذا الجهل الذي أدى الى تحريف الكلم عن مواضعه والى المداومة على المنكر والفرح به ، ونعوذ بالله — لنا ولجميع اخواننا المسلمين — أن نكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • ونسأله تعالى — لنا ولاخواننا المسلمين — أن نكون من الذين يرجون لقاء ربهم فيعملون الاعمال الصالحة ولا يشركون بعبادة ربهم أحدا^(١) •



(١) ش : ج ١ ، م ٧ ، ص ٦ - ١١
رمضان ١٣٤٩ هـ - فيفري ١٩٣١ م •

التوجه الى الله برسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال أبو عيسى الترمذي : « حدثنا محمود بن غيلان ، ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، عن عثمان ابن حنيف : ان رجلا ضرير البصر أتى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت ، فهو خير لك . قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسالك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في » ، هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث ابي جعفر — وهو غير الخطمي — » .

السند :

محمود بن غيلان : ثقة من رجال البخاري ومسلم . عثمان بن عمر هو ابن فارس العبدي المتوفي سنة (٢٠٩ هـ) ثقة ، روي عنه الستة ، وهو الراوي عن شعبه . ولهم عثمان بن عمر بن موسى التيمي متقدم غير هذا . أبو جعفر ، هكذا عند الترمذي غير منسوب وقال فيه : هو غير الخطمي ، يعني أبا جعفر يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، لكن ابن ماجة قال : حدثنا أحمد بن منصور بن يسار ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا شعبة عن أبي جعفر المدني الى آخر السند والمثن . فصرح بأن أبا جعفر هو المدني . وهذا هو أبو جعفر القاري يزيد بن القعقاع . قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وكان امام أهل المدينة في

القراءة فسمي القارئ لذلك • عمارة بن خزيمة بن ثابت الانصاري روي له أصحاب السنن الأربعة وثقه النسائي وابن حبان وابن سعد • عثمان بن حنيف هو الأنصاري الأوسي الصحابي المشهور •

مخرجو الحديث :

رواه ابن ماجة في باب ما جاء في صلاة الحاجة من سننه والنسائي والحاكم والبيهقي وابن خزيمة والطبراني •

رتبة الحديث العلمية والعملية :

قال فيه الترمذي كما تقدم حسن صحيح غريب • فالصحيح مارواه العدل الضابط عن مثله الى آخر سنده سالما من العلة والشذوذ فاذا خف الضبط في بعض رواته فهو الحسن • وما يقول فيه أبو عيسى الترمذي حسن صحيح أقوى مما يقول فيه حسن فقط ، لأن وصفه بالصحة مع وصفه بالحسن يفيد أن خفة الضبط في بعض رجاله تكاد لا تؤثر عليه حتى كأنها لم تحطه عن رتبة الصحيح التام • وأما الغريب فهو ما انفرد بروايته راو فقط واذا كان ذلك المنفرد ثقة فذلك الانفراد لا يضر فالغرابة لا تنافي الصحة والحسن • وغرابته جاءت من انفرد أبي جعفر به كما تقدم • وصححه أيضا ابن ماجة والحاكم والبيهقي والطبراني • فبعدما عرفنا من حال سنده وتصحيح هؤلاء الأئمة له حصل لنا العلم الكافي - وهو الظن الغالب - بثبوته • وحيث كان بهذه المنزلة من الثبوت فانه صالح لاستنباط الاحكام الشرعية العملية منه •

الفاظ المتن :

زاد ابن ماجة بعد قوله : « فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه » قوله « ويصلي ركعتين » ولذلك أخرجه في باب ما جاء في صلاة الحاجة •

وهذه زيادة عدل فهي مقبولة . والأمر بالوضوء مما يؤيدها . وزاد النسائي بعد قوله : اللهم شفعه في : وشفعني في نفسي ، فرجع وقد كشف الله عن بصره .

المفردات :

التوجه الى الشيء : هو القصد إليه ، فأتوجه اليك أي أقصد اليك . و (الباء) في بنيتك وفي اني توجهت بك هي باء الاستعانة ، والمستعان به هو السبب المحصل للمستعان عليه ولذلك جعل بعضهم باء الاستعانة من باء السببية ، فالنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — مستعان به على السؤال أي على نجاح السؤال بحصول الشيء المطلوب من الله تعالى ، ومستعان به على التوجه بمعنى القصد أي على نجاح ذلك القصد بحصول المطلوب منه تعالى فهو متصل به الى نجاح السؤال ونجح القصد ، وكل ما يتوصل به الى شيء يقال فيه وسيلة اليه ، فالسؤال به توصل به ، فيمكن أن تسمي هذه الباء باء التوصل ، وهي الداخلة على ما هو وسيلة في حصول شيء . و (الهاء) في قوله (فادعه) هاء السكت أو ضمير عائذ على الله تعالى . الشفاعة : سؤال الخير لغير السائل ، فقوله شفعه في أي اقبله في أي اقبل دعاءه وسؤاله لي .

التراكيب :

قوله أسألك وأتوجه اليك بنيتك . وقوله إني أتوجه بك يحتمل أن يكون على ظاهره ، فالسؤال والتوجه والتوصل بذات النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — نظرا لمقامه عند الله تعالى ويكون هذا نظير قول القائل : أسألك بالله ، من قوله تعالى : « وَاسْتَقْبُوا اللَّهَ الْكَذِبِي تَسَاتُونَ بِهِ » وفي سنن أبي داود والنسائي مرفوعا « ومن سألكم بالله فأعطوه » وقول القائل : أسألك بالرحم ، من قوله تعالى :

التوجه الى الله

« وَالْأَرْحَامِ » بالجر في قراءة الشاميين ، وقول عائشة لفاطمة رضي الله عنها : « عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ويحتمل أن يكون على تقدير مضاف هكذا بدعاء نبيك في العبارة الاولى وبدعائك في العبارة الثانية ، لأنه انما سأله أن يدعوك ، فيكون التوسل بدعائه ولقوله : فشفعه في أي اقبل دعاءه لي • وجملة (فشفعه) معطوفة على جملة (أسألك) ، وجملة (اني توجهت بك) معترضة بين المتعاطفين •

المعنى :

هذا رجل أعمى جاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يسأله أن يدعو الله تعالى له أن يشفيه من العمى فخير بين أن يدعو له وأن يصبر على بلواه ، وأخبره أن الصبر خير له من جهة الأجر والثوبة ، فاختر الرجل أن يدعو له فأمر أن يتوضأ وضوءاً حسناً مستكملاً لفرائضه وفضائله في ظاهره وباطنه ، وأن يصلي ركعتين ويدعو بالدعاء المذكور • والظاهر أنه بعد الفراغ من الركعتين مثل ما جاء في دعاء الاستخارة بعد ركعتيها ، وكان الدعاء سؤالاً من الله تعالى وتوجها اليه وتوسلاً بنبيه أو بدعائه وثناءً على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما بعثه الله من الرحمة المناسب ذكرها غاية المناسبة في مقام الدعاء والتوسل وخطاباً له عليه السلام بأنه توجه به الى ربه لتقضى حاجته ثم رجوعاً الى سؤال الله تعالى أن يقبل فيه شفاعته النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم •

سؤال :

الرجل قد اختار أن يدعو له فأمره أن يتوضأ ويصلي ويدعو بذلك الدعاء ولم يدع هو له مع انه قال له في التخيير إن شئت دعوت وان شئت صيرت •

جوابه :

الظاهر انه دعا له وان لم يصرح بذلك في متن الحديث لقول الأعمى : (اللهم شفعه في) أي اقبل دعاءه وسؤاله لي .

الأحكام :

لم يدع الأعمى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ولم يسأله أن يشفيه هو ، لأن الدعاء لقضاء الحوائج وكشف البلايا ونحو ذلك هو العبادة، وفي حديث النعمان بن بشير المرفوع « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد وأصحاب السنن . والعبادة لا تكون الا لله لم يدعه لا وحده ولا مع الله ، لأن الدعاء لا يكون الا لله . وهذا بخلاف ما يفعله الجهال والضلال من طلبهم من المخلوقين من الأحياء والأموات أن يعطوهم مطالبهم ويكشفوا عنهم بلاياهم ، وإنما سأله أن يدعو له الله تعالى أن يعافيه وهذا جائز أن يسأل المؤمن من أخيه في حال حياته أن يدعو الله تعالى له . ومن هذا حديث البخاري في سؤال أم انس ابن مالك من النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يدعو لأنس خادمه ، فدعا له . ومن هذا ما رواه الترمذي وابو داود عن عمر بن الخطاب قال : استأذنت النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في العمرة فأذن لي وقال اشركنا يا اخي في دعائك ولا تنسنا زاد في رواية الترمذي فقال : كلمة ما يسرني ان لي بها الدنيا . يعني قوله : اشركنا . . . الخ ثم انه توسل بذاته بحسب مقامه عند ربه وهذا على الوجه الأول من الوجهين المتقدمين في فصل التراكيب أو توسل بدعائه ، وهذا على الوجه الثاني منهما . فمن أخذ بالوجه الأول قال يجوز التوسل بذاته ، ومن أخذ بالوجه الثاني قال انما يتوسل بدعائه ، ثم ان من أخذ بالوجه الأول فهذا الدعاء حكمه باق بعد وفاته كما كان في حياته ، ومن أخذ بالوجه الثاني لا يكون بعد وفاته . لان دعاءه انما

التوجه الى الله

كان في حياته لمن دعا له • فالوجهان المتقدمان — كما ترى — هما
مثار الخلاف في جواز التوسل بذاته وعدم جوازه ، فمن أخذ بالوجه
الأول جواز ومن أخذ بالثاني منع •

سؤال :

فان قلت قد عرفنا القولين وعرفنا مدركما فما هو الراجح
عندك منهما ؟

جوابه :

الراجح هو الوجه الأول الذي يجيز السؤال بذات النبي — صلى
الله عليه وآله وسلم — نظراً لمقامه العظيم عند ربه لوجهين : لأول : ان
ذلك هو ظاهر اللفظ ولا موجب للتقدير ولا منافاة بين أن يكون في
قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك وقوله اني توجهت بك قد سأل
بذاته • وفي قوله : (اللهم شفعه في) قد سأل قبول دعائه له وسؤاله •
والثاني : انه لما كان جائزاً السؤال من المخلوقين بما له من مقام عظيم
عندهم فلا مانع من أن يسأل الله تعالى بنبيه بحسب مقامه العظيم عنده •

سؤال آخر :

بعد ما رجحت جواز التوسل بذاته — صلى الله عليه وآله وسلم —
نظراً لمقامه العظيم عند الله تعالى فهل يقاس عليه غيره من كل ذي مقام
عند الله تعالى فيتوسل به أو يكون هذا مقصوراً عليه ؟

جوابه :

القياس في باب العبادات ضعيف ، واذا ارتكب هنا فلا يقاس عليه
الا كل ذي مقام محقق عند الله تعالى •

سؤال آخر :

بعد ما عرفنا حكم سؤال الله تعالى بأهل المكانة عنده من مخلوقاته •

فهل الأفضل هو سؤاله بمخلوقاته أو سؤاله بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في طاعاته ؟

جوابه :

الأفضل هو سؤاله تعالى بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في أنواع طاعاته ، وذلك لوجهين : الأول : ان ذلك هو مقتضى النص القرآني الصريح القطعي في قوله تعالى : « وَكَانَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا » ويشمل ذلك تسميته بها ونداءه بها . الوجه الثاني : ما جاء في السنة العملية في أحاديث كثيرة ثابتة مستفيضة ، كان سؤاله تعالى فيها كلها بأسمائه وصفاته منها حديث : (**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك الخ**) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود ، ومنها حديث رجل كان يصلي في المسجد فقال : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أسألك . فقال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : **دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى** . رواه أصحاب السنن الأربعة من طريق أنس ، ومنها حديث : **اني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق** . رواه النسائي والحاكم من طريق عمار بن ياسر ، وهكذا سائر الأحاديث التي جاءت في هذا الباب كلها متواردة على دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته ، وهي كلها تحقيق وبيان لقوله تعالى : (**وَكَانَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) . هذا كله في دعائه تعالى بأسمائه وصفاته . وأما ما جاء في دعائه والتوسل اليه بعمل العبد في أنواع طاعاته ، فمنها حديث بريدة : أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد (والشهادة عمل العبد) أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : **لقد سألت الله بالاسم الأعظم**

الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب . رواه ابو داوود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم إلا أنه قال : لقد دعوت الله باسمه الاعظم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، قال الحافظ عبد العظيم المنذري ، قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي : وإسناده لا مطعن فيه . ومنها حديث الثلاثة الذي (١) آووا الى غار فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعله يفرجها عنكم فدعا أحدهم بيروره والديه ، فانفرجت منها فرجة ، ودعا الثاني بعفته عن الزنا بعد ما كاد فانفرجت فرجة ، ودعا الثالث بوفائه لأجيريه ، فانفرجت البقية . وهذا حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما (٢) . ومن ذلك حديث سارة زوج ابراهيم عليه السلام لما مدّ الجبار الظالم اليها يده يريد بها على السوء ، قامت تتوضأ وتصلي وقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر ، فغط حتى ركض برجله . فقالت : اللهم ان يمت يقال هي قتلته ، فأرسل فعاد اليها وعادت الى الدعاء كالمرة الأولى ، وفي الثالثة تركها وقال : ارجعوا الى ابراهيم . رواه مفصلا البخاري في كتاب البيوع من صحيحه من طريق أبي هريرة ، فانظر اليها كيف توسلت لربها بايمانها الذي هو أشرف أعمالها ، وبعفتها

(١) كذا في الاصل وجوابه : الدين .

(٢) رويت القصة باختلاف الالفاظ في كتاب الفرج بعد الشدة ص ٢٨ - ٢٩ وقال التنوخي صاحب الكتاب : هذا حديث مشهور رواه عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - علي بن أبي طالب ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن أبي اوفى ، والنعمان بن بشير الانصاري ، رضي الله عنهم . وعن كل واحد منهم عدة طرق . وقد اختلف في الفاظه والمعنى واحد .

وإحصانها لفرجها ولم تتوسل اليه برسوله وخليله زوجها ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

سؤال آخر :

بعد ما عرفنا رجحان سؤاله تعالى بالأسماء والصفات والطاعات فهل ثبت عن الصحابة سؤالهم وتوسلهم بذاته ؟

جوابه :

لم يثبت عن واحد منهم شيئاً (١) من ذلك فيما لدينا من كتب السنة المشهورة ، بل ثبت عدولهم عن ذلك في وقت مقتض له لو كانوا يفعلونه وذلك في حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما ، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . ومعنى الحديث أنهم كانوا يتوسلون بالنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يدعوا لهم في الاستسقاء ويدعون ، ثم صاروا يتوسلون بالعباس فيدعوا لهم ويدعون ، فالتوسل هنا قطعاً بدعائهما لا بذاتهما . ووجه الاستدلال بهذا الحديث على مرجوحية التوسل بالذات أن الصحابة لم يقولوا في موقفهم ذلك : اللهم انا نتوسل اليك بنينا أي بذاته ومقامه بل عدلوا عن ذلك الى التوسل بالعباس يدعوا لهم ويدعون كما كان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يفعل في الاستسقاء . ولقد استدل بعضهم بعدول الصحابة عن التوسل بذات النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في هذا المقام على منعه ، ونحن لما بينا قبل من دليل جوازه انما نستدل بعدولهم على مرجوحيته .

(١) كذا في الاصل جوابه : شيء .

سؤال آخر :

قد عرفنا فيما تقدم مشروعية سؤال المؤمن من أخيه المؤمن في حياته أن يدعو له فهل يشرع الذهاب الى القبر وطلب الدعاء من الميت ؟

جوابه :

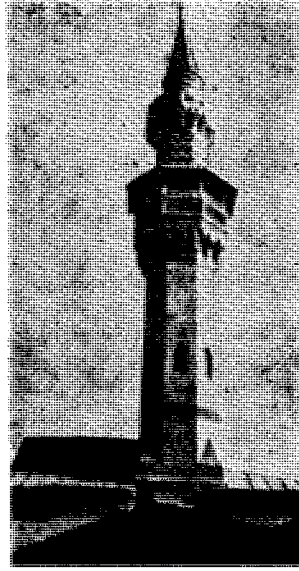
لو كان هذا جائزاً لفعله الصحابة في الحديث المتقدم ولذهبوا لقبر النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يسألونه أن يدعو لهم كما كان يدعو لهم في حياته ، ولم يرد في حديث عن واحد منهم أنه كان يذهب الى القبر النبوي ويطلب منه — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يدعو له ، بل جاء عن ابن عمر — وهو من عرف بشدة اتباعه وتحريه — أنه كان يقف فيسلم على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ثم على أبي بكر ثم على عمر رضي الله تعالى عنهما ثم ينصرف لا يزيد شيئاً • أخرج مالک في الموطأ •

تلخيص وتحصيل :

تحصل لنا من جميع ما تقدم : (١) أن دعاء المخلوق وحده أو مع الله ممنوع • (٢) وأن التوسل بدعائه في حياته وهو من المؤمنين مطلوب ومشروع • (٣) وأن التوسل بذات النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — جائز مرجوح • (٤) وأن التوسل بذات غيره من أهل المكانة المحققة له وجه في القياس • (٥) وأن التوسل بذات غيره ممن ليس لنا اليقين القاطع بمقامه لا وجه له • (٦) وأن طلب الدعاء منه بعد موته بدعة لم يفعلها الصحابة • (٧) وأن الراجح في التوسل الى الله هو التوسل اليه بأسمائه وصفاته وأعمال العبد في أنواع طاعاته •

هذه سبع مسائل كثر فيها هذه الايام القال والقليل ، وتعرض لها من الكتاب الأصيل والدخيل ، وقد من الله بتحريرها على هذا الوجه الذي لم أره لغيري ، وقد كنت في تحريرها علم الله باحثاً منصفاً

متجرداً فما كان فيها من حق وصواب فهو من الله وما كان فيها
— عياداً بالله — من باطل وخطأ فهو مني وأستغفر الله والخير قصدت
وحسبنا الله ونعم الوكيل (١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ٨ ، ص ١٤٥ - ١٥٥
غرة ذي القعدة . ١٣٥٠ هـ - مارس ١٩٣٢ م .

حق النساء في التعليم

عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — : قالت النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك » فوعدهن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن . فكان فيما قال لهن : « ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجابا من النار » . فقالت امرأة : واثنين ، فقال : واثنين . رواه البخاري .

الشرح :

كان الرجال يلزمون النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فيحيطون به للتعلم فلا يستطيع النساء مزاحمتهم عليه وكن يجلسن في آخر صفوف المسجد ، فاذا تحدث النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بالعلم بعد الصلاة لا يتمكن من كمال السماع ، وكانت لهن رغبة في العلم مثل الرجال إذ كلهن يعلمن أثهّن مكلفات بأحكام الشريعة مثلهم . فلذا سألن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يعيّن لهن يوما باختياره هو يخصصهن به . فأجابهن الى ما طلبن ووعدهن يوما يعينه ووفى لهن بوعدده ، فلقين في ذلك اليوم وحدثن فوعظهن وأمرهن بأشياء مما عليهن من أمر الدين . واخبرهن بأن كل واحدة منهن يموت لها ثلاثة من ولدها فتقدمهم قبلها فان ذلك التقديم يكون لها حجابا ووقاية من النار لعظم الأجر بعظم المصيبة ، فطمعت احداهن في فضل الله وخافت أن يكون هذا الفضل محصورا فيمن قدمت ثلاثة فسألت عن قدمت اثنتين فاخبرها رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — بأنه لمن قدمت اثنتين أيضا .

الأحكام والفوائد :

النساء شقائق الرجال في التكليف ، فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن وقد علمهن - صلى الله عليه وآله وسلم - وأقرهن على طلب التعلم ، واعتنى بهن وتفقدهن كما في حديث ابن عباس : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خرج ومعه بلال ، فظن انه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم . وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

✓ لا يجوز اختلاط النساء بالرجال في التعلم ، فأما أن يفردن بيوم كما في هذا الحديث ، وأما أن يتأخرن عن صفوف الرجال كما مر في حديث ابن عباس - رضي الله عنه - يجعل لتعليم (١) النساء يوم خاص بهن ويتكرر هذا اليوم بقدر الحاجة . ولما كانت الحاجة دائمة فالיום مثلها .

فيه عظيم أجر من أصيب في أفلاذ كبده اذا حزن ولم يقل قبيحا وجاء التنصيص على الرجال فهم مثل النساء في هذه المثوبة .

وفيه البداية في التعليم بما تشتد اليه حاجة المتعلم . فان حضان النساء وضعفهن يحملانهن على الجزع الشديد وقد يخرج بهن الى القبيح فذكر لهن ما يكون عدة لهن ووقاية عند نزول المصيبة .

وفيه ما ينبغي من تهيئة القلوب وتحضير النفوس لتلقي التكليف الشرعية لتشرح لها الصدور وتنشط فيها الجوارح ولذا قدم الوعظ على الأمر .

اقتداء :

ان الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء ، وان على

(١) في الاصل : لتعليم .

حق النساء في التعليم

أوليائهن المسؤولين عنهن اثما كبيرا فيما هن فيه . وان أهل العلم والارث النبوي مسؤولون عن الأمة ، رجالها ونسائها ، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حقّ النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال ، وفي يوم خاص بهن اقتداء بالمعلم الأعظم : عليه وعلى آله الصلاة والسلام^(١) .



(١) ش : ج ٢ ، م ١٥ ، ص ٦٤ - ٦٦ .
صفر ١٣٥٨ هـ مارس ١٩٣٩ م .

تعليم النساء الكتابة

عن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل عليّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنا عند حفصة فقال لي : « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » . رواه أبو داود .

السند :

رجاله رجال الصحيح الا ابراهيم بن مهدي البغدادي فلم يخرج له فيها ، لكنه ثقة . وثقه أبو حاتم وابن نافع وابن حبان ، وقد تابعه غيره . وخرج الحديث أيضا النسائي والبيهقي في السنن الكبرى والامام أحمد .

المتن :

الأشخاص : الشفاء هي بنت عبد الله القرشية العدوية من السابقات والمهاجرات الأول - رضي الله عنها - وحفصة هي بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين رضي الله عنهما .

الإلفاظ :

النملة قروح تخرج في الجنب ، ورقيتها كلام كانوا يقولونه عليها مما لا محذور فيه فأقره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . ولم يذكر الرواة نصه .

المعنى :

عرف - صلى الله عليه وآله وسلم - ان الشفاء كانت علمت حفصة

تعليم النساء الكتابة

الكتابة ، وكانت الشفاء من عاقلات النساء وعارفاتهن ، فدعاها الى تعليم حفصة رقية النملة وحثها عليها ، ونشطها لذلك بتذكيرها بتعليمها لها الكتابة ، فمن كان من شأنه عمل من الأعمال خف عليه القيام به .
• مينا لها بذلك أن تعليم هذه مثل تعليم تلك في النافع وفعل الخير .

الأحكام والفوائد :

فيه مشروعية الرقية وذلك بشرط أن تكون بالكلام المفهوم الذي لا محذور فيه كما دلت عليه الآثار ، واذا كانت الأدوية سببا للشفاء بخواصها فبعض الأقوال تكون في ذلك مثلها تلك من ناحية البدن وهذه من ناحية الروح وقد دلت على هذا وذاك التجربة وأقرت الجميع الشريعة .

وفيه تعلم الرقية وتعليمها مثل كل ما يمكن أن ينتفع به على الوجه المشروع وفيه حث العارف بشيء مما يحتاج اليه الناس أن ينشره بينهم ويعلمهم اياه .

وفيه تعليم النساء الكتابة واستدل به على ذلك جماعة من الأئمة منهم الخطابي في شارح السنن ، وصاحب المنتقى .

توسع في الاستدلال :

وأقوى منه في الاستدلال العمومات القرآنية المتكاثرة الشاملة للرجال والنساء ، فان مذهب الجماهير وهو المذهب الحق ان الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء الا بمخصص يخرجهن من نص او اجماع أو بضرورة طبيعية . لان النساء شقائق الرجال في التكليف ولا خلاف في انه اذا اجتمع النساء والرجال ورد الخطاب او الخبر مذكرا على طريقة التغليب .

وتأمل قوله تعالى : « وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ »

وقوله تعالى : « وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَاِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ » . كيف نص في الثانية على الرجال لما كان الحال مقتضيا لهم ، وأطلق في الأولى فدل على انه لا فرق بين أن يكون الكاتب رجلاً أو امرأة ، وهو من أدلته مشروعية تعلم النساء الكتابة ، وكل آية دعت للعلم ، قد دعت للكتابة لأن الله قد بين لنا أنه علم بالقلم ليبين لنا أن القلم هو طريق العلم وآلة حفظه وتدوينه وأقسم بالقلم تنويها بشأنه وجاء ذلك كله على الخطاب العام الشامل للنساء شموله للرجال والعمومات اذا تكاثرت افادت القطع ولهذا جعلنا هذا الطريق من الاستدلال اقوى من الاستدلال بالحديث الذي هو خبر آحاد وخبر الآحاد - من حيث ذاته - يفيد الظن وان كان صحيحا . وحيث تواردت تلك العمومات وثبت هذا الحديث فقد بلغ الدليل بنصه وقطعيته غاية القوة والبيان .

الاقتداء :

فاستنادا الى هذه الأدلة ، وسيراً على ما استفاض في تاريخ الأمة ، من العلامات الكتابات الكثيرات - علينا أن نشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا في رجالنا ونسائنا على أساس ديننا وقوميتنا الى أقصى ما يمكننا أن نصل اليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء ، وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة ، وبذلك نستحق ان تسبوا منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٠ - ١١٢ .
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ - افريل ١٩٣٩ م .

ستر وجه المرأة من الدين

على ما فيه من تفصيل

« مالك عن هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت : كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما » .

السند :

هذا سند من بيت البركات على المسلمين : بيت الصديق رضي الله عنه ، فعروة هو ابن الزبير وأمه أسماء . والمنذر أخوه شقيقه . وهشام وفاطمة زوجان وأبناء عم وجدتهما أسماء ، رضي الله عنهم .

المتن :

تخمير الوجه : تغطيته بغير النقاب وما في معناه مما يشد على الوجه . وذلك بأن تسدل الثوب على وجهها نازلا من رأسها . وجاء هذا مبينا في حديث عائشة الذي رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم ، قالت : « كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — محرمات . فاذا حاذوا بنا أسدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فاذا جاوزونا كشفناه » .

الاحتجاج :

أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما من أهل العلم والدين ، فما كان يخفي عليها ما جاء من نهي المرأة عن النقاب وهي محرمة .

فلو كان التخخير مثله لما أقرتهن عليه وما كانت لتفرق بينهما برأيهما ، وفي كليهما ستر وتغطية لولا أنها على توقيف من النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في التفريق ما بينهما • ولهذا احتج مالك رضي الله عنه بتقريرها فخرجه في موطنه •

التأييد :

يؤيد هذا حديث عائشة المتقدم وفيه تقرير النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لهن على ما فعلن • وهو حديث محتج به : والذي وقع فيه كلام من رواه — وهو يزيد بن أبي زياد — قد قبله مسلم وجعله ممن يشمل اسم الستر والصدق وتعاطي العلم • كما في مقدمة صحيحه •

الأحكام والاستدلال :

ستر وجه المرأة عن رؤية الأجنبي مشروع بالتقرير النبوي له في وقت الاحرام الذي هو وقت كشف وجه المرأة : ولذلك كن — كما في حديث عائشة — يكشفن وجوههن اذا جاوزهن الركبان • ومانهيت المرأة عن النقاب في الاحرام الا وقد كان النقاب من شأنها وعادتها — والعادة التي يقرها النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لمصلحة تصير من الدين باستنادها الى التقرير النبوي الذي هو أصل من أصول التشريع ، والمصلحة المراعاة هنا هي سد ذريعة افتتان الرجال بالنساء بسبب النظر ، ودفع هذه الفتنة على اعتباره القول والفعل النبويان كما في حديث الخثعمية الآتي قريبا ، ولما لم يكن وقوع الافتتان محققا دائما لم يكن ستر الوجه حتما لازما في كل حال بل يجوز للمرأة الكشف عند عدم تحقيقها كما في حديث الخثعمية ايضا على ما سيأتي من البيان •

حديث الخثعمية :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان الفضل بن عباس

ستر وجه المرأة

رديف رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر .

المقصود منه :

رواه مالك والجماعة ، وفي رواية الترمذي من طريق علي كرم الله وجهه قال : واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت : أبي شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج أفيجز لي أن أحج عنه ، قال : حجي عن أبيك ، قال — علي — ولوى عنق الفضل فقال العباس : يا رسول الله ، لويت عنق ابن عمك ، قال : رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما .

ففي قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — لم آمن عليهما الشيطان أن الفتنة لم تقع وانما خاف وقوعها فسد ذريعتها ، وفي قوله هذا وفعله دليل على مراعاة الفتنة ، وسد ذريعتها ، وفي عدم أمره للمرأة بستر وجهها دليل على جواز ذلك لها ، وهذا بناء على أنها كانت مكشوفة الوجه ، كما هو الظاهر من نظر الفضل إليها ، ومن خوف الفتنة وهو الذي فهمه أكثر الناس ، وان احتمل ان تكون مستورة الوجه بما سدلته من رأسها كما قاله ابن العربي .

تحصيل :

ستر وجه المرأة مشروع راجح وكشفه عند أمن الفتنة جائز وعند تحققها واجب ، وأمر الفتنة يختلف باختلاف الأعصار والأمصار والاشخاص والأحوال فيختلف الحكم باختلاف ذلك ويطبق في كل بحسبه .

تطبيق :

من المسلمين اليوم أقوام — معظمهم من غير أهل المدن والقرى —

ألفوا خروج نساءهم سافرات فلا يلفتن أنظارهم بذلك ، فهؤلاء لا يطالبن بستر الوجوه مع بقاء حكم غض البصر وحرمة تجديد النظر ، ومن المسلمين أقوام - معظمهم من أهل المدن والقرى - ألفوا ستر وجوه النساء فكشف المرأة بينهم وجهها يلفت الانظار اليها ، وبغري أهل الفساد بها ، ويفتح بابا للقال والقييل في شأنها ، وشأن أهلها ، وعشيرتها ، فهؤلاء يجب عليهن ستر وجوههن ، اتقاء للشر والفتنة والوقية في الأعراض .

هذه أحكام عامة لنساء المؤمنين - ولأمهات المؤمنين زوجات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أحكام خاصة بهم ، على أنهن خير القدوة للنساء أجمعين .

تفرقة وتحذير :

هنا سفور إسلامي وهو كشف المرأة وجهها - دون شعرها وعنقها - عند أمن الفتنة ، مع عدم إظهار الزينة ، غير الوجه والكفين ، وعدم إثارة الفتنة بروائح الطيب وخشخشة الحلي ورنين الخلخال .

وهناك سفور إفرنجي فيه كشف الشعر والعنق والأطراف مع التبرج بالزينة وما اليها ، فعلينا - معشر المسلمين - أن نوجه قوتنا كلها الى منع السفور الافرنجي الذي قد طغى حتى على نساء أمراء الشرق المسلمين ووزرائه ، وان نحذر كل ما يؤدي اليه وأن نحافظ على الوضعية الاسلامية العفيفة الطاهرة بسفورها - اذا كان سفوراً على ما فصلناه - في دائرة محدودة ليس فيها إثارة ولا إغراء .

توصية :

على المربين لأبنائنا وبناتنا أن يعلموهم ويعلموهن هذه الحقائق

الشرعية ليتزودوا وليتزودن بها وبما يطبعوهم ويطبعوهن^(١) عليه من
التربية الاسلامية العالية ،لميادين الحياة فيكونوا ويكنء - ان شاء
الله تعالى - مثال الطهر والعفاف ، والصون للاجيال ، حقق لله الآمال
ويسر الصالح من الأعمال إنه عظيم الفضل كريم النوال^(٢) .



(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ٥ - ٨ .
غرة محرم ١٣٥٦ هـ - ١٤ مارس ١٩٣٧ م .

النساء والكمال

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله -
صلى الله عليه وآله وسلم - : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكمل
من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون • وان فضل
عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » •

رواه البخاري ومسلم

تمهيد :

ان الكمال الانساني متوقف على قوة العلم وقوة الارادة وقوة
العمل ، فهي أسس الخلق الكريم ، والسلوك الحميد ، اللذين ينهض
بهما بجلائل الأعمال ويبلغ بهما الى أسمى غايات الشرف والكمال ،
والمرأة لما خلقت لقسم الحياة الداخلي أعطيت من القوى الثلاث القدر
الذي تحتاج اليه منها وهو دون ما يحتاج اليه الرجل الذي خلق
للقيام بقسم الحياة الخارجي فكانت بخلقتها أضعف منه في العلم
والارادة والعمل فكانت لذلك دونه في الكمال ، وتقسيم الحياة الى
قسميها ضروري لبقاء النسل وحفظه وتقسيم وظيفة الحياة بين الرجل
والمرأة ، واعطاء كل واحد منهما القدر الذي يحتاج اليه في وظيفته
من بديع صنع الحكيم الخبير ، فلو لم يعط الرجل ما أعطى من كمال
القوى لما استطاع القيام بالأعمال الكبيرة في قسمه ولو اعطيت المرأة
مثل ما أعطى لما صبرت على البقاء في قسمها فأخلته باختل النظام
فحصل الفساد • ونحن نرى اليوم المرأة في المدنية الغربية ومقلديها
لما خيل، اليها انها قوية مثل الرجل هجرت وظيفتها أو اهملتها وخرجت

تزاحم الرجل في وظيفته فأضرت بالقسم الداخلي من الحياة باهماله واضطرابه وأضرت بالقسم الخارجي بمزاحمة الرجل وزحزحة قسم كبير منه عن العمل وتعريضه للفتن ، والامم الغريبة اليوم تشكو من الشكوى من تفكك نظام الأسرة وانحلال رباط الاخلاق الزوجية وبعضها عاجز عن تدارك أمره بما فيه من فوضى الآراء وتشعب الاهواء وتأصل الداء ، وبعضها قد أخذ يعالج الحالة بما فرضه على العزابة من ضريبة مالية وما جعله من مكافآت للمتزوجين والمتزوجات .

الارشاد النبوي :

فأراد النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يعرفنا بهذا الضعف في جنس المرأة حتى لا نعدو بها ما خلقت له من وظيفة القسم الداخلي من الحياة فنظلمها ونظلم الحياة ، وأراد أن يدلنا على ضعفها بدليل تاريخي مشاهد للأجيال ، فذكر لنا تخلفها عن الرجل في بلوغ ذروة الكمال ، فأخبرنا انه قد كمل في الأمم الماضية من الرجال كثير وما كمل منهم من النساء غير امرأتين . وذكر فضل عائشة على نساء وقتها كفضل الثريد على الطعام من أطعمة العرب ليجمع بين الحديث على الأمم الماضية وأمته ويدل على استمرار الكمال في النساء مثل استمراره في الرجال كل بما قدر ويسر له .

الى اي درجات الكمال بلغنا :

قد بينت درجات الكمال في قوله تعالى : « فَأَوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » وقد ذهب بعض الناس الى أن كمال مريم وآسية ببلوغهما درجة النبوة ، وذهب الأكثرون الى أنهما لم تبلغا اليها وانما بلغنا ما دونها من رتبة الصديقة ، واستدلوا بما تقتضيه

رتبة النبوة من الظهور لهداية الناس وارشادهم ، وذلك غير ما خلقت له المرأة ، وهذا الحديث ليس نصا في كمال النبوة فلا تقوم به الحجة . وقد جاء في صحيح مسلم من طريق علي - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : «خير نساءها مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة» . فاخبر بخير نساء الدنيا في الأمم الماضية وخير نساء الدنيا في هذه الأمة ، فكما لم تكن هذه نبية لم تكن تلك نبية ، على ظاهر الفرق ما بينهما في الخيرية . وذهب قوم الى نبوة مريم بدليل أن الملائكة خاطبتها باصطفاء الله لها وأمرها بالقنوت والسجود والرکوع في قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » وهذه هي النبوة : تبليغ الملائكة وحي الله بالاصطفاء والتكليف لمن يشاء من عباده . فهذا الدليل القوي دليل على خصوصية مريم البرة النقية عليها السلام بهذه المزية بين بنات حواء كلهن .

الاقتداء :

هؤلاء السيدات الكاملات كلهن قد كملن في الدين فمنهن أم النبي ومنهن زوجة نبي ومنهن منقذة نبي . فعلينا أن نكمل النساء تكميلا دينيا يهين للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة واعداد الكاملين ومساعدتهم للنهوض بالقسم الخارجي منها . وبذلك تنتظم الحياة انتظاما طبيعيا تبلغ به الانسانية سعادتها وكمالها (١) .

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٨

جمادي الثانية ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

شهيدة في ميدان الوغى^(١)

« مالك ، عن اسحق بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله اذا ذهب الى قبا يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه - وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت - فدخل عليها رسول الله فأطعمته وجلست تقلي في رأسه ، فنام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يوما ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة - يشك اسحق - قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك ، قالت : فقلت : يا رسول الله ما يضحكك ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ، كما قال في الأولى ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين ، قالت : فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت » .

السند :

ثبت عند البخاري من طريق الليث تصريح أنس بالرواية عن أم حرام خالته ، فكان أنس مرة يصرح بها ومرة لا يصرح ، وإذا روى الصحابي ما هو من أقوال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وشؤونه عن غيره فلا يقدح في حديثه عدم تصريحه بمن روى عنه لأن غيره

(١) العنوان من وضع الملق .

صحابي مثله ، والصحابة كلهم عدول ، ورواة هذا الحديث — غير مالك — أقارب ، فان اسحاق ابن عم أنس وأم حرام خالة أنس ، وقد روى هذه القصة بلفظ أخصر عن أم حرام أو آخر عمير بن الاسود العنسي . اخرجه البخاري .

المنن :

جاء عنه بألفاظ متقاربة كلها متفقة على أصل المعنى ، وخرجه البخاري بتلك الألفاظ في مواضع من صحيحه .

العربية :

فلي الرأس : تفتيشه لاجراج الهوام أو للتنظيف من غبار ونحوه ، والمقصود هنا الثاني لأن الاخبار متواترة تواتراً معنوياً بنظافة جسمه — صلى الله عليه وآله وسلم — وطيب ريحه وعرقه . وثبح البحر : وسطه ، وهو معظمه ومحل هوله .

سؤال وجوابه :

ما وجه دخوله — صلى الله عليه وآله وسلم — عليها وتمكينها من فلي رأسه ؟ كانت محرماً له بالخؤولة أو بالرضاعة ؛ حكاه الأئمة .

تحقيق تاريخي :

أول ما ركب المسلمون البحر للغزو في خلافة عثمان — رضي الله عنه — استأذنه معاوية — رضي الله عنه — فأذن له فغزا قبرص سنة سبع وعشرين . ذكره ابن الاثير وغيره ، وأول ما غزا المسلمون القسطنطينية وركبوا اليها البحر كان في خلافة معاوية سنة ٢٨ هـ ، وكان في ذلك الجيش أبو أيوب الانصاري دفينها .

تطبيق على هذا الحديث :

خرجت أم حرام مع زوجها وركبت البحر في زمان معاوية ، أي

شهيدة في ميدان الوغى

في زمان امارته ، وكان ذلك أول جيش ركب البحر ، وكانت هي معهم وتوفيت بعد خروجها من البحر ونزولها في أرض قبرص ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره ، وأما الجيش الثاني فهو الجيش الذي غزا القسطنطينية ولم تكن أم حرام معهم . وما جاء في صحيح البخاري صريح فيما قلناه من تعيين الجيش الأول والجيش الثاني . ونصه من طريق عمير بن الأسود عن أم حرام قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : **أول جيش من أمتي يغزون البحر قد اوجبوا** قالت أم حرام قلت : يارسول الله ، أنا فيهم ، قال : أنت فيهم . ثم قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : **أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم** . فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا .

فكانت مع أول جيش غزا البحر وهو جيش معاوية الى قبرص لا غيره كما حققنا .

الاحكام :

فيه دخول الرجل على محرمة دون حضور الزوج . وفيه سنة إطعام الزائر ، وفيه تصرف المرأة فيما تحت يدها من مال زوجها من الطعام بالمعروف . وفيه مباشرة محرم الرجل له في غير العورة . وفيه سنة القيلولة . وفي سنة إظهار السرور بالنعم والطاعات ، وفيه جواز سؤال من بدر منه ما لا يعرف سببه ، وفيه الاهتمام بكل ما يصدر منه - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وفيه جواز ركوب البحر ، وفيه جواز التوسع بالحلال ، وفيه فضل الغزو في البحر ، وفيه سؤال الشهادة، وفيه سنة طلب الدعاء ممن ترجى اجابته ، وفيه الدعاء ممن طلب منه ، وفيه غزو النساء مع الرجال .

الفوائد :

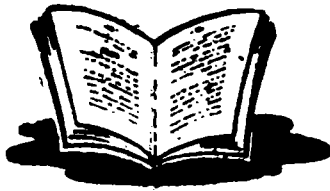
منها : ان رؤيا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وحي محفوظ، وقد

كان الصحابة يعلمون هذا علماً عاماً ولذلك سألت أم حرام أولاً وثانياً سؤال المتيقن بوقوع الغزو على الوجه الذي ذكر - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم قد تكون رؤياهم بالمثل كما رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بقرة تنحر فأولها بمن قتل من أصحابه في غزوة أحد، وقد تكون بالصریح الذي لا يحتاج الى التأويل كما هنا ، ومنها تحقيق استجابة دعائه اذا دعا ، ولهذا قال لها في الثانية - جازما - : أنت من الأولين . وهذا فيما لم يعلم بالمتع منه كما في حديث وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، يعني أمته فمنعها . ومنها أن من معجزاته - صلى الله عليه وآله وسلم - اخباره بأمر غيبية لم يكن شيء مما يدل عليها أو يقتضي وقوعها يوم أخبر فوقت كما أخبر فركب أصحابه البحر وغزوا الروم ومدينة قيصر من بعده بينما كانوا يوم أخبر بهذا من أبعد الامم عن ركوب البحر والبراعة فيه وكانت أم حرام مع الطائفة الأولى كما أخبرها ، وكانت منهم على أبلغ وجه حيث فازت بالثمرة المقصودة من الغزو وهي الشهادة وان كان موتها في غير مباشرة القتال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ومن قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد . رواه مسلم ولقوله تعالى : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ »

الموعظة :

علم الله ان السيادة في البر لمن ساد في البحر ، وان أقسام الأرض المتقاطعة وأصناف الأمم المتباينة ، لا يقرب بينها . ويفتح الطريق لتواصلها وتعارفها ، وينقل مدنياتها من بعض الى بعض منها إلا ركوب البحر وملك ناصيتها ، فجاءت الآيات القرآنية العديدة في ذكر البحر

وضفاته ومنافعه وسفنه وبديع الصنعة فيه وعظيم النعمة به . وجاء هذا الحديث يبشر الأمة الاسلامية بما هيء لها من أسباب السيادة ويعرفها انها أمة ملك وسلطان وقوة وانها ستملك البحار ، وتغزو الأمصار الكبار ، يعرفها بهذا ويدعوها اليه لتعد له عدته وتأخذ له طريقه وتتوصل اليه بأسبابه . اذ لا يكون ملك الا باسباب الملك ، ولا تكون قوة الا باسباب القوة ولا تكون السيادة الا باسباب السيادة، وقد علمت من دينها ان السيادة لا تكون الا بالملك وان الملك لا يكون الا بالقوة : قوة الأبدان وقوة العقول وقوة الأخلاق وقوة المال - وبهذه يكون العدل الذي هو أساس الملك - وان لا قوة الا بالعلم والعمل والتهدب ، فاذا دعاهم هذا الحديث الى السيادة فقد دعاهم الى هذا كله ونبههم على هذا التقدير المحكم الذي ارتبط بعضه ببعضه وعلى انه لا سبيل الى غايته إلاّ باتيانه من بدايته ، وقد فهم المسلمون هذا دهرًا فسلكوه فانجز لهم الله وعده ، وجهلوه ادهارًا فتركوه فاذاقهم الله بأسه ، وما ربك بظلام للعبيد . ولئن عادوا اليه ليعودن اليهم ، ولن يخلف الله الميعاد (١) .



(١) ش : ج ١ ، م ١٠ ، ص ٩ - ١٤
غرة رمضان ١٣٥٢ هـ - فيفري ١٩٣٤ م .

خروج النساء الى المساجد

« روى مسلم في صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر ، إن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : لا تمنعوا نساءكم المساجد اذا استأذنكم اليها . قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعن . قال : فأقبل عليه عبد الله فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط ، وقال : أخبرك عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتقول : والله لنمنعن » .

الشرح :

قد صح من السنة العملية والسنة القولية خروج النساء الى المساجد وحضورهن مشاهد الخير ، وثبت نهي الرجال عن منعهن من ذلك ، ومنه ما في هذا الحديث . وعليهن قبل الخروج أن يستأذن الرجال كما هو مقتضى قوله اذا استأذنكم اليها ، كما ثبت أيضا نهيهن عن مس الطيب اذا أردن الخروج وعليهن لا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وأن يضربن بخمرهن على جيوبهن وان يدنين عليهن من جلابيهن وهي ما يجعل فوق الثياب كلها كالملاءة ونحوها وان لا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فلا يسمع منها خشخشة الحلبي ولا رنين الخلخال . وأن يمشين في حافات الطريق ولا يحاqqن الطريق ، أي لا يمشين في وسطه وهذه كلها مأخوذة من الآيات والأحاديث في هذا الباب ولما سمع بلال بن عبد الله أباه يحدث بهذا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قابله بالرد وقال والله لنمنعن فغضب أبوه غضبا شديدا وسبه وشتمه سبا سيئا مقابلا لقوله السيء ومقابله للحديث النبوي بالمعارضة .

خروج النساء الى المساجد

نفي تعارض :

ثبت عن عائشة انها قالت : لو ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني اسرائيل ، وهذا لا يعارض ما تقدم ، لأن الذي أحدثته هو الطيب والزينة وهو نهي عن منعهن ونهاهن عن مس الطيب عند ارادة الخروج فلو رأى ما أحدثن لمنعهن لاخلالهن بالشرط حتى يلتزمه ولا يمنعهن منعا يكون ابطالا لنهيه الاول عن منعهن .

قدوة :

لما سمع عبد الله بن عمر ابنه بلالا يصارحه بمعارضة السنة ومخالفتها لم يملك نفسه واستشاط غضبا حتى سبه سبا سيئا لم يكن من عادة ابن عمر صدور مثله منه . وهكذا كل مسلم غيور على الاسلام والكتاب والسنة يسمع من أهل الاسلام التكذيب بهما أو التعدي عليهما أو المعارضة لهما بالرأي والهوى أو تحريفهما عن مواضعهما كذلك فانه لا يملك نفسه ان يدافع عنهما وقد يملكه الغضب لله فيكون منه بعض ما ليس من عادته ان يصدر منه من قول .

تحذير وارشاد :

هذا الذي وقع من بلال كثيرا ما يقع مثله أو نحوه من أهل الجهل والبدعة الذين شبوا عليهما وشاخوا حتى صارت البدعة عندهم سنة والسنة بدعة فاذا ذكرت لهم الحكم الشرعي بدليله من الكتاب والسنة صدوا ونفروا وأبوا واستكبروا وصارحوا بالمخالفة أو سكتوا واضمروا الخلاف . وما هذا شأن المؤمنين فحذار اذا سمعت حكما شرعيا ونصا قرآنيا أو حديثا صحيحا نبويا أن تقابل بالخلاف بل انشرح بذلك صدرا ولا يكن في صدرك من حرج مما قضى الله ورسوله وسلم تسليما^(١) .

(١) ش : ج ٤٥ م ٨ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢

غرة محرم ١٣٥١ هـ - ماي ١٩٣٢ م .

تحريم الخلوة بالأجنبية

خصوصا على الاقارب

« أخرج مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : إِيَّاكُمْ والدخول على النساء . فقال رجل من الانصار : يا رسول الله ، أفرايت الحمى ؟ قال : الحمى الموت » •

المفردات :

الحمى : على وزن دَلُو قال الليث بن سعد : هو أخ الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه ، فالأحماء أقارب الزوج والأختان أقارب الزوجة والاصهار يقال عليهما •

التركيب :

نصب اياكم على التحذير • أفرايت معناه اخبرني • الحمى الموت تشبيهه بليغ كزيد أسد ، وفي الموت استعارة تصريحية شبه فساد البيوت وخرابها وانحلال روابطها بالموت بجامع الهلاك والزوال في كل فجاء عليه وآله الصلاة والسلام بهذا التركيب البليغ البالغ للمبالغة في التحذير والبلوغ الى غاية التأثير •

المعنى :

حذر عليه وآله الصلاة والسلام الرجال من الدخول على النساء ، وكانوا يتساهلون في الدخول على نساء أقاربهم ، فسأل هذا الانصاري - رضي الله تعالى عنه - عن أقارب الزوج ، فأجابه - صلى الله عليه وآله وسلم -

تحريم الخلوة بالأجنبية

بان الخوف منه أكثر والشر منه أقرب والفتنة به أشد ، لأنه متمكن الدخول الى بيت أخيه دون انكار عليه ، فيتوصل الى المرأة ويخلو بها دون كلفة ولا مراقبة ، بخلاف الاجنبي فهو بعيد عن الدار ينكر عليه دخولها ويخشى من مراقبة أهلها ، فاذا كان الاجنبي ممنوعا من الخلوة بالأجنبية فأحرى وأولى قريب زوجها • ويثن عليه وآله الصلاة والسلام ان الخلوة بالاحماء مؤدية الى الهلاك والفتنة في الدين والى خراب البيت وفساد الاسرة واضمحلالها •

الاحكام :

حرم الحديث الخلوة بالأجنبية خصوصا على الاقارب اما المحرم كزوجة الابن أو زوجة الاب فلا تحرم الخلوة بها للمحرمة واما الدخول دون خلوة فاذا اتفت الريبة فهو غير ممنوع •

العمل بالحديث :

الناس - الا من شاء الله - بهذا الحديث جاهلون ، وعن سوء العاقبة التي حذر منها غافلون ، وفي الهلاك الديني والعرضي واقعون ، فحق على من قرأ هذا الحديث أن يعلمه للناس وينشره فيهم ويحث نفسه واياهم على العمل به والسير على أدبه ولا يستعظم ما يراه من جهل فانه ما جاء الا من قلة نشر العلم فاذا نشر العلم - ولو كان في أوله قليلا - فانه لا يلبث باذن الله ان يصير كثيرا ، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (١) •

(١) ش : ج ٩ ، م ٨ ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠
غرة جمادى الاولى ١٣٥١ هـ - سبتمبر ١٩٣٢ م •

خير النساء

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
خَطَبَ أُمَّ هَانِيَةَ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَكَلِي عِيَالٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى
الله عليه وآله وسلم - : خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ
نِسَاءٍ قَرِيشٍ أَحْنَاهُ عَلَيَّ وَوَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَيَّ
زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ .
رواه مسلم

السند :

الحديث ثابت في الصحيحين وانما انفرد مسلم بهذه الرواية التي
فيها ذكر سبب ورود الحديث وهو خطبة النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - أم هانئة - رضي الله عنها - وما أجابت به .

الكلمات :

حنا عليه : يحنو حنوا عطف فالأخى هو الأكثر عظما . وحنوت
المرأة على ولدها حنوا فهي حانية اذ لم تتزوج بعد أبيه فاذا تزوجت
فلا يقال فيها حانية . رعي الشيء يرعاه رعاية حفظه فالارعى هو
الاحفظ . وذات اليد هي الاموال لانها صاحبة اليد تجعل فيها .

التراكيب :

ركب الابل : كناية عن نساء العرب وقصد بها التعميم أي خير
نساء العرب كلهن . وجملة احناه مستأنفة لبيان ماكن به خير النساء ،
وأفرد الضمير في احناه باعتبار الجنس .

خير النساء

الاشخاص :

أم هانيء بنت أبي طالب كانت تزوجت هبيرة بن عمر المخزومي أسلمت عام الفتح وهرب زوجها الى نجران فاولادها منه هم العيال الذين اعتذرت به وأبت أن تتزوج عليهم فقبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عذرها .

المعنى :

خير نساء العرب نساء قريش لجمعهن بين : الرأفة بالولد والشفقة عليه والعناية به في تربيته حتى يترك التزوج من اجل التفرغ للقيام به ، وحفظهن للمال وحسن التدبير فيه والامانة عليه . فيكفين الزوج أعز شيء لديه وهو ماله وولده اللذان بهما حسن حاله وبقاء أثره .

تنبيه على استئرام :

لا تستطيع ترك التزوج بعد تأيمها للتفرغ لتربية أولادها الا المرأة الكاملة العفاف الشديدة الرأفة التي أنساها حبها في أولادها والشفقة عليهن داعية النفس الى الزواج وما استطاعت ذلك الا بما عندها من ملكة العفاف فوصفها بانها حانية يستلزم انها عفيفة .

توجيه :

لا بقاء لأمة من الأمم الا بانتظام أسرها وحفظ نسلها وقد خصص الله المرأة للقيام بهذين الامرين العظيمين وزودها من الرحمة والشفقة ما يعينها عليهما ، وانما تقوم بهما اذا جمعت ما بين العفة في نفسها والاقتصاد في نفقتها والتفرغ للقيام باولادها ولهذا لما جمع نسوة قريش ذلك كله كن خير نساء العرب .

ارشاد :

يبين لنا هذا الحديث الشريف ما خلقت له المرأة من العمل العظيم

في الحياة ويرشدنا بذلك لوجوب القيام عليها وتمهيتها لذلك بالتربية والتعليم فتكون تربيتنا وتعليمنا لها بما يقوي فيها هذه الصفات : العفة وحسن تدبير المنزل والنفقة فيه ، والشفقة على الولد وحسن تربيته ، وكل زيادة على هذه - بعد تهذيب اخلاقها وتصحيح دينها وتحبيبها في قومها - فهي ضارة بها أو مخرجة لها عن مهمتها العظيمة ملحقة الضرر بقومها فلنجعل هذا الحديث الشريف دليلنا ومرشدنا في كل ما نسعى اليه من تعليم النساء والبنات .

الاحكام :

امتنعت أم هانئ من التزوج للقيام باولادها فأقرها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - واثني على المتصفات به فدل ذلك على استحسانه لمن ملكت عفتها وقدرت عليه . وثناء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على نساء قريش بوصفهن دليل على ما ينبغي من اختيار المرأة المتصفة بمثل هذا الوصف . ودليل ما ينبغي ان يتخير من معادن النساء في بيوتهن وأقوامهن فان الاخلاق تتوارث والبنات متأثرات بالأمهات في الغالب .

تصديق :

ان نساء أنجبين من أنجبين من رجالات قريش في الجاهلية والاسلام وولدن محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - لهن خير نساء في كل ما توصف به النساء من خير فصدق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبراً وشهدت بصدقه الايام (١) .

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٤٩٦ - ٤٩٨
رمضان ١٣٥٤ هـ - ديسمبر ١٩٣٥ م .

الإية الخالدة لنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين

صلى الله عليهم وسلم

أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
« ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ،
وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعا يوم القيامة » .

رواه البخاري ومسلم وغيرهما

لما كان المقصود من الرسالة هو هداية الخلق واقامة الحججة عليهم
كان الرسل - صلوات الله عليهم - اكمل الناس في أخلاقهم وأنزههم
في سيرتهم ، معروفين بذلك بين أقوامهم قبل نبوتهم ، ثم اذا بعثهم الله
تعالى آتاهم من العلم وقوة الادراك ووضوح البيان ما تنهض به
حجتهم وتوضح به دعوتهم ويقطع بكل من يعارضهم بشبهة ويموه
بباطل ، واذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء
في دعوتهم لأقوامهم - رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج
والبراهين والأدلة العقلية الجلية ، وأنهم كانوا اذا سئلوا الآيات
المعجزات الخارقة للعادة ردوا الأمر الى الله ونفوا أن تكون لهم قدرة
على الاتيان بها الا باذن الله كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ
نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) فيظهر الله على أيديهم الآيات
تأييداً لهم وتخويفاً لأقوالهم وقطعاً لمشاغبتهم ، فيخضع لها بعضهم
ويستمر الأكثرون على العناد ، فما من نبي من الأنبياء الا وقد أعطاه
الله من الآيات والمعجزات ما مثله في وضوحه وظهوره والعجز عن

معارضته ما يؤمن عليه العباد ، ويتفقون عليه لولا ما يصددهم عنه من العناد ، وهو معني قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — « ما من الأنبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » .

والنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — قد أوتي مثل هذه الآيات ، وقد نقل الكثير منها كثير من أصحابه — رضي الله عنهم — واشتهرت عند أئمة الحديث والنقل ، غير أن آيته الخالدة الدائمة كعموم رسالته ودوامها هي القرآن العظيم وهو الوحي الذي أوحاه الله اليه ، فهي المعول عليها في دوام الحجّة على تعاقب العصور والأجيال ، اذ لا يقوم غيرها مقامها في بقائها مشاهدة لجميع الناس ، ولذا حصر آيته فيها فقال: « وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي » .

تفرقة وترجيح :

آيات الرسل — صلوات الله عليهم — كانت معجزات كونية لا يشهدا إلا من حضرها ، ثم تبقى أخبارا يمكن للجاحد انكارها ويتأتى للمشاغب أن يصنع من الخزعبلات والمخارق ما يموه به على ضعفه العقول ويدعي مماثلتها .

وآية النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وهي القرآن العظيم معجزة علمية عقلية يخضع لسلطانها كل من يسمعها ويفهمها ولا يستطيع معارضتها ، لا في لفظها وأسلوبها وبيانها ، الذي عجزت عن معارضة اقصر سورته العرب ، على ما كان من حميتها وانفتها وشدة رغبتها في إبطالها لو وجدت سبيلا اليها فقط — بل لا تستطاع معارضتها فيما اشتملت عليه من أصول العلوم التي يحتاج اليها البشر في كمالهم وسعادتهم أفرادا وجماعات ، واما وما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة والحكم الباهرة في كل ما دعت اليه الى ما اشتملت عليه من حقائق كونية كانت مجهولة عند البشر حتى كشفها العلم في هذا العصر مثل

انباء الخلق كله على أساس الزوجية في أشياء كثيرة . مصداق قوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّكَ الْحَقُّ » . فهذا كانت آية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أعظم الآيات وأبقاها ، وكانت مغنية عن غيرها كافية عما عداها كما قال تعالى : « أَوْلَمْ يَكْتَفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ » .

تفريع

لما بقيت هذه الإية الكبرى على العصور - وانبتت على الاحتجاج بالعلم والعقل كان لها في كل عصر اتباعها الكثيرون عن اقتناع واطمئنان ويزداد ويكثر عددهم بتوالي الأزمان . ويكثر الداخولون فيهم بقدر ما يزداد تقدم البشر في العلم والعرفان ، وقد شوهد هذا اليوم وقبل اليوم . ونحن نرى في هذا العصر كيف ينتشر الاسلام تباعا لهذه الإية بين الأمم وفي علمائها دون نشر للدعوة من المسلمين تبينها ولا قوة لهم تؤيدها . وانما بما فيه من علم وحجة وأدب وحكمة تخضع العقول وتجذب القلوب . ولهذا فرع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على كون آيته ، وحياً رجاء أن يكون أكثر الأنبياء - صلوات الله عليهم - أتباعا يوم القيامة الذي تظهر فيه التابعة الصادقة فقال : (فَرَجَوُا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

انفراده - صلى الله عليه وآله وسلم - بالاتباع من يوم بعثته :

ليس المنتمون لموسى - صلى الله عليه وسلم - ولعيسى - صلى الله عليه وسلم - باتباع لهم ، لأن دعوة الأنبياء - صلوات الله عليهم - واحدة ودينهم - وهو الاسلام - واحد وان اختلفت بعض الفروع العملية في شرائعهم ، فمن لم يؤمن بواحد منهم كمن لم

يؤمن بهم كلهم ، وما كان محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — بدعا من الرسل وما جاء الا بمثل ما جاؤا به ، وما جاء الا مصدقا لهم . فالذين لم يتبعوه من المنتمين اليهما عليهما السلام غير متبعين لهما فاقطعت تابعيتهما ببعثة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — فمن آمن به كان من أتباعه والا كان من الهالكين . وقد قال — صلى الله عليه وآله وسلم — (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار) .

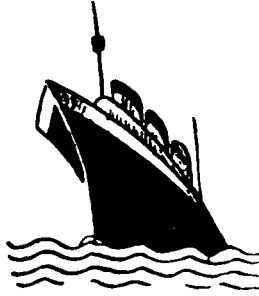
اقتداء :

كل داع له من الأجر مثل أجور من اتبعه على دعوته لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، فرجا النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كثرة أتباعه إذ في ذلك انتشار الهداية ، وكان — صلى الله عليه وآله وسلم — أحرص الناس على هداية الناس ، وفي ذلك مضاعفة أجره وجزائه عند الله ، فلنا فيه الأسوة الحسنة بالحرص على نشر هدايته وتبليغ دعوته ورجاء كثرة الاجر والثواب بكثرة ما نوفر من اتباعه فليعمل العاملون لهذا وليجهدوا فيه .

وقد رجا النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كثرة أتباعه لدوام وظهور آيته الخالدة ، وهي القرآن العظيم ، فعلى الناشرين لهدايته والمبلغين لدعوته أن يجعلوا القرآن أمامهم وحجتهم ومرجعهم ، فانه هو كتاب الدعوة ، ومنشور الهداية ، ومظهر الحجة . وأتباع النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — هم أتباع القرآن وخلفاؤه في التبليغ ، وورثته في العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن وينذرون بالقرآن كما كان هو — صلى الله عليه وآله وسلم — كذلك وكما قال الله فيه : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »

«لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» «إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» •

جعلنا الله ممن اتبعوا دينه ، ونشروا هدايته وبلغوا حجة غير
مبدلين ولا مغيرين (١) •



(١) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ١٤٥ - ١٤٩
صفر ١٣٥٤ هـ - ٣ جوان ١٩٣٥ م •

قيمة الرجل بقيمة قومه

لما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائرُه بالحمى والسهر) (١) نبه على معنى عظيم في ارتباط كل فرد بأمته ارتباط الجزء بكله وهذا الارتباط يقتضي أموراً كثيرة منها ما جاء نصاً في الحديث الشريف ومنها ما يؤخذ مما يقتضيه التشبيه ومن هذا أن الفرد منظور إليه في النظر الاجتماعي العام بما ينظر به إلى أمته ، سواء أساواها في المستوى الذي هو فيه من رقي وانحطاط ، أم كان أسمى منها أو أدنى فقيمته في النظر الاجتماعي العام هي قيمتها .

جمعتي ليلة بثلاثة من شباننا المتعلم التعليم الأوروبي والمتأدب الأدب الإفرنجي ممن لا ينقصه شيء عن الطبقات الراقية منهم ، وانساق بنا الكلام إلى ما تكتسب به الأمم والأفراد الاحترام في عين غيرها ، واتفقنا على أن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة بين الأمم ، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والانحدار . وإن الفرد الذي لا يحافظ على ذلك من أمته لتأخرها في سير الزمان بما أحاط بها من ظروف الحياة وإن تحلى بأعظم وأحسن ما يتحلى به الراقون من أمة أخرى لا ينظر إليه إلا بالعين التي ينظر بها إلى أمته .

أخذ أولئك الشبان - وقد زالت عن أبصارهم غشاوة الغرور

(١) رواه مسلم ولفظه : تداعى له سائر الجسد (المعلق) .

قيمة الرجل بقيمة قومه

والغفلة لما أقنعتمهم بأن قيمة الرجل بقيمة أمته - يقصون علي من الوقائع التي وقعت لهم هم أنفسهم ما يثبت تلك الحقيقة ويؤيدنها . قلت لأولئك الأخوان - وقد اندهشت مما لم أكن أحسبه يقع - : لا تلوموا من عاملكم بما تقتضيه نظرة اجتماعية عامة ، ولكن لوموا أنفسكم ان جهلتم هذه الحقيقة ، وأتم أبناء دين قررها من أول أيامه في مثل الحديث الشريف الذي افتتحنا به هذا المقال . واليوم - وقد تجلت لكم الحقيقة علميا وعمليا - عليكم أن تلتفتوا الى أمتكم فتشلوها مما هي فيه بما عندكم من علم وما اكتسبتم من خبرة محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في موكب المدنية الحقة بين الأمم ، وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الانسانية بانهاض أمة عظيمة تاريخية من أممها ، ثم لا يمنع هذا من أخذ العلم عن كل أمة وبأي لسان واقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا ومد اليد الى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام^(١) .



(١) ش : ج ٨ ، م ١١ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤
شعبان ١٣٥٤ هـ - نوفمبر ١٩٣٥ م .

من السنة

تعلم اللغات المحتاج اليها

زيد بن ثابت قال : أمرني رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — أن أتعلم له كتاب يهود ، قال : اني والله ما آمن يهود على كتاب ، قال : فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته . قال : فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم .
رواه الترمذي وحسنه ورواه غيره

لما نزل النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بالمدينة مهاجراً كان بها وبضواحيها مع الأوس والخزرج — رضي الله عنهم — اليهود ، فأقرهم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وكتب بينه وبينهم عهداً ، وكانت الكتب تدور بينه وبينهم في الشؤون والمصالح من الطرفين . فكانوا يكتبونه بالخط العبراني ، كانت لغتهم العربية ، ولكنهم كانوا يكتبون بالخط العبري ، فأمر النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كاتبه زيد بن ثابت — رضي الله عنه — أن يتعلم الخط العبري ليكتب له اليهم ويقرأ له ما يرد عليه منهم فيكون على يقين من كلامهم اليه وبلوغ كلامه اليهم ، وما كان ليحصل له هذا اليقين — وهم ليسوا بمحل الثقة — لو تولى ذلك واحد منهم فقد لا يكتب عنه كل ما يقوله لهم وقد لا يقول له كل ما كتبوه اليه ، فتعاطى زيد تعلم الخط العبراني ، فما مضى عليه نصف شهر حتى حذقه وتولى الكتابة عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — والقراءة له .

الفوائد والأحكام :

الأولى : كل قوم تربط بينهم المصالح لا بد لهم من التعاون ، ولا يتم التعاون الا بالتفاهم والتفاهم بالمشافهة والكتابة ، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه ، وبقدر ما تكثر الأقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط ويلزم تعلمها ، لأن العلة هي الحاجة . وسواء كانت المصلحة التي تربط الأقوام عمرانية أو علمية لأن المصلحة من حيث هي مصلحة محتاج الى تحصيلها ، والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أمر زيدا بتعلم الكتابة ، لأن اللغة كانت عربية ولو كانت لغة أخرى لأمره بتعلمها لعله الحاجة ، والحكم يدور مع العلة . وقد جاء عن زيد من طريق أخرى - ذكرها الترمذي - أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أمره أن يتعلم السريانية . فنحن اليوم وقد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح علينا أن نعرف لغتهم وخطهم كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا وخطنا .

الثانية : هذه السنة أصل في اتخاذ الكتبة والتراجمة في الدولة وما يشترط فيهم من العلم والأمانة .

الثالثة : كان في إمكان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يكاتبهم بالخط العربي ويلزمهم أن يكاتبوه به ولكن تسامح الاسلام واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم قضايا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم ، فأقرهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على ما أرادوا وكلف هو من تعلم خطهم . وتركها لاتباعه سنة بعده .

الرابعة : هذه السنة أصل في ضبط أمور الدولة بالكتابة فيما يصدر عنها وفيما يوجه اليها . ومثلها ضبط كل المعاملات ، فهي أصل في التسجيل على العموم . وهكذا تجد سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اذا تتبعتها - قد قررت - بالفعل - أصولا كثيرة

من أصول المدينة والعمران ، ولهذا كان على قارئها أن يتناولها للفهم والاستنباط والتطبيق على الاحوال^(١) .



(١) ش : ج ٢ ، م ١١ ، ص ٧٧ - ٧٨
صفر ١٣٥٤ هـ - ٥ ماي ١٩٣٥ م .

التستر بالنقائص

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : « كل أمتي معافي الا المجاهرين ، وأن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح - وقد ستره الله - فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا . وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » .

رواه البخاري في الأدب ومسلم في الزهد والرقائق

الكلمات :

المعافي : من العافية وهي السلامة ، فالمعافي هو السالم . ويحتمل أن يكون المراد هنا سلامة العرض من القدح أو سلامة البدن من الحد أو سلامة العاقبة من المؤاخذة بالذنب . والمجاهر : هو المعلن بنفسه .

المعنى :

قد يرتكب المذنب المعصية مع شعوره بقبح ما أتى وخجله به من ربه وانكسار قلبه من أجل معصيته ، فهو لذلك يتستر بذنبه فلا يطلع عليه غيره لا بقول ولا بفعل ، فهذا قد سلم منه الناس فلم يؤذهم بشره ولم يدعهم الى الاقتداء به ، وسلم منه الشرع فلم يكسر من هيئته ولم ينقص عند الناس من حرمة ، فسلم له هو عرضه من القدح وبدنه من الحد وسلم له أصل ايمانه ، وهو حياؤه من الله وخوفه منه ، واحترامه لدينه وبعضه لما يأتي من معصيته فيوشك بهذه الحياة التي في قلبه أن يقلع عن ذنبه ويتوب فيسلم من المؤاخذة بسبب التوبة ، وقد يرجح

ما في قلبه من خوف وخجل واحترام وبعض للمعصية وتألم بها - على نفس المعصية - فيسلم من المؤاخذة بها عند الموازنة يوم القيامة .
فصدق فيه هذا الوعد بأنه معافى من ذنبه وسالم من المؤاخذة به .

أما الذي يجاهر بمعصيته ويعلن بها فهذا قد تعدى على مجتمع الناس بما أظهر من فساد وما أوجد من قدوة سيئة وما عمل لمجاهرته على شيوع الفاحشة فيهم . وقد تعدى على الشرع بما انتهك من حرمة وجرأ من السفهاء عليه . وهو بمجاهرته قد دل على استخفافه بحق الله وحق عباده وعلى عناده للدين وخلو قلبه من الخوف والحياة ، وأي ايمان يبقى بعدهما . ولما كانت المجاهرة بالمعصية تطلق في النال على من يعلن أمره للجماعات بين النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن مجاهرة الفرد كمجاهرة الجماعة من باب التنبيه على الجزئي الخفي من جزئيات المنهي عنه لانه هو الذي شأنه ان لا يتنبه له فيتساهل فيه ومن تساهل في الجزئي الخفي أدناه ذلك الى التساهل في غيره . وهذا الجزئي الخفي هو أن يعمل عملاً يستره الله فيه ثم يحدث به رفيقه فيكشف ستر الله عنه .

استنباط :

قد تبين ما في المجاهرة من المفاصد والظلم ، وقد دل الحديث على أن أهلها غير معافين ، فهم هالكون ، فهي حرام ، ومعصية زائدة في أصل المعصية ، فالمجاهر بمعصيته ارتكب معصيتين : المعصية والمجاهرة بها ، وقد تجر عليه المجاهرة آثاما كثيرة بما يتسبب عن معصيته من شيوع الفاحشة وسوء القدوة ، ويستمر ذلك يكتب عليه من آثاره ما بقي متسبب عن آثاره الى يوم القيامة . فيا لفداحة الحمل يوم الفرع الأكبر وكما يحرم تحدث الشخص بمعصية نفسه لما فيه من المجاهرة كذلك يحرم عليه أن يتحدث بمعصية غيره ولو كان هو الذي

التستر بالنقائص

حدثه لما في ذلك من اذاعة الفاحشة ومن الغيبة •

تنبيه وتحذير :

المجاهر بفسقه الذي لا يستتر من أحد يجوز ذكره بفسقه الذي جاهر به اذا كان في ذكره به مصلحة أو دفع مفسدة ، ويجب أن يحذر من ذكره لغير ذلك فانه من الغيبة واذاعة الفاحشة •

اعتبار :

هذا في الأفراد ، ومثلها الأمم ، فالأمة التي تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتضرب على يد سفهائها وأهل الفساد منها وتهجرهم وتبذهم من مجتمعها تسلم من الشرور والبلايا ، وتقل أو تنعدم منها المفاسد والمنكرات ، والأمة التي تسكت عن سفهائها وأهل الشر من كبرائها وتدعهم يتجاهرون فيها بالفواحش والقبائح ، هي أمة هالكة متحملة جريرة المجاهرة بالمعاصي ، بالهلاك في الدين والعذاب في الآخرة •

تريية :

روى الحاكم في مستدركه ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : (اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها ، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله) • فليعمل المسلم على اجتناب المعاصي كلها • حتى اذا ألم بشيء منها فليجتهد في اخفائه وستره وليضرع الى الله تعالى في سجوده أن يتوب عليه من ذنبه وليتوسل اليه - تعالى - بايمانه به وحيائه وخوفه منه واحترامه لشرعه وعباده ، فهو - جل جلاله - يحب التوابين ويحب المتطهرين (١) •

(١) ش : ج ١١ ، م ١١ ، ص ٥٩١ - ٥٩٣
غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ - فيفري ١٩٣٦ م

الشرك والوثنية ودعوى النبوة

« عن ثوبان قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان ، وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » •

رواه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح •

كان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يعرف أصحابه بما يكون في أمته من بعده ، وهو تعريف للأمة بما يكون فيها ، يعرفهم بذلك ليحذروه ويجتنبوا أسبابه ويبادروا الى معالجته عند وقوعه • لا يستبعد مسلم صدور الشرك والوثنية ودعوى النبوة من غير المسلمين ، وانما يستبعد ويستكر أن يكون شيء من هذا ممن يقولون أنهم مسلمون • ولهذا قدم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — هذا التعريف والانذار • حتى اذا وقع شيء من هذا من هذه الأمة بودر الى انكاره وعلاجه ولم يتساهل معهم في شيء من ذلك لأنهم يقولون أنهم مسلمون •

الالحوق بالمشركين :

من اعتقد مثل عقيدتهم أو فعل مثل أفعالهم أو قال مثل أقوالهم فقد لحق بهم ، وقد يكون اللحوق تاماً مخرجاً عن أصل الاسلام ، وقد يكون دون ذلك • فأصل عقيدة الشرك عند عرب الجاهلية أنهم يعلمون أن الله هو خلقهم وهو يرزقهم وهو المالك لجميع مخلوقاته ، ولكنهم كانوا يجعلون توجههم وتقربهم وتضرعهم لآلهتهم على اعتقاد

الشرك والوثنية ودعوى النبوة

انها هي تقربهم الى الله . وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تتوجه لبعض الأموات وتتضرع لهم وتقف أمام قبورهم بخشوع وخشوع تامين وتتضرع وتناديهم على اعتقاد انهم يقربونها الى الله ويتوسطون لها اليه . ويزيدون انهم يتصرفون لها بقضاء الحوائج و جلب الرغائب ودفع المصائب . ومن أعمال المشركين في الجاهلية انهم يسوقون الأنعام لطواغيتهم فينحرونها عندها طالين رضاها ومعوتتها . وفي الناس اليوم طوائف كثيرة تسوق الأنعام الى الأضرحة والمقامات تنحرونها عندها إرضاء لها وطلباً لمعوتتها أو جزاء على تصرفها وما جلبت من نفع أو دفعت من ضر .

ومن أقوال المشركين في الجاهلية حلنهم بطواغيتهم تعظيماً لها ، وفي الناس اليوم طوائف كثيرة يحلفون بالله فيكذبون ويحلفون بمن يعظمونه من الاحياء أو الاموات فلا يكذبون . فهذه الطوائف الكثيرة كلها قد لحقت بالمشركين وصدق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله : (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من امتي بالمشركين) .

عبادة الأوثان :

كانت عبادة الأوثان في الجاهلية بالخشوع والتذلل لها ورجاء النفع وخوف الضر منها ، فيندرون لها الذور وينحرون لها النخائر يلطخونها بالدماء ويتمسحون لها . وفي الناس اليوم طوائف كثيرة لها أشجار ولها أحجار تسميها بأسماء وتذكرها بالتعظيم وتذبح عندها الذبائح وتوقد عليها الشموع وتحرق عندها البخور وتمسح بها وتتمرغ عليها . مثل فعل الجاهلية أو تزيد . فصدق عليهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (وحتى يعبدوا الأوثان) هذا كله واقع في الأمة لا شك فيه . وكما كان من نصح نبيها - صلى الله عليه وآله وسلم - ان انذرنا بوقوعه فيها قبل وقوعه - فان من نصح علمائها لها أن يعرفوها به اليوم بعد وقوعه ويصوروه لها على صورته

الشركية الوثنية التي ينفر منها المسلم بطبعه . ولو ان الأمة سمعت
صيحات الإنكار من كل ذي علم لاقلعت عن ضلالها ورجعت الى
رشدتها ، فما أسعد من نصحتها من أهل العلم وجاهد لا تقاذاها . وما
أشقى من غشها وزادها رسوخا في ضلالها وتماديا في هلاكها .
فَحَيِّمَهُلَاءَ عَلَى الْعَمَلِ أَيُّهَا الْمَصْلُحُونَ النَّاصِحُونَ الْمَخْلُصُونَ ، فإِنَّ عَهْدَ
الْفُشِّ وَالْخُدَيْعَةِ قَدْ آذَنَ بِذَهَابِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

دعوى النبوة :

قد ضلت وهلكت باتباع أشخاص ادعوا النبوة من هذه الأمة
طوائف كثيرة ، وقد كان منهم أول الاسلام مسيلمة الكذاب والأسود
الغنسي ، ثم كان المختار بن عبيد الثقفي ، ثم كان منهم في عصرنا
قبيله الباب ، واليه تنسب البابية ، والبهاء واليه تنسب البهائية ،
وغللام القادياني واليه تنسب القاديانية ، وقد كادت هذه القاديانية تدخل
الجزائر على يد طائفة الحلول وشيخها لولا ان قام في وجوههم العلماء
المصلحون وفضحوهم على صفحات (الشهاب) أيام كان اسبوعيا فرد
الله كيدهم ووقى الله الجزائر شرأ عظيما . وقد أخبر النبي - صلى الله
عليه وآله وسلم - عن هؤلاء الكذابين بانهم ثلاثون فلا بد أن يصلوا
الى هذا العدد وقد تكون بقيتهم في أحشاء الايام .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم كذابون وأنه لا نبي بعده ،
وقد صدق قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما من واحد منهم الا
وقد ظهر من كذبه ما عسر تأويله على أصحابه ، ومن غلظه وغلطه
ما يدل على انه لا مستند له من اليقين . فصلى الله على خاتم الأنبياء
وامام المرسلين (١) .

(١) ش : ج ١ - م ١١ ، ص ١١ - ١٣
محرم ١٣٥٤ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

كلمات الشرك

(النهي ان يقال ما شاء الله وشئت(١))

قال الامام ابن ماجة في سننه : « حدثنا هشام بن عمار ، ثنا سفيان بن عيينه ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة بن اليمان : ان رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال : نِعْمَ القومَ أتتم لولا انكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، وذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : أما والله ان كنت لأعرفها لكم ، قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد . حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ثنا ابو عوانه عن عبد الملك عن ربعي بن حراش ، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بنحوه » .

السند الاول :

هشام ثقة أخرج له البخاري والأربعة . وابن عيينه أحد أئمة الاسلام المشهورين . وابن عمير روى له الستة وابن حراش مثله . وحذيفة الصّحابي الشهير .

السند الثاني :

ابن أبي الشوارب ثقة روى عنه مسلم والترمذي والنسائي . وابو عوانه أحد الاعلام روى له الستة . وعبد الملك وربعي قدما . والطفيل صحابي .

(١) ما بين الهلائين هو ما ترجم به ابن ماجة على الباب .

رتبة الحديث :

الحديث صحيح بسنديه مرفوع بهما ، ولا يضر ابهام الرجل الرائي ، لأن حذيفة قال : انه من المسلمين ، والمسلمون يومئذ هم الصحابة ، وكلهم عدول . ولأن حذيفة نقل بلوغ الرؤيا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ونقل قوله عند سماعها .

مزيد بيسان :

ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب : « ان سفيان وشعبة وزائدة (يعني ابن قدامة ثقة روى له البخاري) وجماعة رووا عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن الطفيل حديثه هذا . وقال ابو عمر : وفي حديث زائدة عن الطفيل انه رأى في المنام أن قائلاً يقول له من اليهود : نِعْمَ القوم أنتم لولا قولكم ما شاء الله وما شاء محمد . ثم رأى ليلة أخرى رجلاً من النصارى فقال له مثل ذلك . فأخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقام خطيباً فقال : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد وقولوا ما شاء الله وحده) وزاد بعضهم فيه : ثم ماشاء محمد » . فأفادنا كلام ابن عبد البر تعدد الرواة عن عبد الملك ، وبينت لنا رواية زائدة بن قدامة ان الرائي هو الطفيل بن سخبرة ، وان الرؤيا تكررت ، وان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قام خطيباً في الناس لمزيد العناية والاهتمام بالأمر . وانه قال ما شاء الله وحده .

الجمع :

لا تعارض بين الروايات فيعمل بها كلها ، وقوله في رواية زائدة : (ما شاء الله وحده) لا ينافي . (ثم ما شاء محمد) فيكفي الاقتصار على ثم ما شاء محمد ، كما عند ابن ماجه . والأحسن أن يزيد قبله لفظة وحده ليأتي بجميع الوارد .

الإلفاظ :

تشركون : أي تقرنون بين مشيئة الخالق ومشية المخلوق بعبارة تفهم التسوية ، وهي العبارة المذكورة في الجملة التالية المبينة ، وهي قوله : « تقولون ما شاء الله وشاء محمد » وهذه العبارة قد تكون في نحو قولهم : أفل ذلك ما شاء الله وشاء محمد ، أو لا أفعله ما شاء الله وشاء محمد . وفي الاستثناء في اليمين نحو : الا ما شاء الله وشاء محمد . وفي باب اليمين أورد الحديث ابن ماجة . ان كنت لأعرفها لكم ، ان : نافية . واللام : في (لاعرفها) لام الجحود ، والفعل بعدها منصوب ، فنفي معرفته بهذه العبارة منهم على وجه يفيد أنها شيء ما كان ليخطر في باله لمنافاتها لإيمانهم وتوحيدهم وعدم مناسبتها لحالهم ، ثم : تفيد انحطاط مشيئة المخلوق عن مشيئة الخالق وتأخرها وتلك هي رتبتهما ، وقد شاء الله ما شاء وحده ، ثم كانت مشيئة المخلوق . فلفظة وحده اصرح في استقلال مشيئة الله .

المعنى :

كان بعض من الصحابة يقولون هذه العبارة دون أن يعلم بهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأراد الله أن يطلع عليها نبيه لينهاهم عنها ، وكان من حكمتها ان اطلعهم عليها بهذا الوجه ، أرى بعض الصحابة رؤياً فيها تعبير لهم بالشرك الذي هو أبغض الأشياء اليهم من بعض أهل الكتاب ، وهم الذين اتخذوا أحبارهم ورجالهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم ليكون ذلك أشد في الزجر وأعظم في التوبيخ ، فذكرت الرؤيا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وكانوا يقصون عليه رؤاهم فنفي عنه بصدور تلك العبارة منهم ، وأظهر إنكاره وتعجبه من صدور تلك العبارة الشركية التي ما كان ليظن صدورها منهم ، وفي هذا ما فيه من اللوم والتعنيف فقام

خطيبا فيهم فنهاهم عن العبارة الشركية الباطلة وبين عبارة التوحيد والحق الصحيحة وهي أن يقولوا (ما شاء الله وحده ثم ما شاء محمد) أو (ما شاء الله ثم ما شاء محمد) .

الأحكام :

أفاد الحديث النهي عن القرن بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق . ومشيئة المخلوق بالواو وجواز القرن بينهما بضم ، وأثبت للمخلوق مشيئة ، ولكنها مقيدة ومتأخرة بخلاف مشيئة الخالق فانها سابقة ومطلقة مستقلة ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله . وأفاد ان القرن بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق شرك وان من فعل ذلك يقال له قد أشركت ، لأنه لما قصت عليه الرؤيا وفيها قوله : لولا انكم تشركون ، أقر ذلك ولم ينكره ، وان كلمة الشرك لا يجوز ان تقال ولو كان قائلها لا يعتقد المساواة بين الخالق والمخلوق ، كما هو حال الصحابة الذين لا يشك في عملهم بذلك وان قائل كلمة الشرك هذه وان كان يقال له أشركت كما تقدم لا يخرج بذلك من الايمان حيث كان لا يعتقد التسوية ، فانه لم يحكم بردتهم بتلك الكلمة وانما نهاهم عن قولها .

تأييد :

روى ابن ماجة في هذا الباب بسند حسن عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (اذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت) وهذا الحديث في معنى الحديث الذي تكلمنا عليه .

تفصيل اول :

الشرك يكون بالاعتقاد ، وهذا مخرج عن الايمان ويكون بالقول مثل الكلمة المتقدمة ، وهذا لا يخرج صاحبه من الايمان وانما يحرم عليه النطق به .

تفصيل ثان :

من الصفات ما يثبت لله على ما يليق بجلاله ويثبت للمخلوق على ما يليق بحدوثه وافتقاره كالمشيئة كالعطاء عندما تكون للمخلوق أسباب فيها ، فهذا يسند اليهما ويحرم أن يسوى بينهما في العبارة ، ويجب الاتيان بعبارة صريحة في عدم التسوية ، فأما المشيئة فقد تقدمت واما العطاء فكأن تقول لمن أعطاك شيئاً هذا من فضل الله ثم من فضلك ، ومنها ما لا يجوز أن يجمع فيه بين الاسناد للمخلوق والخالق أبدا كالعطاء الذي لا دخل للمخلوق فيه لخروجه عن الاسباب الممكن هو منها ، فلا يجوز أن تقول في غيث نزل مثلاً هذا من الله ومن فلان ولا ثم من فلان ، لأنه لا دخل لأحد فيما وراء الاسباب .

تطبيق :

إذا نظرنا في حالة السواد الأعظم منا معشر المسلمين الجزائريين فإنا نجد هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية على ألسنتهم وهي (بربي والشيخ) وهم يعنون أن ما يفعلونه هو بالله ويتصرف الشيخ (بربي والصالحين) ، (بربي والناس الملاح) ، (إذا حب ربي والشيخ) (شوف ربي والشيخ) ، وهي كلها من كلمات الشرك كما ترى ، فأما قولهم : (بربي والشيخ) ونحوه فمما لا يجوز أن يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعاً لأن ما تفعله هو بالله وحده أي بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه ، وأما قوله : (إذا حب الله والشيخ) فمما لا يجوز الا بلفظة ثم . فيكون بمعنى إذا شاء الله ثم شاء الشيخ إذا كان هذا الشيخ حياً وكان الأمر مما يمكن أن تدخل مشيئته فيه ولقد شب على هذه الكلمات ونحوها الصغير وشاب عليها الكبير وانقطع عنها النهي والتغيير حتى صارت كأنها من الكلمات المشروعة ، وصار قلعها من الألسنة من أصعب الأمور واصبحت كلمة بالله وحده ونحوها

مهجورة لديهم منسية عندهم ثقيلة على أسماعهم ثقل من يدعوهم اليها ويلهج بها على قلوبهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

العلاج :

على من عرف هذا الحديث النبوي أن يعمل به في نفسه وأن ينشره بين الناس وأن يعالجهم به بتفهيمهم فيه وتحذيرهم من مغبة مخالفته والأصرار على معاندته ، ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم . فالى التوحيد أيها المسلمون والى الارشاد أيها العالمون والله مع الصابرين^(١) .



(١) ش : ج ٦ ، م ٨ ، ص ٣٠٦ - ٣١١
غرة صفر ١٣٥١ هـ - جوان ١٩٣٢ م

بناء المساجد على القبور

من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة

« عن عائشة رضي الله عنها ان أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : إن أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

رواه الشيخان رحمة الله عليهما

هذا الحديث أحد الأحاديث الكثيرة المستفيضة التي جاءت في التحذير من بناء المساجد على القبور ، والتنبيه على أن ذلك يؤدي الى عبادتها والتأكيد لذلك بذكر ما كان ممن قبلنا من ذلك وما أداهم اليه فأخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في هذا الحديث ان أصحاب تلك الكنيسة كانوا يبنون المساجد على قبور صلحاءهم ويصورون صورهم . وانما يفعلون ذلك تعظيما لهم واستثناسا بصورهم وليعبدوا الله تعالى عند قبورهم تبركا بهم . فكانوا بسبب فعلهم من بناء المساجد على القبور ونحتهم للصور شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، لأن تعريف المسند اليه بالاشارة - وهو أولئك - يفيد ان المشار اليه الموصوف بصفات - وهي بناء المساجد على القبور وتصوير الصور - حقيق وجدير بما يذكر بعد اسم الاشارة - وهو قوله شرار الخلق - من أجل اتصافه بتلك الصفات . وذلك لأن القبر المعظم ببناء المسجد عليه والصورة المعظمة لتمثيلها ذلك الصالح يصيران مما يعبد ويعتقد

فيه النفع والشر والعطاء والمنع ، فيدعو ويسأل ويطلب منه الحوائج وتخضع عنده القلوب وتذمر له التذمر ، وهذه من العبادة التي لا تكون الا لله ، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : ان ودأ وسواعا ويفوث ويعوق ونسراً التي كانت أصناما لقوم نوح وعبدتها العرب من بعدهم ، كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم . ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك - الذين نصبوها ، وتنسخ ، وتغير العام - عبت . فعمل من هذا أن ما يكون موضوعا في أصله بقصد حسن يمنع وينهى عنه اذا كان يؤدي بعد ذلك الى مفسدة .

الأحكام :

هذا الحديث نص صريح في المنع من بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم وفيه الوعيد الشديد على ذلك . ونظيره حديث جندب - رضي الله عنه - عند مسلم - رضي الله عنه - سمع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول - قبل أن يموت عليه السلام بخمسة أيام - : (الا وان من كان قبلكم يتخذون قبور انبيائهم وصالحهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد اني انهم عن ذلك) .

تطبيق :

هذه هي حالتنا اليوم معشر مسلمي الجزائر واحسب غيرنا مثلنا . نجد أكثر أو كثيرا من مساجدنا مبنية على القبور المنسوب أصحابها الى الصلاح ، ومنهم من كانوا معروفين بذلك ومنهم المجهولون ، فان قيل انما بنيت المساجد على تلك القبور للتبرك بأصحابها لا لعبادتهم قلنا ان النهي جاء عاما لبناء المسجد على القبر بقطع النظر على قصد

بناء المساجد على القبور

صاحبه به ، ولو كانت صورة البناء للتبرك مرادة بالنهي لاستشائها الشرع فلما لم يستثنيها علمنا ان النهي على العموم ، وذلك لانها وان لم تؤد الى عبادة المخلوق في الحال فانها في مظنة أن تؤدي الى ذلك في المآل . وذرائع الفساد تسد لا سيما ذريعة الشرك ودعاء غير الله التي تهدم صروح التوحيد . وانظر الى ما جاء في حديث ابن عباس في أصنام قوم نوح وكيف كان أصل وضعها وكيف كان مآلها ، وتعال الى الواقع المشاهد تتحاكم اليه فاننا نشاهد جماهير العوام يتوجهون لأصحاب القبور ويسألونهم وينذرون لهم ويتمسحون بتوابيتهم ، وقد يطوفون بها ويحصل لهم من الخشوع والابتهاال والتضرع ما لا يشاهد منهم اذا كانوا في بيوت الله التي لا مقابر فيها ، فهذا هو الذي حذر منه الشرع قد أدت اليه كله وهبها لم تؤد الى شيء منه أصلا فكفانا عموم النهي وصراحته والعامل من نظر بانصاف ولم يغتر بكل قول قيل .

إيمان وامثال :

علينا أن نصدق بهذا الحديث بقلوبنا فنعلم ان بناء المساجد على القبور من عمل شرار الخلق كما وصفهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وان تنطق بذلك ألسنتنا كما نطق به هذا الحديث الشريف وان نبني عليه أعمالنا فلا نبني مسجداً على قبور ولا نعين عليه ، وان نكره كما نكر سائر المنكرات حسب جهدنا ، ومن أعظم الإنكار تبليغ هذا الحديث بنصه وتذكير الناس به والعمل على نشره حتى يصير معروفا عند عامة الناس وخاصتهم ، اذ لا دواء للبدع الشيطانية الا نشر السنة النبوية ، ولا نستعظم انتشار هذه البدعة وكثرة ناصرها فانها ما انتشرت وكثر أهلها الا بالسكوت عن مثل هذا الحديث والجهل به . ولنكن في ارشادنا مقتصرين على ايراد لفظ الحديث وشرحه -

على انه واضح مفهوم نفسه - دون أن نمس شيئاً من شؤون أولئك
المقبورين فانهم اخواننا سبقونا بالايمان فلهم علينا حق الدعاء والاستغفار .
فاذا عملنا كلنا على هذا من حسن قصد ومحبة في الخير للمسلمين
رجونا ان يؤيدنا الله تعالى ويجعل النفع بايدينا . ولينصرن الله من
ينصره ان الله لقوي عزيز (١) .



(١) ش : ج ٥ ، م ٧ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧
محرم ١٣٥٠ هـ - ماي ١٩٣١ م .

النهي عن البناء على القبور

« نهى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » .

مسلم من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه

هذا حديث صحيح صريح في النهي عن البناء على القبر ومعضداته من السنة كثيرة . وهو من الظهور والصرحة بحيث لا يحتاج الى تفسير ، وانما نسأل كل مؤمن بقوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا » وقوله : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » وقوله : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِثْمَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » نسأل كل مؤمن بهذه الآيات أن يعمل بنهي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن البناء على القبر فلا يبن على قبر ولا يعن بانبا ، ويعلن هذا الحديث في الناس ويذكرهم به ولا يفتأ يقرع به أسماع الغافلين ويفتح به أعين الجاهلين « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » (١)

(١) ش : ج ٢ ، م ٩٦ ، ص ٧١

غرة شوال ١٣٥١ هـ - فيفري ١٩٣٣ م .

لعن من اتخذ المساجد على القبور

« لعن الله اليهود والنصارى • اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » • البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم •

لما أخبر عليه وآله الصلاة والسلام أن الله لعن اليهود والنصارى بين علة وسبب لعنهم ، وهي اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد • وذلك بأن بنوا عليها المساجد أي أماكن العبادة كما هو صريح في حديث آخر هكذا « بنوا على قبره مسجداً » ، وسنذكره في الجزء الآتي إن شاء الله • فالتخذ للمساجد على القبور ملعون بنص هذا الحديث الصحيح الصريح •

فيا أيها المؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - المصدقون لحديثه إياكم والبناء على القبور ، إياكم واتخاذ المساجد عليها إن كنتم مؤمنين • وعليكم تبليغ هذا الحديث والتذكير به والتكرير لذكره يكن لكم أجر المجاهدين في سبيل رب العالمين وثواب العاملين لآحياء سنة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اجمعين (١) •

(١) ش : ج ٣ ، م ٩ ، ص ١٢٥

• غرة ذي القعدة ١٣٥١ هـ - مارس ١٩٣٣ م •

بناء المساجد على القبور

من شرار الخلق عند الله يوم القيامة

« ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إن أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة » . البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها (١) .

كانوا شرار الخلق بسبب بنائهم المساجد على قبور صالحهم واتخاذ الصور لهم وكلاهما ذريعة الشرك والوثنية ، وان كان النصارى يقصدون التبرك بآثار الصالحين . ولا يقال ان هذا فيمن جمع بين البناء والتصوير لأنه قد جاء لعنهم على البناء وحده كما في الحديث المتقدم في جزء مضى ولا يقال ان هذا لانهم نصارى لأن المقصود النهي عن مثل فعلهم هذا والتحذير منه ببيان العقاب المترتب عليه حتى لا يفعل المسلمون هذا الفعل فيترتب عليه عقابه .

فحذار أيها المسلم من فعل أهل الضلال ومشاكله الاشرار ولا تغتر بكثرة الهالكين (٢) .

(١) كرر شرح هذا الحديث في ج ٥ ، م ٧ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ وانظر ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

(٢) ش : ج ٦ ، م ٩ ، ص ٢٣٠ .
غرة محرم ١٣٥٢ هـ - ماي ١٩٣٣ م .

تأكيد النهي عن اتخاذ القبور مساجد

« عن جنذب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل أن يموت بخمس يقول : اني ابرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان كان من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، أني أنهاكم عن ذلك »
رواه مسلم

هذا الحديث كالأحاديث الماضية صريح في النهي عن اتخاذ القبور مساجد . وذلك ببناء المساجد عليها كما تقدم في حديث أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهما - في الجزء الماضي ، وبالصلاة اليها كما فيما سنقله في الجزء الآتي ، وفي هذا الحديث تأكيد النهي بكلمة (ألا) مرتين ، وبتكرير النهي المستفاد أولا من (لا) وثانيا من الجملة الأخيرة المصرح فيها بمادة النهي مع التأكيد بأن ، وبعد هذا التأكيد في هذه الصراحة لا يبقى من يشك او يشكك في معناه الا من اعمى الله بصيرته واستولى الغرض والهوى على لبه واران كسبه على قلبه عياذا بالله . هذا واننا بعد ان نفرغ من نقل متون هذه الاحاديث الصحيحة الصريحة نأتي بكلام الائمة من شراحها عليها ثم بكلام الائمة من فقهاءنا المالكية رحم الله الجميع ونفعنا بمحبتهم وحشرنا في زمريهم لا مبدلين ولا مغيرين آمين^(١) .

(١) ش : ج ٧ ، م ٩ ، ص ٢٦٧

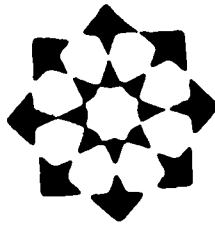
غرة صفر ١٣٥٢ هـ - جوان ١٩٣٣ م .

من اتخاذ القبور مساجد الصلاة اليها

« عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — قال في مرضه الذي مات فيه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : ولو ذلك لأبرز قبره غير اني اخشى ان يتخذ مسجدا . »

رواه الشيخان واللفظ للبخاري .

أفادت عائشة — رضي الله عنها — انهم لم يبرزوا قبره — صلى الله عليه وآله وسلم — للناس خوفا من ان يتخذ مسجدا بالصلاة اليه فاتخاذ القبور مساجد الذي تكرر النهي عليه ولعن مرتكبه يكون بالبناء عليها كما في الاحاديث الماضية وبالصلاة اليها كما في هذا الحديث (١) .



(١) كرر شرح هذا الحديث في ج ٣ ، م ٩ ، ص ١٢٥ وانظر ص ٢٥١ من هذا الجزء .

(٢) ش : ج ٨ ، م ٩ ، ص ٣٠٨ .
غرة ربيع الاول ١٣٥٢ هـ — جولية ١٩٣٣ م .

حديث تزكية الأموات

لا يجزم لاحد انه من اهل الجنة إلا بنص من الشارع

« قال ابن شهاب : أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء — امرأة من الأنصار بايعت النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في أبياتنا فرجع وجعه الذي توفي فيه ، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله . فقال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : وما يدريك ان الله اكرمه ؟ فقلت : بأبي أنت يا رسول الله ؟ فمن يكرمه الله ؟ فقال عليه السلام : اما هو فقد جاءه اليقين ، والله اني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي . فقالت : فوالله لا أزكي احداً بعده أبداً » رواه البخاري في صحيحه من طرق في عدة أبواب .

المتن :

ثبت عند البخاري ايضا « ما ادري ما يفعل بي ولا بكم » وثبت عنده ايضا « ما ادري ما يفعل به » .

ترجمة شخصي الحديث :

شخصا الحديث هما اللذان كانا سببا في وروده ، وهما أم العلاء المزكية وعثمان المزكي ، فاما ام العلاء فهي بنت الحارث بن ثابت الأنصارية الخزرجية ، وهي أم خارجة بن زيد الراوي عنها . وأما عثمان بن مظعون فهو ابو السائب بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي

من السابقين ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، هاجر الهجرتين وشهد بدرا ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة ، وأول من دفن بالبقيع منهم .

الشرح :

لما جاء المهاجرون الى المدينة ولا أهل لهم ولا مال نزلوا على الأنصار من الأوس والخزرج ، فاقسمهم الأنصار بالقرعة فطار في قسمة بيت زيد بن ثابت ، عثمان بن مظعون ، فأنزله في أبياتهم فمرض مرضه الذي توفي فيه ، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فقامت أم العلاء في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم — تشي على عثمان فدعت له بالرحمة وشهدت له جازمة بأن الله أكرمه ، أي بالجنة ، لأنها هي دار كرامة الله لعباده . فأنكر عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم — وقال لها : وما يدريك ان الله أكرمه ؟ أي من أين علمت ذلك ، فقدته بأبيها تأدبا معه — صلى الله عليه وآله وسلم — في الخطاب ، وقالت : فمن يكرمه الله ، أي اذا لم يكن عثمان مع سابقيته وهجرته وبدريته فمن يكرم ، فبين لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم — ما يجوز أن يقطع به وما لا يجوز أن يتعدى حد الظن ، فقال لها : اما هو فقد اتاه اليقين ، يعني الموت ، وهذا مقطوع به ، واني لارجو له الخير ، وهذا هو الذي لا يجاوز حد الظن ، ثم بين لها أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، وان البشر لا يعلمون الغيب حتى الانبياء — عليهم السلام — فانهم لا يعلمون الا ما علمهم ، فقال لها : « والله لا ادري وانا رسول الله ما يفعل بي » فاهتدت الى ما هداها اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم — وقالت : والله لا أزكي أحدا بعده أبدا ، تعني مثل هذه التزكية التي قطعت له فيها بالكرامة .

توضيح :

ما في لفظ الحديث موافق لما في سورة الأحقاف المكية من قوله تعالى « وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ » . قال البيضاوي : أي في الدارين على التفضيل اذ لا علم بالغيب . يعني الإلاء بما علمه الله وقد اعلمه الله بأنه مغفور له ما تقدم وما تأخر في سورة الفتح المدنية ، وأعلمه بما أخبره به في الصحيح من منازل الكريمة يوم القيامة ومقامه المحمود وغيره من انواع الخصوصية والكرامة .

الأحكام :

في الحديث اقتسام أهل القدرة أهل العجز عند الضرورة والشدة ، وفيه الدخول على الميت بعد تسجيته في أكفانه ، وفيه الدعاء للميت بالرحمة ، وفيه المنع من القطع لأحد بالجنة دون نص شرعي ، وفيه المبادرة بانكار القول الباطل في الدين فور سماعه ، وفيه مراجعة المعلم بابداء وجه النظر الذي وقع الخطأ فيه ، وفيه جواز ظن ورجاء الخير لاهله .

تفرقة :

ذكر الميت بما علم من حاله في حياته ثناء عليه جائز والقطع له بالنجاة ممنوع ، فاما هذا الثاني فدليل منعه من الحديث المذكور ، وأما الأول فدليل جوازه مارواه مسلم في صحيحه عن ابي عباس قال : وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويشنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وانا فيهم قال : فلم يرعني الا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت اليه فاذا هو علي . فترحم على عمر وقال : ما خلفت احدا أحب اليّ أن التقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ، ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبك وذلك اني كنت أكثر ، اسمع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : جئت أنا وأبو

بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو ولأظن أن يجعلك الله معهما . وهذا في ذلك الجمع دليل على اجماعهم على جوازه وهو لم يخرج عن ذكره بما علمه منه في حياته وظن الخير له بذلك بعد مماته .

تعذير وارشاد :

لقد ابتلى كثير من الناس بالعلو فيمن يعتقدون فيهم الصلاح فيجزمون لهم بما لا يعلمه الا الله ، ثم زادوا على هذا فيزعمون ان فلانا مات في رتبة كذا وحصل عند الله على منزلته كذا ، ثم زادوا على هذا فيزعمون ان فلانا يشفع لاتباعه ويعدبهم على الصراط أو يجعله في بطنه وير بهم وأنه يحضر لهم عند الموت ويحضر لهم عند السؤال ويكون معهم في مواقف يوم القيامة ، وكل هذه الدعاوى انبت على الجزم بانه ممن أكرمه الله وأنه من أهل الجنة ، ذلك الجزم الذي سمعت النهي والانكار صريحين فيه من النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — على أم العلاء في رجل من السابقين الأولين البدرين ، وليست هذه الدعاوى المبنية على المخالفة لهذا النهي النبوي الصريح قاصرة على العوام بل تجدها عند غيرهم وتسمعا ممن يرفعون أنفسهم عن طبقتهم وتقرأها في الكتب التي عدلت عن الأحاديث النبوية الصحيحة والطريقة النبوية الواضحة وذهبت في بنيات الطريق فكانت بلاء على العامة واشباههم ووبالا . فاحذر أيها الأخ المسلم من عقيدة الجزم بالكرامة والجنة لغير من نص عليه المعصوم عليه واله الصلاة والسلام ، ومن تلك الدعاوى الباطلة التي انبت عليها . ولا تجزم بالكرامة على الله لاحد غير المنصوص عليه وان كان عظيما فان قول رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — احق واعظم وأنف من لا يقول هذا ولا يقبله مرغم . وكل من استعظمته ممن هو على جانب من الصلاح والخير فانه لا يداني

مقام عثمان بن مظعون البدرى فى الصلاح والخير وقد سمعت ما سمعت من النهى النبوى عن القطع له بالكراهة ، ومهما اعدنا القول فى هذا فاننا لا نفيه حقه من الانكار والاستئصال لما نعلمه من رسوخ هذه الضلالة وقدمها والتهاون فيها وعظيم التجري على الله بها ، وهذا الحديث النبوى هو دواؤها والقاطع لها فليتأمله قراؤنا ولينشروه فى المسلمين وليذيعوه بالتلاوة والتفسير والتأكيد والتقرير عسى ان يشفى الله به القلوب من داء الغلو والادعاء والغرور والتخريف وليظن المسلم الخير باهل الخير وليرج لهم حسن الجزاء والمصير كما رجا النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - الخير لعثمان بن مظعون - رضى الله تعالى عنه - بعد ما نهى عن الجزم بالكرامة له وهذا هو دين الله الحق الوسط السالم من الغلو والتقصير والله نسأل لنا ولجميع المسلمين ان يقف بنا عند حدود الشرع الشريف ، ويحفظنا من الغلو والتقصير والتخريف انه هو الولى الحفيظ اللطيف (١) .



(١) ش : ج ١ ، م ٨ ، ص ٥٩٢ - ٥٩٤
غرة رجب ١٣٥١ هـ - نوفمبر ١٩٣٢ م .

تفاوت الصدقات

بنسبتها لأموال المتصدقين

« عن أبي هريرة — رضي الله تعالى عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : سبق درهم مائة الف درهم . فقال رجل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة الف درهم تصدق بها ، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به » .

رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه، واللفظ له ، والحاكم قال : صحيح على شرط مسلم ، المنذري .

الألفاظ :

السبق الوصول للغاية قبل غيره ، وأصله في الأبدان ، ويكون للعقول في الوصول للفهم وللأعمال في الوصول للاجر والفضيلة ، ومنه هذا . العرض — بضم العين — هو الجانب ، كعرض الحائط أي جانبه .

المعنى :

يقول — صلى الله عليه وآله وسلم — إن درهما واحداً تصدق به صاحبه نال به من الأجر والفضل أعظم مما نال صاحب مائة الف درهم تصدق بها . فبلغ درهماه الى غاية من الأجر والفضل ولم يبلغ اليها الآخر . ولما خفي وجه هذا على السائل لأن المعروف أن ثواب الكثير أكثر يثن له — صلى الله عليه وآله وسلم — ان هذا حيث يكون الدرهم

بالنسبة لمال صاحبه كثيرا ، فان درهم ذى درهمين هو شطر ماله ، وتكون المائة الف بالنسبة لمال صاحبها قليلة ، فانها لم تكن إلا من جانبه ، وسلم أصله ومعظمه .

توجيه :

الأجر على قدر المشقة ، والثواب على قدر النصب ، وما يجده ذو الدرهمين من انفاق أحدهما ، وهما كل ما يملك من المشقة والنصب، أعظم مما يجده ذو المائة ألف ، وهي بعض ماله الكثير ، وذو الدرهمين كان عنده من الايمان واليقين ما أنفق به شطر ماله فهو أعظم ايمانا ممن انفق جزءا من مائة منه . وما عند ذى الدرهمين من خلق الايثار والتضحية والبذل في سبيل الله أعظم بكثير مما عند ذى المائة الف . فهو أعظم منه أجرا وفضلا ، فقد كان أعظم منه مشقة .

فقد كان اعظم منه مشقة وأقوى منه ايمانا ، وابلغ منه تضحية وبذل جهد في سبيل الله وايثارا . لا جرم كان اعظم منه فضلا واجرا .

تبصرة :

يقعد الشيطان للقليل المال في طريق الانفاق فيزهده فيه . ومن مداخلة عليه انه يحقر له ما ينفقه من قليل بانه لا غناء فيه فيقبض يده عن الصدقة بذلك القليل الذي يستطيعه فيفوته اجر كبير . فبصرنا نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - بالحقيقة ، وبين لنا أن ذلك القليل بالنسبة لمال صاحبه هو كثير حتى انه يسبق كثير غيره من اهل المال العظيم ليشارك فقيرنا غنينا بقليله فيكون من السابقين الى الأجر الكثير .

تربية :

الأخلاق الفاضلة التي هي موجودة في فطرة الانسان بأصولها ،

وتنمو بحسن التربية وتنطمس بالاهمال - قد حفظهما الله تعالى علينا بما وفقنا اليه من الاسلام ، وما علمنا من آداب وما شرعه لنا من اعمال .
ومما ينمي تلك الاخلاق ويقويها المداومة على الاعمال التي تنشأ عنها .
ومن اعظم تلك الاخلاق وادخلها في باب النهوض بجلائل الاعمال
وحفظ سعادة الاجتماع خلق البذل ، فجاء هذا الحديث الشريف وغيره
يبين لنا عظيم أجر صدقة المقل ليحثه على مشاركة الغني في العطاء بما
استطاع فيكون البذل من الجميع عاما ، والسخاء بينهم مشتركا ،
وآثاره عليهم ظاهرة فينمو خلقه بذلك في الامة كلها وترسخ اصوله
في نفوسها فتصبح وهي امة سخية بما عندها في سبيل ما ينفعها
متعاونة بالبذل في مهماتها مشتركة بجميع طبقاتها في كل مشروع
خيرى من مشاريعها ، واذا تربت الامة على هذه الصفة وتدرجت الى
الكمال فيها فذلك عنوان نجحها وفوزها وبلوغها غاية آمالها ،
وسعادتها في الدارين وفقنا الله لبذل كل عزيز وغال في سبيله والمسلمين
اجمعين (١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ٧ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١
غرة ذي الحجة ١٣٤٩ هـ - افريل ١٩٣١ م .

اتباع رمضان بستة من شوال

« عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » • رواه مسلم وأصحاب السنن وغيرهم ، وجاء بمعناه عن ثوبان وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر •

المفردات :

تقول العرب : اتبع الفرس لجامها ، أي ألحقه بها في العطاء • يضرب مثلاً في الأمر باستكمال المعروف واستتمامه ، ويصدق هذا ولو كان بين العطاء الاول ، والعطاء الثاني مهلة ، وكذلك جاء قوله تعالى : « وَأَتَّبَعْنَا بِعَضْوِهِمْ ° بَعْضًا » أي ألحقنا بعض القرون ببعض في الهلاك الناشيء عن تكذيبهم مع أن بين كل قرن وقرن مدة طويلة ، فالاتباع هو اللاحق لشيء بشيء في أمر سواء ، أكان عن اتصال أو عن انفصال • الدهر : أصل معناه مدة الدنيا ، ويطلق على أمد من الزمان قل ، أو كثر ، والمراد به هنا السنة ، كما جاء مصرحاً به في بعض روايات الحديث •

التركيب :

أفادت ثم ان الاتباع متأخر عن الصوم ، وان كان قد جاء من طريق غير أبي أيوب العطف بالواو • والضمير في (كان) عائداً على عمل المفهوم من الكلام السابق ، أي كان عمله ، وهو صومه شهراً وستة أيام •

اتباع رمضان بستة من شوال

المعنى :

من صام رمضان وصام بعده ستة أيام من شوال كان ذلك من عمله كصيام الدهر ، لأن الله تعالى جعل الحسنه بعشر أمثالها ، فشهر رمضان بعشر أشهر ، وستة أيام بعده بشهرين ، فذلك تمام السنة . وجاء هذا التفسير عند النسائي من طريق ثوبان مرفوعا .

توجيه كلام مالك :

تطبيق :

قد علمت ان الاتباع يصدق باللاحق متصلًا أو منفصلاً ، والفصل هنا واجب بيوم الفطر للعلم بحرمة صومه ، فمن فصل به فقط فهو متبع ، ومن فصل بأكثر منه فهو متبع ، ومقتضى الاطلاق في لفظة (ستا) انه لا فرق في حصول الفضل بين أن تكون متوالية أو متفرقة ، وما تقدم في فصل المعنى من حديث ثوبان يؤيد هذا الاطلاق ، لأن المقصود تحصيل ستة أيام لتكون بمقتضى جزاء الحسنه بعشر ستين يوماً ، وهذا حاصل عند تفرقها وعند اجتماعها .

الأحكام :

ذهب الشافعية والحنابلة وغيرهم - وهو المصحح عند الخنفيه - الى استحباب صوم هذه الأيام محتجين بهذا الحديث الصحيح الصريح . وأما المالكية فقد قال يحيى بن يحيى راوي الموطأ : سمعت مالكا يقول في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء يصومها ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وان يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجناء لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك .

والذي يظهر من عبارات مالك ان المكروه هو صوم ستة ايام متوالية بيوم الفطر ، كما يفهم من قوله : (في صيام ستة ايام بعد الفطر) ومن قوله (وان يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء) وانما يخشى هذا اللاحق اذا كانت متوالية ومتصلة بيوم الفطر . فالكراهة اذا عنده منسبة على صومها بهذه الصفة من التوالي والاتصال لا على أصل صومها . وهذا هو التحقيق في مذهبه .

فقه مالك واحتياطه :

أنبي فقه مالك واحتياطه على أصلين :

الأصل الأول : ان العبادة المقدرة لا يزداد عليها ولا ينقص منها ، وهو أصل عام في جميع العبادات ، وفي خصوص الصيام قد ثبت نهيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين ، وظاهر أن وجه هذا النهي هو خوف أن يعد ذلك من رمضان ، فحمى الشارع بهذا النهي العبادة من الزيادة في أولها . فبنى مالك - بسعة علمه وبعد نظره - على ذلك حمايتها من الزيادة في آخرها فكره صوم تلك الايام متوالية متصلة بيوم الفطر مخافة - كما قال - : (أن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء) فكان احتياطه في الأخير مطابقا لاحتياط النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الأول ، وذلك كله لأجل المحافظة على بقاء العبادة المقدرة على حالها غير مختلطة بغيرها . وقد جاء نظير هذا الاحتياط في الصلاة ، فقد روى ابو داود في سننه : ان رجلا دخل الى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فصلى الفرض وقام ليصلي ركعتين فقال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : اجلس حتى تفصل بين فرضك وتفلك ، فهذا هلك من كان قبلنا . فقال له عليه وآله الصلاة والسلام : (اصاب الله بك يا ابن الخطاب) . يعني أن الذين كانوا قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض فأدى ذلك الى اعتقاد جهالهم وجوب الجميع

فأدى ذلك الى تغيير شرع الله وهو سبب الهلاك . لا يقال ان مقدار العبادة معلوم من الدين بالضرورة فكيف يظن انه قد يعتقد الجميع من الاصل والزيادة عبادة واحدة ، لاتنا نقول اذا دام وصل النافلة بالفريضة وطال العهد وخلفت الخلوف أدى ذلك أهل الجهالة الى ذلك الاعتقاد ، والاحتياط للعبادة يقتضي قطع ذلك الاعتقاد من أصله بالنهي عما يؤدي اليه وهو من سد الذرائع الذي هو أحد أصول مالك في مذهبه . ومع هذا فقد نقل الامام القرافي ، عن الامام عبد العظيم المنذري ان الذي خشي منه مالك رحمه الله تعالى قد وقع بالعجم فصاروا يتركون المسحرين على عاداتهم والقوانين^(١) وشعائر رمضان الى آخر الستة الايام فحينئذ يظهرون شعائر العيد .

فله مالك ما أوسع علمه ، وما أدق نظره ، وما أكثر اتباعه فرحمة الله تعالى عليه وعلى أئمة الهدى اجمعين .

الأصل الثاني : ان ماورد من العبادة مقيداً بقيد يلتزم قيده ، وما ورد منها مطلقاً يلتزم اطلاقه ، فالآتي بالعبادة المقيدة دون قيدها مخالف لأمر الشرع ووضعه . والآتي بالعبادة المطلقة ملتزماً فيه ماجعله بالتزامه كالقيد مخالف كذلك لأمر الشرع ووضعه ، وهو أصل في جميع العبادات . ومثال ما ورد من العبادة مقيداً ، التسييح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين مرة والختم بلا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . فقيدت هذه العبادة المحددة بايقاعها دبر كل صلاة ، فالإتيان بها في غير دبر الصلوات مخالفة للوضع الشرعي ومثال ما ورد مطلقاً^(٢) لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة^(٣) وسبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة فيلتزمها في وقت

(١) كذا بالاصل ولعله القوالين .

(٢) و (٣) رواهما مالك في الموطأ .

معين من النهار فيخرج عن مقتضى الاطلاق في لفظ يوم من نص الحديث فيكون مخالفا للوضع الشرعي .

ولفظ الحديث الوارد في هذه الأيام جاء مطلقا في الاتباع ، صادقا بالاتصال والانفصال ، وفي لفظ ستة صادقا بتواليها وتفرقتها فالتزام اتصالها وتواليها تقييد لما اطلقه الشرع وتزيد عليه .

اقتداء وتحذير :

هذان الأصلان اللذان قررنا بهما فقه مالك هما اصلاح مجمع عليهما كثيرة في الشريعة المطهرة أدلتها والفروع التي تبني عليهما فلنا في مالك وغيره من أئمة الهدى القدوة الحسنة في التمسك بهما . فاحتاط لعبادتنا حتى لا نخلط بين فرضها ونفلها . وتقبل ما جاء من العبادات مقيدا أو محددا بقيده وحده ، وتقبل ما جاء منها مطلقا على اطلاقه فلا نلتزم فيه ما يخرج عن الاطلاق . ونحذر كل الحذر من الاخلاق بقيود الشارع أو التقييد لمطلقاته ، ففي ذلك استظهار عليه وقلة أدب معه وتبديل لوضعه واختيار عليه وانما الخير لله ولرسوله لا لاحد من الناس وان الغالب على الناس انهم لا يعتمدون الاخلال بالقيود وانما يعتمدون التقييد للمطلقات بأنواع الالتزامات مع انهما في المخالفة سواء فلنحذر من الوقوع في مثل هذا على الخصوص .

امثال :

نصوم هذه الستة كما رغبنا نبينا ، طمعا في فضل ربنا ، غير ملتزمين وصلها ولا موالاتها . والله يلهنا والمسلمين اجمعين أنواع المبرات واقامتها بنه وكرمه آمين^(١) .

(١) ش : ج ٣ ، ص ٧٦ ، ص ١٥٠ - ١٥٤
غرة ذي القعدة ١٣٤٩ هـ - مارس ١٩٣١

على رسلكما

عن صفية أم المؤمنين : « انها جاءت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب ، فقام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقلبها ، حتى اذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مرّ رجلان من الانصار فسلما على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال لهما النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : على رسلكما إنما هي صفية بنت حبي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما . فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم ، واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا » .

رواه البخاري ومسلم وغيرهما

الألفاظ :

تنقلب : ترجع الى بيتها ، يقلبها : يردّها ويمشي معها ، وما يزال هذا الفعل قلب بمعنى رد مستعملا في اللغة الدارجة بالقاف المعقودة ، على رسلكما : على هينتكما ، أي مشيتكما الهينة التي لا عجلة فيها ، أي لا تسرعا . كبر عليهما : عظم وشق يبلغ مبلغ الدم يصل حيث يصل . أن يقذف : أن يرمي .

الأشخاص :

صفية بنت حبي بن أخطب تزوجها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سنة سبع من الهجرة سيبت في فتح خيبر فأعتقها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتزوجها ، توفيت في شهر رمضان سنة (٥٠هـ) .

المعنى :

كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يواظب على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان فجاءته زوجته صفية ليلة تؤنسه وتحادثه فلما أرادت الانصراف الى بيتها قام معها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يؤنسها الى بيتها كما جاءت هي اليه ، وبلغ معها باب المسجد فمر بهما رجلان من الأنصار فأسرعا في مشيهما واستحيا لما رأيا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فخشي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عليهما من وسوسة الشيطان المسلط على الانسان بأن يلقي في قلوبهما شيئا من وجود امرأة مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والشيطان يقنع بالخطرة يلقيها في قلب المؤمن يؤلمه بها ولو كان صدق ايمانه يرد عنه كيد الشيطان، ويدفعه ويقنع باذابة المؤمن ولو بخطر السوء تمر بالقلوب تمسه في دينه أو عرضه ، فأراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يسد في وجه الشيطان باب الكيد لذئب الرجلين الصَّحَّابيين - رضي الله عنهما - ويقطع عليه طريق اذائتهما وأذائته معهما ، فقال لهما تمهلا ولا تسرعا في مشيكما وأعلمهما بانها زوجته صفية . وكان الصحابيان الجليلان لم يقع في قلوبهما شيء ولم يخطر أدنى خاطر منه في بالهما ، فاستعظما وكبر عليهما واشتد عليهما أن يظن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهما خطور مثل هذا ببالهما ، حتى يحتاج الى تعريفهما ، وهما كانا يريان أنفسهما بصدق ايمانها أبعد ما يكون عن هذا . فبين لهما النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الداعي الذي دعاه الى تعريفهما بالواقع ، وهو الخوف عليهما مما قد يكون بالغاء الشيطان دون قصد منهما ، لا شيء هو واقع منهما وبين لهما ما يعرفهما بإمكان ذلك وسهولته بما فعل للشيطان من التمكن من القاء الوسواس للانسان وبلوغه منه في الاحاطة والتمكن مبلغ الدم .

الأسوة

ولكم في رسول الله أسوة حسنة

حماية الأعراض من التهم :

كما على المسلم أن يقي عرضه من طعنات الألسن بالسوء عليه أن يقيه من هواجس النفوس به فإن الهواجس مبادي الظنون والظنون مطايا الاقوال والاقوال سهام نافذة وقلما يثبت غرض على كثرة الرمي ومن خسر عرضه خسر قيمته وخسر كل شيء فلخطر هذه النهاية لزم الاحتفاظ على العرض من تلك البداية .

فلا ينبغي للمسلم أن يرى حيث تقع في أمره شبهة وتتوجه عليه تهمة ولو كان عند نفسه بريئا وعمما يرمي به بعيدا ، فليس الانسان يعيش في هذه الدنيا لنفسه بل يعيش لنفسه ولاخوانه ، واذا تعرض للتهم خسر نفسه وخسر اخوانه ، وادخل على نفسه البلاء منهم وادخل البلاء عليهم به . فكانت مصيبته على الجميع وضرره عائدا على الاسلام وجماعة المسلمين خصوصا اذا كان المؤمن يقتدى به ويرجع اليه فان زوال الثقة به خسارة كبرى وهدم لأركان الدين وتعطيل لانتفاع الناس بالعلم وانتفاعه هو بعلمه .

واذ وقف الانسان موقفا مشروعا وخاف ان تتطرق اليه في خواطر الناس شبهة كان عليه ان يبادر للتصريح بحقيقة حاله والتعريف بمشروعية موقفه .

وليس لأحد ، بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يفتر بمنزلته عند الناس فلا يبالي بما قد يخطر لهم . بل ذو المنزلة

أحق بالتبيين والتصريح لعظيم حاجة الناس الى بقاء ثقتهم به وتوقف استفادتهم منه وقيامه بما ينفعهم على تلك الثقة .

قال الامام ابن دقيق العيد رحمه الله : « في الحديث دليل على التحرز مما يقع في الوهم نسبة الانسان اليه مما لا ينبغي وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدي بهم ، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم وان كان لهم فيه مخلص ، لان ذلك سبب الى ابطال الانتفاع بعلمهم » .

مدافعة الشيطان عن القلوب :

علينا وقد علمنا أن الشيطان متمكن من الوسوسة لنا من جميع نواحينا متصلا بنا اتصالا ، وقريبا منا قريبا مثل اتصال وقرب الدم لا يمكننا الانفصال عنه كما لا يمكننا الانفصال عن الدم ، ان نأخذ جميع الحيلة لرد كيده وابطال تديره واحباط وسوسته وذلك بالمبادرة الى الاستعاذة بالله منه بالاستعاذة الثانية عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الأحوال المختلفة وبمقابلة كل نوع من وسوسته بما يبطله من ذكر الله فاذا جاء من ناحية الايمان بادرنا الى لا إله الا الله واذا جاء من ناحية التنزيه بادرنا الى سبحان الله ، واذا جاء من ناحية الانعام : بادرنا الى الحمد لله واذا جاء من ناحية التخويف من الخلق بادرنا الى « الله أكبر » وهكذا نبادر الى رد ما يوسوس به من كلمات الباطل الى ضدها من كلمات الحق .

وكما على المؤمن أن يدفع ذلك عن قلبه عليه أن يدفعه عن قلب أخيه بمصارحته بما يزيل اساءة الظن به ، أو حمل شيء عليه ، أو نفرة من ناحيته ، أو اشغال لأمره ، وان يبين له ما يقصد بذلك من مدافعة الشيطان وردة عن نفسه وعن أخيه ليكون عينا له على قصده ، فيرجع الشيطان عنهما مذموما مدحورا . وهذه المدافعة للشيطان وحماية

القلوب منه من أعظم الجهاد وواجهه وأزمه بل هي أصل الجهاد كله
فانه هو أصل البلاء كله فالسلامة منه هي السلامة من كل سوء والتمكن
من نيل كل خير والفوز بكل سعادة في الدنيا والآخرة (١) .



(١) ش: ج ٢، م ١٠، ص ٥٨ - ٦٠
غرة شوال ١٣٥٢ هـ - جانفي ١٩٣٤ م .

انما يؤخذ الدين من العلماء

قال عليه وآله الصلاة والسلام : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمثل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يمدون الله فاعبده معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء . فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه الى الله . وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين : فالى أيتهما كان أدنى فهو له . فقياسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه .

الالفاظ :

الراهب : هو العابد ، وكانت الرهبنة فيمن قبلنا بالانقطاع عن الناس والتفرغ للعبادة ، ابتدعها أهلها دون أن يكتبها الله عليهم كما في سورة الحديد . ثم جاء الاسلام فشرع الجمعة والجماعة فأبطل الانقطاع عن الناس للعبادة الا من فرّ بدينه أيام الفتنة خوفاً على نفسه منها . والعالم : من له دراية وملكة واشتغال بالعلم ، والمقابلة

ما بينهما في الحديث تقتضي أن الراهب لم يكن عنده من العلم ما يقال في صاحبه عالم ، والعالم لم يكن عنده من الانقطاع للعبادة ما يقال في صاحبه راهب . قال الامام محمد السنوسي - رادا على الأبي - : تسمية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الرجل الثاني بالعالم والأول بالراهب يدل على أن الراهب ليس بعالم ، والحجة فيما دل عليه لفظه صلى الله عليه وآله وسلم من ان كل واحد انما ثبت له في نفس الأمر معنى الوصف الذي أطلقه عليه ، وأما دلالة الدال على الراهب وهو انما سئل عن العالم فليس فيه دليل على ان الراهب كان عالما لاحتمال أن يكون الدال رجلا جاهلا ولا يعرف العالم الا من هو عالم ، لاسيما والرهبانية كثيرا ما يعتقد الجهلة ملازمتها للعلم . والترهب ان سلم انه يقتضي العلم فانما يقتضي العلم بما يحتاج اليه في ترهبه والا فكم من مترهب جاهل .

المعنى :

هذا رجل جنى هذه الجنايات العديدة ثم ذكر الله تعالى فأراد الرجوع اليه فسأل عن أعلم أهل الأرض ليوجده سبيلا الى ذلك فدلّه من دله على راهب لاعتقاد العامة العلم في كل مظهر للتعبّد ، فلم يجد عنده مخرجا من جنايته فكمّل بقتله المائة محمولاً على ذلك باليأس والجرأة والاستهانة بقتل النفس . ولكنه بقي مع ذلك يطمع أن يجد عند غيره سبيلا فدل على عالم فأفتاه بإمكان التوبة مستدلا بأنه لا شيء يحول بينه وبينها ، وأشار عليه بمفارقة أرضه التي ضري فيها على الجنايات فانها كانت أرض سوء عليه ، وأمره أن يذهب الى أخرى بها قوم صالحون يعبدون الله ويسرون بطاعته فيصاحبهم ويعبد الله معهم لاصلاح نفسه بمعاشرّة الصالحين وتحقيق توبته بالعمل الصالح معهم . فذهب الرجل على هذه النية وادركه الموت قبل أن يصل الى تلك الأرض ، واختصت فيه ملائكة الرحمة وحجّتهم نيته التي

خرج عليها ، وملائكة العذاب وحجنتهم انه لم يعمل عملا صالحا ، فكان القضاء لملائكة الرحمة تغليا لجانب القصد والنية ، وتأيدت النية بجده في السير الى الأرض التي قصد حتى كان أقرب اليها من للأرض التي خرج منها .

الإحكام :

في الحديث لزوم السؤال للجهال . وفيه أن أهل العلم هم الذين يسألون عنه لا غيرهم ، وان كان أكثر عبادة . ولذا قال مالك رحمه الله : (لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه معلى السفه ، وصاحب هوى يدعو اليه ، ورجل معروف بالكذب في حديث الناس وان كان لا يكذب على الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ، ورجل له فضل وصلاح لا يعرف ما يحدث به) . ذكره ابن عبد البر في جامع العلم ، وفيه صحة توبة القاتل وهو مذهب جمهور السلف ، وهذا الحديث من أدلتهم .

عبرة وتحذير :

العلم قبل العمل ، ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال ، وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل . فهذا الراهب قد دل عليه من دل عليه يحسبه أعلم أهل الأرض فسئل فأجاب بما لا يعلم فعادت مصيبة ذلك عليه وعلى سائله ، ولو دل هو سائله على غيره من العلماء لسلم هو وسلم السائل . فحذار من التقصير في العلم اللازم للعبادة ، وحذار من الكلام في دين الله والافتاء للناس بغير علم مؤهل لذلك ، وحذار من صرف الناس عن العلم وأهله اذا رأيتهم قد افتتنوا بك .

استشهاد :

جاء في حديث رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن ابن عباس - رضي الله عنهم - وخرجه ابن عبد البر في جامع العلم عنه وعن ابي هريرة - رضي الله عنه - ان فقيها واحداً أشد على الشيطان من ألف عابد . وواقع هذا حديثنا مما يشهد لذلك فقد رأيت ماذا جر الراهب على نفسه وعلى غيره ، وكيف أنقذ العالم ذلك الشرين من الهلاك .

نسأل الله الفقه في الدين وعمل الصالحين وتوبة الأوابين لنا ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين (١) .



(١) ش : ج ١٢ ، م ٨ ، ص ٦١٦ - ٦١٨
شعبان ١٣٥١ هـ - ديسمبر ١٩٣٢ م .

فضل السجود والحث عليه

« قال ربيعة بن كعب الأسلمي : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : سل ، فقلت : اسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ، قلت : هو ذلك . قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

رواه مسلم ، واللفظ له . وأبو داود والطبراني في الكبير .

الراوي :

هو أبو فراس ، قديم الصحبة ، كان من أهل الصفة يلازم النبي صلى الله عليه وآله وسلم — في السفر والحضر مات سنة « ثلاث وستين » .

الإلفاظ :

مع : ظرف مكان مبهم واسع ، وهو كان يبيت عند بابه كما في رواية الطبراني ، وذلك هو المراد من مع هنا . حاجته : ما يحتاج إليه غير الوضوء أو على وجه تسكينها هي أو التي للتخيير أو للاضراب ، وعلى وجه الواو هما كلمتان : همزة الاستفهام والواو العاطفة ، هو : أي مسؤولي ذلك أي المذكور وهو المرافقة . الاعانة : مشاركة الفاعل في العمل ليخفف عليه ويسهل وينتهي منه الى غرضه .

التراكيب :

حذف مفعول سل للتعميم وهو المناسب لمقام الافعال في النوال . غير معطوف على موافقتك من عطف لفظ في كلام على لفظ في كلام

فصل السجود والحث عليه

آخر عند ما يقصد المتكلم ربط كلامه بكلام المتكلم قبله لنحو تلقينه ، فيكون مجموع الكلام هكذا : اسألك مرافقتك في الجنة أو غير ذلك ، والكلام وإن كان خيراً فهو في قوة الطلب ولذلك كانت أو للتخيير هذا كله على وجه أو التي للتخيير وأما إذا كانت للاضراب فتقدير الكلام بل اسأل غير ذلك . وأما إذا كانت الهمة للاستفهام فإن الواو عطف على جملة ، وتقدير الكلام : اترك ما سألت وتساءل غير ذلك . والاستفهام هنا المراد به الطلب ، يطلب منه أن يترك سؤال المرافقة ويسأل غيره ، هو ذلك : تفيد الحصر ، أي مسؤولي هو المرافقة لا غيرها .

المعنى :

كان هذا الصحابي — رضي الله تعالى عنه — يخدم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ويبيت عند باب بيته ليأتيه بما يحتاج إليه من ماء يتوضأ به أو غيره ، فأراد النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يجازيه على خدمته فأمره أن يسأله ليعطيه ، فاعرض هذا الصحابي عن جميع مطالب الدنيا وسأله أعز مطلب في الآخرة وهو مرافقته له في الجنة ، ولما كانت هذه المرافقة تقتضي درجة رفيعة في الجنة أخص من مطلق دخول الجنة ، وهذه الدرجة تقتضي العمل الشاق ، حاول النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — صرفه عن هذا السؤال الذي فيه العمل الشاق الذي ربما لا يطيقه إلى غيره مما هو أسهل من المطالب ، فصمم الصحابي على سؤاله وأبى أن يسأل غيره ، فقبل النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — سؤاله على أن يعينه على نفسه لتحصيل المطلوب ، وأرشده إلى ما هو وسيلة في رفع الدرجات ، وهو كثرة السجود فإن العبد لا يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة كما ثبت في الصحيح .

زيادة بيان :

قد جاء هذا الحديث عند الطبراني بأبسط من رواية مسلم ، وذكر الرواية المطولة يوضح لنا الرواية المختصرة ، ورواية الطبراني كما في (الترغيب والترهيب) هي هذه : (قال كعب : كنت أخدم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نهاري فاذا كان الليل آويت الى باب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فبت عنده فلا أزل أسمعه يقول : سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان ربي ، حتى أمل أو تغلبنى عيني فانام ، فقال يوماً : يا ربعة سلني فاعطيك ؟ فقلت : انظرني حتى أنظر ، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة ، فقلت : يا رسول الله ، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ويدخني الجنة ، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم قال : من أمرك بهذا ؟ قلت : ما أمرني به أحد ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية وأنت من الله بالمكان ، الذي أنت منه ، فاحببت أن تدعو الله لي . قال : اني فاعل فاعني على نفسك بكثرة السجود) .

النظر في الروايتين :

بينت المطولة أنه كان يخدمه بالنهار والليل وأنه ما سأل الا بعد النظر والتفكر ، وانه لم يسأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يعطيه الجنة وانما سأله أن يدعو الله تعالى له لعلمه أن دعاءه مستجاب ، والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعده بأنه يفعل ما طلبه منه ، وهو دعاء الله تعالى له . غير أن الرواية المطولة فيها أنه سأله النجاة من النار ودخول الجنة ، والرواية المختصرة فيها أنه سأل مرافقته له في الجنة وهي أخص من مطلق الدخول .

الجمع والترجيح :

كل ما في المطولة مما هو زائد على المختصرة غير معارض لشيء فيها فهو مع المختصرة حديث واحد روى مطولاً ومختصراً وان تفاوتت

فضل السجود والحث عليه

طريقاه • وما جاء فيها معارضا لشيء في المختصرة وهو سؤال دخول الجنة المعارض لسؤال المرافقة فإتينا نأخذ بما في المختصرة ترجيحاً لها لقوة سندها •

توجيه :

المرافقة في الجنة لا تقتضي المساواة في المنزلة والكرامة ، اضله قوله تعالى (فَأَوْلَئِكَ مَعَ النَّبِيِّينَ - الى - وَحَسَنَ اَوْلَئِكَ رَفِيقًا) ولهذا سألتها هذا الصحابي • ولما كان من الملازمين للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الدنيا توجهت همته الى مرافقته في الأخرى فسأله ذلك •

فوائد الأحكام :

في الحديث جواز قبول التبرع بالخدمة من الناس ، وخصوصا لأهل المقامات العامة في مصالح الناس ، وفيه فضل القيام من جوف الليل - من قوله آتية بوضوئه - وفيه سنة مكافأة المحسن على إحسانه ، وفيه مشروعية سؤال الدعاء ، وخصوصا ممن ترجى له الاستجابة ، وفيه عدم الاكتفاء بالدعاء وحده عن التوسل بالطاعات ونوافل الخيرات ، وفيه فضل السجود والحث عليه ، وفيه دليل لمن يقول بأفضلية كثرة السجود على طول القيام •

إرشاد وتحذير :

سأل هذا الصحابي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يدعو له الله ولم يسأله هو أن يعطيه الجنة لأن الذي يعطى هو الله تعالى ولأن الذي يسأل منه العطاء هو الله تعالى ، كما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لآبن عباس فيما رواه (واذا سألت فاسأل الله) فمن المخلوق تسأل الدعاء ومن الخالق تسأل العطاء ، ومن أدلة الأول هذا

الحديث ومن أدلة الثاني حديث ابي عباس المذكور • وكثير من الناس يسألون ممن يعظمون نفس العطاء وخصوصا من الأموات — رحمهم الله — في قبورهم فارشدهم بمثل ما سمعت وحذار أن تكون منهم •

بيان عقيدة وإبطال ادعاء :

لما سأل هذا الصحابي النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وعده بالدعاء وأرشده الى العمل الصالح وهو كثرة السجود ، ولم يقل له النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — انني ضامن لك ذلك ولا أنت مضمون ولا أنت في ضماني ، لأن العبد لا يجوز له أن يضمن على خالقه بدون اذنه شيئا ، واذا كانت الشفاعة التي هي طلب منه لا تكون عنده الا باذنه فكيف الضمان الذي هو التزام على القطع ، فمن الغرور العظيم والجهل الكبير والجرأة الكبرى على الله تعالى قول بعض المدّعين « روح راك مضمون » وقول آخرين (من دخل دار كذا فهو مضمون) و (انا ضامني الشيخ) و (يادار الضمان) ونحو ذلك ، مما يقوله الجاهلون وينكره العالمون ويبرأ منه الصالحون •

حقيقة نفسية :

العبد بين داعيين مختلفين دينه يدعوه الى الحسنى وينهض به للعلاء ونفسه تدعوه الى السوأى وتنحط به الى الحضيض • ولا ينحط المسلم عن مقامات الكمال الا باجانبته داعي نفسه واعراضه عن داعي دينه • فالنفس هي الجاذب القوي الى دركات الانحطاط • ولما كان دعاء النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لهذا الصحابي سببا في رفع درجاته ، وكانت نفسه اذا خلاها على هواها ما نفعه له من ذلك الرفع فصار الدعاء النبوي والنفس الامارة كالمتنازعين فيه — أمره بان يعينه على نفسه بكثرة السجود ولم يقل له أعني على مطلوبك أو

فضل السجود والحث عليه

تحصيل مرادك ، بل قال له اعني على نفسك . وفي هذا تنبيه له على ان النفس هي المعرقة للعبد عن الصعود في سلم السعادة وانه اذا قهرها وغلبها فقد تيسرت له اسباب الكمال (١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ٨ ، ص ٢٠٥ - ٢١٠ .
غرة ذي الحجة ١٣٥٠ هـ - افريل ١٩٣٢ م .

الصدق والكذب

ابن يهدي كل واحد منهما

« قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار . وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . رواه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ لمسلم .

المفردات :

عليكم : اسم فعل بمعنى تمسكوا . وإياكم : منصوب على التحذير في معنى احذروا . والصدق مطابقة الخير للواقع وتصويره على ما هو عليه . والكذب : عدم مطابقة الخبر للواقع وتصويره على خلاف ما هو عليه . يهدي الى كذا : يعني يوصل اليه بتحري الشيء ، يقصده ويتعمده ولا ينحرف عنه . البر : اسم جامع للخير كله . والفجور : الانبعاث في الشر ، الصديق : الكثير الصدق . والكذاب : الكثير الكذب .

التراكيب :

عبر بالمضارع في يصدق ويكذب ويتحرى ليفيد التجدد ، وان ذلك هو شأنه الذي يتكرر منه .

المعنى :

تمسكوا بالصدق وألزموه فإن الصدق يوصل الى العمل الصالح الخالص من كل مذموم ، وان العمل الصالح يوصل الى الجنة ، وان الرجل ليتكرر منه الصدق ويتكرر منه تعدد الصدق والقصد اليه والتزامه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة صديقا فيثاب ثواب الصديقين ويرضى عليه رضاهم . واحذروا الكذب واجتنبوه فان الكذب يوصل الى الشر والانبعاث فيه وان الشر يوصل الى النار . وان الرجل ليتكرر منه الكذب ويتكرر منه تعدده والقصد اليه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة كذابا فيؤثم إثم الكذابين ويسخط عليه سخطهم .

تفصيل وتقسيم :

الصدق والكذب يكونان باللسان على ما تقدم من التفسير وهو الأصل في إطلاقهما ، وعليه محمل الحديث . ويكونان في القلب من حيث الاعتقاد فالعقد الحق الجازم صدق والعقد الباطل كذب ويكونان في الجوارح من حيث الافعال ، فالافعال الموفرة حقه الواقع على وجهه^(١) صدق ، والفعل الناقص الواقع على غير وجهه كذب ، وجماعها كلها الحق والكمال في الصدق والباطل والنقص في الكذب فاقسام كل منهما مرتبط بعضها ببعض ارتباطا يكاد لا يفصل ويكاد من التزم بعضها ألا يفارق الآخر . ولا يكمل العبد في مقام الصديقة الا بكماله في أقسام الصدق كلها ، وبعده عن اقسام الكذب كلها .

توجيه وتعليل :

كان الصدق يوصل الى البر والكذب يوصل الى الفجور لموجوه :
الأول : ما بيناه في الفصل السابق من الارتباط بين أقسام كل منهما

(١) في الأصل (وجه) .

ورجوعهما الى أصل واحد . الثاني : ان التزام الصدق يحمل على الوفاء بالعقود والعهود والوعود في معاملة الناس، فتجري أعمال المرء مع غيره على سداد واستقامة والكذب بعد ذلك . الثالث : ان الملتزم للصدق يمسك نفسه عن أعمال السوء مخافة أن يسئل عنها فيصدق فيجر على نفسه سوءا أو يكذب وهو لا يرضى مواجهة الكذب فتجري أعماله على البر سالمة من الفجور . والملتزم للكذب الضاري عليه يرتكب العظائم ولا يبالي ان ينفي عن نفسه كاذبا . اما البر فيوصل الى الجنة لانها دار المتقين ، وأما الفجور فيوصل الى النار لانها دار الفاسقين . واما كتابة الملازم للصدق صديقا فجزاء له من جنس عمله ، فانه داوم على الصدق وثبت عليه حتى رسخ فيه وتمكن خلقا من اخلاقه ، فأثبت اسمه كذلك في الصديقين ومثله ملازم الكذب .

استفادتان :

الأولى : ان بين الخصال خصال البر وخصال الشر تناسبا وتوالداً أو هذا أصل يحتاج اليها في تهذيب الاخلاق وتزكية النفوس وعلاج أدوائها ، فان من عرف المرض الأصلي الذي نشأت منه أمراض أخرى سهل عليه اذا عالجه ان يقتلع — باذن الله — الباقي ، ومن عرف أصل الخير سهل عليه اذا تمسك به أن يحصل على فروعه . الثانية : ان تكرر العمل بمقتضى خلق من الاخلاق يقويه ويثبته وأن العمل على مقتضى ضده يضعه ويزيله ، وهذا أصل عظيم أيضا في التربية يعلمنا أن التساهل في الأعمال السيئة ولو كانت في نظرنا طفيفة يفضي بنا الى استعصاء داء الرذيلة ، وان القيام بالأعمال الحسنة ولو كانت طفيفة يبلغ بنا الى رسوخ الفضيلة .

استنتاج :

قد كتب الله مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض وجفت

الأقلام وجرت المقادير كما في الصحيح ، فهذه الكتابة كتابه أخرى من باب الجزاء للعامل على عمله يستحق بها صاحبها وصف الصديقين وثوابهم ، أو وصف الكذابين وعقابهم ، ويظهر بذلك في الملاء الأعلى عند ملائكة الرحمن ويكسي حلتة بين الناس ويعرف به «والله مخرج ما كنتم تكتتمون» .

ترهيب :

إن من داوم على الكذب حتى كتب من الكذابين يخشى عليه أن يحرم من التوفيق الى التوبة ، وتلك هي أكبر مصيبة ، فان الله من فضله على هذه الأمة أن فتح أمامها أبواب التوبة ، واذا داوم العبد على الإعراض عن باب سيده ، متهاونا بمخالفة أمره ، حتى كتب عنده في سجل الشريرين كان ذلك خطرا عظيما عليه في ان يسد في وجهه الباب ويضرب بسوط الحرمان . ففي هذا الحديث الشريف ترهيب شديد من سوء عاقبة هذه الحال .

تحذير :

مواطن الهزل ومجالس البسط مما يتساهل فيها الناس فيلقون فيها الكلام بلا ضبط ، وتجري ألسنتهم بالكذب من غير مبالاة ولا احتياط فيقعون في الاثم على الكذب والاثم على التهاون بالمعصية ، ويتعمدون ذلك التساهل حتى يقعوا في الوعيد المذكور في هذا الحديث ، فليحذر المسلم من مثل هذه الحال وليتقن لنفسه في مثل هذه المقامات .

تحذير أوكد :

من قلة الاحتياط في الدين وعدم الاحترام للعلم ما يجري على ألسنة كثير من الناس قولهم : (قال رسول الله) — صلى الله عليه وآله وسلم — . دون معرفة برتبة الحديث عند أهله ، ومصيبة بعض المتسمين

بالعلم والقائمين بالخطب الجمعية في هذا أشد وأضر لتعديها منهم الى غيرهم ونشرهم الموضوعات الكثيرة في الناس ، ولا يكفيهم أنهم سمعوا أو وجدوا ، فقد قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ، والكذب عليه - صلى الله عليه وآله وسلم - عظيم ، والتحري فيما دونه واجب فكيف به ، خصوصا وقد قال هو عليه وآله الصلاة والسلام (يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) . رواه مسلم في مقدمة صحيحه . وقال الامام سيدي محمد السنوسي - رحمة الله عليه - في شرحه لهذا الموضع : (وعلماء السوء والرهبان على غير أصل سنة كلهم داخلون في هذا المعنى وما اكثرهم في زماننا) القرن التاسع (نسأل الله تبارك وتعالى السلامة من شر هذا الزمان وشر أهله) انتهى كلامه .

سلوك :

على العاقل أن يضبط لسانه في الجدل والهزل ، وان يحترس من الكذب في الجليل والحقير ، وان يتثبت فيما ينقل ويروي من حديث الناس ، وان يتثبت أكثر وأبلغ فيما يروي في الدين والعلم ، وأن يتحري الصدق وتصوير الحقائق ، وان يجعل ذلك من همه وأعظم قصده ، وأن يبادر بالتوبة فيما يزل به لسانه الى ربه ، ويعمل دائما على أن يطابق بين عقده بقلبه ونطقه بلسانه وعمله بجوارحه حتى يكون متحررا للصدق بجميع أقسامه ويكتب به - بفضل الله ورحمته - في الصديقين . وقفنا لهذا ويسرنا له نحن والمسلمين اجمعين يارب العالمين يا أرحم الراحمين^(١) .

(١) ش : ج ١٠ ، ص ٨٠٠ - ٥٠٣
غرة جمادى الثانية ١٣٥١ هـ - اكتوبر ١٩٣٢ م .

لا لوم على صدق المتاب

محاجة آدم وموسى عليهما السلام

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : « تحتاج آدم وموسى فحج آدم موسى . قال له موسى : أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة . فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال : نعم . قال : أفتلومني على أمر قد قدر عليّ قبل أن أخلق ؟ » . رواه الأئمة .

تمهيد :

الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بعد موتهم الدنيوي أحياء حياة برزخية روحية أسمى وأرقى من حياة غيرهم بمقتضى كمالاتهم ومقاماتهم ، فتتلاقى أرواحهم في العالم العلوي القدسي ، ويكون بينهما التعارف والتخاطب . وعلى هذا الوجه وقعت هذه المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام ، وقصها علينا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لنستفيد ما فيها من العلم وتقتدي بما فيها من عمل .

الألفاظ :

تحتاج : تنازعا وذكر كل واحد حجته . فحج آدم موسى : غلبه في الحجة . أغويت الناس : أضللتهم ، أي كنت سببا في اخراجهم الى الأرض فأغويتهم وأضلتهم الشياطين . وأخرجتهم : أي كنت سببا في اخراجهم بأكلك من الشجرة . علم كل شيء : أي مما يحتاج اليه في

هداية الناس ، واصطفاه على الناس من غير المرسلين . قدر علي
أي سبق به علم الله ومضت به ارادته في الأزل .

المعنى :

التقى هذان النبيان الكريمان التقاء روحيا في العالم العلوي ،
فوجه موسى الى آدم لومه على ما كان منه من الأكل من الشجرة
والمخالفة مما أدى الى اخراجه من الجنة فنسل ذريته بالأرض فكان
سببا في خروجهم اليها وتمكنت منهم الشياطين في دار التكليف فأغوت
وأضلت من أغوت وأضلت منهم وكان ذلك كله بسببه . فدفع
آدم هذا اللوم بأن ما كان منه كان مقدرًا عليه قبل أن يخلق فلا لوم
عليه فيه ، إذ لا دخل له في التقدير ، وعرض آدم لموسى بأنه ما كان
ينبغي له أن يكون منه هذا اللوم على المقدر ، مع علو مقامه بالعلم
والاصطفاء ، فغلب آدم موسى وقامت حجته عليه .

بسط وبيان :

دلت الأدلة القطعية أن ما يكون من العبد سبق به علم الله ومضت
به ارادته وكتب عليه قبل أن يخلق « إِنَّمَا كَلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ » ، « وَكَلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ » ، « مَا أَصَابَ
مِنَ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا » كما دلت الأدلة القطعية على أن الانسان
مؤاخذ بعمله ملوم عليه لما عنده من التمكن وما له من الاختيار « لَهَا مَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » ، « لِمَ تَقُولُونَ مَا
لَا تَفْعَلُونَ » وانه لا مؤاخذة عليه بعد التوبة ولا لوم « إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ » .

لا لوم على صدق المتاب

وآدم عليه السلام كانت منه المخالفة على التأويل وتاب الله عليه ، وكل ذلك قد كان في حياته فلم يبق عليه لوم بعد ذلك المتاب ، فلما لامه موسى لم يكن سبب اللوم من ناحيته - وهو المخالفة - قائما لزواله بما كان من التوبة ، ولم يبق الا التقدير السابق ، وهو لا دخل له فيه ، فكيف يلام . فقات حجته على موسى بسبب انعدام ما يوجب عليه اللوم ، وهو المخالفة ، فكان لوم موسى في غير محله .

دفع شبهة :

قد احتج آدم بالقدر السابق فهضت حجته ، فهل يحتاج كل مخالف بالقدر السابق فتنهض حجته ؟ كلا : فان الأدلة القطعية المتقدمة تمنع من ذلك منعا قاطعا . والتحقيق ان المخالف له حالتان : حالة التوبة الصادقة التي أسقطت المؤاخذة ، وهذه هي حالة آدم التي احتج فيها فهضت حجته ، وحالة عدم التوبة ، وهذه لاحجة فيها بالقدر لوجود المؤاخذة بالعمل المكتسب . وآدم وإن لم يذكر توبته بمقاله فهي مفهومة من حالة معروفة مما أنزله الله من كنبه على موسى وغيره .

دفع شبهة أخرى :

فاذا كان آدم لا لوم عليه لسقوط المؤاخذة بالتوبة فكيف لامه موسى ؟ والجواب : ان موسى لا يجهل هذا ولكنه غفل عنه أو غفل عما كان من آدم من التوبة ، وتجاوز عليه الغفلة وهو ليس في دار التكليف ولا في مقام التبليغ ، فلما ذكر آدم دليله ذكر موسى ما غفل عنه فسلم .

اقتداء :

المنظرة في العلم والدين والمحااجة بالحق من الأصول الشرعية والكمالات الانسانية لا يتعالى عنها كبير لكبره ، ولا يحتقر فيها صغير

آثار ابن باديس

لصغره ، فالحق هو الحق على أي لسان ظهر ، والحجة هي الحجة من أي ناحية قامت . وعلى هذا الأصل حاج موسى آدم وهو أبوه .
ومن حق المناظر أن يذكر كل ما يراه من الحجة الحققة لإثبات قوله ولو كان فيه ثقل على خصمه ، وعلى هذا الأصل نسب موسى لآدم الاغواء والاخراج - وإن لم يكن من فعله - لانه متسبب عنه .
ومن الواجب على من لاح له الحق في حجة خصمه أن يسكت ويسلم .
فقد علمنا ان النبيان الكريمان (١) كيف يعتمد (٢) على الحجة في البداية وكيف يخضع (٣) لها في النهاية والقدوة هما صلى الله وسلم عليهما (٤) .



(٣١ و٣٢) كذا في الاصل ويبدو ان التعبير مضطرب لنقص بعض الجمل او لسقوطها حين الطبع .

(٤) ش : ج ٥ ، م ١٥ ، ص ٢٠٨ - ٢١١
غرة جمادى الاولى ١٣٥٨ هـ - جوان ١٩٣٩ م .

مجالس العلوم

الاقبال عليها والاعراض عنها

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه :

« بينما رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة ، فأقبل اثنان الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وذهب واحد . فلما وقفا على مجلس رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سلما ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا . فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » .

السند :

خرجه مالك وتلقاه من طريقه الأئمة البخاري ومسلم والترمذي والنسائي رضي الله عنهم .

الفاظ المتن :

الفرجة : الخلل بين الشيئين . أوى : أوى الى منزله ، نزل واستقر فيه ، وأوى الى الله لجأ اليه ودخل مجلس ذكره ومنزل أوليائه . آواه : أنزله منزله وأدخله مسكنه ، وآواه الله قبله وضمه الى أهل مجلس ذكره وأناله ما ينيلهم من رحمته . استحيا : الحياء تغير

وانكسار يعتري الانسان عند خوف ما يذم به أو يلام عليه فيمنعه منه •
فاستحيا هذا معناه امتنع من الذهاب كما ذهب صاحبه أو ترك المزاحمة
في الحلقة • فاستحيا الله منه : ترك عقابه ولم يجرمه من ثواب •
أعرض : التفت الى جهة أخرى فذهب اليها • فأعرض الله عنه : حرمه
من الثواب •

البيان :

كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يجلس في المسجد
النبوي لأصحابه ويجلسون اليه حلقة فيعلمهم القرآن ، والحكمة ،
ويعظهم ، ويرشدهم ، فجاء هؤلاء الثلاثة من طرف المسجد والنبي -
صلى الله عليه وآله وسلم - في حلقتهم ، فأقبل اثنان وذهب الثالث
ودخل أحد الاثنتين في الحلقة فسد فرجة وجلس الآخر خلف الحلقة
فلما فرغ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من درسه أراد أن يعرف
القوم بصنيع الثلاثة ايعلموا حكم عمل كل واحد منهم في الشرع ،
فبين لهم أن الأول نال الأجر والمدح باقباله على مجلس العلم وسده
الفرجة ، وان الثاني سلم من الذم ولم يكن له من الأجر للاول ، وان
الثالث حرم من الأجر وتحمل الملامة •

تحرير :

فسر الاعراض بالغضب والسخط ، وفسرناه بالحرمان من الأجر
مع الملامة ، لأن ترك الإتيان ليس تركا لواجب حتى يستوجب صاحبه
الغضب والسخط الذي من مقتضاه الاثم ، بدليل ان النبي - صلى
الله عليه وسلم - لم يمنعه من الذهاب • ويؤيد تفسيرنا ما جاء عن
أنس عند الحاكم ولفظه (فاستغنى فاستغنى الله عنه) وهذا ظاهر ان
معناه لم يقبل على ما فيه أجر وثواب فلم يعط أجرا ولا ثوابا •

وفسر بعضهم استحياء الثاني بانه لم يدخل للحلقة ، وفسره آخرون

بأنه استحيا من الذهاب عن المجلس ، والتفسير الثاني أرجح لأن سد
الفرجة مطلوب فلا يمدح بالاستحيا منه . ولأنه جاء في رواية أنس
عند الحاكم (ومضى الثاني قليلا ثم جاء فجلس) . وهذا نص في المراد .

الفوائد والأحكام :

الاولى : الجلوس في المساجد حلقا للتعلم والتعليم .

الثانية : تعليم الناس ووعظهم وارشادهم في المساجد ، وهذان مما
أجمع عليه المسلمون في جميع الأعصار والأمصار وجرى عليه عملهم
وعلم بالضرورة عندهم فلا يتعرض لهم فيها الا ظالم من شر الظالمين .
له في الدنيا خزي وله في الآخرة عذاب عظيم .

الثالثة : التعليق للعلم وتنظيم الحلقة وسد فرجها فهي في
ذلك كصفوف الصلاة فيجوز التخطي لسد الخلل كما فعل الاول ويجلس
خلفها اذا لم يكن موضع فيها كما فعل الثاني .

الرابعة : فضل الاقبال على مجالس العلم وكراهة الاعراض عنها
الا لعذر .

الخامسة : بيان احكام الاعمال التي تقع امام الناس حين وقوعها
ليرسخ علمها ويتعظ بها فيها .

السادسة : لوم من زهد في الخير ولم يحرص عليه وان لم يكن ذلك
الخير من الواجبات عليه في تلك الحال .

اهتداء :

ان من يؤمن بأنه يحاسب على مثاقيل^(١) الذر من أعماله لا يكون
الا حريصا على الخير أقل القليل منه ، ومن شأن الحريص على الخير

(١) في الاصل : ميثاقيل .

آثار ابن باديس

أن يسارع اليه ويسابق فيه فلا يرى موطننا يشغله بين أهله الا ملاءه
ولا نقصا يمكنه تكميله الا كمثلته . حتى اذا سبق الى خير وقف عندما
حصل وكان له بنيته أجر من سبق . فهذا المجلس النبوي الكريم
مثله في المعنى جميع مواطن الخير ومشاهد الفلاح . بصرنا الله بالخير
وحبنا فيه وأعاتنا عليه وجعلنا من أهله (١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ١٢١ - ١٢٤
غرة شعبان ١٣٥٦ هـ - ٢ ماي ١٩٣٧ م .

درس ختم الموطأ^(١)

كما نقله في وقت الالتقاء بعض التلامذة

وقد اجتهد أن يؤدي أغلب المقصود

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم • وبه
ثقتي وأستعين وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأسعد الكريم ،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما •

الحمد لله نعمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن
يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدًا عبده ورسوله • أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله وخير
الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة •

بالسند المتصل الى الامام أبي عبد الله مالك بن أنس - رضي الله
عنه - قال : « أسماء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - » وبه
قال مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم ان النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - قال : « لي خمسة أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد
وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وأنا العاقب » .

السند :

روى مالك هذا الحديث مرسلًا ، ورواه عنه كذلك يحيى بن يحيى

(١) ش : اكتفينا بهذا الدرس الجليل عن الحديث المعتاد لمجالس
التذكير (المؤلف) .

والأكثر ، وجاء مرويا عنه مسندا عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه وكثيرا ما يروي مالك الحديث مسندا ومرسلا . ولا يرسل مالك ولا يأتي ببلاغ في الغالب الا وهو على علم بمن يترك من السند انه محل الثقة والقبول والاعتماد . فاما اذا شك فانه يصرح بشكه . وتصريحه بالشك حين يشك يدلنا على ما عنده من العلم واليقين عندما يسكت دون أن يصرح بالراوي . ومن الدليل على انه اذا كان على شك من الأمر يصرح ما تقدم لنا قريبا في باب التعفف عن المسألة ، فلما روي عن العلاء بن عبد الرحمن قوله : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع عبد الا رفعه الله » قال لا أدري أيرفع هذا الحديث الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أم لا ؟

ثم ان هذا الحديث قد جاء مسندا في الصحيحين وغيرهما .

المتن :

في قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - لي خمسة أسماء ، مفهومان : مفهوم الحصر ومفهوم العدد . فأما الأول : فمن تقديم الجار والمجرور ، وأما الثاني : فمن لفظ خمسة ، لكن المفهومين ليسا سواء ، فان مفهوم العدد غير معتبر كما هو أصح الأقوال ، نعم يستل عن وجه الاقتصار على هذا العدد اذ كان هناك غيره ، فان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - له اسماء كثيرة قد أنهاها بعضهم الى الألف . فاقصره هنا على ذكر خمسة لا بد أن يكون لوجه اقتضى الاقتصار عليها . ووجه ذلك أنها هي التي سمي بها في الكتب المنزلة . وهي الخمسة التي يختص بها وليس لغيره ألفاظها ولا معانيها كما سيتبين . واذا كان سمي بغيرها في الكتب المتقدمة فهذه هي الأشهر والأكثر وكفى بهذا الذي ذكرنا وجها لتخصيصها بالذكر .

وأما مفهوم الحصر في قوله لي خمسة أسماء أي ليست لغيري فهو مفهوم معتبر وهو حصر صحيح ثابت من جهة المعنى ومن جهة اللفظ .

فاما الاول : فانا نجد معانيها ليست الا له - صلى الله عليه وآله وسلم - مختصا بها بين أخوانه من الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وهم المشاركون له في الكمالات ولكن الله يفضل منهم من يشاء بما يشاء لا لنقص في المفضل عليه ولكن لخصائص زائدة في المفضل ، واما الثاني : فكذلك ايضا على ما سنين .

« أنا محمد » : مشتق من الحمد ، والحمد هو الثناء بذكر الكمالات والصفات الفاضلة المشتملة على ما هو من صفات الذات ، أو من صفات الأفعال وعلى ما هو من باب الكمالات أو من باب الانعام . وانما يعبر من الثناء ما كان حقا وصدقا بمطابقته للواقع وبمطابقته لما في القلب . ومحمد : اسم مفعول من حمد المضاعف العين ، وهو يقتضي التكثير ، فالحمد هو ذو الخصال الكثيرة الحميدة التي تقتضي حمده مرة بعد اخرى . فالمحمود هو من وقع عليه الحمد ولو مرة واما المحمد فالذي يكثر حمده . وهو في الأصل صفة وقد نقل من الوصفية الى العلمية وجعل دالا على الذات المسماة بهذا الاسم .

والمسمي له بهذا الاسم هو جده عبد المطلب بالهام من الله ، - والالهام من الله هو ما يوفق الله اليه العبد ويهديه اليه دون علم سابق ولا دليل ظاهر ، وانما هي هداية ربانية تكون بارشاد القلب الى الشيء الملهم اليه - فهذا الاسم النبوي علم منقول من الصفة وهو وان كان موضوعا للذات ، فان الواضع يلاحظ عند الوضع معنى تلك الصفة التي نقل منها . ويدل لهذا ما جاء ان عبد المطلب لما سئل عن تسمية ابنه بهذا الاسم - ولم يكن من أسماء آباءه وأجداده ، ومن عاداتهم ان يحيوا ذكر آباءهم وأجدادهم بتسمية أبنائهم بأسمائهم - أجاب

اني لارجو ان يحمده أهل الأرض كلهم . فدل هذا على أن العربي الواضع للعلم الوصفي يلاحظ معناه لما كان صفة ، وبهذا يكون الاسم وغيره - مع العلمية - منظويا ومشتتلا على الثناء عليه . ولهذا يعبر القاضي عياض بقوله : « فمن خصائصه تعالنى له - صلى الله عليه وآله وسلم - ان ضمن اسماءه ثناءه ، فطوى أثناء ذكره ، عظيم شكره » وما كانت الأسماء منظوية على الثناء الا مع ملاحظة ما كانت عليه قبل العلمية .

والثناء الذي يشتمل عليه هذا الاسم الشريف هو ما دل عليه من كثرة خصاله التي يحمد عليها ويكون حمده عليها متجددا . وهذا قد تحقق وهو واقع مشاهد فانه - صلى الله عليه وآله وسلم - قد حمده الخلق ويحمدونه دنيا وأخرى ويزداد ذلك في المواطن التي يزداد علم الناس بما أعطاه الله من كمالات وما أظهر على يده من إنعامات ويزداد علمهم بذلك بقدر ما يزداد تقدمهم في العلم والمعرفة ، حتى أننا نرى في عصرنا هذا من غير المسلمين ممن ينصفونه فيذكرون من كمالاته والخير الذي أصاب البشرية على يده ، فيشكرونه ويكررون الثناء عليه . فاما من أهل الايمان به فهو كثير شهير ، ثم ان الخلق كلهم يوم القيامة يحمدونه بما يشاهدون من النعم التي أعظمها وأجلها موقفه في الشفاعة العامة ، فيحمدونه الحمد المتجدد المتكرر عندما يشاهدون ما لم يكونوا من قبل يعرفون .

« وأنا أحمد » : وهو مشتق أيضا من الحمد ، غير أن فعله حمد السالم المسند الى الفاعل ، وهو علم منقول من اسم التفضيل ، والأحمد هو الأكثر حمدا من غيره . وقد علمنا ان النقل تصحبه تلك الملاحظة ، فقد سمي أحمد على اعتبار أنه أكثر الخلق حمدا لله ، فالخلق كلهم يحمدون الله بلسان الحال أو بلسان المقال . وهو أكثرهم حمدا لله على كل حال .

هذا وقد ذهب قوم الى أن أحمد من فعل حمد المبني للغائب على معنى أنه أكثر محمودية من غيره . وتتفي مرادفته للأول بجعل الأول راجعا للملكية أي لكثرة الصفات التي يحمد عليها ، وجعل هذا راجعا للكيفية أي أفضلية ما يحمد به . والذي يقرر هذا هو الامام ابن قيم الجوزية ويقول في تقريره ؛ لو كان أحمد من المبني للفاعل لكان الأولي أن يسمى حمادا لأنه هو الذي يفيد كثرة الحمد . وهذا من هذا الامام على جلالته سهو وغفلة فان أحمد عندما يكون منقولا من اسم التفضيل المسند للفاعل يفيد تفضيله على جميع الحامدين المقلين والمكثرين فهو الاكثر حمدا لله من كل من أقل أو أكثر . وأما حماد فانما يفيد كثرة حمده ومن كثر حمده قد يساويه أو يفوقه فيه غيره فاما أحمد فيفيد - خصوصا مع حذف المتعلق - انه بلغ من كثرة الحمد الى مقام كان فيه أكثر حمدا لله من كل حامد .

على أن هنالك شيئا آخر لا بد من ملاحظته وهو أن الاسمين يراد بهما الدلالة على تكميل الله له من ناحيتين ، الناحية التي يكون فيها في مقام التعظيم والتكريم بالثناء عليه وهو ما يقتضيه اسم محمد . والناحية التي يكون فيها في مقام الخضوع والخشوع بحمده لله تبارك وتعالى وثنائه عليه ، وهو ما يقتضيه اسم أحمد المنقول من المسند للفاعل ، فحمد دلنا على مقامه الأول الذي يكثر فيه له الحمد ، وأحمد دلنا على مقامه الثاني الذي يكثر فيه منه الحمد ، ودلنا على انه في هذا المقام قد فاق سواه وكان فيه لا نظير له . وهذا المعنى لا يمكن أبدا أن يستفاد من حماد . على ان أحمد المأخوذ من المسند الى الفاعل هو الذي يجري القياس ، والمتبادر الى الاذهان عند سماع اسم التفضيل هو الاسناد الى الفاعل ولا يفهم الاسناد الى المفعول الا بقرينة .

وحمده لله الذي فاق فيه كل حامد لا يكون الا عن ايمانه ومعرفته

لكلمات الله وانعاماته فيقتضي انه فاق فيهما جميع الخلق . والايان
والمعرفة يقتضيان الطاعات الظاهرة والباطنة فيكون قد فاق في الطاعة
جميع الخلق وبهذا كان الاسم متضمنا لاكمل الثناء عليه بانه أكمل
عبد لله علما وعملا .

وهذان الاسمان الشريفان مرتبان في التسمية بهما للخلق والاسبق
منهما عند قوم وهم الاكثرون هو أحمد وهو الذي سماه الله به في
الانجيل كما في سورة الصف : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » . ثم محمد الذي سماه به جده توفيقا من
الله وهو اسمه في القرآن العظيم كما في سورة الفتح :
« مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ » . فالسابق اذا هو أحمد .
والذين يذهبون الى هذا يقولون ان الترتيب بينهما في التسمية
على حسب الترتيب الذي بين المقامين المدلولين لهما فان المقام
الاول هو مقام عبوديته وحمده لله ، والمقام الثاني هو مقام كماله
باخلاقه وصفاته وأعماله . فهو قد حمد الله أكثر الحمد في مقام
عبوديته فجازاه على ذلك بان كان محمودا مكررا حمده في مقام
كاملاته والجزاء من جنس العمل فهو ما كان محمدا حتى كان أحمد
وهذا ترتيب ظاهر وجيه . ويكون وجه تقديم اسم محمد في هذا
الحديث على هذا القول انه أشهر أسمائه وانه اسمه في القرآن العظيم .
وذهب قوم الى أسبقية اسمه محمد ، وانه سمي به في التوراة ،
واستدلوا على هذا بادلة وتقلوا من التوراة تقولا . ووجه التقديم لاسم
محمد على هذا القول انه نظر الى انه يوجد على فطرة الكمال ويشب
على الكمالات والاخلاق الفاضلة التي يتكرر حمده عليها وقد حمده
أهله صبييا رضيا ، وحمده قومه شابا سريا وسموه بالامين ثم لما أنعم
الله عليه بالنبوة كان أحمد الخلق لله بما كان له حينئذ من العلم بكمالات
الله وانعاماته . وهو وان كان مفطورا على الايمان والعلم والكمال

وقد كان حامدا لله من يوم ادراكه لكن حمد النبي الرسول ليس كحمد من لم يكن بعد نبيا رسولا . فعلى هذا النظر من الترتيب يظهر وجه الاسبقية لاسم محمد على هذا القول .

« وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر » والمحو هو الإزالة . وفسرنا - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا الاسم دون الاسمين السابقين لأن اشتقاقهما كاف في ظهور معناهما ، بخلاف الماحي فانه قد يخفي المراد منه باعتبار الشيء المحو ولذلك بينه بقوله الذي يمحو الله بي الكفر .

وهذا المحو الذي كان به - صلى الله عليه وآله وسلم - علمي واما عملي وقد حصل المحو به - صلى الله عليه وآله وسلم - للكفر علميا وعمليا فاما الاول فقد جاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأدلة قاطعة وبراهين ساطعة على صدقه في كل ما جاء به من الحق والهدى والنور جاء من ذلك بما لم يأت به غيره وكل ذلك محو وازالة للكفر في العالم العالني . وأما الثاني فانه صلى الله عليه وآله وسلم جاء والارض في ظلمة من الكفر بين ضلال أهل الكتاب ووثنية المشركين وأنواع أخرى من كفر الكافرين فدعا الى الله وصبر وجاهد ، فما مات - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى انتشر الاسلام في جزيرة العرب كلها التي كانت سببا في اتقاذ البشرية ومصدرا لهدايتها فهذا محو عملي ، ومحو آخر وهو انه - صلى الله عليه وآله وسلم - قد زويت وطويت له الارض حتى شاهد مشارقها ومغاربها وقيل له انه ستبلغ دعوته الى مازوى له منها وقد كان ذلك . ففي الأمد القصير ظهر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وامحى سلطان الكفر وانهدت عروش الجبابرة عرش القياصرة بالشام وعرش الاكاسرة بالعراق وتتابس المحو والازالة .

قال : يمحو الله لان الخالق انما هو الله . ويقول : بي لانه هو السبب . ويفيد المضارع ان المحو يتجدد وكذلك كان فما زال المحو

العلمي يتجدد فما نجمت ضلالة الا وكان فيما جاء به حجة دامغة لها وما زال المحو العلمي كذلك يتجدد والاسلام ينتشر من نفسه انتشارا لا يلحقه فيه غيره ممن ينفقون في نشر نحلهم الاموال الطائلة ويسخرون القوات المتنوعة الهائلة وليس انتشاره في خصوص الامم المنحطة بل في الامم الراقية والذين سبقوا اليه منها هم علماء مما يدل على ان أكبر آيات الاسلام هي آياته العلمية الخالدة . فالمحو يتجدد تجددًا مشاهدًا مستمرًا بهذا النبي الكريم عليه وآله الصلاة والسلام .

« وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي » الحشر : الجمع وتقدير الكلام على أثر قدمي وجمع الناس على اثر قدمه كناية عن اتباعهم له . والمعنى : ان الله يجمع الناس كلهم على شريعته جمعًا تشريعيًا فلا يقبل من أحد شيئًا الا باتباعه في شريعته والسير على اثر اقدامه ، سواء كان من أهل الملل الاخرى أو من أهل ملته فلا نجاة لكافر من ضلال الكفر الا باتباع شريعته ، ولا نجاة لمسلم من ضلال البدعة الا باتباع سنته .

ويفيد المضارع في قوله (يحشر) ان هذا الجمع متجدد لأن شريعته دائمة وسنته باقية فما من جيل الا وهو مكلف بالسير على قدمه وذلك معنى تجدد جمع الناس جمعًا تشريعيًا على اتباعه . واسناد الحشر لنفسه في قوله الحاشر لانه الكاسب المباشر المبلغ عن الله شرعه لعباده وقال يحشر باسناد الحشر الى الله وحذف الفاعل للعلم به من المعنى وسياق الكلام ، لانه هو الخالق المشرع . على أوزان قوله تعالى : « حَسْبِيَ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْا نَهُمْ » ، وقوله : « اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » .

« وأنا العاقب » : هو الذي يخلف شيئًا ويأتي بعده ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم جاء بعد جميع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة

والسلام - وخلفهم • وقد جاء في رواية مسلم مفسرا فقال :
« **وانا العاقب الذي لا نبي بعده** » وعند غير مسلم « **الذي لا نبي بعدي** »
وأفاد بالتفسير انه لا يعقبه غيره فهو خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله
وسلم عليهم أجمعين •

تقدم لنا في صدر الدرس أن قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -
لي خمسة أسماء يقتضي اختصاصه بها وهو اقتضاء صحيح ومطابق
للواقع فهذه الاسماء ليست الا له إذ لم يسم الله نبيا ولا رسولا بواحد
منها فهو مختص بالتسمية بها من الله بين سائر اخوانه من الانبياء
 والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - •

نعم قد سمي بعض العرب أبناءهم محمدا قبل البعثة بقليل ، وهم
نفر قليل ولم يعرفوا بنبوة ، ومنهم من أسلم فكان من اتباع النبي -
صلى الله عليه وآله وسلم - ، فكان ذلك القليل النادر في حكم
العدم ، على ان المقصود بتخصيصه تخصيصا من بين سائر الانبياء
والشيء انما يفضل بالنسبة لمن في منزلته • فمحمدا - صلى الله عليه وآله
وسلم - لما تذكر فضائله وخصوصياته انما تذكر بالنسبة للانبياء
 والمرسلين فاذا قلنا ان محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - خص
بكذا بهذا الاسم مثلا فمعنى ذلك اننا لا نجده لمثله من الانبياء
 والمرسلين • فهذا الاختصاص اللفظي بهذه التسمية •

وكذلك هو مختص بها من جهة معانيها فله من الكلمات التي
يتحلى بها والانعامات التي جعله الله سببا فيها والمواقف التي يقفها
ما ليس لغيره ، فليس ينال غيره من الحمد مثل ما يكون له من الله
ومن الناس وهو يقابل تلك النعم الربانية عليه بالحمد ، فلا يكون
الحمد من أحد مثل الذي يكون منه الله • وكفى في هذا حديث الشفاعة
الثابت المشهور فانه لما يخسر ساجدا لله يفتح عليه بانواع من الحمد لم

يكن يعرفها هو من قبل فقد بلغ في حمده لله مقاما لم يبلغه احد .
ولما يتقبل الله شفاعته العامة في فضل القضاء يحمده أهل الموقف كلهم
في ذلك المقام المحمود ، فقد بلغ من حمد الناس له مقاما لم يبلغه
غيره . فبان اختصاصه - صلى الله عليه وآله وسلم - بمعنى الاسمين
الشريفين محمد وأحمد دون جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وكذلك الاسم الثالث فانه مختص بمعناه . واذا راجعنا تواريخ
الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - فاننا لا نجد أحدا منهم
محي به من الكفر ما محي بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم -
ولنقتصر على هذين النبيين الكريمين موسى وعيسى - عليهم الصلاة
والسلام - فأنتم تعرفون من القرآن ما قاسى موسى من بني اسرائيل
الذين ما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا اجعل لنا إلها كما لهم
آلهة . وما تقصه كتبهم يدل أنهم لم ترسخ لهم قدم في الإيمان ،
فأي محو هنا ؟ وأما عيسى - عليه الصلاة والسلام - فقد رفعه
الله اليه وما آمن به الا أفراد ثم بقيت دعوته مغمورة . وما
انتشرت النصرانية المنسوبة اليه باطلا الا بعد ثلاثمائة سنة على يد
ملك بيزنطا قسطنطين . على انهما - عليهما الصلاة والسلام - لم يرسل
رسالة عامة حتى يعم المحو بهما وانما ارسل رسالة خاصة لبني اسرائيل
كما لم يأتيا من الآيات بمثل ما أتى به لمحو كل كفر وباطل ، وكفى بآية
القرآن الخالدة على الزمان المتجددة على الاجيال . فهذا يبين لكم ان
المحو العلمي والعلمي بأكمله وأشمله انما هو خصوصية له عليه
الصلاة والسلام .

ولعلمكم تقولون ان العرب قد ارتدت بعد موته - صلى الله عليه
وآله وسلم - فأين هو المحو ؟ فالجواب : ان الردة لم تكن عامة ،
فان الأكثر والأظهر هم الذين ثبتوا على الاسلام والطاعة لخليفة رسول
الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يبدلوا شيئا ، وطائفة كثيرة

بقيت على الاسلام وانما امتعت عن أداء الزكاة ، وهذه هي التي توقف عمر وغيره في قتالها وشرح الله صدر أبي بكر لقتالها ورجع الصحابة - رضي الله عنهم - اليه ، وطائفة اخرى ارتدت عن الاسلام جملة كاصحاب طليحة وسجاح - راجعا الاسلام بعد - والاسود ومسيلمة وكان في غمار هؤلاء المرتدين أفراد من المؤمنين يقاومون وتوقفت طائفة تنتظر لمن تكون الغلبة .

وكان السر الاكمل في هذه الردة على تفصيلها ان يتبين للناس ان الذين اتبعوه اتبعوه لانه نبي لا لانه عربي .

لقد ثبت المحو به مباشرة في الاكثر الاظهر وثبت المحو بواسطة خليفته ومن معه ممن انطبق عليهم قول الله : « فَسَوْفَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » . والمحو على يد هؤلاء السادة محو به . وهكذا كل محو يقع على يد اتباعه الى يوم الدين فهو محو به وله مثل حسنات مباشره على قاعد السابق للخير والبارى به والداعي اليه .

وكذلك الاسم الرابع فهو مختص بمعناه لان الله لم يجمع الناس جمعا تشريعا على نبي قبله فقد كان النبي يرسل الى قومه خاصة وارسل هو - صلى الله عليه وآله وسلم - الى الناس عامة .

وكذلك الاسم الخامس فهو المختصر ، بختم الانبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم اجمعين .

هذه الاسماء الشريفة نأخذ منها حظ العلم وحظ العمل فاما حظ العلم فقد تقدم ، وأما حظ العمل فعلينا اذ علمنا معنى اسمه محمد

ان نستكثر من الاخلاق الطيبة والاعمال النافعة والمواقف الشريفة مما
تتال به الحمد من الله والناس •

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه أحمد أن نكثر من حمد الله على نعمه
نعم الخلقه ونعم الهداية ، فنحمده اجمالا وتفصيلا ، ويتضمن هذا علمنا
بهذا النعم وذلك يقتضي توسيع دائرة معلوماتنا بخلقه وبشرعه فنتناول
كل ما نستطيع من العلوم والمعارف التي توصلنا الى ذلك وتدلنا عليه •

وعلينا اذا علمنا معنى اسمه الماحي ان نعمل على محو الكفر والضلال
والشر والباطل وكل ما ينهي عنه الاسلام وما ابتدعه المبتدعون وحملوه
اياهم • نحو ذلك كله من أنفسنا وحيثما استطعنا ولا سبيل الى هذا
المحو الا بالعلم والعمل واطهار الاسلام بسلوكنا في الحياة امام الناس
في مظهره الصادق الصحيح فأعظم ما محى به الكفر سلفنا الصالح هو
هديهم وسلوكهم وتطبيقهم للاسلام تطبيقا صحيحا على الحياة في
انفسهم وفي غيرهم في جميع الأحوال •

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه الحاشر أن نتقيد بشريعته وسنته فلا
نقول ولا نعمل ولا نعتقد الا مالا يخرج عنهما فيكون قولنا دائما
ماذا قال محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — وماذا فعل وكيف كان
في مثل هذا الموقف في مثل هذا الحال في كل ما تفقه من مواقف وما
يعترضنا من احوال وبهذا نكون قد حشرنا أنفسنا على اثره • وعلينا
ان ندعو الناس الى اتباع شريعته وسنته بما نبين لهم من براهين الحق
وأدلة الصدق وبما نذكر لهم من محاسنه ومحاسن ما جاء به وبذلك
نكون قد علمنا على حشر ما استطعنا من الناس على شريعته وجمعنا
ما أمكننا من القلوب على تعظيمه ومحبته ، وفي ذلك الخير والسعادة
للناس اجمعين •

وعلينا اذ علمنا معنى اسمه العاقب وهو الخاتم ان نرد كل ما يحدثه

المحدثون من زيادة في شريعته ، ونعد كل من يأتي ذلك ويتظاهر بالاسلام دجالا من الدجاجة وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - انه يكون بعده دجاجة وكذابون وأولهم مسيلمة والمنتبؤون الكذبة فلا قول الا قوله ولا هدى الا هديه ولا اسلام الا ما جاء به .



ها ان مالكا - رحمه الله تعالى ورضي عنه وجزاه عنا أحسن الجزاء - قد ختم كتابه الجليل بهذا الحديث الشريف المشتغل على هذه الأسماء النبوية الكريمة فهل هنالك من نكتة ؟

ان هذا الموطأ هو أقدم كتاب لنا ألفه امام عظيم من أتباع التابعين ، وهو كتاب يعلمنا العلم والعمل ويعرفنا كيف نفهم وكيف نستنبط وكيف نبني الفروع على الأصول ، يعطينا هذا كله وأكثر منه بصريح بيانه وبأسلوب تربيته للأحاديث والآثار والمسائل . وان شراح هذا الكتاب الجليل لم يوفوه حقه - في نظري القاصر - من هذه الناحية وهي من اعظم نواحيه .

ومما هو مشهور من ابتكار مالك في كتابه هذا الكتاب الجامع الذي ختم به الموطأ ، فانه نظر الى مسائل عديدة من أمهات الشريعة في العقائد والأخلاق والآداب والأحكام وغيرها فنظمها في سلك واحد وسماها بالكتاب الجامع ، وهذه الأصول التي نظمها في هذا الباب بنى عليها من جاء بعده فروعاً وعقد عليها أبواباً كالبخاري وغيره .

وان مالكا لم يذكر في موطنه كتاباً خاصاً بالسيرة النبوية كما فصل ذلك غيره ممن جاء بعده ولكنه ذكر اسماءه الشريفة - صلى الله عليه وآله وسلم - فكفاه وذكر اسمائه متضمناً لسيرته - صلى الله عليه وآله وسلم - فكفاه في ذكر حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - ان يذكر اسماءه .

ولما كانت سيرته من بدايتها الى نهايتها هي المثال الصادق للشريعة كلها والسفر الجامع للدين الاسلامي كله - ختم كتابه بهذا الحديث المشتمل على هذه الاسماء المتضمنة لها . وهو كالتحصيل بعد التفصيل .
ونكتة أخرى وهو ان كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فاننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية .
والمثال الكامل لذلك كله هو حياة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في سيرته الطيبة فهذا الحديث بعد ما تقدمه من الكتاب كله مثل الغاية من الوسيلة .

فسيرته - صلى الله عليه وآله وسلم - هي الجامعة لمحاسن الاسلام والغاية لكل كمال .

ومن أبدع المناسبة لختم الكتاب ان كان آخر هذه الاسماء الشريفة هو العاقب والعاقب هو الخاتم ، عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وجميع الآل والتابعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين^(١) .



(١) ش : ج ٧ ، م ١٥ ، ص ٣٣٢ - ٣٤٤
غرة رجب ١٣٤٨ هـ - اوت ١٩٣٩ م .

آثار وأخبار (١)

« استقر رأي الأعضاء الإداريين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تخصيص الصفحة الأولى من جريدة الجمعية بهذا الباب: باب الآثار والأخبار .

والمقول في هذا الباب هو الحديث المرفوع السى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ، والأثر المروي عن أحد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ، والقول المنسوب الى امام من أئمة الدين أو صالح من صلحاء المؤمنين رحمة الله عليهم اجمعين .

ويختار من الآثار والأخبار ما قل لفظه ليسهل على القارىء حفظه، ودل مع ذلك على ترغيب أو ترهيب أو تربية أو تسلية .

وعلى القارىء أن يحفظ ما يجده في هذا الباب من الآثار . وعلى الكاتب أن يعقب كل اثر بتعليق يشير فيه الى ما حضره من فوائد تؤخذ من ذلك الأثر ، ولا بأس أن يكون التعليق منقولاً ايضاً . فان المقصود هو أن يحرص الكاتب على إفادة القارىء سواء في ذلك افادته بما فهمه هو أو بما فهمه غيره .

١ - شكوى علماء الدين من الأزدال المفسدين

روى ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » عن الحسن البصري أحد كبار علماء التابعين انه قال :

(١) اخترنا ان نلحق هذه المقالات بقسم الحديث لانها تدور حوله في اغلبها .

اللهم اليك نشكو هذا الغناء الذي كتبتنا نحدث عنه ، ان اجيناهم
لم يفقهوا ، وان سكتنا عنهم وكنناهم الى عي شديد . والله لولا
ما أخذ الله على العلماء في علمهم ما انبأناهم بشي ابدا (١ : ٦) .

تعلق :

الغناء في الأصل ما يخالط زبد السيل من أعشاب وأوراق ، والمراد
به هنا أرذال الناس وسقطهم .

وقد أفاد الأثر أولا : ان علماء الدين المرشدين كانوا من قديم
الزمان يمانون متعاب في الارشاد وتحملون اذايات المفسدين ، ويتلقون
اعتراضات من أدعياء العلم المقننين .

وثانيا : ان تلك المتاعب والاذايات والاعتراضات لا تسقط عن
العالم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تنجيه من تبعه
الكتمان الثابتة بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا
مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)
وبقوله — صلى الله عليه وآله وسلم — .

« من سئل علما علمه فكنمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار »
رواه ابن عبد الله في الجامع وابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم
والبيهقي وغيرهم بروايات متحدة المعنى متقاربة الألفاظ .

وثالثا : ان العلم أمانة عند العلماء ، وهم مكلفون بادائها لمستحقيها .
وليس العلم ملكا لهم يستغلونه فيكتمونه ان رأوا الكتمان أوفق
بمصلحتهم الشخصية ، وينشرون منه مالا يصادم أهواء العامة بل
يزيدهم جاها لديهم . ولا أبخس صفقة ممن اشترى الحياة الدنيا
بالآخرة .

٢ - حكم طلب العلم

روى ابن عبد البر في جامعه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١ : ٧) .

تصليق :

أفاد الحديث أمرين : أحدهما وجوب طلب العلم ، وثانيهما عدم اعتبار المشتقة في طلبه مانعا من وجوبه ، بلغت المشتقة ما بلغت .

والحديث رواه ابن عبد البر من طرق متعددة ثم قال (... في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل ، ولكن معناه صحيح عندهم وان كانوا قد اختلفوا فيه اختلافا متقاربا) .

ومثار الخلاف الذي اشار اليه ابن عبد البر مافي لفظة العلم من الاجمال ، فان المراد من العلم العلم الديني قطعا ، لكن مسائل الدين منها ما هو فرض ومنها ما هو غير فرض ومنها ما هو فرض عيني ومنها ما هو فرض كفائي .

وقد أورد ابن عبد البر أقوال الأئمة في معنى الحديث ، فروى عن اسحاق بن راهويه انه قال : « معناه انه يلزمه طلب علم ما يحتاج اليه من وضوئه وصلاته وزكاته ، ان كان له مال ، وكذلك الحج وغيره ، وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج اليه ، وما كان فضيلة لم يخرج اليه حتى يستأذن أبويه » .

وروى عن مالك انه سئل : عن طلب العلم أهو فريضة على الناس فقال : لا ، ولكن يطلب من المرء ما ينتفع به في دينه .

وروى عن ابن المبارك انه سئل عن معنى هذا الحديث فقال : فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه .

وروى عن ابن عيينة انه قال : فريضة على جماعتهم ، ويجزىء فيه بعضهم عن بعض وتلا هذه الآية : « فَالْوَلَا نَقَرَمِنْ كَلِّ فَرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ » .

ثم اورد ابن عبد البر جملة من المسائل الواجبة وجوبا عينيا ، وجملة من الواجبات الكفائية ، ونحن لا نرى لزوما للتفصيل فانه يلوح من كلام الأئمة المتقدم أن طلب العلم على وجهين : أحدهما الاشتغال بتحصيل مسائله والانتطاع الى تعلم قواعده . وهذا هو الواجب كفاية . وثانيهما السؤال عن حكم ما نزل به من امر دينه واستفتاء أهل العلم فيه وهذا واجب عينا فاحفظ هذا الضابط واعتبر به مسائل دينك يسهل عليك الفرق بين ما هو واجب على عموم المسلمين يسقط عنهم بوجود عالم بينهم ، وما هو واجب عليك في خاصة نفسك لا تبرأ منه ذمتك الا بمعرفته (١) .

٣ - براءة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

ممن غير دينه

روى مالك في الموطأ ، وروى غيره أيضا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، واننا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنني قد رأيت اخواننا . فقالوا : يارسول الله ، ألسنا باخوانك ؟ قال : كلا انتم أصحابي . واخواننا الذين لم يأتوا بعد . وانا فرطهم على الحوض .

(١) الصراط : السنة الاولى العدد ١٢ يوم الاثنين ١٦ شعبان ١٣٥٢ هـ ٤ ديسمبر ١٩٣٣ م ، ص ١ ع ١ و٢٠٢ ص ٢ ع ١

فقالوا : يارسول الله ، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال :
 رأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم الا يعرف خيله ؟
 قالوا : بلى يارسول الله ، قال : قال يأتون يوم القيامة غرا محجلين من
 أثر الوضوء . وأنا فرطهم على الحوض . فليذادن رجال عن حوضي
 كما يذاد البعير الضال . أناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم : فيقال انهم
 قد بدلوا بعدك ؟ فأقول : فسحقا فسحقا فسحقا » .

تصليق :

قد اتينا هذه المرة بحديث فيه طول . ولكن ما فيه من الفوائد
 نعتقد انه يكون حافزا للقارئ الى حفظه . وليس حفظ الحديث
 الجليل بكثير على همة المستفيدين .

وفوائد هذا الحديث أولاها : جواز زيارة القبور ، غير ان الجواز
 مقيد بكونها على الصفة التي وقعت من رسول الله — صلى الله عليه
 وآله وسلم — ومن أصحابه — رضوان الله عليهم — . وصفة الزيارة
 في هذا الحديث مركبة من ثلاثة أشياء : أحدها حق الدعاء للموتى ،
 ثانيها الاعتبار بحالهم ، ثالثها دعاء الزائر لنفسه بحسن الخاتمة .
 الأول مستفاد من جملة السلام عليكم . والثاني مستفاد من جملة وإنما
 بكم لاحقون . والثالث مستفاد من جملة إن شاء الله . فقد قال
 ابو القاسم الجوهري معناه : « لا تبدل ولا نغير ، نموت على ما مت
 عليه ان شاء الله تعالى » نقله الباجي في شرح الموطأ .

الفائدة الثانية : تسميته — صلى الله عليه وآله وسلم — لمن لم يره
 من أمته باخوانه . فنحن من أخوانه — صلى الله عليه وآله وسلم —
 وكفى بهذه النسبة شرفا . فما على المسلم الا أن يعمل بسنة نبيه
 — صلى الله عليه وآله وسلم — حتى تتحقق فيه هذه النسبة . وليس
 من الأدب ومن الايمان ان يستضعف المسلم هذه النسبة ويحاول

تقويتها بنسبة أخرى الى شخص آخر ككونه خوني فلان او حبيبه او درويشه (١) .

وعدم تسميته — صلى الله عليه وآله وسلم — لأصحابه بالاخوان يدل على فضل الصحبة وان لها مزية زائدة على مطلق الاخوة . وهذا لا خلاف فيه .

الفائدة الثالثة : عنايته — صلى الله عليه وآله وسلم — بأمنته في الآخرة كما كان حريصا على هدايتهم في الدنيا يدل لهذه العناية قوله : وانا فرطهم على الحوض . قال الباجي في شرحه : يريد انه يتقدمهم اليه ويجدونه عنده . رواه ابن حبيب عن مالك . يقال فرطت القوم : اذا تقدمتهم لترتاد لهم الماء وتهيء لهم الماء والرشاء .

الفائدة الرابعة : ان عنايته — صلى الله عليه وآله وسلم — بأمنته في الآخرة خاصة بالثابتين على سنته منهم ، فأما المبتدعون الذين بدلوا سنته وأحلوا محلها بدعتهم فانه — صلى الله عليه وآله وسلم — يبعدهم عنه بقوله : فسحقا فسحقا فسحقا .

ثم هذا الابعاد معناه الحرمان من ماء الحوض في وقت شدة الحاجة اليه . فان كان الابتداع والتبديل بالمروق من الدين فالابعاد حرمان من الشفاعة أيضا ، ويبقى ذلك المبتدع مخلدا في النار وان كان الابتداع لا يخرج من الدين ، فالابعاد عن الحوض لا يمنع المبتدع أن تناله الشفاعة، غير ان في الابعاد عن الحوض عذابا بالظما وخزيا بالطرده .

نسأل الله ان يحيينا على سنة رسوله الكريم وان لا يحرمننا من ماء حوضه العذب ولا من شفاعته المرجوة (٢) .

(١) خوني وحبيب ودرويش مترادفة معناها : مرید .

(٢) الصراط : السنة الاولى العدد ١٣ يوم الاثنين ٢٣ شعبان ١٣٥٢ هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩٣٣ م ، ص ١٤ و ١٥ و ٣ بقية ص ٢ أسفلها . ص ٢ أسفلها .

٤ - الترغيب في الذكر

قال الحسن البصري وابو العالية والسدي والربيع بن انس :
« ان الله يذكر من ذكره ويشكر من شكره ويعذب من كفره »
نقله الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ : ٣٦٠) .

تصليق :

الأحاديث والآثار في فضل الذكر والترغيب فيه كثيرة ، وليس فيها
على كثرتها ما يدل على احتياج الذاكر الى اذن في ذكره من غيره .
وليس فيها على كثرتها ما يدل على ان الله قد نصب بعض عباده لاعطاء
الاذن في ذكره لمن يريد .

فاذكروا الله ايها المؤمنون . ولا تتخذوا وسطاء بينكم وبين الله في
الاذن بالذكر ولا في قبوله . وما اصدق قول الناس : « باب الله
ما عليه بواب » .

٥ - ما هو الذكر ومن هو التذاكر ؟

عن خالد بن أبي عمران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
« من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن .
ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » .
أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الايمان ،
نقل ذلك السيوطي في الدر المنثور (١ : ١٤٩) .

وعن سعيد بن جبير انه قال في جواب مسائل سأله عنها عبد الملك
ابن مروان :

« وتسأل عن الذكر فالذكر طاعة الله . فمن أطاع الله فقد ذكر الله ،

- ومن لم يطعمه فليس بذاكر وأن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن »
- نقله ابن غيلان في شرحه على حلية الأبرار للنووي (١ : ١٥)

تمليق :

قد جمعنا بين الحديث المرفوع والأثر الموقوف على سعيد بن جبير من كبار علماء التابعين لاتحادهما في المعنى وورودهما على غرض واحد، وقدمنا الحديث لأنه الأصل ، وأخرنا الأثر لأنه الفرع الشاهد المقوي لسند ذلك الحديث ..

وقوله في الحديث : وان قلت صلاته ... الخ • يريد صلاة التطوع وصيام التطوع ، اما من قلت صلاته الواجبة أو صيامه الفرض فائمه عاص لا يوصف بالطاعة •

وبهذا الحديث وذلك الأثر تعلم المراد من الآيات الآمرة بالذكر • كقوله تعالى : « فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَ كُمْ » وقوله : « إِذْ كُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » • فليس المراد من الذكر في أمثال هاتين الآيتين خصوصاً الذكر اللساني • بل المراد الطاعة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وصدقة وتلاوة قرآن وتسييح وتحميد وتهليل وغير ذلك • فان المطيع انما اطاع الله لكونه ذكره بقلبه او بلسانه •

وغرضنا من تقديم هذين الحديث والأثر الى القراء أن يعلموا أولاً : ان معنى الذكر أوسع مما يتخيلون ، وان بعض من يعدونهم من العباد في غير الذاكرين هم في عرف الشرع من الذاكرين •

وان يعلموا ثانياً : ان ما عليه كثير من العوام من الاعتماد على السبج^(١) دون الطاعة هو غرور في غرور وان كثيراً ممن يعد نفسه ويعده الناس من الذاكرين هو في عرف الشرع من العاقلين •

(١) كذا في الأصل ولعله : التسبيح •

فيا أيها المسلمون تثبتوا في الحقائق الشرعية واطلبوا تفسيرها من صاحب الشريعة أو ممن قرب زمنه من زمنه • ولا تعتمدوا في فهم حقائق دينكم على عرفكم وعاداتكم فإن الجهل بالسنة وخروج امر العامة من يد العاملين بها مما ابتليت به الأمة الإسلامية قديما •

٦ - هل ينفع الذكر

مع تصدي حدود الله ؟

عن أبي هند الداري عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
« قال الله اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي فمن ذكرني وهو مطيع فحق علي ان اذكره بمغفرتي ، ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي ان اذكره بمقت » •

أخرجه الديلمي وابن عساكر • ونقله السيوطي في الدر المنثور
(١ : ١٤٨) •

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - انه قيل له : أرأت^(١) قاتل النفس وشارب الخمر والزاني يذكر الله ، وقد قال الله : فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ؟ قال : « اذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت » •

أخرجه عبد الله بن حميد وابن ابي حاتم نقله في الدر المنثور
(١ : ١٤٩)

تعليق :

ان في ذلك الحديث وهذا الأثر لذكرى لقوم يؤمنون • كثيرا ما يعظ المسلم أخاه وينكر عليه تكاسله في الواجبات ونشاطه في المنهيات فيجيبه بقوله ان الله غفور رحيم ، أو نحن أخذنا الورد عن

(١) كذا في الأصل وصوابه : أرأيت •

سيدي فلان وقد ضمن لمن يذكر ورده الجنة . فليعلم المسلمون ان
ذكر الله على هاته الصفة ونحوها مما يوجب مقت الله ولعنته .
أيها المسلمون من وعظ منكم فليتعظ ، ومن نهى عن منكر فلينته .
ومن امر بمعروف فليأتمر (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم
تفلحون)^(١) .

٧ - الحث على القرآن

عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه
وآله وسلم - :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخاري في كتاب
فضائل القرآن .

تعليق :

قد تقاصرت همم المسلمين في هذه المدة الأخيرة عن تعليم القرآن
وتعلمه . فقل الحافظون له ؛ فعلى كل من نصب نفسه لارشاد المسلمين
في دينهم أن يحثهم على العناية بحفظ كتاب ربهم ، وعلى الكتاب أن
يطرقوا هذا الموضوع الكثير النواحي . هذا يأتيه من ناحية فضيلة
القرآن وذلك من ناحية اختيار المعلمين وما هي الصفات المطلوبة فيهم ؟
والآخر من ناحية اسلوب التعليم وما هو الأقرب الى التحصيل من أي
الأساليب ؟ ورابع من ناحية تحسين حال المعلمين وتوفير أجرتهم ، وكل
من هذه النواحي يلزم ان تتعدد فيها الكتابة حتى تحدث تأثيرا في
المجتمع وتكون رأيا عاما في الموضوع . وحسبنا في هذا الباب باب
الآثار والأخبار ما أرشدنا اليه .

(١) الصراط : السنة الاولى العدد ١٤ يوم الاثنين ١ رمضان
١٣٥٢ هـ ١٨ ديسمبر ١٩٣٣ م ، ص ١ ع ١ و ٢ و ٣ ص ٢ ع ١

والحديث صريح في فضل من جمع بين تعلم القرآن وتعليمه لغيره وانه خير من غيره ، وانما ثبتت له هذه المزية لأن المراد من متعلمه من حفظه وفهمه وعمل به والمراد من معلمه من يلقيه غيره ويفسره له ويرشده الى العمل به . واذا كان هذا النوع الممدوح في الحديث المفضل على غيره بشهادة الصادق المصدق مفقودا من بيننا أو كالمفقود ، فالواجب علينا السعي في تكوينه ولهذا دعونا الكتاب الى العناية بهذا الموضوع .

قال الحافظ ابن حجر في بيان وجه خيرية معلم القرآن ومتعلمه :

« ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره ، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى . ولهذا كان أفضل . وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله :

« وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . والدعاء الى الله يقع بأمر أو شتى من جملتها تعليم القرآن وهذا أشرف الجميع » .

هذا كلام ابن حجر . ثم أفاد أن ليس المراد بهذا الحديث من كان قارئاً أو مقرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرأه أو يقرئه .

٨ - الاعتصام بكتاب الله

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول :

((أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بملك ! قال : فقلت له : فابن المخرج يا جبريل ؟ قال : فقال : في كتاب الله . به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك (مرتين) قول فصل

وليس بالهزل . لا تخلقه الألسن ولا تفني عجائبه . فيه نبأ من كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم » .

أخرجه الامام أحمد . نقله الحافظ ابن كثير أوائل كتابه فضائل القرآن الذي ختم به تفسيره .

تعليق :

صدق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد وقع الاختلاف . وقد دعونا الناس الى المخرج وهو كتاب الله وسنة رسوله الميينة له . فقال المعاندون ما قالوا الا من كان يؤمن بأن محمدا رسول الله فليمتثل ارشاده . وقد أرشدنا الى المخرج من هذا الاختلاف فلنعمل بارشاده وهدانا الى طريق الحق عند الالتباس فلنهنده .

وقد وصف الله كتابه بقوله : « هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ » فهو هدى بين واضح لا يلتبس على مديد الحق التماس الهدى منه .

واذا كانت طباعنا العربية وسلائقنا في فهم لسان العرب قد حالت وفسدت وصعب علينا أو تعذر فهم كلام ربنا ، فإن في تعلم اللغة العربية وعلومها ما يجعل لنا سلائق مكتسبة ، وان فيما كتبه أئمة التفسير قبلنا ما يجبر نقص السليقة الكسبية عن السليقة الفطرية .

وقد أوصل الجهل بكتاب الله بعض أذعياء العلم الى أن جعلوا الدعوة الى توحيد الله ونبذ ضروب الشرك طريقة خاصة بابن تيمية على معنى انها بدعة حصلت بعد انعقاد الاجماع ! فمن سلك هذه الطريقة فقد عرض دينه للخطر ! ولو نظروا في كتاب الله وتأملوه لوجدوا جل آياته دعوة الى التوحيد ونبذ الشرك .

واذا ذكرت لهم هذا قالوا : تلك آيات نزلت في مشركي مكة ،

آثار واخبار

فكيف تطبقونها على من يشهد الشهادتين . وهذا نوع آخر من جهالاتهم وتلييس ابليس عليهم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد قال تعالى :

« وَأَوْحِيْ اِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ »
قال المفسرون معناه من بلغه القرآن فتخصيص انذاره بمشركي مكة تعطيل للقرآن .

قال الغزالي في الاحياء :

« وينبغي للتالي أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن .
فان سمع أمراً أو نهياً قدر انه المنهي والمأمور . وكذا ان سمع وعدا أو وعيدا . وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار .
قال تعالى : « وَكَلِمَةً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فِتْوَادَكَ » وقال تعالى : « هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » وقال : « وَأَوْحِيْ اِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » . قال محمد بن كعب القرظي :

« من كلمه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل » أ.هـ كلام الغزالي (١) .

٩ - مدح الصائم بالقرآن

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - :

(١) الصراط : السنة الاولى العدد ١٥ الاثنين ٨ رمضان ١٣٥٢ هـ
٢٥ ديسمبر ١٩٣٣ م ، ص ١ ، ع ١٥٢ و ٣ ، ص ٢٠١ و ١٢٠ من الثاني أسفله .

« المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب . والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ربح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالخنظل طعمها مر وريحها مر » .
رواه البخاري ومسلم وغيرهما

تعليق :

جعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - طيب الطعم دائرا مع العمل . وجعل طيب الرائحة صفة التلاوة . والمجدي على المرء هو عمله . أما التلاوة وحدها لا تجدي ، فالمنافق يتلو القرآن ولكنه في الدرك الأسفل من النار .

وقد دل الحديث على أن العمل بالقرآن درجتين^(١) أعلاهما الجمع بين التلاوة والعمل . ودل على أن المخالفة لأوامره ونواهيه دركتين^(٢) أدناها الجمع بين الأعراض عن حفظه والاضراب عما دعا إليه .

والعمل بالقرآن يقتضي فهم معانيه وكذلك كان المخاطبون بهذا الحديث فإن القرآن بلغتهم نزل . ولهذا لم يقل في الحديث :

« المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به » لأن ذكر الفهم لأولئك المخاطبين حشو ، تتحاشى عنه البلاغة النبوية .

فيا أيها القراء المؤمنون تطلبوا معاني ما تقرأون واعملوا بما تفهمون كي تكونوا أترجة ، ويا أيها المؤمنون الأميون اسألوا أهل الذكر والعلم بكتاب ربكم وتحروا العمل بما دعاكم إليه كي تكونوا ثمرة .

وقد دلت مقابلة القارئ العامل بالقارئ المنافق على تسمية من يخالف ما يقرأه منافقا والمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهم

(٢٠١) كذا في الاصل وصوابه : درجتان ، دركتان .

أخس صنوف الكفار • ولكننا نجد من الناس من لا يختلف في إيمانه
ثم هو يخالف ما يقرأه • وقد قال العلماء : ان هذا النوع من المؤمنين
يسمي نفاقهم نفاق عمل لا نفاق كفر • ويسمون منافقين مجازا لان فيهم
خصلة من خصالهم وهي مخالفة للأوامر •

فالقارىء ان لم يعمل بما يقرأه فهو منافق حقيقة أو مجازا •
أعاذنا الله وإياكم من النفاق حقيقته ومجازه وجعلنا ممن يتلو كتابه
عالما بمعانيه عاملا بما يفهمه منه •

١٠ - ذم الباهي والمتعیش بالقرآن

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله
عليه وآله وسلم - :

« تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به
النيا . فان القرآن يتعلمه ثلاثة نفر : رجل يباهي به ورجل يستاكل
به ورجل يقرأه لله » •

رواه أبو عبيد في فضائل القرآن وصححه الحاكم ، نقله الحافظ
في فتح الباريء (٩ : ٨٢) •

تعليق :

حديث أبي سعيد أخرجه الامام أحمد بلفظ آخر وفي آخره :
« ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر » وفسر الراوي عن أبي سعيد
الفاجر بمن يتاكل بالقرآن ، فقوله في رواية أبي عبيد (ورجل يستاكل
به) بمعنى الفاجر في رواية الامام أحمد ، ويكون حينئذ قوله في
رواية أبي عبيد (رجل يباهي به) بمعنى قوله في الرواية الاخرى
(ومنافق) •

وقد دل الحديث على ذم المباهي بتلاوته • وكثيرا ما يقصد قراء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم ، ولا سيما اذا كانوا يتلون مجتمعين بصوت واحد ، فليحذر من يجد هذا من نفسه ، وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب وتستنسلم إليها الجوارح •

ودل أيضا على ذم المسترزق بالقرآن وكثير من قراء زماننا لا يقصدون من حفظه الا التوسل به للتلاوة على الموتى باجرة ونحو ذلك من الاغراض الدنيوية المحضه •

ولا يتناول هذا الذم من يأخذ الاجرة على تعليم القرآن اذا كانت في مقابلة تعب وشغل وقته ، ولم يتخذ تعليمه صناعة من الصناعات المادية المحضه بل على هذا المعلم - ان أراد السلامة من ذلك الذم - أن يكون هو نفسه عاملا بكتاب الله وان يقصد من تعليمه الدعوة الى العمل به •

١١ - الغاية من قراءة القرآن

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - انه كان يقول :

« انزل عليهم القرآن ليعملوا به ، فاتخذوا درسه عملا • ان احدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به » •

نقله الثعالبي في تفسيره (١ : ٩)

تعليق :

ذم ابن مسعود من اتخذ تلاوة القرآن عملا • فكيف حال من آجر نفسه للتلاوة وباع عمله ذلك ؟

وللفقهاء خلاف في حصول الأجر لمن يقرأ القرآن من غير فهم ولا

تأمل • وهذا اذا قصد التالي بتلاوته وجه الله تعالى لان الاخلاص شرط شرعي لترتيب الثواب الاخروي فهل هذا الذي يتلو القرآن من غير فهم باجرة مخلص لله في تلاوته حتى يختلف في اثابته على التلاوة ؟ وقد فتحنا بابا للبحث في موضوع « الفداوي »^(١) والليبي يكفيه ما اقتصرنا عليه^(٢) .

١٢ - معنى ليلة القدر

قال الشوكاني :

« قيل : سميت ليلة القدر لأن الله سبحانه وتعالى يقدر فيها ما شاء من أمره الى السنة القابلة ، وقيل : لعظيم قدرها وشرفها ، وقيل : لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا . وقال الخليل : لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى :
« وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ - أي ضيق - » .
تفسير الشوكاني (٥ : ٤٥٩) •

تعليق :

هذا كلام الشوكاني حذفنا منه كلمات قليلة لا تؤثر في فهم الرأي • والأقوال الثلاثة ، الأول ذكرها أيضا محي السنة ابو محمد البغوي في تفسيره • ولا أرى مانعا من صدق هذه الأقوال مجتمعة ، فهي ليلة قدر

(١) هو الذي يقرأ على الموتى •

(٢) الصراط : السنة الاولى العدد ١٦ الاثنين ١٥ رمضان ١٣٥٢ هـ
١ جانفي ١٩٣٤ م ، ص ١ ، ع ١٥٢ و ٣ ، ص ٢ ، ع ١

بمعنى تقدير الأرزاق والآجال وغيرها لوقوع هذا التقدير فيها ، وهي ليلة قدر وشرف لنزول القرآن فيها . وللطاعات فيها قدر وفضل على الطاعات في غيرها ، وهي ليلة تكثر فيها الملائكة بالارض كثرة لا تكون في غيرها لقوله تعالى : « تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا » . وعلى تفسير القدر بمعنى تقدير أمور الخلق يقال : كيف يتجدد هذا التقدير كل سنة وقدر الله أزلي ؟ وقد نقل البغوي جواب هذا السؤال في تفسيره فقال :

« قيل للحسن بن الفضل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : نعم . قيل : فما معنى ليلة القدر ؟ قال : سوق المقادير التي خلقها الى المواقيت تنفيذاً للقضاء المقدر » .

وقد استبان من هذا أن الليلة التي تقدر فيها أمور الخلق هي الليلة التي قال الله فيها : « خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » . وسماها في آية الدخان مباركة اذ قال : « إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » . فليلة القدر والليلة المباركة اسمان لليلة واحدة ، هي ليلة أنزال القرآن . وهذه الليلة في رمضان لقوله تعالى : « شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » . وليست في شعبان كما يظنه العوام الذين يفرقون^(١) بين ليلة القدر والليلة المباركة ويعتقدون اعتقاداً مخالفاً للقرآن ، ان الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان ، وبعض العوام يسمون ليلة النصف من شعبان « ليلة قسام الأرزاق » ولهم في هذه الليلة خرافات يبنونها على أساس الجهالات . وغرضنا من هذا التنبيه ارشاد المسلمين الى معرفة هذه الليلة معرفة صحيحة كما نطق الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وبهذه المعرفة على هذا الوجه تتطهر عقولهم من خرافات وتزول عنهم جهالات .

(١) في الاصل : يفوقون .

١٣ - معنى خيرية ليلة القدر

عن أنس قال :

« العمل في ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة أفضل من ألف شهر »

أخرجه عبد الله بن حميد ، نقله في الدر المنثور (٦ : ٣٧٠) •

تعليق :

يُشَنُّ هذا الأثر - وفي معناه آثار كثيرة - ان خيرية ليلة القدر راجعة الى تفضيل الطاعة فيها والعمل الصالح على غيرها من الليالي والايام •

وهذا يفيد ان المسلم الذي يتطلب ليلة القدر انما يتطلبها ليعمل صالحا ويجد في العبادة ، فالمؤمن انما يطلبها للدين لا للدنيا ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة - رضي الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال :

« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » •

١٤ - الدعاء ليلة القدر

عن عائشة - رضي الله عنها - انها قالت : يا رسول الله ، ان وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال قولي :

« اللهم انك عفو تحب العفو ، فاعف عني » •

رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم • نقله ابن كثير في تفسيره (٩ : ٢٦١) •

تعليق :

ليلة القدر من أوقات الاستجابة فينبغي للمؤمن أن يكثر فيها من

الدعاء ولهذا سألت عائشة - رضي الله عنها - عن صيغة تدعو بها تلك الليلة . وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لزوجته الكريمة عليه صيغة الدعاء ، فيتعين أن يكرر المسلم هذا الدعاء ليلة القدر وأن يفضله على ما سواه لانه لفظ أفضل الخلق الذي علمه لأحب زوجاته .

ثم هذا يؤكد ما قدمناه من ان ليلة القدر تراد للدين لا للدنيا ، وكثير من العوام يتمنى لو يعلم ليلة القدر ليطلب بها دنياه فليتب الى الله من وقع له هذا الخاطر السيء . فان الله يقول في كتابه العزيز :

« مَنْ كَانَ يَرْيِدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يَرْيِدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوِّتْ مِنْهَا وَمَا لَكُمُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » . وكثير من العوام يعتقدون في بعض البيوتات الغنية أن مؤسس ذلك البيت رأى ليلة القدر فسأل الله أن يجعل ماله ونسله خيرا من مال الناس ونسلهم فكان ذلك ثم يجعلون هذه الميزة الدنيوية دليل^(١) على ولاية ذلك الداعي وصلاح ذريته .

وحديث عائشة - رضي الله عنها - وآية من كان يريد حرث الآخرة وما في معنى ذلك من الآيات والآثار شاهدة بفساد ذلك الاعتقاد وضلال تلك الافكار ، وان الفرق بين التقي والفاجر هو الاقبال على الآخرة أو الاقبال على الدنيا .

ولسنا ننكر على من يطلب الدنيا بأسبابها التي جعلها الله تعالى وانما ننكر على من يكون همه الدنيا دون الآخرة حتى انه يترصد ليلة القدر ليطلب فيها الدنيا غافلا عن الآخرة . ثم يعتقد ان من نال ثروة دنيوية بغير أسباب ظاهرة ليديه فانما ذلك لولايته ودعائه ليلة القدر! .

(١) كذا في الاصل وصوابه : دليلا .

١٥ - علامات ليلة القدر

عن ابن عباس : ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال في ليلة القدر :

« ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » .

أخرجه ابو داود الطيالسي نقله ابن كثير (٩ : ٢٥٧)

تعليق :

الأحاديث في تعيين ليلة القدر كثيرة متضاربة ، والصحيح انها في رمضان . والراجح انها في العشر الأواخر منه .

وهذه العلامات التي ذكرها الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ليلة القدر ليس فيها ان السماء تنشق وانه يظهر فيها ألوان من نور كل نور له لون خاص الى غير ذلك من خرافات العوام .

وان مما يؤسف المؤمن ان الأوقات المفضلة في ديننا قد غمرناها بالخرافات وصرفنا نفوسنا عما يراد فيها من الطاعات ، فحرمانا من خير كثير وقلما تجد ولياً صالحاً أو وقتاً فاضلاً ألا وهو محاطا بخرافات تعين ابليس على ابراز قسمه في الاغراء . وتقف حجر عثرة أمام الداعي المرشد الى الصراط المستقيم . وان مما يؤسف المؤمن ان هذا الشهر ، شهر رمضان ، الذي جمع الله لنا فيه بين الصيام والقيام ، وأودع فيه أفضل ليالي العام يقطعه أكثرنا في اللهو والقمار والنوم والشجار .

أيها المسلمون : طهروا عقولكم من الخرافات ونوروا قلوبكم بالطاعات ، واتهزوا فرصة الأوقات المفضلات ، ولا تهملوها فتعود عليكم بالحسرات .

اللهم صلي على من أنزلت عليه « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » (١) .

انتهى بحمد الله الجزء الثاني من المجلد الأول
ويليه الجزء الأول من المجلد الثاني

(١) الصراط : السنة الاولى العدد ١٧ الاثنين ٢٢ رمضان ١٣٥٢ هـ
٨ جانفي ١٩٣٤ م ، ص ١ ع ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠

الفهارس العامة

الجزء الأول - المجلد الأول

- الآيات المفسرة
- الآيات المستشهد بها
- الأحاديث المستشهد بها
- رجال السند
- رجال الاعلام
- الأمثال
- الأماكن والبلدان
- الكتب والمراجع والتوريات
- الموضوعات

فهرس الآيات المفسرة

الجزء الأول

يشير الرقم الأول الى الآية والرقم الثاني الى السورة . وعند الرجوع الى المصحف يكون رقم السورة في اول كل سورة ، ويكون رقم الآية في اول كل آية . وقد اوردنا آيات القرآن المجيد في هذا الفهرس بدون تشكيل ، لانه عند الرجوع الى الآية في متن الكتاب يجدها القارىء تامة الشكل .

الصفحة

حرف الالف :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . . .
١٨١
(١٦/١٢٥)

« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » .
٣٠٨
(١٧/٧٨)

« إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما »
٤٧٥
(٢٥/٧٠)

الصفحة

« الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شرّ مكاناً وأضلّ سبيلاً »
٤٢٢ (٢٥/٣٤)

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودياً »
٣٤١ (٩٨/٩٧)

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور »
٣٥٨ (٢٢/٣٨)

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ، لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »
٣٦٨ (٢٤/٦٣ و ٦٢)

« أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً »
٤٩٨ (٢٥/٧٦ و ٧٥)

حرف التاء :

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيراً . الذي له ملك السموات والارض
ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق
كل شيء فقدره تقديرا »

٣٧٧

(٢٥/٢١)

حرف الراء :

« ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين
فانه كان للأوابين غفورا »

٣٣١

(١٧/٢٥)

حرف الفاء :

« فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً »

٢٤٧

(٢٥/٥٢)

حرف القاف :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
لكشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك
كان محذورا »

٢٨٧

(١٧/٥٦ و ٥٧)

الصفحة

- « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض
 إنه كان غفوراً رحيماً »
 ٣٨٣ (٢٥/٦)
- « قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم
 فسوف يكون لزاماً »
 ٥٠٢ (٢٥/٧٧)
- « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا
 ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »
 ١٧٤ (١٢/١٠٨)

حرف الكاف :

- « كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان
 عطاء ربك محظوراً أنظر كيف فضلنا بعضهم على
 بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً » .
 ٢٠٩ (١٧/٢١ و٢٠)

حرف اللام :

- « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
 بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا
 فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
 أو يصيبهم عذاب أليم »
 ٣٧٢ (٢٤/٦٣)

الصفحة

« لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً
مخدولاً »
١٨٣ (١٧/٢٢)

« لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً
مخدولاً »
٢١٥ (١٧/٢٢)

حرف الميم :

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموماً مدحوراً .
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فأولئك كان سعيهم مشكوراً »
١٩٩ (١٧/١٩ و ١٨)

حرف الواو :

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين
وكفى بربك هادياً ونصيراً »
٤١١ (٢٥/٣١)

« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه
وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً »
٣٨٣ (٢٥/٤)

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً »
٤١٣ (٢٥/٣٢)

الصفحة	
٣٨٣	« وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » (٢٥/٥)
٤١٩	« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » (٢٥/٣٣)
٤٢٢	« الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا » (٢٥/٣٤)
٤٢٥	« ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا » (٢٥/٥١)
٤٣١	« وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » (٢٥/٦٢)
٤٣٥	« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » (٢٥/٦٣)
٤٤٢	« والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما » (٢٥/٦٤)
٤٤٧	« والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما » (٢٥/٦٦ و٦٥)

الصفحة

- « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما »
٤٦٤ (٢٥/٦٧)
- « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق آثاما »
٤٦٧ (٢٥/٦٨)
- « ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب
يوم القيامة ويخلد فيه مهانا »
٤٧٢ (٢٥/٦٩ و ٦٨)
- « ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله
متابا »
٤٨٠ (٢٥/٧١)
- « والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
مروا كراما »
٤٨٢ (٢٥/٧٢)
- « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرشوا عليها
صماً وعميانا »
٤٨٧ (٢٥/٧٣)
- « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما » . . .
٤٩١ (٢٥/٧٤)

الصفحة

« ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك
 وحيه وقل رب زدني علما »
 ٣٤٦ (٢٠/١١٤)

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض
 يرثها عبادي الصالحون »
 ٣٥٠ (٢١/١٠٥)

« وقال الذين كفروا ان هذا إلا إفك افتراه
 وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً .
 وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه
 بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في
 السموات والارض انه كان غفورا رحيماً » .
 ٣٨٣ (٢٥/٦-٤)

« ولا تمس في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض
 ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند
 ربك مكروها . ذلك مما أوحى اليك ربك من
 الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جحيم
 ملوماً مدحوراً »
 ٢٦٥ (١٧/٣٩-٣٧)

« وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان
 ينزغ بينهم ان الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً .
 ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم
 وما أرسلناك عليهم وكيلاً »
 ٢٨٢ (١٧/٥٤ و٥٣)

الصفحة

- « وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب
مسطوراً » ٢٩٤
(١٧/٥٨)
- « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلاً » ٣٠١
(١٧/٧٠)
- « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك مقاماً محموداً » ٣١٤
(١٧/٧٩)
- « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » ٣٢٧
(١٧/٨٢)
- « واذا أنعمنا على الانسان أعرض وناً بجانبه
واذا مسه الشر كان يؤسا قل كلٌ يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً » ٣٣٥
(١٧/٨٤ و ٨٣)
- « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق » ٣٨٨
(٢٥/٢٠)
- ٣٤٣

الصفحة

« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان
ربك بصيرا »
٣٩٦ (٢٥/٢٠)

« ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم
أخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد
إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا » . .
٤٠١ (٢٥/٢٩-٢٧)

« وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجورا »
٤٠٦ (٢٥/٣٠)

« وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
وتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء
فصلناه تفصيلا »
١٩٣ (١٧/١٢)

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» . . .
٢٢٢ (١٧/٢٤و٢٣)

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أفٌ ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » • • •

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا • ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا • وإما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل
لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى
عقنك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
ان ربك ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان
بعباده بصيرا » • • • • •

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى
يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا •
وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم
ذلك خير وأحسن تأويلا » • • • • •

« ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم
وإياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ولا تقربوا الزنى
انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس

الصفحة

التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا»
٢٥١ (١٧/٣٣-٣١)

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » . . .
٢٦٥ (١٧/٣٦)

« وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » . . .
٣١٩ (١٧/٨٠)

حرف الياء :

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثيره قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »
١٦٤ (١٦ - ١٨ / ٥)

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم »
٣٦٣ (٢٣ / ٥١)

فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها

الجزء الأول

الصفحة

حرف الألف :

- « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم » ١١
- « الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى
وكانوا لا يستطيعون سماعاً » ١٣١
- « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ١٣٢
- « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر
الله أكبر » ١٣٢
- « إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي
حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين
وأن أتلو القرآن » ١٤٠
- « إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي
حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين
وأن أتلو القرآن » ٣٨٠
- ٣٤٧

- « ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور
رحيم » ١٨٦
- « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما
يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » ١٨٦
- « إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو
أعلم بالمهتدين » ١٩٢
- « أذلة على المؤمنين » ٢١٩
- « أفأريت من اتخذ إلهه هواه » ٢٢٠
- « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من
دون الله » ٢٢٠
- « اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من
دون الله » ٤٧٠
- « أمن يجب المضطر إذا دعاه » ٢٢٠
- « إذ تستغيثون ربكم » ٢٢٠
- « أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير » ٢٢٢
- « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ٢٣٤
- « إن تكونوا صالحين » ٢٣٤

الصفحة

- ٢٣٦ • « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »
- ٢٦١ • • • • « إن العهد كان مسؤولاً »
- ٢٦٢ • • • • « إن العهد كان مسؤولاً »
- ٢٩٩ « إلاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين »
- ٣٠١ • • • « إني ألقى إليّ كتاب كريم »
- ٣٢٢ • • • • « إهدنا الصراط المستقيم »
- ٤٥٧ • • • • « إهدنا الصراط المستقيم »
- ٣٤٧ • • • • « إن علينا جمعه وقرآنه »
- « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
٣٥٥ • • • • • « والعاقبة للمتقين »
- ٣٨١ « إتبِعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون »
- ٣٨٢ « إتبِعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون »
- ٣٩٠ • • • • • « أتؤمن لبشرين مثلنا »
- ٣٩٢ « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس »
- ٣٩٢ • • • « الله أعلم حيث يجعل رسالة »

- « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على
 من يشاء من عباده » ٣٩٢
- « إنما يتقبل الله من المتقين » ٣٩٤
- « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .
 « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
 وهم لا يفتنون » ٣٩٦
- « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ٣٩٦
- « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »
 ٤٠٥
- « أساطير الأولين اكتتبها » ٤٢٠
- « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرشوا
 سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون،
 تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
 خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم
 نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
 يعملون » ٤٤٨
- « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرشوا
 سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون،
 تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
 خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم
 نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
 يعملون » ٤٤٩

« الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا
ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار »
٤٤٩

« أفمن يعلم إنما انزل إليك من ربك الحق
كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين
يوفون بعهده الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم
ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء
وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سراً وعلانية ويدروون بالحسنة السيئة أولئك
لهم عقبى الدار »
٤٥٠

« إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ،
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم
بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون ، أولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .
٤٥١

« أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه إن عذاب ربك كان محذورا » . .
٤٥٦

« أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه إن عذاب ربك كان محذورا » . .
٤٥٧

الصفحة

- ٤٥٧ « إياك نعبد وإياك نستعين »
- ٤٥٨ « إياك نعبد وإياك نستعين »
- ٤٥٨ « اعملوا آل داود شكراً »
- ٤٥٨ . . « إن إبراهيم كان أمةً قانتاً حنيفاً »
- ٤٥٨ « أن أشكر لي ولوالديك »
- ٤٥٩ « إذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود »
- ٤٥٩ « إنما نطعمكم لوجه الله »
- ٤٨٣ « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والأرض بالحق ولنجزى كل نفس ماكسبت وهم لا يعلمون »

حرف الباء :

- ٣٥١ . « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ »

حرف التاء :

- ٤٤٣ « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً »

حرف الثاء :

« ثم إن علينا بيانه » ٣٤٧

حرف الجيم :

« جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » ٣٢٤

حرف الحاء :

« حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا بالله قاتنين » ٢٣٣

« الحمد لله رب العالمين » ٣٣٢

حرف الذال :

« ذرية من حملنا مع نوح » ٣٠٢

« ذلك الكتاب لا ريب فيه » ٤٤٤

حرف الراء :

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً » ١٢٦

« ربكم أعلم بما في نفوسكم » ٢٣٣

« رب أوزعني أن اشكر نعمتك » ٤٥٨

الصفحة

حرف السين :

٤٤٠ « سلام عليك »

حرف العين :

٢٩٥ « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون »

حرف الفاء :

١٢٦ « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »

١٢٧ « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »

١٢٧ . . « فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي »

٣٨٠ . . « فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي »

٣٨١ . . « فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي »

٤٨٩ . . « فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي »

١٢٧ « فذكر إن نفعت الذكرى »

١٣٠ « فالتاليات ذكرا »

١٣٣ « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تعلمون »

الصفحة

- « فاذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ١٣٤
- « فاذكروني أذكركم » ١٣٥
- « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا » ١٦٨
- « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين » ١٦٩
- « فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا سوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم » ١٨٧
- « فانه كان للأوابين عفورا » ٢٣٥
- « فانه كان للأوابين عفورا » ٢٣٦
- « فان كنت في شك مما أنزلنا إليك » ٢٤٨
- « فلولا كانت قرية آمنت فنضعها إيمانها » ٢٩٩
- « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » ٣٤٧
- « فلن تجد لسنة الله تبديلا » ٣٥٧
- « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ٣٨٢

- « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين » ٣٩١
- « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن ، وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه
رزقه فيقول ربي أهانن كلا » ٣٩٣
- « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا »
٤٢٧
- « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء
بما كانوا يعملون » ٤٤٩
- « فان تنازعتن في شيء فردوه الى الله والرسول
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا » ٤٥٥
- « فاستبقوا الخيرات » ٤٩٥

حرف القاف :

- « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ١٠١
- « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ٢٣٣
- « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً » . . ١٣١
- « القولة التي هي أحسن » ٢٨٤

- « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى »
٣٢٩
- « قل هو الله أحد »
٣٣١
- « قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا »
٣٣٨
- « قل يا أيها الكافرون »
٣٣٩
- « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »
٣٤٥
- « قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء أن
يتخذ الى ربه سبيلا »
٣٨١
- « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى »
٣٨١
- « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم »
٣٩١
- « قل لو كان في الأرض ملائكة يشنون مطمئين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »
٣٩١
- « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إليكم
إله واحد »
٣٩٣
- « قل أنزله الذي يعلم السرفي السماوات والارض »
٤٢٠
- « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم »
٤٤٠

الصفحة

٤٧٩ « قابل التوب »

حرف الكاف :

١٨٦ « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم »

٣٨٠ « كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتتذربه »

٤٢٠ « كذلك لتثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا »

٤٩٠ « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب »

حرف اللام :

١٨٥ « لو انهم فعلوا ما يوعدون به »

٢٠٦ « ليشهدوا منافع لهم »

٢٠٦ « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »

٤٦٠ « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »

٢٤٨ « لئن أشركت ليحبطن عملك »

٣٤٧ « لا تحرك به لسانك لتعجل به »

الصفحة

- « لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون » ٢٩٥
- « لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون » ٣٥٧
- « لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة
الخبيث » ٣٩٣
- « لولا تستغفرون » ٤١٣
- « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء » ٤١٣
- « لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » ٤١٩
- « لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » ٤٢٠
- « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ٤٢٠
- « لاستغفرن لك » ٤٤٠
- « لئن شكرتم لأزيدنكم » ٤٥٨
- « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ٤٦٠
- « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » ٤٨٤

حرف الميم :

« ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » . .

١٥٦

« ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون »

١٩١

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كان يعملون »

٢٠٠

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كان يعملون »

٢٠١

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »

٢٢٩

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » . .

٢٣٤

- « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » . . . ٣٥٢
- « ما نراك إلا بشرا مثلنا » ٣٨٩
- « ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » ٣٨٩
- « ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » ٣٩٠
- « مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » ٤٢٠
- « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ٥٠١

حرف النون :

- « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل القرآن والتوراة والانجيل » . . ٤١٣
- « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل القرآن والتوراة والانجيل » . . ٤١٤
- ٣٦١

حرف الهاء :

١٢٨ « هدى للمتقين »

حرف الواو :

١١٩ . . . « وليكتب بينكم كاتب بالعدل »

١٢٦ « وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى
وما كنا ظالمين »

١٢٨ . . « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

١٢٩ . . « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره »

١٣٠ . . « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

١٣٠ « وهذا ذكر مبارك أنزلناه »

١٤٠ « وهذا ذكر مبارك أنزلناه »

١٤٠ « ولقد يسرنا القرآن للذكر »

٤٨٩ « ولقد يسرنا القرآن للذكر »

١٤٦ « وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »

١٦٨ « وأنزلنا إليك الذكر لنبين للناس ما نزل إليهم
ولعلمهم يتفكرون »

الصفحة

- ١٦٩ « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »
- ١٨٤ « ويعلمهم الكتاب والحكمة »
- ١٨٦ « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده »
- ١٨٧ « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم »
- ١٨٧ « ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم » . .
- ١٨٧ « واجتنبوا قول الزور، حنفاء لله غير مشركين به »
- ١٨٧ « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق »
- ١٩٠ « وجادلهم بالتي هي أحسن »
- ٢٠٠ « ومن كان يريد حرث الدنيا ثوته منها وما له في الآخرة من نصيب »
- ٢٠٢ « ومن أراد الآخرة وسعى لها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » . . .
- ٢٠٣ « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .
- ٢٠٤ « والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين »

- « وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فإليه تجأرون » ٢٢٠
- « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
إحسانا » ٢٢٢
- « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » . . ٢٢٣
- « وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » ٢٢٤
- « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على
وهن وفصاله في عامين » ٢٢٤
- « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه
كرها ووضعتة كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » ٢٢٤
- « وإما يبلغن عندك الكبر » ٢٤٨
- « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي » . . ٢٦٠
- « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي » . . ٢٦١
- « وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » ٢٦٦
- « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون » ٢٩٥
- « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون » ٣٥٧

- « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها
قوما آخرين » ٢٩٥
- « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون » ٣٥٧
- « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان » ٢٩٥
- « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان » ٢٩٨
- « وتلك القرى أهلكتهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا » ٢٩٥
- « وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
أو يعذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب
مسطورا » ٢٩٦
- « وتلك القرى أهلكتهم لما ظلموا » ٢٩٧
- « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون » ٢٩٧
- « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون » ٢٩٧
- « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة » ٢٩٧

- « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله
فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا »
٢٩٧
- « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والأرض »
٢٩٩
- « ولا على الذين إذا ما آتوك لتحملهم قلت لا
أجد ما أحملكم عليه »
٣٠٢
- « وحملناه على ذات ألواح ودوسر »
٣٠٢
- « وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً
عظيماً »
٣٠٤
- « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفو عن كثير »
٣٣٨
- « وقل ربي زدني علماً »
٣٤٨
- « والشهداء والصالحين »
٣٥٢
- « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من
قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني
لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك
هم الفاسقون »
٣٥٣

- « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين » ٣٥٥
- « ولن تجد لسنة الله تحويلا » ٣٥٧
- « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »
« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناها الى
ربوة ذات قرار ومعين » ٣٦٤
- « واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون » ٣٦٧
- « وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به
ومن بلغ » ٣٨٠
- « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله » ٣٨٠
- « وما أتاكم الرسول فخذوه » ٣٨١
- « وما أتاكم الرسول فخذوه » ٤٨٩
- « وما أنت إلا بشر مثلنا » ٣٩٠
- « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا
عليهم ما يلبسون » ٣٩١
- « وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » ٣٩٢
-
- ٣٦٧

الصفحة

- « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك
 ٣٩٢ وطهرك »
- « وفتناك فتونا »
 ٣٩٦
- « ونبلوكم بالشر والخير فتنة »
 ٣٩٦
- « ونبلوكم بالشر والخير فتنة »
 ٣٩٧
- « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن
 ٤١٢ الله مع المحسنين »
- « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون
 ٤٢٠ الطعام ويمشون في الأسواق »
- « واعرض عن الجاهلين »
 ٤٣٩
- « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا
 أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
 ٤٣٩ الجاهلين »
- « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون »
 ٤٤٤
- « والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين »
 ٤٤٥
- « والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين »
 ٤٥١
- « والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين »
 ٤٦١

- « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
 ٤٥٠ إن عذابها كان غراما »
- « وابتغوا إليه الوسيلة »
 ٤٥٨
- « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف
 ٤٥٩ بين قلوبكم »
- « وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة »
 ٤٦٠
- « والذين لا يدعون مع الله إله آخر » . . .
 ٤٦٨
- « والذين لا يدعون مع الله إله آخر » . . .
 ٤٧٥
- « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » . . .
 ٤٧٠
- « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً
 فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً
 ٤٧٩ عظيماً »
- « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله
 ٤٧٩ يجد الله غفوراً رحيماً »
- « وأرجلكم »
 ٤٨٣
- « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض
 عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما نسيك
 الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
 ٤٨٤ الظالمين »

- « ولا تمدك عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم
زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وأبقى » ٥٠١
- « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فادخلوها
خالدين » ٥٠١
- « وانشق القمر » ٥٠٤

حرف الياء :

- « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم
كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن
كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » . ١٣
- « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم » ١٣
- « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . . ١٣٣
- « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » ١٤٦
- « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » ١٧١
- « يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً » . . ١٨٥

الصفحة

- « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
بما كانوا يعملون » ٢٧٤
- « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »
٣٢٩
- « يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد
ذلك فأولئك هم الفاسقون » ٣٥٣
- « يعلم خائنة الأعين » ٣٦٠
- « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون » ٣٦٤
- « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء » ٣٨٢
- « يوفون بالذر ويخافون يوماً كان شره
مستطيراً ، ويطعمون الطعام على وجه مسكيناً
ويتيمماً واسيراً ، إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكوراً ، إنا نخاف من ربنا
يوماً عبوساً قمطريراً » ٤٥٠
- « يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات »
٤٧٩
- ٣٧١
-

الصفحة

- « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين »
- ٤٨٣
- « يوم تأتي السماء بدخان مبين »
- ٥٠٤
- « يوم نبطش البطشة الكبرى »
- ٥٠٤

فهرس الأحاديث المستشهد بها

الجزء الأول

الصفحة

حرف الالف :

- ١٠١ « إنما بعثت معلماً »
- « ألا أخبركم بخير أعمالكم وارفعمها في درجاتكم
وازكاها عند مليككم وخير لكم من اعطاء
الذهب لكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم
فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قال
ذكر الله »
- ١٣٢ « ألا تعلمين هذه رقية النملة »
- « انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم أكثر
من سبعين مرة »
- ١٣٨ « اذا استطعت أن تقرب الى الله عز وجل فانك
لا تقرب اليه بشيء أحب اليه من كلام »
- ١٤١ « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، قالوا
يا رسول الله فما جلاؤها ؟ قال : تلاوة القرآن »
- ١٤٦

- ١٤٧ « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، قالوا
يا رسول الله فما جلاؤها ؟ قال : تلاوة القرآن »
- ١٤٧ « استذكروا القرآن فانه أشد تقصيا من صدور
الرجال من النعم »
- ١٦٩ « اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي بصري نورا ،
وفي سمعي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن يساري
نورا ، وتحتي نورا ، وأمامي نورا ، وخلفي نورا ،
واجعل لي نورا »
- ١٨٤ « ان من الشعر حكمة »
- ١٨٤ « أصدق كلمة قالها شاعر : ألا كل شيء ما خلا
الله باطل »
- ١٩٢ « ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصوم ، ومن
ضبط نفسه وراقب ربه لا يجادل اذا جادل الا
عن الحق وبالتي هي أحسن »
- ٢٠٥ « ان أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل
استشهد فأتى به فمرفه نعمة فعرفها . . . الخ »
- ٢٠٥ « انا اغنى الشركاء عن شرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه »
- ٢١١ « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم
فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة »

- « ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء
والارض » ٢١٣
- « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم
كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الافق
من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا :
يا رسول الله ، تلك منازل الانبياء لا يبلغها
غيرهم ، قال : بلى والذي نفسي بيده رجال
آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . . . ٢١٣
- « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم
كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الافق
من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا :
يا رسول الله ، تلك منازل الانبياء لا يبلغها
غيرهم ، قال : بلى والذي نفسي بيده رجال
آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . . . ٢١٤
- « . . . أليس اذا حرموا عليهم شيئا حرموه ،
واذا أحلوا لهم شيئا أحلوه » ٢٢٠
- « اذا سألت فسل الله » ٢٢١
- « ألا أخبركم بأكبر الكبائر . . . الاشرار بالله
وعقوق الوالدين » ٢٢٣
- « . . . أمك ثم أمك . . . ثم ابوك » . . . ٢٢٤

- « ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ،
قبل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟
قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه
فيسب أمه » ٢٢٩
- « ان أبر البر صلة الولد ود أبيه » . . . ٢٣٠
- « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا
وهي القلب » ٢٣٢
- « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً
نظفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون
مضغطة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ
فيه الروح » ٢٥١
- « أن تجعل ندا وهو خلقك » ٢٥٤
- « ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك » . ٢٥٤
- « أنا سيد الناس يوم القيامة » ٣١٨
- « رأيتهم لو ان نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل
يوم خمس مرات هل بقي من درنه شيء ؟ قالوا :
لا يبقى شيء ، قال : فكذلك مثل الصلوات
الخمس يبحو الله بهن الخطايا » . . . ٣١١

« أفلا أكون عبدا شكورا »

« إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ، ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الارض . واذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ، ثم ينادي أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ، ثم توقع له البغضاء في الارض »

« أيها الناس ، ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين »

« أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » . .

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ، وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، واعطيت الشفاعة »

- ٤٤٢ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »
- ٤٥٢ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »
- ٤٥٢ « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي اليك وفوضت أمري اليك وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنيك الذي أرسلت ، فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به » .
- ٤٥٣ « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك كما أثنت على نفسك »
- ٤٥٣ « اللهم أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » . .
- ٤٦١ « اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي ، واجعل خشيتك أخوف الاشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الي لقائك » . .
- ٤٦٢ « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

الصفحة

٤٦٧ « ان تدعو الله ندا وهو خلقك » . . .

٤٦٨ « ان تدعو الله ندا وهو خلقك » . . .

٤٧٧ « امسك بعض مالك فهو خير لك » . . .

٤٨٥ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . . . الاشرار بالله
وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور وقول
الزور »

٥٠٠ « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم
كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق
من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم » .

حرف الباء :

٣١١ « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »

٤٦٠ « يخ ذلك حال راجح »

حرف التاء :

٣١٠ « تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده
بخمسة وعشرين جزءاً ، وتجتمع ملائكة الليل
وملائكة النهار في صلاة الفجر »

حرف الحاء :

٤٣٦ « حرم على النار على هين لين سهل قريب » .

حرف الخاء :

- « خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد،
فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً
بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ،
ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء
عذبه وان شاء أدخله الجنة »
- ٣١١

حرف الدال :

- « الدعاء هو العبادة »
- ٢٢١
- « الدعاء هو العبادة »
- ٢٨٩
- « الدعاء هو العبادة »
- ٤٧٠
- « الدعاء مخ العبادة »
- ٢٢١
- « الدعاء مخ العبادة »
- ٢٩٨
- « الدعاء مخ العبادة »
- ٤٧٠

حرف الصاد :

- « صلى الليل مثنى »
- ٤٤٣

حرف الطاء :

- « طلب الصمت عند جلبه العدو وصخبه »
- ١٣٣

حرف العين :

- « العهد الذي بينا وبينهم الصلاة فمن تركها
فقد كفر » ٣١١

حرف الفاء :

- « فليقل خيراً أو يصمت » ١٣٠
- « فذلك عبادتهم إياهم ، فالمؤمن الموحد لا تكون
طاعة إلا لله أو لمن طاعته طاعة الله » . . . ٢٢٠
- « فهل من والديك حي . . . فارجع الي والديك
فأحسن صحبتها » ٢٢٥
- « فإن دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام »
٢٥٩
- « فإن طالت بك حياة لترين الظمينة ترتحل من
الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ،
ولئن طالت بك الحياة لتفتحن كنوز كسرى »
٣٥٤

حرف القاف :

- « قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة
القرآن في غير الصلاة ، وقراءة القرآن في غير
الصلاة أفضل من التسييح والتكبير » . . . ١٤١
- « قرءا القرآن في الصلاة ، ثم قراءة القرآن
في غير الصلاة ، فان الصلاة أفضل الأعمال

عند الله وأحبها إليه ، ثم الدعاء والاستغفار ،
فان الدعاء هو العبادة ، وان الله تعالى يجب
الملح في الدعاء ، ثم الصدقة فانها تطفىء غضب
الرب . . ثم الصيام ، فان الله تعالى يقول :
الصوم لي وأنا اجزى به ، والصيام جنة للعبد
من النار »

١٤١

حرف الكاف :

« كاد أن يسلم »

١٨٤

« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك
ذلك لامحالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان
زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ،
واليدان زناهما البطش ، والرجل زناها الخطى
والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج
أو يكذبه »

٢٥٥

« الكلمة الطيبة صدقة ، واتفقوا النار ولو بكلمة
طيبة »

٢٨٤

« كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على
الماء ، وكتب في الذكر شيء وخلق السموات
والأرض »

٣٥١

حرف اللام :

« لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »

١٤٤

- « لا فضل لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على
أسود إلا بتقوى الله » ١٧٥
- « لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة
في المعروف » ٢٥٥
- « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ٢٢٥
- « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث :
الزاني الشيب ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه
المفارق للجماعة » ٢٥٦
- « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث :
الزاني الشيب ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه
المفارق للجماعة » ٢٥٧
- « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله » ٣٣١
- « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد
ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يعرفه ذلك
عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق
بائنين ما يعرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا
الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى
حضر موت ما يخاف الا الله » ٣٥٤
- « لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان
اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه

ولا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما
 ٤٨٥ فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»

« لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا
 باكين ، فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم
 ٤٨٥ لا يصيبكم ما أصابهم »

حرف الميم :

« ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب
 ١٣٢ الله من ذكر الله »

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ،
 والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول « ألم » حرف
 ١٤٠ ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »

« ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه »
 ١٤١

« من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته
 أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على
 ١٤١ سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . . .

« من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته
 ١٤٥ أفضل ما أعطي السائلين »

« ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي
 ١٤٧ الله أجذم »

- « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » ١٤٨
- « من باع الخمر فليشقص الخنازير » ١٤٨
- « ماضل قوم بعدهدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ١٩١
- « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » ٣١٨
- « ما أنز الله داء إلا أنزل له شفاء » ٣٣١
- « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » ٤٣٣
- « مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق واياك والعنف والفحش ، ان الله يحب الرفق في الامور كلها » ٤٤٠
- « من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والله واسطة » ٤٥٦

حرف الواو :

- « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ١٣٩
- ٢٨٥

الصفحة

- ١٤٤ « واقرأ في كل سبع ليال مرة »
- ١٤٢ « واقرأ القرآن في كل شهر »
- ١٧٥ « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء »
- ٢٠٧ « وفي بضع أحدكم صدقة »
- ٢٤٢ « وابدأ بمن تعول »
- ٤٥٢ « وأما السجود فادعوا فيه ، فقمنا أن يستجاب لكم »
- ٤٦١ « والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »
- ٥٠٤ « والله اني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي »
- ٥٠٤ « والله اني لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده »

حرف الياء :

« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ، فيقولون تركناهم وهم

الصفحة

٣١٠

• • • • يصلون وأتيناهم وهم يصلون»

« يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

٤٤٩

• • • قلب بشر ذخرأ به ما اطلعتم عليه »

« يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ابرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ذرة »

٤٧٨

فهرس رجال السند

الجزء الأول (١)

حرف الالف :

/ ٣١١ / ٣١٠ / ٢٨٨ / ٢٢٥	أحمد بن حنبل
٤٧٠ / ٤٣٦	
٢٢٩	أبو أسيد مالك بن ربيعة
١٤٤ / ١٤١	أبو أمامة
٤٧٨ / ٤	انس بن مالك (انظر الاعلام)
٤٠٩	أيوب السخيتاني

حرف الباء :

/ ٣١٠ / ٢١٣ / ١٦٩ / ١٤٧	البخاري
/ ٣٥١ / ٣٤٣ / ٣٣١ / ٣١١	
/ ٤٧٨ / ٤٧٥ / ٣٥٤ / ٣٥٣	
٥٠٣ / ٤٩٩ / ٤٨٥	
٣٣١ / ٣١٨ / ٣١٢ / ٣١١	بريدة
٢٢٣	أبو بكر

(١) اعتمدنا على ذكر الاسم الاول دون النظر الى ال التعريف او

أبو أو أم .

٤٨٥ / ١٤١

البيهقي

حرف التاء :

الترمذي

/ ١٨٥ / ١٤٤ / ١٤١ / ١٤٠

/ ٤٧٠ / ٣١١ / ٢٢٤ / ١٩١

حرف الجيم :

جابر بن عبد الله

٤٢٦ / ٣١٢ / ٣١١

حرف الحاء :

الحاكم

٣١١ / ٢٢٥

ابن حبان

٣١١ / ٢٢٩

حماد بن سلمة

٤٠٩

ابن حيان

٢٠٥

حرف الخاء :

خبات بن الأرت

٣٥٤ / ١٤١

حرف الدال :

ابو الدرداء

١٧٥ / ١٣٢

أبو داوود

٢٢٩ / ٢٠٥ / ١٤٧

ابن دينار

٢٣٠

رجال السند

حرف الذال :

أبو ذر ٢٠٧

حرف الزاي :

زيد بن خالد الجهني ٤٤٣

حرف السين :

سعد ١٨٨ / ١٨٧ / ١٤٧

سعد بن هشام ٤٤٣

ابو سعيد الخدري ٤٩٩ / ٣٣١ / ٢١٣ / ١٤١

ابو سلمة ٤٤٣

ابن سبيع ١٧٥

حرف الشين :

ابن شهاب ٣٣١

حرف الطاء :

الطبراني ٤٨٥ / ٣٤٣

حرف المين :

عائشة / ٣٣١ / ٣١٦ / ١٤١ / ١٢٦

٤٤٣ / ٣٣٤

٣١٢	عبادة بن الصامت
٤٨٥ / ٤٥٣ / ٤٤٣ / ٢٢١	عبد الله بن عباس
/ ٢٢٥ / ١٤٧ / ١٤٤ / ١٤١	عبد الله بن عمر
٤٨٥ / ٣١٨ / ٢٦١ / ٢٣٠	
/ ٣٢٤ / ٣١٠ / ٢٥١ / ١٤٠	عبد الله بن مسعود
٥٠٣ / ٤٣٦	
١٧٥	ابن عدي
٤٤٣ / ٣٣١	عروة
٤٣٣	عمر بن الخطاب
٣٥١	عمران بن حصين
	حرف الفاء :
١٤١	فروة بن نوفل
	حرف القاف :
٤٧٨	قتادة
١٤١	القرطبي
٤٠٩	ابو قلابة
	حرف الكاف :
٤٧٧	كعب بن مالك

رجال السنن

حرف الميم :

٤٧٥ / ٢٢٩ / ١٧٥

ابن ماجه

/ ٣١١ / ٢٥٧ / ١٦٩ / ١٤٧

مسلم

/ ٣٦٦ / ٣٤١ / ٣٣١ / ٣١٦

٤٧٥ / ٤٦٧ / ٤٤٣ / ٤٣٣

مالك بن ربيعة (أبو سعيد)

٤١٥ / ٤٥٩

معاذ بن جبل

٣١٦

المغيرة بن شعبة

حرف النون :

٤٧

النسائي

٤٧٥ / ٢٨٨

النعمان بن البشير

١٤١

ابو نعيم

حرف الهاء :

/ ٣٦٦ / ٣١٥ / ٢١٣ / ٢٥٥

ابو هريرة

٤٤٩ / ٤٢٦

حرف الياء :

٤٩

يزيد بن أبي هيرة

٣٣١

يونس

فهرس الاعلام

الجزء الاول (١)

حرف الالف :

٤٧٩	الأبي
٣٩٤	آدم
١٥٦ / ٣٩٠ / ٤٤٠ / ٤٥٢ / ٤٥٨ / ٤٦١ / ٤٦٢	ابراهيم (عليه السلام)
١	ابراهيم أطفيش
٤٤	ابراهيم التادلي
٢٦	ابراهيم مكى
٤٤١	ابراهيم بن المهدي
	الشيخ الابراهيمى (البشير الابراهيمى)
	الشيخ بخيت (احمد بخيت)
٣٩٤ / ٢٧٦	ابليس

(١) اعتمدنا على ذكر الاسم الاول دون النظر الى ال التعريف أو ابو أو أم واذا شهر العلم بكنيته فاننا نذكر الكنية دون الاسم ، علماً اننا اسقطنا ابن باديس من هذا الفهرس .

٤٧ / ٥٢ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ /
٥٨ / ٥٩

احمد توفيق المدني

٧٤

احمد ابو حمدان الوينسي

٨٩

احمد حماني

٥١

احمد روزي

٨٧

احمد بن سحنون

٢٠

احمد بن الشيخ

٨٢

احمد شوقي

٥٩

احمد العابد

٥٣

احمد بن عليوة

٤٦

ابو العباس احمد الغبريني

١٠٤

احمد فؤاد الأهواني

٢٤

احمد لحياني

٥٣

احمد ليميش

٧٣

احميدة بن باديس

٤٥

ادريس بن عبد الهادي

٣٣	ارسطاليس
٣٩٦	الأزهري
١٠٤	اسماء فهمي
٤٨ / ٤٧	اسماعيل حامت
٢٢	الأشعري
٤١٧	امام الحرمين
٨٨	الأمين العمودي
١٨٤	أمية بن أبي الصلت
٤٧٣	الأنباري
/ ٤٢٣ / ٣٧٥ / ١٤٨ / ١٤٥	انس بن مالك
٤٧٠	

حرف الباء :

٤٩٥ / ٤٦١ / ٣٦٠ / ١٨٣	البخاري (انظر رجال السنند)
٤٥٤	ابو بردة
٩٩	بركنهارت
٨٧ / ٨٢ / ٨١	البشير الابراهيمي

٨٨ / ٧١ / ٤٤	البشير صفر
٣١٤	ابو البقاء
١٣٩	ابو بكر
/١١٠/ ١٠٩ / ١٠٨ / ٩٢ / ١٤ ٤٦٠ / ٤٥٩ / ٢٤٨ / ١١٣	ابو بكر بن العربي
٣٧٥	البكري (ابو عبيد)
١١٧	بلقاسم الرغداني
٧٢	بلكين بن زيري
٥١	بول بورد

حرف التاء :

٤٣٦	التبريزي
٤٧٠ / ١٦٠	الترمذي (انظر رجال السند)
٤٩٣	ابو تمام
٩٩	تولستوي
١١٠ / ١٠٨ / ١٠	ابن تومرت
٢٦ / ٢٣	ابن تيمية

حرف التاء :

ثمود ٣٩٠

حرف الجيم :

جار الله الزمخشري (الزمخشري)

جرجي زيدان ١٧ / ١٦

جرير ٢٢٦

ابن جرير (الطبري)

جشم بن بكر بن هوزان ٣٧٥

الخصاص ٤٧٠

جعفر الصادق ٣٧٤

ابن جلول ١١٨

ابن جلول محمود ١١٨

جمال الدين (قاضي مصر) ٤٤ / ٣٦

جمال الدين الأفغاني ١٠٠ / ٩٠ / ٨٠ / ٣٩ / ٣٥ / ١٧

جون ديوي ١٠٢

الجوهري ٣١٤ / ٢٥١

٧٠	المستشرق جيب
١١٢	الجيلاني محمد
	حرف الحاء:
٨٢	حافظ ابراهيم
٤٤٧	الشيخ الحافظي
٢٧	حامد العبيدي
٤٩٣	حيث بن المعافي
	أبو الحسن الأشعري (الأشعري)
١٦	حسن صعب
٨٠	حسن الطويل
٨١	حسين أحمد الفيض آبادي
١١٦	حسين باي
٢٨	حسين ابو شاشة
٢٠١	حفصة
١٩	الحفناوي

١١٧ / ٨٨ / ٨٥ حنزة بوكوشه

٣٧ حمو بن احمد الدراجي

١٣٩ حنظلة الأسدي

حرف الخاء :

٥٧ / ٥٢ الامير خالد بن الهاشمي

٣٥٤ / ١٤١ خباب

٧٦ الخضر بن الحسين الجزائري

٥٩ الخضر الحسين

١١٤ / ٢٢ ابن خلدون

١٠٤ خليل طوطم

٣٦ خير الدين التونسي

حرف الدال :

٤٨٤ / ٤٥٨ داوود

١٨٠ الشيخ الدردي

٥٠ المسيو دوتيه

حرف الذال :

ذاتسند الأكبر (الفزالي)

حرف الراء :

٤٥٧ / ٤٥٦	الرازي
٤٨٠ / ٤٧٩ / ١١٣	ابن رشد
٤٥ / ٤٣ / ٤٢ / ٣٩ / ١٧	رشيد رضا
٣٦	الشيخ رفاة
٥٨	روبير اجيرون

حرف الزاي :

١١٨	زرقين
٢٤	زليخة المجاوي
٤٨٤	الزمخشري
٧٣	زهيرة بن جلول

حرف السين :

٤٤ / ٤٢	سالم بو حاجب
١١٨	الامام سخنون
٢٥٩	سحيم عبد بني الحساس

١٦٨	ابن سعد
/ ٣٢ / ٢٨ / ٢٤ / ٢٣ / ١٩	سعد الدين بن أبي شنب
٥٦ / ٤٦ / ٤٥ / ٣٥ / ٣٤	
٧٦	السعد العياض الطائفي
٤٤	سعيد الخوري الشرتوني
٢٨	السعيد بن زكري
٣٧٥	سفيان بن عيينة
١٤	ابو سفيان
٣٠	السكاكي
٨٢	سليم البشري
٢٥	سليمان الباروني باشا
٢٥	سيويه
١٠	سيف عبد المؤمن
٤٦٣ / ٤٦٠	ابن سينا
٣٦	السيوطي

حرف الشين :

١١٠	الامام الشافعي
	الشرتوني (سعيد)
٣٩٠	شعيب (النبي)
٤٥	شعيب الدكالي
٦٣ / ٤٩ / ٤٤ / ١٦	شكيب ارسلان
٨٥	السيد شلابي عبد القادر
٤٨٠	ابن شهاب

حرف الصاد :

٣٩٠	النبي صالح
-----	------------

حرف الطاء :

٧٨ / ٧٧ / ٧٦ / ٧٥ / ٤٣ / ٤٢	الظاهر بن عاشور
٢٨	ظاهر بنطوس
٤٩٥ / ١٦٢	الطبري
٤٩٥	ابو طلحة
٢٧	الطيب المعبي

حرف الظاء :

٥٠ الظهير البربري

حرف العين :

٤٥٣ / ٤٣٨ عائشة

٣٩٠ عاد

ابن عاشور (الطاهر بن عاشور)

١١٣ / ١١٠ / ١٠٩ / ١٠٨ ابن عبد البر

٨٩ عبد الحفيظ جنان

٥٧ عبد الحفيظ الهاشمي

٤٠٨ الشيخ عبد الحكيم

٤٥ عبد الحميد الزهراوي

٢٨ / ٢٩ / ٣٠ / ٣١ / ٣٢ / عبد الحميد بن سحابة

٣٣ / ٣٤

٤٦ عبد الرحمن الجيلاني

١٩ عبد الصبور شاهين

٣٢ عبد العزيز (ملك المغرب)

٣٢ عبد العزيز جاويز

الأعلام

٦٣	عبد العزيز خالدي
٣٧	عبد العزيز الزناتي
٥٨	ابن عبد العزيز حسن
١٦ / ١٥	الامير عبد القادر الجزائري
٣٧	عبد القادر بن غبريط
/ ٢٤ / ٢٢ / ٢١ / ٢٠ / ١٩ ٣٧ / ٢٨ / ٢٦ / ٢٥	عبد القادر المجاوي
٣٩ / ٣٨	عبد القادر الجرجاني
٨٣	عبد الكريم الخطابي
٨٥	عبد الله الصنعاني
٤٥٤	عبد الله بن عمر
٤٥	عبد الله كنون
٥٠٤ / ٤٧٩ / ٤٦٧ / ٢٩١	عبد الله مسعود
٨٥	عبد الوهاب النجدي
٧٤	عبد اسماعيل
٢٥٣	عبيد بن الابرس

٥٠	عثمان الكعاك
٣٥٤	عدي بن حاتم
١٨٥	العرباض
٤٦	ابو العرب التميمي
٨٤	الشهيد العربي البنسي
٢٣ / ١٦	ابن عربي
	ابن العربي (ابو بكر بن العربي)
٧٩ / ٦٥	العربي
٢٧	عسول المييدي
١٣٤	عطاء
٥٩	الشيخ العقبي
٤٤١ / ٣١٢ / ١٨٩	علي بن ابي طالب (ابو الحسن)
٤٢	علي بوشوشة
٢٨	علي بن حمودة
٧٣	علي بن جلول
٢٥	علي بن طبال

٢٧	علي بن عابد الزهراوي
٣٦	علي باشا مبارك
٨٩	علي مرحوم
٢٧ / ٢٦	علي بن ناجي الزهراوي
٧٥	ابن عليوه الصوفي
١٢	عمار الطالبي
٤١ / ٢٣٠ / ٤٣٨ / ٤٣٩	عمر بن الخطاب
١٩	عمر بن دالي
١١٧	عمر دردر
٣٥ / ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ / ٨٥	عمر راسم
٧٢	عمر رضا كحالة
٥٧ / ٥٥	عمر بن قدور
٦٥	عمر بن مفسولة
١٩	عمر مستقوي
٤٣٦	عمرو بن كلثوم
٨٠ / ١١٥ / ١٦٨ / ٣١٢	القاضي عياض

٤٨٤ / ١٦٦	عيسى (عليه السلام)
٢٨	ابن عيسى الجزائري
	حرف الفين :
٤٦٠ / ٤٣٤ / ٩٢ / ٣٦ / ٣١ / ١٦	الامام الغزالي
٥٣	غلام الله
	حرف الفاء :
٢٢	الفارابي
٤٤ / ٤٢	الفاضل بن عاشور
٤٤١	فاطمة
٤١٧	الفخر الرازي
٥٣	فرحات عباس
٩٩	فرويد
٦٢	فريد وجدي
٥٥	فكتور باروكان
٥٠	فيكتور بيكي

حرف القاف :

٤٥ / ٢٨	ابو القاسم الحفناوي
٣٧	القباصي
١٩	قدور بن مراد التركي
١٤٦ / ١٤٤ / ١٤٣ / ١٤١	القرطبي
٣٩ / ٣٨	قس بن ساعدة
١٤٨	القسطلاني
٨٤	ابن القشي خليل بن محمد
٤٨	ابن قيم

حرف الكاف :

٣٢	كارل فولرس
٨٢	الكبابي
٢٤٨	كعب

حرف اللام :

٢٤٨	ابو لبابة
١٨٤	لييد

حرف الميم :

٥٠ / ٥٢ / ٥٤ / ٦١ / ٦٢	ماسينيون
٢٢ / ٦١ / ٨٢ / ٨٦ / ١١٠ / ٢٧٩ / ٣١٠ / ٣١١ / ٣٧٥	الامام مالك
١٩ / ٦١ / ٦٣ / ٦٧ / ٦٨ / ١٠٦	مالك بن نبي
٤٤١	المأمون
٤٩٥	مجاهد
	المجاوي (عبد القادر)
٤٧ / ٧٩	مبارك المليي
١٤	محب الدين الخطيب
١٩ / ١٠٤ / ١٢٥ / ١٢٦	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
١٢٧ / ١٢٨ / ١٣١ / ١٣٣	
١٣٤ / ١٣٥ / ١٣٦ / ١٣٨	
١٣٩ / ١٤٠ / ١٤١ / ١٤٤	
١٤٨ / ١٥٠ / ١٥٦ / ١٦١	
١٦٢ / ١٦٤ / ١٦٦ / ١٦٧	
١٦٨ / ١٦٩ / ١٧٠ / ١٧١	
١٧٣ / ١٧٤ / ١٧٥ / ١٧٧	
١٧٨ / ١٧٩ / ١٨٠ / ١٨٤	
١٨٥ / ١٨٨ / ١٨٩ / ١٩١	

/ ٢١٥ / ٢١١ / ٢٠٧ / ٢٠٥
 / ٢٢٣ / ٢٢١ / ٢٢٠ / ٢١٧
 / ٢٣٥ / ٢٣٠ / ٢٢٥ / ٢٢٤
 / ٢٥٦ / ٢٥٤ / ٢٤٨ / ٢٤٢
 / ٢٨٣ / ٢٨٠ / ٢٧٢ / ٢٥٩
 / ٣١٢ / ٣١١ / ٣١٠ / ٢٨٤
 / ٣٢٤ / ٣١٨ / ٣١٧ / ٣١٠
 / ٣٣١ / ٣٢٩ / ٣٢٨ / ٣٢٥
 / ٣٤٣ / ٣٣٩ / ٣٣٤ / ٣٣٢
 / ٣٤٧ / ٣٤٦ / ٣٤٥ / ٣٤٤
 / ٣٥١ / ٣٥٠ / ٣٤٩ / ٣٤٨
 / ٣٦٦ / ٣٦٥ / ٣٥٤ / ٣٥٢
 / ٣٧٣ / ٣٧٢ / ٣٦٩ / ٣٦٨
 / ٣٨١ / ٣٧٦ / ٣٧٥ / ٣٦٤
 / ٣٨٦ / ٣٨٥ / ٣٨٤ / ٣٨٢
 / ٤٠٦ / ٤٠٤ / ٣٩٥ / ٣٩٠
 / ٤١١ / ٤١٠ / ٤٠٩ / ٤٠٧
 / ٤٢٠ / ٤١٩ / ٤١٦ / ٤١٥
 / ٤٢٨ / ٤٢٧ / ٤٢٦ / ٤٢٣
 / ٤٤٣ / ٤٤٠ / ٤٣٣ / ٤٢٩
 / ٤٦١ / ٤٥٩ / ٤٥٤ / ٤٥٣
 / ٤٨٥ / ٤٧٠ / ٤٦٣ / ٤٦٢
 / ٥٠٤ / ٥٠٠ / ٤٩٦ / ٤٩٧

١٠٤	محمد أسعد طلس
٢٥	محمد أطفيش
١٠٠	محمد اقبال
٨٢ / ٨٠ / ٢٧	محمد بخيت
	محمد البشير الابراهيمي (البشير الابراهيمي)
٥٧ / ٢٧	محمد بن بكير المزراوي
٧٦	ابو محمد بلحس
٤٤	محمد يرم
٤٣	محمد الجبايي
٤٦	محمد الخشني
٣٧	محمد السعيد الزوادي
٥٩	محمد السعيد الزاهري
٤٣	الشيخ محمد شاكر
٨٩	محمد الصادق الجندلي
٧٦	محمد الصادق النيفر

١١١ / ٩٢	محمد الصالح رمضان
	محمد الطاهر بن عاشور (الطاهر)
٥٤	محمد بن عبد الرحمن
١٠٠ / ٢٣	محمد بن عبد الوهاب
٣٧	محمد بن عبد الواحد
/ ٣٣ / ٣١ / ٣٠ / ٢٩ / ٢٧	محمد عبده
/ ٤٠ / ٣٩ / ٣٧ / ٣٥ / ٣٤	
/ ٤٥ / ٤٤ / ٤٣ / ٤٢ / ٤١	
/ ٧٨ / ٧٦ / ٧٥ / ٥٦ / ٥٥	
١١٢ / ١٠٠ / ٨٠	
٤٧	محمد عثمان باشا
٤٥	محمد بن العربي العلوي
٢٨	محمد علي باشا
٣٥ / ٣٢ / ٢٥ / ١٩	محمد علي ديبوز
٢٨	محمد بن علي السنوسي
٣٥	محمد فريد
٤٠	محمد بن القائد علي
٧٦	محمد بن القاضي

٣٧	محمد بن القباصي
٤٤	محمد بن كتون
٤٦	محمد بن محمد مغلوف
٧٤	محمد المداسي
٣٥	محمد بن مصطفى
/ ٣٩ / ٣٧ / ٣٦ / ٣٤ / ٣٣	محمد بن مصطفى الخوجة
٤٢ / ٤١	
٨٣	محمد النجار الحركاني
/ ٧٧ / ٧٦ / ٧٥ / ٤٢	محمد النخلي القيرواني
٣٢	محمود كهول
٥٥ / ٢٢ / ٢٠	محمود مكحول
١٠٠	محمود محمود
٤٧٣	المخبل السعدي
٣٩٢ / ٣٦٤	مريم (عليها السلام)
٤٦	ابن مريم
	المسيح (عيسى)

- المصالي ٨٩
مصطفى حافظ ٥٨
مصطفى المجاوي ٢٤
المعز بن باديس ٧٢
المكي بن عزوز ٢٨
ابن منصور الصنهاجي (انظر
عمر راسم)
منصور فهمي ٨٣
ابو منصور الماتريدي ٢٢
مهدي الاطلس ١٠
المهدي الوزاني ٤٥
المولود الزريبي ٢٧
موسى (عليه السلام) ٣٩٠

حرف النون :

الشيخ النعيمي ٣٥

٣٨٩ / ٤٥٨ / ٤٥٩

نوح (عليه السلام)

الامام النووي ١٤٣

النيسبوري ٤٥٧

حرف الهاء :

الهادي السنوسي الزاهري ٨٤ / ٢٧

هارون ٣٩٠

هانوتو ٣٩

هود ٣٨٩

حرف الواو :

الوزير التونسي ٨٢

حرف الياء :

ابو اليقظان ٥٩

يوسف (عليه السلام) ٢٦٦

الجنرال يوسف ٤٩

يوسف الدجوي ٨٢

يوسف مراد ١٠٣

فهرس الامثال

الجزء الاول

١٦٣ انما نكحل في موضع المينين

١٣٠ ذكرتي الطمن وكنت فاسيا

فهرس الاماكن والبلدان

الجزء الاول

حرف الالف :

٨٠	الأزهر
٤٢ / ١٧	الاسكندرية
٤٣	الآستانة
٨٠	اسيوط
٧٢ / ٥٠ / ١٠	افريقيا
	أم القرى (مكة)
٦٢	انجلترا
١٠٩ / ١٠٨	الاندلس
٨٩ / ٢٧	اوراس
٨٨ / ٥١	ايطاليا

حرف الباء :

٢٨	باب الوادي
----	------------

الامان والبلدان

٢٧ / ٦٢ / ٦٨ / ٨٩

باريس

٤٦

بجاية

٢٧ / ٥٩ / ٧٤

بسكرة

٤٦٠

بيرحاء

١٦ / ٤٤ / ١٠٤

بيروت

حرف التاء :

٥٢

تركييا

١٩

تطاوين

١٩ / ٤٦ / ٨٥

تلمسان

٢٧ / ٤٢ / ٤٣ / ٥٠ / ٥١ /

تونس

٧٥ / ٧٦ / ٨٠ / ٨٨ / ١١٣ /

٥٣

تيارت

حرف الجيم :

٦٧

جاكارتا

٦٢

جبل لمور

١٠ / ١١ / ١٥ / ١٨ / ٢٠ /

الجزائر

/ ٣٠ / ٢٨ / ٢٧ / ٢٥ / ٢٤
/ ٣٥ / ٣٤ / ٣٣ / ٣٢ / ٣١
/ ٤١ / ٤٠ / ٣٩ / ٣٧ / ٣٦
/ ٤٩ / ٤٨ / ٤٦ / ٤٣ / ٤٢
/ ٥٧ / ٥٤ / ٥٢ / ٥١ / ٥٠
/ ٦٩ / ٦٨ / ٦٣ / ٦١ / ٥٩
/ ٨٩ / ٨١ / ٧٦ / ٧٥ / ٧٠
/ ١١٣ / ٩٨ / ٩٥ / ٩٤ / ٩٠
١١٧

حرف الحاء :

٨١

الحجاز

حرف الدال :

٨١ / ٥٢ / ٤٦ / ١٩ / ١٦

دمشق

حرف الذال :

٣٧٥

ذو الحليفة

حرف الراء :

٥٤

الرباط

٨٣

الريف

حرف الزاي :

٢٧

الزاب

الامكان والبلدان

٢٧	زريبة الوادي
٤٠٨ / ١١٧ / ٧٧ / ٧٦ / ٤٢ / ١٩	الزيتونة (جامع)
	حرف السين :
٥٧	سيدي فرج (جزيرة)
	حرف الشين :
٨٠	الشام
	حرف الصاد :
٣٢	صفاقس
	حرف الطاء :
٣٤	طرابلس الشام
٥٥ / ٥١	طرابلس
٦٧ / ٣٦ / ١٩	طنجة
٧٦	طولقة
	حرف العين :
٤٤	المعري (جامع)

حرف الفاء :

٢٣ / ١٩

فاس

٩٠ / ٨٩ / ٨٦ / ٥٦ / ٣٤ / ١٠

فرنسا

حرف القاف :

/ ٣٩ / ١٩ / ١٦ / ١٤ / ٩

القاهرة

٧٥ / ٦٨ / ٦٣ / ٤٦ / ٤٢

/ ٢٤ / ٢٣ / ١٩ / ١٢ / ١٠

قسنطينة

/ ٧٣ / ٧٢ / ٣٥ / ٣٤ / ٢٥

/ ٩٢ / ٨٧ / ٨١ / ٧٥ / ٧٤

/ ١١٥ / ١١٤ / ١٠٣ / ٩٥ / ٩٤

١١٧

١٩

القرويون (جامع)

٥٤ / ٤٦ / ٣٤

القلمون

٤٦

القيروان

حرف اللام :

٨٠

لبنان

حرف اليم :

٣٧٥ / ٨١ / ٧٧ / ٤٦ / ٢٤

المدينة

الامكن والبلدان

٥٤ / ٥٠	مراكش
٥٣	مستغانم
/ ٤٣ / ٢٨ / ٢٧ / ٢٠ / ١٩ ١١٣ / ٨٢ / ٥٤ / ٥٠	مصر
٨٠	المطايمة
/ ٤٥ / ٤٤ / ٣٧ / ١٥ / ١٠ ١٠٩ / ١٠٨ / ٦١	المغرب
٣٤١ / ٣٢٥ / ٣٢٤ / ٢٣٠ / ٢٨	مكة

حرف النون :

٤٩٣ نصيين

حرف الهاء :

٦٢ الهند

حرف الواو :

٦٤ وهران

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

الجزء الاول

حرف الالف :

- ٧٠ الاتجاهات الحديثة في الاسلام
- ٩٢ احياء علوم الدين
- ٥٥ الاخبار الفرنسية (ج)^(١)
- ٢٠ ارشاد المتعلمين
- ٤٢ أركان النهضة الأدبية بتونس
- ٩١ / ٣١ / ٢٩ اسرار البلاغة
- ٤٦٣ الاشارات
- ٥٩ الاصلاح (ج)
- ٧٥ اصول النظام الاجتماعي في الاسلام
- ٧٢ الاعلام

(١) جريدة او مجلة .

الكتب والمراجع

٤٠٩	اعلام الموقعين
٧٤	افريقيا الشمالية (ج)
٣٥	اقامة البراهين العظام
٣٤	الاقتصاد في الاعتقاد
٥٧ / ٥٢	الاقدام (ج)
١١٧	اقرب المسالك
٣٦	اقوم المسالك
٣٥	الاكثرات في حقوق الاناث
٣١	ألفية ابن مالك
١١٠	الأم
١١٧ / ٩١	الأمالي
١٦٦	انجيل يوحنا
	حرف الباء :
٥٩	البرق (ج)
٤٠٨	بدائع الزهور
١١٣	بداية المجتهد

البيستان في ذكر الأديباء والعلماء بتلمسان ٤٦

البصائر ٧٩

البصائر (ج) ٨٧ / ٩٧

البصائر النصيرية ٣١

البلاغ (ج) ٥٣ / ٥٩ / ٤٤٧

بناة النهضة العربية ١٦ / ١٧

حرف التاء :

تاريخ الاستاذ الامام ١٠ / ٣٤ / ٣٩ / ٤١ / ٤٢ /
٤٣ / ٤٤

تاريخ الجزائر في القديم والحديث ٤٧

تاريخ الجزائر المعاصر ٥٨

تاريخ مدينة الجزائر ٤٣

التيان ١٤٣

تجديد الفلسفة ١٠٢

التذكار ١٤٦

تراجم علماء الجزائر ٣٥

الكتب والمراجع

١٠٤	التربية في الاسلام
١٠٤	التربية والتعليم في الاسلام
٣١١	الترغيب
٢٧٩	الترغيب والترهيب
٤٥	التعاشيب
٢٤ / ٢٣ / ١٩	تعريف الخلف برجال السلف
٧٦	تفسير البيضاوي
٣٥	تفسير الثعالبي
١١٢ / ١١١ / ١٠٨	تفسير الجلالين
١٦٣	تفسير ابن حيان
١٦٣	تفسير الرازي
٣٤	تفسير سورة والعصر
١٦٢	تفسير الطبري
٤٨٤ / ١٦٢	تفسير الكشاف
٤٣	تفسير محمد عبده
٥٥ / ٤٥ / ٥٤ / ١٩	التقويم الجزائري

٣١	التلخيص للقزويني
١١٧	التفحيح
١١٧ / ٧٦ / ٣١	التهذيب
٩٤	التهذيب الاسلامي (ج)
	حرف الجيم :
١٠٩	جامع بيان العلم وفضله
٥٩ / ٥٥	الجزائر (ج)
٤٧	الجزائر في سنة ١٣٥٠
٣٥	الجواهر الحسان
	حرف الحاء :
٥٠ / ٤٩ / ٤٨ / ٢٩ / ١٦	حاضر العالم الاسلامي
٥٩ / ٥٥	الحق (ج)
	حرف الخاء :
٤٠٨	خريدة المعانيب
	حرف الهمزة :
١٠٣	دراسات في التكامل النفسي

الكتب والمراجع

الدراية فيمن عرف من العلماء بيجاية ٤٦	
الدفاع (ج)	٨٨
دلائل الاعجاز	٢٩ / ٣١ / ٩١
ديوان الحماسة	٣١ / ٧٨ / ٩٨ / ١١٧
ديوان المتنبى	٩١ / ١١٧

حرف الذال :

الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية ٤٧	
ذكرى محمد بن أبي شنب	٤٦
الذكرى العاقل وتسيه الغافل	١٦ / ١٨ / ٢٥
ذو الفقار (ج)	٥٦

حرف الراء :

الرد على من أخذ الى الارض	٣٤
الرسالة	١١٧
رسالة التوحيد	٢٩ / ٣١ / ٣٣ / ٣٩ / ٤٠ /
	٤١ / ٤٤

حرف الزاي :

زعماء الاصلاح	٣٠
---------------	----

حرف السين :

١٦٦ سفر اللاويين

١١٧ / ٣١ السلم في المنطق

٩٧ / ٨٧ السنة (ج)

٣٦ السياسة الشرعية

حرف الشين :

٧٦ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

٣١ شرح الاشموني

٣١ شرح ابن عقيل

٦٥ / ٦٤ / ١٩ شروط النهضة

١٤٦ الشعب

٢٧ شعراء الجزائر في العصر الحاضر

٣١٢ / ١٦٨ / ١١٥ / ٨٠ الشفا

حرف الصاد :

صحيح البخاري (١)

صحيح مسلم (١)

(١) انظر البخاري ومسلم في الاعلام ورجال السند

الكتب والمراجع

٥٩	صدي الصحراء (ج)
٥٨	الصديق (ج)
٩٧	الصراط
٥٢	الصوت الاهلي
٥٢	صوت المتواضعين
	حرف الطاء :
١٦٨	طبقات ابن سعد
٤٦	طبقات علماء افريقيا
٤٦	طبقات علماء تونس
	حرف الظاء :
٦١	الظاهرة القرآنية
	حرف السين :
١٧ / ٢٦ / ٣٣ / ٣٤ / ٣٨ /	العروة الوثقى
٣٩ / ٤٣ / ٨٤	
٩٢ / ١١١	العقائد الاسلامية
٣١	العقد الفريد

٣٧	عقود الجواهر في حلول الوقد المغربي بالجزائر
٣٦	علم الدين
١٠٩ / ١٠١ / ١٤	العواصم من القواصم
	حرف الفاء :
٥٧ / ٥٥	الفاروق (ج)
٣٢	فلسفة الاسلام
٢٣ و ٢٢	فصوص الحكم
	حرف القاف :
٨٨	القبس (ج)
٢٢	القواعد الكلامية
	حرف الكاف :
٥٥ / ٣٢	كوكب افريقيا (ج)
	حرف اللام :
٣٥	اللباب في احكام الزينة واللباس
٥٨	لسان الدين (ج)
٣٩٦ / ٢٥٢	لسان العرب

الكتب والمراجع

٢٠ / ٢١	اللمع على نظم البدع
	حرف اليم :
٥٥	المبشر (ج)
١١٥	المجتمع السليم
٣٦	مجلة الاحكام العلية
١٩	مجلة كلية الآداب
٢٥ / ٣٣ / ٣٤ / ٤٤ / ٥٤ /	مجلة المنار
٥٥ / ٧٠ / ٧٥	
	مجموع مشتمل على قوانين مفيدة
٣٦	وتنظيمات سديدة
٦٣	مذكرات شاهد القرن
٢٧	المرشد المعين
٢٠	المرصاد في حامل الاقتصاد
٣٧٥	معجم ماستعجم
٧٢	معجم المؤلفين
٨٨	المعرفة (ج)
٥٩ / ٥٥	المغرب (ج)

١١٧	المفتاح
٣١	المفصل للزمخشري
٩٢ / ٩١ / ٢٢	مقدمة ابن خلدون
٨٤ / ٨٢ / ٥٨	المنتقد (ج)
١٦	المواقف للجزائري
٣١٠ / ١٣٢ / ١١٧ / ٩٠ / ٨٢	الموطأ
٤٤٣	
٥٩	ميزاب (ج)
١٠٦	ميلاد مجتمع
	حرف النون :
٥٩	البراس (ج)
٥٧ / ٥٢	النجاح (ج)
٣٦	نهاية الايجاز
٣١	نهج البلاغة
/ ٢٨ / ٢٥ / ٢٤ / ٢٣ / ١٩	نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة
٣٣ / ٣٢	

الكتب والمراجع

٥٦ النهضة العربية في الجزائر

٥٩ النور (ج)

حرف الهاء :

٥١ هيريس

حرف الواو :

٥٩ وادي ميزاب (ج)

٥٢ / ٥٣ / ٦١ وجهة الاسلام

٦٨ وجهة العالم الاسلامي

١٦ الوعي القائدي

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

صفحة	
٩	المقدمة
١٥	مدخل الى الحياة العقلية والنهضة الحديثة بالجزائر
١٥	بوادر النهضة
١٨	رد الفعل
٣٧	رثاء الامام محمد عبده
٣٧	مميزات تأليفه
٣٨	آهاته عليه
٣٨	أعماله
٥١	الاتجاهات الاصلاحية
٧٢	ابن باديس
٧٢	ترجمته
٧٧	عوامل تكوين شخصيته
٩٠	جوانب شخصية ابن باديس
٩٩	عمل ابن باديس التربوي
١٠٢	أهداف التربية عند ابن باديس

صفحة	
١٠٧	الوسائل ، تقدمه للمناهج التربوية لعهد
١١٠	المنهج الذي يراه صالحا
١١٤	المؤسسات التربوية
١١٦	لجنة الطلبة
١١٧	تنظيم الطلبة
١١٨	رأي ابن باديس في تعليم المرأة
١١٩	مواقفه ازاء مقاومة الاستعمار للتعليم
١٢٢	قسم التفسير

التذكير :

١٢٥-١٢٨	حقيقته ، حاجة الخلق اليه ، القائمون به ، تذكير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ما كان يذكر به ، من كان يذكره ، مشروعية التذكير في الاسلام
---------	---

الذكر :

١٢٩-١٣٧	تمهيد ، القسم العلمي ، حقيقته ، محله ، اطلاقاته ، أقسامه ، القلبي بالتفكير ، بالاعتقاد ، بالاستحضار ، اللساني بالثناء والدعاء ، بالارشاد والتعليم ، ذكر الجوارح بالعمل ، بالانكفاف ، القسم العملي ، السيرة النبوية في الذكر ، كيفية السلوك عليها ، التحذير
---------	--

ما هو الفضل الأذكار :

تمهيد ، حالتا العبد ، الفتوى النبوية فيهما ، القسم

صفحة

العلمي ، أفضل الاذكار ، آيات في الباب ، أحاديث
فيه ، القرآن يحصل فضل الحالتين ، القرآن والذكر
القلبي ، القرآن والذكر اللساني ، القرآن والذكر
العملي ، بعض علوم القرآن ، نتيجة الاستلال ، القسم
العملي ، مقدار التلاوة ، ما يقصد من التلاوة، التحذير
١٣٨-١٤٩

خطبة :

في افتتاح دروس التفسير العام بالجامع الاخضر
١٥٠-١٦٠

الافتتاح :

افتتاح : الدروس العلمية الاسلامية بالجامع الاخضر
ومسجد سيدي قموش
١٥٥

خطبة افتتاح :

لدروس التفسير هاته السنة
١٦١-١٦٣

دعوة اهل الكتاب :

ادب واقتداء ، بيانه لهم حجته عليهم ، تمثيل ، أدب
واقتداء ، نعمة الاظهار والبيان بالرسول والقرآن ،
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن نور
وبيان ، استفادة ، اقتداء ، الهداية ونوعها ، بماذا
تكون الهداية ، لمن تكون الهداية ، الى ماذا تكون
الهداية ، الاخراج من حالات الحيرة حالة الى الاطمئنان،
الاسلام هو السبيل الجامع العام ، الرجوع الى كتاب
الله وسنة رسول الله، لازم دائم
١٦٤-١٧٣

سبيل السعادة والنجاة :

- الدعوة الى الله ، على كل مسلم أن يكون داعيا الى
الله ، تفرقة ، مباحث لفظية ، تنزيه الله تعالى ، مباحث
لفظية، البراءة من الشركين ١٧٤-١٨٠

كيف تكون الدعوة الى الله والدفاع عنها :

- سبيل الرب جل جلاله ، اهتداء ، اقتداء ، أركان
الدعوة ، الحكومة ، استدلال واستنتاج ، اهتداء
واقتهاء ، الموعدة الحسنة ، الاستدلال ، بماذا تكون
الموعدة ، تفریق بالتمثيل ، حسن الموعدة ، تطبيق
واستدلال ، اهتداء واقتهاء ، تحذير، الجدل بالتي هي
أحسن ، اهتداء واقتهاء ، احكام وتنزيل، تحذير، ثمرة

١٨١-١٩٢

آية الليل وآية النهار :

١٩٣-١٩٨

ارادة الغنيا وارادة الاخرة :

- المبحث الاول ، المبحث الثاني ، القسم الاول ، القسم
الثاني ، القسم الثالث، القسم الرابع، القسم الخامس،
المبحث الثالث ، المبحث الرابع ، امكان العمل بالآية
لجميع المسلمين خاتمة ١٩٩-٢٠٨

١٩٩-٢٠٨

عموم النوال من الكبير المتعال :

- النظر في تفاضل البشر ٢٠٩-٢١٤

٢٠٩-٢١٤

اصول الهداية في ثمان عشرة آية :

- تمهيد ، ارتباط الآيات بما قبلها ، التوحيد ، بيان
واستدلال ٢١٥-٢٢١

٢١٥-٢٢١

صفحة

بر الوالدين :

- ٢٢٥-٢٢٢ تفصيل الاحسان اليهما في القول والعمل وتأكيده
٢٢٩-٢٢٦ في حالة الكبر
٢٣٠-٢٢٩ خاتمة
٢٢٨-٢٣١ صلاح النفوس واصلاحها

ايتاء الحقوق لاربها :

- حقوق القريب ، حق المسكين ، حق ابن السبيل ،
الانفاق في غير وجه شرعي ، اخوان الشياطين ، حسن
المقال عند المعجز عن النوال ، العدل في الانفاق ، تفاوت
٢٥٠-٢٣٩ الارزاق من حكمة الخلاق

حفظ النفوس بحفظ النسل ، وحفظ الفرج
وعدم العدوان :

- حفظ النسل ، معالجة هذه الرذيلة ، عموم حكم الآية
وترغيبها ، حفظ الفرج ، معالجة هذه الرذيلة بتقييحها
وسوء عاقبتها ، عدم العدوان ، القتل المحرم ، الردع
عن العدوان بشرع القصاص ، لا يحفظ النفوس الا
٢٥٧-٢٥١ العدل ، تسكين نفس الموتور

حفظ الاموال باحترام الملكية :

- الولاية والاستقلال ، انوفاء بالمهد ، الوفاء بالمهد
شرط ضروري لحصول السعادتين ، الترغيب في الوفاء ،
والترهيب من الخيانة ، ايفاء الحقوق عند التعامل ،
٢٦٤-٢٥٨ الترغيب في ايفاء الكيل ، تركيب على هذا الترغيب

صفحة

العلم والاخلاق :

المناسبة ، آية العلم ، المفردات والتراكيب ، القلب ،
 ميزة الانسان واداة علمه ، العلم هو وحده الامام
 المتبع في الحياة في الاقوال والافعال والاعتقادات ،
 تفصيل ، تفريع ، نصيحة على هذا الفرع ، سؤال
 الجوارح يوم الهول الاكبر ٢٦٥-٢٧٤

آية الاخلاق :

المفردات والتراكيب ، التفسير ، العجب أصل الهلاك ،
 ترك العجب شرط في حسن وكمال الاخلاق تأكيد
 الاوامر والنواهي المتقدمة . . . ، المفردات والتراكيب
 التفسير ، مكانة هذه الاصول علما وعملا ، المناسبة ،
 المفردات والتراكيب ، التفسير ، ختام الآيات، المناسبة،
 المفردات والتراكيب ، التفسير ، نظرة عامة في الآيات
 المتقدمة ٢٧٥-٢٨١

القول الحسن :

التحذير من كيد العدو الفتان ، المحاسنة على الحال
 والظاهر ٢٨٢-٢٨٦

دعاء غير الله :

من دعا غير الله فقد عبد ما دعاه وهو في عبادته من
 الخاسرين ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، الاحكام ،
 استنتاج ، تطبيق ، تحذير وارشاد ، نجات المعبودين
 بهداهم ، وهلاك العابدين بضلالهم ، المفردات ،

صفحة

التراكيب ، نزول الآية ، المعنى ، الاحكام ، التطبيق ،
عبرة وتحذير ٢٨٧-٢٩٣

الطور الأخير لكل أمة وعاقبته :

تمهيد ، الالفاظ ، المعنى ، الاحكام ، ايضاح وتعليل ،
توجيه ، استنتاج وتطبيق ، ارشاد واستنهاض ،
رجاء وتفاؤل ٢٩٤-٣٠٠

التكريم الرباني للنوع الانساني :

اللغة ، التراكيب ، المعنى ، مسائل : الاولى ، الثانية ،
الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، السادسة ، السابعة ،
الثامنة ، سلوك المكرمين ، حكمة الامتتان بتكريم
الانسان ، شكر العبد لنعمة ربه ، معرفة العبد لقدر نفسه ٣٠١-٣٠٧

الصلاة لاوقاتها :

المفردات ، التراكيب ، المعنى ، بيان وتوجيه ، تفسير
نبوي ، استنباط ، ترغيب وترهيب ، الاحكام ، تعليم ٣٠٨-٣١٣

نافلة الليل وحسن عاقبتها :

الالفاظ ، التراكيب ، المعنى ، مسائل : الاولى ،
الثانية ، اتفاء اختصاصه (صلى الله عليه وآله وسلم)
بوجوب قيام الليل وأدلته ، المسألة الثالثة ، اختصاصه
(صلى الله عليه وآله وسلم) بالمقام المحمود ودليله ،
المسألة الرابعة ، تنبيه والحق ٣١٤-٣١٨

صدق المدخل والمخرج :

المناسبة ، الالفاظ ، التراكيب ، المعنى ، توجيه ، ترجيح ، تطبيق ، استنباط ، سلوك وامثال ، مجيء الحق وزهوق الباطل ، المناسبة ، التراكيب ، المعنى ، صدق وعد الله جل جلاله ، تفصيل ، عقيدة ، سلوك
٣٣٦-٣١٩

القرآن ، شفاء ورحمة :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تنظير ، تقسيم تحذير ، تطبيق ، سلوك
٣٣٤-٣٣٧

صفتان من صفات النوع الانساني :

الإعراض عن النعمة ، واليأس من الرحمة ، تمهيد ، المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، توجيه ، انتقال واعتبار ، تبصير وتحذير ، سلوك ، مبانة سلوك أهل الحق ، لسلوك أهل الباطل ، المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، من فوائد الآية الكريمة استدرج الضال لقبول الهداية ، مراقبة الله في السلوك . . .
٣٤٥-٣٣٥

الولد من إكرام الله لاولياء الله :

سبب النزول ووعد السابقين ، عموم الوعد لعموم اللفظ ، سبب الود وسبب الجعل ، بشارة وتثبيت ، دفع أشكال ، تفسير نبوي ، تبيين وتعيين ، ارشاد
٣٤٥-٣٤١

من آداب التعلم ، حسن التلقي وطلب المزيد :

لزوم الصمت عند السماع ، تأكيد الصمت بكف

صفحة

اللسان ، هذا الادب أدب علم ، دوام التعلم للازدياد
من العلم ، تحذير واقتداء ٣٤٦-٣٤٩

من وعد الله للصالحين :

المناسبة ، توجيه ، الالفاظ ، الذكر ، الصالحون ،
المعنى ، تطبيق ، تعليم وتثبيد ، تنظير ، اشكال وحله ،
ايراد وجوابه ، تحذير من تحريف ، موعظة وارشاد ٣٥٠-٣٥٧

دفاع الله عن المؤمنين :

الكلمات ، التراكيب ، التفسير ، تحرير في التعليل ،
خيانة دون خيانة وكفر دون كفر ، تبيه وتحذير ،
سؤال وجوابه ، مشاهدة وتوصية ٣٥٨-٣٦٢

اكل الحلال والعمل الصالح :

الكلمات ، التراكيب ، التفسير ، توجيه الترتيب ،
بيان نبوي ، تكميل ، الاهتداء ٣٦٣-٣٦٧

الاجتماع العام للامر الهام ، وارتباط الجماعة
بأمر الامام (١) :

القرآن العظيم : الالفاظ ، المعنى ، الاحكام ، بيان
مراد ، ودفع اغترار واعتراض ، توجيه وارشاد ،
موعظة ، موازنة وترجيح ، امثال ورجاء ٣٦٨-٣٧١

الاجتماع العام للامر الهام ، وارتباط الجماعة
بأمر الامام (٢) :

القرآن العظيم : المناسبة والارتباط ، الالفاظ ، المعنى ،

صفحة	
٣٧٦-٣٧٢	تنظير وتعميم ، ميزان ، وجوه الفتنة وسببها ، أعظم الفتنة ، تطبيق وتحذير ، بوارق أمل
	الفرقان :
٣٨٢-٣٧٧	المفردات ، التراكيب ، المعنى ، توحيد ، سلوك ، تفقه واستنباط ، تطبيق وتحاكم ، حكم القرآن بين الطائفتين
	كلام الظالمين ، في الكتاب الحكيم ، والرسول الكريم ، وردد رب العالمين :
٣٨٨-٣٨٣	الالفاظ ، المعنى ، مزيد بيان ، اسلوب في البيان ، وجه الدليل ، ترغيب
	منزلة الرسالة العلية والضرورات البشرية :
٣٩٦-٣٨٨	المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تاريخ ، تحليل ، تعليم ، عقيدة ، تحذير ، سلوك
	فتنة العباد بعضهم ببعض :
٤٠٠-٣٩٦	المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، سؤال وجوابه ، تطبيق ، اقتداء ، اهتداء
	ندامة الظالم على تركه السبيل القويم وصحبته للمضلين :
٤٠٥-٤٠١	المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، الحاق واعتبار ، تحذير ، ارشاد ، علامة
	شكوى النبي الكريم من هجر القرآن العظيم :
٤١٠-٤٠٦	المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، استنتاج واعتبار ، تنزيل ، بيان واستشهاد ، سبيل النجاة . . .

صفحة

التسلية والتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تهيب ،
اقتداء وتأسي ، بشارة ٤١١-٤١٢

تثبيت القلوب بالقرآن العظيم :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، مزيد بيان
للاعتراض والجواب ، شرح الحكمة الاولى ، حفظنا من
العمل بهذه الحكمة ، شرح الحكمة الثانية ، حفظنا
من العمل بهذه الحكمة، اقتداء ٤١٣-٤١٨

الحق والبيان في آيات القرآن :

المناسبة ، المفردات، التراكيب، المعنى ، اهتداء ،اقتداء ٤١٩-٤٢١

حشر الكفار الى النار :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، حديث ،
فقه ، توجيه ٤٢٢-٤٢٤

**من اكرام الله تعالى عبده ، تحميله اعباء
الرسالة وحده :**

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، حديث ،
تأسي ورجاء ، عدم طاعة الكافرين والجهاد بالقرآن
العظيم ، المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ،
تعميم ، اقتداء ، استدلال ، ميزان ، نعمة ومنقبة ٤٢٥-٤٣٠

تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، فقه لغوي ،
فقه شرعي ، فقه قرآني ، موعظة ، سلوك . . ٤٣١-٤٣٤

صفحة	
٤٤١-٤٣٥	<p>القرآن يصف عبد الرحمن - الصفة ١ - ٢ : المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، الاحكام ، تمييز ، بيان ورد ، سؤال وجوابه ، لطيفة تاريخية ، توجيه وسلوك</p>
٤٤٦-٤٤٢	<p>القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ٣ : المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، الصفة الرابعة المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، رد واستدلال ، اعتبار ونصيحة</p>
٤٤٧-٤٦٤	<p>اليهما اكمل : العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب ام العبادة دونهما ؟ زيادة بيان على قوله تعالى : (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) . .</p>
٤٦٧-٤٦٤	<p>القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ٥ : المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تحديد ، تطبيق ، نصيحة</p>
٤٦٧-٤٧٤	<p>القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ٦ و٧ و٨ : سبب النزول ، المطابقة بين الآية وسبب نزولها ، المناسبة ، نكتة استطرادية ، وجه ترتيب هذه الصفات المنفيات ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، مزيد بيان لتوحيد الرحمن ، من دعا شيئاً فقد اتخذها الالهة ، تحذير وارشاد ، الوعيد بالعذاب الشديد ، المناسبة ، نكتة استطرادية ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، توجيه ، تذكير</p>

استثناء التائبين من المنين :

- سبب النزول ، المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ،
ترتيب وتوجيه ، تأييد واقتداء ، وجوه التبديل ،
مسألتان اصوليتان ، قدوة في الفتوى ، تهيب ،
بشارة التائبين الى رب العالمين ، المناسبة ، المفردات ،
التراكيب ، المعنى ، ترغيب ٤٧٥-٤٨٢

القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ٩ :

- المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، ترجيع
وترجيح ، توسع في البيان ، موعظة ٤٨٢-٤٨٦

القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ١٠ :

- المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، موعظة ٤٨٦-٤٨٧

القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ١١ :

- المناسبة ، الالفاظ ، التراكيب ، المعنى ، عموم الحاجة
للتذكير ، قبول التذكير من كل مذكر ، ما يكون به
التذكير ، اقسام الناس عند التذكير ، أمر وارشاد ٤٨٧-٤٩١

القرآن يصف عباد الرحمن - الصفة ١٢ :

- المناسبة ، فقه هذه المناسبة ، ميزان هذه المناسبة ،
المفردات ، التراكيب ، المعنى ، الاحكام : الاول ،
الثاني ، الثالث ، الرابع ، الخامس ، السادس ، السابع
تميز ، كلمة عظيمة من امام عظيم ، سلوك واقتداء ٤٩١-٤٩٧

صفحة

جزاء عباد الرحمن :

٥٠١-٤٩٨	المناسبة وفقهها ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تطبيق حديث وفقهه ، دلالة ، بيان القرآن للقرآن ، اقتداء ورجاء
---------	---

قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم :

٥٠٦-٥٠٢	المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تحرير في المخاطب ، تفسير اثري ، ترهيب ، استنباط ، سؤال استطراد وجوابه ، تعليل ، ارشاد وتحذير . . .
---------	--

الفهرس العام :

٣٤٦-٣٣٥	الآيات المفسرة
٣٧٢-٣٤٧	الآيات المستشهد بها
٣٩١-٣٧٣	الأحاديث المستشهد بها
٣٩٢-٣٨٨	رجال السند
٤١٥-٣٩٣	رجال الاعلام
٤١٦	الأمثال
٤٢٢-٤١٧	الأماكن والبلدان
٤٣٤-٤٢٣	الكتب والمراجع والدوريات
٤٤٨-٤٣٥	الموضوعات

الفهارس العامة

الجزء الثاني - المجلد الأول

- الآيات المفسرة
- الأحاديث المشروحة
- الآيات المستشهد بها
- الأحاديث المستشهد بها
- رجال السند
- رجال الاعلام
- الأمثال
- الأماكن والبلدان
- الكتب والمراجع والدوريات
- الموضوعات

فهرس الآيات المفسرة

في الجزء الثاني

يشير الرقم الاول الى الآية والرقم الثاني الى السورة . وعند الرجوع الى المصحف يكون رقم السورة في اول كل سورة ، ويكون رقم الآية في اول كل آية . وقد اوردنا آيات القرآن المجيد في هذا الفهرس بدون تشكيل ، لانه عند الرجوع الى الآية في متن الكتاب يجدها القارئ تامة الشكل .

الصفحة

حرف الالف :

- « أليسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » . .
٤٦ (٢٧/٢٥)
- « الله لا اله الا هو رب العرش العظيم » . .
٤٨ (٢٧/٢٦)
- « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون »
٧٧ (٣٦/٨)
- « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » . . .
٨٤ (٣٦/١٢)

الصفحة

« إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
فبشره بمغفرة وأجر كريم »
• • • • •
٨١
(٣٦/١١)

« إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء
ولها عرش عظيم »
• • • • •
٤٢
(٢٧/٢٣)

حرف الحاء :

« حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون »
• • • • •
٢٦
(٢٧/١٨)

حرف الفاء :

« فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن
اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ
وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين »
• • • • •
٢٩
(٢٧/١٩)

« فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأً نبأً يقين »
• • • • •
٣٨
(٢٧/٢٢)

حرف القاف :

« قل أعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن
شر غاسق اذا وقب • ومن شر النفاثات
في العقد • ومن شر حاسد اذا حسد » • • •
١١٠ (١ الى ١١٣/٥)

« قل أعوذ برب الناس » • • • • •
١٢١ (١١٤/١)

حرف اللام :

« لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني
بسلطان مين » • • • • •
٣٥ (٢٧/٢١)

« لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون •
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم
مقمحون • وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم
سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون • وسواء عليهم
ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » • • •
٧٤ (٣٦/١٠-٧)

حرف الواو :

« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً
فأغشيناهم فهم لا يبصرون » • • • • •
٧٨ (٣٦/٩)

الصفحة

٨٠ « وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »
(٣٦/١٠)

٩ « ولقد آتينا داود وسليمن علماً وقالوا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » • •
(٢٧/١٥)

١٩ « وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علّمنا
منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو
الفضل المبين » • • • • •
(٢٧/١٦)

٢٤ « وحشر لسليمن جنوده من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون » • • • • •
(٢٧/١٧)

٣٣ « وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان
من الغائبين » • • • • •
(٢٧/٢٠)

٤٤ « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وزيكن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل
فهم لا يهتدون » • • • • •
(٢٧/٢٤)

« والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون • والارض
فرشناها فنعم الماهدون • ومن كل شيء خلقنا

الصفحة

- زوجين لعلكم تذكرون . ففرشوا الى الله اني لكم
منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر اني
لكم منه نذير مبين »
٩٠ (٤٧-٥١/٥١)
- « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » . . .
٨٥ (٣٦/١٢)
- « ونكتب ما قدموا وآثارهم »
٨٨ (٣٦/١٢)

حرف الياء :

- « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على
صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً
ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »
٥٢ (٣٦/٦-١)
- « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على
صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً
ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »
٥٨ (٣٦/٦-١)

فهرس الأحاديث المفسرة

في الجزء الثاني

الصفحة

حرف الالف :

« اذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو
أهلكم »

١٦٥

رواه مالك

« اتقوا اللعائين ، قالوا وما اللعانان يا رسول الله
قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم »

١٧٠

رواه مسلم

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو
امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » . .

١٨١

أخرجه الشيخان

« ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك
قال فادعه قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه
اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك
الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في »

١٨٧

البخاري ومسلم

« أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه
عمل ، ان أحدهم ليتلوا القرآن من فاتحته الى
خاتمته ما يسقط منه خوفاً وقد أسقط العمل به »

٣٢٥

نقله الثعالبي في تفسيره

٢٠١

« ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة »

رواه أبو داود

٢١٩

« اياكم والدخول على النساء فقال رجل من
الانصار يا رسول الله أفرأيت الحموق قال : الحمو
الموت »

أخرجه مسلم

٢٣١

« أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن
أتعلم له كتاب يهود ، قال اني والله ما آمن يهود
على كتاب »

رواه الترمذي

٢٤٠

« أما والله ان كنت لاعرفها لكم قولوا ما شاء الله
ثم شاء محمد »

الامام ابن ماجه

٢٤٦

« ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات
بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور
فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . .

رواه الشيخان رحمة الله عليهما

الصفحة

« ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله عزوجل يوم القيامة »
 ٢٥٢ البخاري ومسلم

« اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصلواتهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد اني أنهاكم عن ذلك » •
 ٢٥٣ رواه مسلم

« ألا أخبركم عن نفر الثلاثة أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه »
 ٢٩٢ أخرجه مالك وتلقاه من طريقه الاثمة

« اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » • • • • •
 ٣١٢ ابن عبد البر « جامع بيان العلم وفضله ٧/١ »

« رأيت لو كان لرجل خيل غير محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء وأنا فرطهم على الحوض • فليذادون رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال • أناديهم

ألا هلم ألا هلم ، فيقال انهم قد بذلوا بعدك
فأقول فسحقا فسحقا فسحقا »
رواه مالك عن ابي هريرة (ض)

٣١٤

« أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك
قال فقلت له فأين المخرج يا جبريل قال فقال في
كتاب الله يقصم الله كل جبار من اعتصم به نجا
ومن تركه هلك (مرتين) قول فصل وليس
بالهزل . لا تخلقه الالسن ولا تفنى عجائبه .
فيه نبأ من كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبر
ما هو كائن بعدكم »

٣٢٠

أخرجه الامام أحمد

« عن عائشة (ض) انها قالت يا رسول الله ان
وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال قولي : اللهم
انك عفوٌ تحب العفو فاعف عني »

٣٢٨

رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه
والحاكم ونقله ابن كثير في تفسيره (٢٦١/٩)

حرف التاء :

« تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى . قال
له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم
من الجنة . فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه
الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته ؟
قال نعم . قال أقتلومني على أمر قد قدر علي
قبل أن أخلق ؟ »

٢٨٨

رواه الأئمة

الصفحة

« تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه
 قوم يسألون به الدنيا • فإن القرآن يتعلمه ثلاثة
 نفر : رجل يباهي به ، ورجل يستأكل به ، ورجل
 يقرأه لله »

٣٢٤

رواه أبو عبيد في فضائل القرآن وصححه الحاكم
 نقله الحافظ في فتح الباري (٨٢/٩)

حرف الخاء :

« خير نساء ركبنا الابل صالح نساء قريش أحناه
 على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده »
 رواه مسلم

٢٢١

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . . .
 أخرجه البخاري عن عثمان (ض)

٣١٩

حرف الدال :

« دعوها فانها منتنة »
 رواه الشيخان وغيرهما

١٥٨

حرف السين :

« سبق درهم مائة الف درهم • فقال رجل وكيف
 ذلك يا رسول الله قال : رجل له مال كثير أخذ
 من عرضه مائة الف درهم تصدق بها ، ورجل
 ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به »
 رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان

٢٦٠

« سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذلك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود »

٧٧

رواه مسلم واللفظ له وأبو داود والطبراني في الكبير

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون وددت أنني قد رأيت اخواننا ، فقالوا يا رسول الله ألسنا باخوانك قال كلا ، أتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض »

٣١٣

حرف العين :

« على رسلكما انما هي صفة بنت حبي فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا »

٢٦٨

رواه البخاري ومسلم وغيرهما

« عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

٢٨٣

رواه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ لمسلم

حرف القاف :

« قطع على أهل المدينة بعث فاكتبت فيه فلقيت
عكرمة فأخبرته فنهاني أشد النهي ثم قال أخبرني
ابن عباس أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين
يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فيأتي السهم فيرمي فيصيب
أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله فأنزل الله تعالى :
ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » . .
رواه البخاري في كتاب الفتن

١٦٢

٣٢٨

« قلبي : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف هني »
رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

٣١٨

« قال الله اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي فمن
ذكرني وهو مطيع فحق علي أن أذكره بمغفرتي
ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي أن أذكره
بمقت »
اخرجه الديلمي وابن عساكر

حرف الكاف :

٢٠٤

« كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع
أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما » .
رواه احمد وابو داوود وابن ماجه وغيرهما

« كمل من الرجال كثير ، ولم تكمل من النساء
غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وان

فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام « »

رواه البخاري ومسلم

« كل أمي معافي الا المجاهرين وان من المجاهرة
أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره
الله ، فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ،
وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه »

رواه البخاري ومسلم

« كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب
فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من
توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم
أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال انه قتل
مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا فان
بها أناساً يعبدون الله فأعبدوه معهم ولا ترجع
الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا
نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء
تائباً مقبلاً بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه
لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي
فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى
أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسوا فوجدوه أدنى
الى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة »

رواه الشيخان

حرف اللام :

- « لا تمنعوا نساءكم المساجد اذا استأذنكم اليها
قال فقال »
٢١٧ رواه مسلم عن سالم بن عبد الله
- « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي
بالمشركين وحتى يعبدوا الاوثان وانه سيكون في
أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا
خاتم النبيين لا نبي بعدي »
٢٣٧ رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
- « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد »
٢٥١ رواه البخاري ومسلم
- « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد »
٢٥٤ رواه البخاري ومسلم
- « لي خمسة أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا
الملاحى الذى يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر
الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب »
٢٩٦ رواه مالك
- « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح
شمس صبيحتها ضعيفة حمراء »
٣٣٠ أخرجه أبو داود الطيالسي ونقله ابن كثير (٢٥٧/٩)

حرف الميم :

- « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » . .
١٥١ رواه مسلم
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم
١٥٥ شبك بين أصابعه «
رواه البخاري ومسلم
- « ما بال دعوى الجاهلية »
١٥٨ رواه الشيخان وغيرهما
- « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن . بحسب ابن
آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
١٧٧ ل طعامه وثلث لشرا به وثلث لنفسه »
رواه الترمذي وغيره وقال حسن صحيح
- « ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان
لها حجابا من النار . فقالت امرأة واثنتين ، فقال :
١٩٨ واثنتين »
رواه البخاري
- « ما من الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله
آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحياً
أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا
٢٢٤ يوم القيامة »
رواه البخاري ومسلم وغيرهما

الصفحة

- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائرُه بالحمى والسهر » ٢٢٩
رواه مسلم ولفظه تداعى له سائر الجسد
- « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » ٢٦٣
رواه مسلم وأصحاب السنن وغيرهم
- « من سئل علماً علمه فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » ٣١١
رواه ابن عبد الله وأبو داود والحاكم والترمذي وابن حبان والبيهقي
- « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلواته وصيامه وتلاوته القرآن . ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلواته وصيامه وتلاوته القرآن » ٣١٦
أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي
- « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وريحها مر » ٣٢٣
رواه مسلم والبخاري وغيرهما

« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما
تقدم من ذنبه »
٣٢٨ رواه الشيخان

حرف النون :

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة
والفراغ »
١٧٣ رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم

« ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله
يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة أو
مثل الملوك على الاسرة (يشك اسحق) قالت
فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا
لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك ،
قال فقلت يا رسول الله ما يضحكك قال ناس من
أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله ملوكا على
الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة كما قال في
الاولى قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن
يجعلني منهم قال أنت من الأولين »
٢١٢ رواه البخاري

« نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن
يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه » .
٢٥٠ مسلم من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه

حرف الواو :

- « وما يدريك ان الله أكرمهُ فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال عليه السلام أما هو فقد جاءه اليقين والله اني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا »
- ٢٥٥ رواه البخاري
- « ويحك يا أنجشة رويك سوقك بالقوارير »
- ١٤٧ رواه البخاري

فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها

في الجزء الثاني

الصفحة

حرف الالف :

- ١١ « أوفوا بالعقود »
- ١٣ . . . « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى »
- ١٣ . . . « إنا زينا السماء بزينة الكواكب »
- « آمننا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا
- ٥٦ « أولوا الألباب »
- ٥٧ « ألم ذلك الكتاب لا ريب »
- « ألم ، الله لا إله الا هو الحي القيوم ، نزل
- ٥٧ عليك الكتاب »
- ٥٧ « ألمص ، كتاب أنزل إليك »
- ٥٧ . . « الر ، تلك آيات الكتاب الرحيم »
- ٥٨ . . « الر ، تلك آيات الكتاب الرحيم »
- ٥٨ « الر ، كتاب احكمت آياته »

الصفحة

- ٥٨ . . . « الر ، تلك آيات الكتاب المبين »
- ٥٨ « الم ، تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين »
- ٧٢ « أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير »
- ١٢٤ « آمنوا كما آمن الناس »
- ١٢٧ « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون »
- ١٦٢ « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم »
- ١٦٣ « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم »
- ٦٢٦ « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم »
- ٢٢٨ « إنما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمتها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن اتلو القرآن »
- ٢٨٩ « أنا كل شيء خلقناه بقدر »
- ٢٨٩ « إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات »
- « ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات

الصفحة

- والهدى من بعد ما بيناه للناس من الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » . . . ٣١١
« اذكروا الله ذكراً كثيراً » ٣١٧
« انا أنزلناه في ليلة مباركة » ٣٢٧

حرف التاء :

- « توفي مسلماً وألحقني بالصالحين » . . . ٣٢

حرف الشاء :

- « ثم لأتبعهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم » ١٢٥

حرف الحاء :

- « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيمنت » ١٣
« حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » ٥٨

حرف الخاء :

- « خير من ألف شهر » ٣٢٧

حرف الراء :

- « رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين » . ٣٢
« ربنا أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . ١٢٢

حرف السين :

- « سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق » ٢٢٦

حرف الشين :

- « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء »
١٢٢
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » . ٣٢٧

حرف الطاء :

- « طسم ، تلك آيات الكتاب المبين » . . ٥٨

حرف الفاء :

- « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم واتقوا الله ، واعلموا ان الله
مع المتقين » ١٢

- « فأنبئنا به حدائق ذات بهجة » . . . ١٣

- « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم
لعلمهم يحذرون » ٧٠

- « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم
لعلمهم يحذرون » ٣١٣

الصفحة

- ٨٣ « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا » . .
- ٢١٠ « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين » . .
- ٢٢٦ « فرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »
- ٢٨٠ « فأولئك مع النبيين »
- ٣٠٦ « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة
على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء وانه واسع عليم »
- ٣١٧ « فاذكروني اذكركم »

حرف القاف :

- ١٣ « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق »
- ١٣ « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون »
- ١٧ « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »
- ١٨ « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »

الصفحة

- ١٢٢ « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين » . . .
- ١٢٢ « قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرجتني الى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا » .
- ١٢٣ « قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرجتني الى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا » .
- ٢٥٠ « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »

حرف اللام :

- ١١ « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين »
- ١٢ « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين »
- ١٢ « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »
- ٧٠ « لتنذر أم القرى ومن حولها »
- ٧١ « لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »
- ٣٢٨ « لأنذركم به ومن بلغ »

الصفحة

٢٨٩ . . « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

٢٨٩ « لم تقولون ما لا تفعلون »

حرف الميم :

١٣ « من كل زوج بهيج »

١٢٦ « ما بصاحبهم من جنة »

٢٨٩ « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم
إلا في كتاب من قبل أن نراها » . .

٣٢٩ « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا تؤته منها وما له في
الآخرة من نصيب »

حرف الواو :

١٠ « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا »

١٠ . . « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »

١٠ « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

١٠ « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا ،
إعدلوا هو أقرب للتقوى »

- « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ،
إعدلوا هو أقرب للتقوى » ١١
- « وبعهد الله أوفوا » ١١
- « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
الأيمان بعد توكيدها » ١١
- « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكونوا
أمة هي أربى من أمة » ١١
- « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ١١
- « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ١١
- « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ١٢
- « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ١٢
- « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ٢٦
- « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط » ١٢
- « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على
الله إنه لا يحب الظالمين » ١٢

الصفحة

- ١٢ « وصوركم فأحسن صوركم » . . .
- ١٣ « وصوركم فأحسن صوركم » . . .
- ٥٠ « وقل رب زدني علما »
- ٥٠ « وفوق كل ذي علم عليم »
- ٦٦ « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »
- ٦٦ « وجعلنا من الماء كل شيء حي »
- ٦٦ « وأرسلنا الرياح لواقح »
- ٦٨ « وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى »
- ٦٩ « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون »
- ٦٩ « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »
- ٧٠ « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا » . . .
- ٧٢ « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . . .
- « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن فزادوهم رهقا »
- ١١٠ « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم

الصفحة

- زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وأبقى « » ١٢٠
- « ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان
الانعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله » . . ١٢٣
- « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . ١٢٦
- « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين » ١٢٧
- « وقيضنا لهم قرناء » ١٢٧
- « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » ١٢٧
- « واتقوا الله الذي تسألون به » . . . ١٨٨
- « وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم
اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » ٢١١
- « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » ٢١٥
- « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » . . . ٢٠٢
- « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » ٢٠٩

٢٥٠ « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »

٢٥٠ « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يمتص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » . .

٢٨٦ « والله مخرج ما كنتم تكتمون » . . .

٢٨٩ « وكل شيء فعلوه في الزبر » . . .

٣٠١ « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »

٣٣٠ « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » . . .

٣٣٢ « وأوحى اليّ هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ »

٣٣٢ « وكل نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك »

٣٣١ « وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور »

حرف الهاء :

٣٣١ « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

الصفحة

٣٢٢

« هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »

حرف الياء :

- « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خيرا » .
- ١٠
- « اليوم أحل لكم الطيبات »
- ١٣
- « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا »
- ٧١
- « نبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر » . .
- ٨٦
- « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »
- ٢٢٧

فهرس الأحاديث المستشهد بها

في الجزء الثاني

الصفحة

حرف الالف :

- ٢٠ « انا معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة »
- ٧٠ « اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً »
- ٧٢ « إن أبي وأباك في النار »
- ٩٨ . . « ان الله جعل رزقي تحت ظل رمعي »
- ١٧١ . . « أعزل الأذى عن طريق المسلمين »
- ١٧٥ « إذا مرض العبد كتب له مثل ما كان يعمل
مقيماً صحيحاً »
- ١٧٥ « ان خرج يسمي على ولده صفاراً فهو في سبيل
الله ، وان خرج يسمي على ابوين شيخين كبيرين
فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسمي على
نفسه يعفها فهو في سبيل الله »
- ١٧٧ « اللهم الرفيق الأعلى »
- ٤٨١

الصفحة

- « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ١٨٦
- « أشركنا يا أخي في دعائك ولا تسنا » . . ١٩١
- « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا » ٢١٤
- « أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » ٢١٤
- « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » ١٩٣
- « اني أسألك بعلمك وقدرتك على الخلق » ١٩٣
- « اذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت ولكن يقل ما شاء الله ثم شئت » . . . ٢٤٣
- « ألا وان من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد اني أنهاكم عن ذلك » ٢٤٧
- « الذي لا نبي بعدي » ٣٠٤

حرف الباء :

- « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقمنا باذن ربنا » ١١٧

الصفحة

« بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به
سقمنا باذن ربنا » ١١٩

حرف التاء :

« تغدو خماسا وتروح بطانا » ٩٨

حرف الخاء :

« خير نسائهم مريم بنت عمران وخير نساؤها
خديجة » ٢١١

حرف الدال :

« الدعاء هو العبادة » ١٩١

« دعا الله باسمه الاعظم إذا دعي أجاب ، وإذا
سئل به أعطى » ١٩٣

حرف الكاف :

« كل بدعة ضلالة » ٨٨

« كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع » ٢٨٧

حرف اللام :

« لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ٤٣

« لا ملجأ ولا منجى إلا إليك » ٩٩

الصفحة

- ١١٧ « لا تنقضي عجائبه »
- ١٩٣ « لقد سألت الله بالاسم الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب »
- ١٩٤ « لقد سألت الله بالاسم الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب »
- ١٩٤ « لقد دعوت الله باسمه الأعظم »
- ٢٣٨ « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين »

حرف الميم :

- ٢٦ « من يزع السلفان أكثر ممن يزع القرآن »
- ٦٨ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »
- ٨٧ « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »
- « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ،

- ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل
آثار من تبعه لا ينقص ذلك من اثمهم شيئاً
٨٧
- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم
مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى »
١٥٥
- « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم
ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها
من خطاياها »
١٧٥
- « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله
آمن عليه البشر »
٢٢٥

حرف الواو :

- « ومن سألكم بالله فأعطوه »
١٨٩
- « ومن قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات
في سبيل الله فهو شهيد »
٢١٥
- « وانما كان الذي اوتيته وحياً أوحاه الله الي »
٢٢٥
- « والذي نفس محمد بيده لا يسمع في أحد من
هذه الامة ، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم
يؤمن بالذي ارسلت به إلا كان من أصحاب
النار »
٢٢٧

الصفحة

- ٢٨٠ « وإذا سألت فاسأل الله »
- ٣٠٤ . . « وأنا العاقب الذي لا نبي بعدي »

حرف الياء :

- ١٥٣ . . « يموت يوم يموت وهو غاش لرعية »
- « يكون في آخر الزمان دجالون وكذابون
يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أتم ولا
آبأؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا
يفتنونكم »
- ٢٨٧

فهرس رجال السند

في الجزء الثاني (1)

حرف الالف :

/ ٣٢١ / ١٩٣ / ١٠٠ / ٩٨ / ١٥	أحمد بن حنبل
٣٢٨ / ٣٢٤	
٢١٢	اسحق بن أبي طلحة
١٦٢	ابو الاسود
١٤٧	انجشة (وانظر الاعلام)
/ ٢٩٣ / ٢١٢ / ١٩٣ / ١٤٧	انس بن مالك (انظر الاعلام)
٣٢٨ / ٣١٢	
٢٦٣	أبو أيوب الانصاري

حرف الباء :

/ ١٧٥ / ١٧٣ / ١٥٨ / ١٥٥	البخاري
/ ٢١٢ / ٢٠٩ / ١٩٤ / ١٨١	
/ ٢٣٤ / ٢٢٤ / ٢١٤ / ٢١٣	
/ ٢٥٤ / ٢٥٢ / ٢٥١ / ٢٤٦	

(1) اعتمدنا على ذكر الاسم الأول دون النظر الى ال التعريف أو أبو أو أم .

رجال السنن

/ ٢٨٣ / ٢٧٣ / ٢٦٨ / ٢٥٥
٢٢٣ / ٣١٩ / ٢٩٢

١٧١

أبو يرزة الأسلمي

٢١٧

بلال بن عبد الله

٣١٦ / ٣١١ / ١٨٨

اليهقي

حرف التاء :

/ ١٩٤ / ١٨٨ / ١٨٧ / ١٧٧
/ ٢٩٢ / ٢٣٧ / ٢٣١ / ٢٠٦
٣٢٨ / ٣١١

الترمذي

حرف التاء :

٢٦٤ / ٢٦٣ / ٢٣٧

ثوبان

حرف الجيم :

٢٦٣ / ٢٥٠ / ١٥٨ / ٨٧

جابر بن عبد الله

١٨٨ / ١٨٧

أبو جعفر

٢٥٣ / ٢٤٧

جنذب

حرف الحاء :

/ ٢٩٣ / ١٩٤ / ١٩٣ / ١٨٨
٣٢٨ / ٣٢٤ / ٣١١ / ٢٩٤

الحاكم

ابن جبان ٣١١ / ٢٦٠

أم حبيبة ٢٥٢ / ٢٤٦

حذيفة بن اليمان ٢٤٠ / ١١٠

أم حرام ٢١٤

الحسن البصري ٣١٦

ابو الحسن المقدسي ١٩٤

حرف الخاء:

خارجة بن زيد ٢٥٥

ابن خزيمة ٢٦٠ / ١٨٨

حرف الدال:

أبو داود ١٨٨ / ١٩٤ / ٢٠١ / ٢٧٧ / ٣١١

حرف الراء:

ربيعي بن حراش ٢٤٠

ربيعة بن كمب ٢٧٧

الربيع بن أنس ٣١٦

رجال السنن

حرف الزاي :

زيد بن ثابت ٢٣١

حرف السين :

سالم بن عبد الله ٢١٧

السدي ٣١٦

سعيد بن جبير ٣١٦

ابو سعيد الخدري ٣٢٤ / ٢٧٣ / ١٩٨

سفيان بن عيينة ٢٤٠

أم سلمة ٢٥٢ / ٢٤٦

سهيل بن أبي صالح ١٦٥

حرف الشين :

شعبة ١٨٧

الشفاء بنت عبد الله ٢٥٥ / ٢٠١

حرف الصاد :

صفية أم المؤمنين ٢٦٨

حرف الطاء :

الطبراني ٢٧٩ / ٢٧٧ / ١٨٨ / ١٨٢ / ١٧٥

٢٤٠	الطفيل بن سخيرة
	حرف العين :
/ ٢٥٢ / ٢٤٦ / ٢٠٥ / ١١٦	عائشة
٣٢٨ / ٢٥٤	
١٩٤	عبد الله بن أبي اوفى
/ ١٨٢ / ١٧٣ / ١٦٣ / ١٠٧	عبد الله بن عباس
/ ٢٤٣ / ٢٠٥ / ١٩٩ / ١٩٤	
٣٣٠ / ٢٨٠	
٣١٨ / ٢٦٣ / ٢١٧ / ١٩٦ / ١٩٤	عبد الله بن عمر
٣٢٥ / ١٩٣	عبد الله بن مسعود
٢٤٠	عبد الملك بن عمير
١٨٨ / ١٨٧	عثمان بن حنيف
٣١٩	عثمان بن عفان
١٨٧	عثمان بن عمر
٢١٩ / ١٠٧	عقبة بن عامر الجهني
٣٣٠ / ٢١١ / ٢٠٦ / ١٩٤	علي بن أبي طالب
١٩٣	عمار بن ياسر

رجال السند

١٨٧ عمار بن خزيمة بن ثابت

٢٤٠ ابو عوانة

حرف الفين :

٣١٧ ابن غيلان

حرف الفاء :

٢٠٤ فاطمة بنت المنذر

٢٠٥ الفضل بن عباس

حرف القاف :

١٤٧ ابو قلابة

حرف الكاف :

٢٧٩ كعب

حرف اللام :

٢١٢ الليث

حرف الميم :

٣٢٨ / ٢٤٣ / ١٩٤ / ١٨٨ ابن ماجة

/ ٢١٢ / ٢٠٦ / ٢٠٢ / ١٦٥ مالك

٢٩٢ / ٢٤٠

محمد بن عبد الملك ابو الشوارب ٢٤٠

١٨٧ محمود بن غيلان

مسلم
/ ١٥٥ / ١٥١ / ١٥٧ / ٩٠
/ ١٨١ / ١٧٠ / ١٦٣ / ١٥٨
/ ٢١٥ / ٢١١ / ٢٠٩ / ١٨٧
/ ٢٢٤ / ٢٢١ / ٢١٩ / ٢١٧
/ ٢٤٦ / ٢٣٩ / ٢٣٤ / ٢٢٩
/ ٢٥٤ / ٢٥٣ / ٢٥١ / ٢٥٠
/ ٢٧٧ / ٢٧٣ / ٢٦٨ / ٢٦٣
/ ٢٩٢ / ٢٨٧ / ٢٨٣ / ٢٧٩
٣٢٣

٣١٦ ابن المنذر

٣٢٢ / ٢٠٩ / ١٧٥ / ١٥٥ ابو موسى الأشعري

حرف النون :

النسائي
/ ٢٦٠ / ١٩٣ / ١٨٨ / ١٥٧
٣٢٨ / ٢٩٢ / ٢٦٤

١٩٤ النعمان بن البشير

حرف الهاء :

ابو هريرة
/ ١٧٠ / ١٦٥ / ١٦٣ / ٨٧
/ ٢٣٤ / ٢٢٤ / ٢٢١ / ١٩٤

/ ٢٧٥ / ٢٦٣ / ٢٦٠ / ٢٥١
٣٢٨ / ٣١٣ / ٢٨٨

٢٠٤ هشام بن عروة

٢٤٠ هشام بن عمار

٣١٨ ابو هند الداري

حرف الواو:

١٨٢ ابو وائل

٢٩٢ ابو واقد الليثي

حرف الياء:

١٦٥ ابن يحيى

فهرس الاعلام

في الجزء الثاني

حرف الالف :

١٢٠ / ٢٨٨ / ٢٨٩ / ٢٩٠ /	آدم
٢٩١	
٣٢ / ١٩٤ / ٣٥٣ / ٤٤٠ / ٤٥٢	ابراهيم (عليه السلام)
١٥١	ابراهيم بن الأشعث
١١٢ / ١٢٠ / ١٢٢	ابليس
٢١٣	ابن الاثير
٢١٣	اسحاق بن أبي طلحة
٣١٢	اسحاق بن راهوية
٢٠٤	أسماء بنت أبي بكر
١٦٢ / ١٦٣	أبو الاسود محمد الأسدي
٢٠٩ / ٢١٠	آسية
١٤٧ / ١٤٨	انجشة

أنس بن مالك ٢١٣ / ٣٢٨

أبو أيوب الأنصاري ٢١٣

حرف الباء :

الباجي ٣١٤

البخاري (انظر رجال السند) ١٦٢ / ١٨٧

البرادعي ١٠٣

ابو بردة ١٩٤ / ٢٤١

البعوي ٣٢٦

ابو بكر ١٩٦ / ٢٠٤ / ٢٥٨ / ٣٠٦

ابو بكر بن العربي ٣٤ / ٣٥ / ٥٦ / ٥٧

بلال بن عبد الله ٢١٧

بلقيس ٤٢ / ٤٣ / ٤٩

حرف التاء :

الترمذي (انظر رجال السند) ١٩١ / ٢٧٦

حرف الثاء :

الثعالبى ٣٢٥

حرف الجيم :

الجصاص ١٣١

حرف الحاء :

ابن ابي حاتم ٣١٨

ابن الحاجب ١٠٣

الحاكم (انظر رجال السند) ٤٠

ابن حجر ٣٢٠ / ١٠٣

ام حرام ٢١٣ / ٢١٢

الحسن البصري ٣١٠ / ٢٦

الحسن بن الفضل ٣٢٧

الحسين بن علي ١٥١

حمدان الويسي ١٣٨

حرف الخاء :

خالد بن أبي عمران ٣١٦

خديجة ٢١١

ابن خلدون ١٠٣

الخونجي ١٠٣

حرف الـدال :

ابن دالي عمر ٤١

داوود ٢١ / ٢٠ / ١٩ / ٩

ابو داوود الطيالسي ٣٣٠

ابن دقيق العبد ٢٧١

الديلمي ٣١٨

حرف الـذال :

الذهبي ٤٠

حرف الـراء :

ربيعي بن خراش ٢٤١

الرازي ١٠٣

حرف الـزاي :

زائدة ٢٤١

زيد بن ثابت ٢٥٩ / ٢٣١

حرف السين :

١٩٤	ساره
٣٠٦	سجاح
٣١٦	سعيد بن منصور
٢٤١ / ١١٧	سفيان بن عيينة
/ ٢١ / ٢٠ / ١٩ / ١٥ / ٩	سليمان (عليه السلام)
/ ٢٧ / ٢٥ / ٢٤ / ٢٣ / ٢٢	
/ ٣٤ / ٣٣ / ٣١ / ٣٠ / ٢٨	
/ ٤٠ / ٣٩ / ٣٨ / ٣٧ / ٣٦	
٤٩ / ٤٣ / ٤٢	
٣١٨ / ٣١٦ / ١٠٣	السيوطي

حرف الشين :

٤٤	شجرة الدر
٢٤١	شعبة
١٠	شمويل
٣٣٦	الشوكاني

حرف الصاد :

١٣٤	ابو صالح
-----	----------

الأعلام

١٠٣	ابن الصباغ
٢٦٩ / ٢٦٨ / ٧٠	صفية
حرف الطاء :	
١٠	طالوت
١٣٤ / ١٠٠	الطبري
٢٤١	الطفيل
٣٠٦	طلحة
٤١	الطيب العقبي
١٧	ابو الطيب المتنبى
حرف الصين :	
٣٣٩ / ٢٤٠ / ٢١٨ / ٢٠٩ / ١٩٠	عائشة
٢١٢	عبادة بن الصامت
١٩٥ / ١٤	العباس
٤١	عباس التركي
/ ٣١١ / ٣١٠ / ٢٧٥ / ٢٤١	ابن عبد البر
٣١٣ / ٣١٢	

٢٦٦	عبد العظيم المنذري
١٦٢	عبد الله بن الزبير
٢٨١ / ٢٧٦ / ١٦٣ / ١٣٤	عبد الله بن عباس
٢١٨	عبد الله بن عمر
٣١٨	عبد الله بن حميد
٢٤١	عبد الملك بن عمير
١٦٠	عبد الملك بن مروان
٣٢٤ / ٩٧	ابو عبيدة
١٣٤	عبيدة
١٥٢ / ١٥١	عبيد الله بن زياد
٢٥٩ / ٢٥٦ / ٢٥٥	عثمان بن مظعون
٢٠٤	عروة بن الزبير
٣١٨	ابن عساكر
١٦٢	عكرمة
١٤ / ١٥ / ٣٤ / ٣٥ / ٩٧	عمر بن الخطاب
١٥١ / ١٩٦ / ٢٠١ / ٢٥٨	
٣٠٦	

الأعلام

٢١٣ عمير بن الاسود

١٣١ القاضي عياض

٣٠٥ / ٢٤٢ عيسى (عليه السلام)

حرف الفين :

٣٢٢ / ١٢٠ الامام الغزالي

حرف الفاء :

١٩٠ / ٧٠ فاطمة

حرف القاف :

٣١٤ ابو القاسم الجوهري

١٣٤ قتادة

٢٦٦ الامام القرافي

١٨٢ القسطلاني

٣٠٥ قسطنطين

١٤٩ ابو قلابة

حرف الكاف :

٣١٦ / ٣٢١ / ٣٢٤ / ٣٢٨ / ابن كثير

٣٣٠

١١٩ كعب بن زهر

حرف اللام :

١١٥ لبيد بن الاعصم اليهودي

حرف الميم :

٢٧٦ ابن ماجة

الامام مالك
/ ٢٦٤ / ٢٠٥ / ١٩٦ / ١٣١
/ ٣٠٨ / ٥٧٥ / ٢٦٦ / ٢٦٥
٣١٣ / ٣١٢

٣١٢ ابن مبارك

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٤ / ١٥ / ١٨ / ٣٥ / ٤٣
/ ٧١ / ٧٠ / ٦٩ / ٥٩ / ٥٦
/ ٨٧ / ٨٤ / ٨٢ / ٧٤ / ٧٢
/ ١٠٥ / ١٠٠ / ٩٩ / ٩٨ / ٨٨
/ ١١٠ / ١٠٩ / ١٠٨ / ١٠٧
/ ١١٨ / ١١٧ / ١١٦ / ١١٥
/ ١٤٩ / ١٤٨ / ١٤٧ / ١٣١
/ ١٥٥ / ١٥٣ / ١٥١ / ١٥٠
/ ١٦٠ / ١٥٨ / ١٥٧ / ١٥٦
/ ١٧٠ / ١٦٩ / ١٦٥ / ١٦٢
/ ١٧٧ / ١٧٥ / ١٧٣ / ١٧١
/ ١٩٣ / ١٩١ / ١٩٠ / ١٨٧

/ ١٩٨ / ١٩٦ / ١٩٥ / ١٩٤
/ ٢٠٦ / ٢٠٥ / ٢٠١ / ١٩٩
/ ٢١٣ / ٢١٢ / ٢١٠ / ٢٠٧
/ ٢١٨ / ٢١٧ / ٢١٥ / ٢١٤
/ ٢٢٣ / ٢٢٢ / ٢٢١ / ٢١٩
/ ٢٢٧ / ٢٢٦ / ٢٢٥ / ٢٢٤
/ ٢٣٧ / ٢٣٢ / ٢٣١ / ٢٢٩
/ ٢٤٢ / ٢٤١ / ٢٣٩ / ٢٣٨
/ ٢٥٠ / ٢٤٧ / ٢٤٦ / ٢٤٣
/ ٢٥٥ / ٢٥٤ / ٢٥٣ / ٢٥٢
/ ٢٥٩ / ٢٥٨ / ٢٥٧ / ٢٥٦
/ ٢٦٥ / ٢٦٣ / ٢٦١ / ٢٦٠
/ ٢٧١ / ٢٧٠ / ٢٦٩ / ٢٦٨
/ ٢٧٨ / ٢٧٧ / ٢٧٥ / ٢٧٣
/ ٢٨٣ / ٢٨١ / ٢٨٠ / ٢٧٩
/ ٢٩٢ / ٢٩١ / ٢٨٧ / ٢٨٦
/ ٣٠٢ / ٣٠١ / ٢٩٩ / ٢٩٣
/ ٣٠٧ / ٣٠٥ / ٣٠٤ / ٣٠٣
/ ٣١٣ / ٣١٠ / ٣٠٩ / ٣٠٨
/ ٣٢١ / ٣٢٠ / ٣١٥ / ٣١٤
٣٢٩ / ٣٢٤ / ٣٢٣ / ٣٢٢

١٣٤

محمد بن سعد

٢٨٧

محمد السنوسي

١٠٣	احمد عبده
١٤١ / ١٤٠ / ١٣٨	محمد النخلي القيرواني
١٢٩	محمد بن يوسف
٢١٠ / ٢٠٩	مريم (عليه السلام)
٢١٤ / ٢١٣ / ٢١٢ / ١٥١ / ١٤	معاوية
١٨٢	مهاجر أم قيس
١١٥	المولود بن موهوب
/ ٢٩٠ / ٢٨٩ / ٢٨٨ / ٢٢٦ ٣٠٥ / ٢٩١	موسى (عليه السلام)
	حرف النون :
٣١٧	الامام النووي
	حرف الهاء :
٢٢٣ / ٢٢٢ / ٢٢١	ام هانيء
٢٢٢	هيرة بن عمر الخزومي
	حرف الواو :
٤٠	وهب بن منبه

حرف الياء :

٢٠٥ يزيد بن ابي زياد

٢٦٤ يحيى بن يحيى

١٥١ يزيد بن معاوية

٣٢ يوسف (عليه السلام)

فهرس الامثال

في الجزء الثاني

اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ١٥١

اتبع الفرس لجامها ٢٦٣

الليل أخفى للويل ١١٤

حرف السين :

٤١ / ٣٨

سبأ

حرف الشين :

١٦٢ / ١٤٧ / ٤١

الشام

حرف القاف :

٤١٢

قبا

٢١٤

قبرص

٢١٤

القسطنطينية

١٤٤

قسطنطينة

حرف الميم :

١٨٧ / ١٦٢ / ١١٨

المدينة

٣٢١ / ٧٥ / ٧٠

مكة

حرف النون :

٢٢٢

نجران

حرف الياء :

٤٣ / ٤١

اليمن

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

في الجزء الثاني

حرف الالف :

٣٣٢ / ١٢٠

احياء علوم الدين

حرف التاء :

٣٣٦

تفسير البغوي

٣٣٥

تفسير الثعالبي

٣٥

تفسير ابن عبد الرحمن السلمي

٣٥

تفسير ابن عربي

٣٣٨

تفسير ابن كثير

١٠٣

التهديب

حرف الجيم :

٣١١ / ٣١٠

جامع بيان العلم وفضله

١٠٣

كتاب الجبل

حرف الحاء :

٣١٧

حلية الابرار

حرف الدال :

٣١٨ / ٣١٦

الدر المنثور

حرف الزاي :

١٢٩

الزهرة (ج)

حرف السين :

١٨٨

سنن أبي داوود

حرف الشين :

١٠٣

الشامل

٢٣٩ / ١٠٤

الشهاب

حرف الفاء :

٣٢٤ / ٣٢١

فضائل القرآن

حرف القاف :

٥٦

القبس (ج)

حرف اللام :

١٢٩

اللواء التونسي (ج)

الكتب والمراجع

حرف الميم :

٤٠

مستدرك الحاكم

١٠٣

المحصل

١٠٣

مختصر ابن الحاجب

/ ٣٠٨ / ٢٦٤ / ١٩٦ / ١٣١

الموطأ

٣١٣

فهرس الموضوعات

في الجزء الثاني

صفحة

ملك النبوة : مجمع الحق والغير ومظهر
الجمال والقوة :

تمهيد ، النبوة ، الملك ، المعنى ، تنويه وتأصيل ،
احماض ، فقه وأدب ، ارشاد واشادة
١٨ - ٩

ملك النبوة القسم ٢ :

الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، فقه وتحقيق ، تفرقه ،
تفرقة اخرى ، عجائب الخلقة وحكمة العربية ، نظر
وايمان ، تمييز ، توجيه ، تنزيه وتبيين ، ترغيب واقتداء
٢٣ - ١٩

ملك النبوة القسم ٣ :

الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، تفصيل ، تاريخ وقدوة ،
طبيعة وشريعة . الآية الرابعة : الالفاظ والتراكيب ،
المعنى ، عبرة وتعليم ، واجب القائد والزعيم ، عظة
بالغة . الآية الخامسة : الالفاظ والتراكيب ، المعنى ،
توجيه ، أدب ومن سرته النعمة ، النعمة المزدوجة ،
الغاية المطلوبة ، جمع وتحقيق ، دقيقة روحية . . .
٣٢ - ٢٤

ملك النبوة القسم ٤ :

الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، تعليم وقدوة ، تحليل

صفحة

٣٥ — ٣٣ • • • • • تحرير ، تدقيق لغوي وغوص علمي ، توجيه • •

الآية السابعة :

٣٧ — ٣٥ • • • • • الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، توجيه واستنباط ، صرامة
الجنديّة ، تقدير العقوبة ، تنبيه وارشاد ، الحق فوق
كل أحد • • • • •

ملك النبوة القسم ٥ الآية الثامنة :

٤١ — ٣٨ • • • • • التراكيب والالفاظ ، المعنى ، توجيه واستنباط ،
عزة العلم وسلطانه ، أدب واقتداء ، مدرك عقيدة ،
تحقيق تاريخي ، معذرة الى القراء الكرام • • •

ملك النبوة القسم ٦ الآية التاسعة :

٤٤ — ٤٢ • • • • • الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، عظمة المملكة العربية
اليمنية ، تفوق العرب على الاسرائيليين ، ولاية المرأة
الملك ، تعليل ، دفع اعتراض • • • • •

الآية العاشرة :

٤٦ — ٤٤ • • • • • الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، سلاح الشيطان وأصل
الضلال ، الوقاية • • • • •

الآية الحادية عشر :

٤٨ — ٤٦ • • • • • الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، استدلال وتوجيهه ،
حكم وانبأؤه ، تحذير ، تشويق القرآن الى علوم
الاكوان ، ترتيب في الاستدلال • • • • •

صفحة

الآية الثانية عشر :

الالفاظ والتراكيب ، المعنى ، توجيه الترتيب ، بيان
مراد ، للعبرة والقدوة ، لمحة نفسية ، اشارة علمية ٥١ - ٤٨

يس :

سؤال وجوابه ، توجيه وتنظير ، بناء العمل على هذا
العلم ، القول الثاني في فواتح السور ، اختلاف
المتأولين ، الفائدة العملية ٥٢

الآية ٢ - ٦ :

بيان المفردات ، المعنى ، أصل المعرفة والسلوك من
هذه الآيات الكريمة ، تمهيد ، الحكمة في هذه الآية ،
توجيه القسم في الآيات ، عقائد وأدلتها من هذه الآيات
العقيدة الاولى ، العقيدة الثانية ، العقيدة الثالثة . . ٥٨ - ٦٧

الوحي مصدر الاسلام :

الاسلام دين العز والرحمة ، النذارة ثمرة الرسالة ،
التدريج في الانذار ، اقتداء ، سبب الغفلة ودواؤها ،
تطبيق ٦٨ - ٧٣

لا يؤمن من سبق في علم الله عدم ايمانه :

المناسبة ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ، سؤال ،
جوابه ، سؤال على هذا الجواب ، جوابه ، لا حجة
لمن مات على كفره بما سبق من علم الله فيه ، توجيه
للترتيب ، تقريب ، تمثيل حال المعرضين عن الحق

صفحة

المعاندین فيه ، المناسبة ، المفردات ، التراکيب ، المعنى ،
توجيه التمثيل ، ترهيب ، تعليم من استوى عنده
الانذار وعدم الانذار لا يرجى منه ايمان ، المناسبة ،
الترتيب ، المفردات والتراکيب ، المعنى ، تحذير ، تحذير
الانذار للمنتفعين به وتبشيرهم ، المناسبة ، المفردات
والتراکيب ، الترتيب ، المعنى ، دفع أشكال ، ارشاد
صفة المؤمن من هذه الآيات ٧٤ - ٨٣

الحياة بعد الموت :

المناسبة ، سؤال ، الجواب ، المفردات ، التراکيب ،
المعنى ، احصاء الاعمال المباشرة وغير المباشرة ،
المناسبة ، المفردات ، التراکيب ، المعنى ، تنظير ،
تأييد وبيان ، تنبيه ، تحذير ، الاحصاء العام في الكتاب
الامام ، المناسبة ، المفردات ، التراکيب ، المعنى ،
اعتبار ٨٤ - ٨٩

الفرار الى الله :

تمهيد ، الالفاظ والتراکيب ، المعنى ، تحقيق آية كونية
من الآيات القرآنية ، الآية الثانية ، الالفاظ والتراکيب
المعنى ، دققة كونية في الآية القرآنية ، الآية الثالثة :
الالفاظ والتراکيب ، المعنى ، توسع في التذکر ،
دققة نفسية في نكتة بلاغية ، آية كونية في الآية
القرآنية ، بلاغة التنويع والتنزيل ، الآية الرابعة :
الالفاظ والتراکيب ، المعنى . نكتة التنويع ، بيان
وتوحيد ، ارشاد وتعميم ، تنبيه على وهم ، تحذير

صفحة

- من جهالة ، تطبيق ، الآية الخامسة : الالفاظ والتراكيب
المعنى ، نكتة التكرير ، تنبيه وتحذير ، بيان نبوي
قولي ، بيان نبوي عملي ٩٠ - ١٠٠
- خلاصة تفسير المودنين ١٠١ - ١١٠
- كلمة بين يدي التلخيص
- سورة الفلق ١١٠ - ١٢٠
- سورة الناس ١٢١ - ١٢٨

حول كلمات لاستاذ كبير في تفسير آيات
الزينة والستر :

- البحث الاول في معنى الادناء والجلايب ١٢٩ - ١٣٣
- البحث الثاني في اختلاف المفسرين من السلف ١٣٣ - ١٣٤
- البحث الثالث في الترجيح ١٣٤ - ١٣٥
- كلمة المحتفل به ١٣٦ - ١٤٢
- كلمة الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس
١٤٢ - ١٤٤

قسم الحديث ١٤٥

الفن الادبي في الحديث النبوي :

- الاشخاص ، التراكيب ، المعنى ، الفن ، الرد على
المتشددين ، فقه ١٤٧ - ١٥٠

صفحة

الراعي الفاش لرعيته :

الصحابي الجليل والامير الظالم ، معقل بن يسار ،
عبيد الله بن زياد ، ترك الموعظة خوف المفسدة ، ما
الراعي وما الرعية ، الواجب على الراعي في رعيته ،
توجيه ، الوعيد : معناه وشرطه وعمومه ، تطبيق
١٥٤-١٥١

اتحاد المؤمنين وتعاونهم :

المفردات ، التراكيب ، المعنى ، زيادة بيان ، تبصر ،
تفقه ، سلوك
١٥٧-١٥٥

دعوى الجاهلية او الكلمة المنتنة :

الالفاظ ، المعنى ، الدعويان وأثرهما ، تفرقة وتمييز ،
استدلال ، تحذير وارشاد
١٦١-١٥٨

تكثير السواد :

الالفاظ ، المعنى ، المطابقة ، الاحكام ، الاهتداء .
١٦٤-١٦٢

من رغب عن سنتي فليس مني :

السند ، المتن ، الالفاظ ، المعنى على الوجه الاول ،
على الوجه الثاني ، الاحكام ، توجيه ، تقييد وتعميم ،
الآداب ، أصل عام في التربية
١٦٩-١٦٥

نظافة الطرق والمجالس أو مصلحة من

مصالح البادية :

المفردات ، المعنى ، الحكم ، تعميم ، تميم ، تطبيق
١٧٢-١٧٠

صفحة

الصحة والفراغ، استغلالهما والاستفادة منهما:

- اللغة ، التراكيب ، المعنى ، فقه الحديث ومقصوده ،
تفريع على الحديث ، تفريع آخر ، سلوك العاملين
بهذه الاحاديث ١٧٣ - ١٧٦

نظام الغذاء :

- ليس الخبز كل ما نريده ١٧٧ - ١٨٠

آثر النيات في الاعمال :

- الالفاظ ، التراكيب ، سبب الورود ، المعنى ، ومعنى
الثانية ، مقتضى الجملة الاولى ، الاحكام ، تفريع ،
ارشاد وترغيب ، تنبيه وتحذير ١٨١ - ١٨٦

**التوجه الى الله برسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) :**

- السند ، مخرجو الحديث ، رتبة الحديث العلمية
والعملية ، ألفاظ المتن ، المفردات ، التراكيب ، المعنى ،
سؤال ، جوابه ، الاحكام ، سؤال ، جوابه ، سؤال
آخر ، جوابه ، سؤال آخر ، جوابه ، سؤال آخر ،
جوابه ، تلخيص وتحصيل ١٨٧ - ١٩٧

حق النساء في التعليم :

- الشرح ، الاحكام والفوائد ، اقتداء ١٩٨ - ٢٠٠

تعليم النساء الكتابة :

- السند ، المتن ، الاشخاص ، الالفاظ ، المعنى ، الاحكام

صفحة	
	الآية الخالدة لنبوة خاتم الانبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) :
٢٢٨-٢٢٤	تفرقة وترجيح ، تفريع ، انفراده (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاتباع من يوم بعثته
٢٢٠-٢٢٩	قيمة الرجل بقيمة قومه :
	من السنة : تعلم اللغات المحتاج اليها :
٢٣٣-٢٣١	الفوائد والاحكام ، الاولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة
	التستر بالنقائص :
٢٣٦-٢٣٤	الكلمات، المعنى، استنباط ، تنبيه وتحذير، اعتبار، تربية
	الشرك والوثنية ودعوى النبوة :
٢٣٩-٢٣٧	اللحوق بالمشركين ، عبادة الاوثان ، دعوى النبوة
	كلمات الشرك ((النهى ان يقال ماشاء الله وشئتم)):
٢٤٥-٢٤٠	السند الاول ، السند الثاني ، رتبة الحديث ، مزيد، بيان ، الجمع ، المعنى ، الاحكام ، تأييد ، تفصيل أول ، تفصيل ثان ، تطبيق ، العلاج
	بناء المساجد على القبور من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة :
٢٤٩-٢٤٦	الأحكام ، تطبيق ، إيمان وامثال
٢٥٠	النهى عن البناء على القبور

صفحة	
٢٥١	لعن الله من اتخذ المساجد على القبور . . .
٢٥٢	بناء المساجد على القبور من شرار الخلق عند الله يوم القيامة
٢٥٣	تأكيد النهي عن اتخاذ القبور مساجد
٢٥٤	من اتخذ القبور مساجد الصلاة اليها
	حديث تزكية الاموات ، لا يجزم لاحد انه من اهل الجنة الا بنص من الشارع :
٢٥٩-٢٥٥	المتن ، ترجمة شخصي الحديث ، الشرح ، توضيح ، الاحكام ، تفرقة ، تحذير وارشاد
	تفاوت الصدقات بنسبتها لاموال المتصدقين :
٢٦٢-٢٦٠	الالفاظ ، المعنى ، توجيه ، تبصرة ، تربية
	اتباع رمضان بستة من شوال :
٢٦٧-٢٦٣	المفردات ، التراكيب ، المعنى ، توجيه كلام مالك ، تطبيق ، الاحكام ، فقه مالك واحتياطه ، اقتداء وتحذير ، امثال
	على رسلكما :
٢٦٩-٢٦٨	الالفاظ ، الاشخاص ، المعنى
	الأسوة : ولكم في رسول الله أسوة حسنة :
٢٧٢-٢٧٠	حماية الاعراض من التهم ، مدافعة الشيطان عن القلوب

انما يؤخذ الدين من العلماء :

٢٧٦-٢٧٣ الالفاظ ، المعنى ، الاحكام ، عبرة وتحذير ، استشهاد

فضل السجود والحث عليه :

الراوي ، الالفاظ ، التراكيب ، المعنى ، زيادة بيان ،
النظر في الروايتين ، الجمع والترجيح ، توجيه ،
فوائد الاحكام ، ارشاد وتحذير ، بيان عقيدة وابطال
ادعاء ، حقيقة نفسية ٢٧٧-٢٨٢

الصدق والكذب ، اين يهدي كل واحد منهما :

المفردات ، التراكيب ، المعنى ، تفصيل وتقسيم ، توجيه
وتعليل ، استفادتان ، استنتاج ، ترهيب ، تحذير
أوكد ، سلوك ٢٨٣-٢٨٧

**لا لوم على من صدق المتأب ، محاجة آدم
وموسى عليهما السلام :**

تمهيد ، الالفاظ ، المعنى ، بسط وبيان ، دفع شبهة ،
دفع شبهة أخرى ، اقتداء ٢٨٨-٢٩١

مجالس العلوم ، الاقبال عليها والاعراض عنها :

السند ، ألفاظ المتن ، الثواب ، تحرير ، الفوائد
والاحكام ، الاولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ،
الخامسة ، السادسة ، اهتداء ٢٩٢-٢٩٥

درس ختم الموطأ :

السند ، المتن ٢٩٦-٣٠٩

صفحة	
٣١٠—٣٣١	آثار واخبار
٣١٠	١ — شكوى علماء الدين من الأراذل المفسدين
٣١٢	٢ — حكم طلب العلم
٣١٣	٣ — براءة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير دينه
٣١٦	٤ — الترغيب في الذكر
٣١٦	٥ — ما هو الذكر ومن هو الذاكر ؟
٣١٨	٦ — هل ينفع الذكر من تصدى حدود الله
٣١٩	٧ — الحث على تعلم القرآن
٣٢٠	٨ — الاعتصام بكتاب الله
٣٢٢	٩ — مدح العامل بالقرآن
٣٢٤	١٠ — ذم المباهي والمتعیش بالقرآن
٣٢٥	١١ — الغاية من قراءة القرآن
٣٢٦	١٢ — معنى ليلة القدر
٣٢٨	١٣ — معنى خيرية ليلة القدر
٣١٨	١٤ — الدعاء ليلة القدر
٣٣٠	١٥ — علامات ليلة القدر

صفحة

الفهرس العام :

٤٥٥-٤٥١	• • • • • • • •	الآيات المفردة
٤٦٨-٤٥٦	• • • • • • • •	الأحاديث المشروحة
٤٨٠-٤٦٩	• • • • • • • •	الآيات المستشهد بها
٤٨٦-٤٨١	• • • • • • • •	الأحاديث المستشهد بها
٤٩٤-٤٨٧	• • • • • • • •	رجال السند
٥٠٦-٤٩٥	• • • • • • • •	رجال الاعلام
٥٠٧	• • • • • • • •	الأمثال
٥٠٩-٥٠٨	• • • • • • • •	الأماكن والبلدان
٥١٢-٥١٠	• • • • • • • •	الكتب والمراجع والدوريات
٥٢٤-٥١٣	• • • • • • • •	الموضوعات

Quand il édite à ses frais « El Awacim min El - Kawacim »
d'Abi Bakr Ibn El-Arabi, cette édition (malgré ses lacunes),
est une affirmation d'une personnalité qui agit à l'échelle
historique d'une civilisation.

ALGER, le 8.4.1966

MALEK BENNABI

- Comparaison Coran-Bible (1) ادب واقتداء
- Application à l'action islahiste (2) بيانه لهم ، حجة عليهم
- (3) تمثيل
- (4) ادب واقتداء
- (5) نعمة الاظهار والبيان بالرسول والقرآن
- (6) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن نور وبيان
- (7) استفادة
- (8) اقتداء
- (9) الهداية ونوعها
- (10) بماذا تكون الهداية
- (11) لمن تكون الهداية
- (12) الى ماذا تكون الهداية
- (13) الاخراج من حالة الحيرة الى حالة الاطمئنان
- (14) الاسلام هو السبيل الجامع العام
- (15) الرجوع الى كتاب الله وسنة رسول الله لازم دائم

Si on applique notre propre analyse à ce thème, on voit que le Cheikh à traversé l'exégèse de ce verset, nous a donné en quelque sorte ce spectre de son moi : c'est l'apologiste, le critique, l'érudit, le réformateur, le mystique qui parlent, tour à tour.

La richesse de ce moi n'est pas d'ailleurs toute révélée dans un seul acte de cette pensée, de cette gesta qui ont animé une époque de notre histoire nationale.

Le lecteur ne doit pas oublier qu'Ibn Badis est aussi un intellectuel qui vit le drame d'une société et d'une civilisation à sa manière.

Cet éditorial était toujours signé du Cheikh : c'était l'œuvre du âlem, du prédicateur, du réformateur, de l'érudit. D'ailleurs si, pour une raison ou une autre Ibn Badis n'était pas à Constantine, la revue paraissait sans cette rubrique qui constituait, en fait, la pièce maîtresse de chacun de ses numéros.

Cette rubrique a duré de Janvier 1929 au numéro de Septembre 1939, à la veille de la IIe guerre mondiale.

On peut juger de son importance doctrinale et même dialectique - car il ne faut pas oublier qu'en plus de son rôle par rapport à l'opinion publique algérienne, le Cheikh est aussi le maître qui enseigne dans un établissement où se formeront tous les dirigeants de notre enseignement libre, même nos poètes comme Hamma Laïd - il faudrait analyser une de ses séances.

Cette analyse nous est d'ailleurs donnée par le Cheikh lui-même dans les sous-titres qu'il donna à chacune de ses séances. Sous le titre, il y a les deux principaux thèmes : ie Hadith et le verset objets de la séance. Chaque thème a ensuite ses propres sous-titres. Ainsi donc à titre d'exemple, dans le n° de Juin 1935, c'est le verset :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (١) .

qui est l'objet de l'exégèse.

Le Cheikh tirera de ce verset quinze sous-titres :

(١) سورة المائدة : الآيتان ١٥ - ١٦ .

Ibn Badis était venu à un moment où le maraboutisme avait renouvelé le cycle almohavide. Mais singulière aggravation : le cycle n'avait pas repris avec le fiqh et le ribat mais avec l'amulette et la zaouia.

Le réformateur algérien ne pouvait pas cependant, comme son prédécesseur, aspirer à fonder un empire pour libérer les consciences. Les temps avaient changé : la colonisabilité et le colonialisme avaient transformé toutes les données en Algérie, comme dans tout le monde musulman. Les conditions étaient telles qu'il fallait entreprendre en sens inverse l'entreprise du précurseur : pour entreprendre quoi que ce soit dans l'ordre politique ou social il fallait d'abord libérer les consciences.

Toute la doctrine de l'Islah algérien qui s'incarne en Ben Badis découle de cette nécessité ou de cette conjoncture particulière. Le principe fondamental « Dieu ne change pas l'état d'un peuple avant que celui-ci n'ait changé l'état de son âme » qui fut celui de l'Islah, pourrait être considéré, à certain égard, comme la traduction de cette nécessité dans une formule doctrinale. On voit de là les vicissitudes auxquelles pouvait être exposé un tel principe dans son application, quand on se trouverait, ou qu'on se croirait obligé de faire une concession à la politique sur l'intégrité et la rigueur de la doctrine.

Toute la critique du mouvement islahiste algérien peut être dirigée sur ce point. Pour rester dans notre sujet, disons que nous n'avons pas à juger l'œuvre de Ben Badis, avec la rigueur scientifique qui met les résultats au regard des prémisses et les prémisses elles-mêmes en confrontation avec les lois de l'histoire et de la sociologie. Au demeurant cette œuvre est, elle-même, aussi riche en aspects que la personnalité de son auteur.

Le lecteur pourra saisir cette diversité en lisant le travail que lui présente Talbi Amar. Dans cette préface, il suffira de situer notre centre d'intérêt dans un des aspects les plus caractéristiques de la pensée. Je veux parler de l'éditorial qui venait, sous le titre : *Madjalis El-Tedkir* en tête de chaque numéro de la revue *Ech-Chihab*.

aspects si divers, si riches qu'on peut toujours aborder son étude selon une dimension qui libère l'esprit du contingent, du relatif.

Ibn Badis fut un polémiste au verbe mordant, un éducateur édifiant, un croyant fervent, un mystique passionné, un docteur qui remonte aux sources doctrinales de la foi et songe à rétablir entre ces sources une concordance perdue de vue dans les dernières périodes de la pensée islamique.

C'est aussi le patriote convaincu. Quand un leader politique publie, en 1936, un article intitulé « La France c'est moi », il se dresse contre l'apostasie avec véhémence. Quand l'émeute de Constantine éclate, au mois d'Août 1934, que l'administration essaye de ramener le calme, il est partisan du calme, mais il n'admet pas l'offense faite à l'Islam par un Juif qui a profané une mosquée.

C'est l'élan patriotique aussi, qui devient chez lui élan poétique, quand il compose ses poèmes destinés à restituer au peuple algérien ses dimensions véritables, dans l'histoire musulmane, à une époque où on apprenait aux petits algériens à annoncer dans leur manuel d'école l'histoire de « nos ancêtres les Gaulois ».

Mais par dessus tout, Ibn Badis c'est le réformateur dont le nom et l'œuvre s'attachent à l'histoire de ce pays, dans une phase capitale qui le préparait à la révolution, à condition de mettre dans ce mot plus d'acception qu'on y met d'habitude.

C'est le réformateur qui reprend la vocation du Alem musulman, comme à l'époque d'Ibn Toumert en Afrique du Nord.

Le Maghreb revivait d'une certaine manière la période à laquelle avaient mis fin la prédication du Mahdi de l'Atlas marocain et le sabre d'Abdel Moumen. L'époque almohavide, on le sait, avait marqué un glissement de la conscience musulmane dans le juridisme. Ibn Tameurt était venu en réaction contre l'esprit étroit des fquis. Sa prédication remettait la conscience musulmane sous la loi du Coran et de la Sounnah.

النص الافرنسي للمقدمة التي كتبها
المفكر الجزائري الاستاذ مالك بن نبي ،
مدير التعليم العالي في الجزائر ، ونشرت
ترجمتها العربية في مطع هذا الكتاب :

J'ai connu l'auteur de ce livre pendant ses années d'études à l'Université du Caire. Je le comptais au nombre de mes amis et auditeurs, parmi les étudiants de divers pays musulmans qui venaient à l'espèce de séminaire qui se tenait à mon domicile, le vendredi de chaque semaine.

C'est donc avec un double plaisir que je présente ici son étude sur Ibn Badis. Combien un tel sujet était tentant dans un pays où les témoins de la vie et de l'action du Cheikh sont encore nombreux.

Mais combien épineux aussi tant il est vrai que le jugement d'un contemporain sur les faits et les hommes de son époque ne peut pas être toujours exempt d'une optique personnelle.

Moi-même, j'éprouve le trac à présenter un livre qui embrasse nécessairement des idées et des faits dont je fus le partisan ou l'adversaire. Mais la personnalité du Cheikh réunit des

انتهى - بعون الله تعالى - الجزء الثاني من
المجلد الأول من هذا الكتاب ، وقد اشتمل على
دروس الأستاذ الامام الشيخ عبد الحميد
ابن باديس في التفسير وشرح الأحاديث .

والمجلد الثاني مؤلف من جزأين اثنين أيضاً ،
نشرت فيهما المقالات الاجتماعية والتربوية
والأخلاقية والدينية والسياسية التي كتبها
الأستاذ ، ونشرت في الصحف التي كانت
تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،
وقد كان لتلك المقالات والبيانات الأثر الفعال
في نهضة الجزائر وفي تنوير الأذهان والتنبيه
الى الشيء العام .

كتاب
آثار ابن باديس

الجزء الأول من

المجلد الثاني

مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية

اعداد وتصنيف

دكتور عمارة الطالبي

الشركة الجزائرية

لصاحبها

الحاج عبد القادر بوداود

24، شارع باب عزون - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة
الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24، شارع باب عزون - الجزائر

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هجرية = ١٩٦٨ ميلادية
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هجرية = ١٩٨٣ ميلادية
الطبعة الثالثة ١٤١٧ هجرية = ١٩٩٧ ميلادية

آثار ابن بادیس

۳



العلامة الناشر الامام عبد الحميد بن باديس

رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الإصلاحية ومؤسسها بالجزائر

هذا هو الجزء الأول من المجلد الثاني من كتاب آثار ابن باديس ، وهو مجموعة من المقالات الاجتماعية والتربوية والاخلاقية والدينية والسياسية ، دمجها يراع العلامة الامام ابن باديس في مختلف المناسبات .

وقد قامت لجنة من كبار العلماء - بتكليف من دار اليقظة العربية - بالاشراف على طبع هذا الكتاب وتصحيحه ، ليأتي سليماً من الأخطاء ، خالياً من التحريف ، كسفر له أهمية بالغة في النهضة الاسلامية والوثبة العربية في المغرب الاسلامي .

آثار ابن باديس

قسم الاصلاح والثورة ضد البدع

يتكلمون بما لا يعلمون

ان الجاهل بالشيء جاهل به ولو كان من أعلم الناس بغيره ، وما علمه بما علم برافع جهله فيما جهل ، ان هذه لحقيقة من الوضوح بمكان . ولكن يحتاج الى تكرار ذكرها بقدر ما يتكرر من وقوع مخالفتها . ان الناس قسمان : الجاهلون بكل علم ، والعالمون وليس منهم من يعلم كل علم . ومن العجيب ان أهل الجهل أعرف بجهلهم فلا يتكلمون فيما لا يعلمون . وأما أهل العلم فكثير منهم يتجاوزون حدود علمهم فيتكلمون بما لا يعلمون . فكأن الجاهلين آيسوا من العلم ولم تكن لهم شبهة فأحجموا وكان هؤلاء اغتروا بما عندهم فقالوا فيما غاب عنهم فاقدموا وذلك هو الغرور المبين .

قد لا أكون أنا كاتب هذه السطور سالما من هذا العيب ، ولكن ذلك لا يمنعي من أن أذكره لاحذره واحذر منه . خصوصا اذا رأيت شره قد مس العزيزين عليّ : ديني ، ووطني ، وقد رأيت ذلك هذه الايام من ثلاث جهات فأردت أن أعرض لها في هذا الفصل :

الجهة الاولى :

نشرت « مجلة الرابطة الشرقية » في عددها الثالث من المجلد الثاني مقالا بامضاء (علوي) عرض فيه كاتبه للخلاف الواقع بين العلويين الاشراف الحضارمة ، والارشاديين في جاوة وسنغافورة وقبل أن يدخل في موضوعه ذكر « الجزائر » لينظر بها فقال :

« اليك نبأ عن الجزائر فان في أرجائها حركة تحسبها حركة نهوض

يتكلمون بما لا يعلمون

لشعبها العربي الذي ... الى صورة مشوهة من العجبة بالعسف والجهل وعدم المعونة على سلوك سبيل الحياة .

وتدهش اذ تعلم ان الحركة الجزائرية بمظاهرها من نقاش على صفحات الصحف والمجلات هي حركة مفاضلة بين شيخين من شيوخ الطرق الصوفية هنالك ، أيهما أصح نسباً وأنفذ أمراً وأقدر على الكرامات والخوارق » .

الحقيقة التي يعلمها كل أحد ان هذه الحركة الاديبة ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة « المنتقد » المعطلة بقرار وزيري ، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل . ولم تكن الجريدة أسست للدفاع عن أحد ، وانما أسست للمبدئين الذين لا يزالان مكتوبين على سفر هاته المجلة الى اليوم . ثم كانت مخاصمات ضرورية في مبدأ كل نهوض ثم تقررت المباديء وعرفت الخطط ورجع الجميع - في انغالب - الى العمل في دائرة الاخاء والتسامح والتفاهم بالحسنى . ولم تكن قط في الجزائر هاته الصورة التي ذكرها الكاتب من الخصومة على المفاضلة بين شيخين ولكن صاحبنا تخيل فخال ، وجازف المقال . وبدل ان يقتصر في كتابته على جاوة التي يعرفها - ان كان يعرفها - جاوزها الى الجزائر التي لا يعرفها فكان من الخاطئين .

الجهة الثانية :

كتب الاستاذ سلامة موسى في كتاب « تاريخ الفنون وأشهر الصور » في فصل « الفنون الاسلامية » يقول : « وقد نزع الاسلام نزعة توحيدية وجعل للتوحيد المقام الاول في الايمان فتأثرت الفنون من هذه الناحية بحذف كل ما يختص برسم الانسان أو الحيوان أو نحت تماثيلهما . وذلك لان الصور والتماثيل توميء الى الاوثان التي يخشى

على التوحيد منها • ولكننا نجد أمتين اسلاميتين هما : الفرس ، ومصر (مدة الفاطميين) تسامحتا بعض التسامح في الرسم والنحت حتى كانت ترى في قصور الفاطميين مناظر الرقص والصيد والغزلان ، وكانت كتب الفرس وقصورهم تزين أيضا بصور الحيوان والنبات • ولكن هذا لا يظن فيما نشته من معارضة الاسلام لهذين الفنين بل هو اجدر أن يؤيد ما قلناه ، وذلك لان فارس ليست سنية وكذلك مصر أيام الفاطميين كانت شيعية • والتشيع نوع من الانشقاق عن الاسلام وخروج على جمهور المسلمين » •

لا شك ان حضرة الكاتب يجهل ان جمعا كبيرا من علماء الاسلام لا يمنعون من الصور ما كان مثل رقم في ثوب ، وانما يمنعون ما كان تمثالا تام التصوير ، وليس جهله بهذا هو الذي يدعونا الى الانكار عليه • ولكن قوله : « والتشيع نوع من الانشقاق عن الاسلام » هو الجدير بكل انكار • فقد حسب نفسه لما عرف شيئا من تاريخ الفنون انه عارف بمذاهب الاسلام ، فحكم على الشيعة بالانشقاق عنه • وهذا الكاتب لم يكفه ان ينفي - في أكثر ما يكتب - عن الاسلام كل ما يحسبه فضيلة حتى جاء يحاول أن ينفي عنه أما كاملة من أبنائه ونعوذ بالله من سوء القصد وقبح الفرور •

الجهة الثالثة :

قوم من بني جلدتنا مرقوا من جنسنا - وهم أحرار فيما يفعلون ، ورفضوا شريعتنا - وهم أحرار فيما يفعلون • ثم نصبوا دعاية لهذا الرفض وهذا المروق يزعمون ان ما فعلوه مما لا ياباه الاسلام ، ويرمون كل من لم يوافقهم بالجمود والتعصب •

ليعلموا - أولا - ان كاتب هذه السطور وبني دينه وجلدته يحترمون جميع الاجناس البشرية ، ويقدرون الحق والعدل في جميع

يتكلمون بما لا يعلمون

القوانين الاممية ، ويدعون لهؤلاء السادة وما اختاروه لانفسهم غير انهم ينكرون هذه الدعاية العريضة التي يتقول فيها على الاسلام بغير علم ويرمي فيها علماءه بالجهل والتعصب والجمود .

أيها السادة - مع احترامي لكم ولما اخترتموه لانفسكم - أقول لكم بغاية الصراحة : انكم تجهلون أصول الاسلام لانكم لم تتعلموها ، وانكم - بضرورة ذلك - مخطئون فيما تسبونه اليه ، وان الناس ، لعلمهم بذلك منكم ، لا يفترون بشيء مما تقولون .

خير لكم - أيا السادة - أن تسلكوا في دعائتكم مسلك البيان للمنافع الدنيوية التي تحصل للناس بموافقتمكم - اذا كانت ثم منافع - وتضربوا الأمثال لذلك بما حصل لكم بالفعل من الميزان كان قد حصل ، وتدعوا أمر الدين والفتوى لأهلها ، وأتم لو سلكتم مسلك الدعاية بالدنيا اما عرضت لكم . ولكن لما أخذتم تدعون باسم الدين لم يسعني الا تسيهكم بهذه الكلمات ، وعساكم - لما كنتم ترغبون من علماء الدين ان يجاوبوكم - أن تتلقوا مني هذه الآية القرآنية الكريمة ، وهذا الحديث النبوي الشريف ، كتحقيق لرغبتكم واعتبار لها . وتقوا مع ذلك باحترامي لاشخاصكم ، وتقديري لما هنالك بيننا من روابط شخصية أو عمومية هي غير ما نحن بصدده :

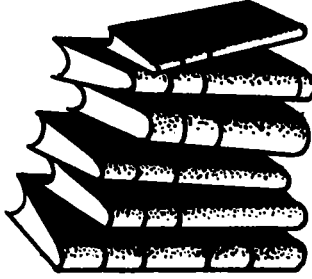
قال الله تعالى: « فَلَإِنَّ رَبَّكَ لَا يَتُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » وأين الرفض من هذا التسليم .

وقال سيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - : « .. ومن ادعى الى غير ابيه او انتهى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا »

آثار ابن باديس

رواه مسلم والبخاري في صحيحهما من طريق علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه .

ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة انه الحليم
الكريم (١) .



(١) ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ٢٧ - ٣٠ .
غرة رمضان ١٣٤٨ هـ - فيفري ١٩٣٠ م .

ما هكنا عهدنا ادب صروف

وقفت في جزء فيفري الماضي من مجلة « المقتطف » الكبرى على مقال من قلم تحريرها تحت عنوان « مفاخر اور الكلدانيين » جاء فيه قول كاتبه : « لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة ان عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد فأصبحت بعد العاصفة ولا عين لها ولا أثر » .

لا نشك ان كاتب المقال ليس مسلما ، كما لا نرتاب انه لا يجهل ان قصة عاد من قصص القرآن ، فتعبيره عنها بالخرافة من سوء الأدب الذي ما عهدنا في المرحوم الدكتور صروف الذي كان في علمه وفلسفته وشدة تحقيقه دينا صحيح التدين محترما لكتب الأديان ، هذا من الوجهة الأدبية ، وأما من الوجهة العلمية فان الحكم على قصة مشهورة متواترة عند أمة بأنها خرافة بدون بحث ولا تدليل ليس من شأن العلماء المحصلين .

ثم — بعد هذا — نقول في تحقيق هذه القصة القرآنية : ان القرآن العظيم كما يسلك في أدلته العقلية أقرب طريق وأوضحه كذلك يسلك في تذكيره أصدق المواعظ وأبلغها . وانه كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم ، ولقد خلت قبلهم أمم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد ، ولكن القرآن كان يذكرهم ويخوفهم بمن هم أقرب الأمم اليهم ممن كانوا في أرضهم العربية ، قد تواترت لديهم أخبارهم ، ومثلت أمامهم آثارهم من قوم عاد سكان الاحقاف وقوم ثمود سكان الحجر . وقد كان للتذكير

(١) كذا في الاصل .

بأحوال تلك الأمم التي هي في أرضهم ومن جنسهم أبلغ الأثر في نفوسهم ، كما كان من حديث عقبة بن ربيعة الذي رواه أصحاب السير : تلا عليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، فأمسك عتبة بيده على فم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأناشده الرحم أن يكف . وما كان محمد الرجل العظيم ، والمصلح الحكيم ، والرسول الكريم ليجعل تذكيره الذي يريد التأثير به على سامعيه مما لا حقيقة له ولو انه خاطبهم بما لا يعرفونه من اخبار تلك الأمم وتيقنوه لاسرعوا الى تكذيبه فيما يقول . فسكوتهم - وهم أسرع^(١) الناس الى مجادلته بالباطل - دليل قاطع على أن القصة كانت عندهم مما هو معلوم بالقطع من تواتر الخبر ، ومشاهدة الأثر (٢) .



(١) في الاصل : أسوع

(٢) ش : ج ٣ ، م ٦ ، ص ١٦٦ - ١٦٧
غرة ذي القعدة ١٣٤٨ هـ - ابريل ١٩٣٠ م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في عامها الثاني

تمهيد :

كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية رغم تفاؤلنا ، ما ستلقاه مثل كل مشروع عظيم من صعوبات وعقبات، ولكننا ما كنا نحسب ان حظها من ذلك يكون^(١) الا من خارجها ولكن الواقع جاء بخلاف ذلك وكانت مصاعب الجمعية ومتاعبها من داخلها ، حصلت نفرة بين أعضاء مجلس الادارة ورئيس لجنة العمل فأدت الى ما أدت اليه من فرقة وفتنة وقى الله شرها . وقد علم الناس حقيقة الحال من البيان الرسمي الذي نشره مجلس ادارة الجمعية أثر انتخابه مما لا حاجة الى اعادته وان كنا سنشير الى أشياء منه لزيادة البيان .

بأي نية ذهبت للاجتماع العمومي : ذهبت عازماً على اصلاح ذات البين وعلى تسيير انتخاب الجمعية على مقتضى قانونها الأساسي والوقوف معه مهما كان الحال . وعرفت من الاجتماعات التي كانت قبل يوم الانتخاب ومن محاولاتي الخاصة ان الصلح غير ممكن وانه لم يبق عليّ الا المحافظة على الجمعية قبل كل شيء وكنت رغم ما يأتيني من أبناء بما يدبر من أمور ، مطمئناً على الجمعية لاني كنت أعتقد ان الاجتماع العمومي سيضم جمعا عظيما من أهل العلم وحسبي بعلمهم هاديا لهم الى ما فيه خير وسداد للجمعية والأمة . فدخلت صبيحة الاثنين ١٨ محرم الماضي الى نادي الترقى وأنا على هذا الاعتقاد .

(١) كذا في الاصل ويبدو انه (لا يكون) .

مانا كان يدبر للاستيلاء على الجمعية :

كان رئيس لجنة العمل قد سعى سعياً شديداً في تكوين عدد كبير ممن يوافقونه على القائمة التي يقدمها للانتخاب، وكانت مكاتبات لبعض الجهات في الحث على القدوم يوم الانتخاب وأصبح مكتب الدعاية منعقداً على الساعة الخامسة في مدرسة السلام يديره رئيس لجنة العمل وشيخ زاوية بمستغانم - كما اعترف لي بذلك رئيس اللجنة في الحديقة العمومية أمام جماعة - وأصبحت الوصولات توزع على كل من يقال فيه طالب ليأتي للجمعية العمومية وينتخب من كتبت أسماؤهم في ورقة سلمت له .

نكتة المسألة :

القائمة التي أعطيت من طرف السيدين المذكورين فيها ثلاثون شخصاً الأعضاء الاقدمون مع ضرب على أسماء بعضهم وزيادة عليهم والسيد رئيس اللجنة هو أحد الثلاثين وحضرته - بلا مؤاخذ ومع الاحترام - ليس من أهل العلم ولا من الطلبة ، وإذا كانت الاعمال والاقوال هي التي تدل على القصد والنوايا فلا نكون ظالمين اذا استدللنا بهذا العمل على ما يدل عليه مفوضين العلم بذلك والجزاء عليه الى الله تعالى .

كيف كنا وكيف كانوا :

بينما كان السيدان يعملان عملهما ويقويان حزبهما كنا تاركين للمسألة حالها تسير بطبيعتها ولو كنا على شيء من سوء النية أو القصد الى الاستيلاء بالأغلبية لكننا دعونا تلامذتنا دعوة عامة للحضور - وهم كثر وكلمهم من أهل العلم - فملؤوا نادي الترقى والشوارع المتصلة به ولا فخر ولكن ما كنا - والحمد لله - لنقصد الى التكثر ولا الى العصبية والتحزب واحداث الفرقة بين الناس .

صبيحة يوم الاثنين وما صبيحة الاثنين :

اكتظ النادي على سعته بالناس وألقيت خطاب الافتتاح والترحيب وعرفت الجمع بأن المنتخين لا بد أن يكونوا من أهل العلم كما تنص عليه المادة السابعة من القانون الاساسي للجمعية التي تقول : « الاعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الإجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية وبين الذين تعلموا بالمعاهد العلمية الاسلامية الأخرى » وعرفت الجمع بأن مجلس الادارة عين لجنة لتقيد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف المذكور في المادة وانها تقبل من كانت له شهادة أو كان باشر التعليم أو كان يشار اليه بالعلم في قومه وأنه بعد تقييد أسماء المنتخين يكون الانتخاب . وهنا قامت القيامة واضطربت أركان القاعة بالضجيج وأبى القوم الا الانتخاب في الحين دون اعتبار للمادة القانونية ولا اعتبار لتقييد اسماء المنتخين ، واستمر ذلك الاضطراب وذلك الهياج الى قرب الزوال فافترقنا - بعد أن وقفنا على شفا حفرة من الهلاك فأثقتنا الله منها - على أن نجتمع مساء على الساعة الثانية بعد الزوال .

لوازم واستنتاجات :

عرفنا بما رأينا في ذلك الجمع وما سمعنا فيه ان أهل العلم قد حشر فيهم من ليس منهم وكان معهم من لم يتخلق بأخلاقهم ولا تأدب بأدابهم وان ما وقع صباحا سيقع مساء وان ذلك مفض ولا محالة الى عاقبة سيئة ربما قضت على الجمعية وعلى النادي الذي نحن ضيوف فيه وان المسؤولية تكون على رئيس الجمعية فلزمني اذا أن أخبر ادارة الشرطة لترسل أعوانها لحفظ النظام فأعلمتها وعرفت بما رأيت وما سمعت انه يراد الاستيلاء على الجمعية بطريق غير مشروع

وبعد كثير لا تنطبق عليه المادة القانونية ، ولذلك فر من فر من الوقوف أمام اللجنة وهي لجنة تعريف وسؤال لا لجنة امتحان ، فلزمني أن أحافظ على شرف الجمعية العلمية من أن يسيطر عليها غير أهل العلم .

مساء الاثنين :

ما جاءت الساعة الواحدة بعد الزوال حتى امتلأت سقائف النادي ورحابه والدرج المصعدة اليه - فما أكثر العلماء في ذلك اليوم - وبقي الناس في انتظار الساعة الثانية لفتح باب النادي وجاء أعوان الشرطة وفتح النادي وعاد الحال الى ما كان عليه في الصباح ولما رأيت الامر لا يزيد الا هياجاً وارتباكاً أعلنت بارتفاع الجلسة ووقف الشرطة محافظين على النظام حتى خرج الناس . ولا والله ما أهان الشرطة أحداً ولا زادوا على اسكاتهم للغواء وحفظهم للنظام واحسب انه لولا وجود الشرطة عند الاعلام برفع الجلسة لكانت وجوه خاصة رأيتها ثم تفعل ما لا تحمد عقباه . ولا أشك ان التهويل الذي أثاره بعض الناس في بعض النشريات على استدعاء الشرطة والتقييح لذلك أمام الفكر العام والتعدّي بالباطل على أعوان الحكومة ورميهم بأنهم أهانوا العلماء ، لا أشك انهم ما حملهم على ذلك الا شدة تأسفهم على ما فاتهم من كيد دبروه كانوا ينفذونه لولا وجود أعوان الشرطة ، مع ما يقصدون من الحط من مقام الجمعية . فنحن بقدر ما تقولوا على أعوان الشرطة وسبوهم نشكرهم على حفظهم للامن والنظام وقيامهم بواجبهم ونعترف بانه لولاهم - بعد حفظ الله - لكانت الجمعية في خبر كان .

يوم الثلاثاء :

أصدرت الجمعية منشورا ونشرت في الصحف الفرنسية بما وقع وأعلمت ان الانتخاب يكون من الغد يوم الثلاثاء فجاء

جمعية العلماء في عامها الثاني

الناس صبيحة الثلاثاء وكان الانتخاب مساءها على ما هو مبين بالصحف وبيان الجمعية • وكان يوم هدوء ونظام وتأمين • وشاهد أعوان الشرطة ورجال الخفية الفرق بين يوم الاثنين الذي حضرته الفوغاء ومن حشر في أهل العلم ويوم الثلاثاء الذي لم يحضره أولئك - ولا أعني بكلامي هذا ان كل من تخلف عن يوم الثلاثاء فهو ليس من أهل العلم كلا - فقد تخلف بعض أهل العلم الذين لم يستطيعوا بما شاهدوا من فظاعة يوم الاثنين أن يعودوا الى الاجتماع أو لم يحسبوا يوم الثلاثاء الا مثل يوم الاثنين •

كيف كان الترشيح للانتخاب :

قدّم مجلس الادارة القديم قائمة هذه صورتها : الشيوخ ابن باديس ، الابراهيمي ، العقبي ، الملي العمودي ، الفضيل (من مجلس الادارة القديم وكانوا حاضرين) ، المهاجي (منه وكان غائبا لقدمه من الحج) ابن عريبة ، أبو اليقظان خير الدين ، التبسي ، المكبي ، القاسمي (هؤلاء جدد وكانوا حاضرين) أبو عبد الله البو عبدلي (جديد وكان غائبا واعتذر ببرقية يقول فيها : اعتبروني معكم في كل شيء) وأعلن للمنتخبين ان لهم الحرية في أن ينتخبوا القائمة كلها أو يرفضوها كلها أو يختاروا بعضها دون بعض فجرى الانتخاب على الوجه القانوني على تفاوت في عدد الاصوات وفاز الشيوخ المذكورون الا واحداً فاز عليه الزاهري بنحو العشرين صوتا •

عناصر مجلس الادارة :

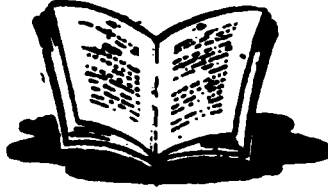
لقد جاء مجلس الادارة مؤلفا من جميع عناصر الامة الجزائرية ممثلا لها خير تمثيل ففيه من العلماء المنتمين للزوايا كالمهاجي وابي عبد الله والفضيل وفيه من العلماء الموظفين كابن

آثار ابن باديس

عربية القاضي والمعمودي الوكيل الشرعي وفيه من علماء القبائل الفضيل وفيه من علماء الاباضية ابو اليقظان ، أفبعد هذا يقول قائل يلتزم الصدق: ان الجمعية انما تمثل طائفة •

رئاسة الجمعية :

شاء الاخوان أن يجددوا لهذا العاجز حمل مسؤولية الرئاسة رغم امتناعه ووالله لقد كنت أود لو صرفت غني ووالله لولا خوفا من عظيم المسؤولية عند الله ما قبلت من اخواني ذلك رغم شدة احترامي لارادتهم ، وتقديري لاشارتهم ، فالله نسأل لنا ولهم أن يميننا جميعا على القيام بقوة وأمانة واخلاص بهذا العبء الثقيل^(١) •



(١) ش: ج ٨ ، م ٨ ، ص ٣٩٥ هـ - ٤٠٩
غرة ربيع الثاني ١٣٥١ هـ - اوت ١٩٣٢ م •

بواعثنا - عملنا - خطتنا - غايتنا

رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجة واقتراق في السير . حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة ، وماتت الهمم الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال ، واستولى القنوط القاتل واليأس المميت فأحاطت بنا الولايات من كل جهة وانصبت علينا المصائب من كل جانب .

رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم وذقنا منه الامرئين مثلهم ففرغنا الى الله الذي لم تستطع هذه الاهوال والمصائب كلها أن تمس ايماننا به ، وتزعزع ثقتنا فيه ، فاستغشنا واستجرتنا واستخرنا ، وتوسلنا اليه جل جلاله بالايمان وبسابق آلائه ، وجأرنا اليه بأسمائه ، فهدانا - وله المنة - الى النور الوضاء الوهاج الأتم ، والمنهاج الواضح الأقوم ، هदानا الى سنة سيدنا الأكرم ، وقدوتنا الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

عرفنا - مما هदानا اليه ربنا - الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والهدى الذي ما بعده الا الضلال وسبيل النجاة التي ما في مخالفتها الا الهلاك ، والدواء الذي بدونه لا تبرأ النفوس من أدوائها ولا تظفر بالقليل من شفائها ، فحمدنا الله على ما هदानا وعقدنا العزم على المحافظة على هذه النعمة وشكرها ، وما شكرها الا في العمل بها وبشرها وأشفقنا على أنفسنا من تبعة الكتمان وما جاء فيمن لا يجب لآخيه ما يجب لنفسه من ضعف الايمان ، فأخذنا على

أنفسنا دعوة الناس الى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقدم والأحجية فكانت دعوتنا - علم الله - من أول يوم اليها والحث على التمسك والرجوع اليها ونحن اليوم على ما كنا سائرون والى الغاية التي سعينا اليها قاصدون وقد زدنا من فضل الله ، ان أسسنا هذه الصحيفة الزكية . واسميناها (السنة النبوية المحمدية) لتشر على الناس ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في سيرته العظمى ، وسلوكه القويم ، وهديه العظيم ، الذي كان مثالا ناطقا لهدي القرآن وتطبيقا لكل ما دعا القرآن اليه بالاقوال والافعال والاحوال ما هو المثل الاعلى في الكمال والحجة الكبرى عند جميع أهل الاسلام فالأئمة كلهم يرجعون اليها ، والمذاهب كلها تنطوي تحت لوائها ، وتستنير بضوئها ، وفيها وحدها ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط ويظهر عقيدتنا من الزيغ والفساد ويبعث عقولنا على النظر والتفكير ، ويدفعنا الى كل عمل صالح ويربط وحدتنا برباط الاخوة واليقين ويسير بنا في طريق واحد مستقيم ويوجهنا وجهة واحدة في الحق والخير ويحيي منا النفوس والههم والعزائم ويشير كوامن الآمال ويرفع عنا الاصر والاغلال ويصيرنا - حقا - خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للامة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية : عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمائتها من كل ما يمسه بأذية . وخطتنا الاخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ، ودعوة المسلمين كافة الى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبهم في الاقوال ، والافعال ، والسير ، والاحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثالا أعلى في الكمال .

بواعثنا ، عملنا ، خطتنا ، غايتنا

والله نسأل التوفيق والتسديد في القصد والقول والعمل لنا
وللمسلمين أجمعين (١) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس



(١) السنة الاولى ، العدد الاول ، الاثنين ٨ ذي الحجة ١٣٥١ هـ -

١٩٣٢ م ، ص ١

« عبداويون » ! ثم « وهابيون » !

ثم ماذا ؟ لا ندري . والله !

بقلم الاستاذ عبد الحميد بن باديس
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام ٣٢ وعزمنا على القيام بالتدريس أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة وأدبها والتفسير والحديث والاصول ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافية ومبادئ الحساب وغير هذا ورأينا لزوم تقسيم المعلمين الى طبقات واخترنا للطلبة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية وأحدثنا تغييرا في أساليب التعليم وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي ونحبب الناس في فهم القرآن وندعو الطلبة الى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية ونرغبهم في مطالعة كتب الاقدمين ومؤلفات المعاصرين ، لما قمنا بهذا وأعلنناه قامت علينا وعلى من وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا^(١) للتفكير والحط منا « عبداويين » دون أن يكون - والله - يوم جئت قسنطينة قرأت كتب الشيخ محمد عبده الا القليل فلم نلتفت الى قولهم ، ولم نكثرث لانكارهم ، على كثرة سوادهم وشدة مكرهم وعظيم كيدهم ، ومضينا على ما رسنا من خطة وصمدنا الى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر فلما كملت العشر

(١) كذا في الاصل والصواب : يدعون .

((عبدايون)) ثم ((وهابيون)) !

وظهرت - بحمد الله - تتيجتها رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة الى الإسلام الخالص والعلم الصحيح الى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات فكان لزاما أن تؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس فكان المنتقد وكان الشهاب ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلغا ، وكانت هذه المرة غضبة الباطل أشد ونطاق فتنته أوسع وسواد اتباعه أكثر وتمالأ على دعاء الحق الجمود والبدعة وعليها بنيت صروح من الجاه ، ومهما جرت انهار من المال ، وأصبحت الجماعة الداعية الى الله يدعون من الداعين الى أنفسهم « الوهابيين » ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبدالوهاب ولا أعرف من ترجمة حياته الا القليل ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه الى اليوم ، وانما هي أفيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون ويحاولون من اطفاء نور الله مالا يستطيعون وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا « وهابيين » كما عرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا « عبداوين » ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضين .

ولما كان من سنة القرآن الحكيم التنبيه على مشابهة اللاحقين من الناس للسابقين في منازعهم واهوائهم وكثير من أحوالهم حتى كان التاريخ يعيد نفسه باعادة ذلك منهم وجاء ذلك في مثل قوله تعالى : « كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ » أتواصوا به « وقوله : « تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ » وغيرها ، لما كان هذا من سنة القرآن فتحنا هذا الباب من الصحيفة تحت عنوان : « التاريخ يعيد نفسه » لنشر فيها - ما أمكننا النشر - قصصا عن حياة رجال السنة المصلحين مع دعاة البدعة المبطلين ، تزيد العالم المصلح ثباتا على الحق والقاريء

الصادق تبصرة في الامر و « لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ » .

ولسنا نقصد في وضع قصصنا الى وضع تأليف ولا نخص هذا النقل
بكتاب معين أو كتاب مختص ، وبين أيدينا الآن كتاب « الاعتصام »
لمؤلفه علامة العقول والمنقول أبي اسحاق الشاطبي المالكي المتوفى سنة
٧٩٠ ، فرأينا أن ننقل منه الفصل التالي الذي يذكر فيه ابو اسحاق
ما رمي به من مثل ما رمينا به حتى كأننا في زمان واحد ، قال رحمه الله :

فلما أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسي غريبا في جمهور
أهل الوقت لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد ودخلت على سننها
الاصلية شوائب من المحدثات الزوائد ولم يكن ذلك بدعا في الأزمنة
المتقدمة فكيف في زماننا هذا ، فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه
على ذلك كثير كما روي عن ابي الدرداء - رضي الله عنه - انه قال
لو خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليكم ما عرف
شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة ، قال الاوزاعي فكيف
لو كان اليوم ، قال عيسى بن يونس : فكيف لو أدرك الاوزاعي هذا
الزمان . وعن أم الدرداء قالت : دخل أبو الدرداء وهو غضبان فقلت :
ما أغضبك ؟ فقال : « والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد الا انهم
يصلون جميعا » . وعن أنس بن مالك قال : « ما أعرف منكم ما كنت
أعده على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - غير قولكم :
لا إله إلا الله . قلنا بلى يا أبا حمزة ؟ قال : قد صليتم حتى تغرب
الشمس أفكانت تلك صلاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -
وعن أنس قال : لو ان رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف
من الاسلام شيئا ، قال : ووضع يده على خده ثم قال : الا هذه
الصلاة ، ثم قال : أما والله على ذلك لمن عاش في النكر ولم يدرك
ذلك السلف فرأى مبتدعا يدعو الى بدعته ، ورأى صاحب

« عبدايون » ثم « وهابيون » !

دنيا يدعو الى دنياه فعصمه الله من ذلك ، وجعل قلبه يحن الى ذلك السلف الصالح ، يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ، ويتبع سبيلهم ، ليعرض أجرا عظيما ، وكذلك فكونوا ان شاء الله .

وعن ميمون بن مهران قال : لو ان رجلا أنشر فيكم من السلف ، ما عرف غير هذه القبلة .

وعن سهل بن مالك عن أبيه قال : ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس الا النداء بالصلاة ، الى ما أشبه هذا من الآثار الدالة على ان المحدثات تدخل في المشروعات ، وان ذلك قد كان قبل زماننا ، وانما تتكاثر على توالي الدهور الى الآن .

فتردد النظر بين - ان اتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد الناس فلا بد من حصول نحو مما حصل لمخالفتي العوائد لا سيما اذا ادعى أهلها ان ما هم عليه هو السنة لا سواها ، الا ان في ذلك العبء الثقيل مافيه من الاجر الجزيل - وبين ان اتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح ، فأدخل تحت ترجمة الضلال عائذا بالله من ذلك الا اني أوافق المعتاد ، وأعد المؤلفين ، لا من المخالفين فرأيت ان الهلاك في اتباع السنة هو النجاة ، وان الناس لن يغنوا عني من الله شيئا فأخذت في ذلك على حكم التدريج في بعض الامور ، فقامت علي القيامة وتواترت علي الملامة وفوق الى العتاب سهامه ، ونسبت الى البدعة والضلالة ، وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة وانني لو التمسك لتلك المحدثات مخرجا لوجدت غير ان ضيق العطن والبعد عن أهل الفطن ، رقي بي مرتقا صعبا ، وضيق علي مجالا رحبا وهو كلام يشير بظاهره الى ان اتباع المتشابهات لموافقات العادات أولى من اتباع الواضحات ، وان خالفت السلف الأول .

وربما ألما في تقييح ما وجهت اليه وجهتي بما تشمئز منه القلوب

أو خرجوا بالنسبة الى بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة ، فتارة نسبت الى القول بان الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه ، كما يعزى الى بعض الناس ، بسبب اني لم التزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الامامة ، وسيأتي ما في ذلك من المخالفة للسنة وللسلف الصالح والعلماء .

وتارة نسبت الي الرفض وبغض الصحابة - رضي الله عنهم - بسبب اني لم التزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص اذ لم يكن ذلك من شأن السلف في خطبهم ، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين في أجزاء الخطب . وقد سئل (اصبح) عن دعاء الخطباء للخلفاء المتقدمين فقال : هو بدعة فلا ينبغي العمل به ، وأحسنه أن يدعو للمسلمين عامة . قيل : فدعاؤه للفزاة والمرابطين قال ما أرى به بأسا عند الحاجة اليه وأما أن يكون شيئا يعمد اليه في خطبته دائما فاني أكره ذلك . ونص أيضا عز الدين بن عبد السلام على ان الدعاء للخلفاء في الخطبة بدعة غير محبوبة .

وتارة أضيف الي القول بجواز القيام على الأئمة وما أضافوه الا من عدم ذكرهم لهم في الخطبة ، وذكرهم فيها محدث لم يكن عليه من تقدم . وتارة احمل على التزام الحرج والتنطع في الدين ، وانما حملهم على ذلك اني التزمت في التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه ، وان كان شاذا في المذهب الملتزم أو في غيره .

وأئمة أهل العلم على خلاف ذلك وللمسألة بسط في كتاب « الموافقات »^(١) وتارة الى معادة أولياء الله ، وسبب ذلك اني

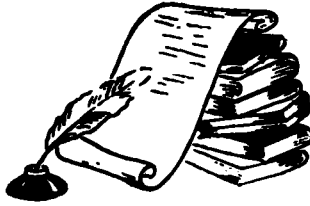
(١) كتاب للمصنف في الاصول وحكم الشريعة هو فيه نسيج وحده (المؤلف) .

« عباديون » ثم « وهابيون » !

عادت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة ، المنتصين بزعمهم لهداية الخلق ، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم الى الصوفية ولم يتشبهوا بهم .

وتارة نسبت الي مخالفة السنة والجماعة ، بناء منهم على ان الجماعة التي أمر باتباعها - وهي الناجية - ما عليه العموم ، ولم يعلموا ان الجماعة ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه والتابعون لهم باحسان وسيأتي بيان ذلك بحول الله ، وكذبوا علي في جميع ذلك وأوهموا والحمد لله على كل حال .

اتهى كلام أبي اسحاق وسنقل عنه في العدد الآتي ما ذكره من حال بعض الأئمة الذين كانوا قبله ووقع لهم ما وقع له (١) .



(١) السنة الأولى العدد ٣ ص ١ الاثنين ٢٩ ذي الحجة ١٣٥١ هـ

الدعاء منه عادة ومنه عبادة^(١)

« الدعاء: هو النداء لطلب شيء من المدعو ولذلك لا يدعي الا العاقل او ما نزل منزلته مجازا من الجمادات او ما كان له فهم لبعض الاصوات من العجاوات ، واذا كان لشيء معظم ليطلب منه ما وراء الاسباب العادية وفوق الطاقة البشرية فهو عبادة . ولا يكون الا من المخلوق لخالقه ، واذا لم يكن كذلك فهو عادة وهو دعاء المخلوقين بعضهم بعضا لغرض من الاغراض » .

الشهاب ج ١٢ ، م ٦ ، شعبان ١٣٤٩

« يجب أن نمهد لمناقشته - (الشيخ الدجوي) - : بيان معنى الاستغاثة وتقسيمها ، فالاستغاثة هي طلب العوث ، وهو تخليص من شدة أو اعانة على دفع مشقة فهي من اقسام النداء والدعاء ، وتكون من المخلوق لخالقه عبادة وتكون من المخلوق لمثله عادة ، فيدعو المخلوق ويستغيث به فيما هو مقدوره كقولك يا زيد اسقني ماء ويا عمرو ادعوك لتتصحنى وانتي في عسر مالي فأعثنى وفرج عني بما تقرضني وعلى هذا جاء قوله تعالى : « فَاسْتَعَاثَ الْكَاذِبُ مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الْكَاذِبِ مِنْ عَدُوِّهِ » ، فقد طلب منه ان ينصره عليه بما عنده من القوة البدنية « فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » ولم يطلب منه ان (يتصرف) له فيه بتصرف باطن وعليه جاء قوله تعالى : « وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ » أي

(١) فيه الرد على مانشر بالبلاغ عدد ٢٨٢ .

طلبوا منكم النصره بالقوة التي في يديكم من العدد والعدة لا انهم طلبوا منكم ان تنصروهم بطريق الغيب و « التصرف » .

ويدعو المخلوق خالقه ويستغيثه ، في تيسير الاسباب العادية وفيما هو وراء تلك الاسباب من اللطاف الخفية وما هو فوق الطاقة البشرية وعلى هذا جاء قوله تعالى « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ » فتوجهوا اليه بالدعاء وطلب التخليص من المكروه بالنصر على الاعداء وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بين ظهرانيهم فلم يستغيثوه لعلمهم ان الاستغاثة فيما وراء الاسباب لا تكون الا لله .

فعلم من هذا ان الاستغاثة قسمان : استغاثة بما هو في طوق البشر ودائرة الاسباب وهذه تكون للمخلوق لانها عادة واستغاثة فيما هو خارج عن طوق البشر ودائرة الاسباب ، وهذه لا تكون الا للخالق لانها عبادة ، وعلى هذين القسمين نزلنا آيات التنزيل .

أفخفي هذا على فضيلته حتى أخذ يستدل بآية الاستغاثة العادية التي تكون بين المخلوقين على الاستغاثة التبعية التي لا تكون الا لله . ان خفاء هذا على مثله لمعجب .

ثم هذا التقسيم الذي ذكرنا في الاستغاثة هو بنفسه يجري في الدعاء وما الاستغاثة الا نوع منه فما كان منه لشيء معظم ليطلب منه ما هو وراء الاسباب العادية وفوق الطاقة البشرية فهو عبادة ولا يكون من المخلوق الا لخالقه واذا لم يكن كذلك فهو عادة وهو دعاء المخلوقين بعضهم لبعض لغرض من الاغراض ومن الاول قوله تعالى : « فَدَعَا رَبَّهُ أَتِّي مَعْلُوبٌ فَاتْتَصِرُ » فنصره الله تعالى بما ليس من صنع البشر ومن الثاني قوله تعالى : « يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ » ، فدعا موسى قومه وطلب منهم ما هو في مكنتهم .

جهل هذا كله من كلامنا أو تجاهله بعض الطلبة فادعى علينا بالباطل وكتب في بعض الصحف يقول : (والملخص مما يدور عليه كلامكم هو كون الدعاء عبادة باطلاق) ثم أخذ بناء على دعواه هذه المبنية على جهله أو تجاهله يندد ويشنع ويتعجب ، وقد وجد مادة - دع و - أمامه واسعة فنقل معظمها فاتنفخ بها بطن المقال دون أن تكون به حاجة اليها في المقام .

ج ٦ ، م ٧ صفر ١٣٥٠

لا يجوز دعاء غير الله ولا احد مع الله

الدعاء عبادة ، وكل عبادة فانها لا تكون الا لله : فالدعاء لا يكون الا لله هذا قياس من الضرب الاول من الشكل الاول مقدمته الصغرى دليلها من نفسها لانها من لفظ الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره ومقدمته الكبرى معلومة من الدين بالضرورة ومن أدلتها : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فاذا كان سيدي الطالب له المام بقواعد المنطق الاولية فهذا يكفيهِ واذا أراد التوسع فليتفهم ما نقلناه سابقا من المجلد السادس والسابع وليراجع بقية ردنا على الشيخ الدجوي في المجلد السابع وبقية مجالس التذكير في المجلد السادس وليجد الفهم فيما كتبناه في الدعاء ، بالمجلد الثامن .

من دعا غير الله فقد عبده

لما كان الدعاء عبادة فمن دعا فقد عبده ومن دعى فقد عبده ، ولهذا تواردت نصوص الآيات والأحاديث على النهي عن دعاء غير الله دون استثناء لشيء من مخلوقاته ، مثل قوله تعالى : « ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً » ، « وادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا » « أَمْ مَنْ »

يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاَهُ « وَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فِي
الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ » « فَلَا تَدْعُوا مَعَ
اللهِ أَحَدًا » • وقال عليه وآله الصلاة والسلام في وصيته لابن عباس -
رضي الله عنهما - : « وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ » رواه الترمذي وقال
حسن صحيح • وهو في الأربعين النووية فاذا أراد سيدي الطالب أن
يزداد بصيرة فليطالع شراحها •

فان قلت ان الداعي للمخلوقات لا يسمى دعاؤه عبادة قلت ان من
فعل ما يسميه الشرع عبادة كان فعله عبادة لان العبرة بتسمية الشرع
لا بتسميته ، ولأن العبرة في التسمية الشرعية بالعمل ، لا بتسمية العامل
كمن حلف بغير الله فقد أشرك بتسمية النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - ذلك منه شركا في قوله : « من حلف بغير الله فقد اشرك »
رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه • وان لم يسم الحالف فعله
ذلك شركا • وراجع ص ٢٠ - ٧٢١ من المجلد السادس من
الشهاب تزدد علما •

التوسل بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - غير دعائه

دعاؤه هو الطلب منه قضاء الحوائج وهذا ممنوع بالادلة المتقدمة
والتوسل به ان تطلب من الله وتساله به صلى الله عليه وآله وسلم ، مثل
أن تقول اللهم انني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة مثل
ما في حديث الأعمى الذي تكلمنا عليه في الجزء الثالث من المجلد الثامن
وذكرنا دلالته على جواز التوسل به عليه الصلاة والسلام ومن التوسل
به التشفع أو لاستشفاع به ، وكله بمعنى الطلب من الله به فالله هو
المدعو وهو المطلوب منه ، وهذا كله جائز لا كلام لنا فيه غير ان سيدي
الطالب لم يفرق بين دعائه والتوسل به فذهب يستدل بالجائز على

المنوع مسويا بينهما ، وما ذكره عن البيهقي وعن العتبي - على تسليم صحته وعلى ما في سنده - لا يخرج عن التوسل والاستشفاع به صلى الله عليه وآله وسلم وهو غير دعائه وطلب الحوائج منه الذي قامت الأدلة على منعه من كل مخلوق لأنه من العبادة التي لا تكون الا للخالق ، وما نقله من كلام الشيخ ابن تيمية هو في بيان أن استجابة دعاء الداعي لا تكون دليلا على ان دعائه مشروع كما هو صريح كلامه، ويكفي دليلا على مراده هذا هذه العبارة الاخيرة مما نقله من كلامه وهي قوله : « فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا » وكون السؤال وقع من بعض الناس له مخالفين أمره وقوله اذا سألت فاسأل الله ، شيء وكونه شرعه لنا ودعانا اليه شيء آخر وقد خفي على سيدي الطالب هذا القدر من الفرق ما بينهما فجعل سؤال بعض الناس دليلا على المشروعية ولو تأمل الفصل الطويل الذي نقلَ بعضه من كلام الشيخ ابن تيمية لظهر له الفرق جلياً .

نصيحة بنصيحة

نصحتني سيدي الطالب اذا يسر الله لي زيارة القبر الشريف أن أسأله عليه وآله الصلاة والسلام الشفاعة ، وقد يسر الله لي ذلك وله الحمد والمنة منذ عشرين سنة ، وقد دعوت الله وحده وتوسلت له بنبيه وتوجهت اليه به أن يميّني على ملته ، ويجعلني من أنصار سنته ، وأهل شفاعته ، الى أشياء أخرى قد استجاب الله تعالى بعضه (١) ، وأنا أرجو الاستجابة في الباقي وجزاء نصيحتك أيها الأخ أنني أنصحك بالتأمل الجيد فيما تقرأ وتكتب والتثبت التام فيما تمزق وتنقل فاننا

(١) كذا في الاصل ولعله : بعضها .

لا ندين الا بما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ،
من آية قرآنية أو سنة نبوية قولية أو فعلية ، وما كان عليه السابقون
مما رواه الأئمة في كتب الإسلام المشهورة ، فعليك اذا نقلت أن تبين
الكتاب وتعين المحل المنقول منه ليكون لقولك قيمة في مقام البحث
والنظر ، والله يتولى ارشادك وتسديد خطاك في سنن العلم والدين^(١) .

الاستاذ عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٢ ، م ٩ ، ص ٩٢ - ٩٦
غرة شوال ١٣٥١ هـ - فيفري ١٩٣٣ م .

كلمة كفر لو دري قائلها

لما كتبنا في الجزء الماضي في تحقيق العبادة الشرعية تحرينا الاستدلال بالكتاب والسنة وهدى الصحابة لأن المسألة مسألة دينية وهذه هي مأخذها ، ولانها جرى فيها خلاف والله تعالى يقول :

« فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » فقال عنا أحد الكاتبين في جريدة (آتي البيوت من ظهورها) فسمى استدلالنا بالكتاب والسنة وهدى الصحابة آتياً للبيوت من ظهورها وهي كلمة مصادمة للآية القطعية المتقدمة وغيرها ولعل الكاتب لم يفهمها ولم يدر مقتضاها والا فما كان لمسلم أن يقولها . ثم اذا كان الكتاب والسنة وهدى سادات الأمة ظهورا للبيوت فما هي - يا صوفي الزمان - أبوابها . ما عندنا - والله يا أخي - الا هذه التي جعلتها ظهورا للبيوت ، فاذا كانت لا ترضيكم - ف « لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ » (١) .

(١) ش : ج ٢ ، م ٩٦ ، ص ٩٦
غرة شوال ١٣٥١ هـ - فيفري ١٩٣٣ م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جواب الرئيس للشيخ قدور الحلوي

الى جناب المكرم المحترم سيدي قدور الحلوي السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد وقفت في بعض الجرائد على تقديمكم استعفاءكم لنا من عضوية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن رئاسة لجننتها الدائمة بالجزائر احتجاجا على البرقية المنشورة في بعض اعداد (الدفاع) الاخيرة بغير استشارة ولا موافقة غالب أعضاء الجمعية . وتحرجا مما نشر في مجلة الشهاب من مقال منقول عن مجلة المنار الاسلامي .

فاما استعفاؤكم من عضوية الجمعية فقد قبلته . وأما استعفاؤكم من رئاسة لجننتها الدائمة فهو واقع منكم في غير محله اذ حضرتكم لم تكونوا رئيس اللجنة في يوم من الايام ورئيسها معروف منشور اسمه مع أعضائها في عدد (السنة) الذي نشر فيه الاجتماع العام الماضي ومن العجب ان يخفى عليكم هذا . وأعجب منه أن لا يعرف عضو في جمعية مركزه فيها ، وأما البرقية المنشورة في (الدفاع) فهي برقية احتجاج على لجنة ميرانت الوزارية التي ذهبت لتطعن المسلمين الجزائريين الطعنة النجلاء في مسألة المساجد والمكاتب والصحافة وهي مسائل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كتبت فيها صفحتها - أيام كانت لها صحافة - ونشرت فيها بياناتها ووجهت فيها بقرقيات احتجاجها قبل تكوين هاته اللجنة ، أتريد من الجمعية أن تسكت عن الاحتجاج لما احتج القطر كله بالمظاهرات والبرقيات مع جميع الجهات والطبقات ؟ أفتخرج الجمعية عن اجماع المسلمين في مسائل هي

المقصودة بها بالذات ؟ وأما توجيه البرقية باسم الجمعية فلا اعتماد الرئيس على التفويض المعطي له من المجلس الاداري في القيام بالدفاع عن الجمعية في جميع مسائلها وقد علم كل أحد ان هذه المسائل هي مسائل الجمعية التي ما زالت تدافع عنها وتضطهد فيها ومن أجلها . على ان أكثر أعضاء المجلس الاداري قد خاطبوا الرئيس يستحثونه على القيام بالاحتجاج . وستسمع يوم الاجتماع العام الآتي كيف يكون التصويت على تلك البرقية وغيرها بالاجماع ليعلم كل أحد ان هذه الجمعية متضامنة في جميع أعمالها لا يشذ عنها الا من شذ . وأما جعلكم تخرجكم مما نشر بمجلة (الشهاب) السبب الثاني لاستعفاءكم فهو عجب آخر من حضرتكم اذ مجلة الشهاب معروفة بخطتها الاصلاحية مستقلة بها من يوم نشأتها قبل وجود الجمعية بسبع سنوات فكيف تحملون مسؤوليتها على الجمعية .

فأما ما تهجتم به على الجمعية في بقية مقالكم ولخصتم به ما كان يقوله غيركم عن الجمعية وأتم من أعضائها دون أن يحملكم على الخروج منها ، فانا لا نجيبكم عنه لانا فرغنا منه قبل اليوم مع أناس بينت حقيقتهم الايام وضربهم الله بالتفرق والخذلان ، فأين هم ، وأين صحافتهم اليوم ، وتلك عاقبة الظالمين ونهاية كيد الخائنين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

الجزائر : عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

(١) ش : ج ٧ ، م ١٠ ، ص ٣٤١ - ٣٤٢
فردة ربيع الاول ١٣٥٣ هـ - ١٤ جويل ١٩٣٤ م

انكار العلماء المتقدمين على المدعين المنتدعين

للاستاذ عبد الحميد بن باديس
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كلما قام دعاة الاصلاح بالانكار على البدع الفاشية ، والضلالات
الرائجة ، وبينوا قبصها وضررها بالبراهين الساطعة وأفحموا أهلها
بالادلة القاطعة ، صاح المتعشون عليها في اتباعهم المغترين بهم :
« لو كان ما نحن عليه باطلا لأنكره العلماء المتقدمون قبل أن ينكره
هؤلاء (المصريون) لكن المتقدمين رحمهم الله رأوه وسكتوا عليه
وأقروه ورضوا به ومضى على ذلك الزمن الطويل وعاش عليه الجيل
بعد الجيل ، وقالوا مثل ما قال الأولون « مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
آبَائِنَا الْأَوْلِيَيْنَ » « إِنْكَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ » « إِنْكَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ » . ولما كان هذا قد يفر الجاهل
وشبه الجاهل فيحسب ان الأمر كما ذكروا وان العلماء المتقدمين سكتوا
وما أنكروا ، أردنا أن ننقل لقراء (السنة) بعضا من انكار أهل
العلم على هؤلاء ، المتسمين بالفقراء المدعين لطريقة الزهد المتسكين
بالبدعة ليعرفوا سنة العلماء في الرد عليهم والتقيح لحالهم والتحذير
من ضلالهم فيعلموا ان العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاءوا الا على
سنة سلفهم المتقدمين وما قاموا إلا بما يفرضه عليهم الدين من نصح
المسلمين وإرشاد الضالين والذب عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين
صلى الله عليه وعليهم وسلم .

انكار الامام القشيري، صاحب الرسالة القشيرية، من اهل القرن الخامس:

قال في وصف المشبهين بالصوفية المتحلين لطريقتهم المباينين
لسلوكتهم: « فعدوا قلة المبالاة بالدين أو ثق ذريعة ورفضوا التمييز
بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا
بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات
وركضوا الى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات والارتفاق
بما يأخذونه من السوق وأصحاب السلطان » .

انكار الامام ابي بكر الطرطوشي المالكي ، من اهل القرن الخامس والسادس :

قال في خطبة كتابه الذي ألفه في انكار البدع والمحدثات وعندنا منه
نسخة خطية مكتوبة نحو القرن العاشر: « ثم ازداد الامر ادبارا حتى
بلغنا ان طائفة من اخواننا المؤمنين - وفقنا الله وإياهم - استزلهم
الشیطان واستغوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة والتفجير
واعتقدته من الدين الذي يقربنا الى الله عز وجل وجاهرت به جماعة
المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت الفقهاء والعلماء وحماة الدين
« وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَكِّهِ مَا تَوَكَّلْنَا وَنَصِّلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » . فرأيت ان أوضح الحق وأكشف
عن شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله تعالى وسنة
رسوله وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتى^(١) عليهم في
أقاصي الارض ودانيتها حتى تعلم هذه الطائفة انها قد خالفت علماء
المسلمين في بدعتها والله ولي التوفيق » .

(١) كذا في الاصل وصوابه : الفتوى .

انكار الامام ابي حيان الاندلسي ، من اهل القرن السابع والثامن :

قال في الجزء الرابع من تفسيره الكبير ص ٣١٠ ، وهو يصف متصوفة زمانه ما ينطبق على أمثالهم في زماننا : « ولو عاش الحسن الى هذا الزمن العجيب الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح ويتركون الاكتساب ويرتبون لهم أذكارا لم ترد في الشريعة يجهرون بها في المساجد ويجمعون لهم خداما يجلبون الناس اليهم لاستخدامهم وتتش أموالهم ويذيعون عنهم كرامات، ويرون لهم منامات يدونونها في أسفار، ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنة ويرون الوصول الى الله بامور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبي مرسل ويتعاطمون على الناس بالانفراد على سجادة، ونصب أيديهم للتقيل، وقلة الكلام واطراق الرؤوس وتعيين خادم يقول : الشيخ مشغول في الخلوة ، رسم الشيخ ، قال الشيخ ، رأى الشيخ ، الشيخ نظر اليك ، الشيخ كان البارحة يذكرك ، الى نحو من هذه الألفاظ التي يخشون بها على العامة ويجلبون عقول الجهلة هذا ان سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فاذا ذلك يكون منسلخا عن شريعة الاسلام بالكلية والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليهم الاوقاف وتخدمهم الناس في عروهم عن سائر الفضائل ولكن الناس أقرب الى أشباههم منهم الى غير أشباههم وقد أطلنا في هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به » .

انكار الامام ابي اسحاق الشاطبي المالكي ، من اهل القرن الثامن :

قال في كتاب الاعتصام (١ : ٢١٦) - يصف فقراء زمانه بالاندلس - : « فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرمها

الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق التصوف وقلما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة الا على اللحن فضلا عن غيرها ولا يعرف كيف يتعبد ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة . فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدوا بالجهال أمثالهم ، وأخذوا يقرأون الاحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل العلم فيها ، فخرجوا على الصراط المستقيم » .

انكار الامام القلصادي المالكي ، من أهل القرن التاسع :

قال في كتابه « باب الأزهار اليمينية على الأنوار السنية » ص ٣٥ : « وكم من سنة دثرت وبدعة أقيمت وتوصل عليها بدلائل وذلك بسبب علماء السوء لان البدعة في الغالب لا يحدثها عالم لكن اذا وقعت ينصرها من كان له غرض فاسد ويقيم الدليل على صحة ذلك ويحدث لذلك اتباع على ما هو مشاهد معلوم » وقال فيه ص ١٥١ : « وليس المراد بالذكر ادامته باللسان فقط وعدم التحلي به وذلك من تلبيس ابليس ويحسبون انهم على شيء » .

انكار الشيخ عبد الرحمن الاخضري الجزائري ، من أهل القرن العاشر :

لهذا العالم الصالح قصيدة تعرف بالقدسية مشهورة وصف فيها هذه الطائفة وصفا كاسفا فاضحا صورهم على الصورة التي يعرفها منهم كل من عرفهم ولا يستطيع أن ينكرها أحد حتى المتعصب لهم ، وما قال فيهم : وظهرت في هذه البلاد : طائفة البلع والازدراد .. الخ .

انكار الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني ، من أهل القرن الحادي عشر :

قال في كتابه : « منشور الهداية في التعريف بحال من ادعى العلم

والولاية « فلما رأيت الزمان باهله تعثر وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر وسعائب الجهل قد أضلت وأسواق العلم قد كسدت واضمحل فصار الجاهل رئيسا والعالم في منزله يدعى من اجلها خسيسا وصاحب اهل الطريقة ، قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروائح السلب والطرده من المولى عليه لائحة ، تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية ، وحالات كانت قدما للسادات الصوفية ، فأوهموا العامة باسماء ذهبت مسمياتها وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان واعصار لبسوا باتحالمهم لها على أهل العصر انهم من أهلها - وربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق وقسما يقسم بهم في البر والعقوق - أعلنوا بان سوابق الاقدار منوطة بارادتهم وتأثيرات الاكوان صادرة عن اختيارهم فزادت بهم العامة شغبا الى شغبهم وتشويشا دخل في قلوبهم واتخذت اتباعهم القابا باسم الشيخوخة ، وزاد في افصاح أحوالهم والحمل على بثها وابدائها ما أحدثوه من ان من مات منهم بنوا عليه وشيدوا بناءات وجعلوا عليهم قبابا من العود والواحا منقوشة باسمائهم وما اختاروا من الانقلاب التي لا تصلح لهم ، وهي من أوصاف ساداتنا العلماء والعاملين والصلحاء الفاضلين وصيروا ذلك لغاير الدهر بحيث انهم لبسوا على انعامه في الحياة وعلى من سيكون بعد الممات » .

انكار الشيخ مصطفى العروسي ، من اهل القرن الثالث عشر :

هذا العالم هو محشي شيخ الاسلام زكرياء شارح الرسالة القشيرية قال - بنقل الاستاذ الملي في تاريخ الجزائر (٢ : ٢٦٣) - : « اني بذلا للنصيحة أحذرك من متابعة مشايخ هذا الوقت ممن لا يشر الاجتماع بهم خلاف المقت اذ هم قطاع طريق الله على عباده وأعداء الاولياء الداعين الى سبيل رشاده حيث لا همة لهم الا جمع العرض

الفاني ولا سعي لهم الا في تجريد القاصي والداني أزاحمهم الله من جميع البلاد وأراح منهم الدواب والعباد... فعليك يا أخي في مثل هذا الوقت بخاصة نفسك وتباعد عنهم بهم تزيد قاذورات رجسك وتابع هدى سيد المرسلين وامام كل النبيين والمرسلين فكافيك التمسك بالقرآن والتمسك على طريق سيد ولد عدنان ولا تفرنك - لو فرض - خوارق العادات فانها كما تكون للكرامة توجد لقصد الاهانة . فهذه وصيتي اليك قد ذكرتها شفقة عليك دعائي لذكرها رهاية المقام فتقبلها مني وعليك السلام » .

بان بهذا لمن عرف وأنصف ان الحق لم يعدم أنصارا في سائر الأزمان وان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة على مرّ الأيام وان الطائفة القائمة على الحق التي تحيي من سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما أمات الناس لن تزول من على وجه الارض ولا تزال ظاهرة لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله والحمد لله رب العالمين (١) .

عبد الحميد بن باديس



الصوفي السني

بين الحكومة السنية والحكومة الطرقية

بقلم الاستاذ عبد الحميد بن باديس
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أما الصوفي السني فهو الامام المجاهد السيد احمد الشرف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة والتخلق باخلاق السلف الصالح وكانت دعوته الى الله وارشاده للعباد بهدائيهما وكانت تربيته لاتباعه مبنية على التفقه في الدين والتزام العمن به والزهد والصبر وحفظ الكرامة .

وأما الحكومة السنية فهي الحكومة السعودية القائمة على تنفيذ الشريعة الاسلامية بمقائدها وآدابها وأحكامها الشخصية والعمومية حتى ضرب الامن أطنابه ومد العدن سرادقه على جميع تلك المملكة العربية العظيمة بما لم تعرفه دولة على وجه الارض غير دولة الإمام يحيى المضارعة لها في السنية واقامة عمود الشريعة الاسلامية .

وأما الحكومة الطرقية فهي حكومة مصر التي تشارك المشاركة الرسمية في بدع المواليد وتؤيد تأييدا رسميا الاجتماعات الصوفية بما فيها من منابر وقبح مظاهر وسوء مناظر مما تضح منه صحافتها كل يوم فضلا عن العلماء المصلحين من أمتها . ويواطؤها على هذا علماؤها الرسيون بسكوتهم واقرارهم وأحيانا بدفاعهم وتأويلاتهم . أما كيف كان هذا الامام بينهما فهالك الخبر لتتظر وتعتبر : لما

رجع الامام من الاناضول بعد ما أنكر الكماليون جميله واستثقلوا بقاءه ، ما آوته الا الحكومة السنية حكومة ابن سعود فأقام عندها في الحجاز مكرما مبجلا . وأما الحكومة المصرية الطرقية فانها أبت عليه أن يدخل مصر مراعاة لوعده كانت أخذته عليها ايطاليا في شأن الامام . ولم ينته احترامها لهذا الوعد القاضي بحرمان امام عظيم من دخول أرضها عند هذا الحد الاعتيادي عند من لا يراعي الا جهة واحدة وان أغفل جهات عديدة ، بل تجاوز تصلب حكومة مصر ويبسها الى منعه من دخول مصر في الحالة التي يرثي فيها العدو لعدوه ولو كان كعداوة ايطاليا للامام . ذلك ان الامام لما مرض مرضه الاخير واشتد به الألم رغب في التداوي بمصر فطلبت حكومة الحجاز من حكومة مصر السماح له بذلك وكانت الحكومة المصرية في انتظار قدوم ملك ايطاليا فماطلت ولم تجب حتى مات الامام دون أن تسمح له بالدخول لاجل التداوي .

نحن لا نتكلم على هذه المسألة من ناحيتها السياسية وانما نتكلم عليها من ناحيتها الانسانية ومن ناحيتها الدينية على الخصوص . فالحكومة السعودية التي طهرت الحجاز من البدع والضلالات والخرافات ورجعت اتباع الطرق التي تسمى نفسها الطرق الصوفية الى عقولهم ودينهم لما جاء هذا الصوفي السني أكرمت وفادته وأنزلته المنزلة اللائقة به وحكومة مصر التي تؤيد الطرقية وبدعها وخرافاتا وتشويها لما كان عليه الجنيد وأمثاله ، وما كان عليه أئمة الهدى كلهم تعامل هذا الصوفي السني هذه المعاملة القاسية الخسنة الخالية من كل لطف ومراعاة وفي هذا الموقف من هاتين الحكومتين البرهان القاطع على ان الحكومة السعودية ما طاردت الطرق لأنها تصوف وإنها طاردتها لأنها مدعية بالباطل ومتصفة بضده . وان الحكومة المصرية ما نصرت الطرق لأنها تصوف وانما ناصرتها لأن غالب علمائها الذين يعيشون على رواتبها

الصوفي السني

وعلى رضا العامة وتعظيمها واستغلال جهلها أقروها على ذلك وحسنوه
لها فأقرتهم والعامة عليه :

وهل أفسد الناس إلا الملوك

وأجبار سوء ورهبانها

وقبل الحكومة السعودية قد كان علماء الاسلام المصلحون يقبلون
طريقة الحق وينكرون طرق الباطل وقد ذكرنا جمعا منهم من القرن
الخامس الى القرن السالف في عدد مضى وهم قدوتنا أنعم بهم من قدوة
وقبل الحكومة المصرية وعلمائها قد كان من يقر ما أقرت دون بينة
ولا برهان . وسيبقى كذلك على الدهر من ينصر السنة ويؤيدها
ويدافع عنها . ومن ينشر البدعة وينفخ في بوقها وينقر على طبلها .
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز (١) .



(١) السنة ، السنة الاولى العدد ٦ الاثنين ٢٠ محرم الحرام

١٣٥٢ هـ - ١ ماي ١٩٣٣ م ، ص ١٥٢

الإسلام دين علم خالد

ألف الاستاذ محمد فريد وجدي كتابا تحت هذا العنوان بحث فيه في الوحي والدين والاسلام ، فوفى البحث حقه . وقد كان بعض المعجبين بالأستاذ أطلعني على الكتاب فوققت فيه على أشياء أنكرتها منها : تعبيره عن موجد الكون بروح الكون وجعله الحياة الانسانية قبة من الحياة الوجودية ، ويعني بالحياة الوجودية ما عبر عنه بروح الكون وهذا صريح في أن الروح الانسانية مأخوذة من الله تعالى، جل^(١) الله عن ذلك، وكيف يؤخذ الحادث من القديم ؟ ومنها زعمه عن الموجودات (ص ١٢) انها سابحة في روح الوجود سبح النينان في المحيط الزاخر ، منه وجدت وبه تحيا وفيه تبنى ، وكما كان تعبيره عن موجد الكون بروح الوجود من العبارات الحلولية الموهمة ان الموجد سار^(٢) في الموجودات فقد كان تعبيره هنا بانها سابحة فيه وتبنى فيه مقتضيا انها حالة فيه وكلا الأمرين محال باطل اعتقاده ، حاشا الأستاذ أن يكون قصده ، ومنها زعمه ان في الناس علماء منتهين (ص ١٨) لا يتطلبون أن يأخذوا الدين آدابا وأخلاقا ولا أن يتعلموا منه أسلوبا في الحياة ولا دستورا في المعاملات ثم يقول عنهم (ص ٢٠) ان هؤلاء العلماء الأعلام يرون ان لا حاجة بهم الى الأديان المعروفة هم هكذا ويسميهم بالعلماء الأعلام !

رأيت هذا في الكلام واستنكرته ونهيت الاخوان عليه ثم رأيت لحجة الاسلام الاستاذ رشيد رضا بحثا مستفيضا في هذا الكتاب ومؤلفه^(٣) .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) ش : ج ٧ ، م ١٢ ، ص ٣٠٤ - ٣١١

غرة رجب ١٣٥٥ هـ - اكتوبر ١٩٣٦ م .

طلب الآخرة وحدها مذموم في الاسلام

غلو الصوفية بجعل الكمال عدم طلب الدنيا والآخرة

كنا يَبْتَنَّا نحن وغيرنا على صفحات هذه المجلة ان العبادة الشرعية موضوعة على الرجاء والخوف وان الطمع في فضل الله لا ينافي اخلاص العبادة له ، وذكرنا الادلة الكثيرة على ذلك من الكتاب والسنة وكانت أدلة ثابتة صريحة غير قابلة للتأويل وبيننا بها أن من زعم ان العبادة تتجرد عن الرجاء والخوف ، فقد زعم باطلاً وانه لا يجد آية واحدة ولا حديثا صحيحا واحدا يستدل به على دعواه فالعبادة المتجردة عن الرجاء والخوف ليست العبادة التي جاء بها الاسلام .

ثم لما اطلع أخونا في الله شيخ الاسلام الاستاذ محمد رشيد رضا على ما دار في المسألة بيننا وبين خصومنا كاتبنا بموافقتة على ما قلنا وذكر لنا ما كان كتبه هو في المسألة في الجزء الثاني من تفسير المنار الشهير وها نحن ننقل ما كتبه الأستاذ في المسألة عند تفسير قوله تعالى : « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » الآية ، افادة لقرائنا شاكرين لفضيلته عنايته وتنبيهه .

قال أحسن الله جزاءه :

« ولم يذكر في التفسير من لا يطلب الاحسن الآخرة ، لأن التقسيم لبيان ما عليه الناس في الواقع ونفس الأمر بحسب داعي الجبلة وتأثير التربية وهدى الدين . ولا يكاد يوجد في البشر من لا تتوجه نفسه الى حسن الحال في الدنيا مهما يكن غاليا في العمل للآخرة ، لأن الاحساس

بالجوع والبرد والتعب يحمله كرها على التماس تخفيف ألم ذلك الإحساس ، والشرع يكلفه ذلك بما يقدر عليه من أسبابه وقد جعل عليه حقوقا لبدنه ، ولاهله ، ولولده ، ولرحمه ، ولزائريه ، واخوانه ، وأمه ، لا تصح عبوديته الا بدعاء الله تعالى فيها .

وفي الآية اشعار بان هذا الغلو مذموم خارج من سنن الفطرة ، وصراط الدين معاً ، وما نهى الله أهل الكتاب عن الغلو في الدين وذمهم على التشدد فيه إلا عبرة لنا ، وقد نهانا عنه نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، وفي حديث أنس عن البخاري ومسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - دعا رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له : « هل كنت تدعو الله بشيء ؟ » قال نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « سبحان الله اذا لا تطيق ذلك ولا تستطيعه فهلا » قلت : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ودعا له فشفاه الله تعالى .

وأبعد من هذا في الغلو أن بعض الصوفية سمع قارئاً يتلو قوله تعالى : ٣ : ١٥٢ ، « مِّنْكُمْ مَّنْ يَّרِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يَّرِيدُ الْآخِرَةَ » فصاح : أواه ، فأين من يريد الله ؟ وهو قول حسن الظاهر قبيح الباطن ، فالآية خطاب لخيار الصحابة وهو وشيخه من الصوفية لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه ، فارادة الدنيا والآخرة بالحق ارادة لمرضاة الله وعمل بسنته وشرعه ، والمراد بالدنيا فيها الغنيمة في الحرب ، وبالآخرة الشهادة في سبيل الله ، فهل يظن بجهله ان من شهد الله تعالى لهم بانهم بذلوا أنفسهم في سبيله ونصر رسوله وآثروا الشهادة في القتال على الغنيمة انهم لا يريدون الله ؟ وقد ورد في الصحيح ان الآية كانت أكثر دعاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فهل يدعي ذلك الصوفي وأمثاله من الغلاة أنهم أشد حبا منه لله وطلباً له عز وجل ؟

(أقول) : كلا انما هي فلسفة خيالية من خيالات وحدة الوجود البرهمية الهندية قد شغل بها أفراد عن فطرة الله وشرعه مما فجعلوها أعلى مراتب العبودية : وتأولوا لها بعض آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى : « يَتَرِيدُونَ وَجْهَهُ » وما ارادة وجهه تعالى الا الاخلاص له في كل عمل مشروع من مصالح الدين والدنيا وتجري هداية ديبه فيه ، لا ما تخيله من ان ارادة وجهه تعالى هو الوصول الى ذاته بعد التجرد من كل نعمة في الدنيا والآخرة جسيما ، فان الاتصال بتلك الذات العلية القدسية التي لا تدركها العقول ولا تدنو من كنهها الافكار ولا الاوهام ، ما لم يتعلق به تكليف ولم يرد به شرع بل ادراك كنه الذوات المخلوقة له تعالى فوق استطاعة خلقه وانما أعلى مراتب معرفة الله تعالى في الدنيا هي معرفة كل شيء به ومعرفته في كل شيء وبكل شيء ، ودعاؤه بكل اسم من اسمائه بما يناسب تعلقه بشؤون عبادته وبهذا فضل جمهور أهل السنة خيار البشر على الملائكة الذين يعبد كل منهم ربه عبادة خاصة ، والمؤمن الكامل من يعرف حق ربه على عبادته وما شرعه من حقوق بعضهم على بعض ، والقيام في كل ذلك بذكره وشكره وحبّه والتوكل عليه والاخلاص له ، وأعلى مراتب معرفته في الآخرة هو مقام الرؤية بتجليه الأعلى في جنات عدن ، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل الموصل اليه جهل لاعلم ولا معرفة»^(١).



(١) ش : ج ١٢ ، م ٩ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٤
غرة رجب ١٣٥٢ هـ - نوفمبر ١٩٣٣ م .

بيان عن هلال شوال

من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى المسلمين الجزائريين

اجتمعت هيئة علمية بإدارة مجلة الشهاب ليلة الاحد لا انتظار ما يرد من الاخبار عن الهلال والاسئلة عنه مثل ما فعلت ليلة رمضان ويناها في المنشور السابق .

دق جرس التلفون من قصر الطير فتكلم السيد عبد الرحمن بن يبي فأخبر بأن الهلال رآه رجلان من قريتهم وناداهما فتكلم كل واحد منهما وأخبر عن الرؤية وزكاهما السيد عبد الرحمن وسمع هذا كله رئيس الجمعية والسيد احمد بوشمال والشيخ عبد العلي ثم دق الجرس من بلدة جامعة فتكلم فضيلة قاضيها الشيخ لخضر بن غريب فذكر ان قاضي بلدة أولاد جلال أخبره ان الهلال رآه اثنان في بلدته وانه نقل له اثنان من أهل قرية سيدي خالد الرؤية عن أربعة بها فثبت الامر عنده ثم ذكر فضيلة قاضي جامعة ان الهلال قد رؤي أيضا في سيدي عقبة وانه نقل ذلك عن الثقة عنده ، ثم تكلم السيد الحاج الشاوي فأخبر بمثل كل ما ذكره الشيخ القاضي وسمع ذلك كله منهما من سمعوا الخبر الاول وغيرهم . ولما تحملنا هذه الشهادات قمنا فذهبنا الى فضيلة قاضي قسنطينة الشيخ محمد بن الساسي فأدينا عنده الشهادة ، وكلم هو قاضي بلدة أولاد جلال فأخبره بمثل ما أخبرناه به ، فأصدر حكمه بدخول شهر شوال بالاحد وأعلن ذلك للناس . وتولت هيئة جمعية العلماء توزيع الخبر بالبرقيات والتلفونات - كعادتها - على انحاء القطر .

أصبح الخبر منتشرًا في القطر كله وأفطرت جل البلدان ولولا بقايا من الذين في قلوبهم مرض لعم العيد جميع البلدان . وكان من المقدر على العاصمة الجزائر أن يقع فيها الخلاف في الفطر كما وقع فيها الخلاف في الصوم وكان سبب ذلك أخيرا هو السبب ، أولا : ذلك المتعنت المخدول . كان يعتل لخلافه في الصوم بأنه لم تخاطبه هيئة رسمية وهو لا يقبل إلا الرسميين فخاطبه ليلة الأحد فضيلة الشيخ محمد بن الساسي بنفسه هو ومن كانوا معه في المحكمة ورغم هذه المخاطبة الرسمية ابى من العمل بها وأصر على رأيه الباطل الذي لا مستند له لا من وهم ولا من شبهة . وكان هذا منه الدليل القاطع عند الناس على تعصبه وعناده وما يكون عنه التعصب والعناد في مثل هذه المسألة الدينية من طوايا وادغال .

هكذا تقوم الجمعية بكل ما ترى فيه الخير من نشر العلم والدين وتوحيد الكلمة في الخير فتجد أمثال هذه العراقيل من هذه الأشباح المظلمة والأيدي الظالمة تعترضها في طريق الصالح العام ، والجمعية - بإذن الله - سائرة في طريقها المحمودة إلى غايتها النافعة ولو كره المبطلون والله المستعان .

هذا واتنا نحمد الله على ما شاهدناه من الأمة من العناية ونشكر كل من أعاننا على القيام بهذه الطاعة ونرجو من اخواننا المسلمين أن يبذلوا عنايتهم في كل الشهور وأن يبادر كل من يرى الهلال إلى اخبار محكمته وأن يعلن رئيس المحكمة ذلك للناس والله المسؤول أن يوقفنا للخير ويعيننا عليه ويجعلنا من أهله (١) .

عن مكتب رئاسة الجمعية
الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ملحق ج ١٢ ، م ١٠ ص ١ - ٢
غرة ذي القعدة ١٣٥٢ هـ - فيفري ١٩٣٥ م .

المختنيات من الجرائد والمجلات

نصيحة الاستاذ الامام لاهل الجزائر وتونس

للمشاركة في حفلة الذكرى الثلاثين^(١) التي أقامها اخواننا المصريون للاستاذ الامام نشرنا صورته وقدمنا هدية للقراء ، وننقل هنا بمناسبة ذلك نصيحته التالية عن المجلد الحادي عشر من (المنار) .
من يعرف الاستاذ الامام يعرف ان كل حديثه في جميع أوقاته نصح وتعليم فمجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك نعتقد ان الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح لا تحصى ولكن النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافه بها أهل العلم والدراسة في القطرين هي :

« ١ - الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد اليها في الخطاب الذي ألقاه في تونس .

« ٢ - الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة .

« ٣ - مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الاخير يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة انحكومة الفرنسية لهم على ما قبله فان الحكومات في جميع الارض يضيقون على البلاد التي يستعمرونها ما داموا يعتقدون ان أهلها ساخطون عليهم أو لهم ضلع مع حكومة

(١) وذلك في سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

المجئيات من الجرائد والمجلات

أخرى . وهذا الاعراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات فاذا لم تكشف ظلامتهم بعد الالتجاء اليها في كشفها كانوا معذورين اذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر» (١) .



(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٦٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ - اوت ١٩٣٥ م .

التقرير الأدبي

الذي ألقاه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس

في افتتاح اجتماعها السنوي العام

صبيحة يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٥٤ هـ

الموافق للخامس عشر سبتمبر سنة ١٩٣٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام
الانبياء وخاتم المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وعلى آله
واصحابه والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فباسم الله تعالى ثم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،
أفتتح هذا الاجتماع الرابع للجمعية والمؤتمر الديني العلمي لهيئتها
العمومية . ثم أرحب بكم شاكرًا لكم اقبالكم على الجمعية وعضدكم
لها ، بوفودكم على اجتماعها ، كما أشكر أولئك الاخوان الذين
حبستهم الاعذار ، فاعتذر من يحسن منهم الكتابة بالكتب ، والبرقيات،
واكتفى الأميون منهم بهبات الارواح ، ونبضات القلوب .

أيها الاخوان : لقد كانت السنة الماضية ، وهي الرابعة من سنوات
الجمعية ، سنة ممتازة في حياة الجزائر ، تحركت فيها الجزائر حركة
الالم ، وحركة الامل ، حركة ألم أورثه الجمود من ناحية ، والغفلة
من ناحية ، وأسباب أخرى من نواح أخرى ، فطال عليه الامد حتى
أنهك الروح ، والجسد ، وحركة أمل بعثه الشعور بالحياة ، وثقة

رجال ممن بيدهم الحل والعقد ، أو لهم كلمة مع من بيدهم الحل والعقد ، فارتفع صوت الجزائر حتى أسمع الصم ، وان قل المجيب وظهر رسمها على صفحات الايام ، وان اختلف تلويته باختلاف أذواق الدساسين ونزعاتهم ، واذا ذكرت الجزائر - أيها الاخوان - فقد ذكرت الجمعية فهي - ولا نكران - المثلة للجزائر من ناحيتها الروحية والادبية وما كتب كاتب في صحيفة من كبريات الصحف وصغرياتها عن الجزائر الا كان حديثه عن الجمعية في طالعة كلامه ، واذا ألغينا تهاويل مقصودة وأنباء مقلوبة بقي الاعتراف للجمعية بمكائنها ؛ وان صلاح الجزائر ، وارضاء الجزائر معظمه في مساعدة الجمعية على ما تقوم به من تربية وتهذيب .

لقد أبدت الجمعية ألم الامة وألمها من ناحيتها الخاصة بها بما نشر لها وبما أبرقت من برقيات وما أرسلت من كتب . وقد أبدت ما لها من أمل يوم قابل رجالها وزير فرنسا م . ريفي وسمعت منه ما قوى ذلك الامل .

وكم كان يسرني - وأنا رجل مسلم طبعني تربيتي الاسلامية على الاعتراف بالجميل - أو استطعت أن أذكر لكم اليوم شيئا من تحقق ذلك الامل . لكن بغاية الاسف لا أستطيع أن أقول لكم الا انه لم يتحقق شيء منه ، فالمساجد ما تزال موصدة الابواب في وجوه الوعاظ والمرشدين والمكاتب العربية ما زالت تلقي العراويل الشديدة ، وصحيفة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير وما يزال رجال من أشخاص الجمعية البارزين تحت الرقابة والشدة بغير ذنب . غير اننا لا نقطع جبل الرجاء ما دام على رأس الادارة رجل عالم خبير يقدر العلم وأهله ربما انفسح أمامه المجال للعمل في عهد الولاية الجديدة ، ومع ذلك فاني ابقاء لصوت الحق أرفع باسم جمعكم هذا الى المراجع العليا الاحتجاج على بقاء هاته الحالة التي يحال فيها بين علماء الاسلام

آثار ابن باديس

ومساجد الاسلام ، ويحال فيها بين الامة وتعلم دينها في أماكن دينها ويعرقل فيها المسلمون على تعليم أبنائهم ، لغة وعقائد وآداب دينهم • ويختق فيها صوت جمعية دينية علمية فيحال بينها وبين الصحافة التي هي الاداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها •

ثم مع هذه الحالة وضيقها فان الجمعية قامت بحمد الله بما استطاعت من واجباتها • فالدروس العلمية في بلدان عديدة يقوم بها رجال الجمعية للطلاب والمدارس القليلة المسموح بها يتولاها رجال من الجمعية لتعليم الصغار • وقد قام رجال مجلس الادارة في آخر السنة برحلات في العمالات الثلاث فوفدوا على خمسين بلدة ونيف فألقوا فيها دروس الوعظ والارشاد على الجموع الكثيرة من الناس فأحيوا بما نشروا من الهداية نفوسا وأنعشوا أرواحا وفتحوا عيوننا وآذاننا وبعثوا - من الخير - آمالاً وبذروا بذور الرحمة والمحبة بين جميع السكان •

واليوم - وقد قطعنا المرحلة الرابعة من سيرنا - فاننا نستعين الله تعالى على التقدم للمرحلة الخامسة بايمان ثابت ويقين صادق وقصد للخير صحيح ونحن نجدد لكم عهد الله على السير بالجمعية أو مع الجمعية على خطتها الدينية العلمية لنشر العلم والفضيلة ومحاربة الجهل والرذيلة • القرآن أماننا والسنة سبيلنا والسلف الصالح قدوتنا وخدمة الاسلام والمسلمين وايصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا • فلنسر موحدين متحدين على هذا الصراط المستقيم لخير الجميع والله مع العاملين المخلصين والحمد لله رب العالمين (١) •

عبد الحميد بن باديس

(١) سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين ص ٧٤ - ٧٦
١٦ جمادى الاخرة ١٣٥٤ هـ - ١٥ سبتمبر ١٩٣٥ م

العناية بهلال رمضان وثبوته

قياما بالواجب حسب عادة الجمعية كاتب مكتب الرئاسة جميع رؤساء الشعب في القطر كله بالكتاب التالي :

حضرة الاخ الكريم : السلام عليكم ورحمة الله

وبعد : فالمرغوب منكم ان تقوموا بأنفسكم اتم ومن معكم بالعناية برؤية هلال رمضان وقد ثبت دخول شعبان بالثلاثاء فتجب مراقبة الهلال ليلة الاربعاء الآتية اذ هي ليلة الثلاثين فاذا رؤي فليبادر باعلام اقرب محكمة شرعية لديكم وتعلمونا الى مكتب رئاسة الجمعية على تليفون : ١٥ - ٢٥ (خمسة وعشرين خسة عشر) وليكن تلقي الخبر دائما باثنين من اثنين الا اذا لم يره الا واحد فليتلق عنه اثنان وليبلغ الخبر على الوجه المذكور اذ قد يكون شخص آخر رآه في ناحية اخرى فتلق الشهادة ، فاذا لم ير ليلة الاربعاء فتصدوا له ليلة الخميس وتعملوا فيه كما بينا .

هذا وقد طلبنا من مدير ادارة البريد في العاصمة ان يأمر بابقاء التليفون مفتوحا الى الساعة العاشرة .

والمرغوب ان تعرفونا بعدد التليفون الذي نخاطبكم عليه في حين اتصالكم بكتابتنا هذا اما ببرقية وأما بالتليفون .
اتنا نؤكد عليكم في القيام بهذا الامر الديني العظيم ، والله يتولانا واياكم والمسلمين بالتوفيق والتأييد .

والسلام عليكم من اخيكم : رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة ١ العدد ١ الصفحة ٨ العمود ١ - ٢ الجزائر يوم الجمعة ١ شوال المبارك ١٣٥٤ هـ الموافق لـ ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ م .

العناية بهلال رمضان

وفاء بالوعد واثمناً للفائدة نشر لقرائنا الكرام تقلا عن الشهاب الاغر ما يتعلق بهذا المبحث قال :

فجاءت الاجوبة من عندهم كلهم بالكتب والبرقيات باستعدادهم لتنفيذ ما خوطبوا به وتعيين محال مخاطباتهم .

ولما كان مساء يوم الثلاثاء انتصب بمكتب الرئاسة رئيس الجمعية وهيأته من الاعضاء لتلقي الاخبار فوردت عليهم نحو مائة تليفون من جميع جهات القطر تسأل عن الرؤية وتخبر بوجود الغيم المتكاثف وهطول المطر في بعض الجهات .

كما انتصب بالمحكمة بجوار مكتب الرئاسة فضيلة الشيخ القاضي الشيخ محمد بن الساسي في ثلة من اهل العلم حسب عاداته من يوم نهضت الجمعية بهذا الواجب وكان فضيلته من اول من لبي دعوتها ونهض به معها .

اكمل شعبان ثلاثين وفي مساء الاربعاء رأى الهلال بقرية ام البواقي جمع كثير من الناس . واخبرتنا بذلك هيئة الشعبة ولم نحتج الى اعلان الخبر لأن رمضان قد يثبت بعد - قطعا - بكمال شعبان ثم من الغد جاءتنا الاخبار من جهات عديدة بأنهم رأوه ليلة الخميس .

ادارة البريد

كاتب رئيس الجمعية مدير البريد بالعاصمة يرغب منه ان يأمر ببقاء التليفون مفتوحا بالمراكز الصغرى التي يعلق فيها باكرا - الى الساعة

العاشرة من ليلة الاربعاء وقد كلمتنا بعضها متأخرة فنظن انه امر بذلك،
فنشكره .

(الهيئة الشرعية بالعاصمة)

كنا في السنوات الماضية لما ثبت الهلال في مجمة قسنطينة ونحاول
الاتصال - تيلفونيا - بمفتي العاصمة او قاضيها لا نجد الا ذلك سييلا
حتى نرغب من بعض الفضلاء من اخواننا الجزائريين الذين نخاطبهم
كالسيد ابن صيام والسيد ابن المرابط - ان يذهبوا اليهما ويعلموهما
فلا يجدون منهم عناية لان الذي كان يسيطر على الهيئة الدينية هو
امام الجامع الكبير المعروف^(١) وكان بقلبه مرض من قسنطينة ومن
جمعية العلماء فلا يريد ان يقبل كل ما يأتي من قسنطينة وان كان من
محكمة الشيخ القاضي وبحكمه لما فيه من دخل من عناية الجمعية ،
حتى انه في السنة الماضية خوطب هو نفسه من محكمة الشيخ القاضي
فابى الا العناد كما نشرناه وعلمه الناس في وقته .

اما في هذه السنة - والحمد لله - فقد قطع الله اليد الظالمة واقذ
منها الهيئة الدينية فتألفت الهيئة الشرعية من فضيلتي الشيخ القاضي
والشيخ المفتي وغيرهما وتصدت للعناية بامر الهلال وجلست بمحلها
ليلة الاربعاء لانتظار الاخبار وشاهد الناس بالعاصمة مظهرا من العناية
الدينية لم يشهدوه من قبل . فنشكر الهيئة على ما قامت به ونرجو لها
الاستمرار في هذا المنهج الحميد الذي هي اهله .

(رجاء من اصحاب الفضيلة القضاة والمفتاي)

ندعو فضيلاتكم - باسم الدين والاخوة فيه - الى القيام بهذا

(١) هو الشيخ بن الحاج كحول ولا وجه لستر من لا يستر (المؤلف).

آثار ابن باديس

الواجب العظيم فينتصبوا بمحلاتهم ليلة الثلاثين لتلقي الاخبار بعضهم
من بعض وليتلقى الاخبار من الناس .

(رجاء من الأمة)

ان ليلة الثلاثين هي ليلة الجمعة فيجب لرؤية الهلال وعلى كل من
رأى وتحقق ان يرى غيره - ان كان معه - ويبادر برفع رؤيته الى
اقرب محكمة اليه ، ومن المحتمل القوي ان يرى هلال شوال ليلة الجمعة
اذا لم يمنع منه غيم لان علماء الفلك متفقون على ان هلال رمضان كان
استهل نهار الثلاثاء وما منع من رؤيته ليلة الاربعاء الا عموم الغيم ويؤيد
قولهم شيوع رؤيته ليلة الخميس .

(الى رؤساء شعب الجمعية)

نرجوا من اخواتنا رؤساء شعب الجمعية ان يحثوا الناس على هذا
الواجب كما هي عادتهم - شكر الله لهم - فبفضل الله ثم بعنايتكم
انتشرت هذه الروح من العناية الدينية والتعاون المشروع الم محمود وتلك
هي غاية الجمعية وقد وصلنا الى معظمها والحمد لله ، ونرجو من الله
المزيد فنعم المولى ونعم النصير .

عبد الحميد بن باديس



البصائر : السنة ١ العدد ٢ الجزائر يوم الجمعة ١٥ شوال المبارك
١٣٥٤ هـ الموافق ليوم ١٠ جانفي ١٩٣٦ م صفحة ٧ الممود الثاني والثالث .

الاصلاح امس واليوم

أول من نادى بالاصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الاسلامي كله في عصرنا هذا هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، واول من قام بخدمته بنشرة اسلامية عالمية هو تلميذه حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . رحمهما الله وجازاهما عن الاسلام والمسلمين خيرا ماجازى به المجددين لهذا الدين .

ومن عدل الله وحكمته ان كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر . مصر التي هي مبعث اكثر البدع والضلالات الاعتقادية والعملية من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية - والطرق حينما كانت فهي تكأة وملجأ البدع والخرافات - وصارت الخطة الطرقية من الخطط الاسلامية في الحكومات المصرية التي تحميها وتؤيدها فصارت البدع والضلالات رسمية في نظر المسلمين وغير المسلمين وجاء الازهر واهل الازهر - الا قليلا - على دين الدولة وهوى العامة يقرون تلك البدع والضلالات بسكوتهم بل بمشاركتهم العملية وتأيدهم الفعلي والقولي وما ينتشر عنهم من كتب وتلاميذ .

اما الجامعان اللذان يذكران مع الازهر بشمالنا الافريقي وهما الزيتونة بتونس والقرويون بفاس - فهما - الا قليلا - كما قال الاول :

فما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وكيف يكون حال العالم الاسلامي ومراكزه العلمية الدينية في ذلك الضلال المبين ؟ ..

جاءت الدعوة الاصلاحية ومصر والعالم الاسلامي على تلك الحال فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والايمان . ومضى ثلث قرن او يزيد والدعوة الاصلاحية تنتشر وتتقدم وتنقص البدع والضلالات من اطرافها ولكنه لم تقم في امة اسلامية هيئة علمية منظمة تعلن الدعوة اعلانا عاما وتصمد للمقاومة غير مبالية بما يؤبد البدع والضلالات من سلطان ديني وسلطان دنيوي - غير الامة الجزائرية فكان من علمائها الاحرار المستقلين الذين لا يعيشون على الوظيف اولئك الذين نهضوا بالدعوة الاصلاحية منذ بضع عشرة سنة وجاهدوا فيها لله وصابروا واسسوا لها اعظم مؤسسة دينية - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - حتى اصبحت الدعوة الاصلاحية - والفضل لله والحمد لله - ثابتة الاركان مشيدة البنيان باسقة الافنان دائية الثمار وارفة الظلال - لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الافريقي كله .

لم يبق للمتشبثين بالبدع والضلالات والاوهام والخرافات من شبهة يتمسكون بها ويستندون اليها الاطرقية مصر وعلماء مصر ورجال الازهر . وكانت - لا كانت - شبهة لبس بها الشيطان كثيرا واضل بها العوام وايد بها حزبه وشغب بها على حزب الله . وكنا على اليقين من ان الله سيزيل هذه الشبهة ، ويزيح هذه المحنة ويؤيد العلماء المصلحين في الازهر فيصبح الازهر - حجة للمصلحين ومصدر هداية للمسلمين وقد حقق الله الرجا واصبح الازهر اليوم يؤلف من رجاله الرسميين ، لجانا للقيام بالاصلاح الديني علما وعملا ، ومن ورائه الحكومة المصرية تؤيده وتسندة كما تراه في المقال التالي الذي نقلناه من جرائد مصر . فما اعظمها بشرى نرفها للمسلمين ولقرائنا في ختام هذه السنة الحادية عشرة من عمر مجلتهم فتكون اعظم مانهنيهم به في هذا العيد ، عيد النحر السعيد راجين من الله المزيد « كَتَبَ اللهُ

لَا غَلْبَانَ أَنتَا وَرَسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ « آمين والحمد
لله رب العالمين (١) » .

عبد الحميد بن باديس



(١) ج ١٢ ، م ١١ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧
غرة ذي الحجة ١٣٥٤ هـ - مارس ١٩٣٦

احتفال جمعية التربية والتعليم الاسلامية بالحجاج

وتعرض الحكومة لها بعد اذنها(١)

جرت عادة الجمعية ان تحتفل بالحجاج وكانت تحتفل بهم في (نادي الاتحاد) وكان يضيق عن افواج الراغبين في السلام على الحجاج والتبرك بهم فرأت هذا العام ان تحتفل بهم في الجامع الكبير فذهب السيد (الحاج ادريس) المحامي كاتبها العام والنائب البلدي والسيد (حسين بن شريف) امين ماليتها والنائب البلدي فطلبا الاذن من الكاتب العام بدار العمالة فاذن لهم وبعد هذا الاذن اصدرت الجمعية منشورا على الناس يوم الثلاثاء هذا نصه :

جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

تكريم حجاج بيت الله الحرام

تبتهج النفوس وتشرح الصدور بقدوم وفد الله وحجاج بيته المحرم حديثي عهد بتلك الديار المطهرة ، والاثار الكريمة ، فيود كل مسلم ان يراهم وان يلتمس الخير من الاجتماع بهم .

لكن ذهاب افواج الناس اليهم في بيوتهم فيه ما فيه من التثقل عليهم والكلفة لاهلهم ، والمسرف المذموم فيما يضطرون لتقديمه لقاصديهم ، حتى ليكاد يقارب الذي ينفقونه عند قدومهم ما انفقوه في حجهم . وهذا كله من العرج والتكلف والتبذير التي نهينا عنها .

(١) نشر هذا المقال ايضا في الشهاب ج ٢ ، م ١٢ ، ص ٧٥ - ٧٨ بتاريخ غرة صفر ١٣٥٥ هـ - ماي ١٩٣٦ م

احتفال جمعية التربية والتعليم بالحجاج

فالجمعية تدعو اخواننا المسلمين ان يقلعوا عن هذه المنهيات وان
ينكفوا عن الذهاب الى الحجاج في بيوتهم الا من كان من اقاربهم .

والجمعية قد عازمت على تكريم الحجاج مساء يوم الجمعة القابلة
اثر صلاة العصر بالجامع الكبير ان شاء الله تعالى . فهي تدعو جميع
المسلمين الى الاتيان اليهم والتبرك بهم .

وبهذا نكون قد اجتمعنا بوفد الله ، في بيت الله ، وسلطنا مما نهي
عنه الله . فيتضاعف ان شاء الله الاجر ، ويتكاثر المنعم ، ويتجلى جمال
المظهر ، ويحسن عند الله وعند الناس الاثر .

جمع الله قلوبنا على الحق ، واقوالنا على الصدق واعمالنا على
العدل والاحسان ، والحمد لله رب العالمين . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

عن الجمعية : الرئيس عبد الحميد بن باديس

وفي صبيحة الاربعاء استدعت الادارة السيد (الحاج ادريس)
والسيد (حسين) ولغيايب السيد الحاج ادريس ذهب مكانه مع السيد
حسين السيد (محمد الشريف ابن الابيض) المحامي والنائب البلدي
والعضو في الجمعية فاخبرهما الكاتب العام بالرجوع في ذلك الاذن
لعدم جواز الاجتماع في الجامع فأعلماه بما أصدرته الجمعية من الاعلان
بالاجتماع للعموم بناء على اذنه المتقدم ، وبعد مراجعة طويلة أوقف
الامر النهائي على مراجعة عامل العمالة السيد البريفي .

وفي مساء الاربعاء سافرت الى (عنابة) لمقابلة الحجاج صبيحة
الخميس فلما نزلت بدار السيد (الحاج الخوجة) رئيس شعبة جمعية
العلماء أخبرني ان السيد بريفي يسأل عن قدومي وأمره أن يخبره
عني بمجرد قدومي ولما أخبره اذ ذلك بقدومي طلب حضوري لديه

مع السيد الخوجة على الساعة صباح الخميس . ولما ذهبنا اليه في الموعد اخبرني بان السيد البريفي يمنع من اقامة الاحتفال بالجامع وينكر اعطاء الأذن ، فأجبتة بأن الناس سوف يجتمعون لأجل المنشور الذي وزع عليهم بعد اذن خليفة البريفي وأما الاحتفال فلا يقام .

رأيت بعد خروجي من عند السيد بريفي ان هذا الامر لا يجوز السكوت عليه فليس من اللائق بادارة محترمة أن تضرب هذا الاضطراب ولا من اللائق بجمعية محترمة أن تعامل هذه المعاملة وعلمت ما يتركه هذا العمل في قلوب المسلمين من الأثر السيء والكدر التام ، فبادرت الى ارسال برقية الى دار العمالة بقسنطينة ، ومثلها الى دار الولاية العامة ذكرت فيها ان المنشور ما كان الا بعد الأذن واستتكرت الرجوع في الأذن وأعربت عن الاستياء الذي يحصل من منع المسلمين من اقامة احتفال ديني محض في مسجدهم ونصحت بالرجوع عن المنع في صالح الجميع .

قلت الى قسنطينة مساء الخميس ومكثت صبيحة الجمعة أنتظر جواباً عن برقيتي فلم يأت عنها جواب .

لما صليت عصر الجمعة جاءني جماعة من المسلمين فذكروا ان الجامع الكبير قد غص بالناس وانهم في انتظارك وانهم لا يتفرقون الا اذا أتيت فذهبت الى الجامع الكبير فوجدت رؤساء الشرطة ورجالها قد اكتنفوا بابي الجامع، ووجدت الجامع غاص الرحاب بالناس . فشققت طريقي الى المعراب حيث وجدت جمعاً من الحجاج أربعة عشر أو أكثر فسلمت ثم توجهت للناس فبشرتهم بما لهم عند الله باجتماعهم في بيته لآكرام وفده ، ثم أعلمته⁽¹⁾ بمنع الحكومة من اقامة الاحتفال الذي هو عبارة عن تلاوة آيات من القرآن العظيم والقاء خطاب ديني فيه

(١) كذا في الاصل وصوابه : أعلمتهم .

احتفال جمعية التربية والتعليم بالحجاج

تذكير وتشويق وتبشير ولاجل أن أخفف على الناس ما أصابهم من الألم من صدمة المنع قلت لهم : حسبكم ان عملكم قد وقع عند الله وأن تتوجه كلنا بالدعاء اليه واخواننا الحجاج يدعون الله لكم وبعد الدعاء قام الحجاج ووقفوا عند باب بيت الصلاة فسلموا عليهم وصافحوهم مهئين متبركين •

الملاحظات :

١ - ما كان رجوع عامل العمالة في الأذن الذي أعطاه خليفته الا بعد سعي من المفتي (ابن الموهوب) وتحريش وتهويل ، وقد علم السيد (ابن الابيض) لما خاطبه السيد البريفي لعبيتي في « عنابة » ان المسألة أثارها الناحية الرسمية في الجامع الكبير •

٢ - برهنت الأمة باجتماعها الهائل بالجامع الكبير على انها تعرف قيمة الناس فلم تلتفت الى ما نشرته صحيفة معلومة من الصد والتشيط ، ولا ما نشره في أوراق ووزعها من لم يجسر أن يصرح باسمه تحت أوراقه ...

٣ - ما يزال بعض الرجال في الادارات يعترضون ببعض الرسميين الذين لا قيمة لهم عند الامة حتى يوقعوهم فيما لا ينبغي •

انا نود أن تعرف الحكومة مقدار تعلق الامة بساجدها ورغبتها في عمارتها بامور دينها فترجع عن معارضتها فيها ومنعها منها فتكسب شيئاً من قلوبها وصادق شكرها •

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

البصائر : السنة ١ العدد ١٤ الصفحة ٢١ العمود الاول الجزائر في يوم الجمعة ١٨ المحرم الحرام ١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ١٠ افريل ١٩٣٦ م

شيخ الاسلام بتونس

يقاوم السنة ، ويؤيد البدعة ، ويفري السلطة بالمسلمين !!

- ١ -

نطق (شيخ الاسلام) - والحمد لله - بعد سكوت مألوف منذ السنين الطوال ، وان كان أتى بما لا يرضي الله ورسوله ، والحق ودليله ، فقد نطق على كل حال . ولقد كان نطقه متوقفا لدينا . فقد كان المقال المنشور بالعدد الحادي عشر من (البصائر) للوجه الى علماء الزيتونة عامة وشمخي الاسلام به خاصة ، قنبلة وقعت وسط أولئك النائمين والمتناومين أزعجتهم في مراقدهم ونبتت من كان غافلا عنهم من الناس ، حتى لقد تسابق الناس الى ذلك العدد يطلبونه باضعاف ثمنه كما أخبرني تلامذتي الذين رجعوا من تونس لتعطيل القراءة بجامعة الزيتونة بسبب البلاغ المشهور وما لحق تلامذة الجامع من سجن وتغريب .

انا نشكر لشيخ الاسلام المالكي هبوطه الى الميدان ، وان كان هبط اليه هبوط المغيظ المحنق الذي أنساه الغيظ والحنق ما يناسب مقامه من التحري والاتزان ، فتعثر في أذيال العجب والتعظم عشرات أهوت به مرات في مهاوي الخطأ والتناقض حتى تردى في هوة اذاية أنصار السنة باللسان ، ومحاولة اذيتهم بيد المدوان .

شيخ الاسلام يقاوم السنة - ويؤيد البدعة - ! ويفري (السلطة) بالمسلمين !! هذا - والله - عظيم وان كان القلريء يود أن يعرف من هو هذا الذي تحلى بهذا اللقب وأتى بهذه اللشنع التي لا يأتي

بها من ينتمي اثناء صادقاً للإسلام من عامة المسلمين فكيف بشيخ الاسلام ؟ نعم كل أحد يتعجب نهاية العجب أن يصدر هذا من شيخ الاسلام . ويزيد كاتب هذه السطور عجباً آخر فوق عجب كل أحد ان شيخه وأستاذه وصديقه الشيخ الطاهر بن عاشور هو الذي يأتي بهذا الباطل ويرتكب هذا الذنب .

انني امرؤ جبلت على حب شيوخي وأساتذتي وعلى احترامهم الى حد بعيد ، وخصوصاً بعضهم ، وأستاذي هذا من ذلك الخصوص ، ولكن ماذا أصنع اذا ابتليت بهم في ميدان الدفاع عن الحق ونصرته ؟ لا يسعني وأنا مسلم أدين بقوله تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا ، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » ، إلا مقاومتهم ورد عاديتهم عن الحق وأهله .

دعوني - يا قرائي الأفاضل - أحدثكم عن شيء من حقيقة هذا الرجل كما عرفته وعن علاقتي به وأثره في حياتي فان هذا وفاء لحق تلك الصحبة والاستاذية يهون علي ما أجابه به بعد .

عرفت هذا الاستاذ في جامع الزيتونة ، وهو ثاني الرجلين اللذين يشار اليهما بالرسوخ في العلم والتحقيق في النظر والسو والاتساع في التفكير أولهما العلامة الاستاذ شيخنا (محمد النخلي) القيرواني رحمه الله ، وثانيهما العلامة الاستاذ شيخنا (الطاهر بن عاشور) وكانا كما يشار اليهما بالصفات التي ذكرنا يشار اليهما بالضلال والبدعة

وما هو أكثر من ذلك لأنها كافا يجذبان آراء الاستاذ (محمد عبده) في الاصلاح ويناضلان عنها وبيئانها فيمن يقرأ عليهما وكان هذا مما استطاع به الوسط الزيتوني أن يصرفني عنهما ، وما تخلصت من تلك البيئة الجامدة واتصلت بهما حتى حصلت على شهادة العالمية ووجدت نفسي حرية الاختيار . فاتصلت بهما عامين كاملين كان لهما في حياتي العلمية أعظم الأثر على ان الاستاذ ابن عاشور اتصلت به قبل نيل الشهادة بسنة فكان ذلك تمهيدا لاتصالي الوثيق بالاستاذ النخلي . وان أنس فلا أنسى دورسا قرأتها من ديوان الحماسة على الاستاذ ابن عاشور ، وكانت من أول ما قرأت عليه فقد حببتي في الأدب والتفقه في كلام العرب وبثت في روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور وأحيت مني الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالاسلام .

مات الاستاذ النخلي على ما عاش عليه ، وبقي الاستاذ ابن عاشور حتى دخل سلك القضاء فغبت تلك الشعلة وتبدلت تلك الروح فحدثني من حضر دروسه في التفسير انه - وهو من أعرف انكاره على الطرق اللفظية وأساليبها - قد أصبح لا يخرج عن المألوف في الجامع من المناقشات اللفظية على طريقة عبد الحكيم في محاكاته وطرائق أمثاله وبقي حتى تقلد خطة شيخ الاسلام ، ووقف هو وزميله الحنفي في مسألة التجنيس المعروفة منذ بضع سنوات ، ذلك الموقف حتى أصبح اسمه لا يذكر عند الامة التونسية الا بما يذكر به مثله . وها هو اليوم يتقدم بمقال نشره بجريدة (الزهرة) في عدد يوم الاثنين الرابع عشر من هذا الشهر المحرم يقاوم فيه السنة ويؤيد فيه البدعة ويفري السلطة بالمسلمين .

فهل ابن عاشور هذا الملقب بشيخ الاسلام ، هو ابن عاشور استاذي الذي أعرف ؟ لا ! ذلك رجل آخر مضى قضى عليه القضاء وأقبرته المشيخة ، وقد أدبت له حقه بما ذكرته به . وهذا مخلوق آخر ليس

موقفه اليوم أول مواقفه ولا أحسبه يكون آخرها . واتي لا أود أن يكون آخرها . فان المسلمين اليوم بأشد الحاجة الى معرفة ما ينطوي عليه مثله ممن ينتحلون ألقابا مخترعة في الاسلام ، ولا يفضحهم مثل مقال هذا الرجل .

وموعدا بالرد عليه لعدد^(١) الآتي ان شاء الله ، والله المستعان^(٢) .

عبد الحميد بن باديس

— ٢ —

سئل فضيلته عن حكم قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت ، وحول قبره عند دفنه ، فأجاب بقوله : « ان السنة في المحتضر وفي تشييع الجنازة وفي الدفن هو الصمت للتفكر والاعتبار . فاذا نطق الحاضر فليكن نطقه بالدعاء للميت ، بالمغفرة والرحمة فان دعوة المؤمن لآخيه بظهر الغيب مرجوة الاجابة . وأما قراءة القرآن عن الميت حين موته وحين تشييع جنازته وحين دفنه فلم تكن معمولا بها في زمان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وزمان الصحابة ، اذ لم ينقل ذلك في الصحيح من كتب السنة والآثر مع توفر الدواعي على قلبه لو كان موجودا . الا الاثر المروي في قراءة سورة يس عند رأس الميت، عند موته على خلافه ، ولهذا كان ترك القراءة هو السنة وكان أفضل من القراءة في المواطن الثلاثة المذكورة » .

هذه هي السنة وقد بينها أوضح تبين ، وعللها أحسن تعليل ،

(١) كذا في الاصل وصوابه : للعدد

(٢) البصائر : السنة الاولى ، العدد ١٦ ، الجزائر ، الجمعة

٤ صفر ١٣٥٥ هـ - ٢٤ افريل ١٩٣٦ م .

ثم أنظر اليه كيف أخذ يقاومها فقال : « وحينئذ فتكون قراءة القرآن في تلك المواطن اما مكروهة واما مباحة غير سنة ، فتكون مندوبة في جميعها واما مندوبة في بعضها دون بعض » .

اذا كان ترك القراءة هو السنة ، فالقراءة قطعا بدعة اذا فعله النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من القربات ففعله سنة وما تركه مما يحسب قرابة مع وجود سببه فتركه هو السنة وفعله قطعا بدعة . والقراءة في هذه المواطن الثلاثة التي حسب انها قرابة قد وجد سببها في زمنه فمات الناس وشيع جنازتهم وحضر دفنهم ، ولم يفعل هذا الذي حسب - اليوم - قرابة ومن المستحيل - شرطا - أن يترك قرابة مع وجود سببها بين يديه ثم يهتدي اليها من يحيى من بعده ويسبق هو الى قرابة فانت محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه والسلف الصالح من أمته . ولا يكون الاقدام على إحداث شيء للتقرب به مع ترك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - له مع وجود سببه الا افتئاتا عليه وتشريعا من بعده وادعاء - ضعيفا - للتفوق عليه في معرفة ما يتقرب به والحرص عليه ، والهداية اليه ، فلن يكون فعل ما تركه - والحالة ما ذكر - من المباحات أبدا بل لا يكون الا من البدع المنكرات . فبطل قوله : « واما مباحة غير سنة » .

بعد هذه المقاومة بالباطل فرع عليها مقاومة بالتناقض فقال :
« فتكون مندوبة في جميعها واما مندوبة في بعضها » .

أفيجعل أحد ان المباح هو ما استوى فعله وتركه وان المندوب هو ما نرجح فعله على تركه . أو ان المباح من حيث ذاته غير مطلوب الفعل ولا مطلوب الترك ، وان المندوب مطلوب الفعل فكيف يتصور ان القراءة اذا كانت مباحة تكون مندوبة في الجميع أو في البعض ، أم كيف يتفرع الضد عن ضده ؟ ؟ ولما ثبت ان ترك القراءة هو السنة وان القراءة بدعة فأقل ما يقال فيها انها مكروهة ، ولا خلاف بين

المالكية ، ان الكراهة هي مذهب مالك وجمهور اصحابه ، وقد نقل فضيلته سماع أشهب من العتبية قال: «سئل مالك عن قراءة يس عند رأس الميت ، فقال : ما سمعت بهذا وما هو من عمل الناس » ، فهذا تصريح منه بانه رده لانه محدث ليس عليه عمل السلف من الصحابة والتابعين واتباع التابعين .

وإذا كان هذا قوله فيما جاء فيه أثر وهو قراءة يس عند رأس الميت فغير هذا الموطن مما لا أثر فيه ، أولى وأحرى بالكراهة . والتعليل بانه ليس عليه عمل الناس يفيد ان مجرد فعل القراءة مكروه لانه عمل مخالف لعملهم دون التقات الى انه اعتقد ان ذلك سنة أو لم يعتقد . اذ ما فعله الا وهو يعتقد انه قرابة في تلك المواطن فيكون قصد القرابة بما لم يجعله الشارع قرابة ، وهذا مقتضى للكراهة ، فقصد القرابة وحده كاف في الكراهة دون حاجة الى اعتقاد انه سنة وبهذا بطل تأويل من تأول كلام مالك بمن قصد انه سنة .

وبعد أن ثبت ان قراءة القرآن العظيم في تلك المواطن بدعة ، وانها مكروهة فهل هي كراهة تنزيه أو تحريم ؟ ذهب الامام الشاطبي الى ان الكراهة حيشما عبر بها في البدعة فهي كراهة تحريم على تفاوت مراتبها في ذلك وساق على ذلك جملة من الادلة الكافية في الباب السادس من كتابه الاعتصام ، فاجمل فضيلته في الاشارة الى مذهب الشاطبي اجمالاً أظهره به مظهر من تكلم في خصوص هذه المسألة فتوهم وتقوّل على الامام فقال : « وليس المراد بالكراهة الحرمة كما توهمه الشاطبي في كتاب الاعتصام مستندا الى ان الامام قد يعبر بالكراهة ويعني بها الحرمة لان كلام مالك لم يقع فيه لفظ الكراهة بل هي من تعبير فقهاء مذهبه تفسيراً لمراده . لان علماء مذهبه متفقون على أن مراد مالك من كلامه في المدونة وفي السماع هو الكراهة بالمعنى المصطلح عليه في الفقه ، ولان دليل التحريم لا وجود له فحمل

كلام مالك عليه تقول عليه والاقدام على التحريم ليس بالهين اذ لم
تقم عليه الادلة الصريحة » .

لم ينصف فضيلته الشاطبي في الصورة التي صور بها كلامه
وفيما رواه به . وكل ذلك لاجل أن يتوصل الى تهوين ارتكاب بدعة
القراءة في المواطن الثلاثة لانها من المكروه الذي لا يعاقب على فعله
ونحن نذكر فيما يلي ما هو تلخيص لبعض ما استدلل به الشاطبي
وزيادة عليه :

ان من ابتدع مثل هذه البدعة التي هي تقرب فيما لم يكن قرابة
كأنه يرى ان طاعة الله بقيت تنقص هذه الشريعة فهو يستدرکها وان
محمدًا - صلى الله عليه وآله وسلم - خفيت عليه قرابة هو اهتدى
اليها أو لم تخف عليه ولكنه كتبها . وهذه كلها مهلكات لصاحبها
فلا يكون ما أوقعه فيها من ابتداع تلك التي يحسبها قرابة الا محرما .
وقد قال مالك فيما سمعه من ابن الماجشون : « من ابتدع في الاسلام
بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدًا - صلى الله عليه وآله وسلم -
خان الرسالة لان الله يقول : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ »
فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً » ، هذا من جهة النظر
المؤيد بكلام مالك . وأما من جهة الاثر فقد جاء في صحيح مسلم عن جابر
ابن عبد الله ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يقول في خطبته :
(« اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد وشر الامور
محدثاتها وكل بدعة ضلالة ») وفيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله، صلى
الله عليه وآله وسلم : (« من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور
من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه
من الاثم اثم من تبعه لا ينقص ذلك من اثمهم شيئاً » . ووجه الدليل من
الحديثين انه سمي في الحديث الاول البدعة شراً وضلالاً فعم ولم
يخص ، وأثبت الاثم لمرتكب الضلالة والدعاعي اليها والاثم لا يكون

الا في الحرام فيكون النظر هكذا : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة يؤثم صاحبها ، فكل بدعة يؤثم صاحبها ، وكل ما يؤثم عليه فهو حرام : فكل بدعة حرام . »

وقد دخلت بدعة اختراع القرب في قوله : « وكل بدعة ضلالة » بمقتضى عموم اللفظ . ويدل على دخولها ما ثبت في الصحيح ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رد على من قال أما أنا فأقوم الليل ، ولا أنام ، وعلى من قال أما أنا فلا أنكح النساء ، وعلى من قال أما أنا فأصوم ولا أفطر ، رد عليهم بقوله : « هن رغب عن سنتي فليس مني » ولم يكن ما التزموه الا فعل مندوب في أصله أو ترك مندوب ومع ذلك رد عليهم بتلك العبارة التي هي أشد شيء في الانكار فكل من أراد أن يتقرب بما لم يكن قرابة فهو مردود عليه بمثل هذه العبارة الشديدة في الانكار . ويدل أيضا على دخولها ما ثبت في الصحيح عن قيس بن حازم قال : دخل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على امرأة من قيس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال : ما لها ، فقال : حجت مصمتة ، قال لها : « تكلمي فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية » فهذه أرادت أن تتقرب بما ليس قرابة فجعل فعلها من عمل الجاهلية وقال : انه لا يحل فكل يريد للتقرب بما لم يكن قرابة فيقال في فعله ما قيل في فعلها . ووجه الدليل من الحديثين ان التقرب بما ليس قرابة أنكر أشد الانكار وقيل فيه لا يحل ، وقيل فيه من عمل الجاهلية فلا يكون بعد هذا كله الا ضلالا فيدخل - قلنا - في عموم قوله : « وكل بدعة ضلالة » فيثبت له التحريم بالنظر المتقدم .

(عهد الحميد بن باديس)

(لها بقية)

البصائر : السنة ١ ، العدد ١٧ ، الصفحة ١ ، العمود ٣ و٢ من صفحة ٢ ، الجزائر في يوم الجمعة ٩ صفر ١٣٥٥ هجرية ، الموافق ليوم ١ ماي ١٩٣٦ م .

ودخول بدعة التقرب بما ليس قرينة مثل القراءة في المواطن الثلاثة ،
 قد فهمه مالك وجاء في كلامه ما هو صريح في ذلك • فروي في -
 الموطأ - حديث ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رأى رجلا
 قائما في الشمس فقال : ما بال هذا ؟ فقالوا : نذر أن لا يتكلم ولا
 يستظل من الشمس ولا يجلس ويصوم ، فقال رسول الله - صلى الله
 عليه وآله وسلم - : « مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه »
 قال مالك : أمره أن يتم ما كان لله طاعة (وهو الصيام) ويترك ما كان
 لله معصية • وروى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
 « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ،
 قال مالك : معنى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
 « من نذر ان يعصي الله فلا يعصه » أن يندر الرجل أن يمشي الى الشام
 أو الى مصر أو الى الربذة •

فقد جعل مالك القيام للشمس وترك الكلام ونذر المشي الى الأماكن
 المذكورة معاصي ، وفسر لفظ المعصية في الحديث بها ، مع انها في نفسها
 أشياء مباحات ، لكنه لما أجراها مجرى القربة - وليست قربة - حتى
 نذر التقرب بها وصارت معاصي لله وليس سبب المعصية انه نذر التقرب
 بها حتى انه لو فعلها متقربا دون نذر لكانت مباحة ، بل مجرد التقرب
 بها وليست هي قربة موجب لكونها معصية عند مالك • والدليل على
 ذلك ما حكاه ابن العربي عن الزبير بن بكار قال : سمعت مالكا بن
 أنس ، واثاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي
 الحليفة من حيث أحرم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - •
 فقال اني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر • قال : لا تفعل فاني
 أخشى عليك الفتنة • فقال الرجل : وأي فتنة في هذه ؟ انما هي أميال

أزريدها ، قال مالك : وأي فتنة أعظم من أن ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - اني سمعت الله يقول : « فليَحْذَرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

فهذا الرجل لا نذر في كلامه وقد أراد الاحرام - وهو في نفسه عبادة - من موضع فاضل لا بقعة أشرف منه وهو مسجد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وموضع قبره . وأراد أن يزيد أميالا تقرباً لله تعالى بإيقاع الاحرام بذلك الموضع الشريف وزيادة التعب بالاميال . ومع ذلك رده مالك عن ذلك وبيّن له قبح فعله بما يراه لنفسه من السبق وقرأ عليه الآية مستدلاً بها وما كان مثل هذا داخلاً في الآية عنده ألا وهو يراه حراماً .

فهذا هو مستند الشاطبي في فهم كلام مالك والحكم بانه يرى في كل بدعة تقرب بما ليس قربة الحرمة لا كراهة التنزيه . فلم يكن متوهماً ولا متقولاً ولا مقدماً على التحريم بدون دليل .

وقد بان مما تقدم ان الحكم على بدعة التقرب بما ليس قربة محكوم عليها بالضلالة والحرمة وان ذلك هو مذهب امام دار الهجرة ، وبعد ثبوت الحق بالدليل ، سقط كل قال وقيل ، ونزید على ذلك الآن ما قاله فقهاؤنا المتأخرون في بدع الجنائز من القراءة ونحوها :

« سئل أبو سعيد بن لب كبير فقهاء غرناطة في عصره عما يفعله الناس في جنائزهم حين حملها من جههم بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير ونحو ذلك على صوت واحد أمام الجنائز . كيف حكم ذلك في الشرع ؟ . فأجاب : السنة في اتباع الجنائز الصمت والتفكير والاعتبار . خرّج ابن المبارك ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان اذا اتبع جنازة أكثر الصمت وأكثر حديث نفسه . قال فكانوا

يرون انه يحدث نفسه بأمر الميت وما يرد عليه وما هو مسؤول عنه .
وذكر ذلك ان مطرفا كان يلقي الرجل من اخوانه في الجنازة وعسى أن
يكون غائبا فما يزيد على التسليم يعرض عنه اشتغالا بما هو فيه فهكذا
كان السلف الصالح .

واتباعهم سنة ومخالفتهم بدعة : وذكر الله والصلاة على رسول
الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عمل صالح مرغ فيه في الجملة
لكن للشرع توقيت وتحديد في وظائف الاعمال ، وتخصيص يختلف
باختلاف الاحوال والصلاة وان كانت مناجاة الرب ، وفي ذلك قرّة عين
العبد ، تدخل في أوقات تحت ترجمة الكراهة والمنع . والله يحكم
ما يريد « . ١٠٠هـ ، وقال ابو سعيد في جواب آخر : ان ذكر الله والصلاة
على رسوله عليه السلام من أفضل الاعمال وجميعه حسن لكن للشرع
وظائف وقتها واذكار عيّن في أوقات وقتها ، فوضع وظيفة موضع أخرى
بدعة ، واقرار الوظائف في محلها سنة ، وتبقى وظائف الاعمال في
حمل الجنائز انما هو الصمت والتفكر والاعتبار . وتبديل هذه
الوظائف بغيرها تشريع . ومن البدع في الدين ، اه .

وقال أبو سعيد في جواب آخر : المنقول عن السلف الصالح -
رضي الله عنهم - في المشي مع الجنائز هو الصمت والتفكر في فتة
القبر وسؤاله وشدائده وأهواله . وكان أحدهم اذا قدم من سفره فيلقاه
أحد اخوانه بين يدي الجنائز لم يزد على السلام اقبالا على الصمت ،
واشتغالا بالتفكر في أحوال القبر ، والخير كله في اتباعهم وموافقهم
في فعل ما فعلوه . وترك ما تركوه ، اه .

تقل هذا كله الوانثريسي في المعيار وهذه هي فتوى ابي سعيد بن
لب في موضوعنا المنطبقة على كل ما أحدث من الاوضاع بقصد التقرب
وليست قرابة في هذه المواضع وان كانت حسنة في أصلها وقد رأيت

انكاره لها ، فترك هذا كله فضيلة . وتقل كلاما آخر لأبي سعيد خارجا عن الموضوع كما سنبينه عندما تنتهي اليه . ونعود الآن الى بقية ما قاله فقهاؤنا عليهم الرحمة والرضوان .

وسئل الامام عبد الله العبدوسي ما حكم القراءة بين يدي الجنازة ، وكذلك ما يفعله الفقراء (هم الاخوان الطرقيون) أمامها . فأجاب : وكذلك يجب قطع الفقراء من الذكر أمامها على ما جرت به العادة لأنه بدعة ومباهاة . ويقال لولي الجنازة ما تعطيه للفقراء تأثم عليه . أعطه للمساكين صدقة عن وليك الميت فذلك أنفع وأبقى لكما الى الآخرة . والجنازة على الاعتبار والتذكير والاستبصار والاقبال على أمر الآخرة . وكان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يكون ويحزنون حتى لا يدري الغريب بينهم ولي الميت من غيره ، اه . نقلها من المعيار . وأنت تراه كيف أفتى بوجود تغيير هذه البدعة المنكرة وجعل ما يعطى للقائمين بها جالبا للآثم على من أعطى . ذلك لانه أعان على المنكر . والمعين على المنكر كفاعله .

وعقد الوانثريسي فصلا قبيل نوازل النكاح ذكر فيه البدع فجزم ببدعية هذه المحدثات عند الجنائز فقال : ومنها الذكر الجهرى امام الجنائز فان السنة في اتباع الجنازة الصمت والتفكر والاعتبار وهو فعل السلف . واتباعهم سنة ، ومخالفتهم بدعة . وقد قال مالك : لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها . اه ، فهذه أقوال الفقهاء أهل الفتوى الجارية على أصل مذهب مالك الجارى على مقتضى تلك الادلة التي بينا ، وعليها بينا .

(عبد الحميد بن باديس)

البصائر : السنة ١ العدد ١٨ الجزائر في يوم الجمعة ١٦ صفر
١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ٨ ماي ١٩٣٦م الصفحة ١ والعمود ٢١٥ من الصفحة ٢

لو أردنا الاقتصار في المسألة على ما أقنأه من الاستدلال عليها .
ثم ما ذكرنا من انها قول مالك ومشهور مذهبه ، وما نقلنا من فتوى
أهل الفتوى من المتأخرين — لكفانا ذلك في بيان الحق بدليله والتأييد
بالسابقين اليه . ولكن رأينا في ما نقله فضيلته إبهاماً وإيهاماً وتحريفاً ،
فوجب ان نتبعه بالبيان .

قال فضيلته : (وذهب اللخمي وابن يونس وابن رشد وابن العربي
والقرطبي وابن الحاجب وابن عرفة من أئمة المالكية الى ان القراءة
مستحبة في المواطن الثلاثة ، اذا اريد اهداء ثوبها الى الميت) .

هنا مسألتان احدهما هي انتفاع الميت باهداء القراءة اليه هكذا
على الاطلاق ، وهذه ليست محل النزاع . والاخرى هي قراءة الجماعة
على الميت عند موته وعند رفعه وعند دفنه على قبره . وهذه هي
محل الكلام . وكلامه يومهم بصريحه ان هؤلاء الأئمة كلهم يستحبون
القراءة في المواطن الثلاثة ، وقد كان عليه ان يبين مأخذه لا ان يلقي به
على هذا الاهمال والاجمال . والذين ذكرهم الموافق في مسألة قراءة
يس عند موته هم ابن حبيب وابن رشد وابن يونس واللخمي ولم يقل
في المواطن الثلاثة كما قال فضيلته واما ابن العربي والقرطبي فجاءا في
كلام للعبدوسي هكذا : (واما القراءة على القبر فنصر) ابن رشد في
الأجوبة ، وابن العربي في أحكام القرآن له ، والقرطبي في التذكرة ، على
انه ينتفع بالقراءة أعني الميت سواء قرأ على القبر أو قرأ في البيت وبعث
الثواب له او في بلد الى بلد . واما شهاب الدين القرافي في القواعد
فنص على انه لا ينتفع بذلك الا اذا قرأ على القبر مشافهة وهو قول
خارج عن المذهب « . نقل هذه الفتوى من الميعار ونقلها ككون . وكلام
هؤلاء الأئمة انما هو في أن القراءة يصل ثوابها دون توقف على القراءة

على القبر خلافا لمن شرط ذلك وهو القرافي وليس هو فيما اتخذ سنة للتقرب من القراءة عند دفن الميت على قبره الذي هو موضوعنا . والعبدوسي الذي نقل هذا عنهم هو الذي افتى - كما قدمنا - بما هو مذهب السلف من السكوت والاعتبار . فلم يفهم من كلام هؤلاء الأئمة - قطعا - خلاف ما افتى به . وليس عندي مختصر ابن الحاجب ولا مختصر ابن عرفة حتى اعرف ما قالوا . واحسب انه لو كان لهما قول مقابل لمذهب مالك لذكره شراح مختصر خليل وحواشيهم .

ثم قال فضيلته : (وذهب الشافعي واحمد رحمهما الله ووافقهما عياض والقرافي من المالكية وبعض الحنفية الى استحباب القراءة عند القبر خاصة) وكان عليه - ايضا - ان يذكر مأخذه واحسبه استند في هذا النقل المجمل المبهم على ما نقله كنون والرهوني والخطاب من كلام القرافي ، وقد وقع منهم اختصار في نقله ادى الى اضطراب فيه ، فقال الرهوني نقلا عن القرافي : « مذهب احمد بن حنبل وابي حنيفة ان القراءة يحصل ثوابها للميت اذا قرئ عند القبر حصل للميت اجر المستمع » فاهوم ان القراءة عند القبر شرط في مذهبهما ووقع غيره في هذا الوهم فنقل عنهما التفريق بين القراءة عند القبر وعند غيره . ونحن ننقل لك كلام القرافي من الفرق الثاني والسبعين بعد المائة لتجلى لك حقيقة مذهبهما وموضوع كلامهما .

قال القرافي : « وقسم اختلف فيه هل فيه حجر (أي منح للعامل من نقله لغيره) ام لا . وهو الصيام والحج وقراءة القرآن فلا يحصل شيء من ذلك للميت عند مالك والشافعي رضي الله عنهما . وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل يصل ثواب القراءة للميت .

فانت ترى ان الشافعي موافق لمالك خلافا لما زعمه فضيلته ، وان موضوع الكلام في وصول القراءة للميت لا في اتخاذها قرينة في المواطن

الثلاثة • خلافا لما اوهمه الرهوني وتوهمه غيره وخرج به فضيلته عن الموضوع •

ثم قال القرافي في الفرق المذكور : (ومن الفقهاء من يقول اذا قرىء عند القبر حصل للميت اجر المستمع ، وهو لا يصح ايضا لانعقاد الاجماع على ان الثواب ، يتبع الامر والنهي فيما لا امر فيه ولا نهي لا ثواب فيه بدليل المباحات وارباب الفترات • والموتى انقطع عنهم الاوامر والنواهي • واذا لم يكونوا مأمورين لا يكون لهم ثواب وان كانوا مستمعين • الا ترى ان البهائم تسمع اصواتنا بالقراءة ولا ثواب لها لعدم الامر لها بالاستماع فكذلك الموتى • والذي يتجه ان يقال ولا يقع فيه خلاف انه يحصل لهم بركة القراءة لاثوابها كما تحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم او يدفنون عنده فان البركة لا تتوقف على الامر » •

فالقرافي بعد ما ايد مذهب مالك ورد على مخالفه ثم على رأي بعض الفقهاء اختار حصول البركة بالقراءة للاموات عند قبورهم ، وهو رأى - كما قال العبدوسي فيما تقدم - خارج عن المذهب ، ولسنا نكتفي في رده بمجرد انه خارج عن المذهب بل نرده بان تحصيل البركة للاموات من خير ما يتقرب به العبد لربه في نفع اخوانه الذين سبقوه الى الدار الآخرة وما كانت لتفوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نستدركها عليه فقد حصر الدفن للاموات ولقد زار اهل المقابر وما جاء عنه الا الدعاء ، وما لم يجيء عنه ويدعى انه قرينة فهو البدعة وكل بدعة ضلالة الى آخر الاستدلال المتقدم •

واما ما نسبته للقاضي عياض فاصله في شرحه على مسلم في حديث القبرين اللذين مر بهما النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال : ((اما انهما ليعنبان وما يعنبان في كبير ، اما احدهما فكان يمشي بالنميمة

واما الآخر فكان لا يستتر من بوله ، ثم دعا بعسيب رطب فشقّه باثنين
ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا . ثم قال لعله ان يخفف عنهما
ما لم يببسا » .

ونقل الأبيي كلام عياض فقال : « واخذت منه تلاوة القرآن على
القبر لانه اذا رجي التخفيف بتسييح الشجر فالقرآن اولى » فنقول
ان هذا من القياس في العبادات وهو مردود في مذهب مالك ، والنبي
— صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه رضي الله عنهم — كانوا يحفظون
القرآن فلو ان قراءة القرآن للتخفيف على الاموات مشروعة لكان النبي
— صلى الله عليه وآله وسلم — قرأ وأمرهم بالقراءة لكنه لم يقرأ ولم
يأمرهم بالقراءة واقتصر على وضع فلقتي العسيب . ومعاذ الله
أن يترك الأخرى الى غير الأخرى كما يقتضيه التمسك بالقياس
واما أمر العسيب والتخفيف به مادام رطباً فهو كما قال
الامام المازري : « فلهذا أوحى اليه ان يخفف عنهما ماداما
رطبين ولا وجه يظهر غيره » وكما قال الأبيي : « والأظهر أنه من سر
الغيب الذي اطلعه الله عليه » ولا يخفى ان كلام هذين الامامين مما
يرد ذلك القياس ، لان القياس حيث يكون ينبني على العلة المشتركة
ومبنى ما هنا على سر غيبي خاص .



عرض فضيلته في القسم الثاني من كلامه الى حكم تغيير بدعة
القراءة في المواطن الثلاثة فقال : « أقصى حكمها في النهي ان تكون
من قبيل المكروه والمكروه لا يغير على فاعله » .

ونحن قد بينا بالاستدلال المتقدم ان بدعة التقرب بما لم يشرع
التقرب به في موطن من المواطن لا تكون الا حراما وان كراهتها عند
مالك كراهة التحريم فيجب تغييرها كما يجب تغيير المحرمات .

وعلى ذلك جاءت فتوى العبدوسي المتقدمة : « وكذلك يجب قطع الفقراء من الذكر امامها على ما جرت به العادة » ثم لا نسلم له ان المكروه كراهة التنزيه لا يغير على فاعله . فان المكروه منهي عنه ومن نهى عن شيء فقد انكره فهو داخل في المنكر على قدر درجته في والنهي عن المكروه . وقال القرافي في أواخر فروقه : « المسألة الخامسة من التأديبة الى احدهما والمضار والمفاسد مطلوب زوالها ولا تزال الا بالتغيير كل بحسب منزلته في الضرر والفساد .

والمكروه منهي عنه ونحن مأمورون بتبليغ اوامر الله ونواهيه . وقد نص اصحاب حواشي الرسالة وغيرهم انه يستحب الامر بالمندوب والنهي عن المكروه . وقال القرافي في أواخر فروقه : « المسألة الخامسة المندوبات والمكروهات يدخلها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سبيل الارشاد للورع ولما هو اولى من غير تعنيف ولا توبيخ بل يكون ذلك من باب التعاون على البر والتقوى » لكن فضيلته لا يريد هذا التعاون الذي قد يدرّب الناس على الانكار فيترقوا فيه الى ما يضر بنواح معينة فهو لهذا يزعم ان غاية هذه البدع ان تكون مكروهة وان المكروه لا يغير ثم يعري السلطة بالمغيرين !

ثم قال فضيلته - مستدلا على عدم التغيير - : « وقد جرى عمل كثير من بلاد الاسلام على اتباع قول الذين رأوا الاستحباب فلاهل الميت الخيار أن يتبعوا السنة أو يتبعوا المستحب » .

ومعاذ الله ان يكون الترك هو السنة ويكون الفعل مستحبا . اذ معنى هذا ان سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وطريقته هي ترك المستحب فعاش في جميع حياته تاركا لهذا المستحب معرضا عنه زاهدا فيه حتى جاءت الخلوفا فاقبلت عليه وتمسكت به فنقول لمن جاء يستفتينا انت مخير ان شئت تمسكت بسنة محمد - صلى الله عليه

وآله وسلم - وهي الترك ، وان شئت تمسكت بهذا المستحب الذي احدثته الخوف . لا كلا ! ما كان مقابلا للسنة الا البدعة . وما كانت البدعة الا ضلالة الى آخر الاستدلال المتقدم وقد تقدمت مناقشتنا له فيمن نسب اليهم الاستحباب .

ثم اراد فضيلته ان يستدل على ان ما جرى عليه عمل الناس من الخلافات لا يغير فقال : « قال ابو سعيد بن لب كبير فقهاء غرناطة في عصره وهو القرن الثامن : ان ما جرى عليه عمل الناس وتقدم في عرفهم وعاداتهم ينبغي ان يلتبس لهم مخرج شرعي على ما امكن من وفاق او خلاف (أي بين العلماء) اذ لا يلزم ارتباط العمل بمذهب معين او بمشهور من قول قائل » .

ما يجري به عمل الناس ينقسم الى قسمين قسم المعاملات وقسم العبادات . وقسم المعاملات هو الذي يتسع النظر فيه بالمصلحة والقياس والاعراف وهو الذي تجب توسعته على الناس بسعة مدارك الفقه وأقوال الأئمة والاعتبارات المتقدمة ، وفي هذا القسم جاء كلام أبي سعيد هذا وغيره وفيه نقله الفقهاء وانت تراه كيف يعبر بالعرف والعادة . أما قسم العبادات فانه محدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه فلا يقبل منه الا ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يتقرب الا بما تقرب به وعلى الوجه الذي كان تقربه به ومن نقص فقد اخل ومن زاد فقد ابتدع وشرع وذلك هو الظلام والضلال : ومن هذا القسم التقرب بالقراءة في المواطن الثلاثة بعد ما ثبت ان سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تركها وفيها جاء كلام ابن سعيد الذي نقلناه عنه فيما تقدم . فمن العجيب - ولا عجب مع الفرض - ان يقلب فضيلته الحال فيهمل كلام ابي سعيد الذي هو في موضوعنا ويأتي بكلام له في موضوع آخر وينزل قوله في قسم المعاملات على ما هو من قسم العبادات .

ثم فرع على ما ابطناه من رأيه فقال : « وعليه فكل من يتصدى لمنع اقارب الاموات من تشييع جنازهم بالقراءة فقد انكر عليهم بغير علم واجترأ عليهم بالتدخل في خاصة امورهم بدون سبب يحق له ذلك » واذا ثبت ان ذلك بدعة وضلالة قد انكرها اهل العلم فمن منع منها منع بعلم . ولو ترك كل مرتكب بدعة ضالة لان منعه تدخل في خاصة اموره لعم الفساد وغرقت السفينة كما في الحديث المشهور .

ثم بين فضيلته ما هو شأن العالم في الانكار فقال : « وانما شأن العالم في مثل هذا أن يرغبهم في التأسى بالسنة ويبان أنها الحالة الفضلى بقول لين » .

واذا بان ان هذه بدعة وهي ضلالة فانها تغير بدرجات التغيير الثلاث فمن استطاع تغييرها باليد فلا يجوز له الاقتصار على اللسان ، ثم اتنا والله لقد وددنا لو ظفرنا بهذا الذي قلت منك يا صاحب الفضيلة وددنا لو انك قمت مرة واحدة من عمرك - وانت شيخ الاسلام - فرغبت الناس بالتأسى بالسنة وبينت انها الحالة الفضلى بقولك اللين ، وكلامك العذب الرقيق . ولكن - وباللاسف - كانت اول قومة قمتها هي قومتك هاته التي نحن في معالجتها ودفعت أضرارها وغسل أضرارها .

ثم جاء فضيلته بالداهية الدهياء : « فان هم تجاوزوا ذلك فحق على (ولاية الامور) في البلدان ان يدفعوا عن أهل المآثم عادية من يتصدى بزعمه لتغيير المنكر دون ان يعلم ، من كل من تزيب قبل ان يتحصم » .

أرأيت كيف يغري السلطة بالمصلحين أرأيت كيف يستكبر انكار من ينكر البدعة ، ويسميه عاديا وهو هو الذي لم ينس بينت شفة أمام أي عادية من عوادي الزمان ؟ . . ليس هذا مقام رد فأرد عليك

شيخ الاسلام بتونس

مثل ما تقدمه • ولكنه مقام ظلم وتحريش وتحقيق نكل الامر فيه الى العزيز الحكيم •

الى هنا تنتهي من البحث الذي بيناه على النظر والاستدلال لا على مجرد سرد الاقوال • وقد وعد فضيلته بانه سيتبع فتواه ببيان تأصيل احكامها ونحن لبيانه هذا من المنتظرين والعاقة للمتقين •

عبد الحميد بن باديس



البصائر : ع ١٩ س ١ الجزائر يوم الجمعة ٢٣ صفر ١٣٥٥ هـ -
ل ١٥ ماي ١٩٣٦ م ص ١ - ٢ وعمود من ٣

حول فتوى القراءة على الأموات

لماذا التذليل ، بدل التذليل والتاصيل ؟

- ١ -

وعد الشيخ الطاهر بن عاشور في آخر فتواه التي فرغنا من تقضها انه سيتبعها بأدلتها فقال : « هذا حاصل هذا الجواب بما تضمنه البعض من أقوال أهل المذهب أتيت به واقتصرت فيه على ذلك دون تطويل ولا تأصيل ، لقصد احاطة أصناف المستفتين بحكم هذه المسألة . وسأتبعه ببيان تأصيل احكامه ليزداد اهل النظر فانهم يحبون ان يلحقوا الفروع بأصولها ، ويميزوا عن خليط ثقالها خالص منحولها » .

ومعنى هذا انه ذكر الاقوال مجردة ولم يذكر ادلتها من الكتاب والسنة وانه سيذكر أدلة تلك الأقوال ليميز القوي منها بقوة مدركة من الضعيف لضعف مدركه . وقد قلنا في آخر تقضنا لفتواه : « وعد فضيلته بأنه سيتبع فتواه ببيان تأصيل أحكامها ، ونحن لبيانه هذا من المنتظرين » .

وكنا ننتظر منه امرين احدهما دفاعه عن فتواه ان كان له عنها من دفاع ، وثانيهما وفاقه بما وعد . فاما الثاني فانه لم يكتب فيه حرفا الى الآن واني له ان يأتي بادلة من الكتاب والسنة لما يعترف هو نفسه انه خلاف السنة . واتنا تحدها ونقول له انه لن يستطيع أن يأتي على بدعة القراءة على الاموات في المواطن الثلاثة بسنة ثابتة من قول او عمل او تقرير فليات بشيء من ذلك ان كان من الصادقين .

واما الاول فانه حاد فيه عن صريح الدفاع واكتفى فيه بمثال نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان (تذييل للفتوى في قراءة القرآن في الجنازة) ولعله اكتفى ايضا بما كتبه اولئك المجاهيل الذين قمشوا مسائل وأقاويل من غير فهم ولا تطبيق، وبمthrowها في مقالات طويلة حالكة سداها البغض والبذاء ولحمتها الخبط والمهاترة ، ثم امضوها بامضاءات مستعارة جينا عن منازلة من يصارحهم باسمه او لبقية ما من حياء من المجاهرة بذلك السقط والهذر .

فأما اذا كان فضيلته اكتفى بهؤلاء فانه لزرر به أن يكون هؤلاء الذين لا يستطيعون الظهور في كتابة علمية دينية انصاره ، ثم كيف يكونون انصاره وهم يستحون - ان كانوا يستحون - من التظاهر بنصرته ؟ لا يامولانا ان في الدنيا علماء وانه يعز علينا - والله - ان لا يكون من ينسرك الا بمثل ذلك الجهل الظاهر من جاهل مخنف وانك ترتاح له وتكتفي به ، ونحن من ناحيتنا نربأ بانفسنا عن تضييع الوقت في مطالعة مالا يساوي نظرة اليه فضلا عن الاشتغال بالرد عليه ومن ذا يرضى بمخاطبة من يتستر في موضوع ديني معروف فيه الراد والمردود عليه ، فما دين هؤلاء الجبناء المجاهيل وما قيمتهم وما هي النواحي التي تحركهم ؟

اما قيمتهم العلمية والاخلاقية فقد عرفناها من كتابتهم واما غيرها فانا منه مسترييون ، واذا كانوا مسلمين حقيقة ومستقلين في ارادتهم فليصرحوا باسمائهم ان كانوا من انفسهم واثقين .

وأما اذا كان فضيلته يكتفي بذلك التذييل فما نحن نعرض لنقضه وابطال مازاده من الباطل فيه بعد بيان ماكان دفعه اليه بدل التذليل الذي عجز عنه بعدما كان وعد به .



بينما كانت الأمة التونسية - كسائر الأمم الاسلامية - تتألم من المضار التي تلحقها من بدع المآثم التي أساسها بدعة القراءة على الاموات التي تجمع الناس فتنفق على أكلهم وشربهم الاموال وتبذر الثروات وتثقل الكواهل بالديون ويتعدى على اموال الايتام ويتحمل الضعيف المحال ما يتركه على اسوأ حال .

بينما الأمة التونسية هكذا والمصلحون منها يعالجون حالتها اذا بشيخ الاسلام ورئيس مجلس الشورى المالكي يطلع عليها بفتوى غربية تقرر تلك البدعة وتؤيدها وتتلمس التأويلات البعيدة لتسوينغ ويلاتها ، فاعظمت ذلك الامة التونسية ، واستكرته مثلما أعظمناه نحن واستكرناه فبادر الصحافي الكبير السياسي المحنك الاستاذ محمد الجعائبي في جريدته (الصواب) ذات الثلاثين سنة في خدمة الامة التونسية بصدق وثبات وتضحية فكتب مقالا تحت عنوان « فتوى ضد البدع والضلالات والقراءة على الميت وفي الجنائز » ونشر فتوى⁽¹⁾ لشيخنا أبي الفضل المالكي شيخ الجامع الازهر سابقا رحمه الله مؤرخة بـ ٤ ربيع الثاني ١٣٣٤ هـ ، وكانت هذه الفتوى ردا مفحما على فتوى الشيخ ابن عاشور وكتب الاستاذ الجعائبي تصديرا عليها قال فيه : « فكان جواب الشيخ محررا على أبداع اسلوب قداقتصر فيه على السؤال دون أن يحاول التحريش او الاملاء على اولياء الامر بما يجب اتخاذه من التندابير تاركا ما لله الله وما لقيصر لقيصر » ولا يخفى ما في كلام الاستاذ شيخ الصحافة التونسية من الانكار والاستهجان تعريضا بفتوى الشيخ ابن عاشور ، وأثر هذا الاسئلة ترد على شيخ الاسلام لا تستطيع أن تصرح بالانكار - ومن يستطيع مصارحة شيخ الاسلام بالانكار - ولكنها لم تستطع محوه من بين السطور ونحن ننقل من

(١) نشرت (البصائر) هذه الفتوى في العدد ١٦

حول فتوى القراءة على الاموات

تلك الاسئلة ما يفهم منه ذلك الانكار وما يصور الحالة المنكرة التي يتألم اخواتنا التونسيون - مثلنا - منها ويريد شيخ الاسلام بفتواه الغريبة تقريرها .

سأل الشيخ مصطفى الشنوفي من حمام الانف ، ونشرت سؤاله الزهرة فقال : « ان سؤالنا الذي نطلب اماطة اللثام عن دخيلته وتحقيق ما ينتابه من احكام هو ما يلي : بعد وضع الحالة التي عليها القراءة وكذا الامكنة والمستعمون ، بل قل المتفرجون تحت أعين الباحثين .
وهاك ما كل الناس على اطلاع تام عليه حيث انه متكرر صباحا مساء كل يوم .

يموت مسلم فيذهب وليه طائعا أو تحت تأثير خوف العار لاستئجار جماعة تصدوا لايجار ما يحفظونه من كتاب الله تعالى ، بعد المماكسة طبعا وفعلا عندما يقترب أمد المآتم تراهم زرافات بحالة لا نقول انها منفردة اذ هذا ليس من توابع ما نحن فيه الا انا نريد أن نأخذ بيد الشيخ حفظه الله ونظلمه وما نخاله جاهلا لكن هذا من باب التذكير فحسب .

جماعة الطرق تتلو أحزابا بها من الخلط ما لا يخفى مما يكون في غالب الأحيان وفي كثير من الجمل موجبا للتوبة مما تضمنه من الكفر الغير المقصود مع كونه في اعتقادهم يستحق عليه أجزل المثوبات كل هذا مقصود به استمطار الرحمة على جثمان الفقيه .

جماعة القراءة تتلو قرآنا يبرأ منه جميع بدور القراءة ، ما هو شاذ وما هو ليس بشاذ ، فترى مدودا لا ندري كم مقياسها ، أثلاثة ألفات أم أربعة ، بل ربما نقول ولا نرى أنفسنا جازفنا في التعبير انها تبلغ في بعض الأحيان الستة والسبعة على أقل تقدير مع ما يتبع هذا من زلزلة استغفر الله ، بل قلقلة في عرف القراءات وهي حسب الاشتاء لا عند الاقتضاء مع الوقف الذي ما أنزل الله به من سلطان على ان

معدل السير في الساعة تبلغ ان كان هناك ماتم ثان مزمع على الحضور فيه العشرة أحزاب في الساعة ، اذا يكتفون في الغالب بأوائل الكلم أو ترخيمها حتى يتسنى لساداتنا القراء انتهاز المآثم الثاني كيلا يفوت . كل هذا مع تفاوت في الصباح تبعا لمركز الفقيد من حيث الواجهة وترقب أوفر الجزء . ولا نريد التعليق على ختم القرآن المزعوم الذي تتفرق فيه الاسفار على عشرة انقار ، بينا مرتل يجوّد ثمنا أو ربعا على أكثر تقدير ، يجوّد كما يريد لا كما يقول الشاطبي نرى بعضهم يهضمه والآخر يكمل بقية حديثه الذي بدأه مع صاحبه خارج الدار أما القاريء فتراه يقلب صفحات السفر بسرعة يستحيل كونه حقق نظره فيها فضلا على تمكنه من تلاوتها ، أما الجلوس فعلى غاية الاحتشام والاحترام لجلال القرآن .

فهل هذا هو القرآن وهل هاته تلاوته وهل هؤلاء الاشخاص الذين يجوز لهم قراءته ، وهل لناس ان يستمعوهم ؟

لنخرج من الدار ولنشاهد أكبر مهزلة يبرأ منها الاسلام صياح وعويل من الدار وآذان وتكبير وصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسورة البقرة ويس وتبارك وجمهرة وتخريج وأحزاب قادية ومدائح عيساوية وطبية وشاذلية وتيجانية .

خبز وزيتون ومغفرة من الله :

يريد الكل احتكار الاسماع فتراه يجهد نفسه في الصباح حتى انك لا تشاهد الا أوداجا منتفخة وعيونا بارزة ودماء للوجوه متصاعدة .

جمعية اصوات وانواع قراءات :

ثم تجتاز المزابل والصوابيط^(١) والطرقا القذرة التي من فرط تنتها

(١) كلمة عامية تونسية معناها : الجزء الذي عليه سقف من زنقة مفردة : « صباط » .

حول فتوى القراءة على الاموات

يعد اجتيازها نصرا من الله لنصل للمقبرة ولنلق نظرة مجردة على تلكم الجماعة عندما يقع لحد الميت : تقرأ سورة يس فالبعض جالس على الارض والآخر فوق قبر والآخر متوسده مع تعدد في أنواع الجلوس ولا تنس فكل لا يطيق مفارقة نعله المحبوب أما القلب فيفكر هل يكون ممن يقول في جنازة السيد فلان الذي توفي صبيحة هذا اليوم واللسان يتلو والعين ترهق شيخ القراء ، كم تناول من الاجر من ذوي الميت وهل أخفى شيئا لنفسه .

هاته صورة مصغرة مما هو واقع وعتت به البلوى والذي يشاركنا في مشاهدة ادواره جمع التونسيين .

فهل تجوز قراءة القرآن في الاماكن القذرة على قارعة الطريق وعدم الاحتشام في تلاوة القرآن والخشوع والله بر في آياته .

والخلاصة انا تتقدم بغاية الاحترام لفضيلة شيخ الاسلام المالكي والحنفي كل ما على ما يقتضيه أصل مذهبه الزكي وملتس من علماء الشريعة السمحة أن يفتون بحكم الله المنطبق على زماننا الذي اختلط فيه الحلال بالحرام وأن تكون فتياهم تعالج المسألة كما هي واقعة لا كما هي في النظر المجرد ولا نخالهم الا فاعلين » .

وكتب الشيخ محمد بن ابراهيم التوزري يقول : « انني أرفع الى حضرتكم السامية هذه الاسئلة راجيا التكرم بايضاح الجواب عن كل مسألة على حدتها ونص الاسئلة : ما قولكم دام مجدكم ، هل سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تنسخ بعد وفاته باختلاف الزمان (أم لا) وهل فعل وقول العلماء يصح ان يكون دليلا على جواز فعل ما كان مخالفا للسنة أو فعل الصحابة والسلف الصالح - رضي الله تعالى عنهم - (أم لا) وهل العرف الحادث من الناس يصح جعله دليلا على جواز رفع الصوت خلف الجنازة (أم لا) ؟

وهل رفع الصوت خلف الجنازة مظنة التشويش على المتفكر السائر مع الجنازة (أم لا) وهل اذا ادعى المتفكر التشويش برفع الصوت خلف الجنازة يصدق (أم لا) ؟ وهل يأثم من يشوش غيره برفع الصوت خلف الجنازة (أم لا) ؟ أفيدوا ماجورين ولكم مني جزيل الشكر ومن الله الثواب .

وكتب الشيخ التهامي عزيز الباقي القرقي يقول :

« وحيث ثبت ان السنة في المحتضر وفي تشييع الجنازة وفي الدفن هو الصمت ظهر ان قراءة القرآن في المواقع الثلاثة خلاف السنة ، وخلاف السنة انما هو البدعة . وقد حكم بالكراهة مطلقا في ذلك ابو محمد عبد الله بن أبي جمرة في شرحه لمختصر البخاري حيث قال : مذهب مالك كراهة القرآن في هاته المواقع ^(١) لانا مكلفون بالتفكير والاعتبار ومكلفون بالتدبر في القرآن فأل الامر الى اسقاط أحد العمليين اه .

وما أشبه عصر ابن لب وابن سراج والمواق بهذا العصر وأهله وها أنا سائل جنابكم يا صاحب السماحة والفضيلة بقطع النظر عن الكراهة أو الجواز :

هل تلك الصيغة يقرأ بها مشيعو الجنائز قول الله تعالى كنطقهم بلفظة غفور بدون واو ورحيم بدون ياء وعذاب بدون ألف ويجعلون لا النافية لام ابتداء ونون المتكلم ومعه غيره نون جمع المؤنث ويقطعون كلمات الله محافظة على الصيغة وعلى أصواتهم أيباح لهم القراءة بهاته الصفة سواء كانوا مع الجنازة أو في مواقع أخرى أم يحرم عليهم .

وهل تلك الاجرة التي يأخذها مشيعو الجنازة من أولياء الميت على القراءة جائز أم لا ؟ وهل تعد صدقة أم لا ؟ وهل تدخل في مؤن التجهيز

(١) في الاصل : الواقع .

حول فتوى القراءة على الاموات

ويقضي بها ان شح بعض الورثة أم لا ؟ فالرجاء منكم أن تجيبوا جوابا شافيا أبقاكم الله ملجأ للسائلين ومفيدا للطالبن (انتهى) .

ولا يخفى ما في هذه الاسئلة من الرد على الفتوى والانكار عليها والتنبيه على خروجها عن الموضوع وعدم مطابقتها لصورة الواقع وتعريضها بان المفتي تعمد الاغضاء عما يعلمه كل أحد ويشاهده من المضار والمفاسد بسبب القراءة على الجنائز وذهب بفتواه يتأول ويتحمل لما هو من عالم الخيال .

ولما أخرجته هذه الاسئلة أجاب عنها بذلك التذليل ولما كان هذا التذليل قد اشتمل على الباطل والخطأ مثل الفتوى فاننا سنعرض لبيان ما فيه من ذلك في العدد القادم ان شاء الله (١) .

عبد الحميد بن باديس

- ٢ -

كان أصل السؤال عن القراءة عند تشييع الجنازة وحول الميت وعند القبر . وكان جوابه عنه هكذا : « إن السنة في المحتضر وفي تشييع الجنازة وفي الدفن هو الصمت والتفكر والاعتبار . فاذا نطق الحاضر فليكن نطقه بالدعاء للميت والرحمة فان دعوة المؤمن لآخيه بظهر الغيب مرجوة الإجابة . واما قراءة القرآن عن الميت حين موته وحين تشييع جنازته وحين دفنه فلم تكن معمولا بها في زمن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وزمن الصحابة . اذ لم ينقل ذلك في الصحيح من كتب السنة والاثار مع توفر الدواعي على نقله لو كان موجودا . الا الاثر

(١) البصائر : س ١ ، العدد ٢٤ ، الجزائر يوم الجمعة ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ١٩ جوان ١٩٣٦ م ، الصفحة ٣ ، العمود ٣٠٢ ، ص ٦ ، العمود ٣٠٢ الى ص ٧ العمود ٣٠٢ ونصفه .

المروي في قراءة سورة يس عند رأس الميت عند موته على خلاف فيه . ولهذا كان ترك القراءة هو السنة وكان أفضل من القراءة في المواطن الثلاثة المذكورة » . ثم أخذ بعد هذا الجواب الواضح البين يقاوم ما فيه من صريح السنة مما فرغنا من رده عليه . وأما في تذييل الفتوى فانه قال هكذا : « اعلم ان موضوع الفتوى الصادرة منا هو ان قول مالك ان السنة في تشييع الجنازة السكوت . والقراءة في الجنازة مكروهة عنده وانها عند فريق من العلماء مستحبة غير مكروهة لقصد انتفاع الميت بثوابها » . وهذا كلام قاصر على خصوص القراءة عند التشييع فلنقصر كلامنا اليوم معه فيه . وقد زعم ان القراءة عند التشييع عند فريق من العلماء مستحبة . ونقول انه لم يقل باستحبابها واحد من الأئمة - رضي الله عنهم - ولا من شيوخ مذاهبهم ولا ذكرها متن من المتون التي يدرس بها فقهم في الامصار . فهو مطالب بان يثبت هذا الفريق ولو بواحد من هؤلاء ولن يستطيع - ولا محالة - اثبات المدوم ، وفيما نقلناه في كلامنا السابق ما يدل على الاتفاق على بدعتها ، ونزيد هنا قول الامام ابن شامة الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ في كتابه « الباعث على انكار البدع والحوادث » قال : « وفيما يفعله الناس اليوم في الجنائز بدع كثيرة ومخالفة لما ثبت في السنة من ترك الاسراع بها والقرب منها والانصات فيها ومن قراءتهم القرآن بالألحان » .

ثم قال فضيلته : « فمدرك مالك هو التيمن بقصد التأسى بالفعل الواقع في زمن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وزمن اصحابه فالمراد بالسنة عنده الطريقة التي كان عليها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - » .

نعم السنة هي الطريقة التي كان عليها - صلى الله عليه وآله وسلم - فيما يفعل ويترك ، ونحن مأمورون باتباعه في هذه الطريقة ،

بقوله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » والتأسي به فيما فعل وفيما ترك يمن ومخالفته شؤم ، ولنا به أسوة حسنة فالقراءة عند التشيع تركها فتركها من سنته أي من طريقته فهو سنة وفعلها ليس من طريقته فهو بدعة . والخير في الاتباع ، والشر في الابتداع .

وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

هذا هو البيان الواضح لمذرك الامام - رحمه الله - لا كما توهمه عبارة فضيلته من تهوين أمر الاتباع بانه قصد التيمن والتبرك وان الترك لا يدخل في لفظ السنة لانها هي الطريقة .

ثم قال : « ولما كان مالك لا يرى وصول ثواب القراءة للमित لم يوجد في نظره ما يعارض مقصد التأسي فلذلك قال بكراهة القراءة فيها »

مذهب مالك ان ما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من الطاعات في موطن مع وجود المقتضي لفعله بحسب الظاهر فانه يترك دون الثقات الى ذلك الذي يظهر انه مقتضى اذ يترك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تبين أنه ليس بمقتضى في الشرع ففعل تلك الطاعة عليه اعتبار لما الغاه الشارع واعتداد بما طرحه . وفي هذا معاندة له واقتيأت عليه ، ولهذا منع الذي أراد ان يحرم من المسجد النبوي وقرأ عليه قوله تعالى : « فَلَئِنْ حَذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » وقد تقدم تفصيل هذا في سابق كلامنا ، فلو ان مالكا كان يقول بوصول ثواب القراءة لما قال بها في التشيع لان السنة فيه هي تركها ، والدعاء المتفق على نفعه لا يقول به مالك في الركوع لان السنة فيه هي تركه ، وهكذا ما هنا .

ثم قال : « وأما الذين خالفوه فمدركهم ان السكوت ترك فلا يدل على استحباب السكوت ولا على كراهة ضده » .

قد علمت مما تقدم ان هؤلاء الذين يزعم انهم مخالفون لمالك في سنة ترك القراءة في التشيع لا وجود لهم في الأمة ولا في شيوخ مذهبهم ومع ذلك فقد اخذ فضيلته يقرر في مدرکهم فزعم ان السكوت ترك وان الترك لا يدل على استحباب السكوت ولا على كراهة ضده ، ومقتضى هذا الاستدلال من السنة النبوية يكون بالفعل دون الترك وهذا باطل والحق انه كما يستدل بفعله — صلى الله عليه وآله وسلم — يستدل بتركه . والتقرب الى الله بترك ما تركه كالتقرب اليه بفعله ما فعله . ومن فعل ما تركه كمن ترك ما فعله وكما لا يتقرب الى الله تعالى بترك ما فعله كذلك لا يتقرب اليه بفعله ما تركه ، وهاك من كلام الأئمة ما يثبت لك هذا الأصل ويعرفك بدليله :

قال ابن السمعاني : « اذا ترك الرسول— صلى الله عليه وآله وسلم— شيئاً وجب علينا متابعتة فيه الا ترى انه — صلى الله عليه وآله وسلم — لما قدم اليه الضب فأمسك عنه وترك اكله ، أمسك عنه الصحابة وتركوه الى ان قال لهم : انه ليس بارض قومي فاجدني اعافه . واذن لهم في اكله » نقله الشوكاني في (ارشاد الفحول) ، وفي أوائل الجزء الرابع من (المواقفات) للامام الشاطبي بحث واف في الاستدلال بتركه — صلى الله عليه وآله وسلم — وذكر أنواعه ، وقال القسطلاني في كتابه (المواهب اللدنية) : « وتركه — صلى الله عليه وآله وسلم — سنة كما ان فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين فعله وتركه فنأتي من القول في الوضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضوع الذي فعله » وقال ابن حجر الهيتمي : « الا ترى ان الصحابة — رضي الله عنهم — والتابعين لهم باحسان انكروا الاذان لغير الصلوات الخمس كالعيدين وان لم يكن فيه نهى ، وكرهوا استلام الركنين الشاميين ، والصلاة

عقب السعي بين الصفا والمروة قياسا على الطواف • وكذا تركه
— صلى الله عليه وآله وسلم — مع قيام المقتضى فيكون تركه سنة وفعله
بدعة منمومة» • والنقول على هذا الاصل—وهو الاستدلال بتركه—
كثيرة والادلة فيه ثابتة واضحة وقد اعتنى ببسطة الاستاذ (محمد احمد
العدوي) حفظه الله في كتابه (أصول في البدع والسنن) بسطا كافيا
لمن هداه الله (١) •

(عبد الحميد بن باديس)

— ٣ —

الاستدلال بترك النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — اصل عظيم
في الدين • والعمل النبوي دائر بين الفعل والترك ، ولهذا تكلم علماء
الأصول على تركه كما تكلموا على فعله • وقد ذكرنا جملة من كلامهم
فيما قدمنا ، غير أن تقرير هذا الأصل الذي يهدم بدعا كثيرة من
فعل ما تركه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — مما يتأكد مزيد
تثبيته وبيانه • إذ بالعقلة عنه ارتكبت بدع وزيدت زيادات ليست مما
زيدت عليه في شيء • وحسبك ان مثل هذا العالم يقرر في ذيل فتواه
ان « السكوت ترك فلا يدل على استحباب السكوت ولا على كراهة
ضده » فالترك اذا ليس دليلا شرعيا ، ولهذا أردنا أن نعود الى بيان
هذا الأصل ونقل كلام أئمة الاصول والنظر فيه •

قال الامام الشاطبي في آخر الجزء الثاني من كتاب الموافقات :
« والجهة الرابعة مما يعرف به مقصد الشارع السكوت عن شرع

(١) البصائر : س ١ العدد ٢٥ الجزائر يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني
١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ٢٦ جوان ١٩٣٦ م الصفحة ٢ العمود ١ - ٢
و ١ - ٢ من الصفحة ٣ •

التسبب او شرعية العمل مع قيام المعنى المقتضى له . وبيان ذلك ان سكوت الشارع عن الحكم على ضربين احدهما ان يسكت عنه لانه لا داعية له تقتضيه ولا موجب يقرر لاجله كالنوازل التي حدثت بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فانها لما تكن موجودة ثم سكت عنها مع وجودها ، وانما حدثت بعد ذلك فاحتاج اهل الشريعة الى النظر فيها واجرائها على ما تقرر في كلياتها . وما أحدثه السلف الصالح راجع الى هذا القسم ، كجمع المصحف وتدوين العلم وتضمين الصناعات وما اشبه ذلك مما لم يجز له ذكر في زمن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم تكن من نوازل زمانه ولا عرض للعمل بها موجب يقتضيها فهذا القسم جارية فروع على اصوله المقررة شرعا بلا اشكال . فالقصد الشرعي فيها معروف من الجهات المذكورة قبل . والثاني ان يسكت عنه وموجبه المقتضى له قائم ، فلم يقرر فيه حكم عند نزول النازلة زائد على ما كان في ذلك الزمان ، فهذا الضرب السكوت فيه كالنقص على ان قصد الشارع ان لايزاد فيه ولا ينقص لانه لما كان هذا المعنى الموجب لشرع الحكم العملي موجودا ثم لم يشرع الحكم ولا نبه عليه كان ذلك صريحا في ان الزائد على ما كان هناك بدعة زائدة ومخالفة لما قصد الشارع اذ فهم من قصده الوقوف عند ما حد هنالك لا الزيادة عليه ولا النقصان منه ومثال هذا سجود الشكر في مذهب مالك ، وهو الذي قرر هذا المعنى في العتبية من سماع اشهب وابن نافع ، ثم نقل كلام مالك وبينه ، وتطبيق هذا الاصل على مسألتنا ان تقول : (ان المقتضى للقراءة - وهو حصول البركة للميت ووصول الثواب اليه - قائم ومع قيامه فقد ترك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - القراءة ففهم من هذا الترك مع قيام المقتضى ان قصد الشارع هو الوقوف عندما بين من السكوت والاعتبار ، وان زيادة القراءة في ذلك الموطن بدعة زائدة ومخالفة لما قصد الشارع وان كانت عبادة من حيث ذاتها ، كما قال مالك في سجود الشكر عند الامر

تحبته» « لا يفعل ليس هذا مما مضى من أمر الناس » وان كان السجود في نفسه عبادة ، ثم قال ابو اسحاق الشاطبي في آخر الفصل المذكور « وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل وانها بدعة منكرة من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازة التحليل ليرجعهما كما كانا أول مرة ، لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاعة على رجوعها اليه دل على ان التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو اصل صحيح اذا اعتبر وصح به الفرق بين ما هو من البدع وما ليس منها . ودل على ان وجود المعنى المقتضي مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع الى عدم الزيادة ما كان موجودا قبل فاذا زاد الزائد ظهر انه مخالف لقصد الشارع فبطل .

وقد قرر هذا الاصل الامام ابن القيم في آخر الجزء الثامن من كتاب اعلام الموقعين عندما تكلم على ماورد من السنن الثابتة من دون معارض . وطبق هذا الاصل على مسألتنا شيخنا الشيخ بخيت الحنفي مفتي الديار المصرية رحمه الله في كتابه (أحسن الكلام) فقال : « واما رفع صوت المشيعين للجنائز بنحو قرآن او ذكر او قصيدة بردة او يمانية فهو مكروه لا سيما على الوجه الذي يفعل في هذا الزمان ولم يكن شيء منه موجودا في زمن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا في زمن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح . بل هو مما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قيام المقتضى لفعله فيكون تركه سنة ، وفعله بدعة مذمومة شرعا كما هو الحكم في كل ما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قيام المقتضى لفعله » وقال أيضا : « وأما ما يفعل في زماننا امام الجنائز من الاغاني ورفع الصوت بالبردة واليامانية على الوجه الذي يفعل في هذا الزمان والمشي بالمباخر فلا يقول بجوازه أحد » .

فهذا الأصل العظيم الذي قرره مالك - رحمه الله - وهو أن ما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قيام المقتضي فالدين تركة - وبينه ابو اسحاق الشاطبي - قد رأيت تقريره والاستدلال له والتفريع عليه من جماعة غير مالكية كابن السمعاني والقسطلاني الشافعيين وابن القيم الحنبلي والشيخ بخيت الحنفي مع تطبيق هذا الاخير له على عين مسألتنا . فلم ينفرد به مالك من أئمة الاجتهاد والفتوى ولا ابو اسحاق الشاطبي من أئمة الاصول والنظر تقول هذا لان المتأولين للبدع والمنكرات - مثل فضيلته - اصبحوا وكانهم يتبرمون بقول مالك وشدته فيها ويحاولون التلمص الى اقوال ولو لم تكن منزلة قوله في الاستدلال والنظر حتى زعم فضيلته ان لمالك مخالفين في القراءة عند التشيع وجاء اهم بمدرك حاول ان يهدم به هذا الاصل العظيم . اما ابو اسحاق الشاطبي فقد صار يوصم عند بعض انصار البدعة والمتأولين لها بالشذوذ وما ذنبه عندهم الا نصرته للسنة بكتابه الفريد . في بابه كتاب (الاعتصام) وبفصول من كتابه الفريد الآخر كتاب (الموافقات) .

ولقد كنا أيام الطلب بجامع الزيتونه - عمره الله - نسمع من شيوخنا كلهم الثناء العاطر على هذا الكتاب وصاحبه وكانت له عندهم منزلة عظيمة . وأحسن الدروس في المناظرات الامتحانية هو الذي رصعه صاحبه بكلام الشاطبي واحسن فهمه وتنزيهه فليت شعري ماذا يقول المتأولون للبدع والمنكرات - مثل فضيلته - فيه اليوم وقد اصبح حجة للمصلحين .

وقد بلغني ان كتاب (الموافقات) قد قرر تدريسه بالجامع - عمره الله - وان الذي يدرسه للشيوخ هو الشيخ عبد العزيز جعيط احد المفتين المالكيين والمرشح - فيما يظهر - لمشيخة الاسلام بعد عمر طويل - ان شاء الله - لشيخ الاسلام الحالي ، ولعله مر في درسه

على هذا الفصل الذي نقلناه من الموافقات في تقرير الاصل المتقدم او قاربه . فماذا قال او يقول فيه ؟ ان هذا الأصل وهو أن ما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قيام المقتضى فالدين تركه والزيادة عليه بدعة مذمومة مخالفة لمقصد الشارع - هو حجة المصلحين في رد البدع الغالين والمتزيمين ، فماذا قلت يا فضيلة الشيخ عبد العزيز او ماذا تقول . بين ! بين ! فانك تعرف وعيد الكاثمين . والا فعليك - لا قدر الله - اثم الهالكين والمعاندين^(١) .

(عبد الحميد بن باديس)

- ٤ -

قال فضيلته : « وقد عارضه ، أي الترك النبوي » قصد آخر حسن وهو التبرك بقراءة القرآن ووصول ثواب ذلك للميت ، فهم يرون في السكوت في الجنازة فضيلة بركة التأسي وفي القراءة فضيلة وهي وصل الثواب للميت .

هذه هي حجة كل مبتدع ومحدث في الدين ما ليس منه ومتعبد بغير ما شرع الله لعباده بواسطة رسوله - عليه الصلاة والسلام - . يفعل ما تركه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بدعوى ان في فعله خيرا وفضيلة وزيادة مفيدة ، ويعارض التشريع الإلهي بالترك النبوي مع قيام المقتضى برأيه وهواه ، واستدراكه ودعواه . ومن تمتضى منعه - قطعا - ان ذلك الخير وتلك الفضيلة والزيادة المفيدة قد فاتت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في السنين الطويلة التي

(١) البصائر : س ١ العدد ٢٧ الجزائر يوم الجمعة ٢٠ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ١٠ جويلت ١٩٣٦ م الصفحة ٣ والعمود ٢ من الصفحة ٦ .

عاشها تاركا لها فلم يفعلها ولم يبلغها وهو المأمور بالتبليغ المعصوم من الكتمان حتى تفتن لها هذا المبتدع فجاء بها وفاز بتحصيلها ، وكانت من الفضائل التي رجع ميزانه بها وخلا منها ميزان محمد - عليه وآله الصلاة والسلام - « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » .

ولو جرى الأمر على هذا الأصل الباطل والقول الضال لأذن للعديد والتراويج والكسوف والاستسقاء ، وقيل إن عدمها في العهد النبوي ترك وهو لا يدل على استحباب عدم الأذان ولا على كراهة ضده وقد عارضه قصد آخر حسن وهو ما في الأذان من حصول الثواب للمؤذن والحاكي ؟ ففي عدم الأذان فضيلة بركة التأسّي وفي الأذان فضيلة حصول الثواب للمؤذن والحاكي . وهكذا يمكن أن تزداد عبادات كثيرة في غير مواضعها تركها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قيام المقتضي لها ويعارض تركه عليه السلام لها بما فيها من الفضائل الذي غفل عنه هو عليه السلام واهتدى اليه المبتدعون ، وكفى بقول يؤدي الى هذا ضللا وشرا وفسادا .

نعم في قراءة القرآن العظيم لقارئه وسامعه كل البركة ووصول الثواب المهدي ، قال به جمع الأئمة عليهم الرحمة ، غير ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الرحيم بأمتة الحريص على دلالتهم على الخير وما فيه الاجر والثواب لم يقرأ القرآن العظيم في هذا الموطن فدلنا على أن الترك هو الخير ، وان هذا الموطن ليس محلا للقراءة بل هو محل لعبادة أخرى هي عبادة التفكير والاعتبار . فالقراءة فيه بدعوى تلك المعارضة مخالفة ومشاقة له ، وما هو أكبر من ذلك من دعوى الاهتداء الى ما لم يهتد اليه عليه السلام .

ثم قال فضيلته : « واعتضدوا بقراءة سورة يس » .

لو كان لمن يقول بقراءة القرآن العظيم عند التشييع دليل من أثر أو صحيح نظر لأمكن أن يقال : « واعتضدوا بحديث يس » ، لكن قد علمنا مما تقدم أنه لا دليل لهم الا مشاققة الترك النبوي بتخيل الافضلية ودعوى الاهتداء الى ما لم يهتد اليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مما تقدم لنا ابطاله فلا يمكن حينئذ أن يقال فيهم « اعتضدوا » ويبقى النظر في حديث قراءة يس نفسه فلنتكلم على سنده ومتمه ليتبين انه خارج عن موضوعنا .

حديث قراءة يس

عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - « اقرأوا يس على موتاكم » قال الحافظ في التلخيص (١٥٣) بنقل الاستاذ محمد حامد الفقي : رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وان حبان والحاكم من حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان - وليس بالنهدي - عن أبيه عن معقل بن يسار ولم يقل النسائي وابن ماجه عن أبيه . وأعله ابن القطار بالاضطراب وبالوقف وبالجهالة لحال أبي عثمان وأبيه .

ونقل الإمام ابو بكر بن العربي المالكي عن الدارقطني انه قال : هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث اه ، وقد صححه الحاكم وابن حبان وهما معروفان بالتساهل في التصحيح وسكت عنه ابو داود وسكوته يقتضي عدم تضعيفه ولكنه لا يقتضي بلوغه درجة الصحيح واذا ضم اليه ما ورد في معناه - ولم يبلغ منها شيء الى درجة الحجة - ارتقى الى رتبة الحسن لغيره . هذا كلمة موجزة في سنده بينت لنا رتبته . وأما متمه فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « على موتاكم » من حضرتهم الموت . قال ابن حبان في صحيحه - بنقل ابن حجر وغيره : أراد به من حضرته المنية لا

أن الميت يقرأ عليه - قال وكذلك قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - :
« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » اه ، ومما يدل على ان المراد من
حضرته المنية ما رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده ، قال حدثنا
ابو المغيرة ثنا صفوان قال كانت المشيخة يقولون اذا قرئت - يعني
يس - لميت خفف عنه بها . وفي مسند الفردوس - بنقل ابن حجر -
عن ابي الدرداء وأبي ذر قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله
وسلم - « ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه »
قال الصنعاني شارح (بلوغ المرام) : وهذان يؤيدان ما قاله ابن حبان
من أن المراد به المحتضر اه . وحديث أحمد المتقدم رواه جمع من
شراح الحديث مختصرا كما رأيت وأصله في المسند هكذا : « حدثنا
أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمرو عن المشيخة انهم حضروا غصيف بن
الحريث حين اشتد سوجه فقال : هل أحد منكم يقرأ يس ؟ قال فقرأها
صالح بن شريح السكوني فلما بلغ أربعين آية منها قبض ، قال : فكان
المشيخة يقولون : « اذا قرئت عند الميت خفف عنه بها » . قال
الحافظ ابن حجر في (الاصابة) : وهو حديث حسن الاسناد .
وغصيف المتوفى صحابي وصالح الذي قرأها ، له ادراك ، فالمشيخة
الذين حضروا بين صحابي وتابعي ، والحديث وان كان موقوفا فمثله
لا يقال بالرأي ، قال الحافظ : فله حكم المرفوع ، وما في هذا
الحديث صريح غاية الصراحة ، بان قراءة يس انما هي على المحتضر
ففيه (لما اشتد سوجه) والسوق قال أئمة اللغة : هو النزاع . وكان
المحتضر نفسه هو الذي قال : « هل فيكم أحد يقرأ يس » وقد فهم
الأئمة - رضي الله عنهم - انه في المحتضر ، فأخرجه ابن ماجة تحت قوله :
« باب ما جاء فيما يقال عند المريض اذا حضر » وأخرجه البغوي
في (المصايح) تحت قوله : « باب ما يقال عند من حضره الميت » .
ومثله التبريزي في (المشكاة) ، وكذلك الامام ابن ابي زيد فانه

حول فتوى القراءة على الاموات

ذكر رخصة بعض العلماء - وهو ابن حبيب - في قراءة يس - في (باب ما يفعل بالمحضر من رسالته) فقال هكذا: « وأرخص بعض العلماء في القراءة عند رأسه بسورة يس ولم يكن ذلك عند مالك أمرا معمولاً به » .

فبان بهذا كله ان حديث قراءة يس - على ما فيه كما عبر فضيلته في أصل الفتوى - خارج عن موضوعنا ، لأن موضوعنا في القراءة على الميت بعد موته وهو الذي يفعله الناس ويسمونه (فدوة) وعند تشييعه كما يفعل (مروقية) تونس وغيرهم ، وهو الذي قصر فضيلته الكلام عليه في التذليل كما تقدم ، وبعد دفنه عند قبره . وليس لنا ان تقيس هذه المواطن على قراءة يس عند المحضر لان القياس لا يدخل في العبادات ، ولان المعنى الذي قصد من قراءتها - وهو التخفيف عليه حال النزاع - معدوم في هذه المواطن .

ولهذا فنحن ما زلنا نطالب فضيلته بالإتيان بسنة صحيحة قولية أو فعلية تثبت مشروعية القراءة في موطن من هذه المواطن . وأتقى له ذلك؟ (١) .

عبد الحميد بن باديس

- ٥ -

حقاً لقد صارت مسألة السنة في تشييع الجنازة - وهي الواضحة الجلية - ذات ذيول ففضيلته قد جعل لفتواه تذييلاً فلا تأصيل ولا تدليل . ونحن - بحكم العدوى الكتابية - قد جعلنا لردنا عليه هذا التذليل . ولكنه لم يخل من دليل .

(١) البصائر : س ١ عدد ٢٨ الجزائر يوم الجمعة ٢٧ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ١٧ جويلت ١٩٣٦ م الصفحة ٤ والعمود ٢ من الصفحة ٥ .

كل ما يريده فضيلته هو بقاء تلك الحالة المنكرة البشعة من تشيع الجناز التي نشرنا فيما مضى بيان بعض الكتاب من اخواننا التونسيين عنها ، وهو يعلم ان لا بقاء لها الا ببقاء تلك الفئة من (المروقية) قائمة بها ، وانها لا تقوم بها الا بثمن فليفت حينئذ فضيلته - ولا بد - بتحليل ذلك الثمن وجواز أخذ الاجرة على القراءة ، فلذا قال في تذييله : « وأما أخذ الاجرة على قراءة القرآن فاعلم ان أخذ الأجر على القراءة جائز باتفاق الأئمة الأربعة » .

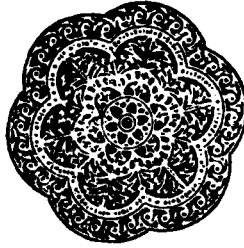
باتفاق الأئمة الأربعة ! هذا باطل ما دعا اليه وحمل عليه الا الحرص على بقاء هذه البدعة والعياذ بالله ، والحقيقة هي ان الحنفية والحنابلة - كما هو مصرح به في كتبهم - لا يجيزون أخذ الاجرة على القراءة وحبثهم على ذلك ان الاجر دفع لاجل حصول ثواب القراءة للدافع لكان القارئ ما قرأ الا لأجل ذلك الاجر فلم يكن عمله خالصا لله فلم يكن له عليه ثواب ، فهو آثم لانه أكل الاجر بالباطل والدافع آثم لانه متسبب له في عمل بلا اخلاص وفي ذلك الاكل بالباطل ، واستدلوا بحديث عبد الرحمن بن شبل : « قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : **اقرأوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغفلوا فيه ولا تاكلوا به ولا تستكثروا به** » . رواه أحمد بسند قال في مجمع الزوائد رجاله ثقة ، ورواه غيره ، وأجابوا عن حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : « **إن أحق ما أخذتم عليه أجره كتاب الله** » . رواه البخاري بأنه محمول على أخذ الاجر في تعليمه أو الرقية به مما يحصل مقابل الأجر لدافعه جمعا بين الأدلة ، وقال بهذا بعض المالكية أيضا ، وهو قول قوي - كما ترى - نظرا وأثرا ، فأين هو الاجماع الذي يدعيه فضيلته ؟ .

الى هنا وجب أن تنتهي من الحديث مع فضيلته . وبقيت لنا كلمة

حول فتوى القراءة على الاموات

مع جريدة (الزهرة) التي تساءلت عن آداب الإسلام سنقولها لها -
إن شاء الله - اذا إينا من سفرنا مع وفد الأمة الجزائرية الى باريس ،
فالى اللقاء .

عبد الحميد بن باديس



البصائر: س ١ عدد ٢٩ الجزائر يوم الجمعة ٥ جمادي الاولى ١٣٥٥ هـ
الموافق ليوم ٢٤ جويلت ١٩٣٦ م ، الصفحة ٣ في العمود ٣

الى علماء جامع الزيتونة

ان مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة ، وان حسابهم على ذلك لشديد طويل ، ذلك بما كتموا من دين الله ، وبما خافوا في نصره الحق سواء ، وبما حافظوا على منزلتهم عند العامة وسادة العامة ، ولم يحافظوا على درجاتهم عنده ، وبما شحوا ببذل القليل من دنياهم في ما يرضيه ، وبما بذلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يغضبه ، اللهم الا تفرا منهم بينوا وما كتموا ، ونصحوا لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم فقامت بهم حجة الله ، وتداولت بهم أجيال المسلمين ارث النبوة ، واتصل بهم سند الحق وانفضحت بهم شبهة الباطل ، أولئك هم الطائفة التي لن تنزل ظاهرة على الحق لا يضر بها من خذلها حتى تقوم الساعة .

وإننا راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم وشقائهم وارتفاعهم وانحطاطهم وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم أو قعودهم عما فرضه الله وأخذ به الميثاق عليهم . ولهذا فنحن ندعو العلماء كلهم الى ان يذكروا هذا الميثاق وان لا ينبذوه وراء ظهورهم ، وأن يبادر كل ساكت وقاعد الى التوبة والاصلاح والبيان ، فقد علموا قول الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ لَسُبِّئِنَّهُ لِنِاسٍ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ » « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمْ

اللهُ وَيَكْفُرُهُمْ اللّٰعِنُونَ ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» .
ونحن نحمد الله فقد تجاوزت أصوات العلماء بالاصلاح الاسلامي من
كل ناحية ، وقد كان من أعظم ذلك ارتفاع صوت الازهر كما نشرنا ،
في الجزء الماضي من مجلة (الشهاب) وقد كنا نشرنا في جزء ربيع
الثاني من العام الماضي الفتوى التي أصدرها عشرون عالما من علماء طرابلس
الغرب في وجوب الغاء ما يستعمله اصحاب الطرق من المشي على
الفحم المصهور وابتلاع العقارب والافاعي والحشرات السامة وطعن
اجسادهم وثقبها بالالات الحادة . وقدموا في ذلك مطلباً للحكومة
البلاد وعملت على تنفيذه ، ثم اطلعنا على عريضة مؤرخة بربيع الاول
من العام الماضي قدمها نحو الثلاثين عالماً من علماء المغرب الاقصى من
مدرسين بجامع القرويين وغيرهم الى جلالة مولانا السلطان (سيدي
محمد) ايده الله يشتكون اليه ما كان من مخالفة ما تقدم من امره
بمنع بدع كل الطوائف المبتدعة كطائفة العيسوية وغيرهم ، ويرغبون
من جلالته اصدار اوامره بجزر المجرمين المخالفين فصوت العلماء
بالاصلاح الاسلامي والحمد لله قد ارتفع من مصر وطرابلس والجزائر
والمغرب الاقصى وما بقى ساكننا الا جامع الزيتونة ، فلا تسمع له همسا .

لقد ارتفعت الشكوى في الصحف التونسية هذه المدة الاخيرة من
بلدان عديدة من القطر التونسي الشقيق بالبدع والمناكر التي يأتيها
الطريقيون به . والفضائح التي ارتكبتها بعضهم وسيق من اجلها الى
المدلية كما يساق للمجرمون ، ووجهت سؤالات صريحة الى العلماء في
حكم الاسلام في ذلك كله . وعلماء جامع الزيتونة وشيوخ الفتوى
فيه وشيخا الاسلام منهم - واجمبون ساكتون كأن الأمر لا يعنيهم
وكان آيات الله لم تطرق آذانهم ، فاين انتم ايها الشيوخ ، واين ايمانكم؟
لقد سئلت عن رفض الشريعة الاسلامية بسبب التجسس ذلك الرفض

آثار ابن باديس

المخرج عن الاسلام فسكتم ، وقال الناس انكم خفتم على مناصبكم
وها اتم اولاء تسألون اليوم عن البدع والمنكرات الفاشية في المسلمين
باسم الدين ، تنكر البدع التي أماتت ضمائرهم وخدرت عقولهم ،
وجمدت افكارهم وافسدت اخلاقهم وأضاعت اموالهم ، وسلبتهم حقيقة
دينهم ، وتركتهم بلاء على انفسهم ، وقتنة لغيرهم ، فهل اتم اليوم
ايضا ساكتون ، وبالتخويف على مناصبكم معتذرون ؟

اتنا ندعوكم بكلمة الله الى الصدع بالحق واثقاذ المسلمين ، فان
اجبتم فذلك الظن بكم ، والله معكم ولن يتركم اعمالكم ، وان ايتم
فعليكم اثم الهالكين وحسب المسلمين رب العالمين^(١) .

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
« المتخرج من جامع الزيتونة » عمره الله



البصائر : السنة الاولى العدد الاول الجزائر في يوم الجمعة ٢٦
ذي الحجة ١٣٥٤ هـ الموافق ل : ٢٠ مارس ١٩٣٦ م ، ص ١ ، ع ١ و٢
ونشر هذا المقال بنفسه في الشهاب ، ج ١ ، م ١٢ ، ص ٤ - ٦ بتاريخ
غرة محرم ١٣٥٥ هـ - افريل ١٩٣٦ م .

معاذ الله

ظن المستر وراء (الطالب الزيتوني) أنني لم أجبه ترفعا عنه ،
ومعاذ الله من هذا معاذه . وانما لم أجبه لانه تستر وراء امضاء مستعار
في مخاطبة من يكتب بامضائه الصريح وليس من العدل ان ينازل الرجال
من يخفي وراء الحجال ، فان اردت ان تجاب ، فارفع الحجاب ، وسلام
عليك يا استاذ !

(عبد الحميد)



البصائر : السنة ١ العدد ٢٤ - الجزائر يوم الجمعة ٢٩ ربيع الاول
١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ١٩ جوان ١٩٣٦ م الصفحة السابعة العمود الثالث .

من آثار جمعية العلماء في تهذئة الافكار

نشرت جمعية العلماء المسلمين على الأمة الجزائرين منشورين في أيام الحادثة^(١) ، تحضها على ملازمة الهدوء والسكون وتدعوها الى الثقة بالعدالة الفرنسية وهذا نص المنشور الاول :

نداء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ايها الشعب الكريم !

ها أنت اليوم استيقظت من نوم عميق ، وفتحت عينيك للحياة ، ونهضت للعمل مع العاملين .

فتقو بالاتحاد وتسلح بالايان وتدرع بالصبر ، وتحصن بالثبات ، سر بهدوء ونظام في طريق الحق والخير ، الى منزلتك اللائقة بك من الحياة بين الشعوب .

كن حذرا كن يقظا .

اعرف اصدقاءك من اعدائك .

وما اصدقاءك الا الذين يحترمون الانسانية في جميع اجناسها وجميع اديانها ويرحمون الضعيف وينصرون المظلوم ، ويقاومون الظلم والاستعباد .

وما اعداؤك الا الذين وقفوا لك في طريق الحياة والتقدم منذ عرفتهم وعرفوك ، فسدوا عليك ابواب الرزق والعلم ، وسلبوك الحرية والثروة ، واستغلوك كما تستغل الحيوانات العجماء بل اشد واطر .

(١) جادثة مقتل الشيخ كحول سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

آثار الجمعية في تهنتة الافكار

وها هم اليوم يريدون خدعك ، ويحاولون استعمالك آلة لاغراضهم
ضد اصدقائك الانسانيين •

أيها الشعب الكريم :

كن - كلك - مع الحكومة الفرنسية الممثلة للشعب الفرنسي
الديموقراطي اصدق تمثيل •

كن كلك ضد كل متعصب ضد أي جنس واي دين •

كن متحدا فبالاتحاد - فقط - تبلغ غايتك الشريفة الانسانية •

كن مستيقظا منظما ، لتبرهن على انك شعب لا تريد الا العيش
والحرية والسلام •

ارفع عقيرتك بالاحتجاج ضد جميع الذين يستعملون العنف والقسوة
والاساليب الشيطانية الخفية ليحدثوا الفتنة والشغب ضد فرنسا
والجزائر •

ناد من كل قلبك : لتحيى الجزائر ! لتحيى فرانس الشعبية !

ليسقط الظلم والاستعباد ! ليسقط اضداد الاجناس وحرية الاديان
والافكار !

عن الجمعية : الرئيس عبد الحميد بن باديس

وهذا نص المنشور الثاني

أيها الشعب الكريم :

كبر على أعدائك أن يروك فرحا مسرورا بمؤتمرك العظيم ، ووفدك
الى باريس ، وبلوغ صوتك الى الحكومة الفرنسية واحزاب الجبهة
الشعبية ورجوع وفدك يحمل الآمال الصادقة ، والثقة التامة من تلك
الحكومة وتلك الاحزاب •

كبر على أعدائك كل هذا فأخذوا يدبرون لك المكائد ، وينصبون لك الاشرار ، فكانت تلك الجناية المفكرة على الامام (ابن دالي) ثم كانت تلك التهمة الشنيعة على الاستاذ (الطيب العقبي) .

كل ذلك لأجل أن شيروك فيخرجوك عن النظام والسكينة ليصورك بالصورة التي يريدونها لك من القبح والفساد ، ولأجل ان يزيلوا ثققت بالجهة الشعبية حكومتها واحزابها ، ويوهموك انه لم يصبك في ايامهم ما اصابك في ايامها فيفضلوك عنها لتقع فريسة بين أيديهم .

ايها الشعب الكريم :

- ارفع صوتك بالاحتجاج ضد كل اجرام وكل كيد .
- اعلن مقتك للكائدين المكارين .
- دم على ثققت بالجهة الشعبية حكومتها واحزابها .
- ثق بان عين العدالة الفرنسية ستفضح الكائدين .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وشكر وتقدير

كانت حادثة اعتقال الاستاذ (الطيب العقبي) في ظاهرها محنة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اثرت ما تؤثره المحن المفاجئة من حيرة لم تذهب بالصبر واضطراب لم يزلزل العقيدة .

ولكنها كانت في حقيقتها نعمة عظيمة لا يقوم بها الشكر فقد احدثت في العالم المتصل بالجزائر روحا جديدة من العطف على الجمعية والتبته لمكاتها والتأييد لها والانتصار لمبادئها الحققة وكانت موحدة لشعور سكان الشمال الافريقي على الخصوص .

آثار الجمعية في تهئة الافكار

وقد أحدث طرفا الحادثة وهما الاعتقال والافراج ، ضجة أسف عامة ، وهزة فرح شاملة ، نطقت بها مئات البرقيات والرسائل التي وردت على الاستاذ وعلى مركز الجمعية ، وعبرت عنها الصحف العربية والفرنساوية .

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتقدم بالشكر الجم للجزائريين التونسيين على موقفها الشريف في هذه الحادثة واعتنائها المضاعف واهتمامها باظهار الحقيقة وللجزائريين البارزية على انتصارها للحق وللأمم التي اظهرت عطفها على الجمعية ، وشاركتها في الاسف عند نزول الكربة والفرح عند انجلاتها مقدرة للجميع احساسهم سائلة رب العباد ان يديم على الكل ستره العيم وفضله الشامل (١) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

تنظيم الاجتماع العام والدعوة اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

قسنطينة في ٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

الأخ الشيخ

رئيس شعبة الجمعية ب . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان الاجتماع العام للجمعية يكون صبيحة الاحد ١١ رجب ٢٧ سبتمبر بنادي الترقى بعاصمة الجزائر ، فالرجاء منكم ان تحضروه اتم وبعض اعضاء مجلس ادارة شعبتكم ، هذا على سبيل اللزوم ثم من تيسر له القدوم من بقية الاعضاء هذا على سبيل الرغبة الاكيدة .

(١) البصائر : الجمعة ١٠ جمادى الثانية ١٣٥٥ الموافق ليوم ٢٨

أوت ١٩٣٦ ص ٧ السنة الاولى العدد ٣٢ .

آثار ابن باديس

وقد وجهنا لكم عددا من اوراق الدعوة لتوزعوها بعناية على
اخواننا اعضاء الجمعية لديكم ممن ترون منهم تيسر القدوم •
والله يستعملنا واياكم في طاعته ، ويتولانا واياكم بحميل عفوه
وجزيل بره •

والسلام عليكم ومن اخيكم رئيس الجمعية^(١)

عبد الحميد بن باديس

((ورقة استسعاء))

للاجتماع العام الذي يقع بنادي الترقى بالعاصمة صبيحة الاحد
الثاني من رجب ١٣٥٥ هـ ٢٧ سبتمبر ١٩٣٦ م •
ايها الاخ الكريم •••
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته •

اما بعد فالجلس الاداري للجمعية يدعوكم للحضور للاجتماع
العام في الزمان والمكان المذكورين اعلاه ويؤكد عليكم في الدعوة ،
راجيا لكم التوفيق والتيسير •

والسلام من اخيكم رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

(١) البصائر : السنة الاولى العدد ٣٦ الجمعة ٩ رجب ١٣٥٥ هـ
- ٢٥ سبتمبر ١٩٣٦ م ص ٧ ع ٢ •

استصحب هاته الورقة معك عند القنوم :

فالمرجو من كل من لم يصله كتابه من رؤساء الشعب او بطاقته من الاعضاء ان يعتبر النص المنشور هنا موجها اليه • وان يسعى جهده لحضور هذا الاجتماع وعدم تفويته ما استطاع ووجد الى الحضور سبيلا والله الميسر والهادي الى سواء السبيل •



المجلة الزيتونية

يحق لي - وانا تلميذ من تلامذة الزيتونة - ان اغتبط بالمجلة الزيتونية غبطة خاصة .

ويحق لي - وانا جندي من جنود الاصلاح الاسلامي العام - ان اسرورا خاصا بتعزز معاقل الاصلاح بها .

ما كنت لأنسى أربع سنوات قضيتها بالزيتونة ، شطرها متعلما وشطرها متعلما ومعلما ، فكان لي منها اباء واخوة وانباء ، فاکرم بهم من اباء واکرم بهم من اخوة واکرم بهم من ابناء .

مضت بضع سنوات حالت فيها الاعمال المتوالية بيني وبين زيارة ذلك المعهد الشريف واهله الكرام ، ولقد كان - علم الله - شدى مجالسنا بذكره ، ونعيم ارواحنا بذكره ، وما اعرف صائفة حل بنا معشر خدمة الاصلاح - بها البلاء واستحكمت حلقاته مثل الصائفة الماضية ، بما كبدت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وما نصب لها ولرجالها من اشراك لولا دفع الله وحفظه ، وما أعلم صائفة هاج بي الشوق الى جامع الزيتونة مثلها ، ولقد علم رفاقي انه كان صبابة وهياجا لا شوقا معتادا . وأي واجبات هي من حقوق الجزائر غالبت ذلك الشوق فقلبت فلم استطع براحا ، وأي ألم هو كنت ألقاه بين سلطان الواجب وصولة العاطفة ، لكن الله الذي ارانا فنونا من لطفه في تلك الصائفة عجل بما سكن ذلك الشوق ، وانعش الروح ، وشرح خاطر ، فاطلع علينا (المجلة الزيتونية) من سماء تلك الديار ، مشرق الشمس مطلع الاقمار وقد ازدانت غرتها باسماء اربعة من بحيرة الشباب العلماء

العاملين : الاستاذ محمد الشاذلي بن القاضي والاستاذ محمد الهادي ابن القاضي ، وكنت تلقيت قسما من البلاغة على المنعم والدهما ، والاستاذ محمد المختار بن محمود ، والاستاذ الطاهر القصار ، وكنت مررت يوم امتحان شهادة التطويح امام المنعمين والديهما مع غيرهما وقد اضطلع هؤلاء الاساتذة الاربعة بالمجلة وتحريرها وادارتها وماليتها . وامدهم الاستاذ الاكبر شيخ الجامع بتأييده الرسمي ووازرهم في العمل امثالهم من الشباب العلماء وأصحاب الفضيلة الشيوخ الكبراء مثل العلامة استاذنا شيخ الاسلام المالكي ابن عاشور والعلامة استاذنا الشيخ الصادق النيفر والعلامة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جصيط والعلامة الاستاذ الشيخ البشير النيفر وغيرهم . فكانت المجلة الزيتونية تشمل تمثيلا صحيحا جامع الزيتونة بشيوخه وشبابه فتتجلى فيها الجرأة والرصانة ، والنشاط والتؤدة . فتسير - ان شاء الله - الى غايتها في قوة وسلام .

كانت أول دعوة للاصلاح الاسلامي اعلنت في هذا الشمال الافريقي على لسان الصحافة - هي دعوتنا منذ بضع عشرة سنة في جريدة (المنتقد) الشهيدة وفي خلفها (الشهاب) وما كان ينتظر من جامع الزيتونة المعمور في جلاله وثقل تقاليد ان يخف لتأييد تلك الدعوة فكنا نعذره بالسكوت حيننا ، ونأمل ان يأتي يوم يأبى عليه الحق فيه الا ان يقول كلمته ويرفع صوته فيدوي له هذا الشمال، وكنا نستعجل هذا الفينة بعد الفينة بما نلوح ونصرح به من عتب واستجداد ، حتى جاء هذا العام المبارك فجاءت (المجلة الزيتونية) تعلن الاصلاح وتحمل رايته وتدعو اليه باسم جامع الزيتونة المعمور فكان فوزا ميبنا للاصلاح والمصلحين ونصرا عظيما للاسلام والمسلمين .

وقد صدر العدد الاول بمقال الافتتاح بقلم رئيس التحرير الاستاذ محمد المختار ابن محمود وخطاب لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ

الجامع وخطاب للاستاذ محمد الشاذلي بن القاضي صاحب المجلة وكلها صريحة فيما ذكرناه من تقدم جامع الزيتونة والمجلة الزيتونية لميدان الاصلاح الاسلامي العام . وما نحن ننقل فيما يلي دررا منها نحلي بها جيد هذا المقال :

قال الاستاذ رئيس التحرير : « ونحن اذا تأملنا حالة المسلمين في هذا العصر ، من كل قطر ومصر وجدناهم قد نبذوا تعاليم الاسلام ظهريا . وتجاؤا عنه كبرا وعتيا . فسوق المفاسد والضلالات في رواج وظلام الشرك يوشك ان لا يكون له انبلاج ، فكان لزاما على علماء الدين في جميع النواحي أن يشمروا عن ساعد الجد . وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد . ويرفعوا أصواتهم بارشاد الناس . من جميع الاجناس . حتى يعلأ صوتهم الفضا ، ويصل الى عنان السماء ، فينفذ الى قلوب أعمتها الضلالة وأتت عليها الجهالة . وبذلك يتميز السبيل القصد عن الجائزات من السبيل ، وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويصرع الباطل وان شاع ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع » .

« وسيكون في المجلة باب بعنوان (الوعظ والارشاد) وهو من أعظم أبواب المجلة حيث سيكون مجالا فسيحا لارشاد الناس وتبئهم الى مواقع الخطأ فيما هم سائرون عليه حتى يقلعوا عنه ويرجعوا الى هدى الاسلام » .

« وسيكون شعار المجلة في جميع أعمالها وفي مختلف أطوارها ، الاصلاح الديني ومقاومة كل حركة ترمي الى الالحاد أو الى التعصب الديني أو المذهبي ومقاومة البدع بجميع أنواعها ما استطاعت الى ذلك سبيلا » .

وقال الاستاذ الاكبر استاذنا الماقي - في بيان مهمة مشيخة الجامع

الاعظم التي تسعى لتحقيقها - (خامسا) ارشاد العلماء للعامة واتخاذهم من وهداة الجهالة التي لا يعذر صاحبها وذلك بالوعظ والارشاد في الجوامع ، والمجتمعات العامة وتعهدهم بالوعظة كما كان عليه سلف الامة ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » .

وقال الاستاذ صاحب المجلة : « وليس هذا هو كل ما يتطلب منا القيام به فان اماننا مهمات كثيرة تتطلب رجالا مصلحين امثالكم هي اليوم في طي الذهول أو النسيان » .



نحن نسجل بغاية السرور والغبطة ومع صادق الرجاء وعظيم الامل ، هذه التصريحات الجليلة التي لا تصدر الا من قلوب أفعمت بالخير ، ونفوس تشعر بالواجب ، وهم تريد النهوض بإرث النبوة والرسالة من اتقاد الخلق وهدايتهم الى الصراط المستقيم . وخصوصا تصريحات مولانا الأستاذ الأكبر فقد بين ان من مقاصد مشيخة الجامع القيام بالوعظ والإرشاد في الجوامع والمجتمعات وان تلك هي سيرة السلف الصالح . وطبع كلامه بكلمة امام دار الهجرة التي هي شعار «الشهاب» .

وهذا الذي بيّنه فضيلته هو ما قامت وتقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو ما لقيت وتلقى في سبيله كل عرقلة وشر من طرف الادارة الظالمة الغاشمة المتعرضة لتربية المسلمين تربية اسلامية انسانية صحيحة ، فليتكلم فضيلته على الله وليقدم الشبان العلماء من أبناء الزيتونة الى ميادين الوعظ والارشاد في الجوامع والمجتمعات في جميع نواحي المملكة - لا العمالة ! - التونسية . وليوطن اخواتنا من الاساتذة أنفسهم على ما يلقونه من البلاء وما تمطرهم به سحب الظلم والجهل من أنواع الأذى وفقهم الله وأعانهم على تعجيل ما عزموا عليه .

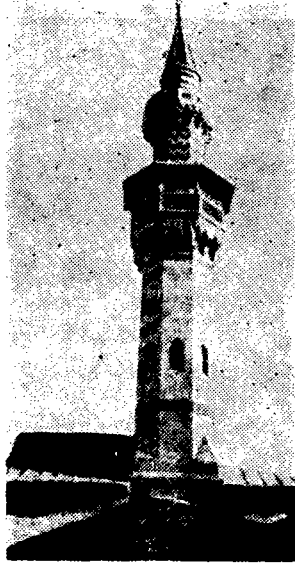


آثار ابن باديس

وبعد فان اسم الزيتونة اسم اسلامي علمي تاريخي عظيم فيجب أن تكون « المجلة الزيتونية » ممثلة له مجددة لعهدہ . وان في تعاون أساتذة الجامع : شبابهم وشيوخهم على النهوض بها ما يحقق ذلك ان شاء الله . وانني أقترح على اخواني القائمين بها أن يضموا الى قلم تحريرها رجالا من الزيتونيين الذين يعرفون بعض اللغات الغربية ولهم خبرة بحركات العصر من وراء البحر فان العلوم والآداب والفنون تراث الانسانية كلها لا تستقل فيها أمة عن أمة وأكمل الامم ازاءها من تحسن كيف تحافظ على حسنها وتستفيد من حسن غيرها^(١) .

وسلام عليكم ايها الرفاق ، من اخ مشتاق

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ١٠ ، م ١٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤٤
غرة شوال ١٣٥٥ هـ - جانفي ١٩٣٧ م .

المجلة التونسية

اجتمعنا بالاستاذ مبارك المليي في شهر رمضان الماضي ودار الحديث على النهضة الإصلاحية التي ظهرت بجامع الزيتونة المعمور ، وكان من ثمارها المجلة الزيتونية . فأخبرني الاستاذ انه كتب لها تقريرا وأرسله الى ادارتها . وكنا نحسب انه يصدر بجزء شوال ولما اجتمعت بالاساتذة أصحاب المجلة بشهر شوال أخبروني باتصالهم بالتقرير واعتذروا عن تأخره بكثرة المواد وذكروا لي انهم سينشرونه - مع تعليق على شيء فيه - في جزء ذي القعدة فصدر الجزء ولم ينشر فيه . فلما اجتمعت بالاستاذ المليي في العشرين منه تذاكرنا أمر التقرير وتأخر نشره وسألته هل فيه ما جعل نشره على الاخوان ثقيلًا ؟ وطلبت منه أن يطلعني عليه وأن يأذن لي في نشره فأعطانيه فلم أجد فيه الا كل ما يسر ويفيد فبادرت بنشره^(١) .



(١) ش : ج ١٢ ، م ١٢ ، ص ٥٧ .
غرة ذي الحجة ١٣٥٥ هـ - فيفري ١٩٣٧ م .

دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها

بقلم الاستاذ عبد الحميد بن باديس
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- ١ — الاسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وكمله على يد نبيه (محمد) الذي لا نبي من بعده .
- ٢ — الاسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد الا به وذلك لانه :
أولاً — كما يدعو الى الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين ، يذكر
بالاخوة الانسانية بين البشر أجمعين .
- ثانياً — يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع
الاجناس والالوان .
- ثالثاً — لانه يفرض العدل فرضاً تاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز .
- رابعاً — يدعو الى الاحسان العام .
- خامساً — يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أي أحد
على أي أحد من الناس .
- سادساً — يمجّد العقل ويدعو الى بناء الحياة كلها على التفكير .
- سابعاً — ينشر دعوته بالحجة والاقناع لا بالختل والاكراه .
- ثامناً — يترك لاهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبّقونه كما يشاؤون .
- تاسعاً — شرك الفقراء مع الاغنياء في الاموال وشرع مثل القراض

دعوة جمعية العلماء واصولها

والمزارة والمغارة ، مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الاراضي والاموال .

عاشراً — يدعو الى رحمة الضعيف فيكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويفاثر الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم .

حادي عشر — يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

ثاني عشر — يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس .

٣ — القرآن هو كتاب الاسلام .

٤ — السنة — القولية والفعلية — الصحيحة تفسير وبيان للقرآن .

٥ — سلوك السلف الصالح — الصحابة والتابعين واتباع التابعين —

تطبيق صحيح لهدي الاسلام .

٦ — فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهم لحقائق الاسلام

ونصوص الكتاب والسنة .

٧ — البدعة كل ما أحدث على انه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي —

صلى الله عليه وآله وسلم — فعله وكل بدعة ضلالة .

٨ — المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دينهم ونظام

معاشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة .

٩ — أفضل الخلق هو (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه :

أولاً — اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة الى الناس عامة .

ثانياً — كان على أكمل أخلاق البشرية .

ثالثاً — بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته .

رابعاً — عاش مجاهداً في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة .

١٠ — أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له .

١١ — أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وهم الاولياء والصالحون فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله .

١٢ — التوحيد أساس الدين ، فكل شرك — في الاعتقاد أو في الفعل — فهو باطل مردود على صاحبه .

١٣ — العمل الصالح المبني على التوحيد به وحده النجاة والسعادة عند الله فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذي يغني عن الظالم شيئاً .

١٤ — اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال ، ومنه اعتقاد الفوث والديوان .

١٥ — بناء القباب على القبور ووقد السرج عليها والذبح عندها لاجلها والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لاعمال المشركين فمن فعله جهلاً يعلم ومن أقره ممن ينتسب الى العلم فهو ضال مضل .

١٦ — الاوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لاتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ الى ما هناك من استغلال ومن تجميد للعقول واماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور ..

١٧ — ندعو الى ما دعا اليه الاسلام وما بيناه منه من الاحكام بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح من الأئمة مع الرحمة والاحسان دون عداوة أو عدوان .

دعوة جمعية العلماء واصولها

- ١٨ — الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة .
- ١٩ — المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة .
- ٢٠ — عند المصلحة العامة من مصالح الامة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر الثغرة ، ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الازمة وتزول الشدة باذن الله ، ثم بقوة الحق وادراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة .
- « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي : أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

عبد الحميد بن باديس

بقسنطينة بالجامع الاخضر اثر صلاة
الجمعة ٤ ربيع الاول ١٣٥٦ هـ (١)



(١) البصائر: السنة الثانية العدد ٧١ الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ
١٨ جوان ١٩٣٧ م ، ص ١ ، ع ١ و ٢ و ٣ ، و ص ٢ ، ع ١ ، ونشرت نفس
المقالة في ش : ج ٤ ، م ١٣ ، ص ١٧٦ - ١٧٩ ، غرة بيع الثاني
١٣٥٦ هـ - ١١ جوان ١٩٣٧ م .

لا تغلو الأرض من قائم لله بحجة

من المعلوم عند أهل العلم ان مما حفظ الله به دينه وأبقى به حجته انه لا تنقطع الدعوة الى الله في هذه الامة والقيام على الحق والاعلان بالسنن والرد على المحرّفين والمتغالين والزائغين والمبتدعين وان أهل هذه الطائفة معروفة موافقهم في كل جيل محفوظة آثارهم عند العلماء غير ان غلبة الجهل وكثرة أهل الضلال قد تحول دون بلوغ صوتهم الى جميع الناس فترى أنصار الباطل كلما قام داع من دعاة الحق في ناحية اعترضوه بسكوت من سكت ممن كان قبله وأوهموا اتباعهم المغرورين بهم ان هذا الداعي جاء بدين جديد فيكون من أعظم ما يرد به عليهم ويصر أولئك المغترين بهم نشر ما تقدم من كلام دعاة الحق وأنصار الهدى في سالف الزمان ، ولهذا نشر فيما يلي خطبة جلييلة لمولانا السلطان سليمان ابن سيدي محمد بن عبد الله أحد مفاخر ملوك المسلمين في القرن الثاني عشر في القطر الشقيق المغرب الاقصى ، وقد كان هذا الامام علامة مشاركا تحريرا سلفيا مصلحا كبيرا عاملا بعلمه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر داعياً للسنة محارباً للبدعة . معلماً للامة ما علمه الله منفذاً فيها لاحكام الله ، وقد نشر هذه الخطبة في رسالة خاصة اخواننا العلماء المصلحون بالمغرب ورجوا من الخطباء أن يخطبوا بها كما كان أمر صاحبها رحمه الله ، أن يخطب بها في زمانه فنقلناها من تلك الرسالة ونحن نرجو من خطباء الجزائر أن يخطبوا بها على الناس ان كانوا لهم ناصحين .

نص الخطبة

الحمد لله الذي تعبدنا بالسمع والطاعة ، وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة وحفظ ملة نبيه الكريم وصفيه الرؤوف الرحيم ، من الاضاعة ، الى قيام الساعة وجعل التأسي به أنفع الوسائل النافعة أحمده حمداً ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه . وأشكره شكراً يقصر عنه لسان البراعة ، واستمد معوته بلسان المذلة والضراعة وأصلي على محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة ، على العموم والاشاعة والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة أما بعد أيها الناس شرح الله لقبول النصيحة صدوركم وأصلح بعنايته أموركم ، واستعمل فيما يرضيه أمركم ومأموركم فان الله قد استرعانا جماعتكم وأوجب لنا طاعتكم وحذرنا اضاغتكُمْ ، « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » . سيما فيما أمر الله به ورسوله أو هو محرم بالكتاب والسنة النبوية ، واجماع الأمة المحمدية الذين ان مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر . ولهذا نرثي لغفلتكم ! أو عدم إحساسكم ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم ! فالقوا لأمر الله آذانكم وأيقظوا من نوم الغفلة أجنانكم وطهروا من دنس البدع ايمانكم واخلصوا لله أسراركم واعلانكم واعلموا ان الله بفضله أوضح لكم طريق السنة لتسلكوها . وصرح بدم اللهو والشهوات لتملكوها وكلفكم لينظر عملكم ، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه . واعرفوا فضله عليكم وعوه واتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون ! والبدع التي يزيناها أهل الأهواء ويلبسون وافترقوا أوزاعاً وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعاً ! بما هو حرام كتاباً وسنة واجماعاً ! وتسموا فقراء : واحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقراً ! قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ

بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ! وكل ذلك بدعة شنيعة ، وفعلة فظيعة وسبة وضيعة ، وسنة مخالفة لاحكام الشريعة وتلبيس وضلال وتدليس شيطاني وحبال زينه الشيطان لاوليائه فوقتوا له اوقانا ! وانفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك درهم واوقانا ! وتصدى له اهل البدع من عساوة وجلالة وغيرهم من ذوي البدع والفسللة ، والحمافة والجهالة ! وصاروا يرقبون للهوهم الساعات ! وتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات ! وكل ذلك حرام ممنوع والانفاق فيه انفاق في غير مشروع ، فأنشدكم الله ، عباد الله هل فعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لعمه سيد الشهداء موسماً ؟ وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الارسال - صلى الله عليه وعلى جميع الصحابة والآل - موسماً ؟ وهل تصدى لذلك أحد من التابعين - رضي الله عنهم أجمعين - ، ثم أنشدكم الله ، هل زخرفت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المساجد ، أم زوقت أرضحة الصحابة والتابعين الأماجد كأني لكم تقولون في نحو هذه المواسم المذكورة وزخرفة أرضحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع ، حسبنا الاقتداء والاتباع ، انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، وهذه المقالة قالها الجاحدون هيهات هيهات لما توعدون . وقد رد الله مقالهم ووبخهم وما أقالهم ، فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين . وأهل الصلاح والدين خير القرون قرني الحديث^(١) وبالضرورة انه لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ، فقد قبض رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عقد الدين قد سجل ، ووعد الله باكماله وقد عجل ، « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ

(١) متفق عليه ، (ابن باديس) .

الإسلامَ دِيناً» قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على منبر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بحضرة الصحابة - رضي الله عنهم - : أيها الناس ، قد سننت لكم السنن وفرضت الفرائض وتركنم على الجادة ، فلا تميلوا بالناس يمينا ولا شمالا فليس في دين الله ولا فيما شرع نبي الله ، أن يتقرب بغناء ولا شطح ، .. والذكر الذي أمر الله به ، وحث عليه ، ومدح الذاكرين به ، هو على الوجه الذي كان يفعله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد ، فهذه سنة السلف ، وطريقة صالح الخلف ، فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع . ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله : « مَا تَوَلَّى وَتُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » . « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » ، فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع ؟ ! أمنا من مكر الله ؟ ! أم تلبسنا على عباد الله ؟ ! أم منا بذة لمن النواصي بيديه ! ؟ أم غرورا لمن الرجوع بعد اليه ! ؟ فتوبوا واعتبروا وغيروا المناكر واستغفروا . فقد أخذ الله بذنبت المترفين من دونهم ! وعاقب الجمهور لما أغضوا عن المنكر عيونهم ! وساءت بالغفلة عن الله عقبي الجميع . ما بين العاصي والمداهن المطيع ! أفيزلكم الشيطان ، وكتاب الله بأيديكم ؟ أم كيف يضلكم وسنة نبيكم تناديكم ، فتوبوا الى رب الأرباب . وأنبيوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تتصرون . ومن أراد منكم التقرب بصدقة ، أو وفق لمعروف أو اطعام أو نفقة . فعلى من ذكر الله في كتابه . ووعدكم فيه جبريل ثوابه كذوي الضرورة الغير الخافية والرضى الذي لستم بأولى منهم بالعاقبة . ففي مثل هذا تسد الذرائع وفيه تمتثل أوامر الشرائع .

انما الصدقات للفقراء والمساكين والمعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله .

ولا يتقرب الى مالك النواصي ، بالبدع والمعاصي . بل بما يتقرب به الأولياء والصالحون . والانتقاء المفلحون أكل الحلال وقيام الليالي ، ومجاهدة النفس في حفظ الاحوال بالاقتوال والافعال . البطن وما حوى ، والرأس وما وعى ، وآيات تتلى ، وسلوك الطريقة المثلى ، وحج وجهاد ورعاية السنة في الموسم والاعياد ، ونصيحة تهدي ، وأمانة تؤدى ، وخلق على خلق القرآن يحدي ، وصلاة وصيام ، واجتناب مواقع الآثام ، وبيع النفس والمال من الله ، « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ » الآية . « وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ . وَلَا تَكْفُرُوا السَّبِيلَ فَتَقَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » . الصراط المستقيم كتاب الله ، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . وليس الصراط المستقيم كثرة الرايات ، والاجتماع للبيات . وحضور النساء والاحداث . وتغيير الاحكام الشرعية بالبدع والاحداث ، والتصفيق والرقص ، وغير ذلك من اوصاف الرذائل والنقص ...؟ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ؟ ، عن المقداد (١) بن معد يكرب - رضي الله عنه - : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول : يجاء بالرجل يوم القيامة وبين يديه راية يحملها ، واناس يتبعونها ، فيسال عنهم ويسالون عنه ؟ .

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم

(١) كذا في الاصل المنقول عنه : المقداد بن معد يكرب ولا يوجد في الاصابة هذا الاسم انما الموجود المقداد بن الاسود بن معدي كرب ولعله هو الصواب هنا ، راجع ج ٣ من الاصابة ص ٤٥٤ الى ٤٥٥ وبعد فانظر من خرج الحديث وما رتبته فاني لم اقف عليه .

لا تغلو الارض من قائم بحجة

الأسباب ، وقال الذين اتبعوا : لو ان لناكرة فتتبرأ منهم كما تبرأوا منا .
فيجب على من ولاة الله من أمر المسلمين شيئاً من السلطان والخلائف
أن يمتنعوا هؤلاء الطوائف ، من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل
لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم
ثم اياكم والبدع فانها تترك مراسم الدين خالية خاوية ، والسكوت
عن المناكر يحيل رياض الشرائع ذابلة زاوية فمن المنقول عن المال ،
والمشهور في الأواخر والأوائل ان المناكر والبدع اذا فشت في قوم أحاط
بهم سوء كسبهم وأظلم ما بينهم وبين ربهم واقطعت عنهم الرحمات
ووقعت فيهم المثلث ، وشحت السماء ، وحلت النقماء وغيض الماء ،
واستولت الأعداء ، وانتشر الداء ، وجفت الضروع ، وقطعت بركة
الزروع ، لان سوء الادب مع الله يفتح أبواب الشدائد ، ويسد
طرق الفوائد ، والادب مع الله ثلاثة : حفظ الحرية ، بالاستسلام
والاتباع ، ورعاية السنة من غير اخلال ولا ابتداع ومراعاتها في
الضيق والاتساع ، لا ما يفعله هؤلاء الفقراء ، فكل ذلك كذب على الله
وافتراء ، « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » ، عن العرياض^(١) بن سارية - رضي
الله عنه - قال : وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -
موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقام اليه رجل فقال
يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ أو قال : أوصنا ،
فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن ولي عليكم وإن كان عبداً
حبشياً ، فانه من يعش بعدي فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي ،
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

(١) أخرجه الامام احمد في مسنده ابو داود والترمذي وابن ماجه

والحاكم في المستدرک باختلاف يسير .

وها نحن عباد الله أرشدناكم وحذرناكم وأنذرناكم ، فمن ذهب بعد
لهذه المواسم او احدث بدعة في شريعة نبيه ابي القاسم . فقد سعى في
هلاك نفسه . وجر الويال عليه وعلى أبناء جنسه . وتلاه الشيطان
للجبين . وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،
فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليه(١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ١٢ ، ص ١٦٧ - ١٧٢
غرة ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ - جويلية ١٩٣٦ م .

جواب صريح

تمهيد :

ورد سؤال على الاستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوي وزير معارف الحكومة المغربية من الشيخ حافظ ابراهيم ريشطي من أهل العلم ببلدة شقودرة بمملكة ألبانيا ، عن أشياء منها ما يتعلق بالطريقة التجانية ، فأجاب الاستاذ عن تلك المسائل كلها ونشر جوابه في مجلة « الرسالة » حيث نشر السؤال ، ولقد أجاد الاستاذ في جوابه غير أنه أحاط كلامه في شأن الطريقة التجانية بشيء من الغموض حمله عليه فيما أظن مركزه ومحيطه وليس له في هذا عذر عند الله فان السؤال كان واضحا والموضوع عظيما هاما والموقف محتاجا الى صراحة لا يخاف فيها الا الله • فرأيت من واجبي الديني ان اجيب بصراحة وان آتي من كلام الاستاذ بما هو مؤيد لجواني مع التعليق عليه لا اقصد من ذلك — علم الله — الا النصح لاخواني الذين ضلوا بهذه الطريقة عن الصراط المستقيم هداانا الله كلنا اليه •

تلخيص السؤال :

يدعي المنتسبون للطريقة التجانية :

- ١ — ان قراءة (صلاة الفاتح) أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة متأولين بان ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بأداب القرآن •
- ٢ — ان (صلاة الفاتح) من كلام الله القديم ولا يترتب عليها ثوابها الا لمن اعتقد ذلك •

- ٣ - وان (صلاة الفاتح) علمها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لصاحب الطريقة ولم يعلمها لغيره .
- ٤ - وان مؤسس الطريقة التجانية افضل الاولياء .
- ٥ - وان من انتسب الى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه الصغار والكبار ، حتى التبعات .
- فهل الاندماج فيها غير مناف للشريعة الغراء ؟

الجواب :

١ - القرآن كلام الله و (صلاة الفاتح) من كلام المخلوق ومن اعتقد ان كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر . ومن جعل ما للمخلوق مثل ما لله فقد كفر بجعله لله ندا فكيف بمن جعل ما للمخلوق أفضل مما للخالق .

هذا اذا كانت الافضلية في الذات فاما اذا كانت الافضلية في النفع فان^(١) الادلة النظرية والاثرية قاضية بافضلية القرآن على جميع الاذكار وهو مذهب الأئمة من السلف والخلف . قال سفيان الثوري - رحمه الله - «سعنا ان قراءة القرآن أفضل من الذكر» . نقله القرطبي في الباب السابع من كتاب « التذكار » وقال النووي - رحمه الله - «واعلم ان المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء ان قراءة القرآن افضل من التسييح والتهليل وغيرهما من الاذكار . وقد تظاهرت الادلة على ذلك» قاله في الباب الثاني من كتاب التبيان ومخالفة مثل هذا موجب للتبديع والتضليل .

٢ - واما زعم من زعم - متأولا لتلك الافضلية الباطلة - بان

(١) راجع ج ٣ م ٥ من الشهاب .

(صلاة الفاتح) خير لعامة الناس من تلاوة القرآن لان ثوابها محقق ولا يلحق فاعلمها اثم والقرآن اذا تلاه العاصي كانت تلاوته عليه اثما لمخالفته لما يتلوه . واستدلوا على هذا بقول انس - رضي الله عنه - الذي تحسبه العامة حديثا : رب نال للقرآن والقرآن يبعثه - فهو زعم باطل لانه مخالف لما قاله أئمة السلف والخلف من ان القرآن أفضل الاذكار ولم يفرقوا في ذلك بين عامة وخاصة ولا بين مطيع وعاص ، ومخالف لمقاصد الشرع من تلاوة القرآن ، وذلك من وجوه :

الأول - ان المذنبين مرضى القلوب فان القلب هو المضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله فكل معصية يأتي بها الانسان هي من فساد في القلب ومرض به . والله تعالى قد جعل دواء امراض القلب تلاوة القرآن : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » « وَتَنْزِيلٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » فمقصود الشرع من المسلمين ان يتلوه ويتدبروه ويستشفوا بألفاظه ومعانيه من أمراضهم من عيوبهم وذنوبهم وذلك الزعم الباطل يصرف المذنبين - وأيضا غير مذنب ؟ - عن تلاوته .

الثاني - ان القلوب تعثرها الغفلة والقسوة والشكوك والاهام والجهالات وقد تتراكم عليها هذه الأدران كما تتراكم الاوساخ على المرآة فتطمسها وتبطل منفعتها وقد يصيبها القليل منها او من بعضها فلا تسلم القلوب على كل حال من اصابتها فهي محتاجة دائما وأبدا الى صقل وتنظيف بتلاوة القرآن وقد أرشد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الى هذا فيما رواه البيهقي في « الشعب » والقرطبي في

« التذكار » - « ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد . قالوا : يا رسول الله فما جلاؤها ، قال : تلاوة القرآن » فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوا القرآن لجلاء قلوبهم وذلك الزعم الباطل يصرفهم عنه .

الثالث - ان الوعيد والترهيب قد ثبتا في نسيان القرآن بعد تعلمه، وذهابه من الصدور بعد حفظه فيها . فروى أبو داود عن سعد مرفوعا : « ما من امرء يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله أجزم » . وروى الشيخان عن عبد الله - مرفوعا - : « واستذكروا القرآن فاته أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » . فمقصود الشرع دوام التلاوة لدوام الحفظ ودفع النسيان وذلك الزعم الباطل يؤدي الى تقليها أو تركها .

ومثل هذا الزعم في البطلان والضلال زعم ان تالي القرآن يأثم بقراءته مع مخالفته فان المذنب يكتب عليه ذنبه مرة واحدة . ولا يكتب عليه مرة ثانية اذا ارتكب ذنبا آخر وانما يكتب عليه ذلك الذنب الآخر فكيف يكتب عليه ذنب اذا باشر عبادة التلاوة ؟ والاصل القطعي - كتابا وسنة - ان ما جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهو يبطل ان تجدد له سيئاته اذا جاء بتلاوة القرآن .

وما قول انس - رضي الله عنه - « رب تال للقرآن والقرآن يلعنه » فليس معناه ان القرآن يلعنه لاجل تلاوته ، كيف وتلاوته عبادة ؟ وانما معناه انه ربما تكون له مخالفة لبعض اوامر القرآن او نواهيه من كذب أو ظلم مثلا فيكون داخلا في عموم لعنه للظالمين والكاذبين . وهذا الكلام خرج مخرج التقييح للاصرار على مخالفة القرآن مع تلاوته بعثا للتالي على سرعة الاتعاض بآيات القرآن وتعجيل المتاب ، ولم يخرج مخرج الامر بترك التلاوة والانصراف عنها . هذا هو الذي يتعين حمل كلام هذا الصحابي الجليل بحكم الادلة المتقدمة . ونظيره ما ثبت في الصحيح : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله

حاجة ان يدع طعامه وشرابه » . قال الشراح - واللفظ للقسطلاني - : « وليس المراد الامر بترك صيامه اذا لم يترك الزور وانما معناه التحذير من قول الزور فهو كقوله عليه الصلاة والسلام : « من باع الخمر فليشقص الخنازير » أي يذبحها ، ولم يأمره بشقصها ، ولكنه التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر . وكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به ليتم له أجر صيامه » . هذا فيمن يرتكب الزور وهو صائم فيكون متلبسا بالعبادة والمخالفة في وقت واحد ، فكيف بمن كان ذنبه في غير وقت عبادة التلاوة ؟ فالمقصود من كلام أنس تحذيره من الاصرار على المخالفة ، وترغيبه في المبادرة بالتوبة ليكمل له أجر تلاوته بكمال حالته .

٢ - وليس عندنا من كلام الله الا القرآن العظيم . هذا اجماع المسلمين حتى ان ما يليقيه جبريل - عليه السلام - في روع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سماه الأئمة بالحديث القدسي ، وفرقوا بينه وبين القرآن العظيم ولم يقولوا فيه كلام الله . ومن الضروري عند المسلمين ان كلام الله هو القرآن وآيات القرآن ، فمن اعتقد ان (صلاة الفاتح) من كلام الله فقد خالف الاجماع في امر ضروري من الدين وذلك موجب للتفكير .

٣ - قد بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - معلما كما صح عند^(١) ، وعاش معلما آخر لحظة من حياته ، فتوفاه الله تعالى نبيا رسولا ونقله للرفيق الاعلى ، وقد ادى الرسالة ، وبلغ الامانة ، واتقطع الوحي وانتهى التبليغ والتعليم . وترك فينا ما ان تمسكنا به لن نضل أبدا وهو كتاب الله وسنته ، كما صح عنه ، هذا كله مجمع عند المسلمين ، وقطعي في الدين ، فمن زعم ان محمدا مات وقد بقي شيء لم يعلمه للناس في حياته فقد أعظم على الله الفرية وقدح في تبليغ الرسالة ،

(١) كذا في الاصل والكلام ناقص وربما يكون اصله او عنه .

وذلك كفر . فمن اعتقد ان (صلاة الفاتح) علمها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لصاحب الطريقة التجانية دون غيره ، كان مقتضى اعتقاده هذا انه مات ولم يبلغ وذلك كفر . فان زعم انه علمه اياها في المنام فالاجماع على انه لا يؤخذ شيء من الدين في المنام مع ما فيه من الكتم وعدم التبليغ المتقدم .

هذا وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة - رضي الله عنهم - سألوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كيف يصلون عليه فانتظر الوحي وعلمهم الصلاة الابراهيمية وقد تواترت في الامة تواترا معنويا ونقلها الخلف عن السلف طبقة عن طبقة واجمع الناس على مشروعيتها في التشهد . ومن مقتضى الاعتقاد الباطل المتقدم انه - صلى الله عليه وآله وسلم - كتم عن افضل امته ما هو الافضل وحرّم منه قرونا من أمته وهو الأمين على الوصي وتبليغه ، الحريص على هداية الخلق وتمكينهم من كل كمال وخير ، فمن قال عليه ما يقتضي خلاف هذا فقد كذب عليه وكذب ما جاء به . ومن رجح صلاة على ما علمه هو - صلى الله عليه وآله وسلم - لاصحابه - رضي الله عنهم - بوحى من الله واختيار منه تعالى فقد دخل في وعد : « مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » .

٤ - لا تثبت الافضلية الشرعية الا بدليل شرعي ومن ادعاها لشيء بدون دليل فقد تجرأ على الله وقفا ما ليس به علم وقد اجمعت الامة على تفضيل القرون المشهود لها بالخيرية من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فاعتقاد افضلية صاحب الطريقة التجانية تزكية على الله بغير علم وخرق للاجماع المذكور ، موجب للتبديع والتضليل .

هـ - عقيدة الحساب والجزاء على الاعمال قطعية الثبوت ضرورية العلم فمن اعتقد أنه يدخل الجنة بغير حساب فقد كفر .

فالمندمج في الطريقة التجانية على هذه العقائد ضال كافر . والمندمج فيها دون هذه العقائد عليه اثم من كثر سواد البدعة والضلال .

ثم هاكم من جواب الاستاذ عن فصول السؤال ، مما يؤيد جوابنا مع تعليقنا عليه :

« ومن المكر الخفي والكيد للاسلام المنطوي تحت هذه المقالة تزهيد الناس في القرآن العظيم وفي تلاوته ثم الاعراض عنه الى ما هو اخف عملا وفي الميزان اتقل في زعمهم الباطل واني لأعجب لمسلم استنار بنور القرآن يقبل هذه المقالة في الاسلام ، فلا حول ولا قوة الا بالله » .

لهذه وغيره تقول ان الطريقة التجانية ليست كسائر الطرق في بدعها ، والمشاهد اليوم من اضرارها ، ودعنا من حديث ماضيها بما فيه ، بل هي طريقة موضوعة لهدم الاسلام تحت اسم الاسلام ، فان كتبها وأقوال أصحاب صاحبها مطبقة على هذه الأفكار وأكثر منها فلا تجد في كتبهم ما هو خالص منها حتى يمكن ان يكون هو الاصل وان غيره مدسوس وانك لتجد هذه الكتب محل الرضى والقبول والتقدیس عند جميع اتباع الطريقة عالمهم وجاهلهم . ولو كان عالمهم بالكلمة المنسوبة الى صاحب الطريقة ، والله اعلم بصحة نسبتها : « زنوا كلامي بميزان الكتاب والسنة » - لأعدموا تلك الكتب أو حرموا على جماعتهم قراءتها أو حذفوا منها هذه الكفریات والاضاليل واعلنوا البراءة منها للناس لكن شيئاً من ذلك لم يقع . وانما يظننون بتلك الكلمة قولياً ويقرون تلك الكتب وما فيها علمياً وماذا يفيد القول مع التقرير والعمل . ولهذا رغم من كان في هذه الطريقة من اناس مشهورين بالعلم كالشيخ الرياحي فان الحالة هي الحالة وتلك الكفریات

والاضاليل فاشية منتشرة في اتباع الطريقة الى اليوم .

قال الاستاذ الحجوي بعدما نقل اقوالهم في ضمان شيخهم ومضاعفة الاجور لهم ودخولهم الجنة بغير حساب - : « فكأنها (الطريقة التجانية) ورقة حماية من دولة لها سلطة عالية ، تعالى من يجير ولا يجار عليه ، فكأنهم نسوا القرآن » .

فبهذا صارت الطريقة التجانية في نظر اهل العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرار ضد الاسلام . فالله يقول في نبيه خاتم النبيين ، وهم يقولون في الشيخ التجاني هو الختم وهو لبنة التمام للاولياء فحجروا على الله ملكه وقطعوا المدد المحمدي وهم لا يبالون او لا يشعرون ، وحتى ان شعروا فالمقصد يبرر الوسطة . واذا سمعوا ان النبي افضل النبيين قالوا ان التجاني رجله على رقبة كل ولي لله ، بهذه العبارة الجافة من كل أدب الجارحة لعواطف كل مسلم لان الولي في عرفهم يشمل النبي اذ يقولون ان ولاية النبي افضل من نبوته ، ولا يبالون ان يكون اصحابهم افضل من أبي بكر وعمر والعشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا يخافون الحساب ولا يأمنون العقاب ، ولم يكن عندهم بشارة بالنجاة منهما . اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » .

دعا الاسلام الى الجد ومحاسبة النفس والعمل على الخوف والرجاء في جميع نواحي الحياة الدنيا على أن يكون ذلك على السداد والاخلاص ليكون ذخرا لسعادة الاخرى فجاءت عقيدة ضمان الشيخ ودخول الجنة بلا حساب هادمة لذلك كله وقد ظهرت آثارها بالفعل كما حكاها الاستاذ الحجوي فيما يلي :

« حكي لي بعض القضاة قال : كان في محكمتي تسعون عدلا في البادية . وقد تقصيت أخبار الصالح والطالح منهم لأعلم مقدار تقتي بهم في حقوق المسلمين فوجدت عشرين منهم متساهلين لا يؤتمنون

على الحقوق، وحين دقت النظر في السبب تبين لي انهم جميعا تجانيون .
فبقيت متحيرا حتى انكشف لي ان السبب هو اتكالهم على انه لا
حساب ولا عقاب يترصدهم فانتزع الخوف من صدورهم » .

هذا في العدول وهم من أهل العلم فكيف بالعامه ؟ فهذه الطريقة
ما وضعت الا لهدم الاسلام ولا اجزم بان صاحبها هو الذي وضعها هذا
الوضع فقد يكون فيمن اتصل به من كاد هذا الكيد ، ودس ، وليس
مثل هذا الكيد جديدا على الاسلام . قال الامام ابن حزم في كتاب
« الاحكام » ج ٣ ص ٢١ : « فان هذه الملة الزهراء الحنيفة السمحة
كيدت في وجوه جمّة ، وبغيت لها الغوائل من طرق شتى ، ونصبت
لها الجبائل من سبل خفية ، وسعي عليها بالحيل الغامضة واشد هذه
الوجوه سعي من تزيا بزيمهم ، وتسمى باسمهم ودس لهم سم الأسود ،
في الشهد والماء البارد ، فلطف لهم من مخالفة الكتاب والسنة ، فبلغ
ما أراد ممن شاء الله تعالى خذلانه . وبه تعالى نستعين من البلاء ،
ونسأله العصمة بمنه ، لا اله الا هو » .

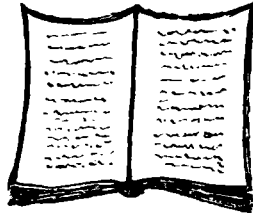
« كلمة الى العلماء »

(وفي مقدمتهم صديقي العلامة الاستاذ البشير النيفر التونسي) .
انتي ادعو كل عالم تجاني الى النظر في فصول السؤال والجواب
فان اقروا ما انكرناه فليعلنوا اقرارهم له . واذا انكروا ما انكرناه
فليعلنوا انكارهم له ، يصرحوا :

- ١ - بان (صلاة الفاتح) ليست من كلام الله .
- ٢ - وانها ليست مثل الصلاة الابراهيمية .
- ٣ - وان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يعلمها لصاحب
طريقتهم .

- ٤ - وان لا فضل له ولا لاتباعه الا بتقوى الله .
٥ - وان المنتسب الى طريقته لا يمتاز من المسلمين عن غير
المنتسب اليها .
ومن لم يصرح بهذا باء بوزره ووزر الهالكين من الجاهلين وكان
عليه اثم الكاتمين من العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٧ ، م ١٤ ، ص ٤٩ - ٥٧
غرة رجب ١٣٥٧ هـ - سبتمبر ١٩٣٨

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال

للعامة السلفي الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفظه الله

عقائد نقية ، أدلة جلية ، كلمات نبيلة ، نقول جليلة بيان لعظيم مقام النبوة والرسالة ، ولضلال من خاطب ذلك المقام بخطاب الجهالة ، قرظها عشرة من كبار العلماء بتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وعلق على مواضع منها العلامة الجليل القاضي الشيخ شعيب التلمساني .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سؤال

ما قول ساداتنا العلماء - رضي الله عنهم - وأدام النفع بهم في رجل يزعم انه قطب الزمان الفرد ، وان الكل دونه ، وانه العارف المسلك ، الى غير ذلك من أعلى صفات العارفين ، وأسمى درجات الكاملين ، ثم يقول مخاطبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمانصه:

إنّ مت بالشوق منك
ما عذر ينجيك
ان تبقي في هجري زائد
للمولى نديك
من هو بالملك موحد
ينظر في أمرك
عس بالقول تساعد
ما نرجوه فيك

ولما قيل له في هذه الأبيات قال : ألسن المحيين أعجمية . فهل يعد خطابه هذا سوء أدب وهل تجوز مخاطبة النبي - صلى الله عليه

وأله وسلم - بمثله ، وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين ،
وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجة ألسن المعيين ، أفيدونا ماجورين
ان شاء الله تعالى من رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . انتهى .

الجواب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أدبه الله فأحسن تأديبه ،
ووفر من كل خير وكمال على جميع العالمين نصيبه ، وعلى آله الطاهرين ،
وأصحابه الهادين والمهتدين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين -
أما بعد - فقد وقفت على سؤالكم وتأملت من جميع فصوله ، وأحطت
خيراً ان شاء الله - تعالى - بلفظه ومدلوله ، وهمت أن لا أجيئك عن
بحرف واحد ، لما أعلم من تصميم أكثر العامة على العناد فيما اعتقدوه
من الباطل ، وسكوت أكثر الخاصة عن التصريح بالانكار عليهم ،
والارشاد لهم ، وتهافت بعض الطلبة القاصرين ، على تسويد صحفهم
وصحائفهم بشبهات يسمونها بأفواههم دلائل وأجوبة عن متبوعهم
من الجاهلين ، يخشونها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والتأويلات
الباطلة المنوعة ، والروايات المدخولة عن ليس قوله حجة على الناس
في الدين وانما غاية اذا ثبت عنه ذلك وحسن به الظن أن يؤول على
وجه صحيح يقبله الشرع . ثم يردون بمثل هذا على الآيات البينة
والأحاديث الثابتة وعمل السلف الصالح المشهود لهم بالخيرة على لسان
المعصوم . أفع هؤلاء ينفع الكلام أو يحسن الجواب . لكنني تذكرت
ما جاء في وعيد الكتاتين ، وفي وعد من بذل الجهد في نصح اخوانه
المسلمين ، ورجوت أن لا أعدم أنصارا على الحق ، واخوانا متكاتفين
في نصره الدين ، من عدول حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين،

وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فاستخرت الله - تعالى - وحررت لكم هذا الجواب في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، غير قاصد - علم الله - شخص أحد بالتقص ، ولا خارج بعون الله - تعالى - عن جادة التفهم من دلالة الظاهر والنص ، والله أسأل أن ينفع به المسترشدين ويهدي به في المعاندين ويفت به أعضاء المفسدين آمين .

المقدمة

في وجوب الأدب مع النبي - صلى الله عليه وسلم -

اجماعاً وأبداً وعلى كل حال

أجمع علماء الملة من جميع الفرق على وجوب الأدب مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حياً وميتاً كما يجب الايمان به حياً وميتاً للنصوص القطعية في ذلك كقوله تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ » الآية . وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ » الآية . وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح معه - عليه الصلاة والسلام - في الحياة وبعد الممات . روى الترمذي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلا يرفع أحد منهم اليه بصره إلا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما . وجاء من غير وجه ان أصحابه كانوا حوله كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانوا من تعظيمه وتوقيره يهابونه فلا يسألونه فيجبون أن يأتي الاعرابي الجاهل فيسأله ، ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا في المسجد النبوي ورفع صوته ، قال له مالک : لا ترفع صوتك

في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوماً فقال : « لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ۖ ... » الآية . ومدح قوماً فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ ۖ ... » الآية . ودم قوماً فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ » (١) وان حرمة ميتاً كحرمة حياً . فاستكان لهما ابو جعفر (٢) وقد كان مالك - رحمه الله تعالى - اذا ذكر النبي - صلى

(١) اي فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ، الجلال المحلي . ومعنى الرفيع : العلي القدر والمحفوظ من اساءة الادب ، اه . صاوي . نعم اذا كان من يقول لشيخه لم لا يفلح فكيف بالتجاسر على خير الخلق على الاطلاق بالاطباق صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) وقال تعالى : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ، اه . محلي . قوله : لا تجعلوا دعاء الرسول أي ندائه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا القاسم بل نادوه وخطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين . وأستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته . فهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة . قوله : وخفض الصوت أي لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » . صاوي محشي الجلالين بالحرف . وفي الشفا ما نصه قال : قال ابراهيم التيمي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيئته وفي جلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويتأدب بما أدبه الله ، مثل قوله تعالى : « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ ... الخ ، وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ... » وغيره كما تقدم ، اه .

الله عليه وآله وسلم - يتغير وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه .
وكان جعفر الصادق كثير الدعابة والتبسم واذا ذكر عنده النبي -
صلى الله عليه وآله وسلم - اصفر . والواقف على سير السلف الماضيين
والعلماء المتقدمين يجد فيها كثيرا من هذا في مراعاة حرمة - صلى الله
عليه وآله وسلم - وشدة التأدب مع جنبه الشريف ، ومن أكثر الناس
محافظة على الأدب وتحريضا عليه ووصاية به شيوخ الزهد والعلم
من أئمة التصوف العارفين كرجال الرسالة القشيرية الذين أبقى الله
بمظيم فضله على الاسلام وجميل صنعه لنصرة الدين كلامهم حجة
على كل من ينتسب الى طريقتهم في مثل هاته الازمان ، قال في الرسالة
عن عبد الله بن المبارك : نحن الى قليل من الأدب أحوج منا الى كثير
من العلم ، وعن ابي علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه
الجهل الى القتل ، وقال ابو حفص الحداد : التصوف كله أدب لكل
وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لازم الادب بلغ
مبلغ الرجال ، ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود
من حيث يرجو الوصال ، وقال : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن
الأدب في الباطن^(١) .

الفصل الاول

في بيان خروج كلامه عن دائرة الادب المرعية وتهجمه على الحضرة النبوية

قال :

إنّ مت بالشوق منك ما عذر ينجيك
أي حق للعبد الحقير ، على السيد الجليل الكبير ، حتى يطالبه

(١) وقيل : من يتأدب ساد ومن لم يتأدب طرد عن الباب .

بالاعتذار اليه اذا لم يأتته ، أم كيف ساغ لهذا المسكين أن يقول له لا عذر ينجيك ، مه ينجيه هذا العذر ؟ إن لو كان ينجيه ، أمن اللوم في شأنك والعتاب لاجلك ؟ من أنت يا هذا حتى يعتذر سيد الأولين والآخرين لك ، ثم لا ينجيه من التقصير في حقا عذر عندك ، لقد وضعت نفسك والله في غير محلها وجهلت مقام النبوة وجلالة منصبها .

قال :

ان تبق في هجري زائد للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد ينظر في أمرك

أي حق لك على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى صرت تخوفه بأنك تدعوه وتشكو به الى الله - تعالى - لينظر في أمره ، وهل يتصور منه - صلى الله عليه وآله وسلم - تقصير في حق أحد حتى يشكو به الى الله - تعالى - حاشا ذلك الجناح الكريم ، والنبي الرؤوف الرحيم (١) ان يقصر في خير لأحد في حال حياته وبعد مماته وكيف ذلك وهو الذي قال له الله تعالى : « لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ الْإِيَّ يَكُوْثُوا مُؤْمِنِينَ » (٢) . وهو الذي لما تعرض عليه في قبره أعمال أمته يستغفر للمذنبين ، لكنك يا مسكين توهمت كعطاء الدول الذين يقصرون مع من دونهم فيخوفون بمن فوقهم على انه لم يكن من أدب العبيد أن يهددوا الوزير بسلطة الامير فأين أنت يا هذا حتى من آداب الوزراء والسلاطين بله الانبياء والمرسلين .

قال :

عس بالقول تساعد ما نرجوه فيك

(١) القائل انما انا قاسم والله يعطي ... الخ .

(٢) وقال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ » .

هذا تعريض للنبي - صلى الله عليه وسلم - بما خاطبه الله تعالى في سورة ابن أم مكتوم ، وتخويف له بما يلحقه أن قصر مع هذا المسكين من العتاب واللوم ، واحتجاج عليه بالقرآن ، والزام له بالقبول والالتيان ، وهذا تهجم عظيم ، وتجاسر شديد ، لا يقدم عليه عامة المؤمنين ، فكيف بمن يزعم انه خاصة العارفين .

الفصل الثاني

في بيان حرمة مخاطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - بمثل هذا الخطاب

قد اشتمل صدر هذا الكلام على نفي قبول العذر من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وذلك يستلزم أن له عليه حقا ان وقع فيه تقصير احتيج معه الى العذر ثم لا يقبل منه . وعلى انه يرفع به دعوى لينظر في أمره ، وهذه التهجمات القبيحة التي لا تصدر من العبيد الى السادة ، هي لا شك أقوى في سوء الأدب من مجرد رفع الصوت الذي نهى الله تعالى عنه وجعله سببا في حبوط الاعمال فتكون قطعاً أحق بالمنع والتحريم ، وما أشبه طلب هذا الرجل القبول والالتيان بهذا الخطاب المزعج الغليظ بأولئك الذين نادوه من وراء الحجرات ولم يصبروا حتى يخرج اليهم ، بل هو أشد ، لأن القوم كانوا حديثي عهد بجاهلية لم يخالطوا المسلمين ولا تأدبوا بأداب الاسلام . وهذا يدعي منزلة الاولياء والصالحين ، ثم يأتي بما لا يصدر من العامة الجاهلين فيآليته تأدب في الخطاب ، ووقف ذليلا على الأعتاب ، فيكون في اسلامه وأدبه ، خير شفيح لوصل سببه ، لكن الفرور والغفلة ، أعظم أسباب المحنة ، عياداً بالله ، وأما آخر كلامه فقد اشتمل على طامة عظيى وجرأة كبرى بتعريضه للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في سورة عبس على ما تقدم بيانه في آخر الفصل الاول ، وهذا في سوء الأدب ادخل ، وفي الحرمة أشد ، لان صاحبه قد اعتقد تقصيراً

من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ليم عليه فعرض له هو به ،
وخوفه من أن يقصر معه مثل ذلك التقصير فيلام عليه مثل ذلك
اللوم . كبرت كلمة والله خرجت من في هذا المغرور المسكين ، ولا حول
ولا قوة الا بالله ولا توفيق الا به . فان قلت هذه قصة جاءت في
القرآن وخبر ذكره الله تعالى . قلنا فالجواب عن ذلك ما قاله الامام
الحافظ خزائن العلم وقطب المغرب أبو بكر بن العربي في سورة « ص »
من كتاب الاحكام . قال : للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده
ويستر ويفضح ويعفو ويأخذ ، وليس للعبد أن ينز في مولاه بما
يوجب عليه اللوم ، فكيف بما عليه في الأدب والحد ، وان الله تعالى
قد قال في كتابه لعباده في بر الوالدين : « وَلَا تَقْلُ لَهُمَا أَفْ »
فكيف بما زاد عليه ، فما ظنك بالأنبياء وحقهم أعظم ، وحرمتهم أكد ،
وأنتم تغمسون ألسنتكم في اعراضهم ، ولو قررتم في أنفسكم حرمتهم
لما ذكرتم قصتهم ، اه . وما بعد هذا البيان بيان ، وان هذا الكلام
لكاف وحده عند اللبيب المنصف في جواب ما تقدم من السؤال ،
ومن عقائد الايمان مما يجب علينا في حق الأنبياء والمرسلين - عليهم
الصلاة والسلام - ان لا نخطبهم بما خاطبهم الله تعالى به ولا نذكر
في كلامنا شيئاً مما عوتبوا عليه لا بالتلويح ولا بالتصريح الا بحكاية لفظ
القرآن والحديث ، وأما الله تعالى فانه يخاطبهم بما شاء ، لأنهم عباده
وصفوته من خلقه ، لهم من كمال المعرفة به ما ليس لغيرهم ، وله عليهم
من الفضل العظيم ما لا مطمع فيه لسواهم ، وأما نحن فموقفنا معهم
موقف العبيد مع السادة ، فيجب علينا معهم اعتقاد الحرمة ، واکبار
الجانب ، ولزوم الأدب ، في الأقوال والأفعال ، وجميع الاحوال ولا
يجوز لنا ونحن خدامهم واتباعهم أن نذكرهم أو نخطبهم بما خاطبهم
بهم ربهم ومالكهم ، فما أبعدنا والله عن ذلك المقام ، وقد ذكر هذه
العقيدة الامام الحافظ ابو بكر بن العربي في كتبه منها قوله في سورة

« الاحزاب » من كتاب الاحكام : وعهدنا اليكم عهدا لن تجدوا له ردا ، ان أحدا لا ينبغي أن يذكر نبيا الا بما ذكره الله لا يزيد على ذلك ، اه . وقال الامام الصوفي أبو عبد الله بن الحاج في كلامه على المواسم من كتاب المدخل : وقد قال علماءنا - رحمة الله عليهم - ان من قال عن نبي من الأنبياء في غير التلاوة والحديث انه عصي أو خالف فقد كفر نعوذ بالله من ذلك ، اه . ونقل هذا الكلام عنه الشيخ محمد الزرقاني في قسم الخصائص من شرحه للمواهب وسلمه : ولا يخفى ان حكم التعريض في هذا المقام حكم التصريح . فنعوذ بالله بالدين وتوقع في سوء الادب مع سيد المرسلين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الفصل الثالث

في ان هذا المقال لا يصدر من العارفين

اعلم ان السادة العارفين هم أرسخ الناس قدما في محبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعظيم حرمة ، ومراعاة شريف جانبه ، وتعزيزه وتوقيره وبره . تجد ذلك في صلواتهم عليه ، وفي ادعيتهم لله تعالى عند ذكره ، والتوسل به ، وفي مناجاتهم له عند الشوق اليه ، وفي تأليفهم عند الكلام في حقه . وهذه أشياء مروية عنهم ، معروفة منهم ، لا تحتاج الى شاهد ولا تخفى على طالب بل هم اكثر الناس ادبا مع شيوخهم ومرييهم ومريديهم ، بل هم آدب الناس من جميع الناس ، قال قائلهم : من لا أدب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له ، وكتبهم بهذا طافحة وسيرهم اصدق شاهد عليه فمعاذ الله ان يكون مرتكب ما تقدم مع الاصرار عليه من عامة عامتهم فضلا عن أن يكون ممن فوق ذلك اذ لا نشك ان ذلك الخطاب الغليظ الجافي لا يقوله المؤمن العامي الباقي على فطرة الايمان ، فضلا عن اهل الخصوصية

والعرفان ومن لا يراعي الادب في خطاب سيد المرسلين ، كيف يصلح ان يكون من العارفين المسلكين ، اذ من لا يؤدب نفسه كيف يؤدب غيره ، ومن لم يؤمن على آداب الخطاب كيف يؤمن على ما يدعيه من مقامات الكاملين . قال ابو يزيد البسطامي - رحمه الله تعالى - لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد ، فمضينا اليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة ، فانصرف أبو زيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه . اه فانظر يا اخي رحمك الله بانصاف الى هذا العارف الكبير كيف وزن الرجل بميزان الشرع فطرحة لاخلاله بادب واحد من الاداب - فكيف بنا لا نطرح هذا المتهجم على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقبيح التعريض وسوء الخطاب . قال ابو اسحاق الشاطبي في كتاب الاعتصام أثر كلام أبي يزيد المتقدم : هذا أصل ، أصله أبو يزيد - رحمه الله تعالى - للقوم ، وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة وان كان ذلك جهلا منه (1) فما ظنك به إذ كان عاملا بالبدعة كما حاشا اه ونقول : فما ظنك به اذا كان يتهجم على الحضرة النبوية بمثل ذلك الخطاب الذي لا نظير له في كلام صغار المنتسبين ، وعامة المداحين الجاهلين فضلا عن كلام العارفين ؟ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في شرحه لكتاب الطريقة المحمدية ، عند كلام أبي يزيد المتقدم : ان الله - تعالى - لا يؤمن على اسراره وانواره الا من امنه اولا على الاخلاق المرضية ، والأدب المحمدية ، - الله اعلم حيث يجعل رسالته - والحكمة وضع الشيء في موضعه ، وهي ملازمة لأفعال الله - تعالى - لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى البتة ، وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال في المنتهك

(1) يعني أن الولي من لا يكون للشرع عليه اعتراض .

للحرمة والتارك للاداب ، بل الحكومة تقتضي عقابه لاثوابه او العفو عنه لا المدح منه اه فلا نشك بعد هذا في بطلان دعواه الواسعة المضادة لتهجمه واصراره على سوء الادب مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا دليل على حال المرء مثل كلامه ولا اصدق على قلبه من ترجمان لسانه (١) .

الفصل الرابع

في بطلان عنده بعجمة السن المحيين

اعلموا ان خير هذه الامة هم احبها في نبيها وهم اهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان المعصوم وعلى قدر حبهم فيه كان تعظيمهم له وادبهم معه .

لما نزل قوله تعالى : « لا تَرْفَعُوا أَسْوَآتِكُمْ ۝ ۰۰۰ » الآية ، قال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - : والله لا أكلمك بعدها الا كأخي السرار وصار عمر - رضي الله تعالى عنه - لا يسمعه حتى يستفهمه ولزم ثابت بن قيس - رضي الله تعالى عنه - بيته وكان جهير الصوت مخافة أن يحبط عمله حتى اعتذر للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فعذره وبشره بالجنة فأنزل فيهم وفي أمثالهم : « إِنَّ السَّذِينَ يَغْضُضُونَ أَسْوَآتَهُمْ ۝ ۰۰۰ » الآية . هؤلاء هم الحجة على الخلق وهم الذين لا يبلغ من جاء بعدهم مد أحدهم ولا نصيفه ، وهذا أدبهم وهم سادات المحيين ، وقد كانت ألسنتهم - والله - فصيحة في العلم والآداب ، منزهة عن كل ما يعاب ، فما بال هذا المسكين يركب ذلك المركب الصعب ويخرق سياج الأدب ، ويعتذر بعجمة ألسن أهل الحب ، كلا والله ، لقد تجاسر على أهل المحبة الحقيقيين واقترى عليهم ، وادعى عليهم ما ليس فيهم ثم لا يجد ابدا نظيرا لكلامه

(١) ما فيك يظهر على فيك وكل اناء بالذي فيه برشح

عند واحد منهم ، وان اقتدى ببعض المعرورين المتعجرفين ممن لم نعلمهم حتى الان فالحجة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وشيوخ الطريقة المتقدمين قاطعة به وبأمثاله أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

في نصيحة نافعة ووصية جامعة

اعلموا جعلكم الله من وعاء العلم ، ورزقكم حلاوة الادراك والفهم ، وجعلكم بعزة الاتباع ، وجنبكم ذلة الابتداع ، ان الواجب على كل مسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقدا يتشربه قلبه وتسكن له نفسه ؛ وينشرح له صدره ، ويلهج به لسانه ، وتبني عليه أعماله ، ان دين الله تعالى من عقائد الايمان ، وقواعد الاسلام ، وطرائق الاحسان انما هو في القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين واتباع التابعين وان كل ما خرج عن هذه الاصول ولم يحظ لديها بالقبول - قولاً كان أو عملاً أو عقداً أو احتمالاً فانه باطل من اصله - مردود على صاحبه - كائناً من كان في كل زمان ومكان - فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا ان شاء الله تعالى ، فقد تضافرت عليها الادلة - من الكتاب والسنة - واقوال اساطين الملة - من علماء الأمصار - وأئمة الاقطار - وشيوخ الزهد الأخيار - وهي لعمر الحق لا يقبلها الا اهل الدين والايمان - ولا يردها الا اهل الزيغ والبهتان ، والله أسأل التوفيق لي ولكم ولجميع المسلمين والخاتمة الحسنة والمنزلة الكريمة في يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين . قال مؤلفه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه : فرغت من تحريره بين عشية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من ذي الحجة الحرام عام ١٣٤٠ (١) .

(١) رسالة : جواب سؤال عن سوء مقال ص ١ - ٢٠ .
المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة (دون تاريخ) .

التقاريف

نشبتها هنا على حسب ورودها في التاريخ

تقريف محمد النخلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، أما بعد :
فاني اطلعت على الرسالة التي حررها الفاضل العالم ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس احد المتطوعين بجامعة الزيتونة (عمره الله) جوابا عن سؤال في حق من خاطب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خطاب جفاء وغلظة فوجدتها رسالة حافلة بالنصوص الصحيحة المطابقة لما سئل عنه مطابقة العام لبعض افراده ايده الله بروح منه واعانه على القيام بوظيفة الارشاد في تلك البلاد المتعطشة لكثير من نظرائه الناسجين على منواله .

ولنا مقالة فيما وقفنا عليه من تأليف هذا الرجل الذي ظهر بتلك الناحية والله المسؤول ان يجعلنا من الفرقة الناجية وكتبه فقير ربه محمد النخلي خادم العلم الشريف لطف الله به في ٥ صفر الخير عام ١٣٣٤ هـ .

تقريف بلحسن النجار :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين هذا وقد وقفت على الجواب الذي حرره العلامة الفاضل السري الكامل ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس في شأن الايات التي سئل عنها فاذا هو لباب الحق الذي لا يرهقه نزاع وما على الشمس غطاء ولا على الصبح قناع كثر الله من أمثاله في

العلماء العاملين وألهم ذلك المتعجرف رشده كي يستين سبيل المهتدين والى الله المشتكى من اناس يتكبون الواضحة السحاء ويتبعون بنيات الطريق ويتطرفون في مجاهل السبل بغير علم ويتدهورون في مهواة الضلال . فان اولئك من الذين غيرهم الله بقوله : « قتل هَلْ نَسَبِكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » والله المسؤول أن يوفقنا لصالح الاعمال حرره فقير ربه بلحسن النجار في ٦ ربيع الانوار سنة ١٣٤١ هـ .

تقريظ محمد الطاهر بن عاشور :

الحمد لله مؤيد الحق بالحجج الساطعة . ومزهق روح الباطل بالصوارم القاطعة . والمضيء بشمس العلم مهامه الجهالة الشاسعة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالدعوة النافعة ، والواجب تعظيمه على كل من آمن به وتابعه ، وعلى آله وصحبه وكل من زاد صاحب بدعة ودافعه ، أما بعد فاني طالمت هاته الرسالة الحافلة التي ألّفها العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ، وقريع التحرير والاجادة ابنا الذي افتخر بينوته الينا ، واتمثل فيها بقول الساعة : « ... ولا هو بالابناء يشرينا » الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس في تقويم من جراه جهله على خطاب الحضرة النبوية ، بما تجاوز حدود الآداب الدينية وأخطأ الباب الذي رام التطفل عليه من ابواب الصوفية ، فوجدتها رسالة قد اودعها مؤلفها صريح الحق ومحضه ، وأكثر فيها من المعاني ما أوجز لفظه ، أكثر الله امثاله في المسلمين ، من العلماء المرشدين ، وكتب في ١٧ صفر سنة ١٣٤١ هـ محمد الطاهر بن عاشور قاضي تونس لطف الله به .

تقريظ محمد الصادق النيفر :

الحمد لله ملهم الحق من اجتنابه من المرشدين ، ومدحض الباطل بهديه المستين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد روح

العالمين ، ومحور دائرة عباد الله المخلصين ، وباب الله الموصل لجميع السالكين القائل : لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ، اما بعد ، وفي كل حي بنو سعد فقد اتحفني الابن الروحي ، والاخ النصوحى ، العلامة المدقق ، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق ، عمدة المغرب الاوسط والصاعقة على الدجاجة الطراريس ، الاستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس ، اتحفه الله بكل فضيلة ، وأزاح بعلومه وتحريراته كل رذيلة ، بالاطلاع على هاته الرسالة الحافلة التي هي بتحقيق جواب ذلك السؤال الكافلة ، ولا يخامر عقل مسلم فضلا عن عالم أو سالك أن ينال قيد انملة من ولاية أو سعادة ، دون ترام على الاعتاب النبوية ، وتفان بادب في حب الطلعة المحمدية، ولكنها الاهواء اعمت ، وتفنن في الاراجيف والتدجيل اصمت ، اهكذا تكون الشطحات ان كان لك ذوق يا صاحب الايات البارادات ، واما انا وان كنت لست مطلعاً على حالك ولا ما انت فيه ، ولكن كلام الشخص عنوان على ما انطوى عليه فارجع لرشدك وافق من حال سكرك ، واسلك طريق سادات مضوا ، واقبل نصيحة الشيخ عبد الحميد ، فما بالك والله عنها مجيد ، وأنت أيها المجيب كثر الله من نصراء الحق أمثالك ، وأحسن عقبي حالنا وحالك بحوله وطوله لا رب غيره .

حرره : خادم العلم محمد الصادق النيفر في اشرف الربيعين سنة

١٣٤١ هـ

تقريف معاوية التميمي

أطلعت رعاك الله أيها الأخ الغيور على ما أسأله يراكم ، ذاتدا عن الملة الحنيفية ، وعلى ما نسجتكم الصائبة العبقرية ، في الرد على من وجه الخطاب للطلعة المحمدية ، بتلك الايات ، وما حوته من الترهات ، فتعتصم به سبحانه من الوقوع في الزلات ، فوجدته من

العمل المبرور ، والصنيع المشكور •

ناهيك به من صنيع يذب عن حمى المصطفى ، ويزيد الذين اهتموا هدى ، فله أنت من عالم نحرير ، ومحام خير ، ولكن عذيري يا أخي من اهل هذا الزمان فانه ما جرأ هؤلاء الناس على التفوه بمثل هذه الاباطيل بكل قحة ودعارة الا رؤيتك السواد الاعظم من الامة الاسلامية المسكينة في اقياد تام لهم - واظنها دسيسة قديمة تمكنت حلقاتها - يتحرون خطاهم ، ويرون رضا الخالق مقرونا برضاهم فيزيدون في الاستغراق ، ويخلقون من ضروب الدجل والنفاق ، ما تهتز له السبع الطباق •

وبقدر اقيادهم لهؤلاء القوم تراهم يتعدون من اولى العلم ابتعاد السليم من ذي العاهة او الخطيب من الفهامة ويستنهض بعضهم بعضا في الابتعاد وزد على ذلك ما استنفحل من الداء الدفين في اهل العلم من الولوع بالتشاكس وهو الانتقاد ، في كل عمل ما كانت صبغته • وبهذا ومثله تسنى لأولئك الانتصار وراجت بضاعة القوم •

فقلت ادعوك للجلى لتصنري وأنت تخذلني في الحادث الجلل
كتبه معاوية التميمي تحريرا في ربيع الثاني عام ١٣٤١ هـ •

تقرير شعيب بن علي بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، الحمد لله على جميل التوفيق والشكر لله على الهداية لأقوم طريق والصلاة والسلام على أشرف من وحده وعنده القائل من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وعلى آله واصحابه اولي العناية بدين الله وتابعيهم من العلماء العاملين وكمال العارفين المؤيدين بتأييد الله أما بعد : فقد اطلعني الجهد الامام وأحد الأئمة

الاعلام المحرر المجيد ذو الخلق السني الحميد أنيس كل جليس الشيخ سيدي الحاج عبد الحميد بن باديس على ما علقه على آيات من خاطب - النبي صلى عليه وآله وسلم بقوله :

ان مت بالشوق منكذ ما عذر ينجيك
فألفيته الحق الذي فيه لا يستراب ، والمنهج الأقوم الذي لا شك فيه ولا ارتياب فحمدت الله على ان وفقه لذلك وارشده لسلوك تلك المسالك فانه مشي على اصول سليمة وقواعد مستقيمة يجب الرجوع اليها والاعتماد عليها فمن حاد عنها ضل وهلك وخرج عن نهج السلف الصالح ، وغير سييلهم سلك ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا ووقاه والمحبين وانصار الدين سوء وضيرا بحرمة اكمل المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلوات وازكى التسليمات الى يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين •

عبد ربه شعيب بن علي بن عبد الله وفقه الله

تقريف محمد المولود بن الموهوب :

الحمد لله الذي جعل الادب الصادق مع سيدنا المصطفى دليلا على الحب - وجعل حبه الكامل علامة على رسوخ الايمان والقرب - والصلاة والسلام التامان عليه كما يليق به من الله - ما تلي ويتلى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وعلى آله وأصحابه الذين حازوا به عظيم الجاه - أما بعد فقد اطلعني الأخ في الله العلامة فرع الكمال وزبدة الاصول ذو الانس والتأنيس السيد عبد الحميد ابن باديس على جوابه الشافي ونقله الصافي وكيله الوافي بل ونعم الحسام الكافي لقطع رقبة ذلك الذي قاده الخناس بزمام الوسواس حتى نطق بتلك العبارة المحزنة الدالة على انه ذو افلاس - وزين له ان اقبال الجهال عليه لا يكمل الا بتلك الجسارة العظمى على الجناب

الاحمى - وافضل المخلوقات قدما - فوجدته سلسيلا معين - كالعسل
المصفى للعلماء العاملين - من بحر شريعة الامين يجري - فله در
الباديسي المؤيد بما قاله الكمل كالامام الاخضري :

وقال بعض السادة الصوفية	مقالة جليلة صافية
اذا رأيت رجلا يطير	أو فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع	فانه مستدرج وبدعي
واعلم بان الخارق الروحاني	لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الافك والصواب	يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الامور كلها	وشاهد بفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بدا	وانفجرت منه ينابيع الهدى
وقال بعض أولياء الله	السالكين لطريق الله
من ادعى مراتب الجمال	ولم يقم بأدب الجلال
فارفضه انه الفتى الدجال	ليس له التحقيق والكمال
ومن تحلى بحلى الممالي	ولحدود الله لم ييال
فقر منه انه شيطان	مخادع ملبس خوان

قال البهيتي في مناقب الشافعي - رضي الله عنه - المحدثات
ضربان : ما أحدث مخالفاً كتاباً أو سنة أو أثراً أو اجماعاً فهذه بدعة
الضلالة . وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهذه محدثة
غير مذمومة ، وقال الاستاذ البكري - رضي الله عنه - في الوصية
الجليلة : ان أهل الطريق يجب عليهم أن لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع
عليهم فان من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية
فالشريعة أصل والحقيقة فرعها فمن لم يحكم الاصل لا ينتفع بالفرع ، اه
قال سيدي عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنه - : كل حقيقة ردت
شريعة فهي زندقة وكل ظاهر يخالف باطنا فهو باطل ، اه . وقال

سيدي ابراهيم الدسوقي - رضي الله عنه - : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيه ما ليس في الكتاب والسنة فليس هو منا ولا من اخواتنا ونحن بريئون منه في الدنيا والآخرة ولو اتسبب الينا بدعواه ، اه . وقال أبو زيد - رضي الله عنه - : لو ان رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي ، اه . وفي مناهج السعادات : قيل للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - متى أكون مؤمناً ، وفي لفظ آخر : مؤمناً صادقاً ، قال : اذا أحببت الله . قيل : ومتى أحب الله ، قال : اذا أحببت رسوله ، فقيل : ومتى أحب رسوله ، قال : اذا اتبعت طريقته واستعملت سنته وأحببت بحبه وأبغضت ببغضه وواليت بولايته وعاديت بعداوته . وقال سهل التستري : عليكم بالاعتداء بالأثر والسنة فاني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر انسان النبي - صلى الله عليه وسلم - في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه ، اه . فأين هذا مما نحن فيه من اساءة الادب مع سيد الكائنات اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، فبشراك يا أيها الباديسي لقد أسعدك الله بالدفاع عن حرمة الرسول كسيدنا حسان بن ثابت وغيره من الفحول ، وبعداً لمن تشبه بالسالكين كذباً وما قرع الباب بيد ادا ب مع سيد الأحباب .

هيهات أن تدرك المنى بشقشقة طورا اليك وطورا طوع تلقين
ان السيوف سيوف الله قاطعة والمصطفى حبه فرض من الدين
الا اتندوا عرف المركوب معتبر لدى السباق حفائر الميادين

نسأله تعالى أن يحفظنا من دسائس الدجالين في حصن سنة سيد المرسلين صلى الله عليهم أجمعين آمين ، حرره الفقير الى رحمة علام الغيوب محمد المولود بن الموهوب المفتي المالكي والمدرس بقسنطينة في الخامس عشر من شعبان ١٣٤١

تقريظ العابد بن احمد بن سودة :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد فقد طالعت السؤال والجواب فنعم الجواب وبئس السؤال لان التعظيم والمحبة الكاملة كلها في اتباع سنة مولانا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ » وقال - صلى الله عليه وآله وسلم : **تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .** ولما طالعت رسالة الشيخ الامام فخر الأقران رئيس علماء قسنطينة العلامة الجامع مولانا السيد عبد الحميد بن باديس القسنطيني ألفيتها البحر الزاخر ، وتقولها كالانجم الزواهر ، والله يديم حفظه وارتقائه .
وعليه يوافق عبد ربه سبحانه العابد بن أحمد بن سودة القرشي لطف الله به .

تقريظ محمد بن العربي :

حمدا لمن جعل الحق مع أهل التحقيق ، ومن على من شاء بالتوفيق والصلاة والسلام على سيد الانبياء والرسل والملائكة ، القائل **تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هلك** ، وعلى آله وأصحابه الاعلام ، ما قال قائل ربي الله ثم استقام ، أما بعد فالذي أدين الله به وأعتقده هو ما سطره سيدنا العلامة المشارك الدر النقيس السيد عبد الحميد بن باديس لانه مؤسس المبني صحيح اللفظ والمعنى لم يبق فيه قول لقائل ، ولا تشوف لمراجعة مجيب أو سائل .
وعليه يوافق عبد ربه محمد بن العربي لطف الله به .

تقريظ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر :

حمدا لمن جعل البيان سحرا ، ورفع بالفصاحة أقواما فكان لهم

بين الناس قدرا ، نحمده سبحانه على ان ارسل الينا رسله تترا ونصلي
على سيدنا محمد بحر البحور الزواجر ، وعلى آله وأصحابه وعترته
وحزبه أهل النصوص^(١) الزاوجر - أما بعد - فقد اوقفني خلنا
الحميم الصادق الخل الموافق المنور العالم جميل الاخلاق والاوصاف
سيدي عبد الحق بن وطاف ، على رسالة الشيخ الامام الهمام عالم
الديار القسنطينية الايوان النفيس ، السيد عبد الحميد بن باديس
فالفيتها فريدة في بابها جمعت النقول الصحيحة والاستدلالات اللطيفة :

العلم قال الله قال رسوله قال الأئمة ذوو العرفان
فما العلم الا الكتاب والسنة لا الشطحات الكاذبة والادعاءات
الفاسدة :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاء
فما لنا الا اتباع سنة مولانا الرسول ومن خالف سنة مولانا الرسول
فالسيف مسلول (فما لنا الا اتباع احدا) وغاية المقول فيها :

ذي المعالي فليعلون من تعالي هكذا هكذا وإلا فلا
ولما فاح مسك الختام قلت بلفظ قريب شامل من بحر مجزوء الكامل:

جاءت الي رسالة	عني بها الكدر اتفا
جمعت امورا جمة	قلبي اليها قد هفا
ألناظها درية	سمعي بها قد شنفا
ولها معان أصبحت	بالفعل تحكي القرقفا
من قاسها بالبدر و	شمس الضحى ما انصفا
شكرا لحضرة سيدي	عبد الحميد المقتفا

(١) هذا اقرب ما ظهر من محو .

علامة الدنيا الذي أضحي شريفا مشرفا
وله على الشكر فر ض عنه لن اتخلفا

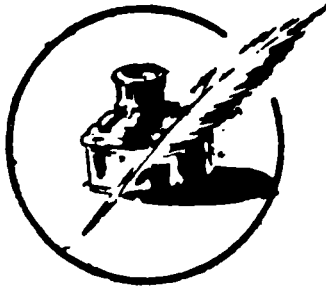
قاله وكتبه خديم الحديث الاستاذ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر
السودي القرشي الله وليه ومولاه ، حرره بفاس حامدا ومصليا .

المفرضون ، أسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم :

- ١ - العلامة النظار الفكر المستقل زعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة
الشيخ محمد النخلي رحمه الله .
- ٢ - العلامة الاصولي البحاث الجامع الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي
حفظه الله .
- ٣ - العلامة المحقق الفواص النقاد الشيخ الطاهر بن عاشور عميد
مجلس الشورى المالكي بتونس وقاضي الجماعة بها سابقا حفظه الله .
- ٤ - العلامة المحقق الفقيه النوازي المتفنن الشيخ الصادق النيفر قاضي
الجماعة بتونس حفظه الله .
- ٥ - العلامة المشارك الاديب البارع الشيخ معاوية التميمي المدرس
بالزيتونة حفظه الله .
- ٦ - العلامة الفقيه المشارك الشيخ شعيب بن عبد الله القاضي سابقا
بتلمسان والمتقاعد الآن حفظه الله .
- ٧ - العلامة المتفنن الالمعي الفكر الشيخ المولود بن الموهوب المفتي المالكي
بقسنطينة والمدرس بمدرستها حفظه الله .
- ٨ - العلامة الكبير المؤلف الشيخ العابد بن احمد بن سودة القرشي
خطيب المسجد الادريسي بفاس وقاضي الجديدة سابقا حفظه الله .
- ٩ - العلامة المشارك الشيخ محمد العربي المدرس بالقرويين حفظه الله .
- ١٠ - العلامة المحدث المسند الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن
عبد القادر السودي القرشي المدرس بالقرويين بفاس حفظه الله .

تبيان :

هذه الأبيات المسئول عنها لم تزل الى اليوم في ديوان ناطقها شيخ
الطريقة العليوية بين أتباعه بعلمه ورضاه وتقريره مع ما فيه مما هو
مثلها أو أشد في معاني أخرى • والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم (١) •



آثار ابن باديس

قسم التربية والتعليم

أيها المسلم الجزائري

هاك وصايا نافعة مختصرة على وجه الاجمال ، وسنعيدها عليك
مختصرة على وجه التفصيل •

هاك آداباً تقتضيها انسانيتك ويفرضها عليك دينك وتستدعيها
مصلحتك في هاته الحياة •

هاك ما أن تمسكت به كنت انسان المدنية ورجل السياسة وسيداً
حقيقياً يرمق من كل أحد بعين الاحترام والتعظيم •

حافظ على صحتك فهي أساس سعادتك وشرط قيامك بالأعمال
النافعة لنفسك ولغيرك ، تجنب العفونة فانها مصدر جرائم الأمراض
ومثار نفور وبنغض لطلعتك ، ومجلبة سباً لجنسك ولدينك الشريف
البريء منك في مثل هذه الحال •

نظف بدنك ، نظف ثوبك ، تبعث الخفة والنشاط في نفسك ، وتبلى
في عين غيرك وتجلبه الى الاستئناس بمعاشرتك •

قه أهللك وولدك ومن الى رعايتك مما تقي منه نفسك ، وسيرهم
على نظام صحي وقانون أدبي تكفل سعادة وهناء عائلتك ورخاء
عيشك ، وهدوء بالك •

حافظ على عقلك فهور النور الالهي الذي منحته لتهتدي به الى
طريق السعادة في حياتك •

فاحذر كل (متعيلم) يزهلك في علم من العلوم ، فان العلوم كلها
أثمرتها العقول لخدمة الانسانية ودعا اليها القرآن بالآيات الصريحة ،

أيها المسلم الجزائري

وخدم علماء الإسلام بالتحسين والاستنباط ما عرف منها في عهد
مدنيتهم الشرقية والغربية حتى اعترف باستاذيتهم علماء أوروبا اليوم .
واحذر كل (مترببط) يريد أن يقف بينك وبين ربك وسيطر
على عقلك وقلبك وجسمك ومالك بقوة ، يزعم التصرف بها في
الكون ، فربك يقول لك اذا سألت عنه : « فإِتِّي قَرِيبٌ » الآية .
ويقول لك : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَلَمْرُ » وان الأولياء الصالحين
بعيدون ، عن كل تظاهر ودعوى متحلون بالزهد والتواضع والتقوى ،
يعرفهم المؤمن بنور الايمان وبهذا الميزان .

واحذر من دجال يتاجر بالرقي والطلاسم . ويتخذ آيات القرآن
وأسماء الرحماء هزوءاً يستعملونها في التمويه والتضليل و (القيادة)
و (التفريق) ويرفقونها بعقاير سمية فيهلكون العقول والأبدان .

حافظ على مالك فهو قوام أعمالك ، فاسلك كل سبيل مشروع
لتحصيله وتنميته ، واطرق كل باب خيري لبذله .

فاحذر بالوعة المضاربات الربوبية في معاملاتك ومن مسارب السرف
في جميع ملذاتك اذا كانت من المباحثات ، دع ما اذا كانت من المحرمات .
حافظ على حياتك ، ولا حياة لك الا بحياة قومك ووطنك ودينك
ولغتك وجميل عاداتك ، واذا أردت الحياة لهذا كله ، فكن ابن وقتك
تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق
المعاشرة والتعامل .

كن عصرياً في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي
فلاحتك وفي تمدنك ورقيك . كن صادقاً في معاملاتك بقولك وفعلك .
احذر من الخيانة ! الخيانة المادية في النفوس والأعراض والأموال ،
والخيانة الأدبية ببيع الذمة والشرف والضمير .

احذر من التوحش فان التوحش في عصر المدنية محكوم عليه طبيعيا بالتناقض ثم الفناء والاضمحلال والاندثار ، كما فنيت جميع الأمم المتباعدة عن التمدن والرقي •

احذر من التعصب الجنسي الممقوت فانه أكبر علامة من علامات الهمجية والانحطاط • كن أخا انسانيا لكل جنس من أجناس البشر وخصوصاً ابن جلدتك المتجنس بجنسية أخرى ، فهو أخوك في الدم الأصلي ، على كل حال كن محسنا لكل أحد من كل جنس ودين فدينك الشريف يأمرك بالاحسان •

حافظ على مبادئك السياسية ولا سياسة لك الا سياسة الارتباط بفرنسا^(١) والقيام بالواجبات اللازمة لجميع ابنائها والسعي لنيل جميع حقوقهم فتمسك بفراسة العدالة والاخوة والمساواة فان مستقبلك مرتبط بها •

ثق بأن سياسة الصدق والصراحة والاخلاص المرتكزة على الحب والعمل والتعاون ، لا بد أن تظهرك أمام العالم بمظهرك الحقيقي رغم كل الغيوم التي ينشرها حولك خصومك ومنافسوك فتعطيك حينئذ فرنسا جميع الحقوق كما قت لها بجميع الواجبات وتحيا حياة طيبة كجميع أبناء العالم العاملين المخلصين^(٢) •

عبد الحميد بن باديس

(١) هذه تقيية من ابن باديس لانه يؤمن بان الشعب الجزائري سيستقل عن فرنسا متى حان الوقت ، وقد حان وتحقق •

(٢) الشهاب عدد ٤٩ السنة الثالثة ١٥ صفر ١٣٤٥ هـ - ٢٣ اوت ١٩٢٦ م ، وذلك قبل أن يتحول الى مجلة ابتداء من سنة ١٩٢٩ م •

اصلاح التعليم بجامع الزيتونة ، عمره الله

قد علمنا أن اخواتنا الزيتونيين طالبوا بالاصلاح منذ زمان ، وسمعنا ان حكومة سمو الباي أجابت طلبهم وألفت لجنة لوضع مناهج الاصلاح المطلوب . ثم انقطعت اخبار تلك اللجنة مدة ليست بالقصيرة حتى حسبناها قد أصابها ما أصاب تلك اللجنة التي ألفت بالعبدية لنشر الكتب القيمة ، مثل رحلة العبدري ، وشرعت في العمل بالتصحيح والمقابلة ، ثم قضي عليها بالموت فلم نسمع حسيبها الى اليوم . ثم عادت المطالبة بالاصلاح على ألسنة الصحف ، وعاد الاعلان من طرف الادارة ان اللجنة ما زالت حية وأنها جادة في عملها وما عليكم الا الانتظار . واتصل الحديث على الاصلاح في الصحافة وقامت المناقشات الحادة بين الكتاب في وجوهه الى أن بلغت الى حد غير محمود ، وكانت تلك المناقشات في الخارج كالصدي لما قام من الخلاف بين أعضاء اللجنة في الداخل ، وقد أدت - ويا للمصاب - الى صدع الوحدة الصحافية التونسية كما أدت الى صدع بناء اللجنة الموقرة . فأصبنا بمصيبتين اثنتين ولما نصل الى النتيجة ، فاما البلاء فكان معجلا واما الاصلاح المطلوب فحظنا منه الانتظار ، وليت شعري متى ينتهي هذا الانتظار ؟ ومتى يبلغ البنيان يوما تماما اذا كنت تبنيه و (غيرك) يهدم . فكيف اذا كنت أنت تهدمه أيضا ؟ فما أعظم أسفنا - معشر الزيتونيين - مما آلت اليه الحال ، وما أشد ألمانا من هذا التأخير والانتظار .

ثم لنا كلمة في بعض وجوه الاصلاح رأينا من واجبنا أن نقولها : ان جامع الزيتونة كلية دينية فلا يكون اصلاح التعليم فيه الا على مراعاة هذا الوصف الذي هو أساسه وغايته ، والرجال الذين يتخرجون

من هذا الجامع يقومون بخطط كلها دينية وهم أصناف ثلاثة : رجال القضاء والفتوى ورجال الإمامة والخطابة ورجال التعليم ، ولكل خطة من هذه الخطط وسائل خاصة لتحصيل الكفاءة فيها والاضطلاع بها ، ان من المعلوم أن ما يحتاج اليه القاضي والمفتي من سعة الاطلاع على الاحكام وتام الخبرة بتطبيقها على النوازل غير ما يحتاج اليه الامام الخطيب من المقدرة على انشاء الخطب وحسن المعالجة بها لأمرض وقتها وقوة التأثير بها على سامعيها المعالجين بها وغير ما يحتاج اليه المعلم من معرفة أساليب التفهيم ، وفهم نفسية المتعلمين وحسن التنزل لهم والأخذ بفهامهم الي حيث يريد بهم ، حسب درجتهم واستعدادهم .
فلهذا نرى أن أول عمل في الإصلاح هو تقسيم التعليم في الجامع الي قسمين : قسم المشاركة وقسم التخصص .

فأما في قسم المشاركة فيتساوى فيه المتعلمون في المعلومات على طبقاتهم ويحصل الفائزون في الامتحان بعد تمام مدة التعلم التي لا تقل عن ثماني سنوات على شهادة عالم مشارك بدلا من لفظة (متطوع) فانه لفظ مات معناه وذهبت قيمته بذهاب الوقت الذي وضع فيه والمناسبة التي اقتضته .

وأما قسم التخصص فيفرع الي ثلاثة فروع : فرع للتخصص في القضاء والافتاء وفرع للتخصص في الخطابة وفرع للتخصص في التعليم . وبعد تمام المدة التي لا تقل عن أربع سنوات في فرع القضاء والافتاء ، وعن سنتين في فرعي الخطابة والتعليم ، ينال الفائزون في الامتحان شهادة التخصص بالعالمية فيما فازوا فيه .

ثم ان المتعلمين في قسم الاشتراك يكونون من الحائزين على شهادة التخصص في التعليم وكذلك المعلمون في فرع التخصص للتعليم وأما المعلمون في فرع القضاء والفتوى فلا بد ان يكون ممن تخصصوا

فيهما وتخصصوا في التعليم وكذلك المعلمون في فرع الخطابة .

هذا رأينا في مسألة التقسيم ، وأما مسألة الفنون وكيفية تعليمها فنرى أن يشتمل منهاج التعليم المشترك على اللغة والنحو والصرف والبيان ، بتطبيق قواعد هذه الفنون على الكلام الفصيح لتحصيل (١) ، وأما قراءتها بلا تطبيق — كما الجاري به العمل اليوم — فهو تضييع وتمطيل وقلة تحصيل ، وعلى تاريخ الأدب العربي وعلى تعلم الانشاء وعلى تعلم حسن الاداء في القراءة والقاء الكلام وعلى العقائد . ويجب أن تؤخذ هي وأدلتها من آيات القرآن فانها وافية بذلك كله ، واما اهمال آيات القرآن المشتتة على العقائد وأدلتها والذهاب مع تلك الأدلة الجافة فانه من استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير ، وعلى الفقه ويجب ان يقتصر فيه على تقرير المسائل دون تشعباتها ، ثم يترقى بهم الى ذكر بعض أدلتها ، وعلى أصول الفقه مسائل مجردة ، ثم يترقى الى تطبيقها على المسائل الفقهية لتحصل لهم من هذا ومن ذكر أدلة المسائل الفقهية كما تقدم ملكة النظر والاستدلال ، وعلى التفسير ويكون سرد تفسير الجلالين على المتعلم وهو يبين ما يحتاج للبيان . والمقصود من هذا أن يطلع المتعلم على التفسير بفهم المفردات وأصول المعاني بطريق الإجمال ، وعلى الحديث بقراءة الأربعين وغيرها سردا على الطريقة المتقدمة في التفسير . وعلى دروس في التربية الأخلاقية يعتمد فيها على آيات وأحاديث وآثار السلف الصالح . وعلى التاريخ الاسلامي على وجه الاختصار ، وعلى الحساب والجغرافية ، بأقسامها ، وعلى مبادئ الطبيعة والفلك والهندسة . واذا لم يكن في الشيوخ المصميين من يقوم ببعض هذه العلوم فلنأت بأمثل اخواننا المطربيين من تونس أو من مصر ان اقتضى الحال ذلك .

(١) كذا في الاصل وعلته : لتحصيل الملكة .

وأما فرع القضاء والفتوى من قسم التخصص فيتوسع لهم في فقه المذهب ثم في الفقه العام وتكون (بداية المجتهد) من الكتب التي يدرسونها ويدرسون آيات وأحاديث الأحكام ويدرسون علم التوثيق ويتوسعون في علم الفرائض والحساب ويطلعون على مدارك المذاهب حتى يكونوا فقهاء اسلاميين ينظرون الى الدنيا من مرآة الاسلام الواسعة لا من عين المذهب الضيقة .

وأما فرع الخطابة فيتوسم لهم في صناعة الانشاء والاطلاع على أنواع الخطب ويدرسون آيات المواعظ والآداب وأحاديثها ، ويتوسعون في السيرة النبوية ونشرة الدعوة الإسلامية ، ويمرنون على القاء الخطب الارتجالية .

وأما فرع التعليم فيتوسعون في العلوم التي يريدون التصدي لتعليمها مع تمرينهم على التعليم بالفعل ومدارستهم للكتب الموضوعة لفن التعليم .

هذه أصول ما نراه من كيفية الإصلاح بجامع الزيتونة المعمور . وهي وان لم تكن وافية بالتفصيل فانها كافية في مقام الاعمال ، ولعل اللجنة الموقرة تعيرها التفاتا فتزنها بميزان العدل والانصاف ، فمساها واجدة فيها بعض ما يفيد (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ١٠ ، م ٧ ، ص ٦٠١ - ٦٠٥
غرة جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ - اكتوبر ١٩٣١ م .

جمعية التربية والتعليم الاسلامية

في الشهر الماضي صدر الترخيص لهذه الجمعية والاعتراف بها من طرف الحكومة في الجريدة الرسمية فكانت أول جمعية في قسنطينة من نوعها . وقد كانت جمعية مكتب التعليم العربي حجر الأساس في تكوينها ومن أعضاء تلك الاقدمين ومن انضم اليهم تكون أعضاء هذه ، المؤسسون . ودونك اسماءهم فيما يلي :

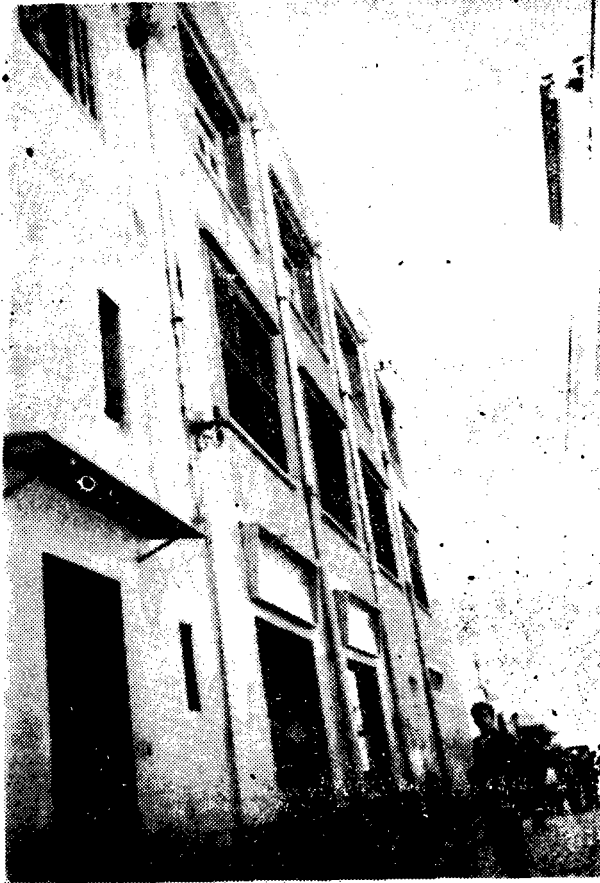
رئيس قديم	عبد الحميد بن باديس
نائبه	اسماعيل بن نعمون
أمين المال قديم	حسين بن شريف
نائبه	حسونة بن الحاج مصطفى
كاتب العربية قديم	محمد النجار
كاتب الفرنسية	الحاج ادريس
عضو قديم	عمر بن السعيد بن جيكو
عضو قديم	محمد بن زرتي
عضو	عبد الله بن البجاوي
عضو	حسين ماضوي

وغرض الجمعية مفهوم من اسمها وهاك من قانونها الاساسي الذي صادقت عليه الحكومة ، ما يشرحه لك بوضوح :

(المادة الثانية : مقصود الجمعية هو نشر الاخلاق الفاضلة ، والمعارف العربية الفرنسية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين .

آثار ابن باديس

المادة الثالثة : تسمى الجمعية لمقصدتها هذا ، أولا - بتأسيس مكتب للتعليم ، ثانيا - بتأسيس ملجأ لليتام ، ثالثا - بتأسيس ناد للمحاضرات ، رابعا - بتأسيس معمل للصنائع ، خامسا - بارسال التلامذة على نفقتها الى الكليات والمعامل الكبرى .



مدرسة التربية والتعليم الاسلامية

تأسست سنة ١٩٣٦ ، وكان اصلها دارا فاشترت بمبلغ (١٣٥٠٠٠) فرنك قديم وادخلت عليها اصلاحات ، فاصبحت مدرسة . وبعد الاستقلال ادخلت عليها اصلاحات ، واصبحت تشرف عليها وزارة التربية الوطنية الجزائرية . وهي واقعة بنهج عبد الحميد بن باديس رقم ١٧ بقسنطينة

جمعية التربية والتعليم الاسلامية

المادة الرابعة : بما ان مقصد الجمعية هو التربية والتعليم لا غير ، فانها تحرم على نفسها الخوض في المسائل السياسية ، والاختلافات الحزبية ، والمذهبية ، والشخصية ، بأي وجه من الوجوه) .

وأما مالية الجمعية فانها تتكون مما يدفعه الاعضاء المشتركون وهو فرنكان في الشهر ، ومن تبرعات المحسنين ، ومن الاعانات الحكومية ، ومن واجب تعليم التلامذة القادرين على الدفع .

يشاهد القارئ مما تقدم عظيم نفع ما تسعى الجمعية وعظيم مؤوته، ويرى بجانب ذلك تفاهة القسط الشهري المعين للاشتراك فلا يجد بينهما تناسباً ولكننا قصدنا بتقليل هذا القسط، أولاً - تيسير الاشتراك في الجمعية على جميع طبقات الامة حتى تكون مؤسسة عمومية بأنهم معنى الكلمة ، ثانياً - تعويد الناس على البذل والسخاء المنتظم مع اعتقاد بان القادرين على الاحسان لا يقفون عند ذلك المقدار الزهيد .

قد خرج قابض الجمعية ولاقى من الناس اقبالا وسرورا وحصل على قدر لا بأس به ، لكنه دون ما كنا نتوقعه ، فشكرنا الناس على كل حال لأنهم ما اعتادوا البذل المنظم من قبل وكنا على يقين من انهم سيكونون في المستقبل - باذن الله - أوسع في البذل وأعون على الخير .

للجمعية اليوم مكتبها المقام في بناية (الجمعية الخيرية الاسلامية) والتعليم فيه اليوم للبنين وقد عازمت الجمعية على فتح دروس بعد رمضان - ان شاء الله تعالى - لتعليم البنات فندعو اخواتنا المسلمين الى المبادرة ببنائهم وبناتهم الى المكتب فاما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم الا القادرون واما البنات فيتعلمن كلهن مجاناً لتتكون منهن - باذن الله - المرأة المسلمة المتعلمة .

أيها المسلمون : ها هو باب العلم والتقدم قد فتح أمامكم على

مصراعيه فادخلوه ، ها هم أفراد منكم تعرفونهم وتتقون بهم قد تقدموا لخدمتكم فأعينوهم فانهم - بعد عون الله تعالى - بكم ولكم ، وها هي الحكومة قد رخصت لجمعيتم هذه الشريفة المقصد العظيمة النفع ، ثقة منها بكم وبالرجال الذين تقدموا اليها منكم ورغبة منها في تقدمكم فبرهنوا لها على أهليتم لما منحتكم ، وتقديركم للمشاريع العظيمة فيكم بنهوضكم بجمعيتم حتى تصل الى غرضها السامي وتقوم اليه بجميع الوسائل التي ذكرتها في قانونها الاساسي .

وختاماً أتقدم بالشكر لسمو الوالي العام م. كارد ، وجناب كاتب الأمور الوطنية بالولايات العامة م. ميرانت وجناب م. كارل عامل عمالتنا المحبوب وحضرة م. تروسال الكاتب العام للامور الوطنية بدار العمالة، أولئك الرجال العظام الذين نالت الجمعية رخصتها من الحكومة الفخيمة على أيديهم فلهم وللحكومة شكرنا واعترافنا وحسن تقديرنا(١) .



(١) ش : ج ٢ ، م ٧ ، ص ١١٥ - ١١٧
غرة شوال ١٣٤٩ هـ - مارس ١٩٣١ م .

منع التعليم الديني بالمساجد

قرار من بريفي عمالة الجزائر في ذلك لعمالته
تاريخ القرار ، نتيجة السعي في رفعه ، رد اعتذار
السيد البريفي ، الاحتجاج على القرار

ليس هذا القرار الذي أثار الخواطر وكدر الصفو ابن هذه الأيام ، فقد كان بريفي عمالة الجزائر قدمه للسري الوجيه السيد محمد بن صيام رئيس الجمعية الدينية طالبا منه أن ينفذه بصفته رئيس الجمعية ليكون القرار من الجمعية ، عليه وزره ومسؤوليته ، فتوقف السيد ابن صيام في التنفيذ نحو شهر ، فأعيد عليه الطلب والالاح فأبت عليه ديانتة ، وهمته وتقديره للمواقب أن ينفذه فيعطل المساجد من ذكر الله ويحرم الناس من العلم والتربية الدينين ويكدر الخواطر ويمس سمعة فرنسا التي لا يرضى أن تمس . وكان من جوابه أن المساجد لم يقع فيها شيء من التشويش يوجب هذا القرار لكن البريفي أصر على اصدار قرار فأصدر وكان منه ما كان .

سعى جماعة من النواب والأعيان لدى الولاية العامة في رفع القرار . فردوا الى البريفي وكان جوابه لهم انه جاءه قوم آخرون فألحوا عليه باصدار القرار لثلا يقع تشويش في المساجد ولا يمكنه أن يرجحكم عليهم ولذلك هو يصر على قراره . وجاء كتاب من الوالي العام يقول للجماعة فيه ان الامر هو ما قاله البريفي وان لا فائدة من مقابلته .

كان الاستاذ العقبي يلقي دروسه الدينية بعدة مساجد ، ومنها

الجامع الجديد . وكان هذا نحو العامين ، وكان متحملا مسؤولية تلك الدروس أمام الادارة ، وما ذلك الا لعلمه ومشاهدته للهدوء والنظام والسكينة التي كانت - كما هي العادة في جميع المساجد دائما - تخيم على دروس الأستاذ العقبي ، ثم رغم المشاهدة والعيان ورغم تحمل السيد ابن صيام رئيس الجمعية الدينية بالمسؤولية يقول السيد البريفي : انه أصدر قراره دفعا للتشويش الذي خوفه من وقوعه بعض الناس . يا عجا يعرض عن الواقع المشاهد في المدة الطويلة الى التشويش المعدوم المزعوم ولا يعول على كلمة رجل عظيم بارز رئيس للجمعية التي ييدها أمر المساجد متحمل للمسؤولية وكلمة جماعة من النواب والأعيان يعملون للخير على وضح النهار ، ويعتمد على وشاية أفراد مجهولين يعملون للشر والغرض في دس وخفية .

انا نضم صوتنا الى صوت الصحافة العربية والفرنسية التي استنكرت هذا القرار وعدته تعديا على الحقوق الدينية العامة للمسلمين في المساجد ، غير قاطعين رجاءنا من البريفي نفسه ومن فوقه من السادة الحكام أن يعودوا للمسألة بالنظر السديد والحكم المنصف ، وتؤكد وصيتنا لآخواننا المسلمين بالهدوء والسكينة وترك الأمر يجري مجراه النظامي السليم .

ابطال الجمعية الدينية بالجزائر :

بلغنا انه صدر قرار بابطال الجمعية الدينية التي كان لها النظر في المساجد بعمالة الجزائر وهي التي يرأسها ابن صيام الذي امتنع من تنفيذ القرار . وفي اقتران الامور ببعضها ما يعني عن شرحها ووجوه ارتباطها (١) .

(١) ش : ج ٤ ، م ٩ ، ص ١٨٨ - ١٨٩
غرة ذي القعدة ١٣٥١ هـ - مارس ١٩٣٣ م .

بعد عشرين سنة في التعليم

نسال : هل عننا رخصة ؟ !

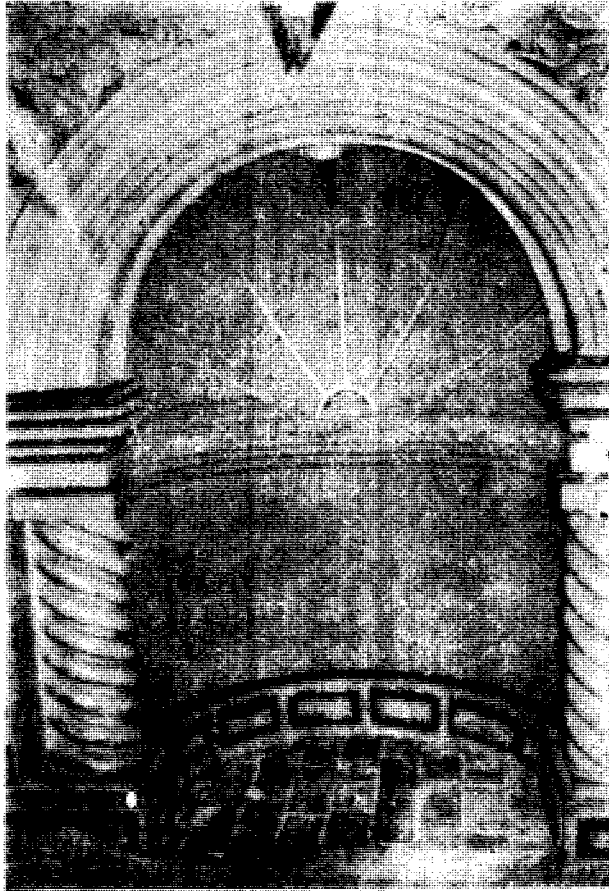
عشرون سنة مضت ونحن ننشر العلم بالجامع الاخضر وفي مسجد سيدي قموش ومسجد سيدي عبد المؤمن والطلبة يأتون من جميع نواحي القطر يتزودون من علوم الدين واللسان ويستعين المحاويج منهم على ذلك بشيء طفيف من الاعانة بالخيز مما يعطيه بعض الناس المحسنين من الزكاة .

ابتدأت القراءة بقسنطينية بدراسة الشفاء للقاضي عياض بالجامع الكبير حتى بدا لمفتي قسنطينة الشيخ ابن الموهوب ان يمنعنا فمنعنا .! فطلبنا الاذن من الحكومة بالتدريس في الجامع الاخضر فاذنت لنا وكان هذا الاذن على يد (م اريب) الكاتب العام للامور الوطنية بدار العمالة اذ ذاك .

مضت عشرون سنة ونحن نعلم في الجامع الاخضر الذي أسسه المرحوم حسين باي للصلاة والتسييح والتعليم . وكانه خشي ان يهمل فيه التعليم ويحرم المعلمون من حقهم في ريع حبه - فسجل ارادته بالتنصيص عليه فكتب بالحروف البارزة على واجهة بيت الصلاة مانصه:

(أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم وتشيد بنائه للصلاة والتسييح والتعليم ، ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأي أميرنا وسيدنا حسن باي أدام الله أيامه وكان تمام بنائه أواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة والف) .

مضت عشرون سنة والناس يشكرون الحكومة توظيفها مدرسا



محراب مسجد سيدي عبد المؤمن الاسفل

يقضي سحابة نهاره وشطرا من ليله في خدمة العلم الديني واللساني
ونشره فلنا منهم اتني أقتاضى مرتبا كسائر المتوظفين ولما لم ارزق من
الحكومة فلسا واحدا - والفضل لله - وما كنت الا مدرسا متطوعا
مكتفيا بالاذن لي في التعليم ذاكرا ذلك للناس عن الحكومة في
المناسبات بالجميل •

مضت عشرون سنة والسواح الاجانب يأتون للجامع الاخضر

بعد عشرين سنة في التعليم

يشهدون حلقات العلم ووفرة الطلاب فيعدون ذلك من عناية الحكومة
بالمساجد الاسلامية وتركها حرية التعليم للمسلمين •

وبعد هذه العشرين سنة في ذلك كله دعيت مساء الخميس الماضي
الى دار عامل العمالة ليعرفني (م) الكاتب العام بكتاب جاءه من
الولاية العامة سألوه فيه عن عبد الحميد بن باديس الذي يقرىء متطوعا



صورة مدخل مسجد سيدي عبد المؤمن وهذا المسجد علم فيه
الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله

بالجامع الاخضر بدون رخصة والقانون يمنع من التعليم بدون رخصة
فأجبنا باتنا ما قرأنا الا برخصة من الحكومة بواسطة م. اريب منذ
عشرين سنة وابدينا تعجبنا من هذا السؤال بعد عشرين سنة فقبل
م. الكاتب العام الجواب منا على ان يجيب به الولاية العامة وينتظر
ما يكون منها .



مدخل الجامع الكبير بعاصمة قسنطينة ، وكان الامام ابن باديس يعلم فيه
في اول الامر كتاب « الشفاء » للقاضي عياض ثم منعه المولود بن
الموهوب ، وهو واقع في نهج العربي بن مهدي - قسنطينة

هذا ما ذكره اليوم حكاية لتاريخ قيامنا بالتعليم واثباتنا لما سئلنا عنه وما اجبنا به مكنتين به حتى نرى ما ينتهي اليه الامر في هذه المسألة التي ليست مسألة عبد الحميد بن باديس ولكنها مسألة التعليم الديني واللساني للمسلمين . ومسألة مائة طالب أو يزيدون جاءوا من العمالات الثلاثة لقسنطينة هذه الايام ومسألة نحو الالفين من سكان قسنطينة ونواحيها يمتليء بهم الجامع الاخضر كل ليلة في مجلس التذكير .

ومن واجب الحق على ان اذكر هنا ما شاهدته من م تروسيل الكاتب العام من ادب ولطف وحرص على الا يتعرض لدروسنا بسوء فانا اشكره بلسان العلم وطلابه شكر من يقدرون اقدار الرجال ولا يخافون الا الله .

عبد الحميد بن باديس



الصراف السوي : السنة الاولى العدد ٧ قسنطينة يوم الاثنين ١١
رجب ١٣٥٢ هـ الموافق لـ : ٣٠ اكتوبر ١٩٣٣ م ، ص ٦ ، ع ١ او ٢ و ٣

الدروس العلمية الاسلامية بقسنطينة

يوم السبت ٢ رجب ١٣٥٢ و ٢١ اكتوبر ١٩٣٣ م تفتح - ان شاء الله تعالى - الدروس العلمية الاسلامية بقسنطينة التي يقوم بها جماعة من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

تشتمل الدروس على التفسير للكتاب الحكيم وتجويده وعلى الحديث الشريف وعلى الفقه في المختصر وغيره وعلى العقائد الدينية وعلى الآداب والاخلاق الاسلامية وعلى العربية بفنونها من نحو وصرف وبيان ولغة وادب وعلى الفنون العقلية كالمنطق والحساب وغيرها .

تعطى للطلبة المحاويج اعانة من الخبز ويسكنون في بعض المساجد .
يجعل على كل جماعة من الطلبة عريف يضبط امورهم ويراقب سيرتهم .
يشترط في كل تلميذ أن يكون حافظا للقرآن العظيم أو لبعضه كربعه على الاقل ، وان لا يتجاوز سنه - اذا كان مبتدئا لم تتقدم له القراءة - خمسا وعشرين سنة وان يأتي - اذا كان جديدا بكتاب من كبير بيته او عشيرته للتعريف به .

وينبغي للطالب أن يأتي معه بفرشه وغطائه .

فندعو من فيهم استعداد وعندهم رغبة الى الاقبال على العلم والرحلة في سبيله والله نسأل لنا ولهم التيسير والتوفيق وعمل الخير لوجه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من عبد الحميد بن باديس

الصراف السوي : السنة الاولى العدد ٤ قسنطينة يوم الاثنين ١٩ جمادي الثانية ١٣٥٢ هـ - ٩ اكتوبر ١٩٣٣ م ص ٣ - ع ٣ .

مقررات المجلس الاداري

لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الذي انعقد في آخر رجب الماضي

قرر تقديم هذين المطلبين التاليين - برقيا - للوالي العام ووزير الداخلية ورئيس الوزارة ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الشيوخ .

المطلب الاول :

بما أن المساجد كانت في القطر الجزائري مفتوحة في وجوه العلماء للوعظ والارشاد وتعليم مبادئ الدين الاسلامي وبما ان هذه الحالة بقيت بعد الاحتلال على ما كانت عليه قبله ولم يقع فيها تغيير مدة قرن كامل وبما ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اهم غاياتها الوعظ والارشاد وان القيام بهذا المهمة لا يكون الا في المساجد وبما ان قرار عامل عمالة الجزائر احدث اضطرابا شديدا في افكار المسلمين الذين اعتبروه مسا بحريتهم الدينية .

فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب بكل الحاح وبكل احترام فتح المساجد في وجوه الوعاظ والمرشدين بدون الجائهم الى طلب اذن خاص .

المطلب الثاني :

بما أن تعليم أولاد المسلمين الجزائريين باللغتين العربية والفرنسية

من أكد الضروريات ومن اعظم الواجبات وبما ان تعليم الفرنسية في المدارس والمكاتب الدولية من الامور التي تباشرها الحكومة بمقتضى القوانين والتراتيب الجاري بها العمل وبما ان تعليم العربية من فروع التعليم الديني ولا يمكن المسلم ان يتعلم علوم دينه بدونها - وبما ان الحكومة ليس في وسعها ان تقوم بالمدارس الفرنسية والمدارس العربية في آن واحد وان الامة الجزائرية تكتفي من الحكومة بأقل ما يمكن من الاعانة والمؤازرة والتشجيع وبما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اسى غاياتها نشر التعليم بكافة انواعه والسعي في تعميمه بجميع الوسائل والطرق .

فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب من الحكومة ترك الحرية التامة للمسلمين الجزائريين في فتح الكتابات القرآنية والمكاتب العربية الحرة وان تقف ازاء القائمين بهذه المشاريع موقف المؤيد المساعد.

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس



الصراف السوي : السنة الاولى العدد ١١ قسنطينة يوم الاثنين ٩ شعبان ١٣٥٢ هـ الموافق لـ : ٢٧ نوفمبر ١٩٣٣ م ص : ٨ ، ع : ١ - ٢ .

الدروس العلمية بالجامع الأخضر بقسنطينة

باتتهاء هذه السنة الدراسية انهينا - بحمد الله - احدى وعشرين سنة في التعليم . وامتازت هذه السنة عن سابقتها بشيئين الاول قدوم الطلبة من العمالة الوهرانية فتم بهم تمثيل الطلبة للجزائر كلها ، والثاني مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما استطاعته من الاعانة لصندوق الطلبة فكان ذلك اول خطوة خطتها الجمعية لغايتها الكبرى وهي تأسيس كلية علمية للعلوم الاسلامية وما هؤلاء المجتمعون من العمالات الثلاث الا نواة لذلك المشروع العظيم حقق الله فيه الامال .

فلهذا كله رأينا ان نشر البيانات التالية عن الطلبة في هذه السنة على الامة الجزائرية المسلمة ادخلا للسرور على قلوبها ، وبمنا للنشاط فيها ، لتقوم بما يفرضه عليها دينها من ايجاد من يحفظ عليها علوم الاسلام ، اذ لا بقاء له الا بقاء علومه ولا بقاء لعلومه الا بوجود من يتعلمها ويعلمها :

اسماء الطلبة وبلدانهم

الاسم :	البلد	العمالة
محمد الصالح بن عمر اليدري	سيدي مران	قسنطينة
المولود الفتحي	ميلة	قسنطينة
العفصي الفتحي	ميلة	قسنطينة
عبد الله بن محمد	ميلة	قسنطينة
عبد الكريم الهباشي	قرام	قسنطينة

العمالة	البلد	الاسم :
قسنطينة	قرارم	رابح بن عيسى الهباشي
قسنطينة	قرارة	النوار المغزيلي
قسنطينة	قرارة	احمد بن عمار المباركي
قسنطينة	قرارة	احمد بن مكّي المباركي
قسنطينة	قرارة	مصطفى بن الاقراني
قسنطينة	زغاية	الطاهر الزواغي
قسنطينة	الطهير	كبيشي العربي
قسنطينة	الطهير	داوود عمر
قسنطينة	الطهير	بو البرهان محمد
قسنطينة	الطهير	اسويعد محمد
قسنطينة	الميلية	بو معيزة بلقاسم
قسنطينة	الميلية	زويكري علي
قسنطينة	الميلية	مرحوم علي
قسنطينة	الميلية	دليعو مسعود
قسنطينة	الميلية	بوشعلي محمو
قسنطينة	الميلية	حماني احمد
قسنطينة	الميلية	حماني الصادق
قسنطينة	الميلية	حماني مسعود
قسنطينة	الميلية	الدمس احمد
قسنطينة	الميلية	حمروش احمد
قسنطينة	الميلية	بوعمامة اسماعيل
قسنطينة	الميلية	عبادة محمد
قسنطينة	التل	بو صبيعة عمار
قسنطينة	التل	بو ضفة محمد

دروس الجامع الاخضر بقسنطينة

الاسم :	البلد	العمالة
جوامع اسماعيل	التل	قسنطينة
كافي البشير	الحروش	قسنطينة
يحياوي البشير	الحروش	قسنطينة
يحياوي عبد الحميد	الحروش	قسنطينة
ابن عيش المولود	عزابة	قسنطينة
المكي المعاوي	الركنية	قسنطينة
الطاهر بن يخلف	فج امزالة	قسنطينة
محمد بن الشيخ المطيش	فج امزالة	قسنطينة
الشوارفة محمد	فج امزالة ^(١)	قسنطينة
عبد المجيد بوشمال	قالمة	قسنطينة
ابن حافظ محمد العربي	العثمانية	قسنطينة
طرش عبد الكريم	الخروب	قسنطينة
مسعود الريفي	كولبير ^(٢)	قسنطينة
ابن الساهل الدراجي	كولبير	قسنطينة
بريحي البشير	كولبير	قسنطينة
السعيد بن مخلوف	كولبير	قسنطينة
جريوي المنور	ساطارنو ^(٣)	قسنطينة
قرقور المسعود	ساطارنو	قسنطينة
جريوي ابراهيم	ساطارنو	قسنطينة
الدراجي بن الرقيق	شاطودان ^(٤)	قسنطينة

(١) ويسمى فرجيو .

(٢) عين اولمان .

(٣) وهو العلمة الان .

(٤) كان يسمى بسوق الخميس قبل الاحتلال الفرنسي .

الاسم :	البلد	العمالة
فرعيشي سعدون	شاطودان	قسنطينة
دباش الصالح	شاطودان	قسنطينة
احمد بن حمو	شاطودان	قسنطينة
عشاشة السماتي	سطيف	قسنطينة
عشاشة بو زيد	سطيف	قسنطينة
عقون عبد الكريم	برج بوعريرج	قسنطينة
سماعي محمد	برج بوعريرج	قسنطينة
عمر بن دردور	اريس ^(١)	قسنطينة
زموري محمد الصالح	اريس	قسنطينة
ابن حايد بن معراف	اريس	قسنطينة
بادي الخضر	اريس	قسنطينة
صالحى محمد الرشيد	اريس	قسنطينة
صالحى الامين	اريس	قسنطينة
شرفى اسماعيل	اريس	قسنطينة
لعروسي محمد	اريس	قسنطينة
محمد الدراجي	بريكة	قسنطينة
بوط عيسى	بريكة	قسنطينة
بوط عمر	بريكة	قسنطينة
بوط الحاج بن محمد	بريكة	قسنطينة
زيور عمر	بريكة	قسنطينة
يحيى عيسى بن محمد	بريكة	قسنطينة
ابو علي الشريف محمد	بريكة	قسنطينة

(١) اريس : قرية بجبل اوراس .

العمالة	البلد	الاسم :
قسنطينة	بريكة	موهوب محمد
قسنطينة	وادي الزناتي	عياش الحاج ابراهيم
قسنطينة	وادي الزناتي	هذلي محمد البشير
قسنطينة	المسيلة	دبابي النذير
قسنطينة	المسيلة	اكبير علي بن محمد
قسنطينة	مروانة	الدليمي محمد
قسنطينة	مروانة	جماتي اسماعيل
قسنطينة	مروانة	وزاني اسماعيل
قسنطينة	مروانة	وزاني محمد
قسنطينة	مروانة	سهالي ادريس
قسنطينة	عين القصر	سهالي الحسين
قسنطينة	عين التوتة	ابن سخرية الصالح
قسنطينة	عين التوتة	ابن سخرية بلقاسم
قسنطينة	عين البيضاء	اسماعيل بن علي
قسنطينة	عين البيضاء	عبد الحميد بوبقيرة
قسنطينة	خنشلة	الحسين بن الوردي
قسنطينة	خنشلة	عبد الرحمن بن عبد الله
قسنطينة	خنشلة	عمار بن الطيب
قسنطينة	خنشلة	الوردي بن علي
قسنطينة	مسكيانة	ابراهيم بن علي
قسنطينة	مسكيانة	الحسين بن محمد الصغير
قسنطينة	مسكيانة	العربي بن الحنفي
قسنطينة	ام البواقي	مصباح بو لخراس
قسنطينة	بوقاعة - لفيط	الفضيل الورتلاني

الاسم :	البلد	العمالة
عدلي احمد	الجزائر	الجزائر
ميمون محمد	الجزائر	الجزائر
صادق رابح	الجزائر	الجزائر
يعيش عاشور احمد	البليدة	الجزائر
زروالي محمد	البليدة	الجزائر
بليل محمد	البليدة	الجزائر
العربي محمد	البليدة	الجزائر
غريسي عمر	البليدة	الجزائر
بكاير محمد	بومدفع	الجزائر
مهم يحيى	بوفريك	الجزائر
بلعربي محمد	بيرتوتة	الجزائر
ابن حميده احمد	دلس	الجزائر
هني عده الجيلالي	الأصنام	الجزائر

عمالة وهران

محمد بن ابراهيم مولود	وهران	وهران
بختاوي حمزة	صبرة	وهران
ابن عربية عبد الله	مزقرين	وهران
بجاوي علي	برج طولقة	قسنطينة
محمود بن عبد الله	القنطرة	قسنطينة
احمد بن صالح بن ذياب	القنطرة	قسنطينة
محمد الشريف بن احمد	القنطرة	قسنطينة
عبد الرحمن بن محمد	القنطرة	قسنطينة
السعيد بن الطاهر	بسكرة	قسنطينة

العمالة	البلد	الاسم :
قسنطينة	بسكرة	المسعود بن علي
قسنطينة	غسيرة	محمد بن احمد المنصوري
قسنطينة	بسكرة	الوردي بن الحاج التركي
قسنطينة	بوقاعة لفييط	غريبي الصالح
قسنطينة	بوقاعة لفييط	ابن جدو البشير
قسنطينة	بوقاعة لفييط	بو عمارة مسعود
قسنطينة	بوقاعة لفييط	بو دير الصالح
قسنطينة	بوقاعة لفييط	مصباح حمود
قسنطينة	بوقاعة لفييط	شطاب علي
قسنطينة	بوقاعة لفييط	ارمران الصالح
قسنطينة	بوقاعة لفييط	شربال عبد الله
قسنطينة	بوقاعة لفييط	آيت حمودي محمد
قسنطينة	بوقاعة لفييط	خزناجي الصالح
قسنطينة	بوقاعة لفييط	المفاغي بلقاسم
قسنطينة	بوقاعة لفييط	شعبي عبد الله
قسنطينة	قزت	كريس بلقاسم
قسنطينة	صدوق	شبون محفوظ
قسنطينة	صدوق	عباس لونيس
قسنطينة	وادي اميزور	موهوبي ابراهيم
قسنطينة	وادي اميزور	باره محمد آكلي
قسنطينة	وادي اميزور	زرقيني عبد القادر
قسنطينة	وادي اميزور	بو زوينة محمد
قسنطينة	وادي اميزور	سالم محمد
قسنطينة	وادي اميزور	عبد الوهاب الصادق

الاسم :	البلد	العمالة
شنتير علي	آقبو	قسنطينة
تركي العربي	آقبو	قسنطينة
لحضيري محمد	آقبو	قسنطينة
ابن عيسى العربي	ميشلي ^(١)	قسنطينة
بوشاشي محمد	قسنطينة	قسنطينة
آيت العربي محمد	قسنطينة	قسنطينة

عمالة الجزائر

جلولي محمد	الجزائر	الجزائر
ماديو عبد الرحمن	الجزائر	الجزائر
بشور خالد	الجزائر	الجزائر
دراجي محمد	الجزائر	الجزائر
أمقران محمد	الجزائر	الجزائر
احمد بن عبد الحفيظ	الخنقة	قسنطينة
ابو القاسم بن رواق	طولقة	قسنطينة
عمار بن الجودي	غسيرة	قسنطينة
ابن عيسى محمد بن عبد الرحيم	بو سعادة	قسنطينة
بو عراطة احمد بن بلقاسم	قسنطينة	قسنطينة
عمار احمد بن يحيي	قسنطينة	قسنطينة
ابن سي عيسى عبد الكريم	قسنطينة	قسنطينة

العرفاء

الفضيل الورتلاني

على القبائل

(١) عين الحمام

محمد الدراجي	على بريكة واولاد دراج
محمد الملياني	على عمالتي الجزائر ووهران
بجاوي علي	على الصحراويين
بلقاسم الزغداني	على البيضاء وخنشلة
محمد دردور	على أوراس
اسماعيل الحيدوسي	على باتنة والتوتة
المسعود الريني	على الخميس وسطيف والبرج
العربي كيش	على الملية وجيجل
كافي البشير	على الحروش والسكيكدة وعزابة
صالح اليدري	على ميلة ونواحيها

المينون

الفضيل الورتلاني ، بلقاسم الزغداني ، محمد الملياني ، عيسى الدراجي ، محمد الدراجي .

امين الصندوق

السيد حسين بن شريف ، وهو امين مالية جمعية العائلات الكبيرة وجمعية التربية والتعليم وغيرها .

اطباء الطلبة المتبرعون

الدكتور بن جلول ، الدكتور ابن الموفق ، الطبيب زرقين طبيب الاسنان

من الحسنين

السيد ابن جلول محمود الطباخ فقد كان نحو الخمسين تلميذا

آثار ابن باديس

يتناولون غذاء خبزهم في مطبخته ، السادة بو لجمال ، زعيتر محمد
بو رغيدة علي الكواوشة ، فقد كانوا معتنين بالتلامذة مساعدين
في ثمن الخبز والعمل .

أهل بسكرة وضواحيها أرسلوا نحو ثلاثين خيشة من التمر .

السيدان الحاج العربي وعمر أبناء مغسولة خصوصا في مسجدهما
سيدي بو معزة القسم الاعلى لسكنى الطلبة .

صندوق الطلبة ، دخله وخرجه

الخروج سنتيم فرنك

٢٠٠٠	الشهر ٢٥٠	كراء المأوى لثمانية اشهر
٣٥٠		مصاريف الدخول
٧٦٥٠		كتابة عقد الكراء
٨٩		كوتتور الكهرباء ^(١)
٧٥٠		اصلاح خيوط الكهرباء
٩٥٠		اصلاح بنائي
٣١٠٢٠		ضوء المأوى
٥٥٤٥٠		فرش حلفاء بو طالبية
٤٢٥٠		بياض مسكن الطلبة سيدي بو معزة
٢٠٥٠		زجاج الطاقة واصلاح الطاقة ^(٢)
١٥		قرمود
٢٠٠		كهرباء

(١) العداد .

(٢) النافذة .

سنتيم فرنك

٢٥٠		مراوغ للكتب في بيت الجامع الاخضر
٤٩٤١	سعر ١٨٠	خبز شهر رجب وشعبان ٢٧٤٥ كيلو
٧٧٠٠	سعر ١١٠	سبعون قنطار قمح
١٢٠٠	سعر ١٢٠	عشرة قناطر
٥٨٧٥٠	سعر ١١٧٥	خمس قناطر
١٨٤٠٣٢٥		جمع منقول
١٥٠		شكاير ظروف (١)
٢٥		شكاير ملح
٣١٢٦٦٥		غربلة ورحى وعجن وطياب (٢)
١١٨٥٠		خبز بسبب تعطل الرحي مرات
٣٥٣٠٠		٣٥٠ كيلو دقيق
٢١٦٩٠		يراج للربيع
١٦٩٠٠		عشاء عاشوراء
٣٧٦٥٠		فطائر على مرات
١٣٥		أدوية
٥٠٠		اعانات خاصة
٢٠٠		مصاريف متفرقة
٤٠٠٠		دين بقي من السنة الماضية
٢٧٧٣٣٧٥		

(١) هي الاكياس ، جمع كيس .

(٢) طبخ .

الدخل

ستتيم فرنك

١٥٠٠	اعانة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
١٤٠٠	من ثمن تمر أرسله أهل بسكرة وضواحيها
٢٢٣	من بيع النخالة
١٠٠٠	من السيد الحنفي التاجر بباتنة
١٠٠٠	من السيد حميش التاجر بقسنطينة
٥٠٠	من السيد احمد توفيق المدني
٥٦٢٣٠٠	جمع منقول
٥٠٠	من جماعة السادة الميزابيين ببسكرة
٢٠٠	من محسن من القل
١٠٠	من السيد محمد بن محبوب ببسكرة
١٠٠	من السيد الحفناوي محمد الصالح ببسكرة
١٥٠	من السيد مبارك الحمدي ببسكرة
٢٠٠	من السيد عمر الموهوب ، الجزائر
٢٠٠	من السيد الزاوي الحاج ، الجزائر
٥٠	من السيد اسماعيل بو شمال
٥٠	من السيد السعيد بن حافظ
٢٠٠	من السيد توام شعبان
٥٠	من السيد عبد الله
٢٠	من السيد الحاج عمر بن العموشي
٥٠٠	من السيد ابن اسماعيل مسعود
٥٠٠	من السيد الحاج بلقاسم بن فاضل
٥٠٠	من السيد الحاج الخلفة
٥٠٠	من السيد عمر بن السعيد بن جيكو

ستيم فرنك

١٠٠	من السيد محمد دمع
١٠٠٠	من السيد احمد بن الحاج سعيد
٥٠	من السيد علي النجار
٥٠	من السيد سليمان بن جبارة
٥٠	من السيد عبد السلام الكاتب
٢٠٠	من السيد سليمان بن عبد السلام
٢٠	من السيد رابع بن مصطفى
١٠	من السيد الحاج محمد بن الشهب
٢٥	من السيد عبد الكريم بو لكروع
٢٠	من السيد ابن موسى بو بكر
٤٠	من السيد الحاج الطاهر بو لهروم
١٠٠	من السيد الحاج عبد الرحمن بن الامين
٥٠	من السيد احمد بن عليوه
١٠٠	من السيد بو ربونة
٢٥	من السيد محمد بن زيدان
١٥	من السيد السعيد بن العابد
٢٠٠	من السيد الحاج حسونة بن الحاج مصطفى
٣٠٠	من السيد ابن بو شريط محمد الشريف
١٠٠	من السيد الحاج الصالح بن الحاج حسين
٥٠	من السيد عبد الكريم بن شندارلي
٢٠٠	من السيد الحاج علاوة بن يمينة
٢٠٠	من السيد الحاج حسونة دمع
١٠٠	من السيد بوشاشي محمد الطيب
١٠٠	من السيد يحيى واحمد

آثار ابن باديس

ستتيم فرنك

٢٠٠	من السيد عمر بن جيكو
٥٠٠	من السيد الحاج الصديق بن زكري
٣٠	من السيد بو تميرة
٢٥	من السيد اسماعيل بن الحاج علي
١٥٠	من السيد محمد امزيان ابن حمادي
٢٠	من السيد الوالي بن محمد
٣٠	من السيد احمد الشرقي
٤٠	من السيد الحاج صالح مرابط
٢٠	من السيد الزواوي السعيد بن العربي
١٠٠	من السيد السعيد العربي
١٠	من السيد الزواوي
١٠٠	من السيد حسين بن شريف
١٠٠٠	من السيد الحاج محمد بن سميرة
١٤٠٠٧٨٨٠٠٠	مجموع الدخل

طرح الدخل من الخرج

٢٧ — ٦٧٣٠٧٥
١٤ — ٧٨٨٠٠٠
١٢ — ٨٨٥٠٧٥

الخرج
الدخل

فبقي ديناً على صندوق الطلبة : ١٢٨٨٥٠٧٥

رجاء

يرجو صندوق الطلبة من الله ثم من أهل البر والاحسان ان يفكثوه
من دينه ويزودوه للسنة الآتية ومن أراد الاحسان الى صندوق الطلبة
فليكن ذلك الى أمين صندوقهم بهذا العنوان :

BEN CHARIF HASSINE

Propriétaire 3 Rue Hackett, 3

CONSTANTINE

رسوم (١) التلامذة

وها أننا نشر فيما يلي: رسوم التلامذة - ورسم التلامذة الجزائريين
المزاولين لدروس العلم بجامع الزيتونة - عمره الله - لان الجميع يرمون
الى غاية واحدة وهي النهوض بالامة الجزائرية نهضة أخلاقية على أساس
الدين والعلم على نور الكتاب والسنة وهدى صالحى سلف الامة
حفظهم الله بتوفيقه وتسديده وكان لهم ولياً ونصيراً (٢) .

(١) صور .

(٢) ش: ج ٨، م ١٠، ص ٣٥٢ - ٣٦٩
غرة ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ - جويلية ١٩٣٤ م .



جماعة العرفاء : الاستاذ عبد الحميد بن باديس يتوسط الجالسين
 من اليمين : بلقاسم الزغداني ، علي البجاوي ، محمد الملياني ،
 الفضيل الورتلاني ، محمد الدراجي ، صالح البدري
 الواقفون من اليمين : محمد دردور ، مسعود الريفي ، اسماعيل
 الحيدوسي ، العربي كبيش ، كافي البشير



في الوسط الاستاذ عبد الحميد بن باديس
 والجالسون من اليمين : عيسى الدراجي ، محمد الدراجي ،
 الفضيل الورتلاني ، بلقاسم الزغداني



طبقة الاجرومية



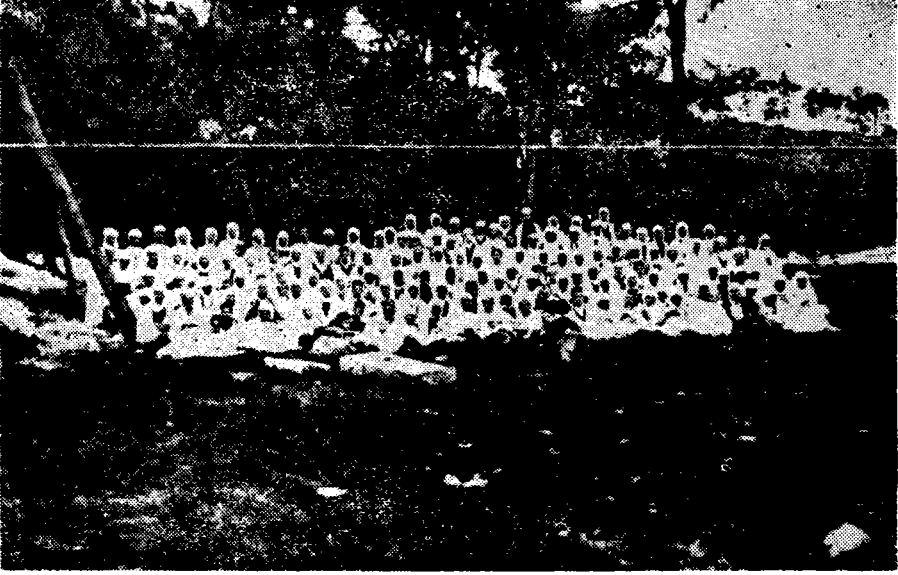
طبقة السعد



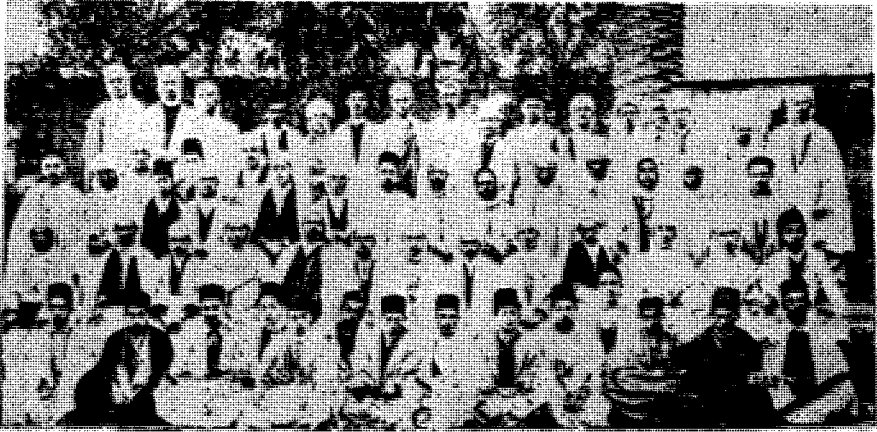
طبقة الكودي



طبقة القطر



صورة عامة لجميع الطلبة



التلامذة الجزائريون بجامع الزيتونة عمره الله

صلاح التعليم أساس الإصلاح

- ١ -

لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فانما العلماء من الأمة بمثابة القلب اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله ، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الاسلام وعملهم به وانما يصل اليهم هذا على يد علماءهم ، فاذا كان علماءهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون . فاذا أردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم .

ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم . فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره فاذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الاسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه .

ولن يصلح هذا التعليم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم - صلى الله عليه وآله وسلم - وفي صورة تعليمه ، فقد صح عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - فيما رواه مسلم انه قال : « **انما بعثت معلماً** » فماذا كان يعلم وكيف كان يعلم .

كان - صلى الله عليه وآله وسلم - يعلم الناس دينهم من الايمان والاسلام والإحسان كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - في جبريل في الحديث المشهور : « **هنا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم** »

وكان يعلمهم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم كما قال تعالى :
 « إِنَّمَا أَمِِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
 حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ » . وما بينه لهم به من قوله
 وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه وفي جميع أحواله فكان
 الناس يتعلمون دينهم بما يسمعون من كلام ربهم وما يتلقون من بيان
 نبهم وتنفيذه لما أوحى الله اليه وذلك البيان هو سنته التي كان عليها
 أصحابه والخلفاء الراشدون من بعده وبقية القرون الثلاثة المشهود لهم
 بالخيرية من التابعين وأتباع التابعين .

وإذا رجعت الى موطأ مالك سيد أتباع التابعين فانك تجده في
 بيان الدين قد بنى أمره على الآيات القرآنية وما صح عنده من قول
 النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وفعله ، وما كان من عمل
 أصحابه الذي يأخذ منه ما استقر عليه الحال آخر حياته . لأنهم كانوا
 يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمره . وكذلك اذا رجعت الى كتاب
 الأئم لتلميذ مالك الامام الشافعي فانك تجده قد بنى فقهه على الكتاب
 وما ثبت عنده من السنة .

وهكذا كان التعلم والتعليم في القرون الفضلى مبناهما على التفقه
 في القرآن والسنة ، روى ابن عبد البر في الجامع عن الضحاك في
 قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّعَازُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ » ، قال الضحاك : « حق
 على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً » . وروى عن عمر - رضي
 الله عنه - أنه كتب الى أبي موسى - رضي الله عنه - : « أما بعد
 فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية » . وقال الامام ابن حزم في
 كتاب الأحكام ، وهو يتحدث عن السلف الصالح كيف كانوا يتعلمون

الدين : « كان أهل هذه القرون الفاضلة المحمودة - يعني القرون الثلاثة - يطلبون حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والفقهاء في القرآن ، ويرحلون في ذلك الى البلاد فإن وجدوا حديثاً عنه عليه السلام عملوا به واعتقدوه » . ومن راجع كتاب العلم من صحيح البخاري ووقف على كتاب جامع العلم للإمام ابن عبد البر عصري ابن حزم وبلديه وصديقه ، عرف من الشواهد على سيرتهم تلك شيئاً كثيراً .

هذا هو التعليم الديني السني السلفي ، فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم ، بل منذ قرون وقرون ؟ فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله ، ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك . ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوماً منزلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه ، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك . هذا في جامع الزيتونة فدع عنك الحديث عن غيره مما هو دونه بعدد المراحل .

فالعلماء - إلا قليل منهم - أجنب أو كأجنب من الكتاب والسنة من العلم فهما والتفقه فيهما . ومن فطن منهم لهذا الفساد التعليمي الذي باعد بينهم وبين العلم بالدين وحملهم وزرهم ووزر من فسي رعايتهم لا يستطيع - اذا كانت له همة ورغبة - أن يتدارك ذلك الا في نفسه . أما تعليمه لغيره فانه لا يستطيع أن يخرج فيه عن المعتاد ، الذي توارثه عن الآباء والأجداد رغم ما يعلم فيه من فساد وفساد .

ونحن بعد أن بيننا تعليم الدين من سنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ومن عمل السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة المحمودة ، ومنهم امامنا دار الهجرة مالك ، فاتنا عقدنا العزم على

إصلاح التعليم الديني في دروسنا حسب ما تبلغ اليه طاقتنا إن شاء الله تعالى . وسنشر ما يكون من ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله عليه توكلنا وعليه فليتوكل المؤمنون (١) .

- ٢ -

قد ذكرنا في المقال السابق ما كان عليه التعليم الديني في عهد السلف الصالح من التنفقه في الدين بالتنفقه في القرآن والأحاديث النبوية ، وذكرنا الحالة التي انتهت اليها في عصرنا من هجر القرآن والسنة ، والاقْتصار على الفروع العلمية المنتشرة دون استدلال ، ولا تعليل ، واستشهدنا على ذلك بحالتنا نحن أنفسنا لما أخذنا شهادة العالمية من جامع الزيتونة - عمره الله - بدوام ذكره . ونريد أن نذكر اليوم أن هذا الإعراض عن ربط الفروع بأصولها ومعرفة مآخذها ، هو داء قديم في هذا المغرب من أقصاه الى أدناه ، بل كان داء عضالا فيما هو أرقى من المغرب الثلاث وهو الاندلس . ونحن نتقل فيما يلي كلام إمامين عظيمين من أئمة الاندلس المتبعين لمالك رحمه الله .

قال الامام عمر بن عبد البر المتوفى سنة ٤٩٣ هـ في (جامع بيان العلم وفضله) : واعلم أنه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف الا لتفهم وجه الصواب ، فيصار إليه ويعرف أصول القول وعلته ، فيجري عليه أمثله ونظائره ، وعلى هذا الناس في كل بلد الا عندنا كما شاء الله ربنا ، وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فانهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجهها ، وحسب أحدهم أن يقول فيها رواية لفلان ، ورواية لفلان ، ومن خالف عندهم الرواية التي لا يقف على

(١) ش: ج ١١ ، م ١٠ ، ص ٤٧٨ - ٤٨١

رجب ١٣٥٣ هـ - ١٠ اكتوبر ١٩٣٤

معناها ، وأصلها ، وصحة وجهها ، فكانه خالف نص الكتاب وثابت السنة ويجيزون حمل الروايات المتضادة في الحلال والحرام ، وذلك خلاف أصل مالك . وكم وكم لهم من خلاف في أصول مذهبه مما لو ذكرناه لظال الكتاب بذكره ولتقصيرهم في علم أصول مذهبهم ، صار أحدهم اذا لقي مخالفا ممن يقول بقول ابي حنيفة أو الشافعي أو داوود ابن علي ، أو غيرهم من الفقهاء وخالفه في أصل قوله بقي متحيرا ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه فقال : هكذا قال فلان ، وهكذا روينا ، ولجأ الى أن يذكر فضل مالك ومنزلته ، فان عارضه الآخر بذكر فضل امامه أيضا صار في المثل كما قال الأول :

شكونا إليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر
فكانوا كما قيل فيما مضى أريها السثما وتريني القمر

وفي مثل ذلك يقول منذر بن سعيد البلوطي :

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلا ، هكذا قال مالك
فان عدت قالوا: هكذا قال أشهب وقد كان لاتخفى عليه اسمالك
فان زدت قالوا: قال سحنون مثله ومن لم يقل ماقاله فهو آفك
فان قلت قال الله ضجوا وأكثروا وقالوا جميعا : انت قرن مباحك
وان قلت قد قال الرسول فقولهم أتت مالكا في ترك ذاك المسالك

هذا امام من أئمة الاسلام العظام المجمع على أماتهم وعدالتهم ، ومن اعظم المتبعين لمالك الآخذين بمذهبه ، وهاهو يشكو مرة الشكوى مما كان عليه اهل بلدة الاندلس في القرن الخامس وينعي عليهم ما انفردوا به هم ، واهل المغرب من الجمود والتقليد ، وحملهم للروايات المختلفة دون معرفة وجوها ، ومخالفتهم لاصل مذهب الامام الذي ينتسبون اليه ، وعدولهم عن النظر والاستدلال المأمور بهما كتابا وسنة المعمول بهما عند جميع الأئمة الى الاحتجاج بفضل القائل

وعلمه ، والاجماع على انه قد يصيب المفضول ، ويخطى الافضل ،
ورحم الله عمر بن الخطاب في قوله : « امرأة اصابت ورجل أخطأ »
واستشهد ابن عبد البر بأبيات القاضي منذر بن سعيد البلوطي المولود
سنة ٢٦٥ المتوفي سنة ٣٥٥ - لتبيين قدم هذا الداء في الاندلس
وشكوى العلماء الأعلام منه وانكارهم على أهله .

وقال الامام ابن العربي الاندلسي المتوفي سنة ٥٤٣ هـ في (المواصم)
وهو يتحدث عن فقهاء عصره : « ثم حدثت حوادث لم يلقوها في
منصوصات المالكية فنظروا فيها بغير علم فتأهوا : وجعل الخلف منهم
يتبع في ذلك السلف ، حتى آل المثال أن لا ينظر الى قول مالك وكبراء
أصحابه ، ويقال قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل
طليبة وأهل طليطة : فانتقلوا من المدينة وفقائها الى طليبة وطريقها » .

فهذا الامام العظيم قد عاب عليهم نظرهم في الحوادث بغير علم لان
ما عندهم من الفروع المقطوعة عن الاصول لا يسمى علما ولما لم تكن
عندهم الاصول تأهوا في القروع المنتشرة ومحال ان يضبط الفروع
من لم يعرف اصولها ، وذكر ما أدّاهم اليه اهمال النظر ، من الانقطاع
عن أقوال مالك نفسه ، وأمثاله الى أمثالهم من الفروع عين التائبين
الناظرين بغير علم .

فاذا كان الحال هكذا من تلك الايام في تلك الديار وقد مضت
عليه القرون في هذه البلاد وغيرها فان قلّعه عسير ، والرجوع بالتعليم
الى التفقه في الكتاب والسنة وربط الفروع بالمآخذ والأدلة أعسر
وأعسر ، غير أن ذلك لا يمنعنا من السعي والعمل بصدق الرجاء
وقوة الأمل ، وسننفذه في دروسنا هذا العام والله المستعان^(١) .

(١) ش : ج ١٢ ، م ١٠ ، ص ٥١٨ - ٥٢١

غرة شعبان ١٣٥٣ هـ - نوفمبر ١٩٣٤ م .

ختم الدروس العلمية بالجامع الاخضر^(١)

في أوائل هذا الشهر ختمت الدروس العلمية بالجامع الاخضر فجمع الاستاذ عبد الحميد بن باديس طبقات التلامذة الثلاث - وهم ينيفون على مائتين تلميذ - ليلقي عليهم كلمة الوداع ويزودهم بالوصايا النافعة فذكرهم بما بينه وبينهم من رابطة الابوة والنبوة وما بينهم من رابطة الاخوة وما تقتضيه هذه الروابط من محبة مشرة للاعمال الصالحة في الخدمة العامة ، ومن دوام اتصال للتعاون على الخير ، ومن تسامح بين الجميع ، ومن تناصح بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

ثم حثهم على ان يبتلوا الاخلاق الاسلامية الفاضلة بين اقوامهم حتى تظهر عليهم آثار ما كانوا فيه من غربة للتربية والتعليم فيحبوا الناس في العلم ويكونوا لهم قدوة فيه وفي العمل به .

وأوصاهم بنشر ماتعلموا من خير برفق ولطف وأن يكونوا مظاهر محبة ورحمة على ما قد يلقونه من جفوة من بعض الناس ، وأن لا يقابلوا ذلك الا بالتسامح دون أدنى شيء من المكروه . ثم قال لهم :

« اتقوا الله ، ارحموا عباد الله ، اخدموا العلم بتعلمه ونشره ، وتحملوا كل بلاء ومشقة في سبيله ، وليهن عليكم كل عزيز ولتهن عليكم ارواحكم من اجله . أما الأمور الحكومية وما يتصل بها فدعوها لاهلها واياكم ان تعرضوا لها بشيء » .

(١) رأينا نشر هذا المقال لان مضمونه كلام لابن باديس وان لم يكن بقلمه .

ختم للدروس بالجامع الاخضر

وختم الاجتماع بالدعاء والابتهاال ، بما فيه صلاح الحال والمآل
ان شاء الله تعالى •

ثم في المساء ودعهم الاستاذ واحدا واحدا فرجعوا الى بلدانهم
مزودين بالخير دعاة اليه فتح الله عليهم وفتح بهم انه الفتاح العليم (١) •

تحية وشكر : الى ابنائي الطلبة :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •

جاءتني كتبكم وافادتني ما يسرني ويسر كل محب للعلم من
استمراركم على الجد في مراجعته والترغيب فيه ونشر الهداية - كل
بما استطاع - بين قومه وعشيرته وقد ضاق وقتي عن مكاتبتكم واحدا
واحدا فكاتبتكم بهذا على صفحات مجلتكم شاكرا لكم حسن عهدكم
وصدق مودتكم سائلا من الله تعالى ان يجمع قلوبنا على الحق واعمالنا
على الخير •

وسيكون افتتاح الدروس في منتصف شهر اكتوبر ان شاء الله
كالعتاد سهل الله لنا ولكم اسباب العلم النافع • ووفقنا واياكم الى
العمل الصالح (٢) •

والسلام من ابيكم : عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٤ ، م ١١ ، ص ٢٦٥
غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ - ٣ جولية ١٩٣٥ م •

(٢) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٩٧
غرة جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ - سبتمبر ١٩٣٥ م

تقرير في التعليم المسجدي

القاء الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن والاه

التعليم المسجدي : أصل مشروعيته واستمرار العمل به :

المسجد والتعليم صنوان في الاسلام من يوم ظهر الاسلام فما بنى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم استقر في دار الاسلام ، بيته حتى بنى المسجد ، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه ، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة ، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم ، وحاجة الاسلام اليه كحاجته الى الصلاة ، فلا إسلام بدون تعليم ، ولهذا الحاجة مضى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على عمارة المسجد بهما ، فما انقطع عمره كله عن الصلاة ، وعن التعليم في مسجده ، حتى في مرضه الذي توفي فيه . ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الاسلام يقفون الأوقاف على المساجد للصلاة والتعليم ، ومن أظهر ذلك وأشهره اليوم ، الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين .

نوع التعليم المسجدي :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم أصحابه ، يبين للناس ما نزل اليهم ، يفقههم في الدين ، فما بيّن القرآن وما فقه في الدين فهو من التعليم الاسلامي وهو من التعليم المسجدي . ولما كان القرآن كتاب الانسان من جميع نواحي الافسان وكتاب الاكوان بما فيها من نعم

تقرير في التعليم المسجدي

وعبر وكتاب العمران بما يحتاج اليه العمران مما يصلح احوال البشر وما يتصل بالبشر ، وكتاب السعادتين الدنيوية والأخروية ، كانت العلوم التي تخدم ذلك كله من علوم الاسلام ومن علوم المساجد . ولذا كانت مساجد الامصار الاسلامية من ايام البصرة والكوفة الى يومنا هذا مفتحة الابواب ، معمورة الاركان ، بجميع العلوم واذا خلت في العصر الاخير من بعضها ، فذلك للتأخر العام وضعف المسلمين في اسباب الحياة .

الحاجة اليه :

الاسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين وانما يسعدهما به من اعتقد عقائده وتأدب بأدابه وارتبط باحكامه في الظاهر والباطن من اعماله ، ولا بد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل الى شيء من هذا كله فصارت حاجة المسلمين اليه حاجتهم الى الاسلام وصار اعراضهم عنه ، هو اعراض عن الاسلام وهجر له ، ما انتهى المسلمون اليوم الى ما انتهوا اليه الا بذلك الهجر ، وذلك الاعراض ، ولن يرجي لهم شيء من السعادة الاسلامية الا اذا أقبلوا على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة وكما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يفعل من اقامتهما بمسجده كما تقدم .

وجوب القيام به :

لما كانت الحاجة اليه عامة فوجوب اقامته ، وجوب عام ، على الامة بجميع طبقاتها ، ولا يسقط الوجوب عن احد الا اذا قام بالتعليم أهله ، فكفوا الباقيين . ومن الواجب على المتولي أمر العامة أن يبعث فيها من يعلمها امر دينها كما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

يفعل فاذا قصر ذلك المتولي كان على الجماعة أن تقوم به فان قصرت
لحق الاثم كل فرد منها •

الحالة التي هو عليها :

ان الذي يراجع عقود الأحباس المسجدية يجد اكثر الذين أسسوا
المساجد - وخصوصا مساجد الجمعية - حبسوا من الاملاك ما يصرف
للتعليم فيها ، كما حبسوا ما يصرف للقائمين بالصلاة • مما يدل على
ان الامة كانت تتلقى دينها في مساجدها وقد ادركنا بعض المساجد في
بعض البلدان ، وقد ابقى فيها بعض التعليم قسطنطينية - مثلا - ابقى
فيها معلمان احدهما بالجامع الكبير والآخر بالجامع الكتاني ، وعطل
الجامع الاخضر مع أنه مكتوب على لوحة تحسيسه انه أسس للصلاة
والتعليم حتى اذن لهذا العبد الضعيف بالتعليم فيه وكان في اول الامر
الذين يقومون بالتعليم في ذلك القدر القليل من المساجد في
القليل من البلدان ، يقومون بالتعليم الديني ، من فقه
وتوحيد وعربية للطلاب ، وللعمامة ، بقدر الحال ، ثم من نحو ثلاثين
سنة صدر امر اقتضى تبديل وضعية تلك البقية من التعليم المسجدي
وخلعها من المعنى الديني وصبغها بصبغة غير صبغتها المسجدية ، ففقدت
ذلك على البقية من التعليم المسجدي واصبحت العمامة وليس عندها
من يعلمها امر دينها واصبح الطلاب وليس عندهم ما يدرسون فيه ،
ما يفقههم في الدين ويهيئهم للقيام بوظائفه على الوجه الصحيح المشروع •
هذه هي الحالة اليوم في هذا القطر الجزائري الذي يسكنه من خمسة
ملايين^(١) من المسلمين اللهم الا ما يقوم به بعض افراد اكثرهم من
رجال هذه الجمعية متطوعين ، او مع اعانة جماعة اعانة قليلة الجدوى
غير مأمونة البقاء واين يقع هذا القدر القليل من التعليم في ذلك العدد
من الامة ••

(١) هذا في سنة ١٩٣٥ .

كيف ينبغي ان يكون :

لا بد للجزائر من كلية دينية يتخرج منها رجال فقهاء بالدين يعلمون الأمة أمر دينها واستطيع ان اقول ان نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الاخضر بقسنطينة من العمالات الثلاث فلو ان الجمعية سعت لتوسيعها بترسيم معلمين ورعاية مدد المتعلمين ووضع خطة التعليم لقامت باعظم عمل علمي ديني للامة في حاضرها ومستقبلها . ثم لا بد مع هذا من حث كل شعبة من شعب الجمعية على ترسيم مدرس للتعليم في مسجدهم ان كان لهم مسجد ثم تسعى الجمعية لدى الحكومة لترسيم في كل مسجد من المساجد التي لنظرها مدرسا فقيها بالدين ، ليعلم الناس ما يحتاجون اليه من امر دينهم ، فكلية تخرج المعلمين الدينيين ، ومعلمون في المساجد التي لنظر الحكومة والتي لنظر الجماعات تلك هي الحالة التي يجب ان تكون عليها الامة الجزائرية المسلمة لتبقى مسلمة . اما كيف يكون التعليم وما هي الفنون التي تعلم والكتب التي يتعلم فيها فهو موضوع مستقل لا يحسن ان يتناوله بالبحث الا لجنة من اهل العلم وسيكون ذلك ان شاء الله تعالى يوم تباشر الجمعية ماذكرنا من امر الكلية والتعليم في المساجد اعانها الله على القيام بهذا العمل العظيم ويسر لها اسبابه (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٣٥٤ هـ

ص ٩٥ - ٩٨ .

بيان عن الحركة العلمية بالجامع الأخضر ونفقاتها

الطبقات : اربعة .

عدد التلامذة : نحو الثلاثمائة .

العلوم التي تقرأ : التفسير ، الحديث ، الفقه ، الفرائض ، العقائد ،
الادب ، المواعظ ، التجويد ، الاصول ، المنطق ، النحو ، الصرف ،
البلاغة ، الادب ، محفوظات ، ومطالعات ، ودراسة ، الانشاء ، الحساب ،
الجغرافية ، التاريخ .

الكتب المدروسة : الموطأ ، اقرب المسالك ، الرسالة ، ابن عاشر ،
الزندبوي ، المفتاح ، التنقيح ، السلم ، المكودي ، القطر ، الاجرومية ،
الزنجاني ، اللامية ، السعد ، الجوهر المكنون ، من ديوان الحماسة ،
من ديوان المتسبي ، آمالي القالي ، من مقدمة ابن خلدون .

المعلمون الشيوخ: عبد الحميد بن باديس ، عبد الحميد بن الحيرش ،
حمزة بكوشة ، المتخرجون من جامع الزيتونة المعمور. ومن كبار التلامذة
الشيوخ : البشير بن احمد ، عمر دردور . بلقاسم الزغداني .

النفقة

لا تنقص يوميا عن ثلاثمائة فرنك مع ملحقات .

البصائر : س ١ عدد ٤٧ - الجزائر يوم الجمعة ٢٦ رمضان ١٣٥٥ هـ
الموافق ليوم ١١ ديسمبر ١٩٣٦ م ص ٥ .

نداء وبيان الى الأمة المسلمة الجزائرية

بالوطن وخارجه ، وجميع المحبين : محبي الخير للمسلمين

« فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَسْتَفْتَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

(قرآن كريم)

١٢٣/٩

(ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة)

(حديث شريف صحيح)

(والدال على الخير كفاعله)

(حديث شريف صحيح)

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه)

(حديث شريف صحيح)

أيها الشعب المسلم الجزائري الكريم !

تالله لن تكون مسلماً الا اذا حافظت على الاسلام ، ولن تحافظ عليه الا اذا تفقته الا اذا كان فيك من يفقهك فيه . ولهذا فرض الله على كل شعب اسلامي أن تنفر منه طائفة لتتفقه في الدين وترجع الى قومها بالانذار ، فبذلك يرجى لهم الرجوع الى الله ، وما هو الا الرجوع من الضلال الى الهدى ومن الباطل الى الحق

ومن الاعوجاج الى الاستقامة . ومن الشقاوة الى السعادة ، ومن النقص الى الكمال ، وقد بين تعالى على لسان رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - ان طرق العلم هي طرق الجنة فمن سلك طريق هذا سهل له طريق ذاك . وبين أن من دلَّ على مثل هذا الخير - بقوله أو عمله - فهو كمن فعله . وبين ان المعينين لآخوانهم في الخير يعينهم الله ومن اعاتته لهم تيسير ذلك الخير عليهم الى مثله من الخير « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُمْ لِيَسْرِى » ومن اعاتته لهم التعويض عليهم عما أنفقوا بالعباء المضاعف الكثير « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » « وَمَا أَنْتَفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

أيها الشعب المسلم الجزائري الكريم

أما أبناءك الشبان حملة القرآن فقد هبوا هبة رجل واحد لطلب العلم والتفقه في الدين ، يحملون الايمان في قلوبهم والقرآن العظيم في صدورهم ، والروح الجزائرية المسلمة في لحومهم ودمائهم لا يقصدون الا أن يتعلموا فيعلموا ويتفقهوا فيفقهوا ، ولا يرجون من ذلك الا رضا الله ونفع عباده .

وقد جاء منهم هذا العام الى الجامع الاخضر بقسنطينة ما يناهز الثلاثمائة من جميع جهات القطر وذهب نحوهم - واكثره من تلامذة الجامع الاخضر - الى تونس .

وأما هذا العبد العاجز فانه بفضل الله ثم بفضل كل معين في الخير ، قد تقبل هؤلاء الكرام الوافدين والابطال المتجردين واقام لهم - مثل السنوات الماضية - ما يلزمهم من دروسهم وما استطاع

بيان الى الأمة الجزائرية

من نفقاتهم وضم اليه من الشيوخ ومن كبار تلامذته من يعينه على تعليمهم .
وأما أنت أيها الشعب الكريم - فاننا ندعوك بدعوة الله الى مديد
المعرفة على هذا العمل الواجب العظيم ندعوكم لتمدوا صندوق هؤلاء
الطلبة ، بما استطعتم من خير . ونذكركم - وهذا معلوم عندكم من
السنوات الماضية - ان صندوق الطلبة تتولاه لجنة من جمعية التربية
والتعليم الاسلامية ، فهي تضبط دخله وخرجه وتنشره على الناس .
ونعرفكم ان امين هذا الصندوق اليوم هو السيد كرماني الحاج حموش
التاجر برجة الجمال بقسنطينة .

KERMANI HADJ HAMOUCHE
Proprietaire Commerçant
14 et 16 Rue Hakett Constantine

فهللوا الى التعاون على البر والاحسان - أيها الأخوان - والله
المستعان ، والسلام عليكم (١) .

من أخيكم
عبد الحميد بن باديس

(١) البصائر : العدد ٤٧ ، السنة الاولى ، الجمعة ٢٦ رمضان
١٣٥٥ هـ - ١١ ديسمبر ١٩٣٦ م ، ص ٥ ، العمود ١ و٢ و٣

لمن أعيش

ملخص محاضرة القاها عبد الحميد على أعضاء

جمعية التربية والتعليم الإسلامية

أيها الأخوة :

ينبغي لكل قوم جمعهم عمل أن يفهم بعضهم بعضا كما ينبغي أن يفهموا العمل الذي هم متعاونون عليه ليكونوا في سيرهم على بصيرة من أنفسهم وعملهم . فقد يجتمع قوم على عمل مع اختلاف منازعهم فيأخذ كل واحد ليجذب الى ناحية فتقع الخصومة ما بينهم وينقطع حبل عملهم وربما انتهى بهم الامر الى افتراق وعدوان . ولو انهم في أول الأمر تفاهموا ، لما تخاصموا .

فنحن - أيها الأخوة - الذين اجتمعنا على التربية والتعليم من معلم ومتعلم يجب علينا أن يفهم بعضنا بعضا . والمعلم هو الذي يجب أن يفهمه المتعلمون ويفهمهم هو في نفسه لانه هو الذي انتصب ليث فيهم افكارا وأخلاقا وآدابا وهو مؤثر عليهم أثرا ما لا محالة ، فمن واجب نصحه لهم أن يفهمه في نفسه لينظروا في قبول التأثير به فيستمرون معه ، وعدم قبوله فيفارقونه ، وليكون من قبلوا واستمروا مجتمعين على شيء قد فهموه واتفقوا على البقاء فيه والتعاون عليه .

وأنا أظن نفسي مفهوما عند من يتصلون بي مثلكم ولو كان ذلك في زمن قليل لانني ما فتئت أعلن عن فكري التي أعيش لها وغايتي التي أسعى اليها في كل مناسبة . واليوم - وقد كان تباين ما في بعض

من يتصلون بي - رأيت من الواجب أن ألقى عليكم هذا البيان مختصرا
في سؤال وجواب ثم أقفي عليه بشيء من الشرح والتفصيل :

س : لمن أعيش أنا ؟

ج : أعيش للاسلام والجزائر .

قد يقول قائل : ان هذا ضيق في النظر ، وتعصب للنفس ، وقصور
في العمل ، وتقصير في النفع . فليس الاسلام وحده دينا للبشرية ،
ولا الجزائر وحدها وطن الانسان ولأوطان الانسانية كلها حق على كل
واحد من أبناء الانسانية ، ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام .

فأقول : نعم ان خدمة الانسانية في جميع شعوبها ، والحدب عليها
في جميع اوطانها ، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها ،
هو ما تقصده وزمي اليه ، ونعمل على تربيتنا وتربية من الينا عليه ،
ولكن هذه الدائرة الانسانية الواسعة ليس من السهل التوصل الى
خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة فوجب التفكير في الوسائل الموصلة
الى تحقيق هذه الخدمة وايصال هذا النفع .

ونحن لما نظرنا في الاسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية
في جميع أجناسها فيقول : (٧٠/١٧) « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
آدَمَ » ويقرر التساوي والاخوة بين جميع تلك الأجناس ويبين انهم
كانوا أجناسا للتمييز لا للتفضيل وان التفاضل بالاعمال الصالحة فقط
فيقول : (١٣/٤٩) « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ويدعو تلك الأجناس كلها
الى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة
القريبة والبعيدة فيقول : (١/٤) « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ • وقرر التضامن الانساني العام
بأن الإحسان الى واحد إحسان الى الجميع ، والاساءة الى واحد
اساءة^(١) الى الجميع فيقول : (٣٥/٥) « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا » • ويعترف
بالأديان الأخرى ويحترمها ويسلّم أمر التصرف فيها لأهلها فيقول :
(٦/١٠٩) « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » • وقرر شرائع الأمم
ويهون عليها شأن الاختلاف ويدعوها كلها الى التسابق في الخيرات
فيقول : (١٥/٥) « لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » • ويأمر
بالعدل العام مع العدو والصديق فيقول (٩/٥) « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شُرَكَائِ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا » • ويحرم الاعتداء تحريماً
عاماً على البغيض والحبيب فيقول : (٣/٥) « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شُرَكَائِ قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ
تَعْتَدُوا » • ويأمر بالاحسان العام فيقول : (٩٠/١٦) « إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » • ويأمر بحسن التخاطب العام
فيقول : (٨٣/٢) « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » •

(١) كذا في الاصل الصواب : اساءة .

فلما عرفنا هذا وأكثر من هذا في الاسلام - وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضلته - علمنا أنه دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به ، وان خدمتها لا تكون إلا على أصوله ، وان ايصال النفع اليها لا يكون الا من طريقه ، فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته ، وخدمة كل ما هو بسبيله ومن ناحيته . فاذا عشت له فاني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها ، في جميع أجناسها وأوطانها ، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها ، وما كنا لنكون هكذا الا بالاسلام الذين ندين به ونعيش له ونعمل من أجله .

فهذا - أيها الاخوان - معنى قولي : « انني اعيش للاسلام » .

أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض عليّ تلك الروابط لأجله - كجزء منه - فروضا خاصة ، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة . فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة . وكما انني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة اليه : الى رجاله والى ماله والى حاله والى آلامه والى آماله ، كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعلمي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة اليه . هكذا هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال . واحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لا بد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال .

نعم ان لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال ، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد انه لا بد أن نكون قد خدمناها ، وأوصلنا اليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا الخاص .

وأقرب هذا^(١) الأوطان اليينا هو المغرب الادنى والمغرب الاقصى اللذان ما هما والمغرب الاوسط الا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابا وأخلاقا وتاريخا ومصالحة ثم الوطن العربي والاسلامي ثم وطن الانسانية العام . ولن نستطيع أن تؤدي خدمة مثمرة لشيء من هذه كلها الا اذا خدمنا الجزائر . وما مثلنا في وطننا الخاص - وكل ذي وطن خاص - الا كمثّل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة . فبخدمة كل واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية . ومن ضيع بيته فهو لما سواها أضيع . وبقدر قيام كل واحد بأمر بيته تترقى القرية وتسعد ، وبقدر اهمال كل واحد لبيته تشقى القرية وتنحط .

فنحن اذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للاضرار بسواها - معاذا بالله - ولكن لننفعها وننفع ما اتصل بها من أوطانٍ الاقرب فالاقرب .

هذا - أيها الاخوان - هو مرادي ، بقولي «انتي أعيش للجزائر» .

والآن - أيها الاخوان - وقد فهمتموني وعرفتم سمو فكرة العيش للاسلام والجزائر فهل تعيشون مثلي للاسلام والجزائر ؟

نعم ! نعم ! بصوت واحد .

فلنقل كلنا : ليحيى الاسلام ! لتحىي الجزائر (٢) .

(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ١٠ ، م ١٢ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٨
غرة شوال ١٣٥٥ هـ - جانفي ١٩٣٧ م

مؤتمر المعلمين الأحرار

سينعقد مؤتمر رجال التعليم العربي الحر تحت اشراف جمعية العلماء بنادي الترقى بالجزائر يومي الاربعاء والخميس الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر سبتمبر الجاري لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه ، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل الى توحيد مناهج التعليم العربي فعلى اخواننا الاساتذة القائمين بهذا النوع من التعليم ان يحرصوا كل الحرص على شهود هذا المؤتمر .

والواجب أن يعدوا من الآن خلاصة آرائهم في ضمن تقارير تقدم للمؤتمر . وها هي المسائل التي نرجو منهم أن يتقدموا الى المؤتمر بآرائهم فيها :

- ١ — وسائل توحيد التعليم .
- ٢ — أسلوب التعليم .
- ٣ — أسلوب تربية الناشئة .
- ٤ — خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم .
- ٥ — الكتب وهل الاحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية .
- ٦ — رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه .
- ٧ — التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته .
- ٨ — رأيهم في الوسيلة التي نعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم .

٩ - تقارير مفصلة لدرجة اقبال الامة على التعليم باقسامه
السابقة (كل في جهته) .

والمجلس الاداري لجمعية العلماء يلح كل الالاح على الاساتذة
القائمين بمهمة التعليم الحر في أنحاء القطر الجزائري ألا يتأخروا عن
الحضور في هذا المؤتمر العلمي النافع الذي ستكون روعته وفوائده
على مقدار جهودهم ومباحثهم ، وستكتب دعوات خاصة لكل من نعرف
اسمه وعنوانه بالضبط ، ومن غاب عنا عنوانه فليعتبر هذه الكلمة دعوة
خاصة ، ولهم الشكر .

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

الاسلام الناتى والاسلام الورائى

ايهما ينهض بالامم

يولد المرء من أبوين مسلمين فيعد مسلماً ، فيشب ويكتهل ويشيخ وهو يعد من المسلمين • تجري على لسانه وقلبه كلمات الاسلام • وتباشر أعضاؤه عبادات وأعمال اسلامية ، فراق روحه أهون عليه من فراق الاسلام ، لو نسبته لغير الاسلام لرأيت منه لثار (١) عليك أو بطش بك • ولكنه لم يتعلم يوماً شيئاً من الاسلام ولا عرف شيئاً من أصوله في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال ، ولم يتلق شيئاً من معاني القرآن العظيم ولا أحاديث النبي الكريم ، صلى الله عليه وآله وسلم • فهذا مسلم اسلاماً وراثياً لأنه أخذ الاسلام كما وجدته من أهله ، ولا بد أن يكون - بحكم الوراثة - قد أخذه بكل ما فيه مما أدخل عليه وليس منه من عقائد باطلة وأعمال ضارة وعادات قبيحة • فذلك كله عنده هو الاسلام ، ومن لم يوافق على ذلك كله فليس عنده من المسلمين •

هذا الاسلام الورائى هو الاسلام التقليدى الذى يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء • ومحبة أهله للاسلام انما هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان •

هذا الاسلام الورائى هو اسلام معظم عوام الأمم الاسلامية ، ولهذا تراها مع ما أدخلت على الاسلام من بدع اعتقادية وعملية ، ومع ما أهملت من أخلاق الاسلام وآدابه وأحكامه ، متمسكة به غاية التمسك

(١) كذا فى الاصل •

لا ترضى به بديلا ولو لحقها لأجل تمسكها به ما لحقها من خصومه
من بلاء وهوان .

هذا الاسلام الوراثي حفظ على الأمم الضعيفة المتسكة به -
وخصوصا العربية منها - شخصيتها ولغتها وشيئا كثيرا من الأخلاق
ترجح به الأمم الاسلامية إذا وزنت بغيرها . ومن ذلك خلق العفة
والطهر الذي حفظ نسلها فتراه يتزايد بينما تشكو أمم أخرى غير
اسلامية من نقصان نسلها . فالشعب الجزائري يزداد في العام اثنين
وثلاثين ومائة الف والشعب التونسي يزداد في العام خمسين ألفا بينما
بعض الشعوب غير الاسلامية يقف عن الازدياد ويخاف النقصان رغم
ما عند هذا من العناية وما عند أولئك من الاهمال .

لكن هذا الاسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالامم ، لان الامم
لا تنهض الا بعد تنبه افكارها وتفتح أنظارها . والاسلام الوراثي مبني
على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر .

أما الاسلام الذاتي فهو اسلام من يفهم قواعد الاسلام ويدرك
محاسن الاسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله ، ويتفقه -
حسب طاقته - في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ويبنى ذلك
كله على الفكر والنظر فيفرق بين ما هو من الاسلام بحسنه وبرهانه ،
وما ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حياة فكر وايمان وعمل ، ومحبته
للالسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى
الشعور والوجدان .

هذا الاسلام الذاتي هو الذي أمرنا الله به في مثل قوله تعالى :
« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي
وَقَرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » ، فبالفكر في آيات الله السمعية وآيته
الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر ، تنهض الامم

الاسلام الذاتي والاسلام الوراثي

فتستثمر ما في السماوات وما في الارض وتشيد صروح المدينة والعمران .
اذأ ! فنحن - المسلمين - مطالبون دينيا بأن نكون مسلمين ،
اسلاما ذاتيا . فماذا تتوصل الى هذا الواجب المفروض ؟ . . .

لذلك سبيل واحد ، هو التعليم . فلا يكون المسلم مسلما حتى
يتعلم الاسلام فالمسلمون - أفرادا وجماعات - مسؤولون عن تعلم
وتعليم الاسلام ، للبنين والبنات ، للرجال والنساء ، كل بما استطاع
والقليل من ذلك خيره كثير ، « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ،
فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » ؟ (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٤ ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .
ربيع الاول ١٣٥٧ هـ - فيفري ١٩٣٨ م .

يا لله ! للاسلام والعربية في الجزائر

(كل من يعلم بلا رخصة يفرض ثم يفرض ويسجن)

قانون ٨ مارس

(لكل من يطلب الرخصة لا يجب)

هذا عمل الادارة الكثير المتكرر

بينما الأمة الجزائرية تنتظر من فرنسا منحها حق التصويت البرلماني، مع بقائها على شخصيتها الاسلامية ، اذ أعداء الأمة الجزائرية – وأعداء فرنسا أيضا – يجمعون أمرهم ، ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على التعليم ، ليهدموا هذه الشخصية الاسلامية من أصلها وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها .

علموا أن لا بقاء للاسلام الا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه واحكامه ، وأن لا تعليم له الا بتعليم لغته ، فناصروا تعليمها العداة وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء ، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي والضم بالرخص، واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها الا على اقل القليل .

ولما رأوا تصميم الأمة على تعلم قراءتها ودينها ولغتها، واستبسال كثير من المعلمين في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين والقرآن ولغة الدين والقرآن ، واستمرارهم على التعليم رغم التهديد والوعيد ، ورغم الزجر والتفريم – لما رأوا هذا كله سعوا سعيهم وبذلوا جهدهم حتى استصدروا هذا القانون : قانون العقاب الرهيب .

لقد فهمت الأمة من المعلمون المقصودون ، فهم معلمو القرآن والاسلام ، ولغة القرآن والاسلام ، لانهم هم الذين عرفت الامة كلها ما يلقون من معارضة ومناهضة ، وما يجدون من مقاومة ومحاكمة . بينما غيرهم من معلمي اللغات والاديان والمروجين للنصرانية في السهول والصحارى والجبال ، بين ابناء وبنات الاسلام ، في أمن وأمان ، بل في تأييد بالقوة والمال . وهم الذين اذا طلبوا الرخص بكل ما يلزم للطلب اجيبوا بالسكوت والاعراض او اعلن لهم بالرفض لغير ما سبب من الأسباب فهم الذين اذا طلبوا اليوم كان كما بالامس السكوت أو الرفض جوابهم . ثم اذا أقدموا على التعليم بلا رخصة كان التفرغ الثقيل والسجن الطويل جزاءهم ، واذا اجموا واستسلموا تم لاعداء الاسلام والعربية مرادهم وقضوا على القرآن والاسلام ولغة القرآن والاسلام قضاءهم .

فهمت الأمة كل هذا وفهمت أن هذا القانون سلاح جديد حديد اشهر لمحاربتها في اعز عزيز عليها ، وأقدس مقدس لديها وهو قرآنها ودينها ولغة قرآنها ودينها وتوقعت من السلطة ان تستعمله اشد استعمال وتستغله شر استغلال ضد تعليم القرآن والاسلام ولغة القرآن والاسلام لما عرفت من قبل مقاومتها لهذا التعليم والقائمين به .

فهمت الأمة هذا الشر والكيد المديرين لدينها وقرآنها ولغة قرآنها ودينها . وفهمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المثلثة للامة في دينها وقرآنها ولغة دينها وقرآنها والناطقة في الدفاع عنها في هذه الناحية بلسانها والمعاهدة لله وللامة على ذلك الدفاع الى آخر رمق من حياتها .

قد فهمنا - والله - ما يراد بنا واتنا نعلن لخصوم الاسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عز منا ، وسنمضي - بعون الله - في تعليم

ديننا ولقتنا رغم كل ما يصيبنا ، ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلها بايدينا • واتنا على يقين من ان العاقبة – وان طال البلاء – لنا وان النصر سيكون حليفنا – لاننا قد عرفنا ايماننا ، وشاهدنا عيانا ، ان الاسلام والعربية قضي الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما •

سيرى الذين دبروا المكيدة • والذين لم يتفطنوا لها فشاركوا في تنفيذها • انهم ما اصابوا بهذه المكيدة الا سمعة فرنسا في العالم الاسلامي والعربي ، في الوقت الذي تنفق فيه الملايين على تحسين سمعتها فيهما • ومكائتها عند الجزائريين في اخرج اوقاتها واشدها حاجة الى الامم المرتبطة بها ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله • فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا •

عبد الحميد بن باديس



للدفاع عن الاسلام والقرآن ولغتهما

ندعو كل معلم مكتب قرآني او مدرسة طلب الرخصة من الادارة ولم يجب ، وكل معلم مكتب قرآني او مدرسة منع من التعليم ، وكل معلم نزعته منه رخصته – ان يكاتبنا بما وقع له من ذلك ويعرفنا بتفصيله وجميع ما يتعلق به لنسعى في نازلته السعي المشروع •

كما ندعو كل من تعدى عليه من معلمي الديانة في المساجد ان يكاتبنا ويعرفنا لنتتبع بطريق القانون كل من روعه وانتهك حرمة الدين والمسجد من رجال السلطة كائنا من كان •

بإله للإسلام والعربية !

كما ندعو كل جماعة يريدون تأسيس جمعية وفتح مدرسة لتعليم
الإسلام والعربية ان يكتبونا ويمرفونا لترشدكم الى الوجوه القانونية
اللازمة .

نهج الأربعين شريفا عدد ١٧ بقسنطينة

Rue Alexis — Lambert, 17

— CONSTANTINE —

عبد الحميد بن باديس

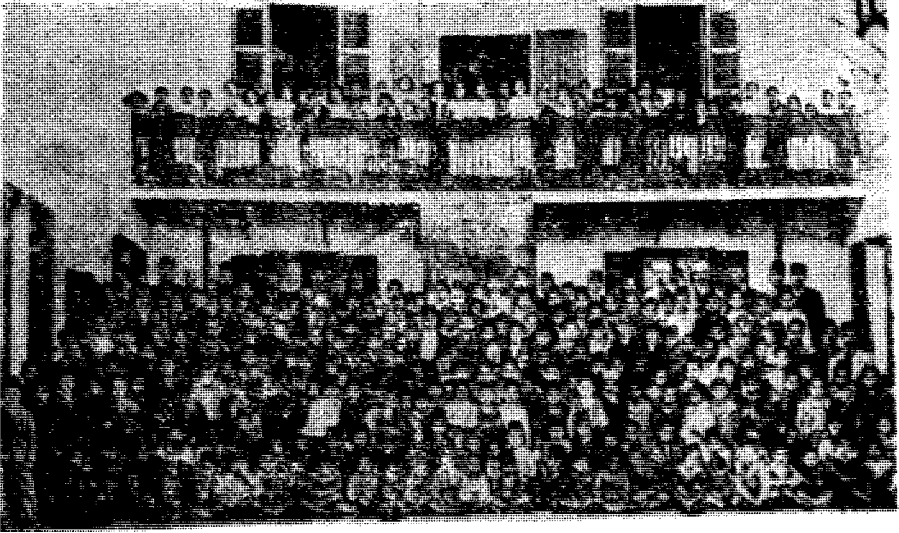
البصائر : قسنطينة يوم الجمعة ٧ محرم ١٣٥٧ هـ الموافق ليوم ٨
افريل ١٩٣٨ م ص ١ والعمود ١ من الثانية .

مدرسة الشبيبة الاسلامية الجزائرية (بالجزائر)



صورة بعض اعضاء ادارة جمعية الشبيبة الاسلامية الجزائرية
واساتذة مدرستها وهم الجالسون من اليمين: الشيخ يحيى جعفر والشيخ
باعزيز بن عمر والشيخ محمد العيد خليفة والسيد محمد علي دمرجي
رئيس الجمعية والشيخ فرحات بن الدراجي والشيخ البدوي جلول
والشيخ عبد الرحمن الجيلالي والواقفون من اليمين : السيد رشيد
بطحوش والسيد ابي شهلة والسيد احمد اندلسي والسيد زقان محمد
والسيد عباس التركي والسيد الحاك يوسف دمرجي والسيد ابن ليلي
محمد والسيد محمود رودوسي .

مدرسة الشبيبة الاسلامية



صورة تلاميذ وتلميذات مدرسة الشبيبة الاسلامية الجزائرية
وشيوخها وبعض اعضاء ادارة جمعيتها



صورة تلميذات مدرسة الشبيبة الاسلامية الجزائرية
وشيوخها وبعض اعضاء ادارة جمعيتها(١)

(١) ش : ج ١ ، م ١٤ ص ١
فترة محرم ١٣٥٧ هـ - مارس ١٩٣٨ م

كتاب مفتوح

الى السيد الوالي العام على القطر الجزائري

مضى زمن حسب بعض الناس فيه أن الاسلام والعربية انما هما من هم قراء العربية وطلبة القرآن وعامة الناس . وأما المثقفون باللسان الفرنسي فلا هم لهم فيهما . وأنهم قد ذهبوا بأبصارهم آفاق أخرى عن الالتفات اليهما ، وان أحسنهم حالا من يعطف عليهما عطفاً رقيقاً مراعاة للبيئة وحنواً على العشير . حتى جاءت هذه المقاومة الصريحة لتعليم الاسلام ولغة الاسلام من الادارة بقانون ٨ مارس وما سبقه وما لحقه من منع الرخص ومحاكمة المعلمين . فتجلت الحقيقة وانقضت سحب الغرور وظهر أن أخواننا المثقفين باللسان الفرنسي من الدكاترة والمحامين والاستاذة وغيرهم لا ينقصون عن غيرهم غيرةً ودفاعاً عن الاسلام ولغة الاسلام .

وها هو الدكتور ابن خليل - النائب البلدي بباتنة ورئيس الجمعية الدينية بها وأحد الأعضاء البارزين في جمعية النواب لعمالة قسنطينة - يدافع دفاعاً فيه من حرارة الايمان بقدر ما فيه من قوة الحجة وقد نشره باللسان الفرنسي في جريدة جمعية النواب (الانطانت) الغراء فرأينا تعريبه ليطلع عليه القراء ويكونوا على علم بما فيه من حجج قانونية يحتاجون اليها .

وبعد فانا نرجو أن ترجع الادارة الى الحق وتراعي شعور الأمة فتكسب بذلك محمداً وتفعل جيلاً هو في صالح

الجميع وذلك ما نعمل كلنا في سبيله (١) .

عبد الحميد بن باديس



انني من الذين فوجئوا بقانون ٨ مارس وبالطبع قرأت بتأمل واهتمام زائد (بيان حقيقة) الذي اصدره السيد الوالي العام ونشر بالجرائد اليومية . وانني اكون مسرورا بكل فكرة حكومية يراد بها التنظيم الاداري في العمالات الجزائرية الثلاث طبق ما هو جار بأم الوطن حتى انني أتفاءل لقانون فصل الدولة عن الدين - بالسلم الديني في هذا الوطن - وعلى الاخص الديانة الاسلامية - الذي هو من جملة المطالب الرئيسية لوحدة النواب التي أشرف بالانتماء اليها ومع ذلك فان قراءتي لهذا ال : (بيان حقيقة) لم ترفع عني الدهشة لانه في الواقع - كل شيء يبني على فهم الحكومة لذلك القانون وتفسيرها اياه عمليا . وبهذا المثل الراجح الذي اضربه لكم فوق هذا المنبر سأحاول افهامكم - على ما ارتأه فكري الضعيف ، أحقية الدهشة المستولية على الامة الاسلامية :

في بلدة باتنة أربعة أديان جاري بها العمل (كاثوليكي ، اسرائيلي ، اسلامي ، بروتيستاني) وعلى هذا يوجد في نفس هذه البلدة جمعية دينية اسرائيلية ، وجمعية دينية اسلامية ، حصل لي الشرف برئاستها منذ سنة ١٩٣٤ م - وجمعية دينية بروتيستان - ما عدا رجال الكهنوت الكاثوليكي فانهم لم يؤسسوا جمعية دينية كاخوانهم في فرنسا .

الجمعية الدينية الاسلامية بباتنة كمثلاتها من الجمعيات الدينية ،

(١) تعليق له على مقال كتبه ابن خليل النائب البلدي بباتنة ورئيس الجمعية الدينية بها وعضو جمعية النواب لعمالة قسنطينة رأينا نقل المقال لاهميته التاريخية .

تأسست في سبتمبر ١٩٢٥ م على أساس قانون فصل الدين عن الدولة الصادر في ديسمبر ١٩٠٥ ورسوم ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ م وهي لا تملك الا مسجدا واحدا - وهو المسجد الوحيد - في البلدة المذكورة كلها وهي التي تقوم بدفع أجر القائمين على الديانة من كيسها وما زالت منذ تأسيسها دائبة على تعليم الكبار والصغار من المسلمين امور دينهم . والمعروف عن التعليم المذكور انه عبارة عن تعليم القرآن والتوحيد واحكام العبادات ولهذا فهو لم يكن في وقت من الاوقات يصادف ادنى عرقلة ولا حتى مجرد ملاحظة حكومية حتى سنة ١٩٣٥ م أو هي كما ترى مدة عشر سنوات أو ونيف ثم ان السيد البريفي عامل عمالة قسنطينية اعلني بكتاب مرقوم بـ ٢٩٧٦٣ ومؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٣٥ م ان لاحق لهذه الجمعية - أي تعليم كان - وان عليها قبل ان تفعل ان تمتثل وتعمل بمقتضى مرسوم ١٨٩٢ م فاجته بالجواب التالي :

باتنة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٥ م

من رئيس الجمعية الدينية الاسلامية في باتنة .

جناب السيد البريفي عامل عمالة قسنطينة ، سيدي أبلغكم مع الاحترام انني اتصلت بمكتبكم رقم ٣٩٧٦٣

وأعلم جنابكم ان الجمعية الدينية الاسلامية بباتنة ممثلة ومتبعة للوضعيات المعينة بالمادة الخامسة وما يليها من مواد قانون أول جوليت ١٩٠١ وكذلك وضعيات قانون ٩ ديسمبر ١٩٠٥ وأمر ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ والمادة الاولى من القانون الأساسي لهذه الجمعية تنص على ما يأتي:

تأسس بباتنة بعضوية جماعة من المسلمين مشتركين في مسؤولية وضع هذا القانون الأساسي جمعية دينية اسلامية ومنظمة على مقتضى

قانون ٩ ديسمبر ١٩٠٥ وأمر ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ وأيضا على نط
الوضعيات التي للمادة الخامسة وما يليها من قانون اول جوليت ١٩٠١
الغرض من الجمعية :

اولا : ان تتكفل بضمان الواجبات الدينية الاسلامية .

ثانيا : ان تتولى رعاية المسجد الذي اسسه المسلمون والقيام عليه .
ولهذا فاني واياكم لعلى وفاق تام من ان قانون ١ جوليت ١٩٠١
بحسب مادته الخامسة لا يخول للجمعية المذكورة القوة القانونية .
ولكن هذه الجمعية من جهة اخرى تستغل قانون حرية الاديان وفصل
الدين عن الدولة وتتحصن به كرسوم ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ م المينان
لشروط القوانين المتعلقة بفصل الدين على الدولة للعمل الديني بارض
الجزائر واذن فما هي الوسائل التي تمكننا من اقامة الشعائر الاسلامية؟
لقد قال لنا (لارشي المقنن الكبير) نفسه : « ان الدين الاسلامي
يشتمل على جميع الاوامر التي تكون النظم الدينية اخلاقا واحكاما »
من صفحة ٦٣٤ وفقرة ٢٢٤ وهذا يدل على أن الدين الاسلامي لم يكن
مجرد عبارات فقط بل حتى التعليم الديني .

ومما قاله لارشي المذكور في شأن التعليم الاسلامي هو عين
ما يزاول في المسجد . والجمعية هي الضامنة فيه ماديا ودينيا في
دائرة القوانين والمواد التي تجريها الحكومة على المساجد الرسمية
بمقتضى الملحق المؤرخ في ١٧ ماي ١٨٥١ وعليه فان هذه الدروس
المختصة بالتعليم الديني والخالية من العلوم الدنيوية العصرية والتي
لم تخرج عن الحدود القانونية لا تعتبر مدرسة خاصة ولا مكتبا حرا
من النوع المشار اليه بقانون ١٨٩٢ المتعلق بالمكاتب الخاصة الحرة
لالاهالي .

وعلى هذا فالظنون عندي ان الحكومة المحلية قد غلظت في عدم

التمييز بين المكتب القرآني الحر والدروس الدينية العمومية واني لأرجو بعد هذا ان تتدارك الحكومة ذلك على ضوء ما قدمت من ايضاح وتجديد للقضية .

وتقبلوا خالص التحيات من قلب ملؤه الاخلاص العميق .

الدكتور ابن خليل



ان هذا المكتوب بقي مسكوتا عنه وفي ٢ مارس ١٩٣٦ بأمر عمالي: إن السيد الكوميسار بوليس سجل ضد الامام قضية مخالفة باسم القانون المذكور عرضت أمام محكمة باتنة (السامبل بوليس) وقد وافق السيد القاضي الرأي المخزني ولكنه توقف في تنفيذ الحكم لأن لانديجينا لا يجري على الامام المذكور وأما وكيل الحق العام فانه استأنف القضية بمجلس الاستئناف الاعلى ولكن مع الاسف لم يصدر شيء عنها في هذا الشأن لان القضية رفضت بموجب قانون العفو المعروف واذن فهذا الخلاف - واعتذر عن هذا التعبير - قد نجم من جديد بواسطة السيد الكوميسار بوليس . بقيت الادارة العمالية متمسكة بوجهة نظرها فاتهمت القائمين بالتعليم للجمعية بانهم منذ تاريخ غير مسمى فتحوا مكتبا قرآنياً لتعليم الصغار والكبار بدون رخصة (التهمة التي تثبتها مادتا ٥١ و٤٩ من قانون ٨ مارس ١٩٣٨) والجمعية أيضا هي الاخرى متبوعة كذلك وضامنة ، وستعرض الدعوى أمام مجلس التأديب (الكور لكسيونال) باسم قانون ٨ مارس الاخير فلا تنتظر برجاء تام حكم العدالة . ومع ذلك قد تكونت حالة غير مرضية متسببة عن سوء فهم لقانون ١٨٩٣ والسيد الكوميسار سجل المخالفة لانه وجد في باتنة ان الامام يعلم الرشداء وفي الاوقات الخارجية عن اوقات

التعليم الفرنسي يعلم صبيان الاهالي : القرآن والتوحيد والواجبات
الاسلامية وبعبارة اخرى (علم اللاهوت الاسلامي) .

ومع هذا ان التعليم المشار اليه - هو ديني لا اكثر - يشبه التعليم
الذي تقوم به في لغتنا وحدود عقائدها ، الجمعيات الدينية المنظمة
الكاثوليكية بباتنة وهكذا يخيل ان الدين الاسلامي يعامل معاملة
استثنائية وذلك رغم تعهد فرنسا باحترام حرية العمل في الدين
والموائد الاسلامية .

زيادة على هذا كل مؤمن يتساءل عن سبب عدم تمكين الجماعات
الاسلامية - التي تمثلها جمعيتها الدينية ومستخدموها - في العمل
بحق أخذته من القانون الافرنسي مع المساواة مع الجماعات الدينية الاخرى .

هذه هي النقطة السوداء ، ومنشأ الاحتمالات التي أشرت اليها آنفا .

ان الحالة التي يوجد فيها مديرو ومعلمو الجمعية الاسلامية المسؤولة
عن مستقبل الدين الإسلامي أليمة ، تمس سكان باتنة كلهم ، اني
اتعشم يا جناب الوالي تحت نور الحوادث التي عرضتها في هذا
الكتاب الذي أملاه الاهتمام بصفاء ومصالحة هذا الوطن العمومية انكم
تفهمون جيدا اضطرابي ، وهو اضطراب السكان المسلمين الذين يرجون
من ديموقراطي مثلكم اطمئنان ضميرهم (١) .

(١) البصائر : قسنطينة يوم الجمعة ١١ ربيع الثاني ١٣٥٧ الموافق

ليوم ١٠ جوان ١٩٣٨ ص ١ و ٢ . اخترنا نقل هذا المقال لان الشيخ ابن
باديس قد علق عليه .

في سبيل التعلم والتقدم

من آثار جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

ما من شك في ان الشعب الجزائري شعر بسوء الحالة التي وصل اليها في جميع نواحيه . وما من شك في انه قد آلمه ما شعر به فأخذ يعمل للتخلص من تعاسته والنهوض من كبوته بكل ما يستطيع .

الشعب الجزائري شعب مسلم طبعه الاسلام على تعظيم العلم ، وحب التعلم ، واحترام المتعلمين، فلما دبت فيه الحياة وهب للنهوض اندفع للتعلم اندفاعا أدهش قوما وحير آخرين .

اتتبه هذا الشعب العربي المسلم على صدمات الحوادث ، وقوارع الزمان ، ومناخيس البلايا التي خرقت الجلد واللحم والعظم وبلغت الى شغاف القواد ، وعلى صوت الدعاة بالقرآن الذين هزت دعوتهم النفوس هزاً ، وأحيا الله بها البلد الميت ، ففتح عينه ليرى النور ، ومديره ليأخذ بأسباب النجاة فقدم له علماءؤه المصلحون قبسا من نور الايمان الذي هو في حنايا ضلوعه لينير له الوجود ، ومدّوا له حبل الاسلام الذي هو مرتبط بقلبه ، ليصعد في مرقى الحياة ، ويطلع الى صرح المجد والسعادة ، التي خلق لها الانسان من حيث انه انسان . وناغوه بلغة دينه التي تتصل بروحه ليفهم ذلك الدين ، ويذوق معانيه وتتشرب روحه حقائقه وأوضاعه وأحكامه ، فتبدو أزهاره الذكية وثماره الطيبة ، على أقواله وأعماله وسلوكه في الحياة مع جميع الناس .

كان مما ربي عليه الاسلام هذا الشعب الجزائري الكريم أن يطلب

في سبيل التعلم والتقدم

العلم للعلم ، وأن يسعى اليه في كل ارض وأن يتعلمه بكل لسان ،
وأن يتناوله - شاكراً - من كل أحد .

لهذا ترى أبناء الجزائر يجمعون - اذا وجدوا السبيل - بين
لغتهم العربية واللغة الفرنسية وتجدهم كما يطالبون الحكومة بحرية
تعليم وتعلم دينهم ولغة دينهم ، يطالبونها بايجاد المدارس وتوسيعها
لتعلم الفرنسية وما اليها .

واننا نشر اليوم مع هذا المقال صورة^(١) لعدد من تلاميذ مدرسة
التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة نالوا في هذه السنة الشهادة
الابتدائية الفرنسية باستحسان . وفي ذلك أصدق شاهد على ما تقصده
من نشر الثقافة باللسانين بين أبناء الجزائر .



من آثار جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

(١) بهذا العدد صورة فوتوغرافية لاثني عشر تلميذا مطربشين .

وإذا كنا نصرف أكثر جهدنا للتعليم العربي فذلك لان العربية هي لغة الدين الذي هو أساس حياتنا ومنبع سعادتنا ، ولانها هي التي نحسن تعليمها ، ولانها - وهذا من الوجاهة والعدالة بكان - هي اللغة المهملة بين أبنائها ، المحرومة من ميزانية بلدها ، المطاردة في عقر دارها ، المغلقة مدارسها ، المحارب القائمون على نشرها من أبنائها ، اللهم الا قليلا نادرا - على خوف - يحتج به عند مقتضى الحال ، والا المدارس الرسمية الثلاث التي لا تقبل الا عددا محدودا لتخريج من يملأ الوظائف الرسمية ويناسب روحها .

ولو أنا حررنا من حرية تعلم اللغة الفرنسية التي هي سبيلنا الى آداب الغرب وعلومه وفنونه وفهمه من جميع جهاته ، كما حررنا من حرية تعلم لغتنا ، لوقفنا ازاء ذلك الحرمان لو كان ، كوقوفنا ازاء هذا الحرمان .

ان شعبين متباينين ربطت أوضاع الحياة الجارية بينهما ، لا احسن لهما من أن يتفاهما ويتكارما ويتناصفا ويتآلفا ، ومفتاح ذلك أن يتعلم كل منهما لغة صاحبه .

هذا ما نقوله نحن الذين نريد الوثام والسلام ، أما الذين يحاربون العربية فهم يفرقون ويشوشون فسيندمون ، وتنتشر العربية بقوة الحق والفضيلة وهم كارهون .

فالى المسؤولين الذين يقدرسون مسؤوليتهم وجعلوا المصلحة العامة العليا غايتهم ، نوجه نداءنا من أجل حرية الدين ولغة الدين ، وفتح طريق التعلم والتقدم للمسلمين وغير المسلمين باللغتين .

عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة ٣ ، ع ١٣٦ ، قسنطينة يوم الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٥٧ هـ الموافق ليوم ٢١ اكتوبر ١٩٣٨ م ، الصفحة ١ وعمود ١ من ص ٢

ودار لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

قد بلغت المسألة اليوم الى غايتها تفهيمًا من الأمة ،
وتفهما من الإدارة ، فلنقف مدينة للانتظار ، على أمل أن
تجانب الأمة لرغبتها ، بحسن تبصر الإدارة وانصافها فنعود
للكتابة في الموضوع شاكرين مفتبطين :
الخير أبقي وان طال الزمان به والشرا أخبث ما أو عيت من زاد

من عدد (البصائر) الصادر
في ٢ جمادى الأولى ١ جوليت الماضي

لقد هز قانون ٨ مارس الذي صدر لعرقلة تعليم الاسلام ولغة
الاسلام بهذه البلاد ، الشعب الجزائري هزة عنيفة ، ورفعت الأمة
بلسان نوابها وهيئتها وعلمائها صوتها عاليا بالاحتجاج والاستتكار
ووالث (البصائر) الكتابة في المظلمة الفادحة خمسة أشهر . ولما انتهت
المسألة الى النيابة المالية - وهي أعلى نيابة في الوطن - وتضافر النواب
المسلمون على المطالبة بحرية تعليم الدين ولغة الدين ، وقدموا تقريرا
في جلسة ١٥ جوان يشتمل على لزوم اعطاء رخص التعليم الاسلامي
الحر للجميع ، مع احداث المراقبة على المدارس الحرة ، وعلنا من
نوابنا أن هنالك وعودا في حل المسألة ، رأينا أن المسألة قد بلغت
غايتها ، ورأينا أن تقف منتظرين كما هو في المربع الموضوع في صدر

هذا المقال . وها هي أربعة أشهر ونيف قد مضت على تلك الوقفة واقضت في الانتظار ! وها نحن نعود الى استئناف الكتابة في هذه المظلمة الشوهاء والداهية الدهياء ، التي لا يهدأ ضمير الأمة ما دام جرحها الدامي في أعماق قلبها ، ولكن بماذا نعود ؟ لقد كنا نحسب ونود أننا نعود فنذكر برّ الادارة بوعدنا ، واحترامها للأمة الجزائرية المسلمة في دينها ولغة دينها ، وفي أدق شعورها ، ومراعاتها ما تقتضيه مصلحة فرنسا من كسب قلوب الشعوب الواقعة في نطاق نفوذها لأيام رخائها وشدتها ، فرفع الصوت بالشكر والاعتباط ، ونعرب عن شعور الأمة وعاطفتها الحقيقيين باللسان الصادق والضمير المرتاح . ولكن - ويا للأسف - خاب الظن وباخت الوعود ، واقشعت الاماني التي هي أحلام وتضليل .

فمدرسة دار الحديث مازالت مغلقة ، ومثلها مدرسة القلعة ، والمعلمون في بجاية وغيرها ما زالوا يعاودون بالتهريم ويساقون الى المحاكمة كمجرمين ، وطلبات الرخص ما زالت تقابل بالرفض أو بالسكوت ، اللهم الا نذرا يسيرا جدا بوسائل خاصة لا يدل على تغيير في الحال ولا تبديل .

هذا هو الحال من ناحية الادارة التي هي مؤسفة بقدر ما هي مؤلمة ، أما الحال من ناحية الأمة المظلومة في حرية تعلم دينها ولغة دينها ، والمصابة من ذلك في أعز عزيز عليها ، فانها مما يبعث على السرور والرضا وتمام الثقة بالامة المسلمة في حاضرها ومستقبلها ، فانها برغم العراقيل ما تزال تبذل في التعليم بكل مناسبة ، وتسمى للمطالبة والمقاومة بكل وسيلة مشروعة ، وتحمل تهريم المتعلمين - ويتحملون - بكل ثبات وطمأنينة .

فهل تدرك الادارة معنى هذه النفسية من الامة ؟ وهل تبصر من

بماذا نعود؟

وراء هذا الثبات والجلد شبح الحقيقة؟ وهل تشعر بما تنطوي عليه
قلوب هذه الامة المسلمة المسالمة من الالم واللوعة؟
ليتها ، ولعلها يكون منها كل ذلك في صالح الجميع ، وفي سبيل
الحق والعدالة ، ومن أجل الصفاء والسلام .

عبد الحميد بن باديس

البصائر: السنة ٣ ، ع ١٤٠ ، قسنطينة يوم الجمعة ٢٥ رمضان
١٣٥٧ هـ الموافق ليوم ١٨ نفاير ١٩٣٨ ، ص ١

كيف فهمت الأمة

معاكسته لتعليم الدين والعربية ؟

يزعم المتكلمون بلسان الحكومة في منشوراتهم واذاعاتهم اننا نحن الذين أفهموا الامة ان غاية قرار ٨ مارس هي معاكسة تعليم الدين واللغة العربية .

فلاجل أن نعرف كيف فهمت الأمة نفسها كلها هذه المعاكسة الصريحة يجب أن نعرف الظروف التي صدر فيها هذا القرار المشؤوم وما تقدمها - سنوات - من النهضة العلمية الدينية للأمة الجزائرية العربية المسلمة .

من المعلوم أن الأمة الجزائرية هبت بعد قرن من الاحتلال لتأخذ قسطها من الحياة من نواح عديدة وخصوصا الناحية الدينية والعلمية ولا شك ان هبتها هذه كانت طبيعية منبعثة عن عوامل مختلفة منها المحلي ومنها العالمي ومنها الذاتي ومنها الجوارى . ومما لا ريب فيه ان الاحتفالات القرنية الهائلة التي أقامتها الحكومة كانت من أسباب تلك الهبة فقد سمعت الامة وعودا وثناء كثيرين من أعلى رجال الحكومة بباريس ومن ممثلي الامة الفرنسية بالبرلمان ، وشاهدت وأحست وتوقعت فتأثرت ، بذلك كله فيما تأثرت به في نهضتها .

كانت من مظاهر هذه النهضة الدينية العلمية أن تأسست مساجد في نواحي الوطن بمال الامة وكان منها ان ازداد عدد الراغبين في تعلم اللغة الفرنسية زيادة واضحة وتعالق اصوات النواب والكتاب بمطالبة الحكومة بتأسيس المكاتب واحداث الطبقات لتعليم ابناء المسلمين الفرنسية - ولا ينسى الناس هنا ما أحدث لهم من قانون تجديد السن

حول قانون ٨ مارس المشؤوم

بثلاث عشرة سنة وما نشأ عنه من حرمان عدد غفير من تكميل التعليم مثلما أحدث هذا القرار المشؤوم - وكان من مظاهر النهضة ازدياد عدد الراغبين في دخول المدارس الثلاث الاسلامية الحكومية ولكنهم كانوا يردون لان عدد تلاميذها محدود وكان من مظاهرها فتح المكاتب لتعليم أبناء المسلمين الذين لا يجدون مقاعد في المكاتب الفرنسية أو الذين وجدوا لكن من غير أوقات المكتب - لتعليم هؤلاء - قواعد وعقائد وآداب الدين ولغة الدين الى جانب القرآن العظيم ، وكان من مظاهرها تأسيس النوادي حتى أسست في رؤوس الجبال •

لم ترق هذه النهضة الدينية العلمية في نظر الحكومة فأخذت في مقاومتها وابتدأ ذلك بالامتناع من اعطاء الرخص ثم بغلق المكاتب في نواح عديدة ثم بسوق المعلمين للمحاكمة •

ضجت الأمة من هذا واستاءت وتألمت فرفعت صوتها بالشكوى بلسان نوابها وأقلام كتابها ، وبلسان مؤتمرها العام وبلسان وفد ذلك المؤتمر فسمعت الوعود من حكومة باريس ومن ولاية الجزائر •

ثم بينما الامة تنتظر الوفاء بتلكم الوعود رغم ما تشاهده من ازدياد الادارة في الشدة اذا هي تفاجأ بقرار ٨ مارس الذي كان مطبقا بفرنسا منذ أكثر من نصف قرن دون أن يكون له ذكر في الجزائر فلما انبعثت الأمة في نهضتها الدينية العلمية بعث لها هذا القرار المشؤوم وأخذ في تطبيقه بكل شدة وصرامة ، فلم يبق أحد الا فهم القصد من بعث هذا القرار المشؤوم في هذه الظروف وما سبقها وما لحقها وما زال مستمرا الى اليوم - الا وهو معاكسة تعليم الدين ولغة الدين، وجاء قبله قرار منع النوادي الاسلامية من بيع المشروبات وهي مشروبات حلالية طبعا ، فانفضح القصد حتى لدى حمار توما وراكبه (١) •

لو انصفوني ما كنت اركب
وراكبي جاهل مركب

(١) قال حمار الحكيم توما
لانني جاهل بسيط

هكذا فهمت الأمة كلها من نفسها ، والحكومة نفسها هي التي أفهمتها بأعمالها والامة هي التي قالت وما زالت تقول : (ان قرار ٨ مارس المشؤوم ضربة قاضية على تعلم الاسلام ولغة الاسلام) ، وما سمعته الحكومة في النيابة المالية من النواب المسلمين مما سنشره ، كاف في دحض مزاعم منشوراتها واذاعاتها (١) .

وكيف يصح في الأذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل (٢)

عبد الحميد بن باديس

(١) في الاصل : وذاتها .

(٢) البصائر : قسنطينة يوم الجمعة ٥ جمادى الاولى ١٣٥٨ هـ
الموافق ليوم ٢١ جوان ١٩٣٩ م ، ص ١

النص التقريبي لكامل التقرير الأدبي

الذي القاه سماحة الاستاذ عبد الحميد بن باديس

بدار جمعية التربية والتعليم ١٣٥٨ هـ

يوم اجتماعها العام صبيحة الاحد ٢٨ مايو ١٩٣٩ م

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين الى يوم الدين .

أما بعد : فباسم جمعية التربية والتعليم الاسلامية أرحب بكم أيها المستمعون الكرام وأشكركم على تلييتكم لنداء جمعيتكم الاسلامية الناهضة ، وأهنتكم وأذكركم بأنكم كنتم منذ أربع سنوات خلت تجتمعون في محلات غيركم .

واليوم - والحمد لله - أصبحتم تجتمعون في داركم . ولقد كنتم ضاعافا فقواكم الله ، وعززكم ورفع شأنكم .

أولا تثقون بالله ؟ إنكم بلا شك تثقون به ، ومن وثق بالله فقد هدي الى صراط مستقيم . واذا كنتم تثقون بالله فثقوا بأنفسكم ، فان من لم تكن له ثقة بنفسه لا تكون له ثقة بالله .

واذا كنتم تثقون بأنفسكم فثقوا بنفوس مؤمنة صادقة . ولم لا نثق بأنفسنا ؟ وقد أعطانا الله عقولا ندرك بها ، ومواهب نستسخرها لما يرضي الله ورسوله . لنا مواهب مثل ما لغيرنا . ولنا من هذه القومية العربية الخالدة مثل ما لغيرنا . ولنا من هذا التاريخ الممتد البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا وفوق ما لغيرنا .

ولقد أعطانا الله من هذا الدين الانساني من هذا الدين العقلي
الروحي ما يكمل عقولنا ، ويهذب أرواحنا • أعطانا منه ما لم يعطه
لغيرنا ، لتكون قادة وسادة • وأعطانا وطننا شاسعا واسعا ، مثل ما لغيرنا
فنحن اذن شعب ماجد عظيم يعتز بدينه ، يعتز بلغته ، يعتز بوطنه ،
يعتز بقوميته ، يستطيع أن يكون في الرقي واحدا من هذه الشعوب ،
وأن يفوق كثيرا من هذه الشعوب • ولنا من تاريخه الحافل ما يجعلنا
نؤمن بصدق معتقدنا فيه •

اننا نعتصم بالحق ، ونعتصم بالتواضع عندما نقول : اننا شعب،
خالد ككثير من الشعوب • لكننا نصف التاريخ اذا قلنا : اننا سبقناها
في مبادئ الحياة ، سبقناها بهدائتنا ، ونشرنا بينها الشريعة الحققة
قبل أن تتكون هذه الامم وسبقنا هذه الامم في نشر الحق ، أيام كانت
في ظلمات من الجهل حالكة أيام كانت تسبح في لجج من الاوهام
والخيالات • وذلك ما كنا فيه ، وما سنعود ان شاء الله اليه ، وانما
علينا أن نعرف تاريخنا ، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة
لائقة به في هذا الوجود • ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر
والمستقبل السعيد ، الا هذا الجبل المتين : اللغة العربية ، لغة الدين ،
لغة الجنس ، لغة القومية ، لغة الوطنية المعروسة •

انها وحدة الرابطة بيننا وبين ماضينا وهي وحدها المقياس الذي
تقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا ، وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا
وأحفادنا الغر الميامين ، أرواحهم بأرواحنا ، وهي وحدها اللسان الذي
نعتز به وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من
أفكار ، وما في النفس من آلام وآمال • ان هذا اللسان العربي العزيز
الذي خدم الدين ، وخدم العلم ، وخدم الانسان ، هو الذي تتحدث
عن محاسنه منذ زمان ، ونعمل لحيائه منذ سنين ، فليحقق الله أمانينا •

وإن الذي يعلم تاريخ الجزائر الحديث يجزم بأن هذا الشعب
شعب حي لن يموت . لقد كان هذا العبد يشاهد قبل عقد من السنين
هذا القطر قريبا من الفناء ، ليست له مدارس تعلمه ، وليس له رجال
يدافعون عنه ، ويموتون عليه . بل كان في اضطراب دائم مستمر ،
ويا ليته كان في حالة هناء ، وكان ابناؤنا يومئذ لا يذهبون الا للمدارس
الاجنبية ، التي لا تعطيهم غالبا من العلم الا ذلك الفتات الذي يملأ
أدمغتهم بالسفاسف حتى اذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولقنتهم
وقوميتهم وقد ينكرونها ، هذه هي الحالة التي كنا عليها في تاريخنا
الحديث . وما كنا لنعرض بها أو نبقي عليها وقد ولدتنا أمهات مسلمات
جزائريات يآبين الا ان نبقى كما ولدنا ، وتأبى ثقافتنا الا أن نرجع
الى ما عليه كنا . أخذنا نعمل وهناك من سبقنا في التفكير بالعمل وهم
رجال نادي (صالح باي) رحمه الله - ولا أقول كلهم - لم يكونوا
يعملون بوحى من أنفسهم بل كانوا يعملون بايعازات من غيرهم .

فلما بلغ الموعزون وبعض الموعز اليهم الى غايتهم انتهى كل شيء
وماتت الجمعية وهي في المهد ، ولم تؤسس أقل تأسيس وأصبحت
نسياً منسياً ، ومضى على ذلك حين من الدهر حتى جاء هؤلاء الذين
يعملون العمل الخالص لوجه الله ، فنهضوا نهضة أوجدت ما أتمت ترون ،
من اشتراء محل عظيم للتربية والتعليم يضم الآن من التلاميذ والتلميذات
نحو الثمانمائة ، ويضم من الكبار المتعلمين ما يناهز الستين أو السبعين
حسب أوقات عملهم الحيوي اللازم .

وأن فيها اليوم لمصنعا للنسيج ، وقانون هذه الجمعية ينص عليه ،
وينص على تعليم العربية والفرنسية لأننا قوم نريد الحياة لأنفسنا
كما نحبها لغيرنا ، ونكره أن ندخل الضرر على أي كان غيرنا ، كما
لا نرضى أن يدخل علينا الضرر على أي كان غيرنا ، ونحترم لغتنا
ومجدنا كما نحترم لغة ومجد غيرنا . ولأننا قوم نحب الخير فلا نحرّم

منه أحدا ، وما فتحنا هذه المدرسة الا لخدمة العلم وأهله ، وتربية
النشء وتثقيفه ، وللجمعية نيات اخرى تنوي ان تقوم بها في المستقبل
ان شاء الله . تنوي أن تبث البعثات العلمية الى الخارج ، وتسعى جهدها
في تحقيق ما ينص عليه قانونها الاساسي من تأسيس المصانع والملاجئ
والمحلات العامة .

هذه لمحة مختصرة خاطفة ذكرتها لكم عن تاريخكم وتاريخ نهضتكم
الجليلة أيها الاخوان ، وأخيراً أشكركم وأشكر الله الذي هداكم ،
وأشكر كل من سعى في تحقيق أمنيتنا من رجال ونساء ، كما أشكر
القائمين من رجال الجمعية والمباشرين العمل والتعليم كما لا أنسى
الحكيم الانسانيين (كتوار) و (عنالي) والسيدتين (مدام سبانو)
و (مدام دوره) وأشكر الأنسة زريزر وهي فتاة مسلمة جزائرية
أدت خدمات جليلة الى الجمعية ، أشكرهم جميعهم على ما قاموا به
من جلائل الأعمال . ثم بعد هذا العرض السريع أرجو أن تذكروا دائماً
ان الحياة القديمة في ظرف سنوات قامت بأعمال كبرى وأتمنى على الله
أن لا تأتي المقبلة الا وقد استتم مصنعنا للأعمال ، أو ملجأً للايتام ،
وأن مجلسنا موفقا مثل مجلسكم هذا أوجد هذه الاعمال ، لجدير
من يخلفه بان يوجد في القريب العاجل أكثر منها .

انتي ابتدأت حديثي بالثقة بالله والاعتماد على النفس وأخته بهما ،
فتقوا بانفسكم وثقوا بالله ، واعتمدوا عليه وعلى أنفسكم واعملوا
وكونوا خير خلف لخير سلف .

نقله من القاء الرئيس محمد الفسيري ، ومحمد الصالح رمضان

البصائر : السنة ٤ ، عدد ١٧١ قسنطينة يوم الجمعة ٥ جمادى
الاولى ١٣٥٨ هـ الموافق ليوم ٢٢ جوان ١٩٣٩ م ، الصفحة ٥ ، العمود :
نصف الاول ، والثاني والثالث والرابع من صفحة ٦

الحركة التعليمية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

أراد قسم الشبان من جمعية التربية والتعليم الاسلامية ، أن ينشر على الامة صورة للجمعية تنشيطا للعاملين وبعثا للقاعدين ومثالا للمحتدين ، ودعائي لأكتب كلمة أشارك بها في هذا العمل المفيد الجميل، فليبت دعوة أبنائي في الكلمة التالية ، شاكرًا لهم عملهم الخيري ودعوتهم اليه ودلاتهم عليه .

اصل الجمعية :

كان التعليم المسجدي بقسنطينة قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار الا الكتابات القرآنية ، فلما يسر الله لي الانتصاب للتعليم عام ١٣٣٢ هـ جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتابات القرآنية بعد خروجهم منها في آخر الصبيحة وآخر العشية فكان ذلك اول عهد الناس بتعليم الصغار .

ثم بعد بضع سنوات رأى جماعة من الفضلاء المتصلين بنا تأسيس مكتب يكون اساسا للتعليم الابتدائي العربي فأسسناه وكان الأخوان الفاضلان السيد العربي والسيد عمر بن مغسولة قد اشتريا مسجد سيدي بو معزة والبناء المتصل به ، وكان فوق بيت الصلاة محل للسكنى بالكراء فأزلاه عن ذلك وأبقياه محلا فارغا فجعلناه هو محل المكتب .
ثم نقلناه الى بناية الجمعية الخيرية لاتساعها . وهو في اثناء هذا

كله يتسع نطاقا مرة ويضيق اخرى ولا تقوم به الا جماعة لا تتجاوز عدد الاصابع .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م - رأيت ان اخطو بالمكتب خطوة جدية واخرجه من مكتب جماعة الى مدرسة جمعية فحررت القانون الاساسي لجمعية التربية والتعليم الاسلامية وقدمته باسم الجماعة المؤسسة الى الحكومة فوق التصديق عليه .

القانون الاساسي للجمعية :

بني القانون الاساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية اسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ومن الوجهة التعليمية على تثقيف افكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع . ومن الوجهة المالية على تعويد الامة على العطاء المنظم وتوسيع نطاق الجمعية بجعل الاشتراك الشهري فيها فرنكين .

تأسيس قسم الشبان :

في افريل سنة ١٩٣٣ رأيت أن أبعث في الجمعية روحا جديدا للجد والنشاط بدعوة جماعة الشبان المنخرطين في عضوية الجمعية لتأسيس فرع منهم ينهض بالجمعية نهضة فنية صادقة فصادفت منهم الدعوة رغبة سابقة في العمل كانوا يهيمون بابدائها فيصدهم التهيّب عنها ورأيت ان لهم الحق ان يأخذوا حظّهم من التربية والتعليم على وجه يناسبهم فأسست لهم درسا في يوم الاحد من كل اسبوع يلقي على جماعة منهم في الساعة العاشرة نهارا وعلى جماعة اخرى في الساعة الثامنة ليلا حتى يعم من يتفرغون له بالليل ومن يتفرغون له بالنهار .

اعمال الشبان :

نهض الشبان بالعمل تحت اشراف مجلس ادارة الجمعية فتوسع

الحركة التطهيرية

نطاق التعليم في عدد المعلمين وعدد التلاميذ وانتشرت فكرة التربية الاسلامية في قسم كبير من الشبان وهامهم اليوم يتقدمون بهذه النشرة برهاناً على ما قاموا به من عمل في امد قليل في خدمة الجمعية راجين من الأمة أن تمد يد المساعدة للجمعية لتقوم بما بقي عليها من أعمال قد اشتمل عليها قانونها ولم تتسع مقدراتها اليوم للقيام بها .

لجنة الطلبة :

لما كانت مهمة الجمعية هي التربية والتعليم وكانت الدروس العلمية التي تلقى بالجامع الاخضر هي اساس ذلك فقد تكونت من الجمعية للقيام بالطلبة والعناية بهم ومراقبة سيرهم لجنة من ثمانية عشر عضواً . وهي المتولية لصندوق الطلبة في دخله وخرجه .

تعميم فكرة الجمعية :

من ضمن القانون الاساسي للجمعية ان لها ان تؤسس فروعاً في البلدان ، فهي مستعدة لكل بلدة ترغب أن تكون فرعاً منها لاجابة طلبها ، كما انها تدعو جميع المسلمين في كل بلدة الى مثل تأسيسها لتربية ابناء المسلمين وبناتهم وتعليمهم وتعليمهم وأن ينهضوا لذلك نهضة حقيقية ويسعوا له سعي الجد المتواصل فانهم لا بقاء لهم الا بالاسلام ولا بقاء للاسلام الا بالتربية والتعليم . والله مع الصادقين (١) .

رئيس جمعية التربية والتعليم الاسلامية

عبد الحميد بن باديس

(١) نشرة : جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة عام ١٣٥٤ هـ

١٩٣٦ م ، ص ١ - ٤



تلاميذ وتلميذات مدرسة جمعية التربية والتعليم



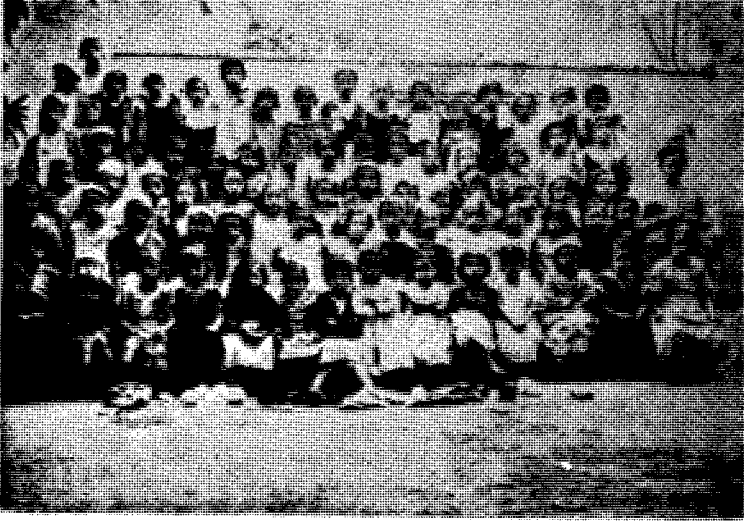
الشيخ محمد العايد الجلاي مع تلاميذ صفه من
الطبقة الاولى في مدرسة جمعية التربية والتعليم



الاستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني مع تلاميذ صفه من الطبقة
الثالثة في مدرسة جمعية التربية والتعليم



الاستاذ محمد العايد الجلاي مع تلاميذ صفه من الطبقة
الثانية في مدرسة جمعية التربية والتعليم



تلميذات مدرسة التربية والتعليم وبأيديهن منتوجاتهن
وقد وقف ناظر المدرسة الشيخ عمر شعلال



الاستاذ عبد العلي مع تلاميذ الطبقة الرابعة بمدرسة التربية والتعليم



تلاميذ مدرسة جمعية التربية والتعليم والى اليسار الاستاذ
مع تلاميذ صفه من الطبقة الاولى



الأستاذ محمد العايد الجلاي مع تلميذات صفه في مدرسة التربية والتعليم

آثار ابن باديس

قسم السياسة

مبادئنا وغايتنا وشعارنا

بسم الله ، ثم باسم الحق والوطن ، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي تتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن اليها ساعون ، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها ، لا مقصرين ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئاً من الغاية التي نرمي اليها بعون الله ثم بجدنا وثباتنا واخلاصنا ، واعانة اخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن .

مبادئنا السياسي :

نحن قوم مسلمون جزائريون ، في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية ، فلأنا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو الى كل كمال انساني ، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا واعظم أسباب سعادتنا وهنائنا ، لأننا نعلم انه لا يقدر الناس ان يعيشوا بلا دين ، وان الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، وان الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الاضرار والاتباب ، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب^(١) . لا نعني بهذا اننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا ، ولا أن يتداخل رجال الدين في سياستنا ، وانما نعني

(١) احد رؤساء الوزارات الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية .

اعتبار الدين قواما لنا ، ومهيما^(١) شرعياً لسلوكننا ، ونظاماً محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجئ اليها في تهذيب أخلاقنا وقتل روح الأغاراة والفساد منا وامامة الجرائم من بيننا ، فلماذا لا نألو جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحققة العالية وتطهيره من كل ما احده فيه المحدثون ، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من اهله او من غير اهله ولاننا جزائريون نعمل للم شعب الامة الجزائرية واحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة ، والاتقاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للانسانية .

واننا نحب الانسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحبه^(٢) الانسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها . وبالاحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه ، فلماذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري وتحبيب بنيه فيه ، ونخلص لكل من يخلص له ، وتناوىء كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه .

ولاننا مستعمرة من مستعمرات الجمهورية الفرنسية نسمى لربط اواصر المودة بيننا وبين الأمة الفرنسية وتحسين العلاقات بين الأمتين المرتبطتين بروابط المصلحة المشتركة والمنافع المتبادلة من الجانبين ، تلك الروابط التي ظهرت دلائلها وثمراتها في غير ما موطن من مواطن الحرب والسلام .

ان الأمة الجزائرية قامت بواجبها نحو فرنسا في أيام عسرها ويسرها ، ومع الأسف لم نر الجزائر نالت على ذلك ما يصلح ان يكون جزاءها ، فنحن ندعو فرنسا الى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية

(١) طريق مهيع : بيتن منبسط .
(٢) كذا في الاصل الذي به محر مطبعي .

« الحرية والمساواة والاخوة » من رفع مستوانا العلمي والأدبي بتعميم التعليم كل امت الحديث (١) .

وتشريكنا تشريكا صحيحا سياسيا واقتصاديا في ادارة شؤون وطننا الجزائري ، ان لفرنسا ما يناهز القرن في الجزائر ولا أحد ينكر مالها من الأيادي في نشر الأمن وعمارة الأرض وجميع وجوه الرقي الاقتصادي ، غير انها ويا للأسف ليست لها تلك الأيادي ولا نصفها في تحسين حال الأهالي العلمي والأدبي ، مع أن الذي يناسب سمعة فرنسا ومبادئها ويصدق ما ينادي به خطباؤها ويكون أجمع للقلوب عليها هو ان تعنى بالعباد كما تعنى بالبلاد .

انا نسعى بكل جهدنا لتحقيق هاته الأمنية التي هي حقنا وفيها سعادة الجميع .

ان الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة فترى من ضرورتها الحيوية ان تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم المدينة وال عمران وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد، فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها ولا نرفع مطالبنا أبدا الا اليها ، ولا نستعين عليها الا بالمنصفين من أبنائها .

وفي جدنا واخلاصنا وشرف الشعب الفرنسي وحرته ما يقرب كل أمل بعيد .

مبدؤنا التهذيبي :

كما تحتاج الأبدان الى غذاء من المظوم والمشروب ، كذلك تحتاج العقول الى غذاء من الأدب الراقي والعلم الصحيح ، ولا يستقيم سلوك أمة وتنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم الا اذا تغذت عقول

(١) كذا في الاصل الذي به محو مطبعي .

أبنائها بهذا الغداء النفيس ، فنحن ننشر المقالات العلمية والأدبية وكل ما يغذي العقول من منظوم ومنثور من صحف الشرق والغرب وأقلام كتاب الوطن وتقاويم كل معوج من الأخلاق وفاسد من العادات ونحارب على الخصوص البدع التي ادخلت على الدين الذي هو قوام الاخلاص فأفسدته .
وعاد وبال ذلك الفساد علينا وتأخرنا من حيث يكون تقدمنا وسقطنا بما لا نرتفع الا به ، لما شوهناه بادخال ما هو ضده عليه ، ونحسن ما كان من اخلاق الامم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدها وتقبله ، وتقبح ما كان منها قبيحا أو ميانا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه فلسنا من الجامدين في جحودهم ولا مع المتفرنجين في طفرتهم وتنطعمهم ، والوسط العدل هو الذي تؤيده وندعو اليه .

مبدؤنا الانتقادي :

في الهيئة الاجتماعية أشخاص تقدموا للامة وتولوا أو يريدون أن يتولوا قيادتها وتدير شؤونها الاجتماعية سياسية أو اقتصادية أو علمية أو دينية ، ولهم صفات خاصة بأشخاصهم وشؤونهم في أنفسهم وأعمال في دائرتهم وحدهم وصفات بها يباشرون من شؤون الأمة ما يباشرون واعمال تتعلق بأحوال العموم .

فأما صفاتهم الشخصية وأعمالهم الخاصة فلا يجوز لنا أن نعرض لها بشيء ، وأما صفاتهم وأعمالهم العمومية فهي التي نعرض لها وننقدها فننتقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير الى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين ، وتناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين فننصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه والتنديد بمظالمه كائنا من كان ، لاننا ننظر من الناس الى أعمالهم لا الى أقدارهم ، فاذا قمنا بالواجب فلاشخاصهم منا كل احترام .

ونسلك في انتقادنا طريق الحقيقة المجردة والصدق والاخلاص والنزاهة والنظافة في الكلام ، وتشر كل انتقاد يكون على هذه الصفات ، علينا او على غيرنا ، على مبدأ الانصاف الذي لا يتوصل للتفاهم والحقائق الا به .

هذه مبادئنا وهي مبادئ الصحافة الحرة الصادقة التي هي قوة لا غنى لأمة عنها ، ولا رقي لأمة ناهضة في هذا العصر بدونها .

هذه مبادئنا وسيرضى عنا بها الآحرار المفكرون أصحاب الصدور الواسعة والقلوب الكبيرة من الوطنيين والفرنسويين ، وسيغضب بها علينا المستبدون الظالمون والدجالون ، المحتالون وصغار الأدمغة وضيقو الصدور من بغاث البشر .

ونحن بين الجميع لا نخدم الا الحق والوطن والدين ولا نسمع الا لصوت الواجب ولا نسترضي اقواما ولا نستغضب آخرين قائمين حسب الجهد بالواجب الصحفي الشريف صامدين الى غايتنا السامية وهي :

« سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية »

صارخين دائما بشعارنا الرسمي وهو :

« الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء »

وعلى الله ثم على اجتهادنا واخلاصنا ومناصرة انصار المبادئ الحرة
الاعتماد والاتكال (١) .

(١) المنتقد العدد الاول ص ١ ع ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

الخميس ١١ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ - ٢ جويلية ١٩٢٥ م .
وقد امضى هذا المقال بما يلي : (النخبة) وهو بدون شك اسلوب باديسي ، وفكر حميدي .

تعطيل (السنة) واصدار (الشريعة)

للاستاذ عبد الحميد بن باديس
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

روعت الأمة نبأ تعطيل جريدة « السنة » بقرار من وزارة الداخلية ،
وتقاطرت على الادارة رسائل الاستياء والتعجب ولم يكن تعجب الناس
من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة دون استيائهم من
عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الديني التهذيبي الذي
ذاقت الأمة حلاوته وشاهدت جميل أثره .

أما نحن فقد شاركنا الأمة في الاستياء ولم نشاركها في التعجب ،
فقد كنا توعدنا بأشياء هذا التعطيل احدها^(١) فجاء ونحن له متوقعون :
غير أن الذي نعجب منه نحن المباشرين لتسيير الجمعية هو التبدل العظيم
والانقلاب السريع الذي شاهدناه من بعض الادارات نحو الجمعية .

لقد تجولت وفود الجمعية السنة الماضية في جميع جهات الوطن
وألقى وعاظها خطبهم ودروسهم في المحافل العامة ، وكثيرا ما كان
يحضرها رجال من الحكام وكانوا يلقون من شيوخ البلدان الاميار
وحكام الدوائر كل تعظيم وتقدير ، وقابلنا بعد تمام الرحل ادارة
الشؤون الوطنية بالعاصمة فلم نسمع على خطتنا أدنى انكار ولم تتلمح
أقل اشارة الى ارتياب في الجمعية أو استئقال لأعمالها ، فما الذي
بدل العقول وحول النيات ، وحمل بريني العاصمة على ابتداء منازلة
الجمعية بقراره المشهور وحمل تلك الادارات على مناوأة الجمعية

(١) كذا في الاصل .

ومضايقة رجالها وعرقلة أعمالها حتى عطلوا جريدة السنة لغير ما سبب
الا انها جريدة الجمعية ولسان حالها ؟ ! هذا محل سؤالنا ومناسط
تعجبنا •

وبعد فما ينقم علينا الناقدون ؟ أينقومون علينا تأسيس جمعية دينية
اسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته ورفع مستواه
الى الدرجة اللائقة بسمة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب وثقيفها ؟
فاذا كان هذا ما ينقومون علينا فقد أساءوا الى فرنسا قبل أن يسيئوا
الينا ، وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مع المبادئ
الجمهورية ولا مع حالة هذا العصر ، أف تكون في الهند جمعيات للعلماء
تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة
الانجليزية العاشمة القاسية وتضيق صدوركم أتم عن تكوين جمعية
واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادئ الجمهورية العادلة
المشعة بعلومها على الامم فتناهضوها وهي ما تزال في المهد ؟ أفظنتم
أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرنا كاملا في حجر
فرنسا المتمدنة ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كنفها ، يدها في يدها
فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة انجبتها أو ربته مثل تلك
الأم ؟ أخطأتم يا هؤلاء التقدير وأسأتم الظن بالمربي والمربي ، وبعدم
عن العلم بسنن الكون في نهضات الأمم بعضها ببعض عند الاختلاط
أو التجاور أو الترابط بشيء من روابط الاجتماع •

انظروا شيئا الى ماحواليكم من الامم وتأملوا فيما تنادي به
الشعوب وما تعلنه من مطالب ، فانكم اذا نظرتم وتأملتتم حمدتم لهذه
الجزائر الفتية نهضتها الهادئة ، وتمسكها المتين بفرانسا ، وارتباطها
القوي بمبادئها وعدها نفسها جزءا منها وقصوها لطلبها منها على أن
تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها ، وأن لا يتقدمها في أيام
السلم من قد لا يساويها في أيام الحرب •

لا ، لا أخالكم تنظرون ولا تتأملون فان الأثرة المستولية على النفوس حجاب كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي ، ويحول دون رؤية مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . واني لأفهم من مناهضتهم العجيبة للجمعية وهي جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة ، أنكم لا تريدون من الجزائر الا أن تبقى جامدة وأن لا تتمتع بشيء من الحق الا ما لا غناء فيه ولا بقي معه . ولعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة والطبيعة ، إذ من الطبيعي أن تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية في زمان تحرك ما فيه حتى الحجر ، ومن الشرعي أن تنال منها من الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

استكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمة في قلبها ، وجريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها ؟ فنبشركم انه سيكون للجزائر الفرنسية^(١) جمعيات وصحف وسيكون لها وسيكون ... حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحققة التي يكون من أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالكم أن يكون في أبناء الجزائر الفرنسية من لا يزحزحه عن مبدئه وعد ولا وعيد ولا يستهويه رنين ولا زخرفة ؟ فنبشركم بأن الجزائر المفطورة على مبادئ الاسلام والمتغذية بمبادئ فرنسا أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون ، رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الاحرار .

كونوا كما تشاؤون أيها السادة فلکم — وأتمتم تمثلون ما تمثلون — كل احترامنا ، وظنوا بنا ما تشاؤون فانا على بصيرة من أمرنا ويقين

(١) حسب تعبير الفرنسيين المستعمرين في ذلك العهد .

آثار ابن باديس

من استقامة خطتنا ونيل غايتنا • ومهما تبدلت اعتقاداتنا في اناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها (١) •

وعلى خطتنا المستقيمة وهي نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والرذيلة • وعلى غايتنا النبيلة وهي تثقيف الشعب الجزائري المرتبط بفرنسا ورفع مستواها العقلي والخلقي والعملية الى ما يليق بسمعة فرنسا • وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا ، وحرية الامة الفرنسية ، وديموقراطيتها •

أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأسست جريدة (السنة) المعطلة ، وأسسنا اليوم (٢) بدلها جريدة (الشريعة المطهرة) وستقوم — ان شاء الله — مقامها وتحل من القلوب محلها والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل •

عبد الحميد بن باديس



(١) هذا أسلوب سياسي استعمله ليحقق به أهدافه البعيدة .

(٢) يوم الاثنين ٢٤ ربيع الاول ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ١٧ جويلية ١٩٣٣ م وجريدة الشريعة اسبوعية تصدر كل يوم اثنين ، صدر منها ستة اعداد وآخر عدد صدر بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ٢١ أوت ١٩٣٣ م

رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

على خطاب ابن غراب

- ١ -

لو كان هذا الرجل وجه على الجمعية أضعاف ما وجه عليها من تهم واعتدى عليها بأضعاف ما اعتدى به عليها من سب واذاية من عند نفسه ، وفي مجلس من أي مجالس مثله ، لكان محققا من الجمعية انها لا تسمعه ، ولو سمعته لكا حقا عليها أن لا تقول له الا (سلاما) . . . ولكن الرجل كان - عن رضى واختيار - آلة هدم وتخريب ، وبوق شر وفساد ، في مجلس رسمي قد استدعى له الناس ليقولوا ويحتج بأقوالهم . . . فلهذا تنازلت الجمعية لرد افتراءات النائب واعتداءاته .

زعم أن الفتنة والقتال والمشاغب منتشرة في الوطن ، وان سبها هو الجمعية وكذب في الاثنين .

فأما الزعم الأول : فان المشاهد في الوطن كله هو السير المعتاد في الأعمال دون تظاهر ولا تجمهر ولا مصادمة بين قوتين ولا توقف عن اداء حكومي ولا تصدي لأحد بسوء . وانما الموجود في الوطن حركة هادئة عامة نحو ما وعدت به فرنسا ابناءها الجزائريين من حقوق تعطى لهم في القريب . ولعمر الحق أن تسمية هذا فتنة ومشاغب وقلقل ، لمن الكذب الحبريت والقلب للحقائق اللذين لا يصدران الا عن ذمة خربة وقلب مريض ونفس شريرة لا تبالي ماذا تعجنى ، أو جاهلة لا تدري ماذا تقول . واذا كنا نسمي توجه الجزائريين

ببطلهم في هدوء ونظام الى فرنسا فتنه ، فبماذا نسمي ما قام به أصحاب الأعتاب من التظاهر في بلدان عديدة بعنف وشدة وتهديد حتى عطلوا احدى الجلسات في النيابة المالية لاطهار استيائهم ؟ ان الاشياء - يا هذا - لا تخرج عن حقائقها بما يخلع عليها من الأسماء حسب الأغراض والأهواء .

وأما في الزعم الثاني : فان حركة الجزائريين نحو مطالبهم من دولتهم انما سببه ما علموه من عناية عظام رجال فرنسا بها وما بلغهم من بروجي م قرني وبروجي م فيوليت ، ثم ما شاهدوه من حزم بعض نوابهم وذهابهم الى فرنسا ، أولاً بصورة فردية ، وثانياً بصورة عمومية ، ثم كان ما كان منهم من استياء من أن نوابهم ردوا ولم يقبلوا وفهموا من عدم قبول نوابهم عدم قبول مطالبهم ، ثم أحسوا بضغط من ناحية وضعف من الناحية الأخرى فرجعوا الى سكوتهم كسابق عادتهم واعتصموا بالانتظار الذي تعودوه من أمد طويل ، فهم ساكتون منتظرون . هذه هي الأسباب المنطقية التي يؤيدها الحس ويجسمها الواقع لما كان من حركة في الامة ولن يستطيع تمويه غراب ومن لقنه أن يزيد عليها أو ينقص منها .

وزعم أن الحكومة ساعدت الجمعية أولاً ورخصت لها . والحكومة ما عرفت منها الجمعية مساعدة خاصة لا أولاً ولا أخيراً ، وأي مساعدة شاهدناها من الحكومة وقد أقرت قرار بريني الجزائري الذي يمنع رجال الجمعية من وعظ العامة وارشادهم في المساجد ، وأي مساعدة والحكومة قد أغلقت مكاتب وامتنعت من الترخيص في مكاتب أخرى لمجرد انتماء المعلمين أو الطالبين للتعليم للجمعية . فمن الأولى مدرسة سيق ومدرسة بلعباس ومدرسة قمار ، ومن الثانية مدرسة القنطرة . هذا هو الواقع مع الأسف الشديد . ولكن من الحق الذي يجب أن نقوله وأن تتسلى به أنه ليس كل واحد من رجال الحكومة راضيا

رد الجمعية على خطاب ابن غراب

بهذه المعاكسة التي لا مبرر لها والتي هي ضد لجمعية إصلاحية تهذيبية عن الاصلاح والتهذيب ، وأما ترخيص الحكومة للجمعية فالفضل في ذلك للقانون الفرنسي الحكيم ، ولولا ثقتنا بذلك القانون والرجال العظام الساهرين على تنفيذه ما كان لنا أن نصدع بهذه الحقائق التي يريد النائب غراب وملقنوه تغطيتها^(١) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

- ٢ -

زعم ان الجمعية تداخلت في شؤون لا علاقة لها بالتعليم وانفجرت بتعاليم منافية للعلم ومثيرة للاحقاد والتحزبات .

كأن الملقنين لهذا الغراب يفهمون من التعليم أنه هو ان يجلس الشيخ في وسط حلقة ثم يلقي عليهم مسائل من النحو ومسائل من كتاب الصلاة ، هذا فقط هو التعليم ، فاما مكتب ابتدائي يعلم فيه أبناء المسلمين وبناتهم مبادئ دينهم ولقنهم ويحفظون فيه من مواطن الفساد ومهاوي الشقاء وبرائن المضللين ، ويهيئون للحياة تهيئة صحيحة تكون من رجايا مسلمين يخدمون أمتهم ووطنهم ودولتهم ويشرفون سمعتها ، وأما إلقاء دروس الوعظ والارشاد على طبقات العامة التي تفقههم في دينهم وتعرفهم بالفضائل الانسانية وتحذرهم من الرذائل الحيوانية وتفتح بصائرهم لإدراك حقائق الحياة الدنيا وما يفيدهم في الحياة الأخرى ، وتصحيح عقائدهم وتهذيب أخلاقهم وتقويم أعمالهم ، حتى يعيشوا بذلك كله سعداء في الدنيا مع أنفسهم وجيرانهم

(١) الشريعة: السنة ١ ، العدد ٧ ، الاثنين ٧ جمادى الاولى ١٣٥٢ هـ -
٢٨ اوت ١٩٣٣ م ، ص ١ ، ع ١٥٢٥ ، واسفل صفحة ٢

وحكومتهم ، ويكونوا على أقوى الاسباب لنيل السعادة في آخرتهم -
فهذا كله شؤون لا علاقة لها بالتعليم ، ولهذا لما اشتغلت بها الجمعية -
زيادة على دروس رجالها لطلبة العلم - قال هذا المتقول المقول : ان
الجمعية تداخلت في شؤون لا علاقة لها بالتعليم !

أما التعليم ، كما يفهمه كل أحد ، وكما جاء به الدين ، وكما كان
عليه سلف المسلمين ، فهو نشر العلم لكل أحد ، للكبير والصغير
والمرأة والرجل : بخلق الدرس ومجالس الوعظ وخطب المنابر وبكل
طريق موصل ، وهذا ما اشتغلت به الجمعية وتوسلت بالطرق الموصلة
اليه ، ولن يستطيع الغراب ولا غيره أن يثبت عليها شيئا غير ذلك .

ولا نظنه يعني التعاليم المنافية للعلم إلا ما قامت به الجمعية من
بناء وعظها وارشادها على آيات القرآن العظيم وأحاديث النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - ووصايا أئمة السلف ، فان هذا كله كان مهجورا
في هذه الديار ، بل وفي غير هذه الديار ، فاذا كانت هذه هي التعاليم
المنافية للعلم عنده فنحن نشهد الله وملائكته والناس أجمعين أن هذه
هي التعاليم المنافية للجهل المغيضة لأهل الجهل الماحقة لكل جهل
ودجل ، وأنها هي مصدر الدين والعلم وكل خير وسعادة للبشر
وأرغم الله أنف كل أفاك أثيم .

ثم يقول الغراب : ان هذه التعاليم مثيرة للأحقاد والتحزبات !
ولقد صدق هنا وهو الكذوب ، فقد أثارت علينا هذه التعاليم الأحقاد ،
وأبي حقد أعظم من الحقد الذي أكل قلبه وقلب مثله حتى اعتدى
علينا هذا الاعتداء العظيم ، واقتري علينا هذا الأفك الميين ، وكيف
لا يحقد علينا الجهال الذين يعيشون على الجهل ونحن نحارب الجهل
والمتعيشين عليه ؟ وكيف لا يحقد علينا الذين يقولون للناس كونوا
عبادا لنا بفنون من لسان المقال ولسان الحال ، ونحن نقول للناس
لا تكونوا عبادا إلا لله ، وهم يقولون للناس ، اعبدونا وارزقونا ،

ونحن نقول لهم لا تعبدوا الا الذي يرزقكم وهو الله وحده لا شريك له . وكيف لا يحقدون علينا من يريدون بقاء المسلمين عضواً أشلاءً أو مريضاً في الهيئة الاجتماعية الجزائرية ونحن نريده عضواً حياً عاملاً كسائر الأعضاء فيها يفيد ويستفيد يعين ويستعين .

فهذه الأصناف كلها وغيرها من أمثالها امتلأت صدورنا على الجمعية حقداً حتى انفجرت بالشر أقوالها وأعمالها ، وكانت حزبا واحداً في الكيد للجمعية والمكر بها والسعاية عليها والوشاية بها ، وموقف هذا النائب الظالم المقترى مظهر من مظاهرها ومشهد من مشاهدتها . وهذه الأصناف وغيرها من أمثالها هي الحاكمة المتحيزة دون عموم الأمة وسوادها ، التي ظهر للعيان التفافها حول الجمعية وسخطها على أصدقائها ، وما تملك الجمعية لتلك الأصناف من حقدها وتحزبها الا أن تسأل الله هدايتها وتقاومها بالطرق المشروعة لترد كيدها وتخفق حقدها ، وتفدع شر تحزبها عند ما تدعوها الضرورة لمداومتها ، مثلما دعته الضرورة للرد على هذا النائب بالحجة والبرهان لا بما سلكه هو - وسلكه أمثاله قبله - من الوشاية والاذاية والكذب والبهتان^(١) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

- ٣ -

ثم يرمي الجمعية بدس الدسائس وقد علم الناس صراحة الجمعية في جميع مواقعها والجمعية التي يلقي رئيسها باسمها تلك الخطبة المشهورة في حفلة النادي بالجمعية في جمع حاشد من جميع الطبقات لا يتصور عاقل أن يكون الدس من خلقها .

(١) الصراط : العدد الاول ، قسنطينة يوم الاثنين ٢٨ جمادى الاولى ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ م ، ص ١ ، ع ٢ ، ص ٥

ثم يرميها بنصب الحيل لجلب الاموال وقد علم الناس ضبط حساب الجمعية الدقيق بما يتلوه في اجتماعاتها العمومية أمين ماليتها وينشره على الناس .

ثم يرميها بنشر الشحناء ، وكيف هذا وكلمات الجمعية التي كانت وفودها تلقيها على الناس وتلقنهم اياها هي : تعلموا، تحابوا، تسامحوا. وإذا كانت هذه الكلمات تثير الشحناء والعداوة في القلوب المريضة التي لم تألف سماع هذه الكلمات ولم تخلق للاتصاف بها فماذا تملك الجمعية لها .

ثم يقول عن الجمعية : « خالطت الطوائف الانتخابية » ، وماذا يعني هذا الجاهل بالطوائف الانتخابية ؟ ولو كانت في الامة طوائف انتخابية تسير على برامج منظمة لما كان مثله نائباً يهذي هذا الهذيان ! لكن لعله يعني شخصاً أو شخصين من النواب العماليين الذين أنطقهم شرفهم وغيرتهم بما يعلمونه عن الجمعية من خدمة الحق والخير ، وهؤلاء لم يكن بينهم وبين بعض رجال الجمعية إلا معرفة شخصية ليست أكثر من المعرفة الشخصية التي بين هذا النائب الجهول وبين بعض رجال الجمعية الذين في قسمه . والجمعية نفسها لا خلطة لها ، لا بهذا ولا بذلك ، ثم كان ماذا لو ان الجمعية اعتدت على أهل الصدق والشرف والغيرة لترد بهم كيد مثلك يا مسكين ؟ فينكر على جمعية سلمية أن تتقوى بالأحرار الصادقين – والنواحي القوية لا تنتزه عن التقوي عند الحاجة بالعييد الكاذبين ؟ الا ان الجمعية جمعية علم وتهذيب ، فهي تتأيد بأهل العلم والتهذيب ، جزائريين وفرنسيين ، مسلمين وغير مسلمين ، وتمقت وتبرأ من الجهل والوحشية من أي ملة وجنس .

ثم يرمي الجمعية بأنها تشر المذهب الوهابي ، أفعد الدعوة الى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة وطرح البدع والضلالات

رد الجمعية على خطاب ابن غراب

واجتتاب المرديات والمهلكات نشرا للوهابية ، أم نشر العلم والتهذيب وحرية الضمير واجلال العقل واستعمال الفكر واستخدام الجوارح - نشر للوهابية ؟ - إذا فالعالم المتمدن كله وهابي ! فائمة الاسلام كلهم وهابيون ؟ ما ضرنا اذا دعونا الى ما دعا اليه جميع أئمة الاسلام وقام عليه نظام التمدن في الامم ان سمانا الجاهلون المتحاملون بما يشاءون فنحن - ان شاء الله - فوق ما يظنون ، والله وراء ما يكيد الظالمون .

ثم يقول : « اتنا مالكيون » ومن ينازع في هذا وما يقرىء علماء الجمعية إلا فقه مالك ، ويا ليت الناس كانوا مالكية حقيقية اذا لطحوا كل بدعة وضلالة ، فقد كان مالك - رحمه الله - كثيرا ما يشهد :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

ثم يقول : « ان الأمة الاسلامية منذ قرن وهي متمتعة بحريتها ودينها وعاكفة على دروس علمائها » ، ونحن نريد في هذا القرن الثاني أن تزداد تمتعا بحريتها وارتفاعا بفقه دينها واتساعا في دائرة علمها على سنة التطور والرقى والتدريج ، فثارت نائرة هذا الجاهل ومن وراءه ومن كان في الجهل والشر مثله يحاولون اثاره الفتنة ، والله يظنمها ، ويكيدون للجمعية والله يحفظها ، ويكذبون على الجمعية والله يظهر نزاهتها ، حتى فضح الله أمرهم وعرفت الأمة أمرهم وعرفت الأمة دخيلتهم وأصبحوا كلهم في غضب من الله وسخط من الناس ، والله لا يهدي كيد الخائنين ولا عدوان الا على الظالمين والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين (١) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(١) الصراط السوي : السنة الاولى ، العدد ٣ ، ص ٤ ، ع : ١٥٢ و١٥٣
قسطنطينة يوم الاثنين ٥ جمادى الثانية ١٣٥٢ هـ الموافق ل ٢٥ سبتمبر
١٩٣٣ م .

حول تصريحات الوالي العام

للكاتب « البتي بلاريزيان »

نشرنا في العدد الحادي عشر نص هذه التصريحات ونشرنا احتجاج مجلس ادارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عليها . ثم رأينا من واجب جريدة الجمعية أن تقوم بواجبها في التعليق على تلك التصريحات ومناقشتها ، فان لتلك التصريحات من القيمة بقدر ما لجواب المصريح بها من المنزلة ولا نكون قدرنا تلك القيمة وعرفنا تلك المنزلة اذا نحن سكتنا عنها .

قال جناب الوالي العام : « ان الحوادث الدينية التي حدثت أخيرا كان المتسبب في وقوعها أو على الأقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية أناس ليست لهم عقيدة راسخة ومنهم فريق لا ديني وأكثرهم غير عاملين بما أتى به الدين » .

فقد قرر الحقيقة لما جعل الحوادث دينية ، فمثار كل ما كان هو تدخل الادارة في شؤون الدين تدخلا شادا مخالفا للدين نفسه ولقانون فصل الديانة عن الحكومة ، وأما المتسبب في وقوع ذلك فهو عامل عمالة الجزائر بقراره المشؤوم المشهور ثم تقرير الادارة العليا لذلك القرار وابطائها من سماع من قصد اتهامها من نواب العاصمة بعد اباتتها من مقابلتهم إلا من وراء وراء . ولا شك ان شعور جنابه بهذه الحقيقة جملة يقول : « أو على الاقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية » وأية منافع جناها نواب العاصمة من تلك الحوادث أكثر من انهم قاموا بما تفرضه عليهم النيابة ، فاذا كان من يقوم بواجبه يرمى

حول تصريحات الوالي العام

بأنه يستغل ذلك الواجب فلا عار من هذا ولا مسبة فيه ، وحسبنا من كل من نيط بمهذته واجب ان يقوم به ، ولا حق لنا أن نقول له غير أحسنت لقيامك بواجبك .

وصف جنابه الذين قاموا بواجبهم بأنهم : « أناس ليست لهم عقيدة راسخة ، ومنهم فريق لا ديني وأكثرهم غير عاملين بما أتى به القرآن » أفنسي جنابه الآلاف المؤلفة من العامة الجزائرية المسلمة التي أظهرت استياءها بما قالت وبما فعلت وبما كتبت ، وهي أمة دينية مست في أمر ديني بحت فقامت محتجة مستنكرة ، فلو لم يقم هؤلاء الذين وصفهم جنابه بما وصفهم به لكان قيام تلك الآلاف كافيا ، وأنا لا أحب أن أناقش جنابه في منزلة أولئك النواب من الدين وحسبي منهم أنهم مسلمون يعيشون عيشة المسلمين ويحملون شعارهم ويألمون آلامهم ويحملون عبء القوانين الاستثنائية مثلهم لا غير ، انني أذكر جنابه في الحقيقة النفسية وهي ان العقيدة الموروثة لا بد أن تثور بصاحبها للدفاع عنها عند مسها ، خصوصا اذا كان وسط المشاركين له فيها تؤثر العقيدة في صاحبها هذا التأثير للدفاع عنها عند الشدة ، وان لم تؤثر فيه ما تقتضيه من اعانة وقت الرخاء ، فأولئك النواب وان لم يقوموا بجميع ما تقتضيه العقيدة - نزولا عند قول جنابه - فانهم ما اندفعوا - زيادة على القيام بالواجب - للعمل الا بها .

ثم تصدى جنابه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقال : « وهؤلاء السياسيون تمكنوا من صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية ومن ادخلهم في ميدان عمل خارج عن دائرة التعليم والتهذيب القرآني » لا بل الذي صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية وعن التعليم والتهذيب القرآني هو السلطة التي أوصدت المساجد في وجه وعظهم وارشادهم وحالت بينهم وبين عامة اخوانهم ، وأغلقت كثيرا من المكاتب الابتدائية العربية التي يقوم بالتعليم بها في جهات عديدة أفراد منهم ، وامسكت عن

اعطاء الرخص بفتح المكاتب ، هذا هو الذي صد العلماء عن القيام
بواجبهم ، وأما السياسيون فانهم ما حاولوا ادخال العلماء في السياسة
وما كان العلماء - وقد نصبوا أنفسهم لشيء - أن يتدخلوا في
شيء آخر ، وقد أوقفوا وفودهم العلمية في الصائفة الماضية عن التنقل
في جهات القطر تجنبا لكل رمي بالباطل ومع ذلك لم يسلموا - مع
الأسف - من مثل هذا القيل .

وبعد فاتنا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة وتمسكا
بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والارشاد وبث الخير والثبات
على وجه واحد ، والسير في خط مستقيم . وما كنا لنجد هذا كله
الا فيما تفرغنا له من خدمة العلم والدين ، وفي خدمتهما أعظم خدمة
وأنفعها للانسانية عامة . ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه
جهدا ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا ، ولقدنا الامه
كلها للمطالبة بحقوقها ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه
لها وأن نبلغ من نفوسنا الى أقصى غايات التأثير عليها ، فان مما نعلمه
ولا يخفى على غيرنا ان القائد الذي يقول للامة « انك مظلومة في
حقوقك وانتي أريد ايصالك اليها » يجد منها ما لا يجده من يقول لها :
« انك ضالة عن أصول دينك وانتي أريد هدايتك » فذلك تلييه
كلها ، وهذا يقاومه معظمها أو شطرها ، وهذا كله نعلمه ، ولكننا
اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيننا واتنا فيما اخترناه - باذن الله - لماضون
وعليه متوكلون .

ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون اذا شاركوا في
السياسة ؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال
الديانات الأخرى ؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير
القسيس رشليو ؟ أفيجوز الشيء ويحسن اذا كان من هنالك ويحرم

حول تصريحات الوالي العام

ويجب اذا كان من هنا؟... كلا لا عيب ولا ملامة وانما لكل امرئ ما اختار ويمدح ويذم على حسب سلوكه في اختياره .

أما قول جنابه : « وان غالب هؤلاء العلماء تعلموا في مساجد القاهرة ، حيث الاسلام لا تدرس مبادئه وتعاليمه الدينية فقط » فهو مخالف للواقع فان العلماء الذين يعينهم جنابه لم يتعلم واحد منهم في مصر والشخص الوحيد الذي تعلم في القاهرة وكان معهم قد اقلب انقلابا قبيحا وهو مرضي عنه تمام الرضا .

فالمسألة مسألة جمود وتفكير ونهوض مع الناهضين وموت مع الأموات ليست مسألة القاهرة ولا غيرها ، وليس بصحيح أن مساجد القاهرة يدرس فيها ما ليس من الدين وما دروسها ودروس جامع الزيتونة وجامع القرويين ودروسنا بقسنطينة الا واحدة كلها ترمي الى المحافظة على علوم الاسلام والعربية ونشر العلم والتهديب بين طبقات الناس وما هذا الا اصل المدينة التي تدعو اليها الامم الراقية في هذا العصر .

وكان جنابه أراد أن يخفف من عبء مسؤولية منع العلماء من لقاء الوعظ والارشاد في بيوت الله التي ما أسست الا لذكر الله فقال : « وعلى كل حال فانا لم نمنعهم من الكلام في الأماكن المدنية أو الدينية غير الدولية » ونحن نحتفظ بهذا التصريح بعدم المنع مما ذكر ، ثم قال : ان الأماكن الدينية التي سماها جنابه دولية هي المساجد الاسلامية العامة التي يأتيها الناس المقصود تهذيبهم وارشادهم وهي التي تناسبها دروس العلماء الدينية ومواعظهم ، فأما الأماكن المدنية فليست مما يناسبهم ولا مما أعد لهم وأما الأماكن الدينية غير الدولية - ويعني المساجد الخاصة - فهذه على قلتها لا تكفي عموم الناس ، فالحق ان منع العلماء من المساجد العامة منع لهم من القيام بمهمتهم الدينية

على أتم وجوه المنع الذي لا يخففه وجه من وجوه الاعتذار .
هذا واتنا مع كل احترامنا لجنابه ما نزال نكرر احتجاجنا على منعنا
من المساجد وكل ما نرمى به عن غير تبصر غير آيسين من اتيان يوم
تتجلى فيه العدالة لجمعية دينية علمية تهذيبية تعمل لخير الجميع .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الرئيس: عبد الحميد بن بلديس

الصراط السوي : السنة الاولى ، الممد ١٥ قسنطينة يوم الاثنين ٨
رمضان ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ٢٥ ديسمبر ١٩٣٣ م . ص ٤٤ ، ع ١ و ٢ و ٣
وص ٥ ، ع ١ و ٢

سياسة وخز الدبايس

لا نذكر اننا من المعجبين بالآداب الفرنسية ، ولا نذكر اننا مع المعجبين فوق ذلك بالصحافة الفرنسية الكبرى ، ومالها من بديع نظام ، ومهرة أقلام ، وجرأة واقدام ، لهذا يؤلمنا ويزعجنا ويملاً أنفسنا حسرة واشفاقاً أن نرى الآداب الفرنسية وان نرى الصحافة الفرنسية الكبرى تنحط أحياناً الى دركة الهذر واللغو والسخافة ، وتنغمس في حماة التعصب المقوت المظلم فتتكبر على غيرها ما تستحسنه لنفسها ، وتعتبر الفضيلة عندها رذيلة عند غيرها . ثم تلجأ فوق كل ذلك الى باب الاختلاق والافك والبهتان فتتهم الأبرياء وهي تعلم أنهم أبرياء ، وتقلب الحقائق وهي تعلم انها تقلب الحقائق ، وما ذلك الا خدمة لغايات انتفاعية ، ودفاعاً عن مصالح مادية لبعض الهيئات التي تغذي صناديق تلك الصحف الكبرى .

وهكذا يقع التدليس والتلبيس على الشعب الفرنسي ، فيبقى بفضل صحافته الكبرى المتحاملة عن غرض أو عن استئجار ، جاهلاً حقيقة ما يجري بالبلاد المرتبطة مع وطنه ارتباطاً وثيقاً ، غالطاً في حكمه عليها ، غير متصور حقيقة ميولها وعواطفها وآمالها وآلامها .

وكلامنا اليوم مع أم الصحف الباريسية الكبرى ، العجوز الوقورة جريدة الطان . فقد سولت لها النفس الأمانة بالسوء أن تسود مقالا عن الجزائر والجزائريين بمناسبة الاجتماع الذي عقدته بباريس لجنة البحر المتوسط الجديدة ، وهي التي تجمع نواب الوزارات ورجال الحكم في مستعمرات فرنسا وبلاد الحماية والانتداب ، ومهمتها النظر

في المشاكل المشتركة التي تهم سياسة فرنسا الاستعمارية لكي تتوحد تلك السياسة وتسير في خطة متماثلة بكل الاقطار التي يخفق على أرضها العلم الذي يقولون انه يمثل بأحمره وأبيضه وأزرقه الحرية والأخوة والمساواة .

فلتحريش أعضاء هذه اللجنة ، ولحملهم على سلوك سياسة الشدة والعنف والجبروت مع الرجال الذين دانوا بطاعة فرنسا ما يزيد عن القرن ، وسقطوا في كل ميادين القتال ألوفاً مؤلفة حول رايتها ، ولأجل غايتها ، ولتشويه الحقائق والبأس الحوادث غير لباسها الطبيعي ، كتبت الطان مقالها المأسوف له والمتحسر عليه ، ونشرته في عددها الصادر يوم ٢٠ فيفري السالف .

فهي تقول وأنف الحقيقة راغم : ان المهيجين الذين هدأ فورانهم أثر زيارة مسيو ريني قد عادوا فجأة الى ميدان الاثارة ، ومن الممكن ان يقودوا الأمة الى فاجعة كفاجمة قسنطينة المؤلمة .

فالدكتور ابن جلول يتهم في جريدته (الانطانت) الإدارة الفرنسية بانها تريد أن تغمر الجزائر في ميدان النار والدماء .

ويؤيده في هذا الطريق ابن باديس والطيب العقبي وهما على رأس جمعية العلماء التي لمت في نادي الترقى شمل الذين أتفقوا على نسف نفوذ فرنسا باستعمال شتى الطرق . وفي كل مكان نجد نشاط دعاة المذهب الوهابي وأعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب أرسلان ، والذين يتلقون تعاليمه من لوزان على طريق القاهرة . ومن أهم مطالبهم حرية الوعظ في المساجد وحرية التعليم بدون مراقبة .

فمن ناحية يقع الحث على عدم دفع الضرائب . ومن ناحية أخرى تجمع الاموال الطائلة لشراء الديار زعم انها تستعمل مراكز دينية ، وانها في الحقيقة تستعمل مركزاً لتهديب الناشئة تهديداً اصلاً متعصبا .

ثم وقع استغلال موت الامير خالد سليل الامير عبد القادر ، وقد توفي بدمشق فوقعت الدعوة لاقامة صلوات عمومية لاستنزال الرحمة على روحه .

وهناك الشيوعية وهي لا تستدرج الناس باسم المذهب الشيوعي . انما تستدرجهم باسم المصالح المختلفة فتجذب الى الحزب الشيوعي مستخدمي السكك الحديدية ورجال المراسي والعملة . وجمعية كوكب شمال أفريقيا الشيوعية ترسل أفلاماً سينمائية تظهر النظام الشيوعي في أبداع صوره . فناحية قسنطينة وتبسة وهي القرية لتونس والتي يمكن للدعاة أن يتجولوا بسهولة بينها وبين البلاد التونسية ، وناحية تلمسان، وهي مركز التعصب الديني الحاد ، هما الناحيتان اللتان تحوم حولهما الريب بشدة واللذان سيدلي مسيو لودو عنهما ببيان أمام اللجنة العليا) .

هذا كلام جريدة الطان .

ولقد كنا نمر كراما بهذا اللغو لو أنه صدر من صحيفة صغيرة ، أو جريدة لا تمثل طبقة ممتازة من كبار الفرنسيين ، أما وقد صدرت هذه الاقوال المستهجنة من صحيفة الطان ، فالسكوت عنها يعد خوراً ان لم يعتبر جريمة .

فلنأخذ أقوال الطان من أولها ، ولنعمل فيها معول الحقيقة — وللحقيقة معاول هدامة في بعض الاحيان — ولنقل نحن أقوالنا التي تخالف أقوالها على خط مستقيم . ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .

نقول نحن ان الهيجان الذي تريد الطان أن تجعله موجوداً الآن بالجزائر ، لا وجود له الا في المخيلة المريضة المخروقة التي أملت ذلك الفصل . نعم هنالك استياء عمومي في طبقة الفلاحين الذين لم يجد أكثرهم من الإعانة الموعد بها الا ما يجده الصادي في السراب . وهنالك استياء في الرأي العام من ابطاء الإصلاحات الموعد بها والتي

أجمعت الامة على المطالبة بها . وهناك تذر عمومي من الحالة الحاضرة سواء من ناحيتها السياسية أو من ناحيتها الدينية والاقتصادية.

انما الهيجان الذي تصوره الطان كأنه الغول المهاجم لابتلاع الارواح ، انما الهيجان التي^(١) تقول بانه سيكون من نوع حوادث قسنطينة المؤلمة ، فذلك مانفي^(٢) وقوعه بكل قوة وبكل شدة، ولن يكون الا اذا عملت يد المحرشين الأجانب الاوربيين على اثارته وتهيته أسبابه ، خدمة لاغراضهم الخاصة . والرأي العام الاسلامي لا يتبع كل ناعق ، ولا يقدم بسهولة مثل هذه الاعمال الا اذا استشير وأمن في استشارته ولم يبق في قوس صبره منزع .

ثم لنتول الدفاع متطوعين عن النواب وهم الاغنياء عن دفاعنا ، فمتى كانوا مهيجين أو دعاة للفتنة والاضطراب ، وهم الذين بحث أصواتهم في المناداة بوجوب التأخي والتضامن مع الفرنسيين لأجل الاحراز على نفس الحقوق الفرنسية ، بواسطة فرنسا وحدها ، ولو بتضحية بعض الشخصية الاسلامية - وهذا ما لا نوافق عليه نحن - وأقوالهم أمام وزير الداخلية ، وكتاباتهم كلها على هذا المنوال .

لكن هؤلاء السادة قد ألفوا منذ أمد طويل سياسة النبي وي وي^(٣) اولئك الذين لم يرتفع لهم صوت ولم تنبس لهم شفة بكلمة في مجال الدفاع عن الحقوق . فان هم سمعوا كلمة المتذمر وان هم شاهدوا حركة المستاء ، نادوا بالويل والثبور وقالوا ان هذه الا حركات ضد فرنسا قد فضجت في القلوب وانفجرت بها الصدور .

(١) كذا في الاصل وصوابه : الذي

(٢) كذا في الاصل وصوابه : نفي .

(٣) عبارة جارية في الجزائر بمعنى الذين يوافقون على كل شيء يصدر من ساداتهم بكلمة نعم (وي) .

ثم ما شأن جمعية العلماء في هذا الامر ؟ - ان سمحت الطان لنفسها بحشر ابن جلول في ميدان التهييج السياسي - وهو بريء منه - فالرجل على كل حال رجل سياسة ، ويمكن مصادمته ، ويستطيع النضال عن نفسه في هذا الميدان . اما جمعية العلماء المسلمين وهي الدينية التهذيبية البحتة ، وهي البعيدة كل البعد عن السياسة والسياسيين ، وهي التي لا علاقة لها مع الشعب الا في ميدان الاصلاح الديني والتهذيب الاجتماعي ورفع الامية عن القوم ، فما أسخف الطان وما اسخف ذوي السخائم الذين أملوا على الطان تلك الاقوال في شأنها .

هذه الجمعية جمعية العلماء صحفها منشورة ، وأقوالها ماثورة ، وأعمالها مشهورة ، فليات هؤلاء الافاكون بكلمة أو قول أو فعل يمكن به اتهام الجمعية او افراد الجمعية او القائمين بامر الجمعية بانهم يعمدون الى التهييج أو يعينون على التهييج - هذا ان فرضنا جدلا ان الهيجان موجود .

وان طالبت الجمعية بالقاء الوعظ في المساجد ، فقدما كانت المساجد مفتوحة في وجه علمائها ودعاتها ، وقدما عقدت الجمعية مجالس الدعوة والارشاد تحت رعاية ورئاسة رجال الحكومة والبلدية فهل يستطيع احد من رجال البوليس او من رجال البلدية او الحكومة الادعاء بان الجمعية قد حادت ولو مرة واحدة في كل حياتها عن سلوك طريق الارشاد العلمي الديني سواء بالمساجد او المجتمعات العامة واشارت على الناس ولو من طرف خفي بتأييد المهيجين واعانة الهيجان ؟

هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين !

ثم ما شأن الامير شكيب ارسلان ، وما شأن الوهاية ، وما شأن الجامعة العربية في كل هذا ؟

انهم يعلمون علم اليقين أنه ليس في الحركة الاصلاحية ولا في

الحركة السياسية في القطر الجزائري ، من اصبح خارجي كيفما كان أمره ومهما كان مصدره ، ولقد قامت لديهم الأدلة والبراهين على ذلك . وثالله لو انهم وجدوا برهانا ولو ضعيفا على خلاف ذلك ، ولو وجدوا حجة ولو واهية على وجود أي شيء من هذا القبيل ، لكانوا قد بطشوا بنا قبل اليوم بطشا ، ولكانوا قد محقوا هياتنا من عالم الوجود ، بعد محق اشخاصنا .

لكن ولاية الأمور قد علموا جلية الامر ، وتميز لهم خبيث القول من الطيب ، وتأكدوا ان ليس في حركتنا الدينية ولا في الحركة السياسية من يد خارجية . وانا لتتحداهم تحدي القوي المؤمن بحقه ان يأتونا - حكومة وافرادا - بما يثبت للناس خلاف هذا . ونكون عندئذ محجوجين ويكون لهم الحق في كل ما يفعلون .

فان لم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، فمثل هذه الأقوال التي لا قيمة لها ، والتي لا يقصد بها الا حشر اسماء مفزعة في ميدان البحث قصد التحويل والتهوئش ، ليست لها من قيمة أي قيمة ، وانا لتزيد الذي يأتي بها في حديثه سخفا على سخافته ، وضعفا على ضعفه .

وقالت الطان : انا نريد حرية التعليم دون مراقبة . لقد غلظت الطان وغلظ الموعزون لها غلظا فاحشا . فنحن نطلب حرية التعليم العربي حقا ، انا نحن تقبل كل مراقبة ، فأعمالنا العلمية والتهذيبية تقع علنا في وضوح النهار وليس ما نخشاه ولا ما نكتمه . ولو تفضلت الطان وهيأتها الظاهرة والخفية بتعيين مراقب من قبلها للتعليم العربي الحر ، لرحبنا به ولحبذنا تعيينه ، ولاعتقدنا انه سيكون مقنعا لجريدته بفساد النظرية التي تدافع عنها اليوم .

اما ما أشارت اليه الطان من أمر ابتياع الديار فانها تقصد به الدار التي ابتاعتها جمعية التربية والتعليم ، والتي قامت بفضل جهود

الأمة وتضحياتها المثمرة . فتأله لو ان كاتب الطان شاهد الأمة وهي تجود بما لديها من مال قليل ، وشاهد تلك الدار وما تحويه ، لخلج من نفسه ولندم على قوله ولكفانا مؤونة الرد عليه . . . أسست فرنسا في بلادنا واسست جمعياتها ميات الالاف من المعاهد والديار التي من هذا القبيل ققال قائلهم ان الفرنسيين لم يعملوا شيئا مذكورا في هذا الميدان ، وطالبوا بالمزيد . ولم يتجاوز ما اسسه الجزائريون اربعة أو خمسة من هذه الديار ، فأصبحت هذه الديار متهمة وأصبحت خطرا على المجتمع وتفوذ فرنسا ، تؤكد للطان اتنا نريد ان نخرج من هذه المعاهد ناشئة مهذبة تعمل جهدها لكي تكون بييدة عن مثل هذا التعصب المقوت .

ومن أعجب العجب استشهد الطان الرصينة - عادة - على صحة أقوالها بالدعوة التي انتشرت في البلاد الجزائرية لاقامة الصلوات العامة أو حفلات الذكرى للامير خالد رحمه الله .

فتأله ان هذا للولم ، ومؤلم جد الألم .

اذا سلطنا لصحيفة الطان المرتبطة برجال الدين ، ان تستهجن مسلكنا الديني ، واذا سحنا لكتاب الطان الذين اثبعوا روح الحرية ان يقاوموا مطالبنا في الحرية ، واذا سحنا للذين يدعون الموت في سبيل تحرير الشعوب ان يقاوموا احراز هذا الشعب أي حق من حقوقه الضئيلة ، اذا سحنا مكرهين بكل هذا ، فكيف نسح لجريدة امة اقامت في مختلف بلادها فوق الالف تمثال لتخليد ذكرى عظمائها في ميادين الحرب والسياسة والقلم والفن ، ان تقاوم امتنا عندما رأت ان هميم - لا التماثيل - انما صلوات عامة وابتهاال لله ان يتقبل خالد برحمته ورضوانه ؟

آثار ابن باديس

حتى الاعتراف بالجميل ، وحتى ذكر الموتى يجب ان نساها لكي
يرضى عنا هؤلاء السادة اصحاب المنطق المستقيم .

اسمعوا ! اتنا لن نرضيكم أبدا واتنا لن نعمل على ارضائكم . اتنا
لن نخشاكم ابدا ولن نعمل عملا يوقعنا تحت طائلة ايديكم . نحن
سائرون على منهاجنا وفي طريقنا . لا يضرنا صراخكم ولا ينفعنا
سكوتكم . فقولوا ما شئتم ، فلن تتالوا منا منالا ولن تتزعزع عن
عقيدتنا . انما نصحكم نصيحة خالصة ان لا تعودوا لمثل هذا العمل
المقوت ، فسياسة وخز الدبايس تنتهي غالبا بفقد الشعب لصبره ،
واخراج الحليم عن حلمه . واتنا لنسد في اوجهكم هذا الباب الا ان
كسرتموه والامر بعدئذ لله (١) .

(١) ش: ج ١٢ ، م ١١ غرة ذي الحجة ١٣٥٤ هـ - مارس ١٩٣٦ م
ص ٦٨٠ الى ٦٨٦

كلمات حكيمة

انما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ، ومصالح
الحاضر ، وآمال المستقبل .

والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة
علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه ،
وسمعة نبيه .

فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة
لقومه (١) .

لمنشيء (الشهاب) في جزء جمادي الثانية
من سنة ١٣٤٨

(١) اعيدت كتابتها هنا بهذا العنوان : كلمات حكيمة .
ش : ج ١ ، م ١١ ، ص ١٥٥
غرة محرم ١٣٤٥ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

كلمة صريحة

حقاً اننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته ، فمن فوضى في الدين الى فوضى في الاخلاق ، الى فوضى في الاقتصاد . وزادتنا الايام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضات وأشدها تأثيراً على حياة الامة وهي فوضى التكلم باسم الامة .

فما من متكلم في أي مناسبة من المناسبات الا ورفع عقيرته مدعياً بأنه انما يمثل الأمة الاسلامية قاطبة في هذه البلاد ، وان الكلمات التي يقولها من عند نفسه انما هي كلمة الحق وقولها الفصل . ولو انهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو والاسراف ، وقالوا اننا نتكلم باسم الفريق الذي اتخبنا ، أو باسم الهيئة التي ننتمي اليها ، أو باسم الجماعة التي نحن منها أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير ، لكان قولهم أصوب ، ورأيهم أصلح ، وكلامهم أقرب الى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب .

واننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع اثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الامة على مجابهة جريدة الطان بها ، واثرا اجتماع اللجنة الوزارية الاسلامية بباريس .

قال البعض من النواب المحليين ، ومن الاعيان ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد ، ان الامة الاسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها الا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها الا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة الا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج

التام . بل لقد قال أحد النواب النابهن انه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فاذا به يصيح : فرنسا هي أنا ! حقا ان كل شيء يرتقي في هذا العالم ويتطور ، حتى التصوف فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين :

فتشت عليك يا الله وجدت روحي أنا الله

واليوم يقول المتصوف في السياسة :

فتشت عليك يا فرانس وجدت روحي أنا فرانس

فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصري على التطور والاختراع ؟

ان هؤلاء المتكلمين باسم « المسلمين الجزائريين » والذين يصورون الرأي العام الاسلامي الجزائري بهذه الصورة ، انما هم مخطئون يصورون الامور بغير صورتها ويوشكون ان يوجدوا حفيرا عميقا بين الحقيقة وبين الذي يجب ان يعرفها . فهم في واد والامة في واد ، ويريدون ان يضعوا رجال الادارة العليا في واد ثالث .

لا يا سادتي ! نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الامة ، بل ندعي اننا نتكلم باسم اغلبية الامة فنقول لكم ولكل من يريد ان يسمعنا ، ولكل من يجب عليه ان يسمعنا ، ان اراد ان يعرف الحقائق ولا يختفي وراء آكام الخيال : تقول لكم انكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، ولا تعبرون عن شعورنا واحساسنا . اتنا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الامة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل امم الدنيا، ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلال الاعمال ولها وحدتها الدينية

واللغوية . ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها واخلاقها ، بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل امة في الدنيا .

ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو ارادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد ان تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ، والذي يشرف على ادارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية .

ثم ان هذا الوطن الجزائري الاسلامي صديق لفرنسا مخلص ، واخلاصه اخلاص قلبي لا اخلاص ظاهري ، يخلص لها اخلاص الصديق لصديقه لا اخلاص التابع لمتبوعه . فهو في حالة السلام والامن يطلب من فرنسا ان تحترم دينه ولغته ، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته واخلاقه ، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة حتى يصبح في رقيه وحريره وسعادته نموذجا للادارة الفرنسية والتعاون الاهلي الفرنسي ، وتستطيع فرنسا ان تفاخر به الذين يتباهون بما علموه في مستعمراتهم الحرة .

أما في حالة الأزمات العالمية ، وحين اشتداد الخطب واذا تكلم الرصاص وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب فالمسلم الجزائري يهب كالليث من عرينه ، للدفاع عن الارض الفرنسية كما يدافع عن ارضه الجزائرية وعن حريمه واطفاله . ولو لم تجنده فرنسا لسار للدفاع عنها متطوعا . ولنا في مختلف الواجهات الحربية الفرنسية عشرات الآلاف من قبور المتطوعين تشهد بهذا .

فنحن الجزائريين المسلمين العائشين في وطننا الجزائري، والمستظلين

بالعلم الفرنسي المثلث الألوان ، والمتحدين مع الفرنسيين اتحاداً متيناً لا تؤثر عليه الحوادث الطفيفة أو الأزمات السطحية ، نعيش مع الفرنسيين ، عيش الأصدقاء المخلصين، نحترم حكومتهم وقوانينهم ونطيع اوامرهم ونواهيهم ، ونريد منهم ان يحترموا ديننا ولغتنا ، ويحفظوا كرامتنا ، ويأخذوا بأيدينا في طريق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهكذا نعيش واياهم اصدقاء مخلصين ، واذا جاءت ساعة الموت في سبيل الدفاع عن الوطن الفرنسي وعن الوطن الجزائري، وجدونا في صفوفهم الاولى لنموت الى جانبهم موت الاصدقاء المخلصين .

وعلى هذا الاساس ، توضع الأمور في مواضعها ويحصل التفاهم ويزول كل التباس .

اللجنة الوزارية :

هذه الفكرة جميلة هي نفسها ، فكرة تأليف لجنة من مسلمي الجزائر ، يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تهم البلاد الجزائرية ، حتى تسير الحكومة الفرنسية في سياستها الجزائرية على هدى وعالى نور الارشادات الصادقة التي تستمدتها من رجال تلك اللجنة .

بل ان تشكيل تلك اللجنة يدلنا دلالة صادقة على رغبة حكومة فرنسا في درس المسائل الاسلامية الجزائرية دراسة عميقة ، حتى تتقي في المستقبل الاخطاء التي كانت ترتكب من قبل .

لكن الفكرة ان كانت جميلة في نفسها ، فانها كانت غير موقفة في تنفيذها ، ذلك ان الادارة العليا لم تلاحظ الا الفكرة السياسية في انتخاب أعضاء هذه اللجنة وعمدت الى ذلك الانتخاب بصفة مستعجلة

فكان اعضاء اللجنة من جراء ذلك لا يستطيعون ان يخوضوا في مختلف المسائل المعروضة عليهم ، والتي يتطلب الكثير منها معرفة فنية عميقة .
لقد استلقت انظارنا اخيرا خوض هذه اللجنة في مسألة «الترشيد» كما كانت من قبل خاضت في شأنها اثناء جلساتها الاولى ، وهذه المسألة علمية فقهية بحثية ، يجب حلها تطلع في الفقه وتعمق في دراسة الكتب الدينية والقوانين الدينية المختلفة مما وضع في استامبول والبلاد المصرية وغيرها .

فالى جانب بعض المستشرقين الذين يحضرون اللجنة والذين لا تنكر عميق اطلاعهم وسعة معلوماتهم ، نجد بعض اعيان الباش اغاوات ، ولا نطعن فيهم اذا قلنا انهم ليسوا باصحاب معلومات فقهية ، ونجد بعض الدكاترة وليسوا من أصحاب الموطأ ولا من قراء سحنون ، ونجد غيرهم ممن توفرت فيهم بعض شروط سياسية او اقتصادية ، الا انهم لا يستطيعون الخوض أي خوض في أي مسألة دينية مهما قل امرها وصغر شأنها . فهذه المسألة الدينية اذا استثنينا شخص الشيخ ابن الساسي قاضي قسنطينة لا نجد من يستطيع ان يقول فيها كلمة .

ونحن اليوم في ساعة بناء وترميم ، ولا نريد ان نترك مثل هذه المسائل مهمة فتعتقد فرنسا انها عملت ما يجب عمله ، ويقول لها بعض المتكلمين « باسم الامة الاسلامية » انها قد عملت حقا في هذا الباب ما يجب أن يعمل ، في الوقت الذي نعتقد نحن فيه أن ما عملته انما هو عديم الفائدة وقليل الجدوى .

نرى نحن ان اصلاح هذه اللجنة امر واجب وسريع ، ونرى انه اصلاح سهل ميسور . فلكي تمثل هذه اللجنة كل طبقات الامة ، ولكي تستطيع الخوض في جميع المشاكل المعروضة على انظارها ، وتقدم للحكومة ارشادات صائبة يمكن أن تكون أساسا لأعمال موفقة ، يجب أن تشمل :

- اولا - ثلاثة من كبار العلماء الرسميين تنتخبهم الادارة من بين رجال القضاء والافتاء بالقطر الجزائري .
- ثانيا - ثلاثة من كبار العلماء الغير المتوظفين .
- ثالثا - ثلاثة من رجال مجلس النيابات المالية ينتخبهم رفقائهم .
- رابعا - ثلاثة منتخبون من المجالس العمالية .
- خامسا - ثلاثة من كبار المتوظفين الاداريين المسلمين تنتخبهم الحكومة .
- سادسا - ثلاثة من الفلاحين والتجار والصناع .

فاللجنة التي تتألف من مثل هؤلاء الرجال ، يمكنها ان تتفاوض مع رجال فرنسا في مختلف المسائل والمشاكل الجزائرية ، ويمكنها ان تؤلف لجانا فرعية مختصة : لجنة دينية ، ولجنة اقتصادية ، ولجنة سياسية ، ولجنة اجتماعية ، الخ - فهذه اللجان التي يباشر اعمالها رجال متخصصون يمكنها ان تدرس المسائل المعروضة عليها دراسة مدققة ، ويمكنها ان تثير أفكار الحكومة والوزارات قبل اقدامها على تشريع قوانين تنفذ على الجزائر . وتكون اللجنة كلها اشبه شيء ببرلمان صغير جزائري يعمل الى جانب حكومة باريس ويكون لها مرشدا ومعينا .

فاصلاح اللجنة ، سواء في طريقة عملها او في طريقة جمع اعضائها ، ليس من مصلحة الجزائريين فحسب بل هو في مصلحة الادارة العليا الفرنسية اكثر من ذلك .

أما بقاء اللجنة على حالها ، واستمرارها على خوض الكثير من المسائل دون استعداد وسابق دراسة ، فانتا لا نكتم الادارة العليا ان هذا العمل الذي يستطيع ان يكون مشرا ، قد يصبح موجبا للازدراء

ولا تكون له من نتيجة الا خيبة الآمال التي كانت معلقة من الطرفين عليه .

فمسانا نرى من الحكومة التفاتا الى هذه اللجنة ، فخرجها من دور التكوين الى دور العمل الصحيح ، وتجعلها وسيلة من وسائل التفاهم والعمل المشترك والتعاون الصادق في سبيل المصلحة العامة .

الاضراب التونسي :

هاجت تونس وحق لها أن تهيج ، واضرب طلبة الجامع الأعظم^(١) وحق لهم أن يضربوا ، وتظاهروا في الطرق العامة ، وكان حقا عليهم أن يتظاهروا ، فليست الصدمة التي صودم بها طلبة الجامع المعمور والمتخرجون منه بالصدمة الصغيرة ، وليس التهديد الذي جرد سيفه الماضي على رؤوسهم بالتهديد الخفيف . فان النصوص القانونية التي شملها الأمر العلي المتعلق بالوظائف العمومية ، يجعل سائر الطبقات الزيتونية الى نحو الخمسة أعوام أخرى ، بعيدة عن الوظائف العمومية ومناصب الادارة ، وكأنما ذلك الأمر العلي قد صدر خصيصا لاقضاء هذه الطبقة التي هي روح الامة التونسية عن الوظائف العامة وعن الادارة التونسية كلها .

أرادت هيئة التشريع التونسية المختفية وراء الاوامر العلية ، ان يزداد حسن التفاهم بين سائر المتوظفين من فرنسيين وتونسيين ، ففرضت على كل راغب وظيفة من التونسيين ان يكون ملما بمبادئ اللغة الفرنسية وكل راغب وظيفة من الفرنسيين ان يكون ملما بمبادئ اللغة العربية ، بحيث يستطيع كل منهما ان يقوم بمحادثة بسيطة باللغة الاخرى .

(١) جامع الزيتونة .

وقد جاء ما نصه في الأمر المذكور : « لا يمكن لأي متوظف تونسي ما عدا **حكام المحاكم الشرعية** ان يحرز على تسميته بصفة رسمية الا اذا أثبت تحصيله على نفس درجة المعارف المذكورة في اللغة الفرنسية .

فمفهوم هذا الفصل ومنطوقه يدلان على أن لن يستطيع التوظف من خريجي المعهد الزيتوني في أي ادارة تونسية الا من كان محرزا على مبادئ اللغة الفرنسية ، وبما ان القانون المذكور لم يترك اجلا في وجه المتعلمين لتعاطي الدروس الفرنسية ، وبما انه لا يوجد بين اساطين الجامع الاعظم شيوخ يلقنون الى جانب شرح ميارة وحاشية التاودي مبادئ A. B. C. D. ، فان طلبة الجامع الاعظم رأوا ان جهودهم كلها أصبحت عبثا ، وان آمالهم جميعا قد انهارت وانه فيما عدا القضاة ورجال الافتاء وهم رؤساء المحاكم الشرعية ، لا يستطيع ان يتطلب منهم التوظيف احد .

اضرب الجامع عن تلقي الدروس ، ووقعت المظاهرات الهائلة الرصينة فقلبتا اعمال البوليس مظاهرة حادة دامية ، واوصدت المدينة التونسية ابوابها احتجاجا وتضامنا مع طلبة الكلية الزيتونية ، فما كان لذلك من اثر عند الادارة التونسية الا امرها بابعاد فوج جديد من التونسيين الى برج لوبوف وتقديم جماعة كبيرة الى المحاكم الفرنسية فنالوا عقابا صارما من السجن والابعاد . وهكذا استمر مسيو بيروطون على سياسة العنف الفاشستي الى آخر لحظة من مدة حكمه بتونس .

أصدرت الحكومة بلاغا تناقض فيه نفسها ، وتخفف وطأة قانونها الاخير ، فقالت في ذلك البلاغ ان الزيتونيين الذين لا يحسنون الفرنسية قد بقيت امام وجوههم عدة وظائف يمكنهم التطلع اليها كاعضاء المحاكم الشرعية واعوانها الاداريين كالعدول المحررين والكتبة والنساخين

والعدول العموميين وخطط قسم الامور الشرعية بوزارة العدلية وخطط القسم الاول من الوزارة الكبرى وخطط العمال والكواهي وكافة خطط الجامع الاعظم والشعائر الدينية والاقواف .

فالامر العلي يوصد باب التوظف الا لحكام المحاكم الشرعية ، وهذا البلاغ الحكومي يناقضه ويفتح الباب لهذه الخطط ، انما العمل الرسمي لا يقع الا بناء على الاوامر ، ولا اعتبار للبلاغات فيه .

فحركة الاضراب في المسجد المعمور لا تزال جارية الى ان يصدر امر جديد يزيل عن الأنفس الحيرة والارتباك ، والهيجان لا يزال مستوليا على أنفس كل التونسيين من جراء هذه الضربة الصارمة ، والجيش العرمم من رجال تونس وخير شبانها لا يزال يتضاعف عدده في المنفى بروج لوبوف حيث الآلام والاسقام ، والصحافة التونسية المغلولة اليد لا تتجاسر على قول كلمة او ابداء اشارة الا تلميحا او من طرف خفي ، وما تجاسر البعض منها على طلب ارجاع المبعدين الا عندما تحققت نقلة بيروطون من تونس . والافواه مكمنة بحيث لا يستطيع الانسان أن يفتح فمه بانتقاد أو ملاحظة خشية أن ينتزع في منتصف الليل من بين اهله وذويه ويسار به الى برج لوبوف . والاستياء العام سائد بين سائر الطبقات كالنار تحت الرماد . هذه هي حقيقة الحالة بتونس كما تركها مسيو بيروطون عندما امرت الحكومة بنقله الى المغرب الأقصى ليمثلها هنالك بدل مسيو بونسو الذي اخفق في ادارة السلطنة المغربية .

واننا لنتمنى أن يسلك مسيو فيون المقيم الجديد بتونس سياسة اللين والتسامح فيعيد الى الانفس اطمئنانها ، ويرتق ما فتنه سلفه ، معتمدا على المفاهمة والمشاركة الصادقة .

(١) ش : ج ١ م ١٢ قسنطينة غرة محرم ١٣٥٥ هـ - ابريل ١٩٣٦ م ص ٤٥ الى ص ٥٠

حول كلمتنا الصريحة

لقد أحدثت الكلمة الصريحة التي نشرناها بالعدد السابق من الشهاب أثرها المطلوب ، وكان لها الدوي العظيم الذي كنا نتوقعه لها . فتلک كانت أول مرة فيما نعلم ، جوبت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة ، هي عين الحقيقة التي تعتقدها الأمة ، وفيها بيان لعواطف واحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائري .

فأما الذين طهرت سريرتهم وخلصت نيتهم ، فقد حبذوا خطتنا وشكروا لنا صراحتنا ، وحمدوا لنا هذا الموقف الذي وقفناه ضد محاولات التجنيس الخائبة ، ومحاولات هدم القومية واللغة والدين المجرمة ، اذ بينا في جلاء ووضوح اننا مع احترامنا للسلطة الفرنسية ، واطاعتنا لقوانين الجمهورية ، نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة ، وما فيها من مميزات اللغة والدين والاخلاص والثقافة ولا نريد بأي حال من الاحوال ولا نستطيع أن نسلخ طوعا واختيارا أو كرها وجبرا على تلك الذاتية ، وما فيها من مميزات ، وما لها من حقوق .

وأما الذين في قلوبهم مرض ، والذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأنكروا ما لهذه الأمة من مجد ، وما لها من تاريخ ، وما لها من روابط تجعل منها أمة متحدة ومتجانسة لها من الاتحاد والتجانس ما لأكثر الامم تجانسا واتحادا في كل بلاد الارض فأولئك قوم فرغوا من مقالنا كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق نور الفجر ، ومنهم من انتقد ومنهم من رد ، ومنهم من أفحش وأقذع ، وان الى الأمة التي أنكروها إياهم ، وان عليها - مهما تجاهلواها - حسابهم .

ان كلمتنا الصريحة قد وضعت الكثير من الرجال على المحك ، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون ، ومنهم من انطوت جوانبه على حناً مسنون .

وانا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة ، الهمة العالية ، وشرف النفس ، وطهارة الضمير ، الاستاذ فرحات عباس الصيدلي ، والعضو البلدي والعمالي بسطيف .

كان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذي أخذناه عن مقاله (فرنسا هي أنا) وقلنا له ولمن معه انكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج ، وتحبذون التجنيس ، وترضون ضياع حقوقنا الاسلامية مقابل حق الانتخاب ، وتريدون - خلافا للطبيعة - أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيا بحتا ، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية في شيء ، انكم عندما تسعون وتحبذون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، وانكم في واد الأمة في واد آخر .

فالسيد فرحات عباس ، لم يتألم ولم يتكدر ، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد وينصاعون لكلمة الحق ، فزار ادارة الشهاب ، وأكد لها تقديره لجهودها ، وجرت به مع صاحب الشهاب محادثة دلت على سمو أدبه وعلو كعبه في عالم السياسة والتفكير .

ثم نشر مقالا في جريدة (لا ديفانس) (١) الصادقة الثابتة الجسورة ، يبين فيه نظريته ، ويشرح فيه فكرته الاجتماعية التي بنى عليها سلوكه السياسي ، وسيجد قراؤنا تعريب هذا المقال اثر فصلنا هذا .

ولقد تولت بعض الدوائر مهاجمتنا ، مستترة وراء جريدة النجاح ، ووراء ورقة تدعى (صدى الصحافة الاسلامية) ، ولقد كنا نتظر من تلك الدوائر التي هاجمتنا ، مناقشة هادئة تتناسب مع وقارها ، وكنا

(١) La defense : الدفاع يصدرها المرحوم الامين العمودي .

حول كلمتنا الصريحة

نتظر منها فضلا بأسلحة حادة ، لكن خاب أملنا في الأمرين . فالمنافشة كانت صيانية الشكل والموضوع ، والأسلحة كانت عتيقة مفلولة أبلتها كثرة الاستعمال .

فأما السلاح الذي استعمل ضدنا في النجاح فهو أسئلة وضعها رجل كبير ، وأمضاها رجل صغير وقد حسب الذين قدموا لنا هذه الأسئلة أنهم يخرجوننا بوضع البحث فوق ميدان الاستقلال ، كأننا قد رفعنا علم العصيان ، وناديننا بفصل الجزائر عن فرنسا من الآن .

فهو يسألنا أولا : متى كانت حدود الجزائر على ما هي عليه الآن ؟ وانا نجيبه لنفرض أن حدود الجزائر لم ترسم على صفتها الحالية شرقا وغربا الا منذ نحو مائة عام ، فهل له أن يجيبنا متى كانت حدود فرنسا ، ألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان وبلغاريا كما هي الآن ؟ وهل لم تتغير المرات العديدة خلال هذه المائة عام ؟

ثم يسألنا : متى كانت بلاد الجزائر مستقلة ؟ ونحن نقول له : ان ضربنا صفحا عن الدول الاسلامية المستقلة التي نشأت وازدهرت بالقطر الجزائري ، وسلمنا بأن القطر الجزائري بصفته الحالية لم يكن مستقلا في وقت من الاوقات ، فهل لحضرة السائل أن يجيبنا : متى كانت دولة تشيكوسلوفاكيا مستقلة ؟ والى أي عهد يرجع استقلالها ؟

ويسألنا أخيرا ، ما هي وحدة اللغة التي تكلمنا عنها في كلمتنا الصريحة ، فهل هي اللغة العربية ، والحال ليس كذلك ، كما يقول ، أم ماذا ؟

فهل نستطيع أن نجيبه بأن لغة هذا الوطن ليست عربية بدليل أن جريدة النجاح تنشر بلغة الصين ، وأن الجريدة الرسمية الحكومية تنشر الى جانب نسختها الفرنسية نسخة بلغة النبط والكلدانيين ؟ أم نقول له ان الواقع يثبت بأنه لا يوجد في أرض الجزائر الا واحد في المائة

فقط من السكان المسلمين لا يتكلم العربية . ثم نسأله : هل لا توجد في فرنسا الى جانب اللغة الرسمية الفرنسية لغات أخرى ذات آداب ولها صحف سيارة ويتكلمها الملايين من الناس ، وخاصة بالازراس ، وبجيات الفلاندر ، وبيلاذ ابروتانيا التي يقوم أهلها بحملة تكاد تكون ثورية لاجبار الحكومة على تعليم لغتهم بالمدارس ، وبيلاذ البروفانس ، وضواحي مرسيليا ، وجزيرة كورسيكا ؟

وهل توجد وحدة اللغة ، كما توجد بالقطر الجزائري ، في رومانيا ، ويوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ان لم تتكلم الا عن هذه البلاد ؟

وأما السلاح الذي استعمل ضدنا بصدى الصحافة الاهلية ، والذي خرج من معمل جريدة الهك القديمة وكتب بأقلام محرريها ، ونحن لا نشرّفهم بذكر اسمهم ، احتقارا لا جهلا ، فهو ذلك الشتم البذيء الرقيق ، سلاح الاسافل العاجزين ، فصاحب الشهاب عند أولئك السادة : أحق . مجنون ، أخرق ، جاهل غبي ، مجرم ، وهو بوحماره الخارجي الذي أثار افريقيا قصد تأسيس دولة فوق الخرائب ، ولم يتورع الكاتب شلت يمينه عن نبش قبر عبد المؤمن بن علي قدس الله روحه ، لتبشيع سياسته والحط بكرامته .

ثم يصف ذلك الكاتب الامة الجزائرية بكل اوصاف الجهل والفوضى ، والتهديم والتخريب ، حتى ليكاد الانسان يعتقد ان ذلك الرجل الذي استؤجر لينال منا ، انما استؤجر لكي يقول للناس في العالم اجمع : انظروا كيف اصبحت حالة المسلمين الجزائريين بعد ان حكمت فرنسا بلادهم نيّفاً ومائة من السنين !

لو كنا نستطيع ان ننحطّ الى تلك الدركة السافلة ، ونجاري اولئك المحررين في اسلوبهم لقلنا لهم انهم انذال ، سفهاء ليس لهم ضمير ، ولا يعرفون شهامة ولا كرامة . لكننا لا نقول لهم هذا ، ولا

حول كلمتنا الصريحة

نوجه لهم امثال هذا الكلام ، فلنا من آدابنا الاسلامية ، ولنا من شهامتنا العربية ما يمننا عن الانغماس في مستقهم التنن .

فدعهم هم والذين يملون عليهم تلك السخافات الرقيقة ، يقفون امام الرأي العام بهذه البلاد ، ولننظر كيف يكون حكمه عليهم قاسيا اليا .

اننا اكدنا في (الكلمة الصريحة) رغبتنا في الاحتفاظ بكياننا العربي الاسلامي ، فوق ارض هي ارض آباءنا واجدادنا ، مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد .

لكن خصومنا ، كما قلنا آنفا ، أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال ورأوا انهم يخرجوننا اذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال . حتى اذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الاملس استزلوا علينا تقمة الحكومة وطلبوا ان نعامل معاملة الثائرين المهيجين ، وان نذهب (١) ضحية قوانين روني وما سبقها .

لكن خابت آمالهم ، فنحن قوم لا تتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين ، وانهم لا يزججونا ان جرونا للبحث في مسألة الاستقلال .

ان الاستقلال حق طبيعي لكل امة من امم الدنيا . وقد استقلت امم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون ان حالة الجزائر الحاضرة ستدوم الى الابد . فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن انها تزداد قلبا مع التاريخ . وليس من العسير بل انه من الممكن ان يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والادبي ، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة ، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك

(١) في الاصل : نذهب .

انكلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب افريقيا ، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً ، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر .

هذا هو الاستقلال الذي تتصوره - لا الاستقلال الذي يتصوره خصومنا المجرمون ، استقلال النار والدماء - وهذا هو الاستقلال الذي نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت ، وباعانة فرنسا وبارادتها .
وانا لا نخشاه ولا نخشى البحث فيه .

انتهاء الازمة التونسية :

تمت الحوادث ببلاد الخضراء على النمط الذي توقعناه في العدد السالف ، فان مسيو قيون المقيم العام الجديد قد افتتح سياسته ، كما افتتحها من قبل لوسيان سان ومانصرون ويروطون ، بالركون الى جانب الاعتدال ، والوعد بسلوك طريق المشاركة الصادقة واجابة رغائب التونسيين المعقولة .

فأول عمل تم اجراؤه هو ارضاء طلبية الجامع الاعظم المعمور ، بان اجيب طلباتهم المتعلقة بسألة تعلم اللغة الفرنسية ، فوقع العفو على الذين نالهم العقاب الصارم منهم سواء بالسجن او بالتغريب ثم جمع المقيم العام لجنة قررت من جهة تأخير العمل بذلك الامر الى شهر مارس من سنة ١٩٤٣ ، ثم قررت من جهة اخرى استثناء الكثير من الاعمال الادارية والقضائية من ذلك الامر القاضي بوجوب تعلم مبادئ اللغة الفرنسية لاجراء محادثات بسيطة عادية بها .

وهذه الوظائف المستثناة هي : الحكام الشرعيون ورؤساء كتبة المحاكم الشرعية وكتبة المحاكم الشرعية ومستكتبو المحاكم الشرعية والكتابة والنساخون باللغة العربية بالمجالس المذكورة والمنشئون والكتابة والمستكتبون والنساخون باللغة العربية بالقسم الاول من

حول كلمتنا الصريحة

الوزارة الكبرى وبالإدارة المركزية للعدلية التونسية والمدرسون التونسيون بالمدرسة الصادقية ومدرسو القسم الاسلامي من مدرسة ترشيح المعلمين ومؤدبو المكاتب الابتدائية . كما يخرج من هذا القيد ايضا رغم كونهم لا ينسحب عليهم هذا القانون العمال والكواهي والخلفاء والمشائخ وكتابة الاعمال والمدرسون وسائر متوظفي الجامع الاعظم دام عمرانه وارباب الشعائر ومتوظفو جمعية الاوقاف والعدل والمنشئون بالشرع العزيز . وبعد ذلك وقع الالتفات الى الناحية السياسية ، فأمر مسيو فيون بحذف « جهنم الدنيا » برج لوبوف من قائمة الاماكن التي يمكن ابعاد التونسيين اليها ثم امر بارجاع ٦٢ من المبعدين السياسيين الى اهلهم وذويهم ، بعد ان ذاقوا من العذاب الاليم وتجرعوا من كؤوس البأساء والضراء ما لم نسمع بمثله الا في تاريخ محاكم التفتيش .

ولقد بقي الزعماء الثمانية أحرارا بمراقبتي قابس وجربة ، الى ان يتفاوض معهم المقيم العام مفاوضة رجل لرجل : وهم السادة : الدكتور محمود المطري ، والاساتذة محبي الدين القليبي ، والظاهر صفر ، والبحري قيقة ، وصالح بن يوسف ، والحبيب بورقيبة ، ومحمد بوزويتة .

وثناء رحلة المقيم الى الجنوب ، تقابل مع الثمانية الزعماء ، ووقعت بينه وبينهم مفاوضة طويلة ، نشر بعدها المقيم بلاغا رسميا جاء فيه :

ان المقيم أكد لهم بأنه لا يريد أن يرى في المستقبل سياسة هيجان ، اذ هو عازم على تنفيذ سياسة الحماية بحذافيرها ، باحترام حقوق الدولة الحامية وحقوق سمو الباي ، وانه يريد التعاون الصادق من الجميع حول هذه السياسة ، واجابوه بلسان الدكتور المطري انهم لن يسلكوا ابدا سياسة الهيجان ، وانهم لم يهاجموا مبدأ الحماية بل

قصارى مطلبهم الاحراز على الحقوق التي يطلبها التونسيون داخل
منطقة النظام الحاضر . ثم أكدوا للمقيم انه يستطيع أن يثق بكلامهم
وانه لن يندم على ثقته بهم .
هذه خلاصة بلاغ السفير ، ونحن نعتقد وان لم تأتنا الانباء بعد ،
بأن المبعدين الثمانية قد رجعوا الى بلادهم ، واسترجعوا حريتهم بعد
طول البعاد ، وان تونس ستفتح عصراً جديداً من العمل الهاديء المثمر ،
خاصة وأن لها في الواجهة الشعبية الفرنسية أصدقاء سيبرهنون على
صداقتهم لها ، فلعل الدستور والمجلس التشريعي وتحديد العلائق بين
الادارتين تكون من نتائج هذا الدور الذي نرجو أن يكون موفقاً
سعيداً .



حقوق الأمة الجزائرية^(١)

التي تطلبها من الأمة الفرنسية

مقدمة :

ان الأمة الجزائرية قد شاركت الامة الفرنسية في مواقف الموت
فمن الحق والعدل ان تساويها في مواقف الحياة •

ان الحياة تشتري بالأرواح والابدان والامة الجزائرية قد بذلت
ارواحها وابدانها مع الامة الفرنسية ومثلها ، ومن دفع الثمن فمن
الحق والعدل ان يأخذ الثمن •

ان الامة الجزائرية سمعت في ايام الشدة ومواطن البأس من
الامة الفرنسية انهما يستويان في السلم كما تساويان في الحرب • فاما
الذين ماتوا في تلك الايام فقد ماتوا وقلوبهم تنعم بذلك الامل المعسول
واما الذين بقوا فبقيت قلوبهم تتجرع الخيبة بعد الخيبة وتنطوي على
الالم بعد الالم •

ان الامة الفرنسية لا تستغني عن الامة الجزائرية كما لا تستغني
الامة الجزائرية عنها فمن الخير لهما معا ان لا تشعر واحدة منهما من
ناحية الاخرى بنقص في الود او ظلم في الحقوق •

وعلى هذا نبينا ما تقدم من الحقوق التالية طالبن من الامة الفرنسية
وخصوصا من الحكومة الشعبية الجديدة التي تمثل الشعب الفرنسي
والمبادئ الجمهورية اصدق تمثيل باسم الحق والعدل تنجزه •

(١) مطالب قدمها ابن باديس سنة ١٩٣٦ ل مكتب المؤتمر •

الاضاع والماملات الخاصة :

لا تتحقق المساواة المطلوبة الا برفع جميع الاوضاع الخاصة مثل المتصرفيات ومجالس (الكريمينال) والمعاملات الخاصة ، بل الانديجينة واعطيات الجندية وزيادة مدة الخدمة العسكرية ، والبرنامج الخاص بالتعليم في المكاتب الابتدائية وغيرها وحرمان عمال الجزائر من كثير مما يتمتع به العمال الفرنسيون .

النيابات :

لا يمكن للامة الجزائرية ان تنال حقها من الحياة على الارض الجزائرية ما دامت لا تمثلها في جميع المجالس الاقليمية فأول مطلب في النيابة هو تسوية نواب الجزائريين بنواب الفرنسيين في جميع المجالس ثم مطلب توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين بحيث يشارك في انتخاب النواب البرلمانيين مشاركة فعلية جميع سكان الجزائر على اختلاف اجناسهم وعقائدهم مع بقاء المسلمين على جميع ذاتياتهم الاسلامية .

(هذا التصدير قدمه الاستاذ للمؤتمر باسمه الخصوصي على انه رأى من الآراء يضم الى نظائره وبعد هذا بين في ايجاز بليغ مطالب جمعية العلماء وقدمها باسمها وهي ^(١)) .

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية وتعامل صحافتنا مثل الصحافة الفرنسية وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

(١) تعليق الاستاذ الشيخ الابراهيمى رحمه الله .

حقوق الأمة الجزائرية

الدين :

١ - المساجد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها ، وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

٢ - التعليم الديني :

تؤسس كلية لتعليم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

٣ - القضاء :

لاينظم^(١) القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة اسلامية يكون انتخابها تحت اشراف الجمعيات الدينية المشار اليها في الفصل السابق ، وادخال اصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء ، منها تدريس تلك المجلة ، والتحقق بالعلوم الشرعية الاسلامية، وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها^(٢) .

(١) كذا في الاصل ويبدان « لا » زائدة .

(٢) الشهاب ، ملحق ج ٤ ، م ١٢ - ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ جوليت ١٩٣٦ م ص ٢١٠ الى ٢١٢ .

اخترنا اعادة هذا المقال هنا لانه يشتمل على مقدمة لا توجد في الاول المنشور في البصائر بتاريخ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ - ١٩ جوان ١٩٣٦ م .

نص المطالب التي قدمها لمكتب المؤتمر

رئيس جمعية العلماء خاصة بالدين واللغة العربية

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مع الفرنسية جميع المنشائر الرسمية ، وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية ، وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الديانة :

١ - المساجد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع اوقافها وتتولى امرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

٢ - التعليم الديني:

تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من ائمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

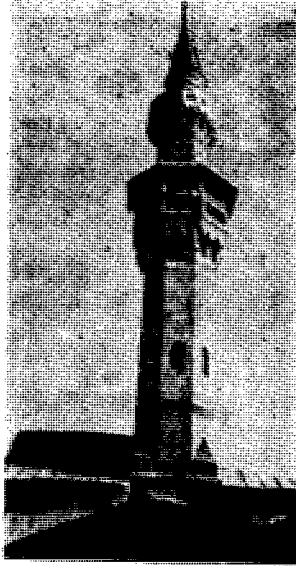
٣ - القضاء :

ينظم القضاء بوضع مجلة احكام شرعية على يد هيئة اسلامية يكون انتخابها تحت اشراف الجمعيات الدينية المشار اليها في الفصل السابق وادخال اصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم

مطالب رئيس جمعية العلماء للمؤتمر

— منها تدريس تلك المجلة — والتحقق بالعلوم الشرعية الاسلامية وطبع
التعليم بطابمها لتكوين رجال يكونون من اصدق الممثلين لها .

عبد الحميد بن باديس



البصائر : س ١ ع ٢٤ الجزائر يوم الجمعة ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ
ل : ١٩ جوان ١٩٣٦ م ص العمود ٢ من الصفحة ٢ .

اعيدت كتابة هذه المطالب في الشهاب ملحق ج ٤ م ١٢ بتاريخ
ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ - جويلية ١٩٣٦ م ، ص ٢١٠ - ٢١٢

المؤتمر الجزائري الاسلامي العام

يحقق مبادئ (الشهاب)

يجد القراء على وجه كل جزء من أجزاء (الشهاب) مبدأه في الإصلاح السياسي هكذا : (الحق والعدل والمؤاخاة ، في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) ونحن نمني بذلك ان الأمة الجزائرية قد قامت لفرنسا بكل ما طلبته منها من نفس ونفيس ، فمن الحق الواجب على فرنسا ومن العدل الذي لا يقوم أمة الا به ، ومن مقتضى المؤاخاة الحقيقية التي لا تكون الا عندما ما يشعر الانسان بانه غير مغموط الحق ولا مهضوم الجانب من صاحبه - ان تعطي فرنسا للجزائريين جميع حقوقهم دون أي تنقيص لهم عن غيرهم ، ولا ادنى تمييز له عنهم ، وليس لها ان تطالبهم بالانخلاع عن اقل شيء من مميزاتهم في قوميتهم ودينهم ولغتهم فقد قاموا بما فرضته عليهم من الواجبات وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم فلتعطهم جميع الحقوق وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم . وعلى هذا المبدأ كنا نقاوم بروحي الرجل العظيم الذي لا ننسى فضله م فيوليت لما فيه من عدم التسوية في الحقوق لا بين الجزائريين والفرنسيين ولا بين طبقات الجزائريين انفسهم وما فيه من تهيئة الطبقة المثقفة للاندماج مع السكوت التام عن الدين واللغة ، قاومناه ايام كان الناس كلهم متمسكين به الا من عارضوه لاغراض معلومة وبايعازات خاصة ، ولم نبال في معارضته - لما كان مخالفا لمبدئنا من المساواة في الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية بكل الذين كانوا يعترضون علينا وقد يجاوزون الاعتراض الى حد آخر ، نعم ثبتنا على تلك المقاومة لاننا نعرف اننا بمبدئنا نعبر عن عقيدة

المؤتمر الجزائري الاسلامي العام

جمهور الأمة ونعرب عن احساسها ، وجاء المؤتمر وطلبت مني لجنة قسنطينة ان اضع لها ما اراه من المطالب ، فوضعت المطالب المنشورة في المقال المتقدم ومن تلك المطالب « المساواة في الحقوق السياسية مع المحافظة التامة على جميع الذاتية » وهذا هو الذي اقره المؤتمر بالاجماع ووجهته رئاسة المؤتمر الى الحكومة ونشرته الصحف في صدر قرارات المؤتمر ، وسقطت به جميع البروجيات ، فحققت الامة بهذا من مؤتمرها العام المبدأ الذي دعا اليه الشهاب لانه يدرك حقا نفسيتها وينطق صدقا بلسانها ، فنحمد الله الذي وفق الامة الى ما فيه خيرها وشرفها ونسأله تعالى أن يحيينا ويميتنا في خدمتها ، محافظين على قوميتها ودينها ولغتها ، ساعين بها ومعها في ترقية العمران وسعادة الانسان (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٤ ، م ١٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥
غرة ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ - جويلية ١٩٣٦ م .

كلمة قالها ابن باديس

تلخيص مندوب جريدة الامة الفراء
بمناسبة اجتماع الوفد الجزائري بالشعب

قال الشيخ الرئيس :

أيها الجزائري التاريخي القديم ، المسلم الصميم ، كلمته من كلمة الله ، و ارادته من ارادة الله ، وقوته من قوة الله ، أو لست منذ شهر كونت مؤتمرا كما ينبغي أن يكون جللا وروعة ، فذلك مجلى ارادتك ومظهر قوتك، وكونت هذا الوفد الكريم فحملته مطالبك فاضطلع بها وأدى الامانة في ثمانية ايام ، وهي لا تؤدي الا في اضعاف ذلك من الايام ، وقد لعمر الله مثلك في قوتك و ارادتك وحياتك وكرمك ، وقد متحد متعاون متساند زار الوزارات والأحزاب وارباب الصحف فعرفك اليها ورفع اليها صوتك . ولقد كدت تكون ايها الشعب مجهولا عندهم تمام الجهل ، لكن باعمالك العظيمة وبما قام به الوفد صرت معلوما لدى من يعرف الحق ويحترم الكريم وينصف المظلوم .

أيها الشعب انك بعملك العظيم الشريف برهنت على انك شعب متعشق للحرية وهائم بها ، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ ركننا نحن الحاملين للوائها ، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها وكيف نحيا ونموت لاجلها .

اننا مددنا الى الحكومة الفرنسية أيدينا ، وفتحنا قلوبنا، فان مدت الينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد ، وان ضيعت فرنسا فرصتها

كلمة قالها ابن باديس

هذه فانتا تقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا تفتحها الى الأبد .

ايها الشعب لقد عملت وانت في اول عملك فاعمل ودم على العمل
وحافظ على النظام ، واعلم ان عملك هذا على جلالته ما هو الا خطوة
ووثبة ووراء خطوات ووثبات . وبعدها اما الحياة واما الممات^(١) . اه



(١) ش : ج ٦ ، م ١٢ ، ص ٢٧٢
غرة جمادى الثانية ١٣٥٥ هـ - سبتمبر ١٩٣٦ م .

مشاهدات وملاحظات

تمهيد :

لقد كان مقرراً أن يزور الوفد تلمسان وقسنطينة بعد اجتماع الجزائر الذي وقع في ١٤ جمادى الثانية أوت ليطلع الامة على أعماله وآماله وكان مقرراً ان يكون السفر لتلمسان مساء ذلك اليوم . ولكن مكيدة قتل ابن كحول المشؤومة حالت دون ذلك وما كان ينبغي - في نظرنا - ان تحول . وياليتها ادت الى التأخير فقط ولكنها كانت تكاة لمن لم تكن له رغبة في تلك الزيارة في الترك والابطال . ولهذا رأينا ان نطلع قراءنا على شيء مما بقي بأذهاننا مما شاهدنا ولاحظنا ، وشيء في الجملة خير من لا شيء .

على ظهر الباخرة :

كان اعضاء الوفد - من النواب والعلماء والشبان - كأسرة واحدة في الأنس والعطف والاتحاد وكانت اوقات ينفرد فيها الشيوخ الثلاثة فهي التي اتحدث عنها لما فيها من ادب خاص .

الاستاذ العقبي :

يعرف الناس العقبي واعظاً مرشداً يلين القلوب القاسية ، ويهد البدع والضلالات العاتية بقوة بيانه وشدة عارضته ولكن العقبي الشاعر لا يعرفه كثير من الناس . فلما ترنحت السفينة على الامواج وهب النسيم العليل هب العقبي الشاعر من رقدته واخذ يشنف اسماعنا باشعاره ويطربنا بنغمته الحجازية مرة والنجدية اخرى .



اعضاء وفد المؤتمر الاسلامي الجزائري الى باريس ، في مكتب
وزارة (فيوليت) ، ويرى رئيس الوزارة نفسه مع اعضاء الوفد

ويرتجل البيتين والثلاثة والاربعة في المناسبات - وهاج بالرجل
شوقه الى الحجاز فلو ملك قيادة الباخرة لما سار بها الا الى جدة دون
تعريض على مرساي ، وان رجلا يحمل ذلك الشوق كله للحجاز ثم يكتبه
ويصبر على بلاء الجزائر وويلاتها ومظالمها لرجل ضحى في سبيل
الجزائر تضحية أي تضحية .

الاستاذ الابراهيمي :

وبينما كان حكيمنا الابراهيمي يساجل الاستاذ العقبي ذكرياتهما
بالحجاز وايامهما بطيبة الطيبة ، ويفيض في الحديث عن ايامه هو
بالشام وتعليمه بالمدرسة السلطانية بدمشق ويحدث عن رفاقه واصدقائه
من ابناء الشام وشعرائها وعلمائها ورجالها الذين لا تخلو الجرائد اليوم
من ذكرهم - اذا به ينتقل بنا فجأة الى الأندلس . وعجبنا بادىء بدء

لتلك القفزة من الأستاذ حتى ذكرنا ما بين الشام والاندلس من علاقات في فتحها وانتقال الخلافة الأموية اليها فقلنا ان الاستاذ قد عوضه الله من القوة في عقله ما ضاع عليه في رجله وكدنا نغبطه على عرجه . وهاجت الذكرى الاندلسية بصاحبنا الابراهيمي واخذ في الحديث عليها وعلى وطنينا المقرئ مؤرخها حتى كاد ينثر علينا « نفح الطيب » من حفظه ، وعلمنا اتنا سنرى انوار الاندلس بعد الغروب وبدت لنا بعد صلاة المغرب فطار لب صاحبنا وأخذ يهمل ويكبر ويحوقل ويسترجع . وسبقته الى قول الشاعر :

كبرت نحو ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق
فكاد يجن جنونه واخذ يحدث عن شمس العلم التي بدت من ذلك
الافق وعن الثائر ابن غانية وما يتصل به وقضيناها سهرة امام تلك
الانوار وأين منها عندنا « نار غالب » أو « نار المحلق » .

الاستاذ عبد الحميد :

هذه هي المرة الاولى والاخيرة اعبر فيها عن نفسي كما عبرت عن رفيقي « الاستاذ » فان ما كنا نشعر به من الاتحاد الروحي كره اليء ان اعبر عن نفسي بغير ما عبرت به عنهما وانا في قرارة نفسي ابغض التواضع المصنوع كما ابغض الادعاء الكاذب فلا اعرفه من نفسي ولا مرة واحدة ، واما التواضع المصنوع فما تقضي به العادة ويحتمه اصل التربية وقد خرجت عنهما هذه المرة امثالاً للطبع ولن اعود .

لقد كنت مأخوذاً بأدب الرفيقين ولطفهما ، وكنت أختم انشادات العقبي بالآهات والأنات ، وتارة بالهزات والوقفات ، وكنت أساوق الابراهيمي الخافضة فيما يتشد من « نفح الطيب » وقد طال عهدي به . ولم تفارقني مهنة المعلم فكنت اجدني عن غير قصد اقرر نكتة في

مع الوفد الاسلامي الجزائري

بيت من الشعر او عبرة في حادثة من التاريخ فيوافق الرفيقان وقد يخالفان . وكنت بحكم مهنتي أيضا ، أفكر في تلامذتي واعدادهم لمثل مقام هذين العالمين الادييين العظييين فلن يحفظ الاسلام والعربية في الجزائر الا بامثالهما فينبعث في عزم على الجد والاجتهاد في التعليم كل ما بقي من حياتي حتى آخر ومضة من الروح وآخر قطرة من الدم . ويمر بذهني خاطر مزعج يكدر عليّ ذلك الصفو ويكاد يضعف ذلك الامل . أتدري ما هو الخاطر : هو « صندوق الطلبة » الفارغ المدين ، ولكنني سرعان ما أزيله بكلمتي التي ألهمت الى قولها منذ نحو ربع قرن : « نحن على الفيض الرباني » ولن نزال عليه ان شاء الله .

المقابلات الرسمية :

استقبلت الوزارات المقصودة كلها الوفد كله ، فكان رئيس الوفد الدكتور ابن جلول يقدم الوفد للوزير واحدا واحدا ثم يلقي كلمات في التعريف بالوفد ومقاصده وما يناسب مقام زيارة الوزير ثم يتكلم الوزير بما يدل على الترحيب وحسن القبول ثم يتلو الكاتب العام للجنة المؤتمر الاستاذ ابن الحاج مطالب الوفد وهي التي قررها المؤتمر ويشرحها مطلبا مطلبا شرحا وافيا ثم يجيب الوزير عن تلك المطالب ويناقش في بعضها ثم تكون كلمات من بعض الاعضاء في أثناء الحوار . هذه هي الصورة الاجمالية العامة لجميع المقابلات على ما يختلف من التفصيل في كل وزارة بما يناسبها .

عند م. فيوليط :

هو اول من زرنا ولما اجاب عن المطالب قال قد اكون نسيت شيئا فذكره الاستاذ العمودي بمطلب حرية التعليم العربي فاخذ في مدح العربية وانها لغة تاريخية ولغة علم فمن المحال ان احدا يبغضها او

يقاومها فقلت له : لكن مع الاسف ان اللغة العربية محاربة بالفعل من الادارة الجزائرية وان المسلمين يشعرون من أجل ذلك بألم شديد . ونبتت بعض الاخوان الى ان م فيوليط لما كان يتكلم على المطالب كان يتكلم بفصاحة واسترسال فلما اخذ في الكلام على العربية لم يكن كما كان . فوافقوني على ذلك وقد كانوا تنبهوا له مثلي . صحيح ان م فيوليط يحب الخير للمسلمين ولكنه لا يحب لهم ما يعرقلهم عن الاندماج التدريجي ، وليس كل ما يحبه لنا أحد عن حسن نية هو مما نحبه نحن لأنفسنا .

وقابلنا م فيوليط مرة ثانية - الشيوخ الثلاثة والدكتور ابن جلول والاستاذ القلعي - فوضحنا له مطالب المؤتمر في الحرية الدينية وحرية التعليم بالمساجد لكل عالم مسلم وتأسيس جمعيات دينية في كل ناحية باختيار اهلها وذكر له الاستاذ الابراهيمي الظلم الواقع من الادارة الجزائرية في هذه الناحية من حياة المسلمين ، الظلم الذي لم يبق فيه من خفاء كما لم يبق عليه من صبر . فوعد بانة سينظر المسألة مع رئيس الوزراء .

عند وزير الداخلية :

ولم تمكن مقابلة نفس الوزير - لتنقلاته في البلدان بسبب الاعتصابات - فقابلنا الكاتب العام للوزارة م اوبو وهو رجل راديكالي صميم وممن كلبه الاستاذ العقبي فقال له : نريد ان نعامل في الجزائر بما يعامل به غيرنا من سكانها من الطليان والأسبان فانتا نعامل بها ادنى من كل جنس . فوعد الوزير بالنظر في الحالة وانه سيقدم هو الى الجزائر بنفسه .

عند وزير الحرية :

م دالاديه راديكالي من يمين الراديكال وقد صارحنا بأنه لا يمكن

مع الوفد الاسلامي الجزائري

أن يوافق على اعطاء النيابة بالبرلمان ما دمنا محافظين على الشريعة الاسلامية في حقوقنا الشخصية وصرح بانه يكون مع المعارضين اذا عرضت المسألة في البرلمان . والذين يعرفون م دالاديه لا يستغربون منه هذا ورأيه هذا هو رأي الراديكاليين الا القليل فلو عرضت مسألة النيابة في البرلمان ولقيها م دالاديه وأكثرية حزبه بالمعارضة مع من يعارضها من أحزاب غير الجبهة الشعبية لقضي عليها بالفشل قطعاً .

عند رئيس الوزراء :

لطف وبشاشة وجاذبية : هذه الصفات التي يمتاز بها - مجموعة - م بلوم على كل من لقيناه من رجال الحكومة الفرنسية . بعد خطاب رئيس الوفد وشرح الكاتب لمطالب المؤتمر تكلم كبير الوزراء وافتتح كلامه بقوله : « انني مسرور بزيارة مسلمين ليهودي وديموقراطيين لديموقراطي وفرانسويين لفرنسوي » وبهذه الروح ألقى جميع خطابه .

كلمة لكبير الوزراء :

قدمت قبل اليوم مطالب الأمة الجزائرية مرات عديدة بطرق متعددة وكانت تقابل بقبولها للنظر فيها وبالوعد بانجاز بعضها ثم لا يكون بعد ذلك شيء من الوفاء من الواعدين ، ولا شيء من الاستياء من الموعودين . غير ان هذه المرة لم تكن كذلك المرات في جميع ما يحيط بها ، وبالطبع لن تكون مثلها فيما ينشأ عنها من نفع عند الوفاء أو ضرر عند الاخلاف . فأجبت أن أصارح كبير الوزراء بالعاقبة السيئة التي تكون لخيبة الأمة الجزائرية في مطالبها هذه المرة اذا خابت ، فقلت له - بحضور الوفد كله والمترجم رئيس الوفد - : « الأمة الجزائرية المتألمة ليس ألمها ضد جنس ولا ضد دين ولا ضد فرنسا ، وانما ألمها ضد الظلم ، ولهذا لما جاءت الحكومة الشعبية وتوسمت فيها الحرية والعدالة

أعطتها كل ثقتها وأعلنت سرورها بها وأرسلت هذا الوفد فاذا رجعنا اليها ببعض مطالبها زادت ثقتها ، واذا رجعنا بأيدينا فارغة انعكس ذلك الفرح وحصل عن انعكاسه ضرر عظيم يستغله أصدادنا وأضدادكم» فأجابني - باندهاش - : « كيف ترجعون بأيديكم فارغة وأنا أشتغل وحيبي فيوليط من الآن في مطالبكم » فقال م فيوليط : « قبل الاحد ينجز العمل » وقد كنا لخصنا من المطالب بعضا منها لينجز ونرجع به في أيدينا وهو الذي دار عليه هذا الحديث . ولكن بعد هذا كله ها نحن قد رجعنا بأيدينا فارغة وما زالت فارغة الى الآن . نعم فيها وعود وفيها آمال ، وسنصبر هذه العطلة الصيفية على كل حال .

مقابلات الاحزاب الشعبية :

أكبر الاحزاب الشعبية التي تتألف منها الجبهة الشعبية هي الحزب الاشتراكي والحزب الراديكالي والحزب الشيوعي . وقد زار الوفد الأحزاب الثلاثة كلا في قسمه الخاص به من دار البرلمان ، فاما الاشتراكيون والشيوعيون فقد كانوا موافقين على مطالب المؤتمر كلها ، وأما الراديكاليون فكان منهم الوفاق على جملة المطالب لا على تفصيلها ، وظهر منهم احتراز وتريث ، وأشاروا الى ارسال لجنة برلمانية لبحث الحالة وهذا هو الذي قرره الحكومة بعد كما هو معلوم .

مقابلة الصحافة :

عيّن رئيس الوفد وقتا لمكاتبي الصحافة الباريسية في قاعة النزول الذي كان به الوفد فاستقبلهم الوفد فيها في الوقت المعين وبينت لهم المطالب وقد كتبت الصحافة بعد كل بحسب مشربه ولكن الامر الذي كان حاصله ولا محالة هو لفتها الرأي العام الفرنسي للمسألة الجزائرية الاسلامية لفتا جديا لم يكن قد حصل على هذا الوجه من قبل .

مع الوفد الاسلامي الجزائري

النتيجة المحققة :

١ - أدى الوفد مطالب مؤتمر الامة الجزائرية المسلمة بصدق وأمانة وشرف .

٢ - عرفت فرنسا حكومتها وأحزابها وصحافتها ان وراء البحر أمة جزائرية اسلامية تطالب فرنسا بحقوقها وتحافظ تمام المحافظة على شخصيتها ومقومات شخصيتها .

وهذان الامران - وما حصلنا قبل اليوم - لهما قيمتهما في حياة الجزائر وبناء مستقبلها . والاخير منهما هو الأساس الذي يجب أن يبني عليه كل عمل للجزائر والنهج الذي يجب أن يسير فيه كل من يتولى قيادة ناحية من نواحي سيرها في الحياة . وكل من حاد عنه قولاً أو عملاً فإنه يعد خائناً للامة ويجب أن يعامل بما يستحقه الخائنون . وقد رأينا اقتناعاً به ممن لم يكن منه من قبل على يقين وسمعنا اعترافاً به ممن كان قبل فيه من المتشككين . واذا كنا نسمع أحياناً نغقات بما يخالفه فهي من شذاذ لا تخلو منهم أمة ، ولا يزيدهم ذلك الا بعداً عن الأمة واسراعاً في دركات السقوط الى هاوية المقت وقرارة النسيان .

العودة الى الوطن :

رجعنا وأكثر الرفاق يظن ان المطالب المستعجلة اذا لم تكن صاحبتنا فانها لا تتأخر عنا بأكثر من اسبوع واذا تقاعست وتباطأت فلا أكثر من شهر . أما أنا فلم أكن مع الأسف على هذا القدر من الرجاء . فالجبهة الشعبية تعتمد في بقائها على الراديكاليين وهؤلاء ما يزال فيهم من عرفنا سياستهم الاستعمارية في العهد القديم وهم ما يزالون عليها في العهد الجديد . وقد سمعت منهم حديث لجنة البحث فحق لدي ما ظننته فيهم وتوقعته منهم فكنت أعتقد أن المطالب متأخر

وأَنْ هذا الصيف لا يكون فيه شيء ولكن لا بد من التمسك بحبل
الرجاء الى حين • وقد صدق الواقع ظننا وها أن الصيف قد مضت ،
وها أن لجنة البحث قد تعينت وها نحن من المنتظرين •

واليوم ... !

اذا أنت لم تتصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضييه اذالم يكن عن شفرة السيف مزحل (١)



(١) ش : ج ٧ ، ص ١٢ م ٣٠٤ - ٣١١
غرة رجب ١٣٥٥ هـ - أكتوبر ١٩٣٦ م .

نحن مسلمون وكفى

ان الاسلام الذي ندين به ، وهو دين الله الذي أرسل به جميع أنبيائه . وكمل هدايته وعمم الاصلاح البشري به على لسان خاتم رسله ، هو دين جامع لكل ما يحتاج اليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم ، فهو دين لتتوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الاعمال . فيكمل الانسانية وينظم الاجماع ويشيد العمران ويقيم ميزان العدل وينشر الاحسان . فلا يحتاج بعده الى ما يتناحر عليه الاوروبيون من مبادئ أحزاب وجمعيات ليس في استطاعة شيء منها أن يصلح حالهم لا في السياسة ولا في الاجتماع دع عنك الاخلاق والآداب . كما أنه لا يسلم واحد منها من قواعد منافية للفطرة أو مجانبة للعدل أو ضعيفة في العقل فالمسلم بطبيعة اسلامه بعيد عن كل هذه الجمعيات والاحزاب . وهذه هي حال السواد الاعظم من المسلمين في جميع الاقطار .

يجهل بعض الكتاب الأورويين هذه الحقيقة أو يتجاهلونها ، فتراهم يرمون المسلمين في كل حركة من حركاتهم بمبادئ الاحزاب الاوروية ذات النفوذ والشهرة في اوروبا .
وللقارىء نموذجاً من ذلك :

النمسا - الدعاية الهتلرية في افريقيا الشمالية وفلسطين

فيينا في ٢ : لمراسل البلاغ الخصوصي - يؤخذ من المعلومات التي أذاعتها صحيفة تليفراف عن نظام الدعاية الهتلرية في افريقيا الشمالية وفلسطين ان مجموع ما أنفق على هذه الدعاية التي جعل مركزها

نحن مسلمون وكفى

هي الكرة التي ترمى بها الامة المستضعفة . وهذا مما يدل دلالة واضحة على ان هذا الرمي بالهتلية بعد البلشفية لم يكن عن جهل وانما كان عن مكر وسوء قصد . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (١) .



(١) ش : ج ١١ م ١٠ ص ٤٨٢ - ٤٨٤
غرة رجب ١٣٥٣ هـ - أكتوبر ١٩٣٤ م .

ليست الزردة وحدها

ولكن وراء الائمة ما وراءها . . .

تمهيد :

حقاً ان الزردة التي أقامها الدكتور بقسنطينة وترأسها ودعا اليها ، ونشر عنها المقالات الطويلة أياما متوالية في جريدة (لا ديش) اليومية ، لمكر طريف ، وحادث عجيب ، شغل الناس بما فيه من نكر وما فيه من طرافة حتى كاد ينسيهم كل ما أتى به الدكتور من أعمال ضارة وما سلكه من سبل معوجة ، فلربما حسب قوم ان الزردة هي كل ما تنقمه الجمعية عليه ، ولربما استكثر قوم هذه النقمة على أمر حقير اذ ليس بالخطير ولكن الحقيقة خلاف هذا الظن ووراء هذا الحساب وليس من النصح أن تبقى الحقيقة مكتومة عن الناس ففي بقائها مكتومة الحيرة والاضطراب والضلال وفي بيانها الهدوء والاطمئنان واناثة السبيل للعاملين . وها نحن نبيئها في الكلمات التالية مكشوفة دون أي تقييح أو تحسين ، حتى يحكم القراء بأنفسهم حكما غير متأثرين فيه الا بالحقيقة المجردة .

كيف كنا معا :

لقد كانت الجمعية منضبطة من الحكومة ومعاكسة في أعمالها من أول نشأتها وكان ما تنقمه الحكومة عليها بعثها النهضة العملية والدينية في الامة الجزائرية بعد طول رقادها ويأس القانطين والمقنطين من يقظتها . فلما جاءت الحركة السياسية وتقدم رجال احرار للنيابة عن الامة ، وكان جميع المنتمين للجمعية - بطبيعة علمهم وبصرهم

لا بوحى جمعيتهم - مع النواب الاحرار ، وفاز النواب الاحرار في أكثر الدوائر ، لما كان هذا كله زادت قهمة الحكومة على الجمعية واعتقدت تأييد الجمعية للنواب الاحرار ونسبت يقظة الامة وحسن اختيارها وعدم امتثالها للايعازات وعدم خوفها من التهديدات ، الى ما بثته فيها الجمعية من حياة . وأخذت من يوم ذلك هي والصحافة الفرنسية الباريسية والجزائرية تقرن النواب الاحرار والجمعية في قرن عندما تكيد أو تحذف أو تغري أو تهاجم مع تخصيص الجمعية بالقسط الاوفر من الاذى والتهويل والاثارة للفكر الفرنسي العام .

ومن العجيب ان الدكتور كان ، دون سائر النواب الاحرار ، بنفس على الجمعية هذا البلاء ويحسدها على هذا العذاب ، ويكره أن تكون لها تلك السمعة في الصحف ، وان يكون للمتتمين اليها ذلك الاثر في فوز النواب الاحرار ، وكان يظهر ذلك في مجالسه وأمام من هم معه من الساسة ، ولكنهم لا يرون رأيه في الجمعية . وكان كلام الدكتور يبلغنا - ولا محالة - وكنا لا نلقي له بالا حرصا على اتفاق الكلمة وإبقاء على وحدة الأمة . وكنا - رجال الجمعية - لا يكون موقف عام الا أيدناه ، ولا موطن يقتضي التقدم الا قدمناه . حتى جاء المؤتمر الذي بذل كل جهده في عرقلة وأبى الله الا أن يتمه ، فقدمناه رئيسا عليه . ولما جاء تأسيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر قدمه رئيس الجمعية لرئاستها فوق الاتفاق على قوله . ولما رجع الوفد وقتل هو ورئيس الجمعية الى قسنطينة وخرجت البلدة كلها للقائهما في يوم مشهود ، خطب رئيس الجمعية في تلك الجموع وقال لهم : (تقوا بالله ثم بانفسكم ثم برئيس المؤتمر) وكنا - علم الله - الى ذلك اليوم ، وبعد ذلك اليوم عاقدي العزائم على العمل معه في ظل المؤتمر الى غاية ما نستطيع .

كيف افترقنا :

وقعت حادثة الاغتيال المشؤومة فاغتيل معها - والله - عقل الرجل .

وقال وكتب ما سبق به كل أعداء الجمعية الى توجيه التهمة - تصريحاً بالتقول وتلويحاً بالكتابة - الى العلماء ورغم ذلك أغضينا وسكتنا . ووقعت حادثة الاعتقال الباغية فاهتبلها فرصة للإيقاع بالجمعية فطار الرجل الى باريس يحمل معه تصريحاته الى جريدة (مارساي ماتان) لما نزل بمرسيليا ، تلك التصريحات التي لم يقل مثلها - مجتمعة - أحد من أعداء الجمعية والباغين لها الشر على كثيرهم فيها . ووقف على تلك التصريحات السيد طاهرات والسيد ابن الحاج العضوان في الوفد ، وقد جاء باريس مرة ثانية كما جئنا فأظهرا استنكارهما لها ودعواها الى تكذيبها فوعده بتكذيبها . ووقفنا عليها ونحن بباريس فترشنا بقدر ما انزعجنا ، وانتظرنا التكذيب وانتظرنا ، ولكن مضت الايام والرجل لم يكذب فطلبنا منه التكذيب على لسان جريدة الجمعية وانتظرنا ثم انتظرنا وجاء الاجتماع العام للجمعية وعرضت مسألة تصريحاته على الاجتماع فقرر بالاجماع - الا الاستاذ العقبي - القرار الذي نشر في العدد ٣٩ من « البصائر » مع تعليق تنفيذ القرار على مضي ثمانية ايام دون أن يكذب . وكاتبه أثر تلك الجلسة الاستاذ العقبي بصفة خاصة يطلب منه كلمة تكذيب ينشرها في البصائر وتنتهي بها المسألة حسبما كان وعده فلم يفعل . فنفذ قرار الاجتماع العام واعتبر ضداً من أصداد الجمعية ليكون لكلامه عنها عند الحكومة وعند الناس قيمة كلام الضد لا قيمة كلام الصديق .

طعنة من الخلف في اخطر الاوقات :

في الوقت الذي أدخل فيه السجن الاستاذ العقبي ونجحت قرون الشر من كل جهة تضنضض بالسنة الباطل الى الجمعية . يصرح الدكتور ابن جلول تلك التصريحات التي نعرف نحن وأمثالنا ممن تعودوا البهت الاداري انه لا يحسن نسجها ولا يتقن وضعها ولا يحويها ذهنه .

ليست الزردة وحدها

وانما هي صنع معامل شيطانية تقدمها لمن يرضى لنفسه باستعمالها فيستعملها فيكون عليه غرمها ولها هي غنمها .

أخبرنا نائب عمالي ذو شخصية ، ان الدكتور عقد اجتماعا لجمعية النواب قبيل الاعتقال وأظهر من حنقه على الجمعية وعزمه على البطش بها ما أفزع ذلك النائب وتركه ليالي مهتما بما سيكون من الدكتور ضد الجمعية . وسألنا غيره ممن حضر ذلك الاجتماع فحقيقه لنا . وأخبرني بعض الرفاق في الوفد من النواب لما قدمت باريس بعيد قدوم الدكتور انه قدم مبتلئا غيظا على الجمعية . وفي طريق قدمته تلك فعل فعلته في « مارساي ماتان » .

فالدكتور وجد من تلك التصريحات المحصلة لغرض غيره ما يحصل غرض نفسه فطمع بها الجمعية في نكبتها وأخرج أوقاتها طعنة حسبها هي القاضية عليها . فاني له بعد هذا كله أن يكذب وكيف ينتظر منه أن يكذب ؟؟ . ولو ان هذه الطعنة لم تكن لها هذه الملابس من قيمة فاعلمها المباشر ، ومدبرها المصاول ، ووقتها المتخير ، لما التفتنا اليها ولما ألزمتنا بتكذيبها مثل ما ألزمتنا .

آلة في يد الظلم :

لقد اتخذت لمحاربة هذه الجمعية آلاف . . . فأسست لاجلها الجمعيات والصحف ، واستخدم نواب من ذلك الطراز المعلوم فدسوا الدسائس ، وخطبوا في المجالس ، وباء الجميع بالفشل والخسران الميين . ولقد قوومت هذه الجمعية بانواع المقاومة وسوومت للتحويل عن خطتها أو التساهل فيها بوجود المساومة حتى سوومت بنصرها وتأييدها وتقديم رجالها واجابة مطالبها على ان تتخلى عن النواب الاحرار وتنفض يدها منهم ، فكانت ازاء ذلك كله الجبل الأصم الذي

لا يسمع والطود الاشم الذي لا يتزعزع . وكان جواب رجالها على المساومة الاخيرة ان كونوا المؤتمر الاسلامي الجزائري العام فأوقفوا الامة كلها خلف النواب الاحرار ، ووضعوا على رأسه ابن جلول ، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة الشعبية وأحزابها .

هال هذا الموقف الجدي وهذا المظهر الرائع من الامة الاسلامية الجزائرية نواحي لا تعيش الا على فقر هذه الامة وجهلها وتفرقتها وعدته ذنبا جديدا من ذنوب الجمعية أتى على ما قبله وأفزع بما بعده فابتدأ من تلك النواحي موقفها الجديد وسلاحها الجديد ، وكان من آثار ذلك الموقف حادثة الاغتيال والاعتقال ورمي الشيخ الحبيباتي بالرصاص ، وكان من السلاح الجديد حضرة الدكتور الزعيم !

وافق شن طبقة :

فبينما تلك النواحي تحرق الارم على الجمعية التي لم يكفها جمع الامة على العلم والدين والتهذيب حتى عملت على جمعها على هذا المؤتمر العظيم ، وتسف للدنايا لتسف الجمعية نسفا وتصم رجالها - كذبا وزورا - بكل افك وشين ، اذا بها : تلك النواحي تسع زمجرة الدكتور ووقعته في الجمعية وبغية لها الكيد .

وبينما هو الآخر يتحرق من الغيظ على الجمعية التي عملت على تكوين مؤتمر يظهر فيه رجال وتوزن فيه الاعمال ، ويسمع فيه الزعيم ما لم يعتد سماعه من انتقاد ، اذا به يشاهد أيديا من تلك النواحي تلوح له بالرضاء وما وراء الرضاء ، وتوميء اليه بالقضاء على أولئك العلماء المشوشين المتدخلين في السياسة كل القضاء ، فأسرع الى الأحضان وأصبح الحبيب المقرب والصديق المدح ، الذي تفتح له الابواب ، وتفصح له الرحاب ، ويدخل بلا استئذان ، ويناديه متصرف « بريفي » قسنطينة من نافذة سيارته في طريق سكيكدة « سالي دكتور ٠٠٠ »

ليست الزردة وحدها

ويعطيه المليون المعروفون قناطير الفارينة ورؤوس البقر ليقيم زردة لاموات وجه الارض على أموات بطنها ، وان كان الذين أودوا واضطهدوا من جرائه أيام كان - وا أسفاه - ما زالوا من آثار ذلك في الذل والفقر يتخبطون .

كل هذا لحضرة الدكتور على أن يعمل على هدم الجمعية وهدم المؤتمر . وقد عمل لذلك بقوله وعمله وكتاباتة ، وما زال يعمل ، ولكنه خائب ان شاء الله .

الامة حكمت وأبرمت :

لم تزد الجمعية من يوم أيست من رجوعه عن طمئنته لها ، على ان أعلنت أمره للامة وخلت الحكم عليه لها ، ولقد شاء الله أن يكون حكم الامة عليه سريما فحكمت باسقاطه من رئاسة مؤتمرها . ثم حاول منذ أيام بمكتوب نشره هو والسيد ابن الحاج أن يجمع لجان المؤتمر من العملات الثلاث الى سطيف لتعيد النظر في أمر عزله لان عزله - زعم - لم يكن بالاكثريه ، فكان من تلك اللجان أن أمطرت للسيد ابن الحاج ببرقيات الاحتجاج على استبداده بالدعوة الى سطيف وظهوره بمظهر الموافق على ذلك الزعم . فما وسع السيد ابن الحاج الا الرضوخ وحاول أن يتدارك الامر فأبرق الى أعضاء تلك اللجان مساء الجمعة الماضية بتحويل الاجتماع الى الجزائر فأعرضت عنه اللجان وأصبح يوم الاحد الماضي المعين للاجتماع ، وهو ينتظر الوافدين في محل باحدى المقاهي الافرنجية فما وجد نفسه الا في سبعة شطهم جاء للاعتراض فكان هذا من الامة الممثلة في لجان مؤتمرها بالعملات الثلاث ، ابراما لما كانت حكمت به من عزل الدكتور من رئاسة المؤتمر ، وتلك عاقبة الظالمين .

وبعد : فهل أدرك الدكتور حقيقة أمره ، وشعر بغضب الامة عليه

أثر ابن باديس

فأخذ يتراجع عن غيه ، ويتدارك من خطئه ليعود الى بعض مقامه عند
قومه ؟ أم هو ما يزال جادا في سيره حتى يصل من منحدره الى النهاية .
ومن بعض اطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهزم

عبد الحميد بن باديس

(قسنطينة)



البصائر : س ١ عدد ٤٣ الجزائر يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٣٥٥ هـ
الموافق ليوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٦ م الصفحة ١ - ٢ والباقي تابع لصفحة
٣ في اسفل عمود ١ .

الجنسية القومية والجنسية السياسية

تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الافراد . ولا بقاء لشعب الا ببقاء مقوماته ومميزاته كالثأن في الافراد . فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات . وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بأدابها ، والعقيدة التي يبنى حياته على أساسها ، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات .

والجنسية السياسية ان يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما كان عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتركا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما .

ومن الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسية القومية اذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة .

فاذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلا بد لهما - مهما طال الأمد - من أحد أمرين : اما أن يندمج أضعفهما في أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فيندمج من الوجود . واما ان يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره - ولا بد - الى الانفصال .

وبعد فنحن الامة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية وقد دلت تجارب الزمان والاحوال على اتنا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية واتنا ما زدنا على الزمان الا قوة

فيها وتشبها باهدابها وانه من المستحيل اضعافنا فيها فضلا عن ادماجنا
أو محونا . أما من الناحية السياسية فقد قضى قانون - 1865 -
باعتبارنا فرنسيين لكنه نفذ وينفذ تنفيذا جائرا فيفرض علينا جميع
الواجبات الفرنسية دون حقوقها فكنا كما قال الشاعر :

وإذا تكون كريهة ادعي لها وإذا يحاس الحيس يدعى جنذب
أو كما يقول مثلنا الدارج « وقت الدوا هاتوا بو نافع ، وقت
الشنا طيشوا الدرياس » ، صبرنا على هذا الحيف طويلا وعالجناه بما
استطعنا مرات كثيرة من جهات عديدة حتى جاء الوقت الذي نفذ فيه
الصبر وأعياء العلاج ققلنا البيت الثاني من قول الشاعر المتقدم :

هذا وَجِدْكُمْ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ
لَا أُمُّ لِي إِنْ دَامَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

فنهضت الأمة نهضتها بمؤتمرها الفخم الجليل وقررت فيه بالاجماع
« المحافظة التامة على المميزات الشخصية ، والمطالبة بجميع الحقوق
السياسية » وأدرك أقطاب الواجهة الشعبية أحقية هذا المطلب وأدركوا
ان لا بقاء للامة الجزائرية مرتبطة بفرنسا الا اذا أعطيت حقوق الجنسية
الفرنسية السياسية مع بقائها على جنسيتها القومية بجميع مميزاتا
ومقوماتها فتقدموا لمجلس الامة الفرنسي بالقانون المعروف اليوم
بروجي بلوم - فيوليط وتلقاه الذين يقدمون مصالحهم الفردية
والاستعمارية على مصالح فرنسا الحقيقية بما هو معروف من معارضة
بذية ظالمة منكرة وتلقته الامة الجزائرية التي ترضى بالارتباط بفرنسا في
حقوقها وواجباتها - وهي الجنسية السياسية - ما دامت محترمة في
جنسيتها القومية وهي تلك المقومات والمميزات بشرط لا بد منه : وهو
أن يكون التساوي تاما في جميع تلك الحقوق دون تخصيص لحق دون
حق ولا تمييز لطبقة عن طبقة .

الجنسية القومية والجنسية السياسية

ولهذا اعتبرت بروجي بلوم - فيوليط قليلا جدا بالنسبة لحقوقها
وانما تقبله اليوم كخطوة أولى فقط يجب بعد تنفيذها أن يقع الاسراع
في بقية الخطوات الى تحقيق التساوي التام العام الذي هو الشرط
الطبيعي في سنن الاجتماع في بقاء الارتباط بصفاء واخلاص .
وإذا لم يكن فلا عتب على الزمان ، وما شاء الله كان .

انا بكلامنا هذا نعرب عن فكر الأكثرية العظمى من الأمة الاسلامية
الجزائرية . ونعلن ان هنالك من لا يرضيهم هذا ومن لهم نظرات أخرى
لها حظها من الاعتبار . وانا نتحقق ان الموقف الذي يقفه البرلمان
الفرنسوي يوم تعرض عليه المسألة هو الذي يوجه الامة الجزائرية
احدى الوجهتين فالمستقبل بيده . والامر لله من قبل ومن بعد (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ١٢ ، م ١٢
غرة ذي الحجة ١٣٥٥ هـ - فيفري ١٩٣٧ م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

امام لجنة البحث البرلمانية

مساء الخميس ٥ صفر الجاري ١٦ افريل قابلت لجنة البحث البرلمانية بقصر الجمعيات بالعاصمة هيئة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باسم الجمعية . وكانت الهيئة متركبة من الشيخ : عبدالحيد ابن باديس ، البشير الابراهيمي ، مبارك الملي ، العربي التبسي ، الامين العمودي .

قدم الرئيس كراس المطالب للجنة وتلاه عليها الشيخ العمودي وشرح لها بمض تقط فيه .

فصل الجزائر عن فرنسا :

بادرنا الرئيس بأن للجمعية خصوما كثيرين وأنهم يقولون ان في جريدة الجمعية دعوة الى فصل الجزائر عن فرنسا . فأجبت بأن هذا الفصل لم يفكر فيه أحد من الجمعية فلا وجود له - قطعا - في جريدة الجمعية .

نظرنا في اصلاح الحالة :

سألنا عن نظرنا في اصلاح الحالة فأجبت بانتي أحقق لهم قبل كل شيء أمرين وهما :

١ - ان كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم فهي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة ، والواقع دل على هذا .

٢ - وان الحالة التعيسة التي بلغت اليها الأمة الجزائرية - وقد اطلعتم اتمم عليها أكثر من غيركم - لا يمكن أبدا أن يستمر صبر الأمة الجزائرية عليها أكثر مما صبرت .

فالواجب - إذا - هو إعطاء الأمة الجزائرية جميع الحقوق مع محافظتها على جميع مقوماتها .

هنا سألنا أحد أعضاء اللجنة من جماعة اليمين : إذا فأنتم ترون أن فرنسا والجزائر شعبان اثنان ؟ فأجبتنا باننا نراها كذلك ، وهما في الواقع وبالطبع كذلك ، ولا يمنع هذا من تعاونهما كأخوين لا كسيّد وعبد .

بروجي فيوليط والحالة الشخصية :

سألنا عن بروجي فيوليط فأجبتنا بأن بروجي فيوليط ما حاز القبول الذي حازه الا لما فيه من التصريح بالمحافظة على الحالة الشخصية ، مع أن ما فيه انما هو نزر قليل جدا من الحقوق المطلوبة .

راينا في الزام الحكومة المسلمين برفض الاحكام الشرعية :

سألنا الرئيس عن رأينا لو ان فرنسا أصدرت أمرا بطرح المسلمين الأحكام الشرعية لتعطيهم الحقوق الفرنسية ، فانهم فهموا من بعض الناس أن المسلمين يصبرون لذلك كما صبروا لقانون الزامهم بالعسكرية . فأجبتنا بأن قياس أمر رفض الشريعة الاسلامية على أمر التجنيد الالزامي ، غلط فاحش وقياس مع الفارق . فان المسلمين لما ألزموا بالجنديّة علموا أنهم مظلومون أفدح الظلم بتقديمهم للموت مع حرمانهم من حقوق الحياة ، ولكنهم صبروا على ذلك لأمرين : الأول انهم يشعرون ببقاء ذاتيتهم ، والثاني انهم يعتقدون انه يأتي يوم يدرك فيه رجال من فرنسا فداحة هذا الظلم فيزيلونه باعطائهم حقوق الحياة

التي يتمتع بها غيرهم • أما اذا ألزمت فرنسا المسلمين برفض شريعتهم والتخلي عن ذاتيتهم فانهم يشعرون بالضربة القاضية عليهم بالعدم التام • أنا أعتقد انكم وأمثالكم تبحثون عن وجه في الاصلاح ينقل الجزائر من حالة اضطراب الى حالة استقرار • وأنا أحقق لكم انكم اذا ألزمت الأمة الجزائرية المسلمة برفض شريعتها والتخلي عن ذاتيتها فانكم تكونون • قد وضعتم أمرا يؤول بالجزائر الى اضطراب أعظم لا تدرى عاقبته •

تجزئة الأحكام الشرعية :

سألنا ماذا تقولون لو صدر الأمر بمنع تعدد الزوجات خاصة ، فأجبت بان الشريعة كل لا يجوز للمسلم تجزئته، فتقبل كلها أو ترد كلها •

جبر البكر :

سألنا عن جبر البكر فأجبت بان هذه من الفروع الخلفية التي يسوغ للمسلمين أن يتوسعوا فيها باتباع من شاءوا من أئمتهم •

مجلة (الشهاب) ومقاومة الاندماج :

جاء أحد الأعضاء بمقالات مترجمة من مجلة (الشهاب) فيها الاشادة بالعروبة والاسلام والمحافظة عليهما ، وعدم الاندماج في الأمة الفرنسية، فسألنا الرئيس عما فيها ، فأجبت بان مجلة (الشهاب) ليست مجلة الجمعية وانما هي مجلتي ، وأنا أجييك عنها بصفتي الخاصة : أولا - أنا لا أثق بترجمة المترجمين في الادارة لانني جربت عليهم الخطأ والاقتصار على ما لا يفهم المراد بل يفهم خلافه ، لأن الكلام يبين بعضه بعضا • وثانيا - أنا أقول لكم - كما أصرح دائما - : اتنا عرب مائة في المائة ومسلمون مائة في المائة لا نتنازل عن شيء من ذلك ، ونحن مع فرنسا كأخ مع أخيه لا كسيد مع عبده • وأقر أعضاء هيئتنا ما قلته فكان رأي الجميع •

جمعية العلماء امام لجنة البحث

تقييد في مطه :

لما قلت اتنا مع فرنسا قال الشيخ العمودي ما لم تنفرنا هي •

وعود نرجو ان تتحقق :

وختم المجلس باعراب الرئيس عن اهتمام اللجنة بمعرفة الحقائق لتتوصل الى احقاق الحق وابطال الباطل ، وأن تعمل جهدها لتنال الجزائر رغائبها ، فأجبناه بالشكر له ولأعضاء اللجنة كلهم على ما بذلوا من جهد ، وأعربنا لهم عما للجزائر فيهم من ثقة وما تعلقه عليهم من أمل • ثم ودعناهم راجين لهم رحلة سعيدة مثمرة يكون لها أثرها المحمود عند الجزائريين •

عبد الحميد بن باديس



البصائر : السنة الثانية العدد ٦٦ الجمعة ٢٥ صفر ١٣٥٦ هـ ،
٧ ماي ١٩٣٧ م ص ١ (باقي ص ٢ اسفلها) .

دعوة وبيان

الى عموم الشعب المسلم الجزائري الكريم

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ماتجتازه الأمة اليوم في طريق نهضتها من وقت حرج ، ومصاعب جمة ، وما يحف بها من أخطار ، وما ينصب لها من عراقيل ، وما يتجاذبها من عوامل التفريق من الخارج ومن الداخل ، وان الجمعية التي بثت روح النهضة في الأمة بما دعت اليه من الرجوع الى الكتاب والسنة والمحافظة على الجنس واللغة ، والاعتزاز بالاسلام والعروبة حتى عرفت الأمة نفسها ، ووجهت للحياة السعيدة رغبتها ، ووجد السبيل الى مخاطبتها وتفهيما من أراد - بحق أو بباطل - قيادتها ان الجمعية التي بثت هذه النهضة هي حارستها في جميع أطوارها والمدافعة عنها بكل ما لديها ، والصابرة على البلاء من القريب والبعيد في سبيلها .

إن أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الاستعمارية الكبرى هنا وهناك ويصدع بأمرهم كراسي متنوعة ، ما فتئوا يوالون ضرباتهم ، ويميدون هجماتهم على الجمعية لانهم يرون فيها حياة الامة ويشاهدون فيها السد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمة وانحلالها لافنائها وابتلائها وتنقصها من أطرافها فكل ما تجتازه الامة اليوم وما تعانیه وما تلاقيه هو ما تجتازه الجمعية وما تعانیه وما تلاقيه على أبلغه وأشدّه، لان الجمعية هي الامة ، والامة هي الجمعية .

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - كالمسلمين الجزائريين - جبلت على النضال والمقاومة والصبر والمصابرة وقد صبرت لغشم

الحكومة وأذناها وكيد الاستعمار وجرائده ، ولن تزال ثم لن تزال •
ولقد ولدت الايام الجارية والظروف الحاضرة مقاومين جددا
ينطحون صخرتها برؤوسهم الحاسرة وينحتون أثلتها باظافرهم المتآكلة
ويضربون على نعمات من تقدمهم من أعداء الامة والجمعية ويخدمون
عن علم أو عن غير علم ، مقاصد من يحاربون في الجمعية روح الاسلام
والعروبة ، فهناك في عمالة قسنطينة وهنا بعمالة الجزائر من يعملون
لرفع أنفسهم بالحط من الجمعية ويوهون على الأمة بما يقولونه
عليها وعلى رجالها فمرة يربطون الجمعية بحزب من الاحزاب الاجنبية ،
والجمعية لا تنتمي لحزب ولا تعادي حزبا الا من حارب الاسلام والعروبة
فانها تكون عليه - كائنا من كان - بلاء وحربا ، ومرة يصمونها
بالتدخل في السياسة والجمعية ما تدخلت في سياسة الكراسي
والنيابات والمكاتب والمرات ... وانما وقفت الجمعية في مؤتمر الامة
تضع مطالب الدين واللغة وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية •
ومثلت ذلك كله بلسانها وهيئتها أصدق تمثيل •

يا هؤلاء ! ... ان الجمعية ليست عاجزة عن مقاومتكم واطهار
خطئكم وكشف باطلكم • ولكنها تعلم ما تحتاج اليه الامة اليوم من
اجتماع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد الصفوف، فلماذا تركتكم وتركتكم
راجية لكم أن تدركوا حقيقة الموقف فتعملوا بما يقتضيه •

أيها الشعب الجزائري الكريم ! ...

قد بينت لك جمعيتك حقيقة الموقف وحرجه ، وكشفت لك شيئا
مما تعانيه أنت وتعانيه هي من الاقرباء والبعداء وهي تدعوك الى التبصر
والثبوت والاتحاد والتجمع والتنبه والתיقظ ، وتحثك على الاعتماد على
الله وحده ، ثم على نفسك والصادقين من أبناءك ، وما الصادقون الا
الذين يحافظون باقوالهم وأعمالهم ومواقفهم على اسلامك وعروبتك

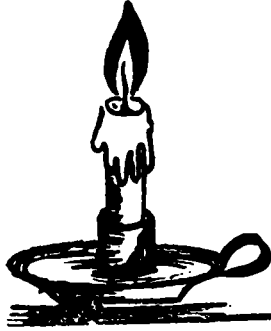
آثار ابن باديس

وجميع مقوماتك ، يناضلون بالنفس والنفيس عن جميع حقوقك ، وهم
فيك اليوم ان شاء الله كثيرون وسيكونون أكثر والله أكبر !

الجزائر ٥ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ

عن الجمعية الرئيس :

عبد الحميد بن باديس



البصائر : السنة الثانية العدد ٧٩ الجمعة ١٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ
٢٠ اوت ١٩٣٧ م ص ١ و ١٢ اسفلها .

نداء

الى رئيس المؤتمر الاسلامي الجزائري

والى اللجنة التنفيذية

لقد علمتم ان الحكومة الفرنسية لم تجب أي مطلب من مطالب المؤتمر رغم وعد رئيس الوزارة يوم زاره الوفد بتنفيذ بعضها المستعجل على رجاء أن تكون مطالب المؤتمر من أول ما ينظر فيه .

غير أنه قد حدث اليوم ما دل على ان مطالب المؤتمر غير ملتفت اليها ولا منظور فيها وذلك بما قرره الحكومة من تكليف اللجنة البرلمانية التي يرأسها قرنيث ببحث جديد لا ينتهي الا بعد ثمانية عشر شهراً !...! وبعد ذلك تأتي الوفود للبحث والسؤال المدقق ...

زيادة على ما في هذا من التسويف والمماطلة فانه دليل قطعي على ان مطالب المؤتمر لا عبرة بها . وهذا يوجب على اللجنة التنفيذية ان تجتمع لتقرر قرارها الصريح الحازم وتقف موقفاً جدياً ازاء هذا الحادث الجديد ثم يكون من واجبها أن تدعو الى عقد مؤتمر عام فوق العادة ليقدر قراراً اجماعياً من طلبات لا يخالف فيها أحد ويقرر قراراً اجماعياً في الموقف الذي تقفه الامة الجزائرية اذا لم تجب الى تلك المطالب في أجل محدود .

وعليه فاني (كمسلم جزائري) أطلب من سيادة الرئيس أن يأمر اللجنة التنفيذية للمؤتمر بأن تجتمع في الخامس عشر من اوت الجاري .

آثار ابن باديس

هذا وأنا الآن قد أدت أول واجب من واجباتي في الوقت الحاضر
بهذا النداء • والله المستعان على اتمام الواجبات الأخرى^(١) •

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ٦، م ١٣، ص ٢٩٤

غرة جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ - أوت ١٩٣٧ م •

واعيد نشر هذا النداء في جريدة البصائر السنة الثانية العدد ٧٨
الجمعة ٥ جمادى الثانية و ١٣٥٦ هـ - ١٣ أوت ١٩٣٧ م ص ٦، ع ٢ •

هل أن أوان اليأس من فرنسا ؟

إن الذين كانوا معنا يوم قابلنا رئيس الوزارة م بلوم باسم المؤتمر في جوليت من السنة الماضية ، يعلمون تصريحه باننا لا نرجع بأيدينا فارغة وأنه سيشرع في الحين القريب في تحضير مطالبنا المستعجلة ، ويعلمون قول م فيوليط وهو بجنبه : ستحضر قبل يوم الأحد ، ورجال ذلك الوفد يعلمون انهم رجعوا بأيديهم فارغة • ولم يصدق لا الرئيس ولا الوزير • وقراء (الشهاب) لا ينسون ما كتبه (الشهاب) عن هذا الاخلاف وعن الوفد في عدد رجب واکتوبر من السنة الماضية ، والذين حضروا المؤتمر الثاني هذه السنة يعلمون ما نبهتهم عليه من ان فرانسما لم تجب أي مطلب من مطالب المؤتمر ، والناس كلهم اليوم يعلمون ما نشرته الصحافة الفرنسية - رسميا - عن لجنة الثمانية عشر شهراً التي يرأسها م قرونوت و م ستتيق وانها بعد الثمانية عشر شهراً توفد وفوداً تسأل أسئلة مدققة ؟ ! •• فماذا فهم الناس من هذا كله ؟

أما الذين ينظرون الينا من الخارج نظر الحاكم على الامم بما يبدو من أعمالها وسيرها فانهم يقولون : ان فرنسا تعد وتختلف لانها رأت مصلحتها في الاخلاف ، ولا يرجى منها اقلع عنه مادامت تعتقد مصلحتها فيه • والجزائر تنخدع وتطمع ، ويمكن أن يطول انخداعها ويستمر طمعها ويمكن أن ينجلي لها سراب الغرور فتقلع عن الانخداع وتقطع جبل الطمع وتتصل باليأس وما يشره اليأس ويقتضيه •

وأما نحن - الجزائريين - فاننا نعلم من أنفسنا اننا أدركنا هذا الاخلاف العرقيوي وأدركنا مغزاه وأخذ اليأس بتلايب كثير منا وهو

يكاد يعم ، ولا تتردد في انه قد آن أوانه ودقت ساعته ٠٠٠

ماذا تريد فرنسا من مماتلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومي جواب هذا السؤال في قصيدته التي
نشرناها في الجزء الماضي حيث قال :

ولعل من نظم السيا سة أن نعش وأن نغر
ولعل منها أن يدس لنا ونجذب للحفر
ولعل منها أن يسس لنا لنحب كالبقر
ولعل منها ان نما طل كي يساورنا الضجر

كذب رأي السياسة وساء فألها ، كلا والله لا تسلنا الماطلة الى
الضجر الذي يقعدنا عن العمل ، وانما تدفعنا الى اليأس الذي يدفعنا
الى المغامرة والتضحية .

أيها الشعب الجزائري! أيها الشعب المسلم! أيها الشعب العربي الأبي!
حذار من الذين يبنونك ويخدعونك ، حذار من الذين ينومونك
ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ،
ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملتك وابطال دينك وملتك .

استوح الاسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك .

عبد الحميد بن باديس

الوطن والوطنية

الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء

بهاتين الجملتين منذ نيف وعشر سنين توجنا جريدة (المنتقد) الشهيدة ، وجعلناهما شعارا لها تحمله في رأس كل عدد منها . هذا أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة اجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها ، وقليل جدا من يشعر بمعناها . وان كان ذلك المعنى دفيناً في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها ، لا سيما في أمة تنسب الى العروبة وتدين بالاسلام مثل الامة الجزائرية ذات التاريخ المجيد . أما اليوم وقد صارت كلمة الوطن والوطنية سهلة على كل لسان وقد يقولها قوم ولا يفقهون معناها ، وقد يقولها آخرون بالسنتهم ولا يستطيعون ان ينتسبوا لها في المكتوب من رسمياتهم ، ويفزع منها من يتخيلون فيها ما يعرفون في وطنياتهم ، وينكرها آخرون زعماً منهم انها ضد انسانياتهم وعموميّاتهم - فكان حقا لقراء (الشهاب) علينا ان نقول لهم كلمة مختصرة نبين بها حقيقة هذه الكلمة وأقسامها وأقسام الناس ازاءها ، ومن أي قسم نحن من تلك الاقسام .

من نواميس الخلقة حب الذات للمحافظة على البقاء وفي البقاء عمارة الكون ، فكل ما تشعر النفس بالحاجة اليه في بقائها فهو حبيب اليها ، فالانسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجته اليهم واستمداد بقائه منهم وما البيت الا الوطن الصغير . فاذا تقدم شيئاً في سنه اتسع أفق حبه وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه ، فاذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره وما ينظر اليه من مستقبله ، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه

وفوازه ومنازعه — شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته في طفولته ولما فيه — كما تقدم — من غريزة حب الذات وطلب البقاء ، وهؤلاء هم أهل وطنه الكبير ، ومحبته لهم في العرف العام هي الوطنية .

فاذا غدّي بالعلم الصحيح ، شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الانسانية وكانت الارض كلها وطننا له وهذا هو وطنه الاكبر . هذا ترتيب طبيعي لا طفرة فيه ولا معدل عنه ، فلا يعرف ولا يجب الوطن الأكبر الا من عرف واجب الوطن الكبير ، ولا يعرف ولا يجب الوطن الكبير الا من عرف وأحب الوطن الصغير . والناس أزاء هذه الحقيقة أربعة أقسام :

١ — قسم لا يعرفون الا أوطانهم الصغيرة ، وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان ، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لاقاربهم وأهل بيتهم .

٢ — وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره وتفعه ولو بادخال الضرر والشر على الاوطان الاخرى بل يعملون دائما على امتصاص دماء الامم والتوسع في الملك لا تردهم الا القوة . وهؤلاء شر وبلاء على غير اممهم بل وعلى اممهم فهم مصيبة البشرية جمعا .

٣ — وقسم زعموا انهم لا يعرفون الا الوطن الاكبر وانكروا وطنيات الأمم — كما أنكروا أديانها — وعدوها مفرقة بين البشر . وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة وما عرفته البشرية منذ آلاف السنين ودلائل الفشل على تجربتهم حيث أجروا تجربتهم لا تكاد تخفى .

٤ — وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها ونزلها منازلها غير عادية ولا معدو عليها ، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها ، كل واحدة منها مبنية على ما قبلها ودعامة لما بعدها . وآمن — هذا القسم — بان

الوطن والوطنية

الانسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير وكذلك يجدها في امته ووطنه الكبير ويجدها في الانسانية كلها ووطنه الاكبر . وهذا الرابع هو الوطنية الاسلامية العادلة . اذ هي التي تحافظ على الاسرة بجميع مكوناتها وعلى الامة بجميع مقوماتها وتحترم الانسانية في جميع اجناسها واديانها .

فهي تخاطب البشرية كلها في جميع اجناسها بقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » . وتخاطبها في جميع اديانها بقوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . وتخاطب جميع الأمم والأوطان بقوله تعالى : « وَإِنْ جَحَدُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » . وبقوله تعالى : « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » . وهذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة ووطنية كل مسلم صادق في اسلامه ووطنيته .

وقد اعلناها يوم قلنا على رأس جريدة (المنتقد) :

(الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء) وسرنا على مقتضاها الى اليوم في كل ما قلنا وكتبنا وسنبقى عليها - ككل مسلم جزائري - حتى تلقى الله ان شاء الله .

أشعب الجزائر روحي الفدا لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية^(١)

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٧ ، م ١٣ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٧
غرة رجب ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧ م .

اليأس بعد الرجاء

أحدث المنشور الأول الذي أذاعه صاحب هذه المجلة الأثر الكبير الفعال في النفوس ، ذلك لأنه صادف هوى في قلوب الأمة وعبر عن احساسها وشعورها ، وترجم عن عاطفتها التي طلقت الامل في عدالة فرنسا السريعة ، وركنت الى جانب اليأس من ذلك .

ولقد لبث اللجنة التنفيذية للمؤتمر ذلك النداء ، وقررت عقد اجتماعها يوم ٢٩ اوت ١٩٣٧ م للنظر في الحالة الجديدة التي هي وليدة جمود حكومة باريس عن مباشرة اصلاح او قبول أي مطلب ووليدة العبث الجديد الذي رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج العنيف عنه ، الا وهو تشكيل لجنة « ثرنوت » وجعل القضية الجزائرية وأبحاث لجنة « لا فروزيلبار » من جملة أعمالها ، وتحديد مدة أشغالها بعام ونصف عام ثم اشتداد وطأة الحيف والجور على أهل القطر الجزائري ، واشتداد الازمة بصفة خاقه .

ولقد كان صاحب هذه المجلة — ولا يزال — يرى انه لا يحق للامة ان تستمر على السياسة القديمة سياسة المطالبة والانتظار ، اذ قد ظهرت النوايا جلية واضحة ، وتحقق الناس أجمعون أن وعود هذه الحكومة كعود الحكومة السالفة ، انما هي من فصيلة الوعود التي أمطرت القطر الجزائري منذ أيام الامبراطورية الى الآن : وعود هي السراب بعينه .

ومن أجل ذلك ، ورغبة في تنوير الأذهان وتوجيه آراء اللجنة التنفيذية نحو السياسة الوحيدة التي نرى انها ربما احدثت الاثر

المطلوب بعد حين - حرر صاحب هذه المجلة ونشر فوق أغلب اعمدة الصحف الجزائرية والتونسية هذا النداء^(١) !

نداء الى الامة الجزائرية ونوابها

أيتها الأمة الكريمة • أيها النواب الكرام !
اليوم وقد آيسنا من غيرنا يجب أن نثق بأنفسنا •
اليوم وقد تجهلت قيمتنا يجب أن نعرف نحن قيمتنا •
اليوم وقد خرس الأفواه عن اجابة مطالبنا يجب أن نقول نحن
كلمتنا •
اليوم وقد اتحد ماضي الاستعمار وحاضره علينا ، يجب أن نتحد
صفوفنا •

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !
بمحضر الوفد كله في وزارة الحرية من السنة الماضية - قال
لنا دالاديه وزير الحرية ، رئيس الحزب الجمهوري الراديكالي
والراديكالي سوسيا ليست : أقول لكل بكل صراحة « اني أعارض كل
المعارضة في اعطائكم النيابة البرلمانية ما دتم على حالتكم الشخصية
الاسلامية » • من ذلك الحين تحققت ان هذه النيابة البرلمانية ميثوس
منها ، وقد أشرت الى هذا فيما كتبتة عن الوفد بعد رجوعنا في مجلة
« الشهاب » وها هي الايام جاءت محققة ذلك اليأس • وها هي
الجزائر اليوم تشد بلسان حالها قول الشاعر العربي :

ش : ج ٧ ، م ١٣ ، ص ٣٢٤
رجب ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧ م •

أزْمَعَتْ يَأْسًا مَثِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ
وَلَكِنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَأْسِ

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

حرام على عزتنا القومية وشرفنا الاسلامي أن نبقى تترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيراً عليها !...! ويسمعا كثير منها في شخصيتنا الاسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا . لندع الامة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها ولنتمسك - عن ايمان وأمل - بشخصيتنا ولنطالب بالمساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا واولها المساواة في المجالس النيابية .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

قرروا يوم ٢٩ اوت وبعد قرار المؤتمر وجمعيات النواب عدم التعاون في النيابة بجميع أنواعها . قرروا أن لا تعودوا بدون مساواة اليها . قرروا انه يجب ان يكون كل مسلم جزائري بلغ سن الانتخاب منتخبا وان يكون عدد نواب المسلمين الجزائريين في كل مجلس مثل عدد الفرنسيين . كونوا جهة متحدة لا تكون المفاهمة الا معها على هذا الاصل .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

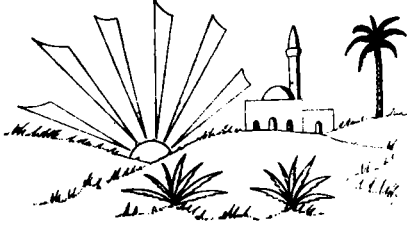
تناسوا الحزازات ، امحقوا الشخصيات ، برهنوا للعالم انكم امة تستحق الحياة ، برهنوا لفرنسا أنكم كما وقفتم معها في الحرب صفا واحدا تدافعون عنها تقفون في السلم صفا واحدا تدافعون الانانيين منها الذين هم مثل اعدائها .

هذا وأنا كمسلم جزائري قد أدت الواجب الثاني من واجباتي في

الياس بعد الرجاء

الوقت الحاضر والله المستعان على القيام ببقيتها وعليكم السلام ورحمة
الله من اخيكم (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ٧، م ١٣، ص ٣٢٥ - ٣٢٦
رجب ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧ م .

صدي منشورنا على الأمة والنواب

في صحف الاستعمار

دعني الى تسليم النواب ووقع ذلك بالفعل في كثير منهم في عمالة قسنطينة ، ولم تهتز لذلك صحف الاستعمار ودوائره . فلما نشر صاحب هذه المجلة منشوره على الأمة ونوابها في الدعوة الى التسليم والاتحاد والوقوف الموقف الهائل المشرف ، قامت القيامة في الدوائر ، وظهر ذلك في جريدة « لا بريس » التي تصدر بالعاصمة ، وجريدة « الريبوبليكان » التي تصدر بقسنطينة .

ولما كانت الثانية اصرح بالعداء من الاولى خصصناها بالكتاب التالي :

قسنطينة في ٨ رجب ١٣٥٦ هـ - ١٤ سبتمبر ١٩٣٧ م

جناب السيد محرر جريدة (الريبوبليكان) المحترم .

قرأت في عدد ٢ سبتمبر الجاري من جريدتكم منشوري على الأمة ونوابها ، فشكرت لكم قله في جريدتكم ليطلع عليه قسم كبير من الرأي العام الفرنسي خصوصا القسم الذي تمثله جريدتكم . ولم يسؤني ما علقتم به عليه من عبارات الحقد والتحريش ، لأن ذلك دليل حصول ما قصدته من تأثير الحق والصدق ممن لم يتعودوا سماعه من المسلمين الجزائريين أمثالكم .

ولا ألوكم على ذلك ما دتم ترونه اخلاصاً لأمتكم ووطنكم كما كتبت انا مخلصاً في منشوري لامتي ووطني .

صدي منشورنا على الأمة والنواب

وانما أريد أن أحقق لكم أن تحريشكم لا يخيف صغارا من تلامذتنا ،
فمن باب اخرى واولى ان لا يكون له ادنى تأثير على كبارنا في السير
على خطتنا الى غايتنا •

ومما يؤسف له من امثالكم انكم لا تدركون تطورات الامم
وتقلبات الايام ، وتفكرون فينا - في القرن العشرين - بأفكار القرون
الوسطى •

ان الزمان - يا زميلي - يسير ولا يقف ، وسن الكون نافذة
لا تتخلف والويل لمن قعد او تعامى •

تقبلوا - سيدي - احترام زميلكم صاحب مجلة الشهاب •

عبد الحميد بن باديس



ش : الجزء ٧ المجلد ١٣ قسنطينة رجب ١٣٥٦ هـ الموافق لسبتمبر
١٩٣٧ م الصفحة ٣٤٠ - الى ٣٤١ •

أجرام الاستعمار

سجن واضطهاد

نريد هنا قبل كل شيء ان نسجل ثقتنا في نزاهة وحرية القضاء الفرنسي فما زالت حياة القضاة غير متأثرة بالمؤثرات الخارجية ، وغير خادمة لركاب السياسة والاحزاب .

فان كنا هنا نحتج باقصى مالدينا من قوة وشدة على المسلك الاهوج الذي تسلكه الادارة مع رجال حزب الشعب الجزائري ، والقائما القبض على زعيم الحزب السيد مصالي الحاج محمد ، وعمدته السيد الشاعر الكبير مفدى زكرياء ، واعوانهما في العمل السادة بوغرافة والاحول الحسين ومسطول ، وهم انما يعملون اعمالهم جهارا وفي وضح النهار ، فما ذلك انتقادا منا لسلوك العدالة التي ستقول كلمتها الفاصلة في الموضوع قريبا ، انما هو انتقاد مرير لسلوك السياسة التي اوجبت هذه الاعمال القاسية الشديدة ، مندفعة وراء اغراض حزبية ، انما هي دور من ادوار النزاع والنضال بين احزاب اليمين وأحزاب اليسار . ولا ندري ما المبرر لسجن مصالي ورجال حزبه بدعوى اعادة تشكيل هيئة منحلة اذا كانت الادارة لم تسجن الكولونيل لاروك وقد أعاد تشكيل صلبان النار في هيئة « الحزب الاجتماعي » ، والحزب الاجتماعي أكثر شبهاً بهيئة صلبان النار من حزب الشعب الجزائري بهيئة « نجم شمال أفريقيا » .

ان دلنا هذا العمل على شيء فهو انما يدلنا على ان الحكومة عازمة على سياسة الشدة والارهاق ، واليوم دور مصالي ، وغدا دور آخرين .

اجرام الاستعمار

لكنها سياسة - والله - لن تنجح ولن تثمر ، فاذا لم تعتمد الحكومة
لسلوك سياسة امتلاك القلوب ، باجابة الرغائب وقبول المطالب ،
والمفاهمة مع رجال الاحزاب ومديري حركات الشعب بالتي هي أحسن ،
فانها لن تسلك الا السياسة التي تزيد الخرق اتساعاً ، فيصعب على
أي راقع رتقه .



ش : الجزء ٧ المجلد ١٣ قسنطينة : رجب ١٣٥٦ هـ الموافق لسبتمبر
١٩٣٧ م الصفحة ٣٣٩ الى ٣٤٠ .

الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الأخوان

لما مات الامام المصلح ، العلامة الحافظ ، الوزير الكبير ، مولانا ابو شعيب الدكالي فخر الافارقة والمغرب الاقصى - كان من اقل حقوقه علينا ان قامت جماعة من اخواننا المغاربة باقامة حفلة تأبين في اربعين وافته ، ودعت صاحب هذه المجلة لحضور هذه الحفلة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فلبى الدعوة ووجه للحكومة طلب رخصة السفر فسكت عنه مدة مع قرب أجل الحفلة ، فجدد الطلب ثانية فجاءه الجواب بالمنع البات لأن حكومة المغرب لا تأذن في دخوله للمملكة المغربية .

ازاء هذا ما وسعنا الا التخلف والاعتذار لـ اخواننا المغاربة ، ثم الاحتجاج على هذه الحكومات الاستعمارية التي تحاول بمثل هذا العمل أن تقطع الصلة بين الذين ساقتهم الأقدار الى يدها وهي - في الحقيقة - ما تزيده بهذا الا ارتباطا وشدة .

ليت شعري ماذا تخشى الحكومات الاستعمارية من امثالنا ؟ اتخشى ان تقول ؟ ان اعمالها المشاهدة المتكررة اغنت - والله - عن كل قول : حتى لم تدع لقائل ما يقول .

ش : الجزء ٧ المجلد ١٣ قسنطينة : رجب ١٣٥٦ هـ الموافق
لسبتمبر ١٩٣٧ م الصفحة ٣٤١ .

الشمال الأفريقي

كيف يجب ان يعالج

يقلق بال السياسة الفرنسية اهتزاز الشمال الأفريقي واضطرابه وتدمره واحتجاجه ، ويقلق بال السياسة ذلك من القطر الجزائري على الخصوص •

لقد أدى هذا القلق السياسي الى التفكير الجدي في هذا الشمال وفي الجزائر « الفرنسية » ، كما يقولون ! وانتهى هذا التفكير الى آراء في الداء - حسب تسميتهم - وآراء في العلاج واخطأت كلها في معرفة الداء على وضوحه وفي معرفة العلاج على قربه •

فأما الداء - كما يسمون - فقال قوم : هو اليد الاجنبية ، وقال آخرون : هو الشيوعية الفرنسية ، وقال غيرهم : هو الاتحاد الاسلامي والوحدة العربية • وماذا نقول نحن في هذه الآراء ؟

نقول بكل صدق وصراحة تعرفهما الدوائر الحكومية منا - اولاً : ان اليد الاجنبية التي يعنون هي يد موسوليني وهيتلر ، بعد ما كانوا يعنون بها قبل التحالف الفرنسي الروسي يد موسكو • وأنا على يقين تام من ان الاوطان الافريقية الثلاث التي تهتم فرانساً لم تتصل يوماً بيد اجنبية لا من موسكو ولا من روما ولا من برلين • وأعرف عن نفسي وعن رجال هذا الشمال الافريقي اخواني ، اننا نأبى أن نكون آلة في يد أي كان من الامم التي تكيد لفرنسا اباء وترفعها يمليهما علينا عزة الاسلام وشمم العروبة •

وثانياً - ان الشيوعية الفرنسية ، وان فسحت لها الواجهة الشعبية المجال ، فانها لم تستطع ولن تستطيع أن تتمكن من أوساط شعبنا أو تحوز أكثر مما حازته من النزر اليسير جداً من اطرافه ، مادام الشعب يعتقد ان مبادئها الاساسية لا يتفق كثيرا منها مع الاسلام . هذا رغم مايبديه رجالها مما يستحقون عليه الشكر من العطف على ضعفنا ومقاومة الظالمين لنا ، لكن الشكر والاعتراف بالجميل شيء والتأثر بالمبادئ والالتقياد للحزب شيء آخر .

وثالثاً - ان الاتحاد الاسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان ، تزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والاسلام . واما بالمعنى السياسي والمعنى العملي فلا وجود الى اليوم لهما .

وأما العلاج فقد كادت كلمة القوم تتفق على انه الضغط والارهاق واستعمال القوة والشدة .

وماذا نقول نحن في هذا العلاج ؟

نقول - بالصدق والصراحة للذين تعرفهما منا الدوائر الحكومية - انه علاج قد يسكن الشعب شيئاً ما ، حيناً ما ، ولكنه يزرع في القلوب بغضاً وحقداً ويملا الصدور ثورة وحماساً ، وما مآل ذلك - بطبيعة الامتلاء وطول الزمان - إلا الانفجار ، ولا يدري الا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار .

هذا ما يفكره الساسة في الداء والعلاج وقد زيفناه .

اما نحن - ونحن اعرف بانفسنا - فاننا نتيقن ان هذه الامم الاسلامية العربية استيقظت من سباتها وهبت للنهوض من كبوتها ،

الشمال الافريقي كيف يعالج

وشعرت لكرامتها ، وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها ، وهو غير بعيد في الماضي عنها ، فانبعثت تعمل لفك قيودها ونيل حريتها وتبوء منزلتها اللائقة بها كسائر الأمم التي ليست هي - في قوميتها وتاريخها - دونها . غير انها تريد ان تكون مع فرانسأ وتكون فرانسأ معها كاستاذ نصوح وتلميذ بار يتبادلان الصداقة والاحترام ويتعاونان في الرخاء والشدة .

هذا - لعمر الله - هو حقيقة نفسية هذه الشعوب ، وهذا هو سبب ثورتها على الظلم وإيائتها من استمرار الحال على ما كان . وما من علاج بعد هذا - والله - الا تبديل السياسة العتيقة الرثة البالية بسياسة جديدة تعترف لهذه الشعوب بكيانها القومي ، وتفسح أمامها مجال العمل للتقدم والرقى ، وتزيلها أعظم قسط من التحرير ، وتشعرها بأنها تساندها لتبلغ رشدها ، فتكون بدورها يوم رشدها التام عضدا - وأي عضد - لها .

فهل يستطيع الساسة هذا العلاج ؟

نحن الجزائر :

فاذا ارادت فرنسا ان تحافظ عليها فلتحافظ على قلوبنا

يكتنف الجزائر اليوم - واختيها كذلك - خطران عظيمان : موسوليني من شرقها وفرانكو من غربها . يحيط بها هذان الخطران وتضطرب أمواج البحر الأبيض المتوسط بغواصاتها ، وتدوي جوانب أجوائه بأزيز طياراتها ، وتحتل قواتها مراكز الحياة من أحشائه ، حتى اصبح الذي يريد ان يمتطي متنه في باخرة ، او يتبطن جوه في طائرة ، يشعر بالخوف من مبارحته ساحل الجزائر الى حوله بساحل مرسيليا .

وقد صرح نواب فرانسوي الجزائر الراديكاليين في المؤتمر الراديكالي المنعقد أخيرا بانهم ما قطعوا البحر الأبيض المتوسط لحضور المؤتمر الا تحت رحمة الغواصات والطائرات وانهم وجلون هلمون من مستقبل اتصال شمال افريقيا بفرنسا وخائفون اشد الخوف من انفصاله عنها .

وقد ابتدأ هذا الانفصال باقطاع البريد الجوي بينهما .

هذا كله بعد ما اتفقت فرنسا وانكلترا - سيدة البحار ! - على حماية طرق المواصلات ، وجمعتا مجلساً حربياً لذلك ، وباشرتا تلك الحماية بالفعل ، وخابتا فيها خيبة ظاهرة لا تخفى على أحد . فقد غرقت بعد تلك الحماية بواخر وانتقلت قرصنة المدينة الاوروبية من البحر الى الجو وجمعت على البشرية البلاء من السماء والارض : وكان في القرصنة الجوية الجديدة الجواب الخشن والتحذير الحازم من جبروت الفاشيزم الى الدولتين الديموقراطيتين المتعاطيتين .

حقيقة أن هذا شيء اضطربت له فرائص فرنسا على اختلاف احزابها وحسبت له الف حساب . خصوصا وكل احد يعلم ان الحرب آتية من دون ريب وان ميدانها هو البحر الأبيض المتوسط وان اول ما يعمله اعداء فرنسا هو فصل الشمال الافريقي عنها .

والذين يعرفون مقدار ما انتفعت به فرنسا من الشمال الافريقي في الحرب الماضية ، يعلمون ما يلحقها من اضرار بانفصاله عنها في الحرب الآتية .

كيف تقاوم فرنسا محاولة العدو للفصل ؟ وكيف تستطيع المحافظة على الجزائر - وعلى الشمال الافريقي - اذا تم ذلك الفصل ؟

أما فرانسويو الاستعمار بالجزائر والذين يستخدمون فرنسا لتفوقهم ودوام عتوهم وتسلطهم ، ولا تهمهم فرنسا بقدر ما تهمهم مصالحهم ،

الشمال الافريقي كيف يعالج

فهؤلاء قد شغلهم التفكير في وسائل الضغط والشدة ضد الجزائريين
- واخوانهم - عن كل تفكير آخر رغم مشاهدتهم لهذا الخطر
واضطرابهم له .

واما الرجال المسؤولون فلا شك انهم مهتمون الاهتمام كله بمقاومة
ذلك الفصل وبالمحافظة على الجزائر - واختيها - اذا وقع . غير
انا - والعجب ملء انفسنا - لا نسمع في الخارج الا ما يوافق - في
الاكثر - نظرية اولئك الرجعيين الاستعماريين الذين اعتمهم مصالحهم
الخاصة عن كل شيء حتى كأن السياسة الفرنسية كلها انصبغت بصفتهم
واصبحت تحت تأثيرهم !

فهم يذكرون لزوم المحافظة على الجزائر ووسائل المحافظة على
الجزائر ، ولا يذكرون - ابدا - المحافظة على الجزائر ووسائل المحافظة
على الجزائريين بل لا يفتنون يذكرون الشدة على الجزائريين ووسائل
الشدة على الجزائريين .

اين اتم ايها السادة ؟

نحن الجزائر ، وما الجزائر الا الجزائريون ، فاذا كنتم تريدون
المحافظة على الجزائر فحافظوا على قلوبنا .

تالله اذا ضيعتم قلوبنا فقد ضيعتم الجزائر ولا محالة ، ولا ينفعكم
في ذلك اليوم العصيب شيء مما تقدرون اليوم .

ما يزال في الوقت متسع لتدارك الحال وجبر القلوب والعمل
لمصلحة فرانسنا العليا ان كنتم حقيقة لها تعملون^(١)

(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٣٩٨ - ٤٠٦
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

كلمة مرة

لأنها صريح الحق ولباب الواقع

ان تربيتنا العلمية الدراسية المبنية على بيان الحقيقة واجلائها على ما هي عليه صيرتنا لا نستطيع شيئا من المواربة والتليس .

نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكرون - وربما عن غير سوء قصد - تاريخنا ومقوماتنا ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا. وكنا نرد عليهم بالقول في كل مناسبة تبدو منهم فيه مثل هذه البوادر السامة الخاطئة . ووقع مرة أن كتب بعضهم - وهو ممن له قيمة معتبرة عندنا - ما هو صريح أو كالصريح في ذلك الضلال المهلك ، فرأينا من الواجب علينا أن نرد عليه بكلمة صريحة نعرب بها في يقيننا عن الحقيقة التي يعتقدونها الشعب الجزائري - الا الشاذ - في صميم نفسه فقلنا في كلمتنا تلك : الامة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمم الدنيا .

ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرانسا ، ولا يمكن أن تكون فرانسا ، ولا تستطيع أن تصير فرانسا ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرانسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة والذي يشرف على ادارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية .

فجلينا بكلمتنا هذه الحقيقة مكشوفة في وضح النهار ، وقطعنا الطريق على كل منقول بالباطل وأرحنا كل باحث ومتردد من بحثه وتردده .

والى ذلك فانتا لم تكن خياليين ننكر الواقع ونكابر في المحسوس فقد ختمنا كلمتنا باشراف الوالي العام وتعيينه من الدولة الفرنسية .
حقاً لقد أثرت كلمتنا الصريحة أثرها وبلغت حيث أردنا أن تبلغ ، فمن يوم قلناها الى اليوم ما زال يتردد صداها في الصحافة الفرنسية وفي المجالس وفي المؤتمرات ، ومن أظهر مظاهر ذلك قيام م. فرسيناق بها في مجلس الشيوخ في السنة الماضية ، واعادتها في المؤتمر الراديكالي المنعقد أخيراً . كل ذلك يحاولون به الاحتجاج بها — وهم يعلمون أنها عبرت حقاً عن حقيقة الأمة الجزائرية وعقليتها — على منع الأمة الجزائرية من نيل حقوقها .

لقد أخطأتم خطأً بعيداً أيها السادة !

إن الأمة الجزائرية تطالب فرنسا بحقوقها لما دفعته من ثمن من دم أبنائها ولمواقفها الصادقة مع فرانساً في أيام شدتها ولما هي قائمة به لفرانساً من كل ما حمل عليها . وهذا حق لا يستطيع أن ينكره أحد يحترم نفسه ويقدر عواقب التاريخ قدرها .

فاما أن تبذل الأمة الجزائرية في نيل تلك الحقوق شيئاً من كيانها فهذا ما لا يخطر ببالها ولا يستطيع أحد ممن يتولى شيئاً من أمورها من أبنائها أن يعرضه عليها ولو حاول أحد ذلك لنبذته نبذ النواة والحذاء المرقع كما نبذت من نبذت .

ونحن بهذا نتحدى كل من يكون على خلاف رأينا .

فهل من أحد يستطيع أن يكذبنا ؟

نحن والوجهة الشعبية

أدركنا من يوم تأسست الواجهة الشعبية الفرنسية أن روح السياسة الفرنسية نحو الشعوب المتصلة بفرنسا لا بد أن تتبدل - إلى العدل والتسامح - شيئاً ما . وعلمنا أن المبادئ التي انبثت عليها تلك الواجهة أكثر انسانية ، فكنا أول من أعلن ثقته بها ولزوم انتظار شيء منها . وقلنا يوم ذلك : ان فرنسا - باجماع العالم - في وضعية جديدة فلننظر إليها نظرة جديدة . وشاهدنا بالفعل طغاة الاستعمار عُدنا بالجزائر يناوئون تلك الواجهة ويناصبونها العدا ، فازددنا يقيناً بما اعتقدنا . ولا يشك من له أدنى مسحة من عقل أن أولئك الطغاة ما أبغضوها ذلك البغض ولا عادوها ذلك العدا الا لما اعتقدوه فيها من شيء من تخفيف وطأة الظلم والارهاق عن المستضعفين ، وشيء من كف يد العتاة الظالمين .

ونحن نعتز أن الواجهة الشعبية سارت شطرا من ماضي أيامها بالروح التي تأسست عليها وتنفس الخناق عن المستضعفين شيئاً ما واتعشت الآمال في المستقبل بعض الاتعاش .

ولكن ما لبث الطغيان الاستعماري والجبروت المالي الاستغلالي أن أخذ يتقلب ، وأخذت حكومة الواجهة تبعاً لذلك تتقلب ، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه الحكومات قبلها . وحوادث اليوم بالمغرب والجزائر أكبر شاهد .

وقد اعترف رجال هذه الواجهة في صحفهم بحقيقة الانقلاب في حكومتهم والغب الواقعة عليهم . ففي عدد آخر من جريد « البويلير » لسان الحزب الاشتراكي الافرنسي مقال عن المغرب بقلم مادلين بار قال فيه :

« انه يمكننا الافصاح بكلمات وجيزة ، ذلك أن كامل الساسة الفرنسية قد توجهت لحد الآن للاهتمام بحالة المعمرين ، وصرفت

أموالاً باهظة بصورة تنم عن تكوين جنة - وهذا هو النعت المناسب للمقام - لفائدة ثلاثة آلاف من الرجال . أي المعمرين خاصة لا يحسنون من الفلاحة الا وسيلة واحدة وهي الاستثمار ، ولا غاية لهم الا تربية الثروة . هذا ما كان ، وأما ما يجب القيام به فهو المبادرة بصدق الى توجيه السياسة الفرنسية نحو سواد الأهالي » .

نحن نعرف المبادئ قبل كل شيء ، ورأينا في مبادئ الواجهة الشعبية هو رأينا ، ولكن رجال تلك المبادئ الحقيقيين - رغم ما كان عندهم في أيامهم الاولى من قوة - كانوا ضعفاء ، كانوا صغارا في السياسة او - على الاقل - كانوا جدداً في كراسي الحكومة .

فهاهم اليوم ، الحكومة حكومتهم ، ولكن روحها غير روح مبادئهم ، اسمها لهم ومساها في يد غيرهم ولم يبق لهم الا النصح والقول تقدمه - باحتراس كثير - صحفهم او بعض صحفهم !

فازاء هذا رأينا أن الواجب علينا أن نعلن لشعبنا أن « لا نعتد الا على أنفسنا وتكفل على الله » .

ثم نحن من بعد ذلك سنحتفظ للمحسن باحسانه ، وللمسيء باساءته .

« و » الخير أبقي وان طال الزمان به

والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون^(١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٦
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

على هامش (السانطونير)^(١)

منشور المقاطعة

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين

اخواني القسنطينيين !

في مثل هذه الايام منذ قرن مات اجدادكم المجاهدون المدافعون
والفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة
من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب .

ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك المأساة ، وضد تلك
الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوماً من الأتانيين الذين يأبون الا أن يكونوا سادة متفوقين ،
والا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين ، هؤلاء القوم -
وليسوا كل الفرنسيين - أرادوا في هذه الايام أن يقيموا احتفالات
عسكرية بدخلة قسنطينة ، تثير العواطف ، وتمس كرامة الاحياء منا
والاموات وتنافي مبادئ الاخوة والرحمة التي ندعو اليها .

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة ،
وحقوقه بسعيهم مهملة وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على
ظهره في كل يوم .

لهذا فقد اجتمعت ١٤ جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم

(١) احتفال فرنسا بمرور مائة سنة على احتلال قسنطينة .

السبت ١٨ سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها فقررت - بالاجماع - ما يلي :

نحن - المثليين لجمعياتنا - نرى احتراماً لأنفسنا واحتراماً لأجدادنا واحتراماً للإنسانية :

- أولاً - أن لا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .
- ثانياً - أن نكون في هدوء تام عام .

اخواني القسنطينيين !

قد فعل المؤتمر الاسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الاخير وقدم مكتبه ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب لجنة القسنطينية الى مير قسنطينة ، وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررت في قرارها المتقدم . وأخوكم هذا - كقسنطيني - فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم ، فما بقي الا أن تقوموا أتم بواجبكم .

- فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها .
- كونوا في هدوء وسلام .
- والسلام عليكم من أخيكم

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٩

غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

والقال : حرر بالنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء ٢٣ رجب ١٣٥٦ هـ

١٩٣٧/٩/٢٨ م .

مسألة عظيمة

بين رجلين عظيمين

أما المسألة العظيمة العظيمة فهي الوحدة السياسية للامة العربية من المحيط الهندي الى المحيط الأطلنطيقي .

وأما العظيمان فهما الامير شكيب أرسلان وسعادة سليمان باشا الباروني .

ولا تحسبن الكلام دار بينهما في بيان حقيقتها وامكان تحقيقها وأسباب تحقيقها مما يحتاج رجال النهضة العربية الى دراسته والعلم به ليكونوا في سيرهم على بصيرة فلا يتقهقروا ولا يتهوروا . بل كان خطاب من شكيب في شأنها فكان رد من الباروني عليه باعلان البراءة منه ، جزء اعلاؤه البراءة من مسلمي المستعمرات ، ثم دعا أهل العلم الى ابداء رأيهم فقال : « ولعل علماء الاسلام الغيورين على دينهم يبدون رأيهم فيمن يعلن البراءة من مسلمي المستعمرات المعذنين لارضاء أعدائهم ومعذبيهم من المستعمرين لينسد هذا الباب فلا يدخل منه غيره بعد اليوم » . الرابطة العربية عدد ٧٧ .

لم ينقل الباشا نص كلام الأمير ، ونصه كما نقلته « الجزيرة » الدمشقية في عددها الصادر في ٢٤ رجب الماضي : « أما طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش فهذه بلاد عربية وان كان فيها بربر أكثر من العرب ، فان ثقافة هؤلاء البربر عربية وهم على كل الاحوال مسلمون ، فهذه الامة هي منا ومعنا كما ان قلوبنا متحدة بيننا وبينهم ، ولكن هناك أسباب جغرافية تمنع اتحادنا معهم اتحاداً فعلياً ، وهم ليسوا من برنامجنا

ولا تتكلم على الوحدة معهم لاننا نجعل لنا أعداء أقوياء ونحن في غنى عن ذلك الآن .

نحن نريد تحقيق وحدتنا العربية في آسيا ، ولكن وجود وحدة سياسية من اخواننا مسلمي شمالي افريقية (يعني : تكون منهم فيما بينهم) لا يمنع أن يكون بيننا وبينهم وحدة لغوية ثقافية دينية اجتماعية وان تكون قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فأين هي براءة الامير من مسلمي المستعمرات التي زعمها الباشا .

أم كيف يكون متبرئاً من يقول « فهذه الامم هي منا ولنا ومعنا كما أن قلوبنا متحدة بيننا وبينهم » ويقول « بيننا وبينهم وحدة لغوية ثقافية دينية اجتماعية و... قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فما بقي الا انه لا يرى ادخالهم في برنامج الوحدة السياسية العربية بين الشعوب العربية غير المستعمرة حتى لا يثير تائراً الاعداء الاقوياء الذين لا حاجة باثارة عداواتهم الآن ويرى الى هذا وجود وحدة سياسية من مسلمي شمالي افريقيا .

وهذه نظرية سياسية محضة قابلة للاخذ والرد وكل وجوه المناقشة غير انها لا تعد عند احد براءة من مسلمي المستعمرات كما زعم الباشا .

وقد زار الاستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلاني صاحب « الجزيرة » الامير وأخذ منه تصريحاً برأيه في الوحدة العربية نشره في العدد الصادر في ١ شعبان من « الجزيرة » وهو كلام - كما قال الاستاذ - واضح صريح لا يحتاج الى تفسير أو توضيح . وهذا نصه :

« فيما يتعلق بالأمصار الواقعة في شمالي افريقيا يرى أن يكتفى في الوقت الحاضر بايجاد صلات معنوية وروابط روحية بينها وبين هذه الاقطار (يعني : غير المستعمرة) التي خُطت خطوات موفقة في سبيل

الوحدة العربية حتى أصبحت فكرة اتحادها وتضامنها ليست من الامور الصعبة والمسائل الخيالية كما كان يتوهم الكثيرون .

ولكن عطفه يرى أن إثارة الوحدة السياسية بين هذه المجموعة الآسيوية والمجموعة الافريقية في هذه الظروف التفصيلة ، مما يثير علينا مشاكل جمة ومتاعب عديدة لا قبل لنا باحتمالها ودرئها ونحن ما زلنا على عتبة الاستقلال والسلطان القومي » .

وهذا التصريح جلي في ان الامير لا يعارض الا في اثارة الوحدة السياسية في هذه الظروف لما يخشى من مشاكل ومتاعب فأين هذه البراءة التي زعمها الباشا وهول بها ؟

نرى واجبا علينا بعد ما نقلنا كلام الأمير واطلع عليه القراء ، أن نقل من مقال الباشا المنشور بعدد « الرابطة العربية » المتقدم ما فيه رمي الامير بالبراءة من مسلمي المستعمرات ليرى القراء بأنفسهم مقدار مطابقتها للواقع ومسافة ما بينه وبين الحقيقة .

قال سعادة الباشا :

١ - « وأما شكيب فيعلن (بدون داع وبدون أن يسأله أحد عن رأيه في الاتفاق مع المسلمين المصايين بالاستعمار) براءته من المسلمين كافة من المغرب الاقصى الى نهاية الهند ومن التركستان الى البلقان الا عرب الجزيرة ومصر (الغنية بذهبها الوهاج) » .

٢ - « اذ دفع فيها (الخطبة) شكيب باحدى يديه طرابلس برقة معلنا البراءة منها طلبا لرضاء ايطاليا ودوام ابتسامة موسوليني الذي يتفانى في حبه (وهو لاه عنه) لأدنى مناسبة » .

٣ - « ويدفع شكيب باليد الاخرى تونس والجزائر ومراكش والسودان تودداً لفرنسا المسيطرة على بلاده معلنا بذلك براءته من الجميع » .

٤ - « فما معنى براءة شكيب اليوم من مسلمي طرابلس برقة و افريقيا كلها (الا مصر الغنية بالذهب) وما هي النعمة التي ستزول عنهم والنقمة التي ستحل بهم وتجعلهم يحزنون من اعلان هذه البراءة الجوفاء من طرف شكيب أرسلان . وعلى هذا القياس القول في رجال المغرب والمشرق كله الذي أعلن شكيب براءته منهم ارضاء للمستعمرين » .

٥ - « وأما افريقيا فقيرة لا تستحق بعد أن نضب ضرعها الذي كان يدر على كثيرين من دعاة الاسلام لبنأ خالصاً الا أن يقال لها اليوم بعداً وسحقاً لك فان رضاء المستعمرين أنفع لنا من رضائك » .

٦ - « وأن يعاتبوه (السوريون) على تعليه براءته من مسلمي المستعمرات بأنه لا يتحمل عداوة المستعمرين في سبيل أولئك المسلمين ناسياً أو متناسياً ما كان يتظاهر به من الانتصار للاسلام ومعتنقيه في كتاباته وخطبه القديمة أيام كان المسلمون أعزة وكرماء » .

٧ - « واضطر فيه (وقت كهذا) الى اعلان البراءة من صديق قديم » .

٨ - « أما وقد تظاهر اليوم باعلان براءته من المسلمين المستعمرة بلادهم فلم يكن بد من الكلام ، اذ قد علل ذلك بأنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها ونسي الأخوة الاسلامية التي لا يغفل عن ذكرها » .

٩ - « ومما يؤسف له أن يعلن شكيب أرسلان براءته على رؤوس الاشهاد في سوريا من المغرب كله تزلفاً لفرنسا » .

١٠ - « ... الاهانة التي صوبها الى اخوانهم رجال شمال افريقيا الاخ الارسلاني طلباً لرضا ايطاليا وفرنسا » .

ماذا يقول القراء بعد وقوفهم على الكلامين ؟ أما نحن فقد قضينا

— والله — عجباً من هذا البهت والتحامل اللذين لا مبرر لهما ولقد وقفنا قبل أن نكتب لفظتي البهت والتحامل وحاولنا أن نجد غيرهما يقوم مقامهما فلم نجد الا اذا خالفنا الحقيقة وسمينا الاشياء بغير أسمائها • ولكننا — مع هذا — نلتبس لسعادة الباشا العذر من مرضه الذي هو في حالة نقه منه والحمد لله •

بقي في كلمات سعادته ملاحظات ينبغي التعليق بها وها هي مرتبة على حسب الارقام •

(١) نظن ان الذي دعا الامير الى ما قاله عن الوحدة السياسية انه كان بصدد تقرير الوحدة العربية فأراد أن يبين ما يريد من التفريق بين الوحدة السياسية وغيرها حسب نظريته ، وأما مصر فانما أدخلها في الوحدة السياسية وهي افريقية لانها مستقلة الى حد بعيد • وأما ذهبها الوهاج فنظن انه لا يقدم ولا يؤخر لو لم يكن ذلك القدر العظيم من الاستقلال •

(٢) نظن أن الامير لو كان ممن تستيهه الابتسامات لاستبته ابتسامات انكلترا التي لا نشك انها ابتسمت له كما ابتسمت لغيره ممن يعيشون في مناطق نفوذها ••• فأعرض عنها فحرمت عليه حتى النزول في مصر رغم دستورها واستقلالها •

(٣) وأما فرنسا فلو كان الامير يتودد اليها لتودد اليها أيام كانت بلاده تحت نير انتدابها التام وهو مقضي عليه بالابعاد منها • وكيف يمكن أن يتودد اليها وهو يعلم أن جرائدها الى يوم الناس هذا تصفه بالعدو وتنسب اليه — زوراً — كثيراً مما هو واقع في مستعمراتها ومن خطاب م سارو أمام لجنة الجزائر والمستعمرات : (شكيب أرسلان ذلك العدو القديم لفرنسا والذي لا تزول عداوته) وكيف يتودد أدنى العقلاء الى من يصارحه بالعداوة وينسب اليه المناوئة التامة ، فكيف بمثل الأمير ؟

٤) قضى الامير شكيب أيام غربته في سويسرا محاربا للاستعمار كله في خطبه وكتبه ومقالاته الكثيرة جدا في صحف الشرق والغرب بالعربية والفرنسية وفي مجلته « لا ناسيون آراب » المشهورة في أنحاء المعمور وهو في ذلك كله يغضب المستعمرين ويكرههم ويحز في حلاقهم هذا وهو طريدهم وبلده في استعبادهم فكيف صار اليوم وقد شاب فوداه وتحررت - الى حد - بلاده ورجع كما رجع سائر المبعدين اليها يطلب رضا المستعمرين ؟ هذا نظن أنه غير معقول .

٥) من هم هؤلاء الكثيرون من دعاة الاسلام الذين كانت افريقيا تدر عليهم لبناً خالصاً ؟ أجمال الدين ؟ أم محمد عبده ؟ أم رشيد رضا ؟ أم شكيب أرسلان ؟ فان كان هو شكيب كما قد يزعم الباشا فهو واحد فأين الكثير . ان مثل هذه الكلمة الغالية المتجاوزة تدلنا على أن سعادة الباشا لم يكن يضبط ما يقول .

٦) لقد كان شكيب منقطعاً لنصرة المسلمين المستعبدين أينما كانوا كما تشهد بذلك آثاره التي ذكرنا والمسلمون المستعبدون أذلة لمستعبيدهم فقيرهم قعد به العجز وغنيهم غل يديه البخل وهم - الا قليلا - قد فرطوا في واجبه نحو مشارعهم التي بين أيديهم وأمام أعينهم فضلا عما هو بعيد عنهم كمجلة شكيب الوحيدة في بابها ! فمتى كان المسلمون الذين دافع عنهم شكيب طول أيام غربته أعزة كرماء ؟ حتى يزعم الباشا أن شكيباً دافع عنهم أيام عزهم وكرمهم يعني وتبرأ منهم اليوم يوم ذلهم وفقيرهم . كلا الامرين بالعكس يا صاحب السعادة فان المسلمين كانوا أذلة واليوم تنسموا شيئاً من العز وكانوا أشحة واليوم نشطت فيهم روح البذل . فما خدمهم شكيب - اذا أنصفنا - الا أيام ذلهم وشحهم .

٧) من المعلوم ان من الواجب في المذهب الاباضي البراءة من المخالفين كما قال صاحب (النيل) في باب فرزدين الله « ويصل لفرزه

باسمه وصفته ومن ينسب اليه من أمته وولايتهم وبراءة من خالفهم وتخطئته « فلا عجب أن يتبرأ سعادة الباشا من الامير كسائر المخالفين وانما نظن أن سعاداته يقصد البراءة الخاصة التي توجب الهجران والمقاطعة لارتكاب جريمة • ولكنها براءة في غير محلها لانه قد تبين أن الامير لم يقل شيئاً مما رماه به الباشا •

٨ (لم يقل شكيب أنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لاجل صداقة مسلمي مستعمراتها ولا ينسى الاخوة الاسلامية بل قد صرح بالصلوات المعنوية والروابط الروحية واتحاد القلوب وارتباطها في السراء والضراء والوحدة اللغوية والثقافية والدينية والاجتماعية وأنا منهم ولهم ومعهم أفبعد هذا كله يقال عنه - زوراً - انه : لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لاجل صداقة مسلمي مستعمراتها ؟ هذا - والله - عظيم •

٩ (يصمم الباشا على أن الأمير يتزلف لفرنسا بهذه البراءة المزعومة ، ولماذا يتزلف لها ولا سلطان لها عليه ولا طمع له في سلطانها ، ولم يتزلف لها وهي تذيقه علقم البعد عن الاهل والوطن • كيف يتزلف لها اليوم وهو في أهله ووطنه بفضل أمته وحكومتها لا بفضل فرنسا عليه •

١٠ (ليس فيما نقلناه من كلام الامير شيء تشم منه رائحة الاهانة وكيف يكون من يصرح بتلك الروابط ويشير بالوحدة السياسية لعرب شمالي افريقيا مهيناً لآخوانه • كلا ، وانما هو خير مجرب وسياسي مخنك يفرق بين ما يمكن وما لا يمكن الا بعد زمان •

ها نحن لبينا دعوة الباشا فابدينا رأينا في كلام الامير وكلام سعاداته بعد نقلهما بنصهما ولو وجدنا - علم الله - شيئاً مما زعمه الباشا في كلام الامير لوقفنا معه الموقف الذي يوجب الحق والشرف واخوة الاسلام دون أدنى هوادة أو لين •

وقد اقتصرنا من كلام سعادة الباشا على ما يتعلق بالبراءة المزعومة

دون بقية المقال وان كنا منكرين لكثير مما فيه ، لانتا لم تقف موقف المدافع عن الامير اذ له من قلبه ما يغنيه عن دفاع مثلنا .

غير أن هناك ملاحظة لا بد من ابدائها وهي ان روح المقال - في نظرنا - روح هدم لماضي شكيب ارسلان برمته وتصويره بصورة الرجل المادي الذي ما كان يحركه الا حب المال . وعزيز علينا - والله - مثل هذا النكران من رجل عظيم لرجل عظيم ، ومحزن لنا - والله - ومفتت لاكبادنا أن نسرع هذه السرعة في هدم عظمائنا سواء أكان الهادم الباروني لآخيه شكيب او العكس او غيرهما . واننا نعرف هذه الروح الهدامة فينا معشر الشرقيين ولكننا ما كنا نظنها تبلغ المستوى الذي رقيه الباروني ومثله .

فياليتها قومنا يذكرون - دائما - قول أبي الحسن ابن الرومي :

لا تضع من عظيم قدرتي وان كنت
تشارا اليه بالتعظيم
فالشريف العظيم ينقص قدراً
بالتعدي على الشريف العظيم
ولع الخمر بالعقول رمي الخمر
سر بتجسسها وبالتحريم

بل لیتهم يتأدبون بأدب الله في قوله جل جلاله « وَيَتَوَاتَرُ كَلِمٌ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ » فلا ينكرون الاحسان الكثير لأجل السوء القليل ، ان كان هذا السوء القليل .

هذا رأينا فيما بين الأمير والباشا أما رأينا في الوحدة السياسية وفي عروبة شمال افريقيا فسنبيده في العدد الآتي ان شاء الله .

هذا وكأنني ب : م . سارو وغيره يضمنون كتابتي هذه الى حججهم على ما يرمون به الأمير وما يرموننا به . ونحن ما أنكرنا يوماً بيننا وبين عظماء أمتنا الاسلامية والعربية من روابط متينة وعلائق قوية وان لم تكن بيننا معرفة شخصية ولا كتابية .

ونحن نكلف بالمعظمة وندافع بالحق ، ولو لم تكن منا ، فكيف بها
اذا كانت منا — وقديما قال شاعرنا أبو عبادة البحرى :

وأراني من بعد اكلف بالاث — راف طرا من كل سنخ وجنس

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ١٠ ، م ١٣ ، ص ٤٣٨ — ٤٤٦
بسكرة النخيل ٩ شوال ١٣٥٦ هـ — ١٢ دسامبر ١٩٣٧ م .

الوحدة العربية

هل بين العرب وحدة سياسية

إذا قلنا العرب فاننا نعني هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا الى المحيط الاطالانطيقي غربا ، والتي فاقت سبعين مليوناً عدواً تنطق بالعربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقداراً عظيماً من دمها وقد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة .

هذه الأمة العربية تربط بينها - زيادة على رابطة اللغة - رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الألم ، ورابطة الأمل ، فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها ولا محالة . ولكن هل بينها وحدة سياسية ؟ هذا هو الموضوع الذي طرقة الامير شكيب ارسلان وقال فيه كلمة السياسي العملي والخير المحنك فتعرض له سليمان باشا الباروني بمقال تقضاه عليه في الجزء الماضي وفضحنا ما فيه من خطأ وتحامل .

الوحدة السياسية لا تكون الا بين شعوب تسوس نفسها فتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها مع غيرها من الأمم ، وتتعاقد على تنفيذها ، وتكون كلها في تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة ، فهي مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة في وضعها ، وأما الأمم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطيع أن تضع أمراً لنفسها فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها ، ولا تستطيع ان تدافع عن نفسها فكيف تستطيع ان تدافع عما تقرره مع غيرها . وهي لم تستطع أن تعتمد على نفسها في

داخليتها فكيف يعتمد عليها في خارجيتها؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول .

وإذا نظرنا الى الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة فانا نجد منها شعوبا مستقلة استقلالاً حقيقياً فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجب . وقد وقعت في هذه الأيام - والحمد لله - فعلا بين المملكة السعودية والعراق واليمن ومن المنتظر انضمام مصر والشام اليهم يوم يتم استقلالهما . ثم نجد شعوبا اخرى وهي شعوب الشمال الافريقي المصابة بالاستعمار فهذه لا وحدة سياسية بينها ولا بين غيرها ولا يتصور ان تكون . ومن الخير لها ان تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة ، مع الشعور التام بالوحدة القومية والادبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها ، ونحن نعلم ان الواقع اليوم في شمالنا الافريقي العربي هو هذا بعينه ، فنقول - بكل صدق وصراحة - ان كل شعب من شعوب هذا الشمال مستقل تمام الاستقلال بخطه في سياسته ، لا نعرف هيئة منهم تتصل بهيئة مع عمل الجميع على تغذية الشعور بالوحدة القومية والادبية العامة .

والأمير شبيب الذي تعده الدول المستعمرة ألد اعدائها وتسبب اليه - ظلما وزورا - كل حركة تقع في الأمم المصابة باستعمارها ، يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة ، لأنه - وهو أكبر مدافع عن العرب والاسلام في الغرب والشرق - رجل عملي ليس بخيالي ، وسياسي مجرب خبير يعرف ما يقول ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذي يثير الضجيج لينسب صاحبه الى الغيرة والحماس ، وان كان يثير الغبار ويكدر الجو في نواح اخرى . هذا رأينا في الوحدة

الوحدة العربية

السياسية بين شعوب العرب • ونحن نعتقد أنه هو رأي جميع اخواننا
العاملين في هذا الشمال (١) •

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ١١، م ١٣، ص ٤٧٢ - ٤٧٣
غرة ذي القعدة ١٣٥٦ هـ - جانفي ١٩٣٨ م •

أصول الولاية في الاسلام

من خطبة الصديق رضي الله تعالى عنه

لما بويح لأبي بكر الصديق — رضي الله عنه — بالخلافة رقي المنبر فخطب في الناس خطبة اشتملت على أصول الولاية العامة في الاسلام مما لم تحققه بعض الأمم الا من عهد قريب على اضطراب منها فيه • وهذا نص الخطبة :

« أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتُموني على حق فأعينوني ، وان رأيتُموني على باطل فسدّدوني •

أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم •

ألا ان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه •

أقول قولِي هذا واستغفر الله لي ولكم » •

الأصل الاول :

لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة الا بتولية الامة فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل فلا يتولى أحد أمرها الا برضاها فلا يورث شيء من الولايات ولا يستحق الاعتبار الشخصي • وهذا الاصل مأخوذ من قوله : « وليت عليكم » أي قد ولاني غيري وهو أتم •

الأصل الثاني :

الذي يتولى أمرا من أمور الأمة هو أكفؤها فيه لا خيرها في

سلوكه . فاذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة وكان أحدهما أرجح في الخيرية والآخر أرجح في الكفاءة لذلك الامر قدم الأرجح في الكفاءة على الأرجح في الخيرية ولا شك ان الكفاءة تختلف باختلاف الأمور والمواطن فقد يكون الشخص أكفاً في أمر وفي موطن لا تصافه بما يناسب ذلك الامر ويفيد في ذلك الموطن وان لم يكن كذلك في غيره فيستحق التقديم فيه دون سواه . وعلى هذا الاصل ولي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص غزاة ذات السلاسل وأمدته بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح فكانوا تحت ولايته وكلهم خير منه . وعليه عقد لواء أسامة بن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر . وهذا الاصل مأخوذ من قوله : « ولست بخيركم » .

الأصل الثالث :

لا يكون أحد بمجرد ولايته أمراً من أمور الأمة خيراً من الأمة ، وانما تنال الخيرية بالسلوك والأعمال ، فأبو بكر اذا كان خيراً فليس ذلك لمجرد ولايته عليهم بل ذلك لأعماله ومواقفه ، وهذا الاصل مأخوذ أيضاً من قوله : ولست بخيركم ، حيث نفى الخبر عند ثبوت الولاية .

الأصل الرابع :

حق الأمة في مراقبة أولي الأمر لانها مصدر سلطتهم وصاحبة النظر في ولايتهم وعزلهم .

الأصل الخامس :

حق الوالي على الأمة فيما تبذله له من عون اذا رأت استقامته فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده اذ هي شريكة معه في المسؤولية . وهذا — كالذي قبله — مأخوذ من قوله : « اذا رأيتموني على حق فأعينوني » .

الأصل السادس :

حق الوالي على الأمة في نصحه وارشاده ودلالته على الحق اذا ضل عنه ، وتقويمه على الطريق اذا زاغ في سلوكه • وهذا مأخوذ من قوله : « واذا رأيتموني على باطل فسدوني » •

الأصل السابع :

حق الأمة في مناقشة أولي الامر ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ما تراه هي لا ما يرونه هم ، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم وهذا كله من مقتضى تسديدهم وتقويمهم عندما تقتنع بأنهم على باطل ولم يستطيعوا أن يقنعوها أنهم على حق • وهذا مأخوذ - أيضاً - من قوله : « وان رأيتموني على باطل فسدوني » •

الأصل الثامن :

على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها ليكونوا على بصيرة ويكون سائرا في تلك الخطة عن رضى الأمة • اذ ليس له أن يسير بهم على ما يرضيه وانما عليه أن يسير بهم فيما يرضيه وهذا مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم » فخطته هي طاعة الله وقد عرفوا ما هو طاعة الله في الاسلام •

الأصل التاسع :

لا تحكم الامة الا بالقانون الذي رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدها وما الولاية الا منفذون لارادتها فهي تطيع القانون لأنه قانونها لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها كائنا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة فتشعر بانها حرة في تصرفاتها وانها تسير نفسها بنفسها وانها ليست ملكا لغيرها من الناس لا الافراد ولا الجماعة ولا الامم • ويشعر هذا الشعور كل فرد من أفرادها اذ هذه الحرية

اصول الولاية في الاسلام

والسيادة حق طبيعي وشرعي لها ولكل فرد من أفرادها • وهذا الاصل مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » • فهم لا يطيعونه هو لذاته وانما يطيعون الله باتباع الشرع الذي وضعه لهم ورضوا به لانفسهم وانما هو مكلف منهم بتنفيذه عليه وعليهم فهذا اذا عصى وخالف لم تبق له طاعة عليهم •

الأصل العاشر :

الناس كلهم أمام القانون سواء لا فرق بين قويهم وضعيفهم فطبق على القوي دون رهبة لقوته ، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه •

الأصل الحادي عشر :

صون الحقوق حقوق الافراد وحقوق الجماعات فلا يضيع حق ضعيف لضعفه ولا يذهب قوي بحق أحد لقوته عليه •

الأصل الثاني عشر :

حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق • فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسى عليه لقوته فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر • ويعطي الضعيف حقه دون أن يدلل لضعفه فيطغى عليه وينقلب معتديا على غيره • وهذا الاصل واللذان قبله مأخوذة من قوله : « ألا ان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه » •

الأصل الثالث عشر :

شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع ، وشعورهما — دائما — بالتقصير في القيام بها ليستمر على العمل بجهد واجتهاد ، فيتوجهان بطلب المغفرة من الله الرقيب عليهما وهذا مأخوذ من قوله : « اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم » •

هذا ما قاله ونفذه أول خليفة في الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، فأين منه الأمم المتمدنة اليوم؟ فهل كان أبو بكر ينطق بهذا من تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصي؟ كلا! بل كان يستمد ذلك من الاسلام ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه وما لا يخضعون الا له ولا ينقادون الا به . وهل كانت هذه الاصول معروفة عند الامم فضلا عن العمل بها؟ كلا! بل كانت الأمم غارقة في ظلمات من الجهل والانحطاط ترسف في قيود الذل والاستعباد تحت نير الملك ونير الكهنوت فما كانت هذه الاصول — والله اذن — من وضع البشر وانما كانت من أمر الله الحكيم الخبير . نسأله — جل جلاله — أن يتداركنا ويتدارك البشرية كلها بالتوفيق للرجوع الى هذه الاصول التي لا نجاة من تعاسة العالم اليوم الا بها (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ١١ ، م ١٣ ، ص ٤٦٨ - ٤٧١
غرة ذي القعدة هـ - جانفي ١٩٣٨ م

توضيح

- اننا نفرق جيدا بين الروح الانسانية والروح الاستعمارية في كل
أمة فنحن بقدر ما نكره هذه ونقاومها ، نوالي تلك ونؤيدها .
- لأننا نتيقن كل اليقين أن كل بلاء العالم هو من هذه ، وكل خير
يرجى للبشرية انما يكون يوم تسود تلك .
- فلتسقط الروح الاستعمارية ولتندحر .
 - ولترتفع الروح الانسانية ولتنتشر (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ١١ ، م ١٣ ، ص ٤٩٣
غرة ذي القعدة ١٣٥٦ هـ - جانفي ١٩٣٨ م .

الجزائر المسلمة

تبرهن في اخرج مواقفها

على تماسكها بشخصيتها : باسلامها وعربيتها

كبر على الرجعيين وأشباه الرجعيين بفرنسا أن يعطوا الحقوق الانتخابية البرلمانية لعدد لا يتجاوز خمسة وعشرين ألفا من الأمة الجزائرية ، ما داموا محافظين على شخصيتهم وقوميتهم ، كما يقتضيه « بروجي فيوليت » ، ورأوا أنهم لا يمكن أن ينعموا على الأمة الجزائرية بهذه النعمة ! الا اذا رضيت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها . ثم منهم من صدر في رأيه هذا عن كيد للأمة الجزائرية لصدها عن نيل الحق الطفيف لانه يعلم انها لا تتنازل عن شخصيتها فيجد المبرر لحرمانها ، وهذا هو الأكثر . ومنهم من صدر عن حسن قصد مغترا بكلمات طائشة من أفراد قالوها عن غضب أو قلة تبصر فحسب ان الامة الجزائرية تخضع للأمر الواقع اذا الزمت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها فأراد أن يحسن اليها ويرغم عتاة الاستعمار خصومها . فأصبحت الجزائر من هذين القسمين بين حرمانها من كل حق لها ، وسلبها من أعز عزيز عليها ، موقف - والله - من أخرج مواقفها .

لقد كانت عبارة « بروجي فيوليت » قبل « المؤتمر الاسلامي الجزائري » غير صريحة في المحافظة على الشخصية الاسلامية وكان قسم عظيم من الأمة ذاهبا مع تياره رغم ذلك الابهام فلما انعقد المؤتمر في ١٧ جوان ١٩٣٦ ، كان عمل العلماء فيه المحافظة على تلك الشخصية

الجزائر المسلمة

حتى أعلن المؤتمر بالاجماع لزوم المحافظة عليها فلما عرض م فيوليت بروجيه على وزارة الجبهة الشعبية الاولى التي كان وزيرا فيها ، حور بروجيه - نزولا - عند كلمة الأمة فصرح فيه بلزوم المحافظة على الشخصية الاسلامية .

فلما قامت سوق الكلام على هذا « البروجي » في هذه المدة الاخيرة صرح بعض النواب الفرنسيين من الجزائر ان المحافظة على الشخصية الاسلامية انما هي وضع العلماء وتطرفت صحيفة استعمارية كبيرة فجعلته من تعصب ابن باديس . لكنه ما كادت الأمة تسمع بالمساومة على شخصيتها حتى قامت من جميع نواحي الوطن بالاعتراض والاستنكار . فنشر العلماء بيانا وتحذيرا للامة والحكومة في جريدة « البصائر » وأوفدت جمعية النواب لعمالة قسنطينة وفدا وجمعية النواب لعمالة الجزائر وفدا ، وجمعية النواب لعمالة وهران وفدا ، والنواب الماليون والعماليون غير الداخلين في الجمعيات وفدا . وذهبت تلك الوفود كلها الى باريس ، ومعها وفد من رجال الواجهة الشعبية للمطالبة ببروجي فيوليت مع المحافظة التامة على الشخصية الاسلامية ولو أدى ذلك الى الحرمان من كل حق .

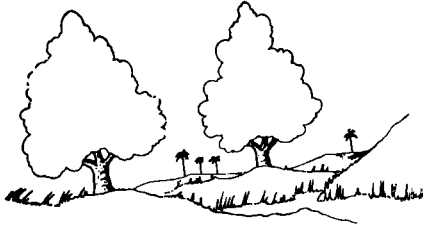
فكانت هذه كلمة الأمة الحازمة الحاسمة ، وكانت هي الدليل القاطع على أن العلماء في كل ما يقومون به من خدمة الاسلام والعربية لبقاء الذاتية الاسلامية والشخصية القومية هم باسم الأمة يعملون ولسانها ينطقون وان كل من خذلهم في خدمتهم فقد خذل الأمة وكل من أيدهم في خدمتهم فقد أيد الأمة .

فنحن نهيب بفرنسا التي لا نرى من مصلحة الجزائر في الوقت الحاضر قطعا أن تتراخي علاقاتها بها أن تحترم الأمة الجزائرية في اسلامها وعربيته وتزيلها حقوقها . ونلفت نظر كل نائب الى ما عليه من

آثار ابن باديس

واجب في حماية الاسلام والعريية اللذين هما أعز كل عزيز على الامة
التي هو نائب عنها • وكفى بكلمتها الاجتماعية التي قالتها في مؤتمرها
وفي هذا الموقف الحرج من مواقفها — دليلا على منزلتهما عندها (١) •

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ١٢، م ١٣، ص ٥٠٨ - ٥١٠
غرة ذي الحجة ١٣٥٦ هـ - فيفري ١٩٣٨ م •

الخلافة أم جماعة المسلمين

ان الخلافة هي المنصب الاسلامي الاعلى الذي يقوم على تنفيذ الشرع الاسلامي وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوي العلم والخبرة والنظر ، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع .

ولقد أمكن ان يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الاسلام وزمنا بعده - على فرقة واضطراب - ثم قضت الضرورة بتعديده في الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الاصلي وبقي رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الاسلام في شيء .

فيوم ألغى الأتراك الخلافة - ولسنا نبرر كل أعمالهم - لم يلغوا الخلافة الاسلامية بمعناها الاسلامي وانما الغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى . وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الاسلام .

علمت الدول الغربية المستعمرة فتنة المسلمين باسم « خليفة » فأرادت أن تستغل ذلك مرات عديدة أصيبت فيها كلها بالفشل . ليس عجيبا من تلك الدول ان تحاول ما حاولت وغاياتها معروفة ومقاصدها بيئة . وانما العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم ، ومن هذا الاندفاع ما يتحدث به في مصر فتردد صداه الصحف في الشرق والغرب وتهتم له صحافة الانكليز على الخصوص يتحدثون في مصر وفي الازهر عن الخلافة كأنهم لا يرون المعامل الانكليزية الضاربة في ديارهم ولا يشاهدون دور الخمر والفجور المعترف بها في قانونهم .

كفى غرورا وانخداعا ان الأمم الاسلامية اليوم - حتى المستعبدة منها - اصبحت لا تخذعها هذه التهاويل ولو جاءت من تحت الجيب والعمائم •

للمسلمين - مثلما لغيرهم من الأمم - ناحيتان : ناحية سياسية دولية وناحية أدبية اجتماعية • فأما الناحية السياسية الدولية فهذه من شأن أممهم المستقلة ولا حديث لنا عليها اليوم • وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهي التي يجب أن تهتم بها كل الامم الاسلامية المستقلة وغيرها لانها ناحية تتعلق بالمسلم من جهة عقيدته واخلاقه وسلوكه في الحياة في أي بقعة من الارض كان ، ومع أي أمة عاش وتحت أي سلطة وجد ، وليست هذه الناحية الانسانية المحضة دون الناحية الاولى في مظهر الاسلام ولا دونها في الحاجة الى الحفظ والنظام لاجل خير المسلمين على الخصوص وخير البشرية العام ••

ان الامم الكاثوليكية - مثلا - على اختلاف أوضاعها السياسية وتباين مشاربها وانظارها فيها ، ترجع في ناحيتها الادبية الدينية الى مركز أعلى هو بابا روما المقدس الشخص والقول في نظر جميعهم •

نعم ليس لنا - والحمد لله - في الاسلام بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم شخص مقدس الذات والقول تدعى له العصمة ، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد ، ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصلاح • فعلى الامم الاسلامية جمعاء أن تسمى لتكون هذه الجماعة من أنفسها بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات لا الحكومات الاسلامية ولا غيرها •

لقد كنت كاتب صاحب الفضيلة شيخ الازهر الشريف بهذا المعنى ولكنني لم أتلق منه جوابا وعرفت السبب يوم بلغنا ان اخواننا الازهرين

هتفوا - يوما - بالخلافة لملك مصر فاروق الاول .

وسيرى صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر ، ان خيال الخلافة لن يتحقق ، وان المسلمين سينتهون يوما ما - ان شاء الله - الى هذا الرأي (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٢ ، م ١٤ ، ص ٦١ - ٦٣
غرة ربيع الاول ١٣٥٧ هـ - ماي ١٩٣٨ م .

فلسطين الشهيدة

رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة ، وقد قال الله في المسجد الاقصى في سورة الاسراء : « الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ »
ليعرفنا بفضل تلك الرحاب . فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب
المسجد الحرام ومسجد طيبة .

حمى الاسلام تلك الرحاب من أيامه الأولى ، وحمى جميع مقدسات
جميع الملل وكف عادية بعضهم عن بعض وعاش اليهود تلك القرون
الطويلة ينعمون برخاء العيش وحرية المعتقد واحترام المعاهد .

تزوج الاستعمار الانكليزي الفاشم بالصهيونية الشرهة فاتجا
لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى الذي أنساهم كل ذلك الجميل
وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فاحالوها جحيما لا يطاق
وجرحوا قلب الاسلام والعرب جرحا لا يندمل .

تقول ، لقسم كبير من اليهود ، لأن هنالك من اليهود عددا كثيرا
يستنكر هذا المآتى الجنوني الظلوم ، ويعترف بجميل الاسلام والسعادة
التي نعم بها اليهود ويهود القدس في ظل الوارف الامين . فقد قدم
رئيس الطائفة السامرية الى حاكم نابلس عريضة احتج فيها باسم الطائفة
على الاعتداءات الالائمة التي وقعت على العرب في القدس وحيفا ويافا
هذا نصها :

« نحن أفراد الطائفة السامرية رجالا ونساء نستنكر بشدة أعمال
الاعتداءات الفظيعة التي يقوم بها اشخاص من اليهود ضد قوم
أبرياء في حيفا ويافا والقدس ، ونطلب بشدة الحيلولة دون تكرار هذه

فلسطين الشهيدة

الحوادث المروعة ونصرح باننا - على اقليتنا - نعيش منذ الوف السنين مع مواطنينا العرب في سلام ، ولم يحدث ان اعتدى منهم احد علينا او حاول اضهادنا » .

هذه هي الحالة العامة التي كانت عليها فلسطين ألوف السنين حتى جاء الزوجان المشثومان الصهيونية والاستعمارية فكان البلاء على فلسطين كلها عربها ويهودها . فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها ، ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الأرض ، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانكليزي من جهة والاسلام والعرب من جهة ، والضحية فلسطين والشهداء حماة القدس الشريف . والميدان رحاب المسجد الأقصى ، وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك ، من أرواح تزهق وصغار تيتيم ونساء ترمل وأموال تهلك وديار تخرب وحرمات تنتهك ، كما لو كان ذلك كله واقعا بمكة أو بالمدينة ، ان لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع .

يريد الاستعمار الانكليزي الغاشم أن يستعمل الصهيونية الشرهة لقسم الجسم العربي وحطّ قدس الاسلام فيملا فلسطين بالصهيونيين المنبوذين من أمم العالم . ولأجل هذه الغاية الظالمة تجند جنود الانكليز وتجمع أموال الصهيون وتسفك الدماء البريئة وتلطف بها الرحاب المقدسة .

يجري كل هذا وترتفع له أصوات العالم الاسلامي والعالم العربي بالاحتجاج والاستنكار ويخاطب ملوك العرب والاسلام حكومة الانكليز فلا تزيد آذانها الا صمما ولا قلبها الا تحجرا .

نقول العالم الاسلامي والعالم العربي ، لاننا لم نر ولم نسمع من غيرهما احتجاجا جديا واستنكارا صارخا حتى الذين يقيمون الدنيا

ويقعدونها بصراخهم ويذلون ما يذلون من مساعداتهم في أوطان أخرى
لم نرهم ازاء فلسطين الشهيدة الا سكوتا او شبه سكوت وشتان ما بين
من يريد المقاومة ومن يريد رفع الملام .

نحن - المسلمين - أعداء الظلم بطبيعتنا الاسلامية ونرحم المظلوم
ولو كان هو ظلما لنا . منذ أيام كنت في حانوت تاجر مسلم وقد قرأ
علي أخبارا عن اضطهادات المانية جديدة على اليهود فلما فرغ من القراءة
قال لي : « هذا يا شيخ حرام عندنا في الاسلام احنا نخليو الناس كلهم
يعيشوا بأموالهم » فقلت له : نعم ، وأخذت أئين له كيف عاش اليهود
في ظل الاسلام . هذا عامي من أوساط الناس متمسك بدينه ومتألم
من حالة القدس الشريف ويعرف ان بلاءها من مهاجرة يهود المانيا وغيرهم
ومع ذلك يستنكر ما يلحقهم من الظلم . وها هم اليهود اليوم قد
شردتهم المانيا ومن قوانينها الجديدة عليهم بيع أملاكهم ببرلين بالزاد
العام ومنعهم في المستقبل من الامتلاك ، ومنعهم من صناعة الطب بتاتا ،
والحكومة اليونانية منعتهم من دخول أرضها ولو على سبيل السياحة ،
وايطاليا أخذت في اضطهادهم بأساليب علمية دقيقة وسياسية قاتلة ،
وفرانسا أيضا قد هبت عليها هبات من هذه السموم ستصيب اليهود أو
قد أصابهم شيء من لفحها . هذا حالهم بين الامم المسيحية وقد عادوا
- أو كادوا - كما كانوا في القرون الوسطى لا يطمنون على ازواجهم
وأموالهم وثقافتهم الا في بلاد الاسلام ، وهاهم مع ذلك يستمرون على
ظلم الاسلام في قدس الاسلام ولا ناهي لهم ولا ناصح ممن يسمعون
لنهيه ونصحهم . وما يدرهم ان هذا البلاء الذي ابتدء بصبه عليهم هو
جزاء ظلمهم لفلسطين ظلم الفعل وظلم الرضا وظلم السكوت عن
الاستنكار . وان الله لينتقم من الظالم بالظالم ، ثم ينتقم من الجميع .
ان الدفاع عن القدس من واجب كل مسلم . وقد هب رجالات
الاسلام في الشرق للقيام بهذا الواجب . فهناك من ناحية الحكومات

فلسطين الشهيدة

ما يقوم به وزير مصر ووزير العراق باسم ملوك العرب في لندن ،
وهناك اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين تضم فريقا كبيرا من
حضرات الشيوخ والنواب المصريين وقد اعتزموا على عقد مؤتمر برلماني
عام للبحث في قضية فلسطين على أن يشترك في المؤتمر ايضا زعماء
العرب والمسلمين في الاقطار العربية والاسلامية التي لا توجد فيها
برلمانات وصح عزم اللجنة على ان يعقد المؤتمر في مدينة القاهرة ان
شاء الله يوم الجمعة الموافق ل ١٢ شعبان ١٣٥٧ هـ و ١٧ اكتوبر
سنة ١٩٣٨ م .

سيكون هذا المؤتمر الاول من نوعه في الشرق العربي وستعرف به
الصهيونية والاستعمار البريطاني انها امام العالم الاسلامي والعربي لا امام
فلسطين وحدها فعلى المسلمين كلهم أن يؤيدوا هذا المؤتمر برفع
أصواتهم اليه ، وعلى اليهود الذين ينكرون ظلم الصهيونية وشرها أن
يغتبنوا هذه الفرصة الفريدة لاعلان استنكارهم .

وَاعْتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٦ ، م ١٤ ، ص ١ - ٤

غرة جمادى الثانية ١٣٥٧ هـ - اوت ١٩٣٨ م .

حول مساجين العلماء

هل في سجن « الكدية » ما يذكرنا ب (الباستيل) ؟ ...

الباستيل وما أدراك ما الباستيل ! وما أحوج الشعوب المستضعفة أن تعرف تاريخ الباستيل ونهاية الباستيل !

هو حصن منيع اتخذه ملوك فرنسا المستبدون سجنا يلقون فيه الاحرار المفكرين ، فيقضون ايامهم في ظلمات اقبائه حتى يأتي عليهم الموت ، يلقونهم في غيابات هذا السجن الرهيب دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وفي ١٤ جوليت سنة ١٧٨٩ هاجم الشعب الفرنسي الثائر هذا الحصن وضربه بالمدافع واستولى عليه ومثل بحراسه شر تمثيل واطلق سراح من فيه .

كان سقوط هذا السجن رمزا لسلطة الشعب وفوز الاحرار ، كما كان قيامه رمزا لاستبداد الملوك وخنق الحرية .

لذلك اتخذ يوم سقوطه عيداً للحرية تجدد فرنسا ذكراه في كل عام . وكانت ذكراه في هذه السنة لمرور السنة ١٥٠ بالغة أقصى الفخامة والأبهة ، اشترك فيها المستعبدون ، والمستعبدون ...

ما هي ميزة هذا السجن بين السجون ؟

ميزته القاء الاحرار فيه دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وهذه الميزة لم يبق لها — فيما نعرف — من نظير في البلدان التي تملك أمر نفسها وتسيطر الشعوب فيها على حكومتها .

أما في الأمم المملوكة أو الشعوب التي لا سلطان لها على حكوماتها
فما تزال ميزة الباستيل باقية فيها الى اليوم .

وها نحن في الجزائر نرى ذلك وتجرع آلامه . ففي سجن
« الكدية » بقسنطينة قد القي أربعة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين دون جرم معلوم ودون أن يقدموا للمحاكمة ، أربعة من العلماء :
الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي والشيخ عبد القادر الباجوري والشيخ
علي بن سعد والسيد محمد الكامل ، مضت عليهم في السجن سنة وأربعة
أشهر مع المجرمين !

ومن عجب المقارنات أن يحتفل بمرور ١٥٠ سنة على سقوط
الباستيل وهم ينيرون تحت ما من مثله أسقط الباستيل .

لم يثر هؤلاء العلماء ضد السلطة ولا تداخلوا في أوضاعها الادارية
ولا أسسوا لتقويمها منظمات سياسية . وانما قاموا بواجبهم الديني في
بلادهم سوف^(١) وقرأها ، ينشرون الاسلام ولغة الاسلام وينهضون
باخوانهم في دائرة دينهم وكان أهل تلك البلاد أرق أفئدة وأصفي عقولا
وأمتن دينا وأسرع اجابة للحق والخير فاثالوا عليهم يجيبون داعي الله
ويقبلون على تعلم الدين ولغة الدين . هذا ما كان والله .

لكن الذين لا يرضيهم مثل هذا - وهم أصناف - بيتوا أمرهم
وتعاقدوا على قتل هذه الحياة الدينية العلمية من تلك الديار فصوروها
صورتها ووقعوا بتلك البلاد الآمنة ما أوقعوا مما سجله عليهم التاريخ .
وكتب على صفحات القلوب بأقلام الضلوع وجبر الدموع ، وسيق
الناس الى السجون والاعمال الشاقة وسيق هؤلاء الشيوخ على
الخصوص بتهمة التآمر على أمن الدولة أو الثورة على النظام أو الاتصال

(١) بلد في الواحات بالصحراء الجزائرية .

بالاعداء أو ما شئت من مثل هذه التهم التي يتسع لها الخيال ، ولم يثبت شيء منها - ولن يثبت - الى الآن وبعد الآن .

اننا لا نطلب العفو والافراج عنهم ، وانما نطلب تقديمهم للمحاكمة ونشر قضيتهم أمام العدالة والرأي العام . اننا على ثقة من براءة أصحابنا ، وعلى ثقة من فضيحة هذه المعاملات الاستثنائية التي لا يرتضيها الحق ، ولا تقتضيها - خصوصا في هذه الاوقات - مصلحة .

واذا كان من تقديم اخواننا للمحاكمة رفع مكأ للظلم عنا ، فان فيه محورا مكأ لكلفة شوهد وجه عيد الحرية .

فالى المحاكمة ان كنتم تريدون نصرة العدل وجمال الحرية (١) .

عبد الحميد بن باديس



أولو الأمر

هذه كلمة قرآنية ، فمن هم المرادون بها ؟ فقد أوجب الله طاعتهم على المؤمنين فمن اللازم شرعا ان يعرفوا ليمثل أمر الله تعالى فيهم ، فمن هم ؟ قد اختلف فيهم فقليل هم العلماء ، وقيل هم الامراء من المسلمين ، والصحيح انهم العلماء والامراء معا واليك البيان :

الله الخلق والأمر ، والأمر أمران : الأمر التكويني ، والأمر التشريعي والثاني هو المراد هنا ، وما أمر بطاعة أولي الامر الا لانهم يأمرون بأمر الله ، فكانت طاعتهم طاعة الله . وأمر الله نحتاج الى تعيينه والى تنفيذه ، فبالعلم يعين ، وبالسلطان ينفذ ، فالعلماء يصدق عليهم أولو الأمر لأنهم الذين يعينون أمر الله بطرائق العلم المقررة ، والامراء يصدق عليهم أولو الامر لانهم ينفذونه بحمل الناس عليه بما جعل الله لهم من سلطان . فاذا وجد العلماء دون الامراء تعطلت الشريعة ، واذا وجد الامراء دون العلماء ضلوا وأضلوا عن السبيل ، ولا يستقيم الحال الا بوجود الطائفتين وتعاونهما بطريق الشورى التي هي أساس الامر في الاسلام . وقد بين لنا السلف الصالح رضي الله عنهم هذا بطريقة عملية فكان عمر رضي الله عنه — وقد جمع بين العلم والسلطان يجمع الصحابة في النوازل الهامة ويستشيرهم ويجعلهم في الشورى على طبقاتهم كما فعل عند ما خرج الى الشام وسمع بالطاعون والقصة ثابتة في الموطأ وغيره .

دعاني الى كتابة هذا مقال جليل نفيس نشرته مجلة الهداية الاسلامية بقلم استاذنا العلامة الجليل الشيخ الخضر بن الحسين الطولقي الجزائري التونسي ثم المصري تحت عنوان (العلماء وأولو الأمر) فأحبيت أن انقله الى قراء (الشهاب) وخشيت أن يفهم من عطف أولي الامر على

العلماء في العنوان المذكور ، ان العلماء لا يصدق عليهم اللفظ القرآني فأحبت أن أبين القول الحق في صدقه على الطائفتين وأحبت أيضا أن تكون مقدمتي هذه الصغيرة امام ذلك المقال الكبير تذكرة لجلوسي لتلقي تهذيب المنطق بين يدي الاستاذ بجامع الزيتونة - عمره الله - ولسماع دروس من صدر تفسير البيضاوي بدار الاستاذ بشارع باب منارة من تونس الخضراء العزيزة حرسها الله .

ولا يخفى أن الاستاذ أبقاه الله ابن أخت العلامة الجليل الشيخ المكي ابن عزوز رحمه الله ، وكلاهما من أبناء الطريقة ، ولكن العلم سما بهما الى بقاع التفكير والهداية والاصلاح ولكليهما - احسن الله جزاءهما - كتابات في التحذير مما عليه الطريقة اليوم تارة بالتحريح وتارة بالتلميح . والى القراء الكرام نص مقال الاستاذ ابقاه الله وهو من ذلك الطراز (١) .



(١) ش : ج ٨ ، م ١٥٠ قسنطينة شعبان ١٣٥٨ هـ سبتمبر ١٩٣٩ م
ص ٣٦٨ الى ٨٦٩ .

هذا آخر مقال للشيخ عبد الحميد بن باديس في آخر عدد من الشهاب الذي لم يصدر منه فيما يبدو الا ملزمة واحدة مما جعل مقال الشيخ الخضر بن الحسين غير كامل فيه لذا لم ننشره .

آثار ابن باديس

قسم البرقيات والاحتجاجات

شكر عام للاحساس العام

تهاطلت على الادارة البرقيات والكتب من جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الاستاذ ، والاستياء من توحش الجاني العليوي ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره ، فجاءنا من جنابه ما يلي :

إنني أشكر الشكر الجهم الأمة الجزائرية جمعاء على ما ظهرته^(١) من العطف والشعور نحو شخصي الضعيف ، بما رأيت من القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته من الكتب والبرقيات من جميع الجهات . وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التي لا يفصلنا عنها غير الاعتبار السياسية من فاصل في الوجود .

إنني - وأيم الله - لأرى نفسي أحقر وأقل من هذا الاعتناء ، ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم أن هذا الشعور العام دليل على^(٢) في قلوب المسلمين من المكانة العظيمة لكلمة الحق وكلمة الدين اللذين ما أوذيت إلا في سيئلهما من طائفة تدعي الخصوصية في الاسلام وتبعث اتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

فهذا العاجز يكرر شكره بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف ، سائلا من الله تعالى أن يزيد رسوخا في قلوبهم على مدى الايام^(٣) .

عبد الحميد بن باديس

(١) كذا في الاصل وصوابه : اظهرته .

(٢) كذا في الاصل وصوابه : على ما في قلوب . .

(٣) الشهاب : عدد ٧٦ ص ١٥ - ١٦ ، ١٨ جمادى الثانية ١٣٤٥ هـ

- ٢٢ دسامبر ١٩٢٦ م .

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ضد اعتداء النائب المالي غراب وافترائه

كثر على هذا الرجل مع جهله باللغتين أن يتعرض لجمعية علمية كبرى فيقول عليها بجمل لا يفهم معناها ومفردات ما جرت على لسانه من قبل — مثلما في خطابه ضد الجمعية الذي نشرناه بالعدد السابق — لولا أنه اعتاد أن يوحى إليه بالأمر فيجريه على لسانه ، ويكتب له الكتاب فينسبه الى نفسه . ولكنه ليس بكثير عليه ولا غريب عنه ولا بعيد عنه أن ينطوي قلبه على البغض والكيد للعلم والعلماء ، فيغتتم فرصة اجتماع المستدعين لملاقة الوالي العام في إدارة الأمور الأهلية فيلقي ما لقي اليه ويتحمل مسؤوليته بعد نشره ، لأنه على مقتضى هواه من بغض العلم وأهله والسعي في الحاق الشر والأذى بهم . ولولا اسم النيابة الذي يحمله — والله يعلم كيف كان حمله — والمجمع الحافل الذي نفت سموه فيه ، والادارة الرسمية التي كان يلقي خطابه فيها لما بالت به الجمعية ولا أعارت كلامه أدنى التفات ، ولكن مراعاة لهذه الوجوه فالجمعية ترفع احتجاجاتها لدى الأمة ولدى ممثل الحكومة الذي ألقيني هذا الخطاب في حضرته .

احتجاجنا لدى الأمة :

أيها الأمة الجزائرية المسلمة !

قد دعاك العلماء الى العلم واحترام العلم واتباع العلم لما دعاك أصدادهم الى الجهل وما يجر اليه الجهل ، قد دعاك العلماء الى التفكير في الدنيا والآخرة لما دعاك أصدادهم الى الجمود والخمول في الدنيا والدين ،

قد دعاك العلماء الى العمل والكد والتعاون لما دعاك أصدقاءهم الى الكسل والبطالة والتواكل ، قد دعاك العلماء الى الله وعبادته وحده لما دعاك أصدقاءهم الى أنفسهم وتقديسهم ، قد دعاك العلماء الى كتاب الله لما دعاك أصدقاءهم الى خرافاتهم ، قد دعاك العلماء الى اتباع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والسلف الصالح - رضي الله عنهم - لما دعاك أصدقاءهم الى اتباع أسلافهم وبدعهم وقبيح عاداتهم ، قد دعاك العلماء الى البذل في سبيل الخير العام فالمعزم القانوني لما دعاك أصداده الى البذل لهم وملء خزائهم . هؤلاء العلماء - أيتها الأمة الكريمة - الذين دعوك دعوة الحق لا يريدون منك جزاء ولا شكورا ، وهم يتحملون في سبيلك ما تعلمين وما لا تعلمين .

قد قام هذا النائب الجاهل الذي تشرف بالنيابة عنك وتحملت مسؤولية ما يأتيه باسمك ، يوجه مطاعنه الكاذبة ومفترياته السامة الى جميع العلماء المسلمين الجزائريين يحاول نسفها من أصلها ، ويطلب من الحكومة بالحاح أن تعاملها المعاملة « الشديدة القاسية » ، حتى كأنه المسكين تخيل نفسه نائب الحق العام أمام قفص الاتهام .

فاليك أيتها الأمة التي ما رأت منها الجمعية الا الاكرام باكرامها لوفودها ، وما رأت منها الا الاقبال باقبالها على جريدتها ، التي ما راجت جريدة في القطر مثل رواجها ، وما رأت منك الا التأييد بما جاءها من وفودك للاجتماع العام الماضي من اجتماعاتها ، فاليك - أيتها الأمة الكريمة - ترفع الجمعية احتجاجها على هذا النائب الجاهل المعتدي المفتري ، وأنت تعرفين بعد أين تضعينه ...

احتجاجنا لدى الحكومة :

أيتها الحكومة الفرنسية ، حكومة الجمهورية ، المشيدة على العلم ، والأمة التي تدعى بعلمة الأمة ، ما أسسنا جمعيتنا إلا على مقتضى قوانينك العادلة ، وما أردنا الا مساعدتك على تعليم وتهذيب وترقية

احتجاج ضد النائب غراب

هذه الأمة الجزائرية المرتبطة بك في السراء والضراء مدة قرن ، وهي ما زالت تعرف بين الأمم بأنها أمة منحطة جاهلة ، وقد خطبنا في الجموع الحاشدة وكتبنا في الصحف المنشرة ، وما كانت دعوتنا في كل ما خطبنا وكتبنا الا الى العلم والتهذيب وثقيف العقول واتقان العمل والتعاون مع جميع السكان واحترام القوانين ، ثم لم تكمل على تأسيس جمعيتنا سنتان حتى أصبحنا نلقى من الانتفاعيين الذين لا يعيشون الا على الجهل ما نلقى من وشايات كاذبة تولد تقارير باطلة ، وتجرىء مثل هذا النائب على أن يقول ما قال . فاليك أيتها الحكومة العظيمة ، نرفع احتجاجنا على هذا النائب المعتدي على كرامة العلم ، وهي كرامة الانسانية والعالم .

احتجاجنا الى ممثل الحكومة في ذلك المجلس :

أيها الممثل المحترم ، قد كان جديراً بمجلسكم الموقر أن ينزهه عن توجيه المطاعن الكاذبة لجمعية علمية محترمة في غيبتها . فاذا كان هذا النائب المتقول قد اعتدى على جمعيتنا فقد اعتدى على مجلسكم العظيم ، واذا كنا نحتج عليه لديكم لاعتدائه علينا فانا نحتج عليكم لديكم لعدم اسكاته ولسكوتكم عليه . فمضى أن لا يجد مثله في المستقبل فرصة أمام أمثالكم للطعن والافتراء . وحسب الحكام العادلين وحسبنا منهم اثبات الحجة وتطبيق القانون ، وذلك ما نرجو وتتحقق انه من ممثلي فرنسا العظام سيكون ، ولا نزال نسعى في خطتنا المستقيمة الى غايتنا الشريفة واثقين مطمئنين وحسبنا الله ونعم الوكيل (١) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(١) الشريعة : العدد ٦ السنة الاولى ، قسنطينة يوم الاثنين ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ الموافق ٢١ اوت ١٩٣٣ م .

تلفراف الاحتجاج

وقع حجز جريدة (السنة) بالعاصمة والمجلس الاداري للجمعية منمقد بها ، فاتفق المجلس على رفع احتجاج على تعطيله^(١) وكلف الرئيس برفعه بعد اتصاله بقرار التعطيل رسميا ، ولما اتصل به رفع الاحتجاج ببرقية هذا نصها :

باريس

وزير الداخلية :

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعرب لكم عن استيائها البالغ منتهاه وعن حزنها العميق الذي سببه تعطيل جريدة^(٢) (السنة) العربية وتحتج بكل ما لها من قوة على قراركم المؤرخ بـ : ٢٢ جوان القاضي بهذا التعطيل الذي ينشأ عنه للجمعية ضرر مادّي وأدبي جسيم . وان عجب الجمعية عظيم جدا ومما يزيد في عظمه انها تجهل أسباب التعطيل لعدم ذكرها في قراركم وانها تعلن وتصرح ان الجريدة المعطلة لم تشر الا ما كتب في مواضيع دينية بحثة وفي مسائل لا تخرج عن دائرة العقائد والعبادات وتغتتم هذه الفرصة لإلغيات نظركم الى الدسائس التي يدسها لها بعض خصومها الذين لا غاية لهم سوى انشاء شتى العراقيل في سبيل مشروعها التهذيبي الأخلاقي وتشويه سمعة أعضائها الذي^(٣) يشهد الواقع بنزاهتهم التامة وبراءتهم من كل تهمة .

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس

(١) كذا في الاصل والصواب : تعطيلها .

(٢) في الاصل : جريد

(٣) كذا في الاصل وصوابه : الدين .

رفع قضية ضد التعطيل

وقد كلفنا محامي الجمعية برفع قضية لدى مجلس الدولة الأعلى
ضد قرار التعطيل (١) .



(١) الشريعة : السنة الاولى ، العدد الاول ، الاثنين ٢٤ ربيع
الاول ١٣٥٢ هـ - ١٧ جولية ١٩٣٣ ص ٢ .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وصولاتها الجدد

تنبيه الى رؤساء الشعب

قرر مجلس إدارة الجمعية الجديد في اجتماعه الأول رفض العمل
بباقي وصولات الجمعية المطبوعة أولاً ، وقرر وضع مثال جديد يطبع
عليه وصولات جدد .

وقد طبعت الوصولات الجدد وسلمت لأمين المال ليضيها وسنوجه
من مجلداتها الى رؤساء شعب الجمعية راجين منهم النشاط في العمل
للنهوض بالجمعية مادياً وأديباً^(١) .

من رئيس الجمعية :
عبد الحميد بن باديس

وداع وشكر :

وقرر ارسال برقية وداع وشكر لعامل عمالة قسنطينة (م . كارل)
وهي هذه :

ان المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المجتمع
اليوم بنادي الترقى بلغه بمزيد الاسف نبأ مبارحتكم لهذا الوطن بعد أن
عمرتم فيه بشرف ولياقة تامين الوظيف السامي الذي كان قلدتكم اياه

(١) الصراط السوي : العدد ٢ السنة الاولى قسنطينة يوم الاثنين
٢٨ جمادى الاولى ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ م ص
٤٤٤ . ٢

تنبيهات واحتجاجات

الحكومة الجمهورية وقمتم به أحسن قيام مدة سنين عديدة. وان الجمعية تقدر احسانكم للامة الاسلامية الجزائرية وتشكر لكم مواقفكم الشريفة في شتى الظروف والحوادث التي حركت ما كان ساكنا بهذا القطر كما تشكر لكم شكراً خالصاً ما أظهرتم لها من العناية وستحفظ لكم بسبب ذلك ذكراً جميلاً لا ينسيه تعاقب الأيام .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

براءة

وقرر ارسال كتاب لجناب الوالي العام وهو هذا :

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة ولا زالت تصرح وتؤكد بانها بريئة من كل صبغة سياسية وان خطتها وغاياتها وأغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير .

كما تصرح وتؤكد لكم من جديد بانها مستقلة عن كل الطوائف ، وكل الأحزاب السياسية وغيرها سواء في ذلك الداخلية منها والخارجية ، وهي جمعية جزائرية اسلامية تعمل للامة الجزائرية الاسلامية في دائرة الديانة الاسلامية والقوانين الفرنسية خلافا لما قرأناه وفهمناه من التصريحات المنسوبة اليكم في جريدة (البتي باريزيان) في عددها الصادر يوم أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ م .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

احتجاج ديني انساني

وقرر ارسال برقية احتجاج لوزارة الخارجية وهي هذه :
ان الحوادث الدامية التي وقعت أخيراً بفلسطين قد آلمتنا ومست شعورنا الديني وان تلك البقاع المقدسة عند جميع الامم والتي هي القبلة الاولى للاسلام مما يجب أن تستنكر الانسانية وكل روح دينية كل ما يكون فيها من ترتيب يؤدي الى اثاره الفتنة وسفك الدماء بها فنحن باسم الدين والانسانية تقدم لوزارة الخارجية الفرنسية التي هي المثلة لرعاياها المسلمين في مثل هذه المواقف احتجاجاً ضد ذلك .

برقية تالم

وقرر ارسال برقية الى فضيلة مفتي القدس وهي هذه :
آلمتنا كما آلمت كل مسلم الحوادث الدامية الواقعة بفلسطين واتنا رفعنا احتجاجاً ضد ذلك بواسطة وزارة الخارجية الفرنسية .
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
عبد الحميد بن باديس

الصراف السوي : السنة الاولى العدد ١١ قسنطينة يوم الاثنين ٦ شعبان ١٣٥٢ هـ الموافق لـ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٣ م الصفحة : ٨ ، ع : ٢ - ٣

تلفراف مرسل الى السيد الوالي العام

ان أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البالغ عددهم الفين ،
المجتمعين بعاصمة الجزائر من اجتماعهم العمومي السنوي يعربون عن
اخلاصهم لفرنسا وارتباطهم بها ويلفتون نظركم بكل احترام نحو الحالة
السيئة الناشئة عن منع الوعاظ والمرشدين الاحرار من المساجد وتضييق
حرية التعليم العربي وتعطيل الجرائد التي تصدرها الجمعية باللغة العربية
ويطلبون منكم مراعاة للصالح العام وتهدئة للافكار ان ترفعوا كل
تحجير وكل منع من النوع المشار اليه وأن تصدروا الاوامر التي تكفل
حرية الديانة ، وحرية التعليم العربي وحرية الصحافة العربية .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس



ش : ج ٩ ، م ١٠ (عدد خاص) غرة جمادى الاولى ١٣٥٣ هـ ١٢
أوت ١٩٣٤ م ، ص ٤٣٠ .

حول مقال نشرته جريدة الطان

بصنوان : « قبل اجتماع اللجنة العليا للبحر المتوسط »

واذاعته عنها جرائد الشمال الافريقي اليومية الفرنسية

جريدة الطان الباريسية الكبرى تعمل على إثارة الشعب الجزائري وتهميخ الرأي العام بما نشرته من تهمة باطلة وأكاذيب ملفقة كنا نحسب انها ذهبت بذهاب مروجيها وإبعادهم عن إدارة حكومة الجزائر واطلاع الحكومة العليا بباريس على الحقيقة .

ترجمة ما يتعلق بالجزائر من مقال الطان : المنشور في عددها الصادر بتاريخ ٢١ فيفري ١٩٣٦ م الى العربية .

- ١ - تأثيره في الرأي العام الجزائري .
- ٢ - احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بواسطة سمو الوالي العام .
- ٣ - رسالة الاحتجاج التي أرسلتها الجمعية الى (الطان) وطلبت منها نشرها احقاقا للحق ورداً للفرية المقتراة .

(ترجمة ما يتطرق بالجزائر من مقال الطان) (١)

(عدد ٢١ فيفري ١٩٣٦ م)

عندما ألقى مسيو لوبو الوالي العام تقريره على مسامع مسيو سارو

(١) اخترنا نقل هذا المقال لبيان الجو الذي كتب فيه الرئيس عبد الحميد بركاته .

أثناء الأسبوع السالف ، عزم رئيس الحكومة فجأة على استدعاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، ذلك أنه في أيام قليلة ، تغير الطقس السياسي في الكثير من الجهات الجزائرية ، كأنما ذلك الأمر وقع بناء على أمر ورد من الخارج .

فالمهيجون الذين نعرفهم من زمن بعيد ، والذين كنا نعتقد أنهم أخلدوا لجانب الهدوء أثر الانذارات التي تلقوها من مسيو ريني أثناء سياحته بقطر الجزائر سنة ١٩٣٥ م قد عاد إليهم الإقدام ، ولعلمهم يهينون الجماعات الأهلية للقيام بنفرة رهيبة كالتالي لا تزال آثارها عالقة بأذهان سكان قسنطينة .

فالدكتور ابن جلول مؤسس ورئيس جمعية النواب المسلمين والنائب في المجلسين المالي والعمالي ونائب شيخ مدينة قسنطينة ، يتهم الادارة علناً في جريدته (الانطانظ) بأنها تريد أن تلقي بالجزائر في ميدان النيران والدماء .

ويتبعه في هذا الطريق السيدان ابن باديس والطيب العقبي ، وهما على رأس العلماء ، قد جمعا في نادي الترقى كل الذين يعملون على تحطيم النفوذ الفرنسي، باستعمال الوسائل المختلفة وبمشاركة ودقة عنصرية .

وفي كل جهة نجد دعاة ناشطين للمذهب الوهابي الجديد ، وهم أعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب أرسلان ، يرسلها اليهم من لوزان على طريق القاهرة ، وطريقة عملهم غير متوحدة كما ان مطالبهم مختلفة : حرية الوعظ في المساجد والتعليم الحر بدون مراقبة .

فهنا يقع حث الفلاحين على عدم دفع الضرائب وهم يقبلون ، وهناك تجمع الاعانات لشراء الديار التي ستكون تحت ستار المعاهد الدينية ، مراكز لتعليم وتثقيف الناشئة الاصلاحية المتعصبة ، وفي جهة أخرى يقع استثمار موت الامير خالد حفيد عبد القادر ، وقد توفي أخيرا بدمشق ، ويقومون بدعوة لاقامة الصلوات العامة عليه .

أما دعاية الأمية الثالثة (الشيوعية) فهي ليست بدعاية مبدئية ، فدعاتها لا يبشرون بالشيوعية انما يختارون أشياء يمكنهم بواسطتها الدعوة الى حزب الثورة بين عملة السكة الحديد والمراسي وبقية الشغالين ، فيدعونهم الى مقاومة الفاشيستية والى تحييد سياسة الاعمال الزجرية النهائية (التي قررتها جمعية الامم ضد ايطاليا) وبلا ريب ان العدالة قد استعملت حقها في زجر الزعماء الذين تقدموا بصفة فاضحة كالمنادي وبارتيل ، انما في غيبة هذين الزعيمين تقوم بالدعوة جمعية « الاعانة الأمية الحمراء » و« أحباب اورس س » الذين بواسطة جمعية « نجم شمال أفريقيا » يثون في الأوساط الاسلامية أفلاماً سنمائية تمجد أعمال الشيوعية ، فناحيتا قسنطينة وتبسة القريبتان لتونس والتي يمكن الجولان بسهولة للدعاة بين تونس والجزائر بواسطتها ، وتلمسان وهي مركز التعصب الديني القوي ، هي النواحي التي تحوم حولها الشكوك بكثرة ، والتي تسهر الولاية العامة على مراقبتها ، حسبما سينسطة مسيو لوبو أمام أعضاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، انتهى .



هذا هو المقال الذي نشرته الطان فأقام الجزائر وأقعدها ، وصير الأمة الجزائرية ترجع في اتهامها واساءة الظن بها الى ما كانت عليه قبل عامين بعد أن هدأت الأفكار وركدت ريح المشاغبات وذهب الله بمن كانوا سببها وسبب كل ما حل ونزل بهذه الأمة الوديعه من جهد وبلاء ، أما الاحتجاجات التي أثارها مفعول هذا المقال الذي كان وقعه جد شديد على الأمة كلها فهو كما يلي :

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أبرق رئيس جمعية العلماء الى سمو الوالي العام على القطر الجزائري « بباريس » احتجاجاً على ما نشرته جريدة (الطان) بالبرقية الآتية :

حول مقال جريدة الطان

سيدي الوالي العام :

ان ما رمت به صحيفة (الطان) الامة الجزائرية جمعا قد استاءت له جميع طبقاتها ، وهي تعلن لسموكم براءتها من تلك التهم واستيائها من كل ما يورث حكومتها سوء الظن بها ، وترجو من سموكم ان تبرئوا ساحتها من تلك التهم الباطلة .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
عبد الحميد بن باديس

رسالة جمعية العلماء الى الطان

رئيس تحرير صحيفة الطان المحترم :

ان ما نشر بصحيفتكم في شأن الامة الجزائرية وتصوير علمائها ونوابها وعامتها في صورة العداة لحكومتها الفرنسية ورميها بتهم هي منها بريئة ، قد استاء له الفكر العام الجزائري ، واعتبر تلك التهم الجارحة استخفافا منكم بكرامتها ونكرانا لمواقفها العديدة الناطقة باخلاصها لحكومتها الفرنسية .

ان نشرات كتلك تعد عند العقلاء تفتينا بين الامة الهادئة ، والحكومة العليا العادلة ، وسعيا في اثاره الظنون السيئة وايغار الصدور الصافية .

ان الامة الجزائرية قد بلغت حالتها ماديا وادبيا الى اسوأ ما يتصور .
وأنها مع ذلك كله ملازمة لجانب الهدوء التام ومعتصمة بحبل الرجاء والانتظار ، وأنها ما تزال مع ذلك تلاقي معاملات قاسية .

رئيس التحرير المحترم !

ان الانسانية تقضي بالرافة والرفقة لحالة الامة الجزائرية وان النصح

آثار ابن باديس

يقضي بمطالبة الحكومة بالاسراع الى معالجة حالتها الحاضرة بما يرضي
الامة والانسانية وتحسين سمعة حكومتنا الفرنسية في الداخل
والخارج (١) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
عبد الحميد بن باديس



(١) البصائر: س ١ ، العدد ٩ ، الجزائر يوم الجمعة ، ٥ ذي الحجة
١٣٥٤ هـ - ٢٨ فيفري ١٩٣٦ م ، ص ٥ ، ع ١ .

عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الى جناب مدير الشؤون الاهلية العام (ميو)

ما تقرر في الجلسة الأخيرة لهيئة ادارة الجمعية رفع هذه العريضة الى مدير الشؤون الاهلية العام بعد ترجمتها الى اللغة الافرنسية ، وقد ارسل الينا رئيس الجمعية بنصها العربي موقعا عليه بامضائه لتتشر في « البصائر » حسبما تقرر أيضاً ، فبادرنا بنشرها حرفياً .

(قلم التحرير)

جناب السيد المدير العام للشؤون الاهلية والتراب الجنوبي بالولاية الجزائرية العامة !

يا جناب المدير !

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - لاول ما استلتمت مقاليد الادارة الاهلية وتوسمت في شخصكم مخايل الحق والانصاف - فاوضتكم بواسطة وفدها في حقوقها التي كانت مهضومة ، وشرحت لكم النقط التي يشهد الحق انها كانت وما زالت فيها مظلومة ، وتقدمت اليكم بمطالب هي اصول لفروع وكليات لجزئيات . وقد سمع الوفد من جنابكم تصريحاً بحقية مطالبها ، ووعدا بانصافها ورفع الظلم عنها .

فعدت الجمعية ذلك التصريح منكم تسجيلاً لحقوقها ، وعدت ذلك الوعد منكم عهداً محقق الوفاء ، وعقداً محقق التنفيذ ، وأعلنت للامة المعبونة في حقها ، المحرومة من مساجدها ، المرهقة في تعلمها وتعليمها ، ان تلك القرارات الفردية الجائرة ستلغى ، وان ما مضى من

الظلم لا يعود وان اول الانصاف فتح باب المفاهمة بالحسنى ، وانتظرت الجمعية ، وانتظرت من ورائها الأمة نتيجة هذه المفاهمة واثقة بوعد جنابكم ، وخففت الاصوات التي كانت مرفوعة بالشكوى والتظلم قليلا لاسباب الجفاء ، وتمهيدا لتحقيق الوفاء ، واعتصمت الجمعية والامة بالصبر والهدوء تمكينا لجنابكم من اغتنام الفرص وتذليل الموانع التي كلنا يعتقد انها موجودة وانها كثيرة ، وان كنا نعتقد ايضا ان الحق موجود وانه اقوى منها ، وان الذي نطلبه ليس بايجاد لشيء لم يكن لنا ، وانما هو ارجاع لحق ثابت لنا واغتصب منا ، ورجوع من خطأ إلى صواب ، ومن ظلم الى انصاف ، ثم نجز بعد طول الانتظار جزء قليل من وهدكم فأنفئش الامل وقوى الرجاء ولكن الجزء الذي نجز أرب من آراب ، وباب من ابواب ، وصحيفة من كتاب ، وما زال وعدكم باتمام الباقي يتجدد ، والاسباب الداعية للاسراع بالتتجيز تقوى في نظرنا وتؤكد ، والموانع العائقة عن رجوع الحق الى أهله تتلاشى - في اعتقادنا - وتزول من غير ان تنتهي الى نتيجة ترفع الحيرة وتجلي الموقف وقد مر على هذه الحالة ما يقرب من السنتين ، وحدث من الاسباب ما اقتضى تجديد الخطاب، وطلب الفصحح الواضح من الجواب .

يا جناب المدير !

ان المجلس الاداري لجمعية العلماء المنعقد بمركزها العام بالجزائر يوم ٦ ماي ١٩٣٦ م قد قرر قيام وفوده بجولات الوعظ والارشاد الديني في العمالات الثلاث في اول جويلية القابل على العادة التي جرى عليها في السنوات الماضية . وهي عادة اصبحت من حقوق الامة على الجمعية ، تتقاضاها الأمة من الجمعية ، ويجب على الجمعية الوفاء بها للامة ، ولا تستطيع بحال ان تسقطها او تقصر فيها .

وان وفود الجمعية في السنة الماضية اضطرت الى القاء دروسها

الدينية على الامة في اماكن لا تتناسب مع حرمة الدين ، ولا مع شرف الجمعية وقدر الامة وسعة الحكومة ومبدئها - كل ذلك ومساجد الامة موجودة ، ولكنها مغلقة في وجهها ووجه علمائها •

فرأى المجلس بهذه المناسبة ان يلفت نظركم الى ان امد الانتظار قد طال ، وأن يذكركم باعترافكم الرسمي لوفده بحقية مطالبه ، ورأى نفسه مضطرا الى مصارحتكم بان الثقة التي وضعها المجلس الاداري في جنابكم ، لم تقابل بما يكافئها من النتائج في نظر الجمعية والامة معا ، وان الرأي العام قوى شعوره بان المفاهمة طال امدها ولم تأت نتيجة تحققها • فالمساجد لا تزال مغلقة في وجوه علماء الامة ، والتضييق على التعليم العربي الحر لم يزل على شدته لم يتبدل في قليل ولا كثير ، ورجال الجمعية الذين هم - في الواقع - دعاة خير ورحمة ، وحملة أمان وسلام ، ووسائل تربية وتهذيب ، لم يزالوا محفوفين بالشكوك والريب في دوائرهم الخاصة ولا تزال تنبعث من بعض الجهات الادارية ايعازات التحريض بهم ، والتخويف منهم ومحاولات تصويرهم بغير حقيقتهم •

والمجلس الاداري لجمعية العلماء لا يعرف الفرق بين جهة من الادارة وبين جهة اخرى ولا يعتقد الا ان تلك الجهات بعضها من بعضها ، ولا يفهم معنى للمفاهمة بالحسنى مع بقاء الحالة على ما وصفنا وبعد ان حكم الزمان حكمه واقام الادلة على ان باطن هذه الجمعية كظاها •

وتعلم - يا جناب المدير - اننا لا نطلب فتح المساجد لتتخذها بيوت سكنى، أو نستعملها في مصالحنا الخاصة ، أو لنحتكرها لدروسنا ، وانما نطلبها للامة لتتنفع بها في غرض ديني هو أحد المقاصد التي اسست لاجلها وهو ان تتعلم امور دينها على علمائها في مساجدها •

فهل يحسن بسمعة فرنسا ان تساس امة اسلامية وفيرة العدد بالقرارات الفردية في أخص خصائص دينها ؟ وهل يجعل بحكومة الجزائر ان تتوقف كل هذا التوقف في إلغاء قرار فردي ظهر خطأه من يوم وضعه ؟ وهل من المعقول ان يكون غير المسلمين اولى من علماء الأمة باقامة الاجتماعات في المساجد ؟ او يكون غير المسلمين احرص من علماء الاسلام على احترام المساجد ، واعرف بحقوقها وبما يجوز ان يقال فيها وما لا يجوز ؟

يا جناب المدير !

اننا نرجو ان يكون جوابكم في هذه المرة ايجابيا عمليا واضح الحدود منطقيا متناسبا مع مكاتتكم العلمية ومقامكم الاداري ومركز الجمعية التي تخاطبكم بهذا نيابة عن الأمة .

فهل لكم - يا جناب المدير ! - ان تحققوا ثقة الجمعية بكم لدى الأمة ، وتؤكدوا احترامها لوعودكم ؟

وتقبل - يا جناب المدير ! - فائق احترامنا لشخصكم وتقديرنا لمساعيكم^(١) .

عن المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(١) البصائر : السنة ١ العدد ٢١ الجزائر في يوم الجمعة ٨ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ٢٩ ماي ١٩٣٦ م ص ١ ع ١ من ص ٢

الاحتجاجات

على المعاملة السيئة التي عومل بها الحجاج في هذه السنة

(عومل الحجاج كما اسلفنا في هذه السنة معاملة لم يسبق لها نظير ولذلك ارتفعت الاصوات بالاحتجاج على هذه المعاملة السيئة من كل جهة • والى القارىء الكريم نص ما أمكننا الحصول عليه من هذه الاحتجاجات الكثيرة الصارخة التي نشرت جلها جريدة « ليكود الجي » (١) •

برقية الاستاذ عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عناية ٢٨ جانفي ١٩٣٧ م

الى السيد الوالي العام - باريس :

اتشرف باعلامكم ان عددا كبيرا من حجاج عمالة قسنطينة بقي معطلا بمدينة عنابة حيث ان الباخرة (مندوزة) لا تستطيع ان تحمل الجميع • اسائل فيكم عاطفة العدالة ان تأذنوا بسفر باخرة ثانية لحمل بقية الحجاج الذين تحصلوا على تذاكر السفر ، وبذلك يمكنكم ان تخففوا وطأة التأثير المؤلم العميق الذي ساد في الطبقات الإسلامية وتقبلوا انعطافنا •

عبد الحميد بن باديس رئيس العلماء

(١) ليس من كلام الشيخ الامام •

البصائر : السنة الثانية عدد ٥٤ الجمعة ٢٤ ذو القعدة ١٣٥٥ هـ -

٥ فيفري ١٩٣٧ م ، ص ٣ ع ٢ •

شكر ووداع

أودّع الأمة التونسية الكريمة شاكرًا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوي الذي فاق كل تقدير . وأن الذي يسرني - حقا - من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدأ الذي دعوت إليه في خطبي وهو الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي كله والإعلان بوحدة أقطاره الأربع - طرابلس وتونس والجزائر ومراكش - في الحاضر والمستقبل مثلما هي ثابتة في الماضي . وفضل الود والاکرام ما كان للمبادئ الخالدة وجاءت فيه الأشخاص الفاتية على التبع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

عبد الحميد بن باديس

وارسلت الى (البتي ماتان) :

سيدي مدير (البتي ماتان) المحترم

تحية وتقدير ،

سيدي - أنا كمسلم أدين بالاخوة الانسانية واحترامها في جميع اجناسها واديانها ، واسعى للتقريب بين جميع عناصرها ، واجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك وهو العدل والتناصف والاحترام . فكل ما تفضلتم به في جريدتكم من ذكري فهو موجه الى هذا المبدأ

(١) ش : ج ٥ ، ص ١٣٢ ، ص ٢٤٨

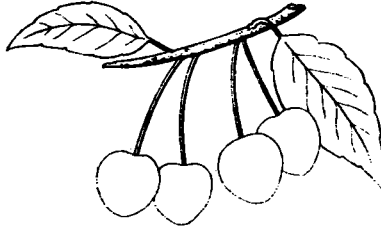
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ - ١٠ جويلية ١٩٣٧ م .

شكر ووداع

الإسلامي الانساني الذي تساهم فيه جريدتكم بنصيب وافر . فشكراً
لكم - سيدي - بلسان هذا المبدأ السامي وأهله ، ثم بلسان شخصي
الضعيف الفاني .

لكم احترامات معظكم^(١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ٥ ، م ١٣ ، ص ٢٣٨ .
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ - ١٠ جويلية ١٩٣٧ م .

الشقيقة الجزائرية

تهنيء شقيقتها تونس بعودة الزعيم

وردت علينا من العاصمة الجزائرية البرقية التالية من فضيلة العلامة
الجيليل الشيخ عبد الحميد بن باديس باسم جمعية العلماء الجزائريين
يهنيء بها الزعيم الجليل والأمة التونسية بعودة زعيمها إليها وهذا
فحواها .

عاصمة الجزائر :

ان جمعية العلماء الجزائريين تحيي بكل فرح وسرور عودتكم من
منفاكم وتساهم بقسط وافر في فرح وسرور اخوانها التونسيين
المحتفلين بالزعيم المحبوب المحترم الذي ضرب المثل الأعلى في الاخلاص
والتضحية^(١) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس

نادي الترقى بعاصمة الجزائر

(١) ش : ج ٥ ، ١٣ م ، ص ٢٧٠

غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ - ١٠ جويلية ١٩٣٧ م .

في الاجتماع الاداري الأخير

برقية تهنئة برجوع الزعيم الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبي
الى تونس •

برقية احتجاج على تعطيل القراءة بجامعة الزيتونة واهمال النظر في
مطالب تلامذته حتى اليوم •

برقية احتجاج على تعطيل حكومة « مراكش » الاحتفال بالمولد
النبي بها •

لائحة استتكار لعرقلة التعليم وتعطيل سيره •

ما تقرر بمجلس ادارة « جمعية العلماء المسلمين » في اجتماعه
الاخير المنعقد في الايام ١٢ و ١٣ و ١٤ جويليت ونفذ بالفعل ارسال
هذه البرقيات الثلاث ، والى القراء هي بنصها العربي المبين •

الشيخ عبد العزيز الثعالبي

بادارة جريدة « الزهرة » بتونس :

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحييكم بسرور بمناسبة
رجوعكم من المنفى وتشارك مشاركة تامة الاخوان التونسيين في
ابتهاجهم بعودة الزعيم المحبوب المحترم الذي أصبح مثال الاخلاص
والتضحية •

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس في نادي الترقى

وزير الخارجية بباريس والمقيم العام بتونس

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متألمة جد الألم لما حدث بكلية الزيتونة وترغب منكم أن تبادروا بفعل اللازم لتنتهي الحالة الاسيفة التي اقلقت جميع المسلمين عموما ومسلمي شمال افريقيا خصوصا وفي أملها أن تتخذ عرما كل الوسائل لارضاء التلاميذ والتعجيل بفتح الدروس من جديد .

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس في نادي الترقى

وزير الخارجية بباريس والمقيم العام بالرباط

ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحتج بكل شدة وبالنيابة عن كافة المسلمين ضد منع الاحتفالات التي نوى اقامتها مسلمو مراكش بمناسبة موسم المولد النبوي الشريف وتعتبر هذا المنع اعتداء فادحا على الحرية الدينية وعلى شرف مسلمي المغرب الاقصى والعالم باسره وتعلمكم بان تكرر حادث من هذا القبيل يقضي على عواطف المسلمين بلا استثناء نحو دولة فرنسا .

عبد الحميد بن باديس - في نادي الترقى

ومما تقرر ايضا تقديم لائحة الى سمو الوالي العام تستنكر بها الجمعية عرقلة التعليم العربي وتوقيف سيره حتى في المكاتب القرآنية وهي كما يلي :

الجزائر يوم ١٢ جولييت سنة ١٩٣٧ م

الى جناب الوالي العام على القطر الجزائري

سيد الوالي العام !

اتشرف بتقديمي لكم اللائحة الآتية المصادق عليها بالاجماع من المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

الاجتماع الاداري الاخير

ان المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين متألم ومتأسف جد الأسف للمظالم والاعتداءات المتكررة على رؤساء وأعضاء جمعيات التهذيب والتعليم العربي •

وبما ان جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تُلغى بغير سبب أو لا يجاب أصحابها •

وحيث ان طالبي الرخص لما يشاهدون هذا الحيف وهذا الجفاء ويرون في ذلك ما يعاكس رغبتهم في تعليم ابنائهم ويضيق ما بذلوه من الجهود في هذا السبيل - يفتحون المكاتب ممثلين تمام الامتثال لقانون ١٨ اكتوبر سنة ١٨٩٢ م ومحسنين الظن بالحكومة عسى ان تقدر كما ينبغي رغبتهم في تعليم الاولاد وتعتبر ما ضحوا به لهذا الغرض الشريف •

وحيث ان الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية وبهذه الطريقة المعقولة يحاكمون كلهم ويساقون امام المجالس العدلية كأنهم جناة •

وحيث ان هذا العمل المقوت تكرر في عدد كثير من المدن والقرى بالعمالات الثلاث كوهران والأغواط وشرشال وبجاية وعدة بليدات بناحية قالمة واوراس •

وحيث ان المسلمين يتعسر عليهم فهم ما يقصد من هذه المعاملات القاسية الشاذة التي تعرقل سير التعليم وتثبط مساعي الرجال الذين ينهضون لعلاج الحالة السيئة الناشئة عن قلة عدد المكاتب الرسمية ويتعذر عليهم تصور الاسباب التي تقاوم بها الحكومة رغبتهم الشديدة في نشر التعليم عوض أن تشجع هذه الرغبة وتعينهم على تنفيذها •

لهذه الاسباب والموجبات يلتمس المجلس الاداري من السيدالوالي العام ويطلب منه بكل الحاح ان يرسل حينا الى الحكام المحليين الأوامر

آثار ابن باديس

والتعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل والانصاف وليكفوا عن محاكمة الذين فتحوا بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين المتعلقة بالموضوع .
وتقبلوا سيدي الوالي فائق احتراممي .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس



البصائر : السنة الثانية العدد ٧٦ الجمعة ١٤ جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ
- ٢٣ جوليت ١٩٣٧ م ، ص ١ و ٢ ع ١ .

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

على تقسيم فلسطين

وزير الخارجية الفرنسية :

باسم الأمة الاسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمنت له المهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، واعتبر هذا المشروع ضدية قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عديدة دفاع الابطال عن شرفه وحريته ، واعتداء شنيعا على جميع الشعوب العربية الاسلامية، وانتهاكا لحرمة الاماكن المقدسة عند سائر المسلمين ، ولي الأمل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم .

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر : السنة الثانية العدد ٧٩ الجمعة ١٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ
٢٠ اوت ١٩٣٧ م ص ٦ ع ٢ و ٣ .

احتجاج جمعية العلماء

على انتهاك حرمة الدين بفرداية

نحن باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحتج بكل قوة ضد الاعتداء الفظيع والامتهان الجارح لكرامة الدين الاسلامي وحرمة القرآن العظيم في شخص اخواننا بني ميزاب باعتقال سيدين منهم في السجن وهما الاستاذ صالح با بكر رئيس جمعية الاصلاح ومدير مدرستها بفرداية .

والسيد بغياعة أحمد بن حم نائب الرئيس والعضو العامل بجماعة الضمان .

وبتغريم ستة من أعضاء جماعة الضمان في وقت أدائهم لواجب ديني محض من قراءة القرآن الكريم وتوزيع الصدقات وتضرع الى الله أن يغيث خلقه بوابل رحمته وأن يزيح عنهم كابوس القحط النازل على البلاد .

كما نحتج بكل قوانا ضد القرار الذي وضعته ادارة غرداية في ١٧ ماي ١٩٣٧ م وصادقت عليه الولاية العامة في ١١ جوان ١٩٣٧ م ذلك القرار الموجه ضد حرمة الدين المقدس القاضي بمنع أي اجتماع ما عدا موكب الجنائز . ونرجو باسم عدالة فرانسوا وانصافها أن تلغي هذه القوانين الاستثنائية الجارحة التي تنافي سائر تعهداتها والتزاماتها لرعاياها المسلمين ، وتمس كرامة الاسلام في الصميم .

عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة الثانية العدد ٨ ، الجمعة ٢٦ جمادى الثانية
١٣٥٦ هـ - ٣ سبتمبر ١٩٣٧ م ، ص ٥ ، ع ٣ ، ص ٦ ، ع ١ .

احتجاج رئيس جمعية العلماء على حادث مسجد قنرات

قسنطينة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ م

سيدي الوالي العام .

سيدي عامل عمالة قسنطينة .

أتشرف بتقديسي لكم احتجاجي الصارم على ما ارتكبه بعض الجندرية وأعوان الحكومة من انتهاك حرمة مسجد قنرات^(١) ، وهاكم تفاصيل الحادث كما وقع بغير زيادة ولا نقصان .

يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر بينما كان أحد الشبان المثقفين ، الشيخ الفضيل الورتلاني يفسر آية من آيات كتاب الله أمام جم غفير من مسلمي القرية المذكورة اذ دخل عليهم في المسجد أعوان السلطة بدون استئذان ولا مراعاة لما توجهه قواعد النظام على من يريد دخول المعابد على اختلاف أنواعها ، كفاكم أنهم لم يتنازلوا حتى لخلع نعالمهم . ولما أبدى لهم امام المسجد ملاحظة لطيفة على هذا الصنيع المزري أجابوه بأن لهم أن يفعلوا ما شاءوا فعله وأسمعوه من بذيء القول ما جرح عواطفه ومس شرفه .

في أمني أن مجرد اخباركم بهذا الاعتداء على الآداب العامة يكفي لاستصدار ما يلزم من أوامركم العادلة بزجر مقترفي هذا العمل الشنيع لكيلا تتكرر أمثاله .

وتقبلوا سيدي فائق احترامي^(٢) .

رئيس جمعية العلماء المسلمين

عبد الحميد بن باديس

(١) بلدة بين مدينة سطيف غربا وبين برج بوعبي يريخ شمال شرقها.

(٢) البصائر : السنة ٢ العدد ٨٥ الجمعة ١ رمضان ١٣٥٦ هـ -

٥ نوفمبر ١٩٣٧ م ص ٧ ، ١ ع .

برقية تهنئة ورجاء

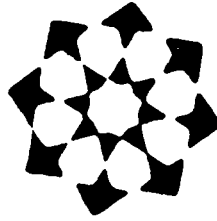
الى ابي الدستور الاستاذ عبد العزيز الثعالبي

قسنطينة ١٨ رمضان ١٣٥٦ هـ الموافق لـ ٢١ نوفمبر ١٩٣٧ م

الاستاذ عبد العزيز الثعالبي : تونس

أهنئكم بفتح النادي العظيم ، راجياً أن يكون به فتح جديد لتونس
العزيزة وافريقيا الشمالية ، دتم للاسلام والعروبة والعلم والفضيلة^(١) .

عبد الحميد بن باديس مدير مجلة « الشهاب »



(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٤٢٧
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

برقية شكر وتهنئة

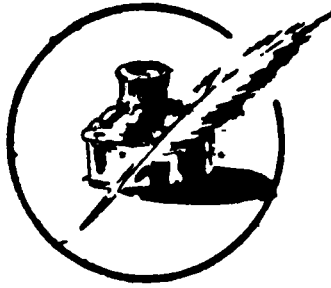
الى الدكتور الماطري رئيس الحزب الدستوري التونسي

تونس

الدكتور الماطري

بلسان افريقيا الشمالية والجزائر أشكركم وأشكر الحزب الدستوري
وأشكر تونس على عطفكم الاخوي الصادق ، وأهنئكم بفوزكم باعلان
تضامن افريقيا الشمالية بالفعل لأول مرة (١) .

عبد الحميد بن باديس رئيس مجلة « الشهاب »



(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٤٢٦
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

عيد الفطر المبارك

تهنئة به الى الامة الجزائرية الكريمة

كنا قبل اليوم نهنئ الامة الجزائرية بمثل هذا العيد ، وليس لها من مظاهر السعادة ما تهنأ به الا ما نرجوه لها ونأمل .

أما اليوم فاننا نهنئها وهي في طور جديد من أطوار حياتها هو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهناك فهنئها ، ومن أبناءها من هو سجين في سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين في سبيل السياسة والحقوق المعصوبة .

أمة أخذت تقدم الضحايا في سبيل سعادتها ، حقيقة بأن تنال السعادة ، وبأن تهنأ بها ، فتهانينا اليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا - على الخصوص - الى أولئك الأبطال الأماجد السيد الحاج مصالي ورفاقه والشيخ عمر دردور .

حياهم الله وعجل بسراحهم ، وجعل فيهم القدوة الحسنة في الصبر والتضحية .

وتهانينا الى العالم الاسلامي والعربي الناهض للسعادة والكمال^(١) .

عبد الحميد بن باديس

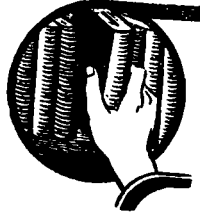
(١) ش : ج ٩ ، م ١٣ ، ص ٤٣٠ .
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م .

شكر على تعزية

عبد الحميد بن باديس

يشكر ويجزي بالخير كل السادة الذين عزوه في فقد أخيه سليم
رحمه الله والمسلمين أجمعين ، حافظاً لهم عواطفهم الجميلة ، راجياً من
الله لهم حسن المثوبة والجزاء • ويرجو من كرمهم أن يعتبروا هذا الكتاب
خاصاً بكل واحد منهم إذ قد حالت الاشغال دون امكان ذلك التخصيص •

والسلام عليكم ورحمة الله (١) •



(١) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ٤٦٧ •
غرة رمضان ١٣٥٦ هـ - نوفمبر ١٩٣٧ م •

برقية جمعية العلماء

الى المؤتمر البرلماني من اجل فلسطين

أبرقت جمعية العلماء الى المؤتمر البرلماني ببرقية هي خلاصة ما يلي :

مكتب علوبة باشا القاهرة - مصر

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - باسم المسلمين الجزائريين -
تحيي في شخصكم مؤتمركم العظيم ، وتضم صوتها الى صوتكم ،
وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل
قضية فلسطين التي هي قضية الحق والانسانية والسلم العام .

الرئيس : عبد الحميد بن باديس



البصائر : السنة الثالثة ، عدد ١٣٥ قسنطينة : يوم الجمعة ٢٠
شعبان ١٣٥٧ هـ الموافق لـ ١٤ اكتوبر ١٩٣٨ م الصفحة ٧ في آخر
العمود الاول .

آثار ابن باديس

قسم الاجتماعيات

سيهزم الجمع ويولون الدبر

حياءك الله وأيدك يا سيف السنة وعلم الموحدين ، وجزاك الله أحسن
الجزاء عن نفسك وعن دينك وعن اخوانك السلفيين المصلحين ، ها نحن
كلنا معك في موقفك صفاً واحداً ندعو دعوتك ونباهل مباهلتك ،
ونؤازرك الله ، وبالله . فليتقدم الينا الحلوليون وشيخهم ومن لف لفهم
وكرر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعين لهم ، وليبادروا باعلان
ذلك في جريدتهم إن كانوا صادقين ، فان لم يفعلوا - وأحسب أن لن
يفعلوا - فقد حقت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين والحمد لله
رب العالمين (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) الشهاب عدد ٩٧ - ١٧ ذي القعدة ١٣٤٥ هـ - ٢٠ ماي ١٩٢٧ م

كتب الشيخ عبد الحميد هذه الكلمة يشكر الشيخ الطيب العقبي على
المقال الذي كتبه بنفس العدد من الشهاب يرد فيه على طائفة العلوية ؛
الطرقية (الصوفية) يدعوها للمباهلة التي قد بدأت هي بالدعوة اليها
وبالقول بان السلفيين لا يستجيبون لها .

الرجل المسلم الجزائري

القيت محاضرة في هذا الموضوع بنادي الترقى بالعاصمة في شهر ربيع الأول . وفيما يلي أكتبها على ما بقي في ذهني ، كنت أقيتها ارتجالا وإذا شد عني شيء فلا يكون الا قليلا .

سبب اختياري للموضوع :

كنت - وأنا قادم للعاصمة من مصيف « حصن الماء » - أحوم على موضوع أختاره للمحاضرة التي اقترحها علي أعضاء النادي المحترمون . فوقع فكري على المرأة وحالتها وواجباتها وحقوقها . وبينما أنا أفكر فيها وأجمع أطراف الحديث في شأنها إذا أنا برجل مسلم جزائري بفرنوسه يقنوره وقف أمامي - لم يقف أمام حسي ولكن وقف أمام خيالي - وأخذ ذلك الرجل يخاطبني بشدة وعنجهية ويقول :

« أتم تفكرون في تعليم المرأة فلمن تعلمونها ؟ لي أنا الرجل الجاهل ليقن لها ما يقع للعالم الضعيف المغلوب من الجاهل القوي الغالب . ومن يعلمها ؟ أنا الجاهل ! كيف أترك نفسي وأعلمها ؟

أتم تفكرون في نزع حجابها وخلطها بالمجتمعات ! ألا تخافون عليها غيرتي ؟ فلاقاتلن عليها ! ألا تخافون اغارتي ؟ فلاضايقنهن ولترين مني كل أنواع التعدي والأذى .

إذا أردتم التفكير الصحيح والاصلاح المنتج ففكروا في قبلها ، فانا أبوها ، وزوجها ، ووليها ومصدر خيرها وشرها .

وإذا أردتم اصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل

أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو الذي آخرها •
وأما حجاب الستر فانه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات بغداد
وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عالياً في العلم وهن متحجبات • فليت
شعري ما الذي يدعوكم اليوم الى الكلام في كشف الوجوه قبل
كل شيء!...» •

فأمام هذا الرجل الخيالي المرعب وحُججه الدامغة ما وسعني الا
العدول عن التفكير في المرأة الى التفكير في الرجل فاخترت موضوع
المقالة : « الرجل المسلم الجزائري » •

المراد من الموضوع :

هذا موضوع مجمل ، فالرجل المسلم الجزائري موضوع بحوث
طويلة من نواح عديدة لكنني أتكلم عليه من نواح ثلاث : رجولته ،
اسلاميته ، جزائريته •

الرجل :

خلق الرجل قويا ، متهيئا بما منح من القوة للقيام بما يقتضيه من
عظائم الامور وجلائل الأعمال ، للانسانية التي هو فرد منها ، للوطن
الذي هو من نباته ، ولبلد الذي هو من سكانه ، للبيت الذي هو رئيسه •
هو رئيس البيت ، و « الرَّجَالُ قَوْمٌ آمَنُوا عَلَى النِّسَاءِ »
فعليه واجب الرعاية : بالسعي والتكسب ، بالتهذيب والتعليم ، للزوجة،
للأبناء ، للبنات ، « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوِّدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ، وله حق الولاية
« وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » درجة الولاية بالنظر والتدبير ،
والتنظيم والتسيير ، فهو السيد في بيته ليكون سيِّداً في قومه • والسيادة
الحقيقية انما هي بالنفع والعمل المنتج • فسيِّد البيت هو الأكثر عملاً

الرجل المسلم الجزائري

- والأجلب نفعاً له ، وسيد الوطن هو الأعمل والأنتفع في سبيله .
- فالسيادة حظ العاملين على درجاتهم في الاعمال .

المسلم :

هو المتدين بالاسلام . والاسلام عقائد وأعمال وأخلاق بها السعادة في الدارين . أما تحصيلها لسعادة الأخرى فما بها على أحد من خفاء .
وأما تحصيلها لسعادة الدنيا فقد صار في هذه العصور المتأخرة عند كثير من الناس مما يخفى ، مع أن دعوته الى تحصيل السعادة والسيادة في الدنيا في آيات القرآن العظيم كثيرة جداً .

فدعا الى العلم بمثل قوله تعالى « وَقَتْلُ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »
وللفلاحة بمثل قوله تعالى : « هُوَ أَتَشَاكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » وإلى الصناعة واتقانها بمثل قوله تعالى :
« أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ » وإلى التجارة بمثل
قوله تعالى : « فَإِذَا مَقُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ » ، كما سمي العبادة ابتغاء من فضل الله
فقال تعالى : « وَلَا آمِنُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنْ
رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا » .

وهو الى هذا دين السلامة و « المسلم من سلم الناس من لسانه
ويده » ودين المحبة « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه »
ودين الترقى بالعلم « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ودين السيادة بالعدل ، والسعادة بالاحسان
« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

الجزائري :

إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ، ومصالح

آثار ابن باديس

الحاضر ، وآمال المستقبل • فالذين يعمرّون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون •

والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ، والقيام بواجباته ، من نهضة علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه ، وسعة بنيه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه •

طريق العلم بهذا والعمل به :

هذه الحقائق التي ذكرناها ، بها يكون الرجل رجلا ، والمسلم مسلما ، والجزائري جزائريا ، فتهذيب الرجل وتعليمه لا يكون الا بالعلم والعمل بها • وما ذلك الا ببثها : بالمحاضرات في النوادي ، بالدروس العامة في المساجد ، بالخطاب الجمعية على المنابر •

وإذا كانت هذه طريقنا للتعليم العام فعلينا ان نجعلها في أول ما نهتم به من شؤون اصلاحنا اذ لو كانت هي كما يجب ان تكون وقامت بواجبها كما يجب ان تقوم لكنا على حال غير ما نحن عليه اليوم •

وفي كثير من الرجال المتصلين بها لنا اعظم الآمال •

شقيقة الرجل وشريكته :

إن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة •

هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحدة البشرية الا بكاملهما • وما الوحدة البشرية في ضرورة الزوجين لتكوينها إلا كسائر المخلوقات الساري عليهما قانون الزوجية العام • ويبتدىء ذلك في أصغر جزء وأول مادة للتكوين ، وهو الجوهر الفرد في اللسان العلمي القديم ، والكهرب في اللسان العلمي الحديث ، فانه مركب من قوتين زوجين

الرجل المسلم الجزائري

موجبة وسالبة . مصداق قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ، ويعم هذا القانون جميع المخلوقات ومنها الانسان ، كما قال تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا » .

هذا دليل الخلقة على ما بين الرجل والمرأة من لحة اتصال ، وما لكل واحد منهما على الآخر من توقف لبلوغ الكمال .

أما أدلة ذلك من الشرع فأيات عدة . منها قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا » « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .

هو الأول ، وهي الثانية :

هما - على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والاتصال - فانه هو المقدم عليها ، والقيوم على شأنها ، والمسؤول عن انهاضها .
تشهد بهذا الفطرة الظاهرة في ضعف خلقها ، والتاريخ البشري بما فيه من مدنيات قديمة وحديثة كلها قامت على كواهل الرجال .
ويشهد به الدين في قوله تعالى : « الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » .

المرأة المسلمة الجزائرية :

نرى حقا علينا بعد ما تكلمنا على الرجل المسلم الجزائري ان نتكلم شيئاً عن المرأة المسلمة الجزائرية من نواحيها الثلاث أيضا .

المرأة :

خلقت لحفظ النسل ، وتربية الانسان في اضعف اطواره
« وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » فهي ربة البيت وراعيته
والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به . فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج
اليه للقيام بوظيفتها ، ونربها على الأخلاق النسوية التي تكون بها
المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة . فالتى تلد لنا رجلا يطير خير
من التي تطير بنفسها .

المسلمة :

« لَهْنٌ مِثْلُ الذِّبْيِ عَلَيْنِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ » فعلينا أن
نعلمها ما تكون به مسلمة ، ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها
ونفقّهما في مثل قوله تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فِرْجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

الجزائرية :

بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا ان نعرفها حقائق ذلك لتلد اولادا
منا ولنا ، يحفظون امانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ، ولا ينكرون
أصلهم وان أنكرهم العالم بأسره ، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم
الناس اجمعون .

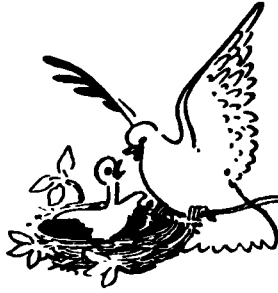
الطريق الموصل الى هذا :

هو التعليم : تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهم ودينهن وقوميتهن .

الرجل المسلم الجزائري

فالجاهلية التي تلد أبناءاً للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا - عليهن الرحمة -
خير من العالمة التي تلد للجزائر ابناء لا يعرفونها ، تعليم كل واحد
لأهله بما عنده من علم .

ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة ، والطريق السابق في
تعليم الرجل سلوكا جديا نكون - بإذن الله - قد نهضنا بهما نهضة
صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال (١) .



(١) ش: ج ١٠، ص ٥٥، ص ٩ - ١٤
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ - نوفمبر ١٩٢٩ م .

لا فضل بالمال

من كان ذا فضل فيه

الفضل هو الزيادة ، والفاضل هو الذي زاد على غيره ، والمفضول هو الذي زاد عليه سواء ، والتفضيل هو الزيادة لغيرك أو اعتقادك الزيادة فيه .

والله تعالى قد فضل بين عباده - بحكمته - في العطاء : في الجسم ، في العلم ، في العمل ، في المال ، فزاد بعضهم على بعض في ذلك ، وفضل بينهم - بعدله - في القدر والمنزلة دنيا وأخرى كذلك .

ومما يكون فيه التفضيل من أنواع العطاء ما جعله الله سبباً للتفضيل في القدر والمنزلة ، ومنه ما لم يجعله سبباً .

فالفضل في الجسم والفضل في العلم سببان في فضل القدر والمنزلة وبهما فضل طالوت على بني اسرائيل واختير عليهم ملكاً .
قاله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ » . وليس المراد هنا من الجسم كبره وضخامته بل المراد صحته وقوته بقوة فؤاده ، فان ضخامة الجسم مع السقم أو ضعف القلب بلاء على صاحبها .

وفضل القدر والمنزلة المتسبب عن فضل الجسم والعلم هو فضل يستحق به التقديم في هذه الدنيا ، وأما نيل الفضل بهما في منازل الأخرى فمتوقف على العمل بهما .

والرجل فضل على المرأة في قوة العقل وقوة البدن وكانت قوتاه هاتان سبين في فضله في القدر والمنزلة والتقديم عليها في هذه الدنيا قال تعالى : « الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » وظاهر التسبب هنا من حرف الباء .

وأما الفضل في العمل فانه سبب في فضل القدر والمنزلة دنيا واخرى قال تعالى : « فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » وتعليق الحكم هو التفضيل بالمشقة ؛ وهو المجاهدين مؤذن بعلية ما منه الاشتقاق وهو الجهاد فيستفاد من سببته في الفضل والتقديم في القدر والمنزلة .

وأما المال فلم يكن - أبداً - سبباً في فضل القدر والمنزلة ولذا قال تعالى : « وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ » فجعل التفضيل فيه فيزيد فيه حظ بعض الناس على بعض ولم يقل « بالرزق » لأن الرزق ليس سبباً لتفاضل الناس في الاقدار والمنازل لا دنيا ولا أخرى لأن منازل الآخرة يتفاضلون فيها بما قدموا من صالح الأعمال ومنازل الدنيا يتفاضلون فيها - على الحق والعدل - بالكفاءات والأخلاق والأعمال .

وقدر الله تعالى على بني اسرائيل لما قالوا في طالوت « وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَكَمْ يَأْتِي سَعَةَ مِنَ الْمَالِ » منكرين استحقاقه للملك بأنه ليس من بيت الملك ولا بذي مال لاعتقادهم أن الفضل بمنزلة الملك انما يتسبب عن النسب والمال . رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى : « وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ » ليبين لهم ان منازل الفضل في هذه الدنيا بالكفاءات الشخصية لا بما هو خارج عنها من النسب والمال .

آثار ابن باديس

فالفضل في منازل الدنيا والآخرة انما هو بما هو منك ، من جسمك
وأخلاقك وعلمك وعملك لا بما هو باين عنك ومباين لك من هذا
الحطام .

حتى اذا حصلته من حله ، وأنفقته في محله ، كان لك الفضل العظيم
بما كان لك فيه من أعمال .



(١) ش : ج ١١ ، م ٥٥ ، ص ٤ - ٦
غرة رجب ١٣٤٨ هـ - ديسمبر ١٩٢٩ م .

ذكرى المولد النبوي الشريف

على صاحبه وآله الصلاة والسلام

في هذا الشهر الكريم يهتز العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها فرحاً وسروراً وتتعدد احتفالاته وتتوعد ولائمه طرباً وحبوراً. ذلك لاجاء ذكرى مولد النبي الأعظم والرسول الأكرم سيدنا ومولانا محمد عليه وآله الصلاة والسلام .

فالشهاب يقدم لهذا العالم العظيم ولقرائه الكرام تهنئة الأخ الصادق والخادم المخلص ، سائلاً من الله تعالى أن يعيد عليهم أمثال هذه الذكرى الطيبة بالخيرات والبركات ، وأن يفقهم فيما فيها من الآيات البينات والعبر والعظات ، حتى تستير عقولنا وتزكو نفوسنا وتستقيم أعمالنا كما امتلات بمحبة نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - قلوبنا^(١).

(١) ش : ج ٧ ، م ٦ ، ص ٣٩٨
غرة ربيع الاول ١٣٤٩ هـ - اوت ١٩٣٠ م .

كتاب : ((امرأتنا))

للشيخ الطاهر الحداد

كان صاحب هذا الكتاب حدثنا عنه أيام اقامتنا بتونس بالصيف الماضية ففهمنا من حديثه أنه يتكلم فيه عن النهوض بالمرأة نهوضاً صحيحاً وتعليمها تعليماً مفيداً في حدود اسلامها التي هي بنظر كل عاقل منصف حدود الانسانية الكاملة . وما توقعنا منه انه يكون ممن يدعون الى الذهاب بها في تيار المدينة الغربية الى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها . فاذا بنا لما أهدى الينا كتابه وطالعناه وجدنا ما هو أدهى من ذلك وأمر ، وجدناه يدعو الى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحة القطعية الاجماعية ، وتعطيل آيات عديدة من آياته يدعوى انها غير لائقة بالنساء في هذا العصر . وهذا هو الجحود نفسه لبعض القرآن ، وجحود بعضه كجحود كله في مفارقة الاسلام .

أفيجهل هذا الأصل الشيخ الحداد أم رضي لنفسه بانطباقه عليه ؟؟ نحن لا نخشى على المسلمين من دعوته شيئاً لأنه من المعلوم الضروري عندهم أن جحود شيء من القرآن كفر به ، وإنما نخشى عليه هو أن يستمر على عقيدته فيكون من الهالكين .

وربما عدنا الى الكتاب في فرصة اخرى (١) .

(١) ش : ج ١١ م ٦ غرة رجب ١٣٤٩ هـ ديسمبر ١٩٣٠ م
ص ٧١٤ و ٣ سطور من ص ٧١٥ .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الى السادة الاعضاء العاملين والاعضاء المؤيدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فبناء على انتهاء السنة الأولى للجمعية ، وبناء على الفصل التاسع بالقسم الخامس من قانون الجمعية الاساسي الذي يقول : « ينعقد الاجتماع العام لسائر الأعضاء العاملين مرة في السنة وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائر باستدعاء من الرئيس » ويقول أيضاً : « وبعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية في أثناء الاجتماع العمومي العادي في برنامج الجمعية وتعرض عليهم أعمال الجمعية وما قرره في السنة السابقة - تنعقد جلسة ثانية يحضرها الأعضاء العاملون والأعضاء المؤيدون ويعلم هؤلاء الآخرون بحالة الجمعية الأدبية والمالية ثم يباشر الأعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الادارية ولجنة العمل الدائمة » بناء على ما تقدم فان رئيس الجمعية يدعو جميع الاعضاء العاملين والمؤيدين للحضور بمركز الجمعية الاجتماعي بناادي الترقى الكائن ببطحاء الحكومة عدد ٩ بمدينة الجزائر الساعة التاسعة من صبيحة يوم الاثنين السابع عشر من محرم عام ١٣٥١ - الموافق للثالث والعشرين من ميس سنة ١٩٣٣ م .

ان الجمعية لتبدي شدة رغبتها لأعضائها العاملين والمؤيدين أن يلبوا دعوتها ويكونوا حاضرين في الوقت المذكور .

وانها لترجو ممن يكون لهم عذر في التخلف أن يكتبوا باعذارهم الى رئيس لجنة العمل الدائمة السيد عمر اسماعيل بناهي الترقى حيث

يكون عنده قبل تاريخ الاجتماع لتتلى الاعتذارات على المجتمعين •
وبحضور من حضر واعتذار من يمتذر تعرف الجمعية المعتين بها
والمخلصين لها وتظهر بمظهرها اللائق بها من الشعب الجزائري
الكريم (١) •

عبد الحميد بن باديس

رئيس الجمعية :

الامين العمودي

الكاتب العام :



(١) ش : ج ٥ ، م ٤٨ ص ٢٩٦ - ٢٩٧
غرة محرم ١٣٥١ هـ - ماي ١٩٣٢ هـ

على ذكرى المولد النبوي الشريف

التجدد في كل مولد

ما كانت هذه الدار الدنيا دار بقاء وانما هي دار فناء • وما بقيت عناصرها المادية في الوجود الا بما أجراه الله عليها من سنة التجديد في الخلق ليقوم الجديد مقام ما أتى عليه الفناء •

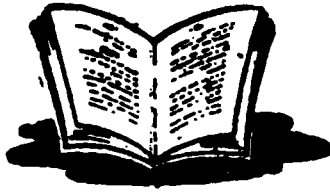
وهذا الانسان المثال المصغر من العالم الأكبر قال فيه العلماء : انه في كل سبع سنوات تفتى جميع أجزائه المادية وتخلفها أجزاء اخرى • فلذاته على رأس السنوات السبع اللاحقة ، غير ذاته على رأس السنوات السبع السابقة ، وهكذا حتى يستكمل ما قدر له من البقاء في الدنيا • وتاريخ البشرية من أقدم عصورها يدل على انها لم تفارقها هذه السنة : سنة التجديد اثر الفناء •

وقد كان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، هم أساس كل تجديد في تاريخ البشرية كل في الأمة التي أرسل اليها • حتى اذا كان الفساد العام في شؤون الدنيا بطواغيت الملك ، وفي شؤون الدين بطواغيت الكهنوتية ، وفنيت معالم الحضارة بمثل الحروب الرومانية الفارسية واندثرت حقائق الدين وشوهت بالمجادلات المذهبية ، والرسوم والأوضاع البدعية - حتى اذا كان هذا الفساد والفناء العامان ارسل الله تعالى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رحمة للعالمين بالتجديد العام • فيوم ولادته - صلى الله عليه وآله وسلم - هو يوم ولد في العالم ولادة جديدة •

فلنجعل يوم ولادته من كل عام يوماً نعزم فيه على تجديدنا
تجديداً روحياً وعقلياً وأخلاقياً وعملياً وتاريخياً تجديدنا اسلامياً
محمدياً في جميع ذلك . لنولد في عامنا الجديد ولادة جديدة وهكذا
نجدد وتتجدد في كل ذكرى مولد .

علينا أن نتفقد عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا ونعزم فيما اندثر منها
على التجديد ولنغين بعضها ولنجعله على الخصوص محل العناية الكبرى
بالتجديد منا حتى نحاسب أنفسنا عليه في الذكرى الآتية .

أما كاتب هذه السطور فقد عزم على تجديد ما فني من قلوب
المسلمين من عقيدة : « انهم بالاسلام هم أفضل الأمم » ليدعوهم
بذلك الى التمسك بأخلاق الاسلام وآداب الاسلام وعدل الاسلام
واحسان الاسلام . إذ في ذلك سعادتهم وسعادة البشرية كلها معهم
والله المستعان (١) .



(١) ش : ج ٧ ، م ١٠ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، غرة ربيع الاول ١٣٥٣ هـ
- ١٤ جوان ١٩٣٤ م .

عيد الحرية

حق كل انسان في الحرية كحقه في الحياة ، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المتعدي عليه في شيء من حريته المتعدي عليه في شيء من حياته ، وكما جعل الله للحياة أسبابها وآفاتها جعل للحرية أسبابها وآفاتها ، ومن سنة الله الماضية انه لا ينعم بواحدة منهما الا من تمسك بما لها من أسباب وتجنب وقاوم ما لها من آفات . وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وما أنزل عليهم الكتب وما شرع لهم الشرع الا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحراراً وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية وكيف يعالجون آفاتها وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية حتى لا يعدو بعضهم على بعض وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية الى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود المفضي بهم الى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة . فرسل الله وكتب الله وشرائع الله كلها ضد لمن يقف في طريق بني آدم دون هذه الغاية العظيمة بالتعدي على شيء من حياتهم أو شيء من حريتهم ولقد كانت هذه الشريعة المحمدية بما سنت من أصول وما وضعت من نظم وما فرضت من أحكام - أعظم الشرائع وأكمل الشرائع في المحافظة على حياة الناس وحريرتهم ، وما كان انتشارهم ذلك الانتشار العظيم في الزمان القليل على يد رجالها الأولين - الا لما شاهدت فيها الامم من تعظيم للحياة والحرية ومحافظة عليهما وتسوية بين الناس فيها مما لم تعرفه تلك الامم من قبل لا من ملوكها ولا من احبارها ورهبانها . والحياة والحرية محبوبان للناس بالطبع ومرغوبان لهم بالفطرة فاسرعوا لتلبية الدعوة بالدخول في الاسلام أو الاستقلال

بظله . فما أحق أبناء هذا الدين ، ووراث رجاله الأكرمين ، أن يكونوا أعرف الناس بقدر هذه الحياة وهذه الحرية ، وأكثر الناس احتراماً لهما وأشدهم رعاية لحقوقهما وواجباتهما لا لأنفسهم فقط بل للبشرية جمعاء

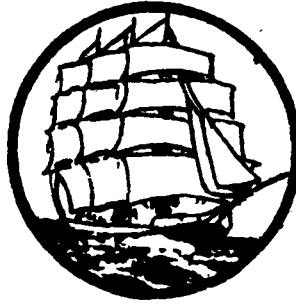
الحياة حياتان حياة الروح وحياة البدن والحرية كذلك . وحياة الروح وحريتها هما أصل حياة البدن وحريته ، وشرائع الاسلام منتظمة لذلك كله . ومما شرعه الله لتحصيل حرية الروح صوم هذا الشهر المبارك شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . يترك فيه المؤمن طعامه وشرابه وشهوات بدنه ويقبل على التهليل والتحميد والتسبيح فيحرر روحه من سلطة الشهوة وسلطان المادة ويسمو بنا الى عالم علوي ملكي من الطهر والكمال ، ثم يقبل على تلاوة القرآن - بتدبر - فينير قلبه وروحه ويحرر عقله من ربة الجهل وقيود الأوهام والخرافات ، فما يأتي عليه الشهر الا وقد ذاق طعم الحرية الروحية العقلية وخرج بجوية قوية وحرية نيرة . فحق عليه أن يحمد الله على نعمته ويظهر آثار تلك النعمة عليه ويفرح بفضل الله ورحمته . وذلك كله باحتفاله بهذا العيد الفطر بما يقوم به في يومه من صلاة وصدقة وصلة رحم وتسامح وتزاور وما يتجمل به من الزينة الحلال وما يأتيه من أسباب السرور واللهو البريء ومظاهر البهجة بالحرية والحياة .

فهذا العيد - اخواني المسلمين - عيد حريتنا : حرية ارواحنا وعقولنا ، واذا حررنا ارواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء . فالحمد لله على هذه النعمة ولنحافظ عليها ولنعمل على تكميلها والازدياد منها ذاكرين قول الله : « وَلَسِّنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَسِّنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَدَّابِي لَشَدِيدٌ » .

نسأل الله لاخواتنا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها في هذا

عيد الحرية

العيد السعيد حياة السعداء ، وحرية الرشداء ، وعاقبة المتقين ، والأمن والسلامة والهداية للناس أجمعين (١) .



(١) ش : ج ١٠ ، م ١١ ، ص ٥٤٦ - ٥٤٨
غرة شوال ١٣٥٤ هـ - جانفي ١٩٣٦ م .

ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان

هذه هي الكلمة التي ختينا بها الخطاب الذي ألقيناه أثر ما خطب الشيخ يحيى حمودي باللغة القبائلية ليلة مأدبة النادي لجمعية العلماء فاهتز لها الحفل ودوت القاعة بالهتاف والتصفيق ، وددت لو ذكرت الخطاب فنشرته كله ، ولكنني سأكتفي بالكلمة التالية فقد تكون أوفى منه في المعنى وأجمل في التنسيق •

إن أبناء يعرب وأبناء مازينغ قد جمع بينهم الاسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً ، أمه الجزائر وأبوه الاسلام • وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازينغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لاعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محاربتهم في مجالس الدرس لخدمة العلم •

فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب والاماني الخوادع يا عجباً ! لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي كلا والله ، بل لا تزيد كل محاولة للفتريق بينهم الا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم) والاسلام له حارس ، والله عليه وكيل • نعم اتنا نتحد لننفع أنفسنا ، وننفع اذا استطعنا غيرنا ، ومعاذ الله والاسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على اثم أو عدوان •

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَنْ
لَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ
اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ» (١) .

عبد الحميد بن باديس الصنهاجي



(١) ش : ج ١١ ، ص ٦٠٥

غرة ذي القعدة - فيفري ١٩٣٦ م .

نشرت هذه الكلمة عينها في البصائر السنة الاولى العدد ٣ ص ٢ ،

ع ٢ ، ٣ . بتاريخ الجمعة ٢٢ شوال ١٣٥٤ هـ - ١٧ جانفي ١٩٣٦ م .

نصيحة وارشاد

من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى وفد الله من اخواننا
المسلمين الجزائريين ومن بلغه كلامنا من اخواننا المسلمين .

قد جرت عادة الناس من قديم عند قدومهم من الحج أن يمكثوا في بيوتهم أياماً ثلاثة أو سبعة يقبلون الزائرين والمهنيين وينفقون في ذلك ما قد يبلغ شطر ما أنفقوا في الحج أو يقاربه أو يجاوزه بحسب حالهم وعدد معارفهم ، ويحسبون انهم بذلك يعظمون الحج والحجاج ويتقربون الى الله بذلك التعظيم .

وفي هذا مفسدتان عظيمتان ، أحدهما : بالتعود عن مساجد الجماعات وذلك من شأن المنافقين الذين هم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يحرق عليهم بيوتهم ، وقبيح - والله - بمن جاء من بيت الله وحرّم الله أن يتخلف عن بيوت الله ويكون في حال أهل هذا الوعيد. الثانية بارتكاب الاسراف والتبذير في غير طاعة ، مما يعقب اللوم والحسرة ، وبغض الله الذي لا يحب المسرفين .

ونحن ننصح لإخواننا المسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة الذميمة والبدعة الضالة التي يزداد قبحها ويعظم إثمها بصدورها من وفد الله وضيوفه الذين رجعوا - ان شاء الله تعالى - برحمته ومغفرته واکرامه .

ونرشدهم الى ما يحصل لهم ولأحيائهم بركة الاجتماع في غير رياء ولا اثم ولا تبذير . ذلك بأن يصبح الحاج في مسجد قريته أو حومته من بلده يؤدي تحية المسجد أو يؤدي فريضته ويتلقى أحبابه فيه ، وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اذا قدم من سفر ابتداء

نصيحة وإرشاد

بالمسجد ، وما أسست المساجد الا لذكر الله وجمع المسلمين على صلواتهم
ودروسهم ومصالحهم •

ففي هذا - ان شاء الله تعالى - الأجر الكثير ، والنفع الغزير
في الدنيا والدين •



قد تواترت الاخبار المشرقية بما يقاسيه سكان المدينة المنورة من
جهد ومشقة واحتياج • فنحن ندعو اخواننا وفد الله الى اغتنام هذه
الفرصة العظيمة والمبرة الكريمة بالاحسان الى سكان طيبة الطيبة
وجيران سيد المرسلين - صلى الله وسلم عليه وعليهم وآله كل
أجمعين - وعمار حرمة الامين ومسجده الكريم ، واذا وفقوا - وهم
موفقون ان شاء الله - الى استبدال هذا الإنفاق المشكور المبرور
بذلك التبذير المذموم الموزور ، استجمعوا الخير من طرفيه ، وحصلوا
الاجر بسببيه ، فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ورضي الله عنهم -
ان شاء الله - ورضوا عنه •



هذه نصيحتنا اليكم - اخواننا - جعلها الله سبب الأجر والمثوبة
لكم ولنا • وان الجمعية عازمة - باذن الله - في الأعوام القابلة على
ايفاد عضو من رجالها يذكر الحجاج ويفقههم ويكون مرجعا لهم في
أمر دينهم وأعمال حجهم •
والله نسأل التوفيق الى الخير والعون عليه والاخلاص فيه لوجهه
آمين والحمد لله رب العالمين •

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة الاولى العدد ٧ الجمعة ٢١ ذي القعدة ١٣٥٤ هـ
١٤ فيفري ١٩٣٦ م الصفحة : ٦ ع ١ و ٢ •

نظر المسلمين الى غير المسلمين

ونظر غيرهم اليهم

يقرر الاسلام بطلان سائر الملل وان لا دين عند الله الا الاسلام . ويعرض لذلك في بيان من الاحتجاج والاستدلال على ما انبنى عليه الاسلام من الحق وما جاء به للبشرية من الخير ، وعلى ما انبنت عليه الملل الاخرى من الباطل أو ما أدخل عليها منه وما أصيبت به كتبها من الضياع والتحريف حتى يكون المسلم على بينة ويقين فيما أخذ من حق وما رد من باطل ، وحتى يمتليء قلبه بحبة الاسلام والاطمئنان اليه ، وبالكره لغيره والنفرة منه ، فهو يكره أن يعود الى الكفر بعد الاسلام كما يكره أن يقذف في النار .

ومن شأن البشر انهم اذا كرهوا الشيء كرهوا أهله والمنتمين اليه ، ودفعمهم ذلك الكره الى مد يد العدوان الى ذلك الشيء المكروه وأهله ، فأوقعوا به وبهم أنواع الأذى والظلم ، واذا لم يستطيعوا مد أيديهم لذلك بقيت صدورهم تتأجج بنيران الحقد والبغضاء وصارت أفواههم فوهات لتلك البراكين تقذف بالحجم والنيران ، بالشتيمة والاستنقاص ، وما يورج تلك الضغائن والأحقاد .

هذا هو حال البشر اذا تركوا سجيتهم الحيوانية دون أن يبصروا بسنن الله في الخلق وحكمته في أخلاقهم وحكمه العادل بما لكل منهم من الحق في الحياة على ما اختار لنفسه من دين .

وهكذا مضت الأحقاب على البشرية ورؤساء كل ملة يذكون تلك السجية الحيوانية في الانسان ويوقعون بين أفراده وأمه بسبب ذلك

نظر المسلمين الى غير المسلمين

الحقد الديني والتعصب على المخالف أنواعا من الشرور والبلايا والفتن تشيب من هولها الولدان حتى جاء الاسلام ينشر راية التسامح العام ويقلع جذور الحقد الديني من قلوب متبعيه ويكفهم عن التعصب على المخالف لهم في الدين .

قرر الاسلام محبة الاسلام في قلوب المسلمين وكره ما سواه ولكنه يبيّن لهم انه كره يحملهم على مجانبة عقائد غير الاسلام وأعماله التي أبطلها الاسلام دون أن يحملوا حقدا على مخالفهم أو يسوهم بأذى من سب أو تحقير لهم أو لمعتقداتهم ، أو يكرهوهم على شيء من الدين .

لأجل أن يقتلع الاسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب اتباعه ويزرع فيها التسامح - عرفهم ان اختلاف الامم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله وما كانت مشيئته الاحكامه وصوابا فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » وعرفهم بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الانسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وارادات وقوى وأعمال . فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ » ثم أقر المخالفين على ما ينتحلون ويعتبرونه ديناً وسماء ديناً وحكم بأن يترك لهم فقال : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » وأقر معابدتهم وذكرها بما يقتضي وجوب احترامها بما يذكر فيها من اسم الله وقرنها بالمساجد تأكيداً لذلك الاحترام فقال : « وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَيِيعُ وَصَلَوَاتُ
وَمَسَاجِدُ يَذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا « وأقر كتبهم لهم
وسماهم أهل الكتاب وأقر ما يعملونه من دينهم وسماه عملا فقال :
« لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ » وأقر احكامهم فيما بينهم
ومنع من التعرض لهم الا اذا جاءوا بطوعهم واختيارهم متحاكين الى
الاسلام فقال : « فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ
عَنَّهُمْ » .

فأنت ترى كيف أبقي لهم الاسلام كل كيانهم الديني وجيـح
مقوماته وأحاط دينهم بسياج من الاحترام بعد ما عرف المسلمين ان
ما هم عليه من تلك الأديان هو من مقتضى مشيئة الله وحكمته وفي
صالح البشرية والعرمان وان الجزاء على ذلك انما هو لله وحده يوم
يرجع اليه العباد فقال : « كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »
ثم أمر بعد ذلك كله بالعفو والصفح عنهم مع العلم بحقيقة قصدهم
فقال : « وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم
مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

بيان هذه الحقائق من سنن الله وحكمته ، وتقرير هذه الاحكام من
شريعته ، ربى الاسلام المسلمين على التسامح وكوّن نظرهم لغيرهم
من أهل الملل فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل الا شيئا قد قضاه الله
واقترضه حكمته لعبارة هذه الدار وتلك الدار وظهور آثار عدله وفضله
واحسانه ورحمته ، فسلمت قلوبهم من الحقد الديني المقوت والتعصب

نظر المسلمين الى غير المسلمين

المذموم وجرت معاملتهم لهم في أيام قوة المسلمين وأيام ضعفهم على سنن التسامح والاحترام ، اللهم الا وقائع نادرة جداً كانت أيام ضعف المسلمين وطفیان غيرهم عليهم فانتقموا انتقام المظلوم المهان لا انتقام الحقوق المتعصب . ولا يسعني من هذه المقالة أن أعدد أيادي المسلمين على غيرهم من أهل الملل فقد ملأ ذلك سجلات التاريخ مما كتبه غير المسلمين فضلاً عما كتبه المسلمون .

ومن مظاهر التسامح الاسلامي عند المسلمين وخلق قلوبهم من الحقد الديني الذي طهرها منه الاسلام بما حكم وبما علم ، انك لا تجد في صحافتهم ومجلاتهم الفصول العريضة والمقالات الطويلة في البحث في النصرانية ومقدار انتشارها وأسباب انتشارها ومقاومة انتشارها وما تكون به تلك المقاومة مثل ما تجد ذلك على أتمه وأبلغه ، وتارات على أفضله ، في صحف الغرب ومجلاته . وفي العالم الاسلامي كثير من المجلات التي يصدرها رجال من أهل العلم الديني وفي مقدمتها « مجلة الازهر » لا تجدها تعرض للبحث في النصرانية الا اذا اضطرت للدفاع عن المطاعن التي يوجهها من حين الى آخر أعداء الاسلام . أما الهيئات الدينية النصرانية فان لكل هيئة منها مجلتها ويكاد لا يخلو عدد منها من الكلام على الاسلام ، وتصويره بالصورة المنفرة البغيضة المثيرة للاحقاد والحاملة على التعصب حتى انهم قد يجعلون لاتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الاسلام والمسلمين . ولأجل التحقق مما نقول نشر فيما يلي نص صلاة من الصلوات اليومية .

عن الصدى الكنسي لقسطنطينة وبونة

الاحد ٩ فبراير ١٩٣٦ م

الصلاة اليومية :

يا قلب يسوع الإلهي أتقدم اليك بقلب مريم الدامي ، بصلواتي

وأعمالي وآلامي في هذا النهار ، وأقدم اليك صلواتي من أجل الغاية التي أنت ساع في سبيلها كل يوم على المذبح ، وأقدم اليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتخاذ كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الاسلام .

• غاية التبشير : النضال ضد الاسلام .

L'ECHO DU DIOCESE DE CONSTATINE ET D'HIPONE
6° Année No 3 - Dimanche 9 Février 1936

OFFRANDE QUOTIDIENNE :

Divin cœur de Jésus, je vous offre, par le cœur immaculé de Marie, les prières, les œuvres et les souffrance de cette journée, en réparation de nos offenses et à toutes les intensions ⁽¹⁾ pour lesquelles vous vous immolez continuellement sur l'autel, Je vous les offre, en particulier, pour l'union entre les catholiques et pour la lutte contre l'Islam.

Résolution apostolique ; Prier avec le Christ pour que nous soyons vraiment un.

Adhère à tout mouvement de prière et d'action qui tend à l'union. Intension ⁽¹⁾ missionnaire. (LA LUTTE CONTRE L'ISLAM).

N.B : (1) conforme à l'original

فكيف تكون نظرات من يغذون هذه التغذية السامة ، نحو الاسلام ؟ وقد نعود الى هذا الموضوع في الجزء الآتي ان شاء الله ⁽¹⁾ .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٢ ، ص ٥١ - ٥٥
غرة صفر ١٣٥٥ هـ - ماي ١٩٣٦ م .

صلاة وصلاة

إن الاسلام الذي قرر التسامح مع أهل الملل أصلا من أصوله يجد فيما يتلوه المسلمون من آياته ودعوته وأذكاره ما يقوي تمسكهم بذلك الأصل ويرسخه فيهم . ونحن نذكر هنا على سبيل المثال دعاء القنوت الذي يدعو به قسم عظيم من المسلمين في صلاة الصبح وهو : « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونخضع لك ونطع ، ونترك من يكفرك . اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجذ ، ان عذابك بالكافرين ملحق » ويزيد قسم عظيم منهم قوله : « اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما اعطيت ، وقنا شر ما قضيت ، فانك تقضي ولا يقضى عليك ، انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد على ما اعطيت ، نستغفرك ونتوب اليك » .

أرأيت هذا التوحيد الله والاحبات والتعظيم له والاعتزاز والاعتماد عليه ؟ فلما تعرض الدعاء للكافرين لم يزد على تركهم في قوله : « ونترك من يكفرك » فالمسلم يتمسك بدينه ويترك غير أهل دينه ودينهم وهذا من باب قوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » ولما ذكر عذابهم في قوله : « ان عذابك بالكافرين ملحق » .

جعله الله فهو الذي يعذب من كفر به من عباده فلم يرج رحمة ولم يخف عذابه . وهذا من باب قوله تعالى : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » . فالمسلم بهذه التغذية الشريفة الطيبة لا يكون الا تقي القلب من

الحقد الديني واسع الصدر عظيم التسامح . واذا رأيت ما يدعو به المسلم ربه في صلاته وعلمت ما يتركه ذلك الدعاء في نفس المسلم وما يريه عليه فانظر الى ما ينشره رجال الكنيسة بين أتباعهم من الصلوات اليومية وما تشتمل عليه من اثاره للحقد الديني وتقوية له ودعوة صريحة اليه ، ففي الصلاة اليومية التي نقلناها في العدد الماضي عن (الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة) يقول : « وأقدم اليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتحاد كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الاسلام »

بهذا تغذي الكنيسة مؤمنيا وهم في وسط اسلامي لا تمكن سعادته وهناؤه الا بتعاون سكانه فيه بروح التسامح والتواد ، وتملأ صدورهم بهذا التعصب المقوت ضد قوم مسلمين ومستضعفين . فلا يدري الا الله كم أثمرت هذه التغذية الخبيثة من علقم كان وزر من جرحه ومن تجرعه على من بثوه في النفوس ومكنوه من القلوب .

حاشا الاصول الأولى لتلك الملة ان تأمر بهذا فقد عرفوا ما جاء في « متى » (٥ : ٤٤) « واما أنا فاقول لكم احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » ولكن الرؤساء الذين يريدون المحافظة على مصالحهم ويرون ان محبة اتباعهم لهم تكون بقدر بغضهم للاسلام ، هم الذين يتحملون مسؤولية هذا ويؤءون باثمه .

نكتب هذا ليطلع قراؤنا على حقائق واقعية تتصل بالحياة الاجتماعية بينهم وبين من يسكنونهم في وطنهم . وليعلم اخواننا المسلمون عظيم نعمة الله عليهم بما شرعه لهم من اصل التسامح العظيم فيزدادوا به تمسكا فيعيشوا سالمي الصدور من داء الحقد الديني والتعصب المقوت وليعرف الذين يبثون تلك السموم ان اعمالهم لا تخفى على غيرهم فعسى ان يقلعوا عنها ويرجعوا للعمل معنا على بث التسامح بين عباد الله . والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

سيرة الاصلاح الاسلامي :

بعد مصر والعراق

علم قراؤنا مما كنا نشرناه في جزء سابق ماكان من النهضة
الاصلاحية في مصر بصفة رسمية من حكومة مصر ومن جماعة كبار
العلماء بالازهر ، وقد تلت العراق مصر في هذه النهضة .

كان القائم بالاصلاح الاسلامي في بلاد الرافدين هو الجمعيات
الاسلامية ، مثل جمعيات الثبائن المسلمين وجمعية الهداية الاسلامية .
وقد جاهدت هذه الجمعيات - وما زالت - في سبيل الاصلاح جهادا
كبيرا .

اما اليوم فان الحكومة العراقية نفسها أخذت تعمل لذلك فقد
اوفدت الاستاذ بهجت الاثري الى مصر ليطلع على نظمها في الأوقاف
الاسلامية وفي التعليم الديني وقبيل سفره قابله الاستاذ يونس بحري
« السائح العراقي الذي كان زار الجزائر وتشرفنا بمعرفته » وسأله باسم
جريدة « البلاغ » اسئلة فاجابه عنها . وقد نشرناها ملخصة فيما يلي :

- ما هي المهمة التي ستسافرون من اجلها الى مصر فأجابه :

- اني مسافر الى مصر درة الاسلام ، في مهمة رسمية ارجو ان
اوفق فيها هي الاطلاع على شؤون الاوقاف العامة هناك ودرس نظم
التعليم في المعاهد الدينية على اختلاف درجاتها ومناهجها والنظر في
كيفية تطبيقها تطبيقا عمليا في العراق ، وكل ذلك تمهدالما تعتمزمه
الحكومة العراقية من اصلاح اوقافها ومدارسها الدينية ، وايجاد طبقة
مستتيرة من العلماء تتولى ارشاد المسلمين وتهذيبهم من طريق العلم
الصحيح .

- ما هي الغاية التي تقصدها حكومة العراق من وراء هذا الاصلاح؟

— نحن نرمي الى توحيد الثقافة الدينية العامة بين الأقطار العربية خاصة والاسلامية عامة ، والعمل على تغيير عقلية بعض المسلمين الذين صورت الاغراض لهم الاسلام الحنيف تصويرا عكسيا مخالفا لحقيقته فابتعدوا عنه واصبحوا عالة عليه . فلا بد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي ، على النمط الذي يرضيه روح الاسلام ، وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من استعادة مجدها بين الأمم (١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ١٢ ، ص ١٠٨ - ١١٠
غرة ربيع الاول ١٣٥٥ هـ - جوان ١٩٣٦ م .

جواب عن كتاب

الى الأخ الشيخ الطاهر الحركاتي رئيس شعبة باتنة - وعليكم السلام ورحمة الله .

وبعد فكلنا نعلم ان أهل باتنة كانوا وما زالوا من انصار الجمعية والمؤيدين لها في خطتها الدينية العلمية ، وان ما بينهم اليوم من خلاف انما نشأ من أيام الانتخابات البلدية ثم استمر الى أيام المؤتمر وفي أثناء هذا ما رأيت من الشبهة ورئيسها وأهل باتنة وفي جانب الجمعية إلاّ خيراً ولم يكن مني في جانبهم الا الدعوة الى الصلح او المهادنة على الاقل كان هذا مني مع كل من اجتمعت به من تلك الناحية فلما ايسر من امر الصلح لازمت الحياد وكاتبتم بكتاب آخر امركم فيه بالحياد التام وهو الكتاب الوحيد الذي كاتبته به باتنة من هذه المدة كلها - وها هو نص الكتاب الذي انشره ليطلع عليه الجميع وليعلم منه موقف الجمعية في مثل ما بينته من خلاف .

نص الكتاب بعد الافتتاح

« وبعد فلما كانت الجمعية واقفة في الخلاف الواقع بين اهل باتنة موقف الحياد ، لا تؤيد احدا ولا تعارض احدا حتى ينجلي الموقف على خير ان شاء الله - فيلزم إذا وقفتم في موقف عام أو خاص في شأن من شؤون باتنة الخلفية أن تعلنوا للناس انكم لا تتكلمون باسم الجمعية مثل ما تفعل نحن في المواقف الخارجة عن نطاق الجمعية .
انتي اؤكد عليكم بهذا وأرجو ان يبلغني صداه .

عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة الثانية العدد ٧٤ الجمعة ٣٠ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ - ٩ جويليت ١٩٣٧ م ، ص ٧ ، ع ٣ .

احياء ليلة المعراج النبوي الشريف

ليلة الثلاثاء ٢٧ رجب الجاري

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وأسرى بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - اليه ، وكان معراج محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - الى الملكوت الأعلى منه، وهو اليوم بين مسابيل الدماء [٠٠٠] (١) الاشلاء ، وابقاض النسف والتخريب بالنار والحديد . وان سكان أرضه من جميع الملل والأجناس الذين عاشوا قرونا آمنين اصبحوا اليوم بسبب الاستعمار الانكليزي الغاشم والمذهب الصهيوني الطامع في عذاب أليم . وان اخوانكم الذين يحفظون ذلك الحرم المقدس ، ويمرون أرضه ويردون عنه العدوان ، قد رملت الآلاف من نسائهم ، ويتم مثلها من ابنائهم ، وضاع عجزتهم ومرضاهم ، فأكلتهم الفاقة ، وأنهكتهم الأوصاب ، وأحاط بهم البلاء من كل جانب .

واتنا نرى غيرنا يبذل الجهد في اغائة المنكوبين من اخواتنا بتلك الارض المقدسة ، بل نرى احزابا وجمعيات تجتهد في اغائة المنكوبين في جهات أخرى ، فلنبادر للقيام بالواجب علينا نحو اخواتنا في كل مناسبة تعرض لنا ، وان من أعظم تلك المناسبات وأفضلها ليلة المعراج النبوي الكريم واليوم الذي يليها ، فلنذكر فيهما اولئك المنكوبين نذكرهم بالدعاء لرفع البلاء والعطاء لتحصيل القوت والدواء .

وقد دعت جمعية العلماء في السنة الماضية المسلمين الى هذا الاحسان الاسلامي الانساني فلبى المسلمون دعوتها وهي اليوم تجدد

(١) كلمة غير واضحة محيت من الاصل .

احياء ليلة المعراج

لهم الدعوة بنص ما دعتهم به في السنة الماضية راجية منهم الاجابة
وسائلة لهم التوفيق . وهذا نص دعوتها الماضية :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تقوم بواجبها الديني وشعورها الانساني

١ - تدعو المسلمين عموما وأئمة المساجد خصوصا الى احياء
ليلة المعراج بالتضرع والتوجه الى الله تعالى بالدعاء ليرفع البلاء عن
ذلك الحرم المقدس وساكني رحابه ، وأن يرفع عدوان الظالمين عن
المظلومين ، وأن يرجع لتلك البلاد عهدا السابق الذي تمتع فيه جميع
السكان بالامن والسلام .

٢ - كما تدعو كل مسلم ان يذكر في تلك الليلة اولئك الأيتام
والأرامل والمنكوبين فيخصص لاعتهم ما استطاع من المال . (وأمين
مال لجنة اغاثة منكوبي القدس الشريف المؤسسة بقسنطينة في عيد
الأضحى السابق السيد كرماني الحاج حموش) مستعد لقبول ما يرد
عليه يرسله الى لجنة الاغاثة بمصر وينشره بالصحف .

٣ - كما تدعو المسلمين أن يكونوا ليلتهم في هدوء وخشوع
مناسبين للدعاء والابتغال ، لا يرى ولا يسمع منهم جيرانهم من اليهود
والنصارى الا ما أمر به الاسلام من العدل والاحسان والله المستعان .

بيان ما ارسل للمنكوبين :

فرنكات

٢٤٢٠٠ اجتمعت من دعوة الجمعية ليلة المعراج من السنة الماضية
وأرسلت بواسطة امين لجنة الجزائر العاصمة في ديسمبر
١٩٣٨ وتحت يده وثيقتها .

٢١١٠٥ من جلود الضحايا وأرسلت بواسطته في افريل ١٩٣٩
وتحت يده وثيقتها .

٢٤٥٠٠ اجتمعت من جلود الضحايا وأرسلت بواسطة أمين لجنة
قسنطينة في ١٩ ماي ١٩٣٩ وتحت يده وثيقتها .

تنبيه

لما اعتذر أمين لجنة الجزائر عن الاستمرار على القيام بالعمل فقد
قبل أمين مال لجنة قسنطينة بالقيام به شكر الله الجميع •

فالمرغوب الإرسال اليه على هذا العنوان :

C/c 264 - 85 ALGER

KERMANI HADJ HAMOUCHE

37 RUE C Ah 33 oreau

والله يتولى الجميع بالعون والتوفيق •

عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة ٤ ع ١٨٠ ص ١ ، قسنطينة : يوم الجمعة ٩ رجب
١٣٥٨ هـ الموافق ليوم ٢٥ اوت ١٩٣٩ م .

غرداية

« وادي ميزاب »

هذا العاجز - كما يعلم الناس كلهم - كان ولا زال من دعاة التوحيد والاتحاد . وكنت ولا زلت أقول في مجالسي ودروسي ان المذاهب الفقهية غير الاربعة المشهورة هي كالاربعة تتفق وتختلف عن نظرواجتهاد . وكان لكلامي هذا - بحمدالله - أثره الطيب المقصود . فلما قرأ الناس في الصحف الدورية خبر منع اخواننا الأباضية اخوانهم المالكية بغرداية من شعيرة الأذان كثر منهم من سألني : ماذا تقول ؟ واين ما كنت تقول ؟ كأن من يدعو الى الاتحاد مسؤول عما يأتيه من يدعو ويفعل ما يدعو الى التفريق !

لا ، أنا لست مسؤولاً عن هذا - وإن كنت أعظم متألم منه - بل المسؤول عنه هم أولئك الاخوان المتتوِّرون الذين أعرفهم هنا وهنالك من اهل وادي ميزاب .

فاليهم يتوجه الرجاء في حسم هاته المسألة بالحق والنصفة بين اولئك الاخوان المتنازعين - ذاكرين قوله تعالى : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ^(١) » .

(١) ش : ج ٥ ، م ٦ م غرة محرم ١٣٤٩ هـ جوان ١٩٣٠ م ، ص

بين المسلمين في غرداية

جاء كتاب من جماعة من المالكية بغرداية يقولون فيه ما ملخصه :
ان لنا مسجدين بداخل بلدة غرداية تقام فيهما الصلوات الخمس وتصلى
فيهما الجمعة احدهما بحارة عرش المذايح وثانيهما بحارة بني مرزوق
وكلاهما أسس للمالكية وادي ميزاب من منذ برهة زمانية . وقد كان
اخواتنا الاباضية منعونا من الاذان بهما فوق سطحيهما فسلمنا الامر
بسبب ضعفنا ، وصارت عادتنا في يوم الجمعة تؤذن بداخل المساجد وقت
جلوس الامام على المنبر . والآن قام بعض طلبتهم وأهل المخزن منهم
واستتصروا بحاكم الادارة علينا في ابطال الاذان حتى بداخل المساجد .
وفعلا استدعانا بالحضور وأمرنا في الحال بابطال الأذان من مساجدنا
وتعويضه بكلمة الصلاة لاغير وبشرط أن لا يبعد المنادي بهاته الكلمة
من المحراب اكثر من ميترة واحدة وعندنا نسخة من رسالة الحاكم
الموجهة الى قائد غرداية في هذا الشأن .

(ش) قد تقدمت كلمتنا على هذا الخبر في باب المجتمع الجزائري
صفحة ٣١٦ من هذا الجزء (١) .

(١) ش : ج ٥ ، م ٦ ، غرة محرم ١٣٤٩ هـ - جوان ١٩٣٠ م
ص ٣٢٧

للحق والنصفة

حول منع الاباضية اخوانهم المالكية من الاذان بفرداية

كنا من أول من كتب في هذه المسألة بأسف وحسرة، وأحلنا باصلاح ذات البين فيها على الأدباء والفضلاء من اخواننا الاباضيين الذين نعرفهم بقسنطينة وبالعاصمة وبميزاب ، ثم رأينا الامر لا يزداد الا تفاقما والفتنة لا تزداد الا اتقادا رغم سعي بعض الفضلاء بالعاصمة في اصلاح ذات البين ورغم كتابة كاتب الشرق والاسلام التي تؤثر في الصم الصلاب . فلما رأينا ذلك لزمنا السكوت لعلنا ان الكلام بعدئذ لا يرتق الفتق بل يزيده وسعا . فسكتنا منتظرين لطف الله في إلهام الفتين رشدهما وتنزيل اسباب الرحمة والاخوة بينهما ، غير ان هذا السكوت لم يرض واحدة من الفتين .

فاما اخواننا الاباضية فاننا التقينا بالشيخ ابراهيم اطفيش بقالمة فوجدناه يحمل حنقا شديدا على « الشهاب » وصاحبه لانه علم ان المالكية جعلوا « مؤتمرات في الأغواط » وان صاحب « الشهاب » حضرها ولأن الشهاب لم ينشر ما يبين به الحق في المسألة ، فأقنعناه أن مسألة المؤتمرات وحضورنا لها اختلاق محض كان على حضرته ان يثبت في قلبه قبل ان يسيء مقابلتنا به وان « الشهاب » لا يتوخى فيما ينشر الا اصلاح ذات البين ووعدهنا بأن نقول كلمة خير للجميع اذا وجدنا لها مناسبة .

واما اخواننا المالكية فقد جاءنا كتاب منهم من العاصمة من جماعة كثيرة يعتبون ويلومون على « الشهاب » في سكوته ، وبلغ بهم الحق

« وشيء آخر » أن عرضوا بأن « الشهاب » يراعي الإباضيين لأجل اشتراكاتهم فاجبتهم بأننا دعاة اصلاح واتحاد بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم واتنا ندين - قولاً وعملاً واعتقاداً - بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » حسب جهدنا وطاقتنا ، ونستغفر الله تعالى مما يكون منا في ذلك من تقصير . واما اشتراكات الاباضيين التي عرضوا بها فانها لا تتجاوز الثلاثين ، وان « الشهاب » لو كان يراعي الخواطر في سبيل المال لكان له وفر ولكنه - علم الله واناس - انه ليس كذلك واتنا لو كنا نريد المال لكان لنا - بحمد الله - فيما قسمه الله لنا من فضله لاسرتنا فوق الكفاية او لكان لنا في ابواب التجارة والفلاحة المعرضة لنا - باذن الله - اسباب اليه متينة ونعوذ بالله من تعريض سيء يؤدينا الى مثل هذا الكلام .

واليوم - وقد اتفق الجانبان على انكار سكوتنا وحمل الحنق علينا وسوء الظن فينا - فاننا نقول كلمتنا للحق والنصفة غير منحازين بها الى احدى الفئتين بالغة ما بلغت في ارضاء من رضي واسخط من سخط حيث كنا نعتقد اننا ارضينا بها الحق والوجدان فنقول :

قد ثبت عندنا ان بعض الاباضية بفردياة منذ زمان بعيد بنى مسجداً وجعل له مأذنة واحداث فيه اذانا ثانياً فانفقت كلمة جماعة الاباضيين على منعه وهدم مأذنته . فعلمنا بهذا ان الاباضية لم يمنعوا مالكية غرداية من الاذان تعصبا عليهم لانهم مالكية - كيف وقد منعوا قبل ذلك الاباضية مثلهم وهدموا الصومعة - وانما منعوهم لانهم يرون الأكتفاء في البلد بأذان واحد .

فحن بهذا قد برأنا الاباضية من تعصبهم على المالكية لانهم مالكية . ولكننا من ناحية اخرى نرى انه حق عليهم ان يرجعوا في

الحق والنصفة

- هذه المسألة عن رأيهم ويسمحوا لآخوانهم المالكية بالاذان .
- اولا - اصلاحا لذات البين بين المسلمين ، وهي في الاسلام من اول ما تجب وتتأكد المحافظة عليه والقيام به .
- ثانيا - حفظا للوحدة الاسلامية بحفظ القلوب غير متصدعة بداء الفرقة القسّال المعدود في الاسلام من أكبر المحرمات المهلكات .
- ثالثا - مجاملة لبقية آخوانهم المالكية بالقطر الذين تربطهم بهم رابطة الدين والوطن والمصلحة .
- هذه كلمتنا قولها بعمد الله لا تقصد بها الا القيام بواجب الصدع بالحق والدعوة اليه والاصلاح بين المسلمين فان كانت صوابا فمن الله الكريم الرحيم وان كانت خطأ فمننا والينا وليست بالاولى من خطئنا^(١) .



(١) ش : ج ١٢ م ٦ غرة شعبان ١٣٤٩ هـ جانفي ١٩٣١ م .
ص ٧٦٨ - ٧٧٠ .

آثار ابن بادیس

قسم الخطب

ذكرى المولد النبوي الكريم

في (نادي الترقى) بالعاصمة

لقى صاحب المجلة في هذه الذكرى خطابا ارتجله ارتجالا في ذلك المقام وقد نشرناه فيما يلي حسبما بقي في الذهن فكان طبق اصله الا في القليل .

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى اسم الجزائر الراسخة في اسلامها، المتمسكة بامجاد قوميتها وتاريخها - افتتح الذكرى^(١) الاولى بعد الاربعمائة والالف من ذكريات مولد نبي الانسانية ورسول الرحمة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - في هذا النادي العظيم الذي هو وديعة الأمة الجزائرية عند فضلاء هذه العاصمة ووجهائها .

لسنا وحدنا في هذا الموقف الشريف لاحياء هذه الذكرى العظيمة ، بل يشاركنا فيها نحو خمسمائة مليون من البشر في أقطار المعمور كلهم تخفق أفئدتهم فرحا وسرورا وتخضع ارواحهم اجلالا وتعظيما لمولد سيد العالمين .

قلوب خمسمائة مليون ! هذه قوة كبيرة في هذا العالم مرتبطة

(١) نحن في سنة ١٣٤٨ من الهجرة وعاش هو - صلى الله عليه وآله وسلم - ٥٣ سنة في مكة قبل الهجرة فتلك : ١٤٠١ سنة فمولد هذه السنة هو الواحد بعد الاربعمائة والالف كما ذكرنا . (المؤلف)

ذكرى المولد النبوي

بالحب متدرعة بالايمان فلو شعرت حقيقة الشعور ببعضها لاثمرت
للانسانية فوائد كبرى وعملت لها اعمالا عظيمة .

بل تشاركنا في موقفنا هذا الانسانية كلها واذا لم يكن بلسان
مقالها فبلسان حالها . فمن الاسلام الذي جاء به صاحب هذه الذكرى
عرفت الانسانية وذاقت حرية العقول والرقاب ، ومنه عرفت وذاقت
العدل على اتم معناه ، ومنه عرفت وذاقت المساواة بين العباد فيما هم
متساوون فيه ، وبهذه الاصول العظيمة امكن اشتراك امم كثيرة تحت
راية الاسلام في خدمة العلم والمدنية حتى ازهرت رياضهما وسمت
صروحهما في الشرق والغرب واغترفت من معينهما ابناء الانسانية
جمعاء .

نقلت المدنية الاسلامية أصول المدنيات السابقة نقل الأمين ،
ونخلتها نخل الناقد البصير ، وزادت عليها من نتائج افكارها وثمار
اعمالها ما كان الاساس المتين لمدينة اليوم .

هذا الذي نقوله يعترف به العلماء النصفون من الغربيين انفسهم
ويشهد به مثل قانون ابن سينا الذي لازال يدرس الى القرن الثامن
عشر في جامعاتهم ومثل مقدمة ابن خلدون التونسي تلميذ مواطنينا
شيوخ تلمسان ، واضع علم الاجتماع المترجمة الى جميع لغاتهم .

كنا نسمع هذا الاعتراف من الافراد ولكننا اليوم صرنا نسمعه من
الامم ففي العام الماضي كان احتفال اسبانيا امتها وحكومتها باقتضاء
الف سنة على تأسيس الخلافة الاسلامية في قرطبة ، ومعنى ذلك
الاعتراف لهذه الخلافة الاسلامية العربية بفضلها على مدينة اليوم ،
ورفعها منار العلم وال عمران ايام كانت امم الغرب في همجية عمياء ،
وفي هذه السنة كان الاحتفال في جامعة المانيا ببرلين بذكرى ابي القاسم
الزهرابي الاندلسي الطبيب الجراح الذي لا تزال نظرياته واستنباطاته

معتمدا عليها الى اليوم ، وكان الاحتفال في القاعة الكبرى التي لا يحتفل فيها الا بأكابر العلماء الذين خدموا الانسانية خدمة جليلة • ومعنى هذا الاعتراف لعلماء العرب بخدمة العلم والانسانية في ظل الاسلام منذ قرن •

فالاسلام الذي جاء به صاحب هذه الذكرى هو أبو المدينة أمس واليوم - واعني بمدينة اليوم المدنية من جهة العلم والعران ، لا من جهة الاخلاق والاجتماع فهناك ما يتبرأ منه الاسلام •

لا عجب بعد هذا البيان ان تقول ان الانسانية تشاركنا بالاحتفال في هذا المقام •

ما الداعي الى احياء هذه الذكرى ؟
المحبة في صاحبها •

ان الشيء يجب لحسنه او لاحسانه وصاحب هذه الذكرى قد جمع - على أكمل وجه - بينهما فله من الحسن ما كان به أكمل الناس حتى اضطلع بالقيام باعباء ما جاء به ويعرف ذلك الكمال من درس أي خلق من أخلاقه وأي يوم من أيامه • وله من الاحسان ما اقد به البشرية وكان رحمة خاصة وعامة ، وعم الانسانية جمعاء على ما قدمنا في البيان •

فمن الحق والواجب أن يكون هذا النبي الكريم أحب الينا من أنفسنا وأموالنا ومن الناس أجمعين ولو لم يقل لنا في حديثه الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » وكم فينا من يحبه هذه المحبة ولم يسمع بهذا الحديث ؟

فهذه المحبة تدعوننا الى تجديد ذكرى مولده في كل عام •

ما الغاية من تجديد هذه الذكرى ؟

ذكرى المولد النبوي

استثمار هذه المحبة .

ان محبتنا فيه تجعلنا نحب كل خلق من اخلاقه وكل عمل من اعماله . ففي ذكريات مولده نذكر من اخلاقه ومن اعماله ما يزيدنا فيه محبة ويحملنا على الاقتداء به فنستثمر تلك المحبة بالهداية في انفسنا ، ونشرها في غيرنا ، تلك الهداية التي لا يسعد العالم سعادة حقة الا اذا تمسك بها .

ماذا نريد ان نذكر في مجلسنا هذا منها ؟

عندما أصل الى هذا المقام وأقف أمام أخلاقه وأعماله — عليه وعلى آله الصلاة والسلام — أجدني امام ما يتقاصر عنه علمي ويتضاءل امامه شخصي وانشد ما قاله شاعرنا العربي :

هو البحر من أي الجهات اتيته فلجته المعروف والجود ساحله
ومن أين لعاجز مثلي أن يفي خلقا من اخلاقه او عملا من أعماله
حقه من البيان ؟

لكنني سأقول على كل حال حسب جهدي ، واقتصر على ذكر خلقين من اخلاقه اراهما ركنين اساسيين في حياته وفي شريعته وهما :

الرحمة والقوة

اذا اراد الله تعالى شيئا هيا اسبابه . فمع علمنا بأن ما كان له — صلى الله عليه وآله وسلم — من الرحمة والقوة هو من العطاء الرباني والفيض الإلهي الذي تقصر عنه وسائل العباد ، فاننا لا نمتنع من ذكر ما هيا الله له من أسباب مناسبة لهذين الخلقين . فمن العبادة الفكرية النظر في صنع الحكيم العليم في ربط الامور بعضها ببعض واقتراها في الوجود والتقدير . فلنبحث في هذين الخلقين وما هيء لهما من حال مناسب ، وما نشأ عنهما من اخلاق فاضلة وما كان لهما

من ثمار محمودة ، ومظاهر في حياته وشريعته جليلة جليلة ، لنزداد بصيرة في العلم ، وهداية في الاقتداء فنقول^(١) :

بقية الخطاب الذي القاه صاحب المجلة في النادي

- ٢ -

مبدأ رحمته :

كان - صلى الله عليه وآله وسلم - يتيماً في صغره مات أبوه وهو حمل وماتت أمه وهو ابن بضع سنوات فأورثه ذلك اليتيم رقة في قلبه . وما كانت كفالة جده ولا عمه ، ولا حضانة نسائهم بمغنية عن عطف الام وحنانها ، ولا جابرة صدع القلب من فقدتها ، وهذه الرقة هي فيه أساس الرحمة .

مبدأ قوته :

وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - ابن بيت عظيم ، يشهد مجالس جده عبد المطلب شبيه الحمد وأعمامه من حوله ، ويرى هيبتهم ومكائنتهم في قومهم فأورثه ذلك عظمة وعزة نفس : عزة انفة واطاعة ، وعظمة وشرف وكرم وترفع عن الدنيا . ولا ينكر تأثير اسم العائلة وتاريخها ومشاهدة حال أفرادها في أبنائها . وأنا أعرف شخصاً ما قرأ العلم ولا اجتهد فيه - في أول أمره - الا لعلمه بأن أجداده كانوا علماء . وهذه العظمة هي أساس القوة .

مظاهر رحمته :

كانت رحمته بالمرسل اليهم : فأدمي ساقه ، وشج وجهه ، وكسرت

(ش) : ج ٩ ، ص ٥٦ ، ٦ - ٩

غرة محرم ١٣٤٨ هـ - اكتوبر ١٩٢٩ م .

رباعيته - وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . وقال تعالى في رحمته بمن أرسل اليهم : « لعلك باخع » « قاتل » « نفسك ألا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » وكان كما قال تعالى : « بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » ورحمته للعالم كما قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

مظاهر قوته :

كانت قوته لتحتمل أعباء الرسالة وتبليغها للخلق ، قوة أدبية وقوة حربية . فمن الأولى ثباته في مواقف التبليغ ، كقوله لعمه أبي طالب - وقد فهم منه أنه ضعف عن نصره وأنه مسلّمه - : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . ومن الثانية ثباته في ميادين القتال ومواقف البأس كما ولى عنه الناس يوم حنين - وهو يقول ركباً على البغلة التي لا يركبها إلا من لا يفر - :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

معلناً مكانه مظهراً نفسه أمام الأعداء الآتين من كل صوب .

آثار القوة والرحمة في أخلاقه :

كان - صلى الله عليه وآله وسلم - صادقاً أميناً عادلاً ، معروفاً بهذه الصفات بين قومه قبل نبوته .

الامانة :

هي حفظ الشخص ما استودع ، وأول ذلك حفظه نفسه فيثق به الناس في حفظ ما يستودعونه .

وقد كانت قریش - وهي كافرة به - تودع عنده أموالها . ولما خرج مهاجراً ومعه الصديق رضي الله تعالى عنه خلف ابن عمه حيدر بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لينام على فراشه معرضاً نفسه لسيوف

قريش المتآمرين على قتل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في تلك الليلة ، وليرد أمانات الناس اليهم ويلحقه بأهله .

الصدق :

هو قول الحق في جميع المواطن . وقد شهد له أبو سفيان - وهو إذ ذاك أكبر عدو له - في مجلس قيصر بالصدق : سأله قيصر هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : لا . قال قيصر : قد أعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

العدل :

وهو الانصاف في الحكم . وقد رضيت به قريش حكماً بين كبرائها لما تنازعوا في رفع الحجر الأسود الى محله أيام جددوا بناء الكعبة ، ذلك لما عرفوا من عدله .

والرحمة والقوة أساسان لهاته الاخلاق . فمن الرحمة بالنفس وبصاحب الشيء ، ومن القوة على النفس وعلى النزعات والمواطف تكون الامانة ، ومن الرحمة بالمظلوم والقوة على الظالم يكون الحكم العادل ، فان القاسي العديم الرحمة لا يبالي بالمظلوم وان الضعيف تكسره رهبة الظالم عن الصدع بالحكم ويقصر عن تنفيذه . وضعيف القلب تؤثر عليه المؤثرات حتى مرققات المواطف ، ولهذا قال جمهور أئمة الاسلام : ان المرأة لا تصلح للحكم لرقة عواطفها وضعف قلبها ، فقد تخدعها الدموع الكواذب ، وقد تميل بها عاطفة الحب والقرابة . والصدق - وهو من مقتضيات الامانة لانه حفظ اللسان - لا يقوم به الا رحيم بالسامعين يشفق عليهم لا يخدعهم قوي شجاع لا يبالي في قول الحق بهم .

اهتمامه بالخلق :

كان هذا العظيم النفس الرقيق القلب ، الرجل القوي الرحيم ، يرى

ذكرى المولد النبوي

انحطاط قومه في المعتقد والاخلاق والمجتمع فتسمو به نفسه العظيمة عن البقاء في تلك البيئة المنحطة والوسط المريض ، وتأبى عليه رحمته أن يتركهم فيما هم عليه فكان دائم الاهتمام بهم ، دائم التفكير في الطريق الذي يسلكه لانقاذهم .

انقباضه عنهم :

كان ينزل عنهم ويذهب الى غار حراء الليالي العديدة حاملاً عبء همه غارقاً في تفكيره . ولم يكن اختلاؤه في غار حراء مثل اختلاء متصوفة الهند الذين ينزل أحدهم عن الناس ويذهب في أودية الخيال لتحصيل حالة نفسية خاصة به يعدها نعيماً روحياً . بل كان اختلاؤه وانزاله للتفكير في طريق خلاص العالم من الضلال والقيام بخدمة عظيمة عامة البشر ، وشتان ما بين الحالتين .

نبوءته :

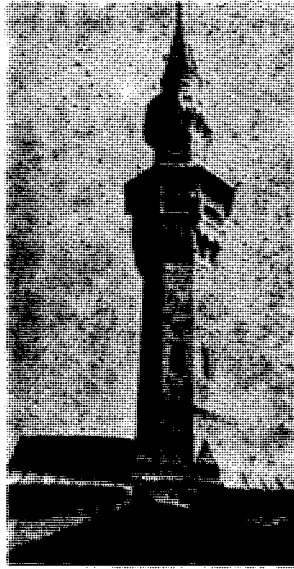
جاءه جبريل بالوحي وهداه الله بالنبوة الى طريق الخلاص ، وشرح صدره لما جاءه من الحق ، ووضع عنه عبء ذلك الهم الثقيل وبعثه للعالمين بشيراً ونذيراً .

الرحمة والقوة في شريعته :

ولو تبعت أصول شريعته وفروعها وآدابها لوجدتها كلها مبنية على أساسي الرحمة والقوة . فليس من الاسلام ذلك التماوت وذلك التمسكن الذي يتظاهر به بعض الناس . وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وقد رأى قوماً من هذا الصنف : « لا تميئوا علينا ديننا ، أماتكم الله » ، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها - وقد رأت قوماً يتماوتون في مشيتهم ، من هؤلاء ؟ فقيل لها قوم من القراء ، فقالت : « لقد كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى أسرع ، واذا تكلم أسرع ، واذا ضرب أوجع » .

ولو بحثت عن أسباب انتشار المملكة الاسلامية المبنية على الشريعة
المحمدية لوجدت أصل تلك الاسباب هذين الأساسين : الرحمة والقوة •
فان الضعيف مغلوب ، وان القاسي مبغوض • ولا يسود ويجب - كما
كان للاسلام - الا القوي الرحيم •

رزقنا الله القوة في قلوبنا وعقولنا وأرواحنا وأبداننا ، وأشعرنا
الرحمة بأنفسنا وبيعضنا وبغيرنا ، انه القوي المتين ، الرحمن الرحيم (١) •



(١) ش : ج ١٠ ، م ٥ ، ص ٨ -
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ - نوفمبر ١٩٢٩ م •

خطبتان لصاحب المجلة

في اجتماع جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة

في الجزء الماضي نشرنا ، كما نشرت الزميلات الاخرى ، المحضر الرسمي لجلسات الجمعية وقد لخص فيه أخي الاستاذ البشير الابراهيمي الخطاب الرئيسي الذي ارتجلته أحسن تلخيص ثم رغب مني جماعة أن انشر لهم نفس الخطاب فاعتذرت بأني لم اكتبه قبل القائه فاكفوا بنشر ما بقي بذهني منه ، فأنا انشر بغاية التحرير ما كنت ألقيته . وهذا نص الخطبة التي ألقيتها في الاجتماع الأخير الذي كان حفلة شاي دعي اليها الأعيان والنواب وعدة من طبقات الناس :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه
ومن والاه .

باسم جمعية العلماء المسلمين افتتح هذا الاجتماع واقدم الشكر الى أهل العاصمة اجمعين الذين احسنوا وفادة الجمعية وكرموا ضيافتها فبرهنوا على انهم أهل لان تكون العاصمة بهم رأس القطر وقلبه .
وانهم باعنائهم بالعلم وكرامهم للعلماء أحيوا لنا ذكرى عواصمنا العلمية الزاهرة في التاريخ مثل تلمسان وبجاية وتيهرت وقلعة بني حماد .
ثم اقدم الشكر لرجال نادي الترقى الذين فتحوا ابواب ناديتهم للجمعية وفسحوا لها مكانا رحبا فيه وجعلوه لها مؤثلا . فله هذا النادي الذي هو في العاصمة كالعاصمة في القطر .

ثم اقدم الشكر للسادة الشيوخ الذين لبوا دعوة اللجنة المؤسسة واقبلوا من جميع جهات القطر .

ثم أشكر السيد عمر اسماعيل الساعي في تأسيس الجمعية
والعامل على تكوينها وان شكري له شكر لجميع الذين ايدوه وآزروه
من اعضاء اللجنة التأسيسية وغيرهم من رجال العاصمة •

ويجب ان اذكر بالشكر جميع الذين فكروا في هذه الجمعية ودعوا
اليها • ولقد كان لجريدة الشهاب في سنتها الثانية والثالثة دعوة الى
مثل هذه الجمعية وكان كتاب الشهاب اذ ذاك قد كتبوا في هذا
الموضوع وكانت تلك أفكاراً واقوالاً تمهيداً للعمل حتى جاء السيد
عمر اسماعيل بالأمر قولاً وعملاً، وقد سرنا أن يتم هذا في العاصمة وعلى
يد رجالها •

ثم أقدم الشكر للسيد ميرانت لحسن قبوله لرئيس اللجنة المؤسسة
السيد عمر اسماعيل يوم زاره ودعاه لحضور حفلتنا هذه ورياستها
فاعتذر بغيابه وتلطف جنابه فطلب من السيد عمر اسماعيل أن ينوب عن
جنابه في ابلاغ اعتذاره الى الجمعية الموقرة • ولا عجب في هذه
الأخلاق العالية والآداب اللطيفة من ذلك الرجل الاداري العظيم الذي
يعرف ان المسلمين الذين برهنوا على حسن سلوكهم دائماً في جميع
المواطن يجب ان يعاملوا اليوم بغير ما كانوا يعاملون به امس - وذلك
المستشرق العالم بالعربية انه لا شك ان ذلك يجعل له عطقاً خاصاً
على ابنائها •

ثم اقدم الشكر لكم ايها السادة الذين لبيتهم الدعوة وشرفتهم
الجمع •

ثم اعرفكم بما تم من اعمال الجمعية في جلساتها هذه الثلاثة
الايام فقد عرضت القانون الاساسي على الاعضاء الحاضرين كلهم
فأقروه وعينت مجلس الادارة على الصورة الآتية :

خطبتان لصاحب المجلة

رئيس	الاستاذ عبد الحميد بن باديس
نائبه	» محمد البشير الابراهيمي
كاتب	» محمد أمين العمودي
معاونه	» الطيب العقبي
أمين المال	» مبارك الملي
معاونه	» ابراهيم بيوض
مستشار	» المولود الحافظي
»	» مولاي ابن الشريف
»	» الطيب المهاجي
»	» السعيد الجري
»	» حسني الطرابلسي
»	» عبد القادر القاسمي
»	» محمد الفضيل اليراتي

كل أعضاء الجمعية في العضوية وفي حق الاشراف والمناقشة سواء وانما عين هؤلاء الشيوخ ليتحملوا مسؤولية الادارة .

ولما كان أعضاء مجلس الادارة من جهات متفرقة والعمل بالمركز بالعاصمة لا بد أن يكون له من يباشره باستمرار لزم تعيين لجنة للعمل دائمة تكون من سكان العاصمة أو ضاحتها فعينت على هذه الصورة :

رئيس	السيد عمر اسماعيل
كاتب	» محمد المهدي
امين مال	» ايتسي أحمد عبد العزيز
عضو	» محمد الزمرلي
عضو	» الحاج عمر العنق

أما غاية الجمعية فهي اصلاح الفاسد وتقويم المعوج وارشاد الضال

بالهداية والحكمة في دائرة المحبة والوفاء واصلاح شؤون أهل العلم ولم شعهم وتنظيم هدايتهم ، فهي تسعى في ازالة كل شر يحرمه الشرع والقانون مما هو منتشر فينا ويضيق المقام عن تمداده ونشر كل نفع وخير .

هنا قد انتهيت من بيان ما يجب أن يعرف عن الجمعية ، ثم اوجه الآن خطابي لآخواني من طلبة العلم :

أيها السادة : قد أنجزتم أمراً عظيماً وأستتم مستقبلاً عظيماً ولقد جئتم من أنحاء القطر ملين داعي الاجتماع ، ناسين كل أسباب الافتراق فبرهنتم على ان علماء الجزائر متصفون بما يجب أن يتصف به العالم الحقيقي الذي صار العلم له صفة روحية وحياة قلبية من سعة الصدر والتسامح ونسيان الفكر الخاص أمام الصالح العام ، ان ما أسنناه لا يكفي فيه اجتماعنا هذا فعلينا أن نوالي الاجتماع مهما دعينا اليه وعلى كل واحد منا أن يكون داعية للجمعية بقوله وعمله وأن يكون مثلاً لفكرتها في الاتفاق والتآخي ونشر الخير وأن يطرح كل واحد منا فكره الخاص عندما تجيء مصلحة الجمعية . حسبنا ما مضى ، كفى ما تقائلنا على الكلمات فكلمة « فرق » قد ماتت من بيننا ، وما بقي الا العمل على الوفاق والوفاء لنبلغ غاية المرام .

آخواني انبي قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الاول والثاني فحزمت خيراً كثيراً وتحملت اثماً كبيراً ، ولعلكم تعذروني لما لحقت في اليوم الثالث . وأذكر لحضراتكم ما تعلمونه من قصة أبي خيشمة الأنصاري لما تخلف عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في غزوة تبوك ثم لحقه فقال الناس هذا راكب يرفعه الآء ويضعه فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كن أبا خيشمة فقالوا هو أبو خيشمة فاعتذر الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقبل عذره ودعا له

خطبتان لصاحب العظة

بخير • ومثلكم من كان له في رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - القدوة الحسنة ثم أعتذر لكم عن زميلي وصديقي الشيخ عبد الحفيظ ابن الهاشمي مدير النجاح فانه ما تخلف الا لعذر علمت انه لا فسحة فيه •

والآن أيها الاساتذة نحمد الله الذي يسر لنا هذا الجمع المبارك ونسأله تعالى كما أذاقنا حلاوة هذا النعيم أن يديمه لنا ويتم لنا به والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

ثم عقدنا اجتماعاً بعد تمام الاحتفال من خصوص أعضاء مجلس الادارة ولجنة العمل الدائمة فألقيت عليهم هذا الخطاب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه • اخواني انني ما كنت أعد نفسي أهلاً للرئاسة لو كنت حاضراً يوم الاجتماع الأول فكيف تخطر لي بالبال وأنا غائب • لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم وسمو أنظاركم جتتم بخلاف اعتقادي في الأمرين فاتتخبتموني للرئاسة وأنا غائب • اخواني انني كنت أعد نفسي ملكاً للجزائر ، أما اليوم فقد زدتم في عنقي ملكية اخرى فالله أسأل أن يقدرني على القيام بالحق الواجب ، اخواني انني أراكم في علمكم واستقامة تفكيركم ، لم تنتخبوني لشخصي وانما أردتم أن تشيروا بانتخابي الى وصفين عرف بهما أخوكم الضعيف هذا :

الأول : انني قصرت وقتي على التعليم فلا شغل لي سواه فأردتم أن ترمزوا بانتخابي الى تكريم التعليم اظهاراً لمقصد من أعظم مقاصد الجمعية وحثاً لجميع الاعضاء على العناية به كل بجهده •

الثاني : ان هذا العبد له فكرة معروفة وهو لن يحمدها ولكنه يبلغها بالتالي هي أحسن فمن قبلها فهو أخ في الله ومن ردها فهو أخ في الله فالأخوة في الله فوق ما يقبل وما يرد فأردتم أن ترمزوا بانتخابي

الى هذا الأصل : وهو ان الاختلاف في الشيء الخاص لا يمس روح
الاخوة في الأمر العام ، فماذا تقولون أيها الاخوان ؟ فأجابوا كلهم
بالوفاق والاستحسان ، وقال أخي الاستاذ العقبي : أما الوصف الأول
فاني اسلمه للأخ الرئيس وأما الوصف الثاني فهو لنا كلنا ، فكلنا نقول
أفكارنا مع المحافظة على الاخوة والوداد .

فقلت : بكلمة الاستاذ العقبي كان الختم الرسمي على هذا الكلام ،
ثم رفعت الألف للدعاء والابتغال للكبير المتعال . حقق الله الآمال
وسدد الأقوال والأعمال آمين .

هذا ما بقي بذهني مما قلته وقد نددت جمل عن الذاكرة لطول
العهد (١) .



(١) ج ٦ ، م ٧ ، ص ٣٥٦ - ٣٥١
غرة صفر ١٣٥٠ هـ - جوان ١٩٣١ م .

خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الذي القاها في الاجتماع العام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه
ومن والاه .

أما بعد فمرحبا بأبناء الجزائر وأفلاذ كبدها . مرحبا بورثة مجدها
التالد وحماة مجدها الآتي الذي تتخبط به أحشاء الأيام .

مرحبا بكم أيها الاخوان الوافدون من أنحاء الوطن على جزائر
مزغنا وآثار بلكين وعاصمتها الجمهورية العظيمة — مرحبا بالوفود
جاءت تخدم العلم وتؤيد العلماء وتمثل الروح العلمية السارية في الأمة
الباعثة لها على اكتساب المعارف الانسانية من جميع نواحيها والحائثة لها
على تلبية دعوة العلم والانضواء تحت لوائه . مرحبا بوفود جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين من أعضائها العاملين والمؤيدين . فبلسان الامة
الجزائرية الممثلة فيكم وبلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثلة
في مجلسها الاداري وبلسان مجلس الادارة الذي أنطق باسمه أقدم
لكم الشكر الوافر على اجابتكم دعوة الجمعية وحضوركم هذا الاجتماع
الذي ملأ العيون والقلوب وأقام البرهان القاطع والدليل المشاهد على
ان الجمعية جمعية الامة وانها تمثلها أصدق تمثيل .

وأقدم مثل ذلك الشكر للاخوان الكثيرين الذين تخلفوا واعتذروا
بالبرقيات والكتب وهم الذين سمعتم أسماءهم من الأخ الكاتب
العام آنفا .

أيها الاخوان :

سأعرض عليكم في هذا الخطاب حالة الجمعية في السنة الماضية وأعمالها والحالة الحاضرة وموقفها فيها وما تنويه من الأعمال في المستقبل باعانة الله .

فأما السنة الماضية فلقد كانت منشطرة الى شطرين فأما شطرها الأول فقد أوفدت الجمعية من رجالها للوعظ والارشاد وفوداً لبلدان القطر في العمالات الثلاث وقامت تلك الوفود بمهمتها خير قيام وكانت تتلقي من رجال الحكومة كما تتلقي من الأمة بكل اكرام . وأما الشطر الثاني منها وهو الذي يتبدىء بصدور قرار منع العلماء من الوعظ والارشاد بالمساجد ، فقد كان شطر بلاء وعناء على الجمعية ورجال مجلس ادارتها ، فمن تمر وجوه الى الصاق ثهم ، الى خلق عراقيل الى استثمار ذمم ، ومن وعد وترغيب الى وعيد وترهيب كل هذا والجمعية ورجال مجلس ادارتها ثابتون ثبوت الجبال ثقة من أنفسهم بأنهم دعاة حق وقصاد خير وعمال صالح هذا الوطن بأتمه وحكومته وجميع ساكنيه ، فانسلخت هذه السنة وأعمال الجمعية هي هذه ، ما قام به وفودها من وعظ وارشاد ، وما قام به رجالها من تعليم في عدة بلدان ، وما نشره كتابها في جريدة الجمعية ، جريدة السنة النبوية المحمدية التي لقيت - بحمد الله - من المسلمين غاية الإقبال : هذا كله قام به رجال الجمعية ، ولا غرابة أن يقوموا به فهم من أهل العلم وما أهل الا الذين ينشرون العلم بدروسهم ومحاضراتهم وخطبهم ومنشوراتهم .

ولكن الذي قام به رجال الجمعية وضربوا به المثل الرفيع للناس هو تضامنهم في الشدة كتضامنهم في الرخاء وثباتهم على يقينهم رغم كل زعزعة واعصار وتضحيتهم بالمصلحة الخاصة في سبيل الصالح العام

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

وتقتهم التامة بالله ثم بأنفسهم ثم بالمبادئ الجمهورية الفرنسية التي كتبت بدماء أبناء فرنسا الأحرار. فهذا الدرس العملي مرجو من فضل الله أن يكون أثره في الأمة وكل من يتقدم لقيادتها في ناحية من نواحي الحياة أبلغ الأثر وأقواه وأبقاه .

أيها الاخوان : ان جمعيتكم جامعة للناس فيما تفرقوا فيه من دين الله وهادية لهم فيما ضلوا من سبيله وقد عرف الناس حقيقتها ولكن نجا أقوام وهلك آخرون . واذا كان في استطاعة الجمعية أن تعظ وترشد فليس في استطاعتها أن تخلق التوفيق في نفوس كتب لها الضلال وما التوفيق الا من الله . وان جمعيتكم هذه من الأمة والى الأمة وكل ما لها أو عليها فهو للامة وعليها ، وانما قام بحمل أمانتها اخوانكم أعضاء مجلس الادارة فقاموا بواجب أشهد بثقله وأشهد بأنهم قاموا به خير قيام وأنهم لا يرجون من الامة الا أن تعرف ما يدعون اليه عن بصيرة فتتبعه عن بصيرة انما يدعونها الى واضح لا الى مشتبه ، والى حق لا الى باطل والى هدى لا الى ضلال وانما يدعونها الى الأعلام الهادية من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهدي السلف الصالح من أمته - رضي الله تعالى عنهم - يدعونها الى هذا من أمور دينها ويدعونها الى مجاراة السابقين في الحياة وأخذ حظها موفوراً من أسباب الحياة لتكون حية بدينها وحية في دنياها ولتكون سعيدة فيهما .

ان جمعيتكم تفخر بأئمتها قامت بإحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت قل القائمون فيه بهاتين الفريضتين ، وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما مرجع الفضائل الاسلامية ومنبعها ، وقامت باحياء هدي سلفنا الصالح في وقت طمت فيه البدع ، والأهواء على ذلك الهدي حتى خيف عليه الاندثار ، وان أول من رفع صوته بكلمة الحق في هذا الوطن وبلزوم الرجوع من بنيات الطريق الى نهج

الاسلام الواضح ، وبوجوب التماس الهداية من كتاب الله وما صح من سنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما أثر عن سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم - هم رجال هذه الجمعية قبل أن تكون الجمعية جمعية ، فلهم الفضل يوم كانوا فرادى مستضعفين ، ولهم الفضل يوم مدثوا أيديهم الى بعضهم فأصبحوا أقوياء متعاونين وللأمة الفضل يوم سمعت نداء الحق فاستجابت ولها الفضل حين تشابعت السبل فما شككت وما استرابت ولها البشر من الله حين غاب المخطفون عن مشهد الحق فما غابت •

ان جمعيتكم جمعية علمية دينية تدعو الى العلم النافع وتشره وتعين عليه وتدعو الى الدين الخالص وتبينه وتعمل لتثيته ، وتقوية وازعه في نفوس هذه الأمة ، فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وارشاده ، الذي لا يتنهي من وراء عمله أجراً ولا محمداً • وقد أراد اخوانكم رجال مجلس ادارة الجمعية - وهم حاملو فكرة الاصلاح الديني والعاملون لها والمنفقون لأوقاتهم في سبيلها - أرادوا أن يكونوا أمثلة للأجيال في التضحية في الثبات على الحق في الجهر به ، وكما كانوا أمثلة فقد ضربوا الأمثال بأعمالهم ، وها هي دروسهم في جهات القطر ينبع منها التفسير الصحيح لكتاب الله والتأويل الحقيقي لكلام نبيه والشرح الكاشف لهدي السلف الصالح من أمته ، وهذه محاضراتهم في جهات القطر تتدفق منها البلاغة العربية وتتجلى فيها أسرار الله في خلقه وتتكشف فيها حقائق هذا الكون ، ويعرض فيها داء هذه الامة ودواؤها ، وها هم أولاء يحملون الأمانة الاسلامية فيحسنون حملها ويؤدونها فيحسنون تأديتها ويحملون الأمانة العلمية فكل شيء عندهم بدليله ، وكل شيء يطلب من سبيله •

وهذه منشوراتهم في الصحف وعليها مسحة من نفوسهم : تبين محكم ، ورد مفهم ، وحجاج مقنع •

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

هذه وسائلهم الثلاث التي سلكوها وسمحت بها الظروف الى ساعتكم هذه والتي نرجو لها بفضل الله وبهمتكم - أيها الاخوان - أن تزداد كل يوم رقياً وتقدماً .

أيها الاخوان - اتنا نعمل في النهار الضاحي والليل القمر لبدأ لا يقل عنهما وضوحاً واستتارة بوسائل لا تقل وضوحاً واستتارة . كذلك فلا نعجب لمن يعارض ويكائد ويماري ولكننا نعجب لأنفسنا ولكم اذا أقمنا لتلك^(١) المعارضات والمكائد وزناً أو شغلنا بها حيزاً من نفوسنا أو أضعنا فيها حصة من أوقاتنا وان أدنى ما يغضه المبطل أن يضيع الوقت على المحق . وانتي أوصيكم ونفسي في هذا المقام بأن يكون في حقكم شاغل لكم عن باطل المبطلين فاذا قام حقكم واستوى قضيتهم على المبطلين وباطلهم واتنا نشهد الله والمنصفين من الامة على اتنا ماضون في بيان الحق وان مبدأنا الاصلاحى التهذيبي قد ملك علينا حواسنا وأوقاتنا . فاذا بدر منا في بعض الأوقات كلام على باطل المبطلين فليس ذلك عن قصد له وحفل به ، ولكن لأنه صادنا وتوقف اثبات^(٢) حقنا على نقيه .

وما حيلة من يسلك سبيلاً فتعرضه الصخور حتى لا يجد عنها محياناً - ان الضرورة تقضي عليه أن يجهد في نزعها واماطتها ثم لا يكون جهده في ذلك الا كتماديه في السير .

أيها الاخوان : ان جمعيتكم تغتبط كل الاغتباط بهذه النتائج التي حصلت عليها في خلال سنتين من عمرها مع ما تظلمها من العراقيل والمثبطات وهي تحمد الله على ما وفق اليه وأعان عليه وتشكر الأمة الجزائرية المسلمة على ما بذلت من تشييط ومساعدة وتعد أكبر مساعدة قدمتها الأمة للجمعية هي عرفانها للحق الذي تدعو اليه - ونسأل الله

(١) في الاصل : لتك

(٢) في الاصل : اثبات

الهداية لكل من ضل عن الحق ، وان جمعيتكم سائرة في عملها وهي تستقبل سنتها الثالثة بما ختمت به ما قبلها من دعوة الى العلم الصحيح والدين الخالص راجية أن يكون يومها خيراً من اسمها وغدها خيراً من يومها .

أيها الاخوان :

كثير حديث الناس عن جمعيتكم المباركة وكثير خوض الخائضين فيها مدحاً وقدحاً ، وان كثرة التحدث عن الشيء لعنوان صادق على الاهتمام به وان الاهتمام به لآية على اكباره وإعظامه أو - في الأقل - على كبره في نفسه وعظمه في الواقع .



كثير الحديث عن هذه الجمعية واختلفت منازع المتكلمين فيها وان جمعية كهذه الجمعية في أمة كهذه الامة في وطن كالوطن الجزائري حقيقة بالتنازع فيها واختلاف المنازع في شأنها ، وقد اختلفت فيها الأنظار يوم تأسيسها فهي في نظر البعض شيء غريب ، وفي نظر البعض شيء مريب ، وفي نظر البعض شيء حسن ولكن أوانه غير قريب .
فأما الذين استغربوها فهم طائفة من السذج يقيسون الحقيقة الإنسانية بوجودهم وقيسون التاريخ الانساني بأعمارهم وقيسون أسرار الاجتماع الانساني ببيت تجمع زوجاً وزوجة وأولاداً يفرقهم الصباح للكمد على القوت ويجمعهم المساء للنوم تحت السقف . فأى نقطة في الحياة عند هؤلاء تحتاج الى مظاهر الحشد والاجتماع وضم رأي لرأي ، وبهذا المقياس يقيسون الدين فهو عندهم اسم متعارف بين المسلمين وصلاة مفروضة تؤدي أو لا تؤدي واتسبب الى الاسلام يجري مجرى القانونيات في زمننا هذا والاعتقاد بجنة ونار من وسائلهما الأمل ولو بلا عمل فأية نقطة في الدين تحتاج الى شيء اسمه جمعية العلماء المسلمين .

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

ومن عجائب صنع الله لهذه الجمعية أن كل واحد من هذه الطائفة الساذجة قدر له أن يحضر درساً أو يسمع محاضرة يصبح بفضل الله مسلماً اجتماعياً يعرف حقيقة الاسلام ويدرك المنزلة التي أرادها له الاسلام .

وأما المرتابون فهم طوائف شتى تجمعهم صفة واحدة وهي اعتقاد ان هذه الجمعية تعارض مصالحهم أو فيها ما يعارض مصالحهم وقد كشفت الخطوة الاولى لهذه الجمعية عن مقاصدهم وكشفت لهم عما كانوا يرتابون فيه وأخرجتهم من الارتباب الى التحقيق فكان منهم ما رأيتموه من السخط عليها والكيد لها ولو أنصفوا لجمع الحق بيننا ولكن الانصاف قليل . واذا كان في أنصار هذه الجمعية من يضيق ذرعه بهؤلاء الكائدين الساخطين ، ويرى ان ظهورهم بما ظهروا به يعرقل سير الجمعية ويبطئ بها عن الوصول الى الكمال ، فاتنا نرى عكس هذا الرأي نرى ان وجود هؤلاء الساخطين الكائدين هو جزء متمم للجمعية ، وان سخط الساخط عليها كرضى الراضي ، كلاهما تثبيت للجمعية ، وان ذلك كله تدافع يظهر الله به الحق ويثبت قلوب أنصاره .

وأما الطائفة الثالثة فهي طائفة قويّة اشفاقها على هذه الامة ورحمتها بها ورأت ان عوامل الانحطاط فيها قوية ، وقد أراها الله من هذه الجمعية كيف يسرع لطف الله الى قلوب الخائفين وكيف تقرب رحمته من المحسنين فقوي رجاءها وثبت يقينها ودخلت في العمل الصالح عن ايمان وبصيرة . وهذه الطائفة هي أكثرية الامة وهي التي تمثلونها أتم أكثر الله عددكم وثبتكم على الحق وأحياناً وإياكم عليه حتى نلقاه غير مبدلين ولا مغيرين آمين يا رب العالمين (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ١٠ ، م ٩٠ ، ص ٣٨٧ - ٣٩٣

غرة جمادى الاولى ١٣٥٢ هـ - سبتمبر ١٩٣٣ م .

سر الضحية

الحمد لله الواحد الأحد في ربوبيته والوهيته ، مبتديء الخلق
برحمته الداعي اليه بنعمته وحجته ، شرع الشرائع بالحكمة والعدل
لسعادة الانسان ، وأودعها أسراراً وفوائد يعظم منها النفع ويزداد بها
الايان •

وأرسل الينا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - شاهداً ومبشراً
ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وأنزل عليه القرآن آية
بينه ، وحجته (١) باقية ، وهداية شاملة ، وعلمه ما لم يعلم وكان فضله
عليه عظيماً •

وأيده بروح منه حتى أدمى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وأقام الحججة ،
وأوضح الحججة ، وأبقى لنا من بعده كتاب الله وسنته هداية للمهتدين
وتذكرة للذاكرين وتبصرة للناظرين •

ووقفنا الى تلبية دعوته ، واتباع شريعته ، والتزام سنته • لا غلو
الغالين - ان شاء الله - ولا تقصير المقصرين •

فالحمد لله على جميع نعمه وعلى هذه النعمة ، والصلاة والسلام
على جميع رسله ، وعلى امامهم وخاتمهم محمد رسول الرحمة ، وعلى
آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعد : فهذا يوم الحج الأكبر ، والموسم الأشهر ، جعله الله عيداً
للمسلمين وشرع فيه ما شرع من شعائر الدين ، تزكية للنفوس وتبصرة

(١) كذا في الاصل والصواب : حجة .

للعقول ، وتحسيناً للأعمال ، وتذكيراً بمعهد امام الموحدين وشيخ الانبياء والمرسلين ، ابراهيم الخليل عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين .

فقد كسر الأصنام وحارب الوثنية وحاج قومه وما كانوا يدعون من دون الله ، وقام يدعو ربه وحده طارحاً ما سواه ، وحاج الملك الجبار حتى بهت الذي كفر ، وقذفوا به في النار ، فما بالى بهم ولا بها وثبت وصبر ، حتى نجاه الله وجعل الذين أرادوا به كيداً هم الأخرين .

وأوحى الله اليه بذبح ابنه فامتثل ، واستشار ابنه اسماعيل فأجاب وقبل ، فطرحه للذبح وأسلم الله في القصد والعمل ، ففداه الله بذبح عظيم ، وترك عليه في الآخرين سلام على ابراهيم ، وأبقى سنة الضحية في الملة الابراهيمية ، والشريعة المحمدية ، تذكيراً بهذا العمل العظيم ، والاسلام الصادق لرب العالمين ، ليتعلم المسلمون التضحية لله بالنفس والنفيس ، وليعلموا ان المسلم من صدق قوله فعله ، ومن اذا جاء أمر الله كان لله كله .

فتدبروا أيها المسلمون في هذا السر العظيم ومرنوا أنفسكم على التضحية في كل وقت في سبيل الخير العام بنا تستطيعون ولا تقطعوا عن التضحية ولو ببذل القليل ، حتى تصير التضحية خلقاً فيكم في كل حين واجعلوا قصة هذا النبي الجليل نصب أعينكم ، وتدبروا دائماً ما قصه الله منها في القرآن العظيم عليكم ، وأحيوا هذه السنة ما استطعتم ، وأسلموا لله رب العالمين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

« وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئِينَ ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ

فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَكَّهُمُ لِلنَّجْبِينَ
وَتَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ
بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ » •

طلب منا كثير من اخواننا خطبة لعيد الأضحى ليخطبوا بها فلعل
هذه الخطبة تقبل لديهم فيخطبون بها على الناس •

(ابن باديس)



(١) ش : ج ٤ ، م ١٠ ، ص ١٣٩ - ١٤١
غرة ذي الحجة ١٣٥٢ هـ الموافق لمارس ١٩٣٤ م •

شوقي وحافظ

في شوال من السنة الماضية شاركت الأمة الجزائرية الامم العربية في الاحتفال بذكرى شاعري العربية العظمين وتألقت لذلك لجنة من الأدباء بالعاصمة واقامت حفلة حافلة بنادي الترقى القيت فيها الخطب وأنشدت القصائد وتواردت فيها برقيات المشاركة من جميع نواحي القطر ، وقد نشرت الصحافة خبر هذه الحفلة في وقتها واليوم رأينا أن تنشر في « الشهاب » ما اتصلنا به مما قيل في تلك الليلة ، فيكون كإحياء الذكرى مرة أخرى .

« خطبة صاحب هذه المجلة » (١)

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

أيها الاخوان :

اذا كانت الأمم اللاتينية - على ما بينها من نزاحم وتخاصم وتقاتل وتناحر - ترتبط برابطة اللاتينية وتتفاخر بثقافتها ، وتعقد المجتمعات العظيمة لتقوية روحها وتبتين حبل التمسك بها ، فنحن - أبناء العربية - وليس بيننا شيء من تلك المفرقات بل ما بيننا الا ما يقرب بعضنا من بعض من المؤلفات والمحزونات ، أحق بأن نفعل مثلهم وأكثر منهم في لغتنا العربية .

وفوق هذا فان اللغة اللاتينية ليست لغة العلم والادب المشتركة

(١) ابن باديس والمجلة هي الشهاب .

ما بينهم مثل العربية التي هي^(١) العلم والأدب ما بين سبعين مليوناً من أبناء الضاد . وليست اللاتينية قريبة من عامياتهم مثل قرب العربية الفصحى من عاميتنا . حتى انه لو قام خطيب يخطب باللاتينية لما وجد من يفهمه الا قليلاً من أهل القلم منهم ، ونحن نلقي دروسنا ومحاضراتنا واكثر خطبنا بالعربية الفصحى فلا يبقى على بعض السامعين الا قليل من القول .

فاذا كانت العناية باللاتينية من واجب خاصتهم ، فان العناية بالعربية من واجبنا عامة وخاصة اذ هي لغتنا اجمعين واذا كان تمسكهم برباطتهم اللاتينية لم يخرج أي واحد منهم عن وضعيته الاجتماعية الخاصة ، فان تمسكنا بهذه الرابطة العربية لا يخرجنا عن وضعيتنا الخاصة وما لنا من ارتباطات اخرى يرتبط بها المجتمع الجزائري !

أيها السادة :

ان من حقنا ومن الواجب علينا - نحن معاشر المسلمين الجزائريين - الذين تشربت عروقنا هذه اللغة الكريمة من معين قوميتنا الشريفة وتغذت ارواحنا من بيانها العذب بالشربي^(٢) المصفي ، من ديننا العظيم ، واستنارت عقولنا من شمسها المضيئة بالانوار الساطعة من تاريخنا الجليل ، من حقنا الواجب علينا أن نكرم العربية . ومن يكرم العربية وخصوصاً من خدم العربية بعقله وروحه وحياته مثل شاعرنا الكريمين ؟ ومن حقنا - أيضاً - أن نرتبط بأبناء العربية ارتباط القلب واللسان ، ارتباط العقل والتفكير ، ارتباط الشعور والتقدير خصوصاً عندما يتحرر الشعور العام لأمر هام وتتوجه القلوب العربية لتكريم عظيم ، أو احياء ذكرى عزيز مثل احتفالنا هذا مع العالم العربي لتكريم الشاعرين العظيمين واهياء ذكراهما العزيزة الخالدة .

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب : التي هي لغة العلم .

(٢) هذه كلمة غير واضحة .

أيها السادة :

اتنا باحتفالنا هذا بذكرى شاعرٍ عربيّ العريية العظيمين شوقي وحافظ ،
نكرم سبعين مليوناً من أبناء العريية الذين يعدون العريية لغتهم
القومية • ونكرم خمسمائة مليون من أبناء الاسلام الذين يعدونها لغتهم
الدينية ونكرم الامم المتمدنة جمعاء التي يعترف اكابر علمائها المنصفين
بمزية اللغة العريية التاريخية على العلم والمدنية •

أيها الاخوان :

ليس الشاعران الخالدان بالمحتاجين للتعريف بهما • ولست بالباحث
الاديب الذي يستطيع ان يعرض عليكم في بلاغة وايجاز صوراً (١)
فتانة من أدبهما • غير انني ربما استطيع ان اقول شيئاً من وجوه
العبرة والقدوة في حياتهما ، ووجوه من النعمة العظيمة من الله تعالى
على العريية بهما :

قد اتحد الشاعران في الوطن وتقاربا في المولد والوفاة ولكنهما
تباينا في البيئة والنشأة والمعيشة ، فنشأ شوقي في بيت الأمانة ،
وفي بيئته الخاصة ، وعاش عيشة الترف والنعمة ، ونشأ حافظ في
بيت أبيه ، وفي بيئة عامة ، وعاش عيشة البؤس والشدة • فكان من
نعمة الله أن قسمت الحياة بينهما هذا التقسيم ليؤدي كل منهما للعريية
رسالته من ناحيته ومؤثراتها الخاصة به •

فلقد اخرجت بيت الامارة المرتبطة بالخلافة من شوقي ، شاعر
الاسلام والعرب والاحداث الاسلامية الكبرى والتاريخ الاسلامي
العام وتاريخ العرب • واخرجت البيئة العامة الراححة تحت نير الظلم
والمتجرعة لالوان الشقاء ، والمتقلبة في دركات الانحطاط من حافظ

(١) في الاصل : صور .

شاعر الاخلاق والاجتماع والوطنية ولا غناء لواحد من العرب عما جاء به كل واحد من الشعارين في ناحيته • ولو لم يخلق الله الا احدهما لما تمت النعمة من الناحيتين •

كانت العربية القرآنية قد تنوسيت اساليبها واقطعت سند الأمة العربية عنها فجدد الشعاران من شبابها ، وأعادا من بيانها ، ما حسب الناس انه مات مع الأيام الزاهرة للعرب بالشرق والمغرب •

حسب قوم ان العربية لا تتسع لما جدّ من المعاني الا اذا خلعت عنها ثوب القرآن ، ولبست - مثلهم - منسوجات « لانكشير » وأخوات « لانكشير » ، فجاء الشعاران - خصوصاً شوقي في العقد الاخير من عمره ، من قصائد هما العصرية المعاني القرآنية اللغة والاسلوب والتراكيب - باوضح الرد وابلغ التكذيب •

عاش الشعاران كل على ما قسم له من الحياة حتى جاءت الحرب العالمية الكبرى ووضعت اوزارها فاذا بشوقي يخرج الى العالم من قفص دار الامارة ، واذا بحافظ يدخله بؤسه الى قفص الوظيف في دار الكتب المصرية •

فماذا كان من الشعارين العظيمين بعد ؟

كان منهما ما يجب ان تكون فيه ابلغ العبرة ، فان شوقي اتسعت شاعريته العالمية ، وقويت نزعة الوطنية ، واما حافظ فقد سكت ، سكت الا عن قليل كان أكثره رثاء ! ولعمر الحق ما اسكته الا الوظيف الذي ينسى به الشرقي - حتى مثل حافظ ويا للأسف - نفسه ، وأمته ، وملته ، الا ما شاء الله •

أيها الاخوان :

ان مما نفع شوقي اطلاعه على آداب أمم أخرى في لغة اوروية

هي الفرنسية وأن مما نفع حافظا ما مسه من الالم مع قومه . وقد كان يطالع « الاغاني » و « العقد الفريد » ويميد مطالعتها المرة بعد المرة ، فعلى أدباء الجزائر وشعرائها أن يدرسوا آدابهم العربية ، وان يطالعوا الآداب الغربية في اللغة الفرنسية وان يمازجوا قومهم ليألموا وينموا — ان كان نعيم — معهم ، لتكون لهم منزلة أدبية عالمية ، وآثار بارزة في الحياة الجزائرية .

أيها الاخوان :

ان حياة الشعارين العظمين قد اخمدت نوايغ وامامت قرائح وان موتهما بما نشاهد من تكريم العالم العربي لهما ستحيي ملكات ، وتبعث هما ، فكونوا — واتم اتم — في أول الرعيل .

أيها الاخوان :

ليس للجزائر من حافظ الا ما للاوطان العربية الاخرى من شعره وأدبه وفنون قوله ، أما شوقي فقد قدر له أن يزور هذه الجزائر في شبابه وينزل بعاصمتها أربعين يوما للاستشفاء ، ويقول عنها ، « ولا عيب فيها سوى انها قد مسخت مسخا ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستتكف النطق بالعربية ، واذا خاطبته بها لا يجيبك الا بالفرنسوية » . فاعجبوا للاستدلال على حالة امة بمساح الاحذية منها ! ولا يجمل بي أن أزيد في موقفي هنا على هذا ، الا ان فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا لكان له في الجزائر رأي آخر ، ولعلم ان الامة التي صبغها الاسلام ، وهو صبغة الله ، وأنجبتها العرب ، وهي أمة التاريخ ، وأنبتها^(١) الجزائر ، وهي العاتية على الرومان والفاندال ، لا تستطيع ولن تستطيع أن تمسخها الايام ، ونوائب الايام .

(١) في الاصل : واثبتتها .

أيها الاخوان :

باسمي الضئيل ، وباسم الجزائر الكبير ، وباسم جمعكم الكريم ،
أرفع التحيات الزكية للفقيد الخالدين في مرقدكما ولجميع العاملين
لاحياء العربية وأدبها من بعدهما •

فليعش العرب ، ولتعش العربية ، وليعش المحبون لهما من الناس
أجمعين (١) و(٢) •

عبد الحميد بن باديس



(١) حررت والقيت ليلة ٢٧ من شوال ١٣٥١ هـ بنادي الترقى
بالعاصمة (المؤلف) .

(٢) ش : ج ٤ ، م ١٠ ، ص ١٤٢ - ١٤٦
غرة ذي الحجة ١٣٥٢ هـ - مارس ١٩٣٤ م .

خطاب رئيس الجمعية

الذي لقي في صباح اليوم الاول من ايام اجتماعها العام

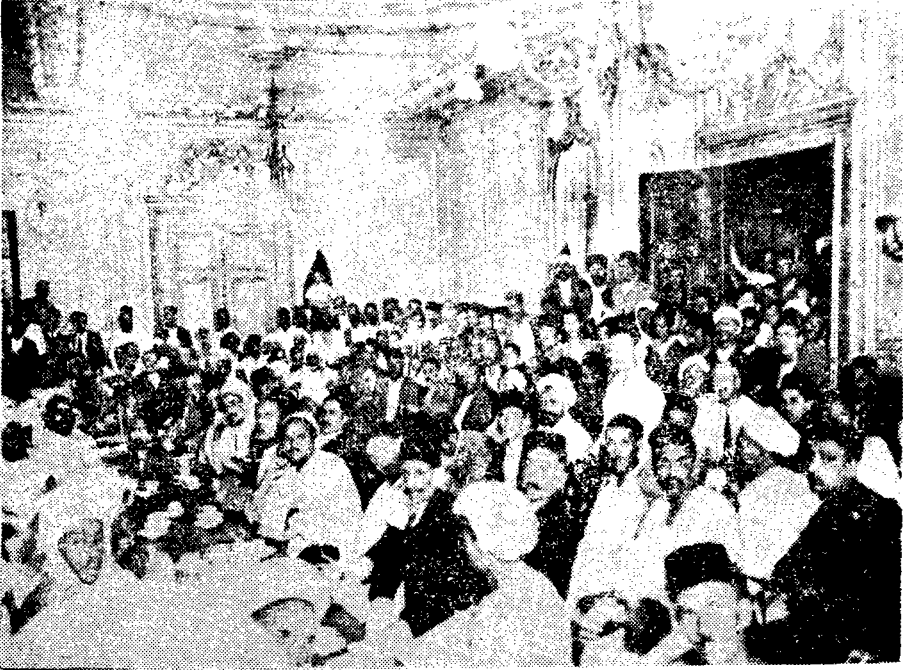
الحمد لله العليم الحكيم ، رب البرية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالتعلم والتعليم ، لتكميل البشرية ، وعلى آله وصحبه ذوي العقل الصحيح والخلق الكريم ، والنفوس الأبية ، وعلى التابعين لهم في هديهم الصالح وطريقهم المستقيم وسيرتهم الرضية .

أما بعد ، فباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمثل الجزائر المسلمة العالمة والمتعلمة ، أرحب بكم أيها الأخوان وأهبي وفودكم الكريمة ، وأشكر لكم ما تحملتم من تعب وانفقتم من مال حتى حضرتم هذا الاجتماع الذي ملأ العيون مهابة وجلالا ، والقلوب محبة وسرورا ، واعطى من الجزائر صورة صادقة في جمعكم الحافل الكريم .

وأشكر معكم في ذلك الترحيب وذلك الشكر وتلك التحية الاخوان الكثيرين الذين تخلفوا واعتذروا بالبرقيات والكتب التي تلاها عليكم الاخ الكاتب العام آنفا .

ولا أفي بالشكر والتحية تلك النفوس الطاهرة ، التي تحب الجمعية وتتعلق بالجمعية من العامة الامية الكثيرة ، التي شاهدت وشاهد غيري من رجال الجمعية جموعها العاشدة في جميع القرى والمداشر عندما نرد عليها ونقف فيها للوعظ والارشاد . ولولا الفقر والامية قعدا بها لكانت حضرت او كاتبت واعتذرت .

أيها الأخوان ، ها هي السنة الثالثة للجمعية قد مضت فماذا عملت



صورة اخذت اثناء خطبة الرئيس في المادبة التي اقامتها جماعة
نادي الترقى لاعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

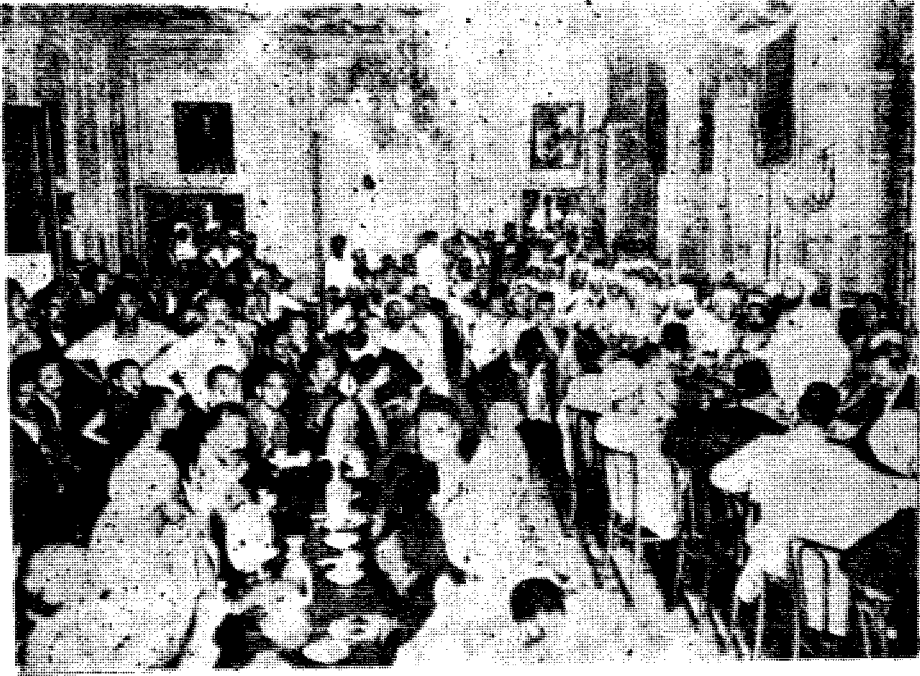
الجمعية فيها واين بلغ اثرها ، وماذا لقيت فيها الجمعية من الله تعالى
ومن الناس •

نشرت الجمعية صحيفة السنة ، فصحيفة الشريعة فصحيفة الصراط
فلقيت كلها من الامة من الاقبال والرواج ما لم تلقه صحيفة قبلها ،
وما احبها المؤمنون حتى احبها الله ، ولا يوضع الحب في الارض حتى
يوضع في السماء ، ولكنها لقيت من ناحية ادارية خاصة البغض والتكر
والاضطهاد فسقطت الصحيفة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة ، وقرن
تعطيل الثالثة بمنع الجمعية من اصدار أي صحيفة منعا سيبقى لطخة
سوداء في جبين حرية القول والتفكير في تاريخ الصحافة في القرن

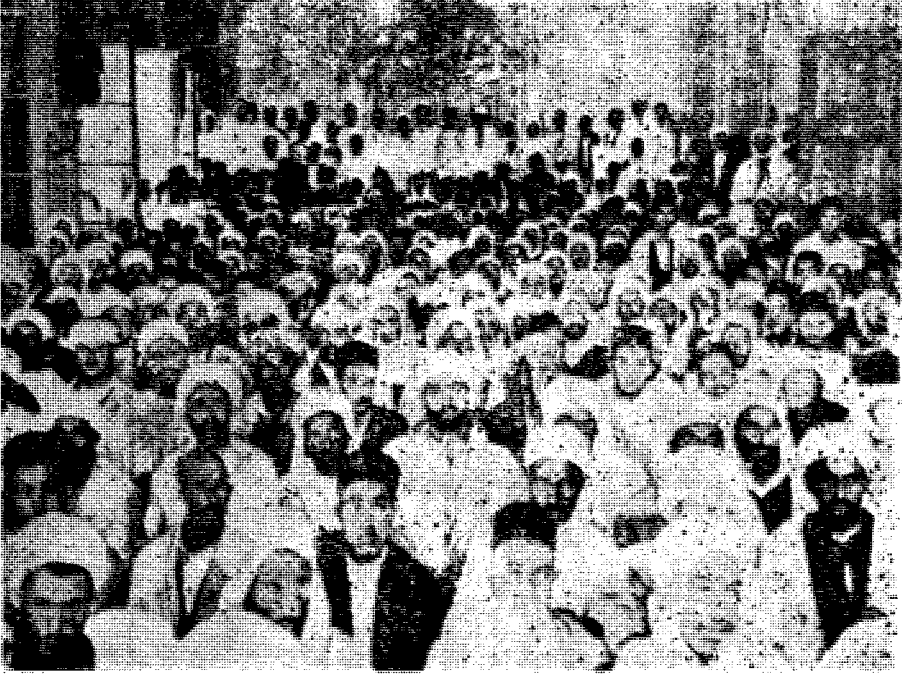
خطاب رئيس الجمعية

العشرين الذي يسمونه عصر الحرية والنور .

عزمت الجمعية على ارسال الوفود الى الجهات من أول السنة ولكنها رأت لما أرادت أن تباشر ذلك ما كانت عليه الامة من استياء واضطراب بما اصابها من ناحية المطالبة بحقوقها واخفاق مساعيها فرأت الجمعية ان تترئث وان تنتظر رجوع السكون والحالة الاعتيادية تباعدا عن كل ما ليس من خطتها وتفاديا من ان ترمى - وهي التي طالما رميت بالباطل - بما يخالف اعمالها ومقاصدها . واكتفت بما كان يقوم به كل ذي علم من رجالها من نشر الهداية في ناحيته وفي آخر السنة تنقل رئيس الجمعية في بلدان من عمالة قسنطينة ونائب الرئيس في بلدان



صورة اخرى لمأدبة العشاء التي اقامتها جماعة نادي الترقى لاجراء
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وقد اخذت الصورة
من الناحية المقابلة



صورة الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الذي عقد بنادي الترقى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م
وقد اخذت بعد انتخاب مجلس الادارة

من عمالة وهران فكان اقبال الناس بقدر ما كانوا فيه من تمعش للعلم
وشوق لأهله .

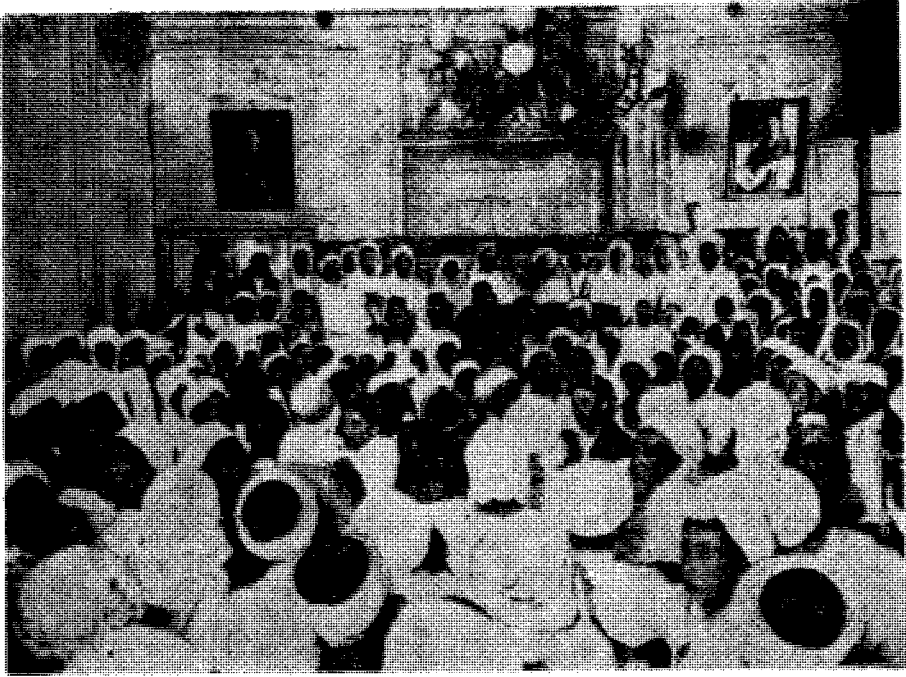
اما الاعتناء بالتعليم فهذا هو الذي انقطعت اليه الجمعية وقامت به
قيامها ففي قسنطينة وفي ميلة وفي الميلية وفي جيجل وفي بجاية وفي
بسكرة وفي تبسة وفي بلدة الجزائر وفي بني ورتلاب وبني يعلى وفي تلمسان
وفي غيرها في كثير من البلدان تجد رجال مجلس ادارة الجمعية وغيرهم
من ذوي العالمية يقضون ليلهم ونهارهم في الدروس العلمية الفقهية
والدروس العلمية الارشادية وتلقين مبادئ الدين واللغة لمن استطاعوا

خطاب رئيس الجمعية

اليه سيلا من النشء الصغير ولو ان التعليم كان حرا ولو ان الرخص كانت تعطى لمن يطلبها لكان التعليم اليوم قد عم القطر كله .

فأثر الجمعية العلمي والارشادي قد بلغ من الأمة هذه السنة بحمد الله - رغم العراقيل - فوق ما كانت الجمعية تظن وتتوقع فكان اقبال الطلبة على مناهل العلم كثيرا وكان اهتداء الأمة عظيما .

نعم لقد لقيت الجمعية في سبيل ذلك ما لقيت فقد تضافت قوى على مقاومتها ، وصنعت بأيد خفية أشباح - كأشباح « القنيول » ولكنها من العجيين - لمعاكستها وأنفقت أموالا لصدها والصرف عنها ولكن ما أتى العام ولا أكثر العام - أيها الاخوان - حتى انتكشت تلك القوى وانتفض غزلها ، وزالت تلك الاشباح فلا هي ولا خيالها ولا



أخذت هذه الصورة في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي عقد بنادي الترقى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م



أخذت هذه الصورة في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين
الذي عقد بنادي الترقى سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م
الجالسون من اليمين الشيوخ : عبد القادر بن زيان ، العربي التبسي ،
الامين العمودي ، عبد الحميد بن باديس ، البشير الابراهيمي ،
مبارك الملي ، الطيب العقبي
الواقفون من اليمين الشيوخ : السعيد الزاهري ، محمد خير الدين ،
يحيى حمودي ، أبو اليقظة

من كان يحركها وضاعت تلك الاموال وكانت حصرة وغلبا على
أصحابها .

ووالله انني لا اعتقد ان هذا ليس من صنعنا ، ولا مما كنا نبلغ
اليه لكل ما نبذل من جهدنا ، ولكنه من صنع الله ومن غلب الله ، ليزداد
الذين آمنوا ايمانا وليعلم الناس ان الله ناصر من ينصره وان حزبه

خطاب رئيس الجمعية

هم الغالبون وليعلم كل ذي موسى ان موسى الله احد ، وكل ذي ساعد ان ساعد الله أشد وكل متريب ومتكبر ان لا اله الا الله والله أكبر .
أيها الأخوان :

هذه حالة الجمعية في سنتها الثالثة عرضتها باختصار عليكم .
وهي في يومها الحاضر كما كانت في ماضيها وكما تكون ان شاء الله في مستقبلها سائرة في خطتها الاصلاحية الدينية العلمية المحضة تنشر العلم والفضيلة وتحارب الجهل والرذيلة عن نور القرآن العظيم والسنة النبوية ، وهدى السلف الصالح من الامة ، تخدم بذلك الاسلام والمسلمين وجميع الساكنين بالجزائر ، وتؤدي بذلك واجبها نحو الانسانية جمعاء .

والله نسأل دوام التوفيق في القصد والعمل والوصول الى الخير العميم ، على الصراط المستقيم .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٩ ، م ١٠ ، ص ٣٧٧ - ٣٧٩
فرة جمادى الاولى ١٣٥٣ - ١٢ أوت ١٩٣٤ م .

خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الذي القاه في الاجتماع العام

بمركز الجمعية بنادي الترقى بالعاصمة

يوم الاحد ١١ رجب ١٣٥٥ هـ و ٢٧ سبتمبر ١٩٣٦ م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه
ومن والاه .

أما بعد : فيا أيها الوفود الكرام قدمتم خير مقدم . جمعتم عقيدة
الحق والخير ، وقادتكم فكرة الواجب وساقكم شوق النفوس الزكية
الى مشاهد الفضل ، ومواقف المجد ، ومطارح العمل الصالح الذي
يرضي وينفع المخلوق فجئتم من اطراف القطر معتزين بالاسلام ممثلين
للجزائر مكرمين للعلم ، كل ذلك بحضوركم اجتماع جمعيتكم جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين . فحياكم الاسلام الذي حفظتموه فحفظكم ،
وحيتكم الجزائر التي تأبون الا ان تكونوا ابناؤها وتأبى الا ان تكون
- بحق - أمنا لكم ، وحياكم العلم الذي هو أساس سعادتكم
باسلامكم وجزائريتكم ، وحياكم الله ، فالسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته تحية من عند الله مباركة طيبة والله اكبر . .

أيها الاخوة :

خمس سنوات قطعناها معلنين بدعوة الجمعية سائرين الى غايتها
فما جمعنا يوما بتلك الدعوة ، ولا حدثنا مرة عن ذلك القصد ، فاغنى
الناس بيان دعوتهم وايضاح وجهتهم هم رجال هذه الجمعية لكن
الشمس في رابعة النهار قد يخفى في بعض الجهات جرما ويجهل - الا

خطاب الرئيس بنادي الترقى بالعاصمة

عند القليل - مكانها اذا تراكت السحب ، وهزم الرعد وكاد البرق يخطف الابصار فلا عجب ان تخفى حقيقة هذه الجمعية في بعض الاحيان على بعض الناس عندما أظلم الجو بسحب الباطل والتجأت طوائف من الناس الى تبادل رعود الوعيد وبروق الوعود . واذ كنا في فترة من الزمن هي على هذه الحال فأرى من الواجب أن أحدثكم عن غاية الجمعية ودعوتها وان كنتم بها جد عالمين ليعلمها من كان بها جاهلا ويقمع من كان عليها من الكاذبين .

غاية الجمعية :

أرأيتم - أيها الأخوان - الزرع كيف ينبت ويخضر ويورق ويسنبل فيؤتي أكله ، وقد تصيبه آفة وهو حب في الارض فلا ينبت ، وقد تصيبه وقد نبت فلا يورق ولا يسنبل وقد تصيبه وقد سنبل فلا تجنى منه حبة ! والناس كالنبت معرضون في حياتهم الى عدة آفات ، يكادون لا يسلمون منها ، فمنها ما يصيب العقول ، ومنها ما يصيب الابدان ، ومنها ما يصيب الاموال ، ومنها ما يعم ذلك كله ، ولا يسلم المجتمع البشري الا بمحاربة هذه الآفات كلها - وذلك نص الفصل الرابع من قانونها الاساسي الذي يقول : « القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور ، فكل ما يفسد على الناس عقولهم او يضيع عليهم اموالهم فهو من الآفات . ولهذا حاربت الجهل والجمود والدجل والخرافة وكل انواع الباطل، وحاربت كل واقف في طريق التعلم والتعليم أي نوع من أنواع التعلم والتعليم ، وحاربت « الزردات والوعيدات والفدوات » وبدعة المآثم ومنكرات اللوائم وكل وجوه السرف وأكل اموال الناس بالباطل ، وحاربت اثر ذوي المال بما جعلهم الله مستخلفين فيه ، وقعودهم عن تأسيس المشاريع الاقتصادية وقبض ايديهم عن المشاريع العلمية والخيرية لان ذلك من اسباب البطالة والفجور .

ثمره هذه الغاية :

هي سلامة المسلمين من تلك الآفات وامثالها حتى يمكنهم ان يترقوا في جميع نواحي الحياة الى أقصى ما تترقى اليه الامم ، فيكونوا محترمين من أنفسهم ومن غيرهم يفيدون ويستفيدون ويعرفون كيف يسوسون وكيف يساؤون فتربح بهم الانسانية عضوا من خير من عرفت من أعضائها •

دعوة الجمعية :

أيها الأخوة هذا العالم عالم الكون والفساد فكل كائن فيه هو معرض للخروج عن حالته الاصلية واختلال اصل نظامه ، وتلك هي حالة الفساد ، وارجاعه الى حالته الاصلية هو الاصلاح فالمسلمون اليوم بما دانوا به من عقائد الاسلام وفضائله واعماله ونظمه على خير لكنهم خرجوا عن اكثر ما دانوا به فكانوا بذلك الخروج في حالة فساد فلا بد من اصلاحهم بارجاعهم الى ما خرجوا عنه ، والجمعية تدعو الى هذا الاصلاح فدعوتها اصلاحية محضة ، وقد صرح بهذه الدعوة الفصل الثامن من قانونها •

ثمره هذه الدعوة :

هي رجوع المسلمين الى عقائد الاسلام المبنية على العلم ، وفضائله المبنية على القوة والرحمة ، واحكامه المبنية على العدل والاحسان ، ونظمه المبنية على التعاون بين الافراد والجماعات والتآلف والتعامل والتعاون ، وان لا فضل لاحد على احد الا بتقوى الله ، ومن اتقى الله فهو اتق الخلق لعباد الله •

ما حصلنا من الثمرتين :

أيها الاخوة ما بين تلك الآفات وانصارها وبين خصوم هذه

خطاب الرئيس بنادي الترقى بالعاصمة

الدعوة وعوارضها ، ثبتت الجمعية ثبوت الجبال ، وتوسع دائرتها في كل يوم ، ويكيد اعداؤها لها ليصرفوا عنها ، فيزداد التمسك بها ويكثر الالتفاف حولها ، ان هذا أيها الأخوة لدليل عملي على نجاح دعوتها الصادقة ودنوها من غايتها الشريفة الواضحة ومتى كانت جمعية تلقى ما لقيته هذه الجمعية وتبقى بقاء هذه الجمعية لولا عقائد صحت ، واخلاق منتت وافكار استنارت فأثمرت كلها العمل الصالح والصبر والثبات وكان اجتماعكم هذا في ختام هذه السنة وعلى أثر مرير حوادثها وشنيع كوارثها عنوان ذلك كله في الأمة ومبين مقدار ما جنت الجمعية من ثمار غايتها ودعوتها وانه - والحمد لله - لكثير في هذا الزمن الصعب القصير فلنسر ولنرج من الله المزيد .

الجمعية وانواع من يتصل بها :

تتصل الجمعية بنواح عدة مما يقضي به عملها ويستدعيه مركزها وتقتضيه سنن الاجتماع ، فتسير مع كل ناحية بما تقتضيه خطة الجمعية وما يناسب غايتها ودعوتها ، وسنذكر مواقف الجمعية مع كل ناحية منها ليكون كل أحد على علم بها .

الجمعية والأمة :

اذا كانت الجمعية بلغت - بتوفيق الله - الى شيء من غايتها فذلك لأنها أتت هداية الأمة من بابها فخاطبتها بلسانها وقادتها بدينها الذي هو زمام روحها والجزء الأعظم الذي تتكون منه ، وتحيا به شخصيتها ، فعالجتها بالكتاب والسنة ، وهدى صالح سلف الأمة حيث يتوجه كل مسلم منشرح الصدر مطمئن النفس ، وحيث تنضوي كل المذاهب والفرق فيقل الخلاف أو يخف أو يندم ، فلو كان في الجزائر جميع مذاهب الاسلام لوسعتهم هذه الجمعية بعلاجها الناجع النافع - باذن الله - للجميع .

الجمعية واهل الطرق :

ها هو القانون الأساسي للجمعية كنا وضع أول مرة منذ خمس سنوات وقد كان الذين وضعوا شطرتهم مع الطرفين ، ولكنهم ما أكلوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوها العداوة واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما كان عندهم من كيد ، ذلك لأنهم وجدوا كثيراً من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشتهم ، ووجدوا قسماً منها مما تغضب محاربه سادتهم ومواليهم وقد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية ولا أبعدهم ولكنهم هم أبعدها أنفسهم ، وكانوا والجمعية كما قال كثير :

وكنا سلطنا في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما توائقنا شددت وحلت

« ... فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَيَسِيئُ إِلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

الجمعية والحكومة :

لقد لقيت هذه الجمعية الاصلاحية من الحكومة العنت والبلاء ولم تبال في سبيل ارهاق الجمعية بكرامة المسلمين في دينهم وحرمة مساجدهم فأوصدت المساجد في وجوه العلماء وشحنت برخص التعليم العربي القرآني وأعملت أصابعها في شؤون المساجد ورجالها والجمعيات الدينية واعطائها بواسطة من لا يدينون بالاسلام ولا يشعرون شعوره ولا تهمهم مصلحته مما لا نعرف له نظيراً في أمة من الأمم وصورت رجال الجمعية بصورة الأعداء لتبعد عنهم كل من يعيش معها أو يرجو مصلحة لديها ، كل ذلك والجمعية تصبر على البلاء وترد بأعمالها وأقوالها كل افتراء وتوالي الاحتجاجات على تكرار السكوت والإعراض ...

خطاب الرئيس بنادي الترقى بالعاصمة

هكذا كانت الحكومة وهكذا ما زالت في الجزائر الى اليوم ، ولكننا نرجو أن تنجلي هذه البلايا في عهد الحكومة الشعبية اذا صدق عزمها كما صدقت نيتها في اعطاء الجزائر حقوقها . وان ثقنا التي كنا منحناها في كل مثل اجتماعنا هذا، من السنة الماضية، لفرط حسن ظننا فيه، وانتظرناه، حتى خاب ذلك الظن - لمنحها اليوم للحكومة الشعبية وأحزابها مستنجزين وعودها منتظرين فاتحة سنتها آملين أن لا يخيب ظننا هذه المرة واذا خاب ظننا - لا قدر الله - فنحن عباد الله والله أكبر .

الجمعية والاحزاب :

ان الاسلام عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج اليه الانسان في جميع نواحي حياته لسعادته ورقيه وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه الا باصلاح عام على مبادئ الإسلام ، فالمسلم الفقيه في الاسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة فليس للجمعية إذا من نسبة الا الى الاسلام ، وبالاسلام وحده تبقى سائرة في طريق سعادة الجزائر والبلوغ بها - ان شاء الله - الى أرقى درجات الكمال .

والى هذا فنحن نشكر ونعترف بالجميل لكل من يؤيدنا في سيرنا نصره للمظلوم ومقاومة للجبروت ، وخدمة للانسانية في جميع أجناسها .

الجمعية والمؤتمر الاسلامي الجزائري العام :

مطالب الأمة الجزائرية كانت معروفة قبل اليوم وقد قدمت للحكومات المتعددة غير ما مرة وكان منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وكان من أولها محافظة الأمة على شخصيتها ولسانها وديانتها وقد كانت الأمة تخشى دائما أن تمس في شخصيتها وأن يتساهل بعض المتساهلين فيها ، فلما جاء المؤتمر كان العلماء أحد عناصره لما فيه من تقديم المطالب الاجتماعية والاقتصادية لتطمئن الأمة على شخصيتها

ولتظهر الأمة مقدار اهتمامها بدينها ولغتها وما ترجوه من الحرية فيهما ولتعلم الحكومة أن مطالب الجمعية هي مطالب الأمة كلها المسئلة في مؤتمرها وقد قامت الجمعية بواجبها كعضو في مؤتمر وستبقى ان شاء الله على تأييده ورد كل عادية عنه .

الجمعية وخصومها :

يا الله ما أكثر خصوم هذه الجمعية ، غير أنهم ، بحمد الله كثيرون في العد ، قليلون في الحساب العد ، وهم على تفاهتهم في خصومتها يختلفون فيما خاصوها لأجله ، فمنهم الظالم الذي خاف على سيطرته ومنهم المتريب بنفسه وبأصله الذي خاف على (خبزته) ومنهم المتشبع لما لم يعط فهو يخاف من اقتضاح حقيقته . وقد حاربوها بأنواع السلاح وأصناف المكائد حتى انتهى بهم الأمر الى تدير حادثة الاغتيال والاعتقال . والجمعية - بحمد الله - ثابتة لهم صابرة لامتحان الله بهم . وقد عودها الله عاقبة الصابرين ورد عنها كيد الظالمين ، والحمد لله رب العالمين .

اخواني اني أحبيكم وأحبي جميع اخوانكم الذين خلفهم العذر . ثم أسكب عبرة الأسى على ما تلقاه أرض القدس الشريف من عسف الاستعمار العاشم الذي فرق بين الاخوة الذين عاشوا في هناء وصفاء منذ قرون كما لطخ تاريخهم من هذه الفعلة بكل نقيصة مخزية ومردية ، ولطخ تلك الرحاب المقدسة بالدماء البريئة ، فبلسانكم ولسان الجزائر كلها من الأجنة في بطون الأمهات الى الذين في الأجداد أرفع الشكوى الى الله ثم الاحتجاج الى كل من فيهم انسانية من جميع الأمم (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٨ ، م ١٢ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٨
غرة شعبان ١٣٥٥ هـ - نوفمبر ١٩٣٦ م .

خطبة رئيس الجمعية

التي ارتجلها في الاجتماع العام بعد تجديد مكتب الإدارة
والفضل للاستاذ العقبي في كتابتها

الحمد لله معطي الفلج لباذلي المهج ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد بن عبد الله الذي جاءنا بها خفيفة سمحة لا إصر فيها ولا حرج
وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه فرسان الرهج ، الذين
أقاموا بالحق كل عوج ، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين عدد
من دب ودرج ، أما بعد :

فيا أيها الاخوان انني بلسان اخوانكم أعضاء المجلس الاداري
لجمعيتكم أقدم لكم الشكر على ما بذلتموه في هذا المجلس من ثقة ،
وبلسانهم أعدكم أنهم سيرون بالجمعية في مستقبلها كما ساروا بها في
ماضيها وان كنا نسأل الله أن يكون هذا المستقبل أحسن من الماضي .
فلقد سار اخوانكم بهذه الجمعية في سنواتها في أهوال أي أهوال ؟
حتى انتهوا بها في اجتساعكم هذا سالمة من كل كيد ، محصلة على السمعة
الحسنة والزيد كل الزيد ، وهذا ما جعلكم تبدلون لها ثقتم لأنكم
تقدرون الرجال بأعمالهم وليس هذا لعمر الحق بالعجيب من أمثالكم
الذين لا يراعون الا الحق ولا يخافون الا الله ، ولا يطمعون الا
فيما عنده .

وأعضاء المجلس الاداري الذين اتخبتموهم وقد عرفتموهم قد
أبقوا هيأتهم الادارية على ما كانت عليه من الرئاسة ونيابة الرئاسة
والكتابة وأمانة المال والرقابة . وكذلك لجنة العمل الدائمة بقيت كما
هي : الرئيس (الشيخ أبو يعلى الزواوي) والكاتب (الشيخ الرشيد

بطحوش) وأمين المال (السيد محمد بن الباي) ومستشاران اثنان هما السيد (محمد بن مرابط) والسيد (عباس التركي محمد وعلي) رفيق الاستاذ (الشيخ الطيب العقبي) في السجن بتلك التهمة الآفكة والمكيدة المدبرة . ثم ان هذا العبد الضعيف يقدم بلسان العجز الشكر لأعضاء الادارة اخوانه أن قدموه للرئاسة وجددوا له ثقتهم به هذا مع علمه بعبء الرئاسة الثقيل وما يلزم لها من التضحية التي هي أول شرط الرئاسة . ولقد قال الهذلي (١) :

وإنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمَ
لَهَا صَعْدَاءُ مَطَّلَعَهَا طَوِيلُ

وان هذا العبد الضعيف لثقته في الله وقوته بالله واعتزازه بقومه واهتمامه بمد الله على اخوانه لمستعد لهذه الصعداء وان طال مطلعها وطال .

أيها الاخوان !

ان أعظم لذة يشعر بها ذو الضمير الحي أن تكون له قيمة عند قومه . وان لحصول الثقة منكم للذة أعظم من كل لذة ، وانها لتقع بعد لذة الاسلام والايان .

ثقة القوم بأخيهم هي التي يسعى اليها من يعرف قيمة نفسه وقيمة قومه .

وأتم تعلمون ما هي قصة من أوذى في سبيل الله حياً ودخل الجنة بعد موته فقال : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ » . فانه في حياته لم تكن لهم به ثقة بل كان فيما بينهم من المكذبين . ولذلك حينما نال ما نال ، تمنى أن يكون يعلم به قومه حتى يعلموا ما صار اليه من حسن حال وسمو مقام .

(١) هو حبيب الاعلم كما في ديوان الهذليين ٨٧/٢ .

أخواني قدمتموني للرئاسة وهذا اعتراف منكم بأني أبقى على ما كنت عليه . فأنا رجل مسلم ورجل وطني ، كل حواسي وكل عقلي هو لخدمة وطني ، نعم أخدمه وأدرجه حتى لا يكون هنالك اندحار ولا انهيار .

ان ميدان العمل في هذه الجمعية لميدان واسع وهنالك للعمل ميادين أخرى لا أدخلها باسمها ، ولكن « ان كان فيها منفعة » أدخلها باسمي - ان كان عند قومي قيمة لاسمي - وأرجو أن يعينني الله عليها .

أيها الاخوان !

ان على كل رئيس حقاً ، وقد قال الأحنف بن قيس :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا

أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا

والصعدة هي الرمح يريد أنها تخضب بالدماء أو تنكسر وتندق في يده أثناء محاربه للأعداء . ولكن سعدتنا التي نخضبها هي القلم (وخضابه الحبر) ولكنه لا يندق هذا القلم حتى تندق أمامه جبال من الباطل (تصفيق عال وهتاف بكلمة الله أكبر) .

وإن من الحق أن تتأدب بالأدب النبوي ، ومنه أن لا تتمنى لقاء العدو ، فاذا لقيناهم فلنصبر والله معنا .

أخواني !

إن لنا آمالا تتبعها أعمال ، ونسأل الله أن يجعلنا حي أعمال لا حي أقوال . صدق الله أعمالنا وأقوالنا والله المستعان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٨ ، م ١٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦١

غرة شعبان ١٣٥٥ هـ - نوفمبر ١٩٣٦ م .

خطاب الرئيس الجليل

الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس

في عرض حالة الجمعية الادبية

الحمد لله الذي فضلنا بالعقل وكملنا بالعلم وجملنا بالفضيلة ،
وأسعدنا بالهداية والتوفيق •

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكامل بالفطرة ، المكمل
بالمصمة ، المبعوث الى الخلق رحمة ، الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة
الى أقوم طريق •

وعلى آله المنبثقين من أكرم نبعة والمنحدرين من أظهر مزنة ،
والنابتين من أطيب تربة ، فنعم الفريق ذيثاك الفريق •

وعلى أصحابه الذين نشروا الملة فيينوها بأسلات الألسن ، وحملها
بأسل الأسننة ، حتى تبجح الناس من الاسلام والسلام في روض أنيق •

وعلى التابعين لهم من جميع الأمة ، المقتفين آثارهم بحق وقوة ،
المجددين عهدهم بعلم وحكمة المصطحبين من طريق سعادتهم — من
الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح خير رفاق •

أما بعد فحياكم الله أبناء العروبة والاسلام وأنصار العلم والفضيلة •

حوربت فيكم العروبة حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ، ومسوخ
فيكم نطقها ، فجتتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور
والمشاعر وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعازل ويهزء
ككتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل •

خطاب الرئيس في عرض حالة الجمعية

وحورب فيكم الاسلام حتى ظن أن قد طست أمامكم معاملة ، وانتزعت منكم عقائده ومكارمه فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الاصلاح لواء التجديد وتدعون الى الاسلام كما جاء به محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وكما يرضى الله ، لا كما حرّفه الجاهلون وشوّهه الدجالون ورضيه أعداؤه .

وحورب فيكم العلم حتى ظن أن قد رضيتم بالجهالة وأخلدتم للنذالة ونسيتم كل علم الا ما يرشح به لكم أو ما ييزح بنا هو أضر من الجهل عليكم فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناء شامخاً وتشيدون له صرحاً سامقاً فأستتم على قواعد الاسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وحوربت فيكم الفضيلة فسمتم الخسف وديتمم بالصغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة وفارقتكم العزة والكرامة فرئتم الضيم ورضيتم الحيف وأعطيتم بالمقادة ، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل وتهززون اسس الظلم ، وتهمهون هممة الكريم المحنق وترمجرون زمجرة العزيز المهان وتطالبون مطالبة من يعرف له حقاً لا بد أن يعطاه أو يأخذه .

فبحق قلت : حياكم الله أبناء العروبة والاسلام وأنصار العلم والفضيلة .

نعم - أيها الاخوان - نهضنا بعد أن صهرتنا بنار الفتنة والابتلاء حوادث الزمان ، وقارعنا وقارعناها الخطوب ودافعنا ودافعناها الايام « وَكَوَلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » .

نعم نهضنا بعد قرن بعد ما متنا واقبرنا احيينا وبعثنا سنة كونية

فقنهاها من القرآن ونعمة ربانية تلقيناها من الملك الديان « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا - إِلَى - يَشْكُرُونَ » ، « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ - إِلَى - قَدِيرٍ » ، « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ - إِلَى - حَكِيمٍ » .

نعم نهضنا نهضة (بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية) لا يخشاها - والله - النصراني لنصرانيته ولا اليهودي ليهوديته بل ولا المجوسي لمجوسيته ولكن يجب - والله - أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته .

العروبة والاسلام ، والعلم والفضيلة ، هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا ، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتيرنا بالعلم وتحلينا بالاخلاق الاسلامية العالية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الاسلامية الصادقة ، ولن تزل كذلك باذن الله ثم باخلاص العاملين .

كانت جمعية العلماء فكانت نهضة الامة دوى صوت العلم فأيقظها من رقدتها ، وكذلك عرفت الامم من تاريخها لا تنهض الا على صوت علمائها ، فهو الذي يحل الافكار من عقلها ، ويزيل عن الأبصار غشاواتها ويبعث الهمم من مراقدها ويرفع بالامم الى التقدم في جميع نواحي الحياة ولهذا ترى أعداء النهوض من كل عصر ومصر يبذلون لآخفات هذا الصوت كل جهودهم ويكيدون له كل كيد « يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ » .

وما كانت جمعية العلماء حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا

خطاب الرئيس في عرض حالة الجمعية

الدين والدنيا بفقہ القرآن وعرفوا السنن الاقوم بمعرفة سنة محمد
— صلى الله عليه وآله وسلم — وهدوا واهتدوا بما كان عليه السلف
الصالح ورجال الاسلام العظام .

هذه — أيها الاخوان — نهضتنا وأركانها وأسبابها واضحة للعيان
محفوطة للتاريخ خالدة للأجيال نورثها أبناءنا الذين سيقولون — ان
شاء الله — فينا مثلما قلنا في أسلافنا :

إِنَّا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوْ أَيْلُنَا لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ نَسْكَيلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوْ أَيْلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ فَوْقَ مَا فَعَلُوا

أيها الاخوان ، هذا يوم الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين
الجزائريين ولكنني اريد أن اسميه بعيد نهضة المسلمين الجزائريين فهل
أتم موافقون (أصوات بالاجماع : موافقون) .

فلنتعاهد في هذا اليوم العظيم ، والعيد القومي العلمي الكريم على
خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها ونشر هدايتها ونصر كل
عامل من رجالها بصبر وتضحية ونزاهة وثبات ، فهل أتم معاهدون
(أصوات باجماع : معاهدون) .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ، وَلَسْنَا لَوْ تَكُنْ حَسَى نَعْلَمُ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ .

أيها الاخوان تنتظرون مني الآن أن ابين لكم مواقف الجمعية من
بعض الجهات التي تعاصرها وتلتقي بها في محجة السير وميدان الحياة .

أما موقفها من الحكومة فهو هو : المطالبة والاحتجاج من ناحية
الجمعية والصد والاعراض من الناحية الاخرى ، ولقد كنت في خطاب
السنة الماضية علقت رجاء الجمعية على الحكومة الشعبية وحسنت الظن
بها ، وأنا اعلن اليوم — مع الأسف المر — خيبة ذلك الظن ووهن ذلك

الرجاء فحسبنا ايماننا بالله وثقتنا بأنفسنا فذلك - والله - أجدى لنا
وأعود بالخير علينا .

وأما موقف الجمعية مع الاحزاب فأعيد فيه نص ما قلته بالسنة
الماضية .

« ان الاسلام عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج اليه الانسان
في جميع نواحي الحياة لسعادته ورفيه وقد دلت تجارب الحياة كثيراً
من علماء الامم المتمدنة على ان لا نجاة للعالم مما هو فيه الا باصلاح
عام على مبادئ الاسلام فالمسلم الفقيه في الاسلام غني به عن كل
مذهب من مذاهب الحياة فليس للجمعية اذاً من نسبة الا الى الاسلام ،
وبالاسلام وحده تبقى سائرة في طريق سعادة الجزائر ، والبلوغ بها
- ان شاء الله - الى أرقى درجات الكمال .

والى هذا فنحن نشكر ونعترف بالجميل لكل من يؤيدنا في سيرنا
نصرة للمظلوم ومقاومة وخدمة للانسانية في جميع أجناسها » .

وأزيد اليوم : إن الجمعية لا توالي حزباً من الأحزاب ولا تعادي
حزباً منها ، وانما تنصر الحق والعدل والخير من أي ناحية كان وتقاوم
الباطل والظلم والشر من أي جهة أتى . محتفظة في ذلك كله بشخصيتها
ومبادئها محترسة في جميع مواقفها مقدرة للظروف والاحوال
بمقاديرها .

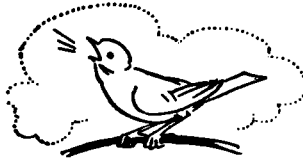
وأما موقفها مع المؤتمر فقد أوكلتها لمن شاء من رجالها ليحافظ فيه
على اللغة والقومية والمطالب الدينية والعلمية ، يعمل فيه على مسئوليته
لا على مسئوليتها .

وأما مواقف الجمعية مع خصومها فانها تعلم ان الأمة اليوم تجتاز
طوراً من أشق أطوارها وأخطرها فهي تتناسى كل خصومة وتعمل لجمع
الكلمة وتوحيد الوجهة ولا تنبذ الا أولئك الرؤوس رؤوس الباطل

خطاب الرئيس في عرض حالة الجمعية

والضلال الذين لا تجدهم الأمة في أيام محنتها الا بلاء عليها ولا يتحركون الا اذا حركوا الغايات عكس غايتها ، فرقوا المسلمين بددا وصيروهم قددا ، وقد هد الله - والحمد لله - ركنهم النهار وفضح أمرهم في رابعة النهار ، وصيرهم أقل من أن يعتمى بهم وأحقر من أن يضيع الوقت في الحديث عليهم .

هذه مواقف جمعيتكم - أيها الاخوان عرضتها عليكم في ايضاح وايجاز ، والله أسأل أن يثبت أقدامنا في مواقف الحق كلها في الدنيا وفي مواطن السؤال والجزاء في الاخرى « يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ » . آمين يا رب العالمين .



البصائر : السنة ٢ العدد ٨٣ الجزائر يوم ٢٥ رجب ١٣٥٦ هـ
٣٠ سبتمبر ١٩٣٧ م ص ١ ع ٢ و ٣ ص ٢ ع ١ و ٢ و ٣ ونشر هذا
الخطاب ايضا بالشهاب : ج ٨ ، م ١٣ ، ص ٣٥٧ - ٣٦١ غرة شعبان
١٣٥٦ هـ - اكتوبر ١٩٣٧ م .

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المنعقد بنادي الترقى صبيحة يوم السبت ٢٩ رجب

الحمد لله الذي قضى بابتلاء عباده ليظهر حقائقهم فيجازيهم على أعمالهم ، والصلاة والسلام على أشرف من قاد الخلق وساقهم الى سعادتهم وكمالهم وعلى آله الذين كرم الله أصولهم وجبل أخلاقهم وبرهنوا على النسب الشريف بجميل حالهم .

وعلى أصحابه الذين لم يخلق الله من فاقهم بل ولا من ماثلهم في حالهم ومآلهم ، وعلى كل من تبع طريقهم ، وتحلى من بعدهم بخلالهم .

أما بعد ، فسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجينكم في المساجين وسلام على متهميكم في المتهمين ، وسلام على منكوييكم في المنكويين ، سجون واتهامات ونكبات ثلاث لا تبنى الحياة الا عليها ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقبة الا على أسسها . فاليوم وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث - أثبتت الجمعية في تاريخ الاسلام وجودها ، وسجلت في صحيفة الخلود رسمها ، ونقشت في قلوب أبناء المستقبل أسسها ، وبرزت في ذلك كله اسماء أولئك المسجونين والمتهمين والمنكويين نجوما متألقة تأخذ بالابصار .

هذا الاستاذ العقبي برأته العدالة من التهمة الباطلة ثم أبت تلك النواحي المظلمة من الحياة الجزائرية الا أن تعود به الى التهمة ، ولا نشك انه لم تنتصر مرة أخرى في تبرئته العدالة فستضح تلك النواحي في العالم شر فضيحة .

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

وهذا الاستاذ الابراهيمي سيق الى المحاكمة على حفلة علمية وقضي عليه بالغرامة فلم يكتف في حقه بذلك فرفعت القضية للاعادة وهو ينتظر ما يكون .

وهذا الشيخ عمر دردور سجن في سبيل نشر العلم والفضيلة ، ثم انصفته العدالة فاطلقت سراحه فأبت تلك النواحي الا أن تعود به الى القضاء وهو ينتظر الى اليوم فصله .

وهذا الشيخ عبد الحفيظ الجنان عزل من وظيفة قيم بالجامع الاخضر لانه من جمعية العلماء .

وهؤلاء أهل (سوف) قد ذاقوا من التعرير والنفي والسجن ماذاقوا وروعوا في ديارهم واهليهم أفظع ترويع ثم لم يثبت عليهم شيء مما رموا به الا رغبتهم في العلم وطرحهم لسربال الطريقة الوسخ الثقيل .

وهذا الشيخ عبد العزيز الهاشمي والشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري والسيد عبد الكامل في ظلمات السجن الى اليوم ، وقد رمي الشيخ عبد العزيز بالثورة ضد أمن الدولة وبالصلة الاجنبية فلم يثبت لدى البحث النزيه الا انه عقد مظاهرة بدون رخصة ، طلب الناس فيها حرية التعليم ، والاعانة بالخبز ، وشكوا من ظلم بعض القادة .

وهؤلاء رجال التعليم في بجاية وباتنة وغيرهما يساقون الى المحاكمة المرة بعد الاخرى ، ويعرمون من أجل التعليم ويهددون بالسجن .

وهذه مدرسة دار الحديث بتلمسان مغلقة الى اليوم وكم اذكر وكم أعدد، فلقد هبت الأمة لتعلم دينها ولغة دينها في جد ونشاط فاق السنوات المتقدمة فموجلت بهذه البلايا والمحن . حقا لقد كانت سنتنا الماضية سنة عمل وسنة ابتلاء ، وأي عامل صادق في عمله مخلص فيه لا يتلى ؟

وفيم هذا كله ؟ على من ثرتم ؟ والى من اسأتم ؟ وأي حدود
تعديتم ؟ وماذا تبغون ؟
لا والله ما ثرتم الا على الجهل والرذيلة . وما اسأتم الا للآثرة
والجبرية ، وما تخطيتم الا حدود الجمود والخرافة ، ولا تبغون الا
الحق والخير والعدل والاحسان .

ألا في سبيل الله ما لقيتم ، ألا في سبيل الله ما أتم لاقون .

أيها الاخوان ، ان جمعيتكم أمينة على حفظ الاسلام ولغة الاسلام
في هذه الديار فان قانونها الاساسي ينص على أنها جمعية تهذيبية
ارشادية ، تحارب الآفات الاجتماعية ، وكل ما يحرمه صريح الشرع .
وتتدرع لغايتها بكل ما تراه صالحا نافعا غير مخالف للقوانين المعمول
بها ، وأي وسيلة أقرب الى تهذيب المسلمين . وأي دواء انجع في
علاجهم ، من دينهم الاسلام الكريم ؟ وبأي شيء يفهمون هذا الدين
ويصلون منه الى ما فيه من تربية وتهذيب الا بالعربية لغة القرآن
العظيم ؟ وتعلم الاسلام ولغة الاسلام مباح في أصل القوانين . ولقد
صدمت هذه القوانين الاصلية بمعاملات استثنائية رامية في فهم جميع
المسلمين الى فهم جميع المسلمين الى مقاومة الاسلام ولغة الاسلام .
وذلك هو المشاهد من آثارها في التعليق والتعطيل .

لقد قامت الجمعية بالدفاع ازاء هذا كله ، وقامت معها جميع
الهيئات أو جلها حتى تبين ان المسألة مسألة أمة لا مسألة جمعية ، وان
المسلمين لا يسكتون عن تعلم دينهم ولغة دينهم بحال .

وقد جيش على الاسلام من ناحية أخرى ، فوضعت الذاتية الاسلامية
في المساومة ، فرفعت الجمعية صوتها بالتحذير والتبيين ، ووجدت من
مثلي الامة آذانا صاغية . ففشلت تلك المساومة وقبرت المسألة من
ذلك اليوم . والمجد والخلود للاسلام وهكذا لا تفتأ جمعيتكم ان

خطاب الرئيس في الاجتماع العام

شاء الله دائبة في سبيل الاسلام والعربية لفة الاسلام في دائرة القانون العام ، ولو لحقها في ذلك ظلم وعدوان .

أيها الاخوان قد تعاهدنا في مثل هذا العيد من السنة الماضية ، تعاهدنا على خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها ، ونشر هدايتها ، ونصر كل عامل من رجالها ، بصبر وتضحية وثبات ، وقد وفينا — والفضل لله — بهذا العهد او بما استطعنا في السنة الماضية ، فهل أتمتم على هذا العهد فيما نستقبل من سنتنا ؟ « أصوات باجماع : معاهدون . »

« وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ » .

أيها الاخوان قد اعتدنا في كل اجتماع عام من اجتماعاتنا ان نرفع شكوانا واحتجاجنا الى الولاية العامة والى الحكومة العليا ، ولم يرد لنا جواب مرة واحدة ، بلى يكون الجواب بزيادة الارهاق وتضييق الخناق .

فصدر قانون النوادي الذي يرمي الى اخلائها وحرمان الكبار من التهذيب في نواديهم ، بعد ما حرموا منه في مساجدهم وصدر قانون ٨ مارس الذي يرمي الى غلق المدارس وحرمان المسلمين من تهذيبهم وتلقين دينهم وآداب فنههم ولفة دينهم وصار من شروط اعطاء الرخصة للقليل الذي اعطيت له أن يعلم على الكيفية القديمة الخالية من كل تهذيب ذات العصا والفلقة والحصير ، في العصر الذي تتقدم الامم كل عام في أساليب التعليم نرد نحن الى الوراء فاسمع وتمعجب يا عصر المدنية والنور .

وصدر أمر الولاية العامة بتحجير القسم الجنوبي من الوطن على كل منتسب للعلماء بينما تمطى الاعانات وتمنح التسهيلات للبعثات غير

الاسلامية لتنصير أبناء وبنات المسلمين وصدرت الايعازات - وخصوصا في الدوائر المتزجة الى القياد ومن اليهم بالابتعاد عن رجال العلم مما أحدث تباعدا في كثير من النواحي بين أبناء العرش الواحد بينما نحن نسعى للتقريب والتأليف بين جميع المتساكنين ، هذا هو الجواب العملي عن شكوانا واحتجاجنا .

وكذلك في أكثر اجتماعات المجلس الاداري كنا نصدر البيان اثر البيان عن خطتنا وغرضنا وان غايتنا من أول أمرنا هي تهذيب المسلمين بدينهم ولغة دينهم في دائرة القانون ، وانا نريد من ذلك رفع مستوى المسلمين الجزائريين العقلي والاخلاقي ، ليتعاونوا مع من يساكنونهم بكفاءة وتآخ واحترام ، وانا نعمل لذلك بواجب ديننا ووحى ضمائرنا وان كل ما أصابنا هو في سبيل تعليم الدين ولغة الدين فلم يرد علينا بجواب واحد ، بل يرد علينا بقلب الحقائق واختلاق التهم وترويع الاباطيل وبعث الارجاف ، فيكون ذلك هو الجواب العملي .

أيها الاخوان فنحن مع بقائنا على جميع ما قلنا وبيننا ، واستمرارنا في موقفنا كما كنا لا نريد اليوم ان نرفع شكوانا ولا ان نقدم احتجاجنا . وحسبنا في هذه السنة السكوت . وكفى بالسكوت احتجاجا عند من عرف وأنصف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل (١) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٤ ، م ١٤ ، ص ١٠٠ - ١٠٤
غرة شعبان ١٣٥٧ هـ - اكتوبر ١٩٣٨ م .

آثار ابن باديس

قسم الشعر

السياسة في نظر العلماء

هي التفكير والعمل والتفحية

أشعب الجزائر روعي الفدى لما فيك من عزة عريية
بنت على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية
خلدتم بها وبكم خلدت بهذي الديار على الأبدية
فدوموا على المهد حتى الفنا وحتى تالوا الحقوق السنية
تالونها بسواعدكم وإيمانكم والنفوس الأيية
فضحوا وها أنا بينكم بذاتي وروحي عليكم ضحية

بهذه الأبيات ختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس خطابه التاريخي
في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني الأخير^(١).

عبد الحميد بن باديس

(١) المؤتمر الثاني لجمعية العلماء في سنة ١٩٢٧

ش: ج ٦، م ١٣، ص ٢٧٤

غرة جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ - اوت ١٩٢٧ م .

حديقة الأدب

من المتثور والمنظوم ، اليوم وقبل اليوم

تحية المولد الكريم

القيت ليلة حفلة جمعية للتربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة

حييت يا جمع الأدب ووقيت شر الكائدين
ومنحت في العلياء ما تسمو اليه من أدب
ورقيت سامية الرتب ذوي الدسائس والشغب

• • •

أحييت مولد من به أحييت مولده بما
بالمعلم والآداب والأ خلاق في نشء عجب
حيي الأنام على الحقب يبيري النفوس من الوصب

• • •

نشء على الإسلام اس نشء بحسب محمد غ
فيه اقتدى في سيد وعلى القلوب الخافقا
بالروح يفديها وما وبخلقه يحمي حما
حتى يعود لقومه ويرى الجزائر رجعت
س بنائه السامي اتصب ذاه أشياخ نجسب
ره وإليه - بالحق- اتسب ت اليه رايته نصب
يفري النفوس من النشب ها أو بيارقة الغضب
من عزهم ما قد ذهب حق الحياة المستلب

• • •

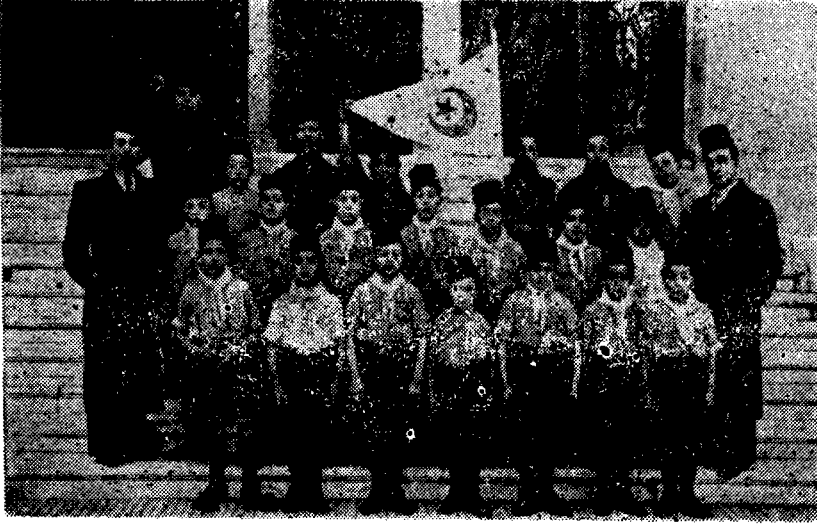
يا نشء يا ذخر الجزا
 صدحت بلابلك الفصا
 وأذقتنا طعماً من ال
 وأريست للأبصار ما
 شعب الجزائر مسلم
 من قال حال^(١) عن أصل
 أو رام إذ ما جاله
 يا نشء انت (رجاؤنا)^(٢)
 خذ للحياة سلاح
 وارفع منار العدل والا
 وأذق نفوس الظالمين
 واقلع جذور الخائنين
 واهزز نفوس الجاديد
 ثر في الشدائد والكرب
 ح فعم مجعنا الطرب
 فصحي ألد من الضرب
 قد قررت لك الكتب
 والى العروبة ينتسب
 ه أو قال مات فقد كذب
 رام المحال من الطلب
 وبك (الصباح)^(٣) قد اقترب
 لها وخض الخطوب ولا تهب
 حسان واصدم من غضب
 السم يمزج بالرهب
 فمنهم كل العطب
 من فربما حيي الخشب

يا قوم هذا نشؤكم
 كونوا له يكن لكم
 والى المعالي قد وثب
 والى الأمام انبأ وأب

نحن الاولى عرف الزمان
 ومعين ذاك المجد في
 وقد اتبهننا للحياة
 لنحل مركزنا الذي
 فزيد في هذا الوري ،
 قدينا الجم حسب
 نسل العروبة ما نضب
 آخذين لها الاله
 بين الأنام لنا وجب
 عضواً شريفاً منتخب

(١) وپروی : حاد .

(٢) و (٣) يقصد : فرقنا الكشافة بقسنطينة .



جمعية الكشافة الاسلامية

ندعو الى الحسنى ونو
من كان يبغى ودنا
أو كان يبغى ذلنا
هذا نظام حياتنا
هذا لكم عهدى به
فاذا هلكت فصيحتي

لي أهلها منا الرغب
فعلى الكرامة والرحب
فله المهانة والحرب
بالنور خطك وباللهب
حتى أوسد في الترب
تحيا (الجزائر) و(العرب) (١)

عبد الحميد بن باديس

(١) ش: ج ٤، م ١٣، ص ٢٠٠ - ٢٠٢
قسنطينة يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول ١٣٥٦ هـ ١١ جوان ١٩٣٧ م

حديقة الادب

من المنشور والمنظوم ، اليوم وقبل اليوم

القومية والانسانية

القيت ليلة احتفال جمعية التربية والتعليم الاسلامية بالمولد الشريف

المجد لله ثم المجد للعرب
ونشروا ملة في الناس عادلة
وبذلوا العلم مجاناً لطالبه
وحرروا العقل من جهل ومن وهم
وحرروا الناس من رق الملوك ومن
قومي هم وبنو الانسان كلهم
أدعو الى الله لا أدعو الى أحد
من أنجبوا لبني الانسان خير نبي،
لا ظلم فيها على دين ولا نسب ،
فنال رغباه ذو فقر وذو نسب ،
وحرروا الدين من غش ومن كذب،
رق القداسة باسم الدين والكتب،
عشيرتي ، وهدى الاسلام مطلبي،
وفي رضى الله ما نرجو من الرغب^(١)

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٣ ، م ١٤ ، ص ١١٣
غرة ربيع الاول ١٣٥٧ هـ - فيفري ١٩٣٨ م .

انتهى الجزء الاول من المجلد الثاني من هذا
الكتاب ، وقد اشتمل على قسم الاصلاح والثورة
ضد البدع ، وقسم التربية والتعليم ، وقسم
السياسة ، وقسم البرقيات والاحتجاجات ،
وقسم الاجتماعيات وقسم الخطب ، وقسم
الشعر ، ويليه الجزء الثاني من المجلد الثاني
وفيه بقية اقسام الكتاب وكامل فهارس المجلد
الثاني .

إشراف



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب المنسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناء: /340131 تلفون مباشر: 350331 ص. ب. 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم 62 / 3000 / 7 / 1985

سحب جديد 2000 / 1 / 1997

التنفيذ: كومبيوترايب للصف الطباعي الإلكتروني

الطباعة: دار صادر، ص. ب. 10-بيروت

كتاب
آثار ابن باديس

الجزء الثاني من
المجلد الثاني

مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية

اعداد وتصنيف
دكتور عثمان الطالبي

الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24، شارع باب عزون - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

الشركة الجزائرية

لصاحبها

الحاج عبد القادر بوداود

24، شارع باب عزون - الجزائر

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هجرية = ١٩٦٨ ميلادية

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هجرية = ١٩٨٣ ميلادية

الطبعة الثالثة ١٤١٧ هجرية = ١٩٩٧ ميلادية

آثار ابن بادیس

آثار ابن بادیس



العلامة الناشر الامام عبد الحميد بن باديس

رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الإصلاحية ومؤسسها بالجزائر

هذا هو الجزء الثاني من المجلد الثاني والأخير من كتاب آثار ابن باديس ، وهو يشتمل على المقالات التالية : التاريخ ، العرب في القرآن ، التراجم ، القصص الديني والتاريخي ، الرحلات ، تطور الشهاب ، الصلاة على النبي ، الفقه والفتاوى .

وقد قامت لجنة من كبار علماء دمشق بالاشراف على تصحيح هذا الكتاب القيم اثناء طبعه ، ليأتي سليماً من الأخطاء ، خالياً من كل تحريف ، وذلك بالنظر لاهميته البالغة في النهضة الاسلامية العربية الحديثة في المغرب الاسلامي .

آثار ابن باديس

قسم التاريخ

تبليغ الرسالة

تلخيص المحاضرة التي القاها صاحب هذه المجلة بنادي الترقى بالعاصمة
في حفلة المولد الشريف

مقدمة :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَنَّهُ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيْلًا .

أيها السادة . الحياة ماضٍ ومستقبل وحال . وما أقل حظنا من
الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة ، ذلك الجزء اليسير من الزمن
الذي ما يجيء حتى يذهب ، ولا يثبت حتى يزول ، ولكن حظنا من
الحياة عظيم بالماضي المديد ، والمستقبل البعيد ، بالماضي اذا كانت لنا
ذكريات نشعر بها ، وبالمستقبل اذا كانت لنا آمال نتوق الى تحقيقها ،
وانه لتسع حياة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته في سوائف
الأزمان وتمتد آماله في غابرها ، حتى يكون كأنه - وهو شخص
واحد - قد عاش اعمار الأجيال والامم من السابقين واللاحقين .
فالذكريات والآمال - أيها السادة - هي مقياس الأعمار .

ذكريات الشخص وآماله في حياته الخاصة لا تجعله يتجاوز نطاق
ما قدر له أن يعيش من أمد محدود قصير جداً بالنسبة الى عمر

تبليغ الرسالة

التاريخ الطويل • ولكن الذكريات والآمال الخارجة عن حياته الشخصية هي التي تجعله كأنه قد عاش الدهور الطوال •

فنحن في حفلنا هذا بذكرى المولد النبوي الكريم التي هي الثانية بعد الأربعمائة والالف من ولادة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نشعر بالحياة الاسلامية في هذه القرون كلها حتى كأننا عشناها فعلاً •

ونريد أن نحلي شعورنا بهذه الذكرى بذكر ناحية من نواحي حياة هذا النبي الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - ليعتد فينا العلم بتلك الناحية آمالاً عظيمة في المستقبل الاسلامي القريب والبعيد ويدفعنا الى تحقيق تلك الآمال بما استطعنا ، فنكون كأننا نعيش مع الأجيال الآتية من أبناء الاسلام •

المقصود :

الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - جاء بالرسالة من الحق لهداية الخلق فكيف بلغ هاته الرسالة ، هاته هي الناحية التي نريد الكلام عليها •

فصل علمي :

قد بلغ - صلى الله عليه وآله وسلم - رسالة ربه بالقول والعمل الى آخر رمق من حياته ، وكان تبليغه كما أمره ربه على درجات حسب التدرج الذي هو من سنة الله في خلقه وفي شرعه •

الدرجة الاولى الامر بالتبليغ المطلق :

بدأ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الوحي بالرؤيا الصادقة التي هي تلقي الروح من عالم الملائكة عند تخليها بعض التخلي عن الجسد في حالة النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق

الصبح ، ثم جاءه الملك بالوحي ، فكان أول ما أنزل من القرآن قوله تعالى :

« إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

ولم يكن في هذا أمر بالتبليغ لغيره . فرجع الى بيته فاعلم زوجته خديجة رضوان الله عليها فصدقته ، وقوته بذكر صفاته العالية وأخلاقه الكريمة الطيبة التي لا يجازي الله صاحبها الا بالكريم الطيب وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ، فقالت له : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فكانت هي أول مصدق له . ثم فتر الوحي ، ثم رأى الملك المرة الثانية ولم يكن قد اعتادت بشريته رؤية الملائكة ، فرجع الى أهله يقول لهم : دثروني دثروني ! فدثروه أي غطوه بتياب فأنزل عليه قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ وَالرَّشْجَزَ فَأَهْجُرْ » .

فكان هذا أول امر بالتبليغ والانذار فكان تبليغه لزوجته وهي مصدقة له وكان يبلغ الفرد والفردين وكان ابو بكر الصديق أول من آمن من الناس ، وكان علي كرم الله وجهه في كفالته مستمسكاً بأذياله ما عرف باتباعه فكان من أول من آمن به .

الدرجة الثانية الامر بتبليغ العشيرة :

ثم أمر بانذار قومه قريش بقوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » فخرج حتى صعد الى الصفا ثم نادى يا صباحاه وكانت

العرب اذا دعا الرجل بياصباحاه اجتمعت اليه عشيرته • فاجتمعت اليه عشيرته ، فاجتمعت اليه قريش عن بكرة أيها ، فقال لهم : ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل وان العدو مصبحكم او ممسيكم ، اكنتم مصدقين ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . ثم قال : يا آل كعب بن لؤي ، يا آل مرة ابن لؤي ، يا آل قصي ، يا آل عبد شمس ، يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم ، يا آل عبد المطلب ، يا صفية ام الزبير - وهي عمته - يا فاطمة بنت محمد • اتقنوا انفسكم من النار اني لا املك لكم من الله شيئا • فكانت هذه دعوته العامة لقومه من قريش •

الدرجة الثالثة الامر بتبليغ العرب حوالي مكة :

ثم كان أمره بأن ينذر العرب خارج مكة بمثل قوله تعالى :
« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا » •

فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج الى أن كانت بيعة العقبة وايمان الانصار •

الدرجة الرابعة الامر بالتبليغ العام لمن في عصره ولن بعدهم :

ثم أمر بالتبليغ العام بمثل قوله تعالى :
« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا »
فكاتب الملوك خارج جزيرة العرب كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم •
وقد بلغ من جاء بعده من الامم بما ترك لهم من كتاب الله لقوله تعالى :
« لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » •
أي لأنذركم بالقرآن وانذر من بلغ القرآن فعم ذلك كله من بلغه •

فصل عملي :

كل من آمن بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فهو مأمور بتبليغ رسالته على الخصوص والعموم ، لمقتضى ما نطالب به من التأسى والافتداء به - صلى الله عليه وآله وسلم - ولقوله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » .

فجعل من اتبعه داعياً معه الى الله على بصيرة .

ولقد عرف السلف هذا فكانوا دعاة الى الله بأقوالهم وأعمالهم المطابقة لها ، حتى انتشر الاسلام في أقل من ربع قرن في المعمور . أما نحن فقد قصرنا في هذا الواجب غاية التقصير ، فتركنا تبليغ الدين الى الأمم ، حتى لنخشى أن يكون من أوزارنا بقاء الامم الضالة على ضلالها لتقصيرنا في التبليغ اليها . وأكبر من هذا تقصيرنا في تبليغ الدين الى أنفسنا باهمالنا جانب التعليم الديني والوعظ والارشاد .

واليوم وقد عرفنا كيف بلغ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - رسالة ربه ، فلنعقد العزم على الاجتهاد في التبليغ ، ولنبدأ بأهلينا ومن الينا ، ولنفكر ثم لنعمل في تبليغ الدين كما جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الى أمة الاجابة وأمة الدعوة . وليكن تفكيرنا في هذا واهتمامنا به ثمرة احياناً لهذه الذكرى الكريمة ، وعلمنا بهذا النزر من حياة ذلك النبي الكريم ، ولنا - بعد عون الله تعالى - من الايمان والمحبة فيه ما يعيننا على ذلك ويقوي أملنا فيه ويبلغنا اليه .

الخاتمة :

أيها السادة قد عدنا من هذه الذكرى بمسألة تبليغ الرسالة ، وعدنا بأمل تبليغ الهداية ، وقد انبثق من هذه الذكرى في صدورنا نور ،

وجددت منها في قلوبنا قوة • ولن تستطيع ظلمات ، ظلم الحياة ، وان
كثفت ، أن تطفىء ذلك النور ، ولن تستطيع فكبات الزمان وان جلت
أن تبطل تلك القوة • أبداننا للأيام فلا بد لها من تصرفاتها • أما قلوبنا
فهي لنا ، لنا مؤمنة مطمئنة بدين الله ومحبة محمد صلى الله عليه وآله وسلم •
وان قلوبنا وضعنا فيها اسم الله واسم محمد لهي بأمن من عمل الظالمين
وكيد الخائنين • فجددوا نورها وقوتها بمثل هذه الذكرى ، واعملوا
لتحقيق ما تحييه فيكم الذكريات من أمل ورجاء ، واقصروا أعمالكم
وجملوها بالاحسان والتقوى • إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُحْسِنُونَ (١) •



(١) ش: ج ٩، م ٦، ص ٥٣٥ - ٥٣٩
غرة جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ - أكتوبر ١٩٣٠

محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

رجل القومية العربية

لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه • فعناية المرء بنفسه - عقلا وروحا وبدنا - لازمة له ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد ، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية ما دام مهملًا مشتتًا لا يهديه علم ، ولا يمتنه خلق ، ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه • وانما ينفع المجتمع الانساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر الى ماضيه وحاله ومستقبله ، فأخذ الاصول الثابتة من الماضي • واصلح من شأنه في الحال ، ومد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته •

فمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو رسول الانسانية ، كانت أول عنايته موجهة الى قومه وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع لا يمكن أن يتم اصلاح انسانية أو شعيبا الا بمراعاته • فكان « أول دعوته - صلى الله عليه وآله وسلم - لعشيرته لقوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » فلما نزلت صعد الصفا ثم نادى « يا صباحاه » - وكان دعوة الجاهلية اذا دعاها الرجل اجتمعت اليه عشيرته - فاجتمعت إليه قريش عن بكرة أبيها ، فعمَّ وخصَّ فقال : ارايتكم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم اكنتم مصدقي • قالوا ما جربنا

عليك كذبا . قال : فاتي نذير لكم بين يدي عذاب شديد . يا بني كعب ابن لؤي يا بني مرة بن لؤي يا آل عبد شمس يا آل عبد مناف يا آل هاشم يا آل عبد المطلب يا صفية يا فاطمة ، سلوني من مالي ما شئتم ، واعلموا ان اوليائي يوم القيامة المتقون ، فان تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذلك . وإياي ، لا ياتي الناس بالاعمال وتاتون بالدنيا تحملونها على اعناقكم فاصد بوجهي عنكم فتقولون يا محمد فاقول هكنا - - - - - وصرف وجهه الى الشق الآخر - غير ان لكم رحما سابها ببلالها . . ثم وجه دعوته الى بقية العرب لقوله تعالى : « لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ » وهم عامة العرب فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وما يتصل بها من أسواقهم ثم عمم دعوته لقوله تعالى : « لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » فكتب ملوك الأمم وقد عمت دعوته العرب وتهياً أمرهم لعموم دخولهم في الاسلام وكان ذلك أيام هدمته مع قريش قبيل فتح مكة . ثم تجد أكثر السور المكية قد وجه فيها الخطاب الى قريش والى العرب وعولجت فيه مفاسدهم الاجتماعية وضلالاتهم الشركية وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة ابراهيم فكان أول الاصلاح متوجها اليهم ومعنيا بهم حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم وتستشير عقولهم وتنتظر نفوسهم وتستقيم أعمالهم فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - للامم بالقول والعمل . ثم لاجل أن يشعروا بأن القرآن هو كتاب هداية لهم كلهم وان الرسول لهم كلهم ، أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فعم جميع لهجاتهم ، وكان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يخاطبهم بتلك اللهجات وينطق بالكلمات منها ليس من لهجة قريش . وكان في هذا ما أشعرهم بوحدتهم بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كلهم اليه ويشتركون فيه . وقد نبه على هذا المعنى قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَكُنْزٌ لَّكَ

وَلِقَوِمْكَ وَسَوْفَ تَسْتَلُونُ» فأخبره ان القرآن شرف له ولقومه - نزل بلغتهم ونهض بهم من كبوتهم وأخرجهم من الظلمات الى النور وهياهم لهداية الامم واناذاها من الهلاك وقيادتها لعزها وسعادتها - وانهم يستلون عن هذه النعمة . يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا ان شرفه انما هو للعالمين .

على ان العرب رشحوا لهداية الامم ، وان الامم التي تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام وهو لسان العرب فينمو عدد الأمة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها ، ويهتدون مثلها بهدي الاسلام . علم هذا فيبين أن من تكلم بلسان العرب فهو عربي وان لم يتحدر من سلالة العرب ، فكان هذا من عنايته بهم لتكثير عددهم لينهضوا بما رشحوا له . بين هذا في حديث رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد بسنده عن مالك الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل « يعني النبي صلى الله عليه وسلم » فما بال هذا « يعني الفارسي والرومي والحبشي ما يدعوهم الى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه » فقام اليه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فأخذ بتلييسه « ما على نحره من الثياب » ثم أتى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبره بمقالته فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مغضبا يجر رداءه « لما أعجله من الغضب » حتى أتى المسجد ثم نادى : الصلاة جامعة « ليجتمع الناس » ، وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « ايها الناس ، الرب واحد والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية باحدكم من اب ولا ام وانما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي » فقام معاذ فقال : فما تأمرني بهذا المناق يا رسول الله ؟ قال : « دعه الى النار » فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل .

تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكون الأمة ويربط اجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة ، وانما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد : ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير ، ثم وضعت شامياً وجزائرياً - مثلاً - ينطقان باللسان العربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله ، لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم •

فانظر بعد هذا الى ما قرره هذا النبي الكريم ، رسول الانسانية ورجل القومية العربية ، في الحديث المتقدم فقصى بكلمته تلك على العصبية العنصرية الضيقة المفرقة ، فنبه على تساوي البشر في انهم كلهم مخلوقون لله فربهم واحد وانهم كلهم من عنصر واحد فأبوهم آدم واحد ، وذكر باخوة دين الاسلام دين الاخوة البشرية والتسامح الانساني، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في تكوين الامم • ووضع للامة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الامم التي رشحت لدعوتها الى الاسلام بلغة الاسلام • وقد كان ذلك من أعظم ما سهل نشر الهداية الاسلامية وتقارب عناصر البشرية وامتزاجها بعضها ببعض حتى كان ثمرة اتحادها وتعاونها ذلك التمدن الاسلامي العربي الذي أثار العالم شرقا وغربا ، وكان السبب في نهضة الغرب والاساس لمدينة اليوم • وبذلك أيضا كانت الامة العربية اليوم تجاوز السبعين مليونا عدا لا تخلو منهم قارة من قارات المعمور •

كوهن رسول الانسانية ورجل القومية العربية أمته هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل • فلم يكونها لتستولي على الامم ، ولكن لتتقدم من سلطة المتسولين

باسم الملك أو باسم الدين • ولم يكونها لتستخدم الامم في مصالحها ،
ولكن لتخدم الامم في مصالحهم • ولم يكونها لتدوس كرامة الامم
وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد ، السى
درجات العز والصلاح والكرامة • وبالجملة : لم يكونهم لانفسهم بل
كونهم للبشرية جمعاء • فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف
لوبون : لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب ، نعم لانهم فتحوا
فتح هداية لا فتح استعمار ، وجاءوا دعاة سعادة لا طغاة استعباد •
هذا هو رسول الانسانية ورجل القومية العربية الذي كان له
الفضل — باذن الله — عليهما ويشهد المنصفون من غير العرب وغير
المسلمين له بهذا الفضل ويتغنى العرب غير المسلمين بذكره • وكم
دبجت اقلام الكتاب والشعراء من اخواننا نصارى العرب بالشرق من
حل البيان في الثناء عليه والاشادة بفضله •

هذا هو رسول الانسانية ورجل الامة العربية الذي نهتدي بهديه،
ونخدم القومية العربية خدمته ، ونوجهها توجيهه ، ونحيا لها ونموت
عليها ، وان جهل الجاهلون ••• وخذع المخدوعون ••• واضطرب
المضطربون •••

والى أعتابه الكريمة تتقدم بهذه الكلمة في مولده الشريف ، الذي
هو عيد الاسلام والعروبة والانسانية كلها • عاد الله فيه باللفظ
والرحمة على الجميع (١) •

(١) ش : ج ٣ ، م ١٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٧
غرة ربيع الاول ١٣٥٥ هـ - جوان ١٩٣٦ م

شكوى الجزائر وبلواها

منذ ستة وأربعين سنة

عثرنا في أوراق عمنا السيد حميدة بن باديس الذي كان نائبا عماليا عن قسنطينة في عهد من حياته ، على تقرير عن الحالة بالجزائر في ذلك العهد ، حرره هو بالعربية وأمضاه معه زملاؤه بالمجلس العمالي السادة : محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة ، عمار بن احمد ، وذو امضاء لم أفكه • وترجمه م • ميرسي تحت رقم ١٦٢٤٥ وقدمه لاحد رجال السينا الذي قدم للبحث عن الحالة • ونظرة فيه تدلنا على المظالم الثقيلة التي اثقلت كاهل الامة من قديم ، وعلى اجتهاد رجال من نوابها في ذلك العهد في اظهار حقيقة حالها للحكومة الفرنسية العليا دون مبالاة ولا محاباة ، وعلى ان الحالة كانت معلومة عند الحكومة الفرنسية تمام العلم دون حاجة الى تتابع الوافدين على الجزائر للبحث والتنقيب •

وقد رأينا - بمناسبة ما تقوم به لجنة البحث البرلمانية اليوم في الوطن - أن نشره على القراء كوثيقة تاريخية يعتبرون بها ويقارنون بين الماضي والحاضر •



لقد جاءت من فرنسا جماعات وأفراد من وزراء ونواب وكبار موظفين مرات عديدة من ذلك العهد البعيد الى اليوم • تعاقبوا كلهم على البحث عن الجزائر وحالة المسلمين ولكن بدون جدوى ولا تخفيف للبلوى ولا أدل على ذلك من الحالة التعيسة التي بلغنا اليها اليوم ،

من جهل وفقر وسقم وقهر وظلم واذلال • لا جرم ان حصل للجزائر - بعد هذا كله - يأس وقنوط من بحث كل باحث ووعد كل واعد ، بل ومن الحكومة الفرنسية نفسها • وما رجع للنفوس شيء من الامل ضئيل الا يوم جاءت هذه الحكومة الشعبية وأعلنا نحن ثقتنا بها للناس من أول يوم سعينا في تأسيس المؤتمر الاسلامي الجزائري وذلك لما نعرفه في أحزابها من احترام ما ، للامم المرتبطة بفرنسا ، واتساع حرية في الفكر والانسانية ، ولما رأينا من أخذها في التفكير في شأننا والحديث عنا •

وبتلك الثقة وبذلك الامل تلقت الامة الجزائرية لجنة البحث البرلمانية التي تجول اليوم في انحاء الوطن • وهي - والحق يقال - لجنة ممتازة عن كل لجنة كما امتازت الحكومة الشعبية عن كل حكومة • فقد تقصت في البحث واتصلت بجميع الناس وتباعدت عن المظاهر الادارية وقابلتها الامة بكل ما يعينها على مهنتها فأطلعتها على جميع نواحي بؤسها وشقائها • مرتجية فيها ان تطلع فرنسا : شعبها ونوابها وحكومتها على ذلك كله حاثمة للجميع على المبادرة بالعلاج الحاسم لتلك الادواء كلها من جميع النواحي كلها ، مبينة للجميع ان كل محاولة للتسكين بغير الدواء الحقيقي لا تزيد الادواء الا استفحالا ، ولا الحالة الا ارتياكا واضطرابا الى عواقب سيئة لا يعلمها الا الله •



وهذا نص المقال الذي ذكرناه :

الحمد لله

لما بلغنا اشتغال الدولة الفرنسية بتأسيس أمور المسلمين سكان بر الجزائر واصلاح حالهم وجلب المنفعة لهم ودفع المضار عنهم وتحقق عندنا ذلك بقدوم المعظم السيد فرانك شفو أحد الاعضاء بالسينا لبلدنا

ودعائه إيانا للحضور لديه بواسطة السيد البريفي وحضرنا نحن وجماعة بيرو الكونساى جنرال وسمعنا ما وقع من الكلام من أولئك السادات وعرفنا من لسان السيد السنتور المذكور المسائل التي نحن مسؤولون عنها ومحتاجون للجواب عليها وطلبنا منه أن يأذن لنا بالجواب عنها بالكتابة وأباح لنا ذلك على سبيل الاطلاق بحيث يمكننا أن نتكلم فيها أو في غيرها من الحقوق وكنا نحن وكلاء على عامة المسلمين سكان عمالة قسنطينة ، وكان الواجب بطريق الشرع والسياسة على الوكيل أن يقوم بحق موكله بالجد و غاية الجهد ولا يبالي بقول قائل ولا بلوم لائم ، فشرعنا حينئذ في التأمل والتدبر فيما يجب في الجواب عن كل مسألة بكلام مختصر مفيد . ولا شك ان عقول أرباب الدولة الراسخة تفهم شرحه وايضاحه فنسأل الله - تعالى - الاعانة والالهام للصواب ونقول المسألة الاولى حال المسلمين مع الكولون الفرنسويين فالجواب عنها ان المسلمين سكان اقليم الجزائر مثلهم كمثل الاغنام التي رعاتها عاجزون عن القيام بها على الوجه الاكمل وسبب ذلك ان الحكام الآن مربوطة أيديهم على صرف الأموال في المصالح العمومية ولا يقدرون أن يحدثوا شيئا الا بمساعدة وموافقة من أعضاء الديوان العام في العمالة المعبر عنه بالكونساى جنرال وانه لا يكون فيهم الا الخمس أو السدس من المسلمين وان الكثير من الاعضاء الفرنسويين لا يكثرثون بعامة المسلمين ولا يباليون بمنافعهم ويعز عليهم صرف المال في مصالح المسلمين الخاصة بهم فلا يكون حينئذ للمسلمين ناصر ولا معين لان كلمة اخوتهم المسلمين في الكونساى جنرال كل شيء ومع هذا فان الكونساى جنرال يطلب المرة بعد الاخرى ابعاد المسلمين عنهم واخراجهم من بينهم . نعم قد يكون بعض الاعضاء الفرنسويين راغبا في مصالح المسلمين ولكن لا يجد سبيلا لذلك لقلتهم بالنسبة لغيرهم وربما لاتسمعهم مخالفة اخوانهم ، ومثلهم الحاكم فانه مربوط اليد على التوصل الى جانب

المنفعة للمسلمين والاصل في ذلك كله ان الكثير من الكولون سكان اقليم الجزائر ضد للمسلمين ولا يجبون لهم الا الضعف والتلاشي والهلاك ووكلاؤهم في الديوان العمومي يسيرون على حسب غرضهم وقصدهم . وأما الحكام مع كونهم مربوطة أيديهم كما ذكرنا فاذا ظهرت منهم الحماية على المسلمين (١) توجه لهم الكولون بالإذاية والذم في الجرنالات وغيرها فمنهم من يصبر لذلك ومنهم من يتقلق ويكره وظيفته ، ويرغب في الرجوع لفرنسا وها نحن نبين سبب حقد بعض الكولون أو الكثير منهم على المسلمين وذلك السبب أمر باطني يعتقدونه في عقولهم ويظنون ان المسلمين منتصبون دائما لايقاع الاذاية لهم والاضرار بهم في أموالهم أو ذواتهم ويزعمون ان دين الاسلام هو الذي يحرضهم على ذلك وخصوصا القرآن وقد رأينا في بعض الجرنالات كلاما منسوبا لبعض السادات في السينا يوافق ما يعتقدده الكولون في جانب المسلمين من ان القرآن يحرضهم على الجد في إذاية الفرنسيين وذلك غلط صراح . اما أولا فان الركن الاعظم في الدين الاسلامي الصلاة خمس مرات بين اليوم والليلة وهي لا تقام الا بقراءة القرآن ، والا تكون باطلة فهذا هو السبب الذي أوجب على المسلمين قراء القرآن وتعليم أولادهم له في المكاتب ليحصلوا بذلك معرفة القلم العربي ومعرفة اللسان العربي الخالص الذي تكتب به الكتب ويتوصلون الى حفظ القرآن وقراءته في الصلوات . وثانيا فان دين الاسلام يوجب على المسلمين الوفاء بالعهود وعدم الغدر والمكر وعدم الفساد في الارض ، ولولا خوف الاطالة لجلينا النصوص الدالة على صدق قولنا من الكتاب والسنة . ومن جملة ما يقوي الحقد في قلوب الكولون انه مهما تقع من مسلم جناية الا ويسبون بها جميع جنس المسلمين ويعيرونها بذلك

(١) هذا ما فعلوه مع م. فيوليت تماما ، فما أشبه الليلة بالبارحة

(المؤلف)

في الجرنالات وغيرهم ولم يتأملوا في ان ما يفعله أصحاب الجنايات المعروفين بالجرأة هو من طبعهم من زمن ولاية الاسلام ومع ذلك فان كثير ما يصدر منهم يقع على اخوانهم المسلمين. وأيضا فان الجنايات لا يخلو وقوعها في كل بلد وفي كل أمة والحاصل ان الذي يعتقدده المسلمون وخصوصا ذوو الخبرة بأحوال الدول ان الدولة الفرنسية أشد رققا وحنانة على رعيتها وانها تراعي جنس الخليقة الادمية من غير نظر للمخالفة في الدين أو في الطبيعة وانها ترغب دائما في تبديل طبيعة أهل الغلاظة وجلبهم الى التمدن واتقان الخدمة وحسن العيش والامتزاج والمؤاخاة ولكن لم يتم ذلك المراد لبعضهم عن المسلمين وعدم اطلاعهم على أحوالهم فلو كان الفرنسيون المقيمون باقليم الجزائر مجتهدين فيما هو غرض للدولة ومساعدون للحكام على صرف الاموال في الامور التي تصلح حال المسلمين وتخرجهم من الظلمة الى الضوء وتسدد أحوالهم ولا ييخلون بصرف الاموال في الاسباب التي ينتج منها ما ذكر كاستعمال المدارس ونحو ذلك فلا شك ان قصد الدولة يتم والمرض الذي في المسلمين يزول ويعم الخير والنجاح لجميع الناس في أمد قليل فيتخلص مما ذكرنا ان المسلمين ان نالوا خيرا بسبب اجتهاد الحكام وتعبهم في ذلك كما وقع ذلك مرات من بريفي عمالة قسنطينة وخصوصا وقت المسغبة ونزول الجراد فيهم فرحوا واستبشروا واذا نزل بهم أمر مضر صبروا على مصيبتهم التي تؤديهم الى الفقر والخصاصة وسوء الحال ولم يجدوا ناصرا^(١) كضيق الارض عليهم وانتزاعها من بعضهم وثقل المعرم عليهم واجراء الاحكام على من تراخى في دفع المعرم أو عجز بالخطية والحبس على حسب ما يقتضيه قانون لانديجينا وغير ذلك مما يطول شرحه وخصوصا واقعة السكيسطر على التهمة بايقاد النار من غير حجة قاطعة فينبغي للدولة أن تتنبه لهذه الامور

(١) انظر هذه المظالم فهي ما لا نزال نقاسيه الى اليوم .

وتتخذ طريقا يتوصل بها المسلمون الى حقوقهم ويستعملون لهم نوابا في المجالس الكبرى على المنوال الذي يتأتى ويمكن على طريق السداد. ونرغب من السيد السيكتور ان يتأمل في البرشور الذي كنا استعملناه في شرح^(١) حال العرب في تاريخ الرابع والعشرين من افريل عام ١٨٨٢، المسألة الثانية ادخال المسلمين جملة في «الناطوراليزاسيون» واعطاهم الحرية الكاملة في اختيار أعضاء النواب عنهم في ديوان العمالة أعني «الكونساي جنرال» . الجواب عن هاته المسألة لا يخفى على أحد ان المسلمين وخصوصا سكان البوادي قليلا ما يكون منهم من يدرك المقصود من كل حاجة وما ينتج منها وكثير هم في غاية الجهل والغلاظة حتى انه اذا أظهر لهم بعض الافراد بحسب عقله الفاسد ان القصد من هذه الحوادث الاضرار بهم وافساد دينهم أو غير ذلك رسخت تلك المقالة في أذهانهم وجزموا بها وحصل لهم غاية الخلق بخلاف الناس العقلاء العارفين للامور فانهم يعلمون ويتحققون ان قصد الدولة من ادخالهم في «الناطوراليزي» توقيهم واحترامهم وتسهيل الطريق للتوصل الى حقوقهم . لكنهم^(٢) لا يرغبون في ذلك مراعاة لما يقع من الحلل في مسائل دينية كالميراث والنكاح والطلاق وغير ذلك ، فهذا السبب لا تجد الا أفرادا قليلة يرغبون في «الناطوراليزي» وأما انتخابهم للنواب عنهم فلا يليق بهم لجهلهم للامور وكونهم^(٣) مربوطين دائما لكبرائهم من حكام أو غيرهم فينتج حينئذ ان اختيار

(١) ش : فهذا النائب وزملاؤه كانوا شرحوا الحالة منذ ثمان سنوات قبل تقريرهم هذا وبقي الحال على الحال ولكنهم كتبوا هذا التقرير لانهم لم يصلوا الى حالة البؤس بعد ما اصبرنا معشر الجزائريين على البلاء وما اطمئنا في معسول الوعود (المؤلف) .

(٢) ش : فرفض الطورين قديم (المؤلف) .

(٣) ش : قد شاهدنا هذا عيانا في عصرنا هذا وان كنا نرجو ان يخف في المستقبل (المؤلف) .

النواب يكون على حسب غرض بعض الأفراد لا على حسب غرض العامة وربما يتولد بينهم الهرج^(١) .

والمناقشة فبهذا السبب ينبغي أن يكون أمرهم في ذلك مفوضا لحكام الدولة لانهم بحسب الجهل الموجود في كثيرهم والاعتماد في أمورهم على رأي غيرهم صاروا كالمحاجير نعم انما يليق بهم بعد زمان وذلك حين تنتقل طبيعتهم من الغلاظة الى التمدن لكن ينبغي للدولة ان تزيد في عدد نواب المسلمين في « الكونساى جنرال » وأن تجعل لبعض أولئك النواب مدخلا في مجمع « الكونساى سبريور » . واذا أرادت الدولة الجد في نفع المسلمين فينبغي أن تجعل لهم نوابا^(٢) بالقامة من أبناء جنسهم ، ان أمكن أو من الفرنسيين ويكون اختيار النواب الفرنسيين بنظر نواب العامة من المسلمين في الكونساى جنرال مع شخص أو شخصين من أعضاء « الكونساى منسبال » المسلمين يعينهم « الكونساى منسبال » من كل « كمون » وينبغي للدولة ادخال أعضاء « الكونساى منسبال » من المسلمين في اختيار « المير » كما كان الامر في السابق^(٣) لان « المير » وخصوصا في الفلاجات هو الحاكم في كل شيء وكثير من سكان الكمون هناك مسلمون باضعاف فكيف يمنعون من اختيار من يليق بهم ويعرف أحوالهم ؟ المسألة الثالثة : الزام المسلمين بالدخول في خدمة العسكر بالجبر على حسب الترتيب الجاري في فرنسا ، الجواب عن هاته المسألة انها ثقيلة على كافة المسلمين لا يرضون بها ويتألمون منها غاية بحسب ما يراعيه ويخمه كل طائفة منهم وخصوصا الجبر والإلزام وحيث يكون الامر كذلك

(١) ش : قد شاهدنا هذا عيانا في عصرنا هذا وان كنا نرجو ان يخف في المستقبل (المؤلف) .

(٢) ش : فطلب النيابة في البرلمان قديم ليس ابن اليوم (ابن باديس)

(٣) ش : اذاً قد كان المسلمون ينتخبون المير ثم منعوا . . (ابن باديس)

فالاولى والأليق فتح الباب للناس في الدخول في عسكر الطريور فانه يوجد العدد الكثير ويحصل المقصود بالغرض وطيب النفس . نعم قد جرت العادة انه اذا احتاج جانب المخزن للاستعداد للحرب في نازلة يطلب من سكان الاعراش الاعانة في ذلك ويعين على كل فريق عددا معلوما فينقادون لذلك بلا كلفة فعالب الظن اذا طلب جانب المخزن من كل عرش عددا معلوما يحملون السلاح ويتعلمون الحرب والسفر أمدا معلوما فانهم لا ييخلون بذلك وأيضا فينبغي التأمل في انه اذا صار أهل البادية كلهم حاملين السلاح ربما تقع منهم بعض الفتن، ولو مع بعضهم بعضاً، ألا ترى أن من جملة عوائلهم الفاسدة اذا تشاجر أحد من عرش مع واحد من عرش آخر قامت الفتنة بين الفريقين وتضاربوا بما يجدونه بأيديهم وربما تقع بينهم الموت فانظر اذا صارت أيديهم عامرة بالسلاح مع هاته الطبيعة . المسألة^(١) الرابعة : في ذكر منازل العرب من الفقر وسوء الحال بسبب اتزاع الارض منهم وعدم قدرتهم على مفارقتها، والرضى بالبقاء فيها بالكراء الغالي الذي يقعهم في ضعف الحال وذهاب المال وذلك ان كثير الكولون لما يأخذون الارض ولا يقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها يؤول أمرهم الى اكرائها الى العرب بالسعر الذي لا يقدر المكثري على تحصيله وتحصيل معاشه والمغرم اللازم له فيتلاشون ويعجزون عن الحرث ولا يجد رب الارض لمن يكرها فيبيعها ان أمكنه أو يتركها وينتقل وبهذا السبب لم تتم عمارة « الفلاجات » كما ينبغي ، ويوجد كثير أراضيها خاليا والعدر محقق للكولون في العجز عن تعمير الارض لان أرضنا وان كان ترابها جيدا فانها معدومة الماء الا في مواضع قليلة وان الحمى لا تفارق النواحي الكثيرة منها وتضر الذوات التي نبتت الارض الجيدة الصحيحة

(١) ش : تأمل في هذه المسألة والتي بعدها الحيل الشيطانية التي يرتكبها الاستعمار لنزع الاراضي من اهلها (ابن باديس) .

كأرض فرنسا وبالجملة فكثير أرضنا بالنسبة لقلّة الماء كذات بلا روح .
المسألة الخامسة في كيفية تمليك أراضي العرش لاربابها وتمكينهم
بال عقود الذين يتوصلون بها الى البيع والرهن وغير ذلك . الجواب عنها
ان ذلك الترتيب وان كان فيه عدل وانصاف ووفاء بالحقوق لكنه
لا يناسب حال الاعراش وما جرت عليه عادتهم من التداخل في بعضهم
بعضا والانتفاع بالمرعى مع بعضهم . ولما وقع ما ذكر ، أولا: تمزقت أراضيهم
ودخلها الاجانب وحصل لهم ضيق في انتفاعهم بأراضيهم ضد ما كانوا
عليه سابقا ولا شك ان الاليق بهم لو أبقتهم الدولة على حالهم السابق
من الانتفاع بالارض فقط كالحبس ، وليس لهم البيع ويدفعون الحكر
الذي هو منزل كالرنت على الكونسيسيون فبذلك يستقيم حالهم
ويكونون في غاية الهنا في عيشهم ولا يقدر واحد أن يضر بأخيه ، وأما
اذا صار هذا يبيع قطعة من ناحية وهذا يبيع قطعة من أخرى انحلت
عليهم أبواب الهرج والاختلاط مع من لا يناسب قصده طبيعتهم . وأيضا
ففي بقائهم على حالهم منفعة لجانب البايك من حيث انهم يدفعون
الحكر . المسألة السادسة: قضية الشريعة، الجواب عنها أن الدولة الفرنسية
كانت احترمت شريعة الاسلام وأمرت باجرائها على أصلها ونصبت
القضاة في كل ناحية وضبطت أمورهم بقوانين مؤسسة على أحسن
ما يكون وأباحت لمن شاء من المسلمين إعادة النظر في خصومته لدى
مجالس «الطرييونال» و«الاكور» واستمر الحال على منوال حسن الى ان برز
القانون المؤرخ بسبتمبر سنة ١٨٨٦ فردت خصومات المسلمين الى
«الجوج» على أن يحكم بينهم بمقتضى شريعتهم . ولم يكن ذلك، وصارت
الاحكام تقع بين المسلمين على خلاف شريعتهم ولاجل ذلك يقع كثيرا
تفسير أحكام الجوج في مجالس «الطرييونال» اذ تعاد . ومع هذا فلما
كانت اشغال الجوج كثيرة ولا ينتصب لحوائج المسلمين الا مرة في
الجمعة ويحتاج في فهمه للقضية بواسطة الترجمان الى زمان طويل

ويحتاج أيضا طالب الخصومة الى المصروف الذي يبلغ في كثير من الاوقات الى أزيد من الحق الذي يطلبه ويتعطل طالب الخصومة على اشغاله بسبب ترده الى محل الحكم ، وتأجيل خصومته الى جمعة بعد جمعة ، فضاعت الحقوق وصار الناس يأكلون حقوق بعضهم ويقع بينهم بسبب ذلك الحقد والاذاية لبعضهم بعضا . والحاصل ان القانون المذكور أضر بالمسلمين غاية الضرر وخصوصا من جانب ابطال الالسيورات وعدم تسمية من مات أو عزل وحط درجة من لازال موجودا من المشاركة في النظر الى المشورة فقط مع ان « الاجواج » الفرنسيين محتاجون للاستعانة بهم فاذا أمكن الدولة ان تبطل العمل به وتأمّر بالعمل بالقانون البارز عام ١٨٦٦ ففي ذلك خير للمسلمين وان لم يكن ذلك بدلته ولم تبقه على حاله . ولو تتبعنا شرح المسائل التي أضرّت بالمسلمين بسبب القانون المذكور في شريعتهم وقعنا في الاطناب في الكتابة . المسألة السابعة : قضية المغرم على المسلمين ، الجواب عنها : لا يخفى على أحد ان المسلمين يدفعون المغرم على طريقين واحدة على حسب عادة الاسلام في الزمان السابق وواحدة على حسب السيرة الجارية بفرنسا ولا شك ان في ذلك ثقل (١) لان الرجل صار حاملا لحملين وقد حصل للناس ضرر وخصوصا من جانب ما جرى به العمل من ان الرجل ينسب له ما لا يملكه من الحيوان وغيره ويلزم باداء المغرم عنه وان عجز أو تراخى عن الدفع يقع عليه الحكم بالخطية والجس . وآخر ما نختم به كلامنا ان تأسيس اقليم الجزائر مثل بناء قصر عظيم والبناء يحتاج الى أساس والاساس يحتاج الى صانع عارف بالبناء ويحتاج الى الآلات كالجير والحجر والرمل وغيرها . اما الآلات (٢) تيسر العيش للناس ونشر

(١) كذا

(٢) ش : تأمل هذا الختام جيدا فانه مشتمل على المطالب وعلى فكرة الكاتب في عاقبة قبولها وعدم قبولها ، فاما المطالب فهي : (١) تيسير

شكوى الجزائر وبلواها

العلم والصناعات بينهم ليتحولوا الى التمدن والرفق بهم والتسوية بين الفريقين فاذا تمت هذه الامور كمل بناء الأساس ووجب شكر الصانع الذي خدمه وهم الحكام ويكون بعد ذلك تمام القصر وزينته بحصول المؤاخاة بين الناس ، وصفو الباطن وتمام العافية والرفاهية في العيش . ونرغب من وقف على غلط في شيء مما قلناه فيصنح كما هو شأن الكرام والسلام^(١) .

حرر في العاشر من افريل عام ١٨٩١ م

محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة

حميدة بن باديس

عمار بن احمد

→→
اسباب العيش (٢) نشر العلوم والصناعات . (٣) الرفق بهم . (٤) المساواة بينهم وبين الاوروبيين - واما فكرة الكاتب فهي ان المؤاخاة وشفاء القلوب وحصول العافية للجميع لا تكون الا اذا قبلت هذه المطالب . واذا لم تقبل فلا مؤاخاة ولا شفاء قلوب ولا عافية لاحد . ولقد صدق فيما قال اذا ما قال الا ما هو طبيعة الانسان في جميع الازمان والبلدان .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٣ ، ص ٦٢ - ٧١

صفر ١٣٥٦ هـ - افريل ١٩٣٧ م .

محمد عثمان باشا

داي الجزائر سنة (١٧٦٦ - ١٧٩١)

هذا اسم السفر الجليل الذي ألفه - أخيرا - الأخ الاستاذ أحمد توفيق المدني ، لخص فيه تاريخ الجزائر في العصر التركي ، وبيّن حالتها الاجتماعية والادبية والسياسية بأسلوب بديع جمع الفصاحة والتناسق ، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومناهج الفن ، وبروح اسلامية لا تعرف الا الصدق عريية لا تفارقها العزة والشهامة ، واذ(١) كان « الوطن هو تاريخ الوطن » كما يقول الاستاذ عبدالرحمن صدقي، و « لا حياة لأمة الا باحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل ، فالأخ الاستاذ المدني بكتابه هذا لم يكن كاتباً بليغاً ومؤلفاً مبدعاً ومؤرخاً حكيماً فحسب ، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمماً .

ان من جنایات الاستعمار الأوربي على البشرية انه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الأمم التي ابتليت به وأصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها، ومن عليها بما زرعه فيها من عمران، وان كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به . فأميركا - مثلا - يصورها الاستعمار ويصور سكانها الاصليين بأقبح الصور حتى هب من أبنائها الاصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه . وهالك بعضا مما يبين

(١) راجع المقالين المنشورين في هذا الجزء في باب المجتنيات .
(المؤلف) .

لك هذا ذكره الاستاذ محمد كرد علي في آخر كتابه « الاسلام والحضارة العربية » قال الاستاذ :

« ذكر أحد الباحثين في جريدة الكوتيدن Le Quotidien الباريسية تحت عنوان (تاريخ الامم المغلوبة على أمرها لم يكتب) ان المجلس الأعلى لبقايا هنود أمريكا في الولايات المتحدة أرسل الى شيخ مدينة شيكاغو احتجاجا جاء فيه (ان الكتب المدرسية المستعملة الآن في الولايات المتحدة صورت قبائل الهنود في صورة مخالفة للحقيقة التاريخية) قال الكاتب ولتتنا نفكر قليلا فيما كانت عليه أمريكا قبل أن يفتحها كولومبس ، ونقرأ ما قصه الفاتحون الأولون وأرباب الرحلات الأقدمون من الأقاليم الغربية ، ونلقي رائد الظرف على المدن القديمة في العالم الجديد وما بلغته من الازدهار وما غصت به من المعابد العظيمة التي تضاهي بعظمتها معابد مصر ، وتمائلها العظيمة المحلاة بالذهب ، وما كان هناك من متاحف وخزائن كتب ومراصد فلكية . واذ كتب لنا أن تتوغل في المكسيك ومدينة الماياس في يوكاتان ولانكاس في الانو - اذا رأيت كل هذا استنتجت - والدهشة آخذة منك - ان فتح أميركا كان من اعظم جنيات أوروبا » ١٠٥٠ .

هذا هو نفس ما وقع بالجزائر من تشويه تاريخها وتصويرها في جميع عصورها خصوصا في العصر العثماني - بأقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية وتدرس - يا للبلية يا للحسرة لابنائها ! - غير ان الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من أبنائها - المثقفين بالافرنسي طبعا - من ينكر تاريخها جملة ويزعم ان لا شخصية لها . لكن لا يمكن للحقيقة أن تبقى مستورة بالباطيل فهي كالشمس لا بد أن تظهر ولو توالى أيام الدجج والغيوم . فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدني بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة وال عمران قبل الاحتلال الفرنسي

وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال وبعيد الاحتلال ناقلا له
من كتب ووثائق أفرنسية لا غبار عليها .

هذا الى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها وقضائها ولغتها
وتعليمها وبيان غير ذلك من أحوالها . لا تتسع هذه الصفحات لعرض
كل ما في الكتاب ولكني أقول بكلمة واحدة : (انه يتحتم على كل
مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب) . وانك اذا ختمته - أيها المسلم
الجزائري - لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب وتبغض
من يجب أن تبغض والحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة
ولا بقاء لامة بدونهما اذا استعملتهما في محلهما .

وحقيق عليّ أن أذكر بالاعجاب والسرور المطبعة العربية للاخ
الشيخ أبي اليقظان التي أخرجت الكتاب في حلة فنية جذابة تدل على
تقدم الجزائر في الفن المطبعي وأن أذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة
محمود نسيم افندي التي تولت نشره . جازى الله العاملين على نشر
العلم واحياء الامم بكل احسان وجميل (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٧ ، م ١٣ ، ص ٣١٩ - ٣٢١
شعبان ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧ م .

كلمة عن الجامع الأخضر

عمره الله

الجامع الأخضر أحد الجوامع الثلاثة الجمعية الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة .

أما مؤسسه فهو حسين بك بن حسين ١١٤٩ - ١١٦٧ هـ ١٧٣٦ - ١٧٥٤ م فحكم البلاد ١٧ عاما مقتنيا اثر سلفه في سياسة التعمير والانشاء فنظم المدينة وخطط شوارعها وانشأ منازل رفيعة وبناءات ضخمة لكامل اعيان البلد ، وحافظ على توطيد الأمن طيلة مدة حكمه . وكما كان له ولع بالعمارة كانت له عناية فائقة بالعلم^(١) فقد وجد في المحفوظات الكتابية اذن صدر منه لعائلة ابن وادفل في تأسيس مدرسة عليا للحقوق بالمسجد الذي امرهم بتأسيسه في عين فوا . وبني الجامع الاخضر للتعليم كما هو منقوش فوق مدخل بيت الصلاة وهذا نصه :

« أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم، وتشيد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأي ، أميرنا وسيدنا حسين باي أدام الله أيامه . وكان تمام بنائه اوآخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة وألف » ودفن مؤسسه - رحمه الله - في التربة المجاورة للجامع مع عائلته وبعض العلماء رحمهم الله أجمعين » .

والجامع لهذا العهد ليس له مدرس رسمي اما في العهد الماضي

(١) راجع ترجمته في كتاب قسنطينة تحت البايات باللسان الفرنسي

فلا شك انه كان به من يدرس العلم اذ لا شك ان مؤسسه - وقد كان مشهورا بنشر العلم وبنى مسجده للتعلم - لا بد ان يكون اوقف اوقافا للتعليم فيه فاستولت عليها السلطة كما استولت على سائر الاوقاف .

اما بداية تعليمي فيه فقد كانت اوائل جمادي الاولى عام ١٢٣٢ هـ وكان ذلك بسعي من سيدي ابي لدى الحكومة فاذنت لي بالتعليم فيه بعد ما كانت منعني من التعليم بالجامع الكبير بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود بن الموهوب .

وقد يسر الله لنا بفضل القيام بالتعليم فيه الى اليوم والله نسأل أن يجازي كل من أعاننا فيما قمنا به كل خير وان ييسر لنا القيام بخدمة العلم فيما بقي من العمر ، وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين آمين .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٤ ، م ١٤ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤
غرة ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٣٥٧ هـ - جوان جويلية
١٩٣٨ م .

فاجعة قسنطينة

كتبنا في الجزء الماضي كلمة مختصرة جامعة في هذه الفاجعة و اردنا الاكتفاء بها ، لكن كثيرا من قراء الشهاب بقسنطينة وغيرها طلبوا منا ان نكتب الحقائق التي نعلمها بالصدق والصراحة التي تعودوها من مجلتهم فرأينا الصواب فيما طلبوا فعدنا للكتابة في هذا الجزء معتمدين في تصوير الواقع على ما شاهدناه بأنفسنا وما شهدته من يكون محل ثقة عندنا .

ابتداء الاعتداء :

ليلة السبت :

بينما كان الناس في ميضأة الجامع الأخضر أثر صلاة العشاء ليلة السبت وعددهم نحو الاثني عشر ، اذا باليهودي الياهو خليفي يفاجتهم مطلا عليهم من نافذة الميضأة مدعيا عليها كشف العورة عند الوضوء ومبادرا لهم بقوله « نعل دينكم وصلاتكم وجامعكم والكبرا انتاعكم » فاجابه بعض الحاضرين : « نحن لا نكشف عورتنا عند الوضوء وديننا ينهاننا عن كشف العورة دائما ولا نلوموك (١) لانك سكران » فاجاب : « لاراني بعقلي وراني عسكري نعـ٠٠٠٠ النبي نتاعكم » .

خرج الناس في غاية الاستياء فأشار عليهم قيم المسجد - لاجل تهدئتهم - بتقديم شكاية للكوميسارية وهي برجة الصوف أمامهم ، فامثلوا وذهب شرطيان ، الزواوي وابن عريوة ، ودعا عليه الباب بانهما من اعوان الشرطة وان عليه ان يجيب الكوميسارية وانه لا خوف

(١) كذا في الاصل .

عليه من شيء ، فأبى أن يجيبهم ^(١) بكلمة ، ومرت فرقة الجند المتجولة فاعلمها الشريان بالواقعة وطلبا منها اخراج الجاني ، فأبى من الامتثال لها ، كما أبى من الامتثال للشرطة ، ففرق الشريان الناس وقالوا لهم هذا شغلنا فتفرقوا ولم يبق الا القدر المعتاد في رحبة الصوف وذهبا .

بعد ذهابهما وقف اليهودي وزوجته في نافذة محلها واخذوا في السب مثل السب الاول فارسل الناس القيم الى المفتي ليقوم بكف عادية هذا المعتدي بواسطة الحكومة وانتظر الناس المفتي على احر من الجمر وهم يسمعون في السب من المعتدي .

رجع الشريان فوجدا الناس متجمهرين ، فلما سألاهم لماذا رجعتم قالوا لهما : انه عاد الى السب كما تسمعان ، وكان هو وزوجته اذ ذلك مازالا في النافذة على حالهما وكان غيرهما قد شاركهما في السب ، وسمع الشريان بعض الناس يقول نهجم على داره فذهبا ووقما عند بابها يحرسانها .

في هذه الساعة ابتدأ اليهود المجاورون برمي الكوائن والبيادين فأجابهم المسلمون برمي الحجارة فشرع اليهود في الرمي بالرصاص .
اثناء هذا جاء المفتي بعد ما ارسل الناس اليه مرة ثانية من اتوا به او وجدوه آتيا فوقف يهدي الناس باذلا غاية جهده في ذلك فلم ينفع شيئا وقال له بعض الناس من برودتكم لحقنا هذه الالهات كلها حتى وصلنا لهذه الحالة .

اثر هذا جاء الدكتور جلول وقد كان خارج البلد في معالجة بعض مرضاه فوقف يهدى الناس ، والرصاص مازال ينصب من نوافذ اليهود ، واستطاع بعد الجهد الجهد ان يسكن الناس ويفرقهم واتته المصيبة نحو الساعة الثالثة .

(١) كذا في الاصل ، والصواب : يجيبهما .

استنتاجات من حوادث هذه الليلة :

رغم ما سمعه المسلمون من سب الياهو الأول لدينهم وصلاتهم وجامعهم وكبرائهم لم يهتاجوا واجابوه بكل تعقل وعذروه بانه سكران وهذا دليل قطعي على تسامحهم وعدم حملهم لحقد ديني على اليهودي وعدم استعدادهم لفرصة الانتقام .

أما هو فانه نفى عن نفسه السكر واعتز بأنه عسكري وأعاد السب بأقبح من الأول . وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يقول ويفعل ، وعلى اغتراره بالحرمة العسكرية وعلى قصده الى المبالغة في الاذية ، والاغترار بالحرمة والقصد الى المبالغة في الاذية هما الامران المشاهدان من عامة اليهود دائما في معاملتهم للمسلمين .

امثل الناس لقيم المسجد وقدموا شكائتهم للكوميسارية وهذا دليل على أنهم لم يكونوا يريدون ان ينتقموا لانفسهم وانما يريدون ان يتوصلوا لحقهم على يد العدالة .

اقتناع الياهو المعتدي من اجابة الشرطة ومن اجابة فرقة الجند المتجولة دليل على تمرده حتى على رجال الحكومة المدنية والعسكرية وما تجرأ على هذا الا لعلمه بان نازلته مع المسلمين وقد تعود هو وامثاله ان نوازل تعديهم على المسلمين في الغالب - تكلاصا : تطرح وتهمل .

لما فرق الشرطيان الناس تفرقوا وهذا دليل آخر على انقياد الناس لاوامر دائرة حفظ الامن واعتمادهم عليها ودليل آخر على انهم لم يكونوا يفكرون ان يجعلوا ما وقع من المعتدي سببا للانتقام .

بعد عودة اليهودي للسب هو وزوجته من نافذة دارهما لم يفعل المسلمون شيئا غير ارسالهم للمفتي وهذا دليل آخر على ضبطهم

لعواطفهم وعدم قصدهم للانتقام وتصميمهم على انتظار الانصاف من طرف الحكومة ودائرة الامن العام .

شارك المعتدي غيره من يهود الحومة في السب بدل أن يكفوه عنه وهذا دليل على الروح المتفشية في عوام طائفته من الاستهانة بالمسلمين والتماؤل على اذائهم وعدم احترام الحكومة في ناحيتهم .
وقف الشرطيان المسلمان عند باب اليهودي يحرسان داره ، وهذا دليل على ما يتحلى به المسلم من احترام واجبه وقيامه به وعلى شدة محافظة اعوان الشرطة المسلمين على الامن والنظام .

رغم ما رأى المسلمون وما سمعوا فقد استمروا ماسكين لا يديهم حتى ابتدأهم اليهود برمي البيادن والكوانين وهذا دليل واضح على تحمل اليهود لمسؤولية الشر بالقول والفعل .

استطاع الدكتور جلول بعد ما بذل جهد الابطال ان يسكن ثائرة الناس وهذا اول مواقفه العظيمة في اطفاء هذه الفتنة وهو دليل على مكاتته عند الامة وعلى حسن استعماله لهذه المكانة في الخير .

صبيحة السبت ٤ اوت :

جئت الى ادارة الشهاب الساعة الثامنة فعلمت بالواقعة واعلمت باستدعائي من طرف مدير الشرطة م. فيزرو مثلما استدعي غيري .

اجتمعنا عنده فكان مما قال لنا اتني دعوتكم لتعينوني على تنزيل العافية فابتدأته انا فقلت له : « وترجم عني السيد يحيى احمد » ان فطرتنا الاسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة كل هذه تحملنا على معاونتكم فيما ذكرتم ولكن بمزيد الاسف ان الدين الذي نهذب به الناس ونربيهم وتنزل في قلوبهم الرحمة قد وصلت الالهانة والتعدي اليه ومع ذلك فاننا سنبدل غاية المجهود . ورأى الجماعة ان

يقابلوا القائم مقام البريفي فطلب لهم الكوميسار مقابلته وذهبنا كلنا الى دار العمالة .

خرج علينا م . نديل القائم مقام «البريفي» فألقى خطابا طويلا ترجمه السيد عمر بن الموفق ، كله تأسف على ما وقع وتوصية بلزوم العافية وتهوين لما كان من اليهودي السكران ووعده بأن العدالة ستقتص منه وبعد ما فرغ من خطابه سأل هل من يريد الكلام فابتدأته انا فكان مما قلت : ان هذا الاعتداء ليس هو الاعتداء الاول واتنا معشر المسلمين نحب السلم بطبعنا وقد بات مفتينا ونائبنا يهدئان الناس وان المسلمين لا يستطيعون الصبر دائما على التعدي على امر دينهم واتنا نستطيع ان نمسك بغضب المسلمين الا اذا اهينوا في دينهم فان الامر حينئذ يصعب علينا وان اليهودي المعتدي على الجامع اذا كان هو سكران فان زوجته وجيرانه الذين شاركوه في السب وابتدأوا بالضرب ليسو بسكارى ويبتلعون له ان الشيء الذي جرأ اليهود على هذه التعديات المتكررة هو ما يحملون من السلاح ، مع علمهم بأن المسلمين لا سلاح لهم وانهم ما داموا يحملون السلاح ويطلقون الرصاص لادنى شيء فان الشر لا ينتهي وطلبت منه لذلك نزع السلاح منهم فاعتذر بان هذا لا يمكنه معهم لانهم «سيطويان» وطلبت منه أن يقوم بتوصيتهم والتأكيد عليهم في كف عامتهم عن الشر فاجاب بأنه يفعل ذلك او قد فعله .

ثم استدعى جماعتهم فيهم اعيانهم ونوابهم وحبرهم وخطب على الجميع بلزوم التسامح والنسيان لما مضى فابتدأته انا بالكلام فما قلت له : ان المسامحة الحقيقية لا تكون الا بعد العتاب الودي المبني على الحقائق الواقعة وتوجهت لمخاطبة الجماعة الاسرائيليين فذكرتهم باعتداءاتهم المتكررة التي من اقربها اعتداء اولادهم على ولد ابن الجاوي من تلامذة «الليسي» حتى كسرواساقه، وقيلها اعتداؤهم عليء

وعلى مدير مجلة الشهاب السيد احمد بوشمال وذكرتهم بمسامحتنا وسترنا للواقعة حتى لا يقع بسببها شر . كل ذلك لما نحن مصممون عليه من منع كل فتنة بين السكان وذكرت لهم انهم غير ما مرة اجتمعوا مع جماعة المسلمين أمام رجال دار «البريفي» وفي كل مرة تمدون بكف سفهائكم ولكن الاعتداء يتجدد ، فهذا أما لأن عامتكم لا تحترمكم ولا تتقاد اليكم واما لانكم اتم لم تصدقوا في تهدئتهم وكفهم عن الشر واذا كانت عامتكم لا تتقاد اليكم والحكومة لا تنزع منها السلاح فمن الذي يكفها ويرد عنا شرها ؟

اتمى المجلس باعتذارهم عما وقع ووعدهم - كالعادة - بكف سفهائهم ، وتصافح الجميع وتصافت الخواطر وخرج المجتمعون كلهم متواعدين على العمل على تنزيل العافية وتوطيد الامن .

مساء السبت :

اجتمعت بالدكتور جلول فاتفقنا على أن نخطب في الناس لتهدئتهم، ورأينا وجوب المبادرة بذلك قبل دخول الليل وكان هذا في آخر النهار نحو الخامسة ونصف فامرنا من نادى في الناس بالاجتماع في الجامع الكبير على الساعة السابعة فما جاءت الساعة السابعة حتى امتلأ الجامع الكبير بالناس من جميع طبقاتهم رغم ضيق ما بين وقت المناذاة ووقت الاجتماع وكان الناس في تهيج شديد وتأثر بالغ فقد ضرب اليهود بعض افراد في ذلك المساء وقبل ان أصعد على كرسي الخطابة نادى جماعة بأن اليهود مازالوا يحملون السلاح لقتلنا وقد ضربوا وجرحوا في هذا المساء منا فبادرت بالصعود على الكرسي وافتتحت الخطاب واستطعت - باذن الله - التغلب على تلك العواطف الثائرة ، وأظهروا الطاعة والقبول فنزلت عن الكرسي وصعد الدكتور جلول فالقي خطابا مؤثرا فازداد الناس قبولا وخرج ذلك الجمع الذي يقدر بالآلاف هادئا

مهدئا بعد ما كان متأثرا هائجا ووقفنا في الطريق العام نفرق الجموع ونطلب منهم ان يذهب كل واحد الى محله وان يعلم غيره بما دعوناهم اليه من لزوم الهدوء ، وما تفرق الناس حتى أقسمت لهم أنني لا أذهب حتى يذهبوا . وكنا عند الخروج من الجامع قد جاءنا خبر صحيح بجرح ولد صغير مكفول لاحد الناس فاستطعنا - باذن الله - ان نقف الخبر عن الانتشار وأن نهديء من بلغه الخبر وكافل ذلك الصغير .

تفرق الناس وخلت منهم الطرقات ونزل الهدوء التام وباتت البلدة في أمن وأمان وسهرت انا والدكتور جلول وبعض النواب الى منتصف الليل نتجول في بعض الشوارع فشاهدنا بأنفسنا هدوءا شاملا للبلدة كلها .

استنتاجات من حوادث يوم السبت وليلة الاحد :

في قول من قال قبل الشروع في الخطبة « ان اليهود مازالوا يحملون السلاح لقتلنا ، وقد ضربوا وجرحوا في هذا المساء منا » ، دليل على ما كان لبقاء السلاح عند اليهود من الاثر السيء في ادخال الروع في القلوب مما يقوي في النفس غريزة الدفاع عن الحياة ، وعلى ما كان من عود اليهود الى الضرب الذي فرغ ما عند المسلمين من الصبر عليه .

وفي هدوء المسلمين بعد ما سمعوا مني ومن الدكتور جلول دليل على انقيادهم لمن يكون محل ثقتهم وتمسكهم باسباب العافية حتى في اخرج الاوقات . وكانت ليلة الاحد بتمامها اصدق دليل واقواه على ذلك .

يوم الاحد ه اوت :

أصبح الناس يوم الاحد على احسن حال لا فرق بينه وبين سائر

الايام واصبحت المعاملات التجارية بين المسلمين واليهود في سوق
الخضر وغيره كماداتها .

مررت نحو الثامنة ونصف امام دار « المير » نازلا الى باب الوادي ،
فالتقيت بسي سليم البوليس السري فسألني هل عندكم اجتماع هذه
الصيحة في الصنوبر فأجبتة بالنفي وذكرت له ان الاجتماع الذي
أردناه قد وقع امس عشية بالجامع الكبير وانا اخترنا بالامس الجامع
الكبير ليكون اعون لنا على ضبط الناس وقد حصل مقصودنا من
تهذئة الناس باجتماع امس فلماذا نعقد اجتماعا آخر ؟ وكيف يكون
في الصنوبر .

وصلت الى ادارة الشهاب نحو الساعة التاسعة فجاء من اخبرني
ان بعض الناس اجتمعوا في الصنوبر وقيل لي ان هؤلاء لما سمعوا
بالاجتماع ولم يعلموا بوقوعه امس ظنوا يقع اليوم وبعد نحو ربع
ساعة جاء من اعلمني بانهم افرقوا .

نحو الساعة العاشرة ذهبت الى جمعية التريية والتعليم لالقي
محاضرتي على اعضائها فما كدنا نشرع في المحاضرة حتى جاءنا من
اخبرنا ان اليهود اطلقوا الرصاص في جهة رحبة الصوف وان الفتنة
قد وقعت واخذنا اثر ذلك نسمع في طلق الرصاص المرات الكثيرة
فمكثنا كلنا بالجمعية الى الساعة الثانية عشرة ، فرحت التلامذة مشي
وثلاث وأمرتهم بأن لا يصعدوا الى رحبة الصوف التي كنا نحسب اذ
ذاك ان الفتنة قاصرة عليها . ونحو الساعة الواحدة بعد الزوال صعدت
الى دارنا بنهج القصة محروسا بفرقة من الجند .

كيف ابتدأت الفتنة وكيف انتهت :

من الشائع المتواتر الذي عرفته حتى الجرائد الباريسية فنشرته
جريدة « لاكسيون فرانسيس » ان الفتنة ابتدأت بسبب طلق انباء

الزاوي اليهود الرصاص ثم كان احتياج الناس بقدر ما يتزايد اطلاق
الرصاص من اليهود الحاملين السلاح •

حضر الدكتور جلول لرحبة الصوف والفتنة على اشدها فدخل
الممعة يهدىء الناس من ناحية ويضمد الجراح من ناحية اخرى وكانت
حالة الناس - وهم يسمعون دوي الرصاص ويشاهدون الجرحى
يتساقطون منهم - اعظم من ان تهدأ • ومع ذلك فقد استطاع الدكتور
جلول ان يرد الناس عن الهجوم على الشارع حومة اليهود ولولاه
لكان ذلك الجمع مصبحا اليهود في شارعهم شر صباح •

انتشر الخبر في البلد وماجت الانهج بالناس وكثر ضرب اليهود
بالرصاص من النوافذ فانكب الناس على دكاكين اليهود التي كانت
مقفلة يوم الاحد يكسرون ابوابها ويمزقون ما فيها من قماش ويهشمون
ما فيها من اثاث ويمزقون الاوراق المالية واطلقوا النار في بعضها وقتلوا
نيفا وعشرين نفسا وفرغوا من عملهم نحو الساعة الثانية •

استنتاج وتعليل :

فتح أسواق الخضراوات الاسلامية كمادتها ، وتعاطي المسلمون البيع
والشراء مع اليهود واليهوديات دليل قاطع على ان المسلمين كانوا قد
اطمأنوا وأمنوا وعلى انهم ما كانوا عازمين على شيء من الشر لليهود •

ابتدأ أبناء الصائغي بضرب الرصاص ، ورؤية الناس المسلمين السلاح
بيد اليهود والرصاص يتهاطل من نوافذهم وهم لا سلاح لهم بعث فيهم
الرعب والحقق فاندفعوا ذلك الاندفاع القوي السريع المحطم •

غريزة الدفاع عن النفس فطرية في الانسان بل في جميع الحيوان
فاذا أحس بالخطر فانه يعمل اعمالا عن غير وعي لا يستطيع أن يعملها
لولا ما احس به من الخطر وما تحرك فيه من غريزة الدفاع عن النفس

فقد يجري الانسان فاراً أمام حيوان يريد اقتراسه بمقدار من السرعة لا يستطيعه ابداً في غير تلك الحال فالانسان الاعزل الذي لا سلاح معه عندما يرى خصمه مسلحاً ويشاهد الرصاص منطلقاً من سلاحه يحس بخطر محقق داهم فتتحرك فيه غريزة الدفاع عن النفس فينبعث عن غير وعي فينقض على خصمه اقتضاض المستमित فربما قضى عليه رغم سلاحه . هذا في الفرد من الناس أما في الجموع منهم فان المسألة تكون اروع لان الجماعة لا تعمل عن عاطفة فاذا خافت على أنفسها واندفعت بغريزة الدفاع عنها فانها تأتي في تلك الحالة بما لا تتصوره العقول .

بهذا التقرير العلمي النفسي نعلل ما كان من الجماعة المسلمة العزلاء من السلاح امام اليهود المسلحين في اندفاعها وما اتت به من اعمال مروعة .

ولعلنا بهذه الحقيقة العلمية النفسية كنا حريصين امام القائم مقام «البريفي» على نزع السلاح من اليهود ، وقد أمرت السلطة أعوانها بنزع السلاح من المارة في الازقة ولكن بعد فوات الوقت .

فالذين قاموا بتلك الاعمال من المسلمين لم يكونوا مندفعين اليها بحقد على اليهود ولا بعامل ديني ولا ببغض جنسي وانما كانوا مندفعين بغريزة الدفاع عن النفس امام الخطر المسلح .

نعم كان المسلمون يسمعون دائماً سب دينهم ونيبهم من اليهود وخصوصاً من النساء وكانوا يلقون منهم سوء معاملة خصوصاً من النساء في سوق الخضار وكانوا يشمرون بتسلطهم في دوائر الحكومة وعلى رجال بارزين من الساسة الفرنسيين ويعلمون تغلبهم في الوظائف حتى على الفرنسيين انفسهم وحسبك ان موزعي البريد ببلدة قسنطينة منهم ثلاثون ونيّف ومن الفرنسيين خمسة ومن المسلمين واحد ولكن

هذا كله ما كان ليعيئهم على ما انبعثوا اليه لو لم تتحرك فيهم غريزة الدفاع عن النفس امام الخطر المسلح . بل كان ذلك كله مما اسكن في قلوبهم الخوف والاستسلام للواقع .

قتل من اليهود نيف وعشرون كان منهم خمس نسوة وستة من الصبيان وكان المعتدون لما يشتد الرمي بالرصاص من النوافذ ومن ايدي بعض النساء في بعض الجهات يصعدون للمنازل فييطشون بمن فيها عن غير تمييز . وكان قتل النساء والصبيان دليلا على ان المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الاسلام الذي معلوم مشهور عند اهله انه يحرم قتل النساء والصبيان حتى في الحرب المشروعة وعلى ان تلك الفظاعة هي من آثار الجهل ، وتلك الحالة النفسية الخاصة الطارئة ، لا من آثار الاسلام .

المصائب على الجانبين :

اذا كانت دكاكين اليهود قد اصببت لما اصيبت ، فان دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد اصببت كذلك، واذا كانت خسائرها قليلة فذلك لانها قليلة ولانها ضعيفة كأصحابها الضعفاء ، بخلاف دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة لانها هي كثيرة ولانها قوية كأصحابها الاقوياء .

واذا كان القتلى من اليهود نيفا وعشرين ومن المسلمين اثنين فالفضل لمسدسات اليهود التي خاتتهم عند الضرب فالمطر الوابل من الرصاص الذي نزل من مسدساتهم ما قصدوا به الا القتل وازهاق الارواح بلا فرق بين من في الانهج من رجال ونساء وشيوخ وصبيان وجنود ، وقد جرحوا بالفعل نحو الاربع من الصبيان ، وجرحوا جنديين او ثلاثة فلو صحت من اليهود في الرمي زودهم ، كما صحت في القتل قصودهم ، لكان القتلى من المسلمين - كبارا وصغارا - يعدون

بالمئات وليس من قصد القتل وارتكب سببه ولم يتم له ما قصد لمانع ،
دون من قتل بالفعل في الجرم •

اما عدد الجرحى فقد تساوى او تقارب من المسلمين ومنهم فكان
من الجانبين نيفا وعشرين وكان كثير من جرحى المسلمين بسلاح الجند
مما يدل على ان الجنود وان لم يطلقوا الرصاص لعدم الاذن لهم بذلك
فقد دفعوا الناس بالسلاح الابيض •

ليلة الاثنين ويومها :

اعلنت حالة الحصار ومنع المرور بالانهج الا بورقة المرور •

وفي مساء الاثنين رغبت مني دار «البريفي» بواسطة انسان له مقام
عندي ، ان اذهب الى عين البيضاء لتهدئة الناس • ولما كان هذا من
أعمال الخير التي وقتت لها نفسي ، أجتت الطلب وصحبتني السيد عمر بن
الموفق لياشر هو الناحية الادارية ورجالها وياشر انا ناحية الامة •
ولما وصلنا الى عين البيضاء في منتصف الليل بقيت السيارة ونزل السيد
عمر الى دار «المير» وبعد نحو ساعة رجعت الي يقول ان بعض النواب يرون
انهم قد قاموا بتهدئة الناس وان دخول غيرهم ربما يشعر بتقصيرهم هم
في واجبهم ، فقلنا راجعين •

وقد علمنا بعد ذلك من حوادث عين البيضاء ان شرطيا يهوديا اطلق
الرصاص على ولد صغير مسلم ارسله ابوه لشراء الغاز وهذا الولد
جاء به الى مستشفى قسنطينة وتوفي به • وان النائب العمالي س •
بوماليي قدم استغفاه للبريفي احتجاجا على تكليف غيره بتهدئة
الناس •

في ليلة الاثنين جند اليهود اعتداءهم على بيوت الله :

يقع مسجد سيدي الكتاني في رحبة سوق العصر في وسط حومة

اليهود ففي ليلة الاثنين هاجمه اليهود فكسروا اربعة أو خمسة من نوافذه وهشموا التخاريب التي على احد ابوابه وقد حققت ذلك ادارة الامن واثبتت فيه تقريرا رسميا .

استنتاجات وملاحظات :

اجبنا رغبة الحكومة لما دعتنا الى فعل الخير ومددنا يدنا للتعاون معها على ذلك فهل علمت من ذلك اتنا دعاة خير وسعاة احسان ، وهل هي بعد ذلك تستطيع ان تخلي بيننا وبين ما نقوم به مما هو أصل كل خير الا وهو نشر العلم والدين ؟ .

اما النواب الذين زعموا ذلك الزعم فاحسب ان الانانية حالت بينهم وبين فهم معنى التعاون والا فان القائم بواجبه مهما كان مقدار قيامه فانه لا يألف من اعائه فيه محبة في تحقيق ذلك الواجب على اكمل وجوهه لكن هذا اذا كان قيامه بالواجب لاجل الواجب نفسه ، لا لشائبة من حظه وغرضه .

واما النائب الذي قدم استعفاءه وتحمس فانا كنا نود ان لو كان عنده هذا الحماس وهذه الغيرة والحمية في مواطن اخرى كان فيها حضرته باردا ومبردا ، ولا حاجة لنا الى تعريفه بهذه المواطن فالتناس كلهم على علم بها وعلى ذكر منها . ونحن وان كنا نرى حماسته هذه في غير محلها فانا نتفاءل لحضرته بها خيرا ونرجو ان تدوم له في مواقفه القادمة في حياته العامة ان قدر له العود اليها .

قتل اليهودي الشرطي ولداً صغيراً رمياً بالرصاص !! وهل نحتاج بعد هذا الى دليل على روح العداة والتعدي ؟ ومن الثابت ايضا ان بعض الشرطة اليهود بقسنطينة اطلقوا الرصاص وان شرطيا اسمه علوش سكر قال سأضرب وأفعل فعزل من الشرطة المشبوت ذلك عليه . فاذا ذكر هنا ما تقدم عن ليلة السبت بقسنطينة وكيف وقف الشرطيان المسلمان

امام دار اليهودي الياهو اصل الشر والبلاء يحرسانها وقس بين الروح
والروح والتربية والتربية .

صبيحة الثلاثاء :

استدعى الوالي العام وفداً من المسلمين وألقى عليهم خطاباً دلّ على
وقوفه موقف الحاكم العادل الذي يريد أن يعرف الحقيقة لذاتها .
وأذن للجماعة بالكلام فقدموا الدكتور جلول فألقى خطاباً جامعاً صور
فيه الواقعة تصويراً فوتوغرافياً نظن أنه أبلغ وأصدق ما سمعه الوالي
العام عن صورة الحالة . سأل الوالي الدكتور عن سبب اجتماع الناس
في الصنوبر صبيحة الاحد فأجابه الدكتور بأن الذين اجتمعوا بالصنوبر
هم الذين سمعوا مساء السبت بالاجتماع على الساعة السابعة فحسبوها
صباحاً وأوقعهم في هذا الغلط ضيق ما بين وقت الاعلام بالاجتماع الذي
وقع بالجامع الكبير ووقوعه . ثم قدموا الاستاذ مختار ابن الحاج سعيد
المحامي فألقى خطاباً بليغاً دافع فيه عن الحقيقة بصدق وانصاف ، ثم
تكلم النائب المالي السيد محمد المصطفى ابن باديس وقال انه موافق
على كل ما قاله الدكتور جلول والاستاذ مختار . ثم أعاد الوالي الحديث
وسأل الوفد هل يستطيعون أن يعدوه بكف المسلمين فأجابه السيد ابن
باديس أن المسلمين منكفون بالفعل وأتينا نعد بكفهم ، وأتينا نستطيع
ذلك بشرط أن ينكف اليهود الذين قد تكرر منهم الاعتداء فأجاب
الوالي العام بأنه يعتمد عليهم وأنه سيكلم اليهود مثل ما كلهم .

وفاء الوفد بوعدده :

خرج ذلك الوفد الاسلامي الحافل المتركب من النواب والأعيان
وبعض أهل العلم فارتأوا أن يبادروا بوفاء وعدهم للوالي العام بأن
يتجولوا في الأنهج الاسلامية ويعرفوا الناس بمقابلتهم للوالي العام
وما طلب منهم وما التزموا به عن اخوانهم المسلمين واتفقوا على أن أقوم

خطيباً في كل نهج من الأنهج الكبرى الاسلامية لأخطب في الناس بذلك فوقنا بضعة عشر موقفاً ألقى فيها بضع عشرة خطبة أحاطب فيها الناس باسم الوفد وأدعوهم الى الهدوء والسكينة وأذكرهم بأداب الاسلام وأعرفهم بما كان من طلب الوالي العام وما كان من التزام نوابهم ، وكان الله - وله الحمد - يفتح في كل موقف بفن من فنون التذكير ، وكان اخواني المسلمون - جعلني الله فداءهم - يلتفون بنا في كل موقف ويبدون من الاستماع للوعظ والانتقاد للخير ما عرفني بما تنطوي عليه تلك الصدور المحمدية الطيبة من الروح الاسلامية الشريفة ، والآداب الدينية العالية الكامنة فيهم ، التي لا يحتاج في اظهارها إلا لكلمة صادقة عن نية خالصة . وكان كل موقف يختم باعطاء كلمتهم بأن لا يكون منهم سوء وبالثناء للجميع .

عملت تلك الخطب - باذن الله - عملها في قلوب كانت متفرقة فاتحدت وأرواح كانت متناكرة فتعارفت وما انتهينا الى آخر مواقفنا - وكان أمام مكتب وعيادة الدكتور ابن جلول - حتى تصافح هو والسيد محمد المصطفى بن باديس وصعد النواب كلهم الى مكتب الدكتور ، فأعدتهم الى النهج ليحضروا آخر موقف وليسمعوا آخر خطاب ، ولم أكتف بوقوفهم بنوافذ المكتب المطلة على النهج فلما نزلوا خطبت في الجمع خطاباً يشتمل على أصل ما ألقى الخطب لأجله وعلى ما ناسب ذلك الموقف الذي تجلت فيه روح الاخاء والصفاء ، وكان ذلك الموقف لمواقفنا - والفضل لله - خير ختام .

يوم السبت ١١ اوت :

صبيحة السبت قابل وفد المسلمين عامل العمالة ودار الحديث في الحوادث التي وقعت ورأينا من عاملنا الجديد رجلاً يحمل روحاً فرنسية لطيفة ويتحلى بأداب الموظف العالي . أبدى تأسفه أن وجد قسنطينة

أول قدومه في هذه الفاجمة وأظهر رغبته في رجوع الامور الى مجاريها .
وبعدما تكلم الدكتور جلول والطبيب زرقين وغيرهما تكلم النائب المالي
ابن باديس فذكر للسيد العامل أن الأمن من ناحية المسلمين قد استتب
وأن جماعة المسلمين قد استطاعوا بما قاموا به أن يهدئوا اخوانهم على
كثرة عدد المسلمين واتشارهم ، وأن جماعة اليهود من ناحيتهم لم يقوموا
بشيء مما قام به جماعة المسلمين على قلة عدد اليهود وسهولة ابلاغ
الصوت اليهم ولذا فان المسلمين لم يتجدد منهم شيء من يوم الحادثة
وأما اليهود فقد تجدد منهم الاعتداء مراراً وذكر له الولد بياع الجرائد
الذي جرحوه برحبة الصوف وولداً آخر صب عليه المادة الملتهبة الفيتريول
والرجل الذي أطلقوا عليه الرصاص بنهج فرانس كل هذا ما بين يوم
الاربعاء والسبت فوعد العامل بأمرهم بالكف والتأكيد عليهم به .

تنظير بين المسلمين واليهود :

نريد أن نعرض الطبقات من المسلمين واليهود لنعرف موقفهم من
هذه الفتنة اعتماداً على المعلومات المتقدمة .

النواب :

وقف الدكتور جلول النائب العمالي ليلة السبت برحبة الصوف
وقفة المهديء للجمع المسكن للثائرة ومعه السيد محمد امزيان النائب
البلدي يعينه على ذلك ويبدل جهده مثله .

وحضر النائب العمالي اليهودي لولوش فبدلاً من أن يهديء قومه
ويأتي باليهودي المعتدي ويدخله حبس الكوميسارية وكان في استطاعته
ذلك ولو فعله لأطفاً تأثير المسلمين في الحين ، لانهم ما كانوا يريدون
إلا عقاب ذلك المعتدي على دينهم ونيبهم وجماعتهم ومسجدهم ، بدلاً
من أن يفعل هذا كان تارة يستبعد وقوع ما وقع من الاعتداء وتارة

فاجعة قسنطينة

يستكبر على المسلمين تأثرهم من ذلك الاعتداء ان وقع • ولم يظهر منه أدنى شيء في التهذئة والتسكين •

كان الدكتور جلول صبيحة الاحد ينتقل من مكان الى مكان مهدئاً للناس مداوياً للجرحى معرضاً نفسه للخطر ، ومن شهد له بمواقفه في ذلك اليوم التقرير الرسمي للجنדרمة • أما النائب العمالي لولوش فقد اختار السلامة التي ذاق حلاوتها أيام أبقته الاعذار بقسنطينة عن ميادين الحرب الكبرى •

أبدى النواب المسلمون في كل ما كتبوا ونشروا وتكلموا أمام الحكام غاية التعقل والرصانة والحكمة ، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة وبالعدالة وكرروا دعوتهم الى تناسي الماضي والعمل لخير المستقبل وجددوا تأسفهم بعبارات دالة على كمال في الانسانية وسمو في الدين •

أما النائب لولوش وغيره فقد كانت تقاريرهم وخطبهم ومنشوراتهم — وخصوصاً رابور لولوش — تهجمات حتى على الحكومة وتقولات بالباطل والكذب^(١) على النواب المسلمين مما ينم عن أمراض قلبية — والعياذ بالله — ويدل على قلة أدب وافلاس سياسة •

طاف النواب الأنهج الاسلامية وخطبوا في الناس بلسان من قدموا لذلك ووفوا بوعدهم للوالي العام • ولم يفعل شيئاً^(٢) من ذلك النواب اليهود •

مفتي المسلمين وحبر اليهود :

جاء المفتي ليلة السبت وبذل جهده • أما حبر اليهود فلم يأت لا هو ولا واحد من طرفه •

(١) في الاصل : تكذب

(٢) في الاصل : شيء

الشرطة :

قام الشرطة المسلمون بواجبهم ولم تغلب عواطفهم على أمانتهم حتى تقدم منهم من حرس باب المعتدي الأثيم الياهو خليفي . أما الشرطة اليهود فقد كان منهم من أطلق النار ومنهم من قتل وهو شرطي عين البيضاء .

الامة :

وفى المسلمون بوعدهم لجماعتهم فلم يكن منهم أي اعتداء ، أما اليهود فما زال الاعتداء يتكرر منهم على من ينفردون به وحده كما فعلوا ببلي سليمان بن لخضر . ومن أقرب ذلك رمى صبيانهم نوافذ من جامع سيدي الكتاني فكسروها . تقول هذا ونحن على ثقة من تعقل اخواننا المسلمين وعدم التفاتهم الى هذه الأفعال الطائشة التي تتولى أمرها العدالة وأنهم يلبغون كل ما يلحقهم الى العدالة لتقوم بواجبها نحو المعتدين كما طلبنا منهم في خطبنا ووعدوا به وهم الموفون بما وعدوا .

القتلى :

دفن اليهود قتلاهم في مشهد حافل ، أما قتلانا — وهم الرجل الذي قتل يوم الأحد والصبي الذي قتله الشرطي بعين البيضاء والذي مات من جراحه بعد ذلك — فانهم دفنوا دون أن يشيعهم أحد ، ودون أن تقال عليهم كلمة ودون أن تراق عليهم دمة .

علمنا أنهم يدفنون هكذا وسكتنا — لا لهون المصاب علينا ولا لقلّة المأنا وحزننا — ولكن موافقة للإدارة على تجنب كل ما قد يثير العواطف ويكون مخيف العاقبة ، وعلمت الأمة بهذا ورضيت به انقياداً لرجالها لما لها بهم من الثقة واظهاراً لما عندها من الرغبة في الهدوء والسكينة والتغلب على العاطفة أمام ما فيه مصلحة عامة .

الخاتمة :

كتبنا هذا التقرير عن الحالة كما شاهدنا فيما شاهدنا ، وكما تحققنا فيما بلغنا من الثقات عندنا ، واننا بعد ذلك نأسف ونألم على ما يصيب الانسان من أخيه الانسان وعلى أن تجري هذه الحوادث بين عنصرين ساميين ابراهيميين عاشا قروناً في وطن واحد دون أن يشهدا مثلها ونسأل الله تعالى أن يبطل كيد الظالمين ، ويرد شر المعتدين عن الخلق أجمعين ، وأن يرحم المستضعفين وينصر المظلومين من جميع العالمين .

وصدق الله العظيم في كتابه الكريم : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » ، « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ١٠ ، م ١٠ ، ص ٤٢٨ - ٤٦١
غرة جمادى الثانية ١٣٥٣ هـ - ١١ ديسمبر ١٩٣٤ م .

آثار ابن باديس

قسم العرب في القرآن

العرب في القرآن

الخطاب الذي ارتجله الاستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اجتماعها العام بنادي الترقى لهذه السنة . وموضوعه (العرب في القرآن) وقد حافظنا على معانيه وعلى الكثير من ألفاظه ، وهيئات هياها لما نود من نقله للقراء بالفاظه وجمله . فانه خطاب عظيم في موضوع خطير لا يضطلع به غير استاذ في علمه بفنون القرآن وغوصه على مفاهيم البعيدة ونفاذه في معانيه العالية .

وعلى كل فاننا نرجو اننا قدمنا الموضوع للقراء كامل المعاني وحسبنا هذا (١) .

- ١ -

حق على كل من يدين بالاسلام ويهتدي بهدي القرآن أن يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم وما كان من دولهم وخصائصهم قبل الاسلام ذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الاسلام ولعناية القرآن بهم ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام وما فيه من آداب وحكم وفضائل الى أمم الأرض فأما انهم قد ارتبط تاريخهم بالإسلام فلأن العرب هيئتوا تاريخيا لاجل أن ينهضوا بأعباء هذه الرسالة الاسلامية العالمية ، ولأن الله الحكم العدل الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمة ويأمرنا أن ننزل الناس منازلهم في شريعته ، ما كان ليجعل هذه الرسالة العظيمة لغير أمة عظيمة ، اذ لا ينهض بالجليل من الأعمال الا بالجليل من الأمم والرجال . ولا يقوم بالعظائم الا العظام من الناس .

(١) تعليق ناسخ المحاضرة .

العرب في القرآن

وأما عناية القرآن بالعرب فلأجل تربيتهم لأنهم هم الذين هيئوا لتبليغ الرسالة فيجب أن يأخذوا حظهم كاملا من التربية قبل الناس كلهم ، ولهذا نجد كثيرا من الآيات القرآنية في مراميها البعيدة اصلاحا لحال العرب وتطهيرا لمجتمعهم وإثارة لمعاني العزة والشرف في نفوسهم، ومن هذا الباب الآيات التي يذكر بها العرب ان هذا القرآن أنزل بلسانهم مثل : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ، « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » والذين يعقلون القرآن قبل الناس كلهم هم العرب . ومن أول القصد الى العرب والعناية بلسانهم وتسيبهم الى ان القرآن أنزل بلسانهم دون جميع الألسنة ، جلبا لهم حتى يعلموا انه أنزل لهم وفيهم قبل الناس كلهم .

ان العرب قوم يعتزون بقوميتهم وهم قوم ذوو عزة وإباء خصوصا في الجاهلية فكان من حكمة القرآن أن يجلب نافرهم ويقرب بعيدهم بأن هذا القرآن أنزل بلسانهم .

ومن هذا الباب توسعة الله في قراءة القرآن على سبعة أحرف وهي اللهجات التي تجتمع على صميم العربية وتختلف في غير ذلك . وسع عليهم في ذلك لتشعر كل قبيلة ان هذا القرآن قرأها . لان اللسان الذي نزل به لسانها . وهذا هو ما يقصده القرآن ، ومن هذا الباب أيضا اشعارهم بأن صاحب الرسالة منهم « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ » الآية .

فمن الطبيعة العربية الخالصة انها لا تخضع للاجنبي في شيء لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف ويحدثها كثيرا عن أمة اليهود التي لا يناديها الا بيا بني اسرائيل تذكيرا لها بجدها الذي هو مناط فخرها كل ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسمو والعلو - ويذكرها بالذكر - وهو في لسانها الشهرة الطائرة

والثناء المستفيض يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن : « فَاسْتَمْسِكْ
بِالَّذِي ءُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ
لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » . والأنبياء لم يبعثوا الا في مناسب
الشرف ومنابع القوة ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على
المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزتها . وما كان لها
من مناقب تلتئم مع أصول الدين . فقوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » يعني انه شرف لكم وقومه هم العرب لا محالة .
ويقول بعد ذلك : « وَسَوْفَ تَسْتَخْلُونَ » ليشعرهم ان عليهم
من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم
ولا شك ان ثمن المجد غال .

وهذا الشرط الذي ذكره الله وذكر به العرب هو شرط واجب
الاعتبار والتنفيذ .

لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه . ثم هي أمة
لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها . وانما ذكرهم الله بذلك
لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس وهو إحياء الشرف الانساني في
نفوسها وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم وما ذكر
القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم إلا ليعاملوهم
على هذه القاعدة التي وضعها الخالق ، وان أعداء البشرية اليوم وقبل
اليوم يعمدون الى قتل الشرف من النفوس ليستذلوا من هذا النوع
ما أعز الله ويهينوا منه ما كرم الله .

والخلاصة ان عناية القرآن باحياء الشرف في نفوس العرب ضرورية
لاعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر . وبهذا نستعين على فهم
السر والحكمة في اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الاسلامية
العالمية واصطفائه إياهم لانتقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل .

العرب في القرآن

وهذا السر هو انهم ما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها والاعتداد بها هو الذي هياهم لذلك ولو كانوا أذلاء لما تهيأوا لذلك العمل العظيم .

وانظروا واعتبروا ذلك بحال أمة هي أقرب أمة الى العرب وهي أمة اسرائيل فانها لم تكن مهياة لإنقاذ غيرها . وانما هيئت لأنقاذ نفسها فقط لان مقوماتها النفسية لم تصل بها الى تلك الدرجة العليا : ولذلك عانى موسى معها ما عانى مما قصه القرآن علينا لنعتبر به في الحكم على الأمم .

ولا حاجة الى التطويل في الحديث عن بني اسرائيل فان القرآن قد فصل لنا شئوونهم تفصيلا وانما أنبهكم على هذا الفارق الجوهرى بين الأمتين .

وقد تقولون ان بني اسرائيل اختارهم الله وفضلهم على العالمين ، والجواب الذي يشهد له الواقع انه اختارهم لينقذوا أنفسهم من استعباد فرعون وليكونوا مظهراً للنبوة والدين في أول أطوارهما وأضيق أدوارهما وهذا هو الواقع فان الأمة العربية استطاعت أن تنهض بالعالم كله وان تظهر دين الله على الدين كله ، وأما بنو اسرائيل فانهم ما استطاعوا أن ينهضوا حتى بأنفسهم وانما نهض بهم موسى نهضة قائمة على الخوارق وما نهضوا بأنفسهم الا بعد موسى بزمن مع اتصال جبل النبوة فيهم ومغادة الوحي الالهى ومراوحته لهم .

فالأمتان العربية والإسرائيلية متميزتان بحديث القرآن عنهما واذا تلمسنا الحكمة المقصودة من اختيار الله لبني اسرائيل مع إنهم غير مستعدين للقيام بنهضة عالمية عامة وجدنا تلك الحكمة في القرآن مجلوة في أبلغ بيان ، في قوله تعالى : « وَتَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعْنَا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَثْرِي »

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» .

فالسر المتجلي من هذه الآية هو ان الله أراد بما صنع لبني اسرائيل وبما قال لهم ان يعلم هذا العالم الانساني من سنن الله في كونه ما لم يكن يعلم وهو اخراج الضد من الضد واخراج الحي من الميت وانقاذ الأمة الضعيفة التي لا تملك شيئاً من وسائل القوة الروحية ولا من وسائل القوة المادية ، من العباد الأقوياء المتألهين فهو مثل عملي ضربه الله لخلاص أضعف الضعفاء من مخالب أقوى الأقوياء وجعل المستضعفين أئمة وارثين ، وسادة غالين ، والتمكين لهم في الأرض ، وإراءة الأقوياء المستعلين في الأرض عاقبة باطلهم لكيلا ييأس المستضعفون في الأرض من روح الله وقد قال موسى لبني اسرائيل تمكيناً لهذا المعنى في نفوسهم : « عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يُهَبِّلكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

وإلى هذا المثل العملي تشير الآية : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » .

وأما العرب فانهم اختيروا لوظيفة عالمية عامة لما فيهم من شرف متأصل واستعداد كامل وصفات مهيأة ولهذا كان منبع الرسالة بمكة وشأنها عند العرب هو شأنها ، فهم مجتمعون على تخليصها ولأنها في وسط الجزيرة وصميمها ، ووسط الجزيرة بعيد كل البعد عن المؤثرات الخارجية في الطباع والألسنة تلك المؤثرات التي يجلبها الاحتكاك بالاجانب والاختلاط بهم . وكل أطراف الجزيرة لم تخل من لوثة في الطباع وعجمة في الألسنة ، جاءت من الاختلاط بالأجنبي ، ولا أضر على

مقومات الامم من العروق الدساسة . فاليمن دخلتها الدخائل الاجنبية من الحبشة والفرس على طباع أهلها وألسنتهم ، والشام ومشارفه كانت مشرفة على الاستعجام والعراق والجزيرة لم يسلموا من التأثير بالطباع الفارسية . فكانت هذه الاطراف تنطوي على عروبة مزعومة المقومات ، ولم يحافظ على الطبع العربي الصميم الا صميم الجزيرة ومنه مكة التي ظهر فيها الاسلام وهذا الوسط وان كان عريقا في الصفات التي تسمى العصر لأجلها جاهليا ، ولكنه بعيدا عن الذل الذي يقتل العزة والشرف من النفوس والجاهل يمكن أن تعلمه والجافي يمكن أن تهذبه . ولكن الدليل الذي نشأ على الذل يعسر أو يتعذر أن تغرس في نفسه الدليلة المهينة عزة وإياء وشهامة تلحقه بالرجال .

هذا توجيه موجز مقرب لاختيار الله تعالى العرب للنهوض بالرسالة

العامة .

وشيء آخر يرتبط بهذا وهو ان الله كما اختار العرب للنهوض بالعالم كذلك اختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة وترجمان هذه النهضة ، ولا عجب في هذا فاللسان الذي اتسع للوحي الإلهي لا يضيق أبدا بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت آفاقها وزخرت علومها وهذا جانب لا أتحدث عنه فقد كفانا مؤنته أخونا الاستاذ محمد البشير الابراهيمي في محاضراته التي سمعتموها بالأمس (١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١٥ ، ص ٢١ - ٢٥

غرة محرم ١٣٥٨ هـ - فيفري ١٩٣٩ م .

العرب في القرآن

- ٢ -

أيها الاخوان :

جعلنا عنوان الخطاب « العرب في القرآن » وقلنا في أول كلمة منه ان العناية بالعرب حق على كل مسلم لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام .
فما هو حظ العرب من القرآن من الناحية التاريخية بعد أن سمعتم هذه التوجيهات العامة .

والعرب مظلومون في التاريخ فان الناس يعتقدون ويعرفون ان العرب كانوا همجا لا يصلحون لدنيا ولا دين حتى جاء الاسلام فاهتدوا به فأخرجهم من الظلمات الى النور .

هكذا يتخيل الناس العرب بهذه الصورة المشوهة ، ويزيد هذا التخيل رسوخاً ما هو مستفيض في آيات القرآن من تقييح ما كان عليه العرب ليحذرنا من جاهلية أخرى بعد جاهليتهم .

والحقيقة التي يجب أن أذيعها في هذا الموقف هي أن القرآن وحده هو الذي أنصف العرب . والناس بعد نزول القرآن قصروا في نظرتهم التاريخية الى العرب فنشأ ذلك التخيل الجائر عن القصد .
والتاريخ يجب أن لا ينظر من جهة واحدة بل ينظر من جهات متعددة وفي العرب نواح تجتبي ونواح تجتنب ، وجهات تدم وتقبح وجهات يثنى عليها وتمدح . وهذه هي طريقة القرآن بينها . فهو يعيب من العرب رذائلهم النفسية كالوثنية وتفائصهم الفعلية كالقسوة والقتل .

العرب في القرآن

وينوه بصفاتهم الانسانية التي شادوا بها مدنياتهم السالفة واستحقوا بها النهوض بمدنية المدنيات .

ولنذكر عاداً فهي أمة عربية ذات تاريخ قديم ومدنية باذخة ذكرها القرآن فذكرها بالقوة والصولة وعزة الجانب ونعى عليها الصفات الذميمة التي تنشأ عن القوة قال تعالى : « فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً » .

فالنظرة التاريخية المجردة في هذه الآية وفيما ورد في موضوعها ترينا ان عاداً بلغت من القوة والعظمة مبلغاً لم تبلغه أمة من أمم الأرض في زمنها حتى إن الله جل شأنه لم يتحد قولهم : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » إلا بقوته الإلهية التي يدعن اليها كل مخلوق ، ولو كانت في أمم الأرض إذ ذاك أمة أقوى منهم لكان الأبلغ أن يتحداهم بها . وان أمة تقول هذه الكلمة بحالها أو مقالها لهي أمة معتدة بقوتها وعظمتها .

ومن هذه الآية وحدها نستفيد إن عاداً كانت أشد الأمم قوة وانها ما بلغت هذه الدرجة من القوة الا بمؤهلات جنسية طبيعية للملك وتعمير الأرض وان تلك المؤهلات فيها وفي غيرها من شعوب العرب هي التي أعدتهم للنهوض بالرسالة الإلهية .

وان القرآن لا ينكر عليهم هذه المؤهلات وانما ينكر عليهم لوازمها ولا ينكر عليهم القوة والعظمة وانما ينكر عليهم أن يجعلوها ذرائع للباطل والبغي ومحادة الله بدليل قوله لهذه الأمة : « وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ » . فهو يضمن لهم انهم آمنوا وعملوا الصالحات يزيد قوتهم تمكيناً وبقاء ، ومحال أن ينكر القرآن على

الناس القوة وهو الداعي اليها والمنفر من الضعف وانما شرع القرآن
بجنب الدعوة الى القوة أن تكون للحق وللخير وللرحمة والعدل .

وكذلك قوله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا »^(١)، فان هذه الآية -
زيادة عن إفادتها لمعنى ماقدمناه - تكشف لنا نواح^(٢) من تاريخ هذه
الأمة العربية ومبلغ مدنياتها وتعميرها فهي تدل على انهم كانوا بصراء
بعلم تخطيط المدن والأبنية وهو علم لا يستحکم الا باستحكام الحضارة
في الأمة ومأخذ هذا من قوله : « بِكُلِّ رِيحٍ » .

والآية في قوله آية هي بناء شامخ يدل على قوتهم أو هي آية
هادية للسائرين وهي على كل حال بناء عظيم يدل على عظمتهم وقوتهم
وما زالت عظمة البناء تدل على عظمة الباني .

ولم ينكر عليهم نبيهم نفس البناء الذي هو مظهر القوة . وانما
أنكر عليهم الغاية المقصودة لهم من ذلك البناء الشامخ فمحطّ الانكار
قوله : « تَعْبَثُونَ » ، ولا شك ان كل بناء شامخ لا يكون لغاية
شريفة محمودة فهو عبث ولهو وباطل .

والمصانع ، يقول المفسرون انها مجاري المياه أو هي القصور ، وعلى
القولين فهي دليل على معرفتهم بفن التعمير علماً وعملاً وبلوغهم فيه
مبلغاً عظيماً فهي من شواهدنا على ماسقنا الحديث اليه .

ولكن ليت شعري ما الذي صرف المفسرين اللفظيين عن معنى
المصنع اللفظي الاشتقاقي والذي أفهمه ولا أعدل عنه هو ان المصانع

(١) ١٢٨/٢٦ - ١٣١

(٢) كذا في الاصل والصواب : نواحي .

جمع مصنع من الصنع كالمعامل من العمل وأنها مصانع حقيقية للادوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران . وهل كثير على أمة توصف بما وصفت فيه في الآية ، أن تكون لها مصانع بمعناها العرفي عندنا ؟ بلى وان المصانع لأئول لازم من لوازم العمران وأول نتيجة من نتائجه .

ولا أغرب من تفسير هؤلاء المفسرين للمصانع الا تفسير بعضهم للسائحين والسائحات بالصائمين والصائمات والحق ان السائحين هم الرحالون والرواد للاطلاع والاكتشاف والاعتبار والقرآن الذي يحث على السير في الأرض والنظر في آثار الامم الخالية حقيق بأن يحشر السائحين في زمرة العابدين والحامدين والراكعين والساجدين فربما كانت فائدة السياحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والسجود .

ولا يقولن قائل اذا كانت المصانع ما فهمتم فلماذا يقبحها لهم وينكرها عليهم فانه لم ينكرها عليهم لذاتها وانما انكر عليهم غاياتها وثمراتها فان المصانع التي تشيد على القسوة والقسوة لا تحمد في مبدأ ولا غاية . وأي عاقل يرتاب في ان المصانع اليوم هي أدوات عذاب لا رحمة ووسائل تدمير لا تعمير فهل يحمدها على عمومها وان دلائل حضارة ومدنية كانت .

ومن محامد المصانع أن تشاد لنفع البشر ولرحمتهم ومن لوازم ذلك أن تراعى فيها حقوق العامل على أساس أنه إنسان لا آلة .

(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) لا بد لكل امة تسود وتقوى من بطش ولكن البطش فيه ما هو حق بان يكون اتصافا وقصاصا واقامة لقسطاس العدل بين الناس وفيه ما هو بطش الجبارين والجبار هو الذي يجبرك على أن تعمل بارادته لا بارادتك فبطشه انما يكون اتقاما لكبريائه وجبروته وارضاء لظلمه وعتوه وتنفيذا لارادته الجائرة التي لا تبني على شوري وانما تبني على التشهي وهوى النفس

لذلك لم ينقم منهم البطش لانه بطش وانما نقم منهم بطش الجبابة الذي كله ظلم .

وفي القرآن ما هو كاللثمة لبحثنا عن حضارة العرب و كالعلاقة لحضارة عاد بعينها وهي حكاية عاد ارم ذات العماد .

فهذا الوصف البليغ الذي تقرأه في سورة الفجر صريح بألفاظه ومعانيه في انه وصف حضارة عمرانية لا نظير لها ، فالعماد لا تكون الا في القصور والأبنية الباذخة والمدن المخططة على نظام محكم ، وقد قال تعالى وهو العالم بكل شيء انه : « لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ » ، ومدينة هذا وصفها لا تشيدها الا أمة لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة يتبع بعضها في الضخامة والعظم والوصف القرآني لها وان سبق للاتعاض بعاقبتهم يدل الباحث التاريخي على أنهم بلغوا في الحضارة غاية لا وراءها ، وهم أمة عربية . فهذه المدينة شيدت في جزيرة العرب لا محالة . وان الأقرب في التذكير بهم والاتعاض بصيرهم أن تكون الرؤية في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ » علمية لان التذكير عام لمن تتيسر له رؤية العين ولمن لم تتيسر له ، ولو اثمرت الامم الاسلامية بأوامر القرآن لنشأ فيها رواد يرودون الجزيرة ويجوبون مجاهلها ولو فعلوا لامكن ان يعثروا على آثار هذه المدينة ارض عاد وهي معروفة ويجمعوا بين الرؤية البصرية والرؤية العلمية وبين العلم والاتعاض واننا لا نعبأ في مقام البحث العلمي بما حف هذه الحكاية من اساطير . ولا بما وقع فيه شيخ المؤرخين ابن خلدون حينما تعرض لنقض تلك الأساطير^(١) .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٥٠ ، ص ٧٠ - ٧٤
غرة صفر ١٣٥٨ هـ - مارس ١٩٣٩ م .

العرب في القرآن

من الخطاب الذي القاه رئيس جمعية العلماء

في اجتماعها العام الماضي

- ٣ -

وأمة أخرى من الأمم العربية وهي ثمود ، وهي أمة عربية نلغنها بلعن القرآن لها ولكننا نذكرها بما ذكرها به القرآن من قوة وتعمير وحضارة ، فصالح رسول هذه الامة يقول في دعوتها الى الله وتعريفها بنعمه : (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) . فأمة أية أمة لا تعمر الارض الا اذا ملكت وسائل التعمير وهي كثيرة ومجموعها هو ما نسميه الحضارة أو المدنية .

وقد كشفت لنا عن هذا الاستعمار الثمودي عدة آيات بليغة الوصف ، ولكن أبلغها وصفا وأدقها تصويرا قوله تعالى : « أَتَتَّرَكُونَ فِيهَا هَا هُنَا آمِنِينَ فِي جُنَاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ » وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَكَرِهِينَ » .

أما المغزى الذي سبقت هذه الآية لاجله فهو النفي عليهم . كيف يستعينون بنعم الله التي يسرها لهم على الكفر به ، وإنذارهم ان الكفر بها وبمؤتيها سيكون سببا في زوالها وفي ضمن هذا عرفنا حالتهم التي كانوا عليها في تعمير الأرض . وهي حالة أمة بلغت النهاية في الحضارة المادية وفنونها من زرع الارض وتلوينها بأصناف الشجر منظمة وتقسيم المياه على تلك الغروس الى ما يستلزمها كل ذلك من علم

بحال الارض وطبائعها واحوال الاشجار المغترسة وطبائعها واحوال
الفصول الزمنية واحوال الجو واحوال التلقيح والآبار والجني وعلم
باصناف التمتع من مناظر ومجالس ومقامات وماكل • ثم القيام
على حفظ ذلك العمران من افساد الايدي السارقة وكل هذا مما
يستلزمه وصف القرآن لحالهم لاجل تذكيرهم والتذكير بهم ، وقد
ذكرهم القرآن في مواضع باتقانهم لنحت الحجر ، والشجر والحجر آيتنا
الحضارة المبصرتان ، ومن يعرف الحضارة الرومانية بهذا الوطن يعرف
انها ما قامت الا على نحت الحجر وغرس الشجر •

وان نحت الحجر ليستدعي حاسة فنية ويستدعي مع ذلك قوة
بدنية وقد نعمتهم القرآن في نحتهم للحجر بحالة ملاسة فوصفهم مرة
بانهم آمنون ومرة بانهم فارهون ، والفاره هو الذي يعمل بنشاط وخفة
ولا يأتيه ذلك الا من خبرته بما يعمل وعلمه بدقائه واعتياده له • ومعنى
هذا أن أصول هذه الصناعة التي اشتهر بها المصريون القدماء والرومان
قد رسخت فيهم ولكن التاريخ المنقول ظلم العرب وبخسهم حقهم كما
قلت لكم في طالعة الخطاب •

هاتان أمتان من الامم العربية اثبت القرآن حالهما فكان لنا
مصدرا تاريخيا معصوما في اثبات حضارة الشعوب العربية التي بزت
فيها الأمم •

ولنتقل الآن الى ناحية اخرى من نواحي الجزيرة وهي اليمن
التي عرفها اليونان وغيرهم وعرفوا المدنات التي قامت فيها فسموها
بالعربية السعيدة واتنا اذا اتقلنا الى هذه الناحية من الجزيرة نجد
العز القدموس والمجد الباذخ والماضي الزاهر لهذه الامة التي نفتخر
بالانتساب اليها ونباهي الامم بمدنياتها بالحق والبرهان • واتنا في
حديثنا عن اليمن لا نخرج عن شواهد القرآن •

قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي الْكَافِرِينَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيٍّ وَأَيْمًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » .

ليس المقام مقام تبسط في وجوه البلاغة المعجزة التي تنطوي عليها هذه الآيات فقد استوعبت تاريخ أمة في سطور . وصورت لنا أطواراً اجتماعية كاملة في جمل قليلة أبدع تصوير ووصفت لنا بعض خصائص الحضارة والبدواة في جمل جامعة لا أظن غير اللسان العربي يتسع لحملها كقوله : « قُرَى ظَاهِرَةٌ » وكقوله : « وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ » . وكقوله : « بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » ، حتى اذا وصل القارئ الى مصير هذه الأمة التي سمع ما هاله من وصفها واجهه قوله تعالى : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ » ، وأدرکه الفرق في ليجج البلاغة الزاخرة .

اللهم ان السلامة في الساحل واننا لا نعدو موضوعنا تصور حضارة العرب مما يحكيه القرآن عنها في معرض بيان مصائرنا حين كفرت بأنعم الله وبرسله .

الآيات صريحة في أن مدينة سبأ كانت مدينة زاهرة مستكملة

الأدوات ومن قرأ القرآن بعقله فهم ما فهم من آياته وعلم كما نعلم أن مدن سبأ كانت عامرة بالبساتين عن يمين وشمال • ويمين من؟ وشمال من؟ انه ولا شك يمين السائر في تلك المدن أو الاراضي وشماله ومعنى هذا ان طرق السير كانت منظمة تبعا لتنظيم الغروس عن يمينها وشمالها والاكتشافات الأثرية اليوم التي كان لليمن حظ ضئيل منها وان كان على غير يد أهلها - تشهد بأن أمم الحضارات اليمنية كانوا من أسبق الامم الى بناء السدود المنيعة لحصر المياه والارتفاع بها في تعيير الارض ، واقامة السدود لا تتم بالفكر البدوي •• والعمل اليدوي ، بل تتوقف على علوم فكرية منها الهندسة والهندسة تتوقف ثمراتها على علوم كثيرة وعلوم العمران كمروق البدن يمد بعضها بعضاً فهي مترابطة متماسكة متلاحمة - فما يكون السيايون بلغوا في الهندسة مبلغاً أقاموا به سد مأرب حتى يبلغوا في غيره من علوم العمران ذلك المبلغ •

ولكن لما كفروا بأنعم الله واستعملوها في ما يسخطه سخط الله عليهم من الأسباب ما خرب عمرانهم وأباد حضاراتهم وذلك قوله تعالى : « فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ••• الخ » •

ويقول في وصف عمرانهم : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً » ، يعني ان عمرانهم لم يكن محدوداً ، وانما كان متصلاً ببعضه ببعض • فالقرى والمدن يظهر بعضها من بعضها لقربها وتلاحمها فلا يكاد المسافر يبرح مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى ، ولا يكون هذا الا اذا كان العمران متصلاً • وهذا هو معنى الظهور في الآية فهو ظهور خاص • وتقدير السير هو أن يكون منظماً ومن لوازمه أن تكون الأوقات مضبوطة بالساعات والطرق محدودة بالعلامات التي

تضبط المسافة ، وقوله تعالى : « سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيَّ وَأَيْكَمَا آمِنِينَ » يرشدنا الى امتداد العمران مسافة الليالي والأيام وان الأمن كان ما دار رواقه على هذا العمران . ولا يتم العمران الا بالأمن ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدينة الزاخرة بسياج الايمان والشكر والفضيلة والعدل وكل مدينة لم تحصن بهؤلاء فمصيرها الى الخراب ، والناس من قديم مفتونون بعظمة المظاهر يحسبون أنها خالدة بعظمتها باقية بذاتها ، فالقرآن يذكرنا كثيراً من مصائر الأمم حتى لا نفر بمظاهرها وحتى نعلم ان سنة الله لا تتخلف في الآخرين كما لم تتخلف في الأولين .

وأما قوله تعالى : « قالوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » فان المفسرين السطحيين يحملونه على ظاهره وأي عاقل يطلب بعد الأسفار ؟

والحقيقة انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم وانما هو نتيجة أعمالهم ، ومن عمل عملاً يفضي الى نتيجة لازمة فان العريية تعبر عن تلك النتيجة بأنها قوله وهذا نحو من أنحاء العريية الطريفة .

ولا زال الناس — على عاميتهم — يقولون فيمن عمل عملاً يستحق عليه الضرب أو القتل : انه يقول اقتلني أو اضربي ، وهو لم يقل ذلك وإنما أعماله هي التي تدعو الى ذلك ، فالمعنى ان أعمالهم هي التي طلبت جزاءها اللازم لها المرتبط بها ارتباط اللازم بالملزوم والبدال بالمدلول فكأن ألسنتهم قالت ذلك ويؤيد هذا في القرآن كثير ومنه قوله تعالى : « سَيَجْزِيهِمْ » وصفهم لأن الجزاء أثر للفعل فهو مرتبط به ولا يقولن قائل : القول يقع مدلوله في القلب حالاً ولا كذلك العمل فقد يتأخر جزاؤه طويلاً — لأن الجزاء اذا كان محقق الوقوع يصير كأنه حاصل بالفعل وكل عاقل يقطع بأنه اذا وقع الظلم من الظالم فقد استحق عليه الجزاء ولا يلاحظ مسافة ما بين الظلم وجزائه .

أما المباعدة بين أسفارهم التي اقتضاها كرههم بأنعم الله ، فهي كناية عن محو العمران وخراب القرى التي كانت ظاهرة متقاربة حتى لا يبقى منها الا القليل فيتباعد ذلك القليل بالطبع بخراب الكثير .

وأين العمران المتلاحم الذي يرتاح فيه المسافر لضبط المسافة وتعدد المشاهد من الخراب الذي يوحش النفس فيزيد المسافة بعداً على بعد .

وملكة سبأ وعرشها العظيم وملكها وما قصه القرآن من نبأها أعظم وأروع فمخبر سليمان عليه السلام يقول عنها : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كَثَلٍ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » وما وصف عرش ملكة سبأ بالعظيم عند سليمان نبي الله الذي سخر له الجن والريح - إلا وهو في نفسه عظيم .

أيها الاخوان :

ان في قصة ملكة سبأ في القرآن لدرساً تتفجر منه ينابيع العظيمة والعبرة وارشاداً الى ما تقوم به الامم ولولا ان هذا الخطاب قد طال لآثرنا منها العبر وآثرنا بها العبر . ولكن لا يفوتنا أن نلخص منها اشارات وما عليكم بعد ذلك الا أن تتدبروا الآية ففيها نظام الشورى صريحاً لا مواربة فيه وفيها ان بناء الامم انما يعتمد على القوة وقد تكون مؤنثة فلا بد أن يسندها بأس شديد . وفيها ان الملأهم الإشراف وأهل الرأي وهم أعضاء المجالس الشورية ولعلمهم كانوا بالانتخاب العرفي وهو نظام مدني ولعلمهم كافوا بالانتخاب الطبيعي أو الوراثي وهو لا يكون الا في الامم التي شبت عن طوق البداوة .

ولعل كاتباً من كتابنا يتناول هذا البحث بحث الانتخاب في الاسلام ولئن استرشد القرآن في هذا الباب ليرشدنه .

هذه مدينتا ضخمة غيرت في هذه الأمة التي أهلها الله لحمل الرسالة الالهية الى العالم وهذه بعض خصائص هذه الأمة التي هيأها الله للنهوض بالعالم واتقاه من شرور الوثنية وبنياتها ومن ضلال العبودية بجميع أصنافها . وان القومية العربية موضوع مترامي الأطراف . وليس من الممكن الاحاطة به في مثل هذا الخطاب . وحسبي أن أكون قد خدمتها من هذه الناحية التي هي خدمة للاسلام والقرآن وعليكم السلام (١) .



(١) ش: ج ٣، م ١٥، ص ١١٩ - ١٢٤
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ - افريل ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم التراجم

رجال الاسلام ونساؤه

ش . « هذا باب جديد فتحناه في (الشهاب) اردنا منه ان يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح وما لهم من صفات اكسبهموها الاسلام وما كان منهم من أعمال في سبيله ، ففي ذلك ما يثبت القلوب ويعين على التهذيب ، ويبعث على القدوة ، وينفخ روح الحياة وما حيي خلف إلا بحياة سلف ، وما حياة السلف الا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم ، ولسنا هنا لتتبع الاخبار واستيعاب الحوادث وإنما نقتصر على ما يحصل أصل القصد، وفي لاكثر القراء بالفرض ، ويبعث همم الطلاب الى التوسل في هذا العلم ، ويبعث رغباتهم الى الازدياد منه ، وليس هذا الباب مقصوداً على قلم تحرير المجلة فلكل كاتب ان يعرض فيه ما عنده من حديث عن رجل او امرأة من ابناء او بنات الاسلام . واليوم لما جاء ذكر عبادة بن الصامت وزوجه ام حرام في صدر هذا الجزء فانا رأينا لهذه المناسبة افتتاح هذا الباب بذكرهما رضي الله عنهما » .

عبادة بن الصامت

أنصاري خزرجي من السابقين الأولين ، بايع ليلة العقبة وعينه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بها تقيماً ، شهد بدرأً وجميع المشاهد بعدها .

من جمع القرآن في عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وروى عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كثيراً ، فكان بما حفظ من كتاب الله وروى من حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقيهاً في دين الله - ولا والله ما فقهه الا سلام ممن لم يفقه الكتاب والسنة ، وما كان فقه الصحابة والتابعين وأئمة الدين الا بالفقه فيهما - ولفقهه بعثه عمر - رضي الله عنه - ومعاذ وأبا الدرداء الى أهل الشام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم ، وهكذا كانوا يبعثون الفقهاء لتعليم الناس أمر دينهم وتلقيهم فيه ، وهو ما أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نفسها القيام به ، وهو ما قامت النواحي التي تستغل جهل المسلمين تقاومها من أجلها - فأقام عبادة بحمص ثم بفلسطين ، وبها مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنين وسبعين سنة .

كان عبادة قويا في دين الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ، فكان له من معاوية - وهو أمير على الشام - مواقف في الإنكار عليه ، وكان معاوية يعترف له بالتقدم عليه بالفقه ، ثم تبرم منه فشكاه الى عمر - رضي الله عنه - وارتحل الى المدينة فرده عمر الى الشام وقال له: قبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك . وكتب الى معاوية أن لا إمرة لك على عبادة . كان صلباً في دينه يوالي في الله ويعادي فيه : كان يهود

بني قينقاع حلفاءه فلما رأى عداوتهم للاسلام وتربصهم بأهله جاء الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له : ان لي موالي من اليهود كثيراً عددهم ، وإني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ، وأتولى الله ورسوله . وكان لعبد الله بن أبي رأس المنافقين من الولاية فيهم مثل ما لعبادة ، فبقي على ولايتهم واعتذر من بقائهم على ولايتهم بأنه يخاف الدوائر . وفيها نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » . « فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ » . اقرأ مع هذه الآية قوله تعالى : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » . فكان عبادة بن الصامت أول من سن سنة رفض ولاية مواليه لما رأى منهم الشر وتولى الله ورسوله ، ومن سن سنة حسنة في الاسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، فرحمه الله رحمة الهادين المهتدين .

أم حرام بنت ملحان

النجارية الأنصارية خالة أنس بن مالك ، وأخت أم سليم وزوجة

عبادة بن الصامت •

كان النبي ﷺ - صلى الله عليه وآله وسلم - يكرمها ويزورها في بيتها ، وما كان ذلك إلا لكمالٍ في دينها وصلاحتها ، وقد ظهر أثر هذا الدين والصلاح في مبادرتها لطلب الدعاء من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن تكون من الغزاة في البحر لما ذكر لها ما عرض عليه في نومه من أناس من أمته ، كالمملوك على الأسرة ، غزاة في البحر ، وعودها الى الطلب لما ذكر لها مثلهم في المرة الثانية حتى قال لها : أنت من الأولين • امرأة تسمع بالغزو في البحر فلا يهولها الغزو وما فيه من مشقة وما وراءه من القتل ، ولا البحر وأهواله ، وهي امرأة لم تعتد ركوبه ولا تعرف عنه إلا أنه خلق عظيم ذو هول كبير وخطر شديد قريب ، لا يقف أمامها لا هذا ولا ذلك ، وإنما يقف أمامها ويستولي على نفسها ويحيط برغبتها منزلة الشهادة وما فيها من الأجر والثوبة ، وما وراءها من الخير والكرامة ، فتحرص ذلك الحرص وتؤكد الطلب ، وتعود اليه مرة بعد أخرى ، هذا - والله - الإيمان حقاً ، والرغبة في العمل الصالح صدقاً وبذل أعز ما عند الانسان لخالفه في طلب مرضاته •

صدقت أم حرام قولها بفعلها ، فلما خرج زوجها مع معاوية لغزو جزيرة قبرص خرجت معه وماتت في تلك الغزاة لما خرجت من البحر ونزلت أرض الجزيرة ودفنت بها • وذكر هشام بن عمر الخطيب المقرئ الثقة انه رأى قبرها بقبرص ووقف عليه ، فرحمة الله عليها من امرأة صالحة ومؤمنة صادقة في نساء المسلمين (١) •

(١) ش : ج ١ ، م ١٠ ، ص ١٤ - ١٦

غرة رمضان ١٣٥٢ هـ - جانفي ١٩٣٤ م •

سعد بن الربيع

أنصاري خزرجي ، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، أحد النقباء الاثني عشر . شهد بدرًا واستشهد يوم أحد ، كرم اخوته ومراعاته لحقوقها لما قدم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار لتقوية الرابطة العامة بالرابطة الخاصة فأخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف . وكان سعد من أكثر الأنصار مالا وكان متزوجاً امرأتين فرأى من حق هذه الأخوة بينه وبين أخيه المهاجري أن يشاطره ما عنده فقال لعبد الرحمن : « اني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فاذا حلت تزوجتها » فقال له عبد الرحمن : « بآرك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق » (١) فلم يكتف سعد بالنزول لأخيه عن شطر ماله حتى أراد النزول له عن احدى زوجتيه لانه يعلم ان الأخوة ليست وصفاً يكفي أن يثبت بالألسنة بل هي رابطة وعقيدة لا تحققها الا الأفعال وهذه حقيقة الأخوة خاصة كانت أو عامة فالمسلم الذي يشعر بأخوة الاسلام شعوراً صحيحاً ويعتقدها اعتقاداً صادقاً هو الذي يشاطر المسلمين في سرائهم وضرائهم ويشركهم معه فيما عنده من خير بقدر ما استطاع فأما من لم يهتم بأمورهم وقبض يده عن مواساتهم وشح بالفرض والمستحب من الصدقة عليهم فهو كاذب في أخوته جاهل بحقيقة الأخوة وقد قال الله تعالى : فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ

(١) البخاري .

فِي الدِّينِ » • وقال — صلى الله عليه وآله وسلم — : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لَهَا » •

صَدَقَهُ مَا عَاهَدَ اللهُ عَلَيْهِ :

كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص وكان هذا الصحابي من أبطال ذلك اليوم ومن أبلوا فيه البلاء الحسن وجاهد حتى سقط مطعوناً باثنتي عشرة طعنة وتفقدته رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ولم يره في الناس ، فقال من يأتي بخبر سعد بن الربيع فقال رجل — هو أبي بن كعب — أنا ، فجعل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع ما شأنك ، فقال الرجل : بعثني رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — لآتيه بخبرك ، قال : « اذهب إليه فإقرأه مني السلام وأخبره باتي طعنت اثنتي عشرة طعنة واني أنفذت مقاتلي ، وأخبر قومك انهم لا عذر لهم عند الله ان قتل رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وواحد^(١) منهم حي » •

فالنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لم ينسه ما هو فيه من مصاب عظيم في ذلك اليوم من تفقد أصحابه وهذا السيد الجليل لم ينسه ما فيه من ألم الجراح وحالة الاحتضار من ابلاغ سلامه للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ومن النصح لقومه بما عليهم من حفظ رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — الى آخر واحد منهم وفاء بما عاهدوه عليه ليلة العقبة •

فالمسلم لا ينسيه ألم يصيبه في سبيل الله ما بقي عليه من الواجبات لدينه ولا يترك النصح حتى في أشد الاحوال ويبدل في سبيل الوفاء على ما عاهد الله عليه نفسه راضياً مغتبطاً •

هكذا كان الصحابة يبذلون في حفظ النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أرواحهم والتابعون لهم من المسلمين هم الذين يبذلون في

حفظ دينه من بعده كل عزيز فحياته — صلى الله عليه وآله وسلم —
في أمته ببقاء دينه فيهم قائماً • والحمد لله انه لا تزال طائفة قائمة على
الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون^(١) •



(١) ش: ج ٢، م ١٠، ص ٦١ - ٦٢
غرة شوال ١٣٥٢ هـ - جانفي ١٩٣٤ م •

الحجاج بن علاط

رضي الله تعالى عنه

• نسبه : الحجاج بن علاط (ككتاب) السلمي •
اسلامه ووفاته : اسلم عام خيبر وتوفي في أول خلافة عمر - رضي
الله عنه - •

• مسكنه واقامته : أقام بالمدينة ثم نزل الشام فسكن حمص •
حاله في الجاهلية : كان تاجرا كثير المال وكان يستخرج الذهب
من معادن بني سليم •

حاله في الإسلام : هو أول من بعث إلى رسول الله - صلى الله
عليه وآله وسلم - بصدقة من معدن بني سليم فما دخل الإسلام قلبه
حتى خرج منه ذلك الشح الذي يلزم في الغالب أرباب الاموال فبادر
بارسال صدقة معدنية طائعا طيبة بها نفسه وهكذا يفعل الإيمان عندما
تخالط بشاشته القلوب •

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الى أمراء الآفاق ان
يبعثوا إليه من كل عبل رجلا من صالحها فبعثوا أربعة من البصرة
والكوفة والشام ومصر ، فاتفق أن الأربعة من بني سليم وهم الحجاج
ابن علاط ، وزيد بن الاخس ، ومجاشع بن مسعود وابو الأعور •

فكان الحجاج احد هؤلاء الأربعة المشهود لهم من عموم اهل
اقطارهم بالصلاح خدعة لقريش حتى نجا منهم بماله : لما فتحت خيبر
وكان هو قد أسلم خشي^(١) أن تسمع قريش باسلامه فتستولي على

(١) في الاصل : خيشي •

مانه الذي كان متفرقا عند تجارها وغيرهم ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — أن يذهب الى مكة كاتماً اسلامه ليعمل على تخليص ماله ونجاته به من قريش ، فأذن له النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ورأى انه لا بد ان يحتاج في خداع قريش الى شيء من النقول بخلاف الواقع فقال للنبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : « انه لا بد لي — يارسول الله — من أن أقول » قال : « قل » •

فخرج حتى أتى قريشا فسألوه عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — واصحابه فقال لهم هزم شر هزيمة وقتل اصحابه شر قتل واخذ اسيرا وقال أهل خير لا تقتله حتى نبعثه الى أهل مكة فيقتلوه بما قتل من رجالهم • فصدقه قريش فقال لهم : انه يريد أن يعجل الى خير قبل أن يسبقه التجار اليها فاعانوه على جمع ماله حتى نجا به وانظلت عليهم حيلته •

وكان قبل أن يفارق جاءه العباس يسأله عما جاء به من الخبر فأخبره بالحقيقة على وجهها واستكتمه حتى يمضي على خروجه من مكة ثلاثة ايام فلما مضت الثلاثة الايام لبس العباس حلته وجاء فطاف بالكعبة فلما رآته قريشاً على تلك الحالة الطيبة قالوا له هذا والله التجلد على المصيبة يعنون ما جاءهم به الحجاج من الخبر عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فأخبرهم العباس بجليه الأمر وان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — افتتح خيبر وتزوج بنت ملكهم وان الحجاج أخذ أموالهم ليلحق به فاشتد عليهم ذلك وبلغ منهم المبلغ العظيم من الاسف والحق •

وحديث الحجاج هذا قال الامام ابن عبد البر « صحيح من رواية ثابت البناني وغيره عن أنس » ورواه من الأئمة أحمد وغيره •

الاسوة :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » •

أذن له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في التقول والأخبار
بخلاف الواقع والقول عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - ما لا يجوز أن
يقال عليه من الوزيمة والأسر - لأن ذلك كله كان من خدع الحرب
لأجل التوصل الى افتكاك مال الحجاج منهم حتى لا يتقوؤا به
وادخال الفيظ عليهم واحداث الوهن في قلوبهم .

فكان ذلك منه - صلى الله عليه وآله وسلم - شرعاً عاماً وحكماً باقياً
في مثل تلك الحال مقدرأً بذلك المقدار^(١) .



(١) ش: ج ٣ ، م ١٠٠ ، ص ١٠٣ - ١٠٤
ذو القعدة ١٣٥٢ هـ - ١٥ فيفري ١٩٣٤ م

أبو ذر الففاري رضي الله عنه

- ١ -

كيف كان اسلامه :

من السابقين الأولين وقصة اسلامه كما جاءت في صحيح البخاري
- مع الشرح - في مواضع هكذا : بلغ أبا ذر مبعث النبي - صلى الله
عليه وآله وسلم - فقال لأخيه أنيس : اركب الى هذا الوادي - يعني
مكة - فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء!
فانطلق أنيس حتى قدم مكة وسمع من قول النبي - صلى الله عليه
وآله وسلم - ثم رجع الى أبي ذر فقال له : رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق
وسمعت منه كلاماً ما هو بالشعر . فقال أبو ذر : ماشفيتني مما أردت .
فتزود وحمل شنة من ماء وجراباً من طعام وعصا وسار حتى قدم مكة
فأتى المسجد فالتمس النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو لا يعرفه
وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع فرآه علي بن أبي
طالب رضي الله عنه فعرف انه غريب فقال له كأن الرجل غريب فقال نعم
فقال له علي فانطلق معي الى المنزل فانطلق معه لا يسأل أحدهما صاحبه
عن شيء فبات عنده فلما أصبح عاد الى المسجد ففضى اليوم الثاني
كالأول وراه علي واستصعبه الى منزله فلما أصبح عاد الى المسجد
ومضى عليه اليوم كسابقه واستصعبه علي معه كالسابق وسأله
ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال أبو ذر ان اعطيتني عهداً وميثاقاً
لترشدتني فعلت؟ فأعطاه علي العهد والميثاق فأخبره بالذي أقدمه . قال علي :
فانه حق وهو رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا أصبحت

فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخاف منه عليك قمت كأنني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي فانطلق أبو ذر يقفوا أثر علي حتى دخل علي على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فدخل أبو ذر فسمع من قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأسلم مكانه فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اكنتم هذا الأمر وارجع الي قومك فأخبرهم فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقال أبو ذر والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فقامت اليه قريش فضربوه ضرب الموت حتى أضجموه على الأرض وأتى العباس فأكب عليه وقال لقريش ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم الي الشام عليهم فأنقذه منهم ثم عاد أبو ذر من الغد الي مثلها فثاروا عليه وضربوه فأكب عليه العباس وأنقذه منهم كالأول فرجع أبو ذر الي قومه .

كانت المرحلة الاولى من مراحل الدعوة فردية سرية وما أعلنت الدعوة للعموم الا بعد نزول قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » وكان ذلك في السنة الثالثة ولكنها مع خفيتها كان الخبر يتسرب خارج مكة حتى بلغ أبا ذر فأرسل أخاه ولم يكفه الخبر عن العيان فقدم بنفسه وأبى أن يسأل عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أحد من قريش ، لأنهم كانوا يصدون الناس عنه بالكذب عليه والتزهده فيه وبالاذاية لمن يرون منه تصديقه . وكان من صنع الله له - ومن تآقت نفسه لمعرفة الحق اعين عليه - ان ساق اليه علياً فاستضافه على عادة العرب في استضافة الغريب فكان علي دليلاً الي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وحارسه في طريق الوصول اليه من أن تصيبه قريش بأذى كما كان أبو ذر مستتراً خوفاً على نفسه . فلما دخل علي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وشاهد وسمع منه ما حصل له به اليقين

انه رسول الله بادر بالاسلام وأمره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
بكتمان أمره حتى لا تؤذيه قريش وبالرجوع الى قومه ليخبرهم لعلمهم
يهتدون . وفي هذا دليل على ان من كان في مثل ذلك الحال من خوف
وعدم القدرة على العدو يجوز له أن يتكتم ودليل على ان من هداه الله
كان حقاً عليه أن يسعى في هداية قومه .

لكن أبا ذر الذي كان متكتماً خائفاً من يوم قدومه الى مكة الى
ساعة اسلامه أبى بعد اسلامه أن يبقى متكتماً وأصبح لا يخاف قريشاً
ولا يبالى بما يلحقه منها من أذى وأقسم أن يعلن اسلامه وسط مجامع
قريش وأقره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على ذلك وفيه دليل على
من أراد أن يتحمل الأذى ويعرض نفسه للهلاك في سبيل اعلان كلمة
الحق واطهار قوة الايمان وادخال الرعب والغيظ على قلب العدو كان
ذلك حسناً من فعله . وبر أبو ذر في قسسه فقصد الى المسجد حيث
نوادي قريش ومجتمع الملائم منهم وصاح بكلمتي الشهادة . « صِبْغَةَ اللَّهِ
وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةَ » في لحظة تبدل أبو ذر من الخائف
المتكتم الى المعلن الذي لا يبالى بالموت، ولقد كادت قريش تقتله لولا أن
أنقذه منها العباس بما خوفها به على أموالها من قبيلة غفار ولكن أبا ذر
القوي الايمان الصادق الاسلام أراد أن يعود الى ارغامهم واغابقتهم
بعد ما ذاق وتحقق من اذيتهم ليعلمهم أنه أقدم على ما كان أقدم عليه
علماً باذيتهم غير مبال بها فعاد الى الاعلان وعادوا الى ضربه وعاد
العباس الى اتقاده فرجع بعدئذ الى قومه - وقد استنار قلبه بالايمان
واشتفى من قريش - خير قافل بخير هدية فدعاهم الى الاسلام فأسلم
على يده أخوه وأمه وكثير من قومه (١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١١١ ، ص ١٤ - ١٦

محرم ١٣٥٤ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

أبو ذر الغفاري

رضي الله عنه

- ٢ -

علمه :

العلم ثمرة النظر الصحيح والفهم الثاقب ودوام التحصيل . وقد كان حظ أبي ذر موفوراً من هذه كلها ففي الجاهلية قبل أن يلقى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - صلى الله عليه وآله وتوجه إليه وحده، روى مسلم في صحيحه^(١) عن عبد الله بن الصامت عند قوله : (وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ثلاث سنين، قلت : لمن ، قال : لله ، قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي . أصلي عشاء حتى اذا كان من آخر الليل ألقيت (انظرحت) كأنني خفاء (الغطاء من كساء أو غيره من الثياب) حتى تعلقوني الشمس ، فالنظر الصحيح والفهم الثاقب هما ادياه - باذن الله - الى هذا الايمان والتوحيد والعبادة في تلك الجاهلية الجهلاء ، وساقاه الى البحث عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسرعة الايمان به في السابقين الاولين أما مداومته للتحصيل فانه صحب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من يوم قدم المدينة - وكان قدومه بعد الخندق الى وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - فكان^(٢) يوازي ابن مسعود في العلم^(٣) وقال فيه علي

(١) كتاب الفضائل .

(٢) الاصابة .

(٣) الاصابة عن سنن ابن داود .

آثار ابن باديس

ابن أبي طالب رضي الله عنه : « أبو ذر وعاء مليء علماً ثم أوكىء
(ربط فم الوعاء بالوكاء وهو الرباط) عليه » •

كان أبو ذر يأخذ نفسه بأعلى درجات الزهد والتقلل من الدنيا
ويريد حمل الناس على ذلك بشدة في الحق وصراحة فيه فلم يستطع
الناس ذلك وما كانوا ليستطيعوه فكانوا يتعدون منه وكان هو يحب
الانفراد عنهم فلم يثأت نشر علمه فيهم • وهذا هو الذي عناه علي
رضي الله عنه بقوله : « ثم اوكىء عليه » •

زهده وورعه :

خرج من الدنيا ولم ينشب (يتعلق) منها بشيء وكان يتحسرى
عيشة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يمسك من المال ما يزيد على
مالا بد منه لقوته وقوت عياله^(١) • شبهه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
بعيسى عليه السلام وقال فيه يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم •
وهذا يدل على ان المنزلة التي كان يلتزمها ليست مما يستطيعه جميع
الناس ولا مما يكون تكليفا لازما عاما لهم •

صدقه وصدقه بالحق :

قال فيه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) - : « ما أظلت الخضراء
السماء ولا أقلت « رفعت » الغبراء « الأرض » من ذي لهجة « لسان »
أصدق ولا أوفى من أبي ذر، فكان كما وصفه النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - يقول الحق على الوفاء والتمام صراحة دون تورية ولا تعريض
ولا مسامحة لشيء فيه مع أي أحد من الناس ولو استأثروا وغضبوا
وقد كان هذا حاله من يوم اسلامه الى آخر أيامه وقد ذكرنا في الجزء

(٢٠١) الترمذي •

الماضي اعلانه باسلامه بين ظهراي المشركين وكانت مواقفه بعد ذلك مع معاوية رضي الله عنه وغيره في مسألة المال كما سيأتي ان شاء الله مما لم يراع فيه خليفة ولا أميراً من الصحابة رضي الله عن جميعهم ورزقنا الاقتداء بهم (١) .



(١) ش: ج ٢، م ١١، ص ٨٢ - ٨٣
غرة صفر ١٣٥٤ هـ - ماي ١٩٣٥ م

أبو ذر الغفاري

رضي الله عنه

- ٣ -

تربيته :

ثبت الصحبة بمطلق الاجتماع بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع الإيمان به والموت على ذلك ولكن خواص اصحابهم هم الذين لازموا وتفقهوا عليه وتربوا تحت رعايته ، وهؤلاء هم هم الذين ثبتوا على الاسلام لما ارتدت العرب بعد موته وثبت الله بهم الاسلام وكان ذلك - باذن الله - من آثار الفقه في الدين والتربية النبوية .

كان ابو ذر ممن لازموا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتفقهوا وتربوا وظهرت آثار تلك التربية في حياته بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يعرف أخلاق اصحابه ونفسياتهم ومقدار استعدادهم فكان يعالج كل قسم بعلاجه ويوجهه في الحياة حسب استعداده ، وقد تختلف أجوبته في بيان المقدم من اشياء بحسب حال السائل وحاجته وقد يحذر احدا من شيء ويقدم غيره اليه حسب قدرة هذا عليه وضعف ذاك عنه . وفي تربيته لابي ذر مما سنذكره ما يبين ذلك :

كان في ابي ذر شدة وكان لا يتسع صدره لما يرى مما يكره فكان يحب الوحدة والانفراد^(١) . وأول ما كان من شدته في أول

(١) محبته للوحدة قالها ابن عباس ، الطبري ج ٥ ص ٦٧

أمره أنه ساب رجلا من الموالي - ذكر بعضهم انه بلال - فعيه بأمه وقال له يا ابن السوداء فقال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (١) « يا أبا ذر أعيرته بأمه انك امرؤ فيك جاهلية » فأنكر عليه تعبيره بأمه وبين له ان فيه خلقا من اخلاق الجاهلية وهو التعظم بالانساب ثم بين له أدب الاسلام - دين الاخوة والعدل والاحسان الذي لا يفرق بين الاجناس ولا يفضل أحدا على أحد الا بتقوى الله - فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - له : « اخوانكم خولكم (خدمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » فترى ابو ذر بهذه التربية النبوية فلم تبق له شدة الا في الحق وكان يعامل مملوكه بما فنده به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فكان يلبسه مثل لباسه فلقبه المعروف بالربدة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسأله عن ذلك اذ العادة جارية بان لباس الغلام دون لباس مولاه فأجابه ابو ذر بالحديث المتقدم ليبين له انه عامل بالوصاية النبوية .

كان ابو ذر شديدا في الحق وكان من مقتضى شدته ان لا يتسع صدره لما يرى مما يكره ، فكان بهذا لا يستطيع معاشرته الناس ولا معاملتهم اذ لا بد أن يكون في الناس ما لا يرضيه منهم فهو لهذا يحب الانفراد عنهم وهو لهذا وذاك ضعيف عن القيام بالحكم بين الناس وعن الولاية على المال والرعاية للايتام فلما قال للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الا تستعملني (٢) قال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - « يا أبا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة إلا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها » . فحذره من

(١) البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

الامارة وبين له انه ضعيف عنها ، فان صدره لا يتسع لما يرى من
الخصوم ولددهم وتغال بهم بالحق وبالباطل . وقال له النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - مرة اخرى : « يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني
أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن على اثنين ولا تولين
مال يتيم » . فنهاه عن اقل الامارة الامارة على اثنين وزاد فنهاه عن
ولاية مال اليتيم اذ ولاية المال تقتضي حفظه وشميره وذلك يجر الى
المعاملة والخلطة وهو ضعيف بخلقه عنهما وعننى - صلى الله عليه وآله
وسلم - بقوله : « اني احب لك ما احب لنفسي » ما يحبه لنفسه من
جلب النفع ودفع الضر لا عين مانهاه عنه بسبب ضعفه .

هكذا تربى ابو ذر بهذه التربية النبوية المراعي فيها طبعه وحاله
فكان بعيدا عن الامارة وما اليها زاهدا في الدنيا زهدا أبعداه عن جميع
أسبابها وابتائها حتى لقي الله ، رحمه الله (١) .

(١) ش: ج ٣، م ١١، ص ١٤٩ - ١٥١
غرة ربيع الاول ١٣٥٤ هـ - جوان ١٩٣٥ م .

أبو ذر الففاري

رضي الله عنه

— ٤ —

منهبه في المال :

أوجب الله الزكاة وجوبا عينيا على من وجدت لديه اسبابها وتوفرت فيه شروطها فهي الحق الثابت في الاموال المقدر المعلوم وفي المال حقوق أخرى للقيام بالمصالح العامة كفك الاسير وتجهيز الميت وغير ذلك فاذا لم يتول ذلك بعض الناس ليسقط الطلب عن جميعهم تعين عليهم كلهم ان يعطوا كل بحسب ما عنده لتحصيل ذلك الواجب على جماعتهم فهذا الحق الثابت في المال ليس مقدرًا لانه يختلف باختلاف الاحوال .

وقد كان معلوما بنقل التواتر واجماع ائمة الامصار ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم — انما كان يأخذ جزءا من المال ويترك الباقي لصاحبه وقد صح عنه قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — « ليس فيما دون خمس اواق صدقة » أي زكاة .

لكن^(١) ابا ذر كان يرى انه لا يجوز ادخار الذهب والفضة بعد أداء زكاتها ويحتج على ذلك بظاهر قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ »

(١) انظر احكام الجصاص في تفسير الآية .

وبقوله^(١) - صلى الله عليه وآله وسلم - له : « ما يسرني ان لي احدا ذهباً تاتي علي ثالثة (اي ليلة) وعندني منه دينار الا دينار ارسده لسدين علي » . وبأحاديث أخرى في معنى هذا .

جواب الأئمة عن استدلاله :

لما جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الأخذ إنما يكون لبعض الأموال وجب رد الآية المحتملة اليها . فقوله تعالى « ولا ينفقونها » معناه ولا ينفقونها كلها وهؤلاء هم الذين لم يعطوا شيئاً منها وهم مانعو الزكاة فلا تصدق الآية على الذين انفقوا بعضها وهم المزكون . واما الاحاديث فهي محمولة على الترغيب في البذل وهي حالة فضل لا تجب على الناس ولو وجبت عليهم لما استطاعوا . والواجب هو الذي يعم واما الفضل فان الناس يرغبون فيه ويأتي كل منهم بما استطاع وهم في ذلك متفاوتون وقد قبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من ابي بكر - رضي الله عنه - التصدق بجميع ماله ورد على من أراد التصدق بمقدار بيضة من ذهب بعين كل ما يملك صدقة بجميع ما يملك ونهى عن ذلك^(٢) فاصاب أبو ذر فيما اختاره لنفسه من الزهد وعدم الادخار ولكنه اخطأ فيما اراد من حمل الناس على حالة فضل لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها .

اعلانه رايه واثارته الفقراء :

كان أبو ذر الغفاري يعلن برأيه في مجامع الناس بالشام ويندد بالاغنياء غير مكتف منهم باخراج الزكاة ويقول : « يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

(١) مسلم .

(٢) سنن أبي داود في كتاب الزكاة .

سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم « (١)
فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الأغنياء وحتى شكوا
الأغنياء لمعاوية - وهو أمير الشام من طرف عثمان - رضي الله عنه -
ما يلقونه من الناس .

ولو لم يبادر عثمان - رضي الله عنه - باستقدام أبي ذر - رضي
الله عنه - إلى المدينة لاتسع نطاق الفتنة بالشام .

حرية النظر :

قد خالف أبو ذر أجماع الصحابة بنظريته السابقة مع قيام الدليل
القطعي من النقل المتواتر والنصوص القرآنية الكثيرة المتضاربة على
خلاف رأيه ، وكان خلافه هذا في مسألة من كبريات المسائل . ومع
ذلك تركوا له حرية نظره ولم يلق منهم من أجلها أدنى ضغط ولا أقل
تحقير فكانوا بذلك منفذين لما جاء به الإسلام من احترام الآراء وحرية
النظر والتفكير .

النتيجة :

فأبو ذر بمذهبه هذا في المال كان شاذاً بين الصحابة - رضي الله
عنه - مخالفاً لأجماعهم ولم يتعرضوا له في نظره واجتهاده إلا عندما
خشوا من بثه الفتنة على الناس . وقد كان أبو ذر بمذهبه الشاذ هذا
أول اشتراكي في المال من المسلمين في أول عصور الإسلام وإن لم يعمل
بمذهبه في سائر عصوره (٢) .

(١) الطبري ج ٥ ، ص ٦٦

(٢) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ٢٠٩ - ٢١١
غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ - جوان ١٩٣٥ م .

أبو ذر الففاري

رضي الله عنه

- ٥ -

استفدام عثمان - رضي الله عنه - له من الشام :

كان ابو ذر بالشام وكان معاوية اميرا بها لعثمان وكان ابو ذر يتكلم في الجامع ينكر على معاوية أن يقول مال الله يتهمه بأنه يريد أن يحو عنه اسم المسلمين ليحتجنه دونهم ويندد بالاغنياء ان يقتتوا الاموال وحدثت بسبب ذلك فتنة من الفقراء على الاغنياء واعضل الامر على معاوية فكتب الى عثمان يخبره بالحال ، ويشكو إليه أبا ذر ، فكتب إليه عثمان أن أبعث أبا ذر ، ووصاه بتزويده والرفق به ، فلما دخل على عثمان قال له : يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذر بك (حدة لسانك) ؟ فصارحه بما كان ينكره عليهم وعلى معاوية فقال له عثمان : « يا أبا ذر علي أن اقضي ما علي ، وآخر ما على الرعية ، ولا اجبرهم على الزهد وان ادعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد »^(١) .

فقه عثمان :

في اسفار التاريخ كلمات كبيرة كثيرة لرجال سلفنا من الخلفاء والامراء والقواد تدل على عظيم فقه في الدين وكبير علم بسياسة الامة وتدير شؤونها مما يجمع بين تفقيه في الدين وتعليم للحكم والتدبير . منها كلمة عثمان هذه لابي ذر فقد بينت ما على الامير في نفسه وما عليه في رعيته وانه لا يجوز حمل الرعية وجبرها على ما لم

(١) الطبري ج ٥ ، ص ٦٦

توضع عليه الفطرة العامة في البشر من الكمالات الانسانية كعدم التوسع في اقتناء المباحات من الأموال . وانه انما على قادة الأمة أن يدعوها الى تلك الكمالات ويرغبوها فيها ، فيرغبوها في الاجتهاد في العمل والاقتصاد في الاقتناء للأموال - في مسألة ابي ذر - فبذلك يتربى الناس على العمل والاجتهاد فلا يمدون اعينهم لما في ايدي الناس ويتربون على البذل والسخاء فيما يحصلون من ثمرات كدهم فيجمعون بين العمل والغنى والسخاء .

والأمة التي تبني حياتها على هذه الاصول هي الامة التي تترقى بجميع طبقاتها في مادياتها وروحانياتها فكلام هذا الامام العظيم المأخوذ من اصول الاسلام قانون عظيم في سياسة الامم وتربيتها ومثل من يفقه هذا الفقه هو الذي يصلح لولاية امر العامة . وأبو ذر - وان كان فقيها في الدين - فانه بطبعه الانفرادي ونفرته من الناس لم يكن ليفكر في هذا ولا ليتقطن له ولذا لم يكن صالحا لشيء من الامارة . وقد قدمنا نصح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - له ان لا ياتمر على اثنين فسبحان من قسم الاخلاق والارزاق ، والعلوم والفهوم ، ثم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونوجه كلاما هو أهل له وله مقدرة عليه . فقهننا الله في ديننا وعرفنا باقدارنا واستعملنا فيما نبلغ فيه الى رضاه (١) .

(١) ش: ج ٥، م ١١، ص ٢٨٢ - ٢٨٣
غرة جمادي الاولى ١٣٥٤ هـ - اوت ١٩٣٥ م .

أبو ذر الغفاري

رضي الله عنه

- ٦ -

خروجه الى الربذة :

ادرك ابو ذر بعد قدومه على عثمان انه لا يستطيع مخالطة الناس فاستأذن عثمان في الخروج الى الربذة فاذن له أو أن عثمان قال له (او اعتزلت) عرض عليه مارآه اصلح له فاختار الربذة وعلى كلتا الروايتين لم يأمره عثمان بالخروج حتى يقال فيه أنه قد نفاه كما يقوله المتجنون على عثمان رضي الله عنه .

خرج ابو ذر الى الربذة^(١) فخط بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين وارسل اليه ان تعاهد المدينة حتى لا تتردد اعرايبا . وقد نهوا عن التعرب بعد الهجرة لما في التبدي والاقطاع عن الجماعة ومشاهد العلم والدين من الجفوة .

تحذير :

قد ابتلي عثمان بأنواع من البلايا منها ما ينقمه عليه قوم بالباطل فمن ذلك تقمتمهم عليه نفيه أبا ذر وقد رأيت فيما ذكرنا انه لم ينفه . ثم هبه نفاه بالنظر المصلحي كان ماذا؟^(٢) فقد روي أن عمر - رضي الله عنه - سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله

(١) الطبري ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) المواصم ج ٢ ص ١٠٩ .

— صلى الله عليه وآله وسلم — وهذا ابن مسعود — رضي الله عنه — تقم على عثمان انه لم يدخله في كتابة المصحف ، وقدم زيد بن ثابت — رضي الله عنه — مع أن عثمان كان مقتديا بأبي بكر — رضي الله عنه — وقد قدم زيد بن ثابت لجمع المصحف دون ابن مسعود ولم يقل يوم ذلك ابن مسعود — رضي الله عنه — شيئاً وقد راجع ابن مسعود الحق وقبل ما صنعه عثمان •

فعلى الناظر في تاريخ عثمان — رضي الله عنه — أن يتثبت ويتحرى حتى لا يقع في ظلم وباطل في حق هذا الامام الشهيد العظيم •

وفاته :

توفي بالربذة في ذي الحجة من السنة الثامنة من خلافة عثمان وحضر دفنه ابن مسعود في ركب كانوا قافلين من الحج وضم عياله عثمان الى عياله • وطويت بوفاته صفحة من حياة زكية فاضلة شاذة في عصر الخير والفضل بين فضلاء أختيار من أصحاب محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — يتشدد في الزهد • ونظريته في المال ما كرهوا له منهما الا ما أرادته من تعميمها في الناس • فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة التي كانت تمثل الكمالات الانسانية بأنواعها ، وتتفاوت في بلوغ الغايات منها لتكون قدوة لمن يجيء بعدها كل بما فيه من استعداد لما خلق له من أنواع الكمال •

فجازاهم الله عنا خير الجزاء ورزقنا الاقتداء بهم ولزوم جماعتهم حتى نلقاه ••• جل جلاله ••• غير مبديلين ولا مغيرين (١) •

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠ •

غرة جمادي الثانية ١٣٥٤ هـ — سبتمبر ١٩٣٥ م •

سيدنا بلال الحبشي

رضي الله عنه

نسبه :

هو ابن رباح مؤلف بركة وأصله من الحبشة وأمه (١) حمامة من السابقات كانت تعذب في الله مثله .

اسلامه :

لما دعا محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الى الاسلام أجابه ضعفاء الناس سنة الله في اخوانه الانبياء - صلوات الله عليهم وسلم - من قبله . قال (٢) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : كان أول من أظهر اسلامه سبعة : رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وابو بكر وعمار وامة سمية وصهيب وبلال والمقداد ، فأما رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما ابو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد الا وقد واتاهم على ما أرادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : احد أحد . وليس في هؤلاء المستجيبين لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من نفس قريش الا ابو بكر وبقيتهم بين مولى وحليف وقد كان بلال أسبق هؤلاء بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(١) البخاري .

(٢) في الصحيحين .

تعذيبه في الله وصبره :

عدت قريش على المستضعفين تعذيبهم وتفنتهم لتصرفهم عن الاسلام فكان امية بن خلف الجمحي يخرج بلالا اذا حيت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيصبر بلال على ذلك العذاب ويقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد . ويأبى أن يقول كلمة الكفر بلسانه وقد علم انه لا اثم على من يقولها بلسانه اذا اكره وقلبه مطمئن بالايمان ويأبى أن يترخص كما ترخص اخوانه المستضعفون وأن يواتي ويوافق كفار قريش ولو بكلمة واحدة .

ترجيح واقتداء :

الحالة التي كان فيها بلال من الصبر والثبات والاباية من شيء من الترخص - أرجح من حالة الترخص وان كانت هذه سائغة جائزة اذ في الحال الاولى اقامة التوحيد وارغام المشركين وتثبيت للدعوة وجلب اليها وتقوية لقلوب المستجيبين لها وضرب المثل لكل من اصيب وعذب في الحق ولو ان جميع المبتلين ترخصوا لخفتت كلمة التوحيد وطغت كلمة الشرك وازداد ظلم أهلها ولتزلزلت الدعوة واضطربت قلوب ضعفاء الايمان وأعرض عنها كل من لم يكن قد استجاب . ولا شك ان حالة الصبر وعدم الترخيص هي حالة الانبياء - صلوات الله عليهم - وحالة الكبراء من أصحابهم حتى قتل منهم من قتل وعذب منهم من عذب كما قص أخبارهم القرآن العظيم .

عقته :

كان ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - داعية الاسلام من يوم أسلم وكان بلال ممن استجاب له فلما رأى ما حل به من عذاب اشتراه

فأعتقه فكان سبباً في عنته من الرق وعنته من العذاب وعنته من الكفر .
كما اشترى امه حمامة وأعتقها في آخرين من العبيد الذين عذبوا في
الله . فياله من عتيق معتق رضي الله عنه .

جهاده :

شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المشاهد كلها
وبعد وفاة أبي بكر - رضي الله عنه - خرج الى الشام مجاهداً حتى
مات بها مرابطاً .

والتقى في غزوة بدر بأمية بن خلف وقد أسره عبد الرحمن بن عوف
قبل أن يجمع الاسرى فقتله فمكته الله من عدوه الذي كان يعذبه
ذلك العذاب حتى قتله بيده .

وظيفته :

كان أول من أذن في الاسلام واستمر يؤذن حياة رسول الله
- صلى الله عليه وآله وسلم - وحياة ابي بكر - على احدى الروايتين -
وأذن مرة بالشام لما قدمها عمر فبكى وأبكى : ذكر الناس بأذانه عهد
رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - .

جزاء الحكيم :

كان بلال - وهو يقاسي العذاب الشديد - يلهج باسمه تعالى :
أحد فيخف ما يلقاه من ألم التنكيل بلذة التوحيد فكان من جزاء الله
الحكيم له أن جعله مؤذن نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - وأول من
رفع عقيرته بكلمة التوحيد في الاذان . عرف الله في الشدة . فعرفه
الله في الرخاء لم يترك اسم أحد في أصعب أوقات حياته فالزمه الله
التعبد بالجهرية على الناس معظم حياته . فكان الجزاء من جنس العمل
من الحكيم العليم .

ثناء عمر رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا) يعني بلالا فقرنه بأبي بكر في سيادتهم اعترافاً له لما كان من سبقه للإسلام وصبره على البلاء فيه وما كان عليه في دينه وفضله ومكاته عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وقد كان عمر - رضي الله عنه - شديد التعظيم للسابقين الأولين والتقديم لهم وخصوصاً أهل المنازل الخاصة عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى قال لابنه عبد الله بن عمر لما رجح عليه أسامة بن زيد في العطاء : كان أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منك وكان أبوه أحب إليه منك هذا وإن كانت منزلة عمر - رضي الله عنه - معروفة في الفضل لكنهم هذه أخلاقهم - رضي الله عنهم - ينسون أنفسهم عندما يتحدثون على فضل غيرهم حتى كأنهم لا يعرفون لأنفسهم فضلاً .

تبشيره بالجنة :

رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ليلة أنه دخل الجنة وسمع (١) خشف نعلي بلال بين يديه في الجنة فقال له حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة ، فقال بلال ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي من اني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل أو نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن اصلي (٢) وكان لا يحدث الا توضأ وصلى .

فكان يصل الحدث بالوضوء والوضوء بالصلاة فلا يكون الا على طهارة ولا تنفصل طهارته عن الصلاة فهذه الطهارة الدائمة والصلاة الملازمة هي التي عدّها أرجى أعماله في الإسلام عنده منفعة . ذلك

(١) صوتهما عند تحركهما في المشي .

(٢) في مسند أحمد .

آثار ابن باديس

لأن هذه الطهارة الدائمة في الظاهر دليل الطهارة الدائمة في الباطن .
وعلى طهارة الباطن تنبني جميع الاعمال وقد عمل هو هذا العمل يرجو
منفعته عند الله - كما هي وضعية الاسلام للطاعات كلها - فحقق الله
رجاءه . وكان ما رآه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من وجوده في
الجنة بين يديه بشارة له بأنه من أهل الجنة وانه بمنزلة القريبة من النبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - وكما كان خادماً للنبي - صلى الله عليه
وآله وسلم - يمشي بين يديه في الدنيا كذلك رآه في الجنة تنبئها على ان
كل خير ناله - مثل كل من ناله شيء من الخير - هو من اتباعه للنبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - والقيام بخدمته . وفي هذا كله منقبة
عظيمة له بجليل عمله . وبشرى صادقة بعظيم ثوابه عند ربه رضي
الله عنه .

سنه ووفاته :

مات بالشام في طاعون عمواس سنة عشرين وقد ناهز السبعين ،
ودفن بمقبرة دمشق وقيل بحلب فرحمه الله وجمعنا به في دار النعيم
آمين (١) .

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٥٠١ - ٥٠٤
غرة رمضان ١٣٥٤ هـ - ديسمبر ١٩٣٥ م .

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

عكاشة بن محصن رضي الله عنه

اسمه ونسبه :

العكاشة ، بشد الكاف وتخفيفها ، العنكبوت وبه سمي وهو ابن
محصن من بني اسد بن خزيمه حليف لبني امية •

سابقته ومشاهدته :

من السابقين الأولين ، شهد بدرأ وأحدأ وسائر المشاهد ، واستشهد
في حروب الردة قدمه خالد بن الوليد هو وثابت بن أقرم العجلاني
طليعة يوم بزاخة لقتال طليحة الأسدي ، تعاون عليه طليحة وأخوه سلمة
فقتلاه بعد ما قتل سلمة ثابتا ، فمات شهيداً رحمه الله •

اخبار تتعلق به :

١ - سبقك بها عكاشة : ثبت في الصحيح ان رسول الله - صلى الله
عليه وآله وسلم - قال : (يدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا
تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر) فقام عكاشة بن محصن فقال :
ادع الله أن يجعلني منهم • فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل آخر
فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله - صلى الله
عليه وآله وسلم - : سبقك بها عكاشة ، فجرت هذه الكلمة النبوية مثلاً
يضرب لمن أراد أمراً قد سبقه به غيره •

بيان :

كانت ساعة اجابة وانقضت فبردت الدعوة لصاحبها أو كان يستحق الدعوة من سبق اليها برغبته مبتدئاً دون من جاء ثانياً تابعا . وفضيلة السبق لها أثرها .

٢ - سيفه الذي يسمى العون : كان عكاشة قد أبلى البلاء الحسن يوم بدر فضرب بسيفه حتى انقطع في يده فناوله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جذلاً من حطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه وهزه عاد في يده سيفاً صارماً طويلاً .

بيان :

ذكر هذا ابن اسحاق وغيره . وانقلاب الجدل سيفاً هو من جنس ما تواتر تواتراً معنوياً من تأثير المواد الجامدة بلمسه أو دعائه . والذي كمل الله روحه حتى تزكت على يده نفوس تلك الأمة الأمية المنغسة في حمأة الشرك ، والوثنية حتى كان منها في أقرب وقت هداة البشرية ليس بكثير في حقه أن تتأثر بلمسه الجمادات .

اقادة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - له من نفسه :

روى أبو نعيم في « الحلية » حديثاً في وفاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مطولاً وفيه ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أعطى قضيباً لعكاشة ليقتصه لنفسه من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بضربة كان ضربه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - اياها بذلك القضيب، وهو حديث موضوع . قال السيوطي : آفته عبد المنعم . وقال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع لا محالة . كافاً الله من وضعه ، وقبح من شين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بالرسول ولا بالصحابة ، والمتهم عبد المنعم بن ادريس . قال أحمد بن حنبل : كان يكذب على

وهب ، وقال : يحيي كذاب خبيث ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على أبيه وعلى غيره اه •

تنبيه وتحذير :

ذكرنا هذا الحديث الموضوع الذي رواه أبو نعيم في كتابه (حلية الاولياء) لئنبه على وضعه ولتحذر قراء « الحلية » وقد طبعت منها أجزاء ، من الاعتماد على كل ما فيها فان كثيراً من المنتسبين للعلم يغترون باسم الكتاب واسم المؤلف فيتناولون كل ما فيه من الاحاديث بالقبول والتسليم كأنه ثابت صحيح مع اتنا نجد فيه مثل هذا الحديث الموضوع الذي قد قال فيه ابن الجوزي ما قال •

القدوة :

هذا الصحابي البدري الجليل قد دل بسؤاله الدعاء أن يكون من السبعين على حرصه على الكمال ورغبته في الفوز بأعلى الدرجات ، وخوفه من الحساب ، ولم يكن سؤاله ذلك منافياً لاختلاصه لله في عبادته ولا حاطاً شيئاً من درجته ، بل كان سبباً لفوزته بتلك الدعوة ونيله تلك المنزلة ، فنعمة القدوة هو - رضي الله عنه - في العمل لله مع الرجاء في فضله وطلب المزيد منه ، والخوف من عقابه وطلب البعد عنه • هذه هي سنة عباد الله الصالحين وفيها أبلغ الرد على المنتطحين المتكلفين • رزقنا الله اتباعهم في هديهم هدي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ورضي عنهم وأرضاهم (١) •

(١) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ٩ - ١١ •

غرة محرم ١٣٥٦ هـ - ١٤ مارس ١٩٣٧ م •

الرَّبِيعُ بِنْتُ مَعُوذٍ

رضي الله عنها

اسمها ونسبها :

هي الربيع بنت معوذ من بني عدي بن النجار الانصارية •

سابقتها ومشاهدها :

من حَضَرَ بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من النساء كن يخدمن الجيش ويسقين الماء ويقمن على الجرحى فيداوينهم ويحملنهم فيرددنهم الى المدينة •

قدرها ومنزلتها :

كان لها قدر عظيم ومنزلة رفيعة فقد كانت من بيت شهد عدة من رجاله بذكراً ومنهم من استشهد بها وهي من الغازيات كما تقدم • ومن قدرها هذا ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جاءها غداة عرسها فقعدها على فراشها وجعلت جواريات من الانصار يضربن بالدف ويذكرن من قتل من آبائها يوم بدر ، وهو - صلى الله عليه وآله وسلم - يسمع ويقرهن على ضربهن وغنائهن حتى قالت احدهن : « وفينا نبي يعلم ما في غد » فقال لها : (دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين) •

حكاية طريفة عنها :

كانت يوماً في نسوة فدخلت عليها أسماء بنت مخربة تباع العطر - وأسماء هذه ام ابي جهل - والربيع أبوها أحد من قتل أبا جهل -

فلما عرفتها أسماء قالت لها : أنت ابنة قاتل سيده؟ قالت الربيع، بل قاتل عبده : فقالت أسماء : حرام علي أن أبيعك من عطري شيئاً ، قالت الربيع: حرام علي أن أشتري منه شيئاً ، وقالت - لتغضبها - : ما وجدت لعطرتنا غير عطرك ، وافترقتنا على غضب وقطيعة •

الفوائد والاحكام

النساء في الحرب :

ما كانت تقوم به الربيع ومن معها من النسوة في الغزو أصل لتأسيس فرقة النسوة الممرضات في الجيش ، ويستتبع ذلك لزوم تهيئتهن لذلك بتعليمهن - غير مخلطات بالرجال - ما يحتاجن اليه في الحرب من القيام بعملهن والدفاع عن أنفسهن واستعمال ما يقيهن من الهلاك مع تدريبهن على ذلك كله وتمرينهن عليه ، لأن الشارع قد أقر هذه المصلحة فكل ما تتوقف عليه في أصلها أو كمالها واتقانها فهو مشروع •

اقرار الحق وانكار الباطل :

الضرب بالدف والغناء في العرس وذكر الاموات بمحامدهم ومقاماتهم - كل هذا مشروع ، فأقر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الجويرات عليه • اما علم أحد من الخلق : الأنبياء فمن دونهم بما يكون في المستقبل فباطل ممنوع ، قوله واعتقاده ، ولهذا نهاهن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عنه وأمرهن أن يعدن الى ماكنه فيه، ولا ينافي هذا ان الله قد يطلع أنبياءه - عليهم الصلاة والسلام - على بعض ما يكون في المستقبل لأنه علم محدود في شيء مخصوص ، كان باعلام الله فلا يتجاوز علمهم الى ما عداه مما في أحشاء المستقبل من الغيب ، ولا لما في الحال منه مما لم يعلموا به ، وهكذا كانت سنته

— صلى الله عليه وآله وسلم — يقر الحق ويرتضيه وينكر الباطل وينفيه •

حزازات النفوس :

لم تستطع الايام ولا الدخول في الاسلام ، أن تمحو أثر حزن أسماء على قتل أبي جهل أبيها فما عرفت ابنة أحد قاتليه حتى نفثت بما في صدرها ولم تستطع أن تعامل — بالبيع والشراء — من رأت في وجهه وجه قاتل أبيها ، ولا يقدر هذا في اسلامها لأن ما كان منها كان عن طبع لا تقوى خلقة الانثى على مقاومته • ومن هنا نعلم ان مما تتحتم مراعاته في النساء هو هذه الناحية الضعيفة الحساسة فيتحرز دائماً من عدم اثاره ما يحرك ما تبقى آثاره كامنة في نفوسهن من فقد عزيز أو لحوق مكروه •

القدرة :

هؤلاء السيدات الصحايات رضي الله عنهن قد كن يشاركن الرجال في الحرب وهي أبعد الأشياء عن طبعهن ويقمن معهم بما يليق بهن فلنا فيهم وفيهن القدوة الحسنة أن نشرك معنا نساءنا فيما تقوم به من مهام مصالحنا ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في الحياة — على ما يفرضه عليهن الاسلام من صون وعدم زينة وعدم اختلاط ، ولن تكمل حياة امة الا بحياة شطريها : الذكر والانثى •

نسئل الله أن ينهض بنا رجالاً ونساء في خدمة الاسلام وفي دائرة الاسلام انه القريب المجيب^(١) •

(١) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ٨١ — ٨٣
صفر ١٣٥٦ هـ — ١٣ افريل ١٩٣٧ م •

سمية بنت خباط

رضي الله عنها

بيتها :

هي أمة لأبي حذيفة بن المعيرة المخزومي ، زوجها لحليفه ياسر العنسي ، فولدت له عمارة فأعتقه أبو حذيفة ، فبيتها يرتبط - ولاء وحلفا - ببني مخزوم من قريش .

اسلامها وسابقتها :

من السابقين الاولين هي وزوجها وولدها .

تعذيبها واستشهادها :

كانت هي وزوجها وابنها يعذبون أشد العذاب في الله فيأمرهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهم يعذبون بالأبطح في رمضان مكة فيقول : **صبراً يا آل ياسر فان موعدكم الجنة** . فقتل زوجها في العذاب وأعطى عمار بلسانه ما سأله منه المشركون وفيه وفي مثله نزل قوله تعالى : « **إِلَّا أَنْ تَسْتَمُوا مِنْهُمْ تَقَاةً** » وأما هي فان أبا جهل طعنها بالحربة في قتلها حتى قتلها ، وهي يوم ذلك عجوز كبيرة ضعيفة فكانت أول شهيد في الاسلام .

اوليات النساء في الاسلام :

لا تقوم الحياة الا على النوعين اللذين يتوقف العمران عليهما ، وهما الرجال والنساء ، وفي الاسلام كتابه وحياة رسوله - صلى الله

عليه وآله وسلم - وتاريخ بدايته - آيات وأنباء ووقائع تدل على ذلك وتدعو إلى اعتباره والعمل بموجبه • وانظر إلى حظ المرأة في السبق إلى تأييد الإسلام بالنفس والمال ، والعطف والحنان ، فأول ما وجدته رسول الإسلام - صلى الله عليه وآله وسلم - هو مال خديجة، وأول عطف لقيه ، وأول قلب انفتح لسماع كلمة النبوة - كما في حديث بدء الوحي - هو عطف خديجة وقلب خديجة ، وأول شهيدة في الإسلام - كما اتفق عليه علماء السيرة - هو سمية • فلن ينهض المسلمون نهضة حقيقية إسلامية الا اذا شاركهم المسلمات في نهضتهم في نطاق عملهن الذي حدده الإسلام وعلى ما فرضه عليهن من صون واحتشام •

الأسوة :

هي سنة الله عرفناها في تاريخ البشرية ، لا بد في سبيل الحق من ضحايا • ولقد كانت هذه العجوز الضعيفة مثلاً رائعاً في الصبر والثبات واليقين حتى فازت بتلك الأولوية • وكانت في ذلك أحسن قدوة - لا لخصوص النسوة - بل لأهل الرجولة والقوة •

فاللهم ايماناً كإيمان هذه العجوز وصبراً كصبرها ، وشهادة كشهادتها ، آمين يا رب العالمين^(١) •

(١) ش: ج ٢ م ١٣ ، ص ١٢٥ - ١٢٦
غرة شعبان ١٣٥٦ هـ - ماي ١٩٣٧ م •

هند بنت عتبة رحمها الله

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس وام معاوية بن أبي سفيان ، أسلمت يوم فتح مكة بعد اسلام زوجها •

كيف أسلمت :

بات المسلمون الليلة الموالية ليوم الفتح يصلون بالمسجد الحرام فرأت هند منهم ما لم تعهد ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة ، والله ان باتوا الا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً • وأرادت المجيء الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وخافت من ماضيها في الجاهلية فذهبت الى عمر فجاء معها فاستأذن لها فدخلت وهي متتعبة فأسلمت ولما بايع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - النساء وهي معهن ومن الشرط فيها ، ان لا يسرقن ولا يزنين ، قالت هند: وهل تزني الحرة وتسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ، قالت : قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم بيد كباراً • ثم رجعت الى بيتها فجعلت تضرب صنماً لها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة وتقول : كنا معك في غرور •

صدق اسلامها :

أسلمت متأثرة بما رأت من حال المسلمين وبادرت الى كسر صنمها وأصبحت تريد أن تعرف ما يحل لها وما يحرم في الاسلام فشكت الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت أن أباسفيان رجل مسيك بخيل وانه لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وأولادها الا ما أخذت منه بغير

علمه فهل عليها من حرج؟ فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك ، فما كانت تفعله قبل اسلامها ولا تتحرج منه أصبحت بعده متحرجة تسأل عن حكم الله فيه وما ذلك الا من صدق إسلامها واخلصها فيما آمنت به .

اخلاقها :

كانت امرأة لها نفس وأنفة وفيها صراحة وجرأة واعتداد بنفسها وقصتها في الجاهلية مع أول أزواجها الفاكه بن المغيرة وقصة اختيارها للأزواج وغيرها مظهر من مظاهر هذه الأخلاق . وما في حديث اسلامها من مراجعتها للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من تلك الاخلاق ، وأهل هذه الأخلاق اذا كفروا وكفروا واذا أسلموا أسلموا بصدق وكذلك كانت هند في جاهليتها واسلامها .

عبرة وقنوة :

انظر الى الاسلام الصادق كيف تظهر آثاره في الحين على أهله وكيف يقبل الشخص سريعاً من حال الى حال وبه تعرف اسلاماً من اسلام .

وانظر الى حلم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كيف قابل هذه المرأة التي كان منها ما كان في يوم احد من أقوال وأعمال فضرب عن ذلك كله صفحاً وكيف واجهته بما واجهته به عند قوله : ولا يقتلن أولادهن ، ثم أعرض عن ذلك كأنه لم يسمعه كل هذا حلماً وكرماً وحرصاً على هداية العباد فصلى الله عليه وآله وسلم من نبي كريم بالمؤمنين رؤوف رحيم خير قدوة للعالمين^(١) .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٥ ، ص ٦٦ - ٦٧ .
غرة صفر ١٣٥٨ هـ - مارس ١٩٣٩ م .

نعيمان بن عمرو النجاري الانصاري

رضي الله عنه

سابقته ومشاهده :

شهد العقبة الاخيرة ، وشهد بدرأ وأحدأ والخندق والمشاهد كلها .

ظرفه ونوادره :

كان ظريفاً كثير الدعابة والمزاح حتى يبلغ به ذلك الى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كان لا يدخل المدينة طرفة الا جاء بها الى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فيقول ها أهديته لك • فاذا جاء صاحبها يطلب الثمن أحضره الى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وقال اعط هذا ثمن متاعه فيقول — صلى الله عليه وآله وسلم — أو لم تهده لي فيقول انه والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك — صلى الله عليه وآله وسلم — ويأمر لصاحبه بشمنه •

وخرج مرة مع أبي بكر في تجارة الى بصرى ومعهما سويييط ابن حرملة البدرى وكان سويييط متولياً على الزاد فجاءه نعيمان فقال: أطعمني • فقال : لا ، حتى يجيء أبو بكر • فقال : لأغيظنك ، فذهب الى قوم ممن جلبوا ابلا الى السوق فقال لهم ألا تبتاعون مني غلاماً عربياً فارها وهو ذو لسان ، ولعله يقول لكم انا حر فان كنتم تتركونه لذلك فدعوه من الآن ولا تفسدوا علي غلامي فقالوا بل نبتاعه منك بعشر قلائص • فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا • فقال القوم لسويييط قد اشتريناك من سيدك فقال هو كاذب أنا رجل حر • قالوا قد أخبرنا خبرك ، وطرحوا الحبل في رقبتة وذهبوا به ،

وجاء أبو بكر وأصحاب له فأدركوا القوم وردوا اليهم القلائص وعرفوهم الحقيقة • فضحك رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه رضي الله عنهم من هذه النادرة مدة عندما يتذكرونها •

وقدم أعرابي فدخل على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأناخ ناقته بالفناء فقال بعض الصحابة للنعيمان لو عقرتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم • ففعل ، فخرج الأعرابي فصاح: واعقره يا محمد ، فخرج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال من فعل هذا فقال النعيمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير واستخفي في سرب لها وجعل عليه السعف والجريد • فأشار اليه رجل ورفع صوته يقول ما رأيته يا رسول الله ويشير باصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد تغير وجهه بالسعف الذي سقط عليه وقال له ما حملك على ما صنعت • قال الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني فجعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يمسح عن وجهه ويضحك ثم غرما رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - للاعرابي •

الاسلام دين السماحة والسجاجة :

هؤلاء هم خيار الأمة ، وهم أهل الصدق والجد ، وذوو القوة في الحق والصلابة في العقيدة ، وهكذا كانوا أهل سماحة وسهولة وسجاجة ولين في الحالة الاعتيادية • حتى ينفق بينهم مثل هذا الظرف والمزح والدعابة ، فاذا الجد فهمهم هم ، فالتزمت والعبوس خشونة ويبوسة في الخلقة ، أو تكلف ورياء ، وحسبك بهما من شرين • وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يمزح ولا يقول إلا حقا فلا يبلغ المزاح بكبار الناس الى ما بلغ اليه نعيمان ولكن لا تضيق أخلاقهم بمثله •

نقص رجح به الكمال :

كان نعيمان رجلاً صالحاً وكان يصيب من الشراب فيجاء به الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقيم عليه الحد فقال له رجل مرة : لعنه ، فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : لا تفعل انه يحب الله ورسوله .

قد كان الحد له طهرة ، وكانت التوبة له مرجوة ، وكان عنده من محبة الله ورسوله ما رجح بذلك النقص والبلية ، ولعن المعين لا يجوز .

أقول كيف كان يحب الله ورسوله ويشرب الخمر؟ فنقول : قد برهن على صدق حبه لله ورسوله ببذله نفسه في تلك المشاهد العظيمة التي شهدها والجود بالنفس أقصى غاية الجود . وأي دليل أدل على صدق الحب من بذل النفس . وأين تقع عبادة ذلك المتعبد الجثامة المنزوي الحريص على الحياة ، من ذلك المسلم العادي الذي نصب نفسه هدفاً للبلايا والمحن ، واقتحم أسباب الهلاك في سبيل الله على هنات فيه ؟ هذا ، والله ، أنفع لعباد الله ، وأصدق حباً لله ، وأقرب الى رضوانه ، وأدنى الى المتاب عليه . لانه من الذين باعوا الله أنفسهم وأموالهم ، فاستبشروا ببيعهم الذي بايعوا به « ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٣ - ١١٥
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ - افريل ١٩٣٩ م .

الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية

رضي الله عنها

سابقتها :

- أسلمت قبل الهجرة ، وكانت من المهاجرات الأول .

منزلتها الشخصية :

كانت من عاقلات النساء وفضلياتهن ، وكانت تحسن الكتابة ، وهي التي قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : « ألا تعلمين هذه — حفصة — رقية النملة كما علمتها الكتابة » .

منزلتها في المجتمع :

كان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يراها ويفضلها ويقدمها في الرأي . تقديرًا لسابقتها وعقلها ومعرفتها وفضائلها ، وكان ربما ولاها شيئًا من أمر السوق .

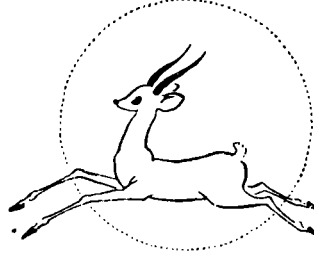
الاقتداء :

تتعلم المرأة الكتابة ، وتعلم غيرها ، وتتولى تدبير أملاكها وتجارتهما ، وما تستطيعه من عمل عام . كما تولت الشفاء أمر السوق في بعض الأحيان ، ولا شك ان مما أهّلها لذلك عند عمر معرفتها بالكتابة .

تحذير :

يجري على الألسنة ما رواه الطبراني عن الاوسط : عن عائشة مرفوعاً : « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل

وسورة النور « قال الشوكاني : في سنده محمد بن ابراهيم الشامي ، قال الدارقطني : كذاب ، وكثيراً ما تكون هذه الاخبار الدائرة على الألسنة باطلة في نفسها معارضة لما صح في غيرها فيجب الحذر منها • وقد قدمنا في الجزء الماضي من أدلة تعلم النساء الكتابة ما فيه الكفاية (١) •



(١) ش : ج ٤ ، م ١٥ ، ص ١٦٨ - ١٦٩
غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ - ماي ١٩٣٩ م •

النعمان بن عدي العدوي

رضي الله عنه

نسبه :

النعمان بن عدي بن نضلة القرشي العدوي من قوم عمر بن الخطاب —
رضي الله عنه — •

سابقته :

هاجر هو وابوه عدي الى الحبشة ومات أبوه بها •

ولايته وعزله :

ولاه عمر ميسان — بين البصرة وواسط — ثم عزله فنزل البصرة
فلم يزل بها يغزو مع المسلمين حتى مات • وهكذا كانوا — رضي الله
عنهم — لا يؤثر عليهم العزل فهم يعملون للاسلام في سبيل الله في
أيام العزل مثل أيام الولاية •

خاصتان له :

الاولى : انه هو أول وارث في الاسلام وأبوه الذي مات في الحبشة
أول مورث • والثانية : انه هو الوحيد من بني عدي الذي ولاه عمر
ولم يول عمر رجلا من قومه سواه قطعاً لكل قالة سوء وبعداً عن
« المحسوية » ومحاباة الاقربين •

ادب وقبوة :

لما ولاه عمر ميسان أراد زوجته على الخروج معه فأبت عليه

فكتب إليها هذه الأبيات ليثير غيرتها فيحملها على اللحوق به :

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسَنَاءَ أَنْ حَلِيلَهَا
بِمَيْسَانَ يُسْقِي فِي زُجَاجٍ وَحَتَمٍ (١)
إِذَا شِئْتُ غَسْتِنِي دَهَاقِينَ (٢) قَرِيَّةٍ
وَصَنَاجَةٍ (٣) تَجْدُو (٤) عَلَيَّ كُلِّ مَسْمٍ (٥)
فَإِنْ كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي
وَأَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَلَمِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ
تَنَادِمْنَا فِي الْجَوْسِقِ (٦) الْمُتَهَدِّمِ

فلما بلغ ذلك عمر كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم « حم
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذُّنُوبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » ، أما بعد فقد بلغني قولك : لعل أمير المؤمنين
البيت ، وإيم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك .

فلما قدم على عمر وسأله قال والله ما كان من ذلك شيء ، وما كان

(١) جرار خضر .

(٢) النجار ورؤساء الاقليم .

(٣) مغنية تضرب بالصنج وهو قرصان من نحاس تضرب احدهما
بالاخرى .

(٤) تقعى على اطراف اصابعها منتصبه القدمين .

(٥) اصله احد ظفري البعير .

(٦) القصر .

إلا فصل من شعر وجدته ، وما شربتها قط ، فقال عمر : أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً .

برأ نعمان نفسه فصدقه عمر ولم يذكر له شأنه مع زوجته تكراً وكانوا على مكاتتهم في الدين يتوسعون في الأدب ويقرضون الشعر على حكم الخيال والفن ، ولم ينكر عليه عمر ذلك ، وإنما كره أن يكون من أميره ما يكون من سائر الناس وللإمارة هيبتها اللازمة للظبط والتنفيذ ، أو أن يجد من أحد ولاته سيلاً للطعن ، ولو بشبهة والولاية يجب أن تكون بعيدة عن المطاعن والشبهات فما يسوغ لعموم الناس قد لا يحتمل لبعضهم بحكم المقام والمنصب . وقد قال الله تعالى : « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ » وأمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ينزل الناس منازلهم (١) .



(١) ش : ج ٥ ، م ١٥ ، ص ٢١١ - ٢١٣
غرة جمادى الأولى ١٣٥٨ هـ - جوان ١٩٣٩ م .

التعريف بكتاب العواصم من القواصم

للامام ابن العربي

إن العالم لا يكون إماماً في الإسلام حتى يكون إماماً في فقه العربية ، إماماً في فقه القرآن ، إماماً في فقه السنة ، إذ بدون هذه لا يفقه الإسلام ، فتلك لغته التي بها أنزل ، وذلك كتابه الذي عليه يعول ، وتلك^(١) بيانه ممن به أرسل . وإن العلماء الذين بلغوا هذه الذروة في الثلاثة في كل عصر ومصر قليلون وفي درجات هاته المنزلة متفاوتون .

إذا نظرنا في آثار ابن العربي التي تركها لنا في كتاب احكام القرآن وقد نشر . وكتاب المسالك على موطأ مالك ومنه نسخة خطية في المكتبة العمومية بالعاصمة ، وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس ومنه نسخة عتيقة أندلسية في خزانةنا - وسنشرها ان شاء الله ، وعارضة الاحوذى على جامع الترمذي^(٢) وكتاب العواصم من القواصم الذي بين أيدينا - اذا نظرنا في هذه الآثار علمنا ان هذا الامام ممن بلغوا تلك الذروة وانه جمع الى الامامة في تلك الأصول الامامة في الأصلين ، وفي الفقه ، وفي علوم الحديث ، والتبجر في سائر العلوم الاسلامية المعروفة في عصره ومصره الراقيين المزهدين والبصر بأقوال الفرق الاسلامية بذلك العهد ، والخبرة بأحوال الناس والزمان . وانه كان في استقلاله العلمي كما قال عن نفسه في هذا الكتاب : « هل

(١) يقصد بذلك السنة .

(٢) طبع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ .

أنا إلا ناظر من النظار أدين بالاختيار وأتصرف في الأصول بمقتضى
الدليل » .

قد كتب هذا الامام في علوم الاسلام الكتب الممتعة الواسعة وسار
فيها كلها على خطة البحث والتحقيق والنظر والاستدلال بعلم صحيح
وفكر ثاقب وعارضة واسعة وعبارة راقية في البلاغة وأسلوب حلو
جذاب في التعبير .

وهذا كتاب (العواصم من القواصم) من آخر ما ألف قد سار
فيه على تلك الخطة ، وجمع فيه على صغر حجمه بين سائر كتبه العلمية
فوائد جمة وعلومًا كثيرة ، فتعرض فيه لآراء في العلم باطله ، وعقائد
في الدين ضالة ، وسماها قواصم ، وأعقبها بالآراء الصحيحة والعقائد
الحقة مؤيدة بأدلتها النقلية ، وبراهينها العقلية المزيفة لتلك الآراء
والمبطله لتلك العقائد وسماها عواصم ، فانتظم ذلك مناظرة الفلاسفة
السفسطائيين والطبايعيين والإلاهيين ، ومناظرة الباطنية والحلولية ،
وأرباب الاشارات من غلاة الصوفية وظاهرية العقائد ، وظاهرية
الاحكام ، وغلاة الشيعة والفرقة المتعصبة للاشخاص باسم الاسلام
واستتبع ذلك ذكر ما وقع في الصدر الاول من الفتن ، والكلام
على الخلافة والامامة وبيان فضل الصحابة واندرج في أثناء ذلك كله
تحقيقات تاريخية ومباحث حديثة وتفسيرية ولفوية ونصائح علمية
وارشادات تذكيرية كلها في افادة وايجاز حتى لا تخلو صفحة من
صفحات الكتاب مما تشد عليه يد الضنين .

سالكا في سبيل الاحتجاج لعقائد الاسلام ، وابطال العقائد
المحدثة عليه من المنتمين اليه السبيل الأقوم الأرشد ، سبيل الاستدلال
بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي هي أدلة تقليدية في نصوصها
عقلية برهانية في مدلولها ، وهذه الطريقة التي أرادها بقوله في هذا

الكتاب (وهكذا هي حقيقة الملة من أراد أن يدخل فيها داخلة رد عنها إليها بأدلتها) وهي طريقة القرآن الذي اتضح به كمال الشريعة في عقائدها وأدلتها •

وإذ لم يكن بد من الخطأ لغير المعصوم فليس تفاضل الناس في السلامة منه، وإنما تفاضلهم في قلته وكثرة الصواب التي تغمره • وللإمام ابن العربي في كتابه هذا مما ذكرناه في وصفه من كمال ما يذهب بما قد يكون فيه من بعض خطأ يسير لا يسلم منه بشر ، وحسب كتابه هذا أن يكون مورداً معيناً لطلاب العقائد الإسلامية الحقبة بأدلتها القاطعة ، وأصول الإسلام الخالية مما أحدثه المحدثون من خراب وتدجيل ، وأن يكون نموذجاً راقياً في التحقيق في البحث والتعمق في النظر والاستقلال في الفكر والرجوع الى الدليل والاعتضاد بانظار الأئمة الكبار • وأن يكون صفحة تاريخ صادق لما كانت عليه الحالة الفكرية للمسلمين بالشرق والغرب في عصر المؤلف وهو القرن الخامس الهجري ، وكفى بهذا كله باعثاً لنا على طبعه ونشره وتعميم فائدته •

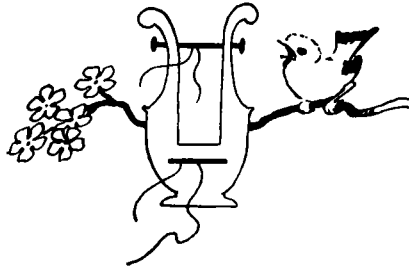
أول سماعي بهذا الكتاب وفضله كان من العلامة الكبير أستاذنا الشيخ محمد النخلي أحد أساطين جامع الزيتونة المعمور ، والنهضة الفكرية بتونس ، فاستعرت نسخة من خزانة الجامع وكانت هي النسخة الوحيدة للكتاب بها •

كتبت هذه النسخة بخط أندلسي قديم في القالب الربيعي وكتب في آخرها : (تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة) •

كانت هذه النسخة في خزانة الجامع كالكنز الدفين ، يمنع من الاستفادة التامة منها صعوبة خطها وتخليط أوراقها وأظن ان المسفر لما جمع أوراقها عند التفسير جمع كما اتفق ففككت سفرها وبذلت

الجهد في ترتيبها حتى كملت كما هي بدون أن تنقص منها ورقة ثم بعد سنوات عازمت على نشرها فاستعرت النسخة من خزانة الجامع المذكور واستنسخت منها بنفسي نسخة قدمتها للطبع بالمطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة وأبقيت النسخة الأصلية لأراجعتها عند التصحيح وقد بذلت الجهد في النقل والتصحيح رغم صعوبة الخط ومواضع المحو والتخريج ثم راجعت الجزأين بعد تمام طبعهما فألحقت بكل واحد منهما^(١) جدول الخطأ والصواب واذا بقيت بقايا قليلة فانها لا تخفى على اللبيب .

والله أسأل قبول العمل وغفران الزلل ونفع المستفيدين انه جواد كريم رؤوف رحيم .



(١) في الاصل : منها .

ترجمة الامام ابن العربي

بقلم الناشر

معتمدا على مافي الديباج لابن فرحون ونفع الطيب للمقري

نسبه وأوليته :

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن العربي المعافري الاشبيلي الاندلسي .
عرفنا من أوليته أباه، فقد كان فيها من فقهاء بلدة اشبيلية ، ذا مكانة ورياسة وحظوة عند ملوكها بني عباد . قال عنه صاحب المطمح : (كان
باشبيلية بدرأ في فلکها ، وصدرآ في مجلس ملكها . واصطفاه معتمد بني عباد ، اصطفاه المأمون لابن أبي ذؤاد ، وولاه الولايات الشريفة .
وبوأه المراتب المنيفة ، فلما أقفرت حمص من ملكهم وختت ، وألقتهم منها وتحلت رحل به الى المشرق ، وحل فيه محل الخائف الفرق ، فجال في أكنافه ، وأجال قداح الرجاء في استقبال العز واستكنافه ، فلم يسترد ذاهبا ، ولم يجد كمعتمده بأذلا له وواها ، ففاه الى الرواية والسماع ، وما استفاد من آمال تلك الاطماع .

وقال عنه ابن فرحون : (سمع ببلده من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج ، وبقرطبة من أبي عبد الله محمد بن عتاب وأبي مروان بن سراج ، وحصلت له عند العبادية أصحاب اشبيلية رئاسة ومكانة ، فلما انقضت دولتهم خرج الى الحج مع ابنه القاضي أبي بكر يوم الاحد مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين واربعمائة) .
وبعد ما مكث بالمشرق بضع عشرة سنة توفي بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين .

نشأته :

نشأ أبو بكر في كنف أبيه - وقد عرفت من هو - فأرضعه أخلاف الأدب وأحضره مجالس العلم فتأدب وقرأ القراءات وسمع من أبيه وخاله أبي القاسم الحسن الهوزني ، واستكمل العلم وحصل أسباب الامامة بعد رحلته الى المشرق مع أبيه .

وقال هو عن نفسه : حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق .

رحلته :

رحل مع أبيه في التاريخ المذكور وسنه اذ ذاك سبعة عشر عاما ، وقال صاحب المطمح عن سنه وحاله أيام الغربة مع أبيه : « وأبو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب مادوح ، وفي روض الشباب زهر ماصووح ، فألزمه مجالس العلم رائحاً وغادياً ، ولازمه سائفاً اليها وحادياً ، حتى استقرت به مجالسه . واطردت له مقاييسه فجد في طلبه ، واستجد به أبوه متمزق اربه ، وبقي أبو بكر متفرداً ، وللطلب متجرداً ، حتى أصبح في العلم وحيداً ، ولم تجد عنه الرئاسة مجيداً » .

دخل الشام والعراق وبغداد وحج سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر عن بغداد وأقام بالاسكندرية ثم انصرف منها الى الاندلس سنة خمس وتسعين بعد عامين من وفاة أبيه فقدم بلده اشبيلية . وقال صاحب المطمح عن قفوله الى وطنه : « فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ، ولانبائه متسعة فناهيك من حظوة لقي ، ومن عزة سقي ، ومن رفعة سما اليها ورقى ، وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن أنس اثبتها فيها وخلدها » .

وإذا كان رحل سنة خمس وثمانين وسنه سبعة عشر عاما ورجع سنة خمس وتسعين فقد قضى في الغربة عشرة أعوام وقفل الى وطنه اماماً عظيماً وسنه سبعة وعشرون عاما •

اشيائه :

سمع بالاندلس أباه وخاله وأبا عبد الله السرقسطي وبيجاية أبا عبد الله النكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وبالاسكندرية من الانماطي وبمصر من ابي الحسن الخلعي ولقي بها أبا الحسن بن مشرف ومهديا الوراق وأبا الحسن بن داوود الفارسي • ولقي بالشام أبا نصر المقدسي وأبا سعد الزنجاني وأبا سعيد الرهاوي وأبا القاسم ابن أبي الحسن القادسي والاكفاني وابن الفرات الدمشقي • وسمع ببغداد من ابي الحسن الصيرفي والبزاز وابن طرخان ومن النقيب أبي الفوارس الزينبي وجعفر بن احمد السراج زكريا التبريزي ببغداد أيضا الثاشي والامام أبا بكر واما حامد الطوسي الغزالي والامام أبا بكر الطرطوشي •

تلامذته :

أشهر من أخذ عنه القاضي عياض والامام السهيلي صاحب الروض الانف والحافظ ابن بشكوال في كثيرين غيرهم •

منزلته في العلم والفضل :

ونريد أن نتعرفها ممن ترجموا له من تلامذته والقريبين من عصره • قال الحافظ ابن بشكوال فيه : « الامام الحافظ ختام علماء الاندلس ، كان موصوفا بالعلم والكمال » وقال ابن سعيد : « هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب » ، وقال ابن الزبير : « قيد الحديث وضبط ما روي واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام

على أئمة هذا الشأن وكان فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس» ثم قال ابن الزبير: «قال القاضي عياض بعد أن وصفه بما ذكرته: ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه» •

من يعني القاضي عياض بالناس الذين أكثروا الكلام وطعنوا في حديث ابن العربي؟ قطعاً لا يعني بهم العلماء لاننا سمعنا فيما تقدم ما وصفوه به ومنهم القاضي عياض نفسه • وانما عني بهم العامة وأشباه العامة ممن تضيق أذهانهم عن تصور ما لم تره أبصارهم من مثل ما شاهده ابن العربي في مدن الشرق ومدنيته الزاهرة في ذلك العهد، وتقصر مداركهم عما تحيط به عقول العلماء المتوسعين في العلم الراسخين فيه مثل ابن العربي «خزانة العلم وقطب المغرب» •

وهالك واقعة دالة على سعة علم ابن العربي وتحامل أهل القصور عليه حتى جاء امام عظيم فيبن صدقه وقصور أولئك المتحاملين :

قال الزرقاني في شرحه على المواهب في غزوة الفتح : وروى ابن مسدي أن أبا بكر بن العربي قال لابن جعفر بن المرخي حين ذكر أن مالكا تفرد به « حديث انس في دخول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مكة وعلى رأسه المغفر » قد روينه من ثلاثة عشر طريقا غير طريق مالك فقالوا له أفدنا الفوائد فوعدهم ولم يخرج لهم شيئا • وقال الحافظ في نكته : « استبعد أهل اشيلية قول ابن العربي حتى قال قائلهم :

يا أهل حمص ومن بها أوصيكم
فخذوا عن العربي أسمار الدجى
بالبر والتقوى وصية مشفق
ان لم يجد خيراً صحيحاً يخلق
ان الفتى ذرب اللسان مهذب

وأراد بأهل حمص أهل اشيلية» قال الحافظ : « وقد تتبعته طرقه

فوجدته كما قال ابن العربي بل أزيد « فعد ستة عشر نفساً غير مالك روه عن الزهري وعزاها لمخرجها قال : « ولم ينفرد الزهري به بل تابعه يزيد الرقاشي عن أنس . أخرجه ابو الحسن الموصلي في فوائده وام ينفرد به أنس بل تابعه سعد بن أبي وقاص وابو برزة الاسلمي في سنن الدارقطني وعلي بن ابي طالب في المشيخة الكبرى لابي محمد الجوهري وسعيد بن يربوع والسائب بن يزيد في مستدرک الحاكم » قال : « فهذه طرق كثيرة غير طريق مالك عن الزهري عن أنس ، فكيف يحل لاحد أن يتهم اماماً من أئمة المسلمين بغير علم ولا اطلاع » انتهى .
 لله در ابن العربي لما وعدهم ولم يخرج لهم شيئاً ، لقد ضن بعلمه على المعاندين ولم يعدم حقه من ينصره ولو كان ذلك بعد قرون ، وجزى الله الحافظ ابن حجر عن العلم وأئمة خير جزاء .

ولنعد الى نقل كلام مترجميه فيه ، قال ابن فرحون : « وقدم بلده اشبيلية بعلم كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة الى المشرق ، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها نافذاً في جميعها حريصاً على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها . ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود » .

ولايته للقضاء :

ولي قضاء قضاة كورة بلده اشبيلية فقام فيه بالعدل والقوة ولحقه من جراء ذلك بلاء ومحنة أبقت ثناء وذكره ثم صرف عنه .
 قال ابن الزبير : « وولي القضاء مدة أولها سنة ثمان » نعله بعد الاربعمائة^(١) فنفع الله به لصرامته ونفوذ احكامه ، والتزام الامر

(١) الصواب انه ولي القضاء سنة ٥٠٨ هـ لان سفره الى الشرق كان سنة ٤٨٥ هـ .

آثار ابن باديس

بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوزي في ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه » •

وقال القاضي عياض : « واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتوثر عنه في قضائه احكام غريبة » •

وقال المقرئ في نفع الطيب : « وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدّة على الظالمين والرفق بالمساكين ، وقد روي عنه انه أمر بثقب اشداق زامر » ولعل هذا من الاحكام الغريبة التي أشار اليها القاضي عياض •

محتته :

قد عرفنا مما تقدم ان ابن العربي أصابته محنة في قضائه بسبب شدته في الحق وصرامته في الاحكام • وقد ذكر هو هذه المحنة في كتاب العواصم وانها كانت بسبب الزامه الناس للصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وقال المقرئ : « وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشيلية الى بيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضرها كارهين • ثم اجتمعت العامة العمياء وثارَت عليه ونهبوا داره » ولا منافاة بين هذا وما قبله فان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان متكررا وعند هذه الواقعة — والامر فيها عام — قامت عليها العامة ولا شك انها لا تخلو من ايعاز من حساد ابن العربي من الخاصة • وهكذا من يريد ان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه التنفيذ ، مقدر له ان يلقي هذه وأمثالها •

تصانيفه :

كان هذا الامام من المصنفين الكثيرين المجيدين قال ابن الزبير —

ونقله عنه ابن فرحون - : « وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة مفيدة . منها احكام القرآن كتاب حسن (مطبوع بمصر) وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك (منه نسخة في مكتبة الجزائر بها نقص وعندنا منه جزء فيه ما يكمل ذلك النقص) وكتاب القبس (سنمثلة للطبع ان شاء الله) وعارضة الاحوذى على كتاب الترمذي (منه نسخة بجامع الزيتونة)^(١) والعواصم من القواصم ، والمحصل في أصول الفقه ، وسراج المريدين ، وسراج المهتدين ، وكتاب المتوسط ، وكتاب المتكلمين (كذا في ابن فرحون وراه المشكلين مشكل الكتاب والسنة) وله تأليف في حديث أم زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز وله غير ذلك من التأليف . وقال في كتاب القبس انه ألف كتابه المسمى أنوار الفجر في تفسير القرآن في عشرين سنة ثمانين ألف ورقة وتفرقت بأيدي الناس (قلت) : - ابن فرحون - واخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالاسكندرية في سنة ستين وسبعمئة قال رأيت تأليف القاضي ابي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل امير المسلمين ابن عنان فارس ابن السلطان امير المسلمين أبي الحسن علي ابن السلطان امير المسلمين ابن سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق .

وكان السلطان اذ ذلك بمدينة مراكش ، وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الاسفار وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت أسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء . قال ابو الربيع : « وهذا المخبر يعني يوسف ثقة صدوق رجل صالح كان يأكل من كده » وذكر المقري من تصانيفه : كتاب مراقبي الزلف وكتاب الخلافات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب

(١) مطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ .

النيرين في الصحيحين وكتاب الأمد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب في الكلام على مشكل حديث السبجات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهيل ورسالة الكافر في ان لا دليل على النافر ، وكتاب السبايعات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط في معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصار^(١) في مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب ستر العورة وكتاب أعيان الأعيان وكتاب ملجاة المتفقيين الى غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف .

مولده ووفاته :

ولد ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين واربعمائة . وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة (عاصمة مراكش) بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فأدرسته منيته فحمل ميتا الى مدينة فاس فدفن بتربة القائد مظفر خارج باب المحروق وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجاج ، وكانت وفاته في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسائة رحمه الله ونعمه (٢) .

(١) كذا في الاصل والصواب الانصاف .

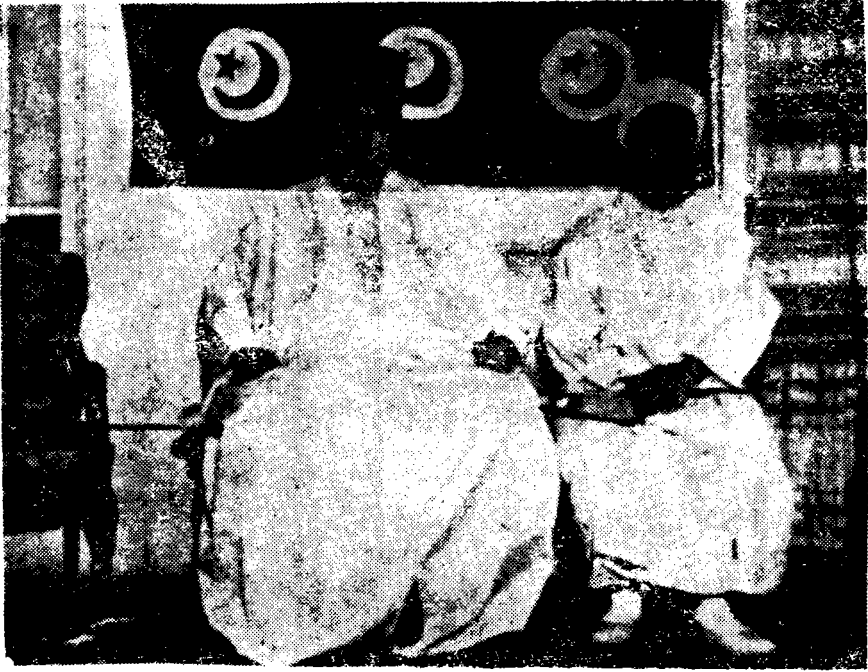
(٢) من كتاب العواصم من القواصم لابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رحمه الله تعالى ، ج ٢ من ١ الى ع . وهي المقدمة التي وضعها ابن باديس رحمه الله لهذا الكتاب واقتضاه الامر أن يجعلها في ذيل الجزء الثاني من الكتاب المذكور .

عبد العزيز الثعالبي

هكذا اذكره دون لقب او صفة فان هذا الاسم لم يبق علما على ذات مشخصه تحتاج الى صفاتها وألقابها ، بل صار في أذهان الناس علما على الرجولة والبطولة والزعامة ، وعلى التفكير والعمل والتضحية وعلى الاسلام والشرق والعروبة وعلى وحدة افريقيا . فاذا قلت عبد العزيز الثعالبي فقد قلت هذا كله . اسرة الثعالبي جزائرية، وهو مولود بالجزائر وجده ممن شاهد بعضا من معارك الجزائر في رد الحملة الفرنسية وأصيب برصاص العدو ، وبقيت آثاره في صدره، فكان يكشف عن ذلك الصدر لعبد العزيز في صغره ويذكر له الجزائر والاستيلاء عليها وهجرته هو وغيره من الجزائريين من ذلك الاستيلاء .

نشأ الثعالبي تونسيا ودرج للعلم زيتونيا وتعدت به عبقرته دائرة الكتب الزيتونية الدراسية الضيقة فأخذ يتناول كل ما تصل اليه يده من خزانة الجامع ومكتبة العبدلية وكانت مبادئه بضع سنوات عدة . وكان ذهنه الحاد وحافظته القوية ورغبته الملحة مواهب اكسبته مما درس وقرأ نبوغا في الفهم والخطابة والكتابة : فبرز من جامع الزيتونة نابغة عبقريا غريبا شادا بين أهل عصره شأن كل نابغة عبقرية .

لقي عبد العزيز من الجامدين والمستبدين - وما زال على الدهر متوالين - ما يلقاه مثله فعوكس وأوذى وسجن ولكنه لم يتزحزح قيد شعرة عما حبس نفسه عليه من اصلاح المجتمع من جميع نواحيه . رحل الثعالبي للازهر وحضر دروس البشري ، وعاد الى تونس وقد فتحت له الرحلة عالما آخرأ وابتدأ تكونه العالمي بعد الاقليمي ورحل الى



الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ عبد العزيز الثعالبي

الجزائر والمغرب فتم تكونه الافريقي • اعطى الثعالبي تونس حقها ووضع لها كل اسس نهضتها ثم فارقها في رحلته الاخيرة ليعطي حق الشرق والعروبة والاسلام فكان نظام العقد وعنوان الوحدة وروح الاتصال والعلم الافريقي الخفاق الذي لفت انظار الشرق الى الشمال الافريقي والى تونس عروس ذلك الشمال • وكان الثعالبي في الشرق من جهة اخرى برهانا ساطعا ودليلا منتقلا على ظلم الاستعمار واستبداده، وما يلاقه الافارقة من كيد وبلائه ، ويكذب كل ما يتظاهر به هنالك حيث لم ترسخ قدمه ولم يتم سلطانه • شعرت فرانساً - اخيراً - بعظيم ضرر ذلك على سياستها في الشرق العربي والاسلامي فأذنت للثعالبي في العودة لوطنه •

فلاستعمار هو انفى الثعالبي لمصلحته هنا والاستعمار هو رد
الثعالبي لمصلحته هنالك • وأبى الله الا أن يستفيد الشرق والعروبة
والاسلام من الثعالبي هناك ويستفيد الشرق والعروبة والاسلام من
الثعالبي هنا • فاعتبروا يا أولي الابصار !

عاد الثعالبي فاهتزت فرحا افريقيا الشمالية كلها وتونس وطنه
والجزائر مسقط رأسه ووطن اسلافه ورأت جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين في قدومه اعتزاز الاصلاح الاجتماعي الاسلامي من ناحية
الفكر والعلم والاخلاق والسلوك في الحياة - وهذا ما تعمل له
الجمعية - فأبرقت تهنئه وتهنيء الأمة التونسية الشقيقة به ، ثم رأت
ان تعرب عن سرورها بقدومه واعجابها بمواهبه وتعظيمها لجانبه بذهاب
رئيسها لتحيته وتهنئه بقدومه وابلاغه كل ما تحمله الجمعية والجزائر
العربية المسلمة من الحب والاحترام والتعظيم لشخصه •

ذهبت يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى الى تونس وزرت الثعالبي
في داره وبلغته عن الجمعية رسالتها فقابلها بالشكر والثناء وتلقاها
بالفرح والسرور وأي سرور هو ؟ سرور من وقف نفسه على الاصلاح
وفارق الشمال الافريقي ولا دعوة للاصلاح فيه ، ثم جاءه بعد مدة من
الدهر فوجد للاصلاح جندا قويا وقيادة منظمة وصوتا عاليا وكلمة
نافذة وتقديرا لامثاله من الرجال المصلحين •

انتهت بهذه المقابلة مهمتي كرئيس للجمعية وموفد من طرفها •
وكانت بعد ذلك المجالس والاجتماعات والحفلات والزيارات في دار
الشيخ وغيرها مع الشيخ ودونه - كانت وكنت فيها كجندي بسيط
من جنود العروبة والاسلام • فما شئت من أنس ، ونعيم نفس ، وكل
ما يغذي الروح ويحيي الوجدان ويرضي العروبة والاسلام •

وَحَدِيثٍ أَلَذَّهُ هُوَ مِمَّا
تَمْتَتِيهِ الشَّفُوسُ يُوَزَنُ وَزَنَانَا
مَنْطِقُ "صَائِبٍ" وَتَلْحَنُ أَحْيَا
نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا (١)

عبد الحميد بن باديس



(١) ش: ج ٧ م ١٣ ، ص ٣١٦ - ٣١٨
رجب ١٣٥٦ هـ - سبتمبر ١٩٣٧ م

ابناء المغرب العربي

في الشرق العربي

حيثما توجهنا الى ناحية من نواحي التاريخ وجدنا هذا المغرب العربي - طرابلس ، تونس ، الجزائر ، مراكش - يرتبط بروابط متينة روحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان . ولسنا نريد هنا ان نتحدث عن التاريخ القديم وانما نريد ان نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجاري .

مضت حقبة من الدهر كاد فيها الشرق العربي ان ينسى هذا المغرب العربي والى عهد قريب كانت صحافة الشرق - غالبا - لا تذكره الا كما تذكر قطعة من اواسط افريقية ومجاهلها ، بل في هذه الايام يعمط حقه ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها ك « ضحى الاسلام » وغيره . ولكن هذا المغرب العربي - رغم التجاهل والتناسي من اخوانه المشاركة - كان يبعث من ابناؤه من رجال السيف والقلم من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر اخوانه المشاركة الى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعلم والرجولة ، ومعامل للعروبة والاسلام ، ناهيك بالامير عبد القادر المجاهد الجزائري وابناؤه الذين شاركوا في مشائق جمال وثورة الغوطة وبحفيده الامير خالد زعيم الجزائر الذي مات بمنفاه بالشام - وبسليمان باشا الباروني الطرابلسي والشيخ السنوسي الطرابلسي الجزائري الاصل وبالشيخ طاهر الجزائري الاصل وبالشيخ عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس الجزائري الاصل والشيخ الخضر حسين التونسي الجزائري الاصل



الشيخ ابراهيم اطفيش



الاستاذ الهلالي



الشيخ الخضر بن الحسين

والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي وغيرهم . فقد كان هؤلاء السادة الاعلام كما يرفعون اسم المغرب العربي في الشرق العربي يمثلون وحدة هذا المغرب ، وقد دعانا الى تحرير هذا والتنعم به ما رأيناه في عدد (الفتح) الممتاز من ذكر ورسم لبعض هؤلاء السادة الذين ذكرنا . فقد اصدر الاخ المجاهد الاستاذ محب الدين الخطيب عددا ممتازا من مجلته الراقية بمناسبة دخولها في السنة الثانية عشرة من سني جهادها وذكر عددا من الذين شاركوه في الجهاد او كان منهم تأييد له فيه ونشر رسومهم فكان من جملتهم خمسة يمثلون المغرب العربي هم الشيخ طاهر الجزائري وسليمان باشا الباروني الطرابلسي والشيخ الخضر بن الحسين التونسي والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي . والشيخ ابراهيم اطفيش الجزائري . ونحن نحلي جيد هذا الجزء برسومهم ونشر ما كتبه الاخ الاستاذ محب الدين عنهم فيما يلي :



السيد سليمان باشا الباروني



الشيخ طاهر الجزائري

شيشي

هو الذي ربي عقلي ، وهو الذي حبب الي هذا الاتجاه الفكري منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام الا وقد كانت له صلة بهذا المربي الاعظم واستفادة من عقله وسعة فضله اما مباشرة او بواسطة الذين استفادوا منه . وكل الذين جاهدوا هناك لاجل الحرية ، وفي سبيل المعارف ، ولاحياء علوم السلف ، ولاعادة مجد العروبة والاسلام ، انما كانوا من اخوانه وهو واسطة عقدهم ورأس مجالسهم او من طبقة تلاميذه ، وهو قدوتهم ومطمح أنظارهم أو من الذين أخذوا عن تلاميذه وهو مضرب المثل عندهم في كمال العقل وسعة الاطلاع التي لا حد لها ، وبالاجمال هو جرثومة الخير الاولى من ايام ولاية مدحت باشا على سوريا الى ان هاجر الرجل العظيم الى مصر حوالي سنة ١٣٢٥ هـ فكان موضع حرمة كل من يعرف الفضل من اهلها كتيهور باشا واحمد بك الحسيني واحمد زكي باشا والشيوخ علي يوسف وامثالهم وأهم كتب السلف النافعة التي نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه . وانا وكل ما نشرته لسنا الاقطرة من بحر الخير الذي كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل الذي كانت الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة ، وليس له فيها من امنية الا ان يرى عز الاسلام يعود كما كان في ايام القوة والعدل والعلم وتقوى الله عز وجل . اني لأرمي نفسي بالعقوق وانكار الجميل كلما فكرت في ابطائي حتى الآن عن القيام بحقه علي للتاريخ ولكن اذا عظم المطلوب خارت القوة دونه ، وحياة الشيخ طاهر الجزائري حياة دور من ادوار الاصلاح بل هي تاريخ الامة في حقبة

من حياتها • ولا بد ان اقوم بهذا الواجب في يوم من الأيام • رحمة
الله عليه ومغفرته ورضاه •

السيد محمد الخضر حسين

العلامة الجليل الاستاذ السيد محمد الخضر حسين في مقدمة
الافاضل الذين امدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم من سنتها الاولى الى
الآن ، فما هوجم الاسلام في وقعة الا وكان للاستاذ حفظه الله دفاع
امتن من الفولاذ ، وأرسخ من الجبال الراسيات •

والسيد حفظه الله محبوب من كل محب للاسلام ، معروف فضله
لكل من اتصل به من ابناء المشرق والمغرب ، وقد تعود من صدر حياته
ان يحمل دنياه على آخرته ، وأن يضحي بالاولى في سبيل الاخرى
اذا تعارضا •

نرجو الله ان يمد في حياته ، وان يزيده قوة على الخير •

جانب عامر من جوانب القيادة

نحن نشكر دائما ضعف القيادة في العالم الاسلامي وللضعف مظاهر
واعراض ذات ألوان مختلفة وكلما وجدنا جانبا من جوانب القيادة عامرا
بالاستقامة والصلابة والاخلاص كان حقا علينا ان نحمده ونعلن
اغتباطنا به • وصاحب السعادة سليمان باشا الباروني من اعيان هذه
الامة الذين تحلوا بمزية الاستقامة والاخلاص الى ابعد حد • عرفنا
ذلك فيه منذ كان نائبا عن طرابلس الغرب في مجلس المبعوثان العثماني
ثم ازددنا بذلك علما عند ما رأينا جهاده المجيد في سبيل الله والوطن
بعد حادث الاختطاف الذي كان من ايطاليا لطرابلس الغرب وبرقة ،
وقد نشرنا في العدد ٥٢٥ من (الفتح) صورة شمسية لوثيقة صادرة

من دائرة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسن تثبت اصرار سليمان باشا الباروني على اعادة ستة آلاف جنيه قدمت اليه من الاعانات الطرابلسية فردها وقال : « ان الاعانات للمجاهدين والآن لاجهاد » مثل هذه المنقبة الممتازة يحملنا على تزيين هذا العدد الممتاز بصورة القائد المجاهد سليمان باشا الباروني ، معتبين بما نشرناه له في العدد ٥٣٢ من كلمات الرضا عن الفتح وخطته .

مد الله في حياته وأدام المحبة بين المسلمين .

صديقنا

هبط صديقنا الاستاذ العلامة الشيخ ابراهيم اطفيش وادي النيل مهاجراً اليه من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتح ، واكتسبنا صداقته من السنة الاولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطناً ثانياً له ، فكنا نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير ، فما قامت لخير الاسلام جماعة من ذلك الحين ، ولا أرسل المنادون الى الفلاح صوتهم في أمر ، الا كان الاستاذ ابو اسحاق الشيخ ابراهيم اطفيش في مقدمة المعينين على ذلك . ومقالاته المتعددة في هذه الصحيفة وفي اختها الزهراء شاهد على فضله ، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين . جزاه الله خيراً .

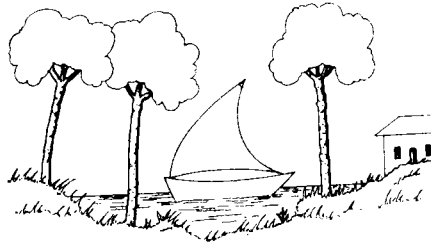
الاستاذ الهلالي

الفاضل فاضل حيثما كان ، كما ان الشمس شمس شرقت أم غربت . والاستاذ العلامة السيد محمد تقي الدين الهلالي - صاحب الفصول المتنوعة والبحوث الجليلة في صحيفة الفتح - من أفاضلنا الذين أجمع على الاعتراف بفضلهم الشرق والغرب ، والعرب والعجم ،

آثار ابن باديس

والمسلمون وغير المسلمين ، فهو في الحجاز نار على علم شهرة وفضلا ،
وفي الهند تبوأ منصة التدريس في أرقى جامعاتها وفي العراق معروف
بدؤوبه على خدمة هذه الأمة وحرصه على خيرها ، وهو الآن في ألمانيا
موضع العرمة من أركان جامعة بن التي يتولى التدريس فيها .

فالاستاذ الهلالي رجل عالمي واسع النظر واقف على أحوال الشرق
والغرب ، لذلك كان ما يقرره في بحوثه من حقائق يأتي ناضجاً مفيداً
ممتعاً ، ومن حسن الحظ ان قراءنا يقدرون رجالهم كما تقدرهم وكل
ما يكتبه الاستاذ الهلالي واضرا به في الفتح يأتي بالفائدة المرجوة منه
والحمد لله (١) .



(١) ش: ج ٥ ، م ١٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ - جويلية ١٩٣٧ م .

فانقص القصص لعلمهم يتفكرون

الشيخ طاهر الجزائري

هذا الاستاذ العظيم من أبناء الجزائر الكثيرين الذين ظهر نبوغهم في غير وطنهم فدلوا على ان الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء اذا واتتها الظروف .

ألقى الاستاذ محمد كرد علي وزير المعارف بسورية محاضرة عن حياة هذا الاستاذ الكبير ونشرتها مجلة المجمع العلمي العربي فرأينا نقلها لقراء « الشهاب » لما فيها من فوائد علمية وعبر تاريخية للمتأملين^(١) .

- ١ -

أصله ونشأته :

هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر الى دمشق في سنة ١٢٦٣ هـ وكان من بيت علم وشرف معروف في بلاده ، ولما جاء دمشق تولى قضاء المالكية وولد له ولد في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٨ هـ دعاه « الطاهر » . قال والده في حاشية المجموع الفقهي للعلامة الامير المالكي « طهره الله من رجس دنياه ودينه وبارك في عمره ورزقه العلم والعمل به » واستجيب دعاء والده فنشأ ابنه طاهر على حب الفضائل والتناغي بالعلم والعمل .

(١) فضلنا كتابة هذه الترجمة لان الشيخ ابن باديس نشرها وعلق عليها.

دخل الشيخ طاهر المدرسة الحقماقية الاستعدادية فتخرج باستاذة الشيخ عبد الرحمن البوشناقى ، وكان مريبا شديد الشكيمة ، وتعلم العربية والفارسية والتركية ومبادئ العلوم ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبد الغنى الميدانى الغنىمى الفقيه الاصولى النظار . وكان واسع المادة فى العلوم الاسلامية بعيد النظر واسع العقل وهو الذى حال بارشاده فى حادثة سنة ١٨٦٠ م بدمشق دون تعدي فتیان المسلمين على جيرانهم المسيحيين فى محلته فأقذ بجميل وعظه وحسن تأثيره بضعة الوف من القتل فى تلك المذابح المشؤومة . وكان الشيخ الميدانى على جانب عظيم من التقوى والورع الحقيقى ، يمثل صورة من صور السلف الصالح فطبع الشيخ طاهر بطابعه وأنشأه على أصح المبادئ العلمية الدينية . وكانت دروسه دروساً صافية المشارب يرمى فيها الى الرجوع بالشريعة الى اصولها والأخذ من آدابها بلبابها ، ومحاربة الخرافات التى استمرأتها طبقات المتأخرين وانقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين . واذا جمع الشيخ طاهر الى سلامة الفطرة وسلامة البيئة جودة النظر وبعد الهمة جاء منه بالدرس والبحث عالم مصلح وفيلسوف إلهي أشبه الأوائل بهديه ، وتمثل بالأواخر فى نظره ووفرة مادته .

ولم يغفل الاستاذ خلال سنى الدراسة عن درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية ، أخذها عن علماء من الترك وغيرهم . فكان إذا رأى أعلم منه بفن أخذ عنه فنه وأفاده فيما لا يحسنه من فنون العلم . ومن مثل لعينيه كيف كان محيطه محيطاً أوائل النصف الاخير من القرن الماضى أيام كان يتهم بالمروق كل من تعاطى علماً لا يعرفه المتفقه يدرك ما عاناه الاستاذ لتلقف هذه العلوم المادية . ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتى غدا يتقن العربية والفارسية والتركية وينظم بالفارسية كالعربية وكان نظمته بالعربية أرقى من شعر الفقهاء ودون شعر نبغاء الشعراء . وألف السجع لأول أمره ثم تخلى عنه

وأصبح يكتب مترسلا بلا كلفة ولا تعمل ، وتعلم الفرنسية والسريانية والعبرانية والحشبية والقبائلية البربرية لغة بلاده الاصلية . ومما ساعده على فتح صدره الرحب لجماع المعارف البشرية غرامه منذ نشأته بجمع الكتب وهو لما يزل في المدرسة الابتدائية فقد أخذ يتتبع الدشوت والرسائل المخطوطة من دريهمات كان يرضخ بها له والده لخرجه . وكانت الكتب والرسائل تباع في الكلاسة شمالي الجامع الأموي على مقربة من ضريح صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكلما أحرز الشيخ شيئاً من الأوراق والأسفار طالعه بامعان وخباه وحرص عليه فاستنار عقله وكثرت معلوماته واجتمعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الأسفار قدرتها بستة آلاف مجلد فيها كثير من النوادر المخطوطة .

تولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيانها سنة ١٢٩٤ هـ دخل في عداد أعضائها وكان من أكبر العوامل فيها ثم استحالته هذه الجمعية « ديوان معارف » فعين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد المصلح الكبير مدحت باشا والي سورية سنة ١٢٩٥ هـ . وكان للشيخ الأثر العظيم في تأسيسها بمعاونة صديقه بهاء الدين بك أمين سر الولاية ، وهو أديب تركي كان يحب نهضة العرب كما يحب العلم والأدب . وفي هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاصها من غاصبيها وحمل الآباء على تعليم أولادهم ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة للمدارس ، كان يقوم بهذه الأعمال المهمة ولا يفتأ يزداد كل يوم علماً وتجربة وتفانياً في نهضة البلد وتحسين الملكات وصقل الأخلاق والعادات .

وأنشأ على ذلك المعهد أيضاً بمعاونة بضعة من أصدقائه « دار الكتب الظاهرية » بدمشق وجمع فيها سنة ١٢٩٦ هـ ما تفرق من المخطوطات

العظيمة في عشر مدارس تحت قبة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولقي ممن استحلوا أكل الكتب والأوقاف مقاومة شديدة وهددوه بالقتل ان لم يرجع عن قصده فما زادوه الا مضاء وانكماشاً ، ولا تزال هذه الدار أثراً من آثاره في الشام وقد أنشأ مثلها في القدس باسم الشيخ راغب الخالدي وسماها « المكتبة الخالدية » وأضاف إليها بعد ذلك آل الخالدي خزائنهم الخاصة .

علمه وعمله :

رأينا منهاج الدروس الواسع الذي أخذ الشيخ نفسه بدراسته منذ حداثته وانه ليندر في المتأخرين من علماء دور الانحطاط الفكري نبوغ رجل مثله وعى صدره من ضروب المعارف ما وعى وطبق مفصل الشريعة مع علوم المدنية فقد كان متضلعا من علوم الشريعة وتاريخ الملل والنحل منقطع القرين في تاريخ العرب والاسلام وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتأليفهم ومراميمهم ، ساعده على التبريز في هذا المضمار قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما يمر بها مهما طال العهد . وكان اماماً في علوم الأدب واللغة اذا سأته حل مسألة تظن الشيخ لا يعرف غير هذا العلم واذا استرشدته في الوقوف على مظان موضوع تريده أطلعك من ذلك في الحال على ما لا يتيسر لغيره الظفر به بعد الكشف عنه أياماً ، وهكذا هو في علوم الشريعة ولا سيما التفسير والحديث والاصول . وكان يعرف السياسة وما ينبغي لها وحالة الغرب واجتماعه والشرق وأمه وأمراضه معرفة لا تقل عن معارف عالم أخصائي من علماء الغرب لعهدنا ، ولا يكاد جليسه يصدق اذا انكفاً الشيخ يتكلم في هذه الموضوعات خصوصاً اذا كان غريباً ان محدثه شيخ من شيوخ المسلمين يعيش في أمة لا تقيم وزناً لهذه المعارف .

اتسع صدر الشيخ لجماع علوم المدنية الحديثة الا الموسيقى والتمثيل فلم يكن له حظ فيهما وربما قاوم سراً المشتغلين بهما مخافة أن تكون سلماً الى التبذل وخلع ثوب الحياء والوقار ، وكان لا يرى فيهما الا مدرجة اللهو والصبوة . وهذا مما لم يدخله الشيخ في جريدة أعماله ولذلك لا يفتي بالتسامح مع القائمين عليهما مهما أوردوا له من الحجج على نفعهما . وصعب أن يتخلى المرء عن جميع ما أورثه آياه أهله وأساتذته ومحيطه ، وصعب على من حلف أن يعيش عيش جد وتبتل أن يتساهل في الصغائر لئلا تؤدي الى الكبائر . أما الرسم والتصوير والنقش فكانت مما يتسامح فيه لكنه يغمزه عرضاً ، وكثيراً ما يقول ان أجيال الفرنجة في هذا العصر أفرطوا في الغرام بالتصوير والتعويل عليه في كل أمر فأضعفوا بذلك قوة التفكير والتصوير .

وسياسة الشيخ في التعليم محصورة في تلقف المسلمين اصول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الطيبة وأخلاقهم القديمة القويمة وأن يفتحوا قلوبهم لعامة علوم الأوائل والأواخر من فلسفة وطبيعي واجتماعي على اختلاف ضروبها ويقاوم المتعصين على هذه العلوم المنكرين غناءها في المجتمع مقاومة حكيم عاقل وذلك بتكثير سواد الدارسين لها وارشادهم الى طرقها العملية المنتجة لا الوقوف بها عند حد الانظار فعمم المسلمين في الشام درس علوم نرى اليوم الأخذ بحظ منها من البديهييات اللهم الا عند بعض الجامدين من المشايخ ممن جهلها ، ومن جهل شيئاً عاداه .

وكانت للشيخ طرق مبتكرة في معنى بث الأفكار التي تخالف معتقد الجمهور يبثها في العقول بدون جمعة ولا مظاهرة ويقرب منالها من المستعدين لأخذ النفس بها وذلك بتلقينهم امهات مسائلها أثناء الحديث على صورة لا ينفرون منها ولا يخطر لهم انها بالبدع المنكر . مثال ذلك انه اولع في صباه بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكانت

جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيمية تعصبا وتقليداً لمشايخهم فلم ير الشيخ لتحبيهم بابن تيمية الا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون . فكان يستنسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها في سوق الوراقين بأثمان معتدلة لتسقط في أيدي بعضهم فيطالعونها وبذلك وصل الى غرضه من نشر آراء شيخ الاسلام التي هي لباب الشريعة .

هذا وليس الشيخ في مذهبه على الحقيقة حنبلياً ولا مالكياً ولا حنفيّاً بل هو مسلم يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاص ويحسن ظنه بأئمة المذاهب المعروفة ، ويتجه لمن يجراً على النيل من أحدهم . يعمل بما صح له من الدليل في الكتاب والسنة ولطالما أعطى الحق لعلماء الشيعة أو الاباضية أو المعتزلة في مسائل تفردوا بها وضيق فيها أهل السنة . أما الفلسفة أو الحكمة القديمة والفلسفة الحديثة فكان يعطف فيها عليها وعلى المشتغلين بها وينحي باللائمة على المتأخرين الذين أوصدوا بابها فأظلمت العقول وضعف مستواها .

كان الشيخ ينكر على الظالمين سيرتهم ويقبح الظلم وان نال عدوه وينصف الناس من نفسه بعض الشيء وكان الحكم معه في بلية يعرفون انه ينزع الى القضاء على سلطتهم الغاشمة ولا يستطيعون أن يقلبوا له ظهر المجن ويظهروا العداة له . وكذلك كان المشايخ معه يبغضون أفكاره ولا يجراًون على مقاومته بسلاحه سلاح العلم والبرهان فكان كثيراً ما يقول ما لنا ولأناس ليس لهم من السلطان علينا غير سلطة ألسنتهم وكلمات ينفسون عنهم بها وهي لا تخرج الى أبعد من سقوف بيوتهم وحجرهم ، وحدث لبعض أعمارهم أن استعانوا غير مرة بالسلطة الزمنية على توقيف تيار أفكاره وأفكار أنصاره فكان الشيخ يصددهم لما له من التأثير في أهل الحل والعقد ممن كانوا يمثل لهم عقل الرجل وضعف المبغضين له وكان يحسن مخاطبتهم بلسانهم والقائمون عليه لا يحسنون محاورتهم حتى ولا بلغتهم الاصلية ،

الشيخ طاهر الجزائري

وسلاحهم دسائس يحوكونها وتعصبات ينفثونها • ولم يزل جهال الناس كما قال ابن المقفع يحدون علماءهم وجبناءهم ، شجعانهم ولثامهم كرماءهم وفجارهم ، أبرارهم وشرارهم خيارهم ، من أجل هذا كان الاستاذ يتفنن في بث أفكاره بين الخاصة والعامة على صور شتى ويتفانى في نشر العلم والتهذيب والأخذ من القديم والحديث ، وكم من عامي أصبح بتعاليمه وتلقيه بالعمل مسائل بسيطة من العلم معدوداً من المتعلمين في جلسات قليلة جلسها معه وسمع مذكراته ومن هذه الطبقة أناس ما فتىء على تنشيطهم حتى ألفوا وطبعوا ولم يكونوا قبله في العير ولا في النفير • وكم من جريدة أو مجلة أو كتاب أو رسالة نشرت في مصر والشام بارشاده وكان له اسلوب جرى عليه خصوصاً في تفتيش المدارس وهو ان يعلم المعلم ولا يشعره بأنه يعلمه بل يوهمه أنه يذكره في مسائل التربية والتعليم أو انه يحاول أن يتعلم هو منه •

وكم من أديب أو عالم أرشده الى السبيل السوي في أدبه وعلمه وعلمه المظان وأساليب المراجعة ، وكثير عدد من اشتغلوا بالآداب أو تعلموا التعليم الثانوي أو العالي في القطر الشامي ان لم يكونوا استفادوا منه مباشرة فبالواسطة ، وتلاميذه ومريدوه يعدون بالعشرات من المسلمين وأكثرهم اليوم يشغلون مقامات سامية في دور العلم والحكم وفي التجارة والزراعة • ولم يجد المترجم له عن الخطة التي اختطها لنفسه منذ نعومة أظفاره ودعا الناس الى اتناجها حتى آخر أيامه • وخطته الاخلاص والعمل على النهوض بالامة من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في أهل الاسلام ، وثورته ثورة فكرية لا مادية ويقول ان هذا الطريق يطول أمرها ولكن يؤمن فيها العثار والسلامة محققة ثابتة • بحق ما قيل في الشيخ انه معلمة (انسيكلوبيديا) سيارة وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقه حافظه قوية وذهنًا وقادًا وعقلًا

يستعمله على الدوام ، فقد قرأ جميع ما طالت يده اليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب ، أما المخطوطات التي طالعها ولخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالالوف ، وقل أن يدايه أحد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وحوادثها وأماكن وجودها ، ولظالما رحل من بلد الى بلد بعيد ليطلع على مخطوط حفظ في بعض الخزائن الخاصة ، وبالنظر لاحاطته بالمطازن وتدوينه في الحال كل ما يقع استحسانه عليه من الفوائد ، كان يسهل عليه التأليف فيما تراح اليه نفسه من الموضوعات ، وقد يؤلف الكتاب في بضعة أسابيع على شرط أن يوقن انه سيطلع .

فهو واسع الرواية واسع الدراية ، أو كما قال صديقه العلامة أحمد زكي باشا في برقية أبرقها الى الشام بالتهنئة به : « كنت أرى فيه الأثر الباقي والمثال الحي والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كل المعارف الاسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتحصيص واستثارة خباياها وابرار مفاخرها هذا الى التفاني في توسيع نطاقها بقبول ما تجدد عند الامم التي تلقت تراث العرب باليمين والدعوة الى الاقبال عليه مضموماً الى آثار الأبناء ومآثر الأجداد . وهكذا قضى الشيخ عمراً أولاً وثانياً وثالثاً في خدمة العلم والدعوة اليه بالقلم واللسان وبالقدوة الحسنة حتى تم له شيء كثير مما أراد بين الانداد والتلاميذ والمحبين والمرادين فهم مناط الأمل وفيهم خير خلف لذلك يعتبط قاسيون بضم رفاة والحنو عليها^(١) » .

(١) ش : ج ٥ ، م ٥ ، ص ٢٧ - ٢٣
غرة محرم ١٣٤٨ هـ - ماي ١٩٢٩ م .

أخلاقه وعاداته :

قلنا ان سيرة الشيخ طاهر كانت نمطاً واحداً طول حياته هكذا كان متعلماً ومعلماً وعالمًا يحب العمل ويدعو اليه قبل النظر ، جد في حركته لا يبالي بالعوائق أمامه مهما عظمت وكلما حاول أعداؤه أن يقفوا دون انبعاث دعواته يزداد قوة وعرامة شأن كل الدعوات ، وكلما حاربتنا زدتنا انتشاراً ونبته الناس إليها . ألغت الحكومة وظيفة التفتيش بالمدارس عليها تخفف من شدته في بث أفكاره بين الاساتيد والتلاميذ فزاد نشاط الشيخ ، وكان مدرساً في المدرسة الاعدادية بدمشق وهو من جملة مؤسسيها فاستقال ثم عرضت عليه وظائف كبرى في غير السلك العلمي فأبى لأنه كان يعرف انه لا بد له من مشايعة الظلمة والجهالة على أعمالهم ، وجعل جل اعتماده في عيشه آخر أيامه على الكتب التي اقتناها طول حياته بأثمان بخسة ، وأخذ يبيع منها بالتدريج ولا سيما اذا تأكد انها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب المصرية والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزائنه نقلت اليها وتمز الشيخ أثمانها نحو اربع عشرة سنة ، وكان اشتراها في صباح بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر .

كان الشيخ على ضيق ذات يده أحياناً يتصدق على الفقراء في السر وربما كرت يده عن لباسه وطعامه وأطعم جائعاً وعال معوزاً ، يصلي الصلوات لأوقاتها ويقيم شعائر الاسلام حتى في غير بلاده فقد زار مرة أحد معارض باريز فكان اذا أدركته الصلاة صلى في الحديقة العامة لا يبالي بانتقاد الناس هناك ولا استغرابهم حركاته وسكناته ، وحج مرة وطبق مناسك الحج على ما يفعل العلماء العاملون ، وكان مفطوراً على الرحمة يأرق لجاره أو صاحبه اذا علم انه اصيب بباطنة

في ماله أو أهله أو جاهه خصوصا اذا كان الرجل ممن ترضيه سيرته
في الجملة •

كان الشيخ يستنكف أن يأخذ شيئا من أحد بلا مقابل مهما كان
الواهب ، فقد عرض عليه صديقه الاستاذ أحمد زكي باشا أن يوقع
على طلب وهو يتعهد له براتب جيد من الأوقاف المصرية على عهد
الخديوي عباس الثاني فتنصل واعتذر ولما اشتد صديقه في تقاضيه
انتهره حتى لقد قال الاستاذ زكي باشا لو كنت أعتقد أن رجلا يعيش
من تحت السجادة لاعتقدت ذلك في الشيخ طاهر لأنه يقيم في بلد
كمصر يشكو فيه الأغنياء من الغلاء ولا يجب أن يأخذ من أحد شيئا
يستعين به •

وكانه يشير بحركته الى ما قاله القاضي علي بن عبد العزيز في
عزة نفس العالم :

يقولون لي فيك انقباض وانما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ولم اقص حق العلم ان كان كلما
وما كل برق لاح لي يستفزني
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
أنهنهها عن بعض ما لا يشينها
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا

رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
ومن أكرمه عزة النفس اكرما
بدا طمع صيرته لي سلما
ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
مخافة أقوال العدا فيم أو لما ؟
لأخدم من لاقيت لكن لا خدما
إذا فاتتباع الجهل قد كان أحزما
ولو عظّموه في النفوس لعظما ،
محياه بالأطماع حتى تجهما

لا أكون الى المبالغة اذا قلت ان عزة النفس وهو الخلق الذي ندر
في علماء المسلمين لعهدنا كان مما تفرّد به ، ففيه اباة الملوك وزهد الزهاد

والعباد ، لم يظهر - ظالماً لغنم يصيبه ، ولا صحب غنياً للانتفاع بغناه ، وكان يؤثر الخمول وعدم الظهور ولا تهمة الشهرة استفاضت أم لم تستفض لأنه يهزأ في باطنه بمظاهر الأبهة والرفعة ويزهد في اعتبارات كثيرة يتفانى الناس في تحصيلها • يزهد حتى في نسبه الى الشرف ولم يذكر ذلك الا مرة واحدة ذكره فيه أحد صالحاء الجزائريين امامي وسألته بعد ذلك عن نسبة بيتهم الى الشرف فقال (هكذا يقولون) ولا عجب فشرف العلم أشرف نسبة • هاجر الشيخ من دمشق لما كثر ارهاق العلماء في العصر الحميدي فنزل القاهرة من سنة ١٢٢٥ هـ ١٩٠٧ م الى سنة ١٢٣٨ هـ ١٩٢٠ م وظل فيها طول هذه المدة على تقشفه والحرص على عاداته ، ولما نشر القانون الاساسي في المملكة العثمانية (١٩٠٨) رأى الشيخ بنظره الثاقب أن عهد الحرية الحقيقية بعيد وكان لا يعتر بقوانين الترك ولا بشرثرة السياسيين فانزوى في مصر حتى استحکم منه مرض (الربو) وقفل راجعاً الى مسقط رأسه قبيل وفاته بأشهر قليلة فعين مديراً لدار الكتب التي كان أنشأها في صباه وعضواً في المجمع العلمي العربي وناداه ربه الى جواره يوم ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ هـ (٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م) فدفن حسب وصيته في سفح قاسيون جبل دمشق ، وقبيل وفاته برح به الألم فاقترح على الطبيب أن يعطيه دواء يميته حالاً قائلًا ان في الشرع ما يبيح ذلك وهذا من أغرب ما سمع من عاقل • أما الطبيب فركن الى الفرار وحلف أن لا يعود لتعريض الشيخ •

كان الشيخ فيلسوفاً بكل ما في الفلسفة من معنى شريف لا تلتوي أخلاقه ولا ينزل بحال عن عاداته متشدداً في دينه زاهداً في دنياه لم تبهره زخارف الحياة ولم يتزوج حتى لا يشغل ذهنه بزواج وأولاد وليكون أبداً مطلق العنان يسبح في الأرض متى أراد أو يقبع في كسر داره وسط كتبه ودفاتره ، ولئن خلا من هم نفسه فما خلا ساعة من

الاهتمام بأمر المسلمين وتحبيب العلم والعمل اليهم .

وعقد له صلات مستديمة مع علماء عصره على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، صحب صديقه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كما صحب صديقه العالم المجري (غيولد صهري) اليهودي . وكثيراً ما كانت صلاته بعلماء المشرقيات باعثة على تخفيف حملاتهم على الاسلام ولو قليلاً ، وهذا جل ما كان يهتم له ثم يهيمه من أمر المستعمرين من المستشرقين توفرهم على خدمة آدابنا بنشرهم كتبنا النفيسة وكان يعاونهم فيما هم بسبيله اذا استطلعوه طلع رأيه ومتى استفتوه أفتاهم بما يتعذر وقوفهم عليه .

ومن عادة الشيخ أن يصحب الفرق المختلفة مهما كان لون طريقتهم ونحلتهم حتى الملاحدة وأرباب الطرق ، رأى ذات مرة جماعة يتألفون على طريقة لهم يحبونها وأذكار مأثورة يقيمونها وشهد في بعض أفرادهم استعداداً للعلم ، فما زال بشيخهم ، وكان من أصحابه وتلاميذه حتى حمل الجماعة على أن يشغلوا الوقت في مطالعة كتاب من كتب القوم في التصوف وكان هذا الكتاب في الأدب العالي والاخلاق الفاضلة ، ورأيت الشيخ يحتمل كثيراً من تجهم بعض أولئك المتألفين فيدخل في مجلسهم متظاهراً بأنه طالب استفادة حريص على درس استاذهم وهو يحمل اليهم النسخ المخطوطة من الكتاب لمعارضتها بالمطبوع يحاول أن يعلم بعضهم صورة المراجعة في كتب اللغة حتى تسلم العبارة من الخطأ ، ويخدم الكتاب الخدمة اللائقة ، وبذلك تيسر له أن ينقل بعض أرباب الاستعداد منهم من كتب التصوف الى كتب العلم والأدب . وسمعت بعضهم يتبرمون بقراءة تفسير ابن جرير الطبري وتبسطه في شرح الكتاب العزيز فجاء من هذه الزمرة أدباء نافعون بعد أن كانت نفوسهم مشبعة بالكشف والخيالات والمنامات . وأدخل النور على كثير من أذكيا العلماء من أصحابه وكان منهم الذين ذرفوا على

الستين فما استطاعوا أن يؤثروا الاثر المطلوب في مرديهم ومنهم من ساعدهم الطالع ان كانوا في سن الشباب فعالجوا التأليف والوعظ والتعليم فانتفع بهم الناس كل النفع ومنهم من لم يتمرنوا على الكتابة واللقاء فبقيت لهم أفكارهم في دائرة القوة لم يتعد أثرها المحتفين بهم من الاصحاب والمريدين .

ولقد كانت له صداقة أكيدة بالعالم المطران يوسف داود السرياني يتسامران ويتحدثان ويتناقشان . وما أدري ان كان المطران أثر في الشيخ أو أثر الشيخ في المطران ؟ سمعت الشيخ يثني الثناء المستطاب على صديقه المطران ، وقد طالت به صحبته وعشرته . وهكذا كان له اتصال بالارمن واليهود واليسوعيين الكاثوليك والاميركان البروتستانت . وكان يعضي عن كثير من النقد على رجال الدين من غير المسلمين ويقول هم أقرب الناس الينا يعتقدون بالله واليوم الآخر وخلود النفس . وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتحب عشرته على ما بينها وبينه من التخالف الظاهر في الزي والعادة والخلق والمذهب ويطلعونه من سرائرهم على ما لا يبوحون به لأقرب الناس اليهم وسمعته غير مرة يقول : « الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق » .

صحب بعض الزنادقة وما زال يصبر على ما ينبو عنه سمعه من تصريحهم وتعريضهم وما فتىء يلقنهم أفكاره بالتؤدة مدة حتى عاد بهم الى حظيرة الدين وهم لم يشعروا فيما أحسب بما دخل على عقولهم من التبدل وصحب كثيرا من غلاة الشيعة والطوائف الباطنية فما برح يلطف لهم حتى أضعف من غلوائهم وأبدلهم بعد الجفوة أنسا وغير من انقباضهم وانقباض الناس عنهم ، ليعيشوا في هناء وسط المجتمع الانساني الاكبر .

وكان يتفنن في بث الأفكار الصحيحة واخراج قومه من الأمية

الميتة ويحمل خاصته ومن يصل صوته اليهم على تعليم أولادهم الممكن من ضروب العلم الذي يتناسب مع حالتهم الاجتماعية . وقال لي مراراً اذا أردت ادخال الاصلاح الى بيوت الاعيان وفيهم الجاه والمال فأجهد لأن يتعلم ولو فرد واحد من كل أسرة تقلب به كيانها . وكثيراً ما قال لنخرجن من بيوت الأغنياء أولاداً يحاربونهم بسلاح التربية الصحيحة وقد وفق الى ذلك بعض الشيء ، وكان يقول لو طلب مني اليهود أن أعلمهم ما تأخرت ساعة عن اجابة طلبهم لان في تعليمهم تقريباً لهم منا مهما كانت المباينة والفوارق بيننا وبينهم .

ما رأيت الشيخ يبغض انساناً بغضه لشقيقين دمشقيين جعلنا شعار العلم على رأسيهما وكان اذا ذكر أحدهما أو كلاهما في مجلسه يقول (دعونا) وتقبض نفسه انقباضاً دونه كل انقباض ولو علمت ان بغضه لهما - وكانا بغيضين للناس - كان ناشئاً من كونهما أعطيا عهداً على أنفسهما أن يصدا الناس عن طلب العلم لبطل عجبك . وأكد الاستاذ ان الأخوين قد وقفا بدعايتهما الضارة الى أن قطعنا عن الدرس نحو أربعين طالباً ، كان يرجى أن يكون منهم متعلمون بل علماء عاملون وكان من عادة بعض أديعاء العلماء من الشيوخ أن يرغبوا الناس عن الدرس ليخلو لهم الجو ويستمتعوا وحدهم بالمناصب الدينية والأوقاف والمدارس والجوامع لا ينازعهم أحد في شؤونهم ما خلا أبناء بيوت محدودة معروفة ممن هم على شاكلتهم في غش الأمة والاستئثار بمرافقتها . فكان شأن هؤلاء في الاستئثار المقوت شأن كهنة قدماء المصريين لا يسمحون لغير فئة خاصة بالتعلم أو شأن أصحاب الطبقات من الهنود أو اللاويين عند اليهود لا يدخل أهل طبقة في طبقة غيرها مهما تبدل من حالتها .

من أجل هذا كان من رأي الشيخ أن يتعلم كل طالب علم (العلم الاسلامي) صناعة أو تجارة أو نحو ذلك من أسباب المعاش مما يغنيه

عن الناس وعن تكفف العطاء لتعريف نفوسهم عن تناول من الاوقاف والتمرغ في حماة القضاء والافتاء ، وينشأوا على استقلال النفس ، لأن هذا العلم يطلب لذاته وفائدته في الدارين لا للتكسب به عند السلاطين والحكومات . وفي سيرة بعض علمائنا الأقدمين ممن كانوا يحترفون ويتجرون عبرة لأهل هذا الشأن وأي عبرة .

ولطالما تفرس الشيخ في انسان الشر وأعرض عنه وحذر أصحابه من الدنو منه فينال من فقد غير العارفين ما يناله ويقولون ان الشيخ صاحب أطوار وغرائب والشيخ ساكت يقول : « هم أحرار ونحن لا نكم أفواه الناس عن التحدث بما يروقهم » ولا تلبث الأيام بعد حين أن تكشف نفس ذلك الشرير على صورة مستغربة وكثيرا ما كنت أسأله عن الاشخاص من حيث علمهم أو أخلاقهم فيجيب (الامر مجهول) فأفهم بالتعريف أن في معلوماتهم أو سلوكهم نظراً ، فيظهرون بعد لأي بمظهر الجهل أو الخيانة وقد خدعوا السذج من أصحاب الصدور السليمة ومن قلت تجاربهم في المجتمع أعواما غير قليلة . ومن فرائسته الغربية يوم حدث الاعتداء على ولي عهد النمسا في مدينة سراجيفو سنة ١٩١٤ م ان حرباً أوربية طاحنة ستشب لا محالة فأبعد في تصوره خطورة الموقف الى ما لا يتعداه غير أعظم المفكرين العارفين بنتائج الحوادث . كان يصدع بالحق ولا يماري اذا دخل مجلساً ورأى فيه بعض الظالمين أو المخرفين غلب عليه الجلال فلا ينطق بكلمة ، واذا رأى من أحد الحاضرين تمويهاً في أمر وخروجاً عن الصدد جبهه واحتد فيخرج عن مألوف الناس في الملاينة والملاطفة وهذا سر من أسرار ازورار بعض الناس منه . واتفق ان أحد أترابه ارتقى في الدولة العثمانية حتى أصبح الحاكم المتحكم في العهد الحميدي فقاطعه الشيخ مقاطعة بلا سبب ظاهر فتوسط صاحبه أحد أقاربه ليعود الشيخ الى مراسلته ووعد الشيخ ومناه فأغضى الشيخ عن اجابته ثم ألح الوسيط

بعد مدة ليعرف الداعي الى اعراض الشيخ عن صاحبه فقال : « اكتبوا له اتنا لا نتعرف اليه ما دام لا يعرف أمته ومتى فكر في اسعادها وتخفيف البلاء عنها عدنا اخوانه واخذانه » ، وحدث ان صديقه الاستاذ أحمد زكي باشا نال بواسطة المرحوم احمد حشمت باشا وزير معارف مصر اعتماداً بعشرة آلاف جنيه لطبع مجموعة من الكتب العربية القديمة النادرة تبلغ فيما أذكر سبعة وعشرين كتاباً ومنها ما يدخل في بضعة مجلدات فتباطأ زكي باشا في الطبع ومضت السنة فقيد المبلغ في نظارة المعارف على حساب السنة المقبلة ولم يخرج الباشا شيئاً وهكذا حتى ألغى الاعتماد باستقالة حشمت باشا فغضب الشيخ غضبة مضرية من عمل زكي باشا وصارحه بقوله : « لقد أسأت الى الامة العربية بابطائك في اخراج الكتب للناس واذا ادعيت انك كنت تقصد نشرها سالمة من الخطأ مشفوعة كلها باختلاف النسخ والتعليق فالتأنيق لا حد له ويكفي أن ينتفع الناس بالموجود » وظل الشيخ أشهراً لا يكلم صديقه الزكي الا متكلفاً كأنه عبث به وعمل الضرر الى مصلحته مباشرة . وأي مصلحة أعلق بقلبه من نشر آثار السلف وإذ كان الشيخ عصبي المزاج يجب اتمام كل عمل لساعته وكان يستشيط غضباً من رجل قال له ان لك عندي كتاباً ولكني أنسيته في داري أو حانوتي أو مدرستي وكثيراً ما كان يحمل من يشغله بكتاب جاءه على أن يفتح محله مهما كان بعيداً أو مهما كان الحديث في ساعة متأخرة من الليل . ويقصد الشيخ في ذلك ان يعلم الناس العناية بمصالح غيرهم أيضاً . وكان يقول في مثل هذه الأحوال ولعل في الكتاب أمراً مستعجلاً يستدعي أن يجاب عليه في الحال^(١) .

(١) ش : ج ٦ م ٥ ص ٢٢ و ٢٩
غرة صفر ١٣١٨ هـ - جويلت ١٩٢٩ م .

غريب عاداته :

كان سمى الشيخ وهندامه سمى العوام وهندامهم وعمامته من الأغباني في جبة بسيطة وقفطان قطن وزنار مزدوج يخبأ فيه بعض الدراهم وألبسته من صنع الوطن الا النظارتين والطربوش ويختار من القمصان والسراويل ما خف ثمنه ليطرحة اذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله وكثيرا ما يلبس قميصين وسروالين وقفطانين وصدرتين وجبتين ليكون على اتم الاستعداد لما يطرأ على أحد الزوجين فيطرحة حالا ويستعويض عنه بأخيه دون انتظار شيء آخر ويقل استعماله للمناديل المتعارفة المعمولة من القطن فيعمد الى اتخاذ مناديل من الورق الغليظ يضم بعضه الى بعض ويخيطه فيكون دفترا يلقي به الشيخ بعد أن يتسخ كله . وكان يظهر جسمه ولا ينظف ثيابه كثيرا . أصيب بهذه الخلة خصوصا بعد أن فقد والدته في صباه ولم يبق له من رحمه امرأة تتعهدة أبدا بنظافة ثيابه والعناية بظواهره وأنى له هوان يسد مسد أمه في ذلك وفكره مشغول بمطالب عالية أخرى قد لا يتسع لمثل هذه الجزئيات في رأيه .

ورأيت في بعض تعليقاته في ترجمة عبد الله بن الخشاب وكأنه بنقله لها ترجم نفسه فقال بلسان الحال ، وهذا رجل مثلي كان الى الخمول قال : « كان وسخ الثياب ما تأهل ولا تسرى له معرفة بالحديث والمنطق والفلسفة والهندسة بل بكل فن ، وكان يترك عمامته أشهرا ولا يغسلها ويلبسها كيف اتفق فاذا قيل له في ذلك يقول ما استوت العمة على رأس عاقل قط » وشيخنا رحمه الله كان من هذا الطراز . والعبقرية على ما يظهر تكمل من صاحبها ناحية واحدة وتنقص منه من الناحية الأخرى بقدرها . أراد الشيخ أحد أصحابه في القاهرة

خلال الحرب العامة على أن يغير جيبته لأنها بليت بعض أطرافها فسكت الشيخ عن اجابته ، فلما ألح عليه مرتين وثلاثا أجابه « يا فلان تريدني على اقتناء جبة جديدة وأهل الشام اليوم يموتون من الجوع » •

واضافه أحد أصدقائه في بيروت واخذ ذات يوم ثيابه بدون استئذانه ليغسلها وعوضه عنها ثياباً جديدة فحنق الشيخ وما زال بمضيفه حتى أعاد اليه ثيابه الوسخة وذلك لثلا يشغل فكره في ثيابه ريثما تغسل وتنشف ولثلا يلبس ثيابا غير ثيابه • وغضب مرة على أحد أصحابه ومساكنيه في القاهرة لانه افترض غيابه فنزع من غرفة الشيخ جميع الكتب والفراش المملوء بالبق وكس الغرفة ونقض العبار عن الكتب والوانني وغسلها ووضع سماً لقتل البق في السرير حتى لا يصل الى الشيخ فيقرصه وأعاد كل شيء الى مكانه فلما رأى الشيخ ذلك عرف ما دبر له ولم تطب نفسه بهذه التعزيلة وانحى على صاحبه باللوم والتفريع • ورأيته مراراً تتأ مسمار أو مسامير من حذائه فكان يخصف من ورق الشجر يجعله في الحذاء ليتقي ضغط المسمار على رجليه ولا تحدثه نفسه أن يذهب الى الحذاء يصلح له حذاءه واذا قلت له في ذلك أجابك ان الوقت لا يساعدني • وكان مداسه متسعاً في الشتاء يجرف من الارض طيناً كثيراً يعلق بجيبته فيصبح وجهها شكلا وقفهاها شكلا آخر • ولطالما تبرم بزيارته أيام المطر بعض ربات البيوت مخافة أن يعلق طين جيبته في المقعد الذي يقعد عليه • وكان اذا اشتد الحر استنقل الجوربين فنزعهما من رجليه وعوضهما أوراقاً هشة ملونة جعلها خفأ في نعله لتمتص العرق بزعمه • وأنت لا تملك نفسك من الضحك اذا رأيت رجليه وتستغرب من عظيم كهذا يهزأ بعبادات مجتمعه الى هذا الحد ولا يبالي النقد ولا الملام ولطالما قال أنا شاذ ولا أحب أن يقتدي بي أحد •

ومن عادة الشيخ أن يحمل في جيوبه وعبابه بعض الدفاتر والرسائل

بل أقلاما ودواة ومقراضا وسكينا وبرا وخيوطا وشيئا مما يحمل من
النواشف والخبز والجبن والزبدة والتين والزبيب وفي بعضها مادة
دهنية دسمة يخشى أن تسيخ كالشواء وما دخله سمن أو زيت من
المآكل يضع ذلك في مقوى أو ورق غليظ ويستعمله عندما يريد
ويطعم منه أصحابه ان أحبوا ، أما الدخان والسكر والمربى فيحمل منه
مؤونة أيام أحيانا ، وقد يطبخ القهوة في داره كمية وافرة ويعمل منها
ما يكفيه اسبوعا حتى لا يضيع وقته بطبخها كلما أراد تناول فنجان منها
وهكذا يشربها باردة بائنة أياما لثلا يشتغل بها كل ساعة عن مطالعته .
وقال لي مرة انه ابتاع أرطالا من البرتقال وضعها في داره ومن الغد
بدا له أن يسافر وتذكر وهو على أذرع قليلة من البيت انه يجب أن
يستصحب في جقيته شيئا من البرتقال وتذكر ما اشتراه منه بالامس
فآثر أن يبتاع برتقالا من الطريق لثلا يضيع وقته بالرجوع الى الدار
بعد ازماعة الخروج منها ولم يعد الشيخ الى داره الا بعد ستة اشهر
وفرح أن رأى برتقالاته تضر وتشف .

وكان مغرما بالتدخين منعه الطيب منه وأراده على ابطاله فتعذر
عليه ذلك فقال الطيب ان كان لا بد من التدخين فلف بنفسك لفائفك
حتى يمضي جانب من الوقت في اللف وكان الشيخ لا يحسن صنع
لفائفه فتجيء واحدة دقيقة واخرى غليظة وثالثة متوسطة وعندئذ
يبدأ الشيخ بتجاربه ليضع اللفافة في البز (الفم) الذي يلائمها وكان
في جيب الشيخ بضعة من هذه الابرار يتخيرها من القصب أو غيره
من أنواع الخشب وهكذا كان يتلهم عن الاكثار من التدخين ولو بضع
دقائق واذا قلت له بابطال التدخين ينهرك ويعرض عن حديثك هذا
وهو صاحب ارادة قدت من حديد أو صخر .

ومن عادة الشيخ خلال الاربعين السنة الاخيرة من حياته أن لا ينام
الا اذا صلى الصبح يساهر بعض أصحابه هزيعا من الليل ثم يغشى

حجرته يطالع ويؤلف وكان لا يراعي أوقات بعض أحبابه فيوقفهم أحيانا بعد الهزيع الثاني من منامهم ليسمر عندهم اما من كان لهم مواعيد ويعرفون التوقيت لساعات الليل والنهار فكان يصونهم عن غشيان منازلهم موهنا ولا يطرق أبوابهم بعد الاوقات المعينة للسمر والسهر .

كان يحب السباحة والعموم وله مسبح خاص في بيروت وآخر في صيدا ومسابع في بعض أنهر دمشق وربما لبس سراويله مبللة بعد الخروج من سباحته ويهوى السير على الاقدام للتريض ولطالما قطع عشرات الاميال بين المدن والقرى والجبال والاوادية سائرا على قدميه . وقد يراه في الطريق بعض أصحابه أو من لا يعرفه ويدعونه الى الركوب في مركباتهم أو على متون دوابهم فيأبى لانه لا يجب أن ينقض أمرا أبرمه ونفسه تتوق الى السير ماشيا فأبي معنى للركوب . ومن أغرب أطواره انه اذا استعدت نفسه للقيولة قال وهو وسط اخوانه يتذاكرون ويتدارسون . ثقيل وهو قاعد ويضع على وجهه منديلا وربما أتم اغفائه عند انجاز الدرس والمذاكرة ولم يكن يجب أن يطول الدرس أكثر من نصف ساعة لانه يتبرم بالجد في هذه المجالس وهو يقضي الساعات في مطالعته الخاصة (١) .

- ٤ -

كان الشيخ لا يعرف الهجر ولا يشتم شتما ينبو عن حد الأدب مع حدة فيه ظاهرة وألم من أكثر أحوال المجتمع وكان اذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضراته والا فيعتريها شيء من اللهجة المغربية مزوجة بالعامية الدمشقية وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته

(١) ش: ج ٧، م ٥٥، ص ٢١ - ٢٤

غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ ، أوت ١٩٢٩ م .

ونبراته لطيفة تحلو من فمه ، يمزج أحماضا من الجد وما أحصى عليه ان نطق يوماً بفحش أو هراء أو استعمل ما ينافي الأدب والمروءة وكان يميل الى بعض من فيهم البلاهة ممزوجة بالذكاء وتصدر عنهم غرائب الافكار والتصورات وربما قصدهم كل سنة من بلد الى بلد ليقطع بينهم أيا ما يخرج فيها من الجد ويدخل معهم في حديث قد يروقه للتسلية .

حدثني أحد لداته قال : كنا في دمر احدى قرى دمشق تقضي فيها يوماً للزهة وكنا في نحو الثلاثين من العمر فاعتزل الشيخ طاهر في ناحية من الحديقة يطالع ويكتب في ظل شجرة وكنا حراسا على أن يكون معنا طول النهار وكانت في البستان فتاة اسرائيلية جميلة الطلعة فاقترحنا عليها أن تذهب الى الشيخ المستظل بالشجرة وتأتينا به ونحن نكرمها بالمال فصدعت بالامر ولما رفع رأسه من كتابه أخرج لها في الحال قطعة من قمرالدين (معجون المشمش) وقال لها : « ايه بارك الله أتأكلين قمرالدين يا قمر الدنيا » وصرف الفتاة بهذا التقريظ وهذا كل ما أثر عن الشيخ في باب التصابي . وسأله أحد الطلبة عن حكم التقبيل وما اليه فأجابه هذا موضوع لا أعرفه سل غيري وتكلم أحد أصحابه بعيداً عن الحشمة في حضرته فأشاح بوجهه وتصام كأنه ما سمع ولا دهش لهذا الغريب من الحديث على حين كان مغرماً بالغرائب ولكن لا من هذا البحر والقافية .

سأله أحد الفقهاء ممن ألفوا كتباً دينية حشوها بما لا يقره الشرع الصحيح ولا العقل الصريح كيف تجد كتبي يا شيخ طاهر ؟ فأجابه في الحال متخلصاً أجمل تخلص « اشتغلوا ونحن نشتغل لنرى لمن تكون النتيجة » وكان يكره المتشدين من المؤلفين والكاتبين خصوصاً في الدين والسياسة بل يكره كل من يقول بغير علم ويحاسب الذين يرمون الكلام على عواهنه حساباً غير يسير ويسميهم الحشوية كما

يكره الجلجلوتين والقبوريين والجامدين والمحاكين • وسمعه يقول ان فلاناً بردّه على الماديين وهو لا يحسن العلوم المادية فتح علينا أبوابا يصعب سدها وفلانا بمقالاته السياسية المطولة يفتح بقلمه كل حين مشاكل صعبة الحل •

وكان ينهر من يوردون أحاديث تفت في عضد السامعين وتلقي في قلوبهم الرعب والوهم لان من مذهبه تقوية القلوب وازالة غشاء الاوهام من الاحلام وأن يصمد المرء لمكافحة الحوادث ولا يجب الاستقراء والاستنتاج اذا كانا في غير محلها حتى لا يؤدي التزويد والتفلسف الى تزييف الوقائع والباس الحقائق غير صورها ولذلك كان يستلطف من الانكليز السكسونيين ايجازهم في أحاديثهم وكتبهم ويوحشه من اللاتينيين تبسطهم في أقوالهم ومكتوباتهم •

كان يرفق بالضعفاء ويرفع من قدر الصعاليك ويحمل على العظماء ويترفع عن ملاستهم وكثيرا ما كان يحدث العامة برفق وتؤدة ويخاطبهم خطاب اخوانهم لهم • ولطالما قال ان من الحكمة أن لا تجعلوا بينكم وبين العامة حجابا كثيفا اذا أحببتهم هدايتهم والانتفاع بهم في المجتمع وعليكم أن توهموهم ان ليس بينكم وبينهم من الدرجات الا قليل يوشكون هم اذا اشتغلوا قليلا ان يساموكم أو يفوقوكم فهو بهذا كالطبيب الحاذق يعطي المريض الجرعة التي تناسبه ويتدرج به في المقويات درجة درجة وهكذا كان مع كل طالب ومستفيد ، تحقق لدى الشيخ أن ابن أخيه ، وكان من نوابغ الشبان ، ابتلي بأخرة بالشراب يتعاطاه ، فقطع مكاتبته مع شدة حبه له وظل لا يكلمه ولا يبحث عنه مدة اثنتي عشرة سنة وهو يكتنم السبب في اعراضه عن نجل شقيقه حتى أشار مرة لبعض خاصته بما يرتكبه المفضوب عليه من أخذ المسكر ، وعد عليه في جملة هناته انه أتعب نفسه في المدرسة زيادة على المطلوب فضعف بصره حتى ينال رتبة عليّة وكان عليه لو سمع

نصائح عمه أن لا يرهق نفسه ويكتفي من المنافسة مع أقرانه بما توصله إليه الطبيعة بدون اعنات ولا انهاك بدن وهذا من قوة نفسه وصدق حدسه .

كان يكره الاستعمار كرها شديدا ويجب المدنية ويحث على تعلم لغات الغرب ويكره السياسة العثمانية ويقول ان استيلاء الترك على بلاد العرب أضربها وأزال مدنيتهما وغير أخلاقها ولم يكن ينكر على الاتراك أدبهم في عسرتهم ونظامهم في بيوتهم وحسن معاملتهم لكبرائهم . وكان يجب من أهل المدينت الحديثة كل أمة ترفق بالمسلمين في الجملة ويجب من الناس من يصرف في خدمة المسائل العامة شيئا من وقته وماله . وكان يقول وهو على فراش الموت عدوا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد البلاد منهم ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم يقول هذا رجل أخلص كل الاخلاص في خدمة أمته وتفانى في حبها ومعالجة ادوائها الاجتماعية وكان جماعا ما كافأته به في حياته عبوسا واقباضا وتنغيضا وغصصا ثم عصيانا على اصلاحه الناجع كالطبيب النطاسي يريد الخير بمرضه المرعب وكلما ناوله الدواء عضه وأدماه وشتمه وآذاه « أريد حياته ويريد قتلي » . وكان الشيخ كثيرا ما ينشد قول البهاء زهير :

يا أيها الباذل مجهوده	في خدمة أف لها خامة
الى متى في تعب ضائع	بدون هذا تاكل اللقمة
تشقى ومن تشقى له غافل	كأنك الراقص في الظلمة

ويشبه الشيخ من كثير من الوجوه غاندي الفيلسوف الهندي المعاصر وان لم يكن له ما لهذا من الشجاعة وذلك ان الشيخ لا يحب الأذى ولا العنف ويحاول احياء كل ما هو آسيوي من اللغات والتقاليد وتعليم الناس الصنائع وعدم الغفلة عما عند الامم الغربية من مقومات

العلم . ولا عجب فالعقل واحد مهما اختلفت الاعصار وتباينت الافكار العقل السليم في هذا الشرق القريب وفي ذلك الشرق الاوسط وما وراءه من الشرق الاقصى لا يختلف في مظاهره الحقيقية عما هو عليه في أوروبا وأميركا وأفريقيا .

نعم لم يكن الشيخ طاهر كالمهاتما غاندي في حملاته حتى ولا في تصريحاته ، المبدآن متفقان الا قليلاً ، ولكن ابن الوثنية جسر على العمل بمداه أكثر من ابن الاسلام . شعار غاندي « هندوسا كنا أم بارسيين نصارى أم يهوداً أياً كنا يجب اذا تاقت نفوسنا الى أن نعيش أمة واحدة أن تكون مصلحة الفرد مصلحة الجماعة ولا عبرة الا لعدل مطالبه » أما الشيخ الجزائري فكان يتوقع من القوم أن يقولوا هذا وهو لا يدعوهم اليه الا بالاشارة والمثال البعيد . والحكيم الهندي قال ما اعتقده غير مجبم فتخلص من قيود كثيرة وأراد أمتة علنا أن تنهج سبيله فكانت شهرته عالمية وانحصرت شهرة الشيخ في بعض أصقاع العرب . وكان بعضهم يقول ان الشيخ ضنين بالافادة حتى ادعى بعضهم « ان الشيخ طاهر بئر علم ولكن لا ينتفع بها » والحقيقة انه يصعب على الشيخ مجاملة من يشهى ولا مأرب له الا أن يقال عنه انه باحث وطالب فوائد فلا يرى أن يتعب نفسه في افهام فضولي يسأله في الفلسفة العليا أو في مسائل تعلقو عن محيط عقله على حين هو في حاجة الى أن يتعلم القراءة والكتابة فكان في ضناتته هذه حكيما ايضا لا يظلم الحكمة فيلقي دررها بين أرجل من لا يعرف قدرها ولا يتأتى له أن يحسن الانتفاع بها . أما المستعدون للتلقي والترقي فكان يجهد أن يختصر لهم طريق الوصول الى ما يريدون ويبعث كل حين عقليتهم ويفيض من واسع علمه^(١) على أذهانهم وكلما

(١) في الاصل عمله .

رأهم يحرصون جد الحرص على التقاط فوائده جاد عليهم بما يعلم الا اذا كان ثمة شيئاً^(١) لا يعرفه فانه يقول « لا أدري » غير مبال بنقد من يذهبون الى استقلال علمه وعدم احاطته • فكان الآخذون عنه بالنظر لتحريره الصديق على ثقة من العلم الذي يسمعونه ويستملونه منه لان الشيخ الى التصريح بعدم معرفته أقرب منه الى إيهام الناس انه يعلم كل شيء شأن الموهين والجامدين ولذلك لم يحسب عليه ان بدت مقاتله لأنه مرة يقول بعد التحقيق ويكره التلفيق^(٢) •

— ٥ —

تأليفه ورسائله :

ليست تأليف الشيخ مما يتناسب كل التناسب مع علمه الواسع لان بعضها مما ألفه في صباه لنفع المدارس وهو مفيد جدا في بابه وفي حينه ومن تأليفه المطبوعة (الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية) و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) و (مد الراحة الى اخذ المساحة) و (مدخل الطلاب الى فن الحساب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام) ورسالة في النحو واخرى في البديع وثالثة في البيان ورابعة في العروض ، وكتاب (تسهيل المجاز الى فن المعنى والالغاز) وشرح ديوان خطب ابن نباتة • ومن كتبه (ارشاد الالباء الى طريق ألف باء) ورسالة وجداول جدارية في الخطوط القديمة والحديثة • و (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهي المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره • ومقدمة سماها الكافي في اللغة وهي

(١) كذا في الاصل والصواب : شيء

(٢) ش : ج ٨ ، م ٥ ، ص ٢٠ - ٢٤ •

غرة ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ سبتمبر ١٩٢٩ م •

مقدمة معجم ضاع اكثره . و (التقريب الى اصول التعريب) و (توجيه النظر الى علم الاثر) ومختصر أدب الكاتب لابن قتيبة ومختصر امثال الميداني ومختصر البيان والتبيين للجاحظ .

هذا هو المطبوع . اما المخطوط فتفسيره الكبير ويدخل في اربعة مجلدات مخطوطة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق مع جميع ما ظفرنا به^(١) من أوراقه . . ومن المحفوظ أيضاً كفايشه وفيها خلاصة مما طالعه من الاسفار وعرض له من الافكار . وله من المخطوطات كتاب (الإمام بأصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام) و (مقاصد الشرع) وغير ذلك . وقد أحيا بالطبع عشرات من الكتب منها ارشاد المقاصد لا بد ساعد الانصاري وروضة العلماء لابن حيان البستي والادب والمروءة لصالح بن جناح والادب الصغير لابن المقفع وامنية الالعي وتفصيل النشأتين المرآة الاصفهاني والفوز الاصغر لابن مسكوية الى غير ذلك من مقالاته في المجلات العلمية وإملاءات جمة كتبت بتواقيع مستعارة لو جمعت لجات في مجلدين أو ثلاثة .

والف الشيخ معظم هذه الكتب والرسائل بحسب الدواعي خصوصاً مبادئ العلوم ووضعها في زمن كانت فيه الكتب المدرسية في حكم المعلوم وذلك لينهض بالتعليم الابتدائي ويخلص الناشئة من غلطات المتأخرين المعروفة وحواشيهم وشروحهم المملة المضیعة لاوقات الطالب ومعنى هذا ان الشيخ اتبه قبل غيره الى فساد طريقة التعليم القديمة وادرك ان الزمان يتقاضى اهل العلم ان يخرجوا الناس من ربة القيود الثقيلة العائقة عن التحصيل كما اتبه الى كثرة سريان الحشو واللغو الى كتب الدين التي خلط فيها كثير من المتأخرين .

من اهم كتب الشيخ المطبوعة شرح خطب ابن نباتة وارشاد الالباء

(١) راجع وصف هذا التفسير والاوراق والكتايش في المجلد الثالث صفحة ١٧١ من مجلة المجمع .

والتيان والتقريب وتوجيه النظر ففيها لباب علمه وأثر من آثار قريحته تجلت فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قل ان تسنى لغيره من المعاصرين الوصول اليها . وليس معنى هذا ان سائر ما طبعه الشيخ غير مفيد ، المقصود انه كتب لغرض خاص اريد به تثقيف الناشئة وهذه الكتب هي التي ظهرت فيها شخصية الشيخ وثقوب ذهنه وسعة مداركه وتلطفه في ابلاغ المعاني الى العقول وحرصه على ان يحيل في الاكثر على عالم تقدمه . لان الناس في العادة يقدسون الاموات اكثر من الاحياء .

والشيخ وان كان في مذهبه الديني الى الاجتهاد لكنه في مذهبه التأليني اقرب الى التقليد ينشئ على مذاهب القدماء ولكن بتسويق وتقسيم بدون ان يشوش القارئ . ولو تيسر للاستاذ ان يسير على نظام اكمل من الذي سار عليه في معيشته وساعده الزمان والمكان على تجويد مصنفاة والصبر عليها قبل نشرها لخلف كتباً وخصوصاً في العشرين سنة الاخيرة من عمره تقرأ فيها صورة عظيمة من جهاده ونبوغه . وبلغني انه دون بعض الوقائع التي شهدها ولم نعر عليها بين أوراقه الخاصة التي سرق بعضها وقت انتقاله من مصر الى الشام . ويقيني ان الرجل لو وفق الى طابعين أغنياء فضلاء يحملونه على العمل على ما خص به من النشاط وشدة الحركة لانتجت قريحته اكثر مما انتجت في الفروع المختلفة التي طرقها ووزع قواه فيها ولكن تفانيه في الاسراع بحمل النور الى العقول وفدح التبعة التي أخذها على نفسه في الاسراع بانهاض امته دعواه الى أن يكتفي بما تهيأ له وضعه وتأليفه ناظراً فيه الى مصلحة الناس لا الى مصلحته الخاصة وشهرته في حياته وبعد مماته .

كان محيط الشيخ الذي عمل فيه على عهد الشباب والكهولة ضيق المضطرب لا يتسع لانبعاث همته وكانت المطالب التي يتقاضاها منه حرصه على بث الاصلاح والتعليم كثيرة لا يقوى الفرد على حملها

كلها ، ولو قدر له ان عاش منذ نشأته في محيط أوسع كمحيط مصر وخلا من مدافعة المشاكسين والظالمين ورأى شيئا من الطمأنينة وسعة العيش لتضاعف عمله لا محالة وعم نفعه مصر وغير مصر وربما كان ظهوره في الشام والعهد عهد ظلمة وجهل ابرك عليها وانفع لها لان ما اضطلع به وحده لا يضطلع به عشرة علماء على شريطة ان يكونوا في درجته من الاخلاص وشدة الشكيمة وعزوف النفس عن المطامع والدنايا .

وبعد فهذه صورة صحيحة من صور الاستاذ الحكيم عجيبة في خطوطها وتقاطيعها ، جميلة بألوانها وأشكالها ، عرضتها لغرابتها لأنه ندر جدا في المعاصرين من الاحياء ظهور رجل يماثله في اطواره وحركته وسعة حيلته وبسطته في العلوم ، اللهم الا اذا كان ممن لم يبلغنا خبره في البلاد النائية والزمان بخيل بمثل هؤلاء النوابغ في كل عصر وقد لا ينبغ اضرابهم في قرون يفادون بكل ما يتفانى الناس من التهالك عليه من مال وجاه ورفاهية وتنحصر لذائذهم في بث افكارهم وآرائهم ويسعدون السعادة كلها اذا نهضوا بانارة عقول أهل جيلهم وقيلهم .

رسائله الخاصة :

والى القارىء الآن جملا من كتب دارت بيني وبين استاذنا فيها شيء من مبادئه العلمية وروحه السامي ربما ترجمت عنه لقلتها مثل ترجمتنا وزيادة . وكتابة المرء ناماة على علمه وعقل الكاتب في قلمه واختياره قطعة من عقله . وقد صدرت هذه الرسائل من القاهرة المعزية ومن اجمل ما فيها كونها كتبت على البديهة لا كلفة فيها شأن الشيخ في كتبه ومفكراته . وربما كتب الى اصحابه كتابا وبعثه في البريد بدون أن يطالعه ثانية ، ولذلك رأينا بعض كتبه غفلا من التاريخ أيضاً . سألته مرة عن منشأ الشعوبية فأجاب : « واما الزمن الذي ظهرت

فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء والوقوف على اوائل الاشياء من اصعب المسائل وادقها الا أن الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي اتى الدين بابطالها ومن نظر لمنزلة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة .

ولا يدخل في هذا الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان هذا نوع آخر . الا ان من بحث عن أحوال الأمم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب في الجملة لاتساميهم أمة البتة . واطن انه لا بد ان تؤلف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في خصائص البلاد كما الفت كتب في خصائص اللغات تجعل من الفنون التي يعني بها وتميز عن غيرها ولا تذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تيسر المشاغبة فيه والمغالطة اكثر من غيره . وكل فن وضعت مقدماته وتفتحت مسائله يبدو بسرعة عوار الغالط فيه .

هذا وكما حدث بعض عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب والعجم حدث امر المفاضلة بين المدنانية والقحطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما اسم العرب . ونشأ بسبب ذلك من الفتن ما يعرفه المولع بالاخبار ولم يزل اثر ذلك باقيا في بعض الجهات الى ما قبيل عصرنا هذا وقد رأيت في بعض بلاد أناسا يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية .

كنت لك ما كتبت والقلم لا يكاد يجري لما حدث لي من الفترة من نحو ثلاثة اسابيع . وسبب ذلك اني اختبرت احوال كثير من الولايات فوجدتها منقسمة الى حزبين كل منهما يباين الآخر في كل شيء ولم يظهر حزب ثالث يكون معتدلا ومعدلا لهما . واذا دام الحال هكذا

تأخرت البلاد عما كانت عليه من قبل • وقد نصحت كثيرا من المحدثين من الاحرار بان يعدلوا مشربهم وحذرتهم عواقب الامر غلبوا ام غلبوا فابوا الا الاصرار على فكرهم وما قلت لهم رأيي الا بعد ان الحوا علي في بيانه وحضر اناس منهم من مركز جمعيتهم وطلبوا مني التفصيل بعد ان بينت لهم ذلك اجمالا فرأيت انهم يوافقوني في البدء ويخالفوني في النهاية فامتنت في اتمام البيان وتشاغلتن عنهم •

فاني رأيتهم يظنون ان حلهم لبعض مسائل الجبر والمقابلة يحل لهم مسائل ادارة البلاد • ان كثيرا ممن كنا نزدرى برأيهم في السياسة من تلاميذ المدارس في مصر هم ارقى منهم في ذلك •

وقد اجتمع بنا في هذه الليلة أحد المرسلين منهم وسمع منا هذه العبارة وهي ملقاة على صورة تحتمل الجدل والهزل فدهش وعرف انها الى الجدل اقرب منها الى الهزل وكان يتكتم فاضطر الى الانطلاق فيما يراه من الاخطار التي يصعب تداركها ••• اني متشوق لاخبار كثيرة من الولايات لعلنا نسمع بظهور الحزب الاوسط في واحدة منها فيسري ذلك في غيرها شيئا فشيئا • وهذا الحزب يلحقه في اول الامر اشد اضطهاد لان الحزبين المتطرفين يبغضانه اكثر مما يبغض احدهما الآخر لاعتمادهم بانه اقرب الى انضمام كثير من الحزبين اليه •

وقال من كتاب عن القاهرة في ١٩ صفر سنة ١٣٢٨ :

« وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم منبئا بعودكم من بلاد اوربا فسررت بذلك سرورا شديدا وكنت اتمنى لكم هذه الرحلة من زمن قديم لما اتيقنه من الفائدة التامة العامة في ذلك فان الاقتباس من الامم المتقدمة دليل على النباهة لا كما يظن البله من ان في الاقتباس غضاضة ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الامور النافعة لا كما يظنه المتكاسيون من ان الامم الراقية ينبغي ان يؤخذ منها كل شيء

حتى اداهم الامر الى ان يقلدوهم في الامور التي يودون هم ان يخلصوا منها .

وأما ما يتعلق بخزائن الكتب في الأستانة فقد خطر في بالي خاطر يرتفع به محذور الامتعاض في جمعها وذلك بأن تبقى كل مكتبة في موضعها لينتفع بها المجاورون لها غير انه يؤخذ منها الكتب النادرة وهي في الغالب لا تلزمهم ولا يهمهم امرها وتوضع في موضع معد لها يكون في وسط البلدة . ومن اطلع على دفاتر مكاتبها وجد امكان اجراء ذلك بدون اعتراض يعقل . ولما عملت برنامجا لكتبها النادرة رأيت ان بعض المكاتب قد يوجد فيها نسخ متعددة من كتاب نادر فلو أخذ أحد النسخ المكررة لم يكن في ذلك ما يقال . وقد كنت ذاكرت بهذا الامر بعض اعضاء الجمعية فاستحسنه جدا وذكر لي انه سيسعى في ارازه من القول الى الفعل . ثم عرضت شواغل عاقت عن ذلك .

واما مصر فقد دخلت في الدور المجهول وسيكون اما لها واما عليها . وهذا الدور لا بد منه لكل امة تريد النهوض بعد العثرة فان ساعدها الزمان والمكان والامكان نالت منها والا كان لها تعلق بسوء البخت بعد التشبث بالاسباب الظاهرة جعل الله سبحانه العاقبة خيرا » .

وكتب ناصحا وواضعا خطة للاصلاح بتاريخ ١ جمادى الاول ١٣٣٧ :

« ومما يهم الامر فيه اصلاح العادات فان في الشرق كثيرا من العادات التي ينبغي ابطالها كما ان فيه كثيرا من العادات التي ينبغي المحافظة عليها غير انه لا ينبغي ان يستعمل التنكيت في ذلك بل يستعمل مجرد البيان الدال على حسن الشيء او قبحه .

ولا يتيسر الاقدام على هذا الامر الا لمن لا يهمه امر المدح والذم العاجلين بل يهمه حسن الاثر .

ومن العادات الرديئة جدا ان الكاتب قد يمكنه ان يكتب في

اصلاح عادة لكنه يرى ان الكلام في ذلك يكفي فيه عشرة اسطر فيرى ان الناس يزدرون بذلك وينسبونه لقلّة القدرة على الانشاء فيترك الكتابة فيه او يسهب اسهاباً لا داعي له من سرد مقدمات معلومة مسلمة لو تركها لكان اقرب الى الفهم وابعد من الوهم وما ذلك الا من تأثير الحشوية فيهم وقولهم ان الناس نسبوكم لعدم الاقتدار على الكتابة . فينبغي أن يكون في المجلة ولو مقدار صفحة تبحث في العادات على اختلاف انواعها وتعليم ذلك للبنين والبنات . هذا ومن جهة رأي الناس في حقكم فان النبهاء المنصفين منهم يجعلونكم ممن ثبت في حين الشدة ولا تعبأوا بمن يلوم عن جهل وغباوة فان ذم هؤلاء اقرب الى المدح من ثنائهم .

وكتب إليّ يقوي عزيمتي على العمل :

« وأرجو أن يكون ما حصل لكم من المروعات زائداً في نشاطكم في افادة الأمة ، فانها في احتياج شديد الى من يبين لها الطريق الأقوم من ارباب الوقوف والاخلاص واعظم ما تحتاج اليه هو امر الاخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الامور العمرانية على وجه لا يكون فيه اخلال بمعالي الامور وتسيبهم على عدم التعويل على المدنية التي كان الغرييون قديماً يفتخرون بها ويزدرون بمن لا يتابعهم عليها مما هو مبني على مجرد مراعاة الامور المادية دون غيرها وهي التي جلبت هذه المصائب الحاضرة وقد أشرتم بطرف خفي الى ذلك في محاضرتكم التي ألقيتها في مصر حين فراركم من دمشق اليها وقد صرحنا في ذلك في قصيدتنا البائية المطبوعة في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب . وقد كان اناس يقرؤونها ويعدونها من آراء حشوية الشرق فما زالوا على ذلك حتى صرح فلاسفة الغرب بذلك . ومما ينبغي ان تحثوا عليه تعلم صنعة ما أي صنعة كانت ولا يكون احد خاليا عنها ويجعل هذا مبدءاً جديداً لهذا العصر والتعويل على الرياضة الجسمانية » .

وكتب في غرض الاعراض عن المثبتين من رسالة :

« وقد عجبت من أولئك الذين يسعون في تشييط الهمم في هذا الوقت الذي تنبه فيه الغافل فضلا عن غيره موهمين الشفقة .

وكان الاجدر بهم ان يشفقوا على انفسهم ويشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع . ولم ير احد من المثبتين قديما او حديثا اتى بامر مهم . وينبغي للجرائد المهمة ان تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة والتحذير منها ليخلص منها من لم تستحكم فيه وينبه الناس لاربابها ليخلصوا من ضررهم . وقد ذكروني منذ ليلتين أحد نجباء الأبناء في هذه المسألة وشكوا كثيرا منها وعجب لعدم اكثر المصلحين بيانها بيانا كافيا شافيا فقلت له : المأمول ان يكون الاوان قد آن لاصلاح هذه العادة التي تهبط بالامة الى الدرك الاسفل اصلح الله الاحوال » (١) .

- ٦ -

وقال من كتاب في غرض التربية :

واؤكد في هذا الكتاب بأمور :

١ - ادخال مبادئ الصنائع في المدارس الابتدائية ويمكن تجربة ذلك اولاً في مدرسة واحدة .

٢ - ادخال التربية العملية فيها وذلك بتعويد التلميذ على الصدق وان لا يتكلم في شيء الا بعد ان يختبره فان الشرقي اعتاد ان يدعي كل شيء وأن لا يقول في شيء لا أعلم وهذا جعله لا شيء عند العربي .

(١) ش : ج ٩ ، م ٥ ، ص ٢ - ٢٩

غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ - اكتوبر ١٩٢٩ م .

٣ - السعي في مدرسة للقراءات السبع مثل ما كان من قبل .
ولا ينبغي أن توضع هذه الأشياء في المذاكرة وأن يخطب فيها ، فان مثل
ذلك ينبغي ان يخطب فيها بعد ان تصير .

وقال في موضوع التعليم وقد رجوته ارشادي برأيه فيها في
المدارس ورأيه في البحث في المخطوطات : « وما زاد فيه سروري
شيئان أحدهما الاعتناء بتربية الأبناء ، فان أكثر الآباء يرجحون من حيث
يدرون ولا يدرون مصلحة أنفسهم وما ذكرتم فهو موافق . والأولى أن
يضم الى ذلك صنعة كالخياطة والتفصيل ونحو ذلك وعرفوني بعد
حين البروغرام الذي يظهر لكم . وينبغي ان تتولوا بنفسكم بعض
التعليم ولو مدة ربع ساعة على طريق احد المغاربة فانه كان يطلب من
ولده ان يفيد بعض مسائل بعد ان يشعره بطرف خفي بمطائنها فيلقبها
الابن على الأب كأنه يفيد .

واما الذين يريدون ان يخفضوا ما رفع الله شأنه ويرفعوا ما خفضه
فعما قليل ليصبحن نادمين والزمان يضحك منهم وكذلك الائمة الغريبون
الذين يمتون اليهم بوسيلة التقليد لهم فلا يكن في صدرك حرج منهم
فهم اغرار وينبغي ان تمحو من لوح الفكر لفظ اليأس فانه اضر شيء ،
واثبت ففي الثبات جل الحكمة ان لم نقل كلها .

الثاني استفسارك عن وصف الكتب فانه دل على انك قوي حسن
الظن بنا حتى تكاد تعتقد اننا لا نقول شيئاً جزافاً كما ان اناساً يعتقدون
اننا لا نقول شيئاً الا جزافاً . وهنا اذكر لك حكاية سمعتها مرارا ممن
اثق بهم وهي ان احد^(١) من جمع له بين العلم وغيره من الصفات العالية
ارسل الى احد من يميل اليه من النبهاء وقال له اريد ان تنشر بين
جماعتنا العلم الفلاني فقال لا أعرفه وانما أعرف العلم الفلاني . فأعاد

(١) كذا في الاصل وصوابه : أحداً .

عليه العبارة المسؤول قوله لا أعرفه . فأعاد عليه السائل ما قال أولا
فأراد المسؤول ان يجيبه فإشار اليه بعض الحاضرين اشارة خفية ان
يظهر الامتثال ثم قاموا من عنده فقال له المشير : ان فلانا لم يقل لك
ما قال الا وهو يعلم انه ممكن واذا تحقق الامكان فما عليك الا ان
تسعى في اخراج الأمر من القول الى الفعل فسعى وتم الأمر . وحصلت
فائدة عظيمة من احياء امر كان دارسا .

ونرجع الى اصل المسألة فنقول : من اراد وصف كتاب ينبغي له
ان ينظر فيما قاله مؤلفه في مقدمته او في خاتمته او فيهما معا ويأخذ
خلاصة ذلك والوصف عندهم ليس عبارة عن النقد بل بيان موضوع
الكتاب والداعي الى تأليفه . وما في الكتاب من الخصائص وعلى ذلك
يتيسر وصف الكتب بأسرها حتى كتب الطب فاذا زاد الواصف فصلا
من الفصول ليكون كالنموذج كان احسن وكثيرا ما يكون وصف
الكتاب على هذه الطريقة سبب نشره .

واكثر وصف المؤلفين لكتبهم اما مطابقة للواقع او قريب منه .
اما الموهون فقليل في الطبقات القديمة . ومن العجيب ان هذا الامر
لا يشعر به كثير من نبهاء هذا القطر ولفظ الكثير هنا مجاز وجربوا
نفسكم في غير التاريخ ونحوه ففي الحديث يمكنكم ان تصفوا هذه
الكتب .

« في دار الكتب الظاهرية بدمشق » .

نمره ٣٥٦ اللطائف في علوم المعارف للمديني .

« ٣٦٢ اسماء الضعفاء للعقيلي » .

« ٣٨٧ معرفة الرجال لابن معين » .

« ٣٩٠ المشتبه للغساني » .

« ٣٩٣ الكفاية في علم الرواية » .

وهذا امر يفيد الناس اكثر من كثير من المقالات التي حررها اناس ليس لهم تتبع ولا معرفة يجعل نتيجة للمقالة حتى صار المطالعون يضيق صدرهم من ذلك وقد سألني منذ مدة ارباب المجلات عن احسن المجلات فقلت أصغرها حجماً •

« في ١٥ ذي القعدة ١٣٢٨ »

وقال من رسالة :

« مما يهم جدا ادخال مبادئ الصنائع في جميع المكاتب الابتدائية وقد جرب ذلك في بعض المدن فتبين ان ذلك مما يعين على التحصيل ايضا والفائدة في ذلك مهمة •

ومما يهم جدا ادخال التربية العملية في المدارس لا سيما المدارس الابتدائية • ومن ذلك ان يعود التلميذ على ان لا يتكلم بما لا يعلم وان يتفكر قليلا اذا سئل عن شيء لم يسبق له به اختبار • وهذا امر ممكن قريب المأخذ قد عمله أناس فنجحوا فيه - وأرجو أن لا تقرأ افكاري على اناس من الحشوية او الفلاسفة الخياليين فاني اربأ بها عنهم • نعم هؤلاء ينبغي ان يعرفوا ذلك بعد العمل به • ونصيحتي لكل محب ان لا يشتغل بمثل هؤلاء فانه انفع •

« في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ »

« هذا وقد سرني كثيرا زوال المباينة بينكم وبين الذين نود عدم مباينتهم • وهذا ايضا من اثر النشاط فان النشاط اذا زال لحق المرء الملل من كل شيء واذا حصل قويت الهمة ورأى البعيد قريبا واقام للناس اعذارا ونفعهم وانتفع بهم •



قد جرى منذ اسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة احدى دوائر المعارف الفرنسية فان الناس في احتياج لذلك • وقد تبين من

المذاكرة ان امر المال سهل فان احد الحاضرين تعهد بذلك وقال ان له أخواناً لا يتوقفون في الامداد ، ولكن المهم وجود مترجمين كافيين يتعهدون بالقيام بذلك الى النهاية فقلت ان هذه المسألة تحتاج الى تفكر وبحث شديد . وقد استقر الرأي على ان تدرس في نحو ثلاثة اشهر ووعدت بالكتابة لكم في ذلك فابحثوا في المسألة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين اخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قد خطر وكان معنا في المذاكرة الفاضل المقدم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وهو يأمل ان يوجد بارشادك نحو سبعة مترجمين . وقد تشبث بهذا الامر منذ سنين اناس ظنوا ان المال يأتي بكل شيء فتبين لهم غلطهم واعرضوا عن الامر وهذا امر بعيد جدا ولكن هو في درجة الامكان القريب من الوقوع وانما يحتاج الى الهمة ومعرفة الطريق وقد كان بعض الحاضرين يريد ان يجعل زمام الأمر في يد الحكومة ، فطلبنا أن يكتب ذلك عنها ، فانه لا يؤمل أن تقدر عليه فان هذا الامر محتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومة .

وقال في رسالة وقد سألته عن التاريخ الهجري وانتقاد بعضهم على استعمالنا له :

عجبت لمن يسعون في ان نهجر التاريخ الهجري ويفاتحونا في ذلك كأنهم لا يعلمون انا نعلم ما يرمون اليه عن بعد . لكل امة شعار اذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها وربما صارت بعد مدمجة في غيرها . وقد سعى اناس منذ عهد بعيد في ان يضعفوا ما يقوي امر الاسلام عموماً والعرب خصوصاً فنجحوا بعض النجاح ، فطمعوا في أن يقضوا عليه فلم يجدوا اقرب الى ذلك من اضعاف امر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها والتزهيد في الكتب التي كتبت به جعلوا ذلك دأبهم وديدئهم حتى اثروا في كثير من ابناء جلدتنا الذين يظنون انهم

على غاية من الذكاء والوقوف على اسرار الامم فكان ما كان مما هو معروف ثم زاد الامر فطمعوا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك ، جبت مصر ففرحوا فرحاً لا مزيد عليه . وقال بعضهم : الآن شفينا الغليل من هذه الامة غير ان كثيرا ممن اتتبه لهذا الامر سعى في اعادته على قدر الامكان فامتعض اولئك القوم وصاروا يلمزون كل من يسعى في ذلك .

وهذه المسألة نظراً لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر أن يكتب فيها اقل من تاريخ نحو ثلاثين صفحة نحو ثلاثين يوماً . وليت شعري كيف يلام المسلم على ان يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري فهل انقرض التاريخ الهجري وهل يريدون ان ينقرض واصحابه احياء ؟ فان قالوا ان المقصود توحيد التاريخ في الامم وأوروبا هي القوية الآن قيل ان أوروبا لها تاريخان احدهما شرقي والآخر غربي وكل يؤرخ به قوم منهم فهل اوقف ذلك التجارة او اثر في المدنية شيئاً . ولم لا يكلفون تغيير مكائيلهم وموازينهم واذرعهم لتتحد المقاييس في الامم . وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة بخلاف التاريخ . وقد رأيتهم يعتذرون عنهم ويعدون ذلك متانة في الاخلاق فانظر ما وصلنا اليه .

وهذا الكتاب يدلنا على اشياء كثيرة من سيرة الشيخ ومرماه ونصاعة حجته وجميل مناقشته لخصوم مشربه .

وكتب : « كان كثير من الحشرية يلومونني في تنبيه المؤلفين والطابعين على ما يلزمهم ويقولون ان هذا لا يفيد غير العداوة وأنت تضرب في حديد بارد وما دروا اني ممن يقول بان العداوة في محلها اجدى عندي من ان اكسب المحبة من غير وجهها وان معاداة الفاشين لي مما يسرني كما أن محبتهم لي مما يسوءني غير ان الزمان ابان ان كل نصيحة لا تخلو من تأثير ولو بعد حين فان كثيرا ممن لحقتهم صدمة منا ومن

اخواتنا الذين اعطوا هنا عهدا ان لا يغشوا الامة قد صاروا يراجعون بعض مراجعة غير ان التأثير في المطابع كان اكثر .

واما امر التصحيح فلم يهتد المصلحون الى طريقة في اصلاحه . بحيث ان بعض الناس طلب الينا ان نبحث له عن مصحح لكتاب المحكم لابن سيده وهو اكبر من لسان العرب ليشرع في طبعه فبعد بحث كثير تبين انه لا يقوم بتصحيحه الا فلان وهو احد اخواتنا الذين لا يساعدهم نظريتهم في املاكهم الجمّة على التفرغ لمثل هذا الامر . فأرجيء الآن طبع الكتاب لهذا الامر . فانظر الى الحال التي وصلت اليه مصر . فما قولك في غيرها الا ان الذي يسر في مصر اتبناها لنقصها بخلاف الأقطار الأخرى والاتباه للنقص هو نوع من الكمال . ارانا الله سبحانه الكمال على حقيقته بمنه عليكم بالرياضة الجسمانية والرياضة الروحانية . ويدخل في الرياضة الروحانية التباعد عن سماع الاخبار التي اولع بها المرجفون . فانه لا قيمة للزمان عندهم وهو عند الحكيم أعلى من الجوهر .

« ١٧ رمضان سنة ١٣٢٦ »

وكتب من رسالة :

« قد سرتني في مصر في هذه المدة ان العقلاء بدأوا يجتمعون في الفكر والتعاون على صفة يقتضيها الموقع وهو عدم التظاهر من اول الامر كما يفعله طالبو الشهرة وهذا امر لا يشعر به الا من اطمانوا اليه . وقد كانوا قبل ذلك يقول كل واحد منهم نفسي نفسي . واذا استتجده احد لامر نافع قال ولو بلسان الحال « عليك بخويصة نفسك » .

قد اجتمعت في هذا النهار بعالم اورباوي قد حل الخط الشودي الموجود في مدائن صالح واخبرني ان كتابه قد تم طبعا وهو الآن يسمى لجمع لغة أهل نجد فانه وجد أن أكثر الكلمات العربية لم تزل

باقية عندهم وكان قد ساح في تلك الجهات وهو ممن يتعصب للغة الكتاب العزيز اكثر مما يتعصب اهلها لها .

كان قد أسس في أميركا مدرسة يقرأ بها الطالب وهو في بلده ، وقد كنت رأيت في سورية احد طلبتها وهو يدرس فيها فنا دقيقا واظن انها تسمى المدرسة الكوتشوكية ، وقد كان ترجم قديماً الى العربية بعض قوانينها وطبعت ثم نفذت النسخ بحيث اني بحثت عنها فلم اجد نسخة بل لم اجد من يعرفها فان وجدتم كتابا بالفرنسوية يتعلق بها فترجوا منه ما تيسر مما يوافق البلاد .

وقد سعى بعض الواقفين على ذلك من نحو عشر سنين في بث هذا المقصد الا انه على وجه خفي حيث كان نشر العلم اذ ذاك يعد من أعظم الاجرام ، والآن لم يبق مانع ومجرد نشر اسلوبها وقوانينها يفيد فضلا عن التشبث بشيء من ذلك .

وقال في كتاب :

« وقد وقتت على كثير من الجرائد الجديدة فوجدت جل مباحثها في بيان فوائد الحرية ورأيت الناس قد ملوا هذا البحث لأن الحرية ان كانت على المعنى الذي يقول به الحكماء فهي مما لا يختلف فيه اثنان من ذوي النباهة ، وان كانت على وجه آخر فربما كان ضررها أكثر من نفعها . ولست أعني بالحكماء هنا أمثال الحكيم الذي كان يقال لكم انه تعلم الحكمة في سويسرة في ثلاثة أشهر لأن مثل تلك الحكمة مما يزيد خبالاً . وما أرى أكثر الفتن التي وقعت في كثير من الولايات الا من مثل هؤلاء لا سيما ان ضم الى دعوى الحكمة دعوى الحرية وهو لا يملك نفسه . وقد كان أرباب الحدس يتصورون انها تكون أشد إلا أن الألفاظ الالهية حفت فخفت والله الحمد .

« ٢٣ شوال سنة ١٣٢٦ »

ذكر في جملة كتاب حوى مسائل كثيرة في نسخ الكتب وأخذها بالتصوير الشمسي والعناية بوضع فهرس لكتب رومية باللغة العربية ثم قال :

« من أغرب ما في القدس امتزاج المسلمين من النصارى على وجه غريب بحيث لم تؤثر فيهم الطريقة التي اتخذها المستبدون في تمشية أمرهم وان هلك الحرث والنسل . وقد رأى بعض الباحثين ان هذا أمر دبره صلاح الدين الايوبي برأيه الثاقب منعاً لما حدث من قبل بسبب سوء سياسة العبيديين الذين كانوا بمصر تعمدوا الله برضوانه .

خذوا على نفسكم عهداً بأن لا تؤخروا جواباً مكتوباً^(١) لأحد وخذوا العهد على من كان على شاكلتكم بذلك فان في ذلك فوائد جمة والمكتوب يسوغ أن لا يزيد على خمسة اسطر .

« ٤ شوال سنة ١٣٣٧ »

وقال أيضا :

« وأرجو أن لا تقصروا في كتابة نبد تتعلق بالتربية وتدير المنزل واصلاح العادات وما أشبه ذلك وأؤكد عليكم في أن لا تشتغلوا بشيء من الجدل فان الجدل يبطيء عن العمل ، وخذوا من عنان قلمكم لثلا يجري الى غير مدى والاعتدال أقرب لحصول ما يتغنى .

وذكر في رسالة ان الكتب التي يجب أن توصف :

١ - ارجوزة ابن سيده في الأدب وهي من قبيل الملح اللغوية في نمرة ١ من الأدبيات المنظومة مع ديوان أبي العتاهية تزداد فيها نثراً في الآخر صاحب وما يميل اليه من دواوين الشعر والكتب وما يتقنه من العلوم والصنائع أو ما ينتجر به وما يؤثره من الاخلاق ونحو ذلك ويتيسر عمل ذلك في جدول في صفحتين أو أربع .

(١) في الاصل : جواب مكتوب .

آثار ابن باديس

- ٢ - المجمل في اللغة في الظاهرية نسخة منه ناقصة من الطرفين .
 - ٣ - المغرب للمطرزي .
 - ٤ - رد ابن السيد على رد ابن العربي على شرحه لديوان المعري .
 - ٥ - أعتاب الكتاب لابن الابار .
 - ٦ - عروض ابن معطي وبديعته .
 - ٧ - بغية المؤانس من بهيجة المجالس والاصل لابن عبد البر .
 - ٨ - قانون البلاغة لأبي طاهر محمد بن جبلة البغدادي في الظاهرية .
 - ٩ - مختصر اصلاح المنطق .
 - ١٠ - الاربعين السلفية وهي مرتبة على البلدان ، ومن سمعها على السلفي الملك الناصر صلاح الدين يوسف ووالده نجم الدين ايوب ابن شادي بقراءة القاضي سناء الملك هبة الله بن جعفر بن سناء الملك محمد بن هبة الله بن محمد الاسدي^(١) .
- ينقل صورة السماع فقط . ا ه .

محمد كرد علي

(١) ش : ج ١٠ ، م ٥٠ ، ص ٢٥ أسفل صفحة ٣٣ .
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ تقامبر ١٩٢٩ م .

رزة الاسلام

وفاة مجتهد العصر الاستاذ رشيد رضا

نعت أخبار مصر وفاة هذا الامام وقد كانت وفاته اثر رجوعه من مشايعة الأمير سعود الى الاسكندرية فابتدأه الألم أثناء الطريق وما بلغ الى مصر حتى وافاه الأجل وقد شيعت جنازته في مشهد عظيم ودفن بجوار الاستاذ الامام محمد عبده ، لقد كان الاستاذ نسيح وحده في هذا العصر فقهاً في الدين وعلماً بأسرار التشريع واحاطة بعلوم الكتاب والسنة ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع وكفى دليلاً على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير وما أودعه مجلة المنار في مجلداتها التي نيفت على الثلاثين وما أصدره من غيرهما مثل (الوحي المحمدي) الذي كان أحب كتبه اليه ، وان ما كان يقوم به من عمل في تفسير القرآن لا تستطيع أن تقوم به من بعده الا لجنة من كبار العلماء ، فهل يكون من رجال الأزهر من يتقدمون لخدمة الاسلام بتتيمم هذا العمل الجليل ، اتنا نتمنى أن تتوجه عناية الاستاذ مصطفى المراغي الى هذا فيكون من أعظم أعماله .

اجر الله الاسلام والمسلمين في هذه المصيبة وخلف عليهما خيراً منها ورحم الله الاستاذ حجة الاسلام وجازاه خيراً ما جازى به عباده الصالحين^(١) .

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧

غرة جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ - سبتمبر ١٩٣٥ م .

حجة الاسلام

السيد محمد رشيد رضا

- ١ -

كتبنا كلمة عن وفاته في الجزء الماضي ونريد اليوم أن نكتب شيئاً من ترجمته معتمدين في ذلك على ما نشره هو منها مجموعاً ومنفرداً في كتاب تاريخ الاستاذ الامام وكتاب (المنار والازهر) .

مولده :

ولد في حدود ١٢٩١ هـ ١٨٦٥ م بقرية القلمون من قرى لبنان .

بيته :

بيت شرف ودين وعلم وفضل وصلاح يعرفون بالمشائخ من قريتهم واليهم يرجع أهلهم في الدين واصلاح الشؤون .

نشأته :

نشأ في هذا البيت الطاهر نشأة علم ودين وتقوى وشعور بواجبات القيام بحاجات الناس وايصال الخير اليهم .

تعلمه وشيوخه :

قرأ القرآن وتعلم الخط والحساب في كتاب قريتهم وحبب اليه من الكتب كتب الأدب والتصوف فكان يقرأ كتاب الاحياء لحجة الاسلام الغزالي فطبعه بطابع الزهد والتدين وأكسبه ملكة العربية

الفصيحة والاسلوب المرسل في البيان • ثم ادخل مدرسة ابتدائية جميع التدريس فيها باللغة التركية فلم يقم فيها الا سنة ثم في سنة ١٣٠٢ هـ دخل مدرسة الاستاذ حسين الجبر وكان هذا العلامة أنشأ مدرسته لتعليم علوم الدين واللغة العربية واللغات الاجنبية والعلوم الدنيوية على الطريقة العصرية مع التربية الاسلامية الوطنية ، فتخرج في العلوم العربية والشريعة والعقلية على الاستاذ الجبر في مدة ثمان سنوات وكتب له شهادة العالمية •

وتشبع بروحه في ضرورة الجمع بين علوم الدين وعلوم الكون المادية والاجتماعية والعمرائية مع التربية الاسلامية لنهضة الامة ، وأخذ الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلامة محمود نشافة وحضر قليلاً من كتاب نيل الاوطار للشوكاني على العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي واستفاد كثيراً من معاشرته في العلم والأدب والتصوف وتلقى بعض كتب الحديث على العالم المحدث الشيخ محمد القوقجي •

الكتب التي خرجته :

شغف بكتاب الاحياء فطالعه كله وأعاد مطالعته فكان له الأثر الصالح في زهده وأخلاقه واخلاصه في العلم وتقواه في العمل وكان طريقه منه في فهم الدين انه دين روحاني اخروي فقط وان ارشاد المسلمين محصور في (تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات ، وحثهم على الطاعات وتزهيدهم في الدنيا) • ثم اتفق له في أثناء مدة طلبه للعلم - وهو يقرب أوراقاً علمية لأبيه - أن وجد عدد من جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها حكيم الشرق جمال الدين الأفغاني والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فقرأهما بشوق ولذة بعثاه على البحث عن بقية أعدادها فلما قرأ ما وجد منها المرة بعد المرة أحدثت فيه أثراً جديداً ونقلته من طور الى طور وصار طريقه في فهم الاسلام انه

(دين روحاني جسماني اخروي دنيوي من مقاصده هداية الانسان الى
السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل)
وان ارشاد المسلمين يجب أن يكون - مع تصحيح عقائدهم ونهيمهم
عن المحرمات وحثهم على الطاعات - الى المدنية والحفاظة على ملكهم
ومباراة الامم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات
الحياة .

تنسكه :

حبب اليه كتاب الاحياء مجاهدة نفسه على طريقة الصوفية بترك
أطيب الطعام والاكثفاء بقليله والنوم على الأرض وغير ذلك وأخذ
أوراد الشاذلية عن شيخه ابي المحاسن القاوقجي أعبد عباد شيوخ
الطريق في وقته ورغب منه أن يسلكه الطريق على الاصول العملية
اذ لم يعجبه أن يسلك الطريق على وجه صوري من تلاوة الاوراد
وحضور الاجتماعات فقال له الشيخ (يا بني انني لست أهلاً لما تطلب
فهذا بساط قد طوي واقترض أهله) ثم تلقى الطريقة النقشبندية وقطع
مراتبها كلها فكان تنسكه - أولاً - تصوفاً طريقاً شاذلياً فنقشبندياً
بما فيه من حق وباطل وهدى وضلال .

تخلص نسكه من الباطل والضلال :

دعاه شغفه بكتاب الاحياء الى اقتناء شرحه الجليل للامام المرتضى
الحسيني فلما طالعه ورأى طريقته الأثرية في تخريج أحاديث الاحياء
فتح له باب الاشتغال بعلوم الحديث وكتب السنة وتخلص مما في
كتاب الاحياء من الخطأ الضار - وهو قليل - ولا سيما عقيدة الجبر
والتأويلات الاشعرية والصوفية والغلو في الزهد وبعض العبادات
المتدعة ، وترك أوراد الشاذلية لما علم ان قراءتها (من البدع التي جعلت
من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه) أي ورد

السحر وأمثاله) من الأمور والاقسام المنتقدة شرعاً ، واستبدل بها قراءة القرآن ووردت آخر في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (ليس فيه شبهة بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكرة ومضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور عن الشارع) كما ترك أوراد النقشبندية وذكرها (غير المشروع المخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور) وبين ما في رابطتها من شرك أو بدعة .

فتخلص نسكه - بعد طرح ذلك كله للتنسك الاسلامي من تجريد التوحيد وتركية النفس وتقويم الاعمال وتصحيح النية ومحاسبة النفس ومراقبة الله في جميع الأعمال والزهد في الدنيا والعمل للأخرة والمبالغة في العبادات المشروعة والاعتصام بالورع موزوناً ذلك كله ومضبوطاً بالكتاب والسنة وما كان عليه أهل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون واتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين . وهذا هو الذي يراد بالتصوف اذا جاء اسم التصوف في كلام علماء السنة والأثر ، وقد كان السيد محمد رشيد رضا رحمه الله من أئمتهم ، فهذا هو تنسكه وهذا هو تصوفه .

تعليمه وارشاده :

تصدى للتدريس في مسجدهم ، حيث كان عمه - كأسلافه - يقوم بالأمامة والخطابة والتدريس فكان يقرئ للرجال دروساً في الفقه الشافعي ودروساً في التوحيد بالسنوسية ولما رأى صعوبتها عليهم وضع لهم عقيدة سهلة وكان يريهم في تعليمهم بما يحثهم عليه من القيام بالشعائر الدينية وكان يلقي عليهم المواعظ الدينية معتمداً فيها على آيات القرآن العظيم ، ثم لم يكتف بما يقوم به من التعليم والارشاد في المسجد فكان يذهب الى مقهى يجتمع فيه العوام فيعظهم ويرشدهم حتى هدى منهم من هدى الله ، ورأى أن على المرشد هداية النساء

مثل ما عليه هداية الرجال فكن يجتمعن في دار اسرته فيلقي عليهن العقائد والاحكام والآداب في عبارات سهلة بدون كتاب وكان يأمرهن بتغيير زيهن بما هو أستر وأظهر حتى تكون المرأة في الشارع كما تكون في الصلاة .

امره بالمعروف وتغييره للمنكر :

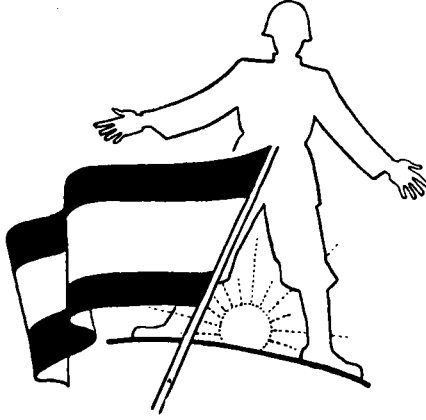
كان بعد ما قرأ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الاحياء يأمر وينهي لا يخاف لومة لائم وأول حادثة صدع فيها بالنهي عن المنكر في حفل عظيم من الناس - كانت يوم شهد حفلة للطريقة المولوية ورأى رقصهم وحلقة غلمانهم فصاح فيهم بما معناه (أيها المسلمون ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ، ولا السكوت عنه ، لأنه اقرار له وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى : (اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا وَكَلْعِبًا) واتي قد أدت الواجب فاخرجوا رحمكم الله) وخرج مفارقاً لهم .

ما وقع بينه وبين شيخه الجسر بسبب هذا الإنكار :

كان الشيخ الجسر على علمه بالعلوم الشرعية وإلمامه بالعلوم العصرية شيخاً في الطريقة الخلوية فكان ينصح لتلميذه بأن يكف عن أهل الطريق ولكن لا يأتيه على ما يفعلونه مما يتدعون في الاسلام ويشرعونه لأنفسهم مما لم يأذن به الله بدليل . وكان السيد يقول له (أفقني بما تقول بالدليل ليصير عقيدة اي ارجع الي قولك) فكان يجيبه الشيخ بقوله (انت أهل علم وصاحب حجة وليس لك عندي غير ما قلته) وكما كان ينكر على العامة كان ينكر على الحكام والكبراء ما يراه منهم لا يخص بانكاره أحداً دون أحد وكذلك كل ما كان عن عقيدة ولوجه الله من الاعمال لا يتركه صاحبه على كل حال .

هذه ترجمة السيد قبل هجرته الى مصر وقد رأينا انه صار عالماً

معلماً مرشداً ذا منزلة رفيعة في العلم والتقوى والنصح للمسلمين وهو
بعد في أول العقد الثالث من عمره وسيعرض في الجزء الآتي - ان شاء
الله تعالى - لترجمته بعد رحلته (١) .



(١) ش: ج ٧، م ١١، ص ٤٠٩ - ٤١٣
غرة رجب ١٣٥٤ هـ - أكتوبر ١٩٣٥ م .

الاعتبار بما كنا نشرناه من القسم الاول من حياة

حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا

- ٢ -

لقد بلغ السيد رشيد من الفقه الديني ، والتمكن من علوم الكتاب والسنة والخبرة بأحوال الزمان منزلة ما نخال انها تتاح لأحد من بعده الا في دهر طويل ، لأن الأسباب التي يسرت له لا نراها اليوم مجتمعة في مكان غير ان هذا لا يمنعنا من الاعتبار بحياته والاسباب التي اتاحت له لناخذ بها ونحث على الأخذ بها وهذه أهم النواحي التي كان لها ذلك الأثر في مقامه العظيم .

البيئة المنزلية :

البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال . وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق . والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الاسلامية في البيوت بسبب جهل الامهات وقلة تدينهن ، والسيد رشيد كانت متانة خلقه وقوة دينه من أثر امه التي كانت - كما قال هو - على جانب عظيم من الدين مع العلم الكافي لمثلها ، وليئة بيته ، فاذا أردنا أن نكون رجالاً فعلينا أن نكون امهات دينيات ولا سبيل لذلك الا بتعليم البنات تعليماً دينياً وتربيتهن تربية اسلامية واذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال . وشر من تركهن جاهلات بالدين القاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين أو تحقره

في أعينهن فيصبحن مسوخات لا يلدن الا مثلهن ولئن تكون الام جاهلة بالدين محبة له بالفطرة تلد للامة من يمكن تعليمه وتداركه خير بكثير من أن تكون محتقرة للدين تلد على الامة من يكون بلاء عليها وحرماً لدينها . فنوع تعليم البنات هو دليل من سيتكون من أجيال الامة في مستقبلها ، وقد تفتنت لهذا بعض الامم المالكة لزمام غيرها فأخذت تعلم بناتهم تعليماً يوافق غايتها ، فمن الواجب علينا - ولنا كل الحق في المحافظة على ديننا ومقوماتنا - أن نعني بتعليم بناتنا تعليماً يحفظ علينا مستقبلنا ويكون لنا الرجال العظماء والنساء العظيمات ، والا فالمستقبل ليس كالماضي فقط بل شر منه لا قدر الله .

اثر المعلم :

أغلب المعلمين في المعاهد الاسلامية الكبرى كالأزهر لا يتصلون بتلامذتهم الا اتصالاً عاماً لا يتجاوز أوقات التعليم فيتخرج التلامذة في العلوم والفنون ولكن بدون تلك الروح الخاصة التي ينفخها المعلم في تلميذه - اذا كانت للمعلم روح - ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته ، والسيد رشيد وفقه الله للتعلم على الشيخ حسين الجسر - كما قدمنا وكان لهذا الشيخ روح واتصل به السيد عزيزاً مثل تلك الروح في تلك الايام فكان لها أثرها في حياة السيد ومن آثارها تشوقه - وقد نال شهادة العالمية من شيخه - الى ملاقاته الاستاذ الامام .

فعلى المعلم الذي يريد أن يكون من تلامذته رجالاً أن يشعرهم - واحداً واحداً - انه متصل بكل واحد منهم اتصالاً خاصاً زيادة على الاتصال العام وأن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكل واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي حياته حتى يشعر كل واحد منهم انه في طور تربية وتعليم في كفاية أب روعي يعطف عليه ويعني به مثل أبيه أو أكثر .

التحصيل الدراسي والتحصيل النفسي :

فهم قواعد العلم وتطبيقها حتى تحصل ملكة استعمالها - هذا هو المقصود من الدرس على الشيوخ فأما توسيع دائرة الفهم والاطلاع فانما يتوصل اليها الطالب بنفسه بمطالعته للكتب ومزاولته للتقرير والتحرير وعلى هذه الخطة سار السيد رشيد في تحصيله فانه حصل قواعد العلوم في ثمان سنوات ثم استمر على مطالعة الكتب حتى بلغ الى ما بلغ . يحسب كثير من الناس أن تحصيل العلم لا يكون الا بقراءة كتبه فتطول سنوات تعلمهم ثم لا يبقى عندهم الا امهات القواعد وتضيع عليهم تلك السنون ويكسبهم الاستمرار على كتاب واحد مطول جهودا في العلم وانحصارا في دائرة ذلك الكتاب . فلا تدعوهم أنفسهم الى مطالعة غيره .

ثم ان الدروس انما تحصل فيها قواعد بعض العلوم وتبقى فنون كثيرة من فنون العلم يصل اليها الطالب بمطالعته بنفسه وحده أو مع بعض رفاقه فلا ينتهي من مدة دراسته العلمية في الدروس الا وقد اتسع نطاق معلوماته بفنون كثيرة كما كان السيد رشيد في مطالعته لكتاب الاحياء وكتاب الأدب وكتاب العروة الوثقى ، ونرى الطلاب اليوم في أكبر المعاهد - كالزيتونة - لا يخرج الطالب عن كتبه الدراسية الى مطالعة شيء بنفسه مما يكسبه علماً أو خبرة بالحياة فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة وهو غريب عن الحياة .

فعلى الطلبة والمتولين أمر الطلبة أن يسيروا على خطة التحصيل الدراسي والتحصيل النفسي ليقترضوا في الوقت ويتسعوا في العلم ويوسعوا نطاق التفكير .

تعيين الغاية والاستعداد لها :

على كل ذي سعي في الحياة أن يعين غايته التي يقصد اليها ويستعد

بكل ما يساعده على الوصول اليها ، وغاية العالم المسلم أن يهتدي في نفسه وأن يهدي غيره وقد كان السيد رشيد وضع هذه الغاية نصب عينيه فكان في تحصيله الدراسي والنفسي يعمل لها فيزكي نفسه ويتزود بما يزكي به غيره .

أما أكثر الطلاب فمنهم من تكون غايتهم الوظيف فهم غفلة من أنفسهم وعن غيرهم ، ومنهم من تكون غايته أن ينال الشهادة بالعلم فهو مثل الأول فأما الغاية الحقيقية التي ذكرنا فما أقل أهلها لأنها لا ذكر لها في برامج التعليم ولا اهتمام بها من المعلمين . وحق على كل طالب أن تكون هي غايته وهو مع ذلك نائل العلم ونائل ما يؤهله للوظيف ان أبي الا أن يكون الوظيف من قصده ولكنه بالقصد الى تلك الغاية يكون عاملاً في أثناء تعلمه على تهذيب نفسه ويكون مصدر هداية للناس في مستقبل أيامه ولكن هذا انما يتم للطلاب اذا كان شيوخه يهتمون لهذه الغاية ويعملون لها ويوجهون تلامذتهم اليها . وما أعز هذا الصنف من الشيوخ .

التفكير والاستقلال فيه :

اذا كان التفكير لازماً للانسان في جميع شؤونه وكل ما يتصل به ادراكه فهو لطالب العلم الزم من كل انسان فعلى الطالب أن يفكر فيما يفهم من المسائل وفيما ينظر من الادلة تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره وانما يعرف تفكير غيره ليستعين به ثم لا بد له من استعماله فكره هو بنفسه .

بهذا التفكير الاستقلالي يصل الطالب الى ما يطمئن له قلبه ويسمى - حقيقة - علماً ، وبه يأمن الوقوع فيما أخطأ فيه غيره ، ويحسن التخلص منه ان وقع فيه ، وبهذا التفكير الاستقلالي استطاع السيد رشيد رضا أن يتخلص مما في كتاب الاحياء من الخطأ الضار - وهو قليل - كما قدمنا وبه استطاع أن يتفطن لما في الطريق التي دخلها من

ضرر فتخلص منها جميعها للزهد الاسلامي الصحيح والتنسك المشروع وبه استطاع أن يناظر شيخه حسين الجسر في البدع الطرقية ويسلم من تأثيره عليه بما له عليه من حق وفضل ، فالتفكير التفكير يا طلبة العلم فان القراءة بلا تفكير لا توصل الى شيء من العلم وانما تربط صاحبها في صخرة الجمود والتقليد وخير منهما الجاهل البسيط .

بعده من الوظيف :

كل مسلم عليه أن ينفع بما استطاع في أي حالة كان وما كان الوظيف من حيث هو وظيف بمانع لأحد يحترم نفسه من النفع والخير غير انه في أنواع من الحكومات والاصناف كثيرة من الناس صار الوظيف قيماً في اليد وغلا في العنق ، ونحن نعلم ان الاصلاح الديني ما تأخر في القطر المصري والقطر التونسي الا لأن جميع المتسمين بالعلم متوظفون أو مرشحون للوظيفة أو طامعون فيه وكان مما مكن للسيد رشيد رضا في قيامه بما قام به بعده عن الوظيفة .

ونحن نرى حتماً لو اُعلى كل من كان يعد نفسه لخدمة الاسلام بنشره والدعوة اليه وبيان حقائقه لأبنائه وغير أبنائه أن يتعد عن كل وظيف . نعم كان الشيخ عبده موظفاً في الحكومة المصرية ولكنه قال هو عن نفسه (لولا ما أرجوه من اصلاح الازهر والمحاكم الشرعية ما قبلت الوظيفة) ومن أين لنا أن نجد مثل هذا القصد أو أن نستطيع أن تنفع بالوظيفة أو أن تتغلب عليه ؟

ان السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحل على حال بواديهما هذا ما عن لنا من الاعتبار في هذا القسم من حياة هذا الرجل العظيم وسننشر القسم الثاني في الجزء الآتي ان شاء الله (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٨ ، م ١١ ، ص ٤٤٤ - ٤٥٣ .

حجة الاسلام

السيد محمد رشيد رضا بعد هجرته الى مصر

- ٣ -

سبب الهجرة الى مصر :

ما كانت البلاد العثمانية في عهد استبداد عبد الحميد لتتسع لمثل السيد رشيد فيما يريده من اصلاح عام وما كان هو ليستطيع الصبر على القعود عما اعتقد وجوبه وجوباً حتمياً من النهوض بالاصلاح فكان لزاماً عليه أن يفكر في الخروج ، ولم يكن يصلح لمقصده الا مصر . هذا الى ما كان له من الرغبة في الاتصال بالاستاذ محمد عبده والاخذ عنه والتكامل به .

سبب تعلقه بالاستاذ الامام واول تعرفه به :

كانت مطالعته لمجلة العروة الوثقى باعثاً لاعجابه بالامام جمال الدين الافغاني وشغفه والشوق الى لقائه وكان كاتبه وهو بالاستانة في ذلك ولم يساعده القدر على لقائه وكان حبه للامام جمال الدين مستلزماً لحبه لتلميذه ومعينه ووارث علمه وحكمته ، ومحرر العروة الوثقى الشيخ محمد عبده . وكان السيد قد التقى به ببلدة طرابلس من أرض الشام وتعرف به وحضر مجلسه فازداد به شغفه وتعلقه ، فلما توفي السيد جمال الدين سنة ١٣١٤^(١) عزم على الهجرة الى مصر والاتصال بالاستاذ الامام .

(١) ١٨٩٧ م .

آثار اتصاله بالاستاذ الامام :

جاء السيد رشيد الى مصر وهو عالم مفكر وكاتب متبصر فصحب الاستاذ الامام صحبة العالم الصغير للعالم الكبير فكان من أول آثار ذلك اصداره للصحيفة الاصلاحية التي كان يستمد روحها من الاستاذ الامام ثم رغبته منه في القاء دروس التفسير التي كانت أساساً لتفسير المنار ورغبته اليه في اقرء علم البلاغة من كتابي أمامها (دلائل الاعجاز) و (اسرار البلاغة) فكانت قراءتهما فتحاً جديداً في العربية كما كانت دروس التفسير فتحاً جديداً في الدين .

وفاء السيد للاستاذ الامام في حياته وبعد وفاته :

كان السيد الساعد الأيمن والعضد الأشد للاستاذ الامام في جميع ما قام به كما كان الترجمان الصادق عن أفكاره والمدره الضمصام في الدفاع عنه . واستمر السيد على وفائه للاستاذ الامام بعد وفاته كما كان له في حياته وما عرف المصريين وغير المصريين قدر الاستاذ الامام وحفظ عليهم أماتته وخذل لهم آثاره الا السيد رشيد وكان الى آخر حياته - قد فاق استاذه في نواح عديدة من العلم - لا يفتر يلهج باستاذه حتى كاد ينسى الناس نفسه وأثره الخاص في الدين والعلم والاصلاح .

مواقفه بعد الاستاذ الامام :

مضى السيد الرشيد بعد الاستاذ الامام مضطلعا باعباء خطته الاصلاحية واتسعت آفاق أعماله الى العالم الاسلامي كله وكان لا بد له من أن يصطدم بالحالة السياسية التي عليها العالم الاسلامي والتي هي بطبيعتها العقبة الكؤود في سبيل كل اصلاح فاصبح السيد رشيد من الفرسان المعلمين في ميدان الاصلاح الديني والاجتماعي وكان في كليهما يصدر عن ايمان ويجالد بقوة ويناظر بحكمة ويفهم ببرهان .

غاياته السياسية :

لقد كانت غاياته السياسية الكبرى ايجاد دولة اسلامية كبرى مرهوبة الجانب تكون مركزاً للامم الاسلامية في العالم بصفة دينية اذا لم تكن بصفة سياسية ، وعلى هذه الفكرة ولهذه الغاية ناصر الدستور العثماني وجمعية الاتحاد والترقي فلما تبينت له منهم النعرة المليية الضيقة ناوأهم وعمل على ايجاد مملكة عربية اسلامية مستقلة عن الدولة العثمانية التي كان يرى الاتحاديين سائرين بها الى الانهيار فانضم الى الجمعية العربية العاملة في مصر واوروبا لهذا الغرض . ولهذه الغاية كان مع الشريف حسين يوم أعلن الثورة العربية حتى اذا تبين غدر الحلفاء بما كان من معاهدة (سايس - بيكو) ورأى الشريف حسين لا يرجع عن اغتراره بهم نفض يده منه واقرب عليه وعلى البيت الهاشمي كله . ولغاياته التي ذكرنا كان ساير امام اليمن يوماً حتى تبين له ان نطاق المذهب الزيدي لا يتسع لامم الاسلام ، وفي أثناء هذا أخذت لوامع الدولة السعودية تلوح في الافق حتى فاجأت العالم بازالة العرش الهاشمي المتداعي وانتصابها مكانه بمكة المكرمة ، فوجد فيها السيد رشيد ضالته من دولة اسلامية تنفذ الشرع الاسلامي وتقف عند حدوده وتحبي سنته وتقاوم كل ما ألصق به من بدع وضلالات وتنتمي الى أحد المذاهب الاربعة الكبرى فشر عن ساق الجد لمؤازرتها وتأييدها وارشادها ووجد من ملكها الملك عبد العزيز آل سعود الرجل المسلم الذي يعمل للدين وينتصح لكل ناصح فيه فسار معه السيد رشيد الى غاية واحدة حتى قضى وهو في طريق رجوعه من تشييع ولي عهده . فاذا كان يظهر من السيد رشيد تبدل في سيره السياسي فانما هو تنقل من طريق الى طريق في سبيل الوصول الى غاية معينة فلما وجد الطريق اللاب المبين سلكه حتى مات رحمة الله عليه .

أثر السيد رشيد في العالم الاسلامي :

از السيد رشيد بما نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنار وما كتب في المنار وغير المنار ، هو الذي جلبت الاسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين وهو الذي لفت المسلمين الى هداية القرآن وهو الذي دحر خصوم الاسلام من المنتمين اليه وغير المنتمين اليه وهتك استارهم حتى صاروا لا يحرك أحد منهم أو من أشباههم يده الا أخذ بجنايته . فهذه الحركة الدينية الاسلامية الكبرى اليوم في العالم اصلاحا وهداية ، بيانا ودفاعا ، كلها من آثاره فرحمه الله وجزاه أفضل ما يجزي العاملين (١) .



(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٥٠٨ - ٥١٠ .
رمضان ١٣٥٤ هـ - ديسمبر ١٩٣٥ م .

العلامة الاستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي

رحمه الله

ما كاد يندمل جرح العالم الاسلامي بوفاة حجة الاسلام السيد رشيد رضا حتى فجع بوفاة مفتي الاسلام الشيخ محمد بخيت المطيعي في رجب الماضي . ونحن نكتب اليوم كلمة عن فضيلته كما كتبنا من قبل عن السيد رشيد رضا وما كان قلمنا القاصر ليوفي واحدا منهما حقه .

منزلته العلمية :

نال شهادة العالمية من الدرجة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ وتصدى لخدمة العلم والازدياد منه بالتدريس بجد منقطع النظر ، ومداومة ليس فيها فتور فكان علما في سائر العلوم الازهرية . وكان ممتازا بين كبراء الازهر بتحقيق الاصلين : علم الكلام وأصول الفقه وكان بسعة علمه وقوة ادراكه وتمييزه يرفع الخلاف في كثير من أمهات المسائل ويبين ان الخلاف فيها لفظي وان أصل المسألة محل اتفاق .

منزلته في القضاء والفتوى :

دعى الى الاشتغال بالقضاء فنقلد وظائفه وتنقل بينه وبين الفتوى حتى بلغ اعلا درجاتهما فلما بلغ سن التقاعد تفرغ للافتاء العلمي فكانت ترد عليه الاسئلة من جميع أقطار العالم الاسلامي فيجيب عنها وكان له كتاب يتولون له كتابة ما يحرره ويمليه ويرسلونه الى السائلين وينفق هو على ذلك كله من خالص ماله .



الشيخ محمد بخيت المطيعي

موقفه من الاصلاح الديني :

كان زميلا للشيخ محمد عبده في الطلب وهو الوحيد من شيوخ
الازهر الذي كان يساميه وينال معه حظاً من الشهرة خارج مصر وكان -
على معارضته له في نواح - يؤيده في انكار البدع والمحدثات
في الدين •

انصافه للاستاذ الامام وشهادته له :

لما رمى بعض حساد الشيخ عبده أيام تصديه لأخذ شهادة العالمية بالتهاون بالصلاة شهد له الشيخ محمد بخيت عند مشيخة الازهر فقال^(١) : « انا دائماً تقدمه فيؤمننا في صلاة الجماعة لتقواه وصلاحه » . ولما عقدت أول حفلة لذكرى الشيخ محمد عبده وكانت يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ بالجامعة المصرية^(٢) كانت تحت رئاسة الشيخ محمد بخيت فخطب في تلك الحفلة ومن جملة ما قال عن الاستاذ الإمام^(٣) : « ترك فراغاً عظيماً كان يشغله وحده ، لم يستطع أحد أن يشغله بعده » ، فرحم الله تلك الارواح الطاهرة والنفوس الكبيرة .

علاقتي به :

لما رجعت من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام سنة ١٣٣٢ هـ جئت من عند شيخنا العلامة الشيخ حمدان الويسي المهاجر الى طيبة والمدفون بها رحمه الله ، جئت من عنده بكتاب الى الشيخ بخيت وكان قد عرفه بالاسكندرية لما مر بها مهاجراً ، فخرجت على القاهرة وزرت الشيخ بخيت بداره بحلول مع صديقي الاستاذ اسماعيل جفر المدرس اليوم بالازهر فلما قدمت له كتاب شيخنا حمدان قال لي : « ذاك رجل عظيم » . وكتب لي اجازة في دفتر اجازاتي بخط يده . رحمه الله وجزاه عنا وعن العلم والدين خير ما يجزى العاملين الناصحين^(٤) .

عبد الحميد بن باديس

- (١) ج ١ ، ص ١٠٤٣ تاريخ الاستاذ الامام .
 - (٢) بالجامعة المصرية ، ج ١ ص ١٠٥٢ .
 - (٣) جريدة المقطم الصادرة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٠ .
 - (٤) ش : ج ١١ ، م ١١ ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .
- غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ - فيفري ١٩٣٦ م .

مصطفى كمال

رحمه الله

في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث ، وعبقري من أعظم عباقرة الشرق ، الذين يطلعون على العالم في مختلف الاحقاب ، فيحولون مجرى التاريخ ويخلقونه خلقاً جديداً ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي في الدردنيل وبطل سقاربا في الاناضول وباعث تركيا من شبه الموت الى حيث هي اليوم من الغنى والعز والسمو .

واذا قلنا بطل غاليبولي فقد قلنا قاهر الانكليز أعظم دولة بحرية الذي هزمها في الحرب الكبرى بشر هزيمة لم تعرفها في تاريخها الطويل واذا قلنا بطل سقاربا فقد قلنا قاهر الانجليز وحلفائهم من يونان وطلليان وفرنسيين بعد الحرب الكبرى ومجليهم عن أرض تركيا بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها .

واذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشرق الاسلامي كله فمنزلة تركيا التي تبوأتها من قلب العالم الاسلامي في قرون عديدة هي منزلتها فلا عجب أن يكون بعثه مرتبطا ببعثها . لقد كانت تركيا قبل الحرب الكبرى هي جبهة صراع الشرق ازاء هجمات الغرب ومرمى قذائف الشره الاستعماري والتعصب النصراني من دول الغرب . فلما اتهمت الحرب وخرجت تركيا منها مهشمة مفككة تناولت الدول الغربية أمم الشرق الاسلامي تمتلكها تحت أسماء استعمارية ملطقة ، واحتلت تركيا نفسها واحتلت عاصمة الخلافة وأصبح الخليفة طوع يدها وتحت تصرفها وقال

المارشال النبيي - وقد دخل القدس - (اليوم انتهت الحروب الصليبية) فلو لم يخلق الله المعجزة على يد كمال لذهبت تركيا وذهب الشرق الاسلامي معها ، لكن كمالا الذي جمع تلك الفلول المبعثرة فالتف به اخوانه من أبناء تركيا البررة • ونفخ من روحه في أرض الاناضول حيث الارومة التركية الكريمة وغيل ذلك الشعب النيل وقاوم ذلك الخليفة الاسير وحكومته المتداعية ، وشيوخه الدجالين من الداخل ، وقهر دول الغرب وفي مقدمتها انكلترا من الخارج ، لكن كمالا هذا أوقف الغرب المغير عند حده وكبح من جماحه وكسر من غلوائه ، وبعث في الشرق الاسلامي أملة وضرب له المثل العالي في المقاومة والتضحية فهض يكافح ويجاهد • فلم يكن مصطفى محي تركيا وحدها بل محي الشرق الاسلامي كله • وبهذا غير مجرى التاريخ ووضع للشرق الاسلامي أساس تكوين جديد • فكان بحق - كما قلنا - من أعظم عباقرة الشرق العظام الذين أثروا في دين البشرية وديناها من أقدم عصور التاريخ •

ان الاحاطة بنواحي البحث في شخصية أتاتورك (أبي الترك) مما يقصر عنه الباع ، ويضيق عنه المجال ، ولكنني أرى من المناسب أو من الواجب أن أقول كلمة في موقفه ازاء الاسلام • فهذه هي الناحية الوحيدة من نواحي عظمة مصطفى اتاتورك التي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسفاً ويكاد يولي مصطفى في موقفه هذا الملامة كلها حتى يعرف المسؤولين الحقيقيين الذين أوقفوا مصطفى ذلك الموقف فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟ •••

المسؤولون هم الذين كانوا يمثلون الاسلام وينطقون باسمه ، ويتولون أمر الناس بنفوذه ، ويعدون أنفسهم أهله وأولى الناس به • هؤلاء هم خليفة المسلمين شيخ اسلام المسلمين ومن معه من علماء

آثار ابن باديس

الدين ، شيوخ الطرق المتصوفين ، والأمم الاسلامية التي كانت تعد
السلطان العثماني خليفة لها .

أما خليفة المسلمين فيجلس في قصره تحت سلطة الانجليز المحتلين
لعاصمته ساكتا ساكتا . مستغفرا لله ، بل متحركا في يدهم تحرك
الآلة لقتل حركة المجاهدين بالاناضول ، ناطقا باعلان الجهاد ضد
مصطفى كمال ومن معه ، الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين ...

وأما شيخ الاسلام وعلماؤه فيكتبون للخليفة منشورا يفضيه
باسمه ويوزع على الناس باذنه ، وتلقيه الطائرات اليونانية على القرى
يرضاه يبيع فيه دم مصطفى كمال ويعلن خيائه ويضمن السعادة
لمن يقتله .

وأما شيوخ الطرق الضالون واتباعهم المنومون فقد كانوا أعوانا
للانجليز وللخليفة الواقع تحت قبضتهم . يوزعون ذلك المنشور
ويثيرون الناس ضد المجاهدين .

وأما الامم الاسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها
فمنها - الا قليلا - من كانوا في بيعته فانتقضوا عليه ثم كانوا في
صف أعدائهم وأعدائه ، ومنها من جاءت من مستعبيها حاملة السلاح
على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم .

فأين هو الاسلام في هذه (الكليتيات) كلها ؟ وأين يبصره مصطفى
الثائر المحروب ، والمجاهد الموتور منها ؟ .

لقد ثار مصطفى كمال حقيقة ثورة جامعة ولكنه لم يثر على
الاسلام وانما ثار على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين . فألقى الخلافة
الزائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم فرفض مجلة الاحكام واقتلع
شجرة زقوم الطريقة من جذورها وقال للامم الاسلامية عليكم أنفسكم
وعلي نفسي ، لا خير لي في الاتصال بكم ما دمتم على ما أتمت عليه ،

فكونوا أنفسكم ثم تعالوا تتعاهد وتعاون كما تتعاهد وتعاون الأمم
ذوات السيادة والسلطان •

أما الاسلام فقد ترجم القرآن لامته التركية بلغتها لتأخذ الاسلام
من معدنه ، وتستقيه من نبعه • ومكناها من اقامة شعائره فكانت مظاهر
الاسلام في مساجده ، ومواسمه تتزايد في الظهور عاما بعد عام حتى
كان المظهر الاسلامي العظيم يوم دفنه والصلاة عليه تغمده برحمته •

لسنا نبرر صنيعه في رفض مجلة الاحكام ولكننا نريد أن يذكر
الناس ان تلك المجلة المبنية على مشهور وراجح مذهب الخنفيه ما كانت
تسع حاجة أمة من الأمم في كل عصر لأن الذي يسع البشرية كلها
في جميع عصورها هو الاسلام بجميع مذاهبه لا مذهب واحد أو
جملة مذاهب محصورة كائنا ما كان وكائنة ما كانت ، ونريد ان يذكر
الناس أيضا ان اولئك العلماء الجامدين ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا
غير ما عرفوه من صغرهم من مذهبهم وما كانت حواصلهم الضيقة
لتتسع لأكثر من ذلك • كما يجب أن يذكروا ان مصر بلد الازهر
الشريف ما زالت الى اليوم الاحكام الشرعية - غير الشخصية - معطلة
فيها • وما زال (كود) نابليون مصدر أحكامها الى اليوم • وما زال
الانتفاع بالمذاهب الاسلامية في القضاء - غير المذهب الحنفي -
مهجورا كذلك الا قليلا جداً •

نعم ! ان مصطفى أتاتورك نزع عن الاتراك الاحكام الشرعية وليس
مسؤولا في ذلك وحده وفي امكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا
وكيفما شاءوا ولكنه رجع لهم حريتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم
بين أمم الارض • وذلك ما لا يسهل استرجاعه لو ضاع ، وهو وحده
كان مبعثه ومصدره • ثم اخوانه المخلصون • فأما الذين رفضوا
الاحكام الشرعية الى (كود) نابليون فماذا أعطوا أمتهم ؟ وماذا قال
علمائهم ؟ •

فرحم الله مصطفى ورجح ميزان حسناته في الموازين ، وتقبل
احسانه في المحسنين .

والى الامة التركية الشقيقة الكريمة الماجدة ، التي لنا فيها حفدة
وأخوال ، والتي تربطنا بها أوامر الدين والدم والتاريخ والجوار ،
والتي تذكر الجزائر أيامها بالجميل ، وترى شخصها دائما ماثلا فيما
تركت لها من مساجد ومعاهد للدين الشريف . والشرع الجليل ،
الى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلها مشاركين لها في مصابها
راجين لها الخلف الصالح من ابنائها ، ومزيد التقدم في حاضرها ومستقبلها .

والى هذا فنحن نهنئها برئيس جمهوريتها الجديد عصمت اينونو ،
بطل (اينونو) ومؤتمر لوزان وثني مصطفى كمال . وان في اجماعها
على انتخابه لدليلا على ما بلغت تركيا الكريمة من الرشد في الحياة
الذي تبلغ به - ان شاء الله - من السعادة والكمال . ما يناسب
مجدها القدموس ، وتاريخها الحافل بأعظم الرجال ، وجلائل الاعمال^(١) .

عبد الحميد بن باديس

٥

(١) ش : ج ٩ ، ص ١٤٠ ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .
غرة رمضان ١٣٥٧ هـ - نوفمبر ١٩٣٨ م

آثار ابن باديس

قسم القصص الديني والتاريخي^(١)

(١) كان يجعل عنوان هذه القصص تارة « القصص الديني » وأخرى « قصة الشهر » .

محاورة الرشيد

مع محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة

« نروي هذه القصة ليرى القارئ كيف كان علماء السلف يعتزون بعلمهم امام ذوي القوة والسلطان ، وكيف كان الخلفاء يستشيرون اهل العلم عملاً بأصل الشورى الذي قرره الاسلام . ونرى التسامح الديني في علماء المسلمين الذين يمتازون به في ايام دولتهم عن جميع علماء الملل ، فقد انقذ محمد بن الحسن نصارى بني تغلب بأشارته من بطش الرشيد وقرر لهم حريتهم الدينية في تعميم ابنائهم . هذا ايام كانت الامم الاخرى لا ترى لمخالفها - بتدبير احبارها ورهبانها - الا السيف والنار » .

قال أبو عبيد - يعني القاسم بن سلام - : كنا مع محمد بن الحسن إذ أقبل الرشيد فقام الناس كلهم إلا محمد بن الحسن فإنه لم يقم ، ودخل الخليفة ودخل الناس من أصحابه ، فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن ، فقام محمد بن الحسن فجزع أصحابه له ، فأدخل فأمهل ، ثم خرج طيب النفس مسروراً ثم قال لي : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، أنك أهلتني للعلم ، فكرهت أن أخرج الى طبقة الخدمة التي هي خارجة منه ، وإن ابن عمك - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ، وأنه إنما أراد بذلك العلماء . فمن قام بحق الخدمة واعزاز الملك فهو هيبة للعدو ، ومن قعد اتباعاً للسنة التي عنكم أخذت فهو زين لكم ! قال : صدقت

يا محمد • ثم شاورني فقال : إن عمر بن الخطاب صالح بني تغلب على أن لا ينصروا أولادهم ، وقد نصروا أبنائهم وحلت بذلك دماءهم ، فما ترى ؟ قلت : ان عمر أمرهم بذلك ، وقد نصروا أولادهم بعد عمر ، واحتمل ذلك عثمان وابن عمك - يعني علياً - ، وكان من العلم بما لا يخفاء به عليك وجرت بذلك السنن • فهذا صلح من الخلفاء بعده ، ولا شيء يلحقك في ذلك • وقد كشفت لك العلم ورأيك أعلى • قال : لا - يعني لا تنقض صاحبهم^(١) - واكنا نجريه على ما أجروه ان شاء الله • إن الله جل اسمه أمر نبيه بالمشورة تماماً لما به من الأخلاق التي جعلها الله له ، فكان يشاور في أمره فيأتيه جبريل بتوفيق الله • ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ، ومر أصحابك بذلك ، وقد أمرت لك بشيء تفرقه على أصحابك • قال : فخرج له مال كثير ففرقه^(٢) •



(١) روى القصة مسندة الجصاص في الاحكام .

(٢) ش : ج ١ ، م ٥ ، ص ١٦ / ١٥ غرة رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري

• م ١٩٢٩

الخنساء وبنوها

اثر الاسلام في النفوس

من يجهل بكاء الخنساء على صخرها ؟ فقد ضربت العرب بحزنها عليه الأمثال ، وشعرها الخالد من أبلغ ما قالته العرب في مرارة اللوعة البالغة ، وتحرق العاطفة الشديدة . وقد كانت الخنساء قبل أن تصاب تقول البيتين والثلاثة ، فلما أصيبت بفقد أخيها عمر ، ثم بفقد أخيها صخر ، الذي أنساها ما قبله ، اندفعت بعوامل الحزن فأكثر من الشعر وأجادت .

هذه المرأة التي بلغ بها الحزن على فقد أخوتها في الجاهلية ما بلغ ، وانتهى بها الجزع الى ما انتهى ، عادت في اسلامها تقدم أبناءها ، أفلاذ كبدها ، الأربعة الى الموت ، وتحثهم على خوض غماره ، وتحمد الله ان قتلوا كلهم في مشهد واحد ، وتصبر محتسبة مصابها لله ، مصدقة بوعوده .

أين اخوان من أربعة أبناء ؟ وما ذلك الجزع عن ذينك وهذا الصبر عن هؤلاء ؟ وما الذي قاب طباع هذه النفس من جزوعة مضطربة الى مطمئنة راضية ؟ هو - والله - الاسلام ، الاسلام الصحيح كما جاء به محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ديناً فطرياً ، فأثر في فطر معتنقيه من العرب الأميين . واذا لم يؤثر في أقوام مثل هذا التأثير فلأنهم فهموه فهماً معكوساً ، أو لبسوه لبساً مقلوباً . ولا وربك لا تتأثر به فطر معتنقيه في كل عهد إلا اذا تناولوه على فطرته في ذلك العهد كما تناولوه سلفهم الأولون .



قدمت الخنساء بنت عمرو بن الشريد على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قومها من بني سُلَيْمِ فأسلمت معهم ، فذكروا أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يستنشدُها فَيُعْجِبُهُ شعرها وكانت تنشِده وهو يقول : هيه يا خنَّاس ، ويومئ ييده . وهاك قصتها مع بنيتها ملخصة باختصار من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر (١) :

« حضرت حرب القادسية ومعها بنوها ، أربعة رجال ، فجمعتهم ليلة الواقعة وقالت لهم : يا بني ، أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وانكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وذكرتهم بآيات الوعد بجزيل الثواب ، للصابرين في مواطن الضراب . وقالت لهم : فان أصبحتم غدا - ان شاء الله - سالمين ، فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، فاذا رأيتم الحرب شمَّرت عن ساقها ، واضطرت لظي على ساقها ، فتيموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالخلد (٢) والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وباشروا القتال واحداً بعد واحد ، حتى قتلوا كلهم ، وكل واحد أنشد قبل أن يستشهد رجزاً :

فأنشد الأول :

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعَّتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة من آل ساسان الكلاب النابحة

(١) الاستيعاب ٤/ ١٨٢٧ ، وانظر خزنة الادب ١/ ٣٩٥ .

(٢) في الاستيعاب ١٨٢٨ : (بالغنم) .

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأتم بين حياةٍ صالحة
أو ميتة تورثُ غنما رابحة

وأشُد الثاني :

إنَّ العجوزَ ذاتَ حَزْمٍ وِجلد
وقد أمرتَنَّا بالسداد والرشد
فباكروا الحرب حماة في العدد
أو ميتة تورثكم عزَّ الأبدُ
والنظر الأوفق والرأي السد
نصيحة منها وبرٌّ بالولد
إمَّا لِفَوْزٍ بارد على الكبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد

وأشُد الثالث :

والله لا نَعصى العجوزَ حَرْفًا
نُصحا وبرًا صادقًا ولطفًا
حتى تَلثفوا آلَ كسرى لَفًا
إنَّا نرى التقصير منكم ضَعْفًا
قد أمرتَنَّا حربًا وعظفًا
فبادروا الحربَ الضروسَ زَحْفًا
أو يكشفوكم عن حِمَاكم كَشْفًا
والقتل فيكم نَجدة وزلفى

وأشُد الرابع :

لستُ لخنساء ولا للأخرم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم
إمَّا لِفَوْزٍ عاجلٍ ومغنم
ولا لعَمْرٍو ذي السناء الأقدم
ماض على الهول خِضَمٌ خُضم
أو لوفاةٍ في السبيل الأكرم

فلما بلغ الخبر الخنساء ، أمهم قالت : الحمد لله الذي شرفني
بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني في مستقرِّ رحمته « (١) » .

(١) ش : ج ٢ ، م ٥٥ ، ص ٢٢ - ٢٤
غرة شوال ١٣٤٧ هـ - مارس ١٩٢٩ م .

كيف كان بناء الكعبة المشرفة

اليوم - وقد هوت أفئدة من استجيبت فيهم دعوة ابراهيم - عليه السلام - الى حج بيت الله الحرام - نشر لقراء الشهاب قصة بناء البيت كما أخرجها أهل الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كما تلقاه من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم :

وفي هذه القصة بيان ، أصل بناء البيت المحرم وحفر زمزم ، وبيان ما يذكر به السعي من سعي هاجر ، وما يذكر به الطواف من طواف ابراهيم واسماعيل - عليهما السلام - لبناء البيت ورفع قواعده ، وتذكير بما كان من ابراهيم وزوجه وابنه من سرعة الامتثال لأمر الله والصبر على البلاء في سبيله ، وبما كان من حسن جزاء الله لهم على ذلك من البر المعجل والأثر الخالد ، والذكر الباقي ، والثواب المدخر الجزيل .
وفي ذلك كله آيات لكل صبار شكور .

روي عن ابن عباس من طرق : ان أول من سعى بين الصفا والمروة أم اسماعيل ، وان أول من جرّت الذيل أم اسماعيل ، وذلك أنه لما فرّقت هاجر من سارة أرخت ذيلها لتعفو أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم ، في أعلى المسجد . وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء . فوضعها هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفل ابراهيم منطلقا . فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم، اين تذهب وتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ قالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها . فقالت : الله أمرك بهذا ؟

قال : نعم ، قالت : اذن لا يضيعنا الله • ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : « رَبَّنَا إِنِّي اسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (حتى بلغ) يَشْكُرُونَ » • وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو قال يتلظى ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل الى الوادي ، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحد ! فعلت ذلك سبع مرات • قال ابن عباس : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : فلذلك سعى الناس بينهما • فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ، تريد نفسها • ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث • فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه ، حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت من الماء في سقائها وهو يفور بقدر ما تعرف • قال ابن عباس : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : يعرف من الماء لكانت عيننا معينا • قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال الملك : لا تخافي الضيعة ، فان هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله • وكانت البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فأروا طائراً عائفاً فقالوا : ان هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء • فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا • قال : وأم اسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن

كيف كان بناء الكعبة

نزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا :
نعم . قال ابن عباس : قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ،
فألفت ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم
فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم
العربية منهم وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة
فيهم . وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع
تركه فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبغني لنا .
ثم سألتها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر في ضيق وشدة .
وشكت إليه ، قال : أفاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام ، وقولي له
يغير عتبة بابك . فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم
من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ،
وسألني كيف عيشتنا فأخبرته ، انا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك
بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة
بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك .
فطلقها وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم
بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبغني لنا .
قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشتهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير
وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال :
فما شرابكم ؟ فقالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .
قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : لم يكن لهم يومئذ حب ، ولو
كان لهم دعا لهم فيه . قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم
يوافقاه . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومره يثبت عتبة
بابك . فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا
شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني
كيف عيشتنا فأخبرته إننا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ،

هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك • قال : ذلك
أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك • ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء
بعد ذلك واسماعيل يبزي نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه
قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد ، والوالد بالولد ، ثم قال :
يا اسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ؟ قال :
وتعيني ؟ قال : وأعينك • قال : فان الله أمرني أن أبنى هاهنا بيتاً ،
وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعوا القواعد
من البيت ، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة و ابراهيم يبني حتى اذا
ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل
يناوله الحجارة ، وهما يقولان : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » • قال : فجعلا يبنيان حتى تدور حول البيت وهما
يقولان : ربنا تقبل منا (الآية) (١) •



(١) ش : ج ٣ ، م ٥٠ ، ص ٢٢ - ٢٤
غرة ذي القعدة ١٣٤٧ هـ ، ابريل ١٩٢٩ م •

ملك العرب

((كان لقصة بناء الكعبة التي نشرناها بالجزء الماضي بمناسبة اشهر الحج احسن موقع عند القراء ، فراينا ان نتبعها بقصة من نوعها لمثل مناسبتها ، هي صفحة من تاريخ الملك العربي السلفي عبد العزيز آل سعود ، الذي شرفه الله بخدمة ذلك البيت العظيم في هذا العهد ، ومد تعالى بملكه رواق الامن والعدل والتهذيب والدين الخالص عن ربوع الحجاز أرض الحرمين الشريفين . وان في نهضة هذا الملك العظيم وفي حياته وصفاته لدرسا عميقا ومجلا واسعا للعبرة والتفكير .

كتب هذه المقالة التاريخية كاتب شهير في عالم الصحافة الالمانية ، وهو الاستاذ ليوبولد وايس الماني ، اسلم منذ اعوام وتسمي باسم محمد أسد الله ، وهو الآن يقيم بالحجاز ، ونشرتها له جريدة ((الشورى)) الفراء فنقلناها عنها)) .

أدعو ملك العرب صديقي ، وإن كان ملكا وكنت مجرد صحافي ، وليس سبب ذلك أنه مثلا أطلعني على مكنون فؤاده ، فهذا ما لا يفعله قط ، وليس سببه أيضا انه أراني قلبا كريما وأبدى نحوي ودأ صحيحا في مدى العامين الذين قضيتهما في بلاد العرب ، واللذين لم يخلوا من ألم ، فانه يبدي العطف والود نحو الجميع ، فليفهم القارئ ما أقوله تمام الفهم ، فاني لا أزعم إن عبد العزيز بن السعود يدعوني صديقه ، ولكنني أعدده صديقي ، ويغريني بذلك أمر بسيط وهو طيبة الرجل ، ولست أقصد أنه طيب القلب فهذا شيء رخيص ، ولكنه يوصف بالطيبة

كما يوصف بها مثلا سلاح من صنع ولدف^(١) بانه طيب يعجب به ، لانه جمع كل الصفات التي تنشء في مثله . وعلى هذا المعنى أقول : ان ابن سعود رجل طيب . وهو عميق الغور يميل للوحدة ولا يتبع في أعماله سوى الدوافع المتبعثة من أعماق نفسه ، وقد يخطيء فيما يفعله ولكنه لا يخطيء قط الرغبة في الشرف أمام ضميره ، فهو ملك على نفسه قبل أن يكون ملكا على العرب .

ولد عبد العزيز بن سعود قبل خمسين سنة تقريبا في الرياض (وسط بلاد العرب) وهو وليد فرع من الأسرة المالكة التي أخضعت لحكمها جزءاً كبيراً من شبه جزيرة العرب ، ثم أخذت في الاضمحلال حتى اضطرت في آخر الأمر الى أن تنزل عن البقية الباقية من ملكها الى اسرة ابن رشيد التي كانت قديما من اتباعها والتي نشأت في حائل (في شمال بلاد العرب) . وكان ابن سعود اذ ذاك في باكورة طفولته ونشأ في كبريائه وتحفظه ، وهو يرى أميراً اجنيا يحكم الرياض مسقط رؤوس آبائه نائبا عن ابن رشيد ، ومكث عبد العزيز بن سعود وذووه يعيشون من راتب تفضل به ابن رشيد عليهم ، يحتملهم ولا يكاد يخشى من جانبهم ضرا . ولكن ذلك شق على عبد الرحمن والد عبد العزيز رغم ميله الى السكون ، فهاجر مع أولاده وما يملكه الى الكويت ليقضي بقية حياته في بيت سلطانها . وكانت بينهما مودة ولكنه لم يكن يدري شيئا عن مستقبل ولده والميول التي تجيش في صدره .

ولعل أحداً من الناس لم يتبين قلب عبد العزيز في عاطفته وخفقه ، ولم يدرك شيئا من طموح نفسه وعظمة مستقبله الا عمته العجوز ، والظاهر أنها كانت تحبه كثيرا وترعاه وهو صغير فاذا ألفت نفسها في

(١) بلدة بالاندلس مشهورة قديما بصنع أجود السلاح وذلك في أيام العرب .

خلوة معه أحتضنته ، وأخذت تحدثه بعظائم الأمور التي يجدر به أن يقوم بها ذات يوم ، وكانت لا تفتأ تقول له وهي تدلله « ينبغي لك أن تصير رجلا عظيما » . وقد مكثت هذه الكلمة في نفس الطفل في حياة ونماء حتى أمست كالنار في رأس العلم .

ثم بدأت وحدته وهو في الكويت ، فانه وهو لا يزال ولداً ، نما جسمه سريعا وسبق طوله سنه ، وهو مع ذلك رفيع القامة ، فجعل أولاد الناحية يسخرون منه ويهزأون منه ويهزأون به ، وكان يستحي من طول قامته الذي جعله هدف الانظار ، وكان يخفض من رأسه حتى يبدو أقصر من حقيقته حين يمشي في شوارع الكويت ، أو في غرف القصر المكتظة بالناس ، وكان يؤلمه أن يكون شادا في الوسط المحيط به، ولكن لم يجد سبيلا للتوفيق بينه وبين هذا الوسط ، لأن اختلافه عنه لم يكن في مظهره وحده ، ولقد غلبه القدر وخلق له قلقا واضطرابا .

ولكنه أدرك ذلك تدريجا بما لديه من شعور الشباب ، وانبتت كبرياؤه في نفسه ، وأخذ ينظر الى ما فوق ذلك الوسط ، وجاء الى أبيه يقول له : « كيف تصبر على تحكم آل ابن رشيد في وطنك ؟ احمل عليهم واجلهم عن ديارك فانك أنت وحدك صاحب الحق في الرياض » ولنذكر هنا أن ابن رشيد كان في ذلك الوقت أقوى أهل في شبه جزيرة العرب ، وكانت دولته تمتد من صحراء سوريا بادية الشام - حماه الى الربع الخالي : وكانت جميع قبائل البدو ترتعش خوفا من قبضته الحديدية . فلا عجب بعد ذلك اذا رد عبد الرحمن وهو في سنه المتقدمة به ، وفي منفاه وضعفه ، مطلب ابنه على انه خيال لا يمكن تحقيقه . وقد مضت أعوام على ذلك ، وكانت عاطفة الابن فيها أشد وأقوى من جمود الوالد . فرضخ عبد الرحمن في آخر الأمر واستعان بصديقه سلطان الكويت على جمع بعض قبائل بدوية باقية على الولاء له وخرج ، كعادة العرب في الغزوة بالهجن والاعلام والبنادق ، وهاجم

ابن رشيد . ولكنه لم يلبث حتى هزم وارتد الى الكويت . ولعله كان مرتاحا في قرار نفسه الى هذه النتيجة ، وانباً ابنه أنه لا فائدة من أمثال تلك المحاولة ، وانه يريد أن يقضي بقية حياته في سكون ولا يطلب حقه في عرش نجد .

بيد أن ابنه عبد العزيز لم ينزل عن حقه فدعا اصدقاءه اليه ، وجمع بعض البدو والذين يعول عليهم . ولما صارت جماعته أربعين رجلا خرجوا من الكويت خفية ، كأحدى عصابات اللصوص ، ودون اعلام أو أناشيد ، وجعلوا يسرون ليلا مسرعين متجنبين سبل القوافل المطروقة ، حتى بلغوا مقربة من الرياض فمسكروا في واد منغل . وفي ذلك اليوم نفسه اختار ابن سعود خمسة من الاربعين وخطب الباقين قائلاً : « لقد وضعنا مصيرنا بين يدي الله ، وسنذهب نحن الستة الى الرياض ، فاما استحوذنا عليها واما فقدناها الى الأبد ، فاذا سمعتم صوب الحرب في المدينة فلتبادروا الى عوننا . اما اذا لم تسمعوا شيئاً منا حتى مغرب الغد فاعلموا اننا متنا الى رحمة الله ، وعودوا الى الكويت سرا بالطريق الذي أتينا به » .

وكذلك سار الستة على أقدامهم حتى بلغوا الرياض عند ابتداء الليل ، ودخلوها من منفذ أسوارها كان ابن رشيد قد أمر بثقبه في نشوة انتصاره على المدينة ، ومشوا قدما وأسلحتهم مخبأة تحت ارديتهم الى ان وصلوا لبيت الامير من قبل آل الرشيد (١) ، وكان مغلقاً لأن الأمير اعتاد على قضاء الليل في الحصن المقابل للبيت خوفاً من أهالي المدينة التي دانت له ، فقرعوا الباب وفتحه أحد العميد ، فتغلبوا عليه دون جلبة وشدوا وثاقه ، وكذلك فعلوا بغيره ممن كانوا في البيت إذ ذاك ، ولم يكونوا الا بعض الرقيق والنساء . ثم جعل الستة

(١) اسمه عجلان .

يتربون انبثاق الفجر وقضوا بقية الليل في قراءة القرآن لكي يبعث في قلوبهم قوة على أداء عملهم •

وفي الصباح فتحت أبواب الحصن وخرج الامير يحيط به عدد من الخدم والارقاء مسلحين ، فاندفع ابن سعود ورفاقه الخمسة شاهرين سيوفهم هاتفين باسم ابن سعود وباغتوا الأمير وحراسه ، ورمى عبد الله بن جلوى ابن عم عبد العزيز (وهو الآن أمير الحسا) بحربته (شلفته) نحو الامير ، ولكن هذا انحنى في اللحظة المناسبة وثبتت حائط الحصن في قوة هائلة ولا تزال عالقة به حتى اليوم • وقد فر الأمير الى باب الحصن ، وبينما يتبعه عبد الله الى داخله هجم ابن سعود ورفاقه بسيوفهم المشهورة على حاشية الأمير ، فلم تكف تدافع عن نفسها رغم تفوقها في العدد ، لفرط الذعر الذي استولى عليها من هذه المباغثة • وهنا بدأ الأمير فوق سطح الحصن صارخا ، وقد سد عليه عبد الله بن جلوى المسالك ، وكان يطلب منه الرحمة حتى سقط اخيراً عند حافة السقف منهوك القوى ، وتلقى طعنة مميتة في عنقه • وكان ابن سعود يصيح في اللحظة نفسها : « اليّ يا رجال الرياض • ها أنا ذا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود أميركم صاحب الحق عليكم » • وكان رجال الرياض يمتنون مرهقيهم من أهل الشمال من أعماق قلوبهم ، فلبوا النداء وجاءوا بأسلحتهم وركب رفاق ابن سعود الخمسة والثلاثون فافتحموا أبواب المدينة يرحون كل شيء أمامهم كالريح العاتية ، وبعد ساعة واحدة صار ابن سعود سيد المدينة دون منازع •

وكان ذلك في سنة ١٩٠١ م وبه ينتهي دور الشباب من حياة ابن سعود وبدأ الدور الثاني الخاص برجولته وامارته •

وبعد ذلك شرع ابن سعود في فتوحاته وفق خطة منظمة وقد برهن على أنه لا يشبه غزاة العرب في شيء ، فان اتساع ملكه كان يجري

تبعا لنظام محدود ، وكان ثمة أركان حرب وخريطة حربية كما في الغرب . ولكنه شخص ابن سعود كان وحده أركان الحرب ، ثم انه لم يكن قد رأى خريطة حربية من قبل له ، وقد اتخذت فتوحاته شكل حركة حلزونية تبدأ من مركز لا يتبدل وهو الرياض . وكان لا يخطو خطوة الى الامام الا بعد أن يؤمن ما سبق فتحه ويوطد فيه موقفه من الوجة الحربية . وعلى ذلك احتل بالتدريج كل الأقاليم التي في شرق الرياض وشمالها . ثم استولى في سنة ١٩٠٤ على اقليم القصيم ، وبه غنيزة وبريدة ، وهو اقليم ذو ثروة وتجارة هامة . ثم أخضع منطقة الأحراش التي في الغرب ، والتي يسكن الجزء الأكبر منها قبائل عتيبة الكثيرة العدد . وفي سنة ١٩١٤ أقدم على مهاجمة اقليم الحسا على خليج العجم ، وكان في الايام الماضية تابعا لنجد ، ولكنه وقع في أيدي الأتراك منذ خمسين عاما حين اضطلت أسرة ابن سعود ، وقد استحوذ على قاعدته الهفوف بعد قتال قصير ، ووطد سلطته فيه . وأرادت الحكومة العثمانية أن تبعث اليه خطبة أدبية ولكن نشوب الحرب العالمية حال دون ذلك . وفي سنة ١٩٢١ م سقط في يده جبل شمر ومدينة حائل ، مهبط أسرة ابن رشيد . وبهذا فقدوا آخر عماد لملكهم ويئسوا من حكم بلاد العرب ياسا قد يكون الى الأبد . وبين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ م توج فتوحاته بالاستيلاء على الحجاز بما فيه مكة والمدينة وجدة وضمه الى مملكته الواسعة .

ان ابن سعود ما كان يكتفي باخضاع الشعوب مثل غزاة الشرق القدماء ، ولكنه في فتوحاته يكوّن (دولة) وينظر الى جميع أجزائها كأنها أخوة متساوية الحقوق ما دامت تخلص الرغبة في التعاون ، وهو يسعى دائما لان يكسب الود الخالص ممن يقهرهم وأن يرغمهم على محبته ، اذ يريهم أنه لا يهتم بمصالحهم أقل من اهتمامه بأهل موطنه . ولم يفعل ذلك حاكم عربي غيره منذ عهد الخليفة العظيم

عمر بن الخطاب • وهو منذ زمن بعيد لا يعد رجلا من الرياض بل تخطى روابط القبائل الضيقة المدى وصار رجل الجميع •

وقد عرف كيف ينمو في داخل نفسه مع نمو سلطانه • وهو لم يخرج قط من بلاد العرب ولا يعرف فوق وطنه غير البحرين والكويت والبصرة ، ولا يدري من اللغات غير اللغة العربية ، ولم يقرأ من الكتاب الا الدينية منها وبعض كتب التاريخ العربية • ولكنه رغم كل ذلك يمتد بصره الى مدى لم يماثله فيه ملك عربي من قبل فهو يعرف أحوال البلاد الاسلامية في العصر الحاضر خير معرفة ، يعرف مثلا الأحزاب السياسية في مصر أو جاوه أو الهند ، كما يقف على شؤونها والرجال المشتغلين بالسياسة في هذه البلاد • وهو يفهم المستحدثات الهندسية في الغرب كالطيران أو التلغراف اللاسلكي كما يفهمها الغربيون ويستحسنها كذلك وان كان كثير من العرب ومن المتعلمين فيهم يعدونها من السَّحَر •

ولا يزال ابن سعود مع ذلك مسلما قوي الايمان ، وأساس اعتقاده ان كل ما يحدث من الله ، ولذلك يمثل الرأي القائل بأن كل تقدم في الامور المادية لا فائدة منه اذا لم يصحبه التعمق في العقيدة • فمن الطبيعي أن يبنى حكمه على القواعد الدينية • وابن سعود يعتقد معتقدات (الوهابية) وهي حركة اصلاح في الاسلام ترجع الى العلامة النجدي العظيم (محمد بن عبد الوهاب) الذي عاش في بداءة القرن الثامن عشر •

وترمي الى تطهير الاسلام من جميع البدع والخرافات التي لصقت به مع مر الزمن والسمو به عن عبادة الأولياء • والوهابية أشد طوائف الاسلام ومبدؤها الأعلى أن على المؤمنين أن يتمثلوا في البساطة والنظام •

والواقع أن الغربيين يجهلون الاسلام لأنهم يحكمون عليه تبعا

لأحوال أكثر البلاد الاسلامية في العصر الحاضر كما تبدو لهم ، ولكن الاسلام في تلك البلاد تغير عن أصله ، منذ وقت طويل اذ غطته طبقة من الخرافات غير المعقولة ، ودخل فيه تقديس الأولياء والقبور الذي يناقض أصل الدين ، واعتوره الجمود وعدم الاكتراث للذان لا تقرهما تعاليم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - الاصلية الخالصة كما لا يعرفهما الغريون الآن . وليس الاسلام هو السبب في انحطاط البلاد الاسلامية بل الحقيقة عكس ذلك تماما ، فقد أفسد أهلها أصل الاسلام وهجروه دون أن يستطيعوا الاتيان بخير منه ، وهكذا لبسهم الروح الشرقي العتيق . فهو المسؤول عن تدهور الشرق ولايسأل الاسلام عن ذلك . ولونفذ الاسلام بتمامه في نظام عملي متبع لأتى بمجتمع انساني كامل لا احتكاك فيه ولا نقص مما لم يأت به أي نظام اجتماعي آخر . وفي الامكان تحقيق ذلك من الوجهة العلمية لان الاسلام يوافق على كل تقدم في المدنية والحضارة ، ولأن تعاليمه لاتناقض الحقائق التي دلت عليها العلوم الحديثة .

وهذه الفكرة التي ترمي الى تكوين دولة اسلامية صحيحة تكون الاولى في نوعها منذ عهد الصحابة ، هي الدافع لابن السعود في جميع أعماله ، وهو لا يخدم نفسه ولكن يخدم فكرته ولذلك لا ينظر الى نفسه الا خلف عمله وهو من هذه الوجهة حاكم عصري يختلف جد الاختلاف عن سلاطين الشرق الذين يعتبرون شعوبهم كلها مجرد خدم لأشخاصهم ، ولاشك أن الأجنبي الذي يرى ابن سعود لأول مرة يتسم ببساطة هذا الملك وعدم تمدنه ، اذ يبصره في ثوب عادي في غرفة ذات أثاث غير أنيق ، واذ يشهده يقوم لكل قادم ويمد يده لتحيته ، وان كان بدويا من أفقر البدو ، ويأكل طعامه في حضرة وزرائه وكتابه وسائق سياراته ولكن الابتساماة لا تلبث حتى تفارق ثغر الاجنبي حين يدرس رأس هذا الرجل ويدرك العظمة الحقة الماثلة في تلك البساطة .

بدأ ابن سعود عمله في تشديد الأمن العام في بلاده ، بواسطة القوانين الصارمة وحملات التأديب القاسية • ومن قبله كانت شبه جزيرة العرب كلها شبكة من اللصوص وكانت قبائل البدو يشن بعضها الغارة على بعض وتنهب القوافل وكانت الطرق غير آمنة ، فلما جاء ابن سعود حرم على البدو أن يتقاتلوا وأمر بأن تحل الخلافات بين القبائل بقضائه أو قضاء امرائه فيها وجعل المجرمين يشعرون بكل ما في الشريعة من شدة، فالقاتل يضرب عنقه والسارق تقطع يده اليمنى، والسارق الذي يستعين بسلاح تقطع يده اليمنى وقدمه اليسرى ، وقد أجدى ذلك بعض النفع ، غير أن ابن سعود لم يلبث حتى أيقن أن الاكراه وحده لا يكفي ليجعل من الوحوش بشرا ، فشرع ييث في نفوس شعبه أخلاق الاسلام وفضائله ، وبعث بالمعلمين والوعاظ الى مختلف القبائل ليعلموا البدو القراءة والكتابة ويحثوهم على التمسك بالدين وآدابه في عزم واخلاص وكانت ثمرة ذلك صغيرة في السنوات الأولى ، ولكنها نمت تدريجا وأينعت وأنت أكلها • وهكذا تمت في بلاد العرب احدى الغرائب وأصبحت مملكة ابن سعود ومساحتها مثل مساحة المانيا وفرنسا وايطاليا معا ، وفيها الأمن العام مستتب بشكل لا يوجد في أية دولة متمدنة من الدول الغربية ، والآن يستطيع كل شخص أن يسافر بمفرده في الصحراوات الواسعة وسط بلاد العرب دون أن يحمل سلاحا أصلا وان كان يحمل الاثقال من الذهب فلا يصيبه ضرر أو أذى • وقد كان الناس قبلا لا يقطعون تلك الجهات الا جماعات مسلحين • وقد هدأت الحروب وامتنعت المعارك بين القبائل التي في مملكة ابن سعود مع انها كانت من قبل من الحوادث التي تحدث كل يوم ولكنها لم تنقطع في سوريا أو العراق اللذين تحكهما دول غربية متمدنة •

بيد أن ابن سعود لم يقنع بكل ذلك بل وضع عمله لتحضير البلاد على أساس أكبر ، وكان منذ خمس عشرة سنة قد شرع يفكر في

استيطان البدو اذ اتضح له أن تنقل القبائل من جهة الى أخرى كل حين يمنع تقدم المدنية بينها ويحول دون ما هو أهم من ذلك عنده وهو تمكين الدين من نفوسها • وعلى ذلك أخذ ييث هذه الفكرة في البدو ولم تكن بلاد العرب تعرفها من قبل • وقد نجح في هذا نجاحا أكبر مما ارتقبه ، بدأت القبائل واحدة اثر أخرى تدرك فائدة المعيشة المستقرة في ناحية معلومة ، ومنحت أراضي ثابتة الحدود لتسكنها وبنيت فيها البيوت وخططت القرى وزرعت النخل ، وقد أعانها الملك بكل أنواع العون في دور انتقالها من حياة القرى والرعاة الرحالة الى حياة الزراعة ، اذ أعطاها الأموال والغذاء والبذور ، ولا يزال يبذل هذا العون للقبائل الأخرى التي تختار الاستقرار • والآن وقد مضت خمس عشرة سنة على هذه الحركة تستطيع أن تقدر على وجه التقريب عدد البدو من أهل نجد الذين استوطنوا الاراضي وتركوا حياة الرحالة بثلك مجموعهم • ولا تزال هذه الحركة سائرة في طريقها في جد وحزم •

ولا شك أن هذا العمل الذي يقوم به ابن سعود سوف تقدر أهميته من وجهة الحضارة وان التاريخ سوف يفرده لهذا الملك صفحة بين صفحات العظماء الذين خطوا بالانسانية خطوات الى الامام • وهؤلاء المستقرون الذين كانوا منذ جيل واحد لصوصا لا ضمائر لهم قد شعروا يحسون تدريجا أنهم حاملو علم تقدم عظيم ، وقد أثار التعليم الديني الذي أتاهم ابن سعود به عاطفة اطلاق الدين المتغلغلة في نفوس العرب ، وأدركوا أن دولة اسلامية في دور النشوء في بلادهم وان عليهم أن يضعوا لها الأعمدة والأسس ، وكذلك أصبحوا أصدق النصراء للإسلام بعد أن كانوا لا يعلمون الا قشورا منه ، وصاروا ينظرون الى نجد نظرتهم الى معقل الاسلام ، وانهم لمحقون في ذلك • وقد تركوا اعتبارات العصبية المحدودة وسموا أنفسهم (إخوانا) أي اخوان كل من يسلم قلبه لله دون قيد وشرط ، واتخذوا شارتهم العمامة

البيضاء متمثلين بالنبي بعد أن تركوا العقال العربي المتورث من قديم الأزمان .

ولالأخوان أهمية عظيمة بالنسبة لدولة ابن سعود لأنهم في حالة الحرب يتطوع منهم كل رجل قادر على القتال ويدخل في جيش ملكهم وملء قلبه النخوة والحماة . واذ انهم يعتبرون أنفسهم الممثلين الصادقين للدين الحق ولا يقاتلون الا في سبيله . فحربهم اذن هي حرب دينية ، ومن تعاليم الاسلام أن خير ميتة يموتها المسلم وسط الجهاد في سبيله ، ولذلك لا يهرب الأخوان الموت بل يرحبون به ، ولكن دون أن يزدروا الحياة . وهم أكثر جيوش العالم شجاعة وصبرا وسرعة في الحركة . ولو مدوا بالاسلحة الهندسية الحديثة لاستطاعوا أن يفتتحوا دولا عظيمة . وهم في وقت السلم مشتتون في أنحاء البلاد ولكن اذا دعاهم الملك لم ينقض شهر واحد حتى يجتمعوا كلهم في المكان المعين لهم ، وكل منهم آت على هجينه مسلحا بالاسلحة الحديثة التي غنمها ابن سعود في حروبه المختلفة وبالخناجر والسيوف . وكل مجاهد يحمل زاده معه وهو عبارة عن قليل من الأرز وحقية من البلح ، ولا يعطيهم الملك أجرا ولكن يمنحهم الهدايا بين وقت وآخر ، وانما يعتمدون على الغنائم التي يغنمونها من الأعداء ، وهذا الجيش المتطوع المتحمس القليل الكلفة يجعل ابن سعود أقوى من أي حاكم عربي قبله .

وهذا كله عمل رجل واحد هو عبد العزيز بن سعود ففي رأسه تنمو جميع الخطط وعلى كتفيه مهمة تنظيم مملكته الكبيرة وتتحصر مساعدة أمرائه — ومنهم رجال ذوو شخصيات كبيرة — في حسن تنفيذهم للخطط التي يضعها فهو وحده الذي يفكر ويعمل وكلهم أيد له وانه ليحمل عبئا عظيما من العمل .

وهو يشتغل طوال اليوم من باكورة الصباح الى قسط من الليل ،

ما عدا فترات يقضيها في الصلاة وبرهات قصيرة يرتاح فيها بين أهله . وهو يتلقى كل يوم مئات الخطابات والتقارير ويقرأها بنفسه ويسلي مئات من أمثالها على كتابه . ويفد عليه كل يوم كثير من البدو والوفود من أنحاء الدولة يعرضون عليه شكاواهم ورجباتهم ويتلقون منه أوامره وجميعهم ينزلون ضيوفا عليه طول مكثهم بالرياض ، وهو يولم الولايم نحو ألف نفس كل يوم ، ويعطي كلا منهم عند رحيله ثوبا تبعا لعادة العرب وكذلك قطعة من النقود حسب مكاتته . ونفقات الملك الشخصية جد قليلة لانه لا يعرف الترف في حياته الخاصة وانما له عدد من السيارات لا بد منها لحسن القيام بشؤون الحكم في هذه المملكة المترامية الاطراف . وابن سعود طويل القامة جدا ذو جمال رجولي وله جهة عالية وأنف قليل الانحناء وثر صغير عليه شفتان ممثلتان تدلان على الحماسة والذكاء في آن واحد . وكل من يراه دون فكرة سابقة عنه ويشهد ابتسامته العذبة لا بد أن يحبه . وقليل جدا من الناس في مملكته الكبيرة لا يحبونه .

لقد قارن البعض هذا الملك بنايليون ذات مرة . أما أنا فأفضل أن أقارنه بكيروس (١) كما وصفه لنا (كسينوفون) (٢) في روايته « كيروبايديا » فانه مثله حاكما متبصراً حكيماً يعمل لمصلحة شعبه لا لنفسه ويقدر الرجال حق قدرهم ويقرأ ما بقرار نفوسهم قبل أن ينطقوا بمنت شفة ويسعى دائما لارضاء من يعملون معه فيعطيهم أكثر مما يرتقبونه ، اذ يمنحهم الأمن على حياتهم ، والهدايا الخالصة من القلب والحب لمن يستحقه . ولكن رغم كل ذلك يبقى ابن سعود وحيداً بينهم لأن له نفسية عالية .

(١) هو كيروس الاكبر ملك العجم ومؤسسها .

(٢) مؤرخ يوناني قديم مشهور من تلاميذ سقراط .

ان ابن سعود في وحدة عميقة وان كان حوله اناس كثيرون لانه ليس منهم أحد يستطيع أن يستشف ما وراء ابتساماته الساحرة أو ما وراء حركات يديه حين يتحدث في شؤون الدولة أو في مسائل الدين . ولا يدري أحد ماذا سيفعل غدا بل يحيط الظلام والابهام بنواياه في المستقبل وان كان يومه وأمسه شفافين لا سر فيهما .
وتلك وحدة العظماء الذين لا يقودهم في سبيلهم غير اذهانهم المتوقدة (١) .



(١) ش: ج ٤ م ٥ ص ٢٥ - ٣٦ .
غرة ذي الحجة ١٣٤٧ هـ - ماي ١٩٢٩ م .
نقلنا هذا المقال نظرا لتعليق الاستاذ الامام عليه واهتمامه بالحركة الوهابية .

مناظرة بين سلفي ومعتزلي

في مجلس الواثق

ان اختلاف الافكار والطباع ، مع اختلاط الامم في الزمن الطويل – ادى بالفرق الاسلامية الى كثير من الاختلاف . وكان من بين ذلك – لا محالة – بدع دينية في الاعتقادات والاعمال . وكل ذي بدعة – لا بد – معتقدا فيها صوابا ، ومتلمسا لها دليلا .

ولا يقف بالجميع عند حد واحد ، الا دليل واحد . وهو التزام الصحيح الصريح مما كان عليه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وكان عليه أصحابه . فكل قول يراد به اثبات معنى ديني لم نجده في كلام أهل ذلك العصر نكون في سعة من رده وطرحه واماتته واعدامه ، كما وسعهم عدمه . ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم . وكذلك كل فعل ديني لم نجده عندهم وكذلك كل عقيدة . فلا نقول في ديننا الا ما قالوا ، ولا نعتقد فيه الا ما اعتقدوا ولا نعمل فيه الا ما عملوا . ونسكت عما سكتوا . فهم – كما قال الشافعي في رسالته البغدادية – : « ادوا الينا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعملوا ما اراد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عاما وخصوصا وعزما وارشادا ، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استترك به علم واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند انفسنا » .

ونرى كل فتنة كانت بين الفرق الاسلامية ناشئة عن مخالفة هذا الاصل . ومنها فتنة القول بخلق القرآن التي

نقلنا في المناظرة عليها القصة التالية عن كتاب « الاعتصام »
للإمام الشاطبي . وقد كان الفلج فيها لمن التزم هذا الاصل
على من خالفه .

ذكر أبو اسحاق الشاطبي إن هذه القصة حكاها المسعودي ،
وحكاها الاجري - في كتاب الشريعة - بأبسط مما ذكره المسعودي .
ونقلها هو عن المسعودي - قال - مع إصلاح بعض الألفاظ . قال (١) :

« ذكر صالح بن علي الهاشمي قال : حضرت يوماً من الأيام جلوس
المهتدي للمظالم ، فرأيت من سهولة الوصول ونفوذ الكتب عنه الى
النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته ، فأقبلت أرمقه ببصري اذا
نظر في القصص ، فاذا رفع طرفه اليّ أطرقت ، فكأنه علم ما في نفسي .
فقال لي : يا صالح ، أحسب أن في نفسك شيئاً تحب أن تذكره
- قال - فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمسك . فلما فرغ من جلوسه
أمر أن لا أبرح ، ونهض فجلست جلوساً طويلاً ، فقامت إليه وهو على
حصيرة الصلاة فقال لي : يا صالح ، أتحدثني بما في نفسك ؟ أم
أحدثك ؟ فقلت : بل هو من أمير المؤمنين أحسن .

فقال : كأنني بك وقد استحسنت من مجلسنا . فقلت : أي خليفة
خليفتنا ! إن لم يكن يقول بقول أبيه من القول بخلق القرآن . فقال
المهتدي : قد كنت على ذلك برهة من الدهر ، حتى أقدم عليّ الواثق
شيخاً من أهل الفقه والحديث من « أذنه » من الثغر الشامي ، مقيداً
طوالاً ، حسن الشبهة ، فسلم غير هائب ، ودعا فأوجز ، فرأيت الحياء
منه في حماليق عيني الواثق والرحمة عليه .

فقال (الواثق) : يا شيخ ، أجب أبا عبد الله أحمد بن دؤاد عما

(١) الاعتصام ١/٢٤٢ - ٢٤٤ .

يسألك عنه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد يصغر ويضعف ويقل عند المناظرة ؛ فرأيت الواثق وقد صار مكان الرحمة غضبا عليه . فقال : أبو عبد الله يصغر ويضعف ويقل عند مناظرتك ؟ فقال : هوّن عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في كلامه ؟ فقال له الواثق : قد أذنت لك .

فأقبل الشيخ على أحمد فقال : يا أحمد إلامَ دعوت الناس ؟ فقال أحمد : الى القول بخلق القرآن ، فقال له الشيخ : مقاتلتك ^(١) هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن أداخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — دعا الناس إليها أم تركهم ؟ قال : لا . قال له : يعلمها أم لم يعلمها ؟ قال علمها . قال : فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — اليه وتركهم منه ؟ فأمسك . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين هذه واحدة .

ثم قال له : أخبرني يا أحمد ، قال الله تعالى في كتابه العزيز : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » الآية . فقلت أنت : الدين لا يكون تاما الا بمقاتلتك بخلق القرآن ، فالله — تعالى عز وجل — صدق في تمامه وكماله أم أنت في نقصانك ؟ فامسك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذه ثانية .

ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد ، قال الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » .

فمقاتلتك هذه التي دعوت الناس اليها فيما بلغه رسول الله

(١) « ش » : كلام الشيخ على مقالة ابن أبي دؤاد ينطبق على كل مقالة لم يدع اليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس . وقام لها من بعده دعاة .

— صلى الله عليه وآله وسلم — الى الأمة أم لا ؟ فأمسك . فقال
الشيخ : يا أمير المؤمنين ! وهذه الثالثة .

ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد لما علم رسول الله — صلى الله
عليه وآله وسلم — مقاتلك هذه التي دعوت الناس اليها : اتسع له عن
أن أمسك عنهم أم لا ؟ قال أحمد : بل اتسع له ذلك . فقال الشيخ :
وكذلك لأبي بكر ؟ وكذلك لعمر ؟ وكذلك لعثمان ؟ وكذلك لعلي ؟
رحمة الله عليهم . قال : نعم . فصرف (الشيخ) وجهه الى الواثق وقال :
يا أمير المؤمنين ! اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله — صلى الله عليه
وآله وسلم — ولأصحابه فلا وسع الله علينا . فقال الواثق : نعم !
لا وسع الله علينا إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله — صلى الله عليه
وآله وسلم — ولأصحابه فلا وسع الله علينا .

ثم قال الواثق : اقطعوا قيوده ، فلما فكت جاذب^(١) عليها . فقال
الواثق : دعوه . ثم قال يا شيخ لم جاذبت عليها ؟ قال : لأنني عقدت
في نيتي أن أجاذب عليها ، فاذا أخذتها أوصيت أن تجعل بين يدي^(٢)
وكفني ، ثم أقول : يا ربي ! سل عبدك : لم قيدني ظلما وارتاع^(٣)
بي أهلي ؟ فبكى الواثق والشيخ وكل من حضر . ثم قال له الواثق :
يا شيخ ! اجعلني في حل . فقال : يا أمير المؤمنين ! ما خرجت من منزلي
حتى جعلتك في حلٍ إعظاما لرسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —
ولقربانتك منه . فتهلل وجه الواثق وسر . ثم قال له : أقم عندي آنس
بك ، فقال له : مكاني في ذلك الثغر أنفع ، وانا شيخ كبير ، ولي حاجة .
قال : سل ما بدا لك . قال : يأذن أمير المؤمنين في رجوعي الى الموضوع

(١) « ش » ابي ان يتركها .

(٢) كذا بالاصل والظاهر بين بدني وكفني .

(٣) الصواب اراع أو روع .

آثار ابن باديس

الذي أخرجني منه هذا الظالم (١) . قال : قد أذنت لك . وأمر له
بجائزة فلم يقبلها (٢) ، فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة .
وأحسب أيضا أن الواثق رجع عنها .

قال أبو اسحاق الشاطبي بعد نقل ما تقدم .

« فتأملوا هذه الحكاية فيها عبرة لأولي الألباب . وانظروا كيف
مأخذ الخصوم في احجامهم (٣) لخصومهم بالرد عليهم بكتاب الله وسنة
نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - » (٤) .



(١) يعني ابن أبي دؤاد .

(٢) هذا قول المهدي بعد تمام الحكاية .

(٣) كذا بالأصل والظاهر افحامهم .

(٤) ش : ج ١١ ، م ٥٥ ، ص ٢٤ - ٢٨
غرة رجب ١٣٤٨ هـ - ديسمبر ١٩٢٩ م .

هذه نعلي ونعل آبائي

محافظة الرشيد على زي قومه

((القومية والشخصية لهما مقومات ومميزات . والمحافظة عليهما والاعتزاز بهما مما جبل عليه الناس كما جبلوا على حب البقاء . لكن قد يطرأ على بعضهم سوء ظن فيهما لجهل أو ضعف ، فيتخطى عنهما فيكون ذلك التخطي نذير الفناء ، وفي القصة التالية نرى اعتزاز الرشيد بقوميته ومحافظةه على مميزاتها حتى في أقل الأشياء كالنعل . وكان ذلك منه على قدر ما لديه من عظمة وقوة ، وما عنده من علم بمجد قومه العرب الاكرمين)) .

قال الأصمعي : تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملا الظفر به والوصول اليه ، حتى صرت حديثا لبعض حرسه ، فأني في بعض ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج أحد الخدم فقال : أما بالحضرة أحد يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ، رب قيد مضيق قد حله التيسير ، فقال لي الخادم : ادخل فلعلها أن تكون ليلة في صباحها الغنى ان فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين . فدخلت فواجهت الرشيد في مجلسه ، والفضل بن يحيى الى جانبه ، فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم فسلمت فرد علي السلام ثم قال : يا غلام ، ارحه ليفرخ روعه إن كان وجد للروعة حسا . فدنوت قليلا ثم قلت : يا أمير المؤمنين أضاءه مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية . فقال : ادن ، فدنوت . فقال : أشاعر أم راوية ؟ فقلت : راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسنا . فقال :

تالله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا ؟ فقلت : أنا على الميدان فاطلق من عناني يا أمير المؤمنين . فقال (قد انصف القارة من رامها) ثم قال : ما المعنى بهذه الكلمة بديئا ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هي الحرة من الأرض ، وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك اذ ذاك أبو حسان فوافق عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه ، فقال : أين رماة العرب ؟ فقال العرب : قد أنصف القارة من رامها . فقال لي الرشيد : أصبت . ثم قال : أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا ؟ فقلت هما شاهدان لك بالقوافي ، وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال : انشدني :

أرقني طارق هم أرقا

فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه ، تهدر بها أشدائي . فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الى امتداحه لابي العباس السفاح في قوله :

« قلت لزيير لم تصله مريمه »

فلما رأني عدلت من أرجوزة الى غيرها ، قال : أعن حيرة أم عن عمدٍ ؟ قلت : عن عمد تركت كذبه الى صدقه ، فيما وصف به جدك من مجده . فقال الفضل : أحسنت بارك الله فيك ، مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس ، فلما اتيت على آخرها قال الرشيد : أتروي كلمة عدي بن الرقاع :

عرفَ الديَّارَ تَوَهَّمًا فاعتادها

مِنْ بَعْدِ مَا شَمَلَ البلى أَبْلاَدَهَا

قلت : نعم . قال : هات ، فمضيت فيها حتى اذا صرت الى وصف

الجمل قال لي الفضل : ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب ، فقال له الرشيد : اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياتا ضربت بها أنت وقومك . فقال الفضل : عوقبت على غير ذنب ، فالحمد لله . فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النعم . ولو قلت : استغفر الله ، كنت مصيبا . ثم قال لي : امض في أمرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قول عدي :

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ ابْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

استوى جالسا ثم قال : اتحفظ في هذا ذكرا ؟ قلت : نعم . ذكرت الرواة أن الفرزدق قال : كنت في المجلس وجريير الى جانبي ، فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجريير : سرا إليه نسخر من هذا الشامي ؟ فلما ذقنا كلامه يتسنا منه ، فلما قال :

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ ابْرَةَ رَوْقِهِ

وعدي كالمستريح قال جريير : أما تراه يستلب بها مثلا ؟ فقال الفرزدق يالكع ، انه يقول :

قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فقال عدي :

قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فقال جريير : أكان سمعك مخبوءاً في صدره . فقال له : اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله :

وَلَقَدْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَؤْتِيَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أَسْلَحَتْهَا وَرَشَّادُهَا

قال الرشيد : ما تراه حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال كذاك أراد الله فقال الرشيد : ما كان في جلالته ليقول هذا أحسبه ، قال ما شاء الله . قلت : وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال : أتروي لذي الرمة شيئاً ؟ قلت الاكثر ، قال فماذا أراد بقوله :

مُرَّةً أَمَرَّتْ فَتَلَّهُ أَسَدِيَّةً
ذراعية " حَلَاةً " بالمصانع

قلت وصف حمار وحش اسمه بقل روضه ، تواسجت أصوله وتشابكت فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ، ثم في الذراع من ذلك ، فقال الرشيد : ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا . ثم قال : أجد ملالة ، ونهض وأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية ، فقال الرشيد : عقرتني يا غلام ، فقال الفضل : قاتل الله الاعاجم إما أنها لو كانت سنديا لما احتاجت الى هذه الكلمة . فقال الرشيد : هذه نعلي ونعل آبائي ، كم تعارض فلا تترك من جواب مضى . ثم قال : يا غلام ، يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته هذه ، ولا يحجب في المستأنف . فقال الفضل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره ، لأمرت لك بمثل ما أمر لك ، وقد أمرت لك به إلا ألف درهم ، فتلق الخادم صباحا . قال الاصمعي : فما صليت من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم (١) .

(١) ش : ج ٢ ، م ٦ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .
غرة شوال ١٣٤٨ هـ - مارس ١٩٣٠ م .

العامة المتعلمة

« اذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فان العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة بصيرة بالدين فتكمل هي في نفوسها ولا تهمل - وقد عرفت العلم وذافت حلاوته - تعليم ابنائها . وهكذا ينتشر العلم في الامة ويكثر طلابه من ابنائها وتنفق سوقه فيها . اما اذا خلت المساجد من الدروس كما هو حالنا اليوم - في الفالسب - فان الامة تعفى عن العلم والدين وتنقطع علاقتها به ، وتبرد حرارة شوقها اليه ، فتجسو نفسها وابناءها وتمسي والدين فيها غريب .

وقد عرف اسلافنا - رحمهم الله تعالى - هذه الحقيقة فحسبوا الاحباس الطائفة على التدريس في المساجد ، التدريس الديني الجامع بين العلم والتهذيب ولو دام ما أسسوه لكانت حالة عامتنا على غير ما نراها عليه اليوم .

وفيما يلي ننقل من (احكام) الامام ابن العربي قصة تبين ما كان عليه عامة بغداد من العلم ايام كانت مساجدها معمورة بالدروس . وكان العلم منتشرا في جميع طبقاتها » .

« كان أبو الفضل المراغي يقرأ بمدينة السلام فكانت الكتب تأتي اليه من بلده فيضعها في صندوق ولا يقرأ منها واحداً مخافة أن يطلع فيها على ما يزعجه ويقطع به عن طلبه فلما كان بعد خمسة أعوام وقضى غرضاً من الطلب وعزم على الرحيل شد رحله وأبرز كتبه وأخرج تلك الرسائل وقرأ منها ما لو أن واحداً منها يقرأها في وقت وصولها

ما تكن^(١) بعدها من تحصيل حرف من العلم فحمد الله تعالى ، ورحل على دابته قماشه وخرج الى باب الحلبة طريق خراسان وتقدمه الكرى بالدابة وأقام هو على عامي يتناع منه سفرته فبينما هو يحاول ذلك معه اذ سمعه يقول لعامي آخر أي قل ، أما سمعت العالم يقول يعني الواعظ أن ابن عباس يجوز الاستثناء ولو بعد سنة لقد اشتغل بالي بذلك منه منذ سمعته يقول ، وظللت فيه متفكرا ، ولو كان ذلك صحيحا لما قال الله تعالى لأيوب: «وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ» وما الذي كان يمنعه من أن يقول حينئذ قل إن شاء الله سمعته يقول ذلك قلت بلد يكون العاميون به من العلم في هذه المرتبة أخرج عنه الى المراغة لا أفعله أبداً واقتفى أثر الكرى وحلله من الكراء وصرف رحله وأقام بها حتى مات رحمه الله^(٢) .



(١) كذا في الاصل والصواب : ماتمكن .

(٢) ش : ج ١١ ، م ٦ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٣
غرة رجب ١٣٤٩ هـ - ديسمبر ١٩٣٠ م .

النجاة من العطب بقليل من الأدب

خرج الامام ابن العربي في سفره الى المشرق مع ابيه وكاد البحر يوما يغرقهم وكاد الجوع والبرد بعد خروجهم من البحر ان يهلكهم لولا ان الله تعالى بسبب طريف انقذهم . وقد قص الامام ذلك في كتابه : « ترتيب الرحلة » ونقله عنه المقرئ في « نفع الطيب » ونقلناه عنه فيما يلي لما فيه من عجب لطف الله ونفع المعرفة على كل حال في جميع المواطن قال الامام :

« وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله^(١) ، ويفرقنا في هوله ، فخرجنا خروج الميت من القبور ، واتتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم . ونحن من السفب ، على عطب ، ومن العربي ، في أقبح زي ، قد قذف زقاق زيت مزقت الحجارة منيئتها^(٢) ، ودست الأدهان وبرها وجلدتها . فاحترمناها ازرا ، واشتملناها ألفافا^(٣) تمجنا الأنظار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فأوانا ، وأطعنا الله على يديه وسقانا ، وأكرم مشوانا وكسانا — بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف . وشرحه : انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه^(٤) فعل السامد^(٥) الاله ، فدنوت منه

(١) الزول : العجب .

(٢) المنية : الجلد اول ما يدبغ .

(٣) الفاف : ج لف بمعنى الحزب والطائفة .

(٤) الشطرنج .

(٥) الغافل الساهي .

في تلك الأطمار ، وسمح لي بياذقته^(١) اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاعمار^(٢) ، ووقفت بازائهم ، أنظر الى تصرفهم من ورائهم - • اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة - في خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه • فلمحوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كانت نورا • وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدنانني فدنوت منه وسألني هل لي بما هم فيه خير ، فقلت لي فيه بعض نظر ، سيدو لك ويظهر ، حرك تلك القطعة ففعل كما اشرت وعارضه صاحبه كذلك فأمرته أن يحرك اخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الامير فقالوا ما أنت بصغير •

وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشداً :

واحلى الهوى ماشك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله أبا الطيب اويشك الرب ، فقلت له في الحال : ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير انما أراد بالرب ههنا الصاحب • يقول : أذئ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ، فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله ، وثقاة لما يقطع به •• كما قال :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الأغراض ، في طرفي ابرام وانتقاض ، ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض واقبلوا يتعجبون مني ،

(١) البياذقة الرجالة والمراد خدمه واتباعه .

(٢) ج غمر غير المجرب •

ويسألونني كم سني ، ويستكشفونني عني ، فبقرت^(١) لهم حديثي ،
وذكرت لهم نجيتي^(٢) ، وأعلمت الأمير أن أبي معي فاستدعاه وأقمنا
الثلاثة^(٣) الى مشواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه^(٤) ، وجاء
كل خوان ، بأفنان وألوان^(٥) ، فانظر الى هذا العلم^(٦) الذي هو الى
الجهل أقرب ، مع تلك الصباية اليسيرة من الأدب ، كيف انقذا من
العطب ، وهذا الذكر يرشدكم - ان عقلتم - الى المطلب^(٧) ١ هـ .

(١) فتحته ووسعته .

(٢) ما بطن من امري .

(٣) هو وابوه والامير .

(٤) اسال علينا خيراته .

(٥) ذكر هنا صاحب النفع ان الامام وصف ما نالهم من كرم الامير
ولم يذكره هو .

(٦) علم الشطرنج .

(٧) هو الرغبة في العلم والحرص على تحصيله .

ش : ج ٢ ، م ٧ ، ص ١١٢ - ١١٤
غرة شوال ١٣٤٩ هـ ، مارس ١٩٣١ م .

أبابة الضيم

يزيد بن المهلب

بيت المهلب من أكبر البيوت التي استقامت عليها دعائم ملك بني أمية ، والمهلب هو الذي قطع دابر الخوارج عليهم بالعراق بعد ما كان قد أعياهم أمرهم . حتى قال الحجاج للمهلب - لما قدم عليه بعد الظفر وقد اجلسه معه وبالغ في إكرامه - : « يا أهل العراق انتم عبيد المهلب » . ولما قدم قدمته هذه ولي ابنه يزيد كرمان ، ثم كانت ولايته على خراسان وفتح في خلافة سليمان بن عبد الملك دهستان وجرجان وطبرستان . ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز سجنه وطالبه باموال كان كاتب عليها سليمان فانكرها ومكث في السجن حتى هرب منه قبل وفاة عمر بقليل خوفاً من أن يقع في يد يزيد بن عبد الملك ولي عهد عمر وكان يزيد أيام ولايته قد عذب آل أبي عقيل اصهار يزيد لانه كان متزوجاً ببنت أخي الحجاج . ففصد البصرة وبدأ فتنته منها وكان من نهاية أمره ما قصه ابن أبي الحديد فيما يلي :

ومن أبابة الضيم يزيد بن المهلب كان يزيد بن عبد الملك ينشؤه قبل خلافته لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت إليه الخلافة وخلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم انه ان ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصرة وملكها عنوة وحبس عدي بن اربعة عامل يزيد بن عبد الملك عليها فصرح اليه يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً يشتمل على ثمانين ألفاً من أهل الشام والجزيرة

وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتديريها وأيمن الناس تقيية في الحرب وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فسار يزيد بن المهلب من البصرة فقدم واسطا فأقام بها أياماً ثم سار عنها فنزل العقر واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفاً وقدم مسلمة بجيوش الشام فلما تراءى العسكران وشبت الحرب أمر مسلمة قائداً من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا فليل يزيد بن المهلب قد انهزم الناس قال ومم انهزموا هل كان قتال ينهزم الناس من مثله فليل له ان مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا فقال قبجهم الله يقال دخن عليه فطار ثم وقف ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه واستقبله منهم أمثال الجبال فقال دعوهم قبجهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب وكان لا يحدث نفسه بالفرار وقد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط فقال له :

فعض ملكاً أو مت كريماً فان تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر
فقال ما شعرت فقال :

ان بني مروان قد بار ملكهم فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر
فقال اما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام أصحابه نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه واستقبل فأتاه آت فقال ان أخاك حبيباً قد قتل فزاده ذلك بصيرة في توطينه نفسه على القتل قال لا خير في العيش بعد حبيب والله لقد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة وقد ازدددت لها بغضاً امضوا قدماً فعلم أصحابه أنه مستميت فتسلل عنه من يكره القتال وبقي معه جماعة خشية فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها وهو يقصد مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب وحالت

خيول أهل الشام بينهما وعظفت على يزيد بن المهلب فجالدهم بالسيف
مصلنًا حتى قتل وحمل رأسه الى مسلمة وقتل معه أخوه محمد بن المهلب
وكان أخوهما المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام في جهة أخرى ولا
يعلم بقتل أخويه يزيد ومحمد فأتاه أخوه عبد الملك بن المهلب وقال له
ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد وقبلهما قتل حبيب وقد انهزم الناس
وقد روي انه لم يأت به بالخبر على وجهه وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل
ويقتل فقال له ان الامير قد انحدر الى واسط فاقتص أثره فانحدر
المفضل حينئذ فلما علم بقتل اخوته حلف أن لا يكلم أخاه عبد الملك
أبدأ وكانت عين المفضل قد اصببت من قبل في حرب الخوارج فقال
فضحني عبد الملك فضحه الله ما عذري اذا رأيي الناس فقالوا شيخ
أعور مهزوم الا صدقني فقتلت ثم قال :

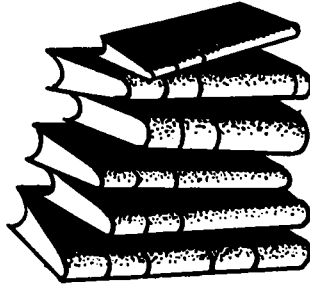
ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الناس بعد يزيد

فلما اجتمع من بقي من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة أخرجوا
عدي بن ارطاة أمير البصرة من الحبس فقتلوه وحملوا عيالهم في
السنن البحرية ولججوا في البحر فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك
بعثا عليه قائد من قواده فأدركهم في قنديل فحاربهم وحاربوه وتقدم
بنو المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وهم المفضل ابن
المهلب وزيد بن المهلب ومروان بن المهلب وعبد الملك بن المهلب ومعاوية
ابن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة
ابنا قبيصة بن المهلب وحملت رؤوسهم الى مسلمة بن عبد الملك وفي
اذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه واستأسر الباكون في الوقعة فحملوا
الى يزيد بن عبد الملك بالشام وهم احد عشر رجلا فلما دخلوا عليه
قام كثير بن أبي جمعة فأشدد :

حليم اذا ما نال عاقب مجملا أشد العقابِ أو غفالم يثرب

ففعفوا أأمفر المؤمنفن وحبسة ففما تأآته من صالح لك ففكآب
أساؤوا فان تصفح فانك قادر وأفضل حلم حسبه حلم مغضب

فقال ففزفد اطآ بك الرآم ففأ أبا صآر لولا انهم قءءوا ففف الملك
لعفوت عنهم ثم أمر بقتلهم فقتلوا وبقي منهم صبي صغير فقال اقتلوني
فلست بصغير فقال ففزفد بن عبء الملك انظروا هل أنبآ فقال أنا أعلم
بنفسف ، فقد اآآلمآ ووطآآ النساء ، فاقتلوني فلا آفر فف العفش بعء
أهلف فأمر به فقتل ، قال أبو عبفءة معمر بن المشف : واسماء الأسارى
الذفن قتلوا صبرا وهم اآء عشر مهلففا المعارك وعبء الله والمغفرة
والمفضل والمنآب بنو ففزفد بن المهلب وءرفء والحآآ وفسان وشفب
والمفضل بن المفضل بن المهلب لصلبه والمفضل بن قفبصة بن المهلب . قال:
لم ففبق بعء هذه الوقة الآنفة لأهل المهلب باقية الا ابو عبفنة بن المهلب
وعمرؤ بن ففزفد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فانهم لآقوا
برآففل ثم آمنوا بعء ذلك^(١) .



(١) ش : آء ، ٤ ، ٧ م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨
غرة ذف الآآة ١٣٤٩ هـ - آفرفل ١٩٣١ م .

أعظم قائد

يرجع الى راي جندي (١)

ارتحل النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من مبيته صبيحة يوم بدر حتى نزل على أدنى ماء اليه وبقي الماء أمامه لو جاء العدو لنزل عليه فيكون الجيشان على ماء • وكان الصحابة يعلمون ان رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يتصرف بالوحي فيكون تصرفه حتماً ويتصرف بالنظر في السياسة والحرب فيشاور ويراجع وهو المعصوم فلا يقر على الخطأ فانبرى الحباب بن المنذر بين الجموع يبدي رأيه وما يعتقد صواباً في مكان النزول فقال : (يا رسول الله أرأيت المنزل هذا أمنزلاً أتزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة) ؟

فقال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » فقال الحباب : « ان هذا ليس بالمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نعور ما وراءه من القليب^(١) ثم نبني عليه حوضاً نملؤه ماء ثم تقاتل القوم فنشرب ولا يشربون » • أراد أن يستولي الجيش على الماء ويمنع منه العدو فيكون ذلك أنكى فيه وأعون عليه وهذا هو الرأي الموافق لما تقتضيه الحرب من تضييع العدو ومكايده بالاسباب التي تسرع بقهره وظهر

(١) من سيرة ابن هشام وغيرها .

(٢) القلب ج قليب وهو بير غير مطوية اي مبنية وعور القليب اذا ردمه بالتراب .

هذا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له : « لقد أشرت بالرأي » ونهض بالناس حتى نزل المنزل الذي أشار به الحباب وفعل ما أشار به ورجع أعظم قائد الى رأي جندي من جنوده لما ظهر له صواب اشارته .

قد عصم الله نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يستقر أمره في جميع سياسته وتدييره الا على أحسن الوجوه بما يهدي اليه من نفسه - وهو الكثير - وما يرجع اليه مما يشير به أصحابه - وهو القليل - والحكمة في هذا القليل أن يسن لأتمته حرية ابداء الرأي في الشؤون العامة من الكبير والصغير ، والرجوع للصواب اذا ظهر من أي أحد كان .

هذا الاصلان : حرية ابداء الرأي من جميع أفراد الرعية والرجوع الى الصواب من رعاتها ، عليهما تنبني سعادة الأمة وعظمتها ، وبهما تشعر الأمة والوحدة بين الرعية ورعاتها ، ومنها تستمد الأمة النظم اللازمة لها في حياتها ، وقد قررها الاسلام وبينهما النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تبييناً عملياً في هذه القصة (١) .



(١) ش : ج ١ ، م ١١ ، ص ١٧ - ١٨
غرة محرم ١٣٥٤ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

ضلال شيخين واهتداء غلام

كانت مدينة الطائف — وما زالت — مصطاف أهل مكة وكان بين البلدين صلة وقرابة . حتى قرنتا في قول المشركين الذي حكاه الكتاب: « لَوْ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْثِيِّنَ عَظِيمٍ » فخرج النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — إليها بعد وفاة أبي طالب واشتداد الأذى من قريش عليه . يدعو أهلها ثقيفاً ويلتمس عندهم النصرة والمنعة بهم من قومه فلقى من أذاهم أشد مما كان يلقى فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط مصطاف لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة القرشيان الأمويان وهما فيه ينظران اليه ويريان مألقيه من سفهاء ثقيف لم يغيرا من ذلك شيئاً وكان ذلك الجمع من العبيد والسفهاء لما رأوه التجأ الى حائط فيه رجلان من قومه قريش ومن بني عبد مناف رجعوا عنه فعمد الى ظل حبله (كرمه) من عنب فجلس فيه .

رأى ابنا ربيعة ما لقي النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ، وهما من بني عبد مناف ، فتحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً اسمه عدءاس فقالا له خذ قطعاً (عنقوداً) من العنب فضعه في الطبق اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

جاء عدءاس بالقطف في الطبق فوضعه بين يدي النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ، فقال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — باسم الله وتناول منه ، فسمع عدءاس ما لم يكن يسمعه في تلك الأرض من المشركين فنظر في وجه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وقال

له : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلاد ، فعرف النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - انه ليس من تلك الارض فسأله عن بلده وعن دينه فقال له انه نصراني وانه من أهل قرية نينوى من قرى الموصل فقال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فدهش عداس ، وقال له - صلى الله عليه وآله وسلم - : وما يدريك ما يونس بن متى وانتي فارقت نينوي وما يعرفه من أهلها إلا قليل فمن أين عرفت أنت هنا هذا وأنت أمي في أمة أمية فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي .

كان عداس على يقين بما خبر من أهل تلك الارض وعرف من جهلهم وأميتهم ، من انهم بعداء كل البعد عما شاهده من أدب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عند الأكل بذكر اسم الله ، وما سمعه منه من العلم بيونس وبلدته فتحقق ان هذا ما وصل اليه إلا بوحي من الله فلم يتردد في تصديقه والايان به واكب على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقبل رأسه ويديه وقدميه .

لم يكن عند عداس مال يطفيه ولا جاه ينفخه ولا رئاسة يتعالى ويتعاضم بها ولا سلطة كهنوتية تفسد عليه ادراكه وتغل فكره فلذلك نظر نظراً صحيحاً وفكر تفكيراً مستقيماً فاستنتج من علم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما لم يعلمه الناس في أرض جهل وأمية انه نبي موحى اليه من الله وكل من سلم من تلك القواطع التي سلم منها عداس فهو أقرب الناس الى قبول الحق واتباعه وما يتباطأ من يتباطأ عن قبول الحق والاذعان لادلته الا من تلك الموانع ويكون تباطؤه بقدر ما عنده منها .

بينما كان الغلام الصحيح العقل النقي القلب السليم الصدر الحر الضمير يستعمل فكره فيشرح الله صدره فيتهدي الى الاسلام - كان

آثار ابن باديس

ذاتك الشيخان الضالان اللذان أطفاهما المال وتفخهما الجاه وأعماههما
الحرص على الرياسة ، عتبه وشيبة — يقول أحدهما للآخر : (أما
غلامك فقد أفسده عليك) •

رجع عدّاس — وقد اهتدى — الى الشيخين الضالين فقالا له :
(ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل — يتجاهلانه — ويديه
وقدميه) فقال لهما : (يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا
لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي) فقالا له : (ويحك يا عداس
لا يصرفنك عن دينك — وقد كان عداس نصرانياً — فان دينك خير
من دينه) •

لا يسوءهما أن يكون عداس على أي ملة وانما يسوءهما أن يتبع
محمدًا — صلى الله عليه وآله وسلم — الذي يحسدانه ويخافان منه
على رياستهما فحاولا أن يصرفاه عنه ويصداه عن اتباعه بما قالاه له ،
لكن عدّاساً الذي عرف الحق بالدليل ، وذاق حلاوة الايمان وبرد
اليقين ، لم يقيم لكلامهما وزناً ، ولم يحر لهما جواباً ، وأعرض عنهما
كما يعرض عن الجاهلين وثبت على الدين الحق • وكذلك الايمان
إذا خالطت بشاشته القلوب (١) •



(١) ش : ج ٢ ، م ١١ ، ص ٧٩ - ٨١
غرة صفر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م •

الراعي

من هذا الغلام العربي في عباءته ؟ من هذا الراعي الصغير في غنيمته ؟ من هذا الصبي الناشيء على العمل والرعاية من طفولته ؟ من هذا اليافع الذي يأبى الا أن يعيش من كد يمينه ، ويأكل خبزه الا بعرق جبينه ؟ •

هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يتيم الأبوين مكفول عمه أبي طالب ، الذي كان يرعى غنماً لاهل مكة لقومه وأهل بلده بالقراريط حتى لا يكون كلا على عمه • هذا هو المهيأ برعايته الغنم ، لرعاية الأمم ، هذا هو المنشأ على الكد في العمل الصغير ، اعداداً له للنهوض باعباء العمل الكبير ، هذا هو المربي على العمل بالفلس ، ليشب على خلق الاعتماد على النفس ، هذا هو المعدلختم النبوة والرسالة واظهار أكمل مثال للبشرية ، يحمل أعظم آية من وحي الله ، ويدعو الى السعادة الدنيوية والأخروية وأقصى ما يمكن أن يصل اليه الناس من كمال •

شب محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — يتيماً في كفالة عمه ، وكان عمه مقترأ في شظف من العيش ، فأخذ محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — يعمل بأجرة ليخفف على عمه ولما شب ضرب في الأرض تاجراً كعادة قومه، فلما ولد لأبي طالب عليؑ كفه • وهو في الثلاثين، جزاء على كفالاته • فكان في طفولته وشبابه وكهولته كواحد من قومه في عيشته وكسبه وأميته • وان كان ممتازاً بينهم لخلقه وفضله حتى بعثه الله نبياً ورسولاً بما يستحيل — وقد عرفوا طفولته وشبابه وكهولته — أن يكون شيء منه من عنده ، ولذا أمره الله أن يحتج عليهم بقوله :

« قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

كان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ميسراً من طفولته لما كان عليه اخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم - قبله محفوظاً مما حفظوا ملهياً ما ألهموا وقد ألهم الله الأنبياء قبله لرعي الغنم وهي حيوان ضعيف تمريناً على القيام على الضعاف بالحلم والرفق والشفقة وحسن الرعاية باختيار مسارحها ودفع العوادي عنها ودوام تمهدها وذلك كله تهيئة لهم الى ما يوكل اليهم من سياسة أمتهم .

وقد ذكر هو - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا العهد من طفولته وهذه العادة الربانية في مثله من اخوانه اعترافاً بنعمة الله وتبنيهاً على ما في ذلك من الحكمة وما فيه من حسن القدوة فقال يوماً لاصحابه : « ما بعث الله نبياً إلا وعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة » رواه البخاري من طريق أبي هريرة - رضي الله عنهم - (١) .



(١) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣
ربيع الاول ١٣٥٤ هـ - جوان ١٩٣٥ م .

خلوا بيني وبين ناقتي

كان الأعراب يجيئون للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يسألونه ويستجدونه في غلظة وجفوة من القول فكان يعطيهم ويتجاوز عن جفائهم ويعذرهم ببدائوتهم • فجاءه اعرابي يطلب منه شيئاً فأعطاه إياه ثم قال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - « أحسنت إليك » ليعرف ما عنده من الاعتراف بالاحسان أو ليعرف اكتفائه بما أعطاه فقال له الاعرابي : (لا ولا أجملت) أي ما أتيت لا بحسن ولا بجميل • فغضب المسلمون وقاموا اليه ليقعوا به جزاء سوء أدبه فأشار اليهم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن كفوا ثم قام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ودخل منزله وأرسل الى الاعرابي وزاده شيئاً ثم قال له : « أحسنت إليك » فقال الاعرابي : (نعم • فجازاك الله به من أهل وعشيرة خيراً) • هكذا توسل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الى تأديبه واستخراج الاعتراف بالجميل منه ليتربى عليه وحمله على النطق بالكلام الطيب بزيادة الاحسان اليه • فاعترف بالاحسان ودعا الله بالجزاء للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بسبب احسانه وشعر بأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان له أهلاً وعشيرة وهذه كلها معارف وآداب وشعور طيب جاء بها هذا الاعرابي الجافي بسبب تربيته بزيادة الاحسان اليه • وأراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن لا يتركه يرى بين الصحابة - رضي الله عنهم - بالعين التي كانوا يرونه بها لجفائه وسوء أدبه وأن لا يترك في قلوبهم شيئاً عليه ، فقال له : « إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في

صدورهم عليك « دعاه بالطف القول وألينه دون أمر ولا الزام فقال الاعرابي (نعم) فلما كان الغد أو العشي جاء الاعرابي لمجلس النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لأصحابه : « إن هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي • وكذلك ، قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً » •

ثم أراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يضرب مثلاً لأصحابه - رضي الله عنهم - يبين لهم به كيف يكون رد الشارد وجذب النفور وتأليف الجافي ، وان المتصدي لتربية الناس أعرف من غيره بما يصلحهم وان الرئيس المتبوع أعرف بطباع أتباعه وأحق بتأليفهم وثريبتهم من الاتباع بعضهم في بعض ، فقال لهم - صلى الله عليه وآله وسلم - : « مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فاني أوفق بها منكم وأعلم • فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت (بركت) وشد عليها رحلها واستوى عليها » ثم قال لهم : « واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » فقد استحق النار لو مات على تلك الحال فأشفق عليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فعالجه بما أنقذه منها وهكذا تكون رعاية الافراد والأمم باللين والاحسان والانتقاد من مصارع السوء والحمل بالرفق والعلم على السير في أحسن السبل فصلى الله عليه وسلم من نبي حريص على الخير رفيق بالخلق عليم بطبهم ، « بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١) » (٢) •

(١) ذكرها في الشفاء واصلها في البزار كما ذكره الشراح •

(٢) ش : ج ٤ ، م ١١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨
غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ - جوان ١٩٣٥ م •

كن خير آخذ

قام قائم الظهيرة وأصهرت الأرض شمس الصحراء ، فنزل الجيش ليقيل ، وتفرق الصحابة تحت أشجار البادية يستظلون بها ، وانتبذ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن أصحابه تحت ظل شجرة وانفرد بها فنزع سلاحه وعلق سيفه في غصن من أغصانها ونام .

كان غورث بن الحرث أحد شجعان العرب وفتاكهم يتتبع الجيش متخفياً ، يتحين فرصة انفراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للفتك به ، وقد واتته تلك الفرصة الآن ، فجاء حيث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نائم وسيفه معلق بالشجرة ، فاخترط السيف فاتتبه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وغورث قائم على رأسه والسيف صلتا بيده . فصاح الفاتك بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أنخافني ؟) فقال له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا » قال : (ومن يمنعك مني) فقال : « الله » .

الاسم الأعظم ينطق به الرسول الأعظم ، وهو أعزل من سلاحه إلا سلاح الايمان ، وقد شهر الباطل سيفه بيد ضال مغرور ، يريد أن يصيبه في سيد أنصاره وأعظم أبطاله . فلو كان هذا الفاتك جبلاً وقد صدعت كلمة « الله » سمعه لخشع وتصدع ولو كان قلبه من حديد لذاب وسال .

انخلع قلب الفاتك واضطربت يده وسقط السيف منها ، فتناول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - السيف ورفع على رأسه وقال لغورث : من يمنعك مني ؟ فقال له غورث : كن خير آخذ .

التجأ الفاتك الى حُلم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعفوه

وكرمه ودعاه الى أن يكون خير آخذ لعدوه ، وخير الآخذين هو الذي يعفو بعد القدرة ، ويسمح بعد الغلب ، وما دعى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الى خير إلا أجاب ولا وقع بين أمرين الا اختار أفضلهما ، وما انتقم لنفسه قط ، فترك غورثا وعفا عنه فرجع الى قومه يقول لهم : جئتم من عند خير الناس .

في هذه القصة تجلت الثقة بالله في أجلى مظاهرها وانسحرت قوة السيف أمام قوة الايمان ايمان من لا يخاف الا الله ولا يخاف غيره . ولو كان السيف صلتا على رأسه وضرب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - المثل الكامل في العفو والتجاوز وحسن التألف للناس وجلبهم الى الايمان فلهذا العفو وتقول غورث لقومه : جئتم من عند خير الناس ، من الاثر في القلوب ما لا تفعله الجيوش من فتحها للاسلام أو كفها عن أذى المسلمين^(١) .

رزقنا الله الاقتداء بهذا النبي الكريم ذي القلب الرحيم والخلق العظيم^(٢) .



(١) أصل القصة في الصحيحين والشفاء ومسند أحمد وقد اختلف في اسلام غورث .

(٢) ش : ج ٥ ، م ١١ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ - اوت ١٩٣٥ م .

لا اثر للعبودية مع الأحرار

أغارت خيل بني القين على أيات بني معن فاحتملوا فيما غنموا زيد بن حارثة الكلبي ، وقد جاء مع أمه سعدى عند أخواله ، وهو غلام يفعة ، فسبوه وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد فلما تزوجت بنحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وهبته له فصار عبداً لمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بتلك الهبة .

قدم ناس من قوم حارثة مكة فرأوا زيدا فعرفوه فلما رجعوا . أخبروا أباه وكان قد وجد على فقده وسييه وجدا شديدا وكان دائم البحث عنه فما أن بلغه نبأ وجوده بمكة حتى خرج هو وأخوه كعب قاصدين الى مكة ليفتديا زيدا من مالكه بما استطاعا من المال .

قدما لمكة وسألا عن محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي يملك ابهما فدلا عليه في المسجد بفضاء الكعبة فدخلا عليه فقالا : (ابن عبد المطلب يا بن سيد قومه أتمم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطمعون الأسير، جئناك في ابنا عندك تمن علينا وتحسن الينا في فدائه ، قال : من هو ؟ قالا : زيد بن حارثة ، فقال : فهلا غير ذلك ، قالا ما هو الا ذلك ، قال ادعوه فأخبراه فإن اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً ، قالا قد رددتنا الى النصف وأحسننت ، فدعاه ، فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم هذا أبي وهذا عمي ، قال فأنا من قد علمت وقد رأيت محبتي فاخترني أو اخترهما ؟ قال : زيد : ماكنت بالذي اختار عليك أحداً أنت مني مكان الأب والعم ، فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على

آثار ابن باديس

الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ، قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أحداً أبداً .

كان زيد بحكم العادة عبداً مملوكاً ولكنه لم يشعر مع محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - سيد الأحرار - وهذا قبل نبوته - بشيء من آثار العبودية . انه لا يستبد بالناس ، ويمتئهم ويدوس كرامتهم الا من لم يستكمل معنى الانسانية ولم يكن هو في نفسه حراً أما من كملت انسانيته وخلصت حرته فانه لا يستطيع أن يمتن الانسانية ولا يذل كرامتها وان الوصايا التي أوصى بها الاسلام في شأن المملوك والخدم لا يشعر معها المملوك والخدم بشيء من العبودية وانحطاط المقام ومحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - المقطور على الرحمة والاحسان سيد الناس وسيد الأحرار لم يشعر معه زيد بشيء من أثر العبودية واختار البقاء معه على الاب والعم والاقارب .

جازى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - زيدا على اختياره له على أبيه وعمه وأهله فأعلن بتبنيه فصار يدعى زيد بن محمد حتى أبطل الله التبني بقوله : « ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ » وزيد أحد السابقين للإسلام وما ظنك بمن ربي تحت جناح محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - (١) -

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢
غرة جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ - اوت ١٩٣٥ م .

من خان قوما فليس منهم

ضربت الجيوش المحمدية نطاق الحصار على بني قريظة بعد ما كانت
نقضت عهدها يوم الأحزاب ورأت قريظة انها مأخوذة وانه نازل بها من
الله عقاب الخائنين •

بعثوا الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ابعث الينا
أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسي ، وقد كانوا حلفاء الأوس ليستثيروه
في أمرهم فلما جاءهم أبو لبابة قام اليه الرجال وجهش اليه النساء
والصبيان بالبكاء وكانت عليهم منه رقة وبعث مشهدهم في قلبه رحمة
أنسته ما كان منهم من خيانة لعهد رسول الله - صلى الله عليه وآله
وسلم - والمسلمين ، ومؤازرة العدو عليهم حتى أحيط بالمسلمين من
فوقهم ومن أسفل منهم وحتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر •

استشار بنو قريظة أبا لبابة في النزول من حصنهم على حكم محمد -
صلى الله عليه وآله وسلم - فقال لهم نعم • وعلم انهم استحقوا
بخيانتهم القتل وانهم مقتولون فأشار لهم بيده الى حلقه اشارة
فهموا منها انهم يذبحون •

قال ابو لبابة : « فو الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني
قد خنت الله ورسوله » وذهب على وجهه وقد عرف عظم الجرم الذي
ارتكب فذهب الى المسجد النبوي وربط نفسه بسلسلة الى عمود من
عمده وأقسم لا يبرح كذلك حتى يتوب الله عليه وأقام على ذلك لا يذوق
طعاماً ولا شراباً حتى يخر مغشياً عليه ، وكانت تأتيه زوجته أو ابنته
فتحله اذا حضرت الصلاة ثم يعود •

مضت عليه بضع عشرة ليلة أو سبعة أيام ورسول الله - صلى الله

عليه وآله وسلم - يراه فيقول لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه •
ففي سحر ليلة نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - توبة الله التواب الرحيم على أبي لبابة وهو في بيت أم سلمة - رضي الله عنها - فبشر بالتوبة وثار الناس اليه ليطلقوه فأبى حتى يطلقه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بيده فلما مر به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عند خروجه لصلاة الصبح أطلقه •
فرح أبو لبابة بتوبة الله عليه وجعل من توبته أن عاهد الله ان لا يطاء أرض بني قريظة أبدا - وكانت له بها أموال - وأن لا يرى في بلد خان فيه الله ورسوله ، وقال لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ان من توبتي أن اهجر الدار التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يجزئك الثلث يا أبا لبابة •

العبرة :

اشارة خفيفة لقوم مغلوبين فيها بيان ما يقصد بهم ، عداها هذا الصحابي البدري النقيب الجليل في هذه المنزلة من الخيانة حتى فزع لها هذا الفزع وخاف منها هذا الخوف وما اطمأن حتى تحقق توبة الله عليه فشكر ذلك بهجران موطن الخيانة وتصدق بثلث ماله ، ذلك لانها خيانة في أمر عام وفي موقف حربي بين المسلمين وعدوهم وأعظم الخيانة ما كان في مثل ذلك وكان أبا لبابة رأى نفسه بتلك الخيانة للمسلمين لم يبق كواحد منهم فربط نفسه منفرداً عنهم حتى يطهر بالتوبة وفي الحق ان من خان قوماً فليس منهم بل هو شر عليهم من أعدائهم •
فرضي الله عن أبي لبابة عدد سخطه ومقته للخائنين^(١) •

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠

غرة رمضان ١٣٥٤ هـ - ديسمبر ١٩٣٥ م

حماس الشباب^(١)

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين أضلع^(٢) منهما . فغمزني^(٣) أحدهما فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، وما حاجتك إليه يا ابن أخي ، قال : اخبرت انه يسب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده^(٤) حتى يموت الاعجل^(٥) منا فتعجبت لذلك . فغمزني الآخر فقال لي مثلها . فلم أنشب^(٦) أن نظرت الى أبي جهل يجول^(٧) في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني ، فابتدراه^(٨) بسيفيهما يضربانه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبراه فقال : أيكما قتله ؟ قال كل واحد منهما أنا قتلته . فقال : هل مسحتما سيفيكما قالوا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى

(١) القصة وهي في عيون الأثر ٢٦٢/١ رواها مسلم عن يحيى بن يحيى عن يوسف بن الماجشون .

(٢) أقوى وأشد .

(٣) أشار له بطرفه او وضع عليه يده .

(٤) شخصي شخصه .

(٥) الاقرب أجلا .

(٦) البث .

(٧) ينتقل بينهم لا يثبت في موضع يتفقدهم لانه كان رأسهم .

(٨) اسرعا اليه فناجزاه .

بسلبه^(١) لمعاد بن عمرو بن الجموح ، وهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح » .

بيان وايضاح :

شابان ملاً الايمان قلوبهما ، وعظمت على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - غيرتهما، واشتد على مؤذيه خنقهما فهانت عليهما في سبيل الانتصار له والانتقام من عدوه الظالم نفوسهما ، وكل واحد منهما يريد أن يفوز بهذا المقام من ارضاء الله ورسوله فيسأل الرجل الكهل الواقف بينهما ويكتم سؤاله عن صاحبه ويقسم انه لو رأى عدو الله أبا جهل لما فارقه حتى يقتل أحدهما صاحبه . فيقف هذا الرجل الكهل الذي كان استصغرها واستضعفها وود لو كان بين رجلين أقوى منها - متعجباً من أمرها وما ظهر له من قوة قلبها وتواردها في السؤال على غاية واحدة لا يبالي كل واحد منهما في سبيلها بالموت الزؤام . وأراد الله أن يبلغها تلك الغاية وأن يرى ذلك السيد الكهل تصديق فعلها لقولها فرأى أبا جهل ينتقل في الناس فأراها اياه اراءة واحدة فانقضا عليه كبازين على الفريسة فأعمدا فيه سيفيهما وشفيا - في الله - منه غيظهما وجاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يخبرانه بقتل رأس الكفر وأعظم الاعداء وأشدهم أذى يدخلان الفرح عليه ويتغياض مرضاة الله ورسوله ، وكل واحد منهما يرى انه قد قتله لما علم من أثر سيفه فيه وصدق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - دعوى كل واحد منهما لما رأى من أثر دم عدو الله على سيفيهما وأعطى السلب أحدهما ولم يكن السلب قصدهما فخص - باختياره - من شاء منهما فذهبا طيبة بما صنعا نفوسهما راضية برضى الله ورسوله عنها .

(١) ما عليه من ثياب وسلاح .

حماس الشباب

هذا هو الشباب الحي وهذا هو حماسه الدال على قوة حيويته وصدق عقيدته وهذا هو اندفاعه الذي ميزه الله به عن الكهول والشيخوخة وهذه مظاهر حزمه ونشاطه في الإنجاز والتنفيذ ، فنعم الشباب أولئك الشباب ، ينقضون كالصواعق ، ونعم الكهول أولئك الكهول ، يشتون كالجيال (١) .



(١٠) ش : ج ١١ ، م ١١ ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥
غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ - فيفري ١٩٣٦ م .

بئس حامل القرآن أنا إذاً

كان يوم اليمامة في حرب بني حنيفة - قوم مسيلمة الكذاب - من أشد أيام حروب الردة ، وكان للقراء حملة القرآن فيه المواقف المشهودة ، وكان القائد الاعلى سيف الله خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يختار منهم من يعطيه على قسم من الجيش الراية ، وحامل الراية لا تسقط من يده حتى يسقط ميتا ، ولا تؤخذ منه حتى تؤخذ روحه دونها ، وكانت راية المهاجرين مع عبد الله بن حفص بن غانم القرشي فثبت معها حتى قتل فأعطيت الراية لسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه فقال لهم : ما اعلمني لأي شيء أعطيتمونها ؟ قلتهم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات ؟ قالوا : أجل فانظر كيف تكون أتخشى علينا من نفسك شيئا ؟ قال : بئس حامل القرآن أنا إذا . تناول سالم الراية وهو يرى تناولها عهدا بينه وبين الله والمسلمين أن لا يفر حتى يصرع دونها فصدق ما عاهد الله عليه وجرى على سنة حملة القرآن اخوانه من قبله ، فأمسكها بيمينه حتى قطعت يمينه ، فأخذها بيساره حتى قطعت يساره فاعتنقها حتى صرع ، فسأل أصحابه وهو صريع : ما فعل أبو حذيفة ؟ يعني مولاه ، فقالوا قتل فقال : أضجعوني بجنبه فجمعهما بطن الارض شهيدين كما عاشا على ظهرها على الاسلام والهجرة والنصرة مجتمعين رضي الله عنهما .

العبرة :

القرآن راية الاسلام ، فحامل القرآن حامل راية الاسلام ، فلذلك كان يتقدم حملته لحمل الرايات تحت بارقة السيوف، يجودون بأنفسهم،

والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، ففي جميع مواطن البلاء ، والشدة
دمواقف الفزع والمحنة ، هم أهل التقدم الى الأمام • هؤلاء هم حملة
القرآن الذين حملوه حمل فهم وعلم وعمل ، فاعتزوا به وأعزوا به
الاسلام فأعزهم الله • وخلفت من بعدهم خلوف اتخذوه حرفة وتجارة ،
وجاءوا بقراءته على الأموات بوجوه من البشاعة والمهانة والحقارة
فأذلوا أنفسهم وأذكثوا اسم حامل القرآن بقبيح أعمالهم فاذلهم الله :
على أن الله - والله الحمد - لا يخلي الأرض من قائم لله بحجة ،
ومستجيب لداعي الله في سلوك المحجة ، فقد أخذ كثير من حملة القرآن
يعرفون قيمة ما حملوا • وينهضون بما حملوا ، ويعملون لعز الإسلام
ورفع راية القرآن ، راية الحق والعدل والأخوة والاحسان لبني
الانسان • أيدهم الله وأنقذ بهم الانسانية ومد بهم رواق السلام^(١) •



(١) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ١٢ - ١٣
غرة محرم ١٣٥٦ هـ - ١٤ مارس ١٩٣٧ م •

هكذا تكون النزاهة

رضي الله عنك يا عمر

كان أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - أميراً بالبصرة من طرف عمر - رضي الله عنه - فمر به عبد الله وعبيد الله ابنا عمر قافلين من الغزو في جيش كان بالعراق فرحب بهما وسهل وقال وددت لو أقدر على شيء أنفعكما به . ثم اهتدى الى وجه نفعهما فقال : عندي مال من مال الله أريد أن أبعثه الى أمير المؤمنين فأسلفكما فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فيكون لكما الربح وتؤديان رأس المال لأمير المؤمنين قبلا ذلك منه وكتب لعمر يعلمه . فلما قدما المدينة باعا ما اشتريا من العراق وربحا وجاءا لأمير المؤمنين برأس المال وأمسكا ربحهما .

رأى عمر ان أبا موسى حاباهما وانه راعى جانب عمر أمير المؤمنين فيهما ولذا خصصهما بذلك دون غيرهما . وما كان عمر ليرضى أن يستغل مركزه في الأمة لنفعه بذلك الخاص ولا أن يستغله أحد من أهله فأراد أن يأخذ من ابنه رأس المال والربح ويعرفهما ان أبا موسى حاباهما فقال لهما : أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما ؟ قالوا : لا ، فقال : ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما . ! ! أدنيا المال وربحه ، فأما عبد الله وهو أفتقه الابنين - فسكت وأما عبيد الله - وهو أشدهما - فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا ، لو هلك هذا المال أو نقص لضمناه ، فقال عمر : أدياه فراجعه عبيد الله ورأى أحد جلساء عمر أن يقطع النزاع بوجه يرضي عمر ويبعده عن المحاباة ، فقال : يا أمير

هكذا تكون النزاهة

المؤمنين اجعله قراضا فقال عمر : قد جعلته قراضا فأخذ رأس المال
وشرط الربح لبيت مال المسلمين ، وأخذ ابنه — كعاملين في القراض —
الشرط الآخر •

الاسوة الحسنة :

كل ذي علم أو امارة أو منزلة عند الناس ، ترى الناس يسرعون
في مرضاته فينجر اليه والى من اليه فوائده ما كانت لتتجر لولا مكانه
الخاص • فعلى الذين لا يحبون أن يأخذوا من الناس أكثر مما يعطونهم،
ولا يحبون أن يستغلوا مراكزهم ، أن يحتاطوا من هذه الناحية حتى
لا ينالوا ولا ينال بأسمهم شيء زائد على ما يناله كل أحد من الناس
مثلما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله تعالى عنه —
وليس هذا من الورع الذي قد يكون المقصر فيه معذورا بعض العذر ،
بل هو من الواجب الذي يتحتم على كل ذي منزلة وقدر بين الناس
فان استغلال المنزلة والاختصاص بالمنافع العامة دون سائر الناس من
الأكل بالباطل نسأل الله أن يجعل فينا ما ينفع عباد الله وأن يجعل
ما نعطي أكثر مما نأخذ وما نعمل أكثر مما نقول آمين يارب العالمين^(١) •



(١) ش : ج ٢ ، م ١٣ ، ص ٨٤ - ٨٥
صفر ١٣٥٦ هـ - افريل ١٩٣٧ م •

رقية الله

كان ضماد — وهو رجل من ازد شنؤة — من أطباء العرب في الجاهلية وكان يعالج بالطب والرقية . قدم مرة مكة ، وقد بلغه نبأ الدعوة الجديدة فلما قدمها سمع من سفهائها ما كانوا يرمون به صاحب هذه الدعوة من الجنون فود لو رآه فرقاه لعل الله يشفيه على يديه ، فعمل لذلك حتى لقيه ، فقال : يا محمد ، اني أرقى من هذه الريح — ريح الجنون — وان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فما أجابه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بكلمة ترد عليه وما زاد على أن قال : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد » فما تركه ضماد يشرع فيما بعد أما بعد ، فقد عملت هذه الكلمات الجوامع عملها من نفسه وأثرت أثرها في قلبه فبادره بقوله : أعد عليّ كلماتك هؤلاء فأعادها عليه رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ثلاث مرات فتجلى لضماد من توحيد الله وتنزيهه والثقة به والاعتماد عليه والحمد له ما بهره منه المعنى الكبير الكثير ، في اللفظ البين القليل ، وعرفه ان هذا لا يخرج من قلب مجنون . وكيف ؟ وهو لم يطرق سمعه مثلن فيما سمع من كلام الناس فقال ، معلنا لإيمانه مبيناً لدليله وبرهانه : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاعوس البحر (كقاموس عمق البحر ولجته) ثم قال : هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه ، فقال

له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : وعلى قومك ؟ فقال :
وعلى قومي^(١) .

العبرة :

جاء الضماد لا يحمل في قلبه على محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -
حقداً ولا بغضاً ، بل كان ينظر اليه بعين الشفقة نظر الطبيب
الى المريض . فلما سمع الحق بلغ من قلبه ذلك المبلغ . فأعظم ما يحول
بين الحق وبين الناس وما تنطوي عليه قلوبهم من بغض أو حقد على
من دعاهم اليه . فعلى من يريد أن يعرف الحق أن يخلي قلبه -
ما استطاع - من كل احنة على من يريد أن يعرف ما عنده من الحق
عندما يريد أن يعرف ، وعلى كل داع الى الحق أن يبذل كل جهده
أن لا يظهر بمظهر العدو أو المبغض لمن يدعوه . فانه اذا سلم القلب ،
وحصل الفهم أثرت كلمة الحق أثرها لا محالة .

الأسوة :

كتاب الله ومثل هذا الكلام النبوي الوارد في هذه القصة المأخوذة،
من كتاب الله ، هو الدواء الناجع من أدواء النفوس وأمراض القلوب ،
وهو الرقية الشافية ، - رقية الله - من وساوس الالهواء وهو اجس
الضلال ، فان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يزد في استشفاء
ضماد على أسماعه ذلك الكلام الجامع المختصر . فعلى الدعاة الى الحق
أن تكون دعوتهم بكلام الله ومثل هذه الكلمات من حديث رسول
الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فان في ذلك الاتباع والانتفاع ،
وحصول الهداية ان شاء الله آمين^(٢) .

(١) القصة في صحيح مسلم .

(٢) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨

غرة شعبان ١٣٥٦ هـ - ٢ ماي ١٩٣٧ م .

نعوذ بالله من السلب بعد العطاء

كان ممن قدم على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من بني حنيفة سنة الوفود الرَّجَّال بن عنفوة فأسلم وقرأ وفقه في الدين • وكان يرى عليه من الخشوع والخير وملازمة قراءة القرآن شيء عجيب • حتى بعثه معلماً لأهل اليمامة وبينما هو جالس يوماً من الأيام في رهط من الصحابة منهم أبو هريرة خرج عليهم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال : « لئرس أحدكم — أيها المجلس — في النار يوم القيامة أعظم من أحد » •

فلما ارتدت بنو حنيفة باليمامة وتبعث مسيلمة الكذاب أرسل أبو بكر الى الرَّجَّال فأوصاه بوصيته وبعثه يشغب على مسيلمة وهو يظن منه الصدق فلما لحق باليمامة لحق بمسيلمة وشهد له ان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أشركه في الأمر وأن هذا نبي وهذا نبي فاستجاب له من كان أسلم من بني حنيفة وصدَّقوه وكان أشد وأعظم فتنة عليهم من مسيلمة نفسه ، بما كانوا يعلمون من حاله وثبت على رده حتى قتل ، قتله زيد بن الخطاب •

قال ابو هريرة : « مضى أولئك الرهط لسيلهم وبقيت أنا والرجال فما زلت لها متخوفا حتى سمعت بمخرج الرجال فأمنت وعرفت ان ما قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — حق » •

هذا سلف الناكسين — وبئس السلف لبئس الخلف — وهذه عاقبتهم بحكمة الله وعدله فيهم : يسلبهم ما أعطاهم وهو أعلم بهم ،

ويجعلهم فتنة لمن عداهم ليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم الصادقين
ويعلم الكاذبين ثم تكون العاقبة للمتقين (١) .



(١) ش: ج ٢، م ٤٥، ص ٦٨ - ٦٩
غرة صفر ١٣٥٨ هـ - مارس ١٩٣٩ م .

وأنا أعتنمها . . .

المصلحة العمومية فوق الحزازات الشخصية

رجل عظيم له أثر جليل في فتح الجزائر « المغرب الوسط » فهو أول من وطئت معه خيول الاسلام هذه الأرض ، ولكنه مغمور في التاريخ ، لا يجرى ذكره على الألسنة ، ولا تعني بتفصيل حياته الكتب . ذلك هو أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري رحمه الله . استعمله مولاه مسلمة بن مخلد - والي مصر من قبل معاوية - على فتح افريقيا وعزل عقبة بن نافع عنها . كان المغرب الأدنى قد تم فتحه فوجه أبو المهاجر همه الى فتح المغرب الأوسط ، بعد أن تولى الأمر من يد عقبة وأساء عزله ولكنه خلاه حراً طليقاً .

كان كسيلة من ملوك الامازيغ بالمغرب الأوسط قد جمع جموعاً كثيرة وزحف بها لقتال المسلمين فكانت بينه وبين أبي المهاجر معارك انتهت بانتصار المسلمين وانهزام كسيلة وجموعه وظفر أبي المهاجر به . أسلم كسيلة فاستبقاه أبو المهاجر وقربه ، وانتهى أبو المهاجر من غزوه الى تلمسان وقتل راجعاً الى القيروان العاصمة الاسلامية التي كان أسسها عقبة ، فبنى مدينة أخرى قربها نقل اليها مركز الجيش والامارة ، فصارت القيروان في حكم الخبرة .

أفضت الخلافة الى يزيد بن معاوية فأعاد عقبة الى امارة افريقيا فقدمها سنة ٦٢ فتناول الامارة من يد أبي المهاجر وعزله وزاد قاعته ونكب صاحبه كسيلة الذي كان اعتصم بالاسلام ورجع مركز الجيش والامارة الى القيروان .

سار عقبة في جيشه في المغرب الوسط وكانت له فيه حروب ،

اذ لم تكن غزوة أبي المهاجر الا تمهيداً للفتح ، ثم توجه الى المغرب الأقصى حتى انتهى الى المحيط الاطلانطيقي ، ولم يكن هذا الفتح السريع المدهش قد استأصل قوة جموع الوطن أيضاً ، ففي عودة عقبة الى القيروان من هذا الفتح هبطت اليه كاهنة جبل اوراس في جموع كثيرة وهو في قلة من أصحابه فكانت الوقعة الكبرى التي استشهد فيها عقبة وصاحبه وقال فيها أبو المهاجر كلمته الكبيرة الخالدة التي جعلناها عنواناً لهذه القصة .

كان عقبة في فتوحه مستصحباً معه أبا المهاجر وصاحبه كسيلة معتقلين ، وكان يذيق كسيلة أنواع الاهانة والاذلال وكان أبو المهاجر يحذره عاقبة تلك المعاملة المخالفة لما كان عليه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في معاملته للأسرى ولعظماء الناس .

لقد صدق ظن أبي المهاجر فان كسيلة لما رأى قلة جماعة عقبة لرجوع الجيوش قبله الى القيروان أرسل الى قومه يعلمهم بذلك فجرأهم ذلك على ملاقاته والنزول الى قتاله بعد ما كان الخوف والرعب قد ألجأهم الى شعاب الجبال ، فكانت تلك الوقعة .

علم عقبة انه مستشهد لا محالة فسرح أبا المهاجر من معتقله وأمره بالحقوق بالقيروان ليتولى أمر الناس لعلمه بسهولة الوصول عليه لحسن علاقته مع كسيلة وحسن سمعته عند قومه ويفتتم عقبة الشهادة فنسي أبو المهاجر كل ما كان فيه وكل ما لحقه من عقبة وقال له : « وأنا أغتنمها أيضاً » ونزل المعترك كأصحابه واختاروا الموت الشريف على الأسر والهوان^(١) فاستشهدوا عن آخرهم وكانوا زهاء ثلاثمائة من الصحابة والتابعين رضي الله .

العبرة :

عندما تكمل في القادة أخلاق الرجولة ويتحدون في الايمان

(١) راجع « تاريخ الجزائر في القديم والحديث » للاستاذ الميلي .

بالمصلحة المشتركة العليا ، وفي السعي لغاية واحدة - لا يحول بينهم وبين القيام بجلائل أعمالهم والبلوغ الى غاياتهم ، ما تقل السلامة منه بين البشر من الحزازات الشخصية وان نالهم من ذلك ما لا بد منه من أثره السيء في طريق سعيهم وسرعة وصولهم .

فسوء معاملة أبي المهاجر لعقبة كانت نتيجة معاملة عقبة له التي تجاوزتها في الاهانة ، حتى ارتكب عقبة ذلك المركب القبيح الوخيم العاقبة في معاملة كسييلة ، لكن القائدين العظيمين كانا يؤمنان ايمانا واحدا بالمصلحة المشتركة العليا ، ويمعلان لغاية واحدة هي اعلاء كلمة الاسلام واغتنام الشهادة في سبيله ، فلم يأل أبو المهاجر في نصح عقبة وهو تحت قيود الاعتقال ولم يتوقف عقبة في سراح أبي المهاجر ليتولى الامارة بالقيروان ولكن الغاية الكبرى عند أبي المهاجر - كما هي عند مثله - هي الموت في سبيل الله والفوز بالشهادة فقال : « وأنا أغتتمها أيضاً » وما كانت تلك الواقعة التي خسر بها الجيش الاسلامي أولئك الأبطال الا أثراً لازماً لتلك الحزازات الشخصية والنقائص البشرية . ولكل شيء أثره في هذه الحياة .

القدوة :

ضرب أبو المهاجر القائد العظيم أسمى مثل في نسيان النفس ، والزهد التام في الحياة الدنيا ورئاستها ، والرغبة الصادقة في نيل الشهادة ، كما ضرب أسمى مثل في الشجاعة والاقدام والتضامن التام مع الاصحاب في وقت الشدّة ، وطرح كل أمر شخصي ازاء الصالح المشترك العام . فرحمه الله وجزاه الله وجازى من معه عن الاسلام وعنا خير الجزاء (١) .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٦ - ١١٨
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ - افريل ١٩٣٩ م .

مصرع ظالم

ولي يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه امارة أفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، فقدمها سنة احدى ومائة ، فأراد أن يسير في الأمازيغ سيرة مولاة الحجاج فيمن أسلم من أهل سواد العراق ، فإن الحجاج ردهم من الأمصار الى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم كما كانت تؤخذ منهم قبل أن يسلموا ، فلما عزم يزيد على ذلك في أهل افريقية تأمروا على قتله فقتلوه ، ولولوا مكانه عليهم محمد بن يزيد مولى قريش الذي كان عاملاً عليهم قبل يزيد ، وكتبوا الى أهل يزيد بن عبد الملك : « انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك » .

إياه وعدالة :

سيم خطة خسف شنيعة هؤولاء الأفارقة فيما أرادهم به هذا العامل الظالم فأبوا وأوردوه مورد الظالمين أمثاله .
ورأى الخليفة صدق طاعتهم وعدل حكمهم فأقرهم على ما فعلوا ، في قتل من قتلوا وولاية من ولوا .
ولقي هذا الظالم من الافارقة ما لم يلقه مولاة وأستاذه الحجاج بالعراق .

عبرة في مقتله :

كان الواضح بن أبي خيشمة حاجب عمر بن عبد العزيز الخليفة

الأموي الراشد ، فلما مرض عمر أمره باخراج المحاييس فأخرجهم سوى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وكان اذ ذاك سجيناً ، فلما مات عمر هرب الوضاح الى افريقية خوفاً من يزيد بن عبد الملك الخليفة بعد عمر فينما هو بافريقية اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم والياً فهرب منه الوضاح لما يعلم من حقه عليه من يوم تركه في السجن دون سائر المحاييس فطلبه يزيد حتى ظفر به فلما حمل اليه وراه قال له طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال له الوضاح : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك ، فقال له يزيد : ما أعاذك الله والله لأقتلنك ، ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته ، ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما وأمر بالوضاح فأقيم بالنطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف وأقيمت الصلاة فخرج يزيد إليها فلما سجد أخذته السيوف سيوف أولئك الاباة من الافارقة فقتلوه جزاء ظلمه وخروجه فيهم عن حكم الاسلام ، ثم ادخل على الوضاح من قطع كتافه واطلق سراحه .

وهكذا جاء الفرج بعد الشدة ، وقلب الله أمر الرجلين في فترة قصيرة جداً ، فأمسى الأمير قتيلاً ، والمكتوف في النطع حراً طليقاً ، ونجى الله حاجب الامام العادل ، وأهلك الظالم مولى الظالم .

والحمد لله رب العالمين (١) .

(١) ش : ج ٤ ، م ١٥٠ ، ص ١٦٩ - ١٧٠
غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ - ماي ١٩٣٩ م .

السر كل السر في الأرواح

قد ينبثق الفرعان من أصل واحد ويهبط الاخوان من صلب واحد وتجمعهما رحم واحدة ويعيشان عيشة واحدة ثم يكون هذا في مستوى وهذا في مستوى دونه بمنازل .

ما ذلك الاختلاف مع ذلك الاتفاق الا لسر في النفس هو خفي كحقيقة النفس ..

وهذه القصة التي نقلها عن ابن أبي الحديد في الأخوين الكريمين الشريفين العظيمين : أبي الحسن الرضي وأبي القاسم المرتضى - عبرة بالغة في ذلك . قال : « حكى أبو حامد بن محمد الاسفرايني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة « من بني بويه » فدخل عليه الرضي أبو الحسن فأعظمه وأجله ورفع من منزلته وخلي ما كان بين يديه من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم - رضي الله عنه - فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها وتوقعات يوقع بها فجلس قليلاً وسأله أمراً ففضاه ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت اليه وقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الأمثل والأفضل منهما ، وانما أبو الحسن شاعر . قال فقال لي اذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبك عن هذه المسألة وكنت مجعاً على الانصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة الى ملازمة المجلس الى أن انفض الناس

واحداً فواحداً فلما لم يبق الا غلمانه وحجابه دعا بالطعام فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخدم له هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ ايام وأمرتك أن تجعلهما في السفظ الفلاني فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي ، اتصل بي انه قد ولد له ولد فنذت اليه ألف دينار وقلت هذه للقبالة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى اخلائهم وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب الي هذا الكتاب فاقرأه .

قال أبو حامد : فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد ومن جملته : « اتنا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة وانما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساءنا ولسن ممن يأخذن أجره ولا يقبلن صلة » .

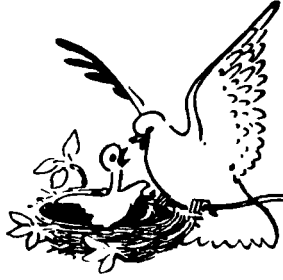
قال الوزير: فهذا هذا ، وأما المرتضى فاننا كنا قد وزعنا وقسطنا على الأملاك ببادوريا « بالجانب الغربي من بغداد » تقسيطاً نصرته في حضر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالدهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد ، وقد كتب إليّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب ، فاقرأه .

قال أبو حامد : فقرأته فاذا هو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار اليها ما يطول شرحه .

قال الوزير فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ، هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحده ونفسه هذه النفس أم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت وفق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال موفقاً ، والله ما وضع سيدنا الوزير الأمر الا في موضعه ، ولا أحله الا في محله ، وقمت فانصرفت .

وفي هذه القصة الى ما قصدناه منها نموذج من مجالس الوزراء

وآدابهم ومعاملتهم للناس على منازلهم وضبطهم لمكاتبهم والعناية
بالري وحفر الأنهار مما ازدهر به عماران^(١) العراقي من الناحية في
تلك العصور أي ازدهار وآثار تلك العناية باقية على الزمان الى
اليوم^(٢) .



(١) كذا في الاصل ولعله : عمران العراق

(٢) ش: ج ٥ ، م ١٥ ، ص ٢١٣ - ٢١٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٨ هـ - جوان ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الرحلات

للتعارف والتذكير

عرفتني تنقلاتي في بعض قرى ما في قلوب عامة المسلمين الجزائريين
من تعظيم للعلم واثقياد لأهله اذا ذكروهم بحكمة واخلاص .

ما حلت بقعة الا التف أهلها حولي يسألون ويستمعون في هدوء
وسكون وكلهم أو جلهم منتمون للطرق من مقدم وشاوش وخوني .

ما كنت أدعوهم في جميع مجالسي الا لتوحيد الله والتفقه في الدين
والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ورفع الأمية والجد في أسباب
الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة والى اعتبار الاخوة الاسلامية فوق
كل مذهب وطريقة وجنس وبلد ، والى حسن المعاملة والبعد عن الظلم
والخيانة مع المسلم وغير المسلم ، والى التزام القوانين الدولية التي
لا بد منها لحفظ النظام .

كنت أذكرهم بهذا كله وأقرأ على وجوههم سمات القبول والاذعان
وأنا على يقين من بقاء أثر نافع لذلك بصدق وعد قوله تعالى « وَذَكِّرْ
فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

الحروش :

بهاته القرية مسجد السيد معاوي علي ولكن القرية تقتضي
جامع جمعة فذكرناهم في شأنه واتفقت كلمة الجمع على ان الذي
يقدر على انهاض الناس لبنائه هو السيد أحمد بن حربي والسيد
بو قادوم فوعدا بالعمل وفقهم الله لانجازه .

زيادة على المجالس العامة كان التذكير في المسجد اثر الظهر بفقته

للتعارف والتذكير

تكبيرة الاحرام والسلام ، وبعد العصر بالاهتمام بالشؤون العظيمة وأخذ ذلك من قوله تعالى « وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ » واستطردنا الى تفسير سورة « أَلَمْ نَشْرَحْ » .

عزابة :

لقينا الى محطة السانشارل في سيارتين قاضيها العلامة الشيخ طالب علاوة بن الجودي وبعض النواب البلديين وأعيانها فيمنانها الى حانوت الأديب السيد محمد جلواجي وحنوته مجمع أهل الفضل من القرية ونواحيها ولا نطيل بنفصيل ما لقيناه من اكرام وعناية نكل ثوابهم عليهما الى الله وانما نذكر ما يتعلق بالتذكير والارشاد .

كان الدرس العام بعد العشاء بالمسجد وهو - محل مكترى - في قوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » واستطردنا الى مظاهر تلك الأخوة في الصلاة وحكمة بناء المساجد ، وذكرناهم باتمام ما كانوا وضعوا أساسه من بناء جامع الجمعة ، وقد علمنا بعد سفرنا انهم شرعوا في العمل وفقهم الله للتمام .

كنت أجب عندما أسأل عن المقدمين بأن الذي يستحق التقديم هو من يكون عارفاً معرفة داعياً الى التوحيد والاتحاد متمسكاً بالسنة وأشرح لهم ذلك ولقد لقيت من المقدمين من هو موصوف بهذه الصفات أو عامل على أن يتصف بها فمنهم السيد حسن ابن سيدي حمادي ومنهم السيد معطي الله محمود وقد دعانا السيد حسن الى منازلهم خارج عزابة وكان التذكير بدرس في الاصول العشرة التي لا يكون المؤمن مؤمناً الا بها وهي مما لا تختلف فيه فرق الاسلام . وكان الشيخ قائماً بنفسه على خدمتنا داعياً أتباعه الى الاهتداء بما أمليناه عليهم من دلائل الكتاب والسنة .

ودعانا السيد بومعيزة بلقاسم قائد دوار الزاوية وهو من أعيان بيت بومعيزة الشهيرة في تلك النواحي ، وهو رجل مرضي عليه من جميع الناس هنالك في دينه واخلاقه ومخزنيته .

سكيكدة :

كان غالب جلوسنا في حانوت السيد محمد قلمين النائب البلدي وكان الناس من جميع طبقاتهم يترددون علينا للسؤال وسماع التذكير وكان المكلف بدعوة الناس للمسجد وقع له شغل فلم يقدّم بما عهد اليه فلم يكن درس عام .

سانطارنو (١) :

حللنا بالبنية التي أسسها الشاب الاديب السيد محمد بن الموفق للتعليم والتهذيب بتأييد فضلاء البلد وهنا هيئة بارزة منهم فيهم العلامة الشيخ القاضي معيزة احمد والسيد الجاوي حسن والسيد حكيمي أحمد والسيد ابن دالي مصطفى وغيرهم ينسى اسماؤهم الذهن ولا ينسى ودّهم القلب .

كان التذكير في مجلس عام بالسوق في اسمه تعالى « الصمّند » وفي تفسير مختصر لسورة الفاتحة ، وكان التذكير ليلا في مجلس حافل بالمدرسة الموقية في لزوم التعلم ورفع الامية واستطردنا الى تفسير صدر سورة العلق .

مجاز الدشيش - وسيدي مزريش :

لقينا في سيارة الى محطة الحروش آل بوصاع القائد عمار والسيد بو لخراص والشيخ محمد بن دويذة ووصلنا الى مجاز الدشيش فنزلنا

(١) تسمى هذه البلدة الآن بالعلمة .

للتعارف والتذكير

عند السيد الزيتوني بوصاع وسألنا عن الاسلام الصحيح فأجبنا بأنه مافي القرآن والسنة بيّننا القرآن وبيّننا أثر القرآن في العرب وكيف تطورا به ذلك التطور الغريب السريع من انحطاط الجاهلية الى رقي الاسلام وما يناسب هذا من التذكير .

ثم امتطينا السيارة الى قرية سيدي مزريش فوجدنا الناس قد جاءوا من الجهات للقائنا فكانت مجالس عديدة للتذكير وكانت الصلاة في مسجد القرية الذي أسسه القائد عمار بوصاع من خالص ماله وحبس عليه ما يقوم بنفقته . وألقينا به أثر صلاة العصر درساً في فقه أعمال الصلاة وحكمها وسمعت هذا الرجل وهو قائد يخاطب الناس يا أولادي ورأيتم يعتبرونه كأب فتراه - مع شدة احترامهم له ونفوذ كلمته التامة لهم - كأنه واحد منهم يجلس في مجالس التذكير في أخريات الناس . حقاً ان الاحترام الحقيقي هو احترام القلوب التي لا تملك الا بالاحسان .

لقد كان الفضلاء الذين نحلّ عندهم يقومون بأنفسهم لجمع اشتراكات « المجلة » ممن له قدرة وعنده رغبة بدون ان تتحمل أدنى تعب في ذلك . منهم السيدان الواعر محمد وكربوش السعيد بالحروش والسيد جلواجي والشيخ حسن بمزابة والسيدان محمد بن عيسى وبلقاسم بن عبادة بالسكيكدة والسيدان محمد بن الموفق وبدور اسماعيل وغيرهما بسانطارنو والسيد محمد قرفي بسيدي مزريش فشكر الله لهم سعيهم (١) .

عين مليلة :

حلت لها يوم السباق فوجدتها تموج بالخلق موجا وكان نزولي

(١) ش : ج ٧ ، ٥ ، ٤ ، ص ٣٧ - ٤١
غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ - اوت ١٩٢٩ م .

بالمكتب القرآني الذي أسسه السيد احمد بن المولود في محل تبرع به للتعليم السيد المعراضي الميزابي الشهير فرأيت من تلامذة المكتب ذكاة واقبالا لو كان مثله عند جميع سكان البلدة لما كفى أبناءهم أكبر من ذلك المكتب أضعافا .

اجتمع عليّ بذلك المكتب أعيان البلدة وأهل العلم الذين صادفتهم بها فاقترح السيد أحمد بن المولود القاء درس في قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «الدين النصيحة» فلما فرغت منه ألقى الشيخ عبد اللطيف القنطري المتطوع بجامع الزيتونة والشيخ الشريف حجازي والشيخ الحاج مسعود القسني والشيخ بلقاسم البسكري المقري السبعي والشيخ أحمد بن المولود خطابات بمقاصدي من هذه الرحلة والدعوة الى الاستفادة منها . وختم الحفلة السيد دنيا زيدان بأبيات في الحث على التعلم والاتحاد والتتويه رقيقة كان لها أجل وقع في قلوب الحاضرين وهي هذه :

الى فائق الأنداد مجدداً وسؤوداً
أعزني بياناً - أيها الحبر - كافياً
فأربو على ذلك الفخور بقوله
فيالك من شيخ حكيم مفضل
وقام بدين الله في كل موقف
وحارب جيشاً للجهالة عاملاً،
وجيش من قول فضيح فيالقا
فصان حقوق الله من كل جائر
واسكت « اشيلي رير » مييناً
اذا مارماه الدهر يوماً بريبة
فأهلاً بنذب حل بلدتنا التي
أزف قصيداً كاد أن يبلغ المدى
يكون لديّ الشعر منه مؤيداً
(اذاقلت شعراً أصبح الدهر منشداً)
نضا لخطوب الدهر سيفاً مجرداً
ينادي ألا ياقوم سيروا الى الهدى،
بعلم كموج البحر فاض وأزبدا
تخرّ لها الأعداء في الأرض سجداً
ولم يخش قول المفسدين من العدا
فضائل ذا الاسلام شرعة أحمداً
تنادي شجاعاً : ايه يا دهر بالردى
تمد الى « عبد الحميد » يد النداء

للتعارف والتذكير

ورغب الجماعة مني القاء محاضرة في النادي فألقيتها من الغد في ضرورة الاجتماع للبشر وفوائده وتطبيق ذلك على قواعد الاسلام الخمس وكان لها - ان شاء الله - أثرها الحسن المقصود .

في عين مليلة جامع جمعة أسسه منذ سنوات السيد عمر بن شعلال دار حوله كلام لعدم تسجيل التحجيس تسجيلًا قانونيًا حتى عزم جماعة من أهل البلدة برئاسة السيد المراض على تأسيس جامع آخر وعينوا الأرض وشرعوا بالفعل في جمع المال فلما اجتمع بنا السيد عمرو حادثناه في ذلك أكد لنا انه عازم على التسجيل الرسمي وانه فوض توفيق الرسم للعلامة الشيخ الصالح بن الموفق قاضي الخروب فقلنا لمن حضر من الجماعة اذا تم عمل السيد عمر كما أردتم فأتنا لا نرى وجهًا لتأسيس جامع آخر مستغنى عنه . وخير للبلدة لو أسسوا بدله مكتبا نظاميا للتعليم .

مكثت يومين في البلدة ضيفا على السيد احمد بن المولود ودعيت للغداء في اليوم الثاني عند السيدين بكير وسليمان أبناء السيد ابراهيم وهما من أصدق من رأيت في محبة التأخي والاتحاد .

ام لباقي :

قد رأيت في عدة بلدان سوء أثر الانتخابات بالفرقة التي تركتها بين المسلمين ولكن أفصح مظهر رأيت منها هو مظهر هاته البلدة فهي على حزينين متعادين متقاطعين وهما حراكتة بنو اصل واحد ، وقد شملت هذه الفرقة طلبة العلم الذين ينتظر منهم ازالتها فكانوا من صلاتها . ويقول هؤلاء الطلبة انهم لو سعوا في الصلح وأظهروا تسامحا مع « العدو » لنبذهم قومهم وربما آذوهم . وهم لا يستطيعون تحمل الأذى في سبيل الله . ولو كان لهذه القرية جامع لا يمكن - باذن الله - تقريبهم من بعضهم بتذكيرهم بالله ، ولكن هذه القرية لا جامع لها ،

بلى لها جامع هو رمال وحجارة مكدسة على قطعة أرض منذ سنوات
حالت ادواء الفرقة بين القوم وبين المبادرة في بنائه • وهو اليوم في
عهدة رئيس جمعية الجامع السيد معمر بن غراب النائب المالي لقسم -
البيضاء تبسة خشلة - وفقه الله الى تجيز بنائه فهو أفضل أعماله •

تلقاني للمحطة السيد بلقاسم الزغداني التلميذ بجامع الزيتونة ضيفا
في دار ابيه السيد محمد الطاهر أحد أعيان الحراكتة وفضلائهم وذوي
الدين ومحبة العلم والتعليم منهم • وتغذيت من الغد عند القائد السيد
الباشا من آل بني حسين اعيان « الخنقة » بيت مجد قديم يروون عن
اوائلهم اتصال نسبهم ببني امية والقائد يمثل باخلاقه وسيرته المجمع
على حسنها وامتيازها - ما يصدق ذلك المجد وينميه •

صادفت بهاته القرية افتنانا برجل جريدي ذى لباس وسخ مستقدر
زعموا أنه يحدثهم عن ماضيهم وسوابقهم وانه كان بقسنطينة معظما عند
اعيانها وحكامها وانه من الاولياء الصالحين وانه ••• وانه •••
فالقيت على من حضر العشاء في بيت السيد الزغداني من القياد والأعيان
درسا في بيان معنى الولي وانه لا يكون الا مؤمنا تقيا وان حظ كل
احد من ولاية الله على قدر حظه من الايمان والتقوى وان الاخبار عن
الماضي من عمل الكهان وهم ملعونون ملعون من يأتيهم • وفارقت القرية
والرجل فيها • فلما بلغت الى قرية أخرى كبيرة وجدت أخباره فيها
عما سلبه من اموالهم بالدجل عليهم وهم يعضون اصابع الندم على
ما كان من غفلتهم وغرورهم - حاشا بعضهم - به • وصفة هذا الدجال
انه اسمر اللون مربوع القامة عريض الاكتاف قدر الثياب لهجته
جريدية ، فليكن الناس منه ومن مثله على حذر •

عين البيضاء :

عاصمة الحراكتة ومركز تجارتهم • حلفتها ضيفا على الأديب السيد

العربي موسى الصايغي الوكيل الشرعي بها واذلني بيت الضيوف من جامعا الذي كانت توسعته وتأثيرها من آثار هذا الرجل ومن وازره من اهل الخير والدين كما ضفت عند فضيلة الشيخ القاضي سيدي عبود الويسي آخ شيخي واستاذي العلامة الفقيه سيدي حمدان الويسي دفين الطيبة عليه الرحمة والرضوان . وعند الشاب السري السيد عبد الرحمن بن الشيخ الكامل بن عزوز رحمه الله .

في هذه البلدة جماعة من اهل العلم والادب منهم الشيخ السعيد الزموشي المدرس - تطوعا - بجامعها ومنهم الشيخ حسن بولجبال ومنهم الشيخ الطاهر بن الامين ومنهم السيد العربي المذكور ومنهم الشيخ عبود الويسي قاضيها والشيخ الزواوي بن معطي امام الجامع وغيرهم وبها نشء علي منتهي لطلبه .

اقترح الاستاذ السعيد الزموشي عليّ القاء درس في قوله تعالى « لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » فألقيت درسا بالجامع في الآية المذكورة فينت دعوة الله عباده اليه ودعوة الخلق الى خالقهم ودعوتهم خالقهم وان الدعاء عبادة وان العبادة لا تكون الا لله فدعاء غير الله ضلال ودعاء غيره معه شرك وسأل الشيخ المدني الخنقي عن التوسل وهو قول الداعي « اللهم اني اتوسل اليك بفلان » فأجبتا بجواز ذلك في حق النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لحديث الاعمى وأما غيره فلا تقيسه عليه . وبينت ان المراد من دعاء الكافرين عبادتهم ودعائهم لطواغيتهم واما دعاء الكافر اذا كان مظلوما فانها مستجابة كدعوة كل مظلوم لأن الله تعالى حرم الظلم من كل احد على أي احد .

بعد ما فرغ السيد موسوي العربي من اصلاح المسجد الجامع اخذ

في اصلاح مسجد آخر كان زاوية ، وهو من حبس السيد خليفة حمه علي ابي شاعر الشباب السيد محمد العيد فأزال منه الصناجق والاعلام التي كان وجودها ذريعة لتمسح العوام بها كما يتمسحون بتواييت المقابر واحجارها مما هو بدعة منكرة شبيهة باعمال الوثنيين سرت الينا من اليهود الذين يقبلون القبور والستور • ولولا العزم على السفر ولزوم تخفيف الإقامة لاتمام برنامج الرحلة لأتمت للسيد العربي رغبته في القاء درس بهذا المسجد ، ولينت للناس حسن صنيعه به •

مسكيانة :

أخذني من البيضاء الى مسكيانة الشاب المهذب الماجد السيد السعيد بن زكري خوجة حاكمها ونزلت في بيت جامعها ولقيت مزيد العناية من امامه الشيخ مامي الشريف واطافنا قائدها السيد ابراهيم آل بن بو زيد بيت الحراكنة من قديم والسيد أحمد بن فجني معين الطيب وبالغ اهلها في الاحتفاء والاعتناء وكانت لنا مجالس في عدد من محلاتهم التجارية لم تخل من تعليم وتذكير • والقيت بجامعها بعد العشاء الليلة الاولى درساً في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - إلى - فَاصْبِرْ » فذكرت حاجة الاعمال العظيمة الى الجد والنهوض والصبر والثبات وان اعظم محصل للصبر هو اخلاص العمل لله ، وما يجب لله من تكبير وما يجب للخلق من نفع وما يجب للنفس من تطهير حسي ومعنوي وما في الآية من بديع الترتيب • والقيت الليلة الثانية درساً في قوله تعالى « هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا » وذكرت شرف هذا الاسم وهذه التسمية وما تقتضيه من صفات السلم والسلامة والاسلام أي الانقياد بالاعمال الشرعية لله والاخلاص فيها له (١) •

(١) ش : ج ٩ ، ص ٥٠ ، ص ٤٤ -

غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ - اكتوبر ١٩٢٩ م •

جولة صحافية

نقدنا رحلة بالشهر الماضي الى الناحية الغربية من العمالة لخدمة المجلة وكانت الرحلة على هذا الترتيب : سطيف • البرج • تازمالت • آقبو • زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بسيدي عيش^(١) • بجاية • عزازقة ، تيزيوزو • دلس • تاقزيريت • آزفون • فورناسيونال • (الاربعاء) : ميشلي (عين الحمام) الى تازمالت • محطة القطار الى قسنطينة • ولقد لقينا في كل محل دخلناه ما عرف به شعبنا الجزائري العظيم من كرم واريحية • وخصوصا من اهل سيدي عيش بني وغيليس الاكارم ومن اهل آقبو ومن اهل دلس • فلهم شكرنا وجميل دعائنا دعاء المؤمن لآخيه •

وما كان اشد اسف الناس في جميع هاته البلدان لما كنت ارد طلبهم من القاء بعض الدروس الدينية ، معتذرا بالمنع الحكومي الذي كنا نشرناه وقد كنا بالسنة الماضية نشر ما نلقيه من الدروس على صفحات المجلة تعميما للفائدة وليكون ما نقول معلوما عند الحكام اما هذه المرة فلم نشر شيئا لاننا لم نقل شيئا وهذا هو جوابنا لبعض المحبين الذين^(٢) رغبوا مني أن نشر لهم مثل السنة الماضية • وقد شرف الادارة عدد الأفاضل^(٣) في أيام غيبيتي فأسفت لعدم الاجتماع بهم منهم الشيخ محمد الثميني ومنهم السيد مدير رصيفتنا جريدة

(١) كذا في الاصل وهي واقعة في قمة جبال جرجرة بالقبائل الكبرى

(٢) في الاصل : الذي .

(٣) كذا في الاصل ولعله : عدد من الافاضل .



الشيخ الامام ابن باديس بين جمع من رجال الاصلاح
في بجاية بجبل ام قراية

البلاغ الجزائري الفراء • وتأخرنا عن رد مكاتبات واجابة اسئلة بسبب
هذه الغيبة فنعتذر لأصحابها(١) •

(١) ش: ج ٧، م ٦، ص ٤٤٤ •
غرة ربيع الاول ١٣٤٩ هـ - أوت ١٩٣٠ م •

في بعض جهات الوطن

تكرر الطلب علينا من أصدقائنا
ومريدنا أن ننشر لهم شيئاً
عن رحلاتنا الصيفية
فلخصناها فيما يلي :

- ١ -

بعد ما انتهينا من دروس السنة الماضية وقبل انعقاد مجلس ادارة جمعية العلماء في شهر ربيع الاول رأينا أن نعقد رحلة من العاصمة الجزائر الى وهران فما بينهما من البلدان فاخترت للرفقة من ابنائي التلامذة السيد الفضيل آل الشيخ الحسين الورتلاني والسيد محمد آل الصادق الجندلي فأمننا من قسنطينة العاصمة فأقنا بضعة أيام ثم شرعنا في رحلتنا فأتمناها في نحو عشرين يوماً ، وحللتنا في مليانة ثم خميس مليانة ، ثم الاصنام ، ثم غيليزان ، ثم مستغانم ، ثم أززيو ، ثم ومصران وكان الحديث في مجالسنا حيثما حللتنا يدور على جمعية العلماء ومقاصدها ومنافع الامة منها والتنويه بفضل الحكومة بالاذن بتأسيسها مع ما يتخلل ذلك من تذكير بالله وتنبية على مصالح الدنيا والآخرة وتحريض على التأخي والتأزر وحسن الجوار والمعاملة مع جميع الاجناس المتساكنة في هذا الوطن ، وكنا نرى في جميع المجالس اقبالاً وقبولاً مما لا شك معه في بقاء الأثر الطيب في القلوب ان شاء الله .

بعض التفصيل :

مليانة : ممن عرفنا بها المفتي الشيخ وكال محمد عالم قرأ سنوات بالأزهر وأعجبني منه اني وجدته يطالع شرح تجريد أحاديث البخاري

فشكرت له عنايته بالسنة وقلت له انا نعرف عقلية الرجل من معرفتنا بالكتب التي يطالعها فمن لا نرى له عناية بكتب السنة فاننا لا نثق بعلمه في الدين ، واجتمعنا بالعالم المفكر المثقف الثقافة الصحيحة الشيخ أحمد السبيع الباش عدل وبالعالم الزكي الخير الشيخ أحمد آل حاج حمو القاضي وبغيرهما من الفضلاء وأضافنا الشيخ السبيع والسيد عبد القادر بن عبد الوهاب وكان مجلس التذكير في بيت الشيخ المفتي أولاً ثم كان قبيل المغرب بالمسجد . وقد ظهر لي ان عامة مليانة قليلة الرغبة في العلم فيها فتور وخمود قيض لهم من يوقظهم .

خميس مليانة : ممن عرفنا بها السيد عيش من طلبة العلم الشيطين وهو داعية من دعاة النهوض بالعلم في تلك النواحي بعقل صحيح وعقيدة سليمة ، والشيخ الفقيه ابن علي الامام بالمسجد وامنا المسجد ، فكان المجلس غالباً معموراً بالسامعين ، وكان الشيخ ابن علي متصدياً لالقاء الأسئلة العديدة المتنوعة بأسلوب هو غاية في الادب والالطف وعقدنا مجلساً عاماً للتذكير حضره جمع غفير من الناس فأزال عنا ما شاهدناه في الخميس من النشاط والرغبة والاقبال ما حملناه من الهم من فتور عامة مليانة وخمودهم ، وأضافنا بالخميس السيد عيش والسيد بن علي والسيد عمر بن خلادي والسيد بوكراع الحاج محمد النائب البلدي .

الاصنام : ممن عرفنا من فضلائها مفتيها العالم الماجد الشيخ الوانوشي بن الشيخ بو مزراق الزعيم المقراني المشهور والشيخ يثزل شهامة اسرته وكرمهم وهمتهم الى معارف أكسبته اياها الاسفار والتجارب وهو القائم بالخطبة والتدريس في جامعها ، والعلامة الألمي الشيخ طالب شعيب القاضي بها (والقاضي الآن بالعاصمة) فما شئت من علم وأخلاق وفصاحة واطلاع على شؤون الوقت وعدالة ونزاهة وعقدنا مجلس التذكير بساحة الجامع مساء بحضرة الشيخ المفتي

والعلامة الشيخ ابن عشيپ و اغتتم الشيخ المفتي فرصة الاجتماع فذكر للشيخ ابن عشيپ مسائل شاذة جداً كان يقول بها وناقشه فيها فأبى الشيخ ابن عشيپ الا التمسك بها فقلت له انني أعظمك واحبك ولتلك المحبة أرغب منك أن تسكت عن هذه المسائل فلا تذكرها ولا تتحمل مسؤوليتها فأريت من حضرته انعطافاً لقولي وقبولاً له . وبلدة الاصنام بلدة تجارية وفي أهلها ذكاء وفهم وقبول للتعليم ، وأضافنا فيها قاضيها ومفتيها المعظمان ..

غليزان : أول من اجتمعنا به من فضلائها الأخ الشيخ مولاي محمد أحد أهل العلم وشيخ الزاوية بها وهذا من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة في نشر العلم وهداية الناس وسعة صدر في سماع الحق وأدلته وذهب بنا الى دكان التاجر النشيپ المهذب السيد ابن منصور مصطفى التلمساني ثم اجتمعنا بقاضي البلد العالم الماجد الهمام الشيخ بوخلوه آل بوعبد الله ، رجل شهامة وعمل وكرم ، واجتمعنا بالسيد المنور كلال رجل يتقد ذكاء ويفيض معرفة ويفوح أدباً ولطفاً ، وكنت مشتاقاً للاجتماع بالشيخ سيدي الحاج العربي التواتي وبلغني انه كان بغليزان ثم بلغني انه سمع بنا ورآنا ولم يشأ أن يجتمع بنا فعجبنا لذلك وأسفنا ثم زال عجبنا لما بلغنا ان في قلبه شيئاً على جمعية العلماء ، وقاها الله شر كل ذي شر - وقلنا ليته تنازل فاجتمع بنا فكنا لا نفترق - باذن الله تعالى - الا على محبة وخير ورجوع للحق ، ولهذا الأخ الشيخ العربي كتاب عندنا يعاتبنا فيه على دعوتنا للتوحيد ويخلط فيه بين دعاء المخلوق وطلب المؤمن الدعاء من أخيه وعلنا نجد فرصة لنشر هذا الكتاب والتعليق عليه ، ووجدنا بغليزان السيد مهدي بن الشيخ بوعبد الله آل بوعبد الله في انتظارنا وهو شاب نجيب تلميذ بجامع الزيتونة فرافقنا الى تمام الرحلة بوهران ورأينا منه آداباً وأخلاقاً شريفة .. وزارنا في المنزل الأخ العالم الفاضل الشيخ محمد آل سيدي عدة

فأكد علينا في القدوم الى تيارت وقد كنت عازماً على الذهاب اليها من قبل واستدعانا الى النزول ضيوفاً عندهم فشكرنا له كرمه ولطفه ووعدناه بالقدوم اليهم . واستدعانا اخواننا المزابيون الى محلهم وأقاموا لنا احتفالاً حضره جميع أفرادهم واستدعوا بعض أعيان البلد فشاهدنا من أدبهم وكرمهم وحسن اقبالهم لجمعية العلماء ما سرنا بهم كثير السرور وبلدة غليزان مثل بلدة الاصنام من ناحية التجارة بل أكثر ومثل مليانة من ناحية المعارف ، وقد اضافنا فيها فضيلة الشيخ القاضي والشيخ مولاي محمد .

مستفانم : قصدنا من المحطة الى مسجد الأخ الشيخ بلقاسم ابن حلوش لما بيننا من سابق المعرفة بالمكاتبه وروابط المودة المتأكدة ولأن ابنه الشيخ مصطفى أحد مريدينا ومن أعزهم علينا فتلقينا بالحفاوة والسرور الزائدين وأنزلنا على الرحب والسعة ومن غده دعا للعشاء معنا أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ المقتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة وكان هذا أول تعرفنا بحضرتيها فكان اجتماعاً حافلاً بعدد كثير من الناس ، ولما انتهينا من العشاء القيت موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سبباً في قطع الكثير مما تتفق عليه ، وان الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون ولكن الضار والمنوع المنع البات هو أن يؤدينا ذلك الاختلاف الى الافتراق وذكرنا الدواء الذي يقلل من الاختلاف ويعصم من الافتراق وهم تحكيم الصريح من كتاب الله والصحيح من سنة رسوله — صلى الله عليه وآله وسلم — . فاستحسن الشيوخ الحاضرون ذلك وحل من الجميع محل القبول ، والحق يقال ان أغلب الناس ممن رأينا صاروا يشعرون بألم الافتراق وينفرون منه ويصفون الى دعوة الوفاق والتحاب ، وما افترق المجلس حتى دعانا الشيخ سيدي أحمد بن عليوة

الى العشاء عنده والشيخ الحاج الاعرج بن الأحول شيخ الطريقة القادرية الى الغداء فليينا دعوتهما شاكرين ، فكانت حفلة الغداء في دار الشيخ سيدي الحاج الأعرج ثم كانت حفلة العشاء عند الشيخ سيدي أحمد بن عليوة حضرها من أعيان البلد ومن تلامذة الشيخ ما يناهز المائة وبالغ الشيخ في الحفاوة والاكرام وقام على خدمة ضيوفه بنفسه فملاً القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر ، وبعد العشاء قرأ القارىء آيات ، ثم أخذ تلامذة الشيخ في انشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنعت لها الأجساد ، ودارت في أثناء ذلك مذكرات أدبية في معاني بعض الأبيات زادت المجلس رونقاً . ومما شاهدته من أدب الشيخ مضيفنا واعجبت به انه لم يتعرض أصلاً لمسألة من محل الخلاف يوجب التعرض لها على أن أبدي رأبي وأدافع عنه فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل خلاف . لكن السيد أحمد بن اسماعيل صاحب مخازن الاتاي - وكان جالساً على شمالي في المجلس - شاء أن يخرق هذا السياج ويدخل في موضوع ليس حضرته - وله الاحترام - من أهل الكلام فيه فقال : « هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين ينكرون الولاية » فرأيت في وجه الشيخ أحمد بن عليوة الانكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة ووجدت نفسي مضطراً للبيان فقلت له : « اسمع يا سيد أحمد الولاية الشرعية قد جاءت فيها آية صريحة قرآنية » وتلوت له قوله تعالى : « ألا انء أولياءَ الله » الآية وتكلمت على شيء من معناها فمن أنكر هذه الولاية . فلفظة مفسد قليل في حقه وحقه أن يقال فيه ملحد . وأما لفظة مصلح فهي أعلى من هذا وأشرف من هذا كله ، وان المسألة ليست هنا وانما المهم هو ان جميع علماء الاسلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وشيوخ الزهد المتقدمين تتسع صدورهم لأن يؤخذ

من كلامهم ويرد الا العامة المنتمين الى التصوف فانهم يأبون كل الالباء أن يسمعوا كلمة نقد أو رد في أحد من الشيوخ مع ان غير المعصوم معرض للخطأ دائماً في قوله وأفعاله فكأنهم بهذا يعتقدون فيهم العصمة . وقد سئل امام الطائفة الجديد : أوزني الولي ؟ فأطرق ثم قال : « وكان أمرُ الله قَدَرًا مَقْدُورًا » فهذا يدلنا على ما كان عليه شيوخ الزهد من تعليم الناس بأنهم غير معصومين دفعا لعلو الغالين وعلى أن فكرة العصمة أو ما يقرب منها موجودة في الأذهان وهي مثار مثل هذا السؤال ، فلو ان اخواتنا المنتمين للتصوف قبلوا أن يوزن كلام الشيوخ بميزان الكتاب والسنة مثل غيرهم من علماء الاسلام ورضوا بالرجوع الحقيقي لقوله تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا - لبطل الخلاف أو قل » فرضي أهل المجلس هذا الكلام وسكت السيد أحمد بن اسماعيل وقال الشيخ سيدي أحمد هذا مما لا يخالف فيه أحد فقلت له مثلكم من يقول هذا وتكلم الشيخ المفتي بما فيه تأييد لما قلناه ثم عاد المجلس الى الانشاد والمذكرات الأدبية حتى انتهت السهرة وانصرف المدعون ونحن من جملتهم شاكرين فضل حضرة الشيخ وأدبه ولطفه وعنايته كما شكرنا أدب تلامذته وعنايتهم بضيوف استاذهم وخصوصاً الشيخ عبده ابن تونس تلميذ الشيخ الخاص .

أهل مستغانم أهل ذكاء وحسن نية واقبال على العلم والشيخ مصطفى بن حلوش قائم في مسجده بالتعليم والارشاد للعامة بدروس ليلية وساع في تحصيل رخصة من الحكومة لتعليم الصغار . وقد أضافنا فيها الشيخ ابن حلوش ابو مثنوانا والشيخ الحاج بن الاعرج والشيخ أحمد بن عليوة والسيد الجيلاني التدلوتي عائلة دين وفضل وعمل ، ولو اتسعت المدة لكنا تشرفنا بكثير غيرهم منهم صاحب الفضيلة

في بعض جهات الوطن

الشيخ المفتي العالم المطلع المنصف الذي كاد أن لا يسامحنا بالسفر في اليوم الذي عيناه .

في اليوم الأول من وصولي قصدت الى دار الحكومة لزيارة السيد السوريفي م ماصلو الذي كان كاتباً عاماً بدار العمالة بقسنطينة فلقينا ببشر ولطف وسأل عن أهل قسنطينة مما يدل على ما يحمله لهم من الذكر الجميل فأبلغناهم كذلك عواطفهم ودار الحديث على سبب الرحلة ومقصود الجمعية فكان مما قلنا له اتنا نريد للمسلمين أن يبلغوا في المعارف والفلاحة والتجارة والصناعة الى مستوى اخوانهم الفرنسيين ليتعاون الجميع بقوى متكافئة على خدمة الجزائر تحت الراية الفرنسية ويكونوا مثل جيرانهم اوادم^(١) على الحقيقة وتكون حالتهم مناسبة لسعة فرنسا ام الرقي والمدنية ثم انصرفنا من عنده شاكرين له ما رأينا منه من اقبال .

زاوية الشيخ ابن طكوك : لزاوية الشيخ ابن طكوك في مستغانم وكيل بلغه انني أرغب في الذهاب الى الزاوية للتعرف بأهلها وتعريفهم بالجمعية ومقاصدها فجاءنا بالسيارة الى المنزل فامتطيناها الى الزاوية في بوقرات فتلاقانا السيد الحاج مصطفى أحد الاخوة الثلاثة أصحاب الزاوية وشيخ الزاوية السيد عبد القادر كان غائباً وأخوه الشيخ محمد كان ممرضاً فأكرم نزلنا وبتنا ليلة وودعناهم في صبيحتنا ، وحدثناه عن الجمعية فأظهر ابتهاجه بها وقدم مائتي فرنك لإعاتتها .

واحتفل بنا في مستغانم جماعة اخواننا الاباضية ولقينا منهم من الاكرام مثل ما كنا نلقاه دائماً منهم في رحلتنا^(٢) .

(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ١١ ، م ٧ ، ٦٦٣ - ٦٧١
غرة رجب ١٣٥٠ هـ - نوفمبر ١٩٣١ م .

في بعض جهات الوطن

- ٢ -

قرية آرزو :

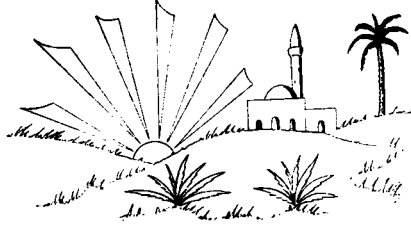
نزلنا ضيوفاً على العالم الأديب الشيخ أبو عبد الله آل أبي عبد الله ، عالم فصيح اللسان صحيح الإدراك مستقيم الفكر مهيب الطلعة معترف له بالعلم والفضل ، وصادف قدومنا يوم الجمعة فصليناها خلفه وألقينا درساً اثرها وتوافد الناس علينا مساء من تلك النواحي فوسعهم كلهم كرم الشيخ أبي عبد الله وباتوا في ضيافته وقدم الينا فضيلته قصيدة بليغة في ذكر جمعية العلماء سنحلي بها بعض الأجزاء القادمة .

وهران :

لما وصلنا وجدنا في انتظارنا جمعاً من أعيانها منهم فضيلة المفتي الشيخ الحبيب بوخالفة وفضيلة الشيخ الطيب المهاجي وغيرهما ، وكانت حفلة الفطور في بيت آل المهاجي الكريم وكانت حفلة العشاء عند الجمعية الخيرية الاسلامية بمحلها وكانت حفلة حفلى دعيت اليها طبقات الناس وكنا يومنا الثاني في ضيافة الشيخ المفتي ، وكنا في كل حفلة من هذه الحفلات نلقي ما يسر الله من الوعظ والتذكير وخصوصاً في حفلة الجمعية الخيرية وكان الذي افتتح الحفلة مرحباً بالضيوف بلسان الجمعية العالم الألمي السلفي الشيخ الطيب المهاجي . ولقد رأيت من أهل هذه العاصمة الغربية لقطرنا الجزائري تعطشاً للعلم واقبالاً على سماعه ولقيت فيها نخبة الفضلاء ذوي المعارف المتعلمين

في بعض جهات الوطن

بالفرنسية على جانب من الدين والقومية ، وما كان اليومان اللذان أقمناهما بتلك العاصمة الكبيرة ، ليكفيا في التعرف عليها وكمال الغرض من الاجتماع بفضلاء أهلها وقلنا منها الى الجزائر العاصمة لنحضر اجتماع مجلس ادارة جمعية العلماء ، وقصصت على اخواني بالمجلس حديث رحلتي وما كان من نشر دعوة الجمعية وما كان من اقبال الناس عليها وما كان من شبه عرضت لبعض فيها فأزلناها لما سألونا عنها (١) .



(١) ش : ج ١٢ ، م ٧ ، ص ٧٧٣ - ٧٧٤
غرة شعبان ١٣٥٠ هـ - ديسمبر ١٩٣١ م .

رحلتنا الى العمالة الوهرانية

باسم الجمعية

تمهيد :

لما كان مقصود الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية وكانت طريقة الوعظ والارشاد بالهداية القرآنية هي أنجع دواء لذلك عند المسلمين قررت أن ترسل أفراداً من أهل العلم بنواحي القطر للقيام بهذه المهمة العظيمة ورأت أن تتدبىء بالعمالة الوهرانية ، فكلفت هذا العاجز أن يقوم بذلك وأن يستعين في رحلته بكل من يكون في طريقه من أهل العلم فقبلت بذلك واستعنت بالله .

تاريخ بداية الرحلة ونهايتها :

سافرت من العاصمة يوم الاربعاء ٢٧ محرم وحلت بها صبيحة الثلاثاء ١ ربيع الاول .

البلدان التي زرتها :

المدية البرواقية ، قصر البخاري ، الجلفة ، الأغواط ، آفلو ، سوق تيارت ، فرنده ، معسكر سعيدة البيض ، وهران ، سيدي بلعباس ، تموشنت ، تلمسان ، مغنية ، الغزوات ، ندرومه ، آرزيو ، بريقو ، مستغانم ، زاوية الشيخ ابن طكوك ، غليزان .

ماذا كنت أقوم به في كل بلدة :

كنت أزور في الاكثر قبل كل شيء المسجد لأن البداية به هي السنة ولألفت نظر الأمة الى حرمة المسجد وفضله وانه هو الأحق بأن يقصد

عند الملمات للوقوف بين يدي الله والحصول على أقرب أحوال العبد الى مولاه وهي السجود فان العامة فيما رأيت من كثير منهم يفرعون الى البناءات المضروبة على الأضرحة ويظهرون فيها من الخشوع والخضوع ما لا أراه منهم في بيوت الله ومن ذا الذي يسوي بيت الخالق بيت المخلوقين لولا انتشار الجهل وكثرة الغفلة والسكوت عن الحق وقعود من لا يجوز لهم القعود عن التعليم والتبيين ثم ازور ممثل الحكومة في البلدة من بريفي أو سوبريفي أو متصرف ثم أزور ممثل الامة الفرنسية والعربية وهو المير اذا كان بالبلدة مير ثم ألقى الدرس العام في المسجد .

موضوع الدرس ومادته :

كانت الدروس كلها حثاً على الفضائل وتنفيراً من الرذائل وبياناً لحقائق الدين التي بمعرفتها يكمل الانسان في اسلامه وفي انسانيته ودعوة للتوحيد والاتحاد والاحسان الى جميع العباد وحثاً على التألف والتعاون مع جميع السكان على اختلاف الاجناس والاديان ، وكانت مادة الدرس دائماً آية من كتاب الله مشفعة بحديث رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، وكنت بعد الدرس أعرف الناس بالجمعية ومقاصدها حسبما هو مبين في قانونها الأساسي ، وألخص لهم وصايا الجمعية في هذه الكلمات الثلاث : تعلموا - تحابوا - تسامحوا - وأشرحها لهم وأذكر لهم فوائدها ثم أبين لهم ان الجمعية للجميع وانها ليست ضداً لأحد لا للزوايا ولا لغيرها وان غرضها هو نشر العلم والفضيلة بين الجميع ثم أذكر لهم فضل الحكومة التي أذنت لهذه الجمعية وفضل رجالها الذين لا قينا منهم حسن المقابلة والتأييد .

الإشاعات الباطلة :

قد منيت هذه الجمعية بمن يحاربها بالباطل ويعرقلها بالافك ويستحل

في اذيتها العظام. فأشاعوا عنها كل اشاعة شنيعة ورموها بكل تقيصة ورذيلة حتى قالوا انها جمعية تنكر البعث والنشور دع ما هو دون ذلك ، ولكننا كنا - والحمد لله - لا نفرغ من الدرس العام حتى تنحل عقد الشيطان كما يقول الناس بلسان قالهم أو حالهم : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » .

الاسئلة والاجوبة :

أكثر ما سئلنا عنه بوجه عام هو التصوف والولاية والكرامة والتوسل فكنا نجيب بأن ما كان من باب تزكية النفس وتقويم الأخلاق والتحقق بالعبادة والاخلاص فيها فهو التصوف المقبول وكلام أئمته فيه ككلام سائر أئمة الاسلام في علوم الاسلام لا بد من بنائه على الدلائل الصحيحة من الكتاب والسنة ولا بد من الرجوع عند التنازع فيه اليهما وكنت أذكر ما يوافق هذا من كلام أئمة الزهد المتقدمين كالجنيد واضرابه ، وكنا نجيب بأن الولاية من الايمان فأكمل الناس ايماناً أكملهم ولاية وان الكرامة حق بحقيقتها وشروطها المذكورة في كتب الأئمة وان تحققها هو المتوقع على وجود الصلاح الشرعي فيمن ظهرت على يده لا ان تحقيق الصلاح متوقف عليها وكنا نجيب بأن الدعاء هو العبادة وانه مخ العبادة كما جاء في الحديث الاول عند أصحاب السنن وأحمد من حديث النعمان بن بشير والثاني عند الترمذي من حديث أنس وكل عبادة لا تكون الا لله فالدعاء لا يكون الا لله فلا يدعى غير الله ولا يدعى أحد مع الله ولكن يجوز أن تدعو الله وتتوسل اليه برسول الله عليه وآله الصلاة والسلام كما في حديث الاعمى الذي كنا كتبنا عليه في جزء مضى من الشهاب .

طريقتان في الموضوع :

الاولى : من العجيب ان بعض أهل العلم أبى أن يسلم ان الدعاء

هو العبادة رغم انه صريح الحديث مع ان أهل المجلس من غير أهل العلم أدركوا بفطرتهم العربية ما في لفظ الحديث من البيان الصريح وان لم يعرفوا كيف يعبرون عن الحصر وطرقه فزادني هذا يقينا بما كنت أقوله كثيراً في دروسي ومجالسي : من نعمة الله عليكم أيها الجزائريون^(١) انكم تنطقون بالعربية وان أساليها لا تزال مستعملة في ألسنتكم فهذا مما يقربكم من فهم كلام الله وكلام رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، فيسهل عليكم الاهتداء بالكتاب والسنة .

الثانية : ان أحد الشيوخ المنتمين الى الطريق لما سمعني استدل بكلام الجنيد على لزوم وزن الأعمال والاقوال والاحوال والفهوم بالكتاب والسنة قال لي : « وما الجنيد الا واحد من الناس » وما صار الجنيد واحداً من الناس الا يوم استدلت بكلامه ومن العجيب ان هذا الذي يقول هذا ليرد ما ذكرته من كلام الجنيد الذي هو ثابت في نفسه بأدلته من كلام الله وكلام رسوله - يريد أن يثبت التصوف في الكون للمخلوقات حتى في قفزة الهر على الفار مستنداً في ذلك الى كلام رجل لا مستند له من كتاب ولا سنة وينسى أن يقول فيه انه واحد من الناس ، وبعد هذا فأنا غير آيس من مثل الأخ الأول والأخ الثاني أن تكون مذاكرتنا معهما منبهة لهما على لزوم فهم الدين بفهم الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأئمة وفهم كلام العرب وأساليب العربية فمثلهم من اعتنى بذلك واهتدى به ودعا اليه .

مظاهر الاتحاد :

كنا اذا حللنا بلدة فيها من اخواتنا الميزابيين يهرعون الينا مثل بقية اخوانهم من أهل البلدة وفي بعض البلدان تسبق ضيافتهم ضيافة غيرهم ثم تجد الضيافة عندهم تشمل أهل البلدة وأعيانها وتجد الضيافة عند

(١) في الاصل (الجزائريين) .

غيرهم تشملهم كذلك فتشاهد في مجامع الكرم أبناء الاسلام ترفرف على رؤوسهم روح الأخوة والاتحاد ، هذا بين المسلمين ، ثم اننا في أكثر البلدان أجد النواب المسلمين مع مير البلدة في غاية الوثام والمودة وكثيراً ما حضر معنا أفراد من الفرنسيين واليهود في مجالس القهوة والشاهي وبعض الضيافات فرى مصافاة واتحاداً ، ولا شك ان ما كنا نقوله في مجالسنا ودروسنا مما يزيد ذلك الاتحاد قوة ومتانة .

تعلق الامة بحكومتها :

ارتباط الجزائر بفرنسا اليوم صار من الامور الضرورية عند جميع الطبقات فلا يفكر الناس اليوم الا في الدائرة الفرنسية ولا يعلقون آمالهم الا على فرنسا مثل سائر أبنائها ورغبتهم الوحيدة كلهم هي أن يكونوا مثل جميع أبناء الراية المثلثة في الحقوق كما هم مثلهم في الواجبات وهم الى هذا كله يشعرون بما يأتيهم من دولتهم مما يشكرونه ومما قد ينتقدونه وقد كنا تؤكد لهم هذا التعلق ونبين لهم فوائده ونبين لهم في المناسبات ان فرنسا العظيمة لا بد أن تعطيهم يوماً - ولا يكون بعيداً - جميع ما لهم من حقوق وكنا لا نرى منهم لهذا الاقبولا حسناً وآمالاً طيبة .

كرم الامة واقبالها :

لقد كان تنازع الناس على ضيافتنا كتزاحمهم على دروسنا ومجالسنا وكان تسارعهم الى اكرامنا يضاھي تسارعهم الى مقابلتنا وقد كان أكثر البلدان يتلقانا أهلها قبل الوصول اليها ويشيعوننا^(١) الى البلدة التي تليها فله هذه الامة المسلمة العربية في تعظيمها للعلم واکرامها للضيف تراثاً جليلاً حافظت عليه أجيالاً وأحقاباً ، وان أمة تحافظ على

(١) كذا في الاصل والصحيح (وشيعوننا) .

رحلتنا الى العمالة الوهرانية

أخلاقها الكريمة وسجاياها الموروثة مثل هذه المحافظة لجذيرة بالمدح والثناء حقيقة بالخلود والبقاء خليقة بالخدمة والاعتناء .

فضل الحكومة ورجالها :

العلم والفضيلة هما كل ما يحتاج اليه الانسان في كماله وسعادته وهما كل ما ترمي اليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسعيها ، فللحكومة الفضل العظيم بفتحها السبل لهذه الجمعية حتى تتوصل الى نشرهما باتصال رجالها من أهل العلم بالامة في مساجدهم ومجامعهم وحيثما كانوا فللحكومة في هذا من الفضل بقدر ما فيه للامة من النفع ولقد كان رجال الحكومة الذين لقيناهم في جميع البلدان يلاقوننا بمزيد الاكرام ويزودوننا بعبارات التأييد والتنشيط ويقول لنا الكثير منهم اننا مستعدون لمساعدتكم في كل ما تريدونه بدائرتنا ولا شك انهم يتكلمون بلسان الحكومة ويعربون عن نياتها ومقاصدها ، وأي مقصد أشرف وأي نية أنفع من تعاون الحكومة من العلماء لتهديب الامة وتعليمها هذا أعظم ما قامت به فرنسا في أول القرن الثاني نحو أبنائها المسلمين الجزائريين الذين كانوا معها في جميع المواقف مواقف الحياة ومواقف الموت .

فضل الصحافة العربية والفرنسية :

كانت الصحف الفرنسية تتبع رحلتنا وتنشر الفصول عنها وتذكر الجمعية بكل تعظيم وتبجيل مثل ما كانت تفعله مع أكبر جمعية فرنسية ورئيسها فبرهنت على ان الفكر العام الفرنسي يقدر للمسلمين مشاريعهم ويساعدهم عليها ويرد لهم الرقي والتقدم ، وقد كانت الصحافة العربية النجاح والنور والمرصاد قامت بواجبها نحو قومها وملتها فلجميع الرصيفات الفرنسية والعربية شكر الامة والوطن وشكر الجمعية والعلم . واذا كانت ثم صحيفة واحدة شدت عن الجميع فانتا تقابلها بالمسامحة

والتجاوز لأننا نرى واجباً على من وقف نفسه لخدمة امة أن يتلقى بالقبول كل ما يأتيه منها من مدح أو قدح من حق أو باطل ، من عقل أو غيره ويستعمل ميزان عقله ويستعين بأهل الرأي من المخلصين معه في قبول ما يجب من أي ناحية جاء ورد ما يجب رده من أي شخص كان فللرصيفات كلها - اذاً جميل الشكر والاکرام .

فضل الرفاق علينا :

رافقني من بداية الرحلة الى آخرها ابننا الشيخ محمد الصادق الجندلي ومن معسكر الى غليزان الشيخ عبد القادر آل زيان ومن معسكر الى آرزيو الأديب الكبير الشيخ السعيد الزاهري ومن وهران الى غليزان العالم النفاع الشيخ عبد القادر المهاجي ومن آرزيو الى باريقو العالم الجليل الشيخ أبو عبد الله البو عبدلي ومن سيق الى تموشنت ثم آرزيو الشيخ فرحات الليشاني ومن تلمسان الى آرزيو الشريف العطريف الشيخ مولاي علي الحسني وغيرهم ممن رافقنا في بعض الطريق وقد كانوا كلهم الرفقة الكريمة الموقفة نسينا بهم الاهل والمقر واستطبنا معهم عناء السفر فجازاهم الله أحسن ما جازى رفيقاً عن رفيقه وصدقاً عن صديقه .

خدماتنا بهذه الرحلة :

قد خدمنا الامة الاسلامية بما دعوناها اليه من علم وفضيلة ومحبة وتسامح وما عرضناه على اسماعها من علوم القرآن وهداياته وما رغبتناها فيه من قراءته وتفهمه والعمل به وخدمنا المسلمين وغيرهم بما دعونا اليه من اتحاد وتعاون وتراحم وتفاهم والتزام للأمن والنظام واحترام للقوانين الدولية وأوامر الحكام ، وخدمنا الحكومة بما نوهنا به من فضلها بفتح باب العلم بما أذنت به من تأسيس هذه الجمعية وما أذنت به من فتح مكاتب عربية وما سهلت من سبيل لاتصال علماء

رحلتنا الى العمالة الوهرانية

الامة ومرشديها بها لوعظها وارشادها وخدمنا الجمعية بما بينا من أغراضها وما دفعنا من الاشاعات الباطلة عنها وما قربنا من منزلتها وما رفعنا من قدرها في قلوب الامة وحكومتها •

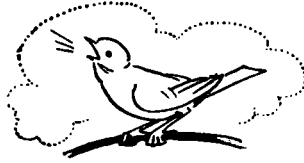
حاصل ما تيقنته من هذه الرحلة : أولا : استعداد الامة لكل خير •
ثانيا : مساعدة الحكومة عليه • ثالثا : تمركز الجمعية عندهما وثقتهما
بها •

هذا كلام موجز على الرحلة على وجه العموم ، وستتكمم - ان شاء الله تعالى - في الجزء الآتي على البلدان التي زرناها بالتفصيل •

دفع توهم :

الاسلام يدعو الى النظام وينهي عن الفوضى فلا بد للمسلمين من التزام القوانين الدولية التي بها حفظ النظام وصلاح المجتمع والضرب على أيدي المجرمين تقول هذا وندعو اليه دفعا لما توهم من بعض مائشر في جزء ماضي - على انه عند صادق التأمل لا يبقى وجه للتوهم^(١) •

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٨ ، م ٨ ، ص ٤٠١ - ٤٠٩
غرة ربيع الاول ١٣٥١ هـ - اوت ١٩٣٢ م •

في تونس العزيزة

حقاً ان لتونس هوى روحياً بقلبي لا يضارعه الا هوى تلمسان
أعرف ذلك من انشراح في الصدر ، ونشاط في الفكر ، وغبطة في
القلب ، لا أجد مثلها الا في ربوعهما • ومن نعم الله عليّ في العهد
القريب أن يسر لي التردد بين الخضراء والبهجة مرتين ، وقد كانت
أخراهما في تونس ذات مظهر ممتاز ومغزى سام •

حلت بتونس في منتصف أشرف ربيعي العام لاضر حفلة الذكرى
التي أقيمت للرجل العظيم السيد البشير صفر رحمه الله ، وكنت ممن
تشفروا فيها بالخطابة ثم دعنتي جمعية التلامذة الجزائريين الزيتونيين
والجمعية الودادية الجزائرية بتونس الى الخطابة فما وسعني الا الإجابة
وحظيت بلقاء الكثيرين من رجال العلم والادب والسياسة ورجال الاعمال
والعمال ، من كل من كانت تونس بهم وبأمثالهم عروس الشمال
الافريقي وواسطة عقد وحدته وقد كانت من الأمة التونسية الكريمة
وصحافتها وبعض الصحافة الفرنسية عناية ظاهرة بما كان ظاهرا من
مقاصد الرحلة ، وقد رغب اليّ بعض الإخوان أن أنشر عليهم ما ألقيته
في الخطبة الأولى والثانية فاعتذرت عن نفس النص لأنني لم ألقهما الا
ارتجالا ولكنني رجعت الى ما نشرته منهما وعنها بعض الرصيفات
الكريمة فأثبته هنا تخليداً له - لما اشتمل عليه من مبدأ وغاية - في
هذه المجلة التي ما أسست الا على ذلك المبدأ ولتلك الغاية •

قالت (النهضة) الناهضة :

« ثم تلاه ضيف تونس الاستاذ ابن باديس الذي وفد خصيصاً



صورة منصة الاحتفال باحياء ذكرى البشير صفر بتونس

من القطر الجزائري الشقيق ليحضر هذه الحفلة وألقى خطاباً ارتجالياً بفصاحة نادرة وامتلاك لناصية الموضوع أثر كثيراً على الحاضرين وهز مشاعرهم وذكرهم ببعض خصال الفقيه المحتفل بذكراه لان الخطيب هو من تلاميذه المعترفين بفضله والمقرين بجميله الذي لا يزول وبعد هذا الخطاب الذي قوبل بعاصفة من الهتاف الحار جاء دور شيخ الادباء الاستاذ الشيخ العربي الكبادي «

قلت (الزهرة) الزاهرة :

« وأحيلت الكلمة الى حضرة الاستاذ الجليل والمصلح الكبير فضيلة الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس (مثل الجزائر) فتقدم وارتجل خطاباً فياضاً بالشعور الاسلامي الصميم والعاطفة الافريقية السامية .

افتتحه بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومصطفاه وآله
وصحبه ومن والاه • ثم قال :

أيها الاخوان الكرام

أيتها الاخوات الكرائم :

أرجو أن تعتبروني جندياً من جنود الإسلام والعروبة في القطر
الجزائري لا أكثر ولا أقل واني أحمل تحيات الأمة الجزائرية الى
شقيقتها الأمة التونسية ومشاركة الجزائر لتونس في هذه الذكرى
الطيبة وهذا الحفل الكريم ، كما أقدم مشاركتي الخاصة •

وان الروابط عديدة بين تونس والجزائر ، بل بين المغرب العربي بصفة
عامة : طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الاقصى ، كالروابط
العلمية والروابط السياسية التي ذاقت بها هذه الاقطار حلاوة الاستقلال
تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك •

وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم
الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي
وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن
أكون جندياً من جنود الجزائر •

وهذه الذكرى التي تقام اليوم انما هي تقام لرجل واحد كان سبباً
في حياة أمة والقصد منها هو اعتراف بالجميل وهو من أعظم مظاهر
الكمال الانساني والشكر كما لا يخفاكم سبب في المزيد عند الله عز
وجل ، وعند عباده •

وطالما وصفت الأمم الشرقية بكفران النعم ، وعدم تقديرها لعظماؤها •
وها نحن نقيم الدليل بهذه الذكرى وأمثالها على أننا من الشاكرين
للنعم لا الكافرين بها !

ثم أخذ الاستاذ ابن باديس بعد هذه المقدمة المفيدة في ذكر نواحي
الفقيد المحتفل بذكراه فقال : ان لهذا السيد العظيم البشير صفر نواحي
ثلاثا جديرة بالتنويه أذكرها لكم فيما يلي :

أولا — انه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الاجنبية على
ثقافة اسلامية عربية ، وبذلك استطاع أن يخدم أمته وأن يحتل قلبها .
ثانياً — ان هذا الرجل لما تخرج من الصادقية ورجع بما رجع
به من الديار الباريسية من العلم عرض عليه الوظيفة فأباه
ولم يقبله حتى أشار عليه بقبوله الوزير المرحوم السيد العزيز بو عتور
فقبل اذ ذاك الوظيفة وجعله آلة لنفع امته لا آلة لاشباع معدته .

ثالثا — انه دخل الوظيفة فلم يكن الوظيفة له سجنًا أو قفصًا أو
قيدًا — كما قد يقصد به — اذ الوظيفة لا يكون الا^(١) بمثابة السجن
والقيد الا للصغار من الناس لا لعظماء الرجال . فلقد أدى السيد البشير
صفر — وهو في الوظيفة — للصحافة والفلاحة والمعارف أجل الخدمات .
فهذه هي نواحي الكمال الثلاث التي يجدها الرجل . لكنه لما
دخل العمل المخزني قصر في العمل ، ولعله كان معذورا وقد عذرتة الأمة .

وختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس خطابه الارتجالي البليغ ببسطة
عن مشاركة المرحوم الشيخ النخلي للفقيد في تشييد النهضة العلمية
المباركة ومقاومة الركود والجمود وقال : هذان الرجلان العظيمان
تقدمهما لأبنائنا لينحوا نحوهم ويقتفوا أثرهم لنصل الى سعادة
البشرية كلها لا سعادة الشمال الافريقي أو تونس فقط .

والسلام عليكم ورحمة الله .

(١) كذا في الاصل ويمكن أن يكون التعبير : لا يكون بمثابة السجن
والقيد الا للصفار .

وبأثر انتهاء خطاب الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس الذي قوبل
وقوطع بعواطف متوالية من تصفيق الاستحسان» (١) .



(١) كذا في الاصل والجملة غير تامة .

ش : ج ٥ ، م ١٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ - جويلت ١٩٣٧ م .

الحركة العلمية والسياسية

في القطر الجزائري الشقيق

لمندوبنا الخاص

(نقل عن جريدة (الزهرة)

الغراء عدد ٢١ و٢٢ ربيع الاول)

عشية يوم السبت قام حضرة ضيف تونس الكريم الزعيم الاسلامي العظيم الاستاذ الكبير الشيخ السيد «عبد الحميد بن باديس» بمحاضرة فائقة بقصر الجمعيات الفرنسية تحت اشراف كل من جمعية الطلبة الجزائريين بتونس والجمعية الودادية الجزائرية الاسلامية بتونس .

وقد وقع اقبال عظيم جدا على سماع هذه المحاضرة الكبرى وكان الاستاذ ابن باديس يتوسط المسرح وعن يمينه حضرة العالم الفاضل الشيخ السيد الشاذلي بن القاضي صاحب رصيفتنا (المجلة الزيتونية) الفيحاء والسري الامثل السيد حسان بو جدرة .

كما كان عن يسار الاستاذ المحاضر رئيسا الجمعيتين المذكورتين السيدان الشاذلي المكي ، وقلش الوين .

وقبل أن يشرع الاستاذ المحاضر في الكلام قام الاديب السيد الشاذلي المكي وارتجل كلمات لطيفة قال فيها : ان الشيخ ابن باديس لا يحتاج لتقديم اذ هو أشهر من أن يترجم له أو يقدم .

وقد افتتح الاستاذ محاضرتَه بحمد الله والصلاة على الرسول الكريم،

وذكر ان هاتين الجمعيتين قد طلبتا منه القيام بهذه المحاضرة — وهو يشعر بتعب — ولكنه لم يسعه الا تلبية دعوة الجمعيتين اذ هما لسان الشباب ومن الواجب تلبية نداء الشباب الذي هو نتيجة الماضي وزهرة الحاضر وآمال المستقبل وعدة الحياة •

ثم قال الاستاذ : ان الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر، وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لاني أومن بأن هذا الشمال الافريقي لا ينهض الا بتضامنه مع بعضه بعضا • لكن اذا تحدثت عن الجزائر فانما أتحدث عن جزء من كل وأذكر عن الاخ ما يسر اخوانه •

وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لانهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة • مع انه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بجده.

واني أحدثكم لا بصفتي رئيساً لجمعية العلماء الجزائريين تلك الجمعية الدينية المحضة التي لا دخل لها في السياسة ، وانما أحدثكم اليوم بصفتي شخصا خدم الصحافة ١٢ عاما وخدم العلم ٢٥ سنة فباسمي الخاص فقط أتكلم •

ثم بيّن الاستاذ المحاضر ان الجزائر لم تقصر عن اخواتها بلاد الشمال الافريقي وأشار الى أن عواصمها الزاهرة شاهدة بذلك ، كما أشار الى العهد القريب أيام كان أبناء الجزائر يتولون أعلى المناصب مع الاثراك وعرج على نبغاء الجزائر وبين انهم منتشرون — في الماضي والحاضر — في أرضها وفي الشمال الافريقي وفي بلاد الشرق •

وبعد أن أنهى الاستاذ بسط مقدمته المحكمة وعرج بالثناء الجزيل على الزعيم الكبير الاستاذ عبد العزيز الثعالبي وبين انه ليس بزعيم

تونسي فحسب بل هو زعيم عالمي • شرع في التحدث عن النقطة الاولى من محاضراته فقال مرتجلا :

الحالة العلمية :

العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها ، منها علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان ، ومنها علوم تؤخذ باللسان الاجنبي وهي علوم الاكوان وال عمران •

وقد كان الذين يزاولون العلوم الاولى على جمود تام كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال • فهؤلاء يعتبرون الآخريين أحجاراً ••• وأولئك يعتبرون هؤلاء كفاراً •••

هكذا كانت الجزائر في الحركة العلمية الى ان مرت عليها مائة عام وانشئت جمعية العلماء الجزائريين فتولت افهام كل طرف قيمة الطرف الآخر وبينت للجميع انهم مهما نطقوا بأي لسان فهم من الجزائر والى الجزائر ولا تنهض الجزائر الا بهم ولا ينهضون الا بها •

ولقد وضعت هذه الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللسان العربي وتكميل معلومات من تعلموا باللسان الاجنبي كما خصصت دروسا للكبار •

ولكن ما كادت هذه الجمعية تخطو خطواتها حتى تنكرت لها الحكومة وأقيمت أمامها العقاب حتى من طرف بعض المسلمين فأوذيت وصودمت وأصبحت حديث الجرائد الكبرى الفرنسية حتى اليوم ولكن الجمعية كانت تقابل هذه المقاومات بالثبات العظيم • وقد تأسست رغم تلك المقاومات المدارس وفتحت الاندية لالقاء المحاضرات وزرعت نواة الكلية وما زالت البعثات العلمية تتكون وتتوالى الى جامع الزيتونة المعمور •

والخلاصة ان الحالة العلمية بالجزائر اليوم هي علم مبني على روح اسلامية عربية لا يمكن أن يقاومها مقاوم أو يعارضها معارض ولا يمكن للظلم أن يقف في طريقها !

الحالة السياسية :

كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الجزائري الشهير مطالب متفرقة يقوم بها أفراد موزعون •

ولما تأسس المؤتمر الجزائري في السنة الفارطة توجهت الامة بمطالب عامة — سياسية ، اقتصادية ، علمية ، عربية قومية — ومطالب الجزائر لا تزال في حيز الانتظار الى الان كما لا تزال مطالب تونس في حيز الانتظار • ورحم الله من قال :

ونحن في الشرق والفصحى ذوو رحم

ونحن في الجرح والآلام اخوان

وقد حدث شيء بعد ذلك وهو مشروع فيوليت الذي هو شيء واحد من المطالب التي قدمناها وهو يعطى حق الانتخاب لعشرين ألف وبضعة آلاف وحق التصوت في جملة الفرنسيين •

ولقد صعب تنفيذ هذا المشروع لما اشترطه المؤتمر من المحافظة على الصفة الشخصية الاسلامية العربية ، وها هو الآن في مهب الريح يمكن أن يتم ويمكن أن لا يتم •

ومسيو فيوليت رجل فرنسي قبل كل شيء ، رأى من مصلحة فرنسا أن يقرب اليها الجزائريين ووجد برنامجا للمعارضة من طرف الكولون المعمرين لانهم تأبى نفوسهم أن نجتمع معهم على مائدة واحدة فكيف يرضون أن نجتمع بهم في البرلمان ؟ كما انهم لما رأوا ان المؤتمر وضع

ثقته في الواجهة الشعبية خافوا أن يصير نواب الجزائر كلهم من أنصار الواجهة الشعبية .

وقد قبلت أكثرية الأمة مشروع فيوليت بالشرط المذكور وباعتباره أقل المطالب ، أما الأقلية فقد أبت قبوله تماماً لأنها تخشى بعض الألاعيب التي لا تدري متى تكون .

ونحن نحترم رأي هذه الأقلية ونؤمل بقاءها على رأيها ، وهي تطالب بالاستقلال وأي انسان يا سادة لا يجب الاستقلال ؟ ان البهيمية تنح الى الاستقلال الذي هو أمر طبيعي في وضعية الامم .

أما موقف الحكومة التي أعطيناها ثقتنا من أول يوم فهو موقف التريث والتردد ، تشاهد المعارضة من الرجعيين أصحاب المال الأقوياء ، ونشاهد مطالب الجزائريين الضعفاء فتارة تعد كما قال م. فيانو وتارة تتوعد كما قال م. أوبو الذي يقول اذا أردنا الاحتفاظ على الشمال الافريقي فلنحافظ على القوة وقد أخطأ في ذلك ، ولو كانت الحكومة تقبل نصيحتي كانسان لنصحتها باستعمال الاحسان ، الذي يمكنها به المحافظة على صداقة هذا الشمال الافريقي .

والخلاصة اننا قلنا نحن لنا ثقة في الواجهة الشعبية ولا زلنا نقول ذلك ، وقلنا ننتظر وها نحن ننتظر ، ولكن للانتظار حد محدود ، واذا خاب أمل الأمة الجزائرية فانها لا تخيب وحدها بل تخيب معها فرنسا أيضا .

وختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس محاضراته الكبرى بقصيدة من شعره البليغ مطلعها :

شعب الجزائر مسلم	والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات لقد كذب
أو رام إدماج له	رام المحال من الطلب

ومنها :

من كان يبغى ودنا فعلى الكرامة والرجب
أو كان يبغى ذلنا فله المهانة والعطب

وقد ختمها بهذا البيت الرائع :

فاذا هلكت فصيحتي : تحيا الجزائر والعرب !

وقد قوبلت المحاضرة والقصيدة بعواصف من التصفيق والهتاف .

وما كاد الاستاذ المحاضر ينتهي من كلامه حتى وقف الشاب الاديب السيد الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس وقال : لتن اعتاد الخطباء شكر المحاضرين بعد انتهائهم من محاضراتهم فانا قد اعتدت بأثر كل محاضرة لأستاذي العزيز الشيخ عبد الحميد بن باديس ان أضع على جبينه قبلة حارة .

ثم تقدم وقبله باسم الطلبة الجزائريين فقام الاستاذ الطيب بن عيسى وطلب منه أن يقبله مرة ثانية باسم التونسيين فكان ذلك ودوت القاعة بالتصفيق والهتاف المتواليين .

وبأثر ذلك وقف حضرة العالم الفاضل الاستاذ الشيخ السيد الشاذلي بن القاضي المدرس بالجامع الاعظم دام عمرانه وصاحب رصيفتنا (المجلة الزيتونية) الفراء وارتجل خطابا قيما قدم فيه خالص الشكر للاستاذ ابن باديس بالنيابة عن الزيتونيين وأثنى على هذا المصلح الكبير والزعيم الاسلامي العظيم الذي تتمثل فيه الناحيتان العلمية والسياسية ، وقال في هذا الصدد ان الجزائر اذا اعتمدت اليوم فانما تعتمد على هذا الشيخ الجليل . ثم قال الاستاذ بن القاضي :

ونحن ان شاء الله مقتفون خطوات هذا الاستاذ في خدمة العروبة

الحركة العلمية والسياسية

- والاسلام ، واذا قال الاستاذ ان العلم يجب أن تراققه السياسة ، فاننا نقول ان لنا علماء ضربوا في الحركة السياسيه بسهم مصيب .
- وأذكركم بأن أول كلمة صدرت في بناء الدستور كان مصدرها العالم الكبير الاستاذ الشيخ السيد الصادق النيفر .
- وختم خطابه بقوله : فتونس تحيا بحياة رجالها وحياة معهدنا
أدام الله لها رجالها وأدام لها معهدنا^(١) .



(١) البصائر : السنة الثانية العدد ٧١ الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ
١٨ جوان ١٩٣٧ م . ص ٤ ، ع ١ و ٢ و ٣ و ص ٥ ، ع ١ و ٢ .

الشيخ عبد الحميد بن باديس في قالة

يوم الخميس ٢٩/١/٥٧ و ٣١/٣/٣٨ على الساعة العاشرة صباحا نزل بقالة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قادما من قسنطينة الى قالة بقطار الضحى اجابة لدعوة أهل المدينة .

وقد تلقاه بالمحطة عند النزول بعض أعيان المدينة وطلبتها ، وبعد التحية والترحيب بفضيلته توجه الجميع الى مركز شعبة الجمعية حيث تقرر على أثر الوصول برنامج أعمال الرئيس التي قدم خصيصا لها في ذلك اليوم وليته المقبلة .

ونظراً لضيق حجم هذه الجريدة وكثرة موادها فاني أستسمح القراء الكرام ان أغفلت وصف مهرجانات الاحتفاء والاحتفال بقدم الرئيس العظيم الاستاذ ابن باديس الى قالة واکرامهم مثواه فقد كان اقتبال أهل قالة له وسرورهم به بالغاً الغاية وكان لما أسدى اليهم اليوم من نصائح وارشادات قيمة في محاضراته ودرسه الجامعين المانعين الاثر الحميد في نفوسهم ، والى القراء الافاضل خلاصة المقصود من زيارة الاستاذ الى قالة وما عمله بها .

ان القصد من زيارة الاستاذ ابن باديس قالة اليوم - وفق رغبة سكانها المسلمين - هو حث عامة هذه النواحي على التآخي والتعاون على الخير ونصرة المشاريع الاسلامية النافعة والتضامن في كل ما يهم المسلمين ونبذ كل خلاف ينسيهم روابط الاخوة الاسلامية التي جمعهم الله بها على الهدى والحق وأن يعلموا حق العلم ان لا حزبية بينهم ازاء

القضايا العامة والمشاريع الهامة التي هم مسؤولون أمام الله ورسوله والناس أجمعين عن حقها عليهم وما حقها عليهم سوى تعاونهم على احيائها تعاوناً مستمداً من وحي الضمير !

بعد ظهر اليوم المذكور نادى مناد في المدينة ان الاستاذ ابن باديس يلقي محاضرة بفسحة السينما بعد صلاة العصر ، وما أزفت الساعة المعينة حتى اكتنظت ردهة المحل وشغلت جميع كراسيه بالوافدين الذين من بينهم من جاءوا من أماكن بعيدة لسماع محاضرة الاستاذ وعلى أثر ذلك صعد فضيلته منصة الخطابة وشرع يمتع السامعين بما تهفو اليه أرواحهم وتتجذب اليه عواطفهم وتستعذبه مشاعرهم من خالص النصح وسديد الارشاد وبديع الخطاب .

بدأ الاستاذ محاضرتَه بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ثم تطرق الى التحدث الى سامعيه عن محاسن الاسلام التي تجل عن الوصف فأبان لهم ما يجب عليهم للمحافظة على الاسلام الثمين وكتابه الإلهي ذي اللسان العربي المبين . بيانا هو الشمس وضوحاً والحق نوراً فقال :

ان هذا الاسلام هو رحمة من الله لبني آدم فانظروا رحمكم الله قوله تعالى : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » كيف كرر الله عز وجل لفظ الرحمة أربع مرات في موطن واحد ولم يقل لنا « القهار الجبار » مع انه عز وجل قهار جبار كل ذلك لنستشعر سعة رحمة الله بخلقه ، فاذا كان رب الناس الذي هو المالك لهم على الحقيقة يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء فأحرى أن يتخلق عباده باخلاقه وتظهر عليهم آثار هذه الاخلاق في معاملة بعضهم لبعض وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — : « من لا يرحم لا يرحم » .

ثم ان الاسلام بقدر ما فيه من رحمة للبشرية ورأفة واحترام لها فهو يمتقت الظلم والجبروت والطغيان أشد المقت ويندد بالمتصفين بهذه الصفات من العباد أمر تنديد فهو لا ربوية فيه لاحد على أحد ، لا ربوية بالمال ولا ربوية بالعلم ولا ربوية باسم الدين بل الربوية الحقيقية هي لرب العالمين وحده على عباده ، وهذا هو السر في سرعة انتشار الاسلام في جل أقسام المعمورة في مدة ٢٥ عاما ، وبفضل هذا الاسلام ، أيها السادة اهتدى أوائلنا العظام واهتدينا نحن ! لما تضمنته مبادئه السامية من رحمة وسماحة وعدل يغبط عليه ، نعم بفضل هذه الخصال الكريمة ونظائرها في الاسلام تحول العرب من الجهل الى العلم ، والقسوة الى الدين ، ومن الهمجية الى المدنية التي مدنوا بها الامم يومئذ ، وكان للعرب بها الفضل على سواهم رغم أنف من جحد منهم وما يجحد بها الا كلُّ أفكأ أثيم . وفي ما كان للعرب من رحمة أكسبها اياهم الاسلام السمع ، قال قوستاف لوبون : (لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين) ! فهذا الاسلام أمانة عندنا وبه سعادتنا وعزنا فلنحافظ عليه وذلك بالمحافظة على كتابه الكريم ولسانه العربي المبين تعليماً وتعليماً ، أيها السادة كما تلقيناه من آبائنا وأجدادنا ، وكل من عارضنا في هذا التعليم رددنا معارضته رد الأباة الكرام وأولى الناس بالمحافظة على القرآن هم حفاظه الذين استحقوا به لقب « السیاد » ان عملوا ! •

ان قواعد الاسلام التي شرعها الله لعباده جعلت عواطفنا وشعورنا مطبوعة على أن لانحس الا احساساً متحداً « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » ؟ فالصائمون - مثلاً - يحسون احساساً واحداً بما ينشأ لهم من الصوم من جوع وعطش وقس على ذلك فديننا دين الرحمة والاتحاد على الخير ونحن مسلمون لا نتحد على الشر أبداً ولا نضمره لأحد من الناس ، كما لا تقبله من أي أحد منهم كائناً من كان.

هذه محاضرة الاستاذ ابن باديس نقلناها نقلا اختزاليا أثناء القائها لها على المنصة وحافظنا على ألفاظها ومعانيها حتى لا يفلت من ذلك شيء وهي نفس الخطاب الذي ألقاه ليلا بنادي الشباب الاسلامي القالمي بعد أن أفرغها في قالب يناسب طبع الشباب ومزاجه الكهربائي الذي عبر عنه الاستاذ بالشعلة المقدسة وتفنن فيه ماشاء له البيان وأراد وزاد على ذلك مخاطبا الشباب ومرغبا في الاستزادة من العلم النافع بأي لغة كان ومن أي شخص وجد ، والاعتراف^(١) بجميل من يكون لهم واسطة في نيل العلم خالصا من شوائب المس والدس فقال :

ان طلاب العلم عندنا ثلاثة أقسام ، قسم طلبوا العلم من الغير فنالوه الا ان الغير طبعمهم بطبعه فهو عوض أن يأتونا به مطبوعا بطابعنا الفطري الذي هو حبل الاتصال بين أفراد أمتنا وبين جامعتهم القومية أصبحوا متأثرين بطابع الغير .

وقسم نالوا العلم ولم يحسنوا التصرف فيه لنفع مجتمعهم ووسطهم .
وقسم نالوا العلم من الغير وأحسنوا التصرف فيه ونفعوا به بلادهم وقومهم فهذا الفريق هو الذي نحتاجه اليوم وعلى يديه يكون رقي البلاد وخيرها .

فأرجوكم أيها الشباب الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الاروباويون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به وهم اذا أنكر بعضهم اليوم فضلنا عليهم فذلك شأنهم اما نحن فلا ننكر فضل من أسدى إلينا الخير الخالص ونعترف له بالجميل الذي لا يراد به سوى الجميل ولا علينا فيمن « يَرِيدُونَ أَنْ يُطْنِفُوا

(١) في الاصل : ولا اعتراف .

ثورَ اللهِ بأفواههمَ واللهُ مُمْتَمٌ ثوره ولو كره الكافرون «
ولا يكن في صدرنا من حالهم حرج فصدورنا بالايان بالله والثقة به
أوسع وعقولنا أرجح وديننا أرحم وأكمل^(١) .

(.....)^(٢)



(١) البصائر : عدد ١٠٩ السنة الثالثة . قسنطينة يوم الجمعة ٢١
صفر ١٣٥٧ هـ الموافق ليوم ٢٢ افريل ١٩٣٨ م الصفحة ٣ كلها .
(٢) لم يذكر الناقل لهذا الخطاب اسمه .

آثار ابن باديس

قسم تطور الشهاب

خاتمة المجلد الخامس

بهذا الجزء تمت أجزاء المجلد الخامس اثني عشر جزءاً • وانقضى عام على « الشهاب » مجلة شهرية ، واذا لم يكن يجب أن يكون فقد كان على نهاية ما استطاع ، وقد كان قرر ان يشعر قراءه بروح الاخوة الايمانية التي تربط بينهم مهما اختلفت أفكارهم ، وقد نجح في هذا الى حد بعيد • فهو بهذه النعمة الربانية جد مغتبط ومسرور • معتزماً على شكرها باستمرار العمل حاسبا اياها أعظم جزاء على ما عمل ، وأكبر معز ومصبر عما يلقاه من مكاشحة « العدو » وتقصير الصديق • علم الله اننا لا نجني من هذه المجلة ثمرة مادية ، وانما نعود عليها بمالها • ولو كثر مالها لكبر حجمها وغزرت موادها ، ورغم ذلك فقد بلغت صفحاتها ستة وخمسين بعد ما كانت اثنتين وثلاثين في الجزء الأول ، وستصدر في سنتها الجديدة - ان شاء الله تعالى - في اربعة وستين ، وسنوسع في أبوابها حسبما نستطيع من التوسيع • ليس لنا - بعد عون الله تعالى - الا همم اخواننا المسلمين عموماً والمشاركين معنا في المجلة خصوصاً ، فنحن ندعوهم الى مؤازرتنا على ما تتوخاه لِنَجْمِيع من خير وصلاح ، ونستحث المقصّرين والمتخلفين الى أداء واجب اشتراكهم القليل • وقد رأينا - والحمد لله - من كثير من اخواننا مؤازرة ومساعدة، شكراً لله لهم ما عملوا وأثابهم عليه ووفق غيرهم الى الاقتداء بهم فيه ، والله ولي العون والتوفيق للجميع^(١) •

ش : ج ١٢ ، ص ٥٦ •

غرة شعبان ١٣٤٨ هـ - جانفي ١٩٣٠ م •

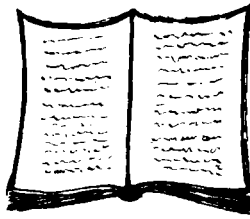
فاتحة المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

نحمد الله الذي أمدنا بروح منه حتى قطعنا السنة الماضية ، وأبقى
فينا الثقة والرجاء لقطع السنة الحالية ، والسنوات التالية ، ثم نتقدم
لقراء « الشهاب » ومشاركيه ومناصريه الفضلاء الأكارم بالاشادة بحسن
الثناء ، والدعاء بجميل الجزاء ، واعدن حضرتهم بالمضي على ما عرفوا
من خطتنا : نشر هداية القرآن وندعو اليها ، ونعتصم برابطة الاخوة
ونحافظ عليها • داعين الى العلم والعمل والتقدم في نظام وسلام
قاصدين الخير وساعين فيه لصالح الجميع •

ثبت الله القصد ، وأيد العمل ، وقرب الغاية ، انه الولي النصير •



ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ١ - غرة رمضان ١٣٤٨ هـ - فيفري ١٩٣٠ م

خاتمة المجلد السادس

قد انتهى بهذا الجزء المجلد السادس ، فالحمد لله على نعمته وتيسيره وما أمكن لنا انهاؤه بعد ذلك الا بهمهم أولئك الأخوان الكرام المشتركين والمؤازرين الذين لولا مثلهم لما كان لمجلة علمية أن تعيش في الجزائر الى اليوم ، فهم أصحاب هذه المجلة وهم أصحاب الفضل بها .

وإذا كان حقا علينا أن نذكر هؤلاء السادة الذين يعملون على حياة هذه المجلة فان حقا آخر علينا أن نذكر قوماً آخرين من الذين يعملون على قتلها من حيث لا يشعرون وأولئك هم الذين يتأخرون بدفع بدل الاشتراك الزهيد بعد مكاتبتهم وتذكيرهم السبع والثماني مرات فلا هم يدفعون ولا هم يعتذرون ولاهم يجيبون فيحملون الادارة بمصاريف المكاتبه مع بدل الاشتراك المتأخر ضعفا على ابالة وليست هذه الابالات ذوات الاضغاث بالشيء القليل الذي يتحملة كاهل الادارة على ضعفها بل هي بمجاوزتها للمائتين قد صارت عبئا ثقيلا لا تنوء به الادارة الا بجهد جهيد .

لقد كنا - لولا هؤلاء السادة المتأخرين - عازمين على زيادة توسعة وتحسين في نطاق المجلة ووضعها . ولكنهم تأخروا فتأخرنا ، وعسى الله أن يجعل بعد العسر يسرا وبعد الشح سخاءا وبعد الإهمال اعتناء فنبلغ بهذه المجلة حيث تأمله لها من رقي في خدمة الدين والعلم والوطن . والله يسدد خطى الأمة - ونحن في جملتها - الى ما فيه سعادتنا وفلاحها في الدنيا والآخرة بلطف منه وتيسيره انه اللطيف الخبير^(١) .

(١) ش : ج ١٢ م ٦ غرة شعبان ١٣٤٩ هـ - جانفي ١٩٣٠ م

تنبیه

ما ينشر في باب رسائل ومقالات هو على عهدة كاتبه فمن رأى فيه ما لا يوافق عليه فليباحث فيه صاحبه وباب المباحة والمناظرة في المجلة مفتوح لهما . لا تقول هذا تبريا من كتابنا أو فرارا من مسؤولياتهم وانما نقوله :

أولا - لثقتنا بكفائتهم في تحمل مسؤولية كتاباتهم والجواب عن أنفسهم بالعلم والادب والانصاف .

ثانيا - لفتح مجال البحث والمناقشة العلمية النزيهة بين الكتاب فنعم المشهد للذهن والمظهر للحقيقة هي :

دعانا الى كتابة هذا ان بعض الناس اندهش مما كتبه صاحب مناظرة المصلح والمحافظ في مسألة الافعال النبوية ، ومسألة تقسيم البدعة ، ومسألة لزوم الحق لجانب الكثرة وعوض أن يوجه بحثه وسؤاله الى كاتب المناظرة وجهه الى صاحب « الشهاب » الذي وقف اسمه كالشجا في حلقه فلم يستطع أن يذكره . وصاحب « الشهاب » يرد لو ان هذا الباحث يوفق الى الاتيان الى قسنطينة فيفيده هذه المسائل من كتبها بدلائلها وأقوال الأئمة فيها ويعتقد انه لو وفق الى هذه السفارة لحمد غب سراه وعدها من خير أيامه ويعيذه بالله من أن ينفخ الشيطان في أوداجه فينكبر عن الرحلة للعلم وتحصيله . وأما الجواب في الصحيفة فانه يدعه لصاحب المناظرة لانه يرى ان الجواب على بحث يتعلق بمناظرته تعد عليه خارج عن سياق الادب .

والأمر المهم أكثر من هذا كله الذي يجب علي أن أنبهك عليه

آثار ابن باديس

ويحرم علي اقرارك عليه هو كذبك وافتراؤك - والله يغفر لك ان تبت -
في الحديث الشريف فانك قلت هكذا بالحرف : « وأخرج البخاري
ومسلم عن ابي هريرة : ان أمتي لم تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم
اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم » وهذا المتن لا وجود له في البخاري
ولا في مسلم البتة . فبأي شيء نسمي صنعك هذا وجرأتك عليه ومن
كان قدوتك فيه أنت الذي سميت نفسك في امضائك (أحد
كتاب أهل السنة) ترتكب هذا الافتراء على السنة أهكذا كتاب السنة
يكونون ؟ أهذا هو القدر الذي عندك من السنة التي أضفت نفسك اليها؟

هداك الله أيها الاخ وعرفك قدرك ورزقك احترام السنة التي
ألصقت نفسك بها ثم بعد ما نبهتك فهل تعترف بالحق وتشره حيث
نشرت الباطل ؟ أم تسكت أنت الآخر . ويخفق الكبر عن لفظ الحقيقة
نصيحتي لك أيها الاخ ولامثالك أن تقرأوا العلم وتلتزموا الصدق
وتتقدموا حينئذ للعمل فاما هذا الخبط وهذا الكذب وهذا التجري
فشيء نعوذ بالله منه ، ونسأل الله أن يقينا والمسلمين شر غائلته
وسوء عاقبته (١) .



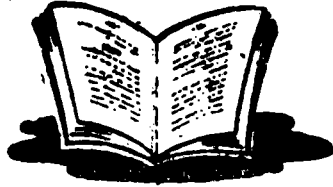
(١) ش : ج ١٢ ، م ٨ ، ص ٦٢٣ - ٦٢٤
غرة شعبان ١٣٥١ هـ - ديسمبر ١٩٣٢ م .

فاتحة المجلد التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم

يخطو الشهاب خطوته التاسعة ، نحو غايته الشريفة السامية ، بقدم ثابتة - ان شاء الله تعالى - وأمل كبير يذكر أنصاره ومؤازريه ، بالثناء الجميل ويرجو لهم ولغيرهم كل خير يدعو في مستقبله كما دعا في ماضيه - الى الله ، بكتاب الله وسنة رسول الله مهتديا - ان شاء الله - هدى السلف الصالحين والائمة الهادين المهديين ويعرض للمسائل الجزائية في حق ونزاهة وشيء كثير من الرفق واللين ، داعيا الى المساواة بين جميع المتساكين ، داعيا الى التعارف والتقارب والتفاهم بين سكان الجزائر اجمعين ، داعيا الى حفظ النظام ، ومراعاة الجوار واحترام القوانين سائلا من الله تعالى العون والتوفيق للعمل الخالص المثمر النافع للجميع^(١) .



(١) غرة رمضان ١٣٥١ هـ جانفي ١٩٣٣ م ، الجزء ١ ، المجلد ٩ ص ١

مجلة الشهاب والحركة الإصلاحية

الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على خير انبيائه
وعلى آله واصحابه وأزواجه وابنائهم

وبعد فان مجلة (الشهاب) تفخر بانها انشئت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها وانها هاجمت البدع في معاقبتها وواثبت الخرافات في أيام عزها واشتدادها ، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترجف الأفئدة ، ولم يكتب لها قلم في ميدان من الميادين التي تنعقد فيها اللسنة وتجبل القرائح .

وهي اليوم تعلن فخرها واعتباطها بما وصلت اليه الحركة الإصلاحية من نتائج اتسع مداها وطبق الخائقين صداها ، مكتفية من الجزاء بهذه الغاية ومن الآيات على اثمار عملها بهذه الآية وقد كان من الاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذه السنة ما اقام على ما ادعيناه الدليل - وقطع على المكابرين السبيل ، وعلى ذلك فمجلة الشهاب تعد من المساهمة لجمعية العلماء المسلمين الى الابتهاج بالنتائج الصالحة التي تجلت في اجتماعها الاخير ، ان تتقدم الى قرائها بهذا العدد خاصا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومخلدا لوصف ذلك الاجتماع الرهيب ، وما قيل فيه كما تقدمت اليهم بالعدد الذي قبله خاصا بالطلبة تنشيطا لهم وتقوية لعزائمهم واستفزازا لهمم لاعانتهم في جهادهم العلمي (١) .

(١) ش : ج ٩ ، م ١٠ ، ص ٣٧٠

غرة جمادى الاولى ١٣٥٣ هـ - ١٢ اوت ١٩٣٤ م .

بعد عقد من السنين

في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف برزت جريدة « المنتقد » تحمل فكرة الاصلاح الديني بتتزيه الاسلام عما أحدثه فيه المتدعون وحرفه الجاهلون . وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون معلنة ان المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم وينبعثون عن قوة وبصيرة في الاخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة . مشاركين للأمم الدنيا في خدمة الانسانية وترقية وتوسيع العمران ، سالمين مما تشكو منه أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والانانية وتفشت فيها امراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل .

برزت جريدة (المنتقد) تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين الى حقيقة وضعيتهم بين الامم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم . وأنهم الى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد ومدنية راقية وحكومة منظمة وان عليهم ان يراعوا هذا كله في حياتهم فيحترموا قوميتهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم والامة التي هم مرتبطون بها والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها .

ثم ماكاد يبرز العدد الثاني منها حتى ظهر في الجزائر كتاب لم يجدوا مجالاً لأقلامهم قبلها فانضموا الى تحريرها وأوجدوا بهيتهم أول حزب المصلحين .

مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل

بعد ما برز منها (١٨) ثمانية عشر عددا كانت في بيان النهضة ثمانية عشر سندا . صدرت جريدة (الشهاب) اثر تعطيل المنتقد على مبادئه وخطته فلاقت مالاقت في سيلهما من العناء والبلاء فثبتت وصبرت وصابرت وثابرت على العمل تشتد مرة وتلين أخرى وصدمتها في سنتها الرابعة ازمة مالية كادت تقضي عليها فصدرت مجلة شهرية فوق ما كانت يوم ذلك تستطيع قوتها ثم تدرجت حسب تيسير الله حتى تمت اليوم العقد الاول من حياتها .

فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بايمانهم ومؤازرتهم واذا كان لها اثر فيما دعت اليه من اصلاح وما أعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الامة . فالفضل في ذلك لله ثم لهم واذا كان من شيء وراء ذلك الاثر تغتبط به فهو - اولاً - انها كانت تقصد الصواب عن نظر وصدق واخلاص فاذا ظهر لها خطأ رجعت وأعلنت عن خطئها واعترفت به . كان هذا بضع مرات مع أصحابها وخصومها و - ثانياً - أنها ماخطت حرفاً الا بوحى ضميرها واقتناع منها لا بوحى ناحية ولا لارضاءها وما انققت فلساً الا من مالها وكيسها لا من مال ذى غاية ولا من كيس آية هيئة .

وها هي اليوم تخطو الى العقد الثاني من عمرها على خطتها ومبدئها مستعينة بالله مشكلة عليه معتزدة برجالها وانصارها العاملين الصادقين، والله ولي الجميع (١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١١٦ ، ص ١ - ٣
محرم ١٣٤٥ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

ثناء كرام

(لا يجوز ان نعمل للثناء ، ولكن الثناء الذي يأتي عفوا من أهل الصدق والخبرة يسرنا ، اذ نشعرنا بأن معنا في طريق العمل من يرانا ويسمعنا ويتبع اعمالنا ، فيدعوننا ذلك الى الجد في العمل والاتقان ، وشدة التوقى للخطأ والزلل ، على ان ما يقال في المجلة ليس خاصا بفرد ولكنه يصيب كل المشاركين في النهوض بها . وعلى هذا الذي قلنا رأينا نشر ما قالته بعض الرصيفات الكريمات في هذه المجلة شاكرين للرفساء الفضلاء عطفهم وتشجيعهم) •



ما جاء في « البلاغ » الدائع

نفحة من الجزائر :

وصل الى يدي عدد من مجلة الشهاب ، وهو العدد الخاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهو عدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر ومن ادق ما فيه ما قرأته من اصرار العلماء هناك على التفاء عظاتهم باللغة الفصيحة ، واحتجاجهم بان البلاغة تلقن عن طريق السماع كما تكتسب بالدرس ، ومعنى ذلك ان العامة يكتسبون الذوق الادبي بفضل الاكثار من سماع الكلام الفصيح ، كما يكتسبه المتعلمون بكثرة الاطلاع على الكلام الفصيح •

ذلك يقع في الجزائر ، والعامية هناك بعيدة بعدا شديدا من اللغة

الفصيحة ، فليعرف ذلك الواعظون في مصر ، وعامية اهل هذه البلاد
قريبة كل القرب من الكلام المعرب الفصيح .

وفي ذلك العدد من الشهاب قصائد تدل على ان هناك نهضة شعرية
منها هذه الانشودة التي ألقاها الاستاذ أبو اليقظان :

أهزار الروض غرد	بنشيد الوطنية
أحمام الأيك غن	بحياة العربية
بلبل الدوح تنغم	لي بألحان شجية
فوق لبات الفصون	اهد للجمع التحية

وهي انشودة طويلة ، ومنها قصيدة الاستاذ الهادي السنوسي في
خطاب اعضاء الجمعية :

حياك شعبك اقليما وسكانا	يا هيئة قد زكت علما وعرفانا
ادركت من روحه الطهرى حشاشته	من بعد ما قيل حين الشعب قدحانا
شعب اضاع كثيرا من مفاخره	لولاك اصبح في الايام نسيانا

وحرص اهل الجزائر على اللغة العربية هو من اظهر ما هم عليه من
الشهامة والرجولة والاباء . فاليهم ، على بعد الدار ، أطيبت التحيات .
- زكي مبارك -



ما جاء في « القلم » البليغ

وصلنا عدد خاص من مجلة الشهاب الغراء التي تصدر في قسنطينة
بالجزائر وقد زين العدد المذكور بصور طلبة صديقنا الاستاذ الفاضل
الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد تصدر حضرته الصورة الاولى من
من تلك الصور فاذا بنا نرى جلالا ومهابة في وجه الشيخ ذي الأيادي

اليضاء على العلم واللغة في تلك البلاد المنكودة الحفظ التي لولا حضرة الشيخ وأمثاله لامت اللغة العربية في الجزائر لا محالة .
فالى حضرة الشيخ الفاضل الكريم تحيتنا القلبية وتمنياتنا الطيبة .



ما جاء في « الزهرة » الزاهرة

الشهاب النير

في عقده الثاني الحفيل

استقبلت رصيفتنا « الشهاب » الزاهرة التي تصدر عن قسنطينة من القطر الجزائري الشقيق عامها الحادي عشر او عقدها الثاني بعدد حافل بالمواضيع المهمة والبحوث المفيدة في تحرير نفيس واسلوب ممتع كثيرا ما الف لها ولحضرات السادة محرريها وبالمقدمة حضرة العالم الجليل صديقنا الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفي الصميم .

والعدد على ورق صقيل في ٦٤ صفحة متقن الطبع جميع التنسيق طيه صور شمسية للاستاذ ابن باديس تمثله مسكاً لمصحف ايماء لطيفة الى لزوم التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه الحكيمه وتتقدم ذلك كلمة المجلة وما تضمنته : (فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بايمانهم ومؤازرتهم واذا كان لها اثر فيما دعت اليه من اصلاح وما اعلنته وخدمته من حقيقة وضية هذه الامة فالفضل في ذلك لله ثم لهم) .

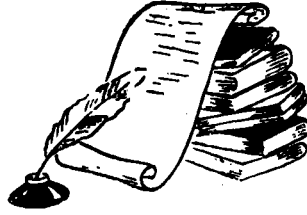
تهنئة حارة للزميلة فيما توفقت لانتهاجه نحو اشاعة الاسلام وبث تعاليمه وما غنمته الجزائر بآثارها البارزة في ميادين العرفان المنبثقة عن اشعة ذلك (الشهاب النير ومشكاته الوضيئة وفي الوقت تؤمل له مزيد التقدم واطراد الرواج حتى يشر الامل المرغوب) .



ما جاء في « الزهو » العنبة

مجلة « الشهاب » الفراء

استأنفت الصدور هذه المجلة الراقية بعد ان ادخلت عليها ادارتها تحسينات جمة وترقيات صيرتها من ارقى المجلات في العالم العربي وقد قررت طبع هدايا مع كل عدد بمناسبة دخولها لعامها (١١) لاشهر مشاهير القطر الشقيق الجزائري وجاء فعلا مع الجزء المتحدث عنه رسم جميل للاستاذ العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس تحرير (الشهاب) فنهني الزميلة الكريمة بعامها ونرجو لها طول العمر وعظيم الرواج والانتشار في كافة الاقطار (١) .



(١) ش: ج ٢، م ١١، ص ١٠٣ - ١٠٦
غرة صفر ١٣٥٤ هـ - ماي ١٩٣٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم فاتحة العام الثاني من العقد الثاني

على اسم الله نخطو هذه الخطوة نحو الغاية التي نعمل اليها من ترقية المسلم الجزائري في حدود اسلاميته التي هي حدود الكمال الانساني ، وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في حقل العمران البشري .

وليس ما ندعو اليه ونسير على مبادئه من الاصلاح بالامر يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه ، كلا ، فان صحة العقيدة ، واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل - وهذا هو الاصلاح كله - مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الانسان . وانما نذكر المسلم الجزائري لانه هو الذي قدر ان يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كلة والكل من جزئه فحاجته اشد وحقه اوجب ، فكان المقصود بالقصد الأول . على انه لم يذكر لتخصيصه وانما ذكر ليشعر بنفسه فيعمل لاسلامه وجزائريته فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجموع .

عمل الماضي :

ونحن - بحمد الله - ما عزمنا على مد خطوة الى الامام والتفتنا الى ما كان من اثر سيرنا وما مضى من خطواتنا - الا وجدنا ذلك الشعور قد نما وألفينا العمل بمقتضاه قد زاد . وها نحن نعرض صورة السنة الماضية لترى فيها مصداق ما قلناه :

التعليم :

ولا ادل على وجود روح الحياة في الامة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم : التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الأمم . وقد تأسست في السنة الماضية جمعيات وفتحت مكاتب وتأسست نوادي ونهض المصلحون في العاصمة بابي النوادي كلها ، نادي الترقى ، نهضة جديدة اصلاحية خالصة . وطلبت عدة جهات معلمين للمساجد غير الحكومية واشترت بتلمسان وقسنطينة وميلة دور للتعليم وتزايد عدد الوافدين من الطلاب على الجامع الاخضر وعلى جامع الزيتونة وعلى الجهات التي فيها دروس منتظمة .

وهذا والمساجد ما تزال مغلقة في وجوه العلماء ورخص التعليم الحر ما تزال غير معطاة لهم ولولا ذلك لكانت النهضة العلمية اكثر بكثير مما كانت .

الاصلاح :

بقدر ما كان تمسك الامة باسباب العلم كان رفضها للجمود والخبود والخرافات والاضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال حتى اصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو الى الاصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي واصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها .

ومن اجمل مظاهر انتشار الاصلاح وانتصاره ان خصومه بعد ما كانوا يقاومون ما يدعو اليه من نشر التعليم بالعرقلة والتزهد أصبحوا لا يستطيعون ان يظهروا للامة الا بمظهر المعلمين . فهم لأجل

فاتحة العام الثاني من العقد الثاني

حفظ مراكزهم اليوم مضطرون لتأييد العلم - ولو ظاهرا - العلم الذي يقضي عليهم في المستقبل باذن الله .

نعم هنالك طائفة من المنتسبين للعلم ومن طلبة القرآن معروفون عندنا باسمائهم يتسترون باسم العلم والقرآن ، ويثون في الناس ما يتبرأ منه العلم والقرآن ولعل هذه السنة تكون سنتهم فيستزلهم المصلحون للميدان ليعرفوا الحق فيكونوا من انصاره او يكابروا فيه فيعرفهم الناس فيحذروهم ويتقوا شرهم .

امل المستقبل :

اذا نظرنا في عمل الماضي الذي قدمنا انبعث فينا الرجاء والامل فيما نستقبل ، وأصدق الامل ما انبنى على عمل ، فننقدم - باذن الله - للعمل في سبيل ترقية المسلم الجزائري داعين الى العدل والاحسان والالفة والرحمة بين جميع المتساكنين بهذا القطر والى التفاهم والتعاون على ما فيه هناء وسعادة الجميع^(١) .



(١) ش : ج ١ ، م ١٢ ، ص ١ - ٤
غرة محرم ١٣٥٥ هـ - ابريل ١٩٣٦ م .

فاتحة السنة (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على محمد وآله وسلم

بهذا الجزء نستفتح السنة الثالثة عشرة من سنوات هذه المجلة ،
حامدين الله تعالى على ما يسر من عمل للإسلام والجزائر ، شاكرين لكل
من اعان على هذه الخطوات في هذه السبيل .

وسنخطو هذه الخطوة - ان شاء الله تعالى - على ما عرفه الناس
من مبدئنا في الاصلاح الديني من ناحية العقائد والاخلاق والافكار
والاعمال ، تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما . كل ذلك في دائرة
الاسلام كما نزل به القرآن وبينته السنة ومضى عليه - علما وعملا -
السلف الصالح من هذه الامة . وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الاصلاح
السياسي ، وهو المحافظة التامة على جميع مقوماتنا ومميزاتنا كأمة لها
مقوماتها ومميزاتها ، والمطالبة بجميع حقوقنا السياسية والاجتماعية
لجميع طبقاتنا دون الرضى بأي تنقيص او أي تمييز كما قمنا بما اوجب
علينا . والتعاون على هذين الاساسين مع كل احد من أي جنس وأي
دين مد يدك للتعاون معنا .

وقد بلغنا - والحمد لله - من النجاح في الاصلاح الديني ان
اصبح الذين كانوا يعارضوننا لا يستطيعون أن يروجوا لأنفسهم الا باسم
العلم والكتاب والسنة . وفقهم الله الى ما يصدقهم . وبلغنا - والحمد
لله - من النجاح في الاصلاح السياسي ان اصبح امر المحافظة على
شخصيتنا امرا اجماعيا حتى ممن كان لا يباليه او لا يشعر به ، ومعترفا
به - رسميا - شيئا ضروريا في كل برنامج يوضح للجزائر .

هذا واذا كان شيء يؤلمنا حقا ويوجب شكوانا لمن يهمهم بقاء هذه
المجلة - فهو تأخر نحو شطر المشتركين عن اداء اشتراكهم أكثر من سنة
مع علمهم بأن هذه المجلة لا مورد لها الا منهم فقط ، وقد عزمنا على
قطعها - مع الاسف - عن جميع المتخلفين الا المعتذرين .

والى هذا فنحن نجدد شكرنا لاولئك الذين وازرونا - ماديا
وادبيا - حتى امكننا - باذن الله - البقاء الى اليوم . واننا عندما نشعر
بثقتنا بالله ثم بهم نجد في انفسنا القوة التي تندفع بها الى الامام في
جميع الاعمال . والله المستعان ، وعليه التكلان^(١) .



بيان واعتذار

وردت علينا رسائل من قراء الشهاب الافاضل المعتنين بجمع مجلداته طالبين للاجزاء المتأخرة فوجب علينا أن نبين ما صدر من الاجزاء في المجلد الرابع عشر .

صدر الاول في ١٩ صفر ١٣٥٧

صدر الثاني في ٢٨ ربيع الاول ٥٧

صدر الثالث في ٧ جمادى الاولى ٥٧

صدر الرابع والخامس خصصا لما قيل وما كتب بمناسبة ختم التفسير وقد تم طبعه وهو الآن بين يدي الاستاذ الابراهيمي للمراجعة .

وصدر الجزء السادس في ٥ رجب ٥٧

وصدر الجزء السابع في ١٧ شعبان ٥٧

وصدر الجزء الثامن في ١٩ رمضان ٥٧

وصدر الجزء التاسع في ٨ ذي القعدة ٥٧

وبه أنهينا المجلد الرابع عشر ودخلنا المجلد الخامس عشر عازمين على اصدار كل جزء في وقته وستكون أجزاءه عامرة - ان شاء الله - تعوض على القراء وترضي ضميرنا بما لهم من الحق غلينا^(١) .

(١) ش : ج ٩ ، م ١٤ ، ص ١٧٤

غرة رمضان ١٣٥٧ هـ - نوفمبر ١٩٣٨ م .

فاتحة السنة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بحمد الله وتوفيقه واعانتته ثم بشكر المشتركين بقولهم أو مالهم وتأيدهم - نخطو خطوة جديدة بهذه المجلة في ميدان الحياة ، على ما عرفه القراء منا من صراحة في الرأي ، وصلابة في الحق ، ورغبة في الخير نعمل لصالح الامة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح فنتمسك الامة باسلامها وعروبته وتحافظ على قوميتها وتاريخها وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة ، وتعمل مع كل عامل لخير البشرية وسعادة الانسان .

على هذه الأصول وفروعها مضت الثلاث عشرة سنة من حياة هذه المجلة وقد شاهدت من آثار تلك الاصول في الامة - بحمد الله - ما زادها ايماناً بهذه الاصول وفروعها وثباتاً فيها وصبراً على ما تلقاه في سبيلها . ولأجل أن يشاركنا الجدد من قرائنا في هذا الايمان نعرض شيئاً من تلك الآثار نقتطفها من الماضي بنظرة مختصرة .

الشباب :

أعلن « الشباب » من أول يومه - و « المنتقد » الشهيد قبله - انه « لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري » ولم يكن يوم ذاك من شباب الا شباب أنساء التعليم الاستعماري لفته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء - الا منه - أمله ، وحقره في نفسه تحقيراً ، والا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه الا آلة متحركة في ذلك العمل

لا هم له من ورائه في نفسه فضلاً عن شعوره بأمر عام . والا شباب حفظه الله للاسلام والعروبة فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ، ولا يآلم بحاضر ، ولا يطمح لمستقبل اللهم الا أفراداً قلائل جداً هنا وهناك .

أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة والشبان ولا تجد شاباً - الا نادراً - الا وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع : الاسلام ، العروبة ، الجزائر .

الوطن :

وأعلن (الشهاب) من أول يومه - و (المنتقد) الشهيد من قبله - ان (الوطن قبل كل شيء) وما كانت هذه اللفظة يومئذ تجزي على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعي العام لجهل أكثر الأمة بمعناها هذا وعدم الشعور به ، ولخوف أقلها من التصريح به . أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها وعرفت هذه القطعة من الارض التي خلقها الله منها ومنحها لها ، وانها هي ربته وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها ، سواء اعترف لها به من اعترف أم جحد من جحد ، وأصبحت كلمة (الوطن) اذا رنت في الآذان حركت أوتار القلوب ، وهزت النفس هزاً .

فرنسا :

أعلن (الشهاب) من أول يومه - و (المنتقد) الشهيد من قبله - انه (يعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرانس الديمقراطية) فصور بكلمته هذه الحقيقة الواقعة عارية من براقش الخيال وحجب التليس والتضليل ، فوضع الأمة الجزائرية بازاء الأمة الفرنسية ، إذ كل منهما لها ذاتيتها ومقوماتها ومميزاتها العقلية والعقلية والنفسية

والتاريخية ، التي يستحيل معها أن تندمج في امة اخرى ، وضعها بازائها على انها تابعة لها مرتبطة بها محتاجة الى مساعدتها .

على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجنس والاندماج وناضل عن الشخصية الاسلامية غير مبال بما يعترضه من غلاة الاستعمار اكلة الامم ، ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس ، ولا من صنعايم خربي الذمم ، حتى أصبحت الامة اليوم وهي مجمعة بجميع طبقاتها على لزوم المحافظة على شخصيتها وعدم التنازل عن شيء منها ولو حرمت كل حق بيد الظلم والعدوان ، مع بقائها على فكرة الارتباط بفرنسا ومطالبتها بانصافها قبل أن تنصفها الايام وقبل أن تحل نقمة الله الذي جرت سنته بالانتقام من الظالم للمظلوم ولو طال الزمان .

الادارة :

عاني (الشهاب) من الادارة بسبب صراحته وجرأته ما عانى ، ولكنه صبر حتى ألفت الادارة تلك الصراحة وتلك الجرأة ، وقد عرفتھا الايام ان صراحة (الشهاب) صراحة الحق والصدق وان لا غرض وراءها الا خدمة الصالح العام ، وان جرأته جرأة الواثق بصدق قوله وحسن قصده لا المغتر بنفسه ولا المستهين بمقام غيره ، وهي اليوم تعني بالشهاب عناية خاصة ، وتتولاه أقلام للترجمة عديدة ، أعلاها قلم الاستاذ ماسينيون في وزارة الداخلية ، وقد اشترك فيه م سارو لما انيطت به ادارة افريقيا الشمالية ونحن نعلم انه يعتبر في الدوائر الحكومية المعبر الحقيقي عن الجزائر العربية المسلمة ، الذي لا يشبهه عن تصوير الحقيقة خوف ولا طمع ، ولا يحجبها عنه غرض ، ولا يبعده عنها خيال . وان (الشهاب) ليغتنب بهذا ويرجو من الله تعالى أن يثبت عليه حتى يخدم أمته من هذه الناحية لدى الحكومة ويكون اداة تعريف صحيح وواسطة خير للجميع .

الامة :

برغم ما في الامة الجزائرية من اصول الحيوية القومية ، فقد عركنها البلايا والمحن حتى استخذت وذلت ، وسكتت على الضيم ، ورئمت للهوان ، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة - فقد عملت فيها يد الطريقة المحركة تفريقاً وتشتيتاً ، حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع ، تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هنالك بسلطان القوة على الابدان ، أو شيطان الدجل على العقول والقلوب .

أما اليوم فقد نفضت الامة عن رأسها غبار الذل وأخذت تنازل وتناضل ، وتدافع وتعارض ، وشعرت بوحدتها فأخذت تطرح تلك الفوارق الباطلة ، وتتحدى بحل الاخوة الحقبة ، وتنضوي أفواجاً أفواجاً تحت راية الاسلام والعروبة والجزائر .

العلماء :

كان الذين يتسمون بالعلم - الاقليلا - بين جامد خرافي تستخدمه الطريقة وما يحرك الطريقة في التخدير والتضليل ، وقد لا يدري المسكين ما يدس به للامة من كيد ، وحاذق دنيوي قد غلبه الوظيف واستولى حبه على قلبه فأنساه نفسه وأنساه ذكر الله . وكان العلماء الأحرار المفكرون - على قلتهم - مغمورين مشتتين ، فلما برز (المنتقد) الشهيد ف (الشهاب) هب اولئك العلماء الاحرار المفكرون للعمل ، وتكونت النواة الاولى لجمعية العلماء ، وأصبح اليوم اسم العلماء يحمل في أثنائه كل معاني الجد والتضحية في سبيل الحياة الحقيقية دنيا وأخرى .

النواب :

مجلدات (الشهاب) الماضية سجل يحفظ اسم كل نائب وقف موقفاً مشرفاً ، يطلب حقاً أو يدافع باطلاً ف (الشهاب) ينوه بكل عامل

ويشيد بذكره ويهيب دائماً بلزوم المحافظة على شخصية الامة وعدم التساهل في شيء منها والمصارحة في كل موقف بأنها أمة لها لغتها ولها دينها ولقد كان من يرى السكوت عن هذه الناحية أقرب للمجاملة ، وكان من يرى التسامح فيها والمساهلة ، وكان من يصارح ويتصلب في هذه الناحية وان تساهل في ناحية أخرى .

أما اليوم فقد أصبحت الامة ولا يستطيع أحد أن يتقدم للنيابة عنها الا اذا أقنعها بالمحافظة على شخصيتها والدفاع عن دينها ولغتها .

واننا لنغضب جد الاغتياب أن نرى نواب الامة - الا قليلا - قد أخذوا يشعرون بما عليهم من المسؤولية في الدفاع عن الاسلام والعربية ، وأن نسمعهم - وقد سمعنا بعضهم - يرصعون خطبهم العامة بكلمات : اسلام ، عربية ، تاريخ ، وطن ، أمة وانا لندرجو أن تكون لهم مواقف في هذه الناحية كما كانت لهم مواقف في النواحي الاخرى هذه الناحية في نظر الامة ، وفي الواقع أجل وأعز منها .

المصلحون :

ليس المصلحون جزيا - وربما يكونونه يوماً من الايام - وانما هم العاملون على الاصول التي ذكرناها آنفاً ، وتحديثنا عن آثارها . كانوا يوم رفع (الشهاب) وقبله (المنتقد) الشهيد دعوة الاصلاح قليلا ، وهم اليوم لا يأخذهم العدو لا تخلو بقعة من نواحي القطر منهم ، قد ملأوه من أقصاه الى أقصاه ، وقد تجلت قوتهم في الانتخابات الكثيرة بعمالة قسنطينة وعمالة وهران وهم لم ينتظموا انتظام الاحزاب فكيف لو انتظموا ؟

الطرقية :

كان الناس كأنهم لا يرون الاسلام الا الطرقية ، وقد زاد ضلالهم

ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الاصلاح في (المنتقد) و (الشهاب) حسب الناس ان هدم تلك الاضاليل التي طال عليها الزمان ، ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان ، محال . ولقد صمد (الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل أوهام ، وعلى الاسلام من زور وتحريف وتشويه ، الى ما صرفت من الامة عن خالقها بما نصبت من أنصاب ، وشتت من كلمتها ، بما اختلقت من القاب ، وقتلت من عزتها ، بما اصطنعت من ارهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهي اليوم معروفة عند أكثر الامة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها . . . اذا دعاها داعي السلطان لت خاضعة مندفعة ، واذا دعاها داعي الامة ولت على أعقابها مدبرة . ومن نكاية الله بها ان جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممن توالتهم من دون الامة مددها بما لها من مزايا عليه .

لا يهمننا اليوم ان تجهز على الجريح المثخن الذي لم يبق منه الا ذماء ، وانما يهمننا أن نبين موقفنا مع البقية من شيوخها ونسمعهم صريح كلمتنا .

حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها - علم الله - من بلاء على الامة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على أن نترك أمرها للامة هي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته اليها لنعمل معاً في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي : أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم ، فكل طريقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام . وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة وكل طريقي - أو غير طريقي - يكون اذا سماعه ، وآلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب الى الله .

قد نبذنا اليكم على سواء . . . « إن الله لا يحب الخائنين » .
هذا عرض سريع لصور من الماضي والحاضر ، لنواح عديدة من
الامة والوطن وما يتصل بهما ، يبين ما كان من تأثير تلك الاصول
الاسلامية التي تمسك بها « الشهاب » فيها . فالله نرجو أن يشتنا على
الحق ويعيننا على الصدع به ، وصدق تنفيذه ، وحسن تبليغه ، حتى
يلفح المسلمون كل خير وسعادة وكمال (١) .

عبد الحميد بن باديس



(١) ش : ج ٢ ، م ١٤ ، ص ١ - ٧
غرة محرم ١٣٥٧ هـ - مارس ١٩٣٨ م .

فاتحة السنة الخامسة عشرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على الرسول وآله .
وهذه أول خطوة نخطوها - ان شاء الله تعالى - الى العام الخامس
عشر من حياة هذه المجلة حامدين الله على عونه وتوفيقه وتيسيره ،
شاكرين لاسرة المجلة - من مشتركها ومحريها وطابعيها وناشريها -
أعمالهم التي هي أعمال في سبيل الاسلام والعروبة والجزائر ، ذاكرين
كل ذي خير بكل خير .

هذا واننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه
فينا من صدق وصراحة وقصد للخير ، غير متملقين لأحد ولا متحاملين
عليه ، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوماتنا الكريمة مما به
كنا ، وبه بقينا ، وبه نكون ، دون تفريق في العدل والاحسان بين
الأجناس والأديان .

والمجد للاسلام والعروبة والجزائر ، والسعادة للعاملين من الأفراد
والامم لخير الانسان^(١) .

(١) ش : ج ١ ، م ١٥ ، ص ١
غرة محرم ١٣٥٨ هـ - فيفري ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الصلاة على النبي

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

— ١ —

تمهيد ، مكانتها ، ثمرتها . القسم العلمي ، معناها لفة ، معناها شرعا ، مزية لفظها ، من تكون منه ، من تكون عليه ، نفي الاشتراك عنها ، تفسيرها باللازم .

تمهيد :

الصلاة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من أصول الأذكار في الاسلام ومن أعظمها ، فان الله — تعالى — أمر بها المؤمنين على أبلغ أسلوب في التأكيد ، وأكمل وجه في الترغيب ، وجعلها من الأذكار اليومية المتكررة في الصلوات ، وهي ذكر لساني بتلاوة لفظها ، وقلبي بتدبر معانيها ، ومثمرة لرسوخ الايمان وشدة المحبة وتسام التعظيم له — صلى الله عليه وآله وسلم — المثمرين لاتباعه ، المحصل لمحبة الله عبده ، وتلك غاية سعادة المخاوق ونهاية كماله « قتلٌ إن كنتم تحببون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم » .

فما يتأكد على كل مسلم أن يكون على شيء من العلم بهذا الكنز العظيم ، وسنأتي من ذلك بما يفتح الله تعالى به في هذا المقال .

القسم العلمي :

الصلاة في لسان العرب قبل الاسلام وردت بمعنى الدعاء ، قال الأعشى :

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيَّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خْتَمٌ
وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَتِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَتِّهَا وَارْتَسَمَ

قال صاحب اللسان : دعا لها أن لا تحمض ولا تفسد .

وقال الأعشى أيضاً :

عَلَيْكَ مِثْلُ الْكَذِبِ صَلَّيْتُ فَاعْتَمِضِي
يَوْمًا فَإِنْ لَجِنَبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا

أي دعوت ، فالدعاء هو معناها اللغوي الأصلي وعليه جاءت كلمات كثيرة في الكتاب والسنة فمنها « وصلوات الرسول » أي دعواته « وصل عليهم » أي ادع لهم وحديث « اذا دعى أحدكم لطعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل » أي فليدع لأرباب الطعام و « الصلوات لله » أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله هو مستحقها لا تليق بأحد سواه كما في « اللسان » .

جاءت هذه الكلمات وأمثالها على المعنى اللغوي الأصلي ، وجاء مثل قوله تعالى « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » وقوله — صلى الله عليه وسلم — « لا صلاة لجار المسجد في غير المسجد » مراداً به عبادة مخصوصة ذات أقوال وأفعال وتروك على هيئة خاصة من جملة أجزائها الدعاء ، ولا شك ان اطلاقها على هذا المعنى انما هو اطلاق شرعي ولكنه غير خارج عن أساليب كلام العرب فانه من باب تسمية الشيء باسم جزئه فاطلاق هذا اللفظ على هذه العبادة المخصوصة حقيقة شرعية مجاز لغوي وليس هذا هو مرادنا هنا وقد كان الظاهر لما كانت بمعنى الدعاء أن تتعدى بالكلام ولكنها تعدت بعلی لما فيها من معنى العطف فصلی عليه يؤدي معنى قولنا : دعا له عاطفاً عليه وهذا هو السر في اختيار لفظها على لفظه لتؤدي

المعنيين : الدعاء والعطف ، وان كان لفظ الدعاء يقتضي عطفاً فذلك بطريق الاستلزام ، وهو دون دلالة التضمن .

تكون هذه الصلاة من المخلوق على المخلوق ومن الخالق على المخلوق . فمن الاول صلاة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — على المؤمنين كما في آيتي سورة التوبة المتقدمتين ومنها قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — « اللهم صل على آل ابي اوفى » فقد دعا لهم وسأل الله تعالى أن يصلي عليهم . وصلاته على نفسه في تشهده في الصلاة ، ومنه صلاة الملائكة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كما في آية الصلاة من سورة الأحزاب ، وصلاتهم على المؤمنين كما في قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ » ويفسر هذه الآية قوله تعالى « وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » وهذا منهم دعاء عام . وقوله تعالى « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » .

وهذا دعاء خاص . وكما في حديث « من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة عشراً » وحديث « اذا صلى احدكم ثم جلس في مصلاه لم تزل الملائكة تصلي عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه » . ومنه صلاة المؤمنين على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وعلى الأنبياء وعلى الملائكة وعلى عامة المؤمنين بطريق التبعية فهي سؤالهم من الله تعالى ودعاؤهم اياه أن يصلي على نبيه ومن ذكر قبل معه فهذه كلها من القسم الاول وهو صلاة المخلوق على المخلوق وكلها لم تخرج عن معنى الدعاء .

وأما القسم الثاني وهو صلاة الخالق على المخلوق فمنها صلته

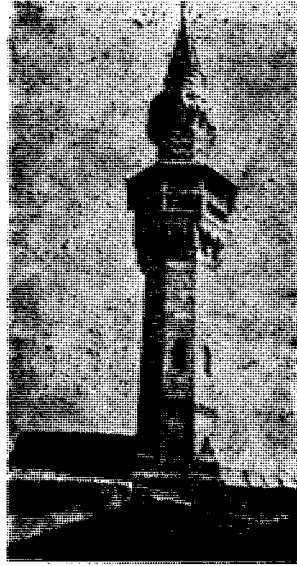
على المؤمنين في قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » • وصلاته على الصابرين في قوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » •

وعلى نبيه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » •

قد تنوعت عبارات العلماء سلفاً وخلفاً في تفسير صلته تعالى على من ذكر من خلقه ففسرت بالرحمة - والجمع في قوله « صَلَوَاتٌ » باعتبار أنواع آثارها ومواقعها وقوله بعدها « وَرَحْمَةٌ » نوع منها خاص - وفسرت بالمغفرة ، وفسرت بثنائه عند ملائكته على المصلي عليه - من باب ذكرته في ملاء خير منه - وفسرت باعطائه واحسانه ، وفسرت بتعظيمه ، ولا خلاف في الحقيقة بين هذه التفسيرات ، فان مغفرته من رحمته وان ثناءه من رحمته وان اعطائه واحسانه من رحمته وان تعظيمه من رحمته • فرجعت كلها الى تفسيرها بالرحمة •

لو قلنا بعد هذا ان الصلاة لها معنيان الدعاء والرحمة لكانت من باب المشترك ، والاشتراك خلاف الاصل فلذا نقول - كما قال جماعة من المحققين - ان الصلاة معناها واحدة وهو الدعاء فاما من المخلوق فبدعائه الخالق وهو ظاهر ، واما من الخالق فبدعائه ذاته لا يصال الغير والنعمة للمصلي عليه على تفاوت المراتب ، ومن لازم هذا رحمته له بالمغفرة والثناء والتعظيم وأنواع العطاء والإحسان • فالذين فسروا الصلاة من الله بالرحمة فسروها باللازم والذين فسروا بغير الرحمة ،

فسروا بمقتضيات ذلك اللازم فلها اذن معنى واحد وهو الدعاء ولكنه
يحمل في كل واحد من الجانبين على ما يليق به (١) .



(١) ش: ج ٥ م ٤٥ ص ١ - ٥٥ .
غرة محرم ١٣٤٨ هـ - جوان ١٩٢٩ م .

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٢ -

تاريخ مشروعيتها ، آية مشروعيتها ، شيء من تفسير الآية .

الصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من اذكار الصلاة ولكنها لم تشرع يوم شرعت الصلاة بمكة بل كانت مشروعيتها بعد بضع سنوات من الهجرة ، وذلك يوم نزلت آية الأمر بها من سورة الأحزاب وهي سورة مدنية ، ففي الترمذي وغيره - عن كعب بن عجرة - : لما نزلت « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ ... الآية » قلنا يارسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة ، فعلمهم حينئذ كيفيتها كما يأتي بيانه .

قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ، هو آية الأمر بالصلاة على أبلغ أسلوب في التأكيد ، وأكمل وجه في الترغيب . فمن التأكيد للأمر التوطئة له بجملتين : الجملة الأسمية المصدرية بحرف التأكيد ، والجملة الفعلية الندائية ، ومن أعظم الترغيب في امتثال هذا الأمر جعل امتثاله اقتداءً بالله وملائكته .

وفي عطف الملائكة عليه تعالى تنبيه على ثمره الامتثال والاقتداء ، وهي نيل أشرف المنازل العليا ، فان الملائكة - عليهم السلام - يامتثالهم أمر ربهم واقتدائهم به - جل اسمه - في الصلاة على أكرم خلقه -

صلى الله عليه وآله وسلم — نالوا شرف اقتران اسمهم باسمه ، وفي هذا ووراءه من الشرف والسعادة ما فيه •

وقوله — تعالى — : « يُّصَلُّونَ » ، على معناه اللغوي والأصلي وهو الدعاء ، غير ان الملائكة يدعون ربهم له — صلى الله عليه وآله وسلم — والله تعالى يدعو نفسه ، والمراد — وتذكر ما قدمنا — لازم ذلك وهو انعامه الخاص الذي يرضاه لآكرم خلقه ، وتقصر عقولنا عن الاحاطة به وقد عبر الناس عنه بعبارات نقلنا بعضها في القسم الاول •

وفي صيغة الفعل المضارع دليل على تجدد هذه الصلاة • فالملائكة — عليهم السلام — لا يفتنون يصلون ويدعون ، والله — تعالى — لا تنقطع انعاماته على النبي الكريم ، وهو — صلى الله عليه وآله وسلم — بتلك الانعامات الربانية لا يزال أبدا مترقيا في درجات الكمال ، ويؤيد هذا عموم قوله تعالى : « وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْاُولَى » • وفي هذا ترغيب للمؤمنين في مداومة الصلاة عليه حسب الجهد والطاقة في الصلاة وغيرها •

وقيل هنا « على النبي » ولم يقل على الرسول • وهو — صلى الله عليه وآله وسلم — نبي ورسول • ذلك لان الرسول هو المبعوث لاداء الرسالة من الخالق الى الخلق فالجانب الاول الاساسي لمعناه يرجع الى معنى التلقي والأخذ عن الذي أرسله ، والنبي هو المخبر المبلغ للرسالة الى الخلق من الخالق ، والجانب الاول الاساسي لمعناه يرجع الى معنى اعلام الخلق وارشادهم وهدايتهم بما جاء به من عند خالقهم • فاختير اسم النبي هنا على اسم الرسول لوجهين •

الاول : التنبيه على انه قام باعباء الرسالة وبلغ الأمانة وتصح الخلق ونفعهم فجازاه الله على هذا العمل العظيم بهذا الجزاء العظيم وكما كان هو — صلى الله عليه وآله وسلم — معلناً بتوحيد الله

الصلاة على النبي

وتسييحه وتقديسه وحمده أمام العالم بأسره ، كذلك أعلن الله فضله ومكاته بصلاته عليه أمام جميع خلقه ، وفي هذا تنبيه للمؤمنين على عظم الجزاء عند عظم العمل ، وعلى اعلائه - تعالى - شأن العاملين على اعلاء كلمته على قدر جهادهم في سبيله واخلاصهم في ابتغاء مرضاته .

الثاني : انه بذلك التبليغ قد جلب للمؤمنين أعظم النفع وأكمل الخير وهو سعادة الايمان في العاجل والآجل . فمن بعض حقه عليهم أن يقوموا - لتعظيمه وتكريمه - بالصلاة عليه . فتكون صلاتهم عليه - وهي سبب أجر عظيم ونفع كبير لهم - كالجزاء لعظيم احسانه ، والاعتراف بجزيل جميله .

فاسم « النبي » بهذين الوجهين ، أنسب بالمقام ، وأدخل في التأكيد والترغيب ولهذا اختير .

وقوله - تعالى - : « وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » أمر ثان معطوف على الأمر الأول فيفيد النسق طلب الجمع بين مدلوليهما في الامتثال . ولذا كره العلماء أفراد الصلاة عن السلام .

وسلم : يأتي بمعنى الاقيااد ويتعدى باللام ، ومنه قوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » . ويأتي بمعنى قال له السلام عليكم ويتعدى بعلی ومنه قوله - تعالى - : « فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلٰى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ » ، ومنه هنا « وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » أي حيوه بتحية الاسلام . وقد ثبت عن الصحابة - رضي الله عنهم - انهم لما سألوه عن كيفية الصلاة،

قالوا له السلام قد علمنا فيمن لهم كيفيتها وقال لهم والسلام كما قد علمتم ، وقد كان علمهم كيفية السلام في التشهد وهي : « السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته » ، كما في حديث ابن مسعود الثابت في الصحيح . وبعد هذا لا يبقى وجه لتجويز حمل التسليم هنا على معنى الاقياد كما زعمه الجصاص وغيره ، ويا لله من الجري وراء الاحتمالات ، والغفلة عن التفسير النبوي الصحيح الثابت المأثور . وقوله تعالى : « تَسْلِيْمًا » مصدر مؤكد ، والتأكيد بالمصدر يكون لرفع احتمال المجاز كما في « قتلته قتلا » دفعا لتوهم المجاز عن الضرب الشديد ، ويكون لتثبيت معنى الفعل من جهة الحدث بيان انه فرد كامل من نوعه لا نقص فيه كما في « أكرمت زيدا اكراما » بمعنى ان الذي كان منك له هو اكرام لا شبهة فيه - والتأكيد هنا من هذا النوع - فان المسلم على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يكمل سلامه الا اذا طابق قلبه ولسانه وجرى على مقتضاها عمله ، فلم تكن منه للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الا السلامة في دينه وكتابه وأمنه ، وهذا هو الذي يقال فيه انه سلم تسليما .

ونظير هذا ما في الآية الأخرى : « وَيَسْأَلُوا تَسْلِيْمًا » فيكون منهم الاقياد التام لحكمه في الظاهر والباطن بلا أدنى شبهة في العقل ولا أدنى حزازة في القلب ولا ادنى توقف في العمل .

فقد أمرنا بالآيتين بالتسليم الكامل بمعنييه ، ليكون هو الغاية التي نرمي اليها ، ونسعى في تحصيلها ، وحتى اذا أخطأنا مرة أصبنا مرات واذا انحرفنا رجعنا الى الجادة من قريب ومن داوم على القصد أعين على الوصول « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » . ومن لازم التوبة أتحف بالقبول ، « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » .

الصلاة على النبي

وفي قول المربي الأكبر ، عليه وآله الصلاة والسلام : « استقيموا ولن
تتحصوا » ، وقوله : « سدّدوا وقاربوا » ، جماع السلوك الاسلامي
كله الى غايات الكمال ، والله المستعان^(١) .



(١) ج ٦ ، م ٥٥ ، ص ١ - ٥
غرة صفر ١٣٤٨ هـ - جولية ١٩٢٩ م .

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٣ -

توقف الصحابة - رضي الله عنهم - ، وجوه توقفهم ، سؤالهم ، اول من سال منهم ، ما يستفاد من هديهم في هذا المقام ، لزوم الاقتداء بهم ، حديث بيان الكيفية ، رواته ، الفاظه ، الجمع بينها ، الاقتصار على الصحيح من الروايات ، كلام الحافظ ابن العربي .

لما سمع الصحابة - رضي الله عنهم - الامر بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من الآية المتقدمة فهموا أنهم أمروا بالدعاء له لان الدعاء هو معنى الصلاة لغة كما قدمنا .

وانما الذي اشكل عليهم هو كيفية هذا الدعاء ، ووجه هذا الاشكال امور :

الاول : - علمهم بكمال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ورفعة مقامه عند ربه ، وجزيل انعامه لديه فلم يدرؤا ما هو النوع الاكمل من الانعام اللائق بمنصبه الرفيع ليدعوا له به .

الثاني : - ان ألفاظ الدعاء كثيرة وصفاتها مختلفة فما هو أنسبها بمقامه الشريف ؟

الثالث : - ان الصلاة عليه - صلى الله عليه وآله وسلم - امر تعبدي والعبادات لا سبيل اليها الا التوقف . واكد لهم هذا ان الصلاة قد قرنت بالسلام وقد تقدم لهم التوقيف في السلام فتوقعوا مثله في الصلاة .

فلما اشكل عليهم الامر طلبوا منه - صلى الله عليه وآله وسلم -
 البيان . ففي الترمذي عن كعب بن عجرة لما نزلت « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ »
 الآية ، قلنا يارسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة ، وقوله « لما »
 يفيد ان سؤالهم كان عند النزول وقوله « قلنا » يفيد ان السؤال كان
 من جميعهم ولو كان السائل المتكلم واحدا فانه يتكلم بلسان الجميع
 لانهم له موافقون . ومثل هذا قول ابي حميد « انهم قالوا يارسول الله
 كيف نصلي عليك » وقول ابي سعيد « قلنا يا رسول الله هذا السلام
 عليك فكيف نصلي » وأول من سأله - فيما أرى - بشير بن سعد
 الانصاري - لانه لما سأله - صلى الله عليه وآله وسلم - كيف نصلي
 عليك « - سكت ثم اجابه بالبيان . والظاهر ان سكوته كان لانتظار
 الوحي اليه فلما اوحى اليه بالبيان ، بين . وجاء البيان متأخرا عن نزول
 الآية واقعا بعد سؤالهم لانه من البيان التفسيري وجائز تأخره على
 الصحيح وهذا من امثله .

وهنا نكت من هدى الصحابة - رضوان الله عليهم - في هذا
 المقام ينبغي التنبه لها والتدبر فيها ، فمنها شدة تعظيمهم للنبي - صلى
 الله عليه وآله وسلم - وتام تحريمهم في اجلال ذكره واحترام كل
 ما يتصل بجنابه . ومنها حرصهم على الاتيان بعين ما يختاره الله لهم
 ويرضاه منهم من اللفظ الاكمل الافضل الذي يتقربون به اليه في تعظيم
 حبيبه ومصطفاه - صلى الله عليه وآله وسلم - . ومنها شدة تحريمهم
 لدينهم بتوقعهم فيما كان عندهم محتملا ولم يقطعوا فيه بشيء . ومنها
 شدة عنايتهم بالعلم ، فبادروا الى طلب البيان ومنها وقوفهم في باب
 العبادة عند حد التوقيف لانه لا مجال فيها للرأي ولا مدخل فيها
 للقياس .

كل هذا من هديهم - رضوان الله عليهم - حق على المسلمين ان
 يتدبروه ويتبعوهم فيه وينظروا في امورهم ما هو منها موافق لهديهم

او قريب منه وما هو مبين له بعيد عنه فلا وربك لا يكون الخير الا في موافقتهم ولا غيره الا في مخالفتهم • وكل امرىء - بعد هذا - بنفسه بصير •

عدنا الى حديث بيان كيفية الصلاة • وتقتصر من متونه على الصحيح الثابت المتفق عليه مما في الموطأ والصحيحين • وقد جاء فيها عن اربعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - •

الاول: أبو حميد الساعدي عند الثلاثة والشيخان خرجاه عنه من طريق مالك ، قال - رضي الله عنه - « انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال : قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » وفي رواية مسلم « وعلى أزواجه » بزيادة « على » في الموضعين •

الثاني: أبو مسعود الأنصاري في الموطأ وصحيح مسلم ومن طريق مالك رواه مسلم قال : « اتانا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد « ابن ثعلبة » امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى تمنينا انه لم يسأله « لأنهم كانوا يكرهون كل ما يرونه انه يكرهه او يشق عليه » ثم قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » • وفي بعض روايات الموطأ « كما صليت على ابراهيم » و « كما باركت على ابراهيم » بدون لفظة « آل » في الموضعين وفي بعضها بدونها في الاول •

الثالث: كعب بن عجرة في الصحيحين قال - رضي الله عنه -

« سألنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » هكذا أخرجه البخاري في احاديث الأنبياء من كتاب بدع الخلق • وخرجه في سورة الأحزاب من كتاب التفسير وفي كتاب الدعوات هكذا : كما صليت على آل ابراهيم » و « كما باركت على آل ابراهيم » بدون « على ابراهيم » في الموضوعين وعلى هذا الوجه خرجه مسلم •

الرابع : - ابو سعيد الخدري عند البخاري في احاديث الانبياء والتفسير قال - رضي الله عنه - : « قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » وفي رواية اخرى للبخاري « كما صليت على آل ابراهيم » بزيادة لفظة « آل » وليس في آخرها وعلى آل ابراهيم •

وهذه المتون الصحيحة كلها قد اتفقت واختلفت اتفقت في عمود الكلام وصلب المعنى ومعظم الكلمات واختلفت في كلمات قليلة • فمنها لفظة « على » كما في حديث ابو حميد وهي كلمة ذكرها كحذفها من جهة المعنى لان حرف العطف مغم عنها فقد تكون في الاصل واسقطها الراوي نسيانا او اختصارا وقد لا تكون وزادها من زادها نسيانا او بيانا ومنها لفظة « الآل » في حديث ابي مسعود فهي ثابتة في رواية من اثبتها وتحتمل السقوط على وجه النسيان في زاوية من اسقطها ويحتمل انه كذلك سمع بدونها وان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مرة ذكرها ومرة حذفها • ومنها زيادة عبدك ورسولك

في حديث ابي سعيد وزايدة في العالمين في حديث ابن مسعود وذكر الأزواج والذرية ، بدون الآل في حديث أبي حميد . والظاهر في هذه ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - تنوع بيانه في المقامات فاختلفت الروايات وهي مختلفة غير متناقضة فتنفيذ المعاني المتغايرة غير المتضاربة . وهي بهذا نظير اختلاف القراءات في صحيح الروايات .

هذا الذي ذكرناه من الروايات هو الصحيح المتفق على صحته وثبوته ووراءها روايات ليست في درجتها رأينا الاكتفاء بالصحيح عنها . وقد قال الامام الحافظ ابن العربي في تفسير سورة الاحزاب من أحكامه ، بعدما ذكر ثمانى روايات - من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم ، وأصحها ما روى مالك « حديث أبي حميد وحديث أبي مسعود فاعتمدوه » . ورواية من روى غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها « غير الرحمة » لا يقوى . وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في اموالهم وهم لا يأخذون في البيع ديثارا معينا وانما يختارون السالم الطيب . كذلك في الدين لا يؤخذ من الروايات عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الا ما صح سنده لثلا يدخل في خبر الكذب على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد أصاب النقص ، بل ربما أصاب الخسران المبين » .

وستكلم على كيفية استعمال هذه الروايات المتقدمة عند الذكر والصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في القسم العملي ، ان شاء الله تعالى وبه المستعان^(١) .

(١) ج ٧ ، م ٥٠٤ ، ص ١ - ٦

غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ - اوت ١٩٢٩ م .

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

— ٤ —

صيغ الصلاة الثابتة ، تفسير الصيغ ، لفظ البركة ، الأزواج ، الذرية ، الآل ، معناه ، اشتقاقه ، موارد استعماله ، توجيه الخلاف في تفسيره ، الراجح منها ، آل ابراهيم ، تفسيره ، دخول ابراهيم فيه ، توجيه ذلك .

قد حصل لنا مما تقدم في روايات حديث بيان الصلاة اربع صيغ لها :

الاولى : « اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

الثانية : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين . انك حميد مجيد » .

الثالثة : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

الرابعة : « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على

ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وآل ابراهيم » •

فأما الصلاة المطلوبة من الله تعالى في جميع هذه الصيغ فهي مغفرته
وثناؤه وتعظيمه واحسانه واعطائه وكلها ترجع الى رحمته - كما
تقدم •

وأما البركة المطلوبة في جميعها ايضا فهي - لغة - النماء والزيادة
والمقصود هنا زيادة الخير والكرامة وتكثير الاجر والثوبة • وفسرت
بدوام ذلك وثباته لأن أصل مادة برك يدل على الثبوت ومنها برك
الابل وثبوتها على الارض • وقد يعتبر في الشيء الثابت قوته وزكاوة
أصله فيستلزم ذلك كثرته ونماؤه • وعلى هذا الاعتبار جاء لفظ البرك
(كحبل) اسما للابل الكثيرة ، في قول متمم بن نويرة :

إذا شارف منهن قامت ورجعت حنينا فابكى شجوها البرك اجمعا
فتفسيرها بالنماء والزيادة مأخوذة فيه ثباتها ورسوخها فلا يكون
خارجا عن المعنى الاصلي للمادة •

وأما أزواجه في الصيغة الأولى فهن أمهات المؤمنين الطيبات
الظاهرات عليهن الرضوان •

وأما ذريته فيها أيضا فهم من كان للنبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - ، ولادة عليه من ولده وولد ولده ممن آمن به •

وأما الآل في جميعها فهو - لغة - اهل الرجل وعياله ، وهو ايضا
الاتباع ومن الاول قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - « ان الصدقة لاتحل
لآل محمد ، انما هي اوساخ الناس » ولا خلاف ان المراد بالآل هنا ذوو
قربته من بني هاشم والمطلب او من بني هاشم فقط او من بني قصي أو
قريش كلها على اختلاف بين الفقهاء في تحديد القرابة المرادة • ومن

الثاني قوله تعالى : « أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ »
والمراد هنا اتباعه في ملته وملكه وسلطانه • ومنه قول الاعشي :

فَكَذَّبْتُهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
ذُو آلِ حَسَّانَ يَزُجِّي السَّمَّ وَالسَّلْعَا

قال في « اللسان » يعنى جيش تبع •

وفسر هنا بجميع أمته ممن آمن به ، واليه ذهب مالك ، قال النووي :
وهو اختيار الازهري وغيره من المحققين •

وفسر بقرابته :

وفسر بأهل بيته — صلى الله عليه وآله وسلم — أزواجه وذريته • وتحقيق
هذه المسألة ان لفظة « آل » اصله اول من مادة — ا — و — ل — وقد
ثبت تصغيره على اويل فرد التصغير الفه الى الواو اصلها فعرفت بذلك
مادته المذكورة •

وزعم بعضهم ان اصله اهل وادعوا أنه صغر على أهيل • ولا حجة
لهم في ذلك لاننا نسلم مجيء أهيل عن العرب وتمنع ان يكون تصغيرا
لآل بل هو تصغير لاهل • وكونه تصغيرا لاهل ظاهر ملفوظ وكونه
تصغيرا لآل دعوى لا دليل عليها • وما كان في نفسه دعوى بلا دليل
لا يصلح ان يكون دليلا لدعوى اخرى فلم يقدّم حينذ دليل على ان
آل اصله اهل يعارض الدليل الذي قام على ان اصله اول •

واذا ثبت ان آل من مادة — ا — و — ل — ، وهي بمعنى الرجوع —
تقول آل الى خير بمعنى رجع الى خير — فقال الشيء هو ما يرجع الى
ذلك الشيء وينتهي اليه بوجه من الوجوه • وعلى هذا جاء استعماله
في كلام العرب •

قال الفرزدق :

نجوت ولم يمنن عليك طلاقه سوى ربة التقريب من آل أعوجا
عني فرسا من نسل اعوج وهو فحل مشهور في خيل العرب تنسب
اليه الاعوجيات فتاله نسله لانه يرجع اليه بالنسب •

وقال عبد المطلب بن هاشم - في قصة أبرهة الحبشي لما جاء
لهدم البيت داعيا ومستنصرا الله على أبرهة وجنده :

لا هم ان العبد يم	نع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم	ومحالهم غدوا محالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك

فقال الصليب هم الحبشة النصارى عباد الصليب فرجعوا اليه
بوجه العبادة والتعظيم •

وآل الله هم قريش سدنة بيته وقطان حرمه ، وأواة حجيجه
فرجعوا الى الله تعالى بهذه الاسباب فاتباعه - صلى الله عليه وآله
وسلم - واقاربه وازواجه وذريته - كل يصدق عليه آل لانهم كلهم
يرجعون اليه •

وانما الخلاف في ترجيح المعنى الذي ينبغي حمل اللفظ عليه في
احاديث الصلاة فمن فسره بالازواج والذرية قال لانهم هم المصرح بهم
في الرواية الاولى فحمل احدي الروائين على الاخرى •

ومن فسره بالاقارب حمل حديث الصلاة على حديث تحريم الصدقة •
والآل هنالك بمعنى الاقارب فلا خلاف • فرجع بالمختلف فيه الى المتفق
عليه •

ومن فسره بالاتباع رأى ان أتباعه بالايان به أمر لا بد منه في

الدخول تحت لفظ الآل هنا ، فان من كان من اقاربه غير متبع له - كأبي لهب - غير داخل في لفظ الآل هنا قطعاً . فحمل اللفظ على الاتباع لانه المعنى المشتمل على الوصف الذي لا بد منه في هذا المقام . وروى ايضا ان هذا المعنى اعم فهو الانسب بمقام الدعاء .

وكما ان مساق حديث الصدقة عيّن معنى الاقارب هنالك كذلك مقام الدعاء يرجح معاني الاتباع هنا .

ولا معارضة بين الروايات التي فيها لفظ الآل مراد به الاتباع ، والرواية التي فيها الازواج والذرية ، لان تلك جاءت بالمعنى العام وهذه خصصت بالذكر نوعاً من ذلك العام لمزية فيه .

فازواجه وذريته - رضوان الله تعالى عليهم - مصلى عليهم في اللفظ العام على وجه العموم ، وباللفظ الخاص على وجه الخصوص لما لهم من مزيد الاختصاص .

ولهذه الأدلة نرى هذا التفسير ارجحاً .

واما آل ابراهيم فقد قال قوم هم ذريته وقال ابن عباس - رضي الله عنه - هم اتباعه على ملته . ونزع بقوله تعالى : « انّ أولئكَ الناسِ بآبِراهِمِمْ لَكَذِبِينَ ابْتِغَاؤُهُ » واقتصر على قوله ابن جرير الطبري في تفسير الآية من تفسيره الكبير .

فابن عباس في تفسيره الآل بالاتباع هو سلف مالك في تفسيره له بذلك . وابن جرير في ترجيحه لقوله هو سلفنا في الترجيح .

قال الامام ابن عبد البر : « آل ابراهيم يدخل فيه ابراهيم وآل محمد يدخل فيه محمد » . ومن هنا جاءت الاثارة مرة بابراهيم ومرة بآل ابراهيم وربما جاء ذلك في حديث واحد . ومعلوم ان قوله تعالى :

« أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » ان فرعون داخل
فيهم .

وهذا من طريق مفهوم الاضافة الأخرى لأن المضاف اذا تعلق
به حكم بعلة الاضافة فالمضاف اليه اخرى بذلك الحكم وأولى كما
تقول : - ما ثبت للتابع بعلة التابعة فالتبوع اخرى به وأولى . فاذا
كان آل ابراهيم مصطفىين ومصلى عليهم لانهم آله أي اتباعه - فهو
مصطفى ومصلى عليه بطريق الاخرى للوجه الذي ذكرنا (١) .



(١) ج ٨، م ٤٥٢، ص ١-٦
غرة ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ - سبتمبر ١٩٢٩ م .

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

— ٥ —

معنى العبد في اللغة ، استعماله فيها ، ما اقره الاسلام وما ابطله ،
معنيا الملك . عموم العبودية ، وجها اضافة العبد لله ، معنى العبادة ،
لن تكون ؟ مقام العبودية ، اكمل العباد ، اصدق وصف المخلوق ،
تواضعه ، معنى الرسول ، توجيه الترتيب . حديث الاطراء ومعناه .

أما قوله « عبدك » في حديث أبي سعيد عند البخاري فالعبد
— قال الأئمة — « خلاف الحر » والحر من لا ملك لأحد عليه ، فالعبد
هو المملوك ، والعبودية هي طاعته مع الخضوع والتذلل^(١) . والمملوكية
التي هي أصل المعنى مستلزمة لها . وجاء في كلامهم مضافا اضافة
ملك للبشر فقالوا عبد زيد أي مملوكه . والى الخالق تعالى مالك
الجميع فقالوا عبد الله ، والى معبوداتهم الباطلة فقالوا عبد العزى وعبد
اللات بناء على شركهم وزعمهم ان طواغيتهم تملك مع الله وان كان هو
مالك الجميع ، كما كانوا يقولون في تليبتهم « لبيك لا شريك لك ،
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » .

جاء الاسلام فأقر اضافتين وأبطل واحدة ، وذلك ان الملك اما ملك

(١) قال بعضهم ان العبد مأخوذ من الطريق المعبود أي المذلل بوطنيء
الاقدام . وهذا ليجعلوا الذل من مفهوم العبد . وأنا أرى ان الذل لازم
لمفهوم العبد وهو المملوك وانه هو أصل المادة وان المعبود — اسم مفعول
مشتق — هو المأخوذ منه فمعبود معناه مذلل كما يدل العبد .

حقيقي ثابت بالخلق والحفظ والانعام وهذا ليس الا لله فكل احد فهو عبد الله • واما ملك مجازى منتقل بسبب معاوضة أو عطية أو ارث وهذا هو ملك العباد وعلى هذا المعنى يقال عبد زيد أي مملوكه • وأما الطواغيت فلا ملك لها بالوجهين فلا تجوز اضافة العبد اليها • وقد جاء في اضافة الملك المجازي قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه « لا يقولن احدكم عبدي فلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي » والنهي عن هذا لما فيه من التناول والتعاطف والارتفاع ولا بأس به اذا كان في النادر للبيان والتعريف •

العبودية لله وصف عام ثابت في كل مخلوق ، فكل مخلوق هو عبد لله مملوك له ، في دائرة خلقه ، وقبضة أمره ، خاضع ذليل منقاد لتصرفات قدره •

والعبد يضاف لله تعالى بهذا المعنى اضافة عامة لا فرق فيها بين بر وفاجر ، وقد قال تعالى « إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا » •

ويضاف إليه اضافة خاصة اذا كان العبد قد عرف عبوديته لربه علماً ، وقام بواجبها عملاً ، فأطاع مولاه طاعة المملوك لمالكه عن علم واختيار • بذل وخضوع وانكسار ، بلا امتناع ولا اعتراض ولا استكبار ، وقد جاء على هذا قوله تعالى : « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا » « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ » « وَإِذْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ » « قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ » « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » ومنه قوله « عبدك » هنا •

والعبد المضاف الى الله تعالى بهذا الوجه هو المملوك المطيع ، وطاعته بذل وخضوع هي عبادته . ولما كان ليس مملوكا الا الله فلا تكون طاعته الا الله فلا يجوز لأحد أن يطيع أحداً الا في طاعة الله فتكون طاعته في الحقيقة لله ، فطاعتنا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هي - بالقطع - طاعة لله ، وطاعتنا لغيره لا تجوز الا اذا عرفنا انها في مرضاة الله . وقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا طاعة لأحد في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف » رواه الشيخان وأبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه عن عمران والحكم بن عمر والغفاري رضي الله عنه .

ولما كانت الطاعة - التي هي العبادة - بها يحصل الكمال الانساني للفرد في عقله وأخلاقه وأعماله ، وللنوع في اجتماعه وعمرانه ، وهذا الكمال هو سعادة الدنيا المفضية الى السعادة الكبرى في الحياة الاخرى - كانت العبودية أشرف حال وأعظم مقام وأفضل وصف للانسان ، وكان أفضل انسان أرسخ الناس قدما في هذا المقام . ولما كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كذلك كان أفضل الخلق وكان - كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « سيد ولد آدم ولا فخر » - ولهذا ذكر بوصف العبودية في مقام التقريب والتكريم في قوله تعالى : « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » وفي مقام الترفيع والتعظيم في آية الاسراء وجعل على مقتضى ذلك وصفه به في ذكر الصلاة ومقام الثناء والدعاء .

ولفظ العبد كما أنه أكمل وصف للانسان على ما بينا - هو أصدق وصف له وأشده بعدا عن الكبرياء والعظمة والترفع .

ولذا لما خير النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بين أن يكون نبياً عبداً ، فإن الملك لا بد له من مظاهر السيادة والسلطان ، وإن كان يعدل وحق كملك داوود وسليمان - عليهما الصلاة والسلام - فاختار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يكون نبياً بدون هذا المظهر وكان الذي اختار أفضل •

وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - في جميع حياته على أكمل حال في التواضع الذي هو من مظاهر كمال عبوديته لربه وكان يقول - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد » •

وأما قوله « ورسولك » في الحديث المذكور فإن الرسول هو من بعثه الله تعالى - فضلاً منه - ليبلغ شريعة ، وقيامه بأعباء الرسالة هو من طاعته وعبوديته لربه •

فقدم لفظ العبد على لفظ الرسول تقديم العام على الخاص ، وتقديم^(١) الشرط على المشروط فإن الرسالة لا يفضل بها الله تعالى إلا أكمل عباده و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وتقديم الترتيب لأنه كان عبداً قبل أن كان رسولاً ، ولأن العبودية للخالق ، والرسالة فيها انصراف - بأمر الله - للخلق •

والعبودية والرسالة هما الوصفان اللذان أمرنا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن لا تتجاوز حدهما في الثناء عليه • فقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » فنهانا عن اطرائه في المدح وهو

(١) لا تنس ان الشرط لا يلزم من وجوده الوجود فلا يلزم من وجود كمال العبادة - فرضاً - وجود الرسالة لان النبوة لا تكتسب .

الصلاة على النبي

المبالغة والعلو بوصفه بما لايجوز كما غلت النصارى في عيسى — عليه الصلاة والسلام — فادعت فيه الألوهية ونسبت اليه ما لا يكون الا لله ، وبين لنا طريقة مدحه — صلى الله عليه وآله وسلم — بذكر كل ما لا يخرج به عن كونه عبداً من كل كمال ، وبذكر كل ما يليق برسالته من عظيم الخصال • عليه وآله الصلاة والسلام (١) •



(١) ش: ج ٦٤٩ م ٤٥ ص ١ - ٥
غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ - اكتوبر ١٩٢٩ م •

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٦ -

بلغ صلاة الله على محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وجهان في معنى التشبيه ، نكتة التشبيه ، سؤال على الوجه الثاني وجوابه ، نكتة أخرى في التشبيه ، معنى في العالمين ، معنى حميد مجيد ، نكتة الختم بهذه الجملة .

وقوله : « كما صليت على آل ابراهيم » و « كما باركت على آل ابراهيم » في حديث أبي حميد وابن مسعود . و « كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » و « كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » في حديث كعب بن عجرة - يفيد ان المصلي يسأل من الله تعالى صلاة وبركة لمحمد وآله في المستقبل مثل ما كان منه تعالى من صلاة وبركة على ابراهيم وآله في الماضي ، هذا يسأله المصلي في كل مرة من صلاته ويستجاب سؤاله كلما سأل ، فكم تكون صلوات الله تعالى وبركاته على محمد وآله في المستقبل ، وهي اثر كل صلاة وصل تكون مثل ما حصل في الماضي منه تعالى لابراهيم وآله ، ان مقاديرها - على هذا - تبلغ الى ما تعجز عن حصره العقول ، وهي لا تزال متزايدة بقدر صلاة المصلين تزايداً فوق متصور البشر .

والكاف في قوله « كما » تفيد التشبيه واللاحق وهذا يحتمل وجهين :

الوجه الاول : أن يكون ذلك في أصل الصلاة بقطع النظر عن مقدارها فلعل ما يناسب مقامه في الفضل والأفضلية من المقدار .

كما تقول لمن تقدمت منه عطية لبعض أقاربه : اعط هذا القريب الاقرب
كما اعطيت ذلك القريب ، تقصد أصل العطاء دون مقداره ضرورة ان
ما يستحقه القريب الأقرب أكثر مما يستحقه القريب ، وجاء على هذا
الاسلوب قوله تعالى : « وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . »
فالمقصود أن يكون منه احسان كما كان من الله تعالى اليه ، ولا يمكن
أن يكون ما يصدر منه من احسان مماثلاً لما لله عليه منه .

وتكون نكتة التشبيه الحاق المتأخر وهو الصلاة والبركة المسؤولتان
لمحمد وآله بالسابق المشتهر وهو الصلاة والبركة المعطاتان لابراهيم
وآله ، فالمقصود أن تكون هاته ظاهرة مشتهرة في الخلق كما كانت
تلك فيهم .

الوجه الثاني : أن يكون التشبيه في مقدار الصلاة والبركة ويكون
المطلوب هو المقدار المماثل كما تقول لمن أعطى زيدا عشرة دراهم : اعط
عمرا كما أعطيت زيدا . ونكتة التشبيه في هذا الوجه هي نكتته
في الأول .

وعلى هذا الوجه يقال كيف يطلب له — صلى الله عليه وآله وسلم —
صلاة وبركة مثلما حصل لغيره وهو أفضل من غيره وبمقتضى كونه
أفضل لا يطلب له الا ما هو أفضل ، ويجب بأن النبي — صلى الله
عليه وآله وسلم — كان شديد التعظيم لأبيه ابراهيم — عليه السلام —
والتواضع في جانبه ، فكان هذا الطلب على مقتضى ذلك التعظيم وذلك
التواضع ، وفي ذلك تعليم وتأديب لأئمة .

ثم في هذا التشبيه اشادة بذكر ابراهيم — عليه السلام — وابقاء له على
ألسنة هذه الامة ، وفي هذا اعتراف بفضل هذا النبي القانت الحنيف
الذي هو على ملته ، واحتجاج على أهل الكتاب الذين يعظمونه مثلنا
وقد حادوا عن ملته الحنيفية بذهابهم في أودية الشرك واتخاذ بعضهم

آثار ابن باديس

بعضاً أرباباً من دون الله ، وجزاء له - عليه السلام - في دعوته لنبينا فيما حكاه القرآن بقوله : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ • إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » •

وقوله « في العالمين » أي في أجناس الخلق - يفيد ان صلاته تعالى وبركاته على ابراهيم وآله كانت ظاهرة مشتهرة - علماً وأثراً - في أجناس المخلوقات ، وقد سئل في صيغة الصلاة أن تكون صلاته وبركاته على محمد وآله مثل ذلك •

ولفظ « في العالمين » مذكور في القسم الثاني قسم البركة دون القسم الاول قسم الصلاة وأرى ذلك من الايجاز بالحذف من الاوائل لدلالة الأواخر •

وقوله « حميد » من الحمد اما بمعنى حامد ، حول ليفيد التكثير وهو جل جلاله يحمد فعل الخير من عباده ويشيهم على القليل بالكثير • ومناسبة اسم « حميد » لختم هذه الصلاة ان هؤلاء من عبادك المتقين الذين تتفضل عليهم بحمدك ، فمن حمدك لهم أن تصلي وتبارك عليهم •

واما بمعنى محمود ومناسبته حينئذ انك ذو الكمال والانعام اللذين تحمد عليهما فمن انعامك واحسانك صلاتك وبركتك •

وقوله « مجيد » من المجد والشرف بمعنى ماجد يفيد عظمة مجده وشرفه في ذاته وصفاته وأفعاله •

ومناسبته للاسم السابق ان حمده لخلقه - وطاعتهم بفضلهم وتيسيره - من مجده وشرفه ، أو ان كماله وانعامه اللذين يحمد عليهما هما فوق كل كمال وفوق كل انعام على ما يليق بمجده وشرفه •

الصلاة على النبي

ومناسبة ختم الصلاة بهذا الاسم ان من مجده وشرفه - جل جلاله -
هذه الانعامات العظيمة والخيرات الجسيمة المتوالية على مخلوقاته ومنها
هذه الصلاة والبركة المسئولتان لأكرم خلقه وجميع آله .

وبهذا التقرير يظهر ان جملة « إنك حميد مجيد » هي تذييل للكلام
السابق وتأكيد له بما هو عام ومشمول على معناه - فان الصلاة والبركة
من مقتضى الحمد والمجد - نظير قوله تعالى : « جاءَ الحقُّ وَزَهَقَ
الباطِلُ . إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً » (١) .



(١) ش : ج ١٠ ، م ٤٥ ، ص ١ - ٥
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ - نوفمبر ١٩٢٩ م .

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

— V —

القسم العملي : حكمها ، القصد بها ، افضلها ، استعمال صيغها المحافظة على الوارد منها ، التحذير من الغفلة ، من اللحن ، من تركها عند ذكره ، من ذكرها للفضبان ، من ذكرها للزغرة ، من هجر الوارد ، من كتاب التنبيه .

القسم العملي :

الصلاة عليه — صلى الله عليه وآله وسلم — واجبة مرة في العمر، وذهب الشافعي الى وجوبها في التشهد الثاني من الصلاة وقيل بوجودها عند ذكره ، وثبت الترغيب فيها أثر حكاية الأذان ويوم الجمعة وليلتها ، وعند الدعاء ثم ما شاء حسب الطاقة .

ويقصد المصلي بصلاته امتثال أمر الله ورجاء ثوابه والتقرب اليه بذكر نبيه على وفق أمره وقضاء بعض حقه والمكافأة بقدر جهدها لبعض احسانه واظهار تمام المحبة فيه والاحترام له وصحة العقيدة في دينه .

وصيغ الصلاة كثيرة والامر فيها واسع وأرفعها قدراً وأعظمها نفعاً هي الصيغة التي قالها النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لأصحابه — وقد سألوه — في معرض البيان وبيانه لهم بيان لجميع الامة بعدهم وهو أعلم الناس بما ينفع وأحرص الناس على جلبه لأمته ، فلا أنفع ولا أرفع مما جاء به من عند ربه واختاره لأمته .

الصلاة على النبي

والاكمل أن يحفظ الصيغة النبوية بروايتها ويستعملها مرة برواية
ومرة بغيرها حتى يكون قد استعملها كلها ولو اقتصر على بعضها
لكان كافياً •

وعندما يأتي بالصلاة النبوية باحدى رواياتها يحافظ على لفظها
بدون زيادة شيء من عنده عليها ولا أن ينقص شيئاً منها لأن الصيغة
الواردة توقيفية متعبد بها والتوقفي في العبادات يؤتي بنص لفظه
بلا زيادة ولا تنقيص ولا تبديل •

وأصل هذا حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - في
الصحيح لما قال : « وبرسولك الذي أرسلت » قال له النبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - : « لا ، وبنبيك الذي أرسلت » فلم يقره
على تبديل لفظ النبي بلفظ الرسول على تقاربهما لأن الصيغة متعبد
بها والحديث في باب « اذا بات طاهراً » من كتاب الدعوات من
صحيح البخاري •

التحذير :

مظهر الصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كسائر
الاذكار وهو اللسان وثمرتها في الاعمال ومنبتها هو القلب فليحذر
المصلي من الغفلة عند جريان الصلاة على لسانه •

والصلاة النبوية صيغة تعبدية فليحذر من اللحن فيها •

وجاء وعيد فيمن تركها عند ذكر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
فليحذر من تركها عنده وخصوصاً من اعتياد تركها •

وقد اعتاد بعضهم أن يقول لصاحبه عند الغضب « صل على النبي »
وهذا وضع لها في غير محلها وتعريض للاسم الشريف الى ما لا يليق
من قد يكون عند جنون الغضب من تقصير أو سوء أدب فليحذر من
هذا ومثله •

وقد جرت عادة بعض الناس في ليالي زرداتهم أن يرفعوا أصواتهم مرة على مرة « الصلاة على النبي » فتجيبهم النساء من وراء الحجاب برفع أصواتهن بالزغرطة حتى يرتج المكان ، ومن أبشع المنكر أن تستعمل عبادة من أشرف العبادات في اثاره هذه المعصية النسوانية فليحذر من ذلك وليغيره بما قدر عليه .

وقد هجر الناس الصلاة النبوية التوقيفية واقتصروا على غيرها ، وزاد بعضهم فقال ان غيرها أنفع منها ، فليحذر من هذا الهجر ومن هذا القول ، فمحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — أنفع الخلق وأرفعهم ، وفعله أرفع الافعال وأنفعها ، وقولها أرفع الاقوال وأنفعها ، فليجعل أصل صلاته الصلاة النبوية المروية وليجعل بعدها ما شاء .

ومن الكتب المشهورة بين الناس في الصلاة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كتاب تنبيه الانام وفيه موضوعات كثيرة لا أصل لها فينبما قارئه في عبادة الصلاة اذا هو في معصية الكذب فليكن منه على حذر .

والله يفتح علينا في العلم ويوفقنا في العمل له الحمد في الاولى والآخرة رب العالمين^(١) .

(١) ش : ج ١١ ، م ٥٠ ، ص ٧ - ٩
غرة رجب ١٣٤٨ هـ - ديسمبر ١٩٢٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الفقه والفتاوى

الاسئلة والاجوبة

- ١ -

١ - س : هل يجوز كراء الاسواق العامة ، وأخذ ثمن الدخول على أرباب المواشي والسلع ؟
(سائل من المليية)

ج : المعروف ان هذه الاسواق هي ملك للبلدية واذا قلنا هي ملك للبلدية فهي ملك للعامة التي تنوب عنها البلدية فللبلدية أن تبيع منفعتها بثمن معلوم الى أجل معلوم فيجوز اكترؤها منها كذلك . ويجوز للمكتري أن يكرري الانتفاع بها كذلك فيجوز له أن يأخذ على كل داخل لماشيته أو سلعته أجرا في مقابلة انتفاع ذلك الداخل بالمكان الذي يحل فيه والذي هو مملوك المنفعة لصاحب السوق . ونظيره من اكترى اصطبلا ثم يأخذ على أرباب المواشي أجرة بقاء مواشيهم في اصطبله مدة محدودة .

٢ - س : امام جمعة يسكن بقرية بعيدة عن قرية الجمعة بنحو خمسة وثلاثين كيلو ، هل تصح امامته بالقرية التي يؤم بها للجمعة وهو ليس من سكانها ؟
(سائل من فح مزالة)

ج : المسافر هاته المسافة لا يقصر الصلاة فاذا حل بقرية جمعة فالجمعة عليه واجبة فتصح امامته بها . والمسافر الذي لا تصح امامته للجمعة هو الذي يكون مسافرا مسافة القصر لان الجمعة حينئذ لاتجب عليه ، فامامته بها تصير صلاة أهل القرية خلفه كصلاة مفترض خلف متنقل وذلك لايصح ، ولهذا اذا نوى المسافر اقامة اربعة ايام صحاح

وجبت عليه الجمعة وصحت منه الامامة (١) .

- ٢ -

٣ - س : هل يجوز تولي خطة الكتابة عند القائد وأخذ الاجرة عليها ، وهل يجوز كذلك ما في معناها من رتبة الدائرة والعساس أم لا يجوز ؟ (سائل من القرارم)

ج : كل خطة من مثل ما ذكر في السؤال اذا لم يكن فيها ظلم ولا اعانة ظالم فجاز توليها وأخذ الاجرة في مقابلة القيام بها .

٤ - س : اذا ضرب انسان دجاجة او شاة بحجر او عمود فأصابها وبقيت تتخبط من ذلك الضرب فبادر اليها الضارب أو غيره فذبحها فهل تؤكل أم لا ؟ (منه أيضا)

ج : اذا أدركها غير منفوذة المقاتل فانه يذكيها ويأكلها اتفاقا . واذا كانت منفوذة المقاتل فالذكاة لا تفيد فيها في مشهور مذهب مالك وتفيد فيها في مذهب الشافعي وجماعة من المالكية وهي فسحة ينبغي اعتمادها .

٥ - س : هل نصاب الزيت معتبر بالحب أو بالزيت وما هو مقدار نصابه والقدر الذي يخرج من حبه أو زيته ؟ (منه أيضا)

ج : النصاب معتبر بالحب وهو خمسة أوسق وفي الوسق ستون صاعا وفي الصاع أربعة أمداد والمد ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين وهذا تقريب فيه تسهيل على الناس في هذا الامر العام

(١) ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ٥٨ .

غرة رمضان ١٣٤٨ هـ - فيفري ١٩٣٠ م .

ليس فيه تشديد بالنقير والقطير والحبة والقمحة فلا تكن من المنتطعين .
والاخراج يكون من زيتة الا أن يكون باعه حبا فيخرج من ثمنه
أو أهده أو أكله حبا فيخرج من قيمته والقدر المخرج هو العشر
الا اذا كان سقاه بألة فنصف العشر .

٦ - س : هل يجوز للمرأة أن تستعمل دواء يمنعها من الحمل لانها
ضعيفة بالمرض ؟ (منه أيضا)

ج : أصل هذه المسألة هو العزل أي عدم انزال الرجل المنى في الفرج
وهذا كرهه بعض ، والمشهور في المذهب جوازه باذن المرأة الحرة لحقها
في الوطء والانزال من تمام لذتها وفي العزل منع للولادة فيقاس عليه
شرب الدواء لمنع الولادة فيجوز ما لا يلحق ضررا بالجسم اذا كان
باذن الزوج لان له حقا في الولد واذا كانت ضعيفة عن الولادة فلا
تتوقف على اذنه .

٧ - س : هل يجوز للمرأة الحامل المطلقة ان تتزوج في عدتها
قبل وضع حملها اذا لم تجد ما ينفق عليها ؟
(سائل من جبل عياض)

ج : ان المواعدة في العدة حرام وكذلك النفقة عليها لانها في
حكم صريح المواعدة فكيف بالتزوج فهو حرام بلا خلاف لنص الآية .

تنبیه :

وقع لنا في السؤال الثاني في الجزء الماضي خطأ ، وصوابه ان من
كان خارجا عن فرسخ من قرية الجمعة لا تصح امامته الا اذا نوى اقامة
أربعة ايام صحاح سواء كان بعيدا على مسافة القصر أو دونها (١) .

(١) ش : ج ٢ ، م ٦ ، ص ١٢٨ - ١٢٩
غرة شوال ١٣٤٨ هـ - مارس ١٩٣٠ م .

كراء الاسواق

من الاجارة لا من المكس (١)

- ١ -

المكس في اللغة هو النقص ويطلق على ما يؤخذ من بائع السلعة ظلماً والمكاس هو الآخذ لذلك ، وجاء في شأنه من الوعيد حديث « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه أبو داوود وغيره . وقد كانت الاسواق ملكاً مشاعاً بين الناس يقفون فيها بسلعهم فكان أخذ فرد المكس منهم ظلماً لهم هذه هي حالة الاسواق في العهد القديم ، أما اليوم فان أوضاع الاسواق صارت على شكل آخر وذلك ان العامة الذين هم ملاك الاسواق وغيرها من الاماكن العامة يحتاجون في القيام بمصالحهم المدنية من تنظيف أبنية واثارة شوارع وتعميد طرقات ونظام أمن ، وغير ذلك من المرافق التي تتولاها المجالس البلدية فكانت البلدية تتصرف في الاسواق التي هي ملك للعامة في مصلحة العامة وكانت العامة المالكة لتلك الاسواق قد نوبت عنها نواباً فوعضت لهم أن يتصرفوا في ممتلكاتها لأجل مصلحتها فأولئك النواب الذين هم وكلاء العامة هم أعضاء البلدية يعرض السوق للكراء بالمزاد فيكترية زيد أو عمر فهذا المكثري قد اكثري شيئاً معيناً بثمن معين من نواب مالكيه ، وهم العامة فقد وجدت أركان عقد الاجارة كلها فكان هذا العقد لذلك صحيحاً جائزاً .

(١) أعيد هذا المقال في ش : ج ٣ ، م ٩ ، ص ١٥١ - ١٥٣

غرة ذي القعدة ١٣٥١ هـ - مارس ١٩٣٣ م .

ثم ان هذا المكتري يقف عند باب سوقه في أيام السوق ، فكل من يريد الدخول لمحلّه - وهو السوق الذي يملك منفعته بالعقد السابق - يدفع اجرة الانتفاع بالبقعة التي يقف فيها بسلعته مدة بقاء السوق في ذلك اليوم سواء أباغ تلك السلعة أم لم يبعها ، فهذا أيضا عقد على الانتفاع بالبقعة مدة معلومة بشئ معلوم فهو صحيح جائز .

لا يقال ان المكتري لا يلاحظ منفعة البقعة وانما يلاحظ ما يأخذه عن ثمن المبيعات لاننا نرى ان البقعة هي المقصودة لا ثمن المبيعات بدليل انه يأخذ أجرة البقعة سواء أباغ أم لم يبع وسواء أباغ بالقليل أم بالكثير . ولا يقال ان المكتري للسوق يأخذ عن كل ما يأتي للبلد ولو كان بعيدا عن السوق لان كلاً منا فيمن يأخذ عن الموضع الذي أكثره بحدوده وأما الأخذ في غير المكان المكتري بحدوده فهو غير داخل في كلامنا . وليس الفتوى فيه . ولا يقال ان العقد الاول فيه غرر لان مكتري السوق قد تساعده الأحوال فيربح وقد تعاكسه فيخسر لاننا نقول هذا الشأن في التجارة يبعأ واكتراء ، ولا يضر هذا اذا كان ثمن البيع والكرء معلوماً كما هو في موضوعنا ، ومثل هذا من اكترى فندقاً فانه قد يربح وقد يخسر ولا يقال انه فرق بين كراء بقعة لتقف فيه الدابة حتى يأتيها صاحبها ، ويكون صاحب البقعة حارساً لها ، وبين كراء البقعة لتقف فيها الدابة لتباع وصاحبها هو حارسها ، لاننا نقول المقصود هو الانتفاع بالبقعة منفعة صحيحة سواء كانت وضع سلع أو وقوف دابة لأي غرض كان ، اذ الجميع انتفع بالبقعة ، ودعوى الفرق بين ثمرات الانتفاع لاوجه لها . من هذا البيان يعلم اننا لا نريد تحليل المكس « عياداً بالله » وانما نريد انه غير منطبق على كراء الأسواق واكتراء الانتفاع بالوقوف فيها يوم السوق ، وأن العقد الاول ما بين صاحب السوق ونواب العامة والثاني بين صاحب السوق ومريد الوقوف فيه بسلعته ، من عقود الاجارة الصحيحة الجائزة .

الدواء لمنع الحمل والعزل :

قيل لنا انكم أجزتم الدواء لمنع الحمل للمرض والضعف وعدم القدرة على الحمل قياساً على جواز العزل مع ان العلة وهي المرض والضعف وعدم القدرة على الحمل موجودة في المقيس دون المقيس عليه .
فقلنا وجود هذه العلة في الفرع يجعله أخرى بالجواز من أصله .
فسقط السؤال ولو لم تكن هذه العلة المذكورة لما كان فرق بين العزل واستعمال الدواء للامتناع من الحمل . اللهم الا أن يكون من جهة ان الدواء قد يؤدي الى ضرر بدني أو الى منع الحمل بتاتاً وحينئذ يكون منع استعمال الدواء لسبب آخر ، غير أصل استعماله وهذا ليس هو الواقع في السؤال الذي كان عليه الجواب (١) .



(١) ش : ج ٤ ، م ٦ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦
غرة ذي الحجة ١٣٤٨ هـ - ماي ١٩٣٠ م

كراء الاسواق

- ٢ -

تكلنا على هذه المسألة في جزء رمضان سنة ١٣٤٨ ثم في جزء ذي الحجة من السنة نفسها وكنا نعلم ان المسألة نظرية تحتاج الى أخذ ورد بين أهل العلم وكنا ننشر ما يأتينا منهم لو أتانا منهم شيء كما هي عادتنا . واليوم بعد مضي ثلاث سنوات نشر الشيخ الحافظي مقالا في المسألة ونحن نرحب بكل بحث علمي مخلص نزيه غير اننا نقول لحضرة الشيخ ما أخترك عن ابداء رأيك في المسألة الى اليوم والشهاب من أقرب الصحف اليك ، وقد نشر لك في هذه السنوات الثلاث عدة مقالات . وقد استشعرت هذا السؤال الذي يتبادر من نفسه الى ذهن كل أحد فقلت في مقالك هكذا : « قد كان نزاماً أن يرد عليها في الحال لو ان هذا العدد من المجلة موجود تحت يدي والآن حيث عثرت عليه بادرت الى ابطال هذا القول » سبحان الله ما هذا الجواب يا حضرة الاستاذ ؟ . ان الشهاب من يوم تأسيسه مازال يرسل هدية اليكم الى يومنا هذا فكيف يغيب عنكم الى اليوم ، دعنا من هذا فللناس عقول تعرف بها وتميز .

ولما كان كلامنا في المسألة قد نشر منذ مدة طويلة فانا نعيد نشره لتعلم وجهة نظرنا ولينظر أهل العلم في المسألة وأقوال الطرفين فيها ويكتبوا ما يظهر لهم ونحن نتكفل بنشره .

واليك نص السؤال وجوابه من جزء رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

١ - س : هل يجوز كراء الأسواق العامة ، وأخذ ثمن الدخول على أرباب المواشي والسلع ؟ للسائل من الميلية .

ج : المعروف ان هذه الاسواق هي ملك للبلدية واذا قلنا هي ملك للبلدية فهي ملك للعامة التي تنوب عنها البلدية فلبلدية ان تبيع منفعتها بثمان معلوم الى أجل معلوم فيجوز اكرؤها منها كذلك . ويجوز للمكتري أن يكري الانتفاع بها كذلك فيجوز له أن يأخذ على كل داخل لماشيته أو سلعته أجراً في مقابلة انتفاع ذلك الداخل بالمكان الذي يحل فيه والذي هو مملوك المنفعة لصاحب السوق ونظيره من اكرى اصطبلا ثم يأخذ على أرباب المواشي أجرة بقاء مواشيهم في اصطبله مدة محدودة .

قسم الفتوى

- ١ -

سؤال :

سادتي العلماء الاعلام ، حمال الشريعة ، ما قولكم حفظكم الله وأعلى مناركم في عرش من سكان البادية يحتوي على مائتين وخمس وثلاثين دارا « قرى صغيرة وديارا متفرقة » وستمائة رجل متوغلين في البداوة ذوي غلظة وفظاظة يخاف الراكب ان يجوب أصقاعهم نهارا .

رأى بعض المصلحين أن ينقذهم مما هم فيه ويستل منهم أخلاقا فاسدة وعوائد ممقوتة ولا سبيل الى ذلك الا ببناء مسجد يجمعهم ومعلم حاذق يعلمهم واجبات دينهم ويربيهم تربية شرعية اصلاحية ويفرس في نفوسهم روحا وطنية وشهامة عربية وأخلاقا دينية ، فعود الشيوخ وان عسى ، فان فنن الكهول لين وغصن الشباب لا زال رطباً مياداً تهزه نسيمات الصبا ولا يحرك عواطفه ريح السموم فأرشدهم الى بناء مسجد يصلون فيه ، ويتعلمون واجبات دينهم فأجاب كلهم بالسلب الا ان تصح وتقام فيه الجمعة ، ورأى ان لا بد من اجابة رغبتهم والا فانهم لا يرجعون عما هم فيه ولأن الجمعة هي التي تجمعهم ، فبنوا مسجد جمعة منذ عامين وأقاموا فيه درارا^(١) ومدرسا قام فيهم بالوعظ والارشاد والدروس العلمية النافعة فحصلت النتيجة والحمد لله ، فقام بعض من يبغونها عوجا ويودون لو يبقى هذا العرش المسكين في غفلة

(١) كذا في الاصل ولعله : دارا .

قسم الفتوى

وتيه من الجهالة ليأكل من لحمه ويشرب من دمه ويودع فيه سمومه القتالة وأمراضه الوبئة شأن من ينتسب الى الولاية المزعومة والدعاية الفارغة وحكم بيطان الجمعة محتجا بأن المسجد لم يكن وسط القرية ولم ينعكس عليه دخانها .

المسجد وان لم يكن في وسط القرية حقيقة فهو فيها حكما لان ديار العرش وقراه مسترسلة وحائطة بالمسجد من كل جهة هذه أثر هذه واقرب دار اليه تبعد عنه بعشر مترات .

وما هي فائدة انعكاس الدخان اذا حصل المطلوب ، أو قرب الدار اذا لم يكن نافعا .

على ان قرب الدار ليس بنافع اذا لم يكن للمرء في الدين وازع

والمسجد لا ينفك مفعما بالمصلين مملوءة بهم رحابه ، والعرش ان حكمنا عليه بيطان الجمعة تفرق شذر مذر ورجع الى سيرته الاولى وعائت فيه يد الدجالين بالسلب والنهب .

أفيدونا الجواب أجركم الله لينزجر الكائد ويطمئن الرائد .

برج الغدير : مسترشد

الجواب :

ليس في اشتراط اتصال ببيان القرية حديث وانما ترجع المسألة للنظر ، وقد افتى بعض الفقهاء باشتراط الاتصال ولكن الامام الآبي تلميذ ابن عرفة بعد ما ذكر هذه الفتوى في شرحه على صحيح مسلم فقال : « والأظهر انهم ان كانوا من القرب بحيث يرتفق بعضهم ببعض في ضرورياتهم والدفع عن أنفسهم جمعوا لأنهم - وهم كذلك - بحكم القرية المتصلة البنيان » وما قاله الآبي نقطه الخطاب وسلمه وزاده

آثار ابن باديس

تأييدا بما نقل من جزم صاحب الطراز بعدم اشتراط الاتصال واستدلاله بأن بعض بيوت القرية قد يخرب فيحصل الانفصال ومع ذلك لا يضر ما لم يبعد ما بين البيوت ، وما كان المقصود من القرية هو الترافق والتعاون فاذا حصل فاهل تلك البيوت قرية وان انفصلت بيوتها فهي في حكم الاتصال ، فالقرية الواقعة في السؤال اذا كانت بيوتها على هذا الوجه فانها تجمع ولا يضرها الانفصال .

عبد الحميد بن باديس

البصائر : س ١ العدد ٣٠ الجزائر يوم الجمعة ١٢ جمادى ١٣٥٥ هـ
الموافق ليوم ٣١ جويلت ١٩٣٦ م ، الصفحة : ٦ العمود ٣ والاول من
ص ٧ .

قسم الفتوى

- ٢ -

« كنا أعلننا حسب قرار المجلس الإداري للجمعية ان من أراد السؤال عن أي مسألة تهمة فليراجع فيها الاستاذ (عبد الحميد بن باديس) وهو يتولى الجواب عن سؤاله اما بالكتابة اليه رأسا أو بنشره على صفحات هذه الجريدة ، ولكن لا يزال كثير من الناس يوجهون أسئلتهم الينا ونحن بالطبع نحيلها الى الاستاذ ابن باديس ولذلك قد يتأخر الجواب عنها ، وقد جاءنا من الاستاذ الاجوبة الآتية عن أسئلة موجهة اليها ننشرها فيما يأتي » (١) :

سؤال عن حديث : يا بن آدم مرضت فلم تعدني .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد فالمراد من الحديث تأكيد حقوق العباد على العباد بانها من حقوق الله وان الله أمر بها ومجاز عليها ووجه التأكيد هو جعل ما يكون منهم من الطلب كأنه منه وانه حاضر عند الاحسان وذلك بحضور جزائه وسرعته والله أعلم .

قاله وكتبه خادم العلم وأهله :

عبد الحميد بن باديس

(١) ليس من كلام ابن باديس .

وسأل سائل عن جواز لباس الرجال مثل لباس النساء ، وظهورهم في زيهن على خشبة المسرح ، فكان الجواب من رئيس الجمعية كمايلي:
عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لعن الرجل يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل ، رواه أبو داود وغيره بسند رجال الصحاح ، وروى أصحاب السنن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لعن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون ^(١) من الرجال بالنساء ، وبهذه الاحاديث النبوية علم أن تزيي الرجل بزوي المرأة الواضح من السؤال حرام لان اللعن لا يكون الا على المحرم .

عبد الحميد بن باديس

وسأل آخر هل اتصال البنيان في القرية شرط في صحة الجمعة فكان الجواب ما يأتي :

ليس في اشتراط اتصال بنيان القرية حديث انما مرجع المسألة للنظر وقد أفتى بعض الفقهاء باشتراط الاتصال ولكن الامام الآبي تلميذ ابن عرفة بعد ما ذكر هذه الفتوى في شرحه على صحيح مسلم قال : والأظهر انهم ان كانوا من القرب بحيث يرتفق بعضهم ببعض في ضرورياتهم والدفع عن أنفسهم جمعوا . لانهم - وهم كذلك - بحكم القرية المتصلة البنيان . وما قاله الآبي نقله الحطاب وسلمه وزاده تأييدا بما نقله من جزم صاحب الطراز بعدم اشتراط الاتصال واستدلالة بان بعض بيوت القرية قد يخرب فيحصل الانفصال ومع ذلك لا يضر ما لم يبعد ما بين البيوت ، ولما كان المقصود من القرية هو الترافق والتعاون فاذا حصل فاهل تلك البيوت قرية وان انفصلت

(١) كذا في الاصل وصوابه : والمتشبهين .

بيوتها فهي في حكم الاتصال ، فالقرية الواقعة في السؤال اذا كانت بيوتها على هذا الوجه فانها تجمع ولا يضرها الانفصال .

عبد الحميد

وسأل أحد أهالي بلدة (ميشلي) عن أبناء المتجنسين بالجنسية الفرنسية هل يجوز دفنهم في مقابر المسلمين فكان الجواب منه حسبما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد فابن (المظورني) اذا كان مكلفا ولم يعلم منه انكار ما صنع أبوه والبراءة منه فهو مثل أبيه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وان كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الاسلام يدفن معنا ونصلي عليه .
قاله وكتبه خادم العلم وأهله

عبد الحميد بن باديس

الجزائر ٢٥ جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ

الفهارس العامة

الجزء الاول - المجلد الثاني

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- الأشعار
- رجال الأعلام
- الأمم والقبائل
- الأماكن والبلدان
- الكتب والمراجع والنشرات الدورية
- الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الجزء الاول

الصفحة

حرف الالف :

- ٣٤ « إذ تستغيثون ربكم »
- ٣٥ « إياك بعدد »
- ٣٥ « أدعوا ربكم تضرعا وخفية »
- ٣٦ « أم من يجيب المضطر اذا دعاه »
- ٤٢ « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون »
- ٤٢ « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »
- ١١٥-١١٦ « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وينبأ فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم »
- ١٣٩ « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »
- ٤٢٧

الصفحة

- « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزّروه وتوقروه » . . . ١٥٤
- « إن الذين يفضون أصواتهم » . . . ١٦٢ و ١٥٥
- « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون » ١٥٥
- « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من
المسلمين وأن أتلو القرآن » ٢١٨
- « الذي باركنا حوله » ٤١٣
- « ان اعمل سابغات وقدّر في السرد » . . ٤٦٦
- « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » . . . ٤٦٦
- « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات
أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » . . . ٤٦٩
- « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء » . . ٤٧١

الصفحة

« انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم
واتقوا الله لعلكم ترحمون » ٥٠٣ و ٥٠٠

« ألم تر الى الذين خرجوا » ٥٥٧

حرف الباء :

« بالمؤمنين رؤوف رحيم » ٥١٢

حرف التاء :

« تشابهت قلوبهم » ٢٨

حرف الراء :

« ربنا آتانا في الدنيا حسنة » ٥٣ و ٥٢

« الرجال قوامون على النساء » ٤٧٢ و ٤٦٨ و ٤٦٥

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
على بعض » ٤٧٢

حرف الفاء :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما » ١٤

« فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » ٣٣

الصفحة

- ٣٣ « فوكره موسى ففضى عليه »
- ٣٤ « فدعا ربه أني مغلوب فاتتصر »
- ٣٦ « فلا تدعوا مع الله أحدا »
- ٣٩ « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا »
- ١٠٢ و ٨٢ « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم
فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »
- ٢٣٠ « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون »
- ٢٣١ « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى »
- ٣٦٨ « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله واعملوا ان الله مع المتقين »
- ٤٦٦ « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله »
- ٤٧٢ « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »

« فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم »

« فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى

بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » . .

حرف القاف :

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي
الله أمره »

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم »

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا
ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا »

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى
وفرادى ثم تنفكروا »

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون »

حرف الكاف :

- « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا
 قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به » . . . ٢٨
- « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، ان الله قوي عزيز »
 ٦٨
- « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولوا
 الا كذبا » ١٠٩
- « كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
 كنتم تدرسون » ٣١٨
- « كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم
 مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » . . . ٤٨٩

حرف اللام :

- « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » ٢٩
- « لاجحة بينا وبينكم الله يجمع بينا واليه المصير » ٣٤
- « لا ترفعوا أصواتكم » ١٥٥
- « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
 بعضا » ١٥٥
- « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
 لمعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ٢٥٧

الصفحة

١٥٩ « ولا تقل لهما أف »

١٦٢ « لا ترفعوا أصواتكم »

٤٩٢ و٤٨٨ و٣٦٨ و٢٣٥ « لكم دينكم ولي دين »

٢٣٥ « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »

٤٨٩ « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم »

٤٦٩ « لمن مثل الذي عليهن بالمعروف »

٤٩٢ « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون »

حرف الميم :

٤٢ « ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين »

٥٣ « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة »

١٣٨ « ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »

« ما كان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص

الصفحة

- ١٤٧ . . . الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا « . . .
 « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
 ٢٣١ له أضعافا كثيرة »
 « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض
 فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياه فكأنما
 ٢٣٥ أحيا الناس جميعا »

حرف الهاء :

- ٤٦٦ « هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها »
 « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
 ٤٦٨ زوجها ليسكن اليها »
 ٤٦٨ « هن لباس لكم وأتم لباس لهن » . . .

حرف الواو :

- ٣٣ « وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر »
 ٣٥ « وادعوه خوفا وطمعا »
 « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
 ٣٦ الا إياه »
 « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له

الصفحة

- الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا» ٤٣
- « واذا أخذ الله ميثاق الذين نذوه وراء ظهورهم
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » . ١١٥
- « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله » . . . ١٣٩
- « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» ١٤٤
- « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فاتتهوا واتقوا الله » ١٧١
- « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير
الرازقين » ٢٣١
- « ولقد كرمنا بني آدم » ٣٦٨ و ٢٣٤
- « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » ٢٣٥
- « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدشوكم عن
عن المسجد الحرام أن تعتدوا » . . . ٢٣٥
- « وقولوا للناس حسنا » ٢٣٥
- « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ٢٤٢
- ٤٣٥
-

- « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
خلفنا تفضيلاً » ٣٦٨
- « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »
٣٦٨
- « ويؤت كل ذي فضل فضله » ٣٩٦
- « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
واعلموا أن الله شديد العقاب » ٤١٦
- « وللرجال عليهن درجة » ٤٦٥
- « وقل رب زدني علماً » ٤٦٦
- « ولا أمّين البيت الحرام يبتغون فضلاً من
ربهم ورضواناً » ٤٦٦
- « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، ومن
آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون » ٤٦٨
- « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ٤٦٩
- « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق »
٤٧٢
- « ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال »
٤٧٢

الصفحة

- ٤٧٢ « وزاده بسطة في العلم والجسم » . .
- « ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد »
- ٤٨١
- ٤٨٨ « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » . .
- ٤٨٨ « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا »
- ٤٨٨ « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة »
- ٤٨٨ « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله »
- « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »
- ٤٨٩ و٤٨٨
- « وده كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير » . .
- ٤٨٩
- ٥١٢ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . . .
- « وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام

أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل
ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ،
فلما اسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ،
ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ،
وتركنا عليه في الآخريين ، سلام على ابراهيم ،
كذلك نجزي المحسنين، انه من عبادنا المؤمنين »

٥٣٠ - ٥٣١

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

٥٥٦

« واذ قال ابراهيم »

٥٥

« وان يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »

٥٥٨ و٥٦٤

حرف الياء :

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم »

٣٤

« يريدون وجهه »

٥٤

« اليوم أكملت لكم دينكم »

٧٩

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » . .

١٣٧

« يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم

- ١٤٤ « وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للعالمين »
- « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله »
- ١٥٤ « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم »
- « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون »
- ١٥٥ « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله اتقاكم »
- ٢٣٤ « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام »
- ٢٣٤ « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا
وقودها الناس والحجارة »
- ٤٦٥ « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شآن قوم على أن لا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله
خير بما تعملون »

الصفحة

- « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين » ٥٥٣
- « يجعلون أصابهم في أذانهم من الصواعق
جذر الموت والله محيط بالكافرين » . . ٥٥٧
- « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي
كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » . . ٥٦٠

فهرس الأحاديث النبوية

الجزء الاول

الصفحة

حرف الألف :

- « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ٧٩
- « أما انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما احدهما فكان يبشي بالنبيمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييسا » ٨٨
- « اقرؤا يس على موتاكم » ١١٠
- « اقرؤا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغفلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به » ١١٣
- « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله » ١١٣
- « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن ولي

- عليكم وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعيش
بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ،
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم
ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة »
- ١٤٠
- « ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد »
- ١٤٥
- « إنما بعثت معلماً »
- ٢١٧

حرف التاء :

- « تكلمي فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل
الجاهلية »
- ٨٠
- « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها إلا هالك »
- ١٧١

حرف السين :

- « سبحان الله إذا لا تطيق ذلك ولا تستطيعه
فهلا قلت : ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »
- ٥٣

حرف اللام :

- « لا تزال طائفة من أمتي عن الحق ظاهرين »
- ١٦٦

٤٦٦ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

٥٠٩ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده
ووالده والناس أجمعين »

حرف الميم :

٣٦ « من حلف بغير الله فقد أشرك » . . .

٧٩ « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور
من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن
دعا الى ضلالة كان عليه من الأثم آثام من تبعه
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » . . .

٨٠ « من رغب عن سنتي فليس مني » . . .

٨١ « مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه »

٨١ « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن
يعصي الله فلا يعصه »

٨١ « من نذر أن يعصي الله فلا يعصه » . . .

١١١ « ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هوان
الله عليه »

١٤٥ « ما من امرء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله
أجذم »

الصفحة

- « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله
 حاجة أن يدع طعامه وشرابه » . . . ١٤٥
- « من باع الخمر فليشتقص الخنازير » . . ١٤٦
- « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . ٤٦٦

حرف الهاء :

- « هذا جبريل جاء ليعلم الناس » . . . ٢١٧

حرف الواو :

- « ومن ادعى الى غير أبيه أو انتهى الى غير
 مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
 لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً » ١٤
- « وإذا سألت فاسأل الله » ٣٦
- « واستذكروا القرآن فانه أشد تقصياً من
 صدور الرجال من النعم » ١٤٥
- « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به
 طريقاً الى الخير » ٢٣٠
- « والదال على الخير كفاعله » ٢٣٠
- « والله في عون العبد ما كان العبد في عون
 أخيه » ٢٣٠

حرف الياء :

- « يجاء بالرجل يوم القيامة وبين يديه راية
يحملها ، وأناس يتبعونها ، فيسأل عنهم
ويسألون عنه » ١٣٩
- « يلعم والله لو وضعوا الشمس في يميني
والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر
حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . . ٥١٢

فهرس الاشعار (١)

الجزء الاول

الصفحة

- والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء ١٧٢
قال حمار الحكيم توما لو أنصفوني ما كنت اركب ٢٦٢
وإذ تكون كريمة ادعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب ٢٥٣
هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي ان دام ذلك ولا أب ٢٥٣
انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ٥١٢
حييت يا جمع الأدب ورقيت سامه الرتب ٥٧٠
المجد لله ثم المجد للعرب من أنجبوا النبي الانسان خير نبي ٥٧٣
وكناسلكننا في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وذلك ٥٤٩
ما فيك يظهر على فيك وكل اناء بالذي فيه يرشح ١٦٢
ودار لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح ٢٥٨
شكونا اليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر ٢٢١
ولعل من نظم السياسة أن نعش وان نفر ٣٦٥

(١) اثبتنا الاشعار المفردة والبيت الاول من القصيدة على الترتيب

الابجدي .

- فنشئت عليك يا فرانساً وجدت روجي أنا فرانساً ٣٠٨
أزمت ياساً مينا من نوالكم ولن ترى طاودا للحر كالياس ٣٧١
وأراني من بعد أكلف بالأشد راف طرا من كل سنخ وحبس ٣٩٧
وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الامور المحدثات. البدائع ١٠٢
٢٩٢
جاءت الي رسالة عني بها الكدر اتفا ١٧٢
ان على كل رئيس حقا أن يخضب الصعدة أو تندقا ٥٥٤
كبرت نحو ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق ٢٣٥
ان مت بالشوق منكذ ما عذر ينجيك ١٥٢-١٧٤
عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلا هكذا قال مالك ٢٢١
فقلت ادعوك للجلى لتصنري وأنت تخذلني في الحادث الجلل ١٦٧
انا وان كرمت أوائلنا لسنا على الاحساب تتكل ٥٥٨
وكيف يصح في الاذهان شيء إذا احتاج النهار الى دليل ٢٦٣
وان سيادة الأقوم فاعلم لها سعداء مطلعها طويل ٥٥٣
إذا انت لم تتصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل ٣٤١
هو البحر من أي الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله ٥١٠
ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطبع العوالي ركبت كل لهزم ٣٥١
لاتضع من عظيم قدرتي وانكذ ت مشاراً اليه بالتعظيم ٣٩٦

الصفحة

- وهل أفسد الناس إلا الملوك واحبار سوء ورهبانها ٥٠
من شر الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذي لا تصبحنا ٦٦
هيئات أن تدرك المنى بشقشقة طورا اليك وطورا طوع تلقين ١٧٠
العلم قال الله قال رسوله قال الأئمة ذوو العرفان ١٧٢
فتشت عليك يا الله وجدت روعي أنا الله ٣٠٨
أشعب الجزائر روعي القدا كما فيك من عزة هريية ٣٦٨
٥٦٩

فهرس الاعلام

الجزء الاول

حرف الالف :

٨٨	الأبي
٢٠٤	آيت حمودي محمد
٥١٨	آيت سي احمد عبد العزيز
٢٠٥	آيت العربي محمد
٥٥٧ / ٥٣١ / ٥٣٠	ابراهيم (عليه السلام)
٥١٨	ابراهيم بيوض
١٥٥	ابراهيم التميمي
١٧٠	ابراهيم الدسوقي
٢٠٢	ابراهيم بن علي
/ ٣٥٥ / ٣٣٧ / ٣٣٥ / ٣٣٤	الشيخ الإبراهيمي
٥٦٢ / ٥٤٣ / ٥١٨ / ٥١٦	
٥٥	احمد بو شمال
٢٠٩	احمد توفيق المدني
٢١٠	احمد بن الحاج سعيد
٢٠١	احمد بن حمو

١٣٠ / ١١٣ / ١١١ / ١١٠ / ٨٦	احمد بن حنبل
٢١١	احمد الشرقي
٤٨	احمد الشريف السنوسي
٢٠٢	احمد بن صالح بن ذياب
٢٠٥	احمد بن عبد الحفيظ
١٠٤	احمد العدوي
١٩٩	احمد بن عمار الماركي
٢١٠	احمد بن عليوه
١٩٩	احمد بن مكّي المباركي
١٦٩	الامام الأبخري
١٨٤ / ٧٠ / ٦٩	الحاج ادريس
٢٠٤	ارمران الصالح
١٩٣ / ٩٠	م . أريب
٤٠٢	اسامة بن زيد
٥٣٠	اسماعيل (عليه السلام)
٢٠٩	اسماعيل بو شمال
٢١٣ / ٢٠٦	اسماعيل الحيدوسي
٢١١	اسماعيل بن الحاج علي
٢٠٢	اسماعيل بن علي

٢٠٩	ابن اسماعيل مسعود
١٨٤	اسماعيل بن نعمون
٤٧١	اسرائيل
١٩٩	اسويعد محمد
٢٢١ / ١٠٥ / ٧٨	أشهب
٣١	أصبخ
٢٠٢	أكبير علي بن محمد
٢٠٥	أققران محمد
/ ٣٥٨ / ٣٥٥ / ٣٣٦ / ٣١٧	الأمين العمودي
٥٤٣ / ٥١٨	
/ ١٤٥ / ١٤٤ / ٣٥ / ٢٩	أنس بن مالك
١٥٤ / ١٤٦	
٣٣٧	م. أبو
٢٩	الأوزاعي
	حرف الباء :
٢٠٠	بادي الخضر
٢٠٤	باره محمد آكلي
٢٤٧	با عزيز بن عمر
٢١٣ / ٢٠٦ / ٢٠٣	بجاوي علي

الأعلام

٣٩٧	البحثري
٣٢٢	البحري قيقة
١٤٥ / ١١٣ / ٩٩ / ٣٥ / ١٥	البخاري
٢٠٣	بختاوي حمزة
١٠٨ / ١٠٧	الشيخ بخيت
٢٤٧	الشيخ البدوي جلول
٢٨٧	م بروجي
٢٠٠	بريجي البشير
	البشير الابراهيمي - الابراهيمي
٢٢٩	البشير بن احمد
١٥٠ / ١٢٦	البشير النيفر
٢٠٥	بشور خالد
١١١	البغوي
٤٥٣	بغاغة احمد بن حم
٢٠٢	بكاير محمد
/ ١٦٢ / ١٥٤ / ١٤٩ / ١٣٧	ابو بكر
٥١٣ / ٤٠٥ / ٤٠٢ / ٤٠١	
٤٣	ابو بكر الطرطوشي
	ابو بكر بن العربي - ابن العربي

١٦٩	البكري
١٧٣ / ١٦٥ / ١٦٤	بلحسن النجار
٢٠٣	بلعربي محمد
٢٢٩ / ٢١٣ / ٢٠٦	بلقاسم الزغداني
٢٠٩	بلقاسم بن فاضل
٣٦٤ / ٣٥٤ / ٣٣٨	م. بلوم
٢٠٣	بليل محمد
٥٢٢	بلكين
٢١١	بو تميرة
٢٠٤	بو دير الصالح
٢١٠	بو ربونة
١٩٩	بو البرهان محمد
٢٠٤	بو زوينة محمد
٢١٠ / ٢٠٥	بوشاشي محمد الطيب
٢١٠	ابن بو شريط محمد الشريف
١٩٩	بو شعلي محمو
١٩٩	بو صبيعة عمار
١٩٩	بو ضفة محمد
٢٠٠	بوط الحاج بن محمد

٢٠٠	بوط عمر
٢٠٠	بوط عيسى
٢٠٥	بو عراطة احمد بن بلقاسم
١٩٩	بو عمارة اسماعيل
٢٠٤	بو عمارة مسعود
١٩٩	بو معيزة بلقاسم
٢٠٧	بو لحبال
٣١٥	م بونسو
٣٢١ / ٣١٥ / ٣١٤	م بيرطون
١٦٩ / ١٤٤ / ٣٧	البيهقي

حرف التاء :

١١١	التبريزي
	التبسي - العربي التبسي
١٤٩	التجاني
٢٠٥	تركي العربي
١٥٤ / ١٤٠ / ٣٦ / ٣٥	الترمذي
١٩٤	م تروسل
٩٩	الشيخ التهامي عزيز
٢٠٩	توام شعبان

٢٦٢	الحكيم توما ابن تيمية
حرف الجيم :	
٧٩	جابر بن عبد الله
٥١٤ / ١٤٦ / ١٣٨	جبريل
٢٠٤	ابن جدو البشير
٢٠٠	جريوي ابراهيم
٢٠٠	جريوي المنور
١٥٦	جعفر الصادق
١٥٥ / ١٥٤	ابو جعفر المنصور
	الجلال المحلي (المحلي)
٢٠٥	جلولي أحمد
/ ٣٣٧ / ٣٣٦ / ٣٠٢ / ٢٠٦	الدكتور ابن جلول
/ ٣٤٨ / ٣٤٧ / ٣٤٦ / ٣٤٥	
٤٣٦ / ٣٥٠ / ٣٤٩	
٣٩٤	جمال الدين الافغاني
٣٥٣	جندب
٤٩	الجنيد
٢٠٠	جوامع اسماعيل

حرف الحاء :

٣٥٠ / ٣٤٧ / ٣٣٦ / ٦٤	ابن الحاج كحول
٨٦ / ٨٥	ابن الحاجب
٥٣٥ / ٥٣٢	حافظ ابراهيم
١٤٢	حافظ ابراهيم ريشطي
٢٠٠	ابن حافظ محمد العربي
٢٤٧	الحاك يوسف دمرجي
١٤٠ / ١١٠ / ٣٦	الحاكم
٢٠١	ابن حايد بن معراف
١١١ / ١١٠	ابن حبان
٣٣٢	الحبيب بو رقية
١١٢ / ٨٥	ابن حبيب
١١١ / ١١٠ / ١٠٣	ابن حجر
١٤٩	الاستاذ الحجوي
٢١٩ / ٢١٨ / ١٥٠	ابن حزم
١٧٠	حسان بن ثابت
٤٤	الحسن البصري
٥١٨	حسني الطرابلسي
٢١٠	الحاج حسونة دمع

٢١٠ / ١٨٤	الحاج حسونة بن الحاج مصطفى
١٩٠	حسين باي
١٨٤	حسين بن شرف
٢١١ / ٢٠٦ / ٧٠ / ٦٩	حسين بن شريف
٢٠٢	الحسين بن محمد الصغير
١٨٤	حسين ماضي
٢٠٢	حسين بن الوردى
٨٦	الخطاب
١٩٨	الحفصي الفتحى
١٥٦	ابو حفصي الحداد
٢٠٩	الحفناوى محمد الصالح
٢٠٢	حماني اسماعيل
١٩٩	حماني أحمد
١٩٩	حماني الصادق
١٩٩	حماني مسعود
١٩٩	حمروش احمد
٢٢٩	حمزة بكوشة
٢٠٣	ابن حميدة احمد
٢٠٩	حميش التاجر

٢٠٩

الحنفي التاجر

٢٢١ / ٨٦

ابو حنيفة

٤٤

ابن حيان الاندلسي

حرف الخاء :

٤٣٦ / ٣٠٤ / ٣٠٠

الامير خالد الجزائري

٢٠٩

الحاج الخلفة

٢٥٣ / ٢٥٠ / ٢٤٩

الدكتور ابن خليل

٨٦

خليل

٧١ / ٧٠

الحاج خوجة

٢٠٤

خرناجي الصالح

٤٢٠

الخضر بن الحسين الطولقي

٥٠٨

ابن خلدون

حرف الدال :

١١٠

الدارقطني

٣٧٠ / ٣٣٨ / ٣٣٧

دلادية

١٢١

ابن دالي

١٤٥ / ١٤٠ / ١١٠

ابو داوود

٢٢١

داوود بن علي

١٩٩

داوود عمر

٢٠٢	دبابي النذير
٢٠١	دباش الصالح
٣٥ / ٣٣	الشيخ الدجوي
٢٠٠	الدراجي بن الرقيق
٢٠٥	دراجي محمد
١١١ / ٢٩	ابو الدرداء
٢٩	أم الدرداء
١٩٩	دليعو مسعود
١٩٩	الدمس احمد
٢٦٧	مدام دوره
٢٠٢	الدليمي محمد

حرف الذال :

١١١	ابو ذر
-----	--------

حرف الراء :

١٩٩	رابح بن عيسى الهباشي
٢١٠	رابح بن مصطفى
٨٥	ابن رشد
٢٤٧	رشيد بطحوش

رشيد رضا — محمد رشيد رضا

الأعلام

١٠٦	رفاعة
٨٧ / ٨٦	الرهوني
٣٩٦	ابن الرومي
١٤٨	الشيخ الرياحي
٤٣٦	م ريني
٢٩٥	ريشيليو

حرف الزاي :

٢٢	الزاهري
٢٠٩	الزاوي الحاج
٨١	الزبير بن بكار
١٦٠	الزرقاني
٢٠٣	زروالي محمد
٢٠٦	الطيب زرقين
٢٠٤	زرقيني عبد القادر
٢٦٧	زريزر
٢٤٧	زقان محمد
٤٦	شيخ الاسلام زكرياء
٥٠٨	الزهاوي
٢١١	الزواوي

٢١١	الزواوي السعيد بن العربي
١٩٩	زويكري علي
١١١	ابن أبي زيد
٨٠	زينب
٢٠١	زيور عمر

حرف السين :

٤٣٥ / ٣٩٦	م . سارو
٢٠٤	سالم محمد
٢٠٠	ابن الساهل الدراجي
٢٦٧	مدام سبانو
٢٢١	سحنون
٢٠٢	ابن سخرية صالح
٩٩	ابن سراج
١٤٥	سعد
٤٩	ابن سعود
٢٠٩	السعيد بن حافظ
٥٤٣	السعيد الزاهري
٢٠٣	السعيد بن الطاهر
٢١٠	السعيد بن العابد

٢١١	السعيد العربي
٨٢ / ٨٣ / ٩٠ / ٩٩	ابو سعيد بن لب
٢٠٠	السعيد بن مخلوف
٥١٨	السعيد اليجري
٥١٣	ابو سفيان
١٤٣	سفيان الثوري
١٢	سلامة موسى
١٣٥	السلط سليمان بن محمد بن عبدالله
٣٨٩ / ٣٩١ / ٣٩٣ / ٣٩٤ / ٣٩٥ / ٣٩٦ / ٣٩٨	سليمان باشا الباروني
١١٠	سليمان التيمي
٢١٠	سليمان بن جبارة
٢١٠	سليمان بن عبد السلام
٤٥٨	سليم بن باديس
٢٠١	سماعي محمد
١٠٣ / ١٠٧	ابن السمعاني
٢٠٢	سهالي ادريس
٢٠٢	سهالي الحسين
١٧٠	سهل التستري

٣٠	سهل بن مالك
٢٠٥	ابن سي عيسى عبد الكريم
٥٠٨	ابن سينا

حرف الشين :

/ ٨٢ / ٧٨ / ٤٤ / ٣٢ / ٢٩	الشاطبي
/ ١٠٦ / ١٠٤ / ١٠٣ / ٩٧	
١٦١ / ١٠٧	
٨٦	الشافعي
١٠١	ابن شامة
٥٥	الحاج الشاوي
٢٠٤	شبون محفوظ
٢٠٤	شربال عبد الله
٢٠٠	شرفي اسماعيل
٥١٨	ابن الشريف
٢٠٤	شطاب علي
١٥٢	شعيب التلمساني
٣٧٧	ابو شعيب الدكالي
١٧٣ / ١٦٧	شعيب بن علي بن عبد الله
٢٠٤	شعبي عبد الله

٣٠٢ / ٣٨٩ / ٣٩٠ / ٣٩١	الامير شكيب ارسلان
٣٩٢ / ٣٩٣ / ٣٩٤ / ٣٩٥	
٣٩٦ / ٣٩٨ / ٣٩٩ / ٤٣٦	
٢٠٥	شنير علي
٨٥ / ٨٦ / ٨٧	شهاب الدين العراقي
٢٤٧	ابو شهلة
٢٠٠	الشوارفة محمد
٥٣٢ / ٥٣٥	شوقي
١٠٣	الشوكاني

حرف الصاد :

٢٠٣	صادق رابح
١٢٦ / ١٦٥ / ١٦٦ / ١٧٣	الصادق النيفر
٤٥٣	صالح بابكر
٢٦٦	صالح باي
٢١٠	الحاج الصالح بن الحاج حسين
١١١	صالح بن شريح
٢١١	الحاج صالح مرابط
٢٠٦ / ٢١٣	صالح البدري
٣٢٢	صالح بن يوسف

٢٠١	صالحى الامين
٢٠١	صالحى محمد الرشيد
١٥٥	الصاوى
٢٥٨	صبيح
٢١١	الحاج الصديق بن زكري
١٦	صروف
١١١	صفوان بن عمرو
١١١	الصتعلتى
٦٤	ابن صيام
	حرف الضاد :
٢١٨	الضحاك
	حرف الطاء :
٥١٢	ابو طالب
٤٧١	طالوت
٤٧٥	طاهر الحداد
٢١٠	الظاهر بو لهروم
١٩٩	طاهر الزوافى
٣٣٢	الظاهر صفر

٧٤ / ٧٥ / ٩٣ / ٩٥ / ١٢٦ /	الطاهر بن عاشور
١٦٥ / ١٧٣	
١٢٦	الطاهر القصار
٤٩٦	طاهر الحركاتي
٢٠٠	الطاهر بن يخلف
٣٤٧	طاهرات
٢٠٠	طرش عبد الكريم
٢٢ / ١٢١ / ١٨٨ / ١٨٩ /	الطيب العقبى
٣٣٣ / ٣٣٤ / ٣٣٧ / ٣٤٧ /	
٤٣٦ / ٤٦٣ / ٥١٨ / ٥٢١ /	
٥٤٣ / ٥٦١	
٥١٨	الطيب المهاجي

حرف العين :

٥١٤	عائشة
١٧٠ / ١٧١ / ١٧٣	العابد بن احمد بن سودة
١٩٩	عبادة محمد
٢٤٧	عباس التركي
٢٠٤	عباس لونيس
٢١٨ / ٢١٩ / ٢٢٠ / ٢٢٢	ابن عباس — عبد الله
	ابن عبد البر

١٧٢	عبد الحق بن وطاف
٧٥	عبد الحكيم
٥٦٢	عبد الحفيظ الجنان
٥٢٠	عبد الحفيظ بن الهاشمي
٢٠٢	عبد الحميد بوبقيرة
٢٢٩	عبد الحميد بن الحيرش
٤٥	عبد الرحمن الاخضري الجزائري
٢١٠	عبد الرحمن بن الامين
٢٤٧	عبد الرحمن الجيلاني
١١٣	عبد الرحمن بن شبل
٢٠٢	عبد الرحمن بن عبد الله
٢٠٣ / ١٩٨	عبد الرحمن بن محمد
٢١٠	عبد السلام الكاتب
٤٥٥ / ٤٤٨ / ٤٤٧	عبد العزيز الثعالبي
١٢٦ / ١٠٨ / ١٠٧	عبد العزيز جعيط
٥٦٢ / ٤١٨	عبد العزيز الهاشمي
٢٧٣ / ٥٥	الشيخ عبد العلي
١٦١	عبد الغني النابلسي
٥٦٢ / ٤١٨	عبد القادر الباجوري

٣٠٠	عبد القادر الجزائري
١٦٩	عبد القادر الجيلاني
٥٤٣	عبد القادر بن زيان
٥١٨	عبد القادر القاسمي
١٧١	عبد القادر بن محمد بن عبد القادر
٥٦٢	عبد الكامل
٢١٠	عبد الكريم بولكروغ
٢١٠	عبد الكريم بن شندارلي
٤٥	عبد الكريم الفكون القسنطيني
٢٠٩	عبد الله
٩٩	عبد الله بن أبي حمزة
١٨٤	عبد الله بن البجاوي
٢٢	ابو عبدان ابو عبدلي
١٦٠	ابو عبد الله بن الحاج
١١٣ / ٣٦	عبد الله بن عباس
٨٩ / ٨٧ / ٨٦ / ٨٥ / ٨٤	عبد الله العبدوسي
١٥٦	عبد الله بن مبارك
٢٠٠	عبد المجيد بو شمال
٣١٩	عبد المؤمن بن علي

٢٠٤	عبد الوهاب الصادق
	ابن عبد الوهاب - محمد بن عبد الوهاب
	البدوسي - عبد الله البدوسي
٤٠٢	ابو عبيدة بن الجراح
٣٧	العتبي
١٨٠	ابو عثمان
٤٧	عدنان
٢٠٣	عدلي احمد
٢٢٢ / ١٥٩ / ١١٠ / ٨٥ / ٨١	ابن العربي
٢٦٨	السيد العربي
٣٥٥ / ٢٤٣ / ٢٢	العربي التبسي
٢٠٢	العربي بن الحنفي
٢١٣ / ٢٠٦	العربي كيش
٢٠٣	العربي محمد
٢٣ / ٢٢	ابن عريية
٢٠٣	ابن عريية عبد الله
٨٦ / ٨٥	ابن عرفة
١٤٠	العرياض بن سارية
٣١	عز الدين بن عبد السلام

الأعلام

٢٠١	عشاشه بوزيد
٢٠١	عشاشه السماني
	العقبي - الطيب العقبي
١٧	عقبة بن الربيع
٢٠١	عقون عبد الكريم
٢١٠	الحاج علوة بن يمنية
٤٥٩	علوبة باشا
٥١٢ / ١٥	علي بن أبي طالب
	علي البجاوي - البجاوي علي
١٥٦	ابو علي الدقاق
٢٠١	ابو علي الشريف المحمد
٢٠٧	علي الكوارشه
٢١٠	علي النجار
٢٠٥	عمار احمد بن يحيى
٢٠٥	عمار بن الجودي
٢٠٢	عمار بن الطيب
٥١٨ / ٥١٧	عمر اسماعيل الساعي
/ ١٦٢ / ١٥٤ / ١٤٩ / ١٣٧	عمر بن الخطاب
٥١٤ / ٤٠٢ / ٢٢٢ / ٢١٨	

٥٦٢ / ٤٥٧ / ٢٢٩ / ٢٠١	عمر بن دردور
٢١١ / ٢٠٩ / ١٨٤	عمر بن السعيد بن جيكو
٢٧٣	عمر شعلال
٢٦٨	عمر بن مغسوله
٢٠٩	الحاج بن عمر بن العموشي
٥١٨	عمر العنق
٢٠٩	عمر الموهوب
٤٠٢	عمرو بن العاص
٦٦	ام عمرو
	العمودي - الامين العمودي
٢٦٧	عنالي
٢٠٢	عياش الحاج ابراهيم
١٩٢ / ١٩٠ / ٨٧ / ٨٦	القاضي عياض
٢١٣ / ٢٠٦	عيسى الدراجي
٢٠٥	ابن عيسى محمد عبد الرحيم
٢٠٠	ابن عيس المولود

حرف الفين :

٤٢٦ / ٢٨٩ / ٢٨٨ / ٢٨٦	ابن غراب
٢٠٤	غريبي الصالح

١١١ غفيف بن صالح بن شريح

حرف الفاء :

٤١٢ فاروق الاول

٣٨٠ فرانكو

٢٤٧ فرحات بن الدراجي

٣١٧ فرحات عباس

٢٠١ فرعيشي سعدون

٣٦٩ / ٣٦٢ فرنيت

٩٥ ابو الفضل المالكي

/ ٢٠٦ / ٢٠٥ / ٢٠٢ / ٢٣ / ٢٢ الفضيل الورتلاني

٤٥٤ / ٢٧٢ / ٢١٣

/ ٣٣٦ / ٣٣٤ / ٣٢٩ / ٢٨٧ فيوليت

/ ٣٥٦ / ٣٥٤ / ٣٣٩ / ٣٣٧

٤٠٧ / ٣٦٤

٣٢٢ / ٣٢١ / ٣١٥ فيون

حرف القاف :

٢٢ القاسمي

٢٠٥ ابو القاسم بن رواق

٤٠ قدور الحلوي

١٤٤ / ١٤٣ / ٨٥	القرافي - شهاب الدين
٢٠٠	القرطبي
٢٨٧	قرقور المسعود
١٤٦ / ١٠٧ / ١٠٣	م . قرني
٤٣	القسطلاني
١١٠	القشيري
٤٥	ابن القطار
٣٣٧	الامام القلصاوي
٨٠	القلمي
٥١٣	قيس بن حازم
١٠٧ / ١٠٦	قيصر
	ابن القيم

حرف الكاف :

١٨٧	م . كارد
٤٣١ / ١٨٧	م . كارل
٢١٣ / ٢٠٦ / ٢٠٠	كافي البشير
١٩٩	كبيش العربي
٢٦٧	كنوار
١١٩	الشيخ كحول

الأعلام

٣٣٣	ابن كحول
٢٠٤	كريس بلقاسم
٤٩٩ / ٤٩٨ / ٢٣٢	كرماني الحاج حموش
/ ١١٩ / ٨٥	كنون

حرف الالام :

٣٦٩	لافروزيلبار
٢٠٥	لحضيري محمد
٨٥	اللخمي
٢٠١	لعروس محمد
٤٣٥	م . لوبو
٣٠٠	م . لودو
٣٢١	لوسيان
٢٤٧	ابن ليلي محمد
٣٤٣	لينين

حرف الميم :

١٤٠ / ١١١ / ١٤٠	ابن ماجة
٧٩	ابن الماجشون
٢٠٥	ماديو عبد الرحمن
٨٨	الامام الماذري

٤٨٣	مازنج
	الدكتور الماطري - محمود الماطري
١٢٧	الماتقي
/ ٨٤ / ٨٢ / ٨١ / ٧٩ / ٧٨	الامام مالك
/ ١٠١ / ٩٩ / ٨٨ / ٨٦ / ٨٥	
/ ١٠٧ / ١٠٥ / ١٠٣ / ١٠٢	
/ ٢١٨ / ١٥٥ / ١٥٤ / ١١٢	
/ ٢٢٢ / ٢٢١ / ٢٢٠ / ٢١٩	
٢٩٢	
٣٢١	مانصرون
٢٢	الماهي
٩٩	المواق
٢٠٩	مبارك الحمدي
٨٢	ابن مبارك
٥٤٣ / ٥١٨ / ٣٥٥ / ١٣٠	مبارك الميلي
١٥٥	المحلي
/ ٣٤ / ٣٢ / ٢٩ / ٢٥ / ١٤	محمد - صلى الله عليه وسلم -
/ ٥٣ / ٤٧ / ٣٨ / ٣٧ / ٣٦	
/ ٨٠ / ٧٩ / ٧٧ / ٧٦ / ٥٩	
/ ٨٨ / ٨٧ / ٨٣ / ٨٢ / ٨١	
/ ١٠٠ / ٩٨ / ٩٧ / ٩٠ / ٨٩	
/ ١٠٥ / ١٠٤ / ١٠٣ / ١٠١	

/ ١٠٩ / ١٠٨ / ١٠٧ / ١٠٦
 / ١٣١ / ١١٣ / ١١١ / ١١٠
 / ١٣٨ / ١٣٧ / ١٣٦ / ١٣٢
 / ١٤٣ / ١٤١ / ١٤٠ / ١٣٩
 / ١٤٩ / ١٤٧ / ١٤٦ / ١٤٤
 / ١٥٤ / ١٥٣ / ١٥٢ / ١٥٠
 / ١٥٨ / ١٥٧ / ١٥٦ / ١٥٥
 / ١٦٢ / ١٦١ / ١٦٠ / ١٥٩
 / ١٦٨ / ١٦٧ / ١٦٥ / ١٦٤
 / ٢١٧ / ١٧٢ / ١٧١ / ١٧٠
 / ٢٢٦ / ٢٢٥ / ٢٢١ / ٢١٨
 / ٤٧٤ / ٤٠٢ / ٢٤٠ / ٢٣١
 / ٤٨٦ / ٤٨٥ / ٤٧٩ / ٤٧٨
 / ٥١١ / ٥١٠ / ٥٠٧ / ٤٩٧
 / ٥٢٠ / ٥١٩ / ٥١٣ / ٥١٢
 ٥٥٨ / ٥٢٩ / ٥٢٥ / ٥٢٤

١١٦

سيدي محمد

٩٨

محمد بن ابراهيم التوزري

٢٠٣

محمد بن ابراهيم بن مولود

٢٠٤

محمد بن احمد للنصوري

٢١١

محمد امزيان بن حمادي

٣٣٢

محمد بو زديته

٢٠٧

محمد بو رعيده

٣٩٠	محمد تيسير ظبيان الكيلاني
٩٥	محمد الجمائبي
١١٠	محمد حامد الفقي
١٤٢	محمد بن الحسن الحجوي
٥٤٣	محمد خير الدين
٢١٣ / ٢٠٦ / ٢٠١	محمد الدراجي
٢١٣ / ٢٠٦	محمد دردور
٢١٠	محمد دمنغ
٣٩٤ / ٦٦ / ٥٢ / ٥١	محمد رشيد رضا
١٨٤	محمد بن زرتي
٥١٨	محمد الزمرلي
٢١٠	محمد بن زيدان
٦٣ / ٥٦ / ٥٥	محمد بن الساسي
٢١١	محمد بن سمره
١٢٧ / ١٢٦	محمد الشاذلي بن القاضي
٧٢ / ٧٠	محمد الشريف الابيض
٢٠٣	محمد الشريف بن احمد
٢١٠	الحاج محمد بن الشهيب
٢٦٧	محمد الصالح بن رمضان

١٩٨	محمد الصالح بن عمر البدرى
١٨٨ / ١٨٩	محمد بن الصيام
	محمد الطاهر بن عاشور - الطاهر بن عاشور
٢٧٤ / ٢٧٢ / ٢٧١	محمد العايد الجلالى
٢٨	محمد بن عبد الوهاب
٣٩٤ / ٧٥ / ٦٦ / ٢٧	محمد عبده
١٧٣ / ١٧١	محمد بن العربى
٢٤٧	محمد على دمرجى
٢٤٧	محمد العيد خليفة
٢٦٧	محمد الغسبرى
٥١	محمد فريد وجدى
٥١٨	محمد الفضيل اليراتى
٤١٨	محمد الكامل
٢٠٩	محمد بن محبوب
١٢٦	محمد المختار بن محمود
٢٠٠	محمد بن الشيخ المطيش
٢١٣ / ٢٠٦	محمد الملىانى
٥١٨	محمد المهدي

١٨٤	محمد النجار
١٧٣ / ١٦٤ / ٧٥ / ٧٤	محمد النخعي
١٢٦	محمد الهادي بن القاضي
١٧٣ / ١٧٠ / ١٦٨	محمد المولود بن الموهوب
٢٤٧	محمود رودوسي
٢٠٦	محمود الطباخ
٢٠٣	محمود بن عبد الله
٤٥٦ / ٣٣٢	محمود الماطري
٣٣٢	محي الدين القليبي
٦٤	ابن المرابط
١٩٩	مرحوم علي
٢١٣ / ٢٠٦ / ٢٠٠	المسعود الريفي
٢٠٤	المسعود بن علي
/ ١٤٥ / ٨٧ / ٧٩ / ٥٣ / ١٥	مسلم
٢١٧	
٤٥٧	الحاج مصالي
٢٠٣	مصباح بولخراس
٢٠٤	مصباح حمود
١٩٩	مصطفى بن الاقراني

الأعلام

٩٦	مصطفى الشنوفي
٤٦	مصطفى العروسي
٨٢	مطرف
١٦٦ / ١٦٧ / ١٧٣	معاوية التميمي
١١٠	مقل بن يسار
١١١	ابن المغيرة
٢٠٤	المفاعي بلقاسم
١٣٩	المقداد بن الاسود
١٣٩	المقداد بن معد يكرب
١٥٨	ابن ام مكتوم
٤٢١	المكي بن عزوز
٢٢١ / ٢٢٢	منذر بن سعيد البلوطي
٣٣ / ٣٤	موسى
٥١٨	المولود الحافظي
١٩٨	المولود الفخمي
	المولود بن الموهوب - محمد
٧٢ / ١٩٠ / ١٩٣	ابن الموهوب
٢٠٢	موهوب محمد
٢٠٤	موهوبي ابراهيم

٢١٨	ابو موسى الاشعري
٢١٠	ابن موسى بن بكر
٣٩١ / ٣٨٠	موسوليني
٢٠٦	الدكتور بن الموفق
٥١٧ / ١٨٧ / ٤٠	م . ميرانت
٢٠٣	ميمون محمد
٢٠٣	مهم يحيى
٦٦ / ٢٣ / ٢٢	الميلي المحمودي
٤٤٠	ميو

حرف النون :

١٠٥	ابن نافع
١٨٧	م . تتروسال
١١٠	النسائي
١٩٩	النور المغزيلي
١٤٣	النووي

حرف الهاء :

٢٤٣	هتلر
٧٩	ابو هريرة
٢٠٢	هذلي محمد البشير

٢٠٣ هني عده الجيلالي

٢٧٧ هيريو

حرف الواو :

٢١١ الوالي بن محمد

٢٠٢ وزاني اسماعيل

٢٠٢ وزاني محمد

٨٣ / ٨٤ الوانثريسي

٢٠٤ الوردي بن الحاج التركي

حرف الياء :

٢٠٠ يحياوي البشير

٢٠٠ يحياوي عبد الحميد

٤٨ الامام يحيى

٢٤٧ يحيى جعفر

٥٤٣ يحيى حمودي

٢١٠ يحيى واحمد

٢٠١ يحيى عيسى بن محمد

١٦٩ / ١٧٠ ابو يزيد البسطامي

٢٠٣ يعيش عاشور أحمد

٢٣ / ٢٢

ابو اليقظان خير الدين

٥٤٣

ابو اليقظة

٨٥

ابن يونس

فهرس الأمم والقباثل

الجزء الأول

٤١٠	الائراك
٣٣٧	الاسبان
٣٨٩	البربر
١٧ / ١٦	ئمود
٤١٣	السامرية
١٦٦	بنو سعد
١٧ / ١٦	عاد
٦٦ / ١٣	الفاطميون
١٣	الفرس
٥١٣ / ٥١٢	قريش
٣٣٧	الطليان
٣١٨ / ١٦	الكلدانيون
١٣	مصر
٣١٨	النبط

فهرس الاماكن والبلدان

الجزء الاول

حرف الالف :

٣١٩	ابروتانيا
٤٣٧ / ٤٣٦ / ٤٣٥ / ٣٨٠	الايض المتوسط (البحر)
٣٨٨ / ٦٩	الاتحاد (نادي)
٣٢١	اتحاد جنوب افريقيا
١٦	الأحقاف
٢٣١ / ٢٢٩ / ٢٢٨ / ٢٢٧	الأخضر (جامع)
/ ٢٢٥ / ١١٦ / ٩٥ / ٦٧ / ٦٦	الازهر
٤٩٤ / ٤١١ / ٤١٠	
٥٠٨	اسبانيا
٣٢١	استراليا
٢٠٣	الاصنام
٣٩٨	الاطلائيظ في (محيط)
٥٠٢ / ٤٥٠	الاغواط
/ ٣٤٣ / ٣٤٢ / ٣١٩ / ٣٠٠	افريقيا
٤٥٦ / ٣٩٦ / ٣٩٢ / ٣٩٠	

الأماكن والبلدان

٢٠٥	أقبو
١٤٢	ألبانيا
٣١٩	الألزاس
٥٠٨ / ٣١٨	المانيا
٢٠٢ / ٦٣	ام البوافي
٤٩	الاناضول
/ ٣٣٤ / ٢٢٢ / ٢٢١ / ٢٢٠	الاندلس
٣٣٥	
٣٨١ / ٣٢١	انكلترا
٢٠١	أوراس
١٦	اور
٥٥	اولاد جلال
٤٣٧ / ٣٩٢ / ٣١٨ / ٤٩	ايطاليا

حرف الباء :

٤٢١	باب المنارة
٤٩٦ / ٢٥٠	باتنة
/ ٣٣٤ / ٣٠٧ / ٢٦١ / ١٢٠	باريس
/ ٣٦٩ / ٣٤٨ / ٣٤٧ / ٣٤٣	
٤٤٩ / ٤٤٤ / ٤٢٩	
٤١٨ / ٤١٧	الباستيل

٢٥٩ / ٢٦٢ / ٤٥٠ / ٤٦٥ /	بجاية
٥٤١ / ٥١٦	
٢٠٣	برج طولقة
٣٢٢ / ٣١٥	برج لوبوف
٢٠١	برج بو عرييج
٣١٩	البروفانس
٣٩٢	برقة
٥٠٨ / ٣٧٨ / ٣٤٣	برلين
٢٠٢	بربكه
٥٤١	بسكوه
٢٠٤ / ٢٠٣	بشعرة
٢٢٦	البصرة
٤٦٥	بغداد
٣١٨	بلغاريا
٣٩١	البلقان
٢٠٣	البليدة
٥٤١	بني ورتلاب
٥٤١	بني يعلي
٢٠٥	بو سعادة

الاماكن والبلدان

٢٠٣	بو فريك
٢٠٢	بو قاعة
٢٠٤ / ٢٠٢	بو قاعة لقيط
٢٠٣	بو مدفع
٤٩٣ / ٤٩٠	بوثة
٢٠٣	بيرتوتة

حرف التاء :

٥٤١ / ٤٣٧	تبسة
/ ١٢٣ / ١٢٢ / ٢١ / ١٩ / ١٨	الترقي (نادي)
/ ٤٤٩ / ٤٤٨ / ٤٤٧ / ٤٣٦	
/ ٥١٦ / ٥٠٧ / ٤٧٦ / ٤٦٤	
/ ٥٤٢ / ٥٤١ / ٥٤٠ / ٥٣٢	
٥٦١ / ٥٤٥ / ٥٤٣	
٣٩١	تركستان
٣١٩	تشيكوسلوفاكيا
٢٠٠ / ١٩٩	التل
/ ٥١٦ / ٣٣٣ / ٣٠٠ / ١٦٣	تلمسان
٥٦٢ / ٥٤١	
/ ١١٦ / ١١٢ / ٧٣ / ٦٦ / ٥٧	تونس
/ ١٨٢ / ١٧٣ / ١٦٥ / ١٥٢	
/ ٣١٤ / ٣١٣ / ٣٠٠ / ٢٣١	

/ ٣٩١ / ٣٨٩ / ٣٢٣ / ٣١٥
/ ٤٤٥ / ٤٣٧ / ٤٢٥ / ٤٢١
٤٥٥ / ٤٤٩ / ٤٤٨

٥١٦

تبهرت

حرف الجيم :

٥٥

جامعة

١١

جاوه

١٧٣

الجديدة

٣٢٢

جربة

/ ٤١ / ٤٠ / ٢٠ / ١٢ / ١١
/ ٦٧ / ٦٥ / ٥٩ / ٥٧ / ٥٦
/ ١٢٢ / ١٢١ / ١٢٠ / ١١٦
/ ١٨٨ / ١٥٢ / ١٣٥ / ١٢٥
/ ٢٠١ / ٢٠٠ / ١٩٨ / ١٨٩
/ ٢٣٦ / ٢٣٤ / ٢٢٨ / ٢٠٥
/ ٢٤٧ / ٢٤٣ / ٢٣٨ / ٢٣٧
/ ٢٧٨ / ٢٦٦ / ٢٦٢ / ٢٥٦
/ ٢٨٧ / ٢٨٤ / ٢٨٣ / ٢٧٩
/ ٣١٢ / ٣٠١ / ٢٩٨ / ٢٩٣
/ ٣٢٦ / ٣٢٥ / ٣٢٠ / ٣١٨
/ ٣٥٣ / ٣٤٠ / ٣٣٧ / ٣٣٤
/ ٣٦٠ / ٣٥٧ / ٣٥٦ / ٣٥٥
/ ٣٨١ / ٣٨٠ / ٣٦٨ / ٣٦١

الجزائر

الأماكن والبلدان

/ ٣٩١	/ ٣٨٩	/ ٣٨٥	/ ٣٨٢
/ ٤١٨	/ ٤٠٨	/ ٤٠٧	/ ٣٩٣
/ ٤٣٧	/ ٤٣٦	/ ٤٣٥	/ ٤٣٤
/ ٤٧٠	/ ٤٤٧	/ ٤٤٥	/ ٤٤١
/ ٥١٩	/ ٤٩٩	/ ٤٩٨	/ ٤٧٦
/ ٥٤١	/ ٥٣٨	/ ٥٣٦	/ ٥٢٢
/ ٥٦٩	/ ٥٤٨	/ ٥٤٥	/ ٥٤٤
			٥٧١

٣٩١

الجزيرة العربية

٥٤١

جيجل

حرف الحاء :

٣٣٤ / ٤٩ / ٢٧

الحجاز

١٦

الحجر

٥١٤

حراء

٢٠٠

الحروش

٤٦٤

حصن الماء

٩٦

حمام الائف

حرف الخاء :

٢٠٠

الخروب

٢٠٢

خنشلة

حرف النال :

٢٠٣	دلس
٤٣٦ / ٣٣٤ / ٣٠٠	دمشق

حرف النال :

٤٠٢	ذات السلاسل
٨١	ذو الحليفة

حرف الراء :

٤٤٩	الرباط
٨١	الربذة
٢٣٢	رحبة الجمال
٢٠٠	الركنية
٣٧٨	روما
٣١٩ / ٣١٨	رومانيا

حرف الزاي :

١٩٩	رغابة
/ ١١٥ / ١٠٧ / ٧٤ / ٧٣ / ٦٦	الزيتونة (جامع)
/ ١٢٦ / ١٢٥ / ١١٧ / ١١٦	
/ ١٣٠ / ١٢٩ / ١٢٨ / ١٢٧	
/ ١٨٣ / ١٨٠ / ١٧٣ / ١٦٤	

/ ٢٢٥ / ٢٢٠ / ٢١٩ / ٢١٢
٤٤٩ / ٣١٤ / ٣١٣ / ٢٢٩

حرف السين :

٢٠٠	ساطارتو
٢٠١	سطف
١٩	السلام (مدرسة)
٣٩٩	السعودية
٣٤٩	سكيكدة
١١	سنغافورة
٣٩١	السودان
٣٩٢	سورية
٢٠٠	سوق الخميس
٣٩٤	سويسرا
٥٦٢ / ٤١٨	سوف
٢٦٨	سيدي بو معزة
٥٥	سيدي خالد
٥٥	سيدي عقبة
١٩٨	سيدي مران

حرف الشين :

٢٠١ / ٢٠٠	شاطودان
٣٩٩ / ٣٣٥ / ٨١	الشام
٤٥٠	شرشال
١٤٢	شقوردة

حرف الصاد :

٢٦٦	صالح باي (نادي)
٢٠٣	صبرة
٢٠٤	صدوق

حرف الطاء :

٤٤٥ / ٣٨٩ / ١١٦	طرابلس الغرب
٢٢٢	طلييرة
٢٢٢	طلمنكة
٢٢٢	طليظة
١٩٩	الطهير
٢٠٥	طولفة
٤١٣	طيبة

حرف العين :

١٦	عاد
----	-----

الامان والبلدان

١٨٠	العبدلية
٢٠٠	العثمانية
٥٤	عدن
٢٠٠	عزابة
٤٩٤ / ٤١٦ / ٣٩٩ / ٢٢١	العراق
٢٠٠	العلمة
٤٤٤ / ٧٢ / ٧٠	عنابة
٢٠٠	عين أولمان
٢٠٢	عين البيضاء
٢٠٢	عين التوتة
٢٠٥	عين الحمام

حرف الفين :

/ ٥٠٢ / ٥٠١ / ٥٠٠ / ٤٥٣	غردابة
٥٠٣	
٩٠ / ٨٢	غرناطة
٢٠٥ / ٢٠٤	غسيرة

حرف الفاء :

١٣	فارس
١٧٣ / ٦٦	فاس

	٢٠٠	فج امزالة
	٢٠٠	فرجيو
/ ٢٥٤ / ٢٤٣ / ١٨٨ / ١٢٠		فرانسا
/ ٢٨٣ / ٢٨١ / ٢٧٩ / ٢٧٨		
/ ٢٨٧ / ٢٨٦ / ٢٨٥ / ٢٨٤		
/ ٣٠٤ / ٣٠١ / ٢٩٩ / ٢٩٨		
/ ٣١٠ / ٣٠٩ / ٣٠٨ / ٣٠٧		
/ ٣١٩ / ٣١٨ / ٣١٧ / ٣١٢		
/ ٣٣١ / ٣٢٩ / ٣٢١ / ٣٢٠		
/ ٣٥٥ / ٣٤٥ / ٣٣٨ / ٣٣٣		
/ ٣٦٤ / ٣٥٨ / ٣٥٧ / ٣٥٦		
/ ٣٨٥ / ٣٨٤ / ٣٨١ / ٣٧١		
/ ٣٩٥ / ٣٩٣ / ٣٩٢ / ٣٩١		
/ ٤٢٨ / ٤١٧ / ٤٠٨ / ٤٠٧		
٤٥٣ / ٤٤٣ / ٤٣٤		
/ ٤١٥ / ٤١٤ / ٤١٣ / ٣٤٢		فلسطين
٤٥٩ / ٤٥٢ / ٤٣٣ / ٤١٦		
	٣١٩	الفلاندر
	٣٤٢	فيينا
		حرف القاف :
	٣٢٢	قابس
	٢٠٠	قالمة

الأماكن والبلدان

٤٥٩ / ٤٣٦	القاهرة
٤١٣	القدس
٥٠٨ / ٤٦٥ / ٢٢٢	قرطبة
١٩٩	قرار م
١٩٩	قرارة
٢٢٥ / ١٧٣ / ١١٦ / ٦٦	القرويون (جامع)
/ ٦٩ / ٦٦ / ٦٤ / ٥٥ / ٢٧	قسنطينة
/ ١٦٣ / ١٢٤ / ١٢٢ / ٧٢ / ٧١	
/ ١٨٤ / ١٧٢ / ١٧١ / ١٧٠	
/ ١٩٤ / ١٩٣ / ١٩١ / ١٨٥	
/ ٢٠٠ / ١٩٩ / ١٩٨ / ١٩٥	
/ ٢٠٤ / ٢٠٣ / ٢٠٢ / ٢٠١	
/ ٢٣١ / ٢٢٨ / ٢٢٧ / ٢٠٥	
/ ٢٥٠ / ٢٤٩ / ٢٤٦ / ٢٣٢	
/ ٢٥٦ / ٢٥٥ / ٢٥٤ / ٢٥١	
/ ٣٠١ / ٣٠٠ / ٢٩٦ / ٢٦٨	
/ ٣٤٩ / ٣٤٦ / ٣٤٥ / ٣٣٣	
/ ٣٨٧ / ٣٧٣ / ٣٦٠ / ٣٥١	
/ ٤٣١ / ٤١٨ / ٤٠٨ / ٣٨٨	
/ ٤٩٣ / ٤٩٠ / ٤٥٤ / ٤٣٧	
٥٧٠ / ٥٤١ / ٥٠٢ / ٤٩٨	
٥٥	قصر الطير
٥١٦	قلعة بن حماد
	٤٩٦

قنزت ٤٥٤ / ٢٠٤
القنطرة ٢٠٣

حرف الكاف :

الكبير (جامع) ٢٢٧
الكتاني (جامع) ٢٢٧
الكدية ٤١٨ / ٤١٧
كندا ٣٢١
كورسيكا ٣١٩
كولبير ٢٠٠

حرف اللام :

لندن ٤١٦
لوزان ٤٣٦

حرف الميم :

المجر ٣١٨
المدينة ٤١٤ / ٤١٣ / ٤٨
مراكش ٤٤٨ / ٤٤٥ / ٣٩١ / ٣٨٩
مرسيليا ٣٨٠ / ٣٤٧ / ٣١٩
مروانة ٢٠٢

الأماكن والبلدان

٢٠٣	مزقرين
١٩	مستغانم
٤١٣ / ٤١٤ / ٤٩٧	المسجد الاقصى
٢٠٢	مسيانة
٢٠٢	المسيلة
/ ١٣ / ٤٨ / ٤٩ / ٦٧ / ٨١	مصر
/ ٣٩٢ / ٣٩١ / ١٨٢ / ١١٦	
/ ٤١٦ / ٤١٢ / ٤١٠ / ٣٩٩	
٤٥٩ / ٤٩٤ / ٤٩٨	
/ ١٦٦ / ١٥٢ / ١٣٥ / ١١٦	المغرب
/ ٣٧٧ / ٢٣٧ / ٢٢١ / ٢٢٠	
٣٩١ / ٣٨٥	
٤١٤ / ٤١٣	مكة
٣٧٨	موسكو
٢٠٥	ميشلي
٥٤١ / ٩٨	ميله
١٩٩	الميلية

حرف النون :

٤١٣	نابلس
٣٤٢ / ٣١٨	النمسا

٢٤٦

نهج الاربعين

حرف الهاء :

٥١٣ / ٣٩١

الهند

٣٩٨

الهندي (محيط)

حرف الواو :

٢٠٤

وادي اميروز

٢٠٢

وادي الزناتي

٥٠٢ / ٥٠١ / ٥٠٠

وادي ميزاب

٥٤١ / ٤٥٠ / ٢٠٣

وهران

حرف الياء :

٣٩٩

اليسن

٣١٩ / ٣١٨

يوغوسلافيا

٣١٨

اليونان

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

الجزء الأول

حرف الالف :

٣٩	آتي البيوت من ظهورها (ج)
٨٥	الأجوبة
١٠٦	أحسن الكلام
٨٥	احكام القرآن
٢١٨ / ١٥٠	الاحكام لابن حزم
١٦٠ / ١٥٩	الاحكام لابن العربي
١٨٢ / ٣٦	الاربعين النووية
١٠٣	ارشاد الفحول
٤٩٠	الازهر (ج)
٥١	الاسلام دين علم خالد
١٣٩ / ١١١	الاصابة
١٤	اصول في البدع والسنن
١٠٧ / ٧٨ / ٤٤ / ٢٩	الاعتصام
١٠٦	اعلام الموقعين

٥٣٦	الاجاني
٢١٨	الام
٣٣١	الامة (ج)
٤٣٦ / ٢٤٩	الانطاط (ج)

حرف الباء :

	الباعث عن انكار البدع والحوادث ١٠١
٤٤٥ / ٤٣٢ / ٢٩٣	البتي باريزيان (ج)
١٨٣	بداية المجتهد
٤٤٠ / ٤٠٨ / ٣٤٧ / ٢٥٨ / ٧٣	البصائر (ج)
٣٤٣ / ٣٤٢ / ٣٣	البلاغ (ج)
١١١	بلوغ المرام
٣٨٥	البويلير

حرف التاء :

٤٦	تاريخ الجزائر
١٢	تاريخ الفنون وأشهر الصور
١٤٣	التبيان
١٤٥ / ١٤٣	التذكار
١١٠	التذكرة

الكتب والمراجع

٤٢١	تفسير البيضاوي
١٨٢	تفسير الجلالين
٤٤	تفسير ابن حيان
٥٢	تفسير المنار
١١٠	التلخيص
١٣٠	التونسية (ج)

حرف الجيم :

٢٢١ / ٢٢٠ / ٢١٩ / ٢١٨	جامع بيان العلم وفضله
٣٩٠ / ٣٨٩	الجزيرة (ج)

حرف الحاء :

١٥٥	حاشية الصاوي
-----	--------------

حرف الدال :

٤٧	الدفاع (ج)
٧٥	ديوان الحماسة

حرف الراء :

١١	الرابطة الشرقية (ج)
٣٩١	الرابطة العربية (ج)
٣٤٣	الرجل الحر (ج)

١٤٢	الرسالة (ج)
١٥٦ / ٤٣	الرسالة القشيرية
٣٧٣	الريوبلكان (ج)
	حرف الزاي :
/ ٣٤٣ / ١١٤ / ٩٦ / ٩٤ / ٧٥	الزهرة (ج)
٤٤٨	
١٣٠ / ١٢٩ / ١٢٦ / ١٢٥	الزيتونة (ج)
	حرف السين :
/ ٥٠ / ٤٧ / ٤٢ / ٤٠ / ٢٥	السنة النبوية المحمدية (ج)
/ ٥٢٣ / ٤٢٩ / ٢٨٥ - ٢٨٢	
٥٣٩	
	حرف الشين :
٩٩	شرح مختصر البخاري
٥٣٩ / ٢٨٥ - ٢٨٢	الشريعة (ج)
١٤٤	الشعب (ج)
١٩٣ / ١٩٠ / ١٥٥	الشفأ
٤٣٥	الشمال الافريقي
/ ٤١ / ٤٠ / ٣٦ / ٣٣ / ٢٨	الشهاب ^(١) (ج)

(١) لم تذكر اسماء الدوريات التي نشرت فيها مقالات ابن باديس المدونة في آخر كل مقالة وانما اثبتنا هنا ما ورد في الاصل فقط .

الكتب والمراجع

/ ١٢٨ / ١٢٦ / ١١٦ / ٦٣ / ٥٥
/ ٣١٩ / ٣١٦ / ٣٠٦ / ١٤٣
/ ٣٦٦ / ٣٦٤ / ٣٥٧ / ٣٢٧
/ ٤٦٣ / ٤٥٦ / ٤٢٠ / ٣٧٤
٥٣٢ / ٥١٧ / ٥٠٣ / ٥٠٢

حرف الصاد :

٧٩ صحیح مسلم
٣١٧ صدی الصحافة الاسلامیة (ج)
٩٥ الصواب (ج)

حرف الطاء :

/ ٣٠١ / ٣٠٠ / ٢٩٩ / ٢٩٨ الطان (ج)
/ ٣٠٧ / ٣٠٤ / ٣٠٣ / ٣٠٢
٤٣٨ / ٤٣٧ / ٤٣٥

حرف العين :

٥٣٦ العقد الفريد

حرف القاف :

٨٥ القواعد للقرافي
٥٠٨ قانون ابن سیناء

حرف اللام :

٣٤٥ لاديش (ج)

٣١٧	لاديفانس (ج)
٣٩٤	لاناسيون أراب (ج)
	لباب الازهار اليمينية على الانوار السنينة ٤٥
٤٤٤	ليكود ألجي
	حرف الميم :
٣٤٨ / ٣٤٧	مارساي ماتان (ج)
٤٩٣	متى (انجيل)
١١٣	مجمع الزوائد
٨٦	مختصر ابن الحاجب
٨٦	مختصر خليل
٨٦	مختصر ابن عرفة
١٦٠	المدخل لابن الحاج
١٤٠	مستدرك الامام احمد
١١١	المشكاة
١١١	المصايح
١٦	المقتطف (ج)
٥٠٨	مقدمة ابن خلدون
٦٦ / ٥٧ / ٤٠	المنار الاسلامي (ج)
٣٦٨ / ٣٦٦ / ١٢٦ / ٢٨ / ١٢	المنتقد (ج)

الكتب والمراجع

منشور الهداية في التعريف بحال من ادعى العلم والولاية	٤٥ / ٤٦
الموافقات	٣١ / ١٠٣ / ١٠٤ / ١٠٧ / ١٠٨
المواهب للزرقاني	١٠٣ / ١٦٥
الموطأ	٨١ / ٨٤ / ٢١٨

حرف النون :

النجاح (ج)	٣١٧
نفتح الطيب	٣٣٥

حرف الهاء :

الهداية الاسلامية (ج)	٤٢٠
-------------------------	-----

فهرس الموضوعات

الجزء الأول

الصفحة

- قسم الاصلاح والثورة ضدع البدع ٩
- المباحثة والمناظرة : يتكلمون بما لا يعلمون :
- الجهة الاولى ، الجهة الثانية ، الجهة الثالثة ١١ — ١٥
- ما هكذا عهدنا ادب صروف ١٦ — ١٧
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عامها الثاني :
- تمهيد ، بأي نية ذهبت للاجتماع العمومي ، ماذا كان يدبر للاستيلاء على الجمعية ، نكتة المسألة ، كيف كنا وكيف كانوا ، صبيحة يوم الاثنين وما صبيحة يوم الاثنين ، لوازم واستنتاجات ، مساء الاثنين ، يوم الثلاثاء ، كيف كان الترشيح للانتخاب ، عناصر مجلس الادارة ، رئاسة المجلس ١٨ — ٢٣
- بواعثنا - عملنا - خطتنا - غايتنا ٢٤ — ٢٦
- التاريخ يعيد نفسه :
- عبداويون ثم وهاييون ، ثم ماذا لاندرى والله ٢٧ — ٣٢
- مجلس التعليم : الدعاء منه عادة ومنه عبادة :
- لا يجوز دعاء غير الله ولا أحد مع الله ، من دعا غير

الصفحة	
٣٣ — ٣٨	الله فقد عبده ، التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم غير عادة ، نصيحة بنصيحة
٣٩	كلمة كفر لو دري قائلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :
٤٠ — ٤١	جواب الرئيس للمشيخ قدور الحلوي
	انكار العلماء المتقدمين : على المدعين المتدعين :
	انكار الامام القشيري صاحب الرسالة القشيرية من أهل القرن الخامس ، انكار الامام ابي بكر الطرطوشي المالكي من أهل القرن الخامس والسادس ، انكار الامام ابن حيان الاندلسي من أهل القرن السابع والثامن ، انكار الامام ابي اسحاق الشاطبي المالكي من أهل القرن الثامن ، انكار الامام القاصدي المالكي من أهل القرن التاسع ، انكار الشيخ عبد الرحمن الاخضري الجزائري من أهل القرن العاشر ، انكار الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني من أهل القرن الحادي عشر ، انكار الشيخ مصطفى العروسي من أهل القرن الثالث عشر
٤٢ — ٤٧	
٤٨ — ٥٠	الصوفي السني بين الحكومة السنية والحكومة الطرقية
٥١	الاسلا دين عام خالد
	طلب الآخرة وحدها مضموم في الاسلام :
٥٢ — ٥٤	غلو الصوفية بجعل الكمال عدم طلب الدنيا والآخرة

الصفحة

بيان عن هلال شوال من جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين الى المسلمين الجزائريين ٥٥ — ٥٦

المجئيات من الجرائد والمجلات :

نصيحة الاستاذ الامام لاهل الجزائر وتونس ٥٧ — ٥٨

التقرير الادبي الذي ألقاه رئيس جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس في
افتتاح اجتماعها السنوي العام ٥٩ — ٦١

العناية بهلال رمضان وثبوته ٦٢

العناية بهلال رمضان :

ادارة البريد ، الهيئة الشرعية بالعاصمة ، رجاء من
اصحاب الفضيلة القضاة والمفتاي ، رجاء من الامة ،
الى رؤساء شعب الجمعية ٦٣ — ٦٥

الاصلاح أمس واليوم ٦٦ — ٦٨

**احتفال جمعية التربية والتعليم الاسلامية بالحجاج
وتعرض الحكومة لها بعد اذنها :**

جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة تكرم
حجاج بيت الله الحرام ، الملاحظات ٦٩ — ٧٢

شيخ الاسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويفري
السلطة بالمسلمين (١) ٧٣ — ٧٦

شيخ الاسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويفري
السلطة بالمسلمين (٢) ٧٦ — ٨٠

الصفحة

- شيخ الاسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويفري
السلطة بالمسلمين (٣) ٨١ - ٨٤
- شيخ الاسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويفري
السلطة بالمسلمين (٤) ٨٥ - ٩٢

حول فتوى القراءة على الاموات :

- لماذا التذليل : بدل التدليل والتأصيل ؟ (١) . . . ٩٣ - ١٠٠
- لماذا التذليل ، بدل التدليل والتأصيل ؟ (٢) . . . ١٠٠ - ١٠٤
- لماذا التذليل ، بدل التدليل والتأصيل ؟ (٣) . . . ١٠٤ - ١٠٨
- لماذا التذليل ، بدل التدليل والتأصيل ؟ (٤) وحديث
قراءة ياسين ١٠٨ - ١١٢
- لماذا التذليل ، بدل التدليل والتأصيل ؟ (٥) . . . ١١٢ - ١١٤

العلماء والاصلاح الاسلامي :

- الى علماء جامع الزيتونة ١١٥ - ١١٧
- معاذ الله ١١٨

من آثار جمعية العلماء في تهذئة الافكار :

- سيرة الجمعية وأعمالها ، تنظيم الاجتماع العام والدعوة
اليه ، ورقة استدعاء ، نداء من جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين ، كن حذرا كن يقظا ، المنشور الثاني ،
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : شكر وتقدير ١١٩ - ١٢٤

الصفحة

ثمار العقول والمطابع :

- المجلة الزيتونية ١٢٥-١٣٠
المجلة التونسية ١٣٠
دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها ١٣١-١٣٤
لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، نص الخطبة . ١٣٥-١٤١

في سبيل الدعوة والارشاد :

- جواب صريح ، تمهيد ، تلخيص السؤال ، فهل
الاندماج فيها غير مناف للشريعة الغراء ، الجواب ،
كلمة الى العلماء ١٤٢-١٥١

رسالة : جواب سؤال عن سوء مقال :

- سؤال ، الجواب ، المقدمة ، في وجوب الادب مع
النبي (صلى الله عليه وسلم) اجماعا دائما وابدا وعلى
كل حال ، الفصل الاول في بيان خروج كلامه عن
دائرة الادب المرعية وتهجمه على الحضرة النبوية .
الفصل الثاني ، في بيان حرمة مخاطبة النبي (صلى الله
عليه وسلم) بمثل هذا الخطاب . الفصل الثالث ، في
ان هذا المقال لا يصدر من العارفين . الفصل الرابع ،
في بطلان عذره بعجمة ألسن المحبين ، الخاتمة في
نصيحة نافعة ووصية جامعة ١٥٢-١٦٣

التقاريف

- ١٦٤-١٧٤
تقريف محمد النخلي القيرواني ١٦٤

الصفحة	
١٦٤	تقريظ بلحسن النجار
١٦٥	تقريظ محمد الطاهر بن عاشور
١٦٥	تقريظ محمد الصادق النيفر
١٦٦	تقريظ معاوية التميمي
١٦٧	تقريظ شعيب بن علي بن عبدالله
١٦٨	تقريظ محمد المولود بن الموهوب
١٧١	تقريظ العابد بن احمد بن سودة
١٧١	تقريظ محمد بن العربي
١٧١	تقريظ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السوداني
١٧٣	المقرظون : اسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم
١٧٥	قسم التربية والتعليم
١٧٧—١٧٩	للتربية العامة : ايها المسلم الجزائري
١٨٠—١٨٣	اصلاح التعليم بجامع الزيتونة عمره الله
١٨٤—١٨٧	جميعية التربية والتعليم الاسلامية
مسائل جزائرية :	
١٨٨—١٨٩	منع التعليم الديني بالمساجد
١٩٠—١٩٤	بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة ؟

مقررات :

- المجلس الاداري لجمعية المسلمين الذي انعقد في آخر
رجب الماضي ، المطلب الاول ، المطلب الثاني . . .
١٩٧-١٩٥

الدروس العلمية بالجامع الاخضر :

- اسماء للطلبة وبلدانهم ، العرفاء ، المعينون ، أمين
الصندوق ، اطباء الطلبة المتبرعون ، من المحسنين ،
صندوق الطلبة ، دخله وخرجه ، الدخل ، طرح الدخل
من الخرج ، رجاء
٢١٢-١٩٨
- رسوم التلامذة
٢١٦-٢١٣

صلاح التعليم اساس الاصلاح :

- اساس الاصلاح اصلاح التعليم
٢٢٣-٢٢٧
- ختم الدروس العلمية بالجامع الاخضر
٢٢٤-٢٢٣

تحية وشكر ، الى انساني الطلبة ، تقرير هي
التعليم المسجدي :

- أصل مشروعيته واستمرار العمل به ، نوع التعليم
المسجدي ، الحاجة اليه ، وجوب القيام به ، الحالة
التي هو عليها ، كيف ينبغي ان يكون
٢٢٨-٢٢٥

بيان عن الحركة العلمية بالجامع الاخضر ونفقاتها :

- النفقة
٢٣٣-٢٢٩

لمن أعيش ؟

- لمن أعيش أنا ؟ أعيش للاسلام والجزائر
٢٣٧-٢٣٣

الصفحة	
٢٣٩—٢٣٨	مؤتمر المعلمين الأحرار
٢٤٢—٢٤٠	الاسلام الذاتي والاسلام الوراثي يا لله ! للاسلام والعربية في الجزائر :
٢٤٦—٢٤٣	قانون ٨ مارس ، للدفاع عن الاسلام والقرآن ولغتهما، مدرسة الشيبية الاسلامية الجزائرية بالجزائر بمناسبة قانون ٨ مارس عام ١٩٣٨ :
٢٥٤—٢٤٩	كتاب مفتوح الى السيد الوالي العام في سبيل التعلم والتقدم :
٢٥٧—٢٥٥	من آثار جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة لماذا نعود :
٢٦٠—٢٥٨	ودار لقمان على حالها حول قانون ٨ مارس المشؤوم :
٢٦٣—٢٦١	كيف فهمت الامة معاكسته لتعليم الدين والعربية النص التقريبي لكامل التقرير الادبي الذي ألقاه الاستاذ بن باديس في دار جمعية التربية والتعليم
٢٧٠—٢٦٤	سنة ١٣٥٨
٢٧٥	قسم السياسة خطتنا :
	مبادئنا وغايتنا وشعارنا
٢٨١—٢٧٧	مبدؤنا السياسي ، مبدؤنا التهذيبي، مبدؤنا الانتقادي

الصفحة	
٢٨٥—٢٨٢	تعطيل السنة واصدار الشريعة
	رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خطاب
٢٨٨--٢٨٦	ابن غراب (١)
	رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خطاب
٢٩٠—٢٨٨	ابن غراب (٢)
	رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على خطاب
٢٩٢—٢٩٠	ابن غراب (٣)
٢٩٧—٢٩٣	حول تصريحات الوالي العام لمكاتب البتي باريزيان
٣٠٥—٢٩٨	سياسة وخز الدبايس
٣٠٦	كلمات حكيمة
٣١٥—٣٠٧	كلمة صريحة
٢٢٣—٣١٦	حول كلمتنا الصريحة
	حقوق الامة الجزائرية التي تطلبها من الامة الفرنسية :
	مقدمة الأوضاع والمعاملات الخاصة ، النيابات ، اللغة
٣٢٨—٣٢٤	العربية ، الدين ، المساجد ، التعليم الديني ، القضاء
	نص المطالب التي قدمها لمكتب المؤتمر رئيس جمعية
	العلماء خاصة بالدين واللغة العربية :
	اللغة العربية ، الديانة ، المساجد ، التعليم الديني ،
	القضاء ، المؤتمر الجزائري الاسلامي العام يحقق
٣٣٠—٣٢٩	مبادئ الشهاب

الصفحة

- كلمة قالها ابن باديس :
- نحن مسلمون وكفى ٣٣٢-٣٣١
- النمسا : الدعاية الهتلرية في افريقية الشمالية وفلسطين
- البلاغ : الدعاية الالمانية في افريقية الشمالية . . . ٣٤٤-٣٤٣
- مع الوفد الاسلامي الجزائري ، مشاهدات وملاحظات :
- تمهيد ، على ظهر الباخرة ، الاستاذ العقبي ، الاستاذ الإبراهيمي ، الاستاذ عبد الحميد ، المقابلات الرسمية ، عند م. فيوليط ، عند وزير الداخلية ، عند وزير الحربية ، عند رئيس الوزراء ، كلمة لكبير الوزراء ، مقابلات الاحزاب الشعبية ، مقابلة الصحافة ، النتيجة المحققة ، العودة الى الوطن ، واليوم ؟ . . . ٣٤١-٣٣٣
- ما لقيت الجمعية من ابن جلول :
- ليست الزردة وحدها ولكن وراء الاكمة ما وراءها : كيف كنا معا ، كيف افترقنا ، طعنة من الخلف في اخرج الاوقات ، آلة في يد الظالم ، وافق شن طبقة ، الامة حكمت وأبرمت ، وبعد ٣٥١-٣٤٥
- الجنسية القومية ، والجنسية السياسية ٣٥٤-٣٥٢

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين امام لجنة البحث
البرلمانية :

فصل الجزائر عن فرنسا ، نظرنا في اصلاح الحالة ، بروجي فيوليط والحالة الشخصية ، رأينا في الزام الحكومة المسلمين برفض الاحكام الشرعية ، تجزئة

الصفحة

الاحكام الشرعية ، جبر البكر ، مجلة الشهاب ومقاومة
الاندماج ، تقييد في محله ، وعود نرجو ان تتحقق
٣٥٨-٣٥٥

دعوة وبيان :

الى عموم الشعب المسلم الكريم
نداء الى رئيس المؤتمر الجزائري والى اللجنة التنفيذية
٣٦١-٣٥٩
٣٦٣-٣٦٢
هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟
٣٦٥-٣٦٤

الوطن والوطنية :

الحق فوق كل احد. والوطن قبل كل شيء . . .
٣٦٨-٣٦٦

في الشمال الافريقي :

اليأس بعد الرجاء
٣٧٢-٣٦٩

نداء الى الامة الجزائرية ونوابها :

صدى منشورنا على الأمة والنواب في صحف الاستعمار
٣٧٤-٣٧٣

اجرام الاستعمار سجن واضطهاد
٣٧٦-٣٧٥

الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الاخوان
٣٧٧

الشمال الافريقي كيف يجب أن يعالج
٣٨٠-٣٧٨

نحن الجزائر
٣٨٢-٣٨١

كلمة مرة لانها صريح الحق ولباب الواقع
٣٨٤-٣٨٣

نحن والواجهة الشعبية
٣٨٦-٣٨٥

على هامش (السانطونير) : منشور المقاطعة :

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين ٣٨٧-٣٨٨

مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين ٣٨٩-٣٩٧

الوحدة العربية :

هل بين العرب وحدة سياسية ٣٩٨-٤٠٠

أصول الولاية في الاسلام :

من خطبة الصديق رضي الله تعالى عنه . . . ٤٠١-٤٠٥

توضيح ٤٠٦

الجزائر المسلمة تبرهن في احراج مواقفها على تمسكها

بشخصيتها باسلامها وعريبتها ٤٠٧-٤٠٩

الخلافة ام جماعة المسلمين ٤١٠-٤١٢

فلسطين الشهيدة ٤١٣-٤١٦

حول مساجين العلماء :

هل في سجن « الكدية » ما يذكرنا بـ « الباستيل » ؟ ٤١٧-٤١٩

أولو الامر ٤٢٠-٤٢١

قسم البرقيات والاحتجاجات ٤٢٣

شكر عام للاحسان العام ٤٢٥

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضد

اعتداء النائب المالي غراب واقتراه :

احتجاجنا لدى الامة ، احتجاجنا لدى الحكومة ،

الصفحة

- احتجاجنا الى ممثل الحكومة في ذلك المجلس، تلغراف
الاحتجاج ، رفع قضية ضد التعطيل ٤٢٦-٤٣٠
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصولاتها الجدد ،
تنبيه الى رؤساء الشعب ، وداع وشكر ، براءة ،
احتجاج ديني انساني ، برقية تألم ٤٣١-٤٣٣
- تلغراف مرسل الى السيد الوالي العام ٤٣٤
- حول مقال نشرته الطان بعنوان : « قبل اجتماع اللجنة
العليا للبحر الابيض المتوسط » ، ترجمة ما يتعلق
بالجزائر من مقال الطان ، احتجاج جمعية العلماء
المسلمين الجزائريين ، رسالة جمعية العلماء الى الطان
عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى جناب
مدير الشؤون الاهلية العام (م . ميو) ٤٤٠-٤٤٣
- الاحتجاجات على المعاملة السيئة التي عومل بها الحجاج
في هذه السنة ، برقية الاستاذ عبد الحميد بن باديس ،
شكر ووداع ، وارسلت الى البتي ماتان ٤٤٤-٤٤٦
- الشقيقة الجزائرية تهنيء شقيقتها تونس بعودة الزعيم
سير الجمعية واعمالها في الاجتماع الاداري الاخير :
برقية تهنئة برجوع الزعيم الكبير الاستاذ عبد العزيز
الثعالبي بتونس ، برقية احتجاج على تعطيل القراءة
بجامع الزيتونة واهمال النظر في مطالب تلامذته حتى
اليوم ، برقية احتجاج على تعطيل حكومة (مراكش) ،
الاحتفال بالمولد النبوي بها ٤٤٨-٤٥١

لائحة استنكار لعرقلة التعليم العربي وتمطيل سيره ،
احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تقسيم
٤٥٢ فلسطين

٤٥٣ احتجاج جمعية العلماء على انتها حرمه الدين بغراذيه

٤٥٤ احتجاج رئيس جمعية العلماء على حادث مسجدقنرات

٤٥٥ برقيه تهنئة ورجاء

في وحده الشمال الافريقي :

٤٥٦ برقيه شكر وتهنئة

عيد الفطر المبارك :

٤٥٧ تهنئة به الى الامه الجزائرية الكريمة

٤٥٨ شكر على تعزية

٤٥٩ برقيه جمعية العلماء الى المؤتمر البرلماني من اجل فلسطين

٤٦١ **قسم الاجتماعيات**

٤٦٣ سيهزم الجمع ويولون الدبر

رسائل ومقالات ، الرجل المسلم الجزائري :

سبب اختياري للموضوع ، المراد من الموضوع ،

الرجل المسلم الجزائري ، طريق العلم بهذا والعمل به ،

شقيقه الرجل وشريكته ، هو الاول وهي الثانية ،

المراة المسلمة الجزائرية ، المراة ، المسلمة الجزائرية ،

٤٦٤-٤٧٠ الطريق الموصل الى هذا

الصفحة

- ٤٧٣-٤٧١ لا فضل بالمال لمن كان ذا فضل فيه
ذكرى المولد النبوي الشريف على صاحبه وآله
٤٧٤ الصلاة والسلام

ثمار العقول والطابع :

- ٤٧٥ . . . كتاب « امرأتنا » للشيخ الطاهر الحداد

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

- ٤٧٧-٤٧٦ الى السادة الاعضاء العاملين والاعضاء المؤيدين

على ذكرى المولد النبوي الشريف :

- ٤٧٩-٤٧٨ التجرد في كل مولد
٤٨٢-٤٨٠ عيد الحرية
٤٨٤-٤٨٣ . . . ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان
٤٨٦-٤٨٥ نصيحة وارشاد

التسامح الاسلامي : ونظر المسلمين الى غير المسلمين

ونظر غيرهم اليهم :

- ٤٩١-٤٨٧ . . . عن الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة
٤٩٥-٤٩٢ صلاة وصلاة
٤٩٦ جواب عن كتاب
٤٩٩-٤٩٧ احياء ليلة المعراج النبوي الشريف

الصفحة	
٥٠٠	• • • • • غرداية : « وادي ميزاب »
٥٠١	• • • • • بين المسلمين في غرداية
	للحق والنصفة :
٥٠٤-٥٠٢	حول منع الاباضية اخوانهم المالكية من الآذان بغرداية
٥٠٥	• • • • • قسم الخطب
	ذكرى المولد النبوي الكريم في نادي الترقى بالعاصمة :
	الرحمة والقوة ، مبدأ رحمته ، مبدأ قوته ، مظاهر رحمته ، مظاهر قوته ، آثار القوة والرحمة في أخلاقه ، الامانة ، الصدق ، العدل ، اهتمامه بالخلق ، اقتباضه عنهم ، نبوته ، الرحمة والقوة في شريعته • • •
٥١٥-٥٠٧	خطبتان لصاحب المجلة في اجتماع جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة • • • • •
٥٢١-٥١٦	خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الاستاذ عبد الحميد بن باديس الذي القاها في الاجتماع العام • • • • •
٥٢٨-٥٢٢	خطبة منبرية :
٥٣١-٥٢٩	• • • • • سر التضحية
	ذكرى الشاعرين ، شوقي وحافظ :
٥٣٧-٥٣٢	• • • • • خطبة صاحب هذه المجلة

خطاب رئيس الجمعية الذي القى في صباح اليوم
الاول من أيام اجتماعها العام ٥٤٤-٥٣٨

**خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الذي القاه في الاجتماع العام :**

غاية الجمعية ، ثمرة هذه الغاية ، دعوة الجمعية ، ثمرة
هذه الدعوة ، ما حصلنا من الثمرتين ، الجمعية وانواع
من يتصل بها ، الجمعية والامة، الجمعية واهل الطرق،
الجمعية والحكومة ، الجمعية والاحزاب ، الجمعية
والمؤتمر الاسلامي الجزائري العام، الجمعية وخصومها
٥٥١-٥٤٥

خطبة رئيس الجمعية التي ارتجلها في الاجتماع العام
بعد تجديد مكتب الادارة ٥٥٤-٥٥٢

خطاب الرئيس الجليل الاستاذ عبد الحميد بن باديس
في عرض حالة الجمعية الادبية ٥٦٠-٥٥٥

خطاب الرئيس في الاجتماع العام لجمعية العلماء
المسلمين الجزائريين ٥٦٥-٥٦١

قسم الشعر ٥٦٧

السياسة في نظر العلماء هي التفكير والعمل والتضحية
٥٦٩

حديثه الادب :

من المنثور والمنظوم اليوم وقبل اليوم ٥٧٢-٥٧٠

القومية والانسانية ٥٧٣

الفهارس العامة

٤٣٧	• • • • • • • • • •	فهرس الآيات
٤٤١	• • • • • • • • • •	فهرس الأحاديث
٤٤٦	• • • • • • • • • •	فهرس الأشعار
٤٤٩	• • • • • • • • • •	فهرس الاعلام
٤٨٤	• • • • • • • • • •	فهرس الأمم والقبائل
٤٨٥	• • • • • • • • • •	فهرس الأماكن والبلدان
٥٠٠	• • • • • • • • • •	فهرس الكتب والمراجع والدوريات
٥٠٧	• • • • • • • • • •	فهرس الموضوعات

الفهارس العامة

الجزء الثاني - المجلد الثاني

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- الأشعار
- رجال الأعلام
- الأمم والقبائل
- الأماكن والبلدان
- الكتب والمراجع والنشرات المورية
- الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الجزء الثاني

الصفحة

حرف الالف :

- « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ١٣
- « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ١٦
- « إنا جعلناه قرآناً عربياً » ٦٠
- « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » . . . ٦٠
- « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » ٦٣
- « إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ٦٣
- « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون » ٦٧

الصفحة

٧٠	« أتتركون فيما ها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين »
٨١	« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »
١١٦	« إلا أن تتقوا منهم تقاة »
١٩٩	« اتخذوا دينهم هزواً ولعباً »
٢٧٣	« ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم »
٢٩٨	« ألم نشرح »
٢٩٨	« إنما المؤمنون أخوة »
٣١٢	« ألا أن أولياء الله »
٣٧٠	« ان الله لا يحب الخائنين »
٣٧٦	« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »
٣٧٨	« أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »

الصفحة

- « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » • ٣٧٨ و ٣٨٠ و ٣٨٦
- « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » • ٣٨٣
- « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه » ٣٩٤
- « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » • • • ٣٩٥
- « الله أعلم حيث يجعل رسالته » • • • ٣٩٩

حرف الباء :

- « بكل ريع » • • • • • • • ٦٧
- « باعد بين أسفارنا » • • • • • • • ٧٢
- « بالمؤمنين رؤوف رحيم » • • • • • • • ٢٦٩

حرف التاء :

- « تسليما » • • • • • • • ٣٨٣

حرف الجيم :

- « جله الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ٤٠٤ و ٣١٩

حرف الحاء :

« حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر »

الصفحة

الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
 ١٢٦ « لا إله إلا هو إليه المصير »

حرف الذال :

١٢٢ « ذلك هو الفوز العظيم »
 ٣٧٧ « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
 بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا »

حرف الراء :

٢٢٧ « ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
 « زرع . . . يشكرون »
 ٢٢٩ « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »
 ٤٠٣ « ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم
 آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك
 أنت العزيز الحكيم »

حرف السين :

٧٤ « سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين »
 ٣٩٧ « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً »

حرف الصاد :

٣٣٩ و ٩١ « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »

٢٩٩ « الصد »

حرف الصين :

٦٣ « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون »

حرف الفاء :

٦١ « فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك »

٦٦ « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة »

٧٢ « فجعلناهم أحاديث »

٧٣ « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم »

٨١ « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين »

٨٣ « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم في الدين »

الصفحة

- ٩٠ « فاصدع بما تؤمر »
- ١٥٢ « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . .
- ٣١٣ « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول
إن كنتم مؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلاً »
- ٣٨٢ « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليماً »
- ٣٨٢ « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية
من عند الله مباركة طيبة »
- ٣٩١ و٣٩٧ « فأوحى الى عبده ما أوحى »

حرف القاف :

- ١٤ « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً »
- ١٥ « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة وأنا
ومن اتبعني »
- ٧٢ « قرى ظاهرة »
- ٧٤ « قالوا ربنا باعد بين أسفارنا »

الصفحة

- « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به
فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » ٢٦٧
- « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » • • ٣٧٥
- « قال إني عبد الله » • • • • • ٣٩٧

حرف السلام :

- « لتتذرع قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك » ١٨
- « لأنذركم به ومن بلغ » • • • • • ١٨ و ١٤
- « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » • • • ٦٠
- « لم يخلق مثلها في البلاد » • • • • • ٦٩
- « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين
وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة
طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل
العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل حبط
وأثل وشجر من سدر قليل ذلك جزيناهم بما
كفروا وهل نجازي إلا الكفور وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا
فيها السبيل سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين فقالوا
ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم
أحاديث ومزقناهم كل ممزق » • • • • • ٧٢

الصفحة

- « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المتقنين » ٨١
- « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » ٨٧
- « لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ٢٦٣
- « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » ٣٠٤

حرف الميم :

- « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » . ٥٦
- « من أشد منا قوة » ٦٦

حرف الهاء :

- « هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها » ٧٠
- « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » . ٣٠٥

الصفحة

« هو الذي يصلي عليكم وملائكته » . . . ٣٧٧ و٣٧٨

« هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا » ٣٧٨

حرف الواو :

« وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا لتنذر أم
القرى ومن حولها » ١٤

« وأنذر عشيرتك الأقربين » ١٧ و١٣

« وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » ١٨

« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفو عن كثير » ٥٦

« وانه لذكر لك ولقومك » ٦١

« وسوف تسئلون » ٦١ و١٨

« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن
لهم في الأرض ونثري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون » ٦٢

« ويزدكم قوة الى قوتكم » ٦٦

الصفحة

- ٦٧ « وإذا بطشتم بطشتم جبارين »
- ٧٢ « وقدرنا فيها السير »
- ٧٣ « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة »
- ٧٥ « وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم »
- ٩٨ « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »
- ٩٩ « ولا ينفقونها »
- ٢٥٣ « وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحنث »
- ٢٩٧ « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »
- ٢٩٨ « ووضعنا عنك وزرك »
- ٣١٣ « وكان أمر الله قدراً مقدورا »
- ٣٧٧ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض »

الصفحة

- ٣٨٢ « وسلموا تسليماً »
- ٣٨٣ « ويسلموا تسليماً »
- ٣٨٣ « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله
لمع المحسنين »
- ٣٩٧ « واذكر عبدنا داوود »
- ٣٩٧ « وإنه لما قام عبد الله يدعوه »
- ٣٩٧ « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب »
- ٤٠٢ « وأحسن كما أحسن الله إليك »

حرف الياء :

- « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر
المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع
الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلاً » ١١
- « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك
فطهر ، والرجز فاهجر » ١٣
- « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن

الصفحة

٨١	يتولاهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين « »
١٢٧	« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن « »
٢٤٥	« اليوم أكملت لكم دينكم « »
٢٤٥	« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته « »
٣٠٥ و ١٣	« يا أيها المدثر . . . فاصبر « »
٣٤١ و ٣٤٠	« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون « »
٣٨١	« يصلون « »

فهرس الأحاديث النبوية

الجزء الثاني

الصفحة

حرف الالف :

- « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل وان العدو مصبحكم أو مسيكم أكنتم مصدقين » ١٤
- « أرأيتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أكنتم مصدقي » ١٧
- « أيها العرب ، الرب واحد والأب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ١٩
- « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » ١٢٣
- « إذا دعي أحدكم لطعام فليجب فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائماً فليصل » . . . ٣٧٦
- « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » . . . ٣٧٧
- « إذا صلى أحدكم ثم جلس في مصلاه لم تزل

الصفحة

- الملائكة تصلي عليه : اللهم اغفر له ، اللهم
 ٣٧٧ ارحمه »
- ٣٨٤ « استقيموا ولن تحصوا »
- « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
 ٣٩٩ يجلس العبد »
- حرف الدال :**
- ١٩ « دعه الى النار »
- ٣٠١ « الدين نصيحة »
- حرف السين :**
- ١١٠ « سبقك بها عكاشة »
- ٣٨٤ « سدّدوا وقاربوا »
- ٣٩٨ « سيد ولد آدم ولا فخر »
- حرف الصاد :**
- ١١٦ « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »
- حرف الفاء :**
- ١٤ « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »

حرف اللام :

- « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه ويكره له ما يكره لها » ٨٤
- « ليس فيما دون خمس أواق صدقة » ٩٨
- « لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا »
« لم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا
لهم فيه » ٢٢٧
- « لضرس أحدكم في النار يوم القيامة أعظم
من أحد » ٢٢٨
- « لا صلاة لجار المسجد في غير المسجد » ٢٢٨
- « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن
ليقل فتاي ، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل
سيدي » ٣٧٦
- « لا طاعة لأحد في معصية الله ، إنما الطاعة في
المعروف » ٣٩٧
- « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ٣٩٨
- « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ، إنما
أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ٣٩٩

حرف الميم :

- « ما يسرني أن لي أحدا ذهباً تأتي علي ثالثة
وعندي منه دينار ، إلا دينار أرصده لدين علي » ٩٩
- « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ
مقعده من النار » ٢٢١
- « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » . . . ٢٦٧
- « مثلي ومثل هذا رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها :
خلو بيني وبين ناقتي فإني أوفق بها منكم وأعلم ،
فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها » ٢٦٩
- « من لا يرحم لا يرحم » ٣٣٨
- « من صلى عليّ صلاةً صلت عليه الملائكة
عشراً » ٣٧٧

حرف النون :

- « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » . ٢٦٧

حرف الواو :

- « واني لو تركنكم حيث قال الرجل ما قال

• • • • • فقتلتموه دخل النار «

حرف الياء :

« يا آل كعب بن لؤي ، يا آل مرة بن لؤي ،
يا آل قصي ، يا آل عبد شمس ، يا آل مناف ،
يا آل هاشم ، يا آل عبد المطلب ، يا صفية أم
الزبير ، يا فاطمة بنت محمد ، انقذوا أنفسكم
من النار إني لا أملك لكم من الله شيئاً » • •

« يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً
تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر » • •

« يرحم الله أم اسماعيل لو تركت ماء زمزم »

« يجزيك الثلث يا أبا لبابة » • • • •

فهرس الأشعار

الجزء الثاني

- إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فأين حلاوات الرسائل والكتب ٢٥٥
- حليم إذ ما نال عاقب مجملا أشد العقاب أو عفا لم يثرب ٢٥٩
- شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب ٣٣٤-٣٣٥
- ياأخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة ٢٢٤
- إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الاوفق والرأي السدد ٢٢٥
- عرف الديار توهما فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها ٢٤٩
- تزجى أغن كأن إبرة روقة قلم أصاب من الدواة مدادها ٢٥٠
- ولقد أراد الله أن ولاهها من أمة أصلها ورشادها ٢٥١
- ولاخير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الناس بعد يزيد ٢٥٩
- الى فائق الأنداد مجداً وسؤددا
- أزف قصيدا كاد أن يبلغ المدى ٣٠١
- فعض ملكاً أو مت كريماً فان تمت
- وسيفك مشهور بكفك تمذر ٢٥٨
- ان بنى مروان قد بار ملكهم
- فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر ٢٥٨

- مرةً أمرت فقله أسدية ذراعية حلافة بالمصانع ٢٥١
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي
يوماً فان لجنب المرء مضجعا ٢٧٦
إذا شارف منهن قامت ورجعت
خيناً فأبكي شجوها البرك أجمعا ٣٩١
نجوت ولم ينن عليك طلاقة
سوى ربة التقريب من آل أعوجا ٣٩٣
على ان قرب الدار ليس بنافع
إذا لم يكن للمرء في الدين وازع ٤٢٠
والله لا نعصي العجوز حرفاً قد أمرتنا حرباً وعظفا ٢٢٥
أرقني طارق هم أرقا ٢٤٩
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي ٢٥٥
لا هم ان العبد يه ننع رحله فامنع رحالك ٣٩٣
يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما ١٦١
لست لخساء ولا للاحرم ولا لعمرودي السناء الأقدم ٢٢٥
قلت لزيد لم تصله مريمه ٢٤٩
وصهباء طاف يهودثيها وأبرزها وعليها ختم ٣٧٦

- ونحن في الشرق والنصحى ذوو رحم
ونحن في الجرح والآلام إخوان ٣٣٣
- حياك شعبك اقلييا وسكانا
يا هيئة قد زكت علماً وعرافانا ٣٥٥
- ان السلامة من سلمى وجارتها
أن لا تحل على حال بواديهها ٢٠٥
- أهزار الروض غرد بنشيد الوطنية ٣٥٥

فهرس الاعلام

الجزء الثاني

حرف الالف :

٤٢٣ / ٤٢٠	الآبي
٦٢ / ٢٠	آدم
١٩٣	ابن الأبار
/ ٢٢٩ / ٢٢٨ / ٢٢٧ / ٢٢٦	ابراهيم (عليه السلام)
/ ٣٩١ / ٣٩٠ / ٣٨٨ / ٣٨٧	
٤٠٢ / ٤٠١ / ٣٩٥ / ٣٩٤	
/ ١٥٠ / ١٤٥	ابراهيم اطفيش
٣٠٥	ابراهيم آل بن بو زيد
	الابراهيمي - محمد البشير الابراهيمي
٣٩٣	ابرهة الحبشي
٨٤	أبي بن كعب
٢٤٤	الآجري
٣١٣ / ٣١٢	أحمد بن اسماعيل
٤٣	أحمد بو شمال
٣٤ / ٣٣	أحمد توفيق المدني

٣٠٩	أحمد آل حاج جمو
١٤٨	أحمد بك الحسيني
٨٧ / ١٠٨ / ١١١ / ٢٧١ /	أحمد بن حنبل
٣١٩ / ٣٩٨	
	أحمد بن أبي دؤاد — ابن أبي دؤاد
١٥٩ / ١٤٨	أحمد زكي باشا
٣٠٩	أحمد السبيع الباش عدل
٣١١ / ٣١٢ / ٣١٣	أحمد بن عليوة
٣٠٥	أحمد بن مجني معين
٣٠١ / ٣٠٢	أحمد بن المولود
١٢٨ / ١٣٨	الأحوزي
٢٢٥	الأخرم
٣٩٢	الأزهري
١٠٨	اسامة بن زيد
١١١	ابن اسحاق
٦٢	اسرائيل
١١٣ / ١١٤	اسماء بنت مخزومة
٢٢٦ / ٢٢٧ / ٢٢٨ / ٢٢٩	اسماعيل (عليه السلام)
	ام اسماعيل — هاجر

٢١٢	اسماعيل جفر
٢١٥ / ٢٤٨	الأصمعي
٣٩٢ / ٣٧٦ / ٣٧٥	الأعشى
٣١٣/٣١٢	الأعرج بن الاحول
٨٦	ابو الأعور
١٣٤	الأقفاني
٥٥ / ٥١ / ٤٠ / ٣٨	الياهو خليفي
٢١٤	أللنبي
١٥٢	الأمير المالكي
١٠٧ / ١٠٦	أمية بن خلف
٣١٩ / ١٣٦ / ١٣٥ / ٨٧ / ٨٢	أنس بن مالك
١٣٤	الأنطاقي
٨٩	انيس الغفاري
٣٣٤	أوبو
٣٧٧	ابو أوفى
٢٥٣	ايوب (عليه السلام)
	حرف الباء :
٢٩٩	البجاوي حسن
/ ٢٦٧ / ١٠٥ / ٩٦ / ٨٩ / ٨٣	البخاري

٣٩٨ / ٣٩٦ / ٣٨٨ / ٣٤٩	
٣٠٠	بدور اسماعيل
٤٠٦	البراء بن عازب
١٣٦	ابو برزة الاسلمي
١٣٤	البزاز
١٤٠	البشري
١٣٤	ابن بشكوال
	البشير الابراهيمي — محمد البشير الابراهيمي
٣٨٧ / ٣٨٦	بشير بن سعيد الانصاري
٣٢٨ / ٣٢٧ / ٣٢٦ / ٣٢٥	البشير صفر
/ ١٠٦ / ١٠٥ / ١٠٤ / ٩٩ / ١٣	ابو بكر
١٢١ / ١٢٠ / ١٠٨ / ١٠٧	
	ابو بكر الطرطوشي — الطرطوشي
٣٠٢	بكير ابراهيم
/ ١٠٧ / ١٠٦ / ١٠٥ / ٩٦ / ١٩	بلال الحبشي
١٨٠ / ١٠٨	
٣١١	بلقاسم بن حلوش
٣٠٣	بلقاسم الزغداني
٣٠٠	بلقاسم بن عبادة
٢٩٢	بهاء الدولة

١٥٤	بهاء الدين بك
٣١	بو خلوة آل بو عبد الله
٢٩٩	ال بو صالح
٣٠٩	بو كراع الحاج محمد
٢٩٩	بو لخراص
٢٩٩	بو معيزة بلقاسم

حرف التاء :

١٣٤	التبريزي
٣٩٢ / ٢٤٩	تبع
٩٣ / ١٢٨ / ١٣٨ / ٣١٩ /	الترمذي
٣٨٦ / ٣٨٠	
١٤٥ / ١٥٠ / ١٥١	تقي الدين الهلالي
١٤٨	تيمور باشا
١٥٦ / ١٥٧	ابن تيمية

حرف التاء :

١١٠	ثابت بن أقرم
٨٧	ثابت البناني
	الثعالبي - عبد العزيز

حرف الجيم :

١٧٧	الجاحظ
١٦١	الجرجاني
٢٥٠	جرير
	ابن جرير الطبري - الطبري
٣٨٣ / ٢٢٢ / ٩٨	الخصاص
١٣٤	جعفر بن احمد السراج
١٣٤	ابو جعفر بن الرقي
٣٠٠	السيد جلواجي
/ ٤٦ / ٤٤ / ٤٣ / ٤١ / ٣٩	الدكتور جلول - بن جلول
٥٤ / ٥٣ / ٥٢ / ٥١	
٢٠٦ / ١٩٦	جمال الدين الافغاني
٢٧٧ / ٢٧٦ / ١١٦ / ١١٥	ابو جهل
١١٥ / ١١٤ / ١١٣	أم أبي جهل
٣٢٠ / ٣١٣	الجنيد
١١٢	ابن الجوزي
٣١٣	الجيلاني التدلوتي

حرف الحاء :

١٣٦	الحاكم
-----	--------

٢٩٣ / ٢٩٢	ابو حامد الاسفرايني
	ابو حامد الغزالي - الغزالي
٢٦١	الحياب بن المنذر
١١٢	ابن حبان
٣١٥	الحيب بو خالفة
٢٥٩ / ٢٥٨	حيب بن المهلب
٨٨ / ٨٧ / ٨٦	الحجاج بن علاط
٢٦٠	الحجاج المهلبى
٢٩١ / ٢٩٠ / ٢٥٧	الحجاج بن يوسف
١٣٦	ابن حجر
٢٩٢ / ٢٥٧	ابن أبي حديد
٢٧٩ / ١١٦	ابو حذيفة
٨٢	ام حرام بنت ملحان
٣٩٢	ال حسان
٣٣٠	حسان بو جدرة
	ابو حسان تبع - تبع
٣٠٠	حسن بعزابة
٣٠٤	حسن بو لحيال
١٣٤	ابو الحسن بن الحداد الخولاني

١٣٤	ابو الحسن الحلبي
١٣٤	ابو الحسن بن داوود الفاسي
٢٩٨	حسن بن سعيد حمادي
١٣٤	ابو الحسن بن شرف
١٣٤	ابو الحسن الصيرفي
١٣٦	ابو الحسن الموصلبي
١٣٢	ابو الحسن الهوزني
٢٠٨	الشريف حسين
١٩٦ / ١٩٩ / ٢٠٢ / ٢٠٥	حسين الجسر
٣٦	حسين بك حسين
٣٩٨	الحكم بن عمر
٣٩٩	حكيم احمد
٣١٣	ابن حلوش ابو مشواتا
١٠٧ / ١٠٥	حمامة
٣٠٤ / ٢١٢	حمدان الويسي
٣٨٦ / ٣٨٧ / ٣٨٨ / ٣٨٩	ابو حميد الساعدي
٤٠١	
٣٢ / ٢٢	حميدة بن باديس
٢٢١	ابو حنيفة

١٧٧	ابن حيان البستي
	حرف الخاء :
١٤٤	الامير خالد الجزائري
٢٧٩ / ١١٠	خالد بن الوليد
١٥٤	ال الخالدي
٣٩٦ / ٣٨٩ / ٣٨٨	الخدري
٢٧٢ / ١١٧	خديجة
١٤٩ / ١٤٥ / ١٤٤	الخضر حسين
٦٩	ابن خلدون
٣٠٥	خليفة حمة
٢٢٥ / ٢٢٤ / ٢٢٣	الخنساء
	حرف الدال :
١٣٦ / ١٢٤	الدارقطني
٢٩٩	ابن دالي مصطفي
٢٩٩	داوود (عليه السلام)
٤٢٣ / ٤١٤ / ٣٨٩ / ٩٩ / ٩٢	ابو داوود
٨٠	ابو الدرداء
٢٦٠	دريد المهلبى

٣٠١	دنيا زيدان
٢٤٧ / ٢٤٦ / ٢٤٥ / ٢٤٤ / ١٣٢	ابن ابي دؤاد
	دينار - ابو المهاجر

حرف الـذال :

/ ٩٣ / ٩٢ / ٩١ / ٩٠ / ٨٩	ابو ذر الغفاري
/ ٩٩ / ٩٨ / ٩٧ / ٩٦ / ٩٥	
/ ١٠٣ / ١٠٢ / ١٠١ / ١٠٠	
٣٩٨	

	ابن ابي ذؤاد - دؤاد
٢٥١	ذي الرمة

حرف الـراء :

١٧٧	الراغب الأصفهاني
١٥٤	راغب الخالدي
١٣٨	ابو الربيع
١١٤ / ١١٢	الربيع بن معود
٢٨٥	الرجال بن عنفة
/ ٢٥٠ / ٢٤٩ / ٢٤٨ / ٢٢١	الرشيد
٢٥١	
٢٣٥ / ٢٣٣ / ٢٣٢ / ٢٣١	ابن رشيد

٢١٠ / ٢٠٩ - ١٩٤ / ١٨٨	رشيد رضا
٢٩٣ / ٢٩٢	الشريف الرضي
٢٤٩	رؤبة بن المعجاج

حرف الزاي :

٤٦	ابناء الزاوي
١٣٧ / ١٣٦ / ١٣٥ / ١٣٤ / ١٤	ابن الزبير
١٣٥	الزرقاني
٥٣	الطبيب زرقين
	زكريا التبريزي - التبريزي
٣٥٥	زكي مبارك
١٣٦	الزهري
٣٠٤ / ٣٨	الزواوي
٢٥٩	زيادة بن المهلب
٨٦	زيد بن الأخصس
١٠٤	زيد بن ثابت
٢٧٣ / ٢٧٢	زيد بن الحارثة الكلبى
٢٨٥	زيد بن الخطاب

حرف السين :

٤٩	س ، بوماليى
----	-------------

٢٢٦	سارة
١٧٧	ابن ساعد الانصاري
٢٢٤	آل ساسان
٢٧٩	سالم مولى ابي حذيفة
١٣٦	السائب بن يزيد
١٣٦	سعد بن أبي وقاص
٨٤ / ٨٣	سعد بن الربيع
١٣٤	ابو سعد الزنجاني
٣٨٧	سعد بن عبادة
٢٧٢	سعدى
١٩٤	الامير سعود
١٣٤	ابن سعيد
٣٨٦	ابو سعيد
	ابو سعيد الخدري — الخدري
٣٠٥	السعيد بن ذكرى خوجة
١٣٤	ابو سعيد الرهاوي
٣٢٣	السعيد الزاهري
٣٠٤	السعيد الزموشي
١٣٦	سعيد بن يربوع

١١٨	ابو سفيان
٢٤١	سقراط
٢٦٢	سلطان الدولة
١٨ / ١٩	سلمان الفارسي
١١٠	سلمة الأسدي
٢٧٥	أم سلمة
١٩	ابن سلمة بن عبد الرحمن
٨٢	أم سليم
٤٥	سليم البوليس
٧٥	سليمان (عليه السلام)
٣٠٢	سليمان ابراهيم
١٥٠ / ١٤٩ / ١٤٦ / ١٤٥ / ١٤٤	سليمان باشا الباروني
٢٥٧	سليمان بن عبد الملك
١٠٥	سمية
١١٧ / ١١٦	سمية بنت خياط
١٩٣	سناء الملك
١٤٤	الشيخ السنوسي
١٣٤	السهيلى
١٢٠	سويبط بن حرمة

٢٠٣	السيد الباشا
١٩٢	ابن سيدة
١١١	السيوطي

حرف الشين :

٣٣٥ / ٣٣٠	الشاذلي بن القاضي
٣٣٥ / ٣٣٠	الشاذلي المكي
١٣٤	الشاشي
٢٤٦ / ٢٤٣	الشاطبي
٢٤٣	الشافعي
٣٠١	الشريف حجازي
١٢٣	الشفاء بنت عبد الله القرشية
٢٦٠	شبيب المهلبى
٣٠١	الشريف حجازي
١٩٦ / ١٢٤	الشوكاني
٢٦٥ / ٢٦٣	شيبه بن ربيعة

حرف الصاد :

٣٣٦	الصادق النيفر
١٩٠ / ٧٠	صالح (عليه السلام)
١٥٢	الشيخ صالح الجزائري

١٧٧	صالح بن جناح
٢٤٤	صالح بن علي الهاشمي
٢٠٢	صالح بن الموفق
٤٦	ابناء الصائفي
٢٢٣	صخر
	ابو صخر - كثير
١٨ / ١٤	صفية
١٩٣ / ١٩٢ / ١٥٤	صلاح الدين الايوبي
١٨٠ / ١٠٥ / ١٩	صهيب الرومي
	حرف الضاد :
	ضباة بنت الزبير
٢٨٤ / ٢٨٣	ضداد
	حرف الطاء :
٢٦٦ / ٢٦٣ / ١٠٥	ابو طالب
٣٠٩	طالب شعيب
٢٩٨	طالب علاوة بن الجودي
٣٠٤	الطاهر بن الامين
/ ١٤٨ / ١٤٧ / ١٤٥ / ١٤٤	الشيخ طاهر الجزائري
١٩٣ - ١٥٢	

ابو طاهر محمد بن جبلة - محمد بن جبلة

الطبراني ١٢٣

الطبري ٣٩٤

ابن طرخان ١٣٤

الطرطوشي ١٣٤

ابو الطيب - المتبي

الطيب بن عيسى ٣٣٥

الطيب المهاجي ٣١٥

طلحة الاسدي ١١٠

حرف الظاء :

الظاهر بيبرس البندقداري ١٥٥

حرف العين :

عائشة ١٢٣

الملك العادل - ابن عنان

عبادة بن الصامت ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢

العباس ٨٩ / ٩٠ / ٩١

ابو العباس السفاح ٢٤٩

ابن عباس - عبد الله

العباس بن الوليد ٢٥٨

٣٩٤ / ٢٢٤ / ١٩٣ / ٨٧	ابن عبد البر
١٥٣	عبد الرحمن البوشناقى
٢٣٢ / ٢٣١	عبد الرحمن آل سعود
١٣٢	عبد الرحمن صدقى
٢٧٦ / ١٠٧ / ٨٣	عبد الرحمن بن عوف
٣٠٤	عبد الرحمن بن الشيخ كامل بن عزوز
٣٣١ / ١٤٤ / ١٤٢ / ١٤١ / ١٤٠	عبد العزيز الثعالبى
٢٤٢ - ٢٣٠ / ٢٠٨	عبد العزيز سعود
١٩٦	عبد الغنى الرافعى
١٥٣	عبد الغنى الميدانى الغنىمى
٣١٤	عبد القادر
١٤٤	عبد القادر الجزائرى
٣٢٣	عبد القادر آل زبان
٣٠٩	عبد القادر بن عبد الوهاب
٣١١	عبد القادر بن قارة مصطفى
٣٢٣	عبد القادر المهاجى
٣٠١	عبد اللطيف القنطرى
٨١	عبد الله بن أبى
٣٢٣	ابو عبد الله ابو عبدلى

٢٣٤	عبد الله بن جلوى
٢٧٩	عبد الله بن حفص
١٣٤	ابو عبد الله السرقسطي
٩٢	عبد الله بن الصامت
/ ٢٢٨ / ٢٢٧ / ٢٢٦ / ٩٥	عبد الله بن عباس
٤٢٣ / ٣٩٤ / ٢٥٣ / ٢٤٤	
٣١٥	ابو عبد الله آل أبي عبد الله
٢٨١	عبد الله بن عمر
١٣٤	ابو عبد الله القلاعي
	أبو عبد الله محمد بن عتاب — محمد بن عتاب
/ ١٠٥ / ١٠٤ / ١٠٣ / ٩٢	عبد الله بن مسعود
٤٠١ / ٣٨٩ / ٣٨٣	
١٣٢	ابو عبد الله بن منظور
٦٠	عبد الله بن المهلب
٣٩٣ / ١٤	عبد المطب
٢٥٩	عبد الملك بن المهلب
١١١	عبد المنعم بن ادريس
٣١٣	عبد بن تونس
٣٠٤	عبود الويسي
٢٢١	ابو عبيد القاسم بن سلام

٢٨١	عبيد الله بن عمر
٢٦٠	ابو عبيدة
١٩٢	ابو العتاهية
٢٦٥ / ٢٦٣	عتبة بن ربيعة
/ ١٠٤ / ١٠٣ / ١٠١ / ١٠٠	عثمان
٢٤٧ / ٢٢٢	
٢٦٠	عثمان بن الفضل المهلي
٢٣٣	عجلان
٢٦٥ / ٢٦٤ / ٢٦٣	عداس
٢٥٨ / ٢٥٧	عدي بن أرطاة
٢٥٠ / ٢٤٩	عدي بن الرقاع
١٢٥	عدي العدوي
/ ١٣٣ / ١٣٢ / ١٣٠ / ١٢٨	ابن العربي (ابو بكر)
/ ١٣٨ / ١٣٧ / ١٣٦ / ١٣٥	
/ ٢٥٤ / ٢٥٢ / ١٩٣ / ١٣٩	
٣٨٩ / ٣٨٥	
٣١٠	الحاج العربي التواني
٣٢٦	العربي الكبادي
٣٠٥ / ٣٠٤	العربي الموسوي الصائفي
٤٣٣ / ٤٢٠	ابن عرفة

٣٨	ابن عريوة
١٩	ابن عساكر
٢١٧	عصمت اينونو
٣٢٨	العزیز بو عتور
٢٨٩ / ٢٨٨ / ٢٨٧	عقبة بن نافع
٢٥٧	آل أبي عقيل
١٨٦	العقبلي
١١١ / ١١٠	عكاشة بن محصن
٥٠	علوش سكر
/ ٢٢٢ / ١٣٦ / ٩٣ / ٩٢ / ٨٩	علي بن أبي طالب
٢٦٦ / ٢٤٧	
٣٠٩	ابن علي
٣٢٣	علي الحسيني
	علي بن عبد العزيز - الجرجاني
١٤٨	الشيخ علي يوسف
٣٠٩	عليش
٣٢ / ٢٢	عمار بن احمد
٣٠٠ / ٢٩٩	عمار بو صالح
١١٦ / ١٠٥	عمار بن ياسر

٢٢٣	عمر (أخ الخنساء)
/ ١٢٣ / ١١٨ / ١٠٨ / ٨٦ / ٨٠	عمر بن الخطاب
/ ٢٢٢ / ١٢٧ / ١٢٦ / ١٢٥	
٢٨٢ / ٢٨١ / ٢٣٦	
٣٠٩	عمر بن خلاوي
٣٠٢	عمر بن شعلال
١٥٠	الامير عمر طوسن
٢٩١ / ٢٩٠ / ٢٥٧	عمر بن عبد العزيز
٤٩ / ٢٤	عمر بن الموفق
٢٢٥	عمرو
٢٥٩	عمرو بن قبيصة
٢٦٠	عمرو بن يزيد المهلب
٣٩٨	عمران
١٣٧ / ١٣٥ / ١٣٤	القاضي عياض
٤٠٠ / ٢٣٣	عيسى (عليه السلام)
٢٦٠	ابو عيينة بن المهلب
	حرف الفين :
١٩٥ / ١٣٤	الغزالي
٢٦٠	غسان المهلب

٢٧١ / ١٨٦	الفساني
٢٧١ / ٢٧٠	غورث بن الحارث
٣٣٩ / ٢١	غوستاف لوبون

حرف الفاء :

٣١٢	ابن الفارض
١٨ / ١٤	فاطمة
٢٩٣ / ٢٩٢	فخر الملك
١٣٤	ابن الفرات الدمشقي
٢٣	فرانك شفو
٣٢٣	فرحات اللبناني
١٣٨ / ١٣٦ / ١٣٢	ابن فرجون
٣٩٣ / ٢٥٠	الفرزدق
٣٩٥ / ٣٩٢	فرعون
٢٦٠	الفضل بن قبيصة
٢٥٢	ابو الفضل المراغي
٢٦٠	الفضل بن المفضل المهلبي
٢٥١ / ٢٥٠ / ٢٤٨	الفضل بن يحيى
٣٠٨	الفضيل الورتلاني
١٣٤	ابو الفوارس الزبي

٤١	م . فيزرو
٣٣٤ / ٣٣٣ / ٢٥	م . فيوليت

حرف القاف :

١٣٤	ابو القاسم بن أبي الحسن القاديسي
	ابو القاسم الحسن الهوزني - الحسن الهوزني
	القاسم بن سلام - ابو عبيد
١٧٧	ابن قتيبة
٣٩١	قصي
٣٣٠	قلش الزين
	قوستاف لوبون - غوستاف لوبون
١٩	قيس بن مطاطية
١٤	قيصر

حرف الكاف :

٢٦٠ / ٢٥٩	كثير بن أبي جمعة
٣٠٠	كربوش السعيد
٢٢٥ / ١٤	كسرى
٢٨٨ / ٢٨٧	كسيلة
٢٤١	كسينوفون

٤٠١ / ٣٨٦ / ٣٨٠	كعب بن عجرة
٣٤	كلومبس
٢٤١	كيروس

حرف اللام :

٢٧٥ / ٢٧٤	ابو لبابة بن عبد المنذر
٢٩٧	لعاوي علي
٤٢	م • لنديل
٥٤ / ٥٣	لولوش
٣٩٤	ابو لهب
٢٣٠	ليوبولد وايس

حرف الميم :

٣١٤	م • ماصلو
/ ١٣٦ / ١٣٥ / ١٢٨ / ١٩	مالك
٣٨٩ / ٣٨٧	
١٣٢	المأمون بن ذو النون
٣٠٥	مامي الشريف
٣٩١	متمم بن نويرة
٢٥٥	المنتبي
٨٦	مجاشع بن مسعود

١٩٧

ابو المحاسن القاوقجي

١٤٥

محب الدين الخطيب

محمد (صلى الله عليه وسلم)

/ ١٦ / ١٥ / ١٤ / ١٣ / ١١
/ ٢١ / ٢٠ / ١٩ / ١٨ / ١٧
/ ٨٦ / ٨٤ / ٨٣ / ٨٢ / ٨٠
/ ٩١ / ٩٠ / ٨٩ / ٨٨ / ٨٧
/ ٩٧ / ٩٦ / ٩٥ / ٩٣ / ٩٢
/ ١٠٤ / ١٠٣ / ١٠٢ / ٩٩ / ٩٨
/ ١٠٩ / ١٠٨ / ١٠٦ / ١٠٥
/ ١١٣ / ١١٢ / ١١١ / ١١٠
/ ١١٧ / ١١٦ / ١١٥ / ١١٤
/ ١٢١ / ١٢٠ / ١١٩ / ١١٨
/ ١٣٥ / ١٢٧ / ١٢٣ / ١٢٢
/ ٢٢٦ / ٢٢٤ / ٢٢٣ / ١٩٨
/ ٢٤٠ / ٢٣٧ / ٢٢٨ / ٢٢٧
/ ٢٤٧ / ٢٤٦ / ٢٤٥ / ٢٤٣
/ ٢٦٤ / ٢٦٣ / ٢٦٢ / ٢٦١
/ ٢٦٨ / ٢٦٧ / ٢٦٦ / ٢٦٥
/ ٢٧٢ / ٢٧١ / ٢٧٠ / ٢٦٩
/ ٢٧٦ / ٢٧٥ / ٢٧٤ / ٢٧٣
/ ٢٨٥ / ٢٨٤ / ٢٨٣ / ٢٧٧
/ ٣٣٨ / ٣١١ / ٣٠٤ / ٢٨٨
/ ٣٧٧ / ٣٧٦ / ٣٧٥ / ٣٧٣
/ ٣٨٣ / ٣٨١ / ٣٨٠ / ٣٧٨
/ ٣٨٨ / ٣٨٧ / ٣٨٦ / ٣٨٥

/ ٣٩٤ / ٣٩٣ / ٣٩١ / ٣٩٠	
/ ٤٠٠ / ٣٩٩ / ٣٩٨ / ٣٩٧	
/ ٤٠٦ / ٤٠٥ / ٤٠٢ / ٤٠١	
٤٢٣ / ٤٠٧	
٣١٤ / ٣١٠	الشيخ محمد
١٢٤	محمد بن ابراهيم الشامي
٥٣	محمد أمزيان
٦٤	محمد البشير الابراهيمي
٢١٢ - ٢٠٠	محمد بخيت المطيعي
	محمد تقي الدين الهلالي - تقي الدين الهلالي
١٩٣	محمد بن جبلة البغدادي
٣٢٣ / ٣٠٨	محمد الجندلي
١٣٦	ابو محمد الجوهري
٢٢٢ / ٢٢١	محمد بن الحسن
٢٩٩	محمد حاكمين
١٣٢	ابو محمد بن خزرج
	محمد الخضر حسين - الخضر حسين
٢٩٨	محمد خلواجي
٢٩٩	محمد بن دويذة
	محمد رشيد رضا - رشيد رضا

٣١٠	محمد آل سيدي عدة
٣٠٣	محمد الطاهر الزغداني
٣٢ / ٢٢	محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة
٢٣٦	محمد بن عبد الوهاب
١٩٤ / ١٩٦ / ٢٠٢ / ٢٠٥	محمد عبده
٢٠٦ / ٢٠٧ / ٢١١ / ٢١٢	
١٣٢	محمد بن عتاب
٣٣	محمد عثمان باشا
٣٠٥	محمد العيد
٣٠٠	محمد بن عيسى
٣٠٠	محمد قرفي
١٩٦	محمد التوقجي
٣٤ / ١٥٢ / ١٩٣	محمد كرد علي
٣٠٤	محمد المدني الحنفي
٥١ / ٥٢ / ٥٣	محمد المصطفى بن باديس
٢٥٩	محمد بن المهلب
٢٩٩ / ٣٠٠	محمد بن الموفق
١٣٠ / ٣٢٨	محمد النخلي
٢٩٠	محمد بن يزيد

٣٥	محمود نسيم افندي
١٩٦	محمود نشافة
٥١	مختار ابن الحاج سعيد
١٥٤ / ١٤٨	مدحت باشا
١٨٦	المديني
١٣٢	ابو مروان بن سراج
٢٥٩	مروان بن المهلب
١٣٥	مسدي
٣٨٩ / ٣٨٧	ابو مسعود الانصاري
	ابن مسعود - عبد الله
٣٠١	مسعود القني
٢٤٤	المسعودي
١٧٧	ابن مسكوية
/ ٣٤٩ / ٢٧٦ / ٩٩ / ٩٦ / ٩٢	مسلم
٣٩٨ / ٣٩٧	
٢٥٩ / ٢٥٨	مسلمة بن عبد الملك
٢٨٧	مسلمة بن مخلد الانصاري
٣١٤	الشيخ مصطفى
٣١٣ / ٣١١	مصطفى بن بلقاسم بن حلوش

٢١٣ - ٢١٧	مصطفى كمال
١٩٤	مصطفى المراغي
١٩٣	المطرزي
١٣٩	القائد مظفر
٨٠ / ١٩	معاذ بن جبل
٢٧٧	معاذ بن عفراء
٢٧٧	معاذ بن عمرو بن الجموح
٢٦٠	المعارك بن المهلب
٨٠ / ٨٢ / ٩٤ / ١٠٠ / ١٠١ /	معاوية بن أبي سفيان
٢٨٧ / ١١٨	
٢٥٩	معاوية بن يزيد بن المهلب
١٣٢	المعتمد بن عباد
٣٠٢	المعروض علي
٣٠١	المعراضي الميزابي
١٩٣	المعري
١٩٣	ابن المعطي
٢٩٨	معطي الله محمود
٣٠٣	معمر بن غراب
	معمر بن المثني - ابو عبيدة

٢٩٩	معيزة احمد
١٨٦	ابن معين
٢٥٩	المغيرة بن قبيصة
٢٦٠	المغيرة بن يزيد المهلبى
٢٦٠ / ٢٥٩	المفضل بن المهلب
١٠٥	المقداد
٢٥٦ / ٢٥٤ / ١٣٨ / ١٣٧ / ١٣٢	المقري
١٧٧ / ١٥٨	ابن المقفع
١٤	المقوقس
٢٦٠	المنجاب بن المهلب
٣١٠	ابن منصور مصطفى
٢٥٩	المنهل بن أبي عينة
٣١٠	المنور كلال
٢٨٩ / ٢٨٨ / ٢٨٧	ابو المهاجر دينار
٢٤٧ / ٢٤٤	المهتدي
٣١٠	مهدي بن الشيخ بوعبدان
١٣٤	مهدي الوراق
٦٣ / ٦٢	موسى (عليه السلام)
٢٨١	ابو موسى الأشعري

المولود بن موهوب ٣٧

الميداني ١٧٧

م . ميرسي ٢٢

حرف النون :

نابليون ٢٤١ / ٢١٦

ابن نباتة ١٧٧ / ١٧٦

نجم الدين أيوب ١٩٣

النخلي - محمد النخلي

النسائي ٣٩٨

ابو نصر المقدسي ١٣٤

النعمان بن بشير ٣١٩

النعمان بن عدي الانصاري ١٢٧ / ١٢٥

ابو نعيم الاصفهاني ١١٢ / ١١١

نعيمان بن عمرو ١٢٢ / ١٢١ / ١٢٠

النوي ٣٩٢

حرف الهاء :

هاجر ٢٢٨ / ٢٢٧ / ٢٢٦

الهادي السنوسي ٣٥٥

هامان ٦٣

هبة الله بن جعفر - سناء الملك

٢٦٧ / ٢٨٥ / ٣٤٩ / ٣٩٧ /
٤٣٣

ابو هريرة

٨٢

هشام بن عمر الخطيب

الهالبي - تقي الدين الهالبي

١١٨ / ١١٩

هند بنت عتبة

٣٣

الدكتور هيكل

حرف الواو :

٢٤٣ / ٢٤٤ / ٢٤٥ / ٢٤٦

الواثق

٣٠٩

الوانوغي بن الشيخ بو مزراق

٣٦

ابن وادفل

٣٠٠

الواعر محمد

٢٩٠ / ٢٩١

الوضاح بن أبي خيشمة

٣٠٨

وكال محمد

١١٢

وهب

حرف الياء :

١١٦

ياسر العنسي

١١٢

يحيى

٤١

يحيى احميد

٢٧٦	يحيى بن يحيى
٢٥٨	يزيد بن الحكم الثقيفي
١٣٦	يزيد الرقشي
٢٦٠ / ٢٥٩ / ٢٥٨ / ٢٥٧	يزيد بن عبد الملك
٢٨٧	يزيد بن معاوية
٢٩١ / ٢٩٠	يزيد بن أبي مسلم
٢٥٩ / ٢٥٨ / ٢٥٧	يزيد بن المهلب
١٣٨	يوسف الحزام المقرئ
٢٧٦	يوسف بن الماجشون
٢٦٤	يونس بن متى
٣٥٥	ابو اليقظان

فهرس الامم والقبائل

الجزء الثاني

٢٨٣	ازد شنوءة
٣٠٣ / ٢٥٧ / ٢٤٩ / ١١٠	بنو امية
٢٧٦	الانصار
٢١٥ / ٢١٣	الانكليز
٢٧٤ / ١٩	الأوس
٢٩٢	بنو بوية
٢٣٥	بريدة
٣٣١ / ٢٣٥ / ١٥٣	الترك (الاتراك)
٢٢٢	تغلب
٢٦٣	تقيف
٧٠	ثمود
٢٢٧	جرهم
٣٩٣ / ٦٤	الحبشة (الاحباش)
٣٠٥ / ٣٠٣	الحراكية
٢٨٥ / ٢٧٩	بنو حنيفة

١٩	الخزرج
٧١	الرومان
٧٣	السبأيون
٨٦	بنو سليم
٣٢١	الطيان
٦٩ / ٦٦	عاد
١٣٢	بنو عباد
١٨ / ١٤	عبد شمس
٢٦٣ / ١٨ / ١١	عبد مناف
١٥٠	المعجم
١٨٠	عدنان
١٢٥ / ١١٣	عدي بن النجار
/ ٢٧ / ٢١ / ١٩ / ١٨ / ١٤	العرب
/ ٦١ / ٦٠ / ٥٩ / ٥٧ / ٢٩	
/ ٧٠ / ٦٩ / ٦٥ / ٦٤ / ٦٣	
/ ١٥٥ / ١٥٤ / ١٥٠ / ٧٢	
/ ٢٣٥ / ٢٣١ / ٢٣٠ / ١٨٠	
/ ٣٣٥ / ٣٢٠ / ٢٤٩ / ٢٣٨	
٣٩٣ / ٣٩٢ / ٣٧٥	
٢٣٥	عنزة
٩٠	غفار

الأمم والقبائل

٦٤	الفرس
١٨٠	قحطان
/ ٨٧ / ٨٦ / ١٨ / ١٧ / ١٤	قريش
/ ١١٦ / ١٠٦ / ١٠٥ / ٩١ / ٩٠	
٣٩٣ / ٣٩١ / ٢٩٠ / ٢٦٣	
٢٤٧	بنو قريظة
٢٧٢	القين
٨١	بنو القينقاع
٢٥٤	كعب بن سليم
١٤	كعب بن لؤي
١١٦	بنو مخزوم
١٤	مرة بن لؤي
٢٥٨	بنو مروان
٧١	المصريون
٢٥٩ / ٢٥٧	آل المهلب
١٣٩	الموحدون
٣٩١ / ١٨ / ١٤	بنو هاشم
٣٤	هنود اميركا
١٨٠	اليمانية

آثار ابن باديس

/ ٥٥ / ٥١ / ٤٨ / ٤٧ / ٤٦

اليهود

٣٢١ / ٨١ / ٨٠ / ٦٠

٣٢١ / ٧١

اليونان

فهرس الاماكن والبلدان

الجزء الثاني

حرف الالف :

٢٠٦ / ١٨٢	الاستانة
٨٤ / ٨٣	أحد
٣٥٩ / ٦٣ / ٣٨	الأخضر (جامع)
٣٢٣ / ٣١٧ / ٣١٥ / ٣٨	أرزيو
٣٠٦	أزقون
/ ٢٠٢ / ١٩٥ / ١٩٤ / ١٤٠	الازهر
/ ٢١٦ / ٢١٢ / ٢١٠ / ٢٠٥	
٣٠٨	
/ ١٣٨ / ١٣٤ / ١٣٣ / ١٣٢	الاسكندرية
٢١٢ / ١٩٤	
/ ١٣٦ / ١٣٥ / ١٣٣ / ١٣٢	اشبيلية
١٣٩ / ١٣٧	
٣١١ / ٣٠٩ / ٣٠٨	الاصنام
٢٨٨	الاطلانطريقي (المحيط)
٣١٧	الاغواط

٣١٧	أفلو
/ ٢٨٧ / ١٤٤ / ١٤١ / ١٤٠	أفريقيا
٢٩١ / ٢٩٠	
٣٠٦	أقبو
٣٤	ألانو
٢٣٨ / ١٥١	المانيا
٢٩٠ / ٢٨٧	امازيغ
٣٠٧	أم قراية (جبل)
٣٠٢	أم لباقي
١٩١ / ٣٤ / ٣٣	أمريكا
١٥٤	الأموي (جامع)
٢١٥ / ٢١٤ / ٢١٣	الاناضول
٢٣١ / ١٣٤ / ١٣٣	الاندلس
٢١٤	انكلترا
٢٨٨	اوراس
٢٠٨ / ٣٤	اوروبا
٢٣٨ / ١٤٩	ايطاليا
	حرف الباء :
٣٢٣	باريقو

الأماكن والبلدان

١٣٩	باب المحروق
٤٥	باب الوادي
٢٩٣	بادوريا
١٦٥	باريس - باريز
٣٠٧ / ٣٠٦ / ١٣٤	بجاية
٢٣٦	البحرين
/ ١١٣ / ١١٠ / ١٠٧ / ٨٣ / ٨٠	بدر
٢٧٥ / ٢٦١ / ١٢٠	
٣٠٦	البرج
١٤٩	برقة
١٢٠	بصرى
/ ٢٥٧ / ٢٣٦ / ١٢٥ / ٨٦	البصرة
٢٨١ / ٢٥٩ / ٢٥٨	
٣١٤	بوقرات
٣١٧	بريقو
٢٩٣ / ٢٥٢ / ١٣٤ / ١٣٣	بغداد
١٥١	بن (جامعة)

حرف التاء :

٣٠٦	تازمالت
-----	---------

٣٠٦	تاقزيريت
٣٥٩ / ٥٩	الترقي (نادي)
٢١٧ / ٢١٤ / ٢١٣	تركيا
٣٥٩ / ٣٢٣ / ٣١٧ / ٢٨٧	تلمسان
٣٢٧ / ٣١٧	تموشنت
/ ١٤٢ / ١٤١ / ١٤٠ / ١٣٠	تونس
٣٣٦ / ٣٣٥ / ٣٣٣ / ١٤٤	
٣١١	تيارت
٣٠٦	تيزبوزو

حرف الجيم :

٥١	الجامع الكبير
٢٣٦	جاوة
٤١٣	جبل عياض
٢٣٥	جدة
٢٥٧	جرجان
٣٠٦	جرجرة (جبل)
/ ٣١ / ٢٥ / ٢٤ / ٢٣ / ٢٢	الجزائر
/ ١٤١ / ١٤٠ / ١٣٨ / ٣٤ / ٣٣	
/ ١٥٢ / ١٥٠ / ١٤٤ / ١٤٢	
/ ٣١٤ / ٣٠٨ / ٢٨٧ / ٢١٧	

/ ٣٢٧ / ٣٢٦ / ٣٢١ / ٣١٦
 / ٣٣٥ / ٣٣٤ / ٣٣٣ / ٣٣٢
 / ٣٥٥ / ٣٥٤ / ٣٥٢ / ٣٤٧
 ٣٧٤ / ٣٦٧ / ٣٦١ / ٣٥٦

٢٥٧ / ٨٢

الجزيرة

٧١ / ٦٩ / ٦٤ / ٦٣ / ١٤

الجزيرة العربية

٣١٧

الجلفة

١٥٣

الجمماقية (مدرسة)

حرف الحاء :

٢٣٥ / ٢٣١

حابل

١٢٥

الحبشة

٢٣٥ / ٢٣٠ / ١٥١

الحجاز

٣٠٠ / ٢٩٩ / ٢٩٧

الحروش

٢٣٥ / ٢٣٤

الحسا

١٠٩

حلب

٢١٢

حلوان

٢٣٢

حماة

٩٦ / ٨٠

حمص

حمص - اشيلية

حرف الخاء :

٢٥٧ / ٢٥٣	خراسان
٣٠٢	الخروب
٣٠٨	خميس مليانة
١٢٠ / ٩٢	الخدق
٣٠٣	خففة
٨٧ / ٨٦	خير

حرف اللال :

	دار السلام - بغداد
٢٩٣	الداهرية
٢١٣	الدردييل
٣٠٦	دلس
/ ١٥٤ / ١٥٣ / ١٥٢ / ١٠٩	دمشق
١٧٧ / ١٦٠	
٢٥٧	دهستان
٢٩٩	دوار الزاوية

حرف الراء :

١٠٤ / ١٠٣ / ٩٦	الربذة
٢٣٢	الربع الخالي

الأماكن والبلدان

٢٦٠	رتنيل
/ ٢٣٤ / ٢٣٣ / ٢٣٢ / ٢٣١	الرياض
٢٤١ / ٢٣٦ / ٢٣٥	

حرف الزاي :

٢٢٧ / ٢٢٦	زمزم
/ ٢٠٣ / ١٤٠ / ١٣٨ / ١٣٠	الزيتونة (جامع)
/ ٣٣٢ / ٣١٠ / ٣٠٣ / ٣٠١	
٣٥٩	

حرف السين :

٣٠٠ / ٢٩٩	سانطارنو
٧٥ / ٧٣ / ٧٢	سبأ
٣٠٦	سطيف
٢٤٩	السفد
٢١٣	سقاريا
	السلام - بغداد
٢٩٩	سكيكدة
/ ١٩٢ / ١٥٤ / ١٥٢ / ١٤٨	سوريا - سورية
٢٣٢	
٣١٧	سوقتيارت
٤٩	سوق العصر
	٥٩٠

سیدی بلعباس ۳۱۷

سیدی الکتانی (مسجد) ۴۹

سیدی مزريش ۳۰۰ / ۲۹۹

سیدی عيش ۳۰۶

سیق ۳۲۳

حرف الشين :

الشام / ۱۰۰ / ۹۰ / ۸۶ / ۸۰ / ۶۴

/ ۱۳۳ / ۱۰۹ / ۱۰۷ / ۱۰۱

/ ۱۵۵ / ۱۴۸ / ۱۴۴ / ۱۳۴

/ ۱۷۹ / ۱۷۸ / ۱۵۸ / ۱۵۶

/ ۲۵۷ / ۲۳۲ / ۲۰۶ / ۱۸۳

۲۵۹ / ۲۵۸

شمر (جبل) ۲۳۵

شیکاغو ۳۴

حرف الصاد :

الصفا ۲۲۷ / ۲۲۶ / ۱۷ / ۱۳

الصنوبر ۵۱ / ۴۵

حرف الطاء :

الطائف ۲۶۳

الأماكن والبلدان

٢٠٦	طرابلس الشام
٣٢٧ / ١٤٩ / ١٤٤	طرابلس الغرب
٣١٧ / ٣١٤	ابن طكوك (زاوية) طيبة - المدينة

حرف الظاء :

١٥٤	الظاهرية (مدرسة)
١٩٣ / ١٨٦ / ١٧٧	الظاهرية (مكتبة)

حرف العين :

/ ٢٥٨ / ٢٥٧ / ١٥١ / ١٣٣ / ٦٤	العراق
٢٩٤ / ٢٩٠ / ٢٨١	
٢٩٨	عزابة
٣٠٦	عزازقة
/ ١٢٠ / ٨٤ / ٨٣	العقبة
٢٥٨	العقر
٢٩٩	العلمة
١٠٩	عمواس
٢٩٣	عيسى (نهر)
٣٠٥ / ٣٠٣ / ٥٥ / ٤٩	عين البيضاء
٣٠٦	عين الحمام

٣٠٢ / ٣٠٠

عين مليلة

حرف الفين :

٢١٣

غاليبولي

٣١٧

الغزوات

/ ٣١٧ / ٣١١ / ٣١٠ / ٣٠٨

غيليزان

٣٢٣

حرف الفاء :

١٣٩

فاس

٤١١

فج الغزاة

/ ١٤١ / ١٣١ / ٢٥ / ٢٣ / ٢٢

فرانسا

/ ٣٣٣ / ٣٢٢ / ٣٢١ / ٢٣٨

٣٦٦ / ٣٦٥

٣١٧

فرندة

٣٠٦

فورناسيونال

٨٠

فلسطين

حرف القاف :

٢٢٤

القادسية

٣٣٧

القائمة

٢١٢ / ١٨١ / ١٦٠

القاهرة

الأماكن والبلدان

٨٢	قبرص
٢١٤ / ١٩٢ / ١٥٥	القدس
٤١٢	القرارم
١٣٢	قرطبة
/ ٤٧ / ٣٨ / ٣٦ / ٢٤ / ٢٢	قسنطينة
/ ٣٠٣ / ١٣١ / ٥٤ / ٥٢ / ٥٠	
/ ٣٣٧ / ٣١٤ / ٣٠٨ / ٣٠٦	
٣٥٩ / ٣٥٥ / ٣٤٨	
٣١٧	قصر البخاري
٢٣٥	القصيم
١٩٥	القلمون
٢٨٩ / ٢٨٨ / ٢٨٧	القيروان

حرف الكاف :

١٥٤	الكلاسة
١٩١	الكويتشوكية (مدرسة)
٨٦	الكوفة
٢٣٦ / ٢٣٣ / ٢٣٢ / ٢٣١	الكويت

حرف اللام :

٣٤	لانكاس
----	--------

١٩٥	لبنان
	حرف الميم :
٧٣	مأرب
٣٤	المياص
٢٩٩	مجاز الدشيش
١٩٥	مدائن صالح
/ ١٥٣ / ١٥٥ / ٨٦ / ٨٣ / ٨٥	المدينة
/ ٢٣٥ / ٢١٢ / ١٢٥ / ١١٣	
٢٨١	
٣١٧	المدية البرواقية
١٤٤ / ١٣٩ / ١٣٨	مراكش
٢٢٧ / ٢٢٦	المروة
/ ٣١٤ / ٣١٣ / ٣١١ / ٣٥٨	مستغانم
٣١٧	
٣٥٥	مسكياتة
/ ١٥٨ / ١٤٨ / ١٣٤ / ٨٦ / ٣٤	مصر
/ ١٨٢ / ١٨١ / ١٧٩ / ١٧٨	
/ ١٩٤ / ١٩٢ / ١٩٥ / ١٨٣	
/ ٢١١ / ٢٥٨ / ٢٥٦ / ١٩٩	
٣٥٥ / ٢٨٧ / ٢٣٦ / ٢١٦	
٣٣٣ / ٣١٧	معسكر سعيدة البيض

الأماكن والبلدان

/ ١٤٩ / ١٤٥ / ١٤٤ / ١٤١	المغرب
١٩٣	
٣١٧	مغنية
٣٤	المكسيك
/ ٨٧ / ٦٤ / ٦٣ / ١٨ / ١٤	مكة
/ ١١٦ / ١٠٦ / ١٠٥ / ٩٠ / ٨٩	
/ ٢٢٧ / ٢٢٦ / ١٣٥ / ١١٨	
/ ٢٦٦ / ٢٦٣ / ٢٣٥ / ٢٢٨	
٣٨٠ / ٢٨٣ / ٢٧٢	
٣١١ / ٣٠٩ / ٣٠٨	مليانة
١٣٤	المهدية
١٢٦ / ١٢٥	ميسان
٤٢٤ / ٣٠٣	ميشلي
٤١٨ / ٤١١ / ٣٠٠	الميلية

حرف النون :

٢٣٩ / ٢٣٥ / ٢٣٣	نجد
٣١٧	ندروبة

حرف الهاء :

٢٣٥	الهفوف
٢٣٦ / ١٥١	الهند

حرف الواو :

٢٥٨ / ١٢٥	واسط
٣٤	الولايات المتحدة
٢٣١	ولدف
/ ٣١٧ / ٣١٥ / ٣١٠ / ٣٠٨	وهزان
٣٢٣	

حرف الياء :

٢٨٥ / ٢٧٩	اليامة
٢٠٨ / ٧١ / ٦٤	اليمن
٣٤	يوكتان

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

الجزء الثاني

حرف الالف :

٢٢٢ / ١٣٨ / ١٢٨ / ٩٨	أحكام القرآن للجصاص
٢٥٢	الاحكام لابن العربي
٢١٦	الاحكام العدلية (مجلة)
٢٠٣ / ١٩٧	احياء علوم الدين
٢٠٣	الأدب
١٧٧	الأدب والمروءة
١٧٧	الأدب الصغير
١٩٣	الاربعين السلفية
١٩٢	ارجوزة ابن سيدة
١٧٧ / ١٧٦	ارشاد الألباء الى طريق الف باء
١٧٧	ارشاد المقاصد
٢٢٤	الاستيعاب
٢٠٧	أسرار البلاغة
٣٤	الاسلام والحضارة العربية

اسماء الضعفاء ١٨٦

الاصابة ٩٢

اعتاب الكتاب ١٩٣

أعيان الاعيان ١٣٩

الامام باصول سيرة النبي عليه السلام ١٧٧

الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى ١٣٩

امنية الألمي ١٧٧

الانصار - الانصاف

الانصاف في مسائل الخلاف ١٣٩

أنوار الفخر في تفسير القرآن ١٣٨

حرف الباء :

بغية المؤانس من بهيجة الحجل ١٩٣

البلاغ (ج) ٣٥٤

حرف التاء :

تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ١٩٥ / ٢١٢

تاريخ بغداد ١٩

التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ١٧٦ / ١٧٨

تبين الصحيح ١٣٩

تخليص التلخيص ١٣٨

الكتب والمراجع

- ترتيب الرحلة ٢٥٤ / ١٣٩
تسهيل المجاز الى فن المعنى والالغاز ١٧٦
تفسير الجزائري ١٧٧
تفسير المنار ٢٠٩ / ١٩٤
تفصيل التفصيل ١٣٩
تفصيل النشاطين ١٧٧
التقريب الى اصول التعريب ١٧٨ / ١٧٧
تنبيه الانام ٤٠٧
توجيه النظر الى علم الاثر ١٧٧
التوسط في مدة صحة الاعتقاد ١٣٩

حرف الجيم :

- جامع الترمذي ١٢٨
الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية ١٧٦

حرف الحاء :

- حاشية المجموع الفقهي ١٥٢
حديث الافك ١٣٩
حديث أم زرع ١٣٨
حلية الأولياء ١١٢ / ١١١

حرف الخاء :

- ٢٢٤ خزانة الادب
١٣٨ الخلافات

حرف الدال :

- ٢٠٧ دلائل الاعجاز
١٣٢ الديباج
١٩٢ ديوان أبي العتاهية

حرف الراء :

- ١٩٣ رد ابن السيد على رد ابن العربي
لديوان المعري
١٣٩ الرد على من خالف النية
٢٤٣ الرسالة البغدادية
١٧٦ رسالة في البديع
١٧٦ رسالة في البيان
١٧٦ رسالة في العروض
١٧٦ رسالة في النحو
١٣٩ رسالة الكامل
١٣٤ الروض الآنف
١٧٧ روضة العلماء

الكتب والمراجع

حرف الزاي :

١٥٠	الزهراء
٣٥٦ / ٣٣٠ / ٣٢٦	الزهرة
٣٥٧	الزهور (ج)
٣٣٥ / ٣٣٠	الزيتونية (ج)

حرف السين :

١٣٩	السباعيات
١٣٩	ستر العورة
١٣٨	سراج المريدين
١٣٨	سراج المهتدين
١٣٩	السلسلات
١٣٦	سنن الدارقطني
٩٩ / ٩٢	سنن ابي داوود
٢٦١	سيرة ابن هشام

حرف الشين :

٣٠٨	شرح تجريد احاديث البخاري
١٣٩	شرح حديث جابر
١٧٧ / ١٧٦	شرح ديوان خطاب ابن نباته
١٣٩	شرح غريب الرسالة

١٣٥	شرح المواهب للزرقاني
٢٤٤	الشريعة (ج)
٢٧١	الشفاء
/ ٧٩ / ٤٥ / ٤٣ / ٤١ / ٣٨	الشهاب (ج)
/ ٣٤٦ / ٣٤٥ / ٢٢٦ / ١٥٢	
/ ٣٥٣ / ٣٥١ / ٣٥٠ / ٣٤٨	
/ ٣٥٧ / ٣٥٦ / ٣٥٥ / ٣٥٤	
/ ٣٦٦ / ٣٦٥ / ٣٦٤ / ٣٦٣	
٣٧٠ / ٣٦٩ / ٣٦٨ / ٣٦٧	
٢٣٠	الشورى (ج)
	حرف الصاد :
٣٨٧ / ٢٧١ / ١١٠ / ١٠٥ / ٨٩	صحيح البخاري
٣٨٧ / ٢٧١ / ١١٠ / ١٠٥ / ٩٢	صحيح مسلم
	حرف الضاد :
١٤٤	ضحى الاسلام
	حرف الطاء :
١٠٣ / ١٠١ / ١٠٠ / ٩٥	الطبري
٤٢٣ / ٤٢١	الطراز
	حرف السين :
٢٠٦ / ٢٠٣ / ١٩٦	العروة الوثقى

الكتب والمراجع

١٩٣	عروض ابن معطي وبديعته
١٣٩	العقد الاكبر للقلب الاصغر
١٠٣ / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٧	العواصم من القواصم
١٣٨ / ١٣٩	

حرف الفاء :

١٤٥ / ١٤٩ / ١٥٠ / ١٥١	الفتح (ج)
٩٢	الفضائل
	الفوائد الجسام في معرفة خواص
١٠٦	الاجسام
١٣٦	فوائد الموصلي
١٧٧	الفوز الاصغر
	في الكلام عن مشكل حديث
١٣٩	السبحات والحجاب

حرف القاف :

١٩٣	قانون البلاغة
١٣٨	القانون في تفسير القرآن العزيز
١٣٨ / ١٢٨	القبس على موطأ مالك
٣٦	قسنطينة تحت البايات
٣٥٥	القلم (ج)

حرف الكاف :

- ١٧٦ الكافي في اللغة
١٨٦ الكفاية في علم الدراية
٣٤ الكوتيدين (ج)

حرف اللام :

- ٤٥ لاكسيون فرانسيس (ج)
٣٧٦ / ٣٩٢ لسان العرب
١٨٦ اللطائف في علوم المعارف

حرف الميم :

- ١٣٨ كتاب المتكلمين
١٣٨ المتوسط
١٥٢ / ١٧٧ مجلة المجمع العلمي العربي
١٩٣ المجمل في اللغة
٣٣ محمد عثمان باشا
١٣٨ المحصول في اصول الفقه
١٧٧ مختصر أدب الكاتب
١٩٣ مختصر اصلاح المنطق
١٧٧ مختصر امثال الميداني
١٧٧ مختصر البيان والتبيين

الكتب والمراجع

١٧٦	مد الراحة الى أخذ المساحة
١٧٦	مدخل الطلاب الى فن الحساب
١٣٨	مراقي الزلف
١٣٨ / ١٣٨	المسالك على موطأ مالك
١٣٦	مستدرك الحاكم
٢٧١ / ١٠٨	مسند أحمد
١٨٦	المشبه
١٣٨	مشكل الكتاب والسنة
١٣٦	المشيخة الكبرى
١٣٣ / ١٢٢	مطمح الأنفس
١٨٦	معرفة الرجال
١٧٧	مقاصد الشرع
٢١٢	المقطم (ج)
١٣٩	ملحاة المتفهمين
١٩٥	المنار والازهر
٢٠٩ / ١٩٤ / ١٨٨	المنار (ج)
١٨٣	منتخبات الجوانب
٣٥٢ / ٣٥٣ / ٣٦٤ / ٣٦٥ /	المنتقد (ج)
٣٦٧ / ٣٦٨ / ٣٦٩	

١٧٦ منية الأذكيا في قصص الأنبياء
٣٨٧ الموطأ

حرف النون :

١٣٨ الناسخ والمنسوخ

١٣٢ نفع الطيب / ٢٥٦ / ٢٥٤ / ١٣٧ /

١٣٥ نكت الحافظ

٣٢٥ النهضة (ج)

١٣٨ نواهي الدواهي

١٣٩ الثيرين في الصحيحين

١٩٦ نيل الاوطار

حرف الواو :

١٩٤ الوحي المحمدي

فهرس الموضوعات

الجزء الثاني

الصفحة	
٩	قسم التاريخ
١٦ — ١١	تبليغ الرسالة
	مقدمة ، المقصد ، فصل علمي ، الدرجة الاولى : الامر بالتبليغ ، الدرجة الثانية : الامر بتبليغ العشيرة ، الدرجة الثالثة : الامر بتبليغ العرب حوالي مكة ، الدرجة الرابعة : الامر بالتبليغ العام لمن في عصره ولمن بعدهم ، فصل علمي ، الخاتمة
١٦ — ١١	محمد (صلى الله عليه وسلم) رجل القومية العربية
	بين الماضي والحاضر :
٣٢ — ٢٢	شكوى الجزائر وبلواها منذ ست واربعين سنة
	ثمار العقول والمطابع :
٣٥ — ٣٣	محمد عثمان باشا داي الجزائر
٣٧ — ٣٦	كلمة عن الجامع الاخضر عمره الله
٥٦ — ٢٨	فاجعة قسنطينة
٢٨	ابتداء الاعتداء ، ليلة السبت

الصفحة

٤٠	استنتاجات من حوادث هذه الليلة
٤١	صبيحة السبت ٤ أوت
٤٣	مساء السبت
٤٤	استنتاجات من حوادث يوم السبت ويوم الاحد
٤٤	يوم الاحد ه اوت
٤٥	كيف ابتدأت الفتنة وكيف انتهت
٤٦	استنتاج وتعليل
٤٨	المصائب على الجانبين
٤٩	ليلة الاثنين ويومها
٤٩	في ليلة الاثنين جدد اليهود اعتداءهم على بيوت الله
٥٠	استنتاجات وملاحظات
٥١	صبيحة الثلاثاء
٥١	وفاء الوفد بوعدده
٥٢	يوم السبت ١١ أوت
٥٣	تنظير بين المسلمين واليهود ، النواب
٥٤	مفتي المسلمين وحبر اليهود
٥٥	الشرطة ، الأمة ، القتلى ، الخاتمة
٥٧	قسم العرب في القرآن
٥٩ — ٦٤	العرب في القرآن (١)
٦٥ — ٦٩	العرب في القرآن (٢)
٧٠ — ٧٦	العرب في القرآن (٣)

الصفحة	
٧٧	قسم التراجم
٧٩	رجال الاسلام ونسأؤه
٨١ — ٨٠	عبادة بن الصامت
٨٢	أم حرام بنت ملحان
	سعد بن الربيع :
٨٥ — ٨٣	صدقه ما عاهد الله عليه
	الحجاج بن علاط (رضي الله عنه) :
	نسبه ، اسلامه ووفاته ، مسكنه واقامته ، حاله في
٨٨ — ٨٦	الجاهلية ، حاله في الاسلام ، الاسوة
	ابو ذر الغفاري (رضي الله عنه) :
	كيف كان اسلامه ، علمه ، زهده وورعه ، صدقه
	وصدعه بالحق ، تربيته ، مذهبه في المال ، جواب
	الأئمة عن استدلاله ، اعلانه رأيه واثارته الفقراء ،
	حرية النظر ، النتيجة ، استقدام عثمان (رضي الله عنه)
	له من الشام ، فقه عثمان ، خروجه الى الربدة ،
١٠٤ — ٨٩	تحذير ، وفاته
	سيلنا بلال الحبشي (رضي الله عنه) :
	نسبه ، اسلامه ، تعذيبه في الله وصبره ، ترجيح
	واقتهاء ، عتقه ، جهاده ، وظيفته ، جزاء الحكيم ، ثناء
١٠٩ — ١٠٥	عمر (رضي الله عنه) عليه ، تبشيريه بالجنة ، سنة وفاته

الصفحة

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف:

عكاشة بن محصن (رضي الله عنه) :

اسمه ونسبه ، سابقته ومشاهده ، أخبار تتعلق به ،
بيان ، سيفه الذي يسمى العون ، بيان ، افادة رسول
(صلى الله عليه وسلم) له من نفسه ، تنبيه وتحذير ،
القدوة

١١٢-١١٠

الرَّبِيعُ بنت معوذ (رضي الله عنها) :

اسمها ونسبها ، سابقتها ومشاهدها ، قدرها ومنزلتها ،
حكاية طريفة عنها ، الفوائد والاحكام ، النساء في
الحرب ، اقرار الحق وانكار الباطل ، حزازات
النفوس ، القدوة

١١٥-١١٣

سمية بنت خياط (رضي الله عنها) :

بيتها ، اسلامها وسابقتها ، تمذيبها واستشهادها ،
أوليات النساء في الاسلام ، الاسوة

١١٧-١١٦

هند بنت عتبة (رضي الله عنها) :

كيف أسلمت ، صدق اسلامها ، أخلاقها ، عبرة وقدوة

١١٩-١١٨

نعيمان بن عمرو النجاري (رضي الله عنه) :

سابقته ومشاهدته ، ظرفه ونوادره ، الاسلام دين
السماحة والسجاجة ، نقص رجح به الكمال

١٢٢-١٢٠

الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية (رضي الله عنها) :

سابقتها ، منزلتها الشخصية ، منزلتها في المجتمع ،
الاقتداء ، تحذير

١٢٤-١٢٣

الصفحة

- النعمان بن عدي العدوي (رضي الله عنه) :
 نسبه ، سابقته ، ولايته وعزله ، خاصتان له ،
 ١٢٧-١٢٥ أدب وقدوة
- ١٣١-١٢٨ التعريف بكتاب ((العواصم من القواصم)) للإمام ابن العربي
 ترجمة الامام ابن العربي :
 نسبه وأوليته ، نشأته ، رحلته ، أشياخه ، تلامذته ،
 منزلته في التعليم والفضل ، ولايته للقضاء ، محنته ،
 ١٣٩-١٣٢ تصانيفه ، مولده ووفاته
- ١٤٣-١٤٠ عبد العزيز الثعالبي
- وحدة الشمال الافريقي :
 ابناء المغرب العربي في الشرق العربي :
 شيخي ، السيد محمد الخضر حسين ، جانب عامر
 ١٥٠-١٤٤ من جوانب القيادة ، صديقنا ، الاستاذ الهلالي
- الشيخ طاهر الجزائري :
 أصله ونشأته ، علمه وعمله ، أخلاقه وعاداته ، غريب
 ١٩٣-١٥٢ عاداته ، تأليفه ورسائله ، رسائله الخاصة
- رزء الاسلام :
 ١٩٤ وفاة مجتهد العصر الاستاذ رشيد رضا
- حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا :
 مولده ، بيته ، نشأته ، تعلمه وشيوخه ، الكتب التي

المنحة

خرجته ، تنسكه ، تخلص نسكه من الباطل والضلال ،
تعليمه وارشاده ، أمره بالمعروف وتغييره للمنكر ،
ما وقع بينه وبين شيخه الجبر بسبب هذا الانكار ،
الاعتبار بما كنا نشرناه من القسم الاول من حياة
حجة الاسلام محمد رشيد رضا ، البيئة
المنزلية ، أثر المعلم ، التحصيل الدراسي والتحصيل
النفسي ، تعيين الغاية والاستعداد لها ، التفكير
والاستقلال فيه ، بعده من الوظيف ، حجة الاسلام
السيد رشيد رضا ، بعد هجرته الى مصر ،
سبب الهجرة الى مصر ، سبب تعلقه بالاستاذ الامام
وأول تعرفه به ، آثار اتصاله بالاستاذ الامام ، وفاء
السيد للاستاذ الامام في حياته وبعد وفاته ، موافقه
بعد الاستاذ الامام ، غايته السياسية ، أثر السيد رشيد
في العالم الاسلامي

٢٠٩-١٩٥

العلامة الاستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي (رحمه الله):

منزلته العلمية ، منزلته في القضاء والفتوى ، موقفه
من الاصلاح الديني ، انصافه للاستاذ الامام وشهادته
له ، علاقتي به

٢١٢-٢١٠

مصطفى كمال (رحمه الله)

٢١٧-٢١٣

القصاص الديني والتاريخي

٢١٩

(فاقصص القصاص لعلمهم يتفكرون) :

محاورة الرشيد مع محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة

٢٢١

الصفحة

- ٢٢٣ . . . الخنساء وبنوها ، أثر الاسلام في النفوس
- ٢٢٦ كيف كان بناء الكعبة المشرفة
- ٢٣٠ ملك العرب
- ٢٤٣ . . مناظرة بين سلفي ومعتزلي في مجلس الواثق
- ٢٤٨ هذه نعلي ونعل آبائي : محافظة الرشيد علي زي قومه
- ٢٥٢ العامة المتعلمة
- ٢٥٤ النجاة من العطب بقليل من الادب
- ٢٥٧ ابناء الضيم : يزيد بن المهلب .
- ٢٦١ أعظم قائد يرجع الى رأي جندي
- ٢٦٣ ضلال شيخين واهتداء غلام
- ٢٦٦ الراعي
- ٢٦٨ خلوا بيني وبين ناقتي
- ٢٧٠ كن خير آخذ
- ٢٧٢ لا أثر للعبودية مع الاحرار
- ٢٧٤ من خان قوما فليس منهم : العبيرة
- من ذكريات بدر :
- ٢٧٦ حماس الشباب ، بيان وايضاح

الصفحة

بئس حامل القرآن أنا اذا :

٢٧٩ العبرة

هكذا تكون النزاهة رضي الله عنك يا عمر :

٢٨١ الأسوة الحسنة

رقية الله :

٢٨٣ الأسوة الحسنة

٢٨٥ نعوذ بالله من السلب بعد العطاء

وانا اغتبتها :

المصلحة العمومية فوق الحزازات الشخصية ، العبرة ،

٢٨٧ القدوة

مصرع ظالم :

٢٩٠ إباء وعدالة ، عبرة في مقتله

٢٩٢ السر كل السر في الأرواح

٢٩٥ قسم الرحلات

للتعارف والتذكير :

الحروش ، عزابة ، سكيكدة ، سانطارنو ، مجاز

الدشيش - وسيدي مزريش ، عين مليلة ، أم الباقي ،

٢٩٧-٣٠٥ عين البيضاء ، مسكيانة

٣٠٦-٣٠٧ جولة صحافية

في بعض جهات الوطن :

- بعض التفصيل ، مليانة ، خيس مليانة ، الاصنام ،
غليزان ، مستغانم ، زاوية الشيخ ابن طكوك ، قرية
آرزيو ، وهران ٣٠٨-٣١٦

رحلتنا الى العمارة الوهرانية باسم الجمعية :

- تمهيد ، تاريخ بداية الرحلة ونهايتها ، البلدان التي
زرتها ، ماذا كنت أقوم به في كل بلدة ، موضوع
الدرس ومادته ، الاشاعات الباطلة، الاسئلة والاجوبة،
طريقتان في الموضوع ، مظاهر الاتحاد ، تعلق الامة
بحكومتها ، كرم الامة واقبالها ، فضل الحكومة
ورجالها ، فضل الصحافة العربية والفرنسية ، فضل
الرفاق علينا ، خدماتنا بهذه الرحلة ، حاصل ما تيقنته
من هذه الرحلة ، دفع توهم ٣١٧-٣٢٤

في سبيل الوحدة ، في تونس العزيزة :

- قالت النهضة الناهضة ، قالت الزهرة الزاهرة . . . ٣٢٥-٣٢٩

محاضرة الشيخ عبد الحميد بن باديس :

- الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق
لمندوبنا الخاص ٣٣٠-٣٣٦

- الشيخ عبد الحميد بن باديس في قالة . . . ٣٣٧-٣٤١

- قسم تطور الشهاب ٣٤٣

- خاتمة المجلد الخامس ٣٤٥

الصفحة

٣٤٦	• • • • •	فاتحة المجلد السادس
٣٤٧	• • • • •	خاتمة المجلد السادس
٣٤٨	• • • • •	تبيينه
٣٥٠	• • • • •	فاتحة المجلد التاسع
٣٥١	• • • • •	مجلة الشهاب والحركة الاصلاحية
٢٥٣	• • • • •	بعد عقد من السنين

في العشرة الصحافية : ثناء كرام :

٣٥٧-٣٥٤	• • • • •	ما جاء في البلاغ الذائع ، نفة من الجزائر ، ما جاء في « القلم » البليغ ، ما جاء في الزهرة الزاهرة ، الشهاب النير في عقده الثاني الحفيل ، ما جاء في الزهور العذبة ، مجلة الشهاب الغراء
---------	-----------	--

فاتحة العام الثاني من العقد الثاني :

٣٥٨	• • • • •	عمل الماضي ، التعليم ، الاصلاح ، امل المستقبل
٣٦١	• • • • •	فاتحة السنة الثالثة عشر
٣٦٣	• • • • •	بيان واعتذار

فاتحة السنة الرابعة عشرة :

٣٧٠-٣٦٤	• • • • •	الشباب ، الوطن ، فرنسا ، الادارة ، الامة ، العلماء ، النواب ، المصلحون ، الطريقة
٣٧١	• • • • •	فاتحة السنة الخامسة عشرة

الصفحة	
٣٧٣	قسم الصلاة على النبي
	١ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
	تمهيد ، مكاتبتها ، ثمرتها ، القسم العلمي ، معناها لغة ،
	معناها شرعا ، مزية لفظها ، من تكون منه ، من تكون
٣٧٩ - ٣٧٥	عليه ، نفي الاشتراك عنها ، تفسيرها باللازم
	٢ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
	تاريخ مشروعيتها ، آية مشروعيتها ، شيء من تفسير
٣٨٤ - ٣٨٠	الآية
	٣ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
	توقف الصحابة (رضوان الله عليهم) ، وجوه توقفهم ،
	سؤالهم ، أول من سأل منهم ، ما استفاد من هديهم في هذا
	المقام ، لزوم الاقتداء بهم ، حديث يبان الكيفية ،
	رواته ، ألفاظه ، الجمع بينها ، الاقتصار على الصحيح
٣٨٩ - ٣٨٥	من الروايات ، كلام الحافظ ابن العربي
	٤ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
	صيغ الصلاة الثابتة ، تفسير الصيغ ، لفظة البركة ،
	الازواج ، الذرية ، الآل ، معناه ، اشتقاقه ، موارد
	استعماله ، توجيه الخلاف في تفسيره ، الراجح منها ،
٣٩٥ - ٣٩٠	آل ابراهيم ، تفسيره ، دخول ابراهيم فيه ، توجيه ذلك
	٥ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -
	معنى العبد في اللغة ، استعماله فيها ، ما قره الاسلام

الصفحة

وما ابطله ، معنيا الملك ، عموم العبودية ، وجها اضافة
العبد لله ، معنى العبادة ، لمن تكون ؟ ، مقام العبودية ،
اكمل العباد ، اصدق وصف المخلوق ، تواضعه ،
معنى الرسول ، توجيه الترتيب ، حديث الاطراء ومعناه
٤٠٠-٣٩٦

٦ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -

مبلغ صلاة الله على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ،
وجهان في معنى التشبيه ، نكتة التشبيه ، سؤال على
الوجه الثاني ، وجوابه ، نكتة اخرى في التشبيه ،
معنى في العالمين ، معنى حميد مجيد ، نكتة الختم
بهذه الجملة
٤٠٤-٤٠١

٧ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم -

القسم العملي ، حكمها ، القصد بها ، افضلها ،
استعمال صيغها المحافظة على الوارد منها ، التحذير
من الغفلة ، من اللحن ، من تركها عند ذكره ، من
ذكرها للغضبان ، ذكرها للزغرة ، من هجر الوارد ،
من كتاب التتبيه
٤٠٧-٤٠٥

٩ قسم الفقه والفتوى

٤١١-٤١٣ الاسئلة والاجوبة

المباحثة والمناظرة :

٤١٤ كراء الاسواق من الاجارة لا من المكس

٤١٦ الدواء لمنع الحمل والعزل

الصفحة

٤١٧	• • • • •	كراء الاسواق
٤١٩	• • • • •	قسم الفتوى : سؤال ، جواب (١)
٤٢٢	• • • • •	قسم الفتوى : سؤال ، جواب (٢)
		الفهارس الصامة :
٥٢٧	• • • • •	فهرس الآيات القرآنية
٥٣٩	• • • • •	فهرس الأحاديث النبوية
٥٤٤	• • • • •	فهرس الشعر
٥٤٧	• • • • •	فهرس الأعلام
٥٨٠	• • • • •	فهرس الأمم والقبائل
٥٨٤	• • • • •	فهرس الأماكن
٥٩٨	• • • • •	فهرس الكتب والمراجع والنشرات الدورية
٦٠٨	• • • • •	فهرس الموضوعات

تمت بحمد الله طباعة المجلدات الأربعة في
طبعتها الأولى من كتاب « آثار ابن باديس » ،
للعلامة الشائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس طيب
الله ثراه . وقد شارفت هذه الطبعة على نهايتها
في اليوم الأول من ربيع الأول عام ١٣٨٨ هجرية
المصادف للثامن والعشرين من ماي ١٩٦٨ ميلادية .